تاريخ دمشق

من القرن الرابع حتى القرن السابع الهجري
من القرن العاشر حتى القرن الرابع عشر الميلادي

١-٢

تحقيق وتقديم
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

التكوين

التاريخ دمشق

اشاره

سرشناسه : زکار، سهیل

عنوان و نام پدیدآور : التاریخ دمشق/ سهیل زکار.

مشخصات نشر : دمشق: التکوین، 2007م.= 1386.

مشخصات ظاهری : 307ص.: مصور.

وضعیت فهرست نویسی : برون سپاری.

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه.

موضوع : مانویت -- تاریخ --جغرافیای شهرها

شناسه افزوده : زکار، سهیل، مترجم

رده بندی کنگره : BT1410/ن7ز9 1384

رده بندی دیویی : 299/932

ص: 1

المجلد 1

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

الإهداء

إلى ابنتى ربى التى فيها من دمشق العذوبه و الصلابه

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئه:

التطور سنه الكون و مثل ذلک التقدم، فصحيح أن الأركان الأساسيه لخطه موسوعتى هذه لم تتغير، لكنها تطورت و تحسنت بالفهم و الأداء، فقد كنت من قبل قد نشرت مختارات من تاريخ دمشق لابن القلانسى، لكن بعد إقدامى على نشر عدد من الأصول الأوربيه كامله، لتقديم صوره «بانور اميه» لما كان يجرى فى المشرق الشامى، و فى الغرب الأوربى، لأن ذلک يساعد على فهم أعمق لمختلف العوامل التى أسهمت فى أحداث الحروب الصليبيه، إن سلبا أو إيجابا، وجدت توفر الحاجه لتقديم نص عربى شامى مكافى ء، و صحيح أننى كنت قد نشرت كتاب الروضتين لأبى شامه مع ذيله بالكامل، وجدت هناک حاجه لنشر المتوفر من الأصول التى اعتمد عليها أبو شامه، ثم نشر ما كتب بعد أبى شامه، و وجدت ضالتى فى تاريخ دمشق لابن القلانسى ثم فى الأجزاء الأخيره من مرآه الزمان لسبط ابن الجوزى، لكن بقيت الصوره غير كامله، فكان أن أكملتها من كتاب ذيل مرآه الزمان لليونينى، و هنا اقتديت بسنه ابن القلانسى الذى كتب «ذيلا مذيلا» [انظر المقدمه المقبله] فصنعت تكمله لهذا الذيل المذيل، أوصلت به الروايه إلى ما بعد تحرير عكا، و طى الصفحه الأهم فى تاريخ الحروب الصليبيه.

و مثلما كان ابن القلانسى شاهد عيان لأحداث الحملتين الصليبيتين الأولى و الثانيه، كان سبط ابن الجوزى شاهد عيان للأحداث التى وقعت من بعد وفاه صلاح الدين حتى ما بعد الحمله الصليبيه السادسه، و من بعد وفاته كان اليونينى شاهد عيان للغزو المغولى، و لتأسيس سلطنه المماليک، و لإنجازات السلاطين: بيبرس، و قلاوون الألفى، و الأشرف خليل بن قلاوون.

و سبط ابن الجوزى و إن كان عراقى الأصل إلا أنه كان شامى العطاء و الإسهام و الوفاه، و مثله كان اليونينى، فيونين بلده من أعمال بعلبک، لكنها و بعلبک كانت دمشقيه شاميه.

و تمت الإشاره من قبل إلى الدور الذى شغله علماء الدين الإسلامى فى أيام الحروب الصليبيه، و إلى المكانه الرفيعه التى احتلوها منذ إصلاحات الوزير السلجوقى نظام الملک، و فى العصرين السلجوقى و الأيوبى، غالبا ما أقدم الحكام على تكليف بعض العلماء بأعمال إداريه، أو مهام دبلوماسيه من سفارات و مفاوضات، فبهذه الطريقه كان أبو المحاسن يوسف بن شداد قد تعرف على صلاح الدين و دخل فى خدمته، و هكذا فعل من بعده سبط ابن الجوزى بالتعرف على أبناء العادل الأيوبى و إسهامه فى أحداث عصرهم.

و سبط ابن الجوزى هو حفيد المؤرخ الكبير، و العالم الجليل المعطاء ابن الجوزى، الذى احتل مرتبه الواعظ الأول فى بغداد، لكن مكانته قد تقلقلت كثيرا بعد ما أسس عبد القادر الجيلى زوايته فى بغداد، حيث أدخل التصوف فى مرحله تنظيميه جديده، قد يجد الإنسان فيها كثيرا من الاستعارات من تجربه الدعوه الاسماعيليه، و لا سيما الجديده منها، التى أسسها حسن الصباح.

و كادت الزاويه الجيليه أن تلغى دور الواعظ، حتى أن ابن الجوزى تعرض لمأساه انهيار مكانته و نفيه من بغداد إلى واسط، و تأخر وصول التجربه الجيليه الجديده إلى بلاد الشام، و ظل الواعظ يتمتع فى دمشق بمكانه عاليه، و لعل من أسباب ذلک استمرار وضع المواجهه مع الصليبيين ثم مع المغول، و بقاء روح الجهاد متقده بين صفوف الدمشقيين، و لهذا السبب بين أسباب أخرى، جاء سبط ابن الجوزى إلى الشام، و قام بالدور الوعظى الذى كان يقوم به جده فى بغداد قبل محنته، و شغل دوره فى إثاره روح الجهاد فى وجه الحرب المقدسه التى حمل

رايتها الصليبيون منذ إعلان البابا أوربان الثانى عام 1095 عن الحرب المقدسه ضد الإسلام و المسلمين.

و كان ابن الجوزى قد رزق بثلاثه أولاد، و بعدد، من البنات، منهن واحده حملت اسم رابعه، زوجها أبوها للمره الثانيه بعد وفاه زوجها من حسام الدين قزا أوغلى بن عبد الله، و كان تركيا من مماليک الوزير عون الدين يحيى بن هبيره.

و كانت رابعه كأخواتها سمعت الحديث النبوى على أبيها، و على غيره من المحدثين، و أنجبت ابنها يوسف سنه 582 ه/ 1186 م، و لما ترعرع يوسف أخذه جده إليه، و تكفل بتعليمه، و توجيهه، فغدا أشبه الناس به، لا سيما فى مجال الوعظ و التأثير الشعبى، و عندما غدا يوسف شابا يقارب العشرين من عمره، كان جده قد توفى، فقرر أن يفارق بغداد و يقصد بلاد الشام.

و عندما نقرأ الأجزاء الأخيره من كتاب مرآه الزمان، و مثل ذلک عندما نقرأ ذيل الروضتين لأبى شامه نلتقى مرارا بأخبار سبط ابن الجوزى، و نشاطاته فى بلاد الشام و الجزيره، فهو قد حظى بمكانه رفيعه بين علماء دمشق، و أقبل الناس على مجالس وعظه، و نشأت له علاقات جيده بأبناء العادل الأيوبى، و لم تقتصر نشاطاته على الميادين العلميه، و الدعوه إلى الجهاد، بل كان له دوره الفعال فى نجده أهل الشام للكامل الأيوبى أثناء التصدى للحمله الصليبيه الخامسه، ثم إنه جند بعد ذلک جيشا من المتطوعه غزا به الأراضى التى كان يحتلها الفرنجه فى فلسطين.

و مثلما قلد سبط ابن الجوزى جده فى أعمال الوعظ، جذبه ميدان التاريخ، فصنف على غرار منتظم جده «كتاب مرآه الزمان فى تاريخ الأعيان»، و عرض السبط- مثلما فعل جده- المواد الإخباريه وفق طريقه الحوليات، كل حوليه على حده، و أتبع ذلک بتراجم و فيات تلک

السنه، و رأيت فى مكتبات العالم أكثر من نسخه مخطوطه من هذا الكتاب، و وضح لدى أن السبط أعاد النظر فى كتابه بعض أجزاء مصنفه أكثر من مره، لذلک تحتوى بعض النسخ الخطيه على مواد أكثر سواها، و امتلک الآن أكثر من نسخه مصوره من هذا الكتاب من جميع القطع التى نشرت منه، و بودى تحقيق هذا الكتاب مع ذيله- إذا يسر الله- لأنهما من أهم الموسوعات التاريخيه التى صنفت فى بلاد الشام.

و أشرت من قبل إلى وطيد العلاقات التى قامت بين سبط ابن الجوزى و أبناء العادل الأيوبى، لا سيما الملک الأشرف، و أكثر الملک المعظم عيسى، و لم ينغمس سبط ابن الجوزى فى مسايره رجالات السلطه الأيوبيه، و لم يتخل عن مبادئه، و ظل مخلصا لعقيدته و لإيمانه، و كان أبناء العادل الأيوبى قد انشغلوا إلى أبعد الحدود فى صراعاتهم الداخليه، و لم يتورع بعضهم عن الاستعانه بقوى إسلاميه خارجيه مثل الخوارزميه، بل انضوى بعضهم تحت رايه الصليب و تحالف مع الفرنجه، و ضحى بمنجزات صلاح الدين، و استدعى فردريک الثانى و تخلى له عن القدس، و أفسد هذا العلاقات فيما بين سبط ابن الجوزى و الملک الأشرف، و انتقد السبط الأشرف مع أخيه السلطان الكامل، و عدّ التخلى عن القدس خيانه، و بعد موعظه شديده النبره ألقاها من على منبر جامع دمشق قال فيها: «انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشه المجاورين، كم كان لهم فى تلک الأماكن من ركعه، و كم جرت لهم على تلک الأماكن من دمعه، تا الله لو صارت عيونهم عيونا لما وفت، و لو تقطعت قلوبهم أسفا لما شفت، أحسن الله عزاء المؤمنين، يا خجله ملوک المسلمين، لمثل هذه الحادثه تسكب العبرات، لمثلها تتقطع القلوب من الزفرات، لمثلها تعظم الحسرات»، و أفتى بعد هذه الموعظه بشرعيه قتال الكامل و الأشرف لعقدهما صفقه تسليم القدس للامبراطور الألمانى فردريک الثانى بشكل شائن.

و اضطر سبط ابن الجوزى إثر هذا إلى مغادره دمشق و الالتجاء إلى قلعه الكرک، حيث مكث فيها من سنه 626 حتى سنه 633 ه/ 1229- 1236 م، ثم رجع إلى دمشق حيث أقام مده قصيره، و أخذ يتردد ما بين دمشق، و القدس، و الكرک، ثم قصد مصر سنه 639 ه/ 1241 م، و أقام بها حتى سنه 653 ه/ 1255 م، حيث عاد إلى بلاد الشام، فزار حماه لمده و جيزه، ثم رجع إلى دمشق حيث توفى فيها سنه 654 ه- 1259 م.

و على هذا كان سبط ابن الجوزى فى أيامه الشخصيه العلميه و الجماهيريه، و شارک سبط ابن الجوزى السلطان العظيم صلاح الدين فى اسمه، و استعار منه لقبه «أبو المظفر» و استلهم سيرته و شجاعته، فآثر مصالح الأمه على منافعه، و فضل آخرته على عاجلته.

و كان لمدينه بعلبک مكانه مهمه فى عصر الحروب الصليبيه، و غالبا ما كانت تابعه لدمشق، و برزت فى هذه المده الزمنيه بلده يونين، فصارت من أهم المراكز الثقافيه، و يبدو أنه أسهم فى ازدهار الحركه الثقافيه فيها، هو كونها كانت من المناطق التى اعتاد بعض أهالى دمشق على اللجوء إليها، عندما كانت مدينتهم تتعرض للمخاطر الخارجيه، و لربما أيضا أثناء الصراعات بين حكام أجزاء بلاد الشام، و من يونين خرج عدد مهم من العلماء، و المتصوفه، الذين ظلت علاقاتهم وثيقه مع دمشق.

و يهمنا من بين شخصيات يونين المؤرخ قطب الدين موسى بن محمد ابن عبد الله الذى ولد فى يونين سنه 640 ه/ 1242 م و فيها نشأ، و كان والده من كبار العلماء، ترجم له ابنه ترجمه واسعه، و كذلک ترجم لعدد كبير من أعلام يونين.

ذلک أن قطب الدين اختصر كتاب مرآه الزمان، ثم ذيل عليه حتى قبيل وفاته بسنوات قليله، فهو قد توفى سنه 726 ه/ 1326 م، و جاءت وفاته فى بعلبک «عن ست و ثمانين سنه»، و أودع اليونينى فى

كتابه مواد كثيره عنه شخصيا و عن أسرته، و يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخيه، و لذلک لاقى العنايه منذ بعض الوقت حيث طبع نصفه فى حيدر أباد الدكن فى أربعه أجزاء (1954- 1961)، و هذه الطبعه تعانى من اضطراب شديد و تصحيفات كثيره جدا، و هناک حاجه لأن يطبع الكتاب كله مع المرآه، و أنا لدى صوره تحتوى على نسخه كامله منه، منها استخرجت المواد التى أكملت بها تتمه تاريخ دمشق لابن القلانسى، و هنا أنا قد حرصت على إيراد أخبار كل حوليه بشكل كامل، لكن احتفظت فقط بتراجم الذين كانت لهم علاقه بالحياه السياسيه و الإداريه، لأن مواد اليونينى وحدها إذا ما طبعت ستكون فى أكثر من ألفين و خمسمائه صفحه، و كامل الذيل الذى كتبه اليونينى لن يقل حجمه إذا ما طبع عن أربعه آلاف صفحه.

و كان اليونينى قد تلقى العلم على أبيه و على علماء دمشق، و حماه، و القاهره، و حظى بمكانه ساميه فى بعلبک، قال عنه الذهبى: «كان عالما فاضلا، مليح المحاضره، كريم النفس، معظما جليلا، حدثنا بدمشق و بعلبک ... و قد حسنت فى آخر عمره حالته، و أكثر من العزله و العباده، و كان مقتصدا فى لباسه وزيه، صدوقا فى نفسه، مليح الشيبه، كثير الهيبه، وافر الحرمه»(1).

من الله جلت قدرته أرجو التوفيق، و له جل و علا الحمد و الشكر، و صلى الله على النبى المصطفى و على آله و أصحابه و من أخذ بهداه إلى يوم الدين.

سهيل زكار

دمشق 26 صفر 1427 ه 25/ 3/ 2006 م

1- شذرات الذهب لابن العماد(ط. دمشق 1992) ج 8 ص 131- 132. الدرر الكامنه لابن حجر(ط. دار الجيل- بيروت) ج 4 ص 382. من ذيول العبر للذهبى و الحسينى(ط. الكويت 1986) ص 145- 146.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقد كان للفتح الإسلامى للشام، أعظم الآثار على هذه البلاد، من ذلک تثبيت طابع العروبه فيها، و تبديل البنى الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و العمرانيه، فعلى صعيد السياسه الداخليه و الخارجيه تحول دور القبائل العربيه من الهامش إلى الصميم، و على صعيد المدن، نجد قبل الفتح أن مدينه القدس كانت أهم مدن جنوبى بلاد الشام، تتلوها دمشق، و أن أنطاكيه كانت أهم مدن الشمال و أبرزها دورا، تتلوها قنسرين، لكن بعد الفتح، و بسبب انتشار الإسلام، و انسلاخ البلاد عن الإمبراطوريه البيزنطيه، و قيام الحروب الدائمه معها، ثم قيام السلطان الأموى فى الشام، كل هذا أدى إلى تقهقر القدس، حيث تقدمتها دمشق، و تخلفت فى الوقت نفسه مدينه بصرى، و اضمحل دورها كثغر تجارى لبلاد الشام على بوابات شبه جزيره العرب، و تأخرت أنطاكيه فى الشمال و وصلت قنسرين إلى حاله الاحتضار، و تقدمت حلب و تبعتها معره النعمان.

و وضح هذا الحال فى العصر الأموى، و توطدت أركانه، و بعد قيام الخلافه العباسيه، و انشغالها المطلق بمشاكل خراسان و بلاد ما وراء النهر، و إهمالها للحدود مع بيزنطه، و قيام نظام الثغور و العواصم صارت حلب مركز شمال الشمال سياسيا و اقتصاديا و عقائديا و ثقافيا، و غدت دمشق هى المسؤوليه عن جنوب الشام.

و تنافست كل من حلب و دمشق، و وضح للعيان أن أحداث الشام باتت تدور على محورين أساسيين واحد فى الشمال [حلب] و آخر فى الجنوب، [دمشق]، و يمكن تعقب جذور هذه القضيه إلى العصر الأموى، فبعد وفاه يزيد بن معاويه حدث صراع شديد على الخلافه و السلطه، و انقسم الشام إلى معسكرين: واحد تزعمته قبائل كلب فى الجنوب، و آخر

تزعمته قبائل كلاب فى الشمال، و كانت كلب قبائل يمانيه الأصل، و كلاب عدنانيه، و فى معركه مرج راهط انتصرت كلب على كلاب، و أعيد تأسيس الحكم الأموى، بزعامه الفرع المروانى، لكن الشام انقسمت بشكل فعلى إلى دارين: دار فى الجنوب لكلب و من لف لفها و دار فى الشمال لكلاب و من قاربها بالنسب، و فصل بين هاتين الدارين خط عرضانى و همى انطلق شرقا و غربا من بلده الرستن على العاصى.

و عندما دب الضعف فى قلب الخلافه العباسيه كانت الأجزاء الشماليه من بلاد الشام بزعامه حلب، من أقدم البلدان التى أعلنت انفصالها، و قامت فيها دوله مستقله هى الدوله الحمدانيه بزعامه سيف الدوله الحمدانى.

و من حلب حاول سيف الدوله مدّ سلطانه إلى الأجزاء الجنوبيه من الشام، فدخل دمشق، لكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها، فقبل استقلال حلب، كانت مصر الإسلاميه قد استقلت عن جسم الدوله العباسيه، و قامت فيها الدوله الطولونيه، و مارست الدوله الطولونيه السياسه الخارجيه التقليديه لمصر المستقله بمحاوله إلحاق الشام بها و السيطره عليها، و قد نجحت- مع الدول التى تلتها فى حكم مصر- فى الاحتفاظ بالجزء الجنوبى من الشام، و أخفقت فى البقاء فى الشمال.

و فى حلب أقام سيف الدوله بلاطا حاكى فيه بلاط بغداد، و حوى هذا البلاط عددا كبيرا من العلماء فى كل فن مع الشعراء و الأدباء، و شهدت الشام بشكل عام نشاطا ثقافيا كبيرا و متميزا، حيث عبر عن دور الشخصيه الشاميه العربيه، و عبرت كل من حلب و دمشق عن شخصيتها بالاتجاه نحو إنتاج تواريخ محليه، و بالفعل جاء إلى الوجود عدد من المؤرخين منهم من عاش فى المعره أو مدينه حلب فأرخ لمدينه حلب و الجزء الشمالى من البلاد مع مناطق الجزيره، و منهم من عاش فى دمشق أو اهتم بها، فكتب فى تاريخها إنما مع التعلق بالديار المصريه

و الاهتمام بها، و إذا كنا لسنا فی موضع عرض لمراحل حرکه التدوین التاریخی فی الشام یکفی أن نذکر أن هذه الحرکه وصلت الذروه علی یدی ابن عساکر حین کتب تاریخ دمشق، ثم ابن العدیم حین کتب «بغیه الطلب فی تاریخ حلب» إنما یلاحظ هنا بأن هذین الکتابین العملاقین قد صنفا حسب نمط کتب التراجم، و ما جاء فی بدایتی کل منهما من عرض تاریخی حسب الوقائع و الحولیات، شمل أخبار فتوح الشام لیس إلا، و تمیز ابن العدیم عن ابن عساکر بأنه صنف کتابا مفردا أوقفه علی العرض التاریخی الإخباری لمدینه حلب، و هو کتاب «زبده الحلب من تاریخ حلب» و لم یفعل ابن عساکر هذا، لطبیعه منهجه و ثقافته، فهو إمام بالحدیث فی الدرجه الأولی، و لذلک جاء کتابه الذی صنفه لدمشق مهتما بطبقات المحدثین و العلماء، و مولیا قلیل الاهتمام لمن سواهم، و خاصه رجال السلطه.

إن هذه الثغره بالنسبه لدمشق قد جری تدارکها من قبل ثلاثه أجیال من المؤرخین: اثنان من العراق، و ثالثهما و هو المهم من دمشق الشام، و أول هؤلاء المؤرخین هو ثابت بن سنان، الذی کان واحدا من أفراد آل الصابی ء، الأسره التی اشتهرت بالطب فنبغ منها عدد من الأطباء خدموا الخلفاء العباسیین و رجال دولتهم، و یذکر بعض من ترجم لثابت بأنه کان مختصا بخدمه الخلیفه الراضی [322- 329 ه/ 934- 940 م] و أنه کان بارعا بالطب، تولی تدبیر المارستان فی بغداد، و خدم عددا من الخلفاء بعد الراضی، و ذکر بعضهم أیضا أن ثابتا قد توفی فی سنه 363 ه/ 973- 974 م، و هذا و هم أصح منه أن وفاته کانت سنه 365 ه/ 975- 976 م، و هذا ما تثبته قطعه مخطوطه فیها اختصار لما ورد فی تاریخه عن أخبار القرامطه، سوف أعود إلیها بعد قلیل، و یضاف إلی هذه المخطوطه ما نقله یاقوت عن حفید ثابت بن هلال بن المحسّن بن إبراهیم الصابی ء، و کان ثابت بن سنان مثله مثل

معظم آله متميزا إلى جانب كونه طبيبا، بالاهتمام بالتاريخ و بتدوينه، و قد صنف عددا من التواريخ أشهرها تاريخه الكبير الذى انتزعت منه أخبار القرامطه، و كان ثابت قد بدأ تاريخه بأيام حكم الخليفه المقتدر [295- 320 ه/ 908- 932 م]، و توقف عن متابعه الكتابه فيه قبيل وفاته بأيام، و لثابت تاريخ «مفرد بأخبار الشام و مصر فى مجلد واحد»، و له كتاب آخر دون فيه «وفاءات من توفى فى كل سنه، من سنه ثلاثمائه إلى السنه التى مات فيها»، أى سنه 365 ه.

و تاريخ ثابت الكبير، تاريخ حولى شكل بدايه سلسله من التواريخ كتبت من قبل أفراد أسره آل الصابى ء، و كلها يعد ذيولا متواليه لتاريخ الطبرى، و هى- على هذا- بحد ذاتها على درجه عاليه من الأهميه، تغطى مددا زمانيه، انفردت إلى أبعد الحدود بروايه أخبار أحداثها، ثم إن خدمه آل الصابى ء للخلفاء العباسيين و رجالات الدوله و شخصياتها قد أعطى معلوماتهم و رواياتهم التاريخيه مزيه خاصه، و درجه عاليه من الموثوقيه، و مفيد أن ننقل هنا ما كتبه القفطى (جمال الدين أبو الحسن على ابن يوسف) فى كتابه «تاريخ الحكماء» فى هذا الباب: «و إذا أردت التاريخ متصلا فعليک بكتاب أبى جعفر الطبرى رضى الله عنه، فإنه من أول العالم و إلى سنه تسع و ثلاثمائه، و متى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبى طاهر و ولده عبيد الله، فنعم ما تفعل، لأنهما قد بالغا فى ذكر الدوله العباسيه، و أتيا من شرح بما لم يأت به الطبرى بمفرده، و هما فى الانتهاء قريبا المده، و الطبرى أزيد منهما قليلا، ثم يتلو ذلک كتاب ثابت، فإنه يداخل الطبرى فى بعض السنين، و يبلغ إلى بعض سنه ثلاث (الأصح خمس) و ستين و ثلاثمائه، فإن قرنت به كتاب الفرغانى الذى ذيل به كتاب الطبرى فنعم الفعل تفعله، فإن فى كتاب الفرغانى بسطا أكثر من كتاب ثابت فى بعض الأماكن، ثم كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى ء، فإنه داخل كتاب خاله (جده) ثابت و تمم عليه إلى سنه سبع و أربعين

و أربعمائه، و لم يتعرض أحد فى مدته إلى ما تعرض له من أحكام الأمور و الإطلاع على أسرار الدول، و ذلک أنه أخذ ذلک عن جده لأنه كان كاتب الإنشاء و يعلم الوقائع، و تولى هو الإنشاء أيضا، فاستعان بعلم الأخبار الوارده على ما جمعه، ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمه محمد بن هلال، و هو كتاب حسن إلى بعد سنه سبعين و أربعمائه»(1).

هذا و تمتاز مواد آل الصابى ء بشكل عام على مواد الطبرى، أنهم كانوا المصدر بحكم المعاصره و المشاهده، و بالتالى لم يكونوا نقله مما كتبه غيرهم، فالطبرى أجاد النقل و لم يجد التأريخ لأيامه.

و قد يتساءل الإنسان عن حجم مصنفى ثابت و هلال، فلا يجد لسؤاله جوابا موثقا، لأن تاريخ ثابت لم يصلنا، و كان تاريخ هلال بحكم المفقود إلى جرى العثور فى اليمن، فى مكتبه خاصه، على آخر جزء منه و رقمه «الرابع و الثلاثون»، و حقق هذا الجزء رضوان أحمد الليث و نال عليه شهاده الماجستير من جامعه صنعاء عام 1998.

و كان سبط ابن الجوزى، صاحب مرآه الزمان، قد استحوذ على مجمل ذيول آل الصابى ء فاستفاد منها و نقل، و قام فى إحدى المراحل بإقحام محتويات تاريخ غرس النعمه كله فى كتابه، و كان غرس النعمه قد أطلق على مصنفه اسم «عيون التاريخ»، و قد أرخ به للحقبه الممتده ما بين 448 إلى 479 ه، و جعله بمثابه ذيل لتاريخ أبيه، و ذكر الأسباب التى حدت به إلى تأليفه بقوله: «و بعد، فكان أبى وصىّ إلىّ لما أحس بقدوم الوفاه، و يئس من أيام الحياه، و لمعت له لوامع المنيه، و قرعت سمعه قوارع البليه، رغبه فى زياده الذكر و نمائه و انتشاره و بقائه، بصله كتاب التاريخ الذى ألفه إلى آخر سنه سبع و أربعين و أربعمائه تأليفا يعجز عنه من يروم مثله،

1- تاريخ الحكماء لعلى بن يوسف القفطى(ط. ليبسک 1320 ه) من 109- 111. وفيات الأعيان لأحمد بن خلكان- ط. باريس 1838. إرشاد الأريب إلى معرفه الأديب(معجم الأدباء) لياقوت الحموى(ط. القاهره 1909) ج 2 ص 397.

و يفتضح فيه من يتعاطى فضله، إذ هو السحر الحلال، و العذب الزلال، و الصادر عن أوحد دهره، و فريد عصره، و شرع فيه و قد أتت عليه سنه [ولد هلال سنه 359 ه]، جرب فيها الأمور و مارسها و خبرها و لابسها، و أنا عار من جميع صفاته، و خال من سائر سماته.

و ابن اللبون إذا ما لز فى قرن لم يستطع صوله البزل القناعيس

لكن قوله مستمع، و مرسومه متبع، و أمره مطاع، و رأيه غير مضاع .....

و فى سنه ثمان و أربعين و أربعمائه، و فى يوم الأربعاء سادس عشر رمضان توفى والدى، الرئيس أبو الحسن، هلال بن المحسن بن إبراهيم ابن هلال، و مولده الأحد، النصف من شوال سنه تسع و خمسين و ثلاثمائه، فانتقض السؤدد بمصابه، و انثلم الفضل بذهابه».

و الجزء الأخير الذى وصلنا من تاريخ هلال غير كامل، ينتهى مع حوادث «أربعين و أربعمائه» لذلک لا يمكننا الحديث عن نوع و مدى التداخل بين تاريخ غرس النعمه و تاريخ أبيه، ثم هل كان تاريخ هلال لوحده قد جاء فى أربعه و ثلاثين مجلدا، أم تاريخه مع تاريخ ثابت بن سنان؟ و المهم أن تاريخ غرس النعمه يبدأ مع أحداث سنه/ 448 ه/.

و وصلنا كتاب مخطوط صغير جاء- كما عنونه صاحبه- بمثابه مختصر لتاريخ ثابت بن سنان، وضع فيه مختصر أخبار القرامطه، و يتألف هذا المخطوط من إحدى و ثلاثين ورقه من قطع 19* 5 و 13 سم فى كل صفحه (وجه) ما بين 20- 23 سطرا، فى كل سطر ما بين 7- 8 كلمات، و هذه النسخه هى بحوزه المستشرق البريطانى برنارد لويس، و كان قد حصل عليها من القاهره أثناء إعداده لإطروحه الدكتوراه، و قد تفضل فأعارنى نسخه عنها، قمت- بعد استئذانه- بنشرها ضمن محتويات كتابى الجامع فى أخبار القرامطه، و نسخه الأستاذ لويس هذه قد

كتبت من قبل ثلاثه نساخ على الأقل، و قد تم الفراغ من كتابتها «فى سلخ شوال سنه ألف و سبع و خمسين» [27 تشرين الثانى سنه 1647 م] و قد نسخت كما يبدو عن نسخه من تاريخ ثابت تم نسخها فى «سلخ جمادى الأولى سنه سبع و سبعين و خمسمائه» [11- تشرين الأول سنه 1181] و نسخت هذه النسخه- كما صرح- عن مسوده المؤلف.

إن خط هذه المخطوطه هو نسخى مقروء، و حاله المخطوطه حسنه، إنما يبدو أن المستوى الثقافى لنساخها و معرفتهم بقواعد اللغه العربيه كان ضعيفا، لهذا تبعثرت الأخطاء النحويه و الإملائيه فى كل مكان.

و يمكن تقسيم المعلومات التى تتضمنها إلى قسمين: قسم وردت معظم رواياته فى تاريخ الطبرى، و قسم وقعت أحداث رواياته بعد وفاه الطبرى، فقام ثابت بتدوين أخبار هذه الأحداث، و جلّ الأخبار فى هذا القسم من عصر ثابت، و عند ما نقرأ هذا القسم نلاحظ أمرا مدهشا، حيث أن الكتاب يروى أخبار القرامطه ابتداء من «سنه مائتين و ثمان و سبعين من الهجره» حتى «سنه تسع و ثلاثين و ثلاثمائه» بشكل كامل التسلسل سنه تلو أخرى، ثم يقفز فيبدأ بأخبار «سنه ستين و ثلاثمائه».

و لا ندرى بشكل مؤكد سبب هذا، لكن لدى قراءه المواد الأخيره و مقارنتها بالمواد الأولى، نجد أن المواد الأولى تولى قرامطه البحرين و العراق الاهتمام الأكبر، فى حين أن المواد الأخيره موقوفه على نشاط القرامطه فى الشام و صراعاتهم مع الخلافه الفاطميه فى الشام و مصر.

إن هذا يدفعنا إلى الإفتراض بأن الذى جمع مواد مخطوطه الأستاذ لويس، جمعها من كتابين لعلهما: تاريخ ثابت بن سنان الذى ذيل به على تاريخ الطبرى، و كتابه الآخر الذى أوقفه على تاريخ الشام و مصر، و يبدو أن الكتاب الأول كان مبتورا، فهو بالأصل «مسوده المؤلف» و أن الذى تولى عمليه الاختصار لم ينتبه إلى الخرم الكبير و لا إلى طبيعه المواد المرويه و الاختلاف الذى لحقها، أو أنه تنبه لكنه لم يخبرنا.

و مهما يكن الحال فإن المواد المتأخره من مخطوطه الأستاذ لويس تتوافق، لابل تتطابق تماما مع محتويات تاريخ ابن القلانسى عن دمشق، و هو بيت القصيد فى مقدمتنا هذه، و يتألف كتاب ابن القلانسى من قسمين رئيسيين هما «الأساس» و «المذيل» و يبدأ الأساس بحوادث سنه 360 ه و يقف مع بدايه حوادث سنه 448 ه.

و من المرجح أن مواد قسم الأساس قد وجدت فى مصنف هلال بن المحسن، فقد ذكر ابن خلكان فى ترجمته لصلاح الدين الأيوبى أن ابن القلانسى جعل كتابه ذيلا على تاريخ هلال بن المحسن الصابى ء: «و كان هلال بن المحسن قد ذيل على ذيل ثابت على الطبرى بدأه بأخبار سنه 360 ه»، و هكذا تداخلت فيه حوادث السنوات 360- 365 مع ما دونه ثابت، و تطابقت المواد فى القسم المتداخل، و جاء الاختلاف فى بعض التفاصيل فقط، و هذا ما نخلص إليه لدى عقد مقارنه بين مواد مخطوطه الأستاذ لويس و مطلع كتاب ابن القلانسى، و مثل هذا الاختلاف بشى ء من التفاصيل كان أمرا طبيعيا، نلاحظ ما يشبهه لدى مقارنه السنوات المتداخله بين تاريخ ثابت بن سنان و تاريخ الطبرى، و لنحاول الآن أولا التعرف إلى شخصيه ابن القلانسى و من ثم نعود مجددا للربط بينه و بين تواريخ آل الصابى ء.

ترجم لابن القلانسى عدد من المؤرخين يتصدرهم ابن عساكر ثم ياقوت و بعده الذهبى، و لما ذكره ابن عساكر مكانه خاصه للزمان و المكان، و مما قاله عنه ابن عساكر: «حمزه بن أسد بن على بن محمد، أبو يعلى التميمى، المعروف بابن القلانسى، العميد كانت له عنايه بالحديث، و كان أديبا له خط حسن و نثر و نظم ... و صنف تاريخا للحوادث بعد سنه أربعين و أربعمائه إلى حين وفاته، و تولى رئاسه ديوان دمشق مرتين».

و قال عنه ياقوت: «حمزه بن أسد بن على بن محمد، أبو يعلى، المعروف

بابن القلانسى التميمى الأديب الشاعر، المؤرخ، كان من أعيان دمشق و من أفاضلها المبرزين، ولى رئاسه ديوانها مرتين، و بها توفى سنه خمس و خمسين، و له تاريخ للحوادث، ابتدأ به من سنه إحدى و أربعين و أربعمائه إلى حين وفاته، و كانت له عنايه بالحديث، و له كتب عليها سماعه».

و قد أورد كل من ابن عساكر و ياقوت نماذج من شعر من ابن القلانسى، لكنهما و إن ذكرا تاريخ وفاته، لم يحددا تاريخ مولده أو سنّه حين الوفاه، و قد تولى الذهبى ذلک فبين أنه جاوز الثمانين أثناء وفاته و كان دون التسعين، و عن الذهبى نقل كل من أبى المحاسن فى النجوم الزاهره و اليافعى فى مرآه الجنان.

و جرت العاده لدى كثير من الأوائل الإشاره إلى أنفسهم فى مصنفاتهم، حيث يمكن فى أيامنا استخراج المعلومات من هذه الإشارات، و فيما يختص بابن القلانسى لم يشر إلى نفسه قط فى مصنفه أو تحدث عن دور من أدواره سيما و أنه كان من كبار رجالات الدوله فى دمشق، نعم هناک إشارات غير مباشره إلى بعض مواقفه السياسيه و تذوقه للأدب، فهو قد ضمن كتابه عده قصائد من نظمه، كما أثبت بعض نصوص الوثائق الديوانيه الوارده إلى دمشق لإعجابه بصياغتها.

و لئن انعدمت إشاراته لنفسه فهناک بعض الإشارات لأفراد من أسرته، من ذلک أنه ذكر فى حوادث سنه 539: «و فى يوم السبت الثالث عشر من رجب من السنه، توفى الأخ الأمين أبو عبد الله محمد بن أسد ابن على بن محمد التميمى عن أربع و ثمانين سنه، بعله الذرب، و دفن بتربه اقتراحها خارج باب الصغير من دمشق، و كان على الطريقه المرضيه من حسن الأمانه و التصون و الديانه، و لزوم داره، و التنزه عن كل ما يوتغ الدين، و يكره بين خيار المسلمين، غير مكاثر للناس، و لا معاشر لهم، و لا مختلط بهم».

و على أهميه هذه الإشاره كم كنا نتمنى لو أنه ذكر الفارق بالسن بينه و بين أخيه.

و من ثنايا مواد ابن القلانسى نرى بأن أسرته كانت من أكبر و أعرق أسر دمشق، و أعظمها مكانه، فهو قد تحدث فى وقائع سنه 548 ه عن الاضطرابات فى دمشق، و بين أن هذه الاضطرابات انتهت حينما «رد- سلطان دمشق- أمر الرئاسه [رئاسه دمشق] و النظر فى البلد .. إلى الرئيس رضى الدين أبى غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد بن على التميمى، و طاف فى البلد مع أقاربه، و سكن أهله، و سكنت الدهماء، و لم يغلق فى البلد حانوت و لا اضطرب احد، و استبشر الناس قاطبه من الخاص و العام و العسكريه و عامه الرعيه».

و احتفظت أسره آل القلانسى بمكانتها العاليه فى دمشق لعده قرون فقد ترجم سبط ابن الجوزى و ابن كثير و البدر العينى، و ابن طولون، و بدران لعدد من آل القلانسى كان منهم «الصاحب عز الدين أبو يعلى حمزه بن مؤيد الدين أبو المعالى أسعد بن عز الدين بن غالب بن المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبى المعالى أسعد بن أبى يعلى حمزه بن أسد بن على بن حمزه التميمى الدمشقى، ابن القلانسى، أحد رؤساء دمشق الكبار، ولد سنه تسع و أربعين و ستمائه، و سمع الحديث من جماعه و رواه .. و له رئاسه باذخه، و أصاله كثيره، و أملاک هائله كافيه لما يحتاج إليه من أمور الدنيا، و لم يزل مع صناعه الوظائف إلى أن ألزم بوكاله بيت السلطان، ثم بالوزاره».

و ابن القلانسى هذا هو حفيد لمؤرخنا، و هو الذى بنى دار الحديث القلانسيه فى صالحيه دمشق، و لعله بناها على تربه جده المؤرخ، ذلک أنه دفن فى سفح جبل قاسيون.

و على العموم نجد أن ما جاء فى كتب التراجم و فى ثنايا تاريخ ابن القلانسى عنه عباره عن مواد مقتضبه، فهى و إن تحدثت عن ثقافته

العاليه و اهتمامه بالحديث، فإنها لم تذكر اسم واحد من أساتذته و لا من تأثر بهم ثقافيا، و لا عن سلوكه و نشاطاته و صفاته الخلقيه، و غير ذلک من الأمور التى بودنا لو عرفناها.

و مهما يكن الحال فإن كتابه فى التاريخ و عمله فى ديوان «الإنشاء» بمثابه رئيس له تدل على علو ثقافته و تمكنه من ناصيه اللغه، و من المفيد هنا أن نشير إلى أنه و إن شابه أهل عصر فى اهتمامه بالصنعه و المترادفات، إلا أنه لم يسرف فى ذلک كما أسرف العماد الأصفهانى و سواه، و لا شک أن رئاسته للديوان جعلته وسط أخبار الوقائع و الأحداث مع شى ء من المشاركه، و مكنته من الإطلاع على الوثائق الرسميه على مختلف أنواعها سيما و أنه تسلم ديوان الحساب [الخراج] لمده من الزمن، جامعا بينه و بين ديوان الإنشاء [الرسائل].

و مرّ بنا قول ابن عساكر ثم ياقوت أنه بدأ مصنفه فى التاريخ بحوادث ما بعد سنه أربعين، أو إحدى و أربعين حسب تحديد ياقوت، و هذا التحديد فيه شى ء من الوهم، لعل مرده إلى النساخ، فابن القلانسى بدأ كتابه بحوادث سنه/ 448/ و صرح بأنه صنع «مذيلا»، و فى العاده قد «يبنى المذيل» على ذيل، و الذيل يأتى بمثابه ملحق بكتاب أساسى.

و نعود الآن إلى ما سلف ذكره عن ثابت بن سنان و هلال بن المحسن، فثابت كتب كتابا للتاريخ كان كبيرا ذيل به تاريخ الطبرى، و كتب كتابا آخر أصغر أوقفه على مصر و الشام و وقف به مع أحداث سنه/ 365 ه/ و هى سنه وفاته، و جاء من بعده هلال بن المحسن فكتب ذيلا على تاريخ ثابت تداخلت بعض سنيه، حيث بدأه بحوادث سنه/ 360/ و وقف به حتى نهايه سنه/ 447/، و هذا يعنى أنه ذيل على التاريخ الكبير، فهل يا ترى ذيل أيضا على تاريخ مصر و الشام، و تداخلت المواد هنا و تكررت، و من ثم ذيل عليها ابن القلانسى؟

و لا يصرح ابن القلانسى باعتماده على كتابى ثابت بن سنان و هلال بن المحسن أو على واحد منهما على الأقل، كل ما هنالک أنه فى سياق حديثه عن ولايه «حيدره بن مفلح» لدمشق، و هو أحد الولاه الفاطميين قال: «و استمرت عليه الأيام فى الولايه إلى سنه ثمان و أربعين و أربعمائه، التى بنى هذا المذيل عليها، و عادت سياقه الحوادث منها، و إيراد ما فيها، و تجدد بعدها».

و البحث التاريخى هو الذى قاد إلى الافتراض بأن ابن القلانسى بنى «مذيله» على كتابى ثابت بن سنان و هلال بن المحسن، أو على واحد منهما، فمن شبه المؤكد أن مصنف ابن القلانسى بشطريه «الأساس» و «المذيل» يبدأ بحوادث سنه/ 360/ و بهذه السنه بدأ هلال كتابه، و من المسلم به أن ما كتبه هلال عن أخبار السنوات/ 360- 365 ه/ و هى السنوات التى تداخل بها كتابه مع كتاب ثابت هناک تطابق بالمواد، مع اختلاف بالتفاصيل، و هذا ما نلاحظه حينما نقارن مواد السنوات المتداخله بين تاريخ ثابت بن سنان و تاريخ الطبرى، لهذا ليس من المستبعد أبدا أن يكون ابن القلانسى اعتمد على تاريخ هلال بن المحسن دون سواه، أو بالأصح على الذيل الذى صنعه على تاريخ مصر و الشام، إن كان فعل ذلک؟

و تبقى الأمور فى حدود الفرضيه، فأول تاريخ هلال بن المحسن و كله تقريبا هو بحكم المفقود، و مصنف ابن القلانسى وصلتنا منه نسخه خطيه واحده محفوظه فى مكتبه البودليان فى أكسفورد برقم[Hun 521]و هذه النسخه قد بتر من أولها مقدار أربع عشره ورقه، و لا شک أن هذه الأوراق قد حوت خطبه الكتاب مع بعض المواد الإخباريه، و لئن تمكنت من تدارک المواد الإخباريه المفقوده من مختصر كتاب ثابت بن سنان، تبقى المسأله الأساسيه معلقه.

من هذا نخلص إلى القول أن مخطوطه البودليان تحوى قسمين من

المعلومات الإخباريه، القسم الأول منها حتى سنه 448 من تصنيف هلال بن المحسن لوحده أو مع ثابت بن سنان، و القسم الثانى حتى نهايه الكتاب من تصنيف ابن القلانسى، و القضيه التى تواجهنا الآن هى: هل نقل ابن القلانسى مواد آل الصابى ء نقلا حرفيا، أم عدل فيها اختصارا و زياده و نقصانا؟

إن من يقرأ مخطوطه البودليان يلحظ بعض الفوارق باللغه و العرض بين شطرى الكتاب، إنما مع ذلک يخيل لى أن ابن القلانسى تدخل بمواد الشطر الأول و أعاد صياغتها، و هنا لربما حذف بعض المواد و أضاف موادا من عنده، مما تجمع لديه من مصادر و وثائق محليه.

لقد دعا ابن القلانسى ما صنفه باسم «المذيل» و لما كانت محتويات مخطوطه البودليان تحوى الأصل و المذيل، فقد بات من المفترض أن نطلق على الكتاب اسم «تاريخ دمشق» ثم لذهابنا إلى الافتراض بأن جميع محتويات الكتاب من صياغه ابن القلانسى و روايته [بالوجاده أو غير ذلک من الطرق] فقد بات من المسوغ نسبه الكتاب بأجمعه إلى ابن القلانسى، و مع ذلک لابد من الالتزام بالعنوان الذى أطلقه ابن القلانسى، و الذى ورد عند الذين نقلوا عنه، لا سيما عند أبى شامه صاحب كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين، و هو «الذيل المذيل على تاريخ دمشق».

يؤرخ مصنف ابن القلانسى لقرنين من الزمن هما من أهم القرون، و بالنسبه لكثير من الأحداث هو المصدر المتفرد، ففى هذين القرنين جرت أحداث الصراع القرمطى الفاطمى على الشام، و أعقب ذلک الحكم الفاطمى للشام، و كان حكما لم يعرف الاستقرار لأسباب داخليه فاطميه، و لمقاومه أهل الشام لهذا الحكم، و ابن القلانسى يروى لنا سيره المقاومه الشاميه، و هى سيره لشعب دمشق و شعب الشام أجمع، سيره لمنظمات هذا الشعب و فئاته الاجتماعيه و قبائله، سيره لعمران دمشق

و خططها، و هنا يقتضى أن ننوه أن هذه مزيه تفرد بها ابن القانسى إلى أبعد الحدود.

صحيح أن الكتاب أوقفه صاحبه بالأصل على دمشق لكنه يولى مع دمشق اهتماماته ببقيه أجزاء الشام، ثم بقيه أجزاء الوطن العربى كله و العالم الإسلامى، فمواده عن كل من الخلافتين الفاطميه و العباسيه لها مكانه خالصه، بل أكثر من هذا نجده يتقصى أخبار المغرب الأقصى و يقدم لنا روايه ذات مكانه خاصه حول المهدى ابن تومرت و تأسيس دوله الموحدين.

و على مكانه مواد ابن القلانسى حول العصر الفاطمى، فإن الذى يفوقها أهميه هو ما رواه حول دخول الشام تحت السلطان السلجوقى، ثم أحداث الحروب الصليبيه زمن الحملتين الأولى و الثانيه، و هى أحداث عاصرها و كان شاهد عيان لها، و لأهميه هذه الروايات تمت ترجمتها إلى كل من الإنكليزيه و الفرنسيه.

و ابن القلانسى مؤرخ ثقه يمكن الاعتماد على رواياته، و قد أوضح منهجه فى كتابه بقوله: «قد انتهيت من شرح ما شرحته من هذا التاريخ، و رتبته و تحفظت من الخطأ و الخطل و الزلل فيما علقته من أفواه الثقات، و نقلته و أكدت الحال فيه بالاستقصاء و البحث، إلى أن صححته إلى هذه السنه المباركه، و هى سنه أربعين و خمسمائه، و كنت قد منيت منذ سنه خمس و ثلاثين و خمسمائه و إلى هذه الغايه بما شغل الخاطر عن الاستقصاء عما يجب إثباته فى هذا الكتاب، من الحوادث المتجدده فى الأعمال، و البحث عن الصحيح منها فى جميع الأحوال، فتركت بين كل سنتين من السنين بياضا فى الأوراق، ليثبت فيه ما يعرف صحته من الأخبار، و تعلم حقيقته من الحوادث و الآثار، و أهملت فيما ذكرته من أحوال سلاطين الزمان فيما تقدم، و فى هذا الأوان، باستيفاء ذكر نعوتهم المقرره، و ألقابهم المحرره، تجنبا لتكريرها بأسرها، و الإطاله بذكرها، و لم تجر

بذلک عاده قدیمه، و لا سنه سالفه فی تاریخ یصنف، و لا کتاب یؤلف، و إنما کان الرسم جاریا فی القدیم باطراح الألقاب و الإنکار لها، بین یدی ذوی العلوم و الآداب، فلما ظهرت الدوله البویهیه الدیملیه، و لقب أول مسعود نبغ فیها بعماد الدوله ابن بویه، ثم أخوه و تالیه فی الولاده و السعاده برکن الدوله أبی علی، ثم أخوهما بمعز الدوله أبی الحسین، و کل منهم قد بلغ علو المرتبه و المملکه، و نفاذ الأمر فی العراق و خراسان و الشام إلی أوائل المغرب ما هو مشهور، و ذکره فی الآفاق منشور، و لما علا قدر الملک عضد الدوله فناخسره بن رکن الدوله أبی علی بن بویه بعدهم، و ظهر سلطانه، و علا شأنه و ملک العراق بأسره و ما والاه من البلاد و المعاقل، و خطب له علی المنابر، زید فی نعوته فی أیام المطیع لله أمیر المؤمنین رحمه الله: تاج المله، و لم یزد أحد من إخوته:

مؤید الدوله صاحب أصفهان، و فخر الدوله صاحب الری و ما ولاهما، و انضاف إلیهما علی اللقب.

و لم یزل الأمر علی ذلک مستمرا إلی أن ظهر أمر السلطان رکن الدنیا و الدین طغرلبک محمد بن میکال بن سلجق، و قویت شوکه الترک، و انخفضت الدوله البویهیه و اضمحلت و انقرضت، و لقب السلطان طغرلبک لما ظهر أمره فی العراق، و اجتاح شأفه أبی الحارث أرسلان الفساسیری فی أیام الإمام الخلیفه القائم بأمر الله أمیر المؤمنین رحمه الله ب: السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم، رکن الدنیا و الدین، غیاث المسلمین، بهاء دین الله، و سلطان بلاد الله، و مغیث عباد الله، یمین خلیفه الله، طغرلبک.

ثم زاد الأمر فی ذلک، إلی أن أضیف إلی ألقاب ولاه الأطراف: الدین و الإسلام، و الأنام و المله، و غیر ذلک، بحیث اشترک فی هذا الفن الخاص و العام، لا سیما فی هذا الأوان».

إن هذا النص الفرید فی کتاب القلانسی فیه أکثر من دلیل، لیس علی

منهج المؤلف و دقته و تحريه، و نوعيه مصادره فحسب، بل على عمق فى فهم التاريخ الإسلامى و مشاكله، و نظره ثاقبه واعيه لأحداثه، و قد تأثر بهذه النظره عدد من المؤرخين و السياسيين المسلمين، فهذا ما نشهد صداه فى كتاب الكامل لابن الأثير، و عدد آخر من المصنفات الإسلاميه العربيه و الفارسيه سواء.

و مع أن ابن القلانسى يشير بأنه كان يجمع مواد كتابه على شكل مذكرات يوميه، فإن ما يؤسف له هو طابع الاختصار لديه، فقد عقدت مقارنه بينه و بين وليم الصورى، و هو من معاصريه، و كلاهما كتب عن حوادث الحروب الصليبيه، واحد فى القدس باللاتينيه، و آخر فى دمشق بالعربيه، و مع أن ابن القلانسى انفرد بذكر أخبار بعض الحوادث إلا أنه إذا اجتمع مع وليم على قص خبر حادثه، فالتفاصيل لدى وليم أكبر منها عند ابن القلانسى، و المداراه للسلطه أوضح عند ابن القلانسى، و هذا كان الداء العضال الذى قلما نجا منه مؤرخ من المؤرخين المسلمين.

و هذا لا يقلل من قيمه ابن القلانسى، خاصه إذا تذكرنا أنه المصدر العربى الوحيد الذى وصلنا، و قام بروايه الأخبار من وجهه نظر عربيه صريحه و منصفه، و فيها اعتدال كبير لأنه لم يكن رجل لا هوت، و هذه الصفات افتقر إليها رئيس الأساقفه وليم الصورى و غيره من المؤرخين غير العرب مثل آنا كومينا، مؤرخه الحمله الصليبيه الأولى بالإغريقيه، و المؤرخ السريانى اللاهوتى المجهول الذى أرخ للحملتين الأولى و الثانيه، و البطريرک ميخائيل السريانى.

و لهذا لاقى تاريخ ابن القلانسى عنايه خاصه، و كان أن أقدم المستشرق ه. أمدروز على تحقيقه و نشره سنه 1908 لحساب مؤسسه برل فى ليدن هولندا، و قد طبع نصه فى بيروت فى مطبعه الآباء اليسوعيين، و قامت منذ قرابه الأربعه عقود من السنين مكتبه المثنى فى

بغداد بإعاده طبعه بطريقه تصوير الأوفست، و نفدت نسخ الكتاب من الأسواق منذ سنين عديده.

لقد بذل المستشرق أمدروز جهده فى تحقيق نص الكتاب فنال بعض التوفيق، و كان حظه من الإخفاق أكبر، علما بأنه ألحق بالمتن عددا من الحواشى المهمه استقى غالبيتها من تاريخ ميافارقين للفارقى، و مرآه الزمان لسبط الجوزى.

و مرد الإخفاق إلى أنه لا يوجد فى العالم إلا نسخه خطيه واحده من الكتاب، و هذه النسخه على وضوح خطها النسخى، و على الرغم من نظافتها و خلوها من التطبيع و خروم الأوراق و الأسطر، و الاضطراب، فإن متنها قد انتشرت فيه التصحيفات بشكل رهيب، لا يستطيع المرء التنبه إليها إلا بكل صعوبه يضاف إلى هذا أن الناسخ- الذى لا نملک ترجمه لحياته- كان عاجزا عن قراءه الأصل الذى اعتمده، لذلک لم يكتف بأعمال التصحيف بل تجاوز جملا برمتها، و لهذا فمتن الكتاب فيه من الثغرات ما لا يمكن إحصاؤه، و عند ما أقدم أمدروز على نشر الكتاب أخفق فى التنبه إلى تصحيفات النص و ثغراته كما أخفق فى قراءه الكثير من الكلمات بشكل صحيح، و لهذا جاءت طبعته مشوشه النص، و قامت الحاجه إلى إعاده تحقيق الكتاب و نشره.

و منذ أكثر من أربعين عاما كنا نتحدث عن وجود حاجه ماسه إلى إعاده تحقيق جميع الكتب التى سلف نشرها فى أوربا، و أن هناک حاجات ماسه للاهتمام بتاريخ بلاد الشام فى العصور الإسلاميه، فالطالب عندما يدرس العصر الأموى يعرف ما كان يجرى بالكوفه و لا يدرى ما كان يجرى فى دمشق دار الخلافه، و مقر نشاطاتها، و لكم يتمنى المرء لو تم إنشاء مركز للدراسات الشاميه يلحق بجامعه دمشق أو بغيرها من المؤسسات الثقافيه، و يعمل على جمع مصادر تاريخ بلاد الشام، و إحياء نصوص هذه المصادر أو التعريف بها، و حبذا لو أقدمت

مجله الدراسات التاريخيه التى تصدر فى دمشق عن لجنه «كتابه التاريخ العربى» على فتح ملف دائم للحديث عن تاريخ الشام مع المصادر.

و كنت قد عرفت تاريخ ابن القلانسى منذ زمن بعيد، و توثقت صلاتى به فى الأربعين سنه الماضيه منذ عملى فى إعداد أطروحه الدكتوراه و أثناء بحثى فى التاريخ الفاطمى، و أخبار القرامطه، و العصر السلجوقى، و الحروب الصليبيه، و أخيرا اتخذت قرارا بأن أعمل فى أسرع وقت على إعاده تحقيق الكتاب و نشره، و فى إحدى الأمسيات كنت أحدث بعض الأصدقاء عن هذه النيه، و أننى سأراسل مكتبه البودليان للحصول على شريط مصور للمخطوط، و هنا أخبرنى الصديق أحمد ابش، أن لديه نسخه من هذا الشريط، و تفضل مشكورا بإعارتى إياها، حيث أخرجت عنها صوره مطبوعه، و لابد من الإشاره هنا إلى السيد ابش هو شاب دمشقى يعمل جاهدا فى سبيل جمع مصادر تاريخ دمشق، و إنى انتظر له مستقبلا جيدا فى خدمه تاريخ هذه المدينه الخالده.

و كنت قد أخرجت طبعتى الأولى من هذا الكتاب فى العام 1983، و نفدت هذه الطبعه منذ زمن طويل، و أخذت أعد العده لإعاده طباعته، مع تدارک بعض الهنات و إيضاح بعض القضايا و وضع فهارس جديده أكثر دقه من السالفه.

و يتوافق العمل على إخراج هذه الطبعه الجديده مع الإعداد فى جامعه دمشق من خلال اللجنه القوميه لكتابه التاريخ العربى، لعقد مؤتمر فى العام المقبل بعنوان «دمشق عبر التاريخ»، و هذا حدث له أبعاده العلميه الكبيره و المهمه، فدمشق كانت و ستظل أعرق مدن الإنسانيه، و هى كهف العروبه و الإسلام، و دار الأنبياء و الصالحين و الأبطال.

و كنت أثناء التحقيق و العمل على إخراج هذا الكتاب المهم، قد بذلت كل طاقاتى وعدت إلى سلسه عريضه من المصادر التاريخيه

و الجغرافيه، أصبحت الآن أكثر غنى بما قمت بالحصول عليه من مصادر «الموسوعه الشاميه فى تاريخ الحروب الصليبيه» و مجددا أتوجه إلى جميع القراء بالدعوه إلى إرشادى إلى ما أخفقت فى قراءته أو تحديده، أو شرحه، فالكتاب الآن هو ملكهم و محتوياته فيها تاريخهم ممثلا بأعظم مدن التاريخ و الحضاره الإنسانيه، و أروعها دورا، دمشق دار العروبه و الإسلام.

و الحمد لله جلت قدرته، و الصلاه و السلام على من لا نبى بعده سيدنا المصطفى و على آله و صحبه و من أخذ بهداه إلى يوم الدين.

دمشق 25 شعبان 1426 ه سهيل زكار

28 أيلول 2005

ص: 32

الفصحه الأولى من المخطوط

ص: 33

الصفحه الأخيره من المخطوط

ص: 34

ص: 35

الذيل المذيل على تاريخ دمشق 360- 555 ه

اشاره

تصنيف الرئيس الأجلّ مجد الرّؤساء أبو يعلى حمزه بن أسد بن علىّ بن محمّد التّميمىّ المعروف بابن القلانسى 470- 555 ه/ 1077- 1160 م

حققه و قدّم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار

و فی سنه ستین و ثلاثمائه

و فی سنه ستین و ثلاثمائه(1)

[فی ذی القعده وصل القرامطه إلی دمشق، و نصبوا علی أسوارها السلالم، و تعلقوا بها و فتحوها قصدا، و أوقعوا بأهلها ما لا عین رأت و لا أذن سمعت، و شنعوا بأهلها و قتلوا والیها جعفر بن فلاح، و سبب ذلک أنهم لما رأوا أن جعفرا استولی علی الشام أهمهم أمره و أزعجهم و قلقوا، لأنهم کانوا قرروا مع ابن طغج أن یحمل إلیهم فی کل عام ثلاثمائه ألف دینار، فلما ملکها جعفر علموا أن المال یفوتهم، فعزموا علی المسیر إلی الشام، و صاحبهم و قتئذ الحسن بن أحمد بن بهرام القرمطی فأرسل إلی عز الدوله بختیار یستمد منه المعونه بالسلاح و المال، فأجابه إلی ذلک و استقر الحال أنهم إذا ساروا إلی الکوفه سائرین إلی الشام حملوا الذی استقر، فلما وصلوا الکوفه أوصل إلیهم ذلک و ساروا إلی دمشق، و بلغ خبر وصولهم إلی جعفر، فاحتقرهم و استهان بهم «و لم یدر المخبأ له و لم یصل إلیه قول القائل: إذا کان عدوک نمله فلا تنام له، و قد تقتل النمله الثعبان و الأسد»(2) و لم یحتط(3) و یحترز منهم و لم یعمل لهم حسابا، فکبسوه بظاهر دمشق(4) و قتلوه من حیث لا یشعر بهم، و غنموا ماله و أنعامه من ناطق و صامت(5).

1- بدایه المستدرک من مختصر تاریخ ثابت بن سنان.
2- یبدو أن هذه الجمله مقحمه فی الأصل.
3- فی الأصل- یحتاط- .
4- فی مرآه الزمان- مخطوطه أحمد الثالث- 11/ 88- و: و فیها 360 ه] توفی جعفر ابن فلاح أحد قواد المصریین، و أول أمیر ولی لهم دمشق، و کان فیمن خرج مع جوهر من المغرب، و شهد معه فتوح مصر، ثم بعثه جوهر إلی الشام، فتغلب علی الرمله سنه ثمان و خمسین و ثلاثمائه، و أقام بدمشق. و لخمس خلون من صفر من هذه السنه، أمر المؤذنین بجامع دمشق أن یؤذنوا بحی علی خیر العمل، و کذا بالمساجد، و کان ینزل بمکان یقال له الدکه بین نهری یزید و تورا، و قیل هی فوق یزید قریبا من دیر مران، فجاء أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطی إلی دمشق و یلقب بالأعصم، و کان جعفر مریضا، فخرج فقاتله فقتله القرمطی فی ذی القعده و قیل فی شوال.

5- اصطدم الفاطميون أثناء محاولتهم الاستيلاء على دمشق بجماعات الأحداث فيها،- - الذين شكلوا نوعا من أنواع المليشيات الشعبيه البلديه، و كان محمد بن عصودا من بين زعماء أحداث دمشق الذين تصدوا لجعفر بن فلاح، و عندما أخفق بالمقاومه غادر دمشق إلى الأحساء حيث استنجد بقرامطتها، و من حسن الحظ أن المقريزى حفظ لنا فى كتاب المقفى تراجم لجعفر بن فلاح و الحسن الأعصم زعيم القرامطه، و ترجمه الأعصم نشرتها فى كتابى أخبار القرامطه، أما ما جاء عن علاقه جعفر بن فلاح بالقرامطه فهاكم هو:(من مخطوطه مجلد برتو باشا فى استانبول: 301-302). ... و أما محمد بن عصودا فإنه لما انهزم، سار إلى الأحساء، هو و ظالم بن موهوب العقيلى، و حثا القرامطه على المسير إلى الشام، فوافق ذلک منهم الغرض، لأن الاخشيديه كانت تحمل فى كل سنه إلى القرامطه مالا، فلما أخذ جوهر مصر، انقطع المال عن القرامطه فأخذوا فى الجهاز للمسير إلى الشام. و كثرت الأخبار بمسير القرامطه إلى الشام، و أنهم نزلوا على الكوفه، و كتبوا إلى الخليفه ببغداد، فأنفذ إليهم خزانه سلاح، و كتب لهم بأربعمائه ألف درهم على أبى تغلب عبد الله بن ناصر الدوله بن حمدان، من مال الرحبه، و أنهم ساروا من الكوفه إلى الرحبه و أخذوا من ابن حمدان المبلغ، فكتب جعفر إلى غلامه فتوح و هو على أنطاكيه يأمره بالرحيل فوافاه الكتاب مستهل شهر رمضان، فشرع فى شد أحماله، و نظر الناس إليه فجفلوا و رموا خيمهم، و أراقوا طعامهم، و أخذوا فى السير مجدين إلى دمشق، فلما وافوا جعفر أراد أن يقاتل بهم القرامطه، فلم يقفوا، و طلب كل قوم موضعهم، و لم يبالوا بالموكلين على الطرق. و عندما نزل القرامطه على الرحبه أكرمهم أبو تغلب، و بعث إلى الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجنابى، المعروف بالأعصم، كبيرهم يقول له: هذا شى ء أردت أن أسير فيه بنفسى لكنى مقيم فى هذا الموضع إلى أن يرد إلى خبرک، فإن احتجت إلى سيرى سرت إليک بنفسى، و نادى فى عسكره من أراد السير من الجند الاخشيديه و غيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه، و قد أذنا له فى المسير و المعسكران واحد، فخرج إلى القرامطه كثير من الاخشيديه الذين كانوا بمصر و فلسطين، ممن فر من جوهر و جعفر بن فلاح، و كان جعفر لما أخذ طبريه بعث إلى أبى تغلب ابن حمدان بداع يقال له أبو طالب التنوخى، يقول له: إنا سائرون إليک فتقيم لنا الدعوه، فلما قدم الداعى على أبى تغلب و هو بالموصل، و أدى الرساله، قال له: هذا ما لا يتم لأننا فى دهليز بغداد، و العساكر منا قريبه، و لكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار، أمكن ما ذكرته، فانصرف بغير شى ء. ثم ان الحسن بن أحمد القرمطى، سار عن الرحبه إلى أن قرب من دمشق، فجمع جعفر خواصه و استشارهم، فاتفقوا على أن يكون لقاء القرامطه فى طرف البريه قبل أن يتمكنوا من العماره، فخرج إليهم و لقيهم، فقاتلهم قتالا

شديدا، فانهزم عنه عده من أصحابه، فولى فى عده ممن معه، و ركب القرامطه أقفيتهم، و قد تكاثرت العربان من كل ناحيه، و صعد الغبار، فلم يعرف كبير من صغير، و وجد جعفر قتيلا لا يعرف له قاتل، و كانت هذه الوقعه فى يوم الخميس لست خلون من ذى القعده سنه ستين و ثلاثمائه. فامتلأت القرامطه بما احتووا من المال و السلاح و غيره، و خرج محمد بن عصودا إلى جثه جعفر بن فلاح، و هى مطروحه فى الطريق، فأخذ رأسه و صلبه على حائط داره، أراد بذلک أخذ ثأر أخيه اسحق بن عصودا، و ملک القرامطه دمشق، و ورد الخبر بذلک على جوهر القائد، فاستعد لحرب القرامطه ...

ص: 37

و بعد ملكهم لدمشق أمنوا من بقى من أهلها، و عزموا المسير إلى الرمله و استولوا على جميع ما بينهما، فلما سمع من بها من المغاربه خبرهم ساروا منها إلى يافا، فتحصنوا بها، و ملک القرامطه الرمله بعد قتال شديد و خسائر جمه، و بعد استتباب الأمر لهم قصدوا المسير إلى مصر و تركوا على يافا من يحصرها.

و عند دخولهم مصر اجتمع عليهم خلق كثير من العرب و غيرهم من الجند و الاخشيديه و الكافوريه، فنزلوا بفناء مدينه الشمس على مقربه من مصر قريبا من قريه البلسم أو البيلسان و تعرف «بعين» شمس، و اجتمع جند جوهر الصقلبى قائد المعز لدين الله، و خرجوا إليهم، فاقتتلوا غير مره فلم يظفروا بهم فى جميع تلک الأيام، و ما حصل منهم من الفظائع من قطع الطريق و النهب و السلب و سطوهم على القرى و هتكهم الأعراض يعجز القلم عن وصفه لعنهم الله.

ثم أنهم تقدموا و زحفوا و حصروا عسكر جوهر و ضايقوهم و حصروهم حصارا شديدا، ثم أن جند جوهر خرجوا يوما من مصر و حملوا على القرامطه من الميمنه فانهزم من بها من العرب و غيرهم، و قصدوا خيام القرامطه فنهبوها و كبسوهم فيها فاضطروا إلى الهزيمه، و ولوا الأدبار راحلين إلى الشام، فنزلوا الرمله ثم حصروا يافا حصارا شديدا و ضيقوا على من بها، فسير القائد جوهر نجده من عسكره لأصحابه المحصورين بها، و معهم ميره فى خمسه عشر مركبا، فأرسل القرامطه مراكبهم إليها فأخذوا مراكب جوهر و لم ينج منها غير مركبين، فغنمهما مراكب الروم.

و للحسن بن بهرام زعيم القرامطه شعر فمنه فى المغاربه أصحاب المعز لدين الله العلوى الفاطمى الإفريقى يقول:

زعمت رجال الغرب أنى هبتهافدمى إذا ما بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسق أرضک من دمى يروى ثراک فلا سقانى النيل

و فی صباح الغد أخذ جند جوهر یرمون القرامطه بقوارير النفط، و أعملوا فیهم السلاح حتی اضطروهم إلی الجلاء عن الحصار، و رحلوا إلی الشام فتبعوهم، و واصلهم المعز و جوهر بالنجدات حتی أجلوهم عن بعض القری و المدن(1).

و فی سنه ثلاث و ستین و ثلاثمائه تقوی القرامطه، و عزموا أن یعودوا لمحاربه المعز الفاطمی العلوی صاحب مصر إفریقیه، فتجمعت جموعهم و ساروا من الإحساء، و فی مقدمتهم زعیمهم الحسن بن أحمد قاصدین دیار مصر فنزلوا بها و حصروها، فلما سمع المعز لدین الله قصد القرامطه قبل وصولهم إلی مصر، کتب إلیهم کتابا(2)، یذکر فیه فضل نفسه و أهل بیته، و أن دعوه القرامطه کانت له و آبائه من قبله، و توعدهم و هددهم و سیر الکتاب إلیهم، فکتبوا إلیه «جوابک: وصل الذی قل تحصیله، و کثر تفصیله، و نحن حاضرون إلیک علی إثره و السلام».

و ساروا حتی وصلوا عین شمس فخیموا بها، و أنشب القتال، و حصروا مصر حصرا شدیدا، و أفسدوا و نهبوا القری و قطعوا السبیل، و کثرت جموعهم، و التف حولهم من العرب و قطاع الطریق جمع کبیر، و کان ممن

1- جاء فی ترجمه جوهر الصقلبی، فی کتاب المقفی للمقریزی- مجلد برتو باشا: 311، مزیدا من التفاصیل هاکم هی: ... و ورد الخبر بقدوم الحسن بن أحمد الأعصم القرمطی إلی دمشق، و قتل جعفر بن فلاح، و استیلاء القرامطه علی دمشق، و قصدهم مصر، فتأهب جوهر لقتالهم، و حفر جوهر خندقا، و عمل علیه بابین من حدید، و بنی القنطره علی الخلیج ظاهره القاهره، و حفر خندق السری بن الحکم، و فرق السلاح علی العساکر، فوجد رقاعا فی الجامع العتیق فیها التحذیر منه فجمع الناس و وبخهم فاعتذروا له فقبل عذرهم، و نزل القرامطه عین شمس فی المحرم سنه احدی و ستین، فاستعد جوهر و ضبط الداخل و الخارج. و فی مستهل ربیع الأول التحم القتال بین القرامطه و بینه علی باب القاهره، فقتل من الفریقین جماعه و أسر کثیر، ثم استراحوا فی ثانیه و التقوا فی ثالثه، فاقتتلوا قتالا کثیرا قتل فیه ما شاء الله من الخلق، و انهزم القرمطی یوم الأحد ثالث ربیع الأول، و نهب سواده، و مر علی طریق القلزم- السویس حالیا- و نودی فی مدینه مصر: من جاء بالقرمطی أو برأسه فله ثلاثمائه

ألف درهم، و خمسون خلعه، و خمسون سرج محلى على دوابها، و ثلاث جوائز ...
2- أنظره فى نص المقريزى فى اتعاظ الحنفا بين نصوص كتابى أخبار القرامطه.

حضر معهم و انضم إليهم الأمير حسان بن جراح الطائى أمير العرب ببادیه الشام، و معه جمع عظيم، فلما رأى ذلک المعز استعظم الأمر، و تحير و ارتبک فى أمره، فجمع حاشيته و وزراءه(1).

....(2) و تحصنوا بالسور و عظم الأمر على المعز و تحير فى أمره و لم ينفعه كتابه إليه و لا ترهيبه عليه و لم يقدم على الظهور بعسكره إليه(3)، و كان حسان بن جراح الطائى(4) بعسكره مع القرمطى، و كان قوته و شدته به، و نظر المعز فى أمره فإذا ليس به طاقه، فأعمل فكرته و رويته فى أمره و شاور أهل الرأى من خاصته و جنده فى أمره فقالوا: ليس فيه حيله غير فلّ عسكره، و ليس يقدر على فله إلا بابن جراح، فبذلوا له مائه ألف دينار على أن يفل لهم عسكره، فأجابهم إلى ذلک، ثم نظروا فى

1- نهايه المستدرک من مختصر تاريخ ثابت، حيث تتطابق المعلومات بعد ذلک.
2- نهايه سقط من أول الكتاب مقداره أربع عشره ورقه.
3- إثر احتلال جوهر الصقلبى لمصر وجه القائد جعفر بن فلاح نحو الشام فاصطدم ببقايا القوى الاخشيديه فى فلسطين فقهرها، و من ثم أخذ الطريق نحو دمشق فاصطدم فى منطقه حوران بقبائل عقيل مستعينا عليها ببنى مره و فزاره ثم وصل دمشق فاصطدم الفاطميون بأهل المدينه يتقدمهم أحداث المدينه. و الأحداث هى منظمه شبه عسكريه شعبيه بلديه، و كان من بين زعماء أحداث دمشق مقدم اسمه محمد بن عصودا، تصدى فيمن تصدى لجعفر بن فلاح إنما عند ما أخفق هرب من دمشق يريد الأحساء و قد رافقه ظالم بن موهوب(أو مرهوب) العقيلى، و هناک فى عاصمه دوله القرامطه أطلع الحسن الأعصم زعيم القرامطه على حوادث الشام الجديده، و كان للقرامطه أتاوه سنويه كبيره يأخذونها من الاخشيديه حكام الشام قطعت بالاحتلال الفاطمى، لهذا و لأسباب كثيره ساق الأعصم جيوشه إلى الشام بعد ما نال تشجيع و مساعده بغداد، فأوقع بقوات ابن فلاح، و قتل ابن فلاح نفسه، ثم توجه نحو مصر و حاصر القاهره دون نجاح، حيث انسحب القرمطى عائدا إلى الشام، و عند ما ارتفع خطر القرامطه، أرسل جوهر الصقلبى إلى الخليفه المعز لدين الله الفاطمى و دعاه إلى القدوم إلى مصر فلبى الدعوه، سنه 362 ه/ 973 م، و فى سنه 363 ه وصل القرامطه مجددا إلى مصر و حاصروا المعز، و طال الحصار على المعز، و كتب إلى القرمطى رساله مطوله بالغه الأهميه، و لقد سبق لى

معالجه هذا الموضوع فى كتابى أخبار القرامطه، دمشق 1981، كما أننى نشرت فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه، ط. دمشق 1975، ص: 313- 348 ترجمه كل من جعفر بن فلاح و جوهر الصقلبى من مخطوطه كتاب المقفى للمقريزى.
4- حسان بن على بن جراح أمير قبائل فلسطين، انظر كتابى أخبار القرامطه: 62، 190، 387، 404.

كثره المال فاستعظموه، فضربوا دنانير من صفر و طلوها بالذهب و جعلوها فی أكياس، و جعلوا فی رأس كل كيس منها يسيرا من دنانير الذهب الخلاص، و حملوها إلی ثقه ابن جراح، و قد كانوا توثقوا منه و عاهدوه علی الوفاء، و ترک الغدر إذا وصل المال إليه، فلما عرف وصول المال إليه عمل فی فلّ عسكر القرمطی، و تقدم إلی أكثر أصحابه أن يتبعوه إذا تواقف العسكران، و نشبت الحرب.

فلما اشتد القتال ولّی ابن جراح منهزما و تبعه أصحابه، فكان فی جمع كثيف، فلما نظر القرمطی قد انهزم عسكره بعد الاستظهار و القوه، تحير فی أمره، و لزمه الثبات و المحاربه بعسكره و أجهد نفسه فی القتال حتی يتخلص، و لم يكن له بهم طاقه، و كانوا قد أرهقوه بالحملات من كل جانب، و قد قويت نفوس المغاربه بانفلال ابن جراح، فخاف القرمطی علی نفسه فانهزم فاتبعوا أثره و طلبوا معسكره، فظفروا بمن فيه، و أسروا منه تقدير ألف و خمسمائه رجل، و انتهبوا سواده و ما فيه، و ضربوا أعناق من أسروه، و ذلک فی شهر رمضان سنه ثلاث و ستين و ثلاثمائه.

ثم جردوا فی طلب القرمطی القائد أبا محمود إبراهيم بن جعفر فی عشره آلاف رجل، فاتبعه و تثاقل فی سيره خوفا من رجوعه عليه، و تم القرمطی علی حاله فی انهزامه حتی نزل علی أذرعات(1)، و انفذ أبا المنجا فی طائفه من الجند إلی دمشق، و كان ابنه قبل ذلک واليا عليها(2)، و رحل القرمطی فی البريه طالبا بلد الإحساء، و نيته العود، و رحل أبو محمود مقدم عسكر [7 ظ] المغاربه(3) عند معرفته ذلک و نزل باذرعات فی منزل القرمطی.

1- هی مدينه درعا الحاليه فی سوريه.
2- هو كاتب الحسن الأعصم، وقع بالأسر و حمل إلی القاهره حيث أطلق المعز سراحه بعد ما توصل إلی شراء السلم مع القرمطی بكميه من الذهب و أتاوه سنويه. أنظر أخبار القرامطه: 190- 191.
3- أی عساكر الخلافه الفاطميه حيث كان جلهم من بربر الشمال الأفريقی.

ذكر ولايه ظالم بن موهوب العقيلى لدمشق فى سنه ثلاث و ستين و ثلاثمائه من قبل المعز لدين الله

اشاره

ذكر ولايه ظالم بن موهوب(1) العقيلى لدمشق فى سنه ثلاث و ستين و ثلاثمائه من قبل المعز لدين الله

وصل القائد ظالم بن موهوب العقيلى إلى دمشق واليا عليها فى يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنه ثلاث و ستين و ثلاثمائه عقيب نوبه القرمطى، فدخلها و تمكن أمره فى ولايتها و تأثلت حاله فى إيالتها، و توفرت عدته و عدته، و اشتدت شوكته لا سيما عند قبضه على أبى المنجا و ولده صاحبى القرمطى مع جماعه وافره من أصحابهما، و حبسهم و أخذ أموالهم و استغرق أحوالهم.

و اتفق أن أبا محمود مقدم العسكر المصرى المقدم ذكره وصل إلى دمشق فى يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر رمضان من السنه، و نزل بالشماسيه(2)، فخرج ظالم متلقيا له و مستبشرا به، و مبتهجا بنزوله، و مستأنسا بحلوله لما كان مستشعره من الخوف من عود القرمطى إلى دمشق و نزوله عليها، ثم أن ظالما أنزل أبا محمود المقدم الدكه المعروفه(3)، و حمل إليه أبا المنجا صاحب القرمطى المعتقل المعروف بالنابلسى(4) الذى كان هرب من الرمله متقربا إليه و إلى المغاربه بذلك، فجعل كل واحد منهما فى قفص من خشب و حملهما إلى مصر، فلما وصلا إلى المعزّ لدين اللّه أمر بحبس أبى المنجا و ولده و قال للنابلسى: أنت الذى قلت: لو أن معى عشره أسهم لرميت تسعه فى المغاربه و واحدا فى الروم؟ فاعترف بذلك، فأمر بسلخه، فسلخ و حشى جلده تبنا و صلب.

1- هو ابن مرهوب فى بعض نقول المقريزى فى كتاب المقفى، و يبدو أن الاداره الفاطميه قد كسبته إلى صفها بعد ما كان إلى جانب القرامطه، لتفتت القوى المسانده للقرامطه و لتستفيد من قوى عقيل فى الشام الجنوبى ضد القرامطه و القوى المحليه.
2- عند مسجد القدم، كان المأمون أقام بها مرصدا فلكيا، و فى ياقوت أنها محله من دمشق. انظر الأعلاق الخطيره- قسم دمشق. ط. دمشق 1956

ص: 126، غوطه دمشق ص: 236.
3- موضع بظاهر دمشق فوق نهر يزيد، يعرف الآن باسم الدواسه، غوطه دمشق ص: 232.
4- أبو بكر النابلسى، و صفه القاضى عبد الجبار الهمذانى برئيس فقهاء الشام. أنظر أخبار القرامطه: 190.

و لما نزل القائد أبو محمود المقدّم على دمشق فى عسكره اضطرب الناس و قلقوا، و امتدت أيدى المغاربه فى العيث و الفساد فى نواحى البلد، و أخذ من يصادف فى الطرقات و المسالک و کان صاحب الشرطه بعد القبض على أبى المنجّا قد أخذ انسانا و قتله، فظهر الغوغاء و حمله السلاح، و قتلوا أصحاب المسالح، و کثر من يطلب الفتن من العوام، و طمعت المغاربه فى نهب القرى و أخذ القوافل ظاهر البلد، و لم يتمکن القائد أبو محمود المقدم من ضبط أصحابه لأنه لم يکن معه مال ينفقه، فيهم، و لم (8 و) يقبلوا أمره و لا امتثلوا زجره،

و کان ظالم يأخذ مال السلطان الذى يستخرج من البلد، و قد عرف ظالم أن الرعيه تکره المغاربه [فکثر] فى [البلد](1) الفساد و قطع الطريق على الصدّار و الورّاد، و امتنع السفار من المجى ء و الذهاب، و عدلوا فى ذلک عن نهج الصواب، و نزح أهل القرى منها إلى البلد، و خلت من أهلها و استوحش ظاهر البلد و باطنه.

فلما کان يوم الخميس النصف من شوال من السنه جاء قوم من العسکريه ينهب القصّارين من ناحيه الميدان(2) فکثر الصائح فى البلد، و خرج الناس بالسلاح، و ثارت الأحداث، و خرج أصحاب ظالم و وقع القتال، و ظالم يظهر أنه يريد الصلاح و الدفع عن البلد، و لم يکاشف فى الأمر(3)، و وجد الناس حجه للمقال و الشکوى لما يجرى عليهم، فلما کان فى بعض الأيام خرج قوم من المغاربه يطلبون الطرق فظفروا برفقه قافله فى طريق الحرجله(4) قد أقبلت من حوران، فأخذوها و قتلوا منها

1- من المقدر أن سقطا قد وقع هنا، و أضيف ما بين الحواصر کيما يستقيم المعنى.
2- کان فى دمشق أربعه ميادين: ميدان الحصا، و ميدان الشرف الأعلى، و ميدان ابن أتابک، و ميدان القصر. غوطه دمشق: 92.
3- أى لم يکاشف أبا محمد العداء. أنظر کتابى أخبار القرامطه: 64.
4- تتبع الحرجله الآن ناحيه الکسوه فى محافظه دمشق، و هى إلى الشرق من الکسوه تبعد عنها/ 8 کم/ و عن دمشق/ 28 کم/. التقسيمات الاداريه فى الجمهوريه العربيه السوريه، ط. دمشق 1968 ص 13.

ثلاثه نفر، فجاء أهل القتلى و حملوهم و طرحوهم فى الجامع(1) فكثر الناس عليهم و بالغوا فى المقال و الانكار لأجلهم، و غلقت الأسواق، و مشى الناس بعضهم إلى بعض، و نفرت قلوبهم، و استوحشوا و خافوا.

فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من ذى القعده من السنه سمع صبى يصيح على بعد: النفير النفير إلى قينيه(2)، إلى اللؤلؤه، فقال قائل:

كان بالأمس آخر النهار قوم من المغاربه و من الباديه فى جنينه فى القنوات(3) فقتلت المغاربه من الباديه ابن عم لورد بن زياد، و قد وقع بينهم حرب و قد ثارت الفتنه بباب الجابيه(4) فخرج رجل من العسكريه يقال له نفاث ابن عم لأبى محمود، فظهر القوم من غد فى طلب الرجل، و كان مسكنه فى ناحيه قينيه، فأقبلوا يريدون بيته، و انتشرت خيلهم و رجالتهم فى أرض قينيه إلى لؤلؤه و القنوات إلى باب الجابيه و باب الحديد(5)، فظفروا بالقصارين عند باب الحديد، فأخذوا ما كان معهم من الثياب، فصاح الناس: «النفير»، و لبسوا السلاح، و خرج أصحاب ظالم مع الرعيه، و زحفت المغاربه حتى بلغوا قريبا من سور البلد و ليس فى مقابلتهم من يذودهم و يدافعهم، فنفر إليهم أهل البلد من (8 ظ) كل ناحيه و نشب القتال، و نكا النشاب فى المغاربه أعظم نكايه، و قصدوا الباب الصغير و امتد الناس خلف المغاربه و صعدوا على طاحون الأشعريين يرمونهم بالحجاره، و طرحوا النار فيها

1- من المرجح المراد به« الجامع الأموى».
2- كانت مقابل الباب الصغير: الأعلاق الخطيره، قسم دمشق ط. دمشق، 1956 ص: 152.
3- من أشهر مناطق مدينه دمشق ما تزال تحمل هذا الاسم.
4- معروف مكانه فى دمشق على مقربه من القنوات ما يزال يحمل هذا الاسم، منه كان الانطلاق إلى الجابيه، أشهر مناطق تجمع القبائل العربيه فى جنوب الشام، و الجابيه الآن على مقربه من بلده نوى فى حوران، و لم أهتد إلى معرفه ورد بن زياد هذا. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر: 2/ 187.
5- ذكره ابن عساكر فى تاريخه: 2/ 186 بقوله:« هو الآن خاص بالقلعه التى أحدثت غربى البلد».

فاحترقت، و هی أول نار طرحت فی البلد و زحفت الرعیه و أصحاب ظالم إلی المغاربه و ضایقوهم مضایقه ألجؤوهم إلی الصعود فوق مسجد ابراهیم، و کان ذلک منهم جهلا و اغترارا و کان فی الطریق الأعلی نحو البیمارستان العتیق(1) شرذمه قلیله فحملوا علی الأحداث و أصحاب ظالم فانهزموا من المرج إلی خلف المرمی، و تبعتهم المغاربه، فلما علم ظالم هزیمتهم خرج من دار الإماره حتی وقف عند الجسر المعقود علی بردی، و أمر بغلق باب الحدید(2)، و رتب قوما من أصحابه علی جسر باناس لئلا ینهزم الناس، فلما شاهد انهزام الناس و المغاربه فی إثرهم ضرب بیده علی فخذه، ثم استدعی رمحه، و عبر الجسر و معه فرقه من أصحابه، و حمل علی أوائل المغاربه فردهم عن أحداث البلد، و صاح الناس فی المیدان «النفیر»، فانهزم ظالم و أصحابه و جاءت المغاربه نحو الفرادیس، و دخلوا الدروب، و ملکوا السطوح و طرحوا النار فی الفرادیس(3)، و کان هناک من البیان الرفیع الغایه فی الحسن و البهاء ما لم یر مثله، و هو أحسن مکان کان بظاهر دمشق، و امتدت النار مشرقه حتی بلغت مسجد القاضی(4) فأتت علی دور لبنی حذیفه و أخذت النار قله، فأتلفت ما کان بین الفاخوره و حمام قاسم و کنیسه مریوحنا(5) و حین انهزم الناس و تکامل العسکر فی المرج و المیدان، و ارتفع صیاح المغاربه، و انهزم من علی السطح من الرماه و النظاره، و امتدوا إلی القنوات و دخلوا باب الحدید، و انتشروا، فلما عرفوا انهزام

1- کان تحت المناره الغربیه للمسجد الأموی، تاریخ دمشق لابن عساکر ط. دمشق 1954: 2/ 158.
2- فی موقع قلعه دمشق حالیا، سمی بذلک لأنه کان کله حدید. تاریخ دمشق: 2/ 186.
3- محله من محال دمشق، کان لها باب خاص نسب إلیها، حیث منطقه العماره حالیا. تاریخ دمشق: 2/ 186. منادمه الأطلال لعبد القادر بدران ط. دمشق 1379: 42.
4- انظر الأعلاق الخطیره لابن شداد، قسم دمشق، ط. دمشق 1956: 157.
5- تحدث ابن عساکر عن بناء الجامع الأموی من قبل الولید بن عبد الملک، و هدم کنیسه مر یوحنا فقال:« و أعطاهم- النصاری- الولید مکان الکنیسه

التى فى المسجد، الكنيسه التى تعرف بحمام القاسم بحذاء دار أم البنين فى الفراديس». تاريخ دمشق: 2/ 20.

ظالم قصدت خيلهم ناحيه الشماسيه(1) فى طلبه، فلما حصلوا بها أقبلت الأحداث تجول فيها مع المغاربه فطرحوا النار فى لؤلؤه الكبرى(2) و الصغرى و القنوات و قينيه(3) و أقبل الليل، و بات الناس على أسوأ حال و أشد خوف عظيم، و أعظم و جل، و تمكنت النار فى تلك الليله (9- و)، فأحرقت درب الفحامين، و درب القصارين، ثم أخذت مغربه إلى مسجد معاويه(4)، و أحرقت درب السماقى و ما حوله إلى حمام العجمى(5)، ثم أخذت فى زقاق المشاطين و القنوات و قويت النار فى اللؤلؤه الكبرى و الصغرى، و بلغت إلى ناحيه المشرق، و أتت على الرصيف جميعه، و كانوا فى وقت تمكنهم من باب الحديد، قد طرحوا النار فى دار عمرو(6) بن مالک، و دار ابن طغج بن جف، فقويت النار فى أخشاب و بطاين سقوف منقوشه، و ظهر لها فى الليل ألسنه عاليه و شرر عظيم، و كذلک النار التى ألقيت فى الفراديس كان لها شرر مرتفع، و ألقوا النار أيضا فى باب الحديد، و المظلمه بإزاء الحمامى إلى الطريق الآخذ إلى حجر الذهب(7) و وصلوا إلى رحبه السماكين مقابل دار ابن مقاتل(8) و وجدوا بين أيديهم من الرعيه من منعهم دخول الزقاق، و دخل قوم من الرعيه المظلمه و أدركوا [النار] و أطفؤوها، و قويت النار فى دار ابن مالک فاحترقت و ما يليها من الطاحون إلى حد حمام ضحاک، ثم أخذت النار نحو القبله فأتت على ما كان من الدور

1- عند مسجد القدم. غوطه دمشق: 236.
2- هى محله الحلبونى الحاليه بدمشق. غوطه دمشق: 243.
3- كانت القينيه مقابل باب الصغير. غوطه دمشق: 242.
4- من أرض قينيه على طريق المزه و داريا. الأعلاق الخطيره- قسم دمشق: 152.
5- فى منطقه العقيبه. الأعلاق الخطيره- قسم دمشق: 300.
6- أنظر ابن عساكر: 2/ 137.
7- من المعتقد أن محله حجر الذهب كانت حيث العصرونيه الآن شرقى القلعه. الأعلاق الخطيره- قسم دمشق: 123.
8- لم أقف عليها فى المصادر المتوفره.

حول دار ابن طغج و ما يليها إلى قصر عاتكه(1) و سوق الجعفرى و الحوانيت، و التقت على قصر(2) حجاج، و أشرق الصبح و قد خلا المكان و اجتمع قوم فى تلك الليله من حجر الذهب و الفسقار(3) و النواحى المعروفه بباب الحديد، و عملوا على المحاربه عن الدروب و الأزقه و أبواب الدور، فما لاح الصباح بضيائه إلا و قد بنوا حائط باب الحديد، و سدوا الباب و أتى الله بالفرج.

و قد كانت المغاربه فى تلك الليله فى لهو و لعب و زفن(4) و فرح و سرور بأخذ البلد من عدوهم، ينظرون إلى النار تعمل فى جنباته، و قد أتت عليه، فلما أصبحوا انحدر العسكر من الدكه يريد البلد، و كان الناس قد غدوا إلى الميدان، و صعدوا السطح ينظرون نزول العسكر، و قد حارت عقول كثير من الناس من الخوف، فلما نظرت الدبادبه من كان على السطح، انحدر العسكر، و قد علت الأصوات بالنفير، فلما سمع الناس النفير بادروا الخروج بالسلاح التام، و عدد الحرب و آلاتها و خرج قوم بمثل حربه (9 ظ) و عصا و فاس و كساء مقلاع، و حمر عليها حجاره، و اشتد الناس فى القتال، و نزل القائد أبو محمود فى عسكره، فضرب فى الميدان خيمه و أصبح الناس فى شده عظيمه، و بليه هائله [و اجتمع الأشراف](5) و ظهروا من البلد، و قد تبعهم الخلق الكثير من الأخيار و المستورين يطلبون من الله تعالى الفرج، فلما قربوا من عسكر المغاربه صاح نفر منهم، فنفرت من الصياح خيل هناک، فقيل لهم:

1- من أحياء دمشق الآن خارج باب الجابيه يطلق عليه الآن« قبر عاتكه». غوطه دمشق:
2- محله كبيره فى ظاهر باب الجابيه نسبت إلى الحجاج بن عبد الملک بن مروان. غوطه دمشق:
3- من المعتقد أنه سوق مدحت باشا الحالى. الأعلاق الخطيره- قسم دمشق: 93.
4- الزفن: اللعب و الدفع. النهايه لابن الأثير.
5- من المقدر وجود سقط بالأصل، و لعل ما أثبت بين الحاصرتين فيه تقويم و ايضاح.

أشراف البلد يريدون الوصول إلى القائد، فأذن لهم فلما حضروا لديه، و سلموا عليه، أحسن الرد عليهم، و بش بهم و قال: ما حالكم و ما الذى جاء بكم؟ فشكوا إليه أحوالهم، و الإضرار بهم، و المضايقه لهم، و خضعوا و ذلوا له و لطفوا به، فقال: ما نزلت فى هذا المكان لقتالكم، و إنما نزلت لأرد هؤلاء الكلاب المفسدين عنكم- يعنى أصحابه- و ما أوثر قتال رعيه، فشكروا و دعوا له و أثنوا عليه، و انصرفوا عنه مستبشرين بما سمعوه منه، و جاؤوا إلى خيمته و اختلطوا بأصحابه و قد خف الخوف و الوجل عنهم، و دخلت المغاربه البلد لقضاء حوائجهم، و عاد القائد أبو محمود فى عسكره إلى الدكه منزله.

و ولى الشرطه لرجلين يقال لهما حمزه المغربى و الآخر يقال له ابن كشمرد من الاخشيديه، فدخلا فى جمع كثير من الخيل و الرجاله فطافا فى البلد بالملاهى و الزفن، و جلسا فى مجلس الشرطه، و طاف فى الليل جماعه من الرجال بالعدد و السلاح ممن يرد الفساد و إثاره الفتن، و وجد الطائف الدروب قد ضيقت، فشكا ذلک إلى القائد أبو محمود فشق هذا الأمر عليه و ضاق له صدره، فلما كان فى بعض الليالى اجتاز الطائف فى ناحيه المحاملين على جسر المصلى(1)، يريد باب الصغير فى جمع وافر، و وصل إلى سوق(2) الغنم، فوجد درب سوق الغنم مسدودا، فعظم ذلک عليه، و غضب لأجله، و عاد إلى ورائه منكفئا حتى دخل من ناحيه البطاطين(3) فشكا إلى أبى محمود، فقال: إن القوم على ما هم عليه من العصيان و الخلاف، و كثرت الأقوال فى مجلسه و لم يكن صاحب رأى سديد و لا تدبير حميد و لا حسن سياسه، و استدعى مشايخ البلد

1- المصلى قبلى دمشق من خارج محله الميدان، و لم أجد عند ابن عساكر و ابن شداد ذكر لجسر المصلى فأحدد مكانه. أنظر منادمه الأطلال: 389.
2- يستدل من الأعلاق الخطيره- قسم دمشق: 134، أن هذا السوق كان على مقربه من باب الصغير.
3- لم أقف على ذكر لهذه الناحيه.

إليه (10 و) فدخلوا عليه فتوعدهم و أغلظ القول لهم، و قال: إن لم يفتح هذا الباب و إلا فأنتم مقيمون على الخلاف و العصيان، فقالوا: أيها القائد لم يسد هذا الباب لعصيان و لا خلاف، و إنما كان سده بحيث لا يدخل منه أحد من لا يعلمه القائد و يؤثره من أهل الفساد و من يؤثر إثاره الفتنه و العناد، فقال: قد أمهلتكم ثلاثه أيام و إن لم يفتح هذا الباب لأركبن إليه و لأحرقنه و لأقتلن كل من أصادفه فيه، فقالوا: نحن نطيع أمرک و لا نخالفه إذا استصوبت ذلک.

و خرجوا من عنده متحيرين فى أمرهم لا يعلمون كيف يسوسون جهله الناس و أمور السلطان، فصاروا إلى باب الصغير، و اجتمع إليهم أهل الشره و غيرهم، و فيهم المعروف بالمارود رأس شطار الأحداث، و أحاطوا بهم و سألوهم عن حالهم، فأعادوا عليهم ما سمعوه من القائد أبى محمود بسبب سد الباب، فقال بعضهم: يفتح و لا يجرى مثل ما جرى أولا فنخرب البلد، و قال قوم من أصحاب السلاح بالضد، فقالت المشايخ: نحن نفتح هذا الباب و إن جرى أمر مكروه عند دخول المغاربه و غيرهم، أو ثارت منه فتنه كنتم أنتم أصل ذلک و سببه، ثم إنهم فتحوه من وقتهم، فلما شاهد المشايخ ذاک حاروا بين الفريقين، و قال بعضهم لبعض: ما قال أبو محمود، و ما قال أهل الشره، و قد فتح الباب بأمركم، و لسنا نأمن أمرا يكون من المغاربه فتكونوا أنتم السبب فيه، ففكروا فى الخلاص من لائمه الفريقين، و أعملوا الرأى فيما بينهم، و قالوا: الصواب أن نأمرهم بسده، و كان ذلک منهم رأيا سديدا و تدبيرا [سليما](1) و جرى بين رجل من أكابر المغاربه و رجل من أهل الشره منازعه بسبب صبى أراد المغربى أن يغلب عليه، فرفع البلدى سيفه و ضرب المغربى فقتله فى سوق(2) البقل، فغلظ الأمر و اضطرب البلد،

1- فراغ فى الأصل، مقدار كلمه، و لعل ما وضعته بين حاصرتين يفى بالمعنى.
2- أنظر تاريخ دمشق: 2/ 62. الأعلاق الخطيره- قسم دمشق: 103.

و غلقت حوانيت الأسواق، و ثار العسكر بسبب المقتول، فعند ذلک وجدت المشايخ الحجه فی سد الباب لهذا الحادث، و انتهی الخبر إلی القائد أبی محمود، ففرق السلاح فی أصحابه، و ثار أهل البلد و تأهبوا للمحاربه، و أصبح العسکر منحدرا یرید باب الصغیر، (10 ظ) و کان عندهم العلم بتفریق السلاح، و الاستعداد للحرب، فتیقظ الناس، فاحترزوا إلی حین ارتفع النهار، و فتح الناس حوانیتهم و کان المعروف بابن المارود رأس الأحداث قد عرف هو و أصحابه أن قصد العسکر باب الصغیر لأجلهم(1)، و صاح الناس «النفیر»، و ارتفعت الأصوات و تقدمت الرجاله، و انتشروا فی سوق الدواب(2) و عبروا الجسر و طرحوا النار فی الطاحون قبلی الجسر، و انتشروا فی الطریق و المقابر یشاهدون النار فی دور عند مسجد الخضر، و امتدت الأحداث و الرعیه فی المقابر و وقع «النفیر» فی الأسواق، و کانوا فی غفله، فصاح فیهم صایح: أما یستیقظ من هو غافل، أما ینتبه من هو راقد، فغلقت حوانیت الأسواق و أضحی الناس من استشعار البلاء علی ساق [و قدم](3) و نزل القائد أبو محمود فی محراب المصلی و کانت رجالته منتشره فی المقابر، فاجتمعت مشایخ البلد إلی القائد أبی محمود من باب الجابیه، و المحاربه علی باب الصغیر، و کان فیهم الشریف أبو القاسم أحمد بن أبی هشام العقیقی العلوی، فقال له: الله الله أیها القائد فی الحرم و الأطفال و أتقیاء الرجال، و لم یزل یخضع له و یلطف به إلی أن أمسک بعد سؤال متردد، و عاد منکفئا بعسکره إلی مخیمه بالدکه فی یوم الأربعاء لست مضین من ذی الحجه سنه ثلاث و ستین و ثلاثمائه و کف عن القتال، و دخل صاحب النظر إلی البلد، و انتشر الفساد فی سائر

1- یستخلص من هذا الخبر و أخبار أخری سیوردها ابن القلانسی حول الأحداث أن منطقه الباب الصغیر کانت أشبه بقاعده تجمع لقوی أحداث دمشق أو بمثابه ثکنه لهم.
2- أنظر الأعلاق الخطیره- قسم دمشق: 155.
3- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.

الضياع و الجهات، و طرحت النار فى الأماكن و الحارات، و ثارت الفتنه و اشتدت النار، و عظم الخوف و فنى العدد الكثير من الفريقين، و لم تزل الحرب متصله مده صفر و ربيع الأول، و بعض ربيع الآخر، و تقررت المصالحه و الموادعه(1) إلى أن ولى جيش بن الصمصامه البلد من قبل خاله القائد أبى محمود المقدم ذكره فى سنه ثلاث و ستين و ثلاثمائه، و صرف القائد ظالم ابن موهوب العقيلى عن ولايته.

شرح الحال فى ذلک

لما استقر الصلح و الموادعه بين أهل دمشق و القائد أبى محمود مقدم العسكر المصرى المعزى على ما تقدم شرحه، و خمدت نار الفتنه بعض الخمود، و ركدت ريحها بعض (11 و) الركود و سكنت نفوس أهل البلد و اطمأنت القلوب بين الفريقين اعتمد القائد أبو محمود على ابن أخته جيش بن الصمصامه فى ولايه دمشق و حمايتها و لمّ ما تشعث منها بالفتنه المتصله، لما رجاه عنده من الكفايه و الصرامه، و قدره فيه من النهضه و الشهامه، فدخلها واليا و نزل بقصر الثقفيين(2) فى الدار المعروفه بالروذبارى، و أقام بها أياما.

فلما كان يوم من الأيام عبرت طائفه من عسكر المغاربه بالفراديس فعاثت فيه، فثار الناس عليها و قتلوا من لحقوه منهم، و صاروا إلى قصر الثقفيين، فهرب منهم جيش بن الصمصامه الوالى فى أصحابه فانتهبوا ما كان لهم فيه، و أصبح القائد منحدرا من العسكر فى جمع كثير، و قصد

1- كانت المصالحه سنه أربع و ستين و ثلاثمائه، و ذكر ثابت بن سنان:« ثم استقر الرأى بين الدمشقيين و القائد أبى محمود على اخراج ظالم من البلد و يخلفه جيش بن الصمصامه، و هو ابن أخت أبى محمود» و كان« قدم إلى القاهره فيمن قدم إليها مع المعز، و خرج مع خاله أبى محمود ابراهيم جعفر بن فلاح إلى الشام». أنظر أخبار القرامطه: 64- 65. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 345.
2- على الأرجح أن قصر الثقفيين كان محله من محال دمشق، حيث موقع القلعه اليوم مع جزء من العصرونيه. انظر ابن عساكر: 2/ 76. قصور الحكام فى دمشق مقال لعبد القادر ريحاوى نشر فى مجله الحوليات الأثريه م 22- 23 ص: 42- 43.

جهه من البلد، و كبس موضعا كان قد سلم و وجد فيه أربعه من أهله فأخذ رؤوسهم و طرح النار فيه فاحترق، و قال القائد أبو محمود: إن أهل الشره فى موضع يقال له سقيفه جناح قريب من باب كيسان قبلى البلد، فقصدهم من ناحيه الباب(1) الصغير و المقابر، فوقع «النفير» فقاتلتهم الأحداث و الرعيه أشد قتال، و قد غلظ الأمر عليهم فى أخذ رؤوس من يظفرون به، و نشبت الفتنه و الشر بينهم منذ أول جمادى أولى، و نشبت الحرب بينهم بياض ذلک اليوم إلى أن أقبل الليل، فاضطرب البلد و اشتد خوف أهله و وجلهم، و خربت المنازل، و ضعفت النفوس، و انقطعت المواد، و استدت بالخوف المسالک و الطرقات، و بطل البيع و الشراء، و قطع الماء عن البلد، و عدم الناس القنى و الحمامات، و مات ضعفاء الناس على الطرقات، و هلک الخلق الكثير من الجوع و البرد فى أكثر الجهات، و انتهت الحال فى ذلک إلى أن تجددت ولايه القائد ريان الخادم عقيب هذه الفتنه فى بقيه سنه ثلاث و ستين و ثلاثمائه.

شرح الأمر فى ذلک

قد كانت الأخبار تنتهى إلى المعز لدين الله بما يجرى على أهل دمشق من الحروب، و إحراق المنازل، و النهب و القتل و السلب، و إخافه المسالک، و قطع الطرقات، و أن القائد أبا محمود المقدم على الجيش المصرى لا يتمكن من كف أهل الفساد و المنع (11 ظ) لمن يقصد الشر من أهل العيث و العناد، و لذلک فقد خربت الأعمال، و اختلت الجهات، و ترادفت الأنباء بذلک إليه و تواترت الأخبار بجليه الحال عليه، فأنكر استمرار مثل ذلک، و أكبره و استبشعه، و كتب إلى القائد ريان الخادم والى طرابلس يأمره المسير إلى دمشق، لمشاهده حالها، و كشف أمور أهلها، و المطالعه بحقيقه الأمر فيها، و أن يصرف القائد أبا محمود عنها، فامتثل القائد ريان الأمر فى ذلک، و سار من طرابلس، و وصل إلى دمشق،

1- فى الأصل: الخامس، و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.

فشاهدها و كشف أحوال أهلها و أمور الرعيه بها، و تقدم إلى القائد أبى محمود بالانكفاء عنها، فرحل عن دمشق إلى الرمله فى عده خفيفه من عسكره، و بقى الأكثر مع القائد ريان، و كان ذلک بقضاء الله و تقديره و نفاذ حكمه، و تمادت الأيام فى ذلک إلى أن تجددت ولايه أبى منصور ألفتكين التركى المعزى البويهى الواصل(1).

ولايه ألفتكين المعزى لدمشق فى بقيه سنه أربع و ستين و ثلاثمائه و ما بعدها و شرح السبب فى ذلک

ولايه ألفتكين(2) المعزى لدمشق فى بقيه سنه أربع(3) و ستين و ثلاثمائه و ما بعدها و شرح السبب فى ذلک

قد مضى ذكر ما جرى عليه أمر القائد ريان المعزى(4) الخادم فى توليه أمر دمشق، و ما شاهده من أمر الفتن الحادثه فيها، و اتصال الحروب بها، و ما اعتمده من النظر فى تسديد أحوالها و تدارک إصلاح اختلالها بعد ذلک، و تسكين نفوس من بها، و وافق هذه الحال ما تناصرت به الأخبار من بغداد من اشتداد الفتن و الوقائع بين الديلم و الأتراک و ما كان من عصيان الحاجب سبكتكين المعزى مقدم الأتراک على عز الدوله بختيار ابن مولاه معز الدوله أبى الحسين بن بويه الديلمى، و ما حدث من موت الحاجب سبكتكين المذكور وردّ الأمر فى التقدم على الأتراک إلى الحاجب أبى منصور ألفتكين المعزى و الرئاسه عليهم، لسكونهم إلى سداده و جميل فعله فى الأعمال، و اقتصادهم و اعتمادهم عليه فى إخماد ثائره الفتنه، و سكنت نفوس الأجناد ببغداد.

1- الواصل من العراق.
2- يرد رسم هذا الاسم فى المصادر بأشكال مختلفه: منها هفتكين، بغتكين، ألفتكين، ألبتكين، و الصحيح هو« ألب تكين أى عبد جلد» و يجوز القول ألف بدلا من ألب فالباء و الفاء سواء فى الأسماء المعربه عن التركيه. انظر ديوان لغات الترک، تأليف محمود الكاشغرى. ط. الآستانه: 1333 ه: 1/ 346- 347.
3- فى الأصل ثلاث و هو خطأ واضح، انظر أخبار القرامطه: 64- 65.
4- ألفتكين المعزى و ريان المعزى، أما الأول فنسبته إلى معز الدوله البويهى، و أما الثانى فنسبته إلى المعز لدين الله الفاطمى.

و فی ذی القعده من سنه ثلاث و ستین و ثلاثمائه وردت الأخبار بخلع المطیع لله و استخلاف ولده الطائع لله عند اشتداد الفتنه بین الدیلم و الأتراک، و أقام علی هذه (12 و) الحال برهه خفیفه، ثم ثارت الفتنه و اتصلت الحوادث، وزاد الأمر فی ذلک إلی حد أوجب للحاجب ألفتکین الانفصال عن بغداد فی فرقه وافره من الأتراک تناهز ثلاثمائه فارس من طراخین(1) الغلمان، و وصل أولا إلی ناحیه حمص للأسباب التی أوجبت ذلک و دعت، فأقام بها أیاما قلائل، و سار منها إلی دمشق و الأحداث بها علی الحال المقدم شرحهما فی تملکها و الغلبه علیها و التحکم فیها، فنزل بظاهرها، و خرج إلیه شیوخها و أشرافها و خدموه و أظهروا السرور به، و سألوه الإقامه عندهم، و النظر فی أحوالهم، و کف الأحداث الذین بینهم، و دفع الأذیه المتوجهه علیهم منهم، فأجابهم إلی ذلک بعد أن توثق منهم و توثقوا منه بالأیمان المؤکده و المواثیق المشدده علی الطاعه و المساعده، و دخل البلد و أحسن السیره و قمع أهل الفساد و أذل عصب ذوی العیث و العناد، و قامت له هیبه فی الصدور، و صلح به ما کان فاسدا من الأمور، و کانت العرب قد استولت علی سواد البلد و ما یتصل به، فقصدهم و أوقع بهم، و قتل کثیرا منهم، و ظهر لهم من شجاعته و شهامته و قوه نفس من فی جهته و جملته ما دعاهم إلی الاذعان بطاعته و النزول علی حکمه، و العمل بإشارته و أمر بتقریر إمضاء الاقطاعات القدیمه، و ارتجاع ما سوی ذلک، و أحسن التدبیر و السیاسه فی ترتیب العمال فی الأعمال، و أنعم النظر فی أبواب المال و وجوه الاستغلال، فاستقام له الأمر، و ثبت قدمه فی الولایه، و سکن أهل دمشق إلی نظره.

و کاتب المعز مکاتبه علی سبیل المداجاه و المغالطه و المدامجه و التمویه و الانقیاد له و الطاعه لأمره، فأجابه بالاحماد له و الارتضاء بمذهبه، و الاستدعاء له إلی حضرته، لیشاهده و یصطفیه لنفسه، و یعیده إلی ولایته

1- أی کبار الغلمان، و من أجل حوادث الصراع الترکی الدیلمی انظر تجارب الأمم لمسکویه، ط. القاهره 1915: 316- 343، و وصل ألفتکین إلی الشام عام 364 ه.

بعد ذلک مکرما مولی مشرفا، فلم یثق إلی ذلک، و لا سکنت نفسه إلیه و امتنع من الإجابه إلی ما بعثه علیه.

و وافق أن المعز لدین الله اعتل العله التی قضی فیها نحبه و صار إلی رحمه ربه فی سنه خمس و ستین و ثلاثمائه و کان مولده بالمهدیه(1)، و عمره خمس و أربعون سنه، و مولده سنه تسع عشره (12 ظ) و ثلاثمائه، و مده أیامه فی الخلافه ثلاث و عشرون سنه و سته أشهر و أمه أم ولد، و نقش خاتمه «بنصر العزیز العلیم ینتصر الإمام أبو تمیم»، و کان عالما فاضلا شجاعا جاریا علی منهاج أبیه فی حسن السیره و انصاف الرعیه(2)، ثم عدل عن ذلک و تظاهر بعلم الباطن، ورد من کان باقیا من الدعاه فی أیام أبیه و أذن لهم فی الاعلان بمذهبهم، و لم یزل عن ذلک غیر مفرط فیه إلی أن خرج من الغرب(3)، و قام فی منصبه من بعده ولده نزار أبو منصور العزیز بالله، مولده بالمهدیه یوم الخمیس الرابع عشر من المحرم سنه أربع و أربعین و ثلاثمائه.

و لما عرف حال الحاجب ألفتکین جهز إلیه عسکرا کثیرا مع القائد جوهر المعزی، و یجری الأمر بینهما علی ما هو مشروح فی موضعه، و اتفق خروج ابن الشمشقیق(4) متملک الروم فی هذه السنه إلی الثغور،

1- معروفه بالجمهوریه التونسیه بناها المهدی سنه 300 ه/ 913 م علی شاطی ء البحر الأبیض المتوسط، و أرضها بالأصل أشبه« بجزیره متصله بالبر کهیئه کف متصل بزند». انظر کتابی العصر العباسی منذ القرن الرابع حتی سقوط بغداد، ط. دمشق 1982، ص: 231: 231- 238.
2- تردد بعض المصادر أن المنصور اسماعیل أوقف النشاط الدعوی و تظاهر بالتقرب إلی أهل السنه و ذلک أثناء تصدیه لثوره أبی یزید مخلد بن کیداد الخارجی.
3- یرید بهذا قدوم المعز من تونس إلی مصر بعد ما تعرضت للخطر القرمطی.
4- هو الامبراطورJohn Tzimisces و لفظه شمشقیق لفظه أرمنیه معناها القصیر(969- 976)، و کان ابن الزیات مقدم أهل طرسوس التی کانت أعظم مدن الثغور، و قد أفرد ابن العدیم فی المجلده الأولی من کتابه بغیه الطلب فصلا خاصا حول مدینه طرسوس، أهم ما فیه مواد نقلها عن أبی عثمان الطرسوسی(ت فی مطلع القرن الخامس) صاحب کتاب سیر

الثغور، و طرسوس الآن قائمه داخل الحدود التركيه و غالبيه سكانها عرب يتقنون العربيه، فى محراب مسجدها دفن الخليفه المأمون العباسى.

فاستولى على أكثرها و دعت أبا بكر بن الزيات الضروره إلى مصالحته و الدخول فى طاعته و المسير فى عده وافره من أهل طرسوس و الثغور فى خدمته، و فعلت عده من بطون العرب مثل ذلک، فلما نزل ابن الشمشقيق على حمص و افتتحها و انتقل عنها إلى بعلبک و ملکها، و أراد قصد دمشق، و کتب ابن الزيات إلى ألفتکين و أهل دمشق يعرفهم قوه متملک الروم، و أنهم لا يقدرون على مقاومته، و لا يتمکنون من محاربته، و يشير عليهم بالدخول فى طاعته و النزول على حکم إشارته، و أصغى ألفتکين و أهل البلد إلى ذلک، و علموا أن فيه المصلحه، و قرروا ما يستکفون به ليصبحوا فى کنف السلامه، و يأمنوا شر العساکر الواصله إليهم، و کتب إليه بقبول الاشاره ورد الأمر إليه فيما يدبره، و العمل بما يراه و يستصوبه، فدخل ابن الزيات إلى متملک الروم، و قال له: قد وردت کتب ألفتکين و أهل دمشق بالإنقياد للملک إلى ما يرومه منهم، و يرسم حمله إليه من الخراج عن بلدهم و سألوا أمانه، و حسن الرأفه و المحاماه عنهم، فقال له: قد قبلت طاعتهم، و أمرت بايمانهم على نفوسهم و أموالهم، و رضيت منهم بالخراج، و أنفذ إليهم صليبا بالأمان، و أنفذ(1) ابن الزيات إليهم مع المعروف بالدمشقى صاحبه، و کان من وجوه (13- و) الطرسوسين، فتلقوه بالمسره و الاکرام و الشکر الزائد عن حسن السفاره و جميل الوساطه، و أشار ابن الزيات على ألفتکين بالخروج لتلقى الملک فخرج فى ثلاثمائه غلام فى أحسن زى وعده، و أفضل ترتيب و هيئه، و استصحب أشراف البلد و شيوخه، و لقيه فأقبل عليه و أکرمه و الدمشقيين فيما خاطبهم به من الجميل، و عاملهم به من وکيد العنايه و مرضى الرعايه، و توسط ابن الزيات ما بينه و بينهم على تقرير مائه ألف درهم.

1- فى الأصل:« فأنفذه» أى الصليب، و هذا يفيد تکرار العباره، و لا يتفق سياق الخبر و بقيته، و لعل ما أثبتناه هو الصواب.

و سار ابن الشمشقيق(1) إلى دمشق لمشاهدتها فلما وصل إليها و نزل بظاهرها استحسن ما رآه من سوادها، و تقدم إلى أصحابه بكف الأذيه عن أهلها، و ترک الإعتراض لشی ء من عملها، و دخل ألفتکين و الشيوخ إلى البلد لتقسيط القطيعه و جمعها، و تحصيل الملاطفات التی يخدم مثله بمثلها، و حملوا إليه ما جاز حمله، و حصل المال المقرر له فی بدره، و خرج ألفتکين إليه لمعاوده خدمته فوجده راکبا و الطرسوسيون يتطاردون بالرماح بين يديه، فلما شاهد ابن الشمشقيق موکبه تقدم إلى ابن الزيات بتلقيه، و قد کانت الحال تأکدت بين ألفتکين و ابن الزيات فتلقاه و وصاه بالتذلل له و الزياده فی التعظيم له، و التقرب إليه و أعلمه أن ذلک ينفق عليه، ففعل ألفتکين ما أشار به، و ترجل له هو و أصحابه، و ابن الزيات، عند قربهم منه، و قبلوا الأرض مرارا، فسر الملک بذلک و أمرهم بالرکوب، فرکبوا و أسند إلى ألفتکين، و سأله عن حاله فأجابه جوابا استرجعه حجه فيه، و کان الملک فارسا يحب الفرسان، فلعب ألفتکين و ابن الزيات بين يديه لعبا استحسنه منه، و شاهد من فروسيه ألفتکين ما أعجبه، فتقدم إليه بالزياده فی اللعب و التفرد به ففعل، و التفت الملک إلى ابن الزيات فأثنى على ألفتکين، و قال: هذا غلام نجيب و قد أعجبنی

1- قاد هذا الامبراطور أول جيش بيزنطی توغل فی أعماق بلاد الشام منذ الفتح الاسلامی، و قد تحدث فی رساله بعث بها إلى أشوت الثالث ملک أرمينيه عن أهداف حملته فبين أنها أهداف صليبيه بحته، ذلک أنه أراد احتلال القدس أو حسب تعبيره أراد تحريرها من المسلمين، لکن کما قال:« لولا وجود المسلمين المغاربه الذين يعيشون هناک و لولا اعتصامهم فی القلاع الساحليه لدخلنا بيت المقدس و صلينا للرب فی الأماکن المقدسه». هذا و تحدث يحيى بن سعيد الأنطاکی عن حمله الامبراطور البيزنطی و وصوله إلى دمشق فذکر أنه« قاطع أهلها على ستين ألف دينار يحملونها إليه فی کل عام، و کتب عليهم بذلک کتابا و أخذ خطوط الأشراف، و أخذ جماعه منهم رهينه، و استدعى خروج ألفتکين إليه فخرج فی أربعه غلمان فأکرمه الملک، و ضرب له مضربا مفردا و أفطر عنده فی تلک الليله فخلع عليه الملک و وهب له ما أخذ به خطوط أهل دمشق من المال و أطلق أيضا الرهائن، و حمله على فرس بسرج و لجام». انظر تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاکی ط. بيروت: 1909 ص: 145- 146. تاريخ الامبراطوريه البيزنطيه(بالانکليزيه) تأليف أ. أ. فازلييف- کندا 1952: 1/ 309- 310.

ما شاهدته منه فی حسن أفعاله و جمیع أحواله، فأعلم ابن الزیات ألفتکین، فترجل و قبل الأرض و شکره و دعا له، فأمره بالرکوب و قال لابن الزیات: عرفه أن ملکی(1) قد وهب له الخراج و ترک طلبه منه، فأعاد ألفتکین الترجل و الشکر (13 ظ) و الدعاء، و عاد الملک إلی بلاطه و ألفتکین معه أثناء مسیره یلعب و یری بالزوبین(2)، و الملک شدید التوفر علیه، حتی إذا نزل أحضره و خلع علیه، و حمله علی شهری، و استهداه الملک الفرس الذی کان تحته، و السلاح الذی علیه الرمح، فعاد و أضاف إلیه عشرین فرسا بتجافیفها و عده رماح و شیئا کثیرا من أصناف الثیاب و الطیب و التحف التی یتحف بها مثله، فشکره الملک علی هذا الفعل، و قبل الفرس و آلته، ورد ما سوی ذلک و کافأه علی الهدیه بأثواب دیباج کثیره، و صیاغات و شهاریّ و بغلات.

و سار علی طریق الساحل فنزل علی صیدا، و خرج إلیه أبو الفتح بن الشیخ، و کان رجلا جلیل القدر، و معه شیوخ البلد، و لقوه و قرروا معه أمرهم علی مال أعطوه إیاه هدیه حملوها إلیه، و انصرف عنهم علی سلم و موادعه، و انتقل إلی ثغر بیروت فامتنع أهله علیه، فقاتلهم و افتتح الثغر عنوه و نهبه و سبی السبی الکثیر منه، و توجه إلی جبیل فاعتصم أهلها علیه، و جری أمرها مجری بیروت، و نزل علی طرابلس فأقام تقدیر أربعین یوما یقاتل أهلها و یقاتلونه، فبینما هو علی ذلک إذ دس إلیه خال بسیل و قسطنطین سما فاعتل منه، و رحل إلی أنطاکیه فطالب أهلها بتسلیمها فلم یجیبوا إلی ذلک، و قطع ما کان فی بساتینها من شجر التین و هو یجری هناک مجری النخل فی البصره، و حفزه

1- أی ملک ابن الزیات الامبراطور نفسه صاحب الخطاب حسب الطریقه البیزنطیه فی الرسوم، أو لعل الامبراطور لم یرد نفسه، ذلک أنه حکم باسم ولدی الامبراطور رومانوس الثالث و هما باسیل الثانی و قسطنطین الثامن، انظر کتاب أوربا فی العصور الوسطی لسعید عبد الفتاح عاشور. ط. القاهره 1966 ج 2 ص: 422- 426.
2- حربه ذات رأسین، باللغه الفارسیه.

المرض الذی لحقه و استخلف البرجی(1) البطریق علی منازلتها و توجه إلی القسطنطینه، و توفی بعد أن افتتح البرجی أنطاکیه فی سنه خمس و ستین و ثلاثمائه.

و ورد(2) الخبر بوفاه أبی تمیم معد المعز لدین الله صاحب مصر فی یوم الجمعه السابع عشر من شهر ربیع الآخر سنه خمس و ستین و ثلاثمائه، و کان مولده بالمهدیه علی أربع ساعات و أربعه أخماس ساعه من یوم الاثنین الحادی عشر من شهر رمضان سنه تسع عشره و ثلاثمائه، و عمره خمس و أربعون سنه، و تقلد الأمر بعد أبیه فی یوم الجمعه التاسع عشر من شوال سنه إحدی و أربعین و ثلاثمائه، و مده أیامه بمصر ثلاث سنین، و انتصب مکانه ولده نزار أبو المنصور العزیز بالله، و قد تقدم ذکر ذاک إلا أن هذه الروایه أجلی من تلک الحکایه.

و قیل إن المعز کان (14 و) مغری بعلم النجوم، و النظر فیما یقتضیه أحوال مولده و أحکام طالعه، فحکم له بقطع فیه و استشار منجمه فیما یزیله عنه، فأشار علیه أن یعمل له سردابا تحت الأرض و یتواری فیه إلی حین زوال الوقت و تقضیه، فعمل علی ذلک، و أحضر قواده و کتابه، و قال لهم: إن بینی و بین الله تعالی عهدا فی وعد وعدنیه، و قد قرب أوانه، و جعلت ولدی نزارا ولی العهد بعدی، و لقبته العزیز بالله، و استخلفته علیکم، و علی تدبیر أموورکم مده غیبتی، فالزموا الطاعه له و المناصحه و اسلکوا الطریق الواضحه، فقالوا له: الأمر أمرک و نحن عبیدک و خدمک، و وصی إلی العزیز بما أراد، و جعل جوهرا مدبره و المشار إلیه فی الأمر و تنفیذها بین یدیه، و نزل إلی السرداب الذی اتخذه، و أقام فیه سنه، فکانت المغاربه إذا رأوا غماما سائرا ترجلوا إلی الأرض و أوموا إلیه بالسلام بقدر ذاک، ثم خرج بعد ذلک و جلس للناس،

1- میخائیل البرجی. انظر تاریخ یحیی بن سعید: 147.
2- فی الأصل و لما، و لا وجه لها، و لعل ما أثبته هو الصواب.

فدخلوا إليه على طبقاتهم و خدموه بأدعيتهم و ما أقام على هذه الحال الا مديده و اعتل علته التى قضى فيها نحبه(1).

و قام العزيز بالله، و قد كان ألفتكين [بدمشق](2) و القرامطه يكاتبونه بأنهم قاصدون الشام إلى أن وافوا إلى دمشق فى سنه خمس و ستين و ثلاثمائه، و كان الذى وافى منهم اسحق و كسرى و جعفر، فنزلوا على ظاهر دمشق نحو الشماسيه، و وافى معهم كثير من العجم، و أكرمهم ألفتكين، و حمل إليهم الميره، و خرج نحوهم، و أقاموا على دمشق أياما و رحلوا متوجهين إلى الرمله، و كان أبو محمود ابراهيم بن جعفر لما عرف خبرهم تحصن بيافا، فلما نزلوا الرمله شرعوا فى القتال، و لما أمن ألفتكين من ناحيه مصر و الرمله عمل على أخذ ثغور الساحل، و سار فيمن اجتمع إليه، و نزل صيدا فكان بها ابن الشيخ واليا و معه رؤوس من المغاربه، و معهم ظالم بن موهوب العقيلى الذى تقدم ذكره فى دمشق، فقاتلوه و كانوا فى كثره و طمعوا فى ألفتكين، و امتدوا خلفه و نزل على نهر و طفت الرعيه من صيدا، و خرج منهم خلق كثير، و قال ألفتكين لساقه العسكر: اطلبوا طريق بانياس، و تبعوهم، فحملت عليهم الأتراک، و رمتهم المغاربه بالحرب فلقوهم بالصدور (14 ظ) و أقبلوا باللتوت(3) عليهم و داسوهم بالخيل عليها التجافيف(4)، فانهزموا

1- فكره الغيبه فى هذه الروايه مقبوله، بصرف النظر عما أحاط بها هنا من أخبار، و فكره الغيبه موجوده لدى معظم فرق الشيعه، فالكيسانيه اعتقدوا بغيبه محمد بن الحنفيه، و بعدهم رأى الاثنا عشريه و ما زالوا يرون أن الامام الثانى عشر تغيب فى غار فى سامراء و أنه مهدى الزمان و سيظهر عند ما يحين الوقت، و كذلک اعتقد الدروز بغيبه الحاكم بأمر الله، و الجديد المختلف فى غيبه المعز هنا ان غيبته كانت محدوده المده محدوده الهدف، و هى هنا مرتبطه بمكانه الامام الدينيه لدى الاسماعيليه و بما ورد فى القرآن الكريم عن غيبه النبى موسى عليه السلام، هذا و مفيد أن نشير هنا أن يحيى بن سعيد الأنطاكى: 146، ذكر أن وفاه المعز كتمت مده ثمانيه أشهر.
2- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق و يتضح المعنى، فالقرامطه كاتبوا ألفتكين« بأنهم قاصدون الشام»، و لم يقوموا لا هم و لا ألفتكين بالكتابه للعزيز الفاطمى.

3- فى الأصل« أقلبوا» و هو تصحيف صوابه ما أثبتناه، و اللتوت جمع لت و هو العمود أو ما ناظره بالفارسيه.
4- هو شى ء من سلاح يترک على الفرس بغيه دفع الأذى، و قد يلبسه الانسان أيضا. النهايه لابن الأثير.

و أخذهم السيف، و كان ظالم بن موهوب معهم، فانهزم إلى صور و أحصى القتلى فكانوا أربعه آلاف، و طمع فى أخذ عكا و توجه نحوها.

و قد كان العزيز بالله كاتب ألفتكين بمثل ما كاتبه به المعز لدين الله من الاستماله، و وعده بالاصطناع إذا(1) أخذت عليه البيعه، و ظهرت منه الطاعه، فأجابه فيه جوابا فيه بعض الغلظه، و قال: هذا بلد أخذته بالسيف و ما أدين فيه لأحد بطاعه و لا أقبل منه أمرا، و غاظ العزيز هذا الجواب منه، و أحفظه و استشار أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس(2) وزيره فيما يدبر أمر ألفتكين به، فأشار باخراج القائد جوهر إليه مع العساكر، فأمر بالشروع فى ذلک و ترتيب الأمر فيه.

و عرف ألفتكين ذلک و ما وقع العزم عليه، فجمع وجوه أهل دمشق و أشرافها و شيوخها، و قال لهم: قد علمتم أننى لم أتوسطكم و أتولى تدبيركم إلا عن رأيكم و مرادكم، و قد طلبنى من هذا السلطان ما لا طاقه لى به، و أنا منصرف عنكم و داخل إلى بلاد الروم، و عامل على طلب موضع أكون فيه، و أستمد ما أحتاج إليه منه، لئلا يلحقكم بقصد من يقصدكم ما يثقل به الوطأه عليكم، و تصل به المضره إليكم، و كان أهل دمشق يأبون المغاربه لمخالفتهم لهم فى الاعتقاد، و لأنهم أمويون، و لقبح سيره الناظرين الذين كانوا عليهم، فقالوا: إنّا اخترناک لرئاستنا،

1- فى الأصل« و أخذت» و هو غير مستقيم المعنى و لعل ما أثبتناه هو الصواب.
2- عراقى الأصل من يهودها، قدم الرمله و عمل بها ثم توجه إلى مصر حيث التحق بكافور الاخشيدى، فنفق عليه و أعلن اسلامه فاستوزره، توجه بعد وفاه كافور إلى إفريقيه فالتحق بالفاطميين و رافق جيوشهم التى استولت عليهم مصر، و فى مصر وضع أسس نظام الاداره الفاطمى بشكل يكاد يكون علميا، كما كتب فى الدعوه الاسماعيليه و أسهم فى إعاده تنظيمها، تسلم الوزاره الفاطميه أكثر من مره، و توفى فى أيام العزيز، و المثير فى أمره أن وثائق الجنيزا اليهوديه المصريه المعاصره له تشير إليه باسم الأخ يعقوب مما يدفع إلى القول بأنه تمسک باليهوديه و تظاهر بالاسلام. انظر كتاب« يهود فى الحياه الاقتصاديه و السياسيه للاسلام الوسيط» تأليف والتر فيشل(بالانكليزيه) ط. لندن 1968 ص: 45- 68. مجتمع البحر الأبيض المتوسط، تأليف س. د. جويتين(بالانكليزيه) ط.

كاليفورنيا 1967 ص: 33- 34. الاشاره إلى من نال من الوزاره لعلى بن منجب الصيرفى ط. القاهره 1924 ص: 19- 23.

و سیاستنا علی أن [لا] نمکنک من ترکنا و مفارقتنا أو نألوک جهدا من نفوسنا و مساعدتنا و نفوسنا دونک، و بین یدیک فی المدافعه عنک، و جددوا له التوثقه علی الطاعه و المناصحه.

و فصل جوهر فی العسکر الکثیف(1) من مصر بعد أن استصحب أمانا من العزیز بالله لألفتکین، و خاتما و دستا من ثیابه و کتابا إلیه بالعفو عنه، و عما فرط منه، فلما حصل بالرمله کاتب ألفتکین بالرفق و الملاطفه، و أن یبلغ له ما یرید و أعلمه ما قرره له مع العزیز بالله، و أخذه أمانه المؤکد و التشریف الفاخر، و أشار علیه فی أثناء ذلک بترک إثاره الفتنه و أن یطلب صلاح الحال من جهته و أقرب طرقه، فلما وصل الکتاب إلیه و وقف علیه، أجابه عنه بالجمیل من (15 و) الجواب، و المرضی من الخطاب، و الشکر علی ما بذله له من نفسه، و غالطه فی المقال و احتج علیه بأهل دمشق فیما یصرف رأیه و تدبیره علیه، و کان کاتب ألفتکین المعروف بابن الخمار، و هو یری غیر رأی المغاربه، و یزری عنده علی اعتقادهم، و یقرر فی نفسه وجوب قتالهم، و وقف جوهر علی کتابه فعلم أنه مصرّ علی الحرب، فسار إلیه حتی إذا قرب منه، و وصل إلی دمشق نزل فی العسکر بالشماسیه، و برز إلیه ألفتکین فی أصحابه و من حشده من العرب و غیرهم، و نشبت الحرب بین الفریقین، و اتصلت مده شهرین، و قتل فیها عدد کثیر من الطائفتین، و ظهر من شجاعه ألفتکین و الغلمان الذین معه ما عظموا به فی النفوس، و تحصلت لهم الهیبه القویه فی القلوب، و أشار علیه أهل دمشق بمکاتبه أبی محمد الحسن بن أحمد القرمطی(2)، و استدعائه للاجتماع به علی دفع المغاربه، ففعل و سار

1- ذکر المقریزی فی کتابه المقفی فی ترجمه جوهر الصقلبی:« و سار من القاهره فی عسکر لم یخرج إلی الشام قبله مثله، بلغت عدتهم عشرین ألفا». انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص: 242.
2- الحسن الأعصم زعیم قرامطه الأحساء انظره فی کتابی أخبار القرامطه: 68، 73، 363- 383، 393، 402- 405.

الحسن متوجها إليه فى عسكره، و عرف جوهر خبره، فعلم أنه متى حصل بين عدوين ربما تم عليه مكروه منهما، فرجع إلى طبريه، و وصل الحسن بن أحمد إلى ألفتكين، و اجتمعا و تحالفا، و تعاقدا و سار فى إثر جوهر، فاندفع منهما إلى الرمله، و أقام بها، و أنفذ رحله و أثقاله إلى عسقلان، و كتب إلى العزيز يعرفه بصوره الحال و يستأذنه فى قصد عسقلان إن دعته إلى ذلک الضروره، و وافى ألفتكين و الحسن بن أحمد القرمطى و نزلا على الرمله، و نازلا جوهرا و قاتلاه، و اجتمع إليهما من رجال الشام و عربهما تقدير خمسين ألف فارس و راجل، و نزلوا بنهر الطواحين(1) على ثلاثه فراسخ من البلد و لا ماء لأهله إلا منه، فقطعاه عنهم، و احتاج جوهر و عسكره إلى الماء المجتمع من المطر فى الصهاريج و غناء له قليل، و مادته إلى نفاد، و رأى جوهر أنه لا قدره له على المقام و مقاومه القوم، فرحل إلى عسقلان فى أول الليل، و وصل إليها فى آخره، و تبعه ألفتكين و القرمطى إليها، و نزلا عليها و حاصراه فيها، و ضاقت الميره به، و غلت الأسعار عنده، و كان الوقت شتاء لم يمكن حمل الأقوات إليه فى البحر، و اشتدت الحال حتى أكلت المغاربه و أهل البلد الدواب الميته، و ابتاعوا الخبز إذا و جدوه (15 ظ) حساب كل خمسه أرطال بالشامى بدينار معزى، و كان جوهر شجاعا مبارزا، و ربما خرج و تقدم و إذا وجد فرصه من ألفتكين دعاه إلى الطاعه و بذل له البذول المرغبه فيسترجعه ألفتكين و يسترجله و يهم أن يقبل منه و يجيبه، ثم يثنيه عنه الحسن بن أحمد و ابن الخمار الكاتب، و يمنعناه و يخوفانه و يحذرانه، و زاد الضيق و الشده على المغاربه، و تصور جوهر العطب إن لم يعمل الحيله فى الخلاص، فراسل ألفتكين سرا و سأله القرب منه و الاجتماع معه، ففعل ذلک ألفتكين و وقفا على فرسيهما فقال له جوهر:

قد علمت ما يجمعنى و إياک من حرمه الاسلام و حرمه الدين، و هذه فتنه قد طالت و أريقت فيها الدماء، و نحن المأخوذون بها عند الله تعالى،

1- نهر الرمله كانت عنده طواحين كثيره- معجم البلدان.

و قد دعوتک إلی الصلح و الموادعه و الدخول فی السلم و الطاعه، و بذلت لک کل اقتراح، و إراده و احسان و ولایه فأبیت إلا القبول ممن یشب نار الفتنه و ستر عنک وجه النصیحه، فراقب الله تعالی، و راجع نفسک و غلب رأیک علی هوی غیرک، فقال له ألفتکین: أنا و الله واثق بک و بصحه الرأی و المشوره منک، لکننی غیر متمکن مما تدعونی إلیه و لا یرضی القرمطی بدخوله فیه معی، فقال له: إذا کان الرأی و الأمر علی ذلک فإنی أصدقک علی أمری تعویلا علی الأمانه و ما أجده من الفتوه عندک فقد ضاق الأمر و امتنع الصبر و أرید أن تمن علیّ بنفسی و بهؤلاء المسلمین الذین معی و عندی، و تذم لی لأمضی و أعود إلی صاحبی شاکرا، و تکون قد جمعت بین حقن الدماء، و اصطناع المعروف، و عقدت علیّ و علی صاحبی منّه تحسن الأحدوثه عنک فیها، و ربما أملت المقابله لک عنها، فقال له ألفتکین: أفعل و أمن علی أن أعلق سیفی و رمح الحسن بن أحمد علی باب عسقلان و تخرج أنت و أصحابک من تحتهما، فرضی جوهر بذلک و تعاهدا و تصافحا علیه، و أخذ ختم ألفتکین رهنا علی الوفاء به و افترقا، و عاد ألفتکین إلی عسکره و جوهر إلی البلد، و أنفذ جوهر إلی ألفتکین ألطافا کثیره و مالا فقبل ذلک منه و کافأه علیه، و أنفذ ألفتکین إلی القرمطی یعرفه ما جری بینه و بین جوهر، (16 و) فرکب الحسن إلیه و قال له: لقد أخطأت فیما فعلته و بذلته، و جوهر هذا ذو رأی و حزم و دعاء و مکر و قد استقلک بما عقده معک، و سیرجع إلی صاحبه و یحمله علی قصدنا، ثم لا یکون لنا به طاقه فیأخذنا، و من الصواب أن ترجع عن ذلک حتی یهلک هو و أصحابه جوعا و تأخذهم بالسیف، فقال له ألفتکین: قد عاهدته و حلفت له و ما استجیز الغدر به، و علقا السیف و الرمح و خرج جوهر و أصحابه تحتهما، و وصل إلی مصر و دخل علی العزیز بالله و شرح له الحال و استفحال أمره و من معه، فقال له: ما الرأی؟ قال: إن کنت تریدهم فاخرج بنفسک إلیهم و إلا فإنهم و اردون علی أثری.

فأمر العزیز بإخراج الأموال و وضع العطاء فی الرجال، و برز بروزا کلیا و استصحب الخزائن و الذخائر و توابیت آبائه علی عاده القوم فی ذلک، و سار جوهر علی مقدمته، و وردت الأخبار علی ألفتکین و الحسن القرمطی بما جری، فعادا إلی الرمله، و جمعا العرب و أنفقا و احتشدا و تأهبا و استعدا، و ورد العزیز فی العساکر، و نزل فی الموضع المعروف بقصر ابن السرح بظاهر الرمله و ألفتکین و القرمطی علی قرب منه فی الموضع المعروف ببرکه الخیزران، و بات العسکران علی إعداد للحرب، و باکراها و قد اصطف کل منهما میمنه و قلبا و میسره، و جال ألفتکین بین الصفین یکر و یحمل و یطعن و یضرب، فقال العزیز لجوهر: أرنی ألفتکین: فأشار إلیه و قیل أنه کان فی ذلک الیوم علی فرس أدهم بتجافیف من مرایا، و علیه کذاغند أصفر، و هو یطعن تاره بالرمح و یضرب أخری بالسیف و الناس یتحامون و یتقونه، فأعجب العزیز ما رأی منه و من هیئته، و علی رأسه المظله و وقف و أنفذ إلیه رکابیا یختص بخدمته یقال له نمیره و قال له: قل: یا ألفتکین أنا العزیز و قد أزعجتنی عن سریر ملکی، و أخرجتنی لمباشره الحرب بنفسی و أنا مسامحک بجمیع ذلک، و صافح لک عنه، فاترک ما أنت علیه و لذ بالعفو (16 ظ) منی فلک عهد الله و میثاقه أنی أومنک و أصطفیک و أنوه باسمک، و أجعلک إسفهسلار(1) عسکری، و أهب لک الشام بأسره و أترکه فی یدک، فمضی نمیره الرکابی إلیه و أعاد الرساله علیه، فخرج بحیث یراه الناس، و ترجل و قبل الأرض مرارا، و مرغ خدیه علیها معفرا، و قال له:

قل لأمیر المؤمنین لو تقدم هذا القول منک لسارعت إلیه و أطعت أمرک، فأما الآن فلیس إلا ما تری، و عاد نمیره و قال ذلک للعزیز، فقال له:

ارجع إلیه و قل له یقرب منی، و یکون بحیث أراه و یرانی، فإن استحققت أن یضرب السیف فی وجهی فلیفعل، فمضی نمیره و قال له ذلک، فقال: ما کنت الذی أشاهد طلعه أمیر المؤمنین و أنابذه بالحرب،

1- فارسیه تعنی القائد العام.

و قد خرج الأمر عن يدى، ثم حمل على الميسره فكسرها و قتل كثيرا ممن كان فيها، و شاهد العزيز ما جرى، و كان فى القلب فراسل الميمنه بالحمله و حمل هو و المظله على رأسه، فانهزم ألفتكين و القرمطى و وضع السيف فى عسكريهما، فقتل منه نحو عشرين ألف رجل و مضى الحسن القرمطى هاربا على وجهه، و عاد العزيز إلى معسكره، و نزل فى مضاربه، و جلس الأسرى بحضرته، و العرب تجيئه بمن يقع فى أيديها من أصحاب ألفتكين، و الخلع تخرج إليهم مقابله عن ذلک، و قد بذل لمن يجيئه بألفتكين مائه ألف دينار، و كان ألفتكين يميل إلى المفرج بن غفل ابن الجراح و يتمرده لأنه كان وضى ء الوجه صبيحه، و شاع ذلک عنه فيه و اتفق أن انهزم، فطلب ساحل البحر و معه ثلاثه من غلمانه رفقائه و به جراح، و قد كده العطش فلقيته سريه من الخيل فيها المفرج فلما رآه التمس ماء فأعطاه إياه و قال له: احملنى إلى أهلک، ففعل حتى إذا وصل إلى قريه تعرف بلبنى(1) أنزله فيها و أحضره ماء و فاكهه، و وكل به جماعه من أصحابه، و بادر إلى العزيز فتوثق منه فى المال الذى بذله فى ألفتكين، ثم عرفه حصوله فى يده، و أخذ جوهرا و مضى فسلمه إليه، و ورد المبشرون إلى العزيز بحصوله، فتقدم بضرب نوبه من مضاربه و فرشها، و إعداد ما يحتاج إلى إعداده من الآلات (17 و) للاستعمال فيها، و إحضار كل من حصل فى الأسر منسوبا إليه فأحضر، و أومنوا و كسوا، و رتبوا فى أشغالهم المنسوبه إليهم فى خدمته، و وصل ألفتكين و قد خرج العسكر لاستقباله، و هو غير شاک فى أنه مقتول، فأمر العزيز أن يعدل به إلى النوبه المضروبه، و كانت قريبا من مضاربه و بين يديه مختار الصقلبى صاحب الصقر فى جماعه من الخدم و الصقالبه يمنعون الناس منه، و يحولون بينه و بينهم، فلما رأى القواد و الصقالبه و المغاربه باب سرادق العزيز ترجلوا عن دوابهم و قبلوا الأرض، ففعل ألفتكين

1- ذكرها ياقوت فى معجمه فقال: قريه بفلسطين فيها قبض على ألفتكين المعزى و حمل إلى العزيز.

مثل ذلک، و دخل المضارب المعده له فشاهد أصحابه و حاشیته علی ما کانوا علیه من الحال، و العمل فی خدمته، و حمل إلی دست قد نصب له لیجلس علیه، فرمی نفسه إلی الأرض و رمی ما علی رأسه و عفر خدیه علی التراب، و بکی بکاء شدیدا(1) سمع منه نشیجه، و قال: ما استحققت الإبقاء علیّ فضلا عن العفو الکریم و الاحسان الجسیم، و لکن مولانا أبی إلا ما تقتضیه أعراقه الشریفه و أخلاقه المنیفه، و امتنع عن الجلوس فی الدست و قعد بین یدیه، و أتاه بعد ساعه أمین الدوله الحسن بن عمار، و هو أجل کتابه و جوهر و معهما من الخدم علی أیدیهم الثیاب، فسلما علیه و أعلماه رضی العزیز عنه و تجاوزه عن الهفوه الواقعه منه، و ألبسه جوهر دستا من ملابس العزیز کان فی جمله الثیاب، و قال له: أمیر المؤمنین یقسم علیک بحقه إلا طرحت سوء الاستشعار، و عدت إلی حال السکون و الانبساط، فجدد الدعاء و تقبیل الأرض، و شکر جوهرا علی ما ظهر منه فی أمره، و عاد الحسن و جوهر إلی العزیز فأخبراه ما کان منه، و واصله العزیز بعد ذلک بالمراعاه و الملاطفه فی الفواکه و المطاعم، و تقدم من غد إلی البازیاریه و أصحاب الجوارح بالمصیر إلی باب مضربه، و راسله بالرکوب إلی الصید تأنیسا له، و قاد إلیه عده من دواب بمراکبها فرکب و هو یشاهد القتلی من أصحابه، و عاد من متصیده عشاء فاستقبله الفراشون بالشمع، و النفاطون بالمشاعل، و نزل فی (17 ط) مضاربه، فلما کان اللیل رکب العزیز إلیه و دخل علیه، فبادر إلی استقباله و تقبیل الأرض و تعفیر خدیه بالتراب، فأخذ العزیز بیده و أمره بالجلوس فامتنع ثلاث مرات، ثم جلس فسأله عن خبره و خاطبه بما سکن نفسه، و قال له: ما نقمت علیک إلا أننی

1- أورد یحیی بن سعید الأنطاکی فی تاریخه ص: 154- 155، و المقریزی فی ترجمته لجوهر، معلومات تتوافق مع معلومات ابن القلانسی و تختلف و هی جمیعا متکامله مفید العوده إلیها. انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص: 342- 343. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمه الفاطمیین الخلفا للمقریزی. ط القاهره 1967: 1/ 236- 246.

دعوتک إلی مشاهدتی تقدیرا أن تستحی منی فأبیت، و قد عفوت الآن عن ذلک، و عدت إلی أفضل ما تحب أن تطیب نفسک به، و ساصطنع لک اصطناعا یسیر ذکره، و أفعل معک فعلا أزید علی أملک و أمنیتک فیه، فبکی ألفتکین بین یدیه، و قال: قد تفضلت یا أمیر المؤمنین علیّ تفضلا ما استحققته و لا قدرته، و أرجو أن یوفقنی الله بخدمتک و مقابله نعمتک، و أنس ألفتکین بعد ذلک و خاطب فیمن بقی من أصحابه حتی أوجب لهم الأرزاق الواسعه و التقریرات المتتابعه، و نزلوا علی مقادیرهم، و رتبهم فی مواضعه، و استحجبه العزیز، و جعله من أخص خاصته و أقرب صاحب من خدمه حضرته.

و کان العزیز قد أنفذ النجب بالرسل و الکتب تابعه للحسن بن أحمد القرمطی، فلحقوه بطبریه، و أعادوا علیه الرسائل بالصفح عما جری منه و الدعاء إلی وطء البساط لیصطنعه، و التماس ما یریده لیبلغه له، و یرجع إلی بلاده فأقام علی أمره، و ترددت المراسلات إلیه و منه، و الوسیط جوهر إلی أن تقرر الأمر علی ثلاثین ألف دینار له و لأصحابه، تحمل إلیه فی کل سنه، و یکونوا علی الطاعه و الموادعه، و حمل إلیه مال سنه و أضیف إلیه ثیاب کثیره و خیل بمراکب، و توجه إلیه جوهر و قاضی الرمله، فاستحلفاه للعزیز علی الوفاء و المصالحه، و أخذا له المواثیق المشدوده المؤکده، و أعطیاه المال و الخلع و الحملان و انصرف إلی الاحساء(1)، و عاد العزیز إلی مصر و ألفتکین حاجبه، و لم یزل المال المقرر للقرمطی یحمل إلیه فی کل سنه علی ید أبی المنجا صاحبه إلی أن مات.

و وصل العزیز إلی مصر و القاهره، فدخلها و نزل فی قصره و أنزل ألفتکین فی دار حسنه بعد أن فرشت بالفروش الکثیر، و رکب وجوه

1- ذکر المقریزی فی اتعاظ الحنفا 1/ 249« أن العزیز لما سار من الرمله بألبتکین إلی مصر جعل بلد فلسطین لمفرج بن دغفل بن الجراح» أمیر قبائل طی ء، و لا شک أنه استهدف من وراء ذلک أن تقوم طی ء حلیفه القرامطه فیما مضی بالدفاع عن فلسطین و بالتالی حمایه حدود مصر من القرامطه، لکن هذه القبائل نشطت ضد الفاطمیین لتحقیق مطامح خاصه بها.

سائر الدوله إليه حتى لم يتأخر أحد منهم عنه، و وافاه فيمن وافاه أبو الفرج (18 و) يعقوب بن يوسف بن كلس الوزير، بعد أن لاطفه و هاداه، و زاد أمر ألفتكين بين يدي العزيز، و تكبر على ابن كلس الوزير، و امتنع من قصده، و الركوب إليه و أمره العزيز فلم يفعل، و تدرجت الوحشه بينهما حتى قويت و استحكمت و أعمل الحيله الوزير فى الراحه منه، و دس إليه سما فقتله به، و لما مضى لسبيله حزن العزيز حزنا شديدا عليه، و اتهم ابن كلس و اعتقله نيفا و أربعين يوما صح له خمسمائه ألف دينار، و وقفت الأمور باعتزاله النظر فيها، فأعاده العزيز و جدد اصطناعه و استخدامه.

ولايه قسام التراب لدمشق بعد الحاجب ألفتكين المقدم ذكره و السبب فى غلبته على الأمر فى سنه ثمان و ستين و ثلاثمائه و ما آل أمره إليه:

السبب فى غلبه قسام على ولايه دمشق أن ألفتكين المعزى المذكور كان قد استخدمه و قدمه و اعتمد عليه و سكن فى كثير من أمره إليه، فصار له بذلک صيت يخشى به و يرجى له، و اتفق خلو البلد من أكابر الولاه بعد ألفتكين و فراغه من شجعان الرجال، و كان فيه المعروف بحميدان قد وليه(1)، و أمر فيه و نهى و أخذ أعطى، ففسد الأمر بين قسام و بين حميدان، فصار حميدان من تحت حكم قسام لقهره له بكثره من معه من الأحداث و استيلائه على البلد، فطرده قسام عن الولايه و نهب أصحابه ما كان فى داره، و خرج هاربا، فتمكن قسام من البلد، و استقامت حاله فيه و اجتمعت إليه الرجال، و كثر ما فى يده، و قويت شوكته و تضاعفت عدته و عدته، و ولى القائد أبو محمود البلد بعد حميدان فى نفر يسير و هو ضميمه لقسام و اتفقت النوبه الحادثه ببغداد بين

1- ذكر المقريزى فى اتعاظ الحنفا: 1/ 249 أن العزيز الفاطمى أنفذ قبل عودته من الرمله إلى مصر« واليا من العرب يقال له حميدان بن جواس العقيلى فى نحو مائتى رجل».

الديلم و العرب من بنى حمدان، و هروب أبى تغلب الغضنفر بن حمدان فى البريه و الجبال إلى أن خرج إلى حوران، فقصد دمشق و نزل عليها فمنع قسام من دخول أحد من رجاله إليها، و وصل كتاب العزيز بالمنع له من البلد، فسأل أبو تغلب عامل الخراج بدمشق أن يمكن أصحابه من ابتياع ما يحتاجون إليه من الأسواق، فكلم العامل قساما فى ذلک فأذن له فيه، و دخل أصحابه (18 ظ) البلد و قد كان طمع أن يوليه العزيز، و كان قسام قد خاف من ذلک و سعى قوم بينهما، و كان أبو تغلب نازلا بالمزه(1)، فأقام بها شهورا فشق على قسام مقامه و ظن أنه يلى البلد، فلما كان فى بعض الأيام وقف رجل من العجم من أصحاب أبى تغلب فى باب الجابيه، و كان نشوانا، فجرد سيفه و قال: إلى كم يكون هذا العيار، فعظم ذلک على قسام و تخوف أن يكون لأبى تغلب سلطنه فيملكه و من معه، ففسد الأمر بينهما بهذا السبب، و تقدم قسام إلى أصحابه بأخذ كل من يدخل من أصحاب أبى تغلب، فكمنوا فى خراب قينيه فأخذوا منهم نحو سبعين رجلا و قتلوا منهم جماعه، و عاد من أفلت منهم إلى أبى تغلب عراه قد أخذت ثيابهم و دوابهم، فلم يتمكن أبو تغلب من شى ء يفعله، و كتب إلى مصر بذلک، فلما وقف ابن كلس الوزير على الكتاب أنهاه إلى العزيز، فعلم العزيز أن هذا من تدبير الوزير و حيله، و كتب قسام إلى مصر يذكر أن أبا تغلب قد حصر دمشق و مد يده فى الغوطه، و خرج من مصر غلام لابن كلس يقال له الفضل ابن أبى الفضل فى عسكر كثيف للحيله على أبى تغلب و إهلاكه، و نزل الرمله و أوصل إلى ابن جراح سجلا بولايه الرمله و قال: إن هذا أبا تغلب يريد أن يسير إليها ليأخذها بسيفه، و أنا معين لک عليه، و كان أبو تغلب قد رحل عن دمشق نحو الفوار(2) و نزل عليه، و سار الفضل،

1- أنظر تجارب الأمم لمسكويه: 2/ 383- 392.
2- نبع قائم على طريق دمشق خان أرنبه، يبعد عن خان أرنبه/ 15/ كم و/ 4/ كم عن معسكر الطلائع.

و نزل طبریه و راسل أبا تغلب فی الاجتماع معه، و کان الفضل یهودیا أولا، و کان أبوه طبیبا، فکبرت نفس أبی تغلب أن یجلس معه علی سریر من جهه الیهودیه فأعلم ذلک، فقال: کل منا علی سریر، فاجتمعا فی طبریه و جلس کل منهما علی سریر، و جرت بینهما محاورات علی أن الرمله ولایه لأبی تغلب و یقلع ابن الجراح منها «و أنا معین لک علیه» و قرر ذلک فی نفسه، و سار الفضل إلی دمشق یجبی الخراج و یفضه فی الجند، و زاد فی العطاء، و زاد فی جنده و عسکره، و سار عن دمشق و أخذ طریق الساحل، و شرع أبو تغلب فی أمره، و توجه نحو الرمله و قد اجتمع إلیه بنو عقیل مع شبل بن معروف العقیلی، فهرب ابن جراح (19 و) منها، و جعل یحشد العرب و یحشد ثقه بمعونه الفضل له، و کذلک أبو تغلب مثله أیضا، فلما توجه الفضل علی الساحل و نزل علی عسقلان، و قصد ابن جراح أبا تغلب بعسکره، و سارت بنو عقیل و شبل بن معروف و اصطفوا لقتال الطائیین(1) و أبو تغلب واقف فی مصافه، و عاد الفضل و اجتمع مع ابن الجراح بعسکره، و کان معه مغاربه کثیره، فقالوا لأبی تغلب: قد اجتمع عسکر الفضل مع عسکر ابن جراح؟ فقال: علی هذا جرت الموافقه بینی و بینه، فلما نظر المغاربه الذین کانوا مع أبی تغلب إلی مغاربه الفضل قد أقبلوا مع عسکر ابن جراح حملوا یریدون الدخول معهم، فقالوا لأبی تغلب: إحمل فی إثر هؤلاء من قبل أن یدهمک الأمر، فبقی متحیرا و علم أن الحیله قد تمت علیه، فلما حمل المغاربه الذین کانوا معه ساروا مع أصحابهم، و أقبل العسکران علی عسکر أبی تغلب فانهزم جمیع من کان معه، ثم انهزم هو، فلم یدر فی أی طریق یأخذ، و کانت عدته فی الغابه جمیعها، و ذکر أنه لم یتقدم إلیه رجل إلا ضربه، و لم یزل علی ذلک حتی تبعه رجل من أصحاب ابن جراح یقال له منیع فصاح إلیه: یا انسان اسمع منی أنا

1- فی الأصل و اصطلوا القتال للطائیین، و هی عباره فیها تصحیف و غموض دفع ناشر الکتاب إلی قراءه عباره الطائیین« للطاس» و لعل ما أثبتناه هو الصواب.

أنجو بک، و ظن أن کلامه حق، فقال له: هذه الخیل التی أمامک خیلنا فلو وقفت علیّ لنجوت بک، و کان یتکلم معه و هو یقرب منه و بیده رمح، فطول الرمح و هو یکلمه و هو یظن ألا یقدر علیه فلم یمکنه فی أبی تغلب شی ء، فطعن عرقوب فرسه، فوقف به الفرس فأخذه و سار به إلی ابن جراح، فأرکب جملا و أشهر بالرمله و قتله و أحرقه، و ذلک فی صفر سنه تسع و ستین و ثلاثمائه و خلت الدیار لابن جراح، و أتت بنو طی ء علی الناس(1)، و شملهم البلاء منهم.

و کان العزیز قد خاف من الملک عضد الدوله فناخسره بن بویه خوفا شدیدا لأنه کان عازما علی انفاذ العساکر إلی مصر، فعاقه عن ذلک الخلف الجاری بینه و بین أخیه و اشتغاله به سنه تسع و ستین و ثلاثمائه(2).

سنه تسع و ستین و ثلاثمائه

فیها خرج العسکر المصری مع القائد سلمان بن جعفر بن فلاح فی أربعه آلاف من المغاربه، و وصل إلی دمشق فصادف قساما قد غلب علیها فنزل فی بستان الوزیر (19 ظ) بزقاق الرمان(3)، و عسکر حوله فی دور هناک، فثقل أمره علی قسام، و طال مقامه فی غیر شی ء، و قلت نفقته و رام أن یظهر صرامه فیتمکن من البلد، فقال لقسام: لا یحملن أحد سلاحا، فأبوا ذلک فبعث إلی الغوطه من یتولاها و یمنع من خفاره تؤخذ منها و حمل السلاح فیها، فأعلم قسام ذلک، فقال: لا یحفل بهذا الأمر بل کونوا علی ما کنتم علیه، و ثار قسام و من معه إلی الجامع، و صاروا إلی البستان الذی فیه سلمان فأخرجوهم، و خرج سلمان و أصحابه إلی الدکه، و نزل علی نهر یزید، و قسام جالس فی الجامع و لم

1- عند یحیی بن سعید الأنطاکی المزید من المعلومات ص: 159- 160. أنظر أیضا تجارب الأمم: 2/ 401- 404.
2- أنظر ذیل أبی شجاع علی تجارب الأمم: 1/ 9.
3- قرب العقیبه. الأعلاق الخطیره- قسم دمشق: 141.

يشهد الحرب مع أصحابه، و قد أحضر المشايخ، و كتب بما جرى إلى مصر، و عمل محضرا على نفسه أنه «متى جاء للملک عضد الدوله عسکر أغلق الأبواب و قاتله ليکون لک معونه على ما يريده»، فلما وقف عليه العزيز وافق غرضه، و أنفذ رسله و کتابه إلى سلمان بن فلاح يأمره بالرحيل عن دمشق، فرحل عنها و کان مقامه بها شهورا من سنه تسع و ستين و ثلاثمائه و رجع القائد أبو محمود إلى دمشق، و لما تم للفضل ما دبره على أبى تغلب و وافق الاغراض عزموا على إعمال الحيله على ابن جراح لأن أمره کبر و شره ظهر(1)، و توجه إلى قسام ليعمل أيضا عليه، و أظهر أنه يريد المسير إلى حمص و حلب ليأخذهما، و جمع بنى عقيل و نزل بظاهر دمشق، و علم ابن الجراح بمکاتبته لبنى عقيل فأخذ حذره و أمر أصحابه بالرحيل، و رکب أصحاب الفضل و أخذوا من العرب تقدير خمسمائه فارس، و سار ابن جراح عن دمشق، و انضمت بنو عقيل إلى الفضل مع شبل و ظالم فى صفر سنه سبعين و ثلاثمائه و بطل کل ما أراد الفضل عمله من الحيله على ابن جراح و قسام، و رحل عن دمشق فى طلب ابن جراح، وجد فى طلبه فبعد عنه، و کتب ابن جراح إلى مصر يتلطف أمره فورد الأمر على الفضل بالکف عنه، و عاد الفضل إلى مصر و عاد ابن جراح إلى فلسطين فأخربها و أهلک من فيها، و کان الرجل يدخل إلى الرمله يطلب فيها شيئا يأکله فلا يجده، و مات الناس بالجوع، و خربت الأعمال.

و أما دمشق فکان قد اشتد بها غلاء السعر، و کان بکجور قد ولى حمص من قبل سعد (20 و) الدوله أبى المعالى بن سيف الدوله بن حمدان فواصل إليها الغله مع العرب بحيث اتصلت مع الأيام، و عمرت

1- شکل نشاط أمراء طى ء من آل الجراح فى فلسطين خطرا کبيرا على الخلافه الفاطميه، و قد نلحظ مشاعر الاداره الفاطميه تجاه هذا الخطر فى وصيه يعقوب بن کلس للخليفه العزيز عند ما زاره و هو على فراش الموت حيث قال له فيما قال:« سالم الروم ما سالموک، و اقنع من الحمدانيه بالدعوه و السکه، و لا تبقى على مفرج بن دغفل متى اعترضت لک فيه فرصه» انظر الاشاره إلى من نال الوزاره: 23.

الطرقات، و جعل فيها من يخفر سالكيها، و كانت العرب قد طمعت فى عمل دمشق و أفسدت الغوطه، و كان بها القائد أبو محمود واليها فى ضعف، و هو ضميمه لقسام فهلک فى دمشق فى سنه سبعين و ثلاثمائه، و كان بكجور قد ضمن أعمال المغاربه: قارا، و يبرود و، معلولا، و التينه، و صيدنايا، و المعره و تلفيتا(1) و غيرها من ضياع جبل سنير(2) فحماها من العرب و الحراميه، و حسنت حال دمشق بذلک، و كاتب بكجور العزيز فى ترغيبه فى الأجناد حمله السلاح، فاجتمع إليه حين فعل ذاک الخلق الكثير من سائر البلاد، و كانوا حوله إذا ركب من داره، فقهر بهم المغاربه، و استظهر عليهم فى سنه سبعين و ثلاثمائه(3).

و فيها وردت الأخبار بوفاه الملک عضد الدوله فناخسره بن بويه فى يوم الاثنين ثامن شوال، و كتم أمره، و كانت مدته بالعراق خمس سنين و نصفا، و انتهى ذلک إلى الوزير ابن كلس، فدخل على العزيز فأعلمه فسر بذلک. و خلع عليه، و أمنوا بعد وفاته و عملوا على الخروج إلى الشام(4).

1- ما تزال جميعا معروفه بهذه الأسماء فى محافظه ريف دمشق فى سوريه.
2- هو جبل القلمون الحالى. غوطه دمشق 14.
3- قامت دوله الفاطميين على عواتق قبيله كتامه البربريه، ولدى سيطره الخلافه الفاطميه على الشمال الافريقى ازداد حجم جيشها بدخول بربر من غير كتامه فيه، كما اشترى الخلفاء أو ورثوا عن الأغالبه] عددا صغيرا من الأرقاء الصقالبه و استخدموهم فى الجيش و وصل بعض هؤلاء إلى مراتب قياديه مثل جوهر، و عند ما تم الاستيلاء على مصر و بعد انتقال الخليفه المعز إليها ظل عماد الجيش الفاطمى البربر، و برهن هذا الجيش عن عجزه فى حروب الشام و الصراع مع القرامطه، مما دفع الخليفه العزيز إلى التفكير بتجنيد بعض الأتراک و سواهم، و لهذا رأينا مدى حرصه على ألفتكين، و من هنا نفهم كيف حدث اغتيال ألفتكين بسرعه مدهشه، و يلاحظ نجاح العزيز فى تأسيس كتائب من الترک و الديلم، و قيامه بتجنيد اعداد كبيره من زنوج أفريقيه، و منح هذا التنويع بعض الفوائد للخلافه الفاطميه إنما سبب لها العديد من الأزمات الخطيره أيضا.
4- كان عضد الدوله أعظم رجالات الدوله البويهيه، و لقد أخذ ملک بنى بويه بعد وفاته فى الانحدار وقوتهم بالضعف، و المفيد الاشاره إليه هنا أن وفاه عضد الدوله كانت سنه 372 ه/ 983 م و ليس سنه 370 كما ورد هنا. انظر

مسكويه: 2/ 417. ذيل تجارب الأمم: 3/ 53- 75. المنتظم لابن الجوزى: 7/ 38- 118. تاريخ ابن خلدون. ط بيروت: 4/ 947- 975.

سنه احدى و سبعين و ثلاثمائه

فيها وقع الاهتمام بتجهيز العساكر المصريه إلى ابن جراح، و قد اشتهر أمره بارتكاب العيث و الفساد و إخراب البلاد، فلما سارت العساكر من مصر مع القائد بلتكين التركى(1) و كان فيها أعجام و مغاربه و من كل الطوائف، فنزل الرمله، و أجفل ابن جراح، و كان قد قوى أمره و صار معه جند يرمون بالنشاب، و خلق عظيم، و سار معه بشاره(2) والى طبريه و اجتمع إليه من العرب من قيس و غيرها جمع كثير و نشبت الحرب بين الفريقين، و كان بلتكين المقدم قد خرج على ابن جراح من ورائه بعد اشتداد الحرب، فانهزموا و أخذهم بالسيف و أسر ابن جراح و أفلت و نهب عسكره، و قصد أرض حمص فى البريه، و قصد أنطاكيه و استجار بصاحبها فأجاره و أمنه، و صادف خروج باربديس من قسطنطينه فى عسكر عظيم يريد أرض الإسلام فخاف ابن جراح، و كاتب بكجور خوفا على نفسه(3)، و كان القائد بلتكين (20 ظ) المقدم قد نزل على دمشق فى ذى الحجه سنه [اثنتين](4) و سبعين و ثلاثمائه، و كان على العسكر منشا بن الغرار اليهودى، فتلطف أمر قسام فلم يتمكن من ذلك و كان بدمشق مع قسام القائد جيش بن الصمصامه شبه وال، و قد كان ولى البلد بعد مهلك خاله القائد أبى محمود فى سنه سبعين، و لما نزل القائد بلتكين مقدم العسكر المصرى على المزه وجده رجلا أحمق، فلم يحفل به و دخل على منشا الكاتب، فقال: إنى قضيت

1- هو من رجالات ألفتكين، و ورد اسمه فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى: 163« تلتكين» و لعل صورته هنا ولدى يحيى بن سعيد تصحيف« ألبتكين» و مفيد أن نشير هنا أن المقريزى يؤرخ لقدومه سنه 472. انظر اتعاظ الحنفا: 1/ 256.

2- بشاره الخادم من الغلمان الحمدانيه فر من حلب إلى مصر مع عدد من الغلمان فانتدب لولايه طبريه. انظر اتعاظ الحنفا: 1/ 255. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 306- 308.

3- ذكر يحيى بن سعيد: 163- 164، أن ابن دغفل التجأ إلى أنطاكيه و كتب إلى الامبراطور باسيل الثانى ملتمسا منه النجده، و بين الأنطاكى أن الامبراطور بعث الدمستق بردس الفوقاس.

4- فى الأصل:« سبعين و ثلاثمائه» و هو خطأ صوابه ما أثبتناه و تداركناه بين حاصرتين. انظر اتعاظ الحنفا: 1/ 256، و لا حظ سياق الخبر.

حق هذا القائد و لم يجى ء إلىّ و لم يقض حقى، و أنا الوالى، فهزأ به منشا و قال له: نعم أنت الوالى، و ظن إنما نزول العسكر على دمشق ليصلح البلد، و قالوا: تخرج أنت و من معک إلى ظاهر البلد، فخرج هو و من معه فعسكر نحو مسجد ابراهيم عليه السلام، و كان عسكر بشاره نازلا فى ذلک المكان، و كانت المراسله بينهم و بين قسام أن يسلم البلد و يكون هو آمنا على نفسه و من معه، فعلم قسام أنهم إن بقوا فى البلد أهلكوه و من معه، فقال: لا أسلم البلد، و ضبط أصحابه.

فلما كان يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنه ثلاث و سبعين و ثلاثمائه وقع بين قوم من أصحاب قسام و قوم من أصحاب القائد بشاره الخادم عند باب الحديد فظهر عليهم أصحاب بشاره، و أقبل فى غد أصحاب جيش بن الصمصامه، فخرج أصحابه إليهم فطردوهم، ثم نشبت الحرب و أحرق ربض باب شرقى، و أطلقت النار فى عده مواضع و ملكوا الشاغور، و دخلت الأتراک على خيلهم فى البطاطين و أحرقوا سقيفه و عده مواضع و مساجد و عمها الخراب بعد ما كانت عليه من حسن العماره، و اشتد بالناس الخوف و المضره، فاجتمع الناس و كلموا قساما بأن يخرجوا إلى القائد بلتكين فيصلحوا الأمر معه، فلان لهم و ذل بعد تحيره و تبلده، و قال: افعلوا ما شئتم، و كان اجتماع الناس لطفا من الله تعالى، فخرجوا إليه و خاطبوه، فصرف أصحابه عن القتال و عن الأبواب، و انصرف أصحاب قسام إليه فوجدوه خائفا، فأخذ كل لنفسه، و رجع المشايخ إلى قسام فقالوا له: قد أجاب القائد إلى ما تحب و أمنک على نفسک و أصحابک، فخاطبوه بذلک و هو ساكت حائر و قد بان ذلک فى وجهه، فلما رأوا كذلک خافوا أن يعود عن تسليم البلد، [و اجتمع الناس، فصاح من كان قد احترقت داره و هم كثير بقسام: انتقم الله ممن أذلنا و أحرق دورنا و شتتنا و تركنا مطرحين على الطريق، فوجب قلبه من سماع صياحهم و قال: أسلم البلد](1) على أمان لى و لأصحابى (12 و) فعاد

1- وقع سقط بالأصل لم يتنبه له الناسخ، و تم تدارک ما بين الحاصرتين من اتعاظ الحنفا: 1/ 257.

المشایخ إلی بلتکین القائد و أعلموه الخطاب و الجواب فأجابهم إلی ما طلب، و قال لهم: نرید أن ننزل علی هذا البلد فی هذا الیوم، فقالوا: افعل ما تحب و توثر فولی البلد حاجبا یقال له خطلج فی خیل و رجل فدخل المدینه من یومه، و کان مبدأ الحرب فی هذه النوبه یوم الخمیس لعشر بقین من المحرم سنه ثلاث و سبعین و ثلاثمائه و الدخول إلی البلد یوم الخمیس لثلاث بقین منه، و لم یعرض لقسام و لا لأحد من أصحابه، و تفرق أصحابه عنه، و أقام یومین و استتر، و قیل هرب فصاروا إلی داره و أخذوا ما فیها و حولها من دور أصحابه، و طلب، فلم یوجد، و نودی علیه و بذل لمن یظهره خمسون ألف درهم، و لمن یدل علی مکان [أولاده](1) عشرون ألفا، فقال لهم قائل: «هو فی کنیسه الیهود بین البطاین» فجاؤوا إلی الدیان و قالوا: نرید أن نخرب هذه الکنیسه أو نحرقها بالنار فإن قساما فیها، فأصعدهم، و دار بهم فیها فلم یروا أثرا و لا عرفوا له خبرا، فلما أخذت امرأته و ولده، قالت لمن سمع منها: ما تنتظر یا مشوم، و کان عندها رجل فی الحائر(2) و لم یفطن به أحد، فخرج فی اللیل إلی العسکر، فوقف علی خیمه منشا الکاتب، و قال: رجل یرید أن یدخل إلی الرئیس، فقالوا: و من هو؟ قال: قسام، فدخل علیه علی غیر أمان، فبعث إلی القائد بلتکین فأعلمه فأخذه إلیه و أدخله علیه، و حملوه إلی خیمه، و قالوا له: مد رجلک، فقال: ما أفعل أنا جئتکم بأمان، فأخرج الحاجب الدبوس فضربه به، فمد رجله فقید و حمل إلی مصر، فعفی عنه لما جاءهم فی الامان، و کان قسام هذا أصله من قریه بجبل سنیر یقال لها تلفیتا(3) من قوم یقال لهم الحارثیون بطن من العرب نشأ بدمشق، و کان یعمل فی التراب، ثم إنه صحب رجلا یقال له ابن الجسطار من مقدمی الأحداث و حمله السلاح و طالبی الشر، فصار من حزبه و تزاید أمره إلی ما انتهی إلیه.

1- فی الأصل مکانه و التقویم من اتعاظ الحنفاء: 1/ 258 و حسب سیاق بقیه الخبر.
2- أی البستان أو ما یشبه ذلک من الأمکنه المضروب حولها جدار أو سور.
3- ما زال قبره معروفا بها باسم سیدی قسیم.

ولایه بکجور لدمشق و السبب فی ذلک فی سنه ثلاث و سبعین و ثلاثمائه(1)

کان من ابتداء أمر بکجور ما ذکر أنه کان غلاما مملوکا لقرعویه أحد غلمان سیف الدوله (21 ظ) ابن حمدان صاحب حلب، و کان قرعویه قد غلب علی أمر حلب بعد وفاه سیف الدوله، و منع ولده سعد الدوله أبا المعالی منها، و دفعه عنها، فسار أبو المعالی إلی حماه و رفنیه(2) و کان ینزل مهما(3) فی عسکره، و کانت الروم قد خربت حمصا و أعمالها و نزل رقتاش الترکی غلام سیف الدوله من حصن برزویه(4) فلقی مولاه أبا المعالی، و سار معه، و نزل علی حمص و شرع فی عمارتها و لم شعثها لأن الروم لما ملکتها أفسدت أعمالها فی النوبه الأولی عند خروجهم فی سنه ثمان و خمسین و ثلاثمائه علی غفله من أهلها و غره ممن بها و اجتهد رقتاش فی عمارتها و تحصینها و أبو المعالی یقوی أمره بها و یشد شوکته فیها، و کان قرعویه قد استناب بکجور فی حلب، فلما قوی أمره قبض علی مولاه و حبسه فی قلعه حلب و ملک البلد و أقام تقدیر ست سنین(5)، و کوتب أبو المعالی من حلب و أطمع فی تملک البلد فی رجال قرعویه، و أن یکونوا عونا له علی أمره، فجمع بنی کلاب و من أمکنه و نهض صوب حلب و نزل علی معره النعمان فملکها و أخذ منها غلاما کان غلب علیها

1- فی الأصل« اثنتین و سبعین» و هو خطأ یخالف ما سلف و یعارض روایات بقیه المصادر لهذا اقتضی التقویم، انظر زبده الحلب من تاریخ حلب لابن العدیم ط دمشق 1951: 1/ 177- 178. اتعاظ الحنفا: 1/ 258- 259. تهذیب تاریخ دمشق لابن عساکر ط. بیروت: 3/ 287- 288.
2- کانت عباره عن بلیده صغیره ذات قلعه صغیره غربی حماه، علی مرحله منها، اندثرت و قام مقامها بارین أو بعرین- تقویم البلدان لأبی الفداء. ط. باریس 1840: 258- 259.
3- کذا فی الأصل و لعلها تصحیف« بهما».
4- قلعه صغیره مستطیله لها منعه فی ذیل الجبل، و هی عن أفامیه فی جهه الشمال و الغرب علی نحو مرحله- تقویم البلدان: 260- 261.
5- تفاصیل هذا کله عند ابن العدیم فی زبده الحلب: 1/ 157- 170.

يقال له زهير(1) فقتله، و سار عنها فنزل حلب سنه ست و ستين و ثلاثمائه فأقام عليها تقدير أربعه أشهر، ثم تسهل له فتحها بحيله عملها، و تحصن بكجور فی القلعه فراسله أبو المعالی فطلب منه الأمان فأمنه، فقال بكجور: أريد يتوسط بينی و بينک وجوه البلد من بنی كلاب، فأجابه إلی ذلک فتوسطوا الأمر بينهما، و أخذوا له العهد و الميثاق و الأمان علی نفسه و ولده و ماله و أنه لا يغدر به و يوليه حمصا علی أنه ينحدر من القلعه و يسلمها، و لا يأخذ منها شيئا إلا ما لا بد منه، فأجابه إلی ذلک، فولاه حمصا لما نزل من القلعه و سلمها، و وفی له بكل ما عاهده عليه، و سار بكجور إلی حمص فی السنه المذكوره، و صرف همه إلی عمارتها و كان أمره كل يوم فيها إلی الزياده بعد الدخول إليها فی الضعف، و اتفق له أن أعمال دمشق من حوران و البثنيه قد اختلت و خربت علی ما تقدم ذكره من قله القوت بها و غلاء السعر فيها، و جلا منها خلق كثير إلی حمص فعمر البلد و كثر الناس عنده.

و كان فی بكجور جور، و كان مجتهدا فی العماره (22 و) و أمن السبل و الطرق، فلما انقطعت الغلات عن دمشق، و مات بها كثير من الناس جوعا من أهل حوران و البثنيه و رغب الناس الجالبون منها فی حمل الغله إلی دمشق، مكنهم من ذلک، و حمی لهم الطرق فی ترددهم بادين و عائدين، فحسن حال حمص، و كثر السفر إليها و منها، و كانت العرب قد طمعت فی أعمال دمشق، و كان و اليها القائد أبو محمود بن جعفر فی ضعف و قسام غالب عليه، و اتفق وفاه أبی محمود إبراهيم بن جعفر المذكور بدمشق فی صفر سنه سبعين و ثلاثمائه، و كان بكجور قد ضمن أعمال المغاربه علی ما تقدم ذكره و حماها من العرب، و حسنت حال دمشق بحمل الغلات إليها فی تلک الشده، و كان بكجور يكاتب العزيز بالله بمصر و ورد الجواب عليه بأن «تصير إلی بابنا لنوليک دمشق»،

1- هو زهير الحمدانی فی زبده الحلب: 1/ 170- 171.

و كان العزيز قد رغب فى الجند الذين يعملون السلاح مثل الناشب و الرامح، و جمع الجمع الكثير و أخرجهم إلى حرب ألفتكين و جرى من أمره ما ذكر فى موضعه.

فلما كان فى سنه اثنتين و سبعين و ثلاثمائه وقعت الوحشه بين سعد الدوله أبى المعالى ابن سيف الدوله بن حمدان صاحب حلب، و بين بكجور، و راسله بأن يخرج من بلده(1) فكتب بكجور إلى العزيز يسأله إنجاز الوعد بولايه دمشق، و دعت الحاجه إلى عود القائد بلتكين مقدم العسكر المصرى بحكم اعتزام المغاربه على الوثوب بالوزير ابن كلس و قتله، و قادت الضروره العزيز إلى أن ولى بكجور دمشق، و كتب إلى بلتكين و منشا كاتب الجيش بأن يسلم البلد إلى بكجور و يرحل عنه، و قد، كان كتب أيضا كتابا إلى العزيز «أن أنفذ إلى عسكرا لآخذ حلب»، و أطمعه فى ذلک، فأنفذ إليه بعض عسكر دمشق فسار بهم و نزل على حلب و حصرها مده يسيره، فظهر دمستق الروم باردیس و نزل على أنطاكيه و عزم على كبس بكجور، على حلب، فكتب إليه ابن جراح يحذره فرحل عن حلب، و تبعه عسكر الروم فى إثره و تم بكجور و نزل على حمص و حمل ما كان له إلى بعلبک، و نزل فى جوسيه(2) فى جمع عظيم، و نزل الروم(3) ميماس حمص، و لم يعرض للبلد و دخل المدينه و شاهد (22 ظ) الكنيسه و رحل عنها متوجها إلى البقيعه(4) يريد طرابلس، و أنفذ إلى أهل حمص رسولا يقول لهم: نريد مالا يحمل إلينا، فقالوا: هذا بلد خراب ليس فيه مال، فرجع و نزل عليها و قال لأهلها:

من خرج من البلد فهو آمن، فخرج قوم و أقام قوم فدخل عسكره فنهب و سبى و أحرق الجامع و مواضع من البلد، و تحصن قوم بالمغاير،

1- انظر زبده الحلب: 1/ 176- 177.
2- معروفه باسمها هذا حتى الآن عند ملتقى الحدود السوريه مع شمال لبنان.
3- معروف حتى الآن بهذا الاسم فيه أجمل حدائق و منتزهات ضواحى حمص.
4- فى لبنان على طريق طرابلس تحمل الاسم نفسه حتى الآن.

فأوقد عليهم فأهلكهم الدخان، و لم يعرض للعرب و لا لمن هرب إليها، و كان دخول الروم إلى حمص يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الأول سنه ثلاث و سبعين و ثلاثمائه و هى النوبه الثانيه للروم، و قيل إن أبا المعالى ابن سيف الدوله خاف من أخذ بكجور حلب بالمغاربه، فأنفذ إلى ملک الروم يسأله إخراب حمص.

و رجع أكثر من كان مع بكجور من عسكر دمشق أصحاب القائد بلتكين، و بقى بكجور و أصحابه منتظرا أن يرحل بلتكين عن دمشق و يسير إليها، و كان السبب فى تأخر ولايه دمشق أن الوزير ابن كلس كتب إلى بلتكين أن لا يسلم دمشق إلى بكجور، و عرف بكجور ذاک فكتب [إلى العزيز](1) يذكر بأمره و إنجاز وعده، فسأل العزيز عن تأخر الأمر فى ذلک فقال له الوزير: الصواب أن لا يلى بكجور دمشق و يعصى فيها، قال: نحن استدعيناه لذلک و وعدناه به، فقال: قد كان ذاک و الحزم أن لا يولى، فقال له: لابد من ذلک، فكتب الوزير إلى منشا ابن الغرار كاتب الجيش: واقف بكجور على ما يأخذ من المال له و لرجاله، و سلم ولايه دمشق إليه، فسلم بلتكين البلد إليه و عاد متوجها إلى مصر فى يوم الأحد مستهل رجب سنه اثنتين و سبعين و ثلاثمائه، و كانت ولايه بلتكين دمشق خمسه شهور، و دخل بكجور البلد واليا فى يوم السبت سابع رجب من السنه، و قد عرف أن الذى أخر الولايه الوزير ابن كلس، فحقد بكجور عليه، و كان لابن كلس نائب فى عمله و ضياعه يقال له ابن أبى العود يهودى، و كان يكتب إليه بأخبار البلد، فقال بكجور: هذا عين علىّ، و تقدم بقتله فقتل، فلما بلغ ذلک الوزير عظم عليه و اغتم له(2)، و أعلم الوزير العزيز و قال: هذا مبدأ عصيان

1- فى الأصل« و عرف العزيز ذاک و كتب يذكر بأمره و انجاز وعده» و فى هذا اضطراب و تداخل و لعل ما أثبتناه هو الصواب.
2- انظر المقريزى اتعاظ الحنفاء: 1/ 259- 260.

بکجور، و قد تمکن من البلد و جاء معه ابن جراح، و هو عدو، فلما کان فی سنه سبع و سبعین عزم الوزیر علی العمل علی قتل بکجور (28 و) فأنفذ إلی غلام نصرانی عطار یعرف بابن أخی الکویس من أهل دمشق أن «احتل علی قتل بکجور»، و لم یکن النصرانی من أهل ذاک، فقال:

لا یتم هذا الأمر إلا برجل من الجند من أصحابه یعین علی هذا الأمر، فکتب رقعه بما یرید إلی بعض أصحاب بکجور، فلما وصلت الرقعه إلیه و نظر ما فیها فظن أن بکجور دسها إلیه لیبلوه بها فأوصل الرقعه إلی بکجور، فوقف علیها، و قال: أرید من جاءک بها، فقال: إنما وصلت إلیک لأبرأ من أمرها و لا أکتمها عنک، فلم یقبل قوله و لج فی طلبه، و قال له: إن الذی أوصل الرقعه أجیر لابن أخی الکویس العطار، فوجه قبض علیه و علی الأجیر و وضع العقوبه علی العطار، و قال: أرید الصبی، و قبض علی قوم کانوا یعاشرون العطار فکحلهم(1) و نفاهم، و کان فیهم ثلاثه من أهل العلم و الفضل یقال لأحدهم ابن الخطابی، و الآخر الخلادی، و الثالث المستولی، و أخرج ابن الکویس بعد ما صفی و معه رجلان من المتهمین فصلبوا أقبح صلب، و ماتوا فی غد ذلک الیوم فی رمضان سنه سبع و سبعین، و بلغ الخبر الوزیر ابن کلس فعظم علیه، و ازداد حنقا و أعلم العزیز ذاک، و اتفق أن یخرج إلیه عسکر و معه [ابن] جراح(2) و شرع بکجور فی أذیه الناس من أصحاب الوزیر فی ضیاعه، و جار فی البلد جورا عظیما، و لم یخل من القتل و الصلب و الفتک فجرد إلیه فی سنه ثمان و سبعین القائد منیر الخادم فی عسکر کثیف، و أصدرت الکتب إلی ولاه الأعمال بالمسیر معه، و لما عرف بکجور ذلک أنفذ إلی العرب و جمع و حشد و استقبل العسکر، فالتقیا و صدقوا القتال و کثر فی

1- أی سمل عیونهم بواسطه اطباق الجفنین علی بعضهما ثم المرور علیهما بمیل مکحله محمی بالنار.
2- اضیف ما بین الحاصرتین تصحیحا، و یبدو أن هناک سقط فی الأصل، و المقصود هنا أن العسکر الموجه هو ضد بکجور و ابن الجراح، انظر سیاق بقیه الخبر و اتعاظ الحنفا: 1/ 259.

بنی کلب(1) الطعن و الجراح، و بشاره و منیر المقدمان قائمان فی أصحابهما علیهما الحدید، فحملوا جمیعا علی الکلبیین فهزموهم و ألجوهم إلی حیطان داریا فرجعوا و من معهم من أصحاب بکجور خاسرین مفلولین، فخاف بکجور علی نفسه أن یؤخذ فراسلهم بأنه یسلم البلد و یرحل عنه، و قد کوتب القائد نزال والی طرابلس بالمسیر و النزول علی دمشق، و کان عسکره سته آلاف فسار فلما (23 ظ) عرف بکجور انفصاله قلق و خاف و ذل، و راسل منشا بن الغرار الکاتب «بأنی عازم علی المسیر من هذا البلد و أرید أن أکون علی عهد و أمان و لا أتبع بمضره»، فأجیب إلی ما التمس، و جمع ماله و سلاحه و خاف من الرجعه و الحیله أن تقع علیه من البلد فأخفی أمره و ستر مسیره، فلما کان فی یوم الثلاثاء نصف رجب سنه ثمان و سبعین و ثلاثمائه سار خائفا و جلا نحو الشرق، و أخذ مع الجبل و سار معه ابن الجراح إلی حصن حوارین(2) فأخذ ما کان له و أخفی أمره، فلما عرف خبره نهض فی إثره القائد منیر من غد و نزل علی البلد، ففرح الناس به، و توجه بکجور إلی الرقه، و تخلف بدمشق من أصحابه تقدیر ثلاثمائه رجل فصاحوا «عزیز یا منصور» فأمنوا.

و لما نزل منیر القائد علی دمشق أصبح القائد نزال نازلا معه فی یوم الخمیس، فلامه الناس علی ما اعتمده من التثاقل، و نفذت المطالعات إلی مصر بشرح الحال، فأنکر الوزیر ابن کلس فعل منشا و إهماله بکجور حتی نجا، و أشخصه إلی مصر مع المستأمنه من أصحاب بکجور، و قال

1- فی الأصل« کلاب» و هو خطأ فکلاب کانت دیار حلب دیارها، و أما کلب فکانت دیار دمشق دیارها، و یؤکد هذا سیاق بقیه الخبر، و أخبار أخری کثیره خاصه لدی الحدیث عن التحالف بین صالح بن مرداس أمیر کلاب و سنان بن علیان أمیر کلب، و حسان بن المفرج أمیر طی ء.
2- قریه من قری حمص من جهتها الشرقیه الجنوبیه. تقویم البلدان: 83. و تبعد حوارین الآن عن حمص/ 75 کم، و هی تتبع اداریا ناحیه القریتین.

له: خليت بكجور خوفا على نفسک، أما كان معک(1) عسكر فيه كفايه؟ فقال: لم يكن غير ما فعلته، لأن نزالا تأخر عنا و تثاقل، و كان بكجور فى قوه و كثره من العرب و غيرهم، و هم أصحاب دروع و جواشن و خيل سبق، فلم يقبل عذره و عزله عن تدبير العسكر، و كان ابن كلس يخاف من بكجور أن تكون له عوده إلى ولايه دمشق فيتمكن من دمشق، فأنفذ رسولا إليه يقول له: ما أردنا رحيلک عن البلد، و إنما إنفاذنا العسكر لابعاد ابن الجراح لفساده و عناده، و ما كان من ضياع و غلات فلک افعل فيها ما أحببت فما لنا فيه حاجه، فحمل بكجور ما كان له بدمشق، و أقام بالرقه منقطعا ليس له سلطان يستند إليه، و كان بالرقه يراسل كرديا يقال له باذ(2) قد غلب على ميافارقين، و يراسل أبا المعالى ابن سيف الدوله بحلب أن يرده إلى العمل الذى كان فى يده من حمص، فلما كان فى سنه تسع و سبعين و ثلاثمائه خرج عسكر صاحب بغداد إلى باذ الكردى المقدم ذكره لغلبته على الموصل و ديار ربيعه فكسر و انهزم عسكره و أصحابه، و عرف بكجور ذلک فخاف من عسكر بغداد فراسل سعد الدوله أبا المعالى يسأله توليه حمص فأجابه إلى ذلک.

و كان ابن كلس يسأل (24 و) عن أخباره بالرقه خوفا منه، فلما عرف الوزير ذلک قال: يجاورنا بكجور فى حمص فيطمع فى الديار، فأرسل إلى غلام يقال له ناصح الطباخ بأن يسير إلى حمص فيأخذ من بها من أصحاب بكجور، فسرى فى البريه فلم يشعر به حتى أتاهم، و كان أبو المعالى صاحب حلب قد علم بالسريه، فأنفذ إليهم من حذرهم و اتفق لهم أنهم حملوا و خرجوا من حمص هاربين، فلما حصلوا بأحمالهم

1- فى الأصل« معه» و هو خطأ يدل عليه سياق الخبر، و صوابه ما أثبتناه.
2- ظهر بين الأكراد و قادهم فى عمليات قادته إلى دخول الموصل و التفكير بالزحف على بغداد، اصطدم أثناء نشاطه ببقايا الحمدانيين و بقبيله عقيل و قتل سنه 380 ه/ 990 م، و قد نجم عن نشاطه فيما نجم قيام الدوله المروانيه فى ميافارقين. انظر ذيل تجارب الأمم: 3/ 176- 178. تاريخ الفارقى: 49- 58. الكامل لابن الأثير، 122، 142- 143.

بظاهر البلد أدركتهم السريه، فأخذتهم و رجعت إلى دمشق، و فسد أمر بكجور مع المغاربه و مع أبى المعالى، فراسل صاحب بغداد فلم ير له عنده ما يحب، و كان الوزير ابن كلس يضرب بينهما و يطمع كل واحد منهما فى صاحبه، و كان الوزير ابن كلس يهوديا من أهل بغداد خبيثا ذا مكر و حيله و دهاء و ذكاء و فطنه، و كان فى قديم أمره خرج إلى الشام، فنزل بالرمله فجلس وكيلا للتجار، فلما اجتمعت الأموال التى للتجار كسرها و هرب إلى مصر فى أيام كافور الاخشيدى صاحب مصر، فتاجره و حمل إليه متاعا كثيرا و [صار](1) يحال بماله على ضياع مصر، و كان إذا دخل ضيعه عرف غلتها و ارتفاعها و ظاهر أمرها و باطنها، و كان ماهرا فى أشغاله لا يسأل عن شى ء من أمورها إلا أخبر به عن صحه، فكبرت حاله و خبر كافور بخبره و ما فيه من الفطنه و السياسه، فقال: لو كان هذا مسلما لصلح أن يكون وزيرا، فبلغه ما قال كافور فطمع فى الوزاره فدخل جامع مصر فى يوم الجمعه، و قال: أنا أسلم (على) يد كافور، فبلغ الوزير ابن حنزابه وزير كافور ما هو عليه و ما طمع فيه فقصده و خاف منه، فهرب إلى المغرب و قصد يهودا هناک مع أبى تميم المعز لدين الله أصحاب أمره، فصارت له عندهم حرمه فلم يزل معهم إلى أن أخذ المعز مصر، فسار معه إليها، فلما توفى المعز و أصحابه اليهود و ولى العزيز بالله استوزره فى سنه خمس و ستين و ثلاثمائه، و كان هذا الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس كبير الهمه، قوى النفس و المنه، عظيم الهيبه فاستولى على أمر العزيز، و قام به و استصحبه، فعول عليه و فوض أمره إليه، و كانت أموره مستقيمه بتدبيره، فلما اعتل عله الوفاه ركب إليه العزيز عائدا فشاهده على حال اليأس، فغمه أمره، و قال له: وددت بأنک تباع، فأبتاعک بملكى، أو تفتدى و أفديک بولدى (24 ظ) فهل من حاجه توصى بها يا يعقوب؟

1- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق، انظر الاشاره إلى من نال الوزاره:

فبکی و قبل یده و ترکها علی عینه، و قال: أما ما یخصنی یا أمیر المؤمنین فلا لأنک أرعی بحقی من أسترعیک إیاه و أرأف علی من أخلفه من أن أوصیک به، لکنی أنصح لک فیما یتعلق بدولتک، قال: قل یا یعقوب فقولک مسموع و رأیک مقبول، قال: سالم یا أمیر المؤمنین الروم ما سالموک، و اقنع من الحمدانیه بالدعوه و السکه، و لا تبق علی المفرج بن دغفل بن الجراح متی عرضت لک فیه فرصه، و توفی فی ذی الحجه سنه ثمانین و ثلاثمائه، فأمر العزیز أن یدفن فی داره بالقاهره فی قبه کان بناها لنفسه، و حضر جنازته و صلی علیه و ألحده بیده فی قبره، و انصرف عنه حزینا بفقده، و أغلق الدواوین و عطل الأعمال أیاما [و استوزر أبا الحسن علی بن عمر العداس سنه، ثم استوزر أبا الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات] (1) بعده مدیده، ثم صرفه و قلد عیسی بن نسطورس، و کان نصرانیا من أقباط مصر، و فیه جلاده و کفایه، فضبط الأمور و جمع الأموال و وفر کثیرا من الخراج، و مال إلی النصاری فقلدهم الأعمال و الدواوین و اطرح الکتاب المتصرفین من المسلمین و استناب فی الشام رجلا یهودیا یعرف بمنشا بن إبراهیم بن الغرار، فسلک مسلکه فی التوفر علی الیهود، و عیسی مع النصاری مثله، و استولی أهل هاتین الملتین علی الدوله، فکتب رجل من أجلاد المسلمین رقعه و سلمها إلی امرأه و بذل لها بذلا علی اعتراض العزیز و رفع الظلامه إلیه و تسلیمها إلی یده، و کان مضمون الرقعه: «یا أمیر المؤمنین بالذی أعز النصاری بعیسی بن نسطورس، و الیهود بمنشا بن الغرار، و أذل المسلمین بک ألا نظرت فی أمری»، و کان العزیز علی بغله سریعه فی المشی، و إذا رکبها تدفقت کالموج و لم تلحق، فوقفت له المرأه فی مضیق، فلما قاربها رمتها إلیه، فسارع الرکابی إلی أخذ الرقعه علی العاده، و غاصت المرأه فی الناس

1- أصاب النص سقط لم ینتبه له الناسخ، و أضیف ما بین الحاصرتین من کتاب الاشاره إلی من نال الوزاره: 24- 25. الوزاره و الوزراء فی العصر الفاطمی للدکتور محمد حمدی المناوی. ط القاهره 1970: 305.

و وقف العزيز عليها، و أمر بطلب المرأه فلم توجد و عاد إلى قصره منعم الفكر فى أمره، فاستدعى قاضي قضاته أبا عبد الله محمد بن النعمان، و كان متقدما عنده فى خواصه و أهل أنسه، فأعطاه الرقعه و قال له: قف عليها، فلما قرأها قال له: ما عندک فى هذا الأمر؟ قال: مولانا أعرف بوجه الرأى و التدبير، فقال: صدقت كاتبتها نبهتنا على ما كنا على غلط فيه و غفله (25 و) عنه، و تقدم فى الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس و سائر الكتاب النصارى و إنشاء الكتب إلى الشام بالقبض على منشا بن الغرار و المتصرفين من اليهود، و أن ترد الأعمال فى الدواوين إلى الكتاب المسلمين، و يعول فى الاشراف عليهم على القضاه فى البلاد، ثم ان عيسى طرح على ست الملک بنت العزيز، و كان يحبها حبا شديدا(1) و لا يرد لها قولا، و استشفع بها فى الصفح عنه، و تجديد الاصطناع له، و حمل إلى الخزانه ثلاثمائه ألف دينار، و كتب إلى العزيز رقعه يذكر فيها بخدمته، و حرمته فرضى عنه و أعاده إلى ما كان عليه، و شرط عليه استخدام المسلمين فى دواوينه و أعماله.

1- أى العزيز.

سنه إحدى و ثمانين و ثلاثمائه

كان بكجور قد خاف من عيسى بن نسطورس الوزير المقدم ذكره أن يعمل عليه لأسباب تقدمت بينه و بينه أوجبت ذاک، فكتب إلى العزيز يذكر له جلاله حلب و كثره ارتفاعها و أنها دهليز العراق، و إذا حصلت له كان ما بعدها فى يده، و أن العسكر الذى بها قد كاتبه و بذل الطاعه له و المساعده، و يستدعى منه الانجاز و المعونه، فأجابه لكل ما أراد، و كتب إلى نزال والى طرابلس بالمسير إليه متى استدعاه من غير استئذان و لا معاوده استئمار، و كان نزال هذا من وجوه قواده، و صنائع عيسى الوزير و خلاصه، فكتب إليه عيسى سرا بأن «تتقاعد ببكجور، و تظهر له المساعده و المسارعه و تستعمل معه التعليل و المدافعه، فإذا تورط مع مولاه و قاربه تأخر عنه و أسلمه» فلم يشک بكجور فى مسير نزال إليه و سار عن الرقه، و كتب إلى نزال بأن يسير من طرابلس ليكون وصولهما إلى ظاهر حلب فى وقت واحد، فأجابه نزال و وعده، و نزل بكجور على بالس(1) و فيها غلمان سعد الدوله أبى المعالى صاحب حلب و عده من الديلم، فقاتلهم و رحل بكجور، و تباطأ نزال فى مسيره و واصل مكاتبه بكجور فى منزل بعد منزل و قرب الأمر عليه فى وصوله إليه، و أقام بكجور على بالس خمسه أيام، فلما لم يجد فيها مغمزا فارقها و طلب حلب، و كان أبو المعالى كاتب بسيل(2) عظيم الروم و أعلمه عصيان بكجور (25 ظ) عليه، و سأله مكاتبه البرجى صاحبه بأنطاكيه بالمسير إليه متى دعته حاجه إلى انجاده و معونته، فكاتب عظيم الروم بذاک، و أكد القول عليه، فلما وافى بكجور، كاتب سعد الدوله البرجى، فرحل و نزل مرج دابق و هو على فرسخين من حلب، و وصل بكجور إلى النقره و نزل فى ناحيه تعرف بالناعوره، و امتد عسكره إلى تل أعرن و منها إلى حلب أربعه فراسخ، و برز

1- هى مسكنه الحاليه فى سوريه على الفرات.
2- باسيل الثانى امبراطور بيزنطه، نفذ بشكل كامل سياسه امبراطوريته تجاه حلب، فقد أراد من حلب أن تكون دوله حاجزه بينه و بين الخلافه الفاطميه و سوقا تجاريا مفتوحا، لذلک خف إلى حمايتها شخصيا أو بارسال قواته كلما تهددت من قبل الفاطميين.

سعد الدوله فی غلمانه و أصحابه فکانوا سته آلاف رجل من الروم و الأرمن و الدیلم و الأتراک، و لم یکن معه من عسکر العرب إلا عمرو بن کلاب و عدتهم خمسمائه رجل، إلا أنهم أولو بأس و قوه، و من سواهم من بطون العرب بنی کلاب مع بکجور، بعد أن حصل حرمه و أولاده فی القلعه بحلب، و لما برز و سار عسکره، و کان لؤلؤ الجراحی الکبیر یحجبه، أعجبه ما رأی من عدته و عدته فنزل إلی الأرض و صلی و عفّر و دعا الله بنصره و ادالته من بکجور و غدره، و فعل أصحابه مثل فعله، و اجتمعوا إلیه، و قالوا له: نفوسنا بین یدیک و الله لنبذلنها فی طاعتک و المدافعه عنک، فشکرهم و قال لهم: أنتم الأولاد و العده، و هذه الدوله لکم و أنا فیها واحد منکم، و استدعی کاتبه المعروف بالمصیصی و أمره أن یکتب إلی بکجور یستعطفه و یذکره الله و یخوفه و یبذل له أن یقطعه من باب حمص إلی الرقه، و یدعوه إلی الکف و الموادعه، و رعایه حق الرق و العبودیه، و یعلمه أنه متوقف عن حربه و لقائه إلی أن یعود إلیه من جوابه ما یعول علیه، و سار فنزل بالموضع المعروف بالنیرب علی میل من حلب، و عسکر الروم بإزائه، و وافی رسول سعد الدوله إلی بکجور، فأوصل إلیه الکتاب، فلما وقف علیه، قال له: قل له الجواب ما تراه عیانا لا ما أرسل إلیک کتابا، فعاد الرسول و أعاد علی سعد الدوله قوله و أعلمه أنه سائر علی إثره، فتقدم سعد الدوله إلی الموضع المعروف بدیر الزبیب، و قدم علی مقدمته شجعان غلمانه و أنجادهم من عمرو بن کلاب الذین قدمنا ذکرهم، و قد جعل بکجور علی مقدمته یارخ و رشیقا (26 و) غلامیه فی مائه غلام، و وقع التطارد و کان الفارس من أصحاب سعد الدوله إذا عاد إلیه و طعن و جرح خلع علیه و أحسن إلیه، و کان بکجور بضد ذلک بخلا، و إذا عاد إلیه رجل علی هذه الحال یأمر بأن یکتب اسمه لینظر مستأنفا فی أمره، و قد کان سعد الدوله کاتب العرب الذین مع بکجور و أمنهم و أرغبهم و وعدهم الاقطاعات الکثیره و العطایا الفاضله الفائضه و ألا یؤاخذهم بالانحیاز إلی بکجور و الحصول معه، فلما حصلت أماناته

و توقيعاته فى أيديهم، عطفوا على سواد بكجور فنهبوه، و انصرفوا عنه و استأمنوا إلى سعد الدوله، و نزلوا عليه، و رأى بكجور ما تم عليه من:

تقاعد نزال، و غدر العرب، و تأخر غلمان سعد الدوله الذين كانوا كاتبوه و وعدوه الانحياز إليه إذا عاينوه، فاستدعى أبا الحسن كاتبه المعروف بابن المغربى(1)، و قال له: غررتنى و أوهمتنى أن العزيز يجئنى و يعاوننى، و أن العرب تخلص لى و تناصحنى، و أن العرب توافينى و يستأمنوا إلى، و ما كان لشى ء من ذلک حقيقه فما الرأى الآن، فإن بإزائنا عسكرا عظيما لا طاقه لنا به؟ قال: صدقت أيها الأمير فيما قلته و و الله ما أردت غشک و لا فارقت نصحک، و الصواب مع هذه الأسباب العارضه أن ترجع إلى الرقه و تكاتب العزيز بما عاملک به نزال و تعاود استنجاده، فإنه ينجدک و يستظهر فى أمرک، و كان فى عسكر بكجور قائد من قواده يجرى مجراه فى التقدم يعرف بابن الخفانى، فقال له و قد سمع ما جرى بينه و بين ابن المغربى، فقال: ما عندک فيما قاله و أشار به فقال له: هذا كاتبک يقول إذا جلس فى دسته: الأقلام تنكس الأعلام، فإذا حقت الحقائق أشار علينا بالهرب، و إذا هربنا فأى وجه يبقى لنا عند الملوک و زوجه من يهرب اليوم طالق ليس إلا السيف فإما لنا و إما علينا، و سمع ابن المغربى ما قاله ابن الخفانى، فخاف بكجور، و قد كان واقف بدويا من شيوخ بنى كلاب يعرف بسلامه بن بريک على أن يحمله إلى الرقه متى كانت هزيمه، و بذل له ألف دينار على ذلک، فلما استشعر من بكجور ما استشعره، سامه (26 ظ) تسييره قبل الوقت الذى أعده له فأوصله إلى الرقه.

و عمل بكجور على ما فيه من قوه النفس و فضل الشجاعه على أن يعمد إلى الموضع الذى فيه سعد الدوله من مصافه، و يهجم عليه بنفسه،

1- على بن الحسين المغربى الكاتب، من وجوه الدوله الفاطميه أيام الحاكم بأمر الله، كان من أصحاب سيف الدوله الحمدانى، ترک مدينه حلب فى أيام سعد الدوله بن سيف الدوله، التحق بمصر سنه 381 ه، فولى نظر الشام و تدبير الرجال و الأموال سنه 383، و صار من جلساء الحاكم، ثم تغير عليه فقتله سنه 400 ه/ 1010 م. الاشاره إلى من نال الوزاره: 47. زبده الحلب: 1/ 188.

و من يقتحمه معه من صناديد غلمانه و يوقع به، و اعتقد أنه إذا فعل ذلک كبس الموضع و انهزم الناس، ملک(1).

فاختار من غلمانه من ارتضاه و وثق به بحسن البلاء منه و قال لهم:

قد تورطنا من هذه الحرب ما عرفتموه، و حصلنا على شرف الهزيمه، و ذهاب النفوس، و قد عزمت على كذا و كذا، فإن ساعدتمونى رجوت أن يكون الفتح على أيديكم و الأثر لكم، فقالوا: نحن طوعک و ما نرغب بنفوسنا عن نفسک، و بادر واحد ممن سمع الكلام منه إلى لؤلؤ الجراحى، فاستأمن إليه، و أعلمه بالصوره، فأسرع لؤلؤ إلى سعد الدوله، و أخذ الرايه من يده، و وقف فى موضعه، و قال: تهب لى يا مولاى هذا المكان اليوم، و تنتقل إلى مكانى عنه، فإن بكجور أيس من نفسه و قد حدثها بأن يقصدک و يقع عليک، و يوقع بک، و يجعل ذلک طريقا إلى فل عسكرک، و قد عرفت ذلک من جهه لا أشک فيه(2) و سيفعل و لئن أفديک بنفسى و أكون وقايه لک و لدولتک أولى من التعريض بک، فانتقل سعد الدوله و العماريه(3) فى ظهره و الرايه فى يده، و جال بكجور فى أربعمائه فارس من الغلمان عليهم الكذاغندات و الخوذ و بأيديهم السيوف و على خيلهم التجافيف، و حمل فى عقب جولته حمله أفرجت له بها العساكر و اللتوت، و لم يزل يضرب بالسيف حتى وافى إلى لؤلؤ فضربه على الخوذه فى رأسه و وقع لؤلؤ إلى الأرض، و حمل العسكر على بكجور، و بادر سعد الدوله إلى مكانه مظهرا نفسه لغلمانه، فلما رأوه قويت نفوسهم و ثبتت أقدامهم، و اشتدوا فى القتال حتى استفرغ بكجور جهده و وسعه، و لم يبق له قدره

1- فى الأصل« و ملک» و هذا يعنى وجود بقيه للكلام سقطت من الأصل أو أن الواو زائده، و نظرا لعدم توفر ما يساعد على البت فى هذا الأمر فى المصادر المتوفره، آثرت حذف الواو كيما يستقيم السياق. انظر تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى: 173. زبده الحلب: 1/ 178- 179.
2- كذا فى الأصل، و الأصح« فيها».
3- غالبا ما كانت عباره عن دميه أو ما يشبهها تمثل سيده- ظعينه- مزينه بالذهب و الحلى المختلفه توضع على ظهر جمل و يجلس تحت ثوبها أو خلفه أحد الساده يحركها حركات خاصه، و يلتف حولها الفرسان للدفاع عنها و القتال دونها، و ما تزال عاده حمل العماريه قائمه، شاهدتها مرارا فى مدينه حماه.

و لا حیله انهزم فی سبعه نفر من غلمانه صوب حلب، و استولی القتل و الأسر علی أصحابه و تم علی الهزیمه، و قد رمی عن نفسه جوشنه و عن فرسه تجافیفه و قد فعل من کان معه مثل فعله، و کان الفرس الذی تحته من الخیول التی أعدها لمثل (27 و) ما حصل فیه و ثمنه علیه ألف دینار، و وافی إلی رحا تعرف بالقیریمی علی فرسخ من حلب مقابلی(1) قنسرین، و لها ساقیه تحمل إلیها سعتها قدر ذراعین(2) فی سمک ذراع، فحمل الفرس علی أن یعبرها خوضا و وثبا فلم یکن فیه و أجهده، و وقف به و ناداه غلمانه: «إن الخیل قد أدرکتنا» و لحقهم عشره فوارس من العرب فأرجلوهم عن دوابهم، و سلبوهم ثیابهم، و لم یعرفوا بکجور و عادوا عنهم، و بقی بکجور و غلمانه عراه فلجأوا إلی الرحا و استجاروا بصاحبها فأدخلهم إلیها، و جاءت سریه أخری من العرب تطلب النهب فظنوا أن مع الغلمان الذین فی الرحا ما یغنمونه منهم، فطالبوا صاحبها بتسلیمهم فأعلمهم أنهم عراه، فقالوا: إن شاهدناهم علی ما ذکرت ترکناهم و إلا أحرقنا الرحا، ففتح الباب و أخرجهم إلیهم فلما رأوا حالهم خلوا عنهم، و مضی بکجور و غلمان معه من غلمانه إلی براح(3) فیه زرع حنطه، فطرح نفسه فیه، و مر قوم من العرب، فظنوا أن معهم ما یفوزون به، فعدلوا إلیهم، و کان فیهم رجل من قطن یعرفه بکجور، فقال له: أتعرفنی؟ قال:

لا، قال: أذمم لی حتی أعرفک نفسی، فأذم له، قال له، أنا بکجور فاصطنعنی و احملنی إلی الرقه، فإننی أوقر بعیرک ذهبا و أعطیک کل ما تقترحه، قال: أفعل، فأردفه و حمله إلی بیته و کساه قمیصا و فروا و عمامه، و کان سعد الدوله قد بث الخیل فی طلب بکجور و نادی: «من أحضر بکجور فله مطلبه» فلما حصل بکجور فی بیت البدوی ساء ظنه به، و طمع فیما کان سعد الدوله بذله فیه، و استشار ابن عم له فی أمره، فقال:

1- کذا بالأصل و قد تکون تصحیف« مما یلی».
2- فی زبده الحلب: 1/ 179« علی نهر قویق».
3- الأرض الظاهره- النهایه لابن الأثیر.

له: هو رجل بخيل، فربما غدر بک و لم يف بوعده، و الصواب أن تقصد سعد الدوله و تأخذ منه عاجلا ما يعطيک، فركب البدوى إلى عسكر سعد الدوله و صاح «نصيحه» فأحضر إلى حضرته، فقال له: ما نصيحتک؟ قال: ما جزاء من يسلم بكجور؟ قال: حكمه، قال: فهو عندى أريد عنه مائتى فدان زراعه و مائه ألف درهم و مائه راحله تحمل حنطه، و خمسين قطعه ثيابا، قال سعد الدوله: و كل ذلک لک، قال: وثق لى منه، و عرف لؤلؤ الجراحى خبر البدوى، فتحامل و هو مثخن بالضربه التى أصابته، و مشى متوكيا على غلمانه حتى حضر بين يدى (27 ظ) سعد الدوله، فقال: يا مولاى ما يقول هذا؟ قال: يقول إن بكجور عنده، و قد طلب ما أجبناه إليه، و هو ماض لإحضاره، فقبض لؤلؤ على يد البدوى، و قال له: أين أهلک؟ قال: فى المرج على فرسخ، فاستدعى جماعه من الغلمان و قدم عليهم إقبالا الشفيعى و أمرهم أن يرتقوا رؤوس الجبال حتى يوافوا الحله، و يقبضوا على بكجور و يحملوه و هو قابض على يده، و البدوى يستغيث بسعد الدوله، ثم تقدم إلى سعد الدوله و قال: يا مولانا لا تنكر على فعلى، فإنه كان منى عن استظهار فى خدمتک، و لو عاد هذا البدوى إلى أهله و أحس بكجور بما فيه لأعطاه الرغائب على تخليصه و لا نأمن أن يقبل ذاک منه، و الذى طلبه البدوى مبذول له، و ما ضرنا الإحتياط فى التمسک به إلى أن يوافينا فنعطيه حينئذ، و نفى له بما وعدناه، فقال: أحسنت يا أبا محمد لله درک، و لم يمض ساعات حتى عادت النجب مبشره بحصول بكجور، و وافى بعدها إقبال الشفيعى و هو معه، فوقف به من وراء السرادق، و استأذنه فى إدخاله إليه و أنفذ سعد الدوله إلى لؤلؤ و ما قال له: ما رأيک فى بكجور؟ قال: ضرب عنقه لوقته لو جاءت سناء الزينه ست الناس- يعنى أخت سعد الدوله- و استوهبته منک فوهبته لها لكان لنا شغل مجدد، فأمر سعد الدوله فرجا العدلى و كان سيافه فضرب عنقه و عنق ابن الخفانى، و كان قد حصل فى الأسر و حملها إلى الموضع المعروف بحصن الناعوره فصلبهما بأرجلهما،

و سار سعد الدوله إلى الرقه فنزل عليها و فيها سلامه الرشيقى و أبو الحسن ابن المغربى، و أولاد بكجور و حرمه و أمواله، و أرسل سلامه بتسليم البلد فأجابه «فإنى عبدک و عبد عبدک إلا أن لبكجور علىّ عهودا و مواثيق لا مخلص لى عند الله منها إلا بأحد أمرين إما أن تذم لأولاده على نفوسهم و أموالهم و تقتصر فيما تأخذه على آلات الحرب و العدد، و تحلف لى و لهم على ذلک، و إما أن أبلى عذرا عند الله عز و جل فيما عقدته لبكجور» فأجابه سعد الدوله إلى ما اشترطه، و حلف له يمينا عملها أبو الحسن ابن المغربى، و كان سعد الدوله قد أباح دمه، فهرب إلى الكوفه، و أقام بمشهد أمير المؤمنين على عليه السلام.

و لما توثق سلامه (28 و) سلم حصن الرافقه، و خرج القوم و معهم من المال و الرحل الشى ء الكثير، و سعد الدوله يشاهدهم من وراء سرادقه و بين (يديه)(1) ابن أبى حصين القاضى، فقال له: ما ظننت أن حال بكجور انتهت إلى ما أراه من هذه الأموال و الأثقال، فقال له: أى شى ء اعتقد الأمير فى ذاک؟ قال له: و هل بقى فى هذا الأمر موضع اعتقاد؟ قال له ابن أبى حصين: إن بكجور و أولاده مماليكک، و كل ما ملكوه فهو لک، و لا حرج عليک فيما تأخذه منه و لا حنث فى الأيمان التى حلفت بها، و مهما كان فيها من وزر و إثم فعلى دونک، فلما سمع هذا القول منه، غدر بهم و تقدم بردهم و القبض عليهم و جميع ما معهم، و كتب أولاد بكجور إلى العزيز بما تم عليهم و على والدهم، و سألوه مكاتبه سعد الدوله بالكف عنهم و الإبقاء عليهم، فكتب إليه كتابا يتوعده فيه و يأمره بإزاله الاعتراض عن المذكورين و تسييرهم إلى مصر موفورين، و يقول له فى آخره: «إنک متى خالفتنا فى ذلک و احتججت فيه، كنا الخصوم له، و جهزنا العسكر إليک» و أنفذه مع فائق الصقلبى أحد خواصه، و سيره على نجيب، فوصل فائق إليه و قد عاد من الرقه و هو بظاهر حلب،

1- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم الخبر، و فى زبده الحلب: 1/ 180- 181« وزيره أبو الهيثم بن أبى حصين ... و كان قاضى حلب فى أيامه أبا جعفر أحمد بن اسحق».

و أوصل إليه الكتاب، فلما وقف عليه جمع وجوه قواده و غلمانه و قرأه عليهم، ثم قال لهم: ما الرأى عندكم فيه؟ قالوا: نحن عبيدک و غلمانک و مهما أمرتنا به و ندبتنا له، كانت عندنا الطاعه و المناصحه فيه، و تقدم عند ذاک باحضار الرسول، فلما مثل بين يديه أمر بإعطائه الكتاب، و لطمه حتى يأكله، فقال له: أنا رسول و ما عرف من الملوک معامله الرسل بمثل ذلک و هذا الفعل ما لا يجوز، فقال له: لابد أن تأكله، فلما مضغه قال له:

عد إلى صاحبک و قل له: لست ممن تخفى أخبارک عنه، و تمويهاتک عليه، و ما بک حاجه إلى تجهيز العساكر إلىّ فإننى سائر إليک ليكون اللقاء قريبا منک، و خبرى يأتيک من الرمله.

و قدم سعد الدوله قطعه من عساكره أمامه إلى حمص، و عاد فائق إلى العزيز فعرفه ما سمعه و شاهده فأزعجه ذلک، و بلغ منه، و أقام سعد الدوله بظاهر حلب أياما على أن يرتب أموره و يتلو من تقدمه من عسكره، فاتفق أن عرض له قولنج شفى منه، و كان له طبيبان (28 ظ) عارفان أحدهما يعرف بالتفليسى و الآخر يوانيس، فأشارا عليه بدخول البلد و ملازمه الحمام فامتنع عليهما، و قال لهما: أنا بإزاء وجه أريد قصده و إذا عدت وقع الإرجاف بى و كان فى العود طيره علىّ، ثم زاد ما يجده، فدخل فعالجاه فأبل و استقل و كتب إلى أصحابه يذكر عافيته، فأوصل الناس إليه حتى شاهدوا حاله و هنوه بالسلامه، و كان المستولى على أمره و المقدم عنده فى رأيه لؤلؤ الكبير الذى تقدم ذكره، فلما كان فى اليوم الثالث من أكله الفروج(1)، زين له البلد ليركب فيه من غد و يعود إلى

1- لم يذكر المؤلف من قبل أكله الفروج هذه، فلعل الأصل ألم به سقط، و لدى العوده إلى المصادر الأخرى لم أجد لها ذكرا، و رأيت فى مخطوط مرآه الزمان، وفيات سنه 381« و كان مستولى على أمره لؤلؤ الكبير و قد ذكرناه، و زين البلد، و لم يبق إلا أن يصبح فيركب، و كان له أربعمائه سريه ...» و يستفاد من جمله الخبر أن سعد الدوله بعد اصابته بالقولنج أدخل البلد لمعالجته داخل الحمام و أنه أطعم بعد شفائه فروج، و أستبعد أن يكون قد ألم بالعباره أى تصحيف كالقول:« اليوم الثالث من ابلائه عزم على الخروج، فزين له ...» انظر تاريخ يحيى بن سعيد: 174. ذيل تجارب الأمم: 216. زبده الحلب: 1/ 180- 181.

العسکر، فاتفق أن حضرت عند فراشه لیله الیوم الذی عمل علی الرکوب فیه جاریه تسمی إنفراد و کان یتحظاها و یقدمها علی سواها من سریاته و هن أربعمائه جاریه، فتتبعتها نفسه، و واقعها فلما فرغ سقط عنها و قد جف نصفه، و بادرت الجاریه إلی أخته فأعلمتها صورته، فدخلت إلیه و هو یجود بنفسه، و استدعت طبیبیه فحضرا و شاهداه، و تعرفا المسبب فیما لحقه فعرفاه(1)، و أشارا بسجر(2) الند و العنبر حوله إلی أن یفیق قلیلا و تثوب قوته، فلما کان ذلک عادا إلیه، و قال التفلیسی: أعطنی أیها الأمیر یدک لآخذ مجستک، فأعطاه الیسری، فقال: یا مولانا الیمین، فقال: یا تفلیسی ما ترکت لی الیمین یمینا، و مضت علیه ثلاث لیال قضی بعد أن قلد عهده أبا الفضائل ولده، و وصی إلی لؤلؤ الکبیر به و بأبی الهیجاء ولده الآخر، و ست الناس أخته، و حمل تابوته إلی الرقه و دفن فی المشهد ظاهرها.

و نصب لؤلؤ ولده أبا الفضائل فی الأمر، و أخذ له البیعه علی الجند بعد أبیه فی شهر رمضان سنه إحدی و ثمانین و ثلاثمائه، و تراجعت العساکر عند ذلک إلی حلب و استأمن منها إلی العزیز بالله: و فیّ(3) الصقلبی فی ثلاثمائه غلام، و بشاره الإخشیدی فی أربعمائه غلام [و رباح السیفی](4) و قوم آخرون فقبلهم و أحسن إلیهم، و ولی بشاره طبریه و وفیّا عکا، و رباحا قیساریه، و قد کان أبو الحسن بن المغربی بعد حصوله فی المشهد فی الکوفه کاتب العزیز و صار بعد المکاتبه إلی حضرته، فلما حدث لسعد الدوله حادث الوفاه عظم أمر حلب عنده، و کبر فی نفسه أحوالها، و هون علیه حصولها(5) [29 و].

1- أی سألا عن السبب فأوضح لهما.
2- فی الأصل« بشجر الند» و هو تصحیف صوابه ما أثبتناه، أی أشارا باحراق الند.
3- فی الأصل: رقی، و هو تصحیف صوابه من مرآه الزمان- حوادث سنه 381- .
4- زید ما بین الحاصرتین من مرآه الزمان- حوادث سنه 381.
5- فی مرآه الزمان- حوادث سنه 381- « و هون علیه حصونها» و هو وجه مرجح علی ما جاء فی المتن.

ولایه القائد منیر الخادم و منجوتکین دمشق و السبب فی ذلک و ما آلت إلیه أحوالها فی سنه ثمان و سبعین و ثلاثمائه و ما بعدها:

اشاره

قد تقدم من شرح السبب فی ولایه القائد منیر دمشق ما فیه کفایه عن إعاده القول فیه، و من دخوله فی یوم الخمیس السابع عشر من رجب سنه ثمان و سبعین و ثلاثمائه، و لما توفی الوزیر أبو الفرج یعقوب بن کلس کان قد بقی له من أصحابه علی ماله و مال السلطان رجل یعرف بابن أبی العود الصغیر، و کان شدید المعانده للقائد منیر الوالی یرفع علیه إلی مصر بأنه عاص یکاتب سلطان بغداد و صاحب حلب، فلما کثرت سعایته إلی العزیز اصطنع بعض غلمانه الأتراک رجلا یقال له منجوتکین، فقدمه و أعطاه مالا و آنیه و سلاحا و رجالا و ولاه الشام، فلما صح عند منیر الخادم ذاک من أبی العود أنفذ إلیه من قتله و کاشف بالعصیان و الخلاف للضروره القائده له إلی ذلک، و کان لابن أبی العود عند العزیز رتبه متمکنه و منزله متمهده، فلما خرج العسکر مع منجوتکین من مصر و وصل إلی الرمله، و وصل إلیه بشاره والی طبریه فی عسکره، و وصل إلی دمشق و کان منیر قد جمع رجاله من أحداث البلد من حمال السلاح و طلاب الشر و الفساد و استعد للحرب و تأهب للقاء.

و بلغ منجوتکین و هو بالرمله أن أهل دمشق یریدون القتال مع منیر الوالی، فجمع النفاطین بالرمله علی أن یسیروا معه إلی دمشق لحرقها، فلما وصل نزال(1) إلی دمشق من طرابلس أخذ فی الجبال عرضا، فخرج من مرج عذراء و أرسل إلی منیر «إنی لم أصل إلا لإصلاح أمرک» فعلم منیر أنه یرید الحیله علیه و المکر به لیصل العسکر من الرمله و یحیط به، و قد کان نفذ کتاب ابن أبی هشام(2) من دمشق إلی منشا بن

1- یفید هذا أن القاهره کتبت إلی والیها فی طرابلس لمسانده حملتها ضد دمشق.
2- لیس بالمتیسر من المصادر ما یبین هویته و یعرفنا به.

الغرار كاتب الجيش، يقول: «جدوا فى السير لأخذ البلد»، و كان مراده بذاک المداراه من خوف الشر، فلما وصل الكتاب إلى منشا، أنفذه إلى العزيز منجوتكين(1)، و وقف عليه فوجد فيه خلاف ما ذكره عن أهل دمشق فنهاهم عن احراقها، و سار منجوتكين من الرمله و قرب طبريه، و جمع منير (29 ظ) عسكره، و خرج يريد نزالا فالتقوا بمرج عذراء، فانهزم منير، و أتت المغاربه على الرجاله الذين كانوا معه، و ذلک فى يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رمضان سنه احدى و ثمانين، فلما انهزم منير أخذ فى الجبال حتى أخرج إلى أرض جوسيه يريد قصد حلب، فخرج عليه عرب من الأحلاف فأخذوه و وصلوا به إلى دمشق، فوجدوا منجوتكين قد نزل عليها فسلموه إليه لطلب الجائزه، فشهره على جمل و قرن به قردا و معه من أصحابه نحو من مائه رجل على الجمال و عليهم الطراطير لأنهم انقطعوا فأخذهم والى بعلبک يقال له جلنار، فأرسلهم إلى منجوتكين.

و أقام منجوتكين بدمشق بقيه سنه احدى و ثمانين فقوى بها، و صار عسكره ثلاثه عشر ألفا، فعم الناس البلاء فى جميع الأحوال، و صارت أفعالهم و سيرتهم إباحه الأموال و الأنفس و سوء الأعمال، ثم إنهم طمعوا فى ملكه حلب بحكم موت أبى المعالى بن سيف الدوله صاحبها، و قد كان العزيز لما انتدب منجوتكين أكرمه و عظمه و أمر القواد و طبقات الناس بالترجل له و توفيته من الحق ما يوفى عظماء الأمراء و الاسفهلاريه، و استكتب له أحمد بن محمد القشورى، و ولى الشام، و ضم إليه أبا الحسن على بن الحسين بن المغربى ليقوم بالأمر و التدبير و لما وصل إلى حلب و كان نزوله عليها فى ثلاثين ألفا من أصناف الرجال، و تحصن أبو الفضائل بن سعد الدوله و لؤلؤ بالبلد، و أغلقا أبوابه و استظهرا بكل ما أمكنهما الاستظهار به، و قد كان لؤلؤ عند

1- كذا و فيها لبس و المقصود أن منجوتكين أنفذ الكتاب إلى الخليفه العزيز.

معرفته بتجهیز العساکر المصریه إلی حلب کاتب بسیل عظیم الروم، و مت إلیه بما کان بینه و بین سعد الدوله من المساعده و المعاقده، و بذل له عن ولده السمع و الطاعه و الجری علی تلک العاده، و حمل إلیه هدایا و ألطافا کثیره، و سأله المعونه و النصره، و أنفذ بالکتاب و الهدایا ملکونا(1) السریانی و وصل إلیه و هو بإزاء ملک البلغر و علی قتاله، فقبل ما ورد فیه، و کتب إلی البرجی(2) صاحب أنطاکیه من قبله بأن یجمع عساکر الروم و یقصد حلب، و یدفع المغاربه عنها، فسار البرجی إلیه فی خمسه آلاف(3) رجل و نزل بالموضع المعروف بجسر الحدید بین أنطاکیه و حلب، فعرف منجوتکین (30 و) و ابن المغربی ذلک، فجمعا القواد و المعرفین خبر الروم و استشارهم فیما یکون العمل به و الاعتماد علیه، فأشار ذوو الرأی و الحصافه منهم بالانصراف عن حلب و قصد الروم و الابتداء بهم و مناجزتهم لئلا یحصلوا بین عدوین، و وقع العمل علی ذلک و ساروا مع عده أخری کثیره انضافت إلیهم من أهل الشام و بنی کلاب، و نزلوا تحت حصن أعزاز، و قاربوا الروم، و بینهم النهر المعروف بالمقلوب(4) و هو نهر یجری مجری الفرات فی قرب من عرضه، فلما بصر المسلمون بالروم رموهم بالنشاب و ناوشوهم القتال، و حصل الناس و الروم علی أرض واحده و منجوتکین یردهم فلا یرتدون، و أنزل الله النصر و ولت الروم و أعطوا ظهورهم، و رکبهم المسلمون، و نکوا فیهم النکایه الوافیه قتلا و أسرا و فلا و قهرا، و أفلت البرجی فی نفر قلیل(5)، و ملک عسکرهم و سوادهم، و غنمت منهم الغنائم الوافره من

1- فی الأصل« ملکوا السیرافی» و هو تصحیف صوابه ما أثبتا اعتمادا علی مرآه الزمان- حوادث سنه 381.
2- اسمه عند یحیی بن سعید: 174« میخائیل البرجی».
3- فی مرآه الزمان« فی خمسین ألفا» و یتوافق هذا مع سیاق الخبر.
4- هو نهر العاصی.
5- فی مرآه الزمان المزید من التفاصیل الهامه عن المعرکه فیها توضیح لکیفیه عبور نهر العاصی(حوادث سنه 381).

أموالهم و كراعهم و سوادهم، و قد كان معهم ألفا راجل من رجاله حلب جردهم لؤلؤ مع عده وافره من الغلمان، فقتل منهم تقدير الثلاثمائه غلام، و عاد فلهم إلى حلب، و جمع رؤوس قتلى الروم نحو عشره آلاف رأس أنفذت إلى مصر، و شهرت بها، و تبع منجوتكين الروم إلى أنطاكيه، و أحرق ضياعها، و نهب رستاقاتها، و انكفأ راجعا إلى حلب، و كان وقت استغلال الغلات، فأنفذ لؤلؤ من أحرق ما قرب من البلد منها لمضره العسكر المصرى، و قطع ماده الميره عنهم و التضييق فى الأقوات عليهم، و رأى لؤلؤ أن قد بطل عليه ما كان يرجوه من معونه الروم و قد أظله من عسكر مصر ما لا طاقه له به، فكاتب أبا الحسن بن المغربى و القشورى و أرغبهما بالمال، و بذل لهما منه ما وسع لهما فيه، و سألهما المشوره على منجوتكين بالإنصراف إلى دمشق و المعاوده إلى حلب فى العام المقبل و تصيّرا السبب فى هذا الرأى ما عليه الأمر من عدم الميره، و تعذر الأقوات و العلوفات، فطاوعاه و وعداه، و خاطبا منجوتكين فى ذلک، فصادف قولهما منه تشوفا إلى دمشق إلى خفض العيش فيها، ضجرا من طول السفر، و مباشره الحرب فكتب و كتب الجماعه إلى العزيز بالله إليه الحال فى تعذر الأقوات و أنه لا قدره للعسكر (30 ظ) على المقام مع هذه الصوره و يستأذنوه فى الإنكفاء إلى دمشق، فقبل أن يصل الكتاب و يعود الجواب رحل منجوتكين عائدا.

و عرف العزيز ما كان منه فغاظه و وجد أعداء ابن المغربى طريقا إلى الطعن عليه و الوقيعه فيه، فصرفه و قلد صالح بن على الروذبارى موضعه، و أنفذه، و أقسم العزيز أنه يمد العسكر بالميره من غلات مصر، فحمل مائه ألف تليس، و التليس قفيزان بالمبدل، فى البحر إلى طرابلس، و منها على الظهر إلى أفاميه، و عاد منجوتكين فى العسكر فى السنه الثانيه إلى حلب و نزل عليها، و صالح بن على المقدم معهم، و كان يوقع للغلمان بجراياتهم و قضيم دوابهم إلى أفاميه و يمضون خمسه و عشرون فرسخا

و يعودون بها، و أقاموا ثلاثه عشر شهرا، و بنوا الحمامات و الأسواق و الخانات، و أبو الفضائل و لؤلؤ قد تحصنا بالبلد و قد اشتد الأمر بهما و فقدت الأقوات عندهما، و كان لؤلؤ يبتاع القفيز من الحنطه بثلاثه دنانير و يبيعه على الناس بدينار واحد رفقا لهم، و يفتح الباب و يخرج من الناس من أراد من الفقراء من الجوع و طول المقام، و قد كان أشير على منجوتكين بتتبع من يخرج و قتله ليمتنع الناس من الخروج و يزيد ضيق الأمر عليهم فلم يفعل.

و عند ذلک أعاد لؤلؤ ملكونا الذى أرسله أولا إلى بسيل ملک الروم إليه مجددا له السؤال بالإنجاد على ما دهمه من عسكر مصر و الاسعاد، و أعلمه أنه لم يبق فيه رمق إن لم يبادر بمعونته و نصرته، و أنه متى أخذت حلب و ملكت، فأنطاكيه لا حقه بها(1)، و كان بسيل متوسطا بلد البلغر، فقصد ملكونا إليه و أوصل الكتاب و أعاد عليه ما يحمله من الرسائل إليه، و قال له: متى قصدت أيها الملک هذا الخطب بنفسک لم يقف أحد من عساكر المغاربه بين يديک و استخلصت حلب و حفظت أنطاكيه و سائر أعمالها، و إن تأخرت ملک جميع ذلک.

فلما سمع ملک الروم ما قاله الرسول المذكور سار من وقته طالبا حلب، و بينه و بينها مسيره ثلاثمائه فرسخ فقطعها فى سته عشر يوما فى ثلاثه آلاف فارس و راجل من الروم و الروسيه و البلغر و الخزر، و كان الزمان ربيعا و قد سرح العسكر المصرى كراعه فى المروج لترتبع فيها، فهجمت الروم على العسكر على غفله و غره، فأرسل (31 و) لؤلؤ إلى منجوتكين يقول له: إن عصمه الاسلام الجامعه بينى و بينک و بين عساكرک تبعثنى على إنذارک، و هذا عسكر الروم قد أظلكم فى الجمع الكثير، فخذوا لأنفسكم و تيقنوا لأمركم و لا تهملوا حذركم، و وردت

1- يضيف صاحب مرآه الزمان« و متى أخذت أنطاكيه أخذت قسطنطينيه»(حوادث سنه 381 ه).

جواسیس منجوتکین و عیونه من الجهات و الطلائع علیه بمثل ذلک، فأحرق الخزائن و الأسواق و رحل فی الحال منهزما، و أشار العرب علیه بأن ینزل أرض قنسرین و یملک الماء و یستدعی کراعه من مروج أفامیه، و یثبت للقاء العدو و یحرضه علی بذل الجهد و استفراغ الوسع فی الجهاد، فلم یفعل، و امتدت به الهزیمه إلی دمشق.

و وافی ملک الروم فنزل علی باب حلب و شاهد من موضع منزل المغاربه ما هاله و عظم فی عینه، و خرج إلیه أبو الفضائل و لؤلؤ و خدماه، و رحل فی الیوم الثالث إلی الشام، و نزل علی شیزر و فیه منصور بن کرادیس أحد قواد المغاربه، فقاتله فی الحصن یوما واحدا و لم یستطع الثبات له لخلو الحصن من العدد و آلات الحرب و أقوات المقام علی الحصار، فراسله بسیل و بذل له الأمان علی نفسه و من معه فی الحصن، و أن یعطیه مالا و ثیابا علی تسلیمه، فسکن إلی ذلک و سلمه، و وفی له بسیل بجمیع ما بذله من المال و الأمان و العطاء، فرتب فی الحصن نوابه و ثقاته، و سار قاصدا إلی طرابلس الشام، و افتتح فی طریقه حمصا، و سبی منها و من رفنیه و أعمالها ما یزید علی [عشره آلاف ثم نزل علی](1) ثغر طرابلس، و هو بری بحری متین القوه و الحصانه شدید الامتناع علی منازله، و أقام علیه نیفا و أربعین یوما یحاول افتتاحه أو وجود فرصه فی تملکه، فلم یتم له فیه أمر و لا مراد فرحل عنه قافلا إلی بلاد الروم.

و انتهت الأخبار بذلک إلی العزیز بالله فعظم ذلک علیه، و أمر بالاستنفار إلی الجهاد و النداء فی الغزاه و سائر الأجناد فنفر الناس، و خرج مستصحبا لجمیع عساکره و ما یحتاج إلیه من عدده و أمواله و ذخائره، و معه توابیت آبائه و أجداده علی العاده فی مثل هذه الحال، و قیل إن کراعه کان یزید علی عشرین ألف رأس خیلا و بغالا و جمالا و حمیرا، و سار مسافه

1- زید ما بین الحاصرتین من مرآه الزمان(حوادث سنه 381) لمزید من التفاصیل حول حصار طرابلس انظر تاریخ یحیی بن سعید: 176.

عشره فراسخ فی مده سنه حتی نزل بلبیس(1) و أقام بظاهرها، و عارضته علل مختلفه من نقرس و قولنج و حصی فی المثانه، و اشتد به الأمر و کان (31 ظ) الأطباء إذا عالجوا مرضا من هذه الأمراض بدوائها زاد فی قوه الأخری و استحکامها و کان محتاجا إلی الحمام لأجل القولنج و لم یکن فی منزله إلا حمام لرجل من أهلها، فاشتد به فیه و بات للضروره فیه و أصبح و القوه تضعف و الألم یشتد و یتضایق إلی أن قضی نحبه فی الحمام، یوم الاثنین الثامن و العشرین من شهر رمضان سنه ست و ثمانین و ثلاثمائه، و عمره إثنتان و أربعون سنه، و نقش خاتمه «بنصر العلیم الغفور ینتصر الامام أبو منصور» و مولده فی القیروان سنه إحدی و أربعین و ثلاثمائه، و مده أیامه إحدی و عشرین سنه و سته أشهر و أربعه و عشرین یوما، و کان حسن السیره مشتغلا بلذاته محبا للصید متغافلا عن النظر فی کثیر مما کان أسلافه ینظرون فیه من إظهار علم الباطن و حمل الناس علیه، و توفی رحمه الله و هو مستمر علی ذلک.

ثم ولی الأمر بعده ولده أبو علی المنصور الحاکم بأمر الله، و کان معه، فعهد إلیه فی الأمر، ورد تدبیر أمره إلی برجوان الخادم مربیه و حاضنه، و کان عهد إلیه أمر الحرم و القصور لثقه العزیز به، و سکونه إلیه، و وصی إلیه بما اعتمد فیه علیه، و حدثت ست الملک ابنه العزیز نفسها بالوثوب علی الأمر و اجلاس ابن عمها عبد الله، و کانت مسماه علیه، فأحس برجوان بذلک فقبض علیها و حملها مع ألف فارس إلی قصرها بالقاهره، و دعا الناس إلی بیعه الحاکم و أحلفهم علی الطاعه، و أطلق الأرزاق و ذلک فی شهر رمضان سنه ست و ثمانین و ثلاثمائه و انکفأ الحاکم من المخیم إلی قصره بالقاهره و عمره عشر سنین و سته أشهر.

و تقدم أبو محمد الحسن بن عمار، و کان شیخ کتامه و سیدها و لقب بأمین الدوله و هو أول من لقب فی دوله مصر، و استولی علی الأمر و بسط

1- قصبه الحوف فی مصر و لها أشجار و نخیل کثیر. تقویم البلدان: 118- 119.

یده فی الإطلاق و العطاء و الصلات بالأموال و الثیاب و الحباء و تفرقه الکراع، و کان فی القصر عشره آلاف جاریه و خادم، فبیع منهم من اختار البیع، و أعتق من سأل العتق، و وهب من الجواری لمن أحب و آثر، و انبسطت کتامه و تسلطوا علی العامه و مدوا أیدیهم إلی حرمهم و أولادهم، و غلب الحسن بن عمار علی الملک، و کتامه علی الأمور، و هم الحسن بقتل الحاکم (32 و) و حمله علی ذلک شیوخ أصحابه، و قالوا: لا حاجه لنا إلی إمام نقیمه و نتعبد له، فحمله صغر سنه و الاستهانه بأمره علی إقلال الفکر فیه، و أن قال لمن أشار علیه بقتله: و ما قدر هذه الوزعه(1) حتی یکون منها ما نخاف، و برجوان فی أثناء ذلک یحرس الحاکم و یلازمه و یمنعه من الرکوب، و لا یفسح له فی مفارقه الدور و القصور، و قد کان شکر العضدی اتفق مع برجوان و عاضده فی الرأی و الفعل، و صارا علی کلمه سواء فی کل ما ساء و سر، و نفع و ضر، و تظاهرا علی حفظ الحاکم فی وصاه والده العزیز به إلی أن تمت السلامه لهما فیه.

و أما منجوتکین و ما کان منه بعد نوبه الروم فإنه أقام بدمشق علی حاله فی ولایتها، و زاد أمر الحسن بن عمار و کتامه، و قلت مبالاتهم بالسلطان، فکتب برجوان إلی منجوتکین یعرفه استیلاء المذکورین علی الأمور و غلبتهم علی الأموال و تعدیهم علی الحرم و الفروج و قبیح الأعمال و رفعهم المراقبه للخالق و الحشمه من المخلوقین، و إبطالهم رسوم السیاسه و إضاعه حقوق الخدمه، و أنهم قد حصروا الحاکم فی قصره و حالوا بینه و بین تدبیر أمره، و یدعوه إلی مقابله نعمه مولاه العزیز عنده بحفظه ولده، و الوصول إلی مصر و قمع هذه الطائفه الباغیه، و قال: إن الدیلم و الأتراک و العبید الذین علی الباب یساعدونه علی ما یحاول فیهم، و یکونون معه أعوانا علیهم، فامتثل منجوتکین ما فی الکتاب عند وقوفه علیه، و سارع إلیه، و رکب إلی المسجد الجامع فی

1- دویبه صغیره من الزواحف سامه برصاء. لسان العرب

السواد، و جمع القواد و الأجناد و مشايخ البلد و أشرافه و فيهم موسى العلوى، و له التقدم و الميزه، و أذكرهم بحقوق العزيز و ما كان منه من الاحسان إلى الخاص و العام، و حسن السيره فى الرعيه، و اعتقاد الخير للكافه، و خرج من ذلک إلى ذكر ما له عليه من حقوق الاصطناع و التقدم و الاصطفاء، و التعزير(1) للتنويه باسمه و ما يلزمه فى خدمته حيا و ميتا، و مناصحته معدوما و مفقودا و موجودا، و قال: و إذ قبضه الله إليه و نقله إلى ما اختاره له و ارتضاه، و حكم به و أمضاه، فإن حقوقه قد انتقلت إلى نجله و سليله الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، و هو اليوم ولى النعمه و قائم مقام العزيز بالله رحمه الله، فى استحقاق الطاعه و المناصحه (32 ظ) و الخدمه، و قد تغلب على الملک الحسن بن عمار و كتامه، و صار إخواننا المشارقه بينهم كالذمه بين المسلمين، و ما يسعنا الصبر على هذه الصوره و تسليم الدوله إلى هذه العصابه المتسلطه، و خرق ثيابه السود، و بكى البكاء الشديد، فاقتدى الناس فى تخريق الثياب و البكاء، ثم قالوا: ما فينا إلا سامع لک مطيع لأمرک و مؤثر ما تؤثر و باذل مهجته فى طاعه الحاكم و خدمته و خدمتک، و مهما رسمت لنا من خدمه و بذل نفس و مكنه كنا إليه مسارعين، و لأمرک فيه طائعين إلى أن تبلغ مناک و تدرک مبتغاک فى نصره مولانا، فشكرهم على هذا المقال و قوى عزائمهم و آراءهم على المتابعه له، و العمل بما يوافقه، و عاد إلى داره و وضع العطاء فى الرجال، و برز إلى ظاهر دمشق، و قد اشتملت جريده الاثبات على سته آلاف من الأجناد السائرين معه خيلا و رجلا، و كتب إلى الحسن بن عمار على أجنحه الطيور و مع أصحاب البريد بشرح ذلک الحال.

فلما وقف على الخبر عظم عليه و قلق، و جمع وجوه كتامه، و أعاد عليهم ما ورد من خبر منجوتكين، و ما هو مجمع عليه فى بابهم، و قال:

1- الاعانه و التوفير و النصر و منع الجانى أن يعاود الذنب- النهايه لابن الأثير.

ما الرأى عندكم؟ قالوا: نحن أهل طاعتک و المسارعون إلى العمل باشارتک، و أظهر أن منجوتکین قد عصى على الحاکم و جرى مجرى ألفتکین المعزى البویهى، و ندب الناس لقتاله و تقدم إلى الخزان فى خزائن أموال العزیز بإطلاق الأموال، و إلى العراض(1) بتجرید الرجال و الإنفاق فیهم، و أحضر برجوان و شکر العضدى و قال لهما: أنا رجل شیخ، و قد کثر الکلام علىّ و القول فىّ، و مالى غرض إلا فى حفظ الأمر للحاکم، و مقابله اصطناع العزیز و إحسانه إلىّ، و أرید مساعدتکما و معاضدتکما، و أن تحلفا لى على صفاء النیه و خلوص العقیده و الطویه، فدعتهما الضروره إلى الانقیاد له و الإجابه إلى ما سأله منهما، و استأنف معهما المفاوضه و المشاوره و الاطلاع لهما على مجارى الأمور و وجوه التدبیر فى الجمهور و استماله المشارقه.

و ندب أبا تمیم سلمان بن جعفر بن فلاح، و قدمه و جعله اسفهسلار الجیش، و أمره بالمسیر إلى الشام، و أطلق له کل ما التمسه من المال و العدد و الرجال و السلاح و الکراع، و أسرف فى ذلک إلى حد لم یقف عنده، و جرد (33 و) معه سته عشر ألف رجل من الخیل و الرجال و برز إلى عین شمس و کان عیسى بن نسطورس الوزیر على حاله فى الوزاره، فبلغ ابن عمار عنه ما أنکره، فقبض علیه و نکبه، و قتله، و سار سلمان بن فلاح من مصر، و رحل منجوتکین إلى الرمله فملکها و أخذ أموالها، فتقوى بها، و کان معه المفرج بن دغفل بن الجراح، و سنان بن علیان(2)، و نزل سلمان عسقلان، و سار منجوتکین حتى نزل بظاهرها، و تقابل الجیشان، فلما کان بعد ثلاثه أیام من تقاربهما ضرب کل واحد منهما مصاف عسکره، و عمل على مناجزه صاحبه، و استأمنت العرب من أصحاب ابن جراح و ابن علیان إلى سلمان، فاستظهر و قتل من

1- کانت وظیفه العارض من أهم الوظائف العسکریه.
2- أمیر قبائل کلب، و سیرد المزید من أخباره.

أصحاب منجوتكين أربعه قواد فى وقت واحد، و انهزم منجوتكين و قتل من الديلم عده كثيره لأنهم لجأوا عند الهزيمه إلى شجر الجميز و اختفوا به، فكان المغاربه ينزلونهم منهم و يقتلونهم تحتها، و أحصيت القتلى، فكان من أصحاب منجوتكين ألفى رجل.

و سار سلمان إلى الرمله و قد امتلأت أيدى أصحابه من الغنائم و الأموال و الكراع، و بذل لمن يحضر منجوتكين عشره آلاف دينار و مائه ثوب، فانبثت العرب فى طلبه، و أدركه على بن الجراح، فأسره و حمله إلى سلمان، فأخذه منه و أعطاه ما بذل له، و حمله مع رؤوس القتلى من أصحابه إلى مصر، فشهرت الرؤوس و أبقى على منجوتكين الحسن بن عمار و اصطنعه، و استمال المشارقه به، و نزل سلمان طبريه.

و كان أهل دمشق قد أثاروا الفتنه، و نهبوا دار منجوتكين و خزائنه و ما فيها من مال السلطان و عدده، فأنفذ أخاه عليا إليها فى خمسه آلاف رجل، فلما وصلها ناوش أهلها و ناوشوه، و اعتصموا بالبلد، و منعوا الدخول إليه، و كتب إلى سلمان أخيه يعلمه مخالفتهم و عصيانهم، و يستأذنه فى منازلتهم و قتالهم، فأذن له فى ذلک و أعلمه مسيره إليه، و كتب إلى موسى العلوى و الأشراف و الشيوخ بالإنكار عليهم بتسلط العامه فيما ارتكبوه من النهب و الافساد، و تقاعدهم عن الأخذ على أيديهم و الردع لهم، و التوعيد بالمسير إليهم، و المقابله لهم بما يقتضيه الرأى، فلما وقفوا على ما ذكره، خافوا و خرجوا إلى أخيه على، و لقوه و أعلموه أنهم على الطاعه و الإنكار لما أجرى إليه (33 ظ) الجهاله، فركب على و حارب أهل دمشق و زحف إلى باب الحديد و النفاطون معه، فانهزموا منه، و ملک البلد، و طرح النار فى الموضع المعروف بحجر الذهب، و هو أجل موضع فى البلد، و قتل خلقا من رجاله، و عاد بعد ذلک إلى معسكره، و وافى من غد أخاه سلمان فى عسكره، فأنكر عليه إحراق ما أحرق، و بلوغه فى الإفساد ما بلغ، و تلقاه الأشراف و الشيوخ

و الناس، و شكوا إليه ما لحقهم و تلف من دورهم و أملاكهم و أموالهم، فأمنهم، و كف المغاربه عنهم، و أظهر اعتقاده الجميل فيهم، و كتب المناشير بالصفح عن الجناه و إيمان الكبير و الصغير منهم، و رفع الكلف و المؤن عنهم، و إفاضه العدل و الانصاف فيهم، و قرئت فى المسجد الجامع على رؤوس الأشهاد، فسكنت إلى ذلک النفوس، و اطمأنت به القلوب، و رجعوا إلى ما كانوا عليه، و اختلط المغاربه بهم و ركب القائد سلمان إلى الجامع فى يوم الجمعه بالطيلسان على البغل السندى، و خرق فى البلد بالسكينه و الوقار و بين يديه القراء، و قوم يفرقون قراطيس دراهم الصدقات على أهل المسكنه و الحاجه، و كان لهذا القائد سلمان نفس واسعه و صدر رحب، و قدم فى الخير متقدمه، و رغبه فى الفعل الجميل مشهوره، و مقاصد فى الصلاح مشكوره بعد الحسن بن عمار، و لما صلى عاد إلى القصر الذى بنى بظاهر البلد، و نزل فيه و قد استمال قلوب الرعيه و العامه بما فعله و أظهره من حسن النظر فى الظلامات المرفوعه إليه، و إطلاق جماعه كانت فى الحبوس من أرباب الجرائم المتقدمه و الجنايات السالفه، و استقام له الأمر و استقرت على الصلاح الحال، و صلحت أحوال البلد و أهله بما نشر فيه من العدل و حكم به من الإنصاف، و أحسنه من النظر فى أمور السواحل بصرف من صرفه من ولاتها الجائرين، و استبدل بهم من شيوخ كتامه و قوادها، ورد إلى على أخيه ولايه طرابلس الشام، و صرف عنها جيش بن الصمصامه، فمضى جيش المذكور إلى مصر من غير أن يقصد القائد سلمان و يجتمع معه.

و كان جيش هذا من شيوخ كتامه أيضا، إلا أن سلمان كان سى ء الرأى فيه لعداوه بينه و بينه، فلما حصل جيش بمصر (34 و) قصد برجوان سرا و طرح نفسه عليه، و أعلمه بغض أهل الشام للمغاربه و استيحاشهم منهم، فأولاه برجوان الجميل قولا و وعدا، و بذل له المعونه على أمره، و تأمل برجوان ما يلى به فى الأحوال من الحسن بن

عمار و كتامه، و ما خافه على نفسه منهم، و أن مصر و القاهره قد خلتا إلا من العدد الأقل منهم، و امكنته الفرصه فيما يريده منهم فراسل الأتراک و المشارقه، و قال لهم: قد عرفتم صورتكم و صوره الحاكم مع هؤلاء القوم، و أنهم قد غلبوا على المال، و غلبوكم، و متى لم ننتهز الفرصه فى قله عددهم، و ضعف شوكتهم، سبقوكم إلى ما لا يمكنكم تلافيه بعد التفريط فيه و استدراک الغايه منه، و أوثقهم على الطاعه و المساعده فبذلوها له و وثقوا له فى كل ما يريده، و أحس الحسن بن عمار ما يريد برجوان، و شرع فيه و فى الفتک به، و سبقه إلى ما يحاوله فيه، و رتب له جماعه فى دهليزه، و وافقهم على الإيقاع به و بشكر إذا دخلا داره، و كان لبرجوان عيون كثيره على الحسن بن عمار، فصاروا إليه و أعلموه ما قد عمل عليه، و اجتمع برجوان و شكر و تفاوضا الرأى بينهما فى التحرز مما بلغهما و قررا أن يركبا، و يركب على إثرهما من الغلمان جماعه، «فإن أحسوا و أحسينا على باب الحسن ما يريبنا رجعنا و فى ظهورنا من يمنع منا» فرتبا هذا الأمر و ركبا إلى دار الحسن، و كانت فى آخر القاهره مما يلى الجبل، فلما قربا من الباب بانت لهما شواهد ما أخبرا به فحذرا و عادا مسرعين، و جرد الغلمان الذين كانوا معهما سيوفهم، و دخلا إلى قصر الحاكم يبكيان لديه و يستصرخان به، و ثارت الفتنه و اجتمع الأتراک و الديلم و المشارقه و عبيد الشراء بالسلاح على باب القصر، و برجوان يبكى و يقول لهم: يا عبيد مولانا احفظوا العزيز فى ولده، و ارعوا فيه ما تقدم من حقه، و هم يبكون لبكائه.

و ركب الحسن بن عمار فى كتامه و من انضاف إليهم من القبائل، و غيرهم و خرج إلى الصحراء و تبعوه و تبعه وجوه البلد، فصار فى عدد كثير، و فتح برجوان خزائن السلاح، و فرقه على الغلمان و الرجال، و أحدقوا و من معهم بالقصر من المشارقه و العامه (34 ظ) بقصر الحاكم، و على أعلاه الخدم و الجوارى يصرخون، و برز منجوتكين و بارجتكين

و ينال الطويل، و خمسمائه فارس من الغلمان، و وقعت الحرب بينهم و بين الحسن إلى وقت الظهر، و حمل الغلمان عليه، فانهزم، و زحفت العامه إلى داره فنهبوها، و فتحوا خزائنه، و تفرقوا ما فيها، و التجأ الحسن إلى بعض العامه فاستتر عنده، و تفرق جميع من كان معه، و فتح برجوان باب القصر، و أجلس الحاكم و أوصل إليه الناس، و أخذ له بيعه مجدده على الجند، فما اختلف عليه أحد و كتب الأمانات لوجوه كتامه و قواد الدوله، و راسلهم بما تطيب به نفوسهم من إقامه عذرهم فيما كان منهم، فحضرت الجماعه و أعطت أيمانها على السمع و الطاعه، فاستقام الأمر لبرجوان، و كتب الكتب إلى أشراف دمشق و وجوه أهلها، يأمرهم بتطييب نفوسهم، و يبعثهم على القيام على القائد أبى تميم سلمان بن جعفر بن فلاح و الإيقاع به، و كتب إلى مشارقه الأجناد بالاجتماع معهم على المذكور و الإعانه لهم عليه.

شرح أسباب ولايه القائد سلمان بن فلاح المقدم ذكره لدمشق و ما آلت إليه حاله و حال أخيه فى ذلک فى سنه سبع و ثمانين و ثلاثمائه

قد تقدم من شرح ولايه القائد المذكور لدمشق، و السبب لذلک، و ما آلت الحال إليه ما فى معرفته الغناء و الكفايه، و لما وردت المكاتبات من مصر عقيب انجلاء فتنه القائد أبى محمد الحسن بن عمار شيخ كتامه بتجديد البيعه للحاكم بأمر الله بما يطيب قلوب أهل البلد، و يبعثهم على الوثوب على سلمان، و كان هذا القائد المذكور مشهورا بالكفايه و الغناء، و توقد اليقظه فى أحواله و المضاء، لكنه كان مستهترا بشرب الراح و استماع الغناء، و التوفر على اللذه، و لما وردت الملطفات(1) المصريه بما اشتملت عليه فى حقه و هو منهمک فى لهوه لم يشعر إلا بزحف العامه و المشارقه إلى قصره و هجومهم عليه، فخرج هاربا على ظهر فرسه، فنهبت خزائنه و أمواله و عدده، و أوقعوا بمن كان فى البلد معه من كتامه، و قتلوا منهم عده وافره، و عادت الفتنه ثائره، و اقتسم رؤساء الأحداث حال البلد، و كان يكتب لبرجوان فهد ابن إبراهيم النصرانى، فلما صار الأمر (35 و) إليه استوزره، و كان من أبناء القبط بريف مصر، و استكتب أبا الفتح أحمد بن أفلح على ديوان الرسائل، و لم يزل برجوان يتلطف للحسن بن عمار إلى أن أخرجه من استتاره، و أعاده إلى داره و أجراه على رسمه فى راتبه و اقطاعاته بعد أن شرط عليه إغلاق بابه، و ألا يداخل نفسه فيما كان يداخلها فيه، و لا يشرع فى فساد على الحاكم، و لا على برجوان، و أخذ العهد عليه بذلک و استحلفه بأوكد الأيمان و بالغ فى التوثق منه.

و كان أهل صور فى هذه السنه التى هى سنه سبع و ثمانين قد عصوا

1- فى الأصل:« المطلقات» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا، و الملطفات الرسائل السريه.

و أمروا عليهم رجلا ملاحا من البحريه يعرف بالعلاقه، و قتلوا أصحاب السلطان. و اتفق أن المفرج بن دغفل قد نزل على الرمله و نهب ما كان فى السواد، و أطلق يد العيث فى البلاد، و انضاف إلى هاتين الحادثتين خروج الدوقس عظيم الروم فى عسكر كثير إلى الشام، و نزوله على حصن أفاميه، فاصطنع برجوان القائد جيش بن الصمصامه، و قدمه و جهز معه ألف رجل، و سيره إلى دمشق و أعمالها و بسط يده فى الأموال، ورد إليه تدبير الأعمال، فسار جيش و نزل على الرمله و الوالى عليها وحيد الهلالى و معه خمسه آلاف رجل، و وافاه ولاه البلد و خدموه و صادف القائد أبا تميم سلمان بن فلاح فى الرمله فقبض عليه قبضا جميلا، و ندب أبا عبد الله الحسن بن ناصر الدوله ياقوت الخادم و من معه من عبيد الشراء لقصد صور و منازلتها و فتحها، و كان قد ولى جماعه من الخدم السواحل، و أنفذوا إليها، و أنفذ فى البحر تقدير عشرين مركبا من الحربيه المشحونه بالرجال إلى ثغر صور، و كتب إلى على بن حيدره والى طرابلس بالمسير إليه فى أصطوله، و إلى ابن الشيخ والى صيدا بمثل ذلک، و إلى جماعه من الجهات بحيث اجتمع الخلق الكثير على باب صور، و وقعت الحرب بينهما و بين أهلها، و استجار العلاقه بملک الروم، و كاتب يستنصره و يستنجده، و أنفذ إليه عده مراكب فى البحر مشحونه بالرجال المقاتله، و التقت هذه المراكب مراكب المسلمين فاقتتلوا فى البحر قتالا شديدا، فظفر المسلمون بالروم، و ملكوا مركبا من مراكبهم و قتلوا من فيه، و كانت عدتهم (35 ظ) مائه و خمسين رجلا، و انهزمت بقيه المراكب، فضعفت نفوس أهل صور، و لم يكن لهم طاقه بمن اجتمع عليهم من العساكر برا و بحرا، و نادى المغاربه: «من أراد الأمان من أهل الستر و السلامه فليلزم منزله»، فلزموا ذلک، و فتح البلد، و أسر العلاقه و جماعه من أصحابه، و وقع النهب و أخذ من الأموال و الرجال الشى ء الكثير، و كان هذا الفتح أول فتح على يد برجوان

الحاکمی و حمل العلاقه و أصحابه إلی مصر، فسلخ حیا و صلب بظاهر المنظر(1)، بعد أن حشی جلده تبنا و قتل أصحابه.

و ولی أبو عبد الله الحسن بن ناصر الدوله بن حمدان صور، و أقام بها و سار جیش بن الصمصامه علی مقدمته بدر بن ربیعه لقصد المفرج بن دغفل بن الجراح و طلبه، فهرب بین یدیه حتی لحق بجبلی طی ء(2) و تبعه حتی کاد یأخذه، ثم رماه ابن جراح بنفسه و عجائز نسائه، و عاذ منه بالصفح و طلب الأمان فأمنه، و شرط علیه ما التزمه، و عفا عنه جیش، و کف عنه و استحلفه علی ما قرره معه، و عاد إلی الرمله و رتب فیها والیا من قبله، و انکفأ إلی دمشق طالبا لعسکر الروم النازل علی أفامیه، فلما وصل إلی دمشق استقبله أشرافها و رؤساء أحداثها مذعنین له بالطاعه، فأقبل علی رؤساء الأحداث و أظهر لهم الجمیل، و نادی فی البلد برفع الکلف و اعتماد العدل و الإنصاف، و إباحه دم کل مغربی یتعرض لفساد، فاجتمع إلیه الرعیه یشکرونه و یدعون له، و سألوه دخول البلد و النزول فیه بینهم، فأعلمهم أنه قاصد الجهاد فی الروم، و أقام ثلاثه أیام و خلع علی رؤساء الأحداث و حملهم و وصلهم و نزل حمص، و وصل إلیه أبو الحسن عبد الواحد بن حیدره فی جند طرابلس و المتطوعه من عامتها، و توجه إلی الدوقس عظیم الروم النازل علی حصن أفامیه فصادف أهله قد اشتد بهم الحصار و بلغ منهم عدم الأقوات، و انتهی أمرهم إلی أکل الجیف و الکلاب، و ابتاع واحد واحدا بخمسه عشرین درهما، فنزل بإزاء الروم و بینه و بینهم النهر المعروف بالمقلوب، و التقی الفریقان و تنازعا الحرب، و المسلمون فی عشره آلاف رجل و معهم ألف فارس من (36 و) بنی کلاب فحمل الروم علی

1- انظر اتعاظ الحنفا للمقریزی: 2/ 18- 19، 3/ 268.
2- أجأ و سلمی شرقی مدینه الرسول صلی الله علیه و سلم و یمر بهما حجاج الکوفه- تقویم البلدان: 67- 68.

القلب و فيه بدر العطار و الديلم و السواد فكسروه، و وضعوا السيف فى من كان فيه، و انهزمت الميسره و فيها ميسور الصقلبى والى طرابلس، و لحقتها الميمنه و فيها جيش بن محمد بن الصمصامه المقدم و وحيد الهلالى، و ركب الروم أقبيه المسلمين، و قتلوا منهم ألفى رجل، و استولوا على سوادهم و سلاحهم و كراعهم، و مال بنو كلاب على أكثر من ذلك فانتهبوه، و ثبت بشاره الاخشيدى فى خمسمائه غلام، و شاهد أهل أفاميه من المسلمين ما نزل بالناس فأيقنوا بالهلاک، و ابتهلوا إلى الله الكريم اللطيف بعباده، و سألوا الرحمه و النصر، و كان ملک الروم قد وقف على رابيه بين يديه ولدان له، و عشره نفر من غلمانه، ليشاهد ظفر عسكره و أخذه ما يأخذه من الغنائم، فقصده كردى يعرف بأبى الحجر أحمد بن الضحاک السليل على فرس جواد، و عليه كزاغند و خوذه و بيده اليمنى خشت(1) و باليسرى العنان و خشت آخر، فظنه الدوقس مستأمنا له و مستجيرا به، فلم يحفل به و لا تحرز منه، فلما دنا منه حمل عليه و الدوقس متحصن بلأمته فرفع يده ليتقى ما يرميه به فرماه بالزوبين(2) الذى فى يمناه رميه أصابت خللا فى الدرع، فوصل إلى جسده، و تمكن منه فى أضلاعه فسقط إلى الأرض ميتا، و صاح الناس: «إن عدو الله قد قتل، فانهزمت الروم، و تراجع المسلمون، و عادت العرب، و نزل من كان فى الحصن فأعانوهم و استولى المسلمون على الروم فقتلوهم و أسروهم، و كانت الوقعه فى مرج افيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه إلا رجل واحد فى إثر رجل، و من جانبه بحيره أفاميه و نهر المقلوب، فلم يكن للروم مهرب فى الهزيمه، و تصرم النهار و قد احتز من رؤوس القتلى عشره آلاف رأس، و بات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بما منحهم الله إياهم من الكفايه و وهب لهم من

1- الكزاغند كلمه مركبه من: كز أو قز و هو الحرير، و غند مبطن، و الكزاغند ثوب حريرى أو قطنى مبطن يلبسه المقاتل لوقايه جسمه، و الخشت هو نبل قصير أو ما يشبه الحربه القصيره.
2- حربه قصيره ذات حدين.

الظفر، و وافى العرب من غد بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمه، فمنهم من رد و منهم من باع بالثمن البخس لأن جيش بن الصمصامه المقدم نادى فى معسكره بألا يبتاع أحد من العرب إلا ما عرفه، و كان مأخوذا منه فلم (36 ظ) يجد إلا ما أخذه أصحابه، و حصل ولدا الدوقس فى أسر بعض المسلمين، فابتاعهما جيش بن الصمصامه المقدم منه بسته آلاف دينار و أخذهما إليه، و أقام على حصن أفاميه أسبوعا، و حمل إلى مصر عشره آلاف رأس و ألفى رجل من الأسرى إلى باب أنطاكيه، و نهب الرساتيق، و أحرق القرى و انصرف منكفئا إلى دمشق، و قد عظمت هيبته فاستقبله أشرافها و رؤسائها و أحداثها مهنئين و داعين له، فتلقاهم بالشمسيه و زادهم من الكرامه و خلع عليهم [و على](1) وجوه الأحداث، و حملهم على الخيل و البغال، و وهب لهم الجوارى و الغلمان، و عسكر بظاهر البلد، و خاطبوه فى الدخول و الجواز فى الأسواق، و قد كانوا زينوها إظهارا للسرور به، و التقرب إليه، فلم يفعل، و قال: معى عسكر و إن دخلت دخلوا معى، و لم آمن من أن يمدوا أيديهم إلى ما يثقل به الوطأه منهم، و التمس أن يخلوا له قريه على باب دمشق تعرف ببيت لهيا(2) ليكون نزوله بها فأجابوه إلى ذلک.

1- زيد ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق.
2- قال عنها ياقوت فى معجمه: قريه مشهوره بغوطه دمشق، و ذكرها كرد على فى كتابه« غوطه دمشق» ص: 224 فقال: تسمى بيت ألاهيه، كانت من أعمر القرى، أشبه ببلده، و هى على طريق بغداد القديم بين البساتين حوالى جسر ثوره، فى البقعه التى يقوم عليها المستشفى الانكليزى فى القصاع- مستشفى الزهراوى حاليا.

ولایه بشاره الإخشیدی لدمشق فی سنه ثمان و ثمانین و ثلاثمائه

اشاره

و السبب الداعی إلی ذلک و ما آلت إلیه الحال لما تقرر الحال بمصر مع برجوان الحاکمی علی تجهیز جیش بن الصمصامه إلی الشام، لتلافی ما حدث فیه، و تدبیر الأعمال و تسدید الأحوال و الدفع لشر الروم الواصلین إلی أعماله، اقتضت الحال و السیاسه رد ولایه دمشق بعد إخراج القائد أبی تمیم سلمان بن جعفر ابن فلاح منها علی ما تقدم الذکر له إلی القائد بشاره الاخشیدی، فسار و وصل إلیها و دخلها و نزل فی قصر الولاه(1) بها، و شرع فی البناء فیه، علی عاده الولاه فی ذلک فی یوم الاثنین النصف من شوال سنه ثمان و ثمانین و ثلاثمائه و توجه القائد بشاره الوالی المذکور مع جیش بن الصمصامه إلی الجهاد فی الروم، فلما أظفر الله بهم، و نصر علیهم، و انکفأ المسلمون منصورین ظافرین مسرورین، و عاد بشاره الوالی فی الجمله، صادف الأمر و قد ورد من مصر بصرف القائد بشاره عن ولایه دمشق و إقرارها علی القائد جیش بن محمد (37 و) بن الصمصامه(2).

شرح السبب فی ذلک و ما انتهت إلیه حاله و کان مآله

قد تقدم شرح السبب فی إخراج القائد جیش فی المعسکر من مصر إلی الشام ما کفی و أغنی، و ما کان منه فی التدبیر فی افتتاح ثغر صور، و کسر عسکر الروم، و العود إلی دمشق و صرف بشاره عن ولایتها.

1- من المرجح أنه بنی فی موقع الدکه علی نهر یزید فی سفح جبل قاسیون. انظر مجله الحولیات م 22- 23 ص: 40- 43.
2- انظر ملاحق کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 306- 308، 345- 348، حیث ترجمه لکل من بشاره الاخشیدی و جیش بن الصمصامه نقلا عن المقفی للمقریزی.

و اتفق ذاک و قد قوض الصيف خيامه، و طوى بعد النشر أعلامه، و الشتاء قد أقبل بصره و صريره و قره و زمهريره، فالتمس من أهل دمشق على ما تقدم ذكره اخلاء(1) بيت لهيا، فأجيب إلى ما طلب، فنزل فيها و شرع فى التوفر على استعمال العدل، و رفع الكلف و احسان السيره و المنع من الظلم، و استخص رؤساء الأحداث و قدمهم و استحجب جماعه منهم، و جعل يعمل لهم السمط فى كل يوم يحضرهم للأكل عنده و يبالغ فى تأنيسهم و استمالتهم بكل حال، فلما مضت على ذلک برهه من الزمان أحضر قواده و وجوه أصحابه، و تقدم إليهم بالكون على أهبه و استعداد لما يريد استخدامهم، و توقع لما يوصل إليهم من رقاعه المختومه بخاتمه و العمل به، و قسم البلد و كتب إلى كل قائد بذكر الموضع الذى يدخل فيه، و يضع السيف فى مفسديه، ثم رتب فى حمام داره مائتى راجل من المغاربه بالسيوف، و تقدم إلى المعروف بالباهرى العلوى و كان من خواصه و ثقاته بأن يراعى حضور رؤساء الأحداث الطعام فإذا أكلوا و قاموا إلى المجلس الذى جرت عادتهم بغسل أيديهم فيه أغلق عليهم بابه، و أمر من رتب فى الحمام بوضع السيف فى أصحابهم، و كان كل رجل منهم يدخل و معه جماعه من الأحداث معهم السلاح، و حضر القوم على رسمهم، فبادر جيش بالرقاع إلى قواده، و جلس معهم للأكل، فلما فرغوا نهض فدخل فى حجرته و نهضوا إلى المجلس و أغلق الفراشون بابه، و كانت عدتهم اثنى عشر رجلا يقدمهم المعروف بالدهيقين، و خرج من بالحمام فوضعوا السيف فى أصحابهم فقتلوهم بأسرهم، و كانوا تقدير مائتى رجل، و ركب القواد و دخلوا البلد و قتلوا فيه (37 ظ) قتلا ذريعا و ثلموا السور من كل جانب، و فتحوا أبوابه و رموها، و أنزل المغاربه دور الدمشقيين، و جرد إلى الغوطه و المرج قائدا يعرف بنصرون و أمره بوضع السيف فى من بها من الأحداث، فيقال أنه قتل ألف رجل منهم لأنهم كانوا كثيرين، و دخل

1- موقع حى القصاع الحالى بدمشق.

دمشق فطافها فاستغاث الناس و سألوا العفو و الإبقاء، فكف عنهم و رتب أصحابه المصالح(1) فی المحال و المواضع، و عاد إلی القصر فی وقته فاستدعی الأشراف استدعاء حسن معه ظنهم فیه، فلما حضروا أخرج رؤساء الأحداث فضرب رقابهم بین أیدیهم، و أمر بصلب کل واحد منهم فی محلته، حتی إذا فرغ من ذلک قبض علیهم و حملهم إلی مصر، و أخذ أموالهم و نعمهم، و وظف علی أهل البلد خمسمائه ألف دینار.

و جاءه أمر الله تعالی الذی لا یدفع نازله، و لا یرد واصله، فهلک، و کان سبب هلاکه ناسور خرج فی سفله، و لم یزل یستغیث من الألم، و یتمنی الموت و یطلب أن یقتل نفسه فلا یتمکن و لا یمکن، و یسأل فی قتله فلا یقتل إلی أن هلک علی هذه الحال(2)، و کانت مده هذه الولایه و الفتنه تسعه شهور، و قیل إن عده من قتل من الأحداث ثلاثه آلاف رجل.

و انتهی الخبر إلی مصر بهلاکه، فقلد ولده محمد بن جیش مکانه(3)، و قد استقامت الأمور بمصر و الشام، و استمال برجوان المشارقه و استدعاهم من البلاد، فاجتمع عنده منهم تقدیر ثلاثه آلاف رجل، و کان یواصل النظر فی قصر الحاکم نهاره أجمع إلی أن ینتصف اللیل و یجاوز الانتصاف، و یوفی السیاسه حقها، و بین یدیه أبی العلاء فهد بن إبراهیم من یمشی الأمور و یحسن تنفیذها.

و راسل برجوان بسیل ملک الروم علی لسان أبی العلاء، و دعاه إلی

1- کذا فی الأصل و لعلها مصحفه صوابها« المسالح».
2- روی المقریزی سببا آخر لوفاته فقال: و کان به طرف جذام، فتزاید به حتی تمعط سقط] شعره و رشح بدنه و اسود، ثم اتحتت سحنه وجهه، و داد کله، و نتن جمیع جسده، فصار یصیح: و یحکم اقتلونی، أریحونی، إلی أن هلک یوم الأحد لسبع خلون من ربیع الآخر سنه تسعین و ثلاثمائه، و کان مقامه علی دمشق سته عشر یوما. انظر کتابی: مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه ص: 347.
3- الذی ذکره المقریزی هو أن جیش أوصی بترکته إلی الحاکم، فحملها ابنه أبو عبد الله إلی قصر الخلافه، فقام الحاکم بالاطلاع علی الوصیه و منح ما ترکه جیش لأولاده- المصدر أعلاه: 347- 348.

المهادنه و الموادعه، و حمل إليه هدايا سلک فيها التألف و الملاطفه، فقابل بسيل ذلک منه بأحسن قبول، و تقررت الموادعه عشر سنين، و أنفذ بسيل فی مقابله الهديه ما جری به عاده مثله.

و صلحت الحال مع العرب و أحسن إلی بنی قره و ألزمهم شرائط الطاعه، و سير عسكرا إلی برقه و طرابلس الغرب فأخذها و عول فی ولايتها علی يانس الصقلبی، و كان لفرط اشفاقه علی الحاكم يمنعه من الركوب فی غير وقت ركوبه و العطاء لغير (38 و) مستحقه، و فعل و ذلک يفعله من باب السياسه و الحفظ لنفسه و هيبته و ماله، و هو يسر ذلک فی نفسه(1) أنه من الاساءه إليه و التضيق عليه، و كان مع الحاكم خادم يعرف بزيدان الصقلبی(2) و قد خص به و أنس إليه فی شكوی ما يشكوه من برجوان إليه، و إطلاعه علی ما يسره فی نفسه له، و زاد زيدان فی الحمل عليه و الإغراء به، و قال له فيما قال: إن برجوان يريد أن يجری نفسه مجری كافور الاخشيدی، و يجريک مجری ولد الاخشيدی فی الحجر عليک و الأخذ علی يدک، و الصواب أن تقتله و تدبر أمرک منفردا به، فقال له الحاكم: إذا كان هذا رأيک و الصواب عندک فأريد منک المساعده عليه، فبذلها له، فلما كان فی بعض أيام شهور سنه تسع و ثمانين و ثلاثمائه أشار زيدان علی الحاكم بأن ينفذ إلی برجوان فی وقت الظهر بعد انصرافه إلی داره و تفرق الناس عنه، للركوب إلی الصيد، و أن يقف له فی البستان الذی داخل القصر، فإذا حضر أمر بقتله، فأرسل إليه بالركوب، و قال: أريد أن ترتب الخدم فی جانبی البستان فإنی أقف علی بابه، و أنت بين يدی، فإذا حضر برجوان دخلت البستان و تبعنی و كنت

1- أی الحاكم.
2- كانت وظيفه زيدان حمل المظله، و كانت وظيفه ساميه لما للمظله من مكانه خاصه لدی الخلفاء الفاطميين، ذلک أنها كانت من رموز الامامه الخاصه نبعت فكرتها مما جاء فی أخبار السيره أن النبی صلی الله عليه و سلم كانت تظله غمامه، و ظهر أثر المظله حتی فی الأبنيه الدينيه، و هذا ما شاهدت آثاره فی جامع المهديه فی تونس الذی بنی أيام المهدی الفاطمی.

فی إثره فإذا نظرت إلیک فاضربه بالسکین فی ظهره، و واقف الخدم أن یضعوا علیه، فبینما هما فی الحدیث إذ دخل برجوان، فقال للحاکم: یا أمیر المؤمنین الحر شدید و البزاه فی مثله لا تصید، فقال: صدقت و لکننا ندخل البستان و نطوف فیه ساعه و نخرج، و أنفذ برجوان إلی شکر، و کان قد رکب بأن یسیر مع الموکب إلی المقس، و المقس ظاهر القاهره، و یقف عند القنطره «فإن مولانا یخرج من البستان و یتبعک»، ففعل و دخل الحاکم البستان و برجوان خلفه و زیدان بعده، و کان برجوان خادما أبیض اللون، تام الخلقه، فبدره زیدان فضربه بین أکتافه بسکین أطلعها من صدره، فقال: یا مولانا غدرت، فصاح الحاکم: یا عبید خذوا رأسه، و تکاثر الخدم علیه فقتلوه، و خرج الخدم الکبار مسرعین علی ظهور الخیل إلی الجانب، و بغال الموکب و الجوارح، فردوا جمیعها، فقال لهم شکر: ما السبب فی ذلک؟ فلم یجیبوه، فجاء الناس من هذا الحادث ما لم یکن فی الحسبان، و عاد شکر بالموکب و شهر (38 ظ) الجند سیوفهم، و هم لا یعلمون ما الخبر، غیر أنهم خائفون علی الحاکم من حیله تتم علیه من الحسن بن عمار، و رجع أکثرهم إلی دورهم، فلبسوا سلاحهم و وافوا إلی باب القصر، و تمیز المغاربه و المشارقه و أحدق شکر، و من معه من الأتراک و المشارقه بالقصر، و علا علی شرف القصر الخدم فی أیدیهم السیوف و التراس، و عظم الأمر، و اجتمع القواد و شیوخ الدوله، و أبو العلاء الوزیر علی باب القصر الزمرد، فلما رأی الحاکم زیاده الاختلاط ظهر علی منظره علی الباب، و سلم علی الناس، فترجلوا عن دوابهم إلی الأرض و قبلوها بین یدیه، و ضربت البوقات و الطبول، و فتح باب القصر و استدعی أصحاب الرسائل، و سلمت إلهم رقعه قد کتبها بیده إلی شکر و أکابر القواد، یقول فیها: إننی أنکرت علی برجوان أمورا أوجبت قتله، فالزموا الطاعه و حافظوا علی ما فیها فی رقابکم من البیعه المأخوذه، فلما قرئت علیهم قبلوا الأرض و قالوا:

الأمر لمولانا.

و استدعى الحسين بن جوهر، و كان من شيوخ الدوله فأمر بصرف الناس فصرفهم، و عاد الحاكم إلى قصره، و كل من القواد إلى داره و النفوس خائفه من فتنه تحدث بين المشارقه و المغاربه، و شاع قتل برجوان، و ركب مسعود الحاكمى إلى داره فقبض على جميع ما فيها من أمواله، و جلس الحاكم وقت العشاء الأخير و استدعى الحسن بن جوهر و أبا العلاء فهد بن ابراهيم الوزير(1)، و تقدم إليه بإحضار سائر كتاب الدواوين و الأعمال، ففعل و حضروا و أوصلهم إليه، و قال لهم: إن هذا فهدا كان أمس كاتب برجوان عبدى و هو اليوم وزيرى فاسمعوا له و أطيعوا و وفوه شروطه فى التقدم عليكم، و توفروا على مراعاه الأعمال و حراسه الأموال، و قبل فهد الأرض و قبلوها، و قالوا: السمع و الطاعه لمولانا، و قال لفهد: أنا حامد لک و راض عنک، و هؤلاء الكتاب خدمى فاعرف حقوقهم و أجمل معاملتهم، و احفظ حرمتهم، وزد فى واجب من يستحق الزياده بكفايته و أمانته، و تقدم بأن يكتب إلى سائر ولاه البلاد و الأعمال بالسبب الواجب لقتل برجوان، فكتب بما نسخته بعد التصدير، و ما جرت العاده (39 و) بمثله فى الخطاب:

أما بعد فإن برجوان أرضى أمير المؤمنين حينا فاستعمله، ثم أسخطه فقتله، و أعلمک أمير المؤمنين ذاک لتعلمه و تجرى على سننک الحميد فى خدمته، و مذهبک الرشيد فى طاعته و مناصحته، و تسديد ما قبلک من الأمور، و طالعه بما يتجدد لديک من أحوال الجمهور إن شاء الله.

و نفذت الكتب بذاک، و استقامت الأحوال على سنن الصواب، و زال ما خيف من الاختلال و الاضطراب.

1- حين تسلم برجوان شؤون الدوله مكان ابن عمار صار كاتبه هو أبو العلاء فهد بن ابراهيم بلقب الرئيس. انظر الاشاره إلى من نال الوزاره: 27.

ولايه القائد تميم بن اسماعيل المغربى الملقب بفحل لدمشق فى سنه تسعين و ثلاثمائه

لما هلک جيش بن الصمصامه على ما تقدم الشرح فيه، عقيب إغراقه فى الظلم و إيغاله فى سفک الدماء و الجور، و كان هلاكه فى يوم الأحد لتسع خلون من شهر ربيع الآخر سنه تسعين و ثلاثمائه و كانت مده ولايته التى هلک فيها على ما صح فى هذه الروايه دون ما تقدم ذكره سته عشر شهرا و سته عشر يوما، و انتهى الخبر إلى مصر بذاک، وقع الارتياد لمن يختار لولايتها بعد المذكور، فوقع الاختيار على القائد تميم ابن اسماعيل المغربى الملقب بفحل، فوصل إليها و أقام بها و أمر و نهى و بقى شهورا من سنه تسعين و ثلاثمائه، و عرضت له عله هلک بها و مضى لحال سبيله، فلما انتهى خبر وفاته إلى مصر وقع الاعتماد فى ولايتها على القائد على بن جعفر بن فلاح و قد كان وليها دفعه أولى.

شرح ذلک

وصل القائد على بن جعفر بن فلاح إلى دمشق واليا عليها دفعه ثانيه، فنزل عليها فى يوم السبت لليلتين بقيتا من شوال سنه تسعين و ثلاثمائه و أقام مده يتولى أمرها و يدبر أحوالها على عاده الولاه، إلا أنه لم يبسط يده فى مال و لا تعرض لشى ء من استغلال، ثم اقتضت الآراء بمصر أن يصرف عنها و يبدل بغيره فى ولايتها.

ولایه القائد ختکین الداعی المعروف بالضیف فی سنه اثنتین و تسعین و ثلاثمائه

وصل القائد ختکین الداعی المعروف بالضیف إلی دمشق والیا علیها من قبل الحاکم بأمر الله فی شهر رمضان من السنه، فدبر أمورها و نظر فی أحوال أجنادها، و اقتضی رأیه أن ینقص واجبات الأجناد و یدافع بأعطیاتهم، و یغلطهم و یظهر أمرا من التوفیر فلم یتمکن (39 ظ) من بلوغ مرام، و لا نیل أمل، و اتفق أن یکون القائد علی بن فلاح- المقدم ذکره- مقیما فی عسکره فی الشماسیه بظاهر دمشق، فلما طلبت الأجناد أرزاقها منه، قال لهم: لیس إلیّ من أمر أرزاقکم شی ء، فکان علی تدبیر المال و اطلاق الأرزاق رجل من الکتاب نصرانی یقال له ابن عبدون، فشغب الجند فی العسکر، فثاروا یریدون ابن عبدون، فلحقوا ختکین الوالی فی الطریق فنهاهم عن ابن عبدون و شتمهم، و کان رجلا جاهلا أحمق، فرجع إلیه قوم من الجند فسألوه فلم یجب إلی ما یوافق أغراضهم و یسکن شغبهم، فثارت الفرسان و الرجاله إلی دور الکتاب فانتهبوا ما کان فیها، و نهبوا ما کان فی الکنائس، و اجتمع بعد ذلک جماعه من المشارقه و المغاربه فتحالفوا علی أن یکونوا یدا واحده فی طلب الأرزاق و المنع ممن عساه یطالبهم بما فعلوه، و حلف لهم القائد علی بن فلاح علی کونه معهم و شده منهم، و انتهی الأمر فی ذلک إلی الحاکم فقال: هذا قد عصی و خرج عن مشکور السیاسه، و أمر بصرفه عن الولایه و الاستبدال به، و کتب إلیه بذلک، فرحل عنها بنفر یسیر من أصحابه فی شوال من السنه المذکوره، و بقی العسکر فی دمشق، فاقتضی الرأی الحاکمی رد ولایه دمشق إلی رجل أسود بربری یقال له القائد طزملت بن بکار.

ولایه القائد طزملت بن بکار البربری لدمشق فی بقیه سنه اثنتین و تسعین و ثلاثمائه

وصل القائد طزملت(1) المذکور إلی دمشق والیا علیها من قبل الحاکم بأمر الله فی یوم الأحد لست بقین من ذی القعده من السنه، و کان هذا طزملت عبدا لابن زیری(2) والی القیروان، فولاه طرابلس الغرب فجار علی أهلها، و ظلمهم و أخذ أموالهم، فحصل له منهم مال عظیم، فلما انتهی خبر ظلمه إلی مولاه طلبه و التمس إشخاصه إلی القیروان لکشف الأمر، فخافه و انهزم اشفاقا علی نفسه و ماله، و وصل إلی مصر و حمل بعض ما کان معه إلی الحاکم، فتمکنت حاله عنده، و تأثلت منزلته منه، و ولاه دمشق فأقام والیا علیها إلی المحرم سنه أربع و تسعین و ثلاثمائه فصرف عنها بخادم من خدم الحضره یقال له القائد مفلح اللحیانی و سنشرح حاله فی غیر هذا المکان.

و کان فی سنه ثلاث و تسعین و ثلاثمائه قد اجتمع فی مصر أبو طاهر محمود بن محمد النحوی (40 و) و کان من أهل بغداد، و طرأ إلی مصر- و إلیه دیوان الحجاز- (و) المعروف بابن العداس المصری- و إلیه دیوان الخراج- علی الرفع علی أبی العلاء فهد بن إبراهیم الوزیر و السعایه به إلی الحاکم و عملا عملا بما اقتطعه و ارتفق به، و اشتمل ذلک علی جمله کبیره من المال، و لقیا الحاکم بالعمل و وقفاه علیه، و بذلا له القیام بالأمر و توفیر سته آلاف دینار فی کل سنه، فکان فهد یأخذها

1- کذا فی الأصل و فی مرآه الزمان و عند الصفدی فی کتابه أمراء دمشق- ط. دمشق: 1955، لکن الصفدی نفسه ذکر« و قیل تموصلت» و هذا ما أرجحه لأنه أقرب إلی صیغه الأسماء البربریه.
2- فی الأصل« ابن وفری» و هو تصحیف صوابه ما أثبتنا، و کان صاحب تونس فی هذه الآونه أبو مناد بادیس بن المنصور بن یوسف بن زیری. انظر الخلاصه النقیه فی أمراء افریقیه لمحمد الباجی، ط. تونس: 1283 ه، ص: 46.

لنفسه، فقال لهما: أنا أقبض عليه و أقلدكما النظر فيما كان ينظر فيه، فقالا: لا يتم أمر و لا يمشى لنا عمل و فهد حى مأمول الخروج من محبسه و العود إلى أمره، سيما و كل من بمصر و الشام من الولاه و العمال صنائع برجوان، و قد جرى اصطناعه اياهم على يده، فامتنع عليهما من قبله، و كره قتله، و قال لهما: ما له إلى ذنب فأقتله به! و راجعاه القول و ألحا عليه فيه، فقال: إذا فعلت ما أردتماه فما التوثقه فيما بذلتماه؟ قالا:

أن نكتب خطنا لک بأننا نكفيک أمورک، و نقوم بتمشيتها على مرادک، و نقيم لک وجه المال الذى ضمنا استخراجه لک و توفيره من الأعمال، قال: فأيكما يخرج إلى الشام؟ قالا: عبدک ابن النحوى، و يقيم ابن العداس بحضرتک، فقرر ذلک معهما و أخذ به خطهما.

و كان من عاده الحاكم أن يطوف ليلا بمصر و القاهره، و قد منع التجار و أرباب الدكاكين أن يغلقوا دكاكينهم، أو ينصرفوا عنها إلى منازلهم حتى صار الليل نهارا فى معاملاتهم، من اشعال السرج و الشمع، و إضاءه المحال و الأسواق تقربا إليه، و يطلق لهم المعونه الكثيره على ذلک، و يقف على دكاكينهم، و يجتاز بينهم و لا يقدر أحد أن يقوم له أو يقبل الأرض بين يديه، فلما عاد فى تلک الليله سحرا من طوفه، أمر مسعودا السيفى بأن يمضى إلى فهد بن ابراهيم الوزير يستدعيه، فإذا دخل الحجره ضرب عنقه و أحضر رأسه، و أن يقبض على أبى غالب أخيه، و كان شريرا مبغضا و إليه ديوان النفقات، فمضى و وجد فهدا فى الحمام، فانتظره حتى خرج ثم استركبه و أشعره أنه يراد بخير و انزعج أولاده و أهله و ساءت ظنونهم فيه، و وصل مسعود إلى باب الزهومه، و هو باب من أبواب القصر، فعدل به إلى محجه العطب، فلما رأى فهد ذلک أحس (40 ظ) بالهلاک، فصاح و استغاث و بكى، و لاذ بالعفو، و بكى الناس لما شاهدوه من حاله و عرفوه من الأمر الذى يراد به، و أدخله مسعود إلى الحجره فأقسم عليه فهد أن يراجع الحاكم فى بابه

و بذل له ألف دينار، و توفير مثلها، فقال له مسعود: لا سبيل إلى المراجعه بعد ما أمرت به، و ضرب عنقه و أخذ رأسه و حمله إلى حضره الحاكم، فلما شاهده أمره أن يخرج رأس كل من يقتله من وجوه الدوله إلى قائد(1) القواد، فلما رآه أسقط مغشيا عليه، و عاد مسعود ليقبض على أبى غالب أخيه فوجده قد هرب، فأعلم الحاكم ذلک فأمر بطلبه حتى ظفر به بعد شهر، و غيّر حليته و حلق لحيته فألحقه بأخيه، و أحضر أولاد فهد، فخلع عليهم، و كتب لهم سجلا بصيانتهم، و حمايه دورهم و إزاله الاعتراض عنهم، و عن أسبابهم.

و نظر ابن العداس فى الأعمال، و شرع فى تهذيب الأمور و توفير الأموال، و توجه ابن النحوى إلى الشام على القاعده المقرره مع الحاكم، و كان قد أعد ما يحتاج إليه من آله السفر و التجمل، و استكثر من ذلک، و تناهى فيه، و هابه الناس، و تجنبوه و وصل أولا إلى الرمله، فقبض على العمال و المتصرفين فيها، و عسفهم و ألزمهم بمائتى ألف دينار، و وضع السوط و العصا فى المطالبه، و بث أصحابه و نوابه إلى دمشق و طبريه و السواحل بعد أن وافقهم على أخذ العمال و المتصرفين فى الأعمال و مصادرتهم، و خبط الشام، و عسف من فيه بطلب المال، و كان فى جمله العمال رجل نصرانى يتعلق بخدمه ست الملک أخت الحاكم، و له منها رعايه مؤكده، فكتب إليها يستصرخ بها، و يشكو ما نزل بالناس من البلاء إليها، و ما شمل الشام و أهله من ابن النحوى، و ما بسط فيه من الظلم و العسف و الجور مما لم يجر بمثله عاده فى قديم الأزمان و لا حديثها، فلما وصل الكتاب إليها و وقفت عليه، دخلت على الحاكم، و كان يشاورها فى الأمور، و يعمل برأيها، و لا يخالف مشوره لها، فعرضت عليه ما تضمنه الكتاب من الشكوى، و قالت: يا أمير المؤمنين قد ظهر كذب ابن النحوى و ابن العداس و إعمالهما على فهد، و قتله

1- الحسين بن جوهر، و هو سيقتل فيما بعد أيضا.

مساعده للحسین بن جوهر، و قد أفسد البلاد علیک، و أوحش الناس منک، فإن کنت یا أمیر المؤمنین (41 و) ترید أخذ أموال عبیدک فکل یبذلها لک طوعا، و یحملها إلی خزانتک تبرعا بعد أن یکونوا تحت ظل الصیانه و فی کنف الحیاطه، هذا و لم تجر عادات آبائک إطلاق المصادرات، فأنکر الحاکم أنه لم یسمح لأحد منهما فی ذلک، و کتب إلی وحید والی الرمله، و کان الحاکم یکتم السر شدیدا:

بسم الله الرحمن الرحیم

یا وحید سلمک الله ساعه وقوفک علی هذا الکتاب، اقبض علی محمود بن محمد، لا حمد الله أمره، و سیره مع من یوصله من ثقاتک إلی الباب العزیز، إن شاء الله.

فلما وقفت أخته علی التوقیع، قالت: یا أمیر المؤمنین، و من هذا الکلب حتی ترفع من شأنه بحمله إلی حضرتک، و بطن الأرض أولی به، فأخذ الکتاب و زاد فیه: بل تضرب عنقه و تنفذ رأسه، و ختم الکتاب ثلاثه ختوم، و أحضر سعید بن غیاث صاحب البرید و دفع إلیه، فبادر من وقته، و مسافه ما بین القاهره و الرمله مائه فرسخ، و کانت النوبه توافیها فی الساعه الثالثه من الیوم الثالث، و وصل الکتاب إلی وحید، و کان عادته إلی ابن النحوی دائما و ربما أوصله أو حجبه(1)، فلما وقف علی الکتاب قال لدری غلامه، الناظر فی المعونه(2)، و کان أرمنیا فظا غلیظا: ارکب إلی محمود- و کان مخیما بظاهر الرمله- و استأذن علیه فإذا أوصلک فأبلغه سلامی و اسأله الرکوب إلیّ لأقفه ما ورد من حضره السلطان، فإذا قال لک: «لم تجر بذلک عادته»، فقل: کذا أمرت فیما ورد، فمضی دری إلیه، و بین یدیه جماعه کثیره من الرجال، حتی

1- أی کان یعود فی أمره إلی ابن النحوی، الذی کان یعامله باستعلاء.
2- أی صاحب الشرطه، أو ما یقوم مقامها.

وافی عسکر محمود، و استأذن علیه و دخل، و قال له ما قاله وحید الوالی، فقال له: لم تجر بذلک العاده فیما تسومنیه، و فی غد نجتمع، فأجابه بما قال له وحید، فلما سمعه ضعفت نفسه و ساء ظنه، و لم یمکنه مخالفته، فرکب فی موکبه، و توجه إلی دار وحید، و صار إلی وحید من أعلمه رکوبه، فتقدم إلی بعض حجابه، و صاحب الخبر بالرمله بأن یتلقاه، فإذا لقیاه أنزلاه عن دابته، و ضربا عنقه، و أخذا رأسه، ففعلا ما أمرهما، و حین وصل سوق البز صادفاه و أنزلاه بعد تمنعه، فأوقعا به و قطعا رأسه و حملاه إلی وحید، فأحضر القاضی و الشهود و کتب محضرا بأن الرأس رأس محمود، و صیره و أنفذه مع المحضر إلی صاحب البرید فأسرع (41 ظ) به إلی مصر، و قبض علی أصحابه و أسبابه و أمواله و کراعه، و سر الناس بهلاکه و تباشروا بما کفوه من شره، و وصل الرأس إلی الحاکم، فأحضر ست الملک فأراها إیاه، فدعت له و شکرته علی ما کان منه، و أمر مسعود بأن یأخذ ابن العداس من بین یدی قائد القواد الحسین بن جوهر(1)، فتضرب عنقه بحضرته، و یأخذ رأسه و یضیفه إلی الرأس ففعل، فلما اجتمع الرأسان بین یدیه أمره أن یخرجهما إلی قائد القواد، فأخرجهما إلیه، فلما شاهدهما جزع جزعا شدیدا، ثم استدعاه الحاکم و سکن منه و أمره أن یستنیب أبا الفتح أحمد بن محمد بن أفلح علی النظر فی الأمور، فأقام فی النظر سنه و نصفا، ثم قتل، و أقیم مقامه یحیی بن الحسین بن سلامه النصرانی.

و کثر الکلام علی قائد القواد، و الوقائع فیه فتنکر الحاکم علیه، و تغیر له، و هم بالایقاع به، و صرفه عن الوزاره، و عول فیما کان إلیه علی علی ابن صالح بن علی الروذباری(2)، و لقبه بثقه الثقات، ورد إلیه السیف

1- شغل الحسین بن جوهر منصب برجوان بعد قتله. انظر الاشاره إلی من نال الوزاره: 28.
2- عراقی الأصل، التحق بخدمه الفاطمیین، تقلد دیوان الشام، ثم حل محل ابن جوهر، صرف من عمله بعد قرابه عامین، و ألزم بالبقاء فی بیته ثم قتله بعد ثمانیه أشهر من عزله فی شوال سنه 400 ه، الوزاره و الوزراء فی العصر الفاطمی: 246- 247.

و القلم، فنظر فی الأمور، و دبر الأعمال و حفظ وجوه المال، و الاستغلال تقدیر سنتین، ثم تغیر له و تأول علیه و قتله، و قلد مکانه المعروف بمنصور بن عبدون(1)، و کان رجلا نصرانیا خبیثا جلدا، و بینه و بین أبی القاسم الحسین بن علی بن المغربی و والده أبی الحسین علی عداوه قدیمه، و مساعاه و وقائع متصله، لأن أبا القاسم صرف به عن دیوان السواد، فواصل أبو القاسم الوقیعه فیه، و الکلام علیه و علی الکتاب النصاری، إلی أن قبض علی جماعتهم، فلما حصلوا فی القبض أمر الحاکم بأن یضرب کل واحد منهم خمسمائه سوط، فإن مات رمی به للکلاب، و إن عاش أعید ضربه إلی أن یموت، فبذل منهم جماعه مالا عظیما علی أن یستبقوا، فلم یقبل منهم و استمرت الشحناء بینهم.

1- کان متسلما لدیوان الشام قبل الوزاره، و یلاحظ مما سبق من أخبار رجال الاداره الفاطمیه قله المسلمین منهم، مما اتخذه البعض مطعنا فی عقیده الفاطمیین، علی أن بعض الباحثین یری أن السبب هو التخصص و الکفاءه، فالجغرافی المقدسی حین وصف فی کتابه أحسن التقاسیم الشام، عد من معائب البلاد أن المال و الاداره بید أهل الذمه لانصراف المسلمین إلی ما سوی ذلک.

ولايه القائد أبى صالح مفلح اللحيانى المقدم ذكره و شرح الحال فى ذلک لدمشق فى سنه أربع و تسعين و ثلاثمائه

وصل القائد أبو صالح مفلح الخادم المعروف باللحيانى إلى دمشق واليا عليها فى المحرم سنه أربع و تسعين و ثلاثمائه فتولى أمرها و أمر و نهى فى أهلها، و كان القائد طزملت المصروف عنها قد برز إلى داريا فلم يلبث إلا قليلا و اعتل فيها عله قضى نحبه فيها فى يوم الاثنين الثانى من صفر من السنه، و أقام القائد أبو صالح واليا عليها و سائسا لأمور أهلها (42 و) و الأحوال مستقيمه على نهج الصواب و السداد، و قضيه المراد إلى أن صرف بالقائد حامد بن ملهم، و سيأتى شرح ذلک فى موضعه.

و قيل إن منصور بن عبدون الناظر فى الدواوين بمصر، لم يزل بنو المغربى المقدم ذكرهم مستمرين على الوقيعه فيه، و التضريب بالسعايه عليه، و افساد رأى الحاكم فيه، و هو يعتمد فيهم مثل ذلک، و يغريه بهم، و يحمله على قتلهم حتى تقدم إلى جعفر الصقلبى، و كان قد قام مقام مسعود السيفى فى القتل أن يحضر عليا و محمدا ابنى المغربى، و يدخلهما الحجره، و يضرب أعناقهما، ففعل ذلک، ثم أمره أن يحضر أبا القاسم الحسين بن على المغربى و أخويه و يقتلهم، فأما الأخوان فإنهما أخذا بعد ثلاثه أيام و قتلا، و أما أخوهما أبو القاسم الحسين بن(1) على فاستتر، و أعمل الحيله فى النجاه، و هرب مع بعض العرب، و حصل بحله حسان ابن المفرج بن دغفل بن الجراح فاستجار فأجاره، و أنشده عند دخوله عليه و ايمانه ممن يطلبه منه ما يستنهض عزيمته فيه من الإجاره له، و الذب عنه، و المراماه دونه:

1- من أكبر شخصيات عصره سياسيا و ثقافيا، حاول اقامه خلافه حسنيه فى الرمله، وزر فى حلب ثم فى ميافارقين، ترجم له ابن العديم فى بغيه الطلب ترجمه مطوله، أورد فيها نص أمان الحاكم له، وصلنا من كتبه قطعه من كتاب« أدب الخواص» و الايناس فى علم الأنساب، و شرح سيره ابن هشام، و هى جميعا مصوره لدى.

اما و قد خيمت وسط الغاب فليقسون على الزمان عتابى

يترنم الفولاذ دون مخيمى و تزعزع الخرصان دون قبابى

و اذا بنيت على الثنيه خيمهشدت إلى كسر القنا أطنابى

و تقوم دونى فتيه من طى ءلم تلتبس أثوابهم بالعاب

يتناثرون على الصريخ كأنهم يدعون نحو غنائم و نهاب

من كل أهرت(1) يرتمى حملاقه بالجمر يوم تسايف و ضراب

يهديهم حسان يحمل بزه جرداء تعليه جناح عقاب

يجرى الحياء على أسره وجهه جرى الفرند بصارم قضاب

كرم يشق على التلاد و عزمهتغتال بادره الهزبر الضابى

و لقد نظرت إليک يا بن مفرج فى منظر مل ء الزمان عجاب

و الموت ملتف الذوائب بالقناو الحرب سافره بغير نقاب

فرأيت وجهک مثل سيفک ضاحکاو الذعر يلبس أوجها بتراب

(42 ظ) و رأيت بيتک للضيوف ممهدافسح الظلال مرفع الأبواب

يا طى ء الخيرات بين خلالكم أمن الشريد و همه الطلاب

سمکت خيامكم بأسنمه الربامرفوعه للطارق المنتاب

و تدل ضيفكم عليكم أنورشبت بأجذال قهرن صعاب

متبرجات باليفاع و بعضهم بالجزع يكفر ضوءه بحجاب

كلأتكم ممن يعادى هيبهأغنتكم عن رقبه و جناب

فیسیر جیشکم بغیر طلیعهو یبیت حیّکم بغیر کلاب

تتهیبون و لیس فیکم هائب و توثبون علی الردی الوثاب

و لکم اذا اختصم الوشیج لباقهبالطعن فوق لباقه الکتاب

فالرمح ما لم ترسلوه أخطل و السیف ما لم تعملوه ناب

یا معن قد اقررتم عین العلی بی مذ وصلت بحبلکم أسبابی

جاورتکم فملأتم عینی الکری و جوانحی بغرائب الاطراب

من بعد ذعر کان أحفز أضلعی حتی لضاق به علیّ إهابی

1- مکثر مشداق، النهایه لابن الأثیر.

و وجدت جار أبى الندى متحكماحكم العزيز على الذليل الكابى

فليهنه منن على متنزه لسوى مواهب ذى المعارج آب

قد كان من حكم الصنائع شامسافاقتاده بصنيعه من عاب

فلأنظمن له عقود محامدى تبقى جواهرها على الأحقاب

لا جاد غيركم الربيع و لا مرت غزر اللقاح لغيركم بحلاب

أنا ذاكم الرجل المندد ذكره كالطود حلىّ جيده بشهاب

و لقد رجوت و لليالى دولهأنى أجازيكم بخير ثواب

فلما سمع حسان بن الجراح هذه الأبيات، هش لها، و جدد القول له بما سكن جأشه و أزال استيحاشه.

و هذا أبو القاسم الحسين بن على المغربى كان ذا علم وافر و أدب ظاهر، و ذكاء و صناعه مشهوره فى الكتابه و مضاء، فأقام عنده ما أقام محترما (43 و) مكرما، و جرى له ما يذكر فى موضعه(1)، ثم رحل إلى ناحيه العراق، و تقدم هناک فى الأيام القادريه و وزر للأمير قرواش أمير بنى عقيل، و وزر لابن مروان صاحب ديار بكر، و كان مستقلا بصناعتى الكتابه و الانشائيه و الحسابيه، و حين مرض و أشفى، وصى بحمل تابوته إلى الكوفه و دفنه فى المشهد بها، و فعل به ذلک.

ثم تغير الحاكم لمنصور بن عبدون فنكبه و قتله، و قلد مكانه زرعه بن نسطورس الوزير و لقبه بالشافى، و ذلک فى سنه أربعمائه(2).

و فى سنه سبع و تسعين و ثلاثمائه وردت الأخبار بالوقعه الكائنه بين

1- قال أبو القاسم المغربى لحسان بن المفرج: إن الحسن بن جعفر الحسنى صاحب مكه لا مطعن فى نسبه، و الصواب أن ننصبه إماما، فأجابه، فمضى أبو القاسم إلى مكه، و أقنع أميرها و جلبه إلى الرمله حيث أعلنه خليفه باسم الراشد بالله، و سعى الحاكم بأمر الله إلى تدارک الموقف

فاشترى حسان بن المفرج، فتخلى عن الخليفه الجديد هذا، و بصعوبه تمت اعادته إلى مكه، و هرب ابن المغربى نحو شمال بلاد الشام.
2- هو ابن الوزير عيسى بن نسطورس، و هو من القلائل الذين أفلتوا من غضب الحاكم، انظر الوزارء فى العصر الفاطمى: 248.

الفضل صاحب الحاكم، و بين أبى ركوه الخارج عليه، و ظفر الفضل به و أخذه و حمله إلى القاهره و شهره بها و قتله فيها، و قيل أن أبا ركوه لقب غلب عليه بركوه كانت معه فى أسفاره على مذهب الصوفيه، و اسمه الوليد أموى من أولاد هشام بن عبد الملک بن مروان و لنوبته فى ذلک شرح يطول، إلا أن أبا ركوه هذا لما انهزم فى الوقعه قصد صاحب النوبه، و تردد من الحاكم إليه بسببه مراسلات إلى أن أنفذه إليه مع أصحابه، و أنفذ معه صاحبا له بهدايا إلى الحاكم، و تسلم أبا ركوه أخو الفضل، و حمله إلى أخيه الفضل، فسار [به] و كان الفضل يقبل يد أبى ركوه و يعظمه تأنيسا لئلا يقتل نفسه قبل إيصاله و إنزاله فى مضاربه، و أخدمه نفسه و أصحابه، و كتب [إلى] الحاكم بخبر حصوله و وصوله، و كان الفضل يدخل عليه فى غداه كل يوم إلى خركاه قد ضربت له خيمه، و يصحبه و يقبل يده، و يقول له: كيف يا مولاى؟ فيقول: بخير يا فضل أحسن الله جزاءک، و يحضره شرابا فيشرب بين يديه، ثم يناوله إياه و يفعل مثل ذلک فى طعامه إلى أن وصل إلى الجيزه، فلما حصل بها راسله الحاكم بأن يعبر هو و العسكر الذى معه، و ينزل على رأس الجسر، و يصل إلى القاهره، ففعل ذاک و كان لا يمشى خطوات إلا و قد تلقته الخدم بالتشريف و الحملان، و هو ينزل عن فرسه و يقبل الأرض، و يعود إلى ركوبه، و لم يزل على هذه الحال إلى أن وصل إلى القصر، و دخل إلى القصر على الحاكم فخدمه و دعا له، و شرح حاله إلى أن ظفر بالعدو، و خرج بعد ذلک إلى داره، و تقدم وجوه القواد و شيوخ الدوله بالمصير إلى أبى ركوه و مشاهدته، و يقال (43 ظ) أن الحاكم قد مضى من غد ذلک اليوم، و قد رسم أن يشهر و يطاف به فى مصر(1) و اتفق دخول القائد ختكين الداعى، و كان

1- كانت ثوره أبى ركوه- الذى ادعى أنه من ولد هشام بن عبد الملک بن عبد الرحمن الداخل- أعظم الثورات ضد الفاطميين فى مصر، تفجرت بين قبائل بنى قره فى الأراضى الليبيه الحاليه المصاقبه للحدود المصريه، و قد انضم للثوره قبائل زناته البربريه، و أخفقت أكثر من حمله وجهها الحاكم للقضاء عليها، و يبدو أن بعض المساعدات وصلت إلى أبى ركوه من ملک النوبه، لهذا فر إليه عند ما أخفقت ثورته، و قام هذا الأخير بتسليم أبى ركوه كيما- - يغطى على تواطئه معه. انظر تاريخ دوله الكنور الاسلاميه للدكتور عطيه القوصى- ط. القاهره 1976: 49- 56.

قدیما صاحب دواه الملک عضد الدوله، فسلم علیه، و قال له: ألک حاجه إلی أمیر المؤمنین؟ فقال له: من أنت؟ قال: فلان، قال: عرفت حالک و سدادک و أرید أن توصل لی رقعه إلی أمیر المؤمنین، فقال: اکتبها و هاتها، فاستدعی أبو رکوه دواه من أصحاب الفضل، و درجا، و کتب فیه: یا أمیر المؤمنین إن الذنوب عظیمه و الدماء حرام ما لم یحلها سخطک، و قد أحسنت و أسأت و ما ظلمت إلا نفسی، و سوء عملی أوبقنی، و أنا أقول:

فررت و لم یغن الفرار و من یکن مع الله لا یعجزه فی الأرض هارب

و و الله ما کان الفرار لحاجهسوی جزع الموت الذی أنا شارب

و قد قادنی جرمی إلیک برمتی کما أخر میتا فی رحا الموت سارب

و اجمع کل الناس أنک قاتلی و یا رب ظن ربّه فیه کاذب

و ما هو إلا الانتقام تریده فأخذک منه واجبا لک واجب

فمضی ختکین إلی الحسین بن جوهر فعرفه ما جری، و أعطاه الرقعه فوقف علیها الحاکم، ثم رکّب جملا و علیه طرطور، و خلفه قرد معلم یصفعه بالدره، و کان الحاکم قد جلس فی منظره علی باب من أبواب القصر یعرف بباب الذهب، فلما وقف به استغاث و صاح بطلب العفو، فتقدم إلی مسعود السیفی بأن یخرجه إلی ظاهر القاهره و یضرب عنقه علی تل بإزاء مسجد زیدان، فلما حمل هناک و أنزل وجد میتا، فقطع رأسه و حمله إلی الحاکم حتی شاهده، و أمر بصلب جثته، و کان الفضل قد قطع رؤوس من قتل فی الوقعه، فقیل إنها کانت ثلاثین ألف رأس، فلما شهرت عبیت فی السلال، و سیرت مع خدم شهروها فی الشام حتی انتهوا بها إلی الرحبه(1)، ثم رمیت فی الفرات، و قدم الحاکم الفضل و أقطعه و بالغ فی اکرامه إلی أن عاده فی عله عرضت له دفعتین، فاستعظم الناس فعله معه، فلما عوفی عمل علیه و قتل.

1- رحبه مالک بن طوق علی الفرات، خرائبها فی أحواز بلده المیادین الحالیه فی سوریه.

ولایه القائد حامد بن ملهم المذکور أولا فی سنه تسع و تسعین و ثلاثمائه

(44 و) وصل القائد حامد بن ملهم إلی دمشق والیا علیها لست بقین من رجب من السنه، و قد کان القائد علی بن جعفر بن فلاح مستولیا علی الجند نافذ الأمر فی البلد، فورد کتاب عزله فی یوم الجمعه النصف من شهر رمضان من السنه، و کانت مده مقامه فی الولایه إلی إنصرافه و مسیره سنه واحده و أربعه أشهر و نصف شهر.

ثم تولی الأمر بعده القائد أبو عبد الله بن نزال، فدخل إلی دمشق و قری ء سجله علی منبر الجامع، و أقام المده الیسیره، ثم وافاه کتاب العزل فی یوم الأحد رابع عشر شهر رمضان سنه أربعمائه، فعزل و ولی غلام القائد منیر، فأقام المده الیسیره، ثم أتاه کتاب العزل، فعزل، و ولی القائد مظفر فی یوم الاثنین أول شهر ربیع الأول سنه إحدی و أربعمائه فأقام فی الولایه سته أشهر و تسعه أیام، ثم عزل و ولی مکانه القائد بدر العطار، فأقام فی الولایه شهرین و عشره أیام و عزل، و ولی القائد لؤلؤ و لقب منتجب الدوله، و تولی الأمر فی یوم الأحد لسبع خلون من جمادی الآخره سنه إحدی و أربعمائه، و نزل فی بیت لهیا و انتقل منها إلی الدکه ثم إلی مرج الأشعرین(1)، فأقام فیه أیاما، و دخل القصر فی اللیل، فلما أصبح دخل البلد، و قری ء سجل ولایته علی منبر الجامع، و وافی کتاب عزله، فعزل و انصرف.

و قیل فی أخبار الحاکم بأمر الله أنه أمر فی سنه ثمان و تسعین و ثلاثمائه بهدم بیعه القیامه فی بیت المقدس و هی بیعه عند النصاری جلیله فی نفوسهم یعظمونها، و السبب فی ذلک ما اتصل به من هدم الکنائس

1- کان شمالی قلعه دمشق و هو یشمل سوق التبن، و خان البطیخ، و خان الباشا إلی سویقه صاروجا. غوطه دمشق: 244.

و البيع بمصر و الشام و ألزم أهل الذمه الغيار(1) ما قيل أن العاده جاريه بخروج النصارى بمصر فى كل سنه فى العماريات(2) إلى بيت المقدس لحضور فصحهم فى بيعه قيامه، فخرجوا فى سنه ثمان و تسعين و ثلاثمائه على رسمهم فى ذلک، متظاهرين بالتجمل الكبير على مثل حال الحاج فى خروجهم، فسأل الحاكم ختكين العضدى الداعى، و هو بين يديه، عن أمر النصارى فى قصدهم هذه البيعه و ما يعتقدونه فيها، و استوصفه صفتها و ما يدعونه لها، و كان ختكين يعرف أمرها بكثره تردده إلى الشام و تكرره فى الرسائل عن الحاكم إلى (44 ظ) ولاتها، فقال: هذه بيعه تقرب من المسجد الأقصى تعظمها النصارى أفضل تعظيم، و تحج إليها عند فصحهم من كل البلاد، و ربما صار إليها ملوک الروم و كبراء البطارقه متنكرين، و يحملون إليها الأموال الجمه و الثياب و الستور و الفروش، و يصوغون لها القناديل و الصلبان و الأوانى من الذهب و الفضه، و قد اجتمع فيها من ذاک على قديم الزمان و حديثه الشى ء العظيم قدره، المختلفه أصنافه فإذا حضروا يوم الفصح فيها، و أظهروا مطرانهم، و نصبوا صلبانهم، و أقاموا صلواتهم و نواميسهم، فهذا الذى يدخل فى عقولهم، و يوقع الشبهه فى قلوبهم، و يعلقون القناديل فى بيت المذبح، و يحتالون فى إيصال النار إليها بدهن البلسان و آلته، و من طبيعته حدوث النار فيه مع دهن الزنبق، و له ضياء ساطع و إزهار لامع، يحتالون بحيله يعملونها بين كل قنديل و ما يليه حديدا ممدودا كهيئه الخيط متصلا من واحد إلى آخر، و يطلونه بدهن البلسان طليا يخفونه عن الأبصار حتى يسرى الخيط إلى جميع القناديل، فإذا صلوا و حان وقت النزول، فتح باب المذبح، و عندهم أن مهد عيسى عليه السلام فيه، و انه عرج به إلى السماء منه، و دخلوا و أشعلوا الشموع

1- أى ألزمهم بتغيير ملابسهم و ارتداء ما يميزهم عن المسلمين من حيث الزى و الألوان و حمل بعض العلامات الخاصه.
2- فى الأصل« الغيارات» و هو تصحيف قومته من مرآه الزمان حوادث سنه/ 398 ه/.

الكثيره، و اجتمع فى البيت من أنفاس الخلق الكثير ما يحمى منه الموضع و يتوصل بعض القوام إلى أن يقرب النار من الخيط فيعلق به، و ينتقل بين القناديل من واحد إلى واحد، و يشعل الكل، و يقدره من يشاهد ذلک أن النار قد نزلت من السماء، فاشتعلت تلک القناديل.

فلما سمع الحاكم هذا الشرح استدعى بشر بن سور كاتب الانشاء، و أمره بأن يكتب إلى والى الرمله، و إلى أحمد بن يعقوب الداعى بقصد بيت المقدس، و استصحاب الأشراف و القضاه و الشهود و وجوه البلد، و ينزلا على بيت المقدس و قصد بيعه قمامه و فتحها و نهبها، و أخذ كل ما فيها و نقضها و تعفيه أثرها، فإذا نجز الأمر فى ذلک يعملا به محضرا و فيه الخطوط، و ينفذانه إلى حضرته. و وصل الكتاب إليهما فتوجها للعمل بما مثل إليهما.

و قد كانت النصارى بمصر عرفوا ما تقدم فى هذا الباب، فبادروا إلى بطرک البيعه، و أعلموه الحال و أنذروه، و حذروه، فاستظهر باخراج ما كان فيها من الفضه و الذهب و الجوهر و الثياب، و وصل بعد ذلک أصحاب الحاكم (45 و) فأحاطوا بها و أمروا بنهبها، و أخذوا من الباقى الموجود ما عظم قدره، و هدمت أبنيتها و قلعت حجرا حجرا، و كتب بذلک المحضر، و كتب الخطوط فيه كما رسم و أنفذ إلى الحاكم(1).

1- أثارت مسأله النور هذه خيال الكتاب فى الماضى، و قد كتب سبط ابن الجوزى فى مرآه الزمان فى حوادث سنه/ 398/: سكنت فى البيت المقدس عشر سنين، و كنت أدخل إلى قمامه فى يوم فصحهم و غيره، و بحثت عن اشعال القناديل فى يوم الأحد عيد النور، و فى وسط قمامه قبه فيها قبر يعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام لما صلب دفن فيه، ثم ارتفع إلى السماء، فإذا كانت ليله السبت فى السحر دخلوا إلى هذه القبه، فغسلوا قناديلها، و لهم فيها طاقات مدفونه فى الرخام، و فى الطاقات قناديل قد أوقدوها من السحر، و للقبه شبابيک فإذا كان وقت الظهر اجتمع أهل دين النصرانيه، و جاء الأقساء فدخلوا القبه، و طاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقعون نزول النور، فإذا قارب غروب الشمس تقول الأقساء: إن المسيح ساخط عليكم فيضجون و يبكون، و يرمون على القبر الذهب و الفضه و الثياب، فتحصل جمله كثيره، و يردد القسيس هذا القول و هم يبكون و يضجون و يرمون ما معهم، فإذا غربت الشمس أظلم المكان،

فيغافلهم بعض الأقساء، و يفتح طاقه من زاويه القبه بحيث لا يراه أحد، و يوقد شمعه من بعض القناديل، و يصيح قد نزل النور، و رضى المسيح، و يخرج الشمعه من بعض الشبابيک،- - فيضجون ضجه عظيمه و يوقدون الفوانيس، و يحملون هذه النار إلى عكا و صور و جميع بلد الفرنج حتى روميه و الجزائر، و قسطنطينيه و غيرها تعظيما لها. و حدثنى جماعه من المجاورين بالقدس قالوا: لما فتح صلاح الدين رحمه الله القدس، و جاء يوم الفصح جاء بنفسه فدخل القبه، و قال: أريد أشاهد نزول النور، فقال له البطرک تريد أن تضيع عليک و علينا أموالا عظيمه لقعودک عندنا، فإن أردت المال فقم و دعنا، فقام لما بلغ باب القبه حتى صاحوا: نزل النور، فقال بعض الحاضرين: لقد زعم القسيس أن الهه ينزل نورا بكره اليوم أو غد فإن كان نورا فهو نور و رحمهو إن كان نارا أحرقت كل معبدى يقربها القسيس من شعر ذقنه فإن لم تحرقها و إلا اقطعوا يدى و حدثنى جماعه من أصحاب صلاح الدين رحمه الله أنه عزم لما أخذ الفرنج عكا على أن يخرب قمامه و يعفى آثارها، و قال: يحضر البطرک و الأقساء و النصارى و يحفر مكان القبر حتى يطلع الماء، و يرمى التراب فى البحر، و يقول هذا تراب إلهكم لتنقطع أطماعهم عن زيارته و يستريح منهم، فقال له أعيان دولته: إن إطماعهم لا تنقطع بهذا، و ليس مرادهم مكان القبر، إنما هم يعتقدون فى نفس القدس، و قمامه عندهم أفضل من غيرها، و ربما أخربوا الجامع الذى بالقسطنطينيه و المساجد التى فى بلادهم، و قتلوا من عندهم من المسلمين، ثم إنهم إنما يصانعونک على القدس لأجل قمامه، فإذا فعلت هذا زال ما يصالحونک لأجله، ثم تبطل عليک أموال عظيمه، فتنضر و هم لا ينضرون فسكت عن خرابها.

و شاع هذا الخبر بمصر، فسر به المسلمون، و دعوا للحاكم دعاء كبيرا على ما فعله و رفع أصحاب الأخبار إليه ما الناس من هذه الحال عليه، ففرح بذلک و تقدم بهدم ما يكون فى الأعمال من البيع و الكنائس، ثم حدث من الأمور و الانكار لمثل هذه الأعمال و الاشفاق على الجوامع و المساجد فى سائر الجهات و الأعمال من هدمها، و القصد بمثل العمل لها، فوقف الأمر فى هذا العزم(1).

1- أثارت سياسه الحاكم الدينيه هذه جدلا كبيرا و يلاحظ مما قاله ابن القلانسى أنها و إن مورست أولا ضد غير المسلمين، إلا أن ذلک كان مقدمه فقط، حيث خشى المسلمون بعدها على أنفسهم و مساجدهم، و يمكن أن نرى أعمال الحاكم من زاويه التمهيد لإعلان قيامه عظمى حسب مضمون المذهب الاسماعيلى، و القيامه العظمى هى إلغاء لجميع الشرائع و الأديان و احلال دين القيامه محلها، و ملاحظ أن الحاكم لاقى صعوبات جمه فى سبيل عمله هذا و كان كل ما تمخض عن مجهوداته تأسيس عقيده التوحيد أو الديانه الدرزيه. انظر ماده الحاكم فى كتابى مائه أوائل من تراثنا، و كتابى أخبار القرامطه: 40- 42 من مدخل الكتاب.

ولایه الأمیر وجیه الدوله أبی المطاع ابن حمدان لدمشق بالأمر الحاکمی

وصل الأمیر وجیه الدوله أبو المطاع بن حمدان، المعروف بذی القرنین إلی دمشق، والیا علیها فی یوم الجمعه عید النحر من سنه إحدی و أربعمائه فصلی بالناس القائد لؤلؤ الوالی العید، و صلی بهم الجمعه الأمیر وجیه الدوله، و انصرف القائد لؤلؤ عن الولایه فکانت مده اقامته فیها سته أشهر و ثلاثه أیام، و قری ء سجل الولایه علی المنبر، و أقام المده التی أقامها، و وصل القائد بدر العطار إلی دمشق والیا علی الغوطتین و الشرطه و جبل سنیر(1).

و عزل عنها وجیه الدوله ابن حمدان فی یوم الجمعه لسبع خلون من جمادی الأولی من السنه، فأقام فیها مدیده، و وصل القائد أبو عبد الله ابن نزال عقیب وصوله إلی دمشق والیا علیها، و نزل فی المزه، و دخل القصر فی یوم الأحد لإحدی عشره لیله خلت من جمادی الأولی من السنه، فدامت ولایته إلی أن ورد کتاب عزله عنها، و سار منها فی یوم الثلاثاء سلخ ذی الحجه سنه ست و أربعمائه فکانت مده ولایته ثلاث سنین و ثمانیه أشهر و عشرین یوما.

و وصل الأمیر شهم الدوله شاتکین إلی دمشق والیا علیها فی یوم الجمعه لعشر خلون من صفر سنه سبع و أربعمائه و أقام فی الولایه، و وصل القائد یوسف بن یاروخ، و هو ابن زوجه الأمیر شاتکین الوالی، إلی دمشق والیا علیها و قری ء (45 ظ) سجله بالولایه فی ذی القعده من السنه، و سار شهم الدوله شاتکین الوالی إلی مصر لثمان خلون من جمادی الآخره سنه ثمان و أربعمائه و وصل الأمیر سدید الدوله أبو

1- هو جبل القلمون الحالی، و هو فرع من فروع جبل لبنان الشرقی. انظر غوطه دمشق لکرد علی: 14.

منصور والى دمشق واليا عليها، فى يوم الأحد لخمس بقين من ذى القعده سنه ثمان و أربعمائه فنزل المزه، و دخل القصر فى غد ذلک اليوم، فما شعر إلا و كتاب العزل قد وافاه يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر من سنه تسع و أربعمائه فبرز من يومه إلى المزه، و سار من غده.

و وصل كتاب ولى عهد المسلمين عبد الرحمن بن الياس أخى الحاكم، إلى القائد بدر العطار فى يوم السبت لليله خلت من جمادى الأولى سنه عشر و أربعمائه يأمر بضبط البلد، و وصل بعد ذلک أبو القاسم عبد الرحمن، و قيل عبد الرحيم(1) ولى عهد المسلمين ابن الياس بن أحمد بن العزيز بالله إلى دمشق فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأولى سنه عشر و أربعمائه فنزل فى المزه، فأحسن تلقيه، و بولغ فى إكرامه و الإعظام له، و السرور بمقدمه و كان ذلک يوما مشهودا موصوفا، و دخل القصر فى يوم الإثنين مستهل رجب، فأقام فيه إلى يوم الأحد لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنه إحدى عشره و أربعمائه، فلم يشعر إلا و قوم قد جردوا إليه من مصر، فهجموا عليه، و قتلوا جماعه من أصحابه و ساروا به فى يوم الجمعه لثلاث بقين من شهر ربيع الأول، و عاد بعد ذلک إلى دمشق فى رجب سنه اثنتى عشره و أربعمائه، و نزل فى القصر، و أكثر الناس فى التعجب من اختلاف الآراء فى تدبير هذه الولايات، و تنقل الأعراض و الأهواء فيها، و لم يشعروا و هم يتعجبون من هذه الأحوال، و استمرار الاختلال إلا و قد وصل من مصر المعروف بابن داود المغربى، على نجيب مسرع و معه جماعه من الخدم فى يوم الأحد فى يوم عرفه بسجل إلى ولى عهد المسلمين المذكور، و دخلوا عليه القصر، و جرى بينه و بينهم كلام طويل، إلا أنهم أخرجوه من القصر و ضرب وجهه، و أصبح الناس فى يوم العيد لم يصلوا صلاه العيد فى المصلى، و لا فى الجامع، و لا خطب خطيب، و ساروا بولى العهد فى اليوم المذكور إلى

1- و هذا هو الأشهر و ربما الأصح.

مصر(1)، فزاد عجب الناس و حاروا فیما هم فیه، و تشاکوا ما ینزل بهم من الأحوال المضطربه (46 و) و الأعمال المختلفه.

فوصل الأمیر وجیه الدوله أبو المطاع بن حمدان إلی دمشق والیا علیها دفعه ثانیه بعد أولی، و کان أدیبا فاضلا شاعرا سائسا مدبرا، فی یوم السبت لست خلون من جمادی الآخره سنه اثنتی عشره و أربعمائه فأقام فی الولایه مده، و وصل الأمیر شهاب الدوله شحتکین إلی دمشق والیا علیها فی یوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب من ذی القعده سنه أربع عشره و أربعمائه، فکانت ولایته سنتین و أربعه أشهر و یومین.

و وصل الأمیر وجیه الدوله أبو المطاع بن حمدان إلی دمشق والیا علیها دفعه ثالثه فی یوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربیع الأول من سنه خمس عشره و أربعمائه، فأقام فی الولایه ما أقام مع اختلاف الأحوال إلی أن تقررت الولایه لأمیر الجیوش التزبری(2) فی سنه تسع عشره و أربعمائه.

1- ارتبط الاستدعاء الأول لعبد الرحیم بن الیاس بمسأله تولیه الحاکم له لولایه عهده و الصراعات داخل قصر الخلافه فی القاهره و خارجه حول إعلان القیامه، و أما الاستدعاء الثانی فجاء بعد اختفاء الحاکم بأمر الله و اعلان ابنه إماما جدیدا باسم« الظاهر»، و معنی هذا نهایه القیامه دین الباطن و العوده إلی الأحکام الظاهره، هذا و أورد سبط ابن الجوزی حوادث سنه 411] معلومات جدیده غنیه جمعها من مختلف المصادر حول مشکله مقتل الحاکم، ثم ختم هذه المعلومات بقوله: و کان ولی عهده الحاکم] بدمشق و اسمه الیاس، و قیل عبد الرحمن و قیل عبد الرحیم بن أحمد، و کنیته أبو القاسم، و یلقب بالمهدی، ولاه الحاکم العهد سنه أربع و أربعمائه. و قال القضاعی: أنها ست الملک أخت الحاکم] لما کتبت إلی دمشق بحمل ولی العهد إلی مصر لم یلتفت، و استولی علی دمشق، و رخص للناس ما کان الحاکم حظره علیهم من شرب الخمر، و سماع الملاهی، فأحبه أهل دمشق، و کان بخیلا ظالما، فشرع فی جمع المال و مصادرات الناس، فأبغضه الجند و أهل البلد، فکتبت أخت الحاکم إلی الجند فقبضوه، و بعثوا به مقیدا إلی مصر، فحبس فی القصر مکرما، و أقام مده. ثم روی أنه اغتال نفسه فی روایه، و فی روایه أخری قتل بأمر من ست الملک.
2- کذا فی الأصل« التزبری» و الأشهر« الدزبری» نسبه إلی مولاه الذی کان ضابطا دیلمیا، اشتراه فی دمشق فنسب إلیه، هذا و سبق لی أن

تعرضت لشخصيه الدزبرى و حياته و أعماله فى كتابى« إماره حلب- 1004- 1094 م(بالانكليزيه) ص: 129- 139، هذا و سيرد اسمه فى بقيه الكتاب« الدزبرى».

ولایه أمیر الجیوش الدزبری الختلی لدمشق فی سنه تسع عشره و أربعمائه و شرح حاله

و ابتداء أمره و السبب فی تولیته، و ذکر شی ء من أخباره إلی إنتهاء مدته، بحکم تمیزه عن الولاه المذکورین: بالشجاعه و الشهامه، و حسن السیاسه، و إجمال السیره و النصفه فی العسکریه و الرعیه، و حمایه الأعمال بهیبته المشهوره و بفطنته المشکوره، و تشتیت شمل أولی الفساد من الأعراب، و استقامه الأمور بإیالته علی قضیه الإیثار و المراد.

هو الأمیر المظفر، أمیر الجیوش، عده الإمام، سیف الخلافه، عضد الدوله، شرف المعالی أبو منصور أنوشتکین، مولده ما وراء النهر فی بلد الترک، فی البلد المعروف بختل، و سبی منه، و حمل إلی کاشغر، و هرب إلی بخاری و ملک بها و حمل إلی بغداد، ثم إلی دمشق، و کان شتیم(1) الوجه، بین الترکیه، و کان وصوله سنه أربعمائه فاشتراه القائد «تزبر»(2) بن أونیم الدیلمی، و کان ندبه لحمایه أملاکه و صونها من الأذی، فکفاه ذلک بشهامته، و صرامته فاشتهر بذاک أمره، و شاع ذکره، و سئل مولاه أن یهدیه للإمام الحاکم بأمر الله، و قیل بل وصله الأمر بحمله، فحمل فی جمله غلمان فی سنه ثلاث و أربعمائه (46 ظ) فاستطرف من بینهم، و جعل فی الحجره، فقهر من بها من الغلمان، و طال علیهم بالیقظه و الذکاء، و جعل یلقب کل غلام بما یلیق به، فشکوه إلی المتولی فضربه، و تزاید أمره، فأخرج منها فی سنه خمس و أربعمائه و لزم الخدمه، و جعل یتقرب إلی الخاص و العام بکل ما یجد السبیل إلیه من التودد و الاکرام، لما یرید الله تعالی من اسعاد جده، و إظهار سعده، فارتضی الحاکم مذهبه فی الخدمه، و زاد فی واجبه، و قوده و سیره مع

1- أی کریه الوجه مثل الأسد- لسان العرب، فلعله کان من أصل مغولی.
2- کذا بالأصل و الأشهر و المعتمد« دزبر».

سدید الدوله ذی الکفایتین الضیف فی العسکر إلی الشام فی سنه ست و أربعمائه، و دخل إلی البلد دمشق، و لقی مولاه القائد دزبر، فترجل له و قبل یده، و صار یتودد إلی الکبیر و الصغیر، و نزل فی دار حیوس بحضره زقاق عطاف(1)، ثم عاد إلی مصر، و جرد إلی الریف فی السیاره، ثم عاد إلی مصر، و لزم الخدمه بالحضره، و لزم بعلبک والیا علیها، و حسنت حاله فیها، و انتشر ذکره بها، و صادق ولاه الأطراف و کاتب عزیز الدوله فاتکا، والی حلب(2)، و لقب منتجب الدوله، و ورد الأمر علیه بالمسیر إلی الحضره فلما بلغ العریش وصله النجاب بالسجل بولایه قیساریه، و الأمر بالعود إلیها فشق ذلک علیه، و قال:

أنقل من ولایه بعلبک إلی ولایه قیساریه، و کان من حسن سیاسته فیها، و جمیل عشرته لأهلها و حمایته لها، ماذاع به ذکره، و حسن به صیته، و کثر شکره، و ورد الخبر بقتل فاتک والی حلب سنه اثنتی عشره و أربعمائه قتله غلام هندی قد رباه و اصطفاه، و توثق به و اجتباه، و هو نائم عقیب سکره، بسیفه، و عمل فیه شاعره المعروف(3) بمفضل بن سعد قصیده رثاه بها، و ذکر فیها من بعض أبیاتها:

لحمامه المقضی ربی عبده و لنحره المفری حدّ حسامه

و کتب إلی منتجب الدوله بالمسیر إلی الحضره، فوصلها و ولی فلسطین، و وصل إلیها فی یوم الثلاثاء من المحرم سنه أربع عشره و أربعمائه و بلغ حسان بن مفرج بن الجراح خبره، فقلق له و تخوفه، ثم

1- داخل باب الجابیه هی الآن حی الخیضریه- الخضیریه- و الدار التی نزل بها کانت دار والد ابن حیوس أبو الفتیان محمد بن سلطان] أکبر شعراء الشام و مصر فی القرن الخامس، و شاعر الدزبری أثناء ولایته فی الشام. انظر دیوان ابن حیوس، ط. دمشق 1951: 1/ 6- 7.
2- من أشهر ولاه الفاطمیین لحلب، کانت له علاقات جیده مع أبی العلاء المعری و له صنف: « رساله الصاهل و الشاحج» و کتاب« القائف» اغتیل فی بدایه عهد الظاهر. انظر زبده الحلب: 2/ 215- 221.
3- من شعراء المعره اختص بعزیز الدوله حتی عرف به فقیل« العزیزی»، انظر زبده الحلب: 1/ 215- 220.

علا ذكره و ظهر أمره و كثرت عدته و عدته، و قويت شوكته، و جرت له وقائع مع العرب يستظهر فيها عليهم و يثخن فيهم، فكبر بذلک شأنه، ثم حسد و سعى فيه إلى الحضره، و كوتب الوزير حسن بن صالح فى بابه بأمر قرره حسان (47 ظ) بن مفرج بن الجراح و نسب إليه كل قبيح و محال، فاستؤذن فى القبض عليه، فأذن له فى ذلک، فقبض عليه بعسقلان بحيله دبرت له فى سنه سبع عشره و أربعمائه، و سأل فيه سعد السعداء فأجيب سؤاله، لجلاله مكانه، و أطلق من الاعتقال، و وصل إلى الحضره، و حسنت حالته، و ظهرت هيبته، و ظهرت هيئه إقطاعه و غلمانه و دوابه، و هو مع ذلک ينفذ رسله إلى الشام و سائر الأعمال، و تأتيه بالأخبار و يطالع بها، فكثر تعجب الوزير من يقظته، و مضاء همته و عزيمته.

و كانت العرب بعده قد استولت على الأعمال، و أفسدت الشام، و ملک حسان أملاک الملاک، و اتفق الخلف الجارى بين أرباب الدوله عقيب وفاه الحاكم، و ترافع القواد و الولاه إلى أن تقررت الحال على صرف الوزير، و تقليد الوزاره لنجيب الدوله على بن أحمد الجرجرائى، فنظر فى الأعمال و هذب ما كان مستوليا عليها من الإضاعه و الاهمال، و اقتضت الآراء و صواب التدبير تجريد العساكر المصريه إلى الشام، و وقع الاختيار فى ذلک على الأمير منتجب الدوله، فاستدعاه الوزير على ابن أحمد الجرجرائى، و قال له: ما تحتاج إليه لخروجک إلى الشام و دمشق؟ فقال: فرسى البرذعيه و خيمه أستظل بها، فعجب الوزير من مقاله، و استعاد فرسه المذكوره من سعد السعداء، وردها إليه و أطلق له خمسه آلاف دينار، و أصحبه صدقه بن يوسف الفلاحى ناظرا فى الأموال و نفقه الرجال، و جردت العساكر معه، و لقب بالأمير مظفر منتجب الدوله، و خلع عليه و خرج إلى مخيمه، و جمله من جرد معه سبعه آلاف فارس و راجل سوى العرب، و سار فى ذى القعده [سنه تسع]

[عشره و أربعمائه](1) و ودعه الامام الظاهر لإعزاز دين الله، و عيد بالرمله عيد النحر، و سار إلى بيت المقدس، و جمع العسكر، و قصد صالح بن مرداس و حسان بن مفرج، و جموع العرب عند معرفته بتجميعهم، و وقع اللقاء فى الأقحوانه(2)، و التقى الفريقان فهزمت جموع العرب، و أخذتهم السيوف، و تحكمت فيهم، و كان صالح بن مرداس على فرسه المشهور، فوقف به من كد الهزيمه، و لم ينهض به، فلحقه رجل من العرب يعرف بطريف من فزاره، فضربه بالسيف فى رأسه و كان مكشوفا (47 ظ) فصاح و وقع و لم يعرفه، و تم فى طلب فرسه، فمر به رجل من الباديه فعرفه فقطع رأسه و عاد يرقص به، فلقيه الأمير عز الدوله رافع(3) فأخذه منه، و جاء به إلى الأمير المظفر، فلما رآه نزل عن فرسه و سجد لله شكرا على ما أولاه من الظفر، و ركب و أخذه بيده، و جعله على ركبته و أطلق للزبيدى(4) الذى جاء به ألف دينار، و لعز الدوله رافع خمسه آلاف دينار، و أطلق لطريف الذى ضربه بالسيف فرسه و جوشنه و ألف دينار، و أخذ الغلمان الأتراک الذى لصالح نفسه، و أحسن إليهم، و تقدم بجمع الرؤوس و أنفذ جثه صالح إلى صيدا لتصلب على بابها، و أوصل رأسه إلى الحضره، و خلع على الواصلين به، و أعيدوا و معهم الخلع، و زياده الألقاب للأمير المنتجب، و قرى ء سجله عليه، و صار يكاتب و يخاطب بالأمير المظفر سيف الإمام، و عده الخلافه، مصطفى الملک، منتجب الدوله.

1- فراغ بالأصل، ملأته من مختلف المصادر التى تحدثت عن حلف قبائل الشام الثلاث الكبرى: كلب. طى ء، كلاب، بزعامه: سنان بن عليان الكلبى، و حسان بن المفرج الطائى، و صالح بن مرداس الكلابى، على اقتسام الشام بعد طرد الفاطميين، انظر كتابى: اماره حلب- ط. بيروت 1971: 100- 101.

2- فى منطقه طبريه على مقربه من فيق. معجم البلدان.

3- رافع بن أبى الليل من أمراء كلب، انفصل عن عمه سنان بن عليان، و انضم جهاره إلى صف الفاطميين و اشترک إلى صفهم فى معركه الأقحوانه. انظر إماره حلب: 99- 100.

4- أى الرجل« من الباديه» الذى تعرف إلى جثه صالح بن مرداس، هذا و يروى أن الذى تولى قتل الصالح هو رافع بن أبى الليل بن عليان نفسه.

و قال فیه الأمیر أبو الفتیان محمد بن سلطان بن محمد بن حیوس من قصیده امتدحه بها:

فکم لیله نام عنی الرقیب و نبهنی القمر المرتقب

جمعت بها بین ماء الغمام و ماء الرضاب و ماء العنب

کجود المظفر سیف الامام و عدته المصطفی المنتجب(1)

و لما توجه عقیب ذلک إلی حلب، و نزل علیها ظفر بشبل الدوله نصر ابن صالح(2)، و کان قد انهزم و لحقه رجل فرماه بخشت فی کتفه فأنفذه، و وقع عن فرسه، و مر به أحد الأتراک فقطع رأسه و سلمه إلی رافع، و أنفذ من یسلم جثته إلی حماه، فصلبت علی الحصن و أمر أمیر الجیوش بعد ذاک بإنفاذ ثیاب و طیب و تکفین الجثه فی تابوت، و دفنها فی المسجد، و بقیت فیه إلی سنه تسع و ثلاثین و أربعمائه و نقلها مقلد بن کامل(3) لما ملک حماه إلی قلعه حلب، و أنفذ الرأس و الترکی و البدوی مع الشریف الزیدی إلی الحضره، فی نصف شعبان سنه تسع و عشرین و أربعمائه، و عاد أمیر الجیوش إلی دمشق، و نزل فی القصر، و أقام فیها ما أقام، و سار منها إلی حلب و نزل علی السعدی(4) و فتحت له أبواب

1- دیوانه: 1/ 66 مع بعض الخلاف
2- حدثت المعرکه بین نصر بن صالح و الدزبری علی مقربه من حماه سنه 428 ه/ 1038 م. انظر اماره حلب: 123- 125.
3- من أولاد عم نصر بن صالح شغل أکثر من وظیفه هامه أیام الدوله المرداسیه. انظر اماره حلب: 110، 112، 132، 144.
4- فی مراه الزمان حوادث سنه 429 ه]: و سار الدزبری، فنزل علی جبل جوشن ظاهر حلب، و أغلق أهل حلب أبوابها و قاتلوه، فاستمالهم و أمنهم، ففتحوا له الأبواب فدخلها، و کان فی القلعه المقلد بن کامل ابن عم شبل الدوله، فتراسلا و استقر الأمر علی أن المقلد یأخذ من القلعه ثمانین ألف دینار و ثیابا و أوانی ذهب و فضه و یسلمها إلی الدزبری، و کانت خدیعه، فأجاب الدزبری، فأخذ جمیع ما کان فی القلعه من الأموال و الذخائر و الجواهر، و ما ترک إلا ما ثقل حمله، و نزل و مضی إلی حلته، و حصل جمهور ما کان فی القلعه، و أخذه عز الدوله ثمال بن صالح أخو نصر، و کان

قد انهزم إلى القلعه يوم الوقعه، و أراد أن يعصى فلم يتفق، فأخذ خمسين ألف دينار، و انصرف، و بلغ الوزير بمصر، فعز عليه ذلک، مضاف إلى سوء رأى الدزبرى، فكانت ولايه شبل الدوله على حلب تسع سنين.

البلد، و دخله و أحسن إلى أهله، ورد ما كان صالح اغتصبه من الأملاک إلى أربابها(1)، و أمر بقتال القلعه فقوتلت و هو قائم، و راسله مقلد بن كامل المقيم بها، و سلمها إليه و أقطعه (48 و) عده مواضع، و سكن فى دار عزيز الدوله، و تزوج بنت الأمير منصور بن زغيب، و وصله السجل من الحضره بإقطاعه حلب، و عاد إلى دمشق و شرع فى عماره الدار بالقصر، ثم بلغه عن الوزير على بن أحمد الجرجرائى، و عن الظاهر ما أوجب الاستيحاش منه و النفور عنه، فعزم على العود إلى حلب، فظهر له من أجناده ما أنكره، فهموا بالقيام عليه، فسار من القصر بعد أن أمر الغلمان بنهب ما فى القصر(2) و وصل إلى حلب، و دخلها فى يوم الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر، و نزل فى دار سعد الدوله، و اجتمع بزوجته و ابنته الواصلين من مصر و لازم الشراب، و صخّ عليه جسمه(3) و بلغه وصول سجل من مصر إلى دمشق عن الحضره قرى ء على المنبر يقال فيه:

أما بعد فإنه قد علم الحاضر، و البادى و الموالف و المعادى، حال أنوشتكين الدزبرى الخائن، و أنه كان مملوكا لدزبر بن أونيم الحاكمى و أهداه إلى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، فنقله إلى المراتب إلى أن انتهى أمره إلى ما انتهى إليه، فلما تغيرت نيته، سلبه الله تعالى نعمته لقوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ(4).

فشق هذا الأمر عليه، و ضاق صدره لإسقاط نعوته، و قلق لذلک،

1- فى زبده الحلب: 1/ 256 أن الدزبرى اجتاز بطريقه إلى حلب« بمعره النعمان، فالتقاه أهلها فأكرمهم، و سألهم على أبى العلاء بن سليمان، و قال لهم: لأسيرن فيكم بسيره العمرين».
2- ذكر المقريزى فى ترجمه الدزبرى فى كتابه المقفى أن ما نهب من قصر دمشق/ 200/ ألف دينار.
3- فى الأصل« صح» و هى تصحيف لعل صوابه ما أثبتناه، و الصاخه: الداهيه و الجمير العظيم. العين
4- القرآن الكريم- الرعد: 11.

و أيس من العود إلى دمشق، و قد كان عازما على العود، ثم وصله السجل عن الحضره صحبه بعض العرب نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله و وليه الإمام معد أبى تميم، المستنصر بالله أمير المؤمنين، إلى أنوشتكين مولى دزبر بن أونيم الديلمى.

أما بعد فإن الله بقضيته العادله، و مشيئته البالغه لم يک مغيرا ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ(1) مع ما أنک أجرمت على نفسک فى يومک و أمسک، و استوجبت بذلک مقام الحلول من نحسک، فلا تعجل بعذاب الله عند ما أسرفت، و وبيل عقابه، عند ما خالفت، فإن الله تعالى يقول مخاطبا لذوى العقول «فمهل الكافرين أمهلهم رويدا»(2) و تالله لقد جددت بمسيرک إلى حلب، لبعد أملک و انقطاع أجلک، و إنما بقى لک إلا أيام قلائل، و يكثر لک الندم و تحل بک النقم إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها(3) و إن مثلک مثل شاه عطشانه و لهانه ضائعه جائعه، نزلت فى مرج أفيح، غزير ماءه، كثر عشبه (48 ظ) و مرعاه، فشربت ماء، و أكلت عشبا، فرويت بعد ظمائها، و شبعت بعد جوعها، و استحسنت بعد قبحها، فلما تكامل حسنها، ذبحت وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(4) و إن أمير المؤمنين يضرب لک مثلا عن جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، لما أنزل عليه وَ الضُّحى. وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى. ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلى إلى قوله عز و جل: أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوى، وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدى

1- القرآن الكريم- الرعد: 11.
2- القرآن الكريم- الطارق: 17.
3- القرآن الكريم- البقره: 26.
4- القرآن الكريم- ابراهيم: 25.

. وَ وَجَدَکَ عائِلًا فَأَغْنی(1)، فبدلت النعمه کفرا، و وضعت موضع الخیر شرا، و قد انتهی إلی حضره أمیر المؤمنین افتخارک بجمع الأموال و اکتنازک لها لأمر یدهمک، أو لیوم ینفعک(2)، أفما قرأت القرآن العظیم، أما تدبرت قول الملک الرحیم فی قصه قارون لما بغی و اعتدی، و ازداد فی الطغیان، حیث یقول جل و علا:

فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما کانَ لَهُ مِنْ فِئَهٍ یَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما کانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِینَ(3) أما رأیت الأمم الماضیه الذین عادوا الدوله، و نصبوا لها العداوه الشدیده، انظر إلی دیارهم کیف قل فیها الساکنون، و کثر علیها الباکون، قال تعالی: فَتِلْکَ بُیُوتُهُمْ خاوِیَهً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ(4) فاشتغل عن إصلاح العین، و عن خطرک فی حساب الفرقدین، و افتکر فی رب المشرقین و رب المغربین، حیث یقول جل جلاله: أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ. وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ. وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ(5) و قد عرف أمیر المؤمنین بکتاب الله الأعلی، الذی نزل علی خاتم الأنبیاء حیث یقول: وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ(6).

فلما سمع ما اشتمل علیه هذا السجل من الإنکار و الوعظ بالآیات و التخویف، عظم الأمر علیه و ضاق صدره لتغیر النیه فیه، و رأی من الصواب إعاده الجواب بالتلطف و التنصل مما ظن به، و الاعتذار و الترفق فی المقال، و الاعتراف بما شمله قدیما و حدیثا من الاحسان و الافضال، فکتب بعد البسمله:

1- القرآن الکریم- الضحی: 1- 8.
2- قدر المقریزی فی ترجمته للدزبری ثروته بأکثر من ملیون دینار، و بین أنه« فی آخر عمره، انحرف عن مذهب الاسماعیلیه، و کان هذا أعظم أسباب الوحشه بینه و بین أهل الدوله بمصر».
3- القرآن الکریم- القصص: 81.
4- القرآن الکریم- النمل: 52.
5- القرآن الکریم- البلد: 8- 10.
6- القرآن الکریم- الشعراء: 227.

کتب عبد الدوله العلویه و الإمامیه الفاطمیه، و الخلافه المهدیه، عن سلامه تحت ظلها، و نعمه منوطه بکفلها، و هو متبری ء إلیها من ذنوبه الموبقه، و اسائته المرهقه، لائذ بعفو أمیر المؤمنین، متنصل أن یکون فی جمله المجرمین المذنبین، عن غیر إساءه إقترفها، و لا جنایه احتقبها، عائذ بکرمها، صابر لحکمها، لقوله تعالی: وَ بَشِّرِ الصَّابِرِینَ(1) و هو تحت خوف و رجاء، و تضرع و دعاء، قد ذلت نفسه (49 ظ) بعد عزها، و خافت بعد أمنها، و رسخت بعد رفعتها، وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ(2) و أی قرب لمن أبعدته، و أی رفعه لمن حططته، و العبد بفخرها شمخ، و بجدها طال و بذخ، فزکت نصبته، و طابت أرومته، و سمت فروعه، و کان کقوله تعالی: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا کَلِمَهً طَیِّبَهً کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِی السَّماءِ تُؤْتِی أُکُلَها کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها(3) فلما أنکرت الدوله حاله، و قبحت أفعاله، و أزرت علیه، خذله الأنصار، و قل بعد الإکثار، فصار کقول الملک الجبار وَ مَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ(4)، غیر أن العبد یتوسل بوکید خدمته، و قدیم نصیحته، و مجاهدته لأعداء الدوله مذکرا قول الله تعالی: وَ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَلَنْ یُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَیَهْدِیهِمْ. وَ یُصْلِحُ بالَهُمْ(5)، و هو مع ذلک معترف بذنوب ما جناها، و إساءه ما أتاها، ذاکرا ما نزل الله فی کتابه المبین علی سید المرسلین وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَی اللَّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ(6) عفا الله عن أمیر المؤمنین، أهل بیت العفو

1- القرآن الکریم- البقره: 155.
2- القرآن الکریم- الرعد: 33.
3- القرآن الکریم- ابراهیم: 24- 25.
4- القرآن الکریم- ابراهیم: 26.
5- القرآن الکریم- محمد: 4- 5.
6- القرآن الکریم- التوبه: 102.

و الكرامه لجميع الأمم، و فيهم نزلت الآيات و الحكم، قال الله تعالى:

وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ(1) و ليس مسير العبد إلى حلب ينجيه من سطوات مواليه، لقوله تعالى: قُلْ [مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ وَ الْآخِرَهُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا. أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ] وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَهٍ(2) و الذين كتب عليهم القتل [يدركهم](3) إلى مضاجعهم، لكنه بعد توسله و اعترافه بجرائره و ذنوبه، و تنصله يرجو قبول توبته، و تمهيد عذره فى إنابته و لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ(4) و لأمير المؤمنين فى كل قول وحد، فقد وعد الله المسرفين على أنفسهم فقال تعالى: قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(5).

و أما ما رقى إلى الحضره المطهره عن العبد فى كثره الأموال و جمعها، فذلک طباع ولد آدم فى حب اللجين و العسجد، و ما عليه فى الدنيا يعتمد، نعوذ بالله أن يكون ذلک لمضاده أو مقاومه أو مكاثره أو مقابله، لكنها معده للجهاد فى أعداء أمير المؤمنين، و مبذوله فى نصره (49 ظ) أوليائه المخلصين، إذ يقول تعالى، و له الْمَثَلُ الْأَعْلى(6): وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ(7) و لقد قرى ء على العبد القرآن العظيم فوجده منوطا بطاعه إمام الزمان، و هو ولى العفو و الغفران عن أهل الإساءه

1- القرآن الكريم- النور: 22.
2- القرآن الكريم- النساء: 77- 78. و سقط ما بين الحاصرتين من الأصل.
3- أضيف ما بين الحاصرتين تقديرا كيما يستقيم السياق.
4- القرآن الكريم- الروم: 4.
5- القرآن الكريم- الزمر: 53.
6- القرآن الكريم- النحل: 16.
7- القرآن الكريم- الأنفال: 60.

و العدوان، مكررا لقول الملک الديان: وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(1).

و أنفذ هو الجواب صحبه الرسول الواصل بعد إكرامه، و طلع عقيب ذلک إلى قلعه حلب فى يوم الأربعاء لعشر خلون من جمادى الأولى، و بات ليله الجمعه، و اقشعر جسمه وقت صلاه الظهر، و اشتدت به الحمى، فأحضر طبيبا من حلب، و شرح له حاله، فوصف له مسهلا، فلما حضر لم تطب نفسه لشربه، و لحقه فالج فى يده اليمنى و رجله اليمنى، و زاد قلقه، و قضى نحبه فى الثلث الأخير من ليله الأحد لأربع عشره ليله خلت من جمادى الأولى سنه ست و ثلاثين و أربعمائه.

و له أخبار محموده فى حسن السيره و العدل و النصفه و الذكاء و المعرفه، و ذكر المال الذى خلفه بقلعه حلب بعد وفاته ستمائه ألف دينار سوى الآلات و العروض، و قيمه الغلات مائه ألف دينار، و أخذ له من دمشق و فلسطين مائتا ألف دينار، و كان له مع التجار خمسون ألف دينار، و نهب له من القصر بدمشق مائتا ألف دينار، خلف من الأولاد هبه الله من بنت وهب بن حسان، ماتت أمه و عمره أربعون يوما، و أبوه و له شهران و سنه، و أربع بنات إحداهن من بنت الأمير حسام الدوله البجناكى، و ابنه من بنت عزيز الدوله رافع بن أبى الليل، و ابنتان من جاريتين و هبهما فى القصر، فأما هبه الله فإنه حمل إلى الحضره و أكرم بها و كفله رضى الدوله غلامه، و عاش ست سنين، و سقط عن فرسه فمات، و البنت من بنت حسام الدوله تزوجها الأمير صارم الدوله ذو الفضيلتين، و البنت من بنت رافع نقلت إلى حله أخوالها من بنى كلب.

ثم رأت الحضره فى سنه ثمان و أربعين و أربعمائه نقل أمير الجيوش من تربته بحلب إلى تربته ببيت المقدس، فأمرت بنقله فى تابوت على طريق

1- القرآن الكريم- آل عمران: 34.

الساحل، فكان يحط بخيمه، و ما يمر ببلد إلا كان وصوله يوما مشهودا، و أخرجت الحضره ثيابا حسنه و طيبا كثيرا و أمرت الشريف (50 و) أثير الدوله ابن الكوفى أن يتولى تكفينه و دفنه، و أن يأمر من بالرمله من غلمانه بالتحفى و المشى خلف جنازته، و أن ينادى بألقابه، فنودى بها، و دفن فى التربه التى له فى بيت المقدس، فسبحان من لا يزول ملكه، و لا يخيب من عمل بطاعته، المجازى عن إحسان السيره بالإحسان، و عن السيئات فى العقبى و المآل، ذو الجلال و الكمال الغفور الرحيم.

و لما زاد أمر الحاكم بأمر الله فى عسف الناس، و ما ارتكبه من سفک الدماء، و افاظه النفوس(1)، و أخذ الأموال، و قتل الكتاب و العمال، و الفتک بالمقديمين من الوزارء و القواد، و أكابر الأجناد، و عدل عن حسن السياسه و السداد، و زاد خوف خدمه و خواصه منه، و استوحشوا من فعله، و شكا المقدمون و الوجوه إلى أخته ست الملک بنت العزيز بالله، هذه الأحوال فأنكرت ما أنكروه، و أكبرت ما أكبروه، و اعترفت بصحه ما شكوه، و حقيقه ما كرهوه، و وعدتهم إحسان التدبير فى كشف شره، و إجمال النظر فى أمورهم و أمره، و لم تجد فيه حيله يحسم بها داؤه إلا العمل على إهلاكه، و كف أذاه بعدمه، و أعملت الرأى فى ذلک و أسرته فى النفس، إلى أن وجدت الفرصه مستهله، فابتدرتها و الغره باديه فاهتبلتها، و رتبت له من اغتاله فى بعض مقاصده، و أخفى مظانه فأتى عليه، و أخفى أمره إلى أن ظهر فى عيد النحر من سنه إحدى عشره و أربعمائه و قال المغالون فى المذهب إنه غائب فى سره(2) و لابد أن يؤوب، و مستتر فى غيبه و لابد أن يرجع إلى منصبه و يثوب، و كان مولده

1- أى ازهاق النفوس
2- هذا ما نراه فى كتاب رسائل الهند، حيث قيل بأنه ذهب فى سياحه طويله أخذته إلى الشام و من هناک حتى الهند، و هذا الكتاب نشر و وزع بشكل محدد تماما، و هناک أكثر من نسخه خطيه منه، واحده فى المتحف البريطانى، كنت رأيتها و استخرجت منها نصا عسكريا نشرته منذ سنوات.

بالقاهره ليله الخميس الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول سنه خمس و سبعين و ثلاثمائه، و ولى الأمر و عمره عشر سنين و سته أشهر و سته أيام، و فقد فى العشر الأول من شوال سنه إحدى عشر و أربعمائه، و عمره ست و ثلاثون سنه و مده أيامه خمس و عشرون سنه و شهران و أيام، و نقش خاتمه «بنصر الإله العلى ينتصر الإمام أبو على»، و كان غليظ الطبع، قاسى القلب، سفاكا للدماء، قبيح السيره، مذموم السياسه، شديد التعجرف و الاقدام على القتل غير محافظ على حرمه خادم ناصح و لا صاحب مناصح.

و قام فى الأمر بعده ولده أبو الحسن على الظاهر لإعزاز دين الله، و أخذت له البيعه (50 ظ) بعد أبيه فى يوم النحر من سنه إحدى عشر و أربعمائه و استقامت الأمور بعد ميلها، و أمنت النفوس بعد وجلها، و حسنت السيره بعد قبحها، و ارتضيت السياسه بعد النفور عنها.

ورد تدبير الأعمال فيها و تسديد الأحوال، و لم ما تشعث منها إلى الوزير صفى أمير المؤمنين و خالصته أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى، و كتب له السجل بالتقليد من إنشاء ولى الدوله أبى على بن خيران متولى الانشاء، و قرى ء بالحضره على القواد و المقدمين فى ذى الحجه سنه ثمان عشره و أربعمائه و نسخته بعد البسمله:

أما بعد، فالحمد لله مطلق الألسن بذكره، و مجزل النعم بشكره، و مصرف الأمور على حكم إرادته، و أمره الذى استحمد بالطول و النعماء، و تمجد بالحكمه و السناء، و ملك ملكوت الأرض و السماء و استغنى عن الظهراء و الوزراء، و أكرم عباده بأن جعل تذكرته لهم فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ(1) فسبحان من نظر لخلقه فأحسن و أنعم، و عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ

1- القرآن الكريم- عبس: 12- 16.

يَعْلَمْ(1) يحمده أمير المؤمنين حمد مخلص فى الحمد و الشكر، متخصص بشرف الإمامه و نفاذ النهى و الأمر، و يرغب إليه تعالى فى الصلاه على نبيه محمد الذى نزل عليه الفرقان، ليكون للعالمين نذيرا، و أعز به الإيمان آيه و جعل له من لدنه سلطانا نصيرا(2) و انتخب أبانا عليا أمير المؤمنين أخا و وزيرا، و صيره على أمر الدين و الدنيا منجدا له و ظهيرا، صلى الله عليهما، و سلم على العتره الزاكيه من سلالتهما سلاما دائما كثيرا.

و إن أحق من عول عليه فى الوزاره، و أسند إليه أمر السفاره، و نصب لحفظ الأموال و تمييزها، و سياسه الأعمال و تدبيرها و إياله طوائف الرجال كبيرها و صغيرها، من كان حفيظا لما يستحفظ من الأمور، قؤوما بمصالح الجمهور، عليما بمجارى السياسه و التدبير، و لذاك قال يوسف الصديق عليه السلام: اجْعَلْنِى عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ(3) و لو استغنى أحد من رعاه العباد عن وزير و ظهير، يكاتفه على أمره، و يظاهره، لكان كليم الله موسى صلى الله عليه، و هو القوى الأمين، عنه مستغنيا، و لم يكن له من الله جل جلاله طالبا مستدعيا، و قد قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى. وَ يَسِّرْ لِى أَمْرِى. وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسانِى. يَفْقَهُوا قَوْلِى. وَ اجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى. (51 و) هارُونَ أَخِى. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى. وَ أَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى. كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً. وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً(4).

و لما كنت بالأمانه و الكفايه علما، و عند أهل المعرفه و الدرايه مقدما، و كان الكتاب على اختلاف طبقاتهم، و تفاوت درجاتهم يسلمون إليک فى الكتابه و يقتدون بک فى الإصابه، و يشهدون لک بالتقدم فى الغناء،

1- القرآن الكريم- العلق: 4- 5.
2- انظر القرآن الكريم- الاسراء: 80.
3- القرآن الكريم- يوسف: 55.
4- القرآن الكريم- طه: 25- 34.

و يهتدون بحلمک اهتداء السفر بالنجم فی الليله الظلماء، و لا يتناکرون الانحطاط عن درجتک فی الفضل لتفاوتها فی الارتفاع، و لا يرد ذلک راد من الناس أجمعين إلا خصمه وقوع الاجماع هذا، مع المعروف من استقلالک بالسياسه، و استکمالک لأدوات الرئاسه و تدبيرک أمور المملکه، و ما ألف برشد وساطتک من سمو اليمن و البرکه، رأی أمير المؤمنين، بالله توفيقه، أن يستکفيک أمر وزارته، و ينزلک أعلی منازل الاصطفاء بخاص إثرته، و يرفعک علی جميع الأکفاء بتام تکرمته، و ينوه باسمک تنويها لم يکن لأحد قبلک من الظهراء فی دولته، فسماک بالوزير لمؤازرته علی حمل الأعباء، و وکد هذا الاسم «بالأجل» لأنک أجل الوزراء، و عزز ذلک «بصفی أمير المؤمنين و خالصته» إذ کنت أعز الخلصاء و الأصفياء، و شرفک بالتکنيه تسميقا بک فی العلياء، و دعا لک بأن يمتعه الله بک و يؤيدک و يعضدک، دعاء يجيبه رب السماء، فأنت «الوزير الأجل، صفی أمير المؤمنين، و خالصته المحبو بالمن الجسيم ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(1)، و أمر أمير المؤمنين بأن تدعی بهذه الأسماء، و تخاطب، و تکتب بها عن نفسک و تکاتب، و رسم ذکر ذلک فيما يجری من المحاورات، و اثباته فی ضروب المکاتبات، ليثبت ثبوت الاستقرار و يبقی رسمه علی مر الليالی و النهار، فاحمد الله تبارک و تعالی علی تمييز أمير المؤمنين لک بتشريفه و اختصاصه، و إحلاله إياک أعلی محال خواصه، و اجر علی سننک الحميد فی خدمته، و مذهبک الرشيد فی مناصحته، إذ کان قد فوض إليک أمر وزارته و جعلک الوسيط بينه و بين أوليائه و أنصار دعوته، و ولاه أعمال مملکته، و کتاب دواوينه، و سائر عبيده و رعيته شرقا و غربا و قربا و بعدا(2) و أمضی توقيع من تنصبه للتوقيع عن أمير المؤمنين فی الإخراج و الإنفاق و الإيجاب و الإطلاق، و ناط بک أزمه الحل و العقد و الإبرام (51

1- القرآن الکريم- الحديد: 21.
2- فی الأصل:« قربا و قربا» و هو خطأ اقتضی التبديل.

ظ) و النقض و القبض، و البسط و الاثبات، و الحط و التصريف و الصرف، تفويضا إلى أمانتک التی لا يقدح فيها معاب، و سكونا إلى ثقتک التی لا يلم بها ارتياب، و علما بأنک تورد و تصدر عن علم و حزم، تفوق فيهما كل مقاوم، و لا تأخذک فی المناصحه لأمير المؤمنين، و الاحتياط له «لومه لائم»، و جميع ما يوصی به غيرک ليكون له تذكره، و عليه حجه، فهو مستغنی عنه معک، لأنک تغنی بفرط معرفتک عن التعريف، و لا تحتاج مع وقوفک على الصواب و علمک به إلى توقيف، غير أن أمير المؤمنين يؤكد عليک الأمر بحسن النظر لرجال دولته دانيهم و قاصيهم، بارک الله فيهم، و أن يتوفر على ما تعود بصلاح أحوالهم و انفساح آمالهم، و انشراح صدورهم، و انتظام أمورهم. إذ كانوا كتائب الاسلام و معاقل الأنام، و أنصار أمير المؤمنين المحفوفين بالإحسان و الإنعام، حتى تحسن أحوالهم بجميل نظرک، و يزول سوء الأثر فيهم بحسن أثرک، و كذلک الرعايا بالحضره، و أعمال الدوله، فأمرهم من المعنى به، و المسؤول عنه، و أمير المؤمنين يأمرک بأن تستشف خيره الولايه فيهم، فمن ألفيته من الرعيه مظلوما أو عزت بنصفته، و من صادفته من الولاه ظلوما، تقدمت بصرفه و حسم مضرته و معرته.

فأما الناظرون فی الأموال من ولاه الدواوين و العمال، فقد أقام أمير المؤمنين عليهم منک المنقی الزكاء طبا بالأدواء، لا يصانع و لا تطيبه المطامع، و لا ينفق عليه المنافق، لا يعتصم منه الخؤون السارق، كما أنه لا يخاف لديه الثقه الناصح، و لا يخشی عاديته الأمين فی خدمته المجتهد الكادح، و الذی يدعو المتصرف إلى أن يحمل نفسه على الخطه النكراء فی الاحتجان و الارتشاء أحد أمرين: إما حاجه تضطره إلى ذلک، أو جهاله تورده المهالک، فإن كان محتاجا سد رزق الخدمه فاقته، و رجا الراجون برءه من مرض الاسفاف و إفاقته، و إن كان جاهلا فالجاهل لا يبالی على ما أقدم عليه، و لا يفكر فی عاقبه ما يصير أمره إليه، و من جمع هذين

القسمين كانت نفسه أبدا تسف و لا تعف، و يده تكف و لا تكفّ، و وطأته تثقل و لا تخف، فلا ترب من تنزّه و عف، و لا أثرى، من رضى لنفسه بدنى ء المكسب و أسف، و ما (52 و) يستزيدک أمير المؤمنين على ما عندک من حسن التأنى، و الاجتهاد فى إصلاح الفاسد، و استصلاح المعاند، و استفاءه الشارد بالمعصيه إلى طاعته، و إعطاء رجال الدوله ما توجب لها حقوق الخدمه من فضل نعمته، و أمير المؤمنين يقول بعد ذلک قولا يؤثر عنده(1) فى المشرق و المغرب، و يصل إلى الأبعد و الأقرب:

«إن أكثر من وقع عليه اسم الوزاره قبلک إنما تهيأ له ذلک بالحظ و الاتفاق»، و لم يوقع إسمها عليک، و يعذق(2) بک أمرها إلا باستيجاب و استحقاق لأنها احتاجت إليک حاجه الرمح إلى عامله، و العب ء إلى حامله، و المكفول إلى كافله، و كم أفرجت عن الطريق إليها لسواک، و اجتهدت أن يعدوک مقامها إكبارا له فما عداک، و الله يكبت بجميل رأى المؤمنين حسدتک و عداک، و يتولاک بالمعونه على ما قلدک و ولاک، و يمتعه ببقائک كما امتعه بكفايتک و غنائک، و يخير له فى استيزارک كما خار له من قبل فى اصطناعک و إيثارک، بمنه و كرمه، و السلام عليک و رحمه الله، و كتب يوم الجمعه لإثنتى عشره ليله خلت من ذى الحجه سنه ثمانى عشره و أربعمائه.

1- كذا فى الأصل، و أحسن منها« عنه».
2- رجل عذق: فيه شده و بخل و عسر فى خلقه. العين

ولایه القائد ناصر الدوله أبی محمد الحسن بن الحسین بن حمدان لدمشق فی سنه ثلاث و ثلاثین و أربعمائه بعد أمیر الجیوش أنوشتکین الدزبری

وصل الأمیر المظفر، ناصر الدوله، و سیفها، ذو المجدین أبو محمد الحسن بن الحسین بن حمدان، إلی دمشق والیا فی جمادی الآخره سنه ثلاث و ثلاثین و أربعمائه فی یوم الأربعاء السادس عشر منه، و قری ء سجله بالولایه بألقابه، و الدعاء له، فیه: «سلمه الله و حفظه» و وصل معه الشریف فخر الدوله نقیب الطالبیین أبو یعلی حمزه بن الحسین بن العباس بن الحسن بن الحسین بن أبی الجن بن علی بن محمد بن علی بن اسماعیل، بن جعفر الصادق علیه السلام، فأقام فی الولایه آمرا ناهیا إلی أن وصل من مصر من قبض علیه بدمشق، و سیره معه إلی مصر فی یوم الجمعه مستهل رجب سنه أربعین (52 ظ) و أربعمائه.

و فی سنه ست و ثلاثین وردت الأخبار من ناحیه العراق بظهور رایه السلطان رکن الدنیا و الدین طغرلبک محمد بن میکائیل بن سلجق، و قوه شوکه الأتراک، و ابتداء دولتهم و استیلائهم علی الأعمال، و ضعف أرکان الدوله البویهیه و اضطراب أحوال مقدمیها و أمرائها(1).

و فی سنه سبع و عشرین و أربعمائه وردت الأخبار من ناحیه مصر بوفاه الإمام الظاهر لإعزاز دین الله أبی الحسن علی بن الحاکم بأمر الله بالاستسقاء، فی لیله الأحد النصف من شعبان سنه سبع و عشرین و أربعمائه، و عمره إثنتان و ثلاثون سنه، و مولده بالقاهره فی شهر رمضان سنه خمس و تسعین و ثلاثمائه و مده أیامه خمس عشره سنه و ثمانیه أشهر و خمسه أیام، و نقش خاتمه «بنصر ذی الجود و المنن ینتصر الإمام أبو الحسن»، و کان جمیل السیره، حسن السیاسه، منصفا للرعیه، إلا أنه

1- انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 61- 64، 93- 124.

متشاغل باللذه، محب للدعه و الراحه، معتمد فی إصلاح الأعمال، و تدبیر العمال، و حفظ الأموال، و سیاسه الأجناد، و عماره البلاد علی الوزیر أبی القاسم بن أحمد الجرجرائی، لسکونه إلی کفایته، و ثقته بغنائه و نهضته.

ثم تولی الأمر بعده ولده أبو تمیم معد المستنصر بالله أمیر المؤمنین، و عمره سبع سنین و شهران، و أخذت البیعه له بعد أبیه فی شعبان سنه سبع و عشرین و أربعمائه، و فی أیامه ثارت الفتن من بنی حمدان و أکابر القواد، و وجوه العسکریه و الأجناد، و غلیت الأسعار، و قلت الأقوات و اضطربت الأحوال، و اختلت الأعمال و حصر فی قصره، و طمح فی خلعه لضعف أمره، و لم یزل الأمر علی هذه الحال إلی أن استدعی أمیر الجیوش بدر الجمالی من عکا إلی مصر فی سنه خمس و ستین و أربعمائه، فاستولی علی الوزاره و التدبیر بمصر، و قتل من قتل من المقدمین و الأجناد، و طالبی الفساد، و تمهدت الأمور و سکنت الدهماء، و ألزم المستنصر بالله القصر، و لم یبق له نهی و لا أمر إلا الرکوب فی العیدین، و لم یزل کذلک إلی أن توفی أمیر الجیوش و انتصب مکانه ولده الأفضل أبو القاسم شاهنشاه(1).

1- حاول ناصر الدوله أن ینفرد بالتحکم بالخلافه الفاطمیه کما أنه فکر بالغاء الخلافه، و لهذا وجه الدعوه إلی السلطان السلجوقی ألب أرسلان للقدوم إلی مصر، و قبل محاوله ناصر الدوله هذه کانت مصر قد ساءت فیها المواسم و حلت بها المجاعه مع الأوبئه، کما أعلن المعز بن بادیس فی تونس إلغاء الدعوه الفاطمیه، و لهذا وجهت القاهره ضده قبائل هلال و سلیم، یضاف إلی هذا کله اخفاق ثوره البساسیری، و قد حسمت هذه الأمور، و وضع حد لماده الفوضی عند ما استولی بدر الجمالی، و هو أرمنی الأصل، علی مقالید الأمور، و حکم علی الخلیفه و الخلافه. انظر ترجمه بدر الجمالی فی ملاحق کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 298- 305، و انظر أیضا:

ولایه القائد طارق الصقلبی المستنصری لدمشق فی سنه أربعین و أربعمائه (53 و)

وصل الأمیر الأمیر بهاء الدوله و صارمها طارق المستنصری إلی دمشق، والیا علیها فی یوم الجمعه مستهل رجب سنه أربعین و أربعمائه و قری ء سجل ولایته و الدعاء له «سلمه الله و حفظه»، و عند دخوله وقع القبض علی الأمیر ناصر الدوله بن حمدان الوالی المقدم ذکره و سیر إلی مصر، و تسلم الأمیر طارق الولایه یأمر فیها.

و وردت الأخبار من ناحیه مصر فی سنه ست و ثلاثین و أربعمائه، بوفاه الوزیر أبی القاسم علی بن أحمد الجرجرائی(1) وزیر المستنصر بالله، فی داره آخر نهار الأربعاء السادس من شهر رمضان بعله الاستسقاء و صلی علیه المستنصر بالله فی القصر، و دفن فی دار تجاور دار الوزاره، و قلد مکانه الوزیر أبو نصر صدقه بن یوسف الفلاحی و خلع علیه فی یوم الثلاثاء الحادی عشر من شهر رمضان من السنه، و قبض علی أبی علی بن الأنباری صاحب الوزیر أبی القاسم علی بن أحمد، و حمله إلی خزانه البنود و سعی فی قتله فیها و دفنه، و ما مضی إلا القلیل، و قبض علی الوزیر أبی نصر بن یوسف الفلاحی، و حمل إلی خزانه البنود فی یوم الاثنین الخامس من المحرم سنه أربعین و أربعمائه، و قتل سحره یوم الاثنین فی المکان الذی قتل فیه ابن الأنباری(2)، و قیل أنه دفن معه فی قبره.

1- 254.

2- أبو علی الحسن بن علی الأنباری، خلف الجرجرائی، و کان من أصحابه، و أراد السیر علی منهجه لکن أم المستنصر بالتعاون مع الیهودی سهل التستری تمکنت من إبعاده و جاءت بالفلاحی الذی کان یهودیا و أسلم، و حین تسلم الوزاره لم یکن له أمر و لا نهی، بل کان کل شی ء بید التستری، و تآمر الفلاحی علی التستری فدبر اغتیاله، و انتقمت أم المستنصر لقتل حلیفها بصرف الفلاحی عن الوزاره و قتله، و استلم الوزاره بعده الجرجرائی(محمد بن أحمد) و أخفق- - هذا حیث کان عمه قد نجح، و کثرت المصادرات فی أیامه مع أعمال البطش فصرف عن الوزاره فی منتصف شوال سنه 441 ه. انظر المصدر السالف: 254- 256.

و نظر فی الوزاره أبو البرکات ابن أخی الوزیر علی بن أحمد الجرجرائی، و قبض علیه بعد ذلک فی لیله یوم الاثنین النصف من شوال سنه إحدی و أربعین و أربعمائه، و فترت الأمور إلی أن استقرت الوزاره لقاضی القضاه أبی محمد الحسن بن عبد الرحمن الیازوری، و وردت الأخبار من مصر بأن المستنصر بالله خلع علی وزیره قاضی القضاه أبی محمد الیازوری فی الرابع من ذی القعده سنه ثلاث و أربعین و أربعمائه، خلعا فاخره کانت: غلاله قصبا، و طاقا، و قمیصا دبیقیا، و طیلسانا، و عمامه قصبا، و حمله علی فرس رائع بمرکب من ذهب وزنه ألف مثقال، و قاد بین یدیه خمسه و عشرین فرسا و بغلا بمراکب ذهب و فضه، و حمل معه خمسون سفطا ثیابا أصنافا، و زاد فی نعوته و ألقابه، و خلع علی أولاده خلعا تلیق بهم، و کتب له سجل التقلید بانشاء ولی الدوله أبی علی بن خیران(1)، و بالغ فی إحسان وصفه و تقریظه و إطرائه و إحماد رأیه، و ما اقتضاه الرأی من (53 ظ) اصطفائه للوزاره و احتبائه، و قری ء بحضره المستنصر بالله بین قواده و خدمه و وجوه أجناده، و قیل إن هذا الإکرام مقابله علی ما کان منه فی التدبیر علی العرب المفسدین من بنی قره فی فلهم، و النکایه فیهم، و حسم أسباب شرهم و تشتیت شملهم، و نسخه هذا السجل المذکور بعد البسمله(2).

1- هو الذی سبق له کتابه سجل الجرجرائی، الذی ورد نصه من قبل.
2- 257.

ولایه رفق المستنصری لدمشق فی سنه إحدی و أربعین و أربعمائه

وصل الأمیر عده الدوله أمیر الأمراء رفق المستنصری إلی دمشق، والیا علیها فی یوم الخمیس الثانی عشر من المحرم سنه إحدی و أربعین و أربعمائه فی عده وافره من الرجال، و ثروه وافره من العدد و المال، و قری ء سجله بالولایه و أقام بها مده یأمر فیها و ینهی، و یحل و یعقد، و یصدر فی الأمور و یورد، ثم وصله الأمر من مصر بمسیره إلی حلب لأمر اقتضته الآراء المستنصریه من صرفه عنها، و تولیتها للأمیر المؤید، فسار منها و توجه إلی حلب فی یوم الخمیس السادس من صفر من السنه(1).

1- کلف بالذهاب إلی حلب لانتزاعها من المرداسیین، و قد توجه إلیها علی رأس جیش قوامه/ 000، 30/ ألف من العساکر و قد أخفقت هذه الحمله، و وقع رفق بالأسر بعد اصابته بجراح بالغه جعلته یموت بعد أیام من أسره. انظر کتابی(بالانکلیزیه) اماره حلب:

ولايه الأمير المؤيد عده الامام فى سنه إحدى و أربعين و أربعمائه بعد الأمير رفق

وصل الأمير المؤيد عده الإمام، مصطفى الملک، معين الدوله، ذو الرئاستين، حيدره ابن الأمير عضب الدوله حسين بن مفلح، إلى دمشق واليا عليها فى مستهل رجب سنه إحدى و أربعين و أربعمائه و حمل معه سديد الدوله ذو الكفايتين أبو محمد الحسين بن حسن الماشكى ناظرا فى الشام جمعيه: حربه و خراجه، و قرى منشور الولايه و الدعاء له «سلمه الله و حفظه»، فتسلم الولايه فى سنه اثنتين و أربعمائه يأمر فيها و ينهى على عاده الولاه، و استقامت أمور الولايه على ما يؤثره و يهواه و أحسن السيره فى العسكريه و الرعيه، فحمدت طريقته، و ارتضيت إيالته، و استمرت عليه الأيام فى الولايه إلى سنه ثمان و أربعين و أربعمائه التى بنى هذا المذيل عليها، و عادت سياقه الحوادث منها، و إيراد ما فيها، و تجدد بعدها.

سنه ثمان و أربعين و أربعمائه

(54 و) فيها وردت الأخبار من ناحيه العراق بانعقاد أمر الوصله(1) بين الإمام القائم بأمر الله، و بين بنت الملک داود أخى السلطان ركن الدنيا و الدين طغرلبک، و كان العقد أولا لولده ذخيره الدين، فلما قضى الله عليه بالوفاه، نقل العقد إلى الخليفه القائم بأمر الله فى يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم من السنه، و وصلت البنت المذكوره من مدينه الرى إلى بغداد فى الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول من السنه(2).

و فيها وردت الأخبار من مصر بقله الأقوات و غلاء الأسعار، و اشتداد الأمر فى ذلک إلى أوان زياده النيل، فظهر من القوت و وجوده ما طابت به النفوس و صلحت معه الأحوال.

سنه تسع و أربعين و أربعمائه

فى هذه السنه وردت الأخبار بتسلم الأمير مكين الدوله قلعه حلب من معز الدوله(3)، و حصل فيها فى يوم الخميس لثلاث بقين من ذى

1- أى الزواج بين خديجه ابنه جغرى بک و اسمها التركى« أرسلان خاتون» و الخليفه القائم 422- 467 ه/ 1031- 1075 م]. و قد أورد تفاصيل ذلک غرس النعمه محمد بن هلال ابن المحسن الصابى، فى كتابه عيون التواريخ الذى ذيل به على تاريخ أبيه، و كان أبوه قد ذيل على تاريخ خال أبيه ثابت بن سنان، و كان ثابت قد كتب أكثر من كتاب فى التاريخ منها كتاب« مفرد فى أخبار الشام و مصر فى مجلد واحد» و كما هو مرجح فإن ابن القلانسى قد ذيل على كتاب ثابت هذا بعد ما ذيل عليه هلال بن المحسن، و كما فعل ابن القلانسى حين بدأ كتابه بحوادث سنه/ 448 ه/ كذلک فعل غرس النعمه، و هنا يلاحظ أن غرس النعمه أولى حوادث العراق جل اهتمامه و جاء بعد العراق الشام و الجزيره، و نجد فى المقابل ابن القلانسى يهتم بالشام أولا و بمصر ثانيا، و محصله هذا أنه صنع الآن ذيلان لتاريخ آل الصابى ء يتممان بعضهما بعضا، انما يختلفان من حيث طول المده المؤرخ لها، و لم يصلنا تاريخ غرس النعمه بشكل مباشر، إنما وصلنا بشكل غير مباشر بكامله فى كتاب مرآه الزمان لسبط ابن الجوزى، و هذا الكتاب محقق لدى، و قد أورد سبط ابن الجوزى حادثه الزواج فى أخبار سنه/ 448/ ه.

2- ولى الخلافه بعد جده القائم و كانت خلافته ما بين 467- 487 ه/ 1075- 1094 م.
3- مكين الدوله هو الحسن بن على بن ملهم، أحد الأمراء الكبار أيام المستنصر. و معز الدوله هو ثمال بن صالح بن مرداس أمير حلب، و جاء تنازل ثمال عن حلب أثناء ثوره البساسيرى: انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 98- 122، 374- 375.

القعده منها، و أقام بها مده أربع سنين يخطب فيها للمستنصر بالله صاحب مصر.

و فيها توفى القاضى أبو الحسين عبد الوهاب بن أحمد بن هرون.

سنه خمسين و أربعمائه

فيها وصل الأمير ناصر الدوله، و سيفها ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان إلى دمشق واليا عليها، دفعه ثانيه بعد أولى فى يوم الاثنين النصف من رجب منها، و أقام يسوس أحوالها و يستخرج أموالها، إلى أن ورد عليه الأمر من الحضره بمصر بالمسير فى العسكر إلى حلب فتوجه إليها فى العسكر فى السادس عشر من شهر ربيع الأول سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه و اتفقت الوقعه المشهوره المعروفه بوقعه الفنيدق بظاهر حلب فى يوم الاثنين مستهل شعبان من السنه بين ناصر الدوله المذكور و عسكره، و بين جميع العرب الكلابيين و من انضم إليهم، فكسرت العرب عسكر(1) ناصر الدوله و استولوا عليهم و نكوا فيهم، و أفلت ناصر الدوله منهزما مفلولا و عاد إلى مصر.

و لم تزل الأخبار متواتره من ناحيه العراق بظهور (54 ظ) المظفر أبى الحارث أرسلان الفساسيرى(2)، و قوه شوكته، و كثره عدته و غلبه أمره على الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، و قهر نوابه و امتهان خاصته و أصحابه، و خوفهم من شره حتى أفضى أمره إلى أن يأخذ الجانى من حرم الخلافه، و يفعل ما يشاء، و لا يمانع له، و لا يدافع عنه.

1- انظر كتابى اماره حلب(بالانكليزيه): 159- 161.
2- أرسلان التركى،« منسوب إلى بسا بلده فى فارس و العرب تسميها فسا، و ينسبون إليها فسوى، و أهل فارس يقولون: بسا بين الباء و الفاء، و ينسبون إليها البساسيرى»، بحثت فى ثورته فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 95- 124 و نشرت فى ملاحق هذا الكتاب:

و قد شرح الخطیب أبو بکر أحمد بن علی بن ثابت البغدادی(1)، رحمه الله فی أخبار أهل بغداد، ما قال فیه: و لم یزل أمر القائم بأمر الله أمیر المؤمنین مستقیما إلی أن قبض علیه أرسلان الفساسیری فی سنه خمسین و أربعمائه، و هو واحد من الغلمان الأتراک عظم أمره(2)، و استفحل شأنه، لعدم نظرائه من الغلمان الأتراک و المقدمین و الأسفهسلاریه، إلا أنه استولی علی العباد و الأعمال، و مد یده فی جبایه الأمول، و شاع بالهیبه أمره، و انتشر بالقهر ذکره، و تهیبته العرب و العجم، و دعی له علی کثیر من منابر الأعمال العراقیه(3)، و بالأهواز و نواحیها، و لم یکن القائم بأمر الله یقطع أمرا دونه، و لا یمضی رأیا إلا بعد إذنه و رأیه.

ثم صح عنده سوء عقیدته، و خبث نیته(4)، و انتهی ذلک إلیه من ثقات الأتراک لا یشک فی قولهم و لا یرتاب، و انتهی إلیه أنه بواسط قد عزم علی نهب دار الخلافه، و القبض علی الخلیفه، فکاتب السلطان طغرلبک أبا طالب(5) محمد بن میکائیل و هو بنواحی الری یعرفه

1- صاحب تاریخ بغداد، لم یترجم للبساسیری فی کتابه، خرج من بغداد إثر حرکه البساسیری خشیه علی نفسه، ذلک أنه کان من أصدقاء الوزیر ابن المسلمه عدو البساسیری الأول، و الکتاب الذی أشار إلیه ابن القلانسی هو غیر کتاب تاریخ بغداد، انظر موارد الخطیب البغدادی، لأکرم ضیاء العمری ط. دمشق 1975: 43، و لحسن الحظ أن ابن العدیم حفظ لنا بخط یده روایه الخطیب البغدادی عن ثوره البساسیری، و علیها قمت بضبط نص ابن القلانسی. انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 257- 262.
2- فی روایه ابن العدیم: و کان السبب فی ذلک أن أرسلان الترکی المعروف بالبساسیری، کان قد عظم أمره.
3- فی روایه ابن العدیم:« لعدم نظرائه بین مقدمی الأتراک المسلمین الاصفهسلاریه، و استولی علی البلاد، و انتشر ذکره، و طار اسمه، و تهیبته أمراء العرب و العجم، ودعی له علی کثیر من المنابر العراقیه ...».
4- إثر تحالفه مع الخلافه الفاطمیه لخدمه أغراض الدعوه الاسماعیلیه فی اسقاط الخلافه العباسیه.
5- فی الأصل: أبا محمد لب، و هو تصحیف قوم من روایه ابن العدیم و مما هو مثبت فی العدید من المصادر حول طغرلبک، و مفید هنا الاشاره إلی وجود بعض الفوارق بین روایه ابن العدیم و روایه ابن القلانسی.

صوره حال الفساسیری، و یبعثه علی الغدو(1) إلی العراق و یدرک أمر هذا الخارجی قبل تزاید طمعه، و إعضال خطبه.

و عاد الفساسیری و قصد دار الخلافه فی بغداد، و هی بالجانب الغربی فی الموضع المعروف بدار اسحق، فهجمها و نهبها و أحرقها و نقض أبنیتها(2)، و استولی علی کل ما فیها.

و وصل السلطان طغرلبک إلی بغداد فی شهر رمضان سنه سبع و أربعین و أربعمائه و توجه الفساسیری إلی الرحبه حین عرف وصول طغرلبک علی الفرات، و کاتب المستنصر بأمر الله صاحب مصر، یذکر له کونه فی طاعته، و اخلاصه فی موالاته، و عزمه علی إقامه الدعوه له فی العراق، و أنه قادر علی ذلک، و غیر عاجز عنه، فأنجده و ساعده بالأموال، و کتب له بولایه الرحبه.

و أقام السلطان طغرلبک ببغداد سنه کامله، و سار منها إلی ناحیه الموصل، و أوقع بأهل سنجار، و عاد منها (55 و) إلی بغداد فأقام برهه، ثم عاد إلی الموصل، و خرج منها متوجها إلی نصیبین(3) و معه أخوه إبراهیم ینال و ذلک فی سنه خمسین و أربعمائه، و حدث بین السلطان طغرلبک و أخیه إبراهیم خلف أوجب انفصاله عنه بجیش عظیم، و قصد ناحیه الری، و قد کان الفساسیری کاتب إبراهیم ینال أخا السلطان طغرلبک یبعثه علی العصیان لأخیه، و یطمعه فی الملک، و التفرد به، و یعده المعاضده علیه، و المؤازره و المرافده و الشد منه، و سار طغرلبک

1- فی الأصل: العود، و هو تصحیف صوابه ما أثبتناه أو کما روی ابن العدیم« یستنهضه علی المسیر إلی العراق» ذلک أن طغرلبک لم یکن جاء بغداد بعد.
2- کذا فی الأصل و فیه تداخل، و یدل علی اضطراب فی الروایه، فالبساسیری لم یعد إلی بغداد، و دار الخلافه لیست هی المکان المحدد فی النص، بل هی دار البساسیری، و دار الخلافه نهبت بعد حوالی ثلاث سنوات، و روایه ابن العدیم أصح من هذه الروایه و نصها:« و انفض أکثر من کان مع البساسیری، و عادوا إلی بغداد، ثم أجمع رأیهم علی أن قصدوا دار البساسیری، و هی بالجانب الغربی، فی الموضع المعروف بدرب صالح، بقرب الحریم الطاهری، فأحرقوها و هدموا أبنیتها».

3- هی دیار بکر حالیا فی ترکیه.

فی إثر أخیه(1) مجدا، و ترک عساکره من ورائه، فتفرقت غیر أن وزیره عمید الملک الکندری و ربیبه أنوشروان و زوجته خاتون وصلوا بغداد فی من بقی معهم من العسکر فی شوال سنه خمسین و أربعمائه، و اتصلت الأخبار بلقاء طغرلبک و أخیه إبراهیم بناحیه همذان، و ورد الخبر بذاک علی خاتون و ولدها و الوزیر، و أن إبراهیم استظهر علیه و حصره فی همذان، فعند ذلک عزموا علی المسیر إلی همذان لإنجاد السلطان، فحین شاع الخبر بذاک اضطرب أمر بغداد اضطرابا شدیدا، و خاف من بها، و کثرت الأراجیف باقتراب أرسلان الفساسیری.

و توقف الکندری الوزیر عن المسیر فأنکرت خاتون ذلک علیه، و همت بالإیقاع به و توقف ابنها لتوقفها عن المسیر و الانجاد للسلطان طغرلبک، فنهضا للجانب الغربی من بغداد، و قطعا الجسور من ورائهما و انتهبت دورهما(2) و استولی من کان مع الخاتون من الغز علی ما فیها من الأموال و الأمتعه و الأثاث و السلاح، و توجهت خاتون فی العسکر إلی ناحیه همذان، و توجه الوزیر الکندری علی طریق الأهواز.

فلما کان یوم الجمعه السادس من ذی القعده ورد الخبر بأن أرسلان الفساسیری بالأنبار، و سعی الناس إلی صلاه الجمعه بجامع المنصور، فلم یحضر الإمام و أذن المؤذن فی المناره، و نزل منها، و أعلم الناس أنه رأی العسکر عسکر الفساسیری بإزاء شارع دار الرقیق فبادرت(3) إلی أبواب

1- معنی کلمه« اینال أو ینال» ولی عهد« الیبغو» و هو الیبغو]« لقب من کان بعد الخاقان بدرجتین»« و الخان هو الملک المعظم» للترک و هو الخاقان، و الیبغو هو زعیم الغز، فعلی هذا کان ابراهیم ینال، و هو أخ لطغرلبک، من أمه، حین ثار یطالب بحقه فی زعامه السلاجقه، أی أن یکون محل طغرلبک فی السلطنه. انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه، 33، 116- 119.
2- فی روایه ابن العدیم:« فبطل عزم الکندری علی المسیر، فهمت خاتون بالقبض علیه و علی ابنها لترکهما مساعدتها علی انجاد زوجها، ففرا إلی الجانب الغربی من بغداد، و قطعا الجسر وراءهما، و انتهبت دارهما».
3- فی الأصل« فبادروا» و التقویم من وراییه ابن العدیم و من سیاق الخبر.

الجامع، و شاهدت قوما من أصحاب الفساسیری یسکنون الناس، بحیث صلوا فی هذا المکان فی جامع المنصور الظهر أربعا من غیر خطبه، و فی یوم السبت تالیه وصل نفر من عسکر الفساسیری، و فی غدوه یوم الاحد (55 ظ) دخل الفساسیری بغداد و معه الرایات المصریه(1)، فضرب مضاربه علی شاطی ء دجله، و اجتمع أهل الکرخ و العوام من أهل الجانب الغربی علی مضافره الفساسیری، و کان قد جمع العیار و أهل الفساد و أطمعهم فی نهب دار الخلافه، و الناس إذ ذاک فی ضر و جهد، و قد توالی علیهم الجدب، و غلاء السعر و عزت الأقوات و أقام الفساسیری بمکانه، و القتال فی کل یوم متصل بین الفریقین فی السفن بدجله.

فلما کان یوم الجمعه الثانی(2) دعی للمستنصر بالله صاحب مصر علی المنبر بجامع المنصور، وزید فی الأذان «حی علی خیر العمل» و شرع فی بناء الجسر بعقد باب الطاق(3) و کف الناس عن المحاربه أیاما، و حضر یوم الجمعه الثانی من الخطبه، فدعی لصاحب مصر فی جامع الرصافه، و خندق الخلیفه القائم بأمر الله حول داره، ورم ما تشعث منها، و من أسوار المدینه، فلما کان یوم الأحد للیلتین بقیتا من ذی القعده حشد الفساسیری أهل الجانب الغربی و الکرخ(4)، و نهض بهم إلی محاربه الخلیفه و نشبت الحرب بین الفریقین یومین، و قتل منهما الخلق الکثیر.

و أهل هلال ذی الحجه، فزحف الفساسیری إلی ناحیه دار القائم الخلیفه، فأضرم النار من الأسواق بنهر معلی و ما یلیه، و عبر الناس لانتهاب دار الخلیفه، فنهب منها ما لا یحصی کثره و عظما، و نفذ الخلیفه

1- فی الأصل« السود» و هو خطأ صوابه ما أثبتناه من روایه ابن العدیم علما بأن السواد شعار بنی العباس و البیاض شعار الاسماعیلیه و بقیه أحزاب الشیعه.
2- فی روایه ابن العدیم:« الجمعه الثالث عشر من ذی القعده».
3- فی روایه ابن العدیم:« و شرع البساسیری فی اصلاح الجسر، فعقده بباب الطاق، و عبر عسکره علیه، و أنزله بالزاهر».
4- فی روایه ابن العدیم:« أهل الجانب الغربی عموما، و أهل الکرخ خصوصا» ذلک أن جل أهل الکرخ کانوا من الشیعه.

إلى قريش بن بدران العقيلى(1)، و كان قد ظاهر الفساسيرى، فأذم للخليفه فى نفسه، و لقيه قريش أمير بنى عقيل، فقبل الأرض دفعات، و خرج الخليفه من الدار راكبا، و بين يديه رايه سوداء و عليه قباء أسود و سيف و منطقه، و على رأسه عمامه تحتها قلنسوه و الأتراک [فى](2) أعراضه و بين يديه، و ضرب له قريش خيمه فى الجانب الغربى فدخلها و أحدق به خدمه.

و ماشى الوزير رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمه الفساسيرى و يده قابضه على يده و كمه، و قبض على قاضى القضاه الدامغانى، و جماعه معه، و حملوا إلى الحريم الطاهرى، و قيد الوزير و القاضى، فلما كان يوم الجمعه الرابع(3) من ذى الحجه، لم يخطب بجامع الخليفه، و خطب فى سائر الجوامع للمستنصر صاحب مصر، و فى هذا اليوم انقطعت الدعوه لبنى العباس فى بغداد.

و لما كان (56 و) اليوم التاسع من ذى الحجه، و هو يوم عرفه أخرج الخليفه القائم بأمر الله من الموضع الذى كان فيه، و حمل إلى الأنبار و منها إلى حديثه عانه على الفرات، فحبس هناک، و كان صاحب الحديثه الأمير مهارش هو المتولى لخدمه الخليفه فيها بنفسه، و كان حسن الطريقه.

و لما كان يوم الاثنين من ذى الحجه شهر الوزير رئيس الرؤساء وزير الخليفه على جمل، و طيف به فى محال الجانب الغربى، ثم صلب [حيا](4) بباب الطاق و خراسان و جعل على فكيه كلابان من حديد [و علق](5) على جذع، فمات رحمه الله بعد صلاه العصر، و أطلق القاضى الدامغانى بمال قرر عليه.

1- فى الأصل: مؤنس بن بدر الصقلبى، و هو تصحيف، صوابه ما أثبتنا من روايه ابن العديم و مما هو معروف فى المصادر حول ثوره البساسيرى و تاريخ الدوله العقيليه بالموصل.
2- أضيف ما بين الحاصرتين من روايه ابن العديم.
3- فى الأصل« الرابع عشر» و هو خطأ صوابه ما أثبتنا اعتمادا على روايه ابن العديم، و على سياق الخبر فى أول المقطع التالى.
4- فى الأصل:« إلى الحديثه فى الفرات» و فيه عدم وضوح، لذلک تم اعتماد روايه ابن العديم.

5- أضيف ما بين الحاصرتين من روايه ابن العديم.

قال أبو بكر الخطيب رحمه الله: ثم خرجت يوم النصف من صفر سنه إحدى و خمسين و أربعمائه من بغداد، و لم يزل الخليفه فى محبسه بالحديثه إلى أن عاد السلطان طغرلبک من ناحيه الرى إلى بغداد بعد أن ظفر بأخيه إبراهيم ينال و كسره و قتله، ثم كاتب الأمير قريشا بإطلاق الخليفه [و إعادته](1) إلى داره.

و ذكر أن الفساسيرى عزم على ذلک لما بلغه أن طغرلبک متوجها إلى ناحيه العراق و أطلع الفساسيرى أبا منصور عبد الملک بن محمد بن يوسف(2) على ذلک، و جعله السفير بينه و بين الخليفه فيه، و شرط أن يضمن الخليفه للفساسيرى صرف طغرلبک عن وجهته.

و كاتب طغرلبک مهارشا فى أمر الخليفه و إخراجه من محبسه، فأخرجه و عبر به الفرات، و قصد به تكريت فى نفر من بنى عمه، و قد بلغه أن طغرلبک بشهرزور، فلما قطع الطريق عرف أن طغرلبک قد حصل ببغداد، فعاد راجعا حتى وصل النهروان، فأقام الخليفه هناک، و وجه طغرلبک مضارب فى الحال و فروشا برسم الخليفه، ثم خرج لتلقيه بنفسه، و حصل الخليفه فى داره، و نهض طغرلبک فى عسكر نحو الفساسيرى و هو بسقى الفرات، فحاربه إلى أن أظفره الله به، و قتله و حمل رأسه إلى بغداد، و طيف به فيها، و علق بإزاء دار الخلافه(3).

سنه إحدى و خمسين و أربعمائه

فى هذه السنه كان هلاک أرسلان الفساسيرى، و عود الخليفه القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى داره على ما تقدم شرحه من أمره.

و فيها أيضا كان ظفر السلطان طغرلبک بأخيه إبراهيم ينال، على باب همذان.

1- أضيف ما بين الحاصرتين من روايه ابن العديم.
2- فى الأصل:« إلى داره، إلى ناحيه العراق، و جعل السفير بينه و بين طغرلبک فى ذلک أبا منصور عبد الملک بن محمد بن يوسف، و شرط أن يضمن الخليفه».
3- زاد ابن العديم فى روايته« فى اليوم الخامس عشر من ذى الحجه سنه احدى و خمسين».

سنه اثنتين و خمسين و أربعمائه

(56 ظ) فيها وصل الأمير المقدم تمام الدوله، قوام الملک، ذو الرئاستين، سبکتکين المستنصرى إلى دمشق، و بقى فيها غير وال عليها إلى أن وصل القائد موفق الدوله جوهر الصقلبى من مصر فى يوم الأربعاء الثانى من ذى الحجه سنه اثنتين و خمسين أربعمائه، و معه الخلع و سجل الولايه لدمشق بألقابه و الدعاء له: «سلمه الله و وفقه»، و الناظر فى الأعمال، و حفظ الأموال سديد الدوله أبو عبد الله محمد ابن حسن الماشکى، على ما کان عليه سبکتين [فأقام](1) واليا على دمشق إلى أن توفى بها فى ليله الاثنين الثالث و العشرين من شهر ربيع الأول سنه ثلاث و خمسين و أربعمائه، فکانت ولايته ثلاث شهور و سبعه أيام.

و فى هذه السنه نزل الأمير محمود بن شبل الدوله بن صالح بن مرداس على حلب محاصرا لها، و مضيقا عليها، و طامعا فى تملکها، و معه منيع بن سيف الدوله(2)، فأقام عليها مده فلم يتسهل له فيها أرب و لا تيسر طلب، فرحل عنها، ثم حشد بعد مده و جمع و عاد منازلا لها و مضايقا لأهلها و مراسلا لهم، و تکررت المراسلات منهم إلى أن تسهل أمرها، و تيسر خطبها، فتسلمها فى يوم الاثنين مستهل جمادى(3) الاخره، و ضايق القلعه إلى أن عرف وصول الأمير ناصر الدوله بن حمدان فى العساکر المصريه لإنجادها، فخرج منها فى رجب سنه اثنتين و نهبت حلب بعسکر ناصر الدوله(4) و اتفقت وقعه الفنيدق المشهوره، و انفلال ناصر

1- أضيف ما بين الحاصرتين کيما يستقيم السياق، حيث أن هناک سقط ما.
2- منيع بن مقلد من کبار أمراء کلاب. انظر زبده الحلب: 1/ 283- 284.
3- فى الأصل« يوم الاثنين من جمادى» و هو تصحيف صوابه ما أثبتناه اعتمادا على زبده الحلب لابن العديم: 1/ 276. انظر أيضا کتابى: اماره حلب(بالانکليزيه): 155- 156.
4- فى هذه الروايه شى ء من اللبس، و جاء فى زبده الحلب لابن العديم و مصادر أخرى أن محمود أدخل مدينه حلب و حاصر فى قلعتها مکين الدوله ابن ملهم، ولدى وصول جيش ناصر الدوله انسحب محمود من المدينه، فنزل مکين الدوله و أصحابه إليها فنهبوها، و وصل ناصر الدوله إلى حلب و أراد نهبها فقيل له:« أصحاب مکين الدوله قد سبقوک و لم يبق- - لک و لأصحابک إلا الاسم بلا فائده» فامتنع عن النهب، و انسحب نحو الفنيدق

حیث تل السلطان، و هناک حدثت معرکه الفنیدق. انظر زبده الحلب: 1/ 278. اماره حلب: 157- 160.

الدوله و عوده إلى مصر منهزما مخذولا(1) فعاد محمود بجمعه إلى حلب و حصل بها، و أقبل عمه معز الدوله(2) و استقام أمره فيها.

و فى هذه السنه قصد الأمير عطيه فيمن جمعه و حشده مدينه الرحبه، و لم يزل نازلا عليها و مضايقا لأهلها و مراسلا لهم إلى أن تسهل الأمر فيها، و سلمت إليه، و حصل بها فى صفر من السنه.

سنه ثلاث و خمسين و أربعمائه

فى هذه السنه وصل الأمير حسام الدوله ابن البجناكى إلى دمشق، واليا عليها فى يوم الجمعه الثانى و العشرين من جمادى الأولى منها، و نزل فى المزه، و أقام مده، و ورد الكتاب بعزله، فانصرف عن الولايه، و توجه نحو حلب فى شهر رمضان من السنه.

ثم وصل بعد ذلک عده الدين و الدوله ناصر الدوله(3) (57 و) بن حمدان إلى دمشق واليا عليها فى يوم الجمعه الثامن عشر من رمضان من السنه، و حصل بها و قرى ء سجل ولايته و أمر فيها و نهى.

و فى هذه السنه استقر الصلح و الموادعه بين معز الدوله صاحب حلب و ابن أخيه محمود بن شبل الدوله.

و فيها ندب أبو محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الشاعر للمسير من حلب إلى القسطنطينيه رسولا فى المحرم منها.

1- وقع ناصر الدوله فى أسر محمود و ظل أسيرا حتى سنه 453 حيث أطلق سراحه ثمال بن صالح.
2- فى الأصل:« و قتل عمه معز الدوله» و هذا خطأ يوحى بحدوث سقط فى الخبر، ذلک أن معز الدوله ثمال بن صالح لم يكن فى حلب أثناء سقوطها لمحمود بل كان فى مصر، و من هناک صرفه المستنصر و فوض إليه حكم حلب، فأقبل عليها و استطاع انتزاعها من ابن أخيه محمود، انظر زبده الحلب: 1/ 280- 286. اماره حلب: 161- 162.
3- فى الأصل: ابن ناصر الدوله، و ابن زياده، انظر زبده الحلب: 1/ 280- 281.

و فیها توفی الأمیر معز الدوله بحلب فی یوم الجمعه لسبع بقین من ذی القعده، و دفن فی المسجد بالقلعه، و ملکها أخوه عطیه(1).

و فی هذه السنه وصل الأمیر المؤید معتز الدوله حیدره بن عضب الدوله إلی دمشق والیا علیها دفعه ثانیه بعد أولی، فی یوم الاثنین الثامن عشر من ذی القعده منها، و نزل فی أرض المزه، و فی هذا الیوم سار عده الدوله ابن حمدان عن الولایه منصرفا إلی مصر، و أقام المؤید بها فی الولایه ما أقام و انصرف عنها معزولا فی شهر ربیع الآخر سنه خمس و خمسین و أربعمائه.

سنه أربع و خمسین و أربعمائه

فی المحرم منها قلد الأمیر مکین الدوله طبریه و ثغر عکا، من قبل الامام المستنصر بالله و أمر علی جماعه بنی سلیم و بنی فزاره، و فیها توفی القاضی الشریف مستخص الدوله أبو الحسین ابراهیم بن العباس ابن الحسن الحسینی بدمشق یوم السبت التاسع و العشرین من شعبان رحمه الله.

و فیها وردت الأخبار من ناحیه العراق بوفاه السلطان طغرلبک و قیام ولد(2) [أخیه] ألب أرسلان فی المملکه بعده فی مدینه الری(3).

1- لم یطل حکمه بها، و انتزعها منه ابن أخیه محمود بن نصر، انظر زبده الحلب: 1/ 291- 296.
2- فی الأصل ولده و هو خطأ، فطغرلبک لم ینجب، و ألب أرسلان کان ابن أخیه، و هو الذی ساعده علی سحق ثوره ابراهیم ینال، انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 124.
3- فی ضاحیه مدینه طهران الحالیه.

سنه خمس و خمسین و أربعمائه و فیها ولایه أمیر الجیوش بدر لدمشق

وصل الأمیر تاج الأمراء المظفر، مقدم الجیوش شرف الملک، عده الامام، ثقه الدوله، بدر إلی دمشق والیا علیها فی یوم الأربعاء الثالث و العشرین من شهر ربیع الآخر من السنه، و نزل بأرض المزه، و معه الشریف القاضی ثقه الدوله ذو الجلالین أبو الحسن یحیی بن زید الزیدی ناظرا فی الأعمال و نفقات الأموال، و أقام بها مده مدبرا لها و آمرا و ناهیا فیها، ثم حدث من أمره بها و الخلف الجاری بینه و بین عسکریتها و رعیتها، و وقعت بینهما محاربات عرف معها عجزه عن المقام بینهم، و الثبات معهم (57 ظ) و خاف علی نفسه منهم، فسار عنها کالهارب منها لیله الثلاثاء لأربع عشره لیله خلت من رجب سنه ست و خمسین(1).

و فی هذه السنه نزل الأمیر محمود بن شبل الدوله بن صالح علی حلب، و حصر عمه عطیه فیها، فی النصف من شعبان، و قتل منیع بن کامل بحجر المنجنیق، و لم یتمکن من غرضه فیها، و لا تسهل له أرب منها فرحل عنها.

1- انظر ترجمته فی ملاحق کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 298.

سنه ست و خمسين و أربعمائه و فيها ولايه الأمير حيدره بن منزو

لما انصرف أمير الجيوش بدر عن ولايه دمشق هاربا، ندب لولايتها الأمير حصن الدوله حيدره بن منزو بن النعمان، واليا عليها، و وصل إليها فى شهر رمضان من السنه، و أقام بها، و أمرونها على عاده أمثاله من الولاه بها.

ثم اقتضى الرأى المستنصرى صرفه عنها بشهاب الدوله درى المستنصرى و وصل إليها و تولى الولايه فيها.

و فى هذه السنه عاد محمود بن شبل الدوله بن صالح إلى حلب مضايقا لها و لعطيه عمه، فاستصرخ(1) بالأمير ابن خان التركى، فأنجده عليه فلما أحس(2) بوصوله، رحل عنها منهزما ثم خاف عطيه من الأمير ابن خان، فأمر أحداث حلب بنهب عسكره فنهبوه، و رحل ابن خان منهزما، و أنفذ إلى الأمير محمود يعتذر إليه من المساعده عليه، و توجه معه إلى طرابلس، و عاد معه إلى حلب لحصرها فى هذه السنه.

و فيها وصل الأمير شهاب الدوله درى المستنصرى إلى دمشق واليا فى العشر الأخير من ذى القعده من السنه، ثم تجدد الرأى فى صرفه، فانصرف و توجه إلى الرمله لأن سجل ولايته لها ورد عليه، و أقام بها آمرا و ناهيا إلى أن قتل بها فى شهر ربيع الآخر سنه ستين و أربعمائه و أقامت دمشق خاليه من الولاه إلى أن وصل إليها أمير الجيوش بدر واليا عليها دفعه ثانيه فى سنه ثمان و خمسين و أربعمائه.

1- أى عطيه، و كان ابن خان أول زعيم تركمانى يدخل إلى حلب و يتدخل فى أمورها بشكل فعال، مما نجم عنه أخطر النتائج، انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 128- 130.
2- محمود بن نصر.

سنه سبع و خمسين و أربعمائه

فى هذه السنه نزل الأمير محمود بن شبل الدوله بن صالح على حلب ثالث دفعه، و معه الأمير ابن خان التركى، و أقام عليها إلى انتصاف شهر رمضان، و لم يزل مضايقا (58 و) لها إلى أن تسهل أمرها، و ملكها، فلما حصل بها فارقه ابن خان بعسكره نحو العراق، و لم يدخلها اشفاقا من أحداث حلب، لما فعلوه فى تلك النوبه من القيام عليه، و النهب لأصحابه.

سنه ثمان و خمسين و أربعمائه و فيها ولايه أمير الجيوش بدر الثانيه

وصل أمير الجيوش سيف الاسلام بدر إلى دمشق واليا ثانيه، و على الشام بأسره فى يوم الأحد السادس من شعبان منها و نزل فى مرج باب الحديد أياما، و بلغه قتل ولده بعسقلان، فدخل القصر و أقام فيه إلى أن تحركت الفتنه الثائره بينه و بين عسكريه دمشق و أهلها، و استيحاش كل منهم من صاحبه، فخرج من القصر، و نشبت الحرب بينهم فى يوم الجمعه التاسع و العشرين من جمادى الأولى سنه ستين و أربعمائه و قد كان القصر أخرب بعضه فى تلك النوبه الحادثه الأولى، و نهب ما كان فيه، فلما عاد بعد ذلک فى هذه النوبه، و معه العساكر الجمه من العرب و سائر الطوائف، و نزل على مسجد القدم فى رمضان سنه ستين، و اتفق رحيله عنها، فخرج من فى البلد من العسكريه و الأحداث إلى القصر فأحرقوا ما كان سالما منه و نقضوا أخشابه بحيث شمله الخراب من كل جهاته.

و فى هذه السنه فادى الأمير محمود بن شبل الدوله بن صالح نساء بنى حماد و النمريين من أسر الروم، و لم يزل مبالغا فى ذلک و مجتهدا فيه إلى أن حصلوا فى حلب.

سنه تسع و خمسين و أربعمائه

فيها وردت الأخبار من ناحيه مصر باجتماع العبيد فى الصعيد، و كبسهم عسكر الأمير ناصر الدوله أبى على الحسن بن حمدان، و انفلال العرب المجتمعه معه، و استظهار العبيد على جانب من عسكره نهبوه، و استولوا عليه، ثم عادوا و استعادوا ما أخذ لهم و زياده عليه، و قتل جماعه منهم.

و فيها سأل الأمير ناصر الدوله المستنصر بالله فى حميد بن محمود بن جراح، و حازم بن على بن جراح فأطلقهما من خزانه البنود، و خلى سلبيهما (58 ظ)

سنه ستین و أربعمائه و فیها ولایه الأمیر بارزطغان لدمشق

وصل الأمیر قطب الدوله بارزطغان إلی دمشق والیا علیها فی شعبان منها، و وصل معه الشریف السید أبو طاهر حیدره بن مستخص الدوله أبی الحسین، و نزل قطب الدوله فی دار العقیقی(1) و أقام مده ثم خرج منها و معه الشریف المذکور فی شهر ربیع الأول سنه إحدی و ستین و أربعمائه.

و ورد الخبر بأن أمیر الجیوش بدر ظفر بالشریف المذکور، و کان بینهما إحن بعثته علی الاجتهاد فی طلبه و الارصاد له إلی أن اقتنصه، فلما حصل فی یده قتله سلخا، فعظم ذلک علی کافه الناس، و أکبروا هذا الفعل و استبشعوه فی حق مثله(2).

و فی یوم الثلاثاء العاشر من جمادی الأولی من السنه جاءت زلزله عظیمه بفلسطین، هدمت دور الرمله و سورها، و تضعضع جامعها، و مات أکثر أهلها تحت الردم، و حکی أن معلما کان فی مکتبه به تقدیر

1- داخل باب الفرادیس مکان المدرسه الظاهریه الیوم. مجله الحولیات الأثریه: 22- 23/ 42- 43.
2- کان من خصوم بدر الجمالی، منعه من دخول دمشق، ضمن مسلسل من الحواث المفجعه فی مدینه دمشق أدت إلی إحراق الجامع الأموی فیها مع أماکن من المدینه کثیره و هامه، و قد تحدث غرس النعمه محمد بن هلال الصابی ء عن هذه الأحداث بشکل مفصل فی أخبار سنه/ 462 ه/ و ترجم للشریف المقتول فی وفیات هذه السنه فقال:« حیدره بن ابراهیم أبو طاهر بن أبی الجن الشریف کان عالما فاضلا، دینا، قرأ القرآن، و سمع الحدیث، و لما دخل عسکر بدر الجمالی دمشق هرب منها إلی عمان البلقاء، فغدر به بدر بن حازم، و کان الشریف قد أطلق أباه حازم من خزانه البنود، و قد ذکرناه. و قال محمد بن هلال الصابی ء لما خرج الشریف و بارز طغان من دمشق یریدان مصر، أشار علیه بارز طغان أن لا یظهر بعمان البلقاء، لأن بها بدر بن حازم، و أن یسیر فی اللیل، فلم یقبل، و سار بارز طغان إلی حله بدر بن حازم و قال: جئنا لتذم لنا و لمن معنا، فقال: و من معکم؟ قالوا: الشریف ابن أبی الجن، فقال: ذم الله لکم إلا الشریف فانه لابد من حمله إلی أمیر المؤمنین، و سار إلیه و قبض علیه، و مضی به إلی عکا، فباعه بذهب و خلع و اقطاع، فأرکبه أمیر الجیوش جملا و قتله

أقبح قتله، ثم سلخ جلده، و قيل سلخه حيا، و صلبه. و لعن أهل الشام بدر بن حازم و العرب، و قالوا: ما هذه عادتهم و لقد كان الشريف من أهل الديانه و الصيانه و العفه و الأمانه، محبا لأهل العلم، و اصطناع المعروف».

مائتی صبی وقع المکتب علیهم، فما سأل أحد عنهم لهلاک أهلیهم، و إن الماء طلع من أفواه الآبار لعظم الزلزله، و هلک فی بانیاس تحت الردم نحو من مائه نفس، و کذلک فی بیت المقدس، و سمع فی أیار من هذه السنه رعده هائله ما سمع بأعظم منها و لا بأهول من صوتها، فغشی علی جماعه من الرجال و النسوان و الصبیان، و طلع فی إثرها سحاب هائل، و وقع منه برد شدید الوقع أهلک کثیرا من الشجر، و جاء معه سیل عظیم فی بلد الشام قلع ما مر به من الشجر و الصخر، حکی أن ارتفاعه بوادی بنی علیم(1) نحوا من ثلاثین ذراعا، و أنه سحب صخره عظیمه لا یقلها خمسون رجلا ذهب بها، فلم یعرف مستقرها.

و فیها ورد الخبر بقیام ناصر الدوله أبی علی الحسن بن حمدان فی جماعه من قواد الأتراک و أمراء مصر علی المستنصر بالله بمصر، و أخذهم شیئا کثیرا من المال اقتسموه، و کان أمیر الجیوش بدر فی مبدأ أمره مقیما بالشام، مظهرا لطاعه المستنصر بالله، و الموالاه له، و المیل إلیه، إلا أنه لا یتمکن من نصرته، و لا یجد سبیلا إلی مؤازرته و معاضدته، و زحف المذکورون إلی دار وزیره المعروف بابن کدینه فطالبوه بالمال، فقال لهم:

و أی مال بقی بعد نهبکم (59 و) الأموال و اقتسامکم الأعمال؟ فألحوا علیه و قالوا: لابد من انفاذک إلی المستنصر بالله و بعثک له علی اخراج المال، و تعریفه فی ذلک صوره الحال، فکتب إلیه رقعه بشرح القصه، و خرج الجواب عنها بخطه، یقول فیه:

أصبحت لا أرجو و لا أتّقی إلا إلهی و له الفضل

جدّی نبیّ و إمامی أبی و قولی التوحید و العدل

المال مال الله، و العبید عبید الله، و الإعطاء خیر من المنع، وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ(2)

و فی هذه السنه خرج متملک الروم من القسطنطینیه إلی الثغور(3).

1- علی مقربه من دیر سمعان المشهور بنواحی حلب. انظر زبده الحلب: 1/ 47.

2- على مقربه من دير سمعان المشهور بنواحى حلب. انظر زبده الحلب: 1/ 47.
3- القرآن الكريم- الشعراء: 227.

سنه إحدى و ستين و أربعمائه و فيها كانت ولايه معلى بن حيدره بن منزو لدمشق

الأمير حصن الدوله معلى بن حيدره بن منزو الكتامى، ولى دمشق قهرا و غلبه و قسرا، من غير تقليد فى يوم الخميس الثامن من شوال سنه إحدى و ستين و أربعمائه، بحيل نمقها و محالات اختلقها و لفقها، و ذكر أن التقليد بعد ذلک وافاه، فبالغ فى المصادرات حينئذ و ارتكب من الظلم و مصادره المستورين الأخيار ما هو مشهور، و من العيث و الجور ما هو شائع بين الأنام مذكور، و لم يلق أهل البلد من التعجرف و الظلم و العسف بعد جيش بن الصمصامه(1) فى ولايته، مالقوه من ظلمه، و سوء فعله و قاسوه من اعتدائه و لؤم أصله، و لم تزل هذه أفعاله إلى أن خربت أعمالها، و جلا عنها أهلها، و هان عليهم مفارقه أملاكهم، و سلوهم عن أوطانهم بما عانوه من ظلمه، و لا بسوه من تعديه و غشمه، و خلت الأماكن من قاطنيها، و الغوطه من فلاحيها، و ما برح لقاه الله على هذه القضيه المنكره، و الطريقه المكروهه إلى أجاب الله- و له الحمد و الشكر- دعاء المظلومين، و لقاه عاقبه الظالمين، و حقق الأمل فيه بالراحه منه، و أوقع بينه و بين العسكريه بدمشق الشحناء و البغضاء، فخاف على نفسه الهلاک و البوار، فاستشعر الوبال و الدمار، فلم يكن له إلا الهرب منهم، و النجاه من فتكهم، لأنهم عزموا على الايقاع به، و النكايه فيه، و قصد ناحيه بانياس(2) (59 ظ) فحصل فيها فى يوم الجمعه الثانى و العشرين من ذى الحجه سنه سبع و ستين و أربعمائه فأقام بها و عمر ما عمره من الحمام و غيره فيها، ثم خرج منها فى أوائل سنه اثنتين و سبعين و أربعمائه خوفا من العسكر المصرى أن يدركه فيها، فيأخذه منها، و حصل بثغر صور عند ابن أبى عقيل القاضى

1- هو الامبراطور رومانوس دايجينوس، خرج فى محاوله لمنع التركمان من الانسياح المدمر فى بلاد آسيا الصغرى، و جاء هذا الخروج فى مقدمات معركه منازكرد التى سيرد ذكرها.

2- بانياس الداخل، فى هضبه الجولان المحتله، من أهم المواقع، كانت تعدّ مفتاحا لدمشق، و نقطه دفاع أولى عنها، بجوارها قلعه حصينه تعرف الآن بقلعه« النمرود» الصبيبه.

المستولى عليها، ثم صار من صور إلى طرابلس، و أقام بها عند زوج أخته جلال الملک ابن عمار(1) مده، و أطلع إلى مصر فهلک فى الاعتقال قتلا بالنعال فى سنه إحدى و ثمانين و أربعمائه و ذلک جزاء الظالمين، وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(2).

و فى هذه السنه وقع الخلف بدمشق بين العسكريه، و بين أهلها، و طرحت النار فى جانب منها فاحترقت، و اتصلت النار منه بالمسجد الجامع من غربيه فاحترق فى ليله يوم الاثنين انتصاف شعبان من السنه، فقلق الناس لهذا الحادث و الملم المؤلم الكارث، و أسف القاصى و الدانى لاحتراق مثل هذا الجامع الجامع للمحاسن و الغرائب، المعدود من إحدى العجائب حسنا و بهاء و رونقا و سناء، و كيف أصابت مثله العيون الصوائب وعدت عليه عاديه النوائب(3).

1- صاحب طرابلس 464- 492 ه/ 1072- 1099 م] و هو الذى سلم معلى بن حيدره إلى الفاطميين. انظر كتاب طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى للدكتور سيد عبد العزيز سالم. ط. الاسكندريه: 1967 ص: 98- 70.
2- القرآن الكريم- البقره: 144.
3- الذى قدمه غرس النعمه محمد بن هلال الصابى ء عن حوادث دمشق أكثر تفصيلا، و لأهميته قام أمدروز المحقق الأول لكتاب ابن القلانسى بتثبيت روايه غرس النعمه هذه فى الحاشيه، لكن كما ألم بنص ابن القلانسى التصحيف، كذلک حدث بالنسبه لنص ابن الصابى ء، و لقد أبقيت نص ابن الصابى ء بعد ضبطه و اعتمدت فى عملى على نسختين مخطوطتين من مرآه الزمان، واحده فى باريس و الثانيه فى استانبول- انظر حوادث سنه 462 ه حيث جاء: و أما أخبار الشام، فإن بدر الجمالى كان قد ورد دمشق واليا على الشام سنه ثمان و خمسين، و وصل عسقلان، و غزا بنى سنبس(*)، و نكا فيهم، و عاد إلى الأقحوانه، و جاء أميران أخوان من سنبس، فقتلهما لأجل غارات كانت لهما بالشام قبل وصوله إليه، ثم صار يشق حلل العرب: كلب و طى ء و غيرها شقا، و فعل فعلا لم يسبقه أحد إليه حتى وصل دمشق، فنزل قصر السلطان بظاهرها، و أقام سنه و كسر، فأمن الناس لهيبته، ثم قبض على ابن أبى الرضا، خليفه الشريف القاضى، المكنى بأبى الفضل اسماعيل بن أبى الجن العلوى، و على جماعته، و أخذ منهم عشره آلاف، و وهبها لحازم بن جراح، المفرج عنه من مصر، و كان قد هرب إليه، فأعطاه المال استكفافا له عن معاونه الشريف أبى طاهر بن

أبى الجن، المنفذ معه حازم لافساد أمر بدر بالشام، و إثاره أهل دمشق عليه، و لما فعل بدر بالمذكورين ما فعل، ثار أهل دمشق عليه و أغلقوا أبوابها- (*) من فروع قبائل طى ء، انظر جمهره أنساب العرب لابن حزم. ط. القاهره: 1962، ص: 402.- و حاربوه، و ساعدهم حصن الدوله ابن منزو، و راسلهم مسمار بن سنان الكلبى، و راسلوه و حالفوه، و جاءت عرب مسمار، فأغارت على قصر السلطنه بدمشق بظاهرها، و عادوا لبدر الجمالى و راوحوه، فأنفذ ثقله و أهله إلى صيدا، و مضى خلفهم إليها، و جمع ابن منزو عسكره و عسكر دمشق لقصذ بدر، فلما عرف ذلک رحل إلى صور و حاصرها، و متوليها القاضى الناصح، ثقه الثقات، عين الدوله أبو الحسن محمد بن عبد الله ابن أبى عقيل، فحاصرها أياما و قرب منه ابن منزو، و سار إلى عكا، و أقام أياما دخل فيها بزوجته بنت رقطاش التركى، و مضى إلى عسقلان ثم عاد إلى دمشق] و جاء الشريف ابن أبى الجن من مصر إلى دمشق، و كان أهلها هدموا قصر السلطنه و درسوه، و كان عظيما يسع ألوفا من الناس، و أقام على دمشق سبعه و عشرين يوما، و معه حازم و حميد ابنا الجراح اللذان اتفقا مع الشريف على الفتک ببدر، و كان حميد قد طمع من بدر فى مثل ما فعله مع حازم، و لما عجز بدر عن دمشق عاد إلى عكا لأن الشريف و العساكر دفعوا عنها، و لما رحل عن دمشق، اختلف العسكر و أحداث البلد، فنهب العسكر بعض البلد، و نادوا بشعار بدر الجمالى، و استدعوا منه صاحبا يكون عندهم فأنفذ إليهم رجلا يعرف بالقطيان فى جماعه من أصحابه، فدخل دمشق و هرب الشريف ابن أبى الجن و ولدا ابن منزو، و كان أبوهما قد مات على صور فى هذه السنه، فنزل ابنا منزو على الكلبيين، و سار الشريف طالبا مصر، فاجتاز بعمان البلقاء، و بها بدر بن حازم صاحبها، فقبض على الشريف و باعه من بدر الجمالى باثنى ألف دينار، فقتله أمير الجيوش بعكا خنقا. و بعث بدر الجمالى إلى دمشق علويا يعرف بابن أبى شويه من أهل قيساريه و أمره بمصادره الشريف أبى الفضل بن أبى الجن أخى المقتول، و جماعه من مقدمى دمشق، و علم أهل دمشق، فثاروا على ابن أبى شويه و أخرجوه، و لعنوا أمير الجيوش و وافقهم العسكر، و بعثوا إلى مسمار بن سنان، و حازم بن نبهان ابن القرمطى(*) أمير بنى كلب، و بذلوا إليهما تسليم البلد فبعث إليهم مسمار يقول: لا يمكننى الدخول إلى البلد و تملكه و العسكر جميعه فيه و المغاربه و المشارقه و يجب أن تخالفوا بينهم و تخرجوا المشارقه، ففعلوا و صاروا أحزابا، و كان القتال فى غربى الجامع و رمى المشارقه و أهل البلد بالنشاب من دار قريبه من الجامع، فضربت الدار بالنار فاحترقت، و ثارت النار منها إلى الجامع فأحرقته ليله نصف شعبان هذه السنه، و لما رأى العوام ذلک تركوا القتال و قصدوا الجامع طمعا فى تلافيه ليتداركوا ما حدث فيه، ففات الأمر فرموا سلاحهم، و لطموا و استغاثوا إلى الله تعالى و

تضرعوا، و قالوا: كم نحلف و نكذب و نعد و نحنث، و نعاهد و ننكث، و النار تعمل إلى الصباح، فأصبح الجامع، و لم يبق منه إلا حيطانه الأربعه، و صاروا أيام الجماعات يصلون فيه على التلال، و هم يبكون، و انهزموا بعد ذلک،- (*) كان بنو القرمطى من أسر الزعامه الكلبيه، و ليس هناک علاقه واضحه بين هذه التسميه و جماعات القرامطه.- و نهبت دورهم و أموالهم، و أنفذ مسمار واليا على دمشق من قبله يعرف بفتيان، و راسل مسمار أهل البلد ثانيا بأن يهبوا و يثبوا على المغاربه فيخرجوهم، و اتفق هو و أهل البلد، فثاروا عليهم، و تأخر مسمار عنهم، و اقتتلوا فظهر عليهم المغاربه و أحرقوا قطعه من البلد، و نهبوا أكثره، و نادوا بشعار بدر الجمالى، و وصل مسمار بعد ذلک إلى باب البلد، و قد فات الأمر الذى ورد له، فراسله المغاربه على أن يمكنهم من المقام فى البلد و يعطونه مائه ألف دينار، فرضى و أقام أياما فى المكان، و طالبهم بالمال، فلم يعطوه شيئا، و لم يكن له قدره عليهم، فسار إلى السواد و كان ما نهب المغاربه من دمشق يساوى خمسمائه ألف دينار، و تتبعوا أحداث دمشق، فقتلوا منهم سبعين حدثا. و مضى سنان الدوله ولد ابن منزو إلى أمير الجيوش و صالحه و صاهره على أخته، و عاد إلى دمشق واليا عليها من قبل أمير الجيوش و أطاعته المغاربه، و سلموها إليه فدخلها ... و فيها استولى القاضى مختص الدوله ابن أبى الجن أخو حيدره المقتول على دمشق و طرد نواب أمير الجيوش، و استولى على صور ابن أبى عقيل، و على طرابلس قاضيها ابن عمار، و على الرمله و الساحل ابن حمدان، و لم يبق لأمير الجيوش غير عكا و صيدا.

و فيها وردت الأخبار من مصر بغلاء الأسعار فيها، و قله الأقوات فى أعمالها و اشتداد الحال فى ذلک، و اضطرارهم إلى أكل الميته، و أكل الناس بعضهم بعضا من شده الجوع، و قتل من يظفر به، و أخذ ماله و استغراق حاله، و من سلم هلک، و احتاج الأمير و الوزير و الكبير إلى المسأله.

و فیها نزل الروم علی حصن أسفونا(1)، و ملکوه.

سنه اثنتین و ستین و أربعمائه

فیها نزل أمیر الجیوش سیف الاسلام بدر المستنصری فی العسکر المصری علی ثغر صور، محاصرا لعین الدوله ابن أبی عقیل القاضی، الغالب علیه، فلما أقام علی المضایقه له و الاضرار به، کاتب القاضی ابن أبی عقیل الأمیر قرلو مقدم الأتراک(2) المقیمین بالشام مستصرخا له و مستنجدا به، فأجابه إلی طلبه و أسعفه بأربه، و سار بعسکره منجدا له و مساعدا، و وصل إلی ثغر صیدا، و نزل علیه فی سته آلاف، فحصره و ضیق علیه و علی من فیه، و کان فی جمله ولایه أمیر الجیوش المذکور، فحین عرف أمیر الجیوش صوره الحال، و وصول الأتراک لانجاد من بصور و اسعاده، قادته (60 و) الضروره إلی الرحیل عن صور بعد أن استفسد کثیرا من أهلها و العسکریه بها، بحیث قویت بهم شوکته، و زادت بهم عدته، و تلوم عنها قلیلا، ثم عاود النزول علیها و المضایقه لها، و أقام علیها فی البر و البحر مده سنه

1- حصن کان قرب معره النعمان بالشام، معجم البلدان. زبده الحلب: 2/ 10.

2- مقدم جماعه الأتراک الناوکیه، و کانوا من الخوارج علی سلطه السلاجقه. انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 132- 133، 152- 156.

احتاج أهلها مع ذلک إلی أکل الخبز الرطل بنصف دینار، و لم یتم له أمر فیها، لاختلاف الأتراک فی الشام فرحل عنها.

و فی هذه السنه مرض الأمیر محمود بن صالح فی حلب مرضا شدیدا، و خطب للإمام القائم لأمر الله علی منبر حلب، و قطع الدعوه المستنصریه فی تاسع عشر شوال(1).

و فیها فتح ملک الروم ثغر منبج و أحرقه، و عاد تقدم بعمارته(2) و رحل عنه إلی ناحیه منازجرد(3) فعاث فی أطرافها إلی أطراف خراسان و بقیت منبج فی ملکه هذا الملک، و اسمه علی ما ذکر رومانوس دوجانس(4)، سبع سنین، و دام فی الملک علی ما حکی ثلاثین سنه.

سنه ثلاث و ستین و أربعمائه

فیها جمع أتسز بن أوق مقدم الأتراک الغز بالشام(5) و احتشد

1- کان جل أهالی حلب من الشیعه الامامیه لذلک لاقی محمود صعوبات کبیره حین ألغی الدعوه للخلیفه الفاطمی و استبدلها بالخطبه للخلیفه العباسی و ذلک بسبب تهدید السلاجقه لامارته، و روی ابن العدیم فی زبده الحلب: 2/ 17- 18 أنه وضع العساکر علی باب الجامع لمنع الناس من مغادرته لدی سماعهم الخطبه للخلیفه العباسی، فعندما انتهت الصلاه،« أخذت العامه الحصر التی فی الجامع، و قالوا: هذه حصر علی بن أبی طالب، فلیجی ء أبو بکر بحصر حتی یصلی علیها الناس».
2- قام الامبراطور رومانوس بعده حملات عسکریه استهدف منها احتلال مواقع متقدمه داخل الأراضی الاسلامیه لیضع فیها حامیات بیزنطیه تتولی رصد جماعات الترکمان و منعها من دخول آسیا الصغری، و کان من جمله ما احتله منبج حیث رمم حصنها و وضع فیه حامیه بقیت فیه سبع سنین. انظر زبده الحلب: 1/ 12- 14. مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه:
3- قرب بحیره وان فی ترکیه حالیا، عندها وقعت المعرکه الفاصله بین البیزنطیین و السلطان ألب أرسلان، کما سنری.
4- فی الأصل:« ألیز دوجانس» و ألیز زیاده لعلها تصحیف« ابن» فالامبراطور هو رومانوس ابن دایجیس، أی رجل الروم أو بطلهم و قد حکم فیما بین 1068- 1071 م] و لیس ثلاثین سنه کما ورد فی الأصل، انظر

كتاب« أربعه عشر حاكما بيزنطيا» لميخائل بزللوس(ترجمه انكليزيه) سلسله بنكوين 1966 ص: 350- 366.
5- له ترجمه جيده فى كتاب المقفى للمقريزى، نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 265- 268.

و قصد أرض فلسطين، فافتتح الرمله، و بيت المقدس، و ضايق دمشق، و واصل الغارات عليها و على أعمالها، و قطع الميره عنها، و رعى زرعها عده سنين فى كل ربيع لمضايقتها و الطمع فى ملكتها، و لم يزل مترددا إلى أن اضطرب أمرها، و خربت المنازل بها، و زاد غلاء الأسعار فيها، و عدم تواصل الأقوات إليها و جلا أكثر أهلها عنها، و استحكم الخلف بين العسكريه المصامده(1) و الأحداث من أهلها، و كون معلى بن منزو لعنه الله قد هرب عنها، و لم يبق فيها من المقدمين على الأجناد غير الأمير زين الدوله زمام المصامده بها.

و فى هذه السنه نزل السلطان العادل ألب أرسلان بن داود- أخى السلطان طغرلبک- بن سلجوق رحمه الله على حلب محاصرا و بها محمود بن صالح يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخره، و ضايقها إلى أن ملكها بالأمان، فخرج محمود إليه فأمنه و أنعم عليه و ولاه البلد، و رحل عنه ثالث و عشرين رجب قاصدا إلى بلاد الروم طالبا ملكهم، و قد توجه إلى منازكجرد فلحقه و أوقع به و هزمه، و كان عسكره على ما حكى تقدير ستمائه ألف من الروم و ما انضاف إليهم من سائر الطوائف و عسكر (90 ظ) الاسلام على ما ذكر تقدير أربع مائه ألف من الأتراک و جميع الطوائف، و قتل من عسكر الروم الخلق الكثير بحيث امتلأ واد هناک عند التقاء الصفين، و حصل الملک فى أيدى المسلمين أسيرا، و امتلأت الأيدى من سوادهم و أموالهم و آلاتهم و كراعهم و لم تزل المراسلات مترده بين السلطان ألب أرسلان و بين ملک الروم المأسور إلى أن تقرر اطلاقه و المن عليه بنفسه بعد أخذ العهود عليه و المواثيق بترک التعرض لشى ء من أعمال الاسلام، و إطلاق الاسارى، و أطلق و سير إلى بلده،

1- من قبيله مصموده المغربيه سكان السوس الأقصى.

و أهل مملكته، فيقال أنهم اغتالوه و سملوه(1) و أقاموا غيره مكانه لأشياء أنكروها عليه، و نسبوها إليه(2).

سنه أربع و ستين و أربعمائه

فى المحرم منها قتل الأمير جعبر صاحب قلعه دوسر، فيها بمكيده نصبت(3) له و حيله تمت عليه و غفله استمرت به.

و فيها ملكت الرقه و استولى عليها، و فيها نهض محمود بن صالح من حلب فيمن حشد من العرب و قصد ناحيه اعزاز فى يوم السبت الثانى و العشرين من رجب للقاء الروم، فاندفعت الروم بين أيدى العرب، و العرب فى عده قليله تناهز ألف فارس و قصدوا أنطاكيه، و اجتمعوا بها، و عادت العرب إلى حلب(4).

و فيها ورد الخبر من بغداد فى شهر ربيع الأول منها بأن الامام الحافظ أبا بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى الخطيب رحمه الله توفى يوم الاثنين السابق من ذى الحجه منها، و حمل إلى الجانب الغربى من بغداد و صلى عليه، و دفن بالقرب من قبه أحمد بن حنبل رحمه الله(5).

1- فى الأصل« سلموه» و هى تصحيف صوابه ما أثبتنا.
2- تعد معركه مناز كرد من معارک التاريخ الكبرى، و سبق لى الاهتمام بهذه المعركه حيث جمعت حولها جميع ما جاء فى المصادر العربيه و غير العربيه من مطبوع و مخطوط، و نشرت هذه النصوص فى كتابى مختارات من كتابات المؤرخين العرب. دمشق: 1971، ص: 96- 151، كما قمت بدراسه هذه المعركه فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 143- 152، و مفيد هنا أن أشير إلى أن المصادر العربيه بالغت فى تقدير تعداد العساكر، فالرقم الذى ذكره ابن القلانسى قد يقبل منه العشر فقط.
3- قلعه دوسر هى قلعه جعبر نفسها، و هى قائمه الآن وسط بحيره سد الفرات فى سوريه، و قد تملک هذه القلعه أحد زعماء قبيله قشير و اسمه جعبر بن سابق، و كان يقوم منها بقطع الطريق على السابله و بغارات سلب و نهب، فنسبت القلعه إليه، و قد انتزعت هذه القلعه من صاحبها سنه 479 ه/ 1086 م من قبل السلطان السلجوقى ملكشاه أثناء قدومه إلى الشام، حيث حاصرها و أنزل منها صاحبها- جعبر- و قتله، و على هذا لا يمكن

اعتماد روايه ابن القلانسى. انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 73، 203- 206، 406.
4- انظر زبده الحلب: 2/ 30- 31.
5- انظر حوله كتابى مائه أوائل من تراثنا- ط. دمشق 1982، ص 388- 392.

سنه خمس و ستين و أربعمائه

فيها هرب الأمير أبو الجيوش على بن المقلد بن منقذ من حلب خوفا من صاحبها الأمير محمود بن صالح، حين عرف عزمه على القبض عليه، و قصد المعره، ثم قصد كفر طاب(1).

و فيها ورد نعى الأمير عطيه(2) عم الأمير محمود بن صالح من القسطنطينيه فى ذى الحجه.

و فيها ورد: سار الأمير محمود بن صالح من حلب فيمن جمعه و حشده من عسكره إلى الرحبه.

و فى هذه السنه: وردت الأخبار باستشهاد السلطان العادل ألب أرسلان بن داود(3) أخى السلطان طغرلبک، ملک الترک، على نهر جيحون، عند حصن هناک بيد من اغتاله من الباطنيه، المتزيين بطريقه الزهاد المتصوفه على القضيه المشهوره (61 و) و السجيه المذكوره(4).

1- كانت كفر طاب بلده ذات شهره و مكانه كبيره، بقاياها اليوم قائمه على قرابه/ 2 كم/ إلى الغرب من بلده خان شيخون على الطريق العام الواصل بين حماه و معره النعمان فحلب، و كان الأمير على أخا لمحمود بالرضاعه، صاحب مكانه كبيره فى بلاد الشام، و هو الذى استولى على قلعه شيزر الحصينه، و سبب قيام الأسره المنقذيه ذات الدور الكبير أيام الحروب الصليبيه. انظر زبده الحلب: 2/ 34- 35. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 186- 188.
2- هرب عطيه بعد انتزاع حلب منه إلى الأراضى البيزنطيه، و جاء بعد معركه مناز كرد على رأس قوه بيزنطيه يريد مدينه حلب، فأخفق، و من ثم عاد و ذهب إلى القسطنطينيه، حيث قيل بأنه« سقط من سطح كان نائما عليه و هو سكران، فمات سنه أربع و ستين» زبده الحلب: 2/ 31.
3- فى الأصل: عبدد، و هو تصحيف صوابه ما أثبتناه، فألب أرسلان هو« ابن جغرى بک ... و له و لكل واحد من آبائه اسم آخر بالعربيه، و اسمه بالعربيه محمد بن داود ...» مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 278.
4- لا علاقه للباطنيه باغتيال ألب أرسلان، ذلک أنه عبر سنه خمس و ستين و أربعمائه نهر جيحون على رأس جيش كبير« فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعه

يعرف بيوسف الخوارزمى، و حمل إلى قرب سريره، و هو مع غلامين، فتقدم بأن يضرب له أربعه أوتاد و تشد أطرافه إليها، فقال: يا مخنث مثلى يقتل هذه القتله؟ فاحتد السلطان ألب أرسلان، و أخذ القوس و النشابه، و حرص على قتله، و قال للغلامين: خلياه، و رماه فأخطأه ... فعدا يوسف إليه، و كان السلطان جالسا على- - سده، فنهض و نزل فعثر، و وقع على وجهه، و قد وصله يوسف، فبرک عليه و ضربه بسكين كانت معه فى خاصرته، و دخل السلطان إلى خيمته و هو مثقل، و لحق بعض الفراشين يوسف فقتله بمره كانت فى يده، و قضى ألب أرسلان نحبه». مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 291.

سنه ست و ستین و أربعمائه

فیها فتح الأمیر محمود بن صالح قلعه السن(1) فی یوم الخمیس تاسع شهر ربیع الآخر.

و فیها وردت الأخبار من بغداد بزیاده مد دجله، حتی غرق بها عده أماکن، و هدم عده مساکن.

و فیها وردت الأخبار من ناحیه العراق بانتصاب السلطان العادل ملک شاه، ابن أبی الفتح محمد السلطان ألب أرسلان فی المملکه بعد أبیه، و جلوسه علی سریر الملک، بعد أخذ البیعه له علی أمراء الأجناد، و کافه ولاه الأعمال و البلاد، فاستقامت له الأمور، و انتظمت به الأحوال علی المراد و المأثور، و استمر التدبیر علی نهج الصلاح و سنن النجاح، و سلک فی العدل و الانصاف، مسلک أبیه، العادل عن طریقه الجور و الاعتساف، و رتب النواب فی الأعمال و الثقات فی حفظ الأموال.

و فیها توفی أبو علی الحسین بن سعید بن محمد بن سعید العطار بدمشق، فی یوم الجمعه من صفر، و کان من أعیان شهودها، و حدث عن جماعه.

سنه سبع و ستین و أربعمائه

فیها وردت الأخبار من ناحیه العراق بوفاه القائم بأمر الله أبی جعفر عبد الله بن الإمام القادر بالله فی یوم الخمیس الثالث عشر من شعبان، و أمه أم ولد تسمی قطر الندی رومیه، و أدرکت خلافته و ماتت فی رجب سنه اثنتین و خمسین و أربعمائه، و کان مولده فی الساعه الثالثه من نهار یوم الخمیس، و قیل الجمعه الثامن عشر من ذی القعده سنه إحدی و تسعین و ثلاثمائه و تولی الأمر بعد أبیه و عمره إحدی و ثلاثون سنه فی یوم الاثنین

1- قلعه بالجزیره قرب سمیساط. انظر زبده الحلب: 2/ 42.

الحادی عشر من ذی الحجه سنه اثنتین و عشرین و أربعمائه، (و مات)(1) و عمره ست و سبعون سنه، و کانت أیامه أربعا و أربعین سنه و تسعه أشهر و أیاما، و کان جمیلا ملیح الوجه أبیض اللون مشربا حمره، حسن الجسم أبیض الرأس و اللحیه، ورعا متدینا زاهدا عالما(2)، و کان رحمه الله قد بلی من أرسلان الفساسیری بما بلی إلی أن أهلکه الله و أراح، بالعزائم السلطانیه، حسب ما تقدم به شرح الحال.

و روی عنه أنه لما اعتقل فی الحدیثه کتب رقعه، و أنفذها إلی مکه حرسها الله تعالی مستعدیا (61 ظ) إلی الله تعالی علی الفساسیری، و علقت علی الکعبه، و لم تحط عنها إلی أن ورد الخبر بخروجه من الاعتقال من الحدیثه و عوده إلی داره، و هلاک عدوه الفساسیری، و عنوانها:

«إلی الله العظیم، من المسکین عبده». و نسخه الاستغاثه(3):

«بسم الله الرحمن الرحیم»

اللهم إنک العالم بالسرائر، و المطلع علی مکنون الضمائر، اللهم إنک غنی بعلمک و اطلاعک علی خلقک عن إعلامی(4)، هذا عبد من عبیدک قد کفر نعمتک و ما شکرها، و ألغی العواقب و ما ذکرها، أطغاه حلمک و تجبر بأناتک حتی تعدی علینا بغیا، و أساء إلینا عتوا و عدوانا.

اللهم قل الناصر، و اعتز الظالم، و أنت المطلع العالم و المنصف الحاکم، بک نعتز علیه، و إلیک نهرب من [بین](5) یدیه، فقد تعزز علینا بالمخلوقین، و نحن نعتز بک یا رب العالمین.

1- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.
2- ترجم له سبط ابن الجوزی فی وفیات سنه/ 467/ و تحدث عن أسباب وفاته، فبین أن الامراض أخذت تنتابه نتیجه للمصائب التی حلت به، و أنه فصد فی أحد الأیام، فانفجر فصاده فی اللیل و خرج منه دما کثیرا سبب موته.
3- أثبت ابن العدیم فی کتابه(بغیه الطلب) نص هذه الاستغاثه فی ترجمته للبساسیری، انظر مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 263. و علی روایه ابن العدیم ضبط نص ابن القلانسی.

4- فی روایه ابن العدیم زیاده« عن اعلامی بما أنا فیه».
5- زیاده من روایه ابن العدیم.

اللهم إنا حاکمناه إلیک، و توکلنا فی انصافنا منه علیک، و رفعنا ظلامتنا هذه إلی حرمک، و وثقنا فی(1) کشفها بکرمک، فاحکم بیننا بالحق و أنت خیر الحاکمین، و أظهر اللهم قدرتک فیه، و أرنا ما نرتجیه فقد أخذته العزه بالإثم.

اللهم فاسلبه عزه، و ملکنا بقدرتک ناصیته یا أرحم الراحمین، و صل یا رب علی محمد و سلم و کرم».

و تولی بعده الأمر ولد ولده الإمام أبو القاسم عبد الله(2) ابن ذخیره الدین [بن](3) القائم بأمر الله أمیر المؤمنین، و کان ذخیره الدین، ولی العهد، فتوفی فی حیاه أبیه القائم بأمر الله، فعقد الأمر لابنه أبی القاسم عبد الله، و لقبه المقتدی بالله، و أخذت له البیعه فی شعبان سنه سبع و سبعین و أربعمائه، و عمره تسع عشره سنه و ثلاثه أشهر و أیام.

و فی هذه السنه وردت الأخبار من ناحیه حلب بوفاه صاحبها الأمیر محمود بن شبل الدوله بن صالح، بحلب فی جمادی الأولی، و قام فی منصبه ولده الأمیر نصر بن محمود(4)، و هنأه بعد التعزیه الأمیر أبو الفتیان بن حیوس بالقصیده الألفیه المشهوره التی یقول فیها:

و قد جاد محمود بألف تصرّمت و إنی سأرجو أن سیخلفها نصر(5)

فأطلق له ألف دینار، و قال له: لو کنت قلت «سیضعفها نصر» لفعلت.

1- فی روایه ابن العدیم: و قد رفعت ظلامتی إلی حرمک، و وثقت فی کشفها بکرمک .....
2- فی الاصل« عبد الرحمن» و هو تصحیف صوابه ما أثبتنا.
3- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.
4- أوصی محمود قبل وفاته بحلب لابنه شبیب، و کان أصغر أولاده، فلم تنفذ وصیته. انظر زبده الحلب: 2/ 42- 45.
5- القصیده رائیه، لعلها عرفت بالألفیه لما جاء فیها، و اختلفت روایات هذا البیت، انظر دیوان ابن حیوس: 1/ 248. زبده الحلب: 2/ 46.

سنه ثمان و ستين و أربعمائه و فيها: ولايه الأمير رزين الدوله لدمشق

(62 و) لما هرب معلى بن حيدره بن منزو(1) لعنه الله من ولايه دمشق على القضيه [التى سبق](2) ذكرها اجتمعت المصامده إلى الأمير رزين الدوله انتصار بن يحيى، زمامهم و المقدم عليهم و اتفق رأيهم على تقديمه فى ولايه دمشق، و تقويه نفسه على الاستيلاء عليها، و دفع من ينازعه فيها، و وقع ذلک من أكثر الناس أجمل موقع، و أحسن موضع، و ارتضوا به، و مالوا إليه لسداد طريقته، و حميد سيرته، و كونه أحسن فعلا ممن تقدمه، و أجمل قصدا ممن كان قبله، فاستقر الأمر على هذه القضيه، و السجيه المرضيه فى يوم الأحد مستهل المحرم من السنه.

و فى هذه السنه اشتد غلاء الأسعار فى دمشق، و عدمت الأقوات، و نفدت الغلات منها، و اضطر الناس إلى أكل الميتات، و أكل بعضهم بعضا، و وقع الخلف بين المصامده و أحداث البلد، و عرف الملک أتسز ابن أوق مقدم الأتراک [ذلک](3) و ما آلت إليه الحال، و كان متوقعا لمثل ذلک، فنزل عليها، و بالغ فى المضايقه لها، إلى أن اقتضت الصوره، و قادت الضروره إلى تسليمها إليه بالأمان، و توثق منه بوكيد الأيمان.

فلما دخلها فى ذى القعده سنه ثمان و ستين و أربعمائه و حصل بها، نزل بأهلها منه قوارع البلاء، بعد ما عانوه من ابن منزو لعنه الله، و اشتداد البلاء من إنزال دورهم و إخراجهم منها، و اغتصاب أملاكهم و القبض لها، و استعمال سوء السيره و خبث النيه و السريره، و تواصلت الدعوات

1- انظر ما تقدم ص: 172.
2- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم سياق الخبر.
3- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق، و قد آثرت ذلک على حذف« واو» ما آلت.

علیه من سائر الناس، و علی أصحابه و أتباعه فی جمیع الأوقات، و أعقاب الصلوات و الرغبه إلی الله تعالی ذکره باهلاکه و تعفیه آثاره(1).

و فی هذه السنه وردت الأخبار من حلب بأن الأمیر نصر بن محمود ابن صالح صاحبها، قتل بها فی یوم الأحد عید الفطر، قتله قوم من أتراک الحاضر(2)، و ذاک أنه قبض علی مقدمتهم المعروف بالأمیر أحمد شاه، و خرج إلیهم لینهبهم، فرماه أحدهم بسهم فقتله، و قام فی منصبه من بعده أخوه سابق بن محمود بن صالح(3).

و فی هذه السنه خطب للإمام المقتدی بالله أبی القاسم عبد الله بن الذخیره بن القائم بأمر الله علی منبر دمشق، و قطعت الخطبه المستنصریه (62 و)، و نظر الملک أتسز ابن أوق فی أمور دمشق و أحوالها بما یعود بصلاح أعمالها و وفور استغلالها، و أطلق لفلاحی المرج و الغوطه الغلات للزراعات، و ألزمهم الاشتغال بالعمارات و الفلاحات، فصلحت الأحوال و تواصلت من سائر الجهات الغلات، و رخصت الأسعار، و تضاعف الجذل بذلک و الاستیثار، و طابت نفوس الرعیه و أیقنوا بزوال البؤس و البلیه، و برز أتسز فی عسکره إلی نواحی الساحل عازما علی قصد مصر و طامعا فی تملکها.

1- سوغ أتسز مثل بقیه الترکمان ما أوقعوه بسکان دمشق و سواها من بلاد الشام بمسوغ عقائدی، علی أساس أن الترکمان کانوا سنّه، و کان أهل الشام شیعه، و علی العموم کره أهل الشام أتسز کثیرا، و لعنوه و سموه« أقسیس» و مع ذلک نلاحظ أنه بعد زوال التشیع من دمشق، تبدلت النظره إلی أتسز، فهذا ابن کثیر، و هو من متأخری مؤرخی دمشق قد عدّه بأنه« کان من خیار الملوک و أجودهم سیره، و أصحهم سریره، أزال الرفض عن أهل الشام، و أبطل الأذان بحی علی خیر العمل، و أمر بالترضی عن الصحابه أجمعین، و عمر بدمشق القلعه التی هی معقل الاسلام بالشام المحروس، فرحمه الله، و بل بالرحمه ثراه، و جعل جنه الفردوس مأواه». البدایه و النهایه: 11/ 112- 113. مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 266- 267.

2- الحاضر السلیمانی حیث محله السلیمانیه الآن فی مدینه حلب.

3- انظر حول تفاصیل ذلک کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 167- 169.

سنه تسع و ستين و أربعمائه

فيها جمع الملک أتسز و احتشد، و برز من دمشق، و نهض فی جمع عظيم إلی ناحيه الساحل، ثم منها إلی ناحيه مصر طامعا فی ملکتها، و مجتهدا فی الاستيلاء عليها، و الدعاء عليه من أهل دمشق متواصل، و اللعن له متتابع متصل(1).

فلما قرب من مصر و أطلت خيله عليها، برز إليه أمير الجيوش بدر فی من حشده من العساکر، و من انضاف إليها من الطوائف و العرب، و کان قد وصل إليها و استولی علی الوزاره(2) و عرف ما عزم عليه

1- هذا الکلام يناقض ما سبقه، و فيه دليل علی أن ابن القلانسی اعتمد علی روايات متباينه و لم يقم بالتنسيق بينها، بل اکتفی بالنقل بعد حذف الأسانيد و أسماء المصادر، و فی مرآه الزمان، حوادث سنه 649 وصف لأحوال دمشق فيه تفاصيل مدهشه منها:« و لم يبق بها من أهلها سوی ثلاثه آلاف إنسان بعد خمسمائه ألف أفناهم الفقر و الغلاء و الجلاء، و کان بها مائتان و أربعون خبازا، فصار بها خبازان، و الأسواق خاليه، و الدار التی کانت تساوی ثلاثه آلاف دينار ينادی عليها عشره دنانير فلا يشتريها أحد، و الدکان الذی کان يساوی ألف دينار ما يشتری بدينار، و کان الضعفاء يأتون للدار الجليله ذات الأثمان الثقيله، فيضربون فيها النار فتحرق، و يجعلون أخشابها فحما يصطلون به، و أکلت الکلاب و السنانير، و کان الناس يقفون فی الأزقه الضيقه فيأخذون المجتازين فيذبحونهم و يشوونهم و يأکلونهم، و کان لامرأه داران قد أعطيت قديما فی کل دار ثلاثمائه دينار أو أربعمائه، و لما ارتفعت الشده عن الناس ظهر الفأر، فاحتاجت إلی سنور فباعت إحدی الدارين بأربعه عشر قيراطا، و اشترت
2- أورد المقريزی فی کتابه المقفی ترجمه لبدر الجمالی تحدث بها عن استيلائه علی السلطه فی القاهره، فقال بعد ما وصف أخذ أتسز لدمشق و فلسطين:« فلم يزل أمير الجيوش بعکا إلی أن انتهکت حرمه المستنصر بتغلب ناصر الدوله الحسن ابن حمدان إلی أن قتل، فاستطال عليه الأمير يلدکوز و الأتراک و الوزير ابن أبی کدينه، فکتب إلی أمير الجيوش کتابا من املاء الوزير أبی الفرج محمد بن جعفر بن المغربی، و هو يومئذ يتولی الانشاء، يستدعيه للقدوم عليه، و انجاده من جملته: فإن کنت مأکولا، فکن خير آکل، و إلا فأدرکنی و لما أمزق. فلما بلغه الکتاب قال: لبيک، و کررها

ثلاثا، و كتب إلى المستنصر يشترط عليه أن لا يقدم إلا بعسكر معه، و أنه لا يبقى على أحد من عساكر مصر، فأنعم له بذلک، فسار من عكا بمائه مركب مشحونه بالأرمن و غيرهم من العسكر، فنهاه الناس عن ركوب البحر من أجل أن الوقت شتاء فى كانون الأول، فأبى و نزل على دمياط بعد يومين من اقلاعه، فزعم البحريه أنهم لم يعرفوا صحوه تمادت أربعين يوما فى الكوانين إلا هذه، فكان هذا الأمر بدء سعادته، و استدعى تجار تنيس و اقترض منهم مالا، و أقام له سليمان اللواتى بالعليق و غيرهم من الضيافه، و سار إلى ظاهر قليوب، و بعث إلى المستنصر يقول له: لا أدخل القاهره ما لم تقبض على يلدكوز، فأمسكه،- - و عبر أمير الجيوش عشيه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنه ست و ستين و أربعمائه، و دخل على المستنصر، فاستدعاه و قربه، و دعا له و شكر سعيه، و بالغ فى كرامته، و قرر أن يكون السفير بينه و بين أمير الجيوش الوزير ابن المغربى كاتب الانشاء، فصار ابن المغربى إليه، و عرفه ما فيه الغرض، و صار من خواصه، و لم يكن عند أهل الدوله علم من أن المستنصر استدعاه، و ظنوا أنه قدم زائرا، فلم يتأخر أحد منهم عن ضيافته، و القيام بما يتعين من كرامته، و قدموا إليه أشياء كثيره، و حين كملت خدمه الجميع، استدعى الأمراء إلى دعوه صنعها لهم، و قرر مع خواصه أنه إذا بات الأمراء، و جهم الليل، فإنه لابد لكل واحد منهم أن يصير إلى الخلاء لقضاء حاجته، فمن صار منهم إلى الخلاء يقتل فيه، و وكل بكل أمير واحد من أصحابه، و جعل له سائر ما هو بيد ذلک الأمير من اقطاع و جار و دار و مال و جوارى و غير ذلک، فلما حضر الأمراء عنده، و قام لهم بما يليق بهم ظلوا نهارهم عنده، و هم فى أرغد عيش، و باتوا مطمئنين إليه، فلم يطلع الفجر حتى استولى أصحاب أمير الجيوش على بيوت الأمراء، و صارت رؤوس الأمراء بين يديه، فقويت شوكته، و انبسطت يده، و خلت الديار له من كل منازع، فاستدعاه حينئذ المستنصر، و قرره فى الوزاره ورد إليه الأمور كلها، و عاهده على ذلک، و كتب له سجل نعت فيه« بالسيد الأجل أمير الجيوش، كافل قضاه المسلمين و هادى دعاه المؤمنين، و صار القاضى و الداعى نائبين عنه يقلدهما هو».

أتسز(1)، فاستعد و تأهب لدفع قصده و اعتدائه، وجد فی الایقاع به(2)، و حصلت العرب و أکثر العساکر من ورائه، و صدقوا الحمله

1- فی ترجمه أتسز للمقریزی فی کتابه المقفی معلومات مفیده عن حمله أتسز علی مصر و محرضاته، و مما جاء فیها:« و کثر عسکره- أتسز- بمن فر إلیه من مصر خوفا من أمیر الجیوش بدر الجمالی، و حدثته نفسه بأخذ مصر، فسار إلیها فی سنه تسع و ستین و أربعمائه، و قد صار إلیه ناصر الجیوش، أبو الملوکترکان شاه بن سلطان الجیوش یلدکوز، و أهدی إلیه ستین حبه لؤلؤ نزید زنه الحبه منها علی مثقال، و حجر من یاقوت زنته سبعه عشر مثقالا، فی تحف کثیره، مما کان قد أخذه أبوه من خزائن القصر، و أغراه بأخذ مصر، و أطمعه فی أهلها، فحشد، و هم علی حین غفله، و کان أمیر الجیوش قد خرج لقتال العرب بالصعید، فنزل اتسز فی أریاف مصر، و أقام بها شهر جمادی و بعض شهر رجب، و معه نحو الخمسه آلاف، فلما بلغ ذلک أمیر الجیوش قدم إلی القاهره و استعد إلی لقائه، و خرج فی یوم الخمیس سابع عشر رجب، و سیر المراکب فی النیل بالعلوفات و المیره، و سار فی نحو الثلاثین ألفا ما بین فارس و راجل فخافه أتسز و عزم علی العوده عن مصر إلی الشام».
2- نقل لنا صاحب مرآه الزمان فی أخبار سنه/ 469 ه/ تفاصیل مهمه جدا عن حمله أتسز، سبق لأمدروز ناشر ابن القلانسی الأول أن أثبتها فی الحاشیه، و لقد أبقیتها بعد ما ضبطتها علی مخطوطتی باریس و أحمد الثالث فی استانبول:« و فی رجب- 469 ه- عاد أتسز الخوارزمی إلی دمشق منهزما من القاهره، فی خمسه عشر فارسا، و قد نهبت أمواله، و قتلت رجاله، و کان لما تسلم دمشق تصور فی عزمه قصد مصر، فجمع من الترکمان، و الأکراد و العرب، عشرین ألفا، و وصل إلی الریف، و أقام نیفا و خمسین یوما، یجمع الأموال، و یسبی الحریم، و یذبح الأطفال، و هو یراسل بدر الجمالی، و یطلب المال، و قد انزعج الناس، و کان عسکر مصر بالصعید، یحارب العبید، فضمن له بدر مائه و خمسین ألف دینار، و استدعی من کان بالصعید من العساکر و السودان، و کان مع أتسز بدر بن حازم الکلبی فی ألفی فارس، فاستماله بدر، فانتقل إلی- - إلی القاهره، و ورد القاهره ثلاثه آلاف رجل فی المراکب لنیه الحج، فقال لهم بدر: دفع هذا العدو أفضل من الحج، و أعطاهم المال و السلاح، و قال لوالد شکلی الترکمانی الهارب من أتسز: کاتب الترکمان، فکاتبهم و أفسد منهم نحو من

سبعمائه غلام و كانوا كارهين لأتسز من شحه و عسفه، و اتفقوا أن الحرب متى قامت استأمنوا إلى بدر، و صار أتسز إلى القاهره فى أواخر جمادى الآخره، فأرسل بدر ألفى فارس يصدمونه، حتى يستأمن من أفسدهم أبو شكلى، فلم يستأمن أحد فكسرهم أتسز، فرجعوا مفلولين إلى القاهره، و كان التجأ إليها أهل الضياع و الأصقاع و مصر و التجار، فوقفوا على باب القصر باكين صارخين، فخرج من المستنصر خادم فقال: يقول لكم أمير المؤمنين إنما أنا واحد منكم، و عوض ما تتضرعون على بابى و تبكون، فارجعوا إلى الله تعالى و تضرعوا له و لازموا المساجد و الجوامع، و صوموا و صلوا، و أزيلوا الخمور و المنكرات، فلعل الله يرحمنى و إياكم، و يكشف عنا ما قد نزل بنا، فعاد الناس إلى المساجد و الجوامع، و خرجت النساء كاشفات الوجوه منتشرات الشعور يبكين و يستغثن، و الرجال يقرأون القرآن، و كان بدر الجمالى قد هيأ المراكب و السفن، إن رأى غلبه نزل فيها إلى الاسكندريه و كذا صاحب مصر، فضج الناس، و قصدوا باب القصر و قالوا: تمضى أنت و بدر فى السفن و نهلك نحن؟ فخرج الجواب: إنى معكم مقيم، فإن مضى أمير الجيوش إلى حيث يطلب السلامه، فها هنا من السفن ما يعمكم، مع أننى واثق من الله بالنصر، و عندنا الكتب السالفه أن هذه الأرض لاتؤتى من الشرق، و من قصدها هلك، فلما كان وقت السحر خرج بدر إلى ظاهر القاهره و العسكر معه، و أقبل أتسز فى جحافله و الدبادب و البوقات بين يديه، فرأى بدر ما لم يظن له به طاقه، و كان بدر قد أقام بدر بن حازم من وراء أتسز كمينا فى ألفى فارس، فخرج من ورائهم، فأخذ البغال المحمله، و ضرب النار فى الخيم و الخركاوات، و استأمن إلى والد شكلى السبعمائه غلام و كانوا فى الميسره، و حمل بدر على الميمنه فهزمها، و حمل السودان على القلب و فيه أتسز، فانهزم و قتل من كان حوله، و تبعهم السودان و العرب أسرا و قتلا إلى الرمل، و غنموا منهم غنائم لم يغنمها أحد قبل ذلک، و كان فيما أخذ ثلاثه آلاف حصان، و عشره آلاف صبى و جاريه، و أما من الأموال و الثياب فما لا يحصى، و أقاموا مده شهر رجب يحوزون الأموال و الخيل و الأمتعه و الأسارى، و جاء العسكر و أهل البلاد إلى باب القصر، فضجوا بالأدعيه، فخرج إليهم جواب المستنصر: قد علمتم ما أشرف من الأمر العظيم، و الخطب الجسيم، الذى لم يخطر فى نفوسنا القدره على دفعه ورده حتى كشفه الله تعالى، و ما يجب أن يكون فى مقابلته إلا الشكر لله تعالى على نعمته، و متى وجد انسان على فاحشه، كان دمه و ماله فى مقابله ذلک، ثم وجد بعد ذلک سته سكارى فأخذوا و خنقوا، و زال ما كان بمصر من الفساد، و لازموا الصلوات و قراءه القرآن و مضى أتسز فى نفر يسير، فلما وصل غزه، ثار أهلها به، و قتلوا جماعه ممن كان معه، فهرب إلى الرمله فخرج إليه أهلها فقاتلوه و قتلوا بعض من كان معه، فهرب إلى دمشق فى بضع عشره نفسا، فخرج

إليه ولده و مسمار أحد أمراء الكلبيين و كان قد استخلفهما بدمشق فى مائتى فارس من العرب، و كان وصوله فى عاشر رجب، فنزل بظاهرها فى مضارب ضربها له مسمار، و خرج إليه أهل البلد فخدموه و هنأوه بالسلامه و شكوه، و شكرهم و أطلق لهم خراج تلك السنه، و أحسن إليهم و وعدهم بالجميل، فقام واحد منهم من الأعيان، فقال: أيها الملک- - العادل- و به كان يخاطب و يخطب له- قد حلفت لنا و حلفنا لک، و توثقت منا، و أنا و الله أصدقک و أنصحک، قال: قد عرفت أنه لم يبق فى البلد عشر العشر من الجوع و الفاقه و الفقر و الضعف، و لم يبق لنا قوه و متى غلقت أبواب هذا البلد من عدوه قصده، و رمت منا منعه أو حفظه فإن كنت مقيما بيننا فنحن بين يديک مجتهدون و لک ناصحون، و إن بعدت عنا فلا طاقه لنا بالقتال مع الفقر و الضعف، فلا تجعل للعدو سببا لهلاكنا و مؤاخذتنا، فقال: صدقت و نصحت، و ما أبعد عنكم و لا اخليكم من عسكر يكون عندكم، ثم أقام بدمشق، و جاء التركمان من الروم، و لم يستخدم غيرهم، و عصى عليه أهل الشام و أعادوا خطبه صاحب مصر فى جميع الشام، و قام بذلک المصامده و السودان، و كان أتسز و أصحابه قد تركوا أموالهم و أولادهم بالقدس فوثب القاضى و الشهود، و من بالقدس على أموالهم و نسائهم، فنهبوها، و قسموا التركيات بينهم و استعبدوا الأحرار من الأولاد و استرقوهم، فخرج من دمشق فيمن ضوى إليه من التركمان، و وصل إلى قريب القدس، و راسلهم و بذل لهم الأمان، فأجابوه بالقبيح و توعدوه بالقتل، فجاء بنفسه إلى تحت السور، و خاطبهم فسبوه، و قاتلهم يوما و ليله، و كان ماله و حرمه فى برج داود، و رام السودان و المصامده الوصول إليهم فلم يقدروا، و كان فى البرج رتق إلى ظاهر البلد، فخرج أهله منه إليه، و دلوه عليه، فدخل منه و معه جماعه من العسكر، و خرجوا من المحراب، و فتحوا الباب و دخل العسكر، فقتلوا ثلاثه آلاف انسان، و احتمى قوم بالصخره و الجامع، فقرر عليهم الأموال حيث لم يقتلهم لأجل المكان، و أخذ من الأموال شيئا لا يبلغه الحصر، بحيث بيعت الفضه بدمشق كل خمسين درهما بدينار، مما كان يساوى ثلاثه عشر درهما بدينار، و قتل القاضى و الشهود صبرا بين يديه، و قرر أموال البلد، و سار إلى الرمله فلم ير فيها من أهلها أحد، فجاء إلى غزه و قتل كل من فيها فلم يدع بها عينا تطرف، و جاء إلى العريش فأقام فيه، و بعث سريه فنهبت الريف و عادت، ثم مضى إلى يافا فحصرها، و كان بها رزين الدوله فهرب هو و من كان فيها إلى صور فهدم أتسز سورها، و جاء كتابه إلى بغداد بأنه على نيه العود إلى مصر و أنه يجمع العساكر، ثم عاد إلى دمشق».

علیه فکسروه و هزموه، و وضعوا السیوف فی عسکره قتلا و أسرا و نهبا، و أفلت هزیما بنفسه فی نفر یسیر من أصحابه، و وصل إلی الرمله و قد قتل أخوه.

و قطعت يد أخيه الآخر، و وصل بعد الفل إلى دمشق، فسرت نفوس الناس بمصابه و تحكم السيوف فى أتباعه و أصحابه، و أملوا مع هذه الحادثه سرعه هلاكه و ذهابه.

و فى هذه السنه توفى أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان بن أبى الحديد السلمى، رحمه الله.

سنه سبعين و أربعمائه

فيها وردت الأخبار بوصول السلطان تاج الدوله أبى سعيد تتش بن السلطان العادل ألب أرسلان أخى السلطان ملک شاه أبى الفتح، إلى الشام، و اجتماع العرب من بنى كلاب إليه، و وصول شرف الدوله

مسلم بن قريش إليه من عند أخيه السلطان العادل ملک شاه لمعونته على افتتاح الشام بأمره له فى ذلک(1).

و فيها توفى أبو نصر الحسين بن محمد (63 و) بن أحمد بن طلاب الخطيب رحمه الله.

و فى هذه السنه نزل عسكر مصر على دمشق مع ناصر الدوله الجيوشى، و أقام عليها مده يسيره، و لم يتم له فيها مراد، فرحل عنها عائدا إلى مصر.

و فيها نزل تاج الدوله أخو السلطان على حلب، و معه و ثاب و شبيب ابنا محمود بن صالح، و مبارک بن شبل، و رحل عنها فى ذى القعده، ثم نزل عليها ثانيه و لم يتم له فيها مراد، فرحل عنها.

سنه إحدى و سبعين و أربعمائه

فى هذه السنه خرج من مصر عسكر كبير مع ناصر الدوله الجيوشى، و نزل على دمشق محاصرا لها و مضيقا عليها(2)، و استولى على أعمالها و أعمال فلسطين، و أقام عليها مده مضايقا لها، و طامعا فى تملكها، و أصر على منازلتها إصرارا اضطر أتسز صاحبها إلى مراسله تاج الدوله يستنجده، و يستصرخ به، و يعده بتسليم دمشق إليه و يكون فى الخدمه

1- حدث انشقاق فى أوساط قبيله كلاب قاد إلى صراعات مع سابق بن محمود بن نصر أمير حلب، و أدى إلى ذهاب بعض زعماء القبيله إلى السلطان ملكشاه« فشكوا حالهم، و سألوا منه أن يعينهم على سابق، فوعدهم، و أقطعهم فى الشام، و أقطع الشام أخاه تتش» و قام تتش بمحاصره حلب، و التحق به و هو على حلب مسلم بن قريس العقيلى أمير الموصل، و تظاهر بمساعدته، و عمل ضمنا على رأب الصدع بين المتصارعين من كلاب و توحيد كلمه القوى العربيه ضد التركمان، و نجحت مساعيه، مما أجبر تتش على رفع الحصار عن حلب، و التوجه بأنظاره نحو دمشق .... انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 168- 175.
2- فى ترجمه أتسز للمقريزى فى كتابه المقفى أن الحصار الثانى كان سنه سبعين فبعد ما تحدث عن اخفاق حمله أتسز على مصر ذكر أن بدر الجمالى ندب العساكر« مع ناصر الدوله الجيوشى، و بعثه إلى دمشق فحاصرها أياما، و عاد فى سنه سبعين، فلما خاف أتسز من ظفر أهل مصر

به، راسل تاج الدوله تت ابن ألب أرسلان يستنجده، فتحرک لذلک، و سأل أخاه السلطان ملک شاه ابن ألب أرسلان أن يوليه الشام، فأقطعه السلطان أبو الفتح ملک شاه بن ألب أرسلان الشام».

بین یدیه، فتوجه نحوه فی عسکره، فلما عرف ناصر الدوله الخبر، و صح عنده قربه منه رحل عنها مجفلا، و قصد ناحیه الساحل، و کان ثغرا صور و طرابلس فی أیدی قضاتهما(1) قد تغلبا علیهما، و لا طاعه عندهما لأمیر الجیوش، بل یصانعان الأتراک بالهدایا و الملاطفات، و وصل السلطان تاج الدوله إلی عذراء فی عسکره لإنجاد دمشق و خرج أتسز إلیه و خدمه، و بذل له الطاعه و المناصحه، و سلم إلیه البلد، فدخلها و أقام بها مدیده، ثم حدثته نفسه بالغدر بأتسز، و لاحت له منه أمارات استوحش بها منه مستهله، فقبض علیه فی شهر ربیع الأول منها، و قتل أخاه أولا، ثم أمر بخنقه بوتر فی المکان المعتقل فیه، و ملک تاج الدوله دمشق، و استقام له الأمر فیها، و أحسن السیره فی أهلها و فعل بالضد من فعل أتسز فیها، و ملک أعمال فلسطین.

و فی هذه السنه قتل أحمد شاه مقدم الأتراک فی الشام(2).

و فیها برز تاج الدوله من دمشق، و قصد حلب فی عساکره، و نزل علیها، و أقام علیها أیاما، و رحل عنها فی شهر ربیع الأول، و عبر الفرات مشرقا، ثم عاد إلی الشام بعد أن وصل إلی دیار بکر فی ذی الحجه، و ملک حصن بزاعه و البیره(3) و أحرق ربض اعزاز، و رحل عنها عائدا إلی دمشق.

1- فی صور آل عقیل و فی طرابلس آل عمار. انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه:
2- أثناء حصار تتش لمدینه حلب، و لقد نشرت ترجمه أحمد شاه کما أوردها ابن العدیم فی کتابه بغیه الطلب فی ملاحق کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه، و تحدثت عن دوره فی اماره حلب فی الکتاب نفسه، انظر ص: 166- 173، 251- 253.
3- ذکر یاقوت بزاعه فقال: هی بلده من أعمال حلب بین منبج و حلب، بینها و بین کل واحده منها مرحله، و وصف البیره فقال هی بلد قریب سمسیاط بین حلب و الثغور الرومیه، و هی قلعه حصینه و لها رستاق واسع، و أما عزاز فتبعد الآن عن مدینه حلب مسافه/ 46 کم/ و هی مرکز منطقه تابعه لمحافظه حلب. هذا و قد أورد ابن العدیم فی زبده الحلب هذا الخبر فقال بأن تتش أخذ منبج و حصن الفایا و حصن الدیر، ثم هاجم عزاز- الزبده: 2/ 61- 62.

سنه اثنتين و سبعين و أربعمائه

(63 ظ) فيها تسلم شرف الدوله مسلم بن قريش حلب(1)، و فيها رخصت الأسعار فى الشام بأسره، و فيها هلكت فرقه من الأتراک ببلاد الروم كانوا غزاه، فلم يفلت منهم أحد.

سنه أربع و سبعين و أربعمائه

سنه أربع و سبعين و أربعمائه(2)

فيها ملک الأمير أبو الحسن على بن المقلد بن منقذ حصن شيزر، فى يوم السبت السابع و العشرين من رجب من الأسقف(3) الذى كان فيه بمال بذله له و أرغبه فيه إلى أن حصل فى يده، و شرع فى عمارته و تحصينه و الممانعه عنه، إلى أن تمكنت حاله فيه فقويت نفسه فى حمايته و المراماه دونه(4).

1- جاء تسلم مسلم بن قريش العقيلى لمدينه حلب بعد عدد كبير من الحوادث بحثتها فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 181- 186، و باستلام مسلم لقلعه حلب أنهى حكم الدوله المرداسيه، و شرع فى محاوله بسط سيادته على الشام كله و طرد التركمان منه و من الجزيره.
2- ليس فى الأصل أخبار سنه ثلاثه و سبعين، و لا أدرى أمرد ذلک إلى المؤلف أم الناسخ؟
3- من أسقف الباره الذى كان يدين بالطاعه للامبراطوريه البيزنطيه. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 186.
4- أورد سبط ابن الجوزى خبر سقوط شيزر فى أخبار سنه/ 474 ه/، و أثبت عن غرس النعمه محمد بن هلال الصابى ء فقرات مطوله من كتاب بعث به الأمير على بن المقلد- كما يبدو إلى بغداد- تحدث به عن استيلائه على شيزر،« قال محمد بن الصابى ء: وقفت على كتاب بخطه أى الأمير على بن المقلد] منه: كتابى هذا من حصن شيزر، و قد رزقنى الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق، و من دون هذا الحصن بيض الأنوق، و من وقف على حقيقه الحال علم انى هاروت هذه الأمه، و سليمان الجن المرده، و أننى أفرق بين المرء و زوجته، و أستنزل القمر من محلّه، و أجمع بين الذئب و الغنم. إنى نظرت إلى هذا الحصن، و رأيت أمرا يذهل الألباب، و يطيش العقول يسع ألف رجل، ليس عليه حصار،

و لا فيه حيله لمحتال، فعمدت إلى تل منه قريب يعرف بتل الحسن، فعمرته حصنا، و جعلت فيه عشيرتى و أهلى، و كان بين التل و شيزر حصن يعرف بالخراص، فوثبت عليه و أخذته بالسيف. و حين ملكته أحسنت إلى أهله و لم أكلفهم إلى ما يعجزون عنه، و خلطت خنازيرهم بغنمى، و نواقيسهم بأصوات المؤذنين عندى، و صرنا مثل الأهل مختلطين، فحين رأى أهل شيزر فعلى مع الروم أنسوا بى، و صاروا يجيئونى من واحد و إثنين إلى أن حصل عندى نصفهم، فأجريت عليهم الجرايات، و مزجتهم بأهلى و حريمهم بحريمى و أولادهم مع أولادى، و أى من قصد- - و حين ملكته أحسنت إلى أهله و لم أكلفهم إلى ما يعجزون عنه، و خلطت خنازيرهم بغنمى، و نواقيسهم بأصوات المؤذنين عندى، و صرنا مثل الأهل مختلطين، فحين رأى أهل شيزر فعلى مع الروم أنسوا بى، و صاروا يجيئونى من واحد و إثنين إلى أن حصل عندى نصفهم، فأجريت عليهم الجرايات، و مزجتهم بأهلى و حريمهم بحريمى و أولادهم مع أولادى، و أى من قصد حصنهم أعنتهم عليه، و حصرهم شرف الدوله مسلم بن قريش، فأخذ منهم عشرين رجلا فقتلهم، فدسست إليهم عشرين عوضهم، و لما انصرف عنهم جاءوا و قالوا: نسلم إليک الحصن، فقلت لا ما أريد لهذا الموضع خيرا منكم، و جرت بينهم و بين واليهم نبوه، فنفروا منه، و جاءوا إلىّ و قالوا: لابد من تسليم الحصن إليک فسلموه إلى و نزلوا عنه، و حصلت فيه، و معى سبعمائه رجل من بنى عمى و رجالى، و حصلوا فى الربض، و لم يؤخذ لواحد منهم درهم فرد، و أعطيتهم مالا له قدر، و خلعت على مقدميهم و أعطيتهم واجباتهم لسته أشهر، و قمت بأعيادهم و نواقيسهم و صلبانهم و خنازيرهم. و سمع بذلک أهل برزيه و عين تاب و حصون الروم فجاءتنى رسلهم و رغب كلهم فى التسليم إلى، فبينا أنا على تلک الحال، إذ شنت على الغارات، و جيشت نحوى الجيوش من ناحيه مسلم ابن قريش غيظا منه، لم تسلمت حصن شيزر، بعد أن حلف لى قبل ذلک، أننى إذا أخذت حصن شيزر، أنه لا يقود إلى فرسا، و لا يبعث جيشا، و بالله أقسم لئن لم ينته عنى لأعيدنه إلى الروم، و لا أسلمه إليه، و لا إلى غيره أبدا».

سنه خمس و سبعین و أربعمائه

فیها توجه السلطان تاج الدوله إلی ناحیه الشام(1) من دمشق، و معه فی خدمته الأمیر و ثاب بن محمود بن صالح، و منصور بن کامل، و قصد ناحیه الروم و أقام هناک مده، و اتصل به خبر شرف الدوله مسلم بن قریش، و ما هو علیه من الجمع و الاحتشاد و التأهب و الاستعداد، و اجتماع العرب إلیه من بنی نمیر و عقیل، و الأکراد و المولده و بنی شیبان للنزول علی دمشق و المضایقه لها، و الطمع فی تملکها، فعاد تاج الدوله منکفئا إلی دمشق لما عرف هذا العزم(2) و وصل إلیها فی أوائل المحرم سنه ست

1- استخلصت من کتابات هذه المده أن عباره« الشام» غالبا ما صارت تعنی الجزء الشمالی من بلاد الشام، علما بأنها کانت ترفق أحیانا بعباره« الأعلی».

2- فی مرآه الزمان- أخبار سنه 475 ه:« و فیها سار تتش إلی حلب، فأخذ من غلاتها ما باعه بثمن بخس، عجله و سرعه، و قیل إن ملک شاه کتب له بمال علی ابن قریش فمطله، فسار بنفسه، و باع ما قدر علیه، و أنفذ مسلم أصحابه لحفظ حلب، فغاظ تتش و أقام بجسر الحدید، و ما یقارب حلب، و أمر أرتق بک بشن الغارات علی حلب، .... و وردت کتب السلطان إلی أخیه بأن یرجع إلی دمشق و لا یقیم ببلد حلب، و إلی أرتق بک بالعود إلی بابه، ففارقه أرتق بک من جسر الحدید، و سار تتش إلی دمشق، و حل بها و ضعفت نفسه لمفارقه أرتق بک، و عبر مسلم فی العرب و الأکراد وراء تتش، فنزل علی فرسخین منها».

و سبعين و أربعمائه، و ورد الخبر بوصول شرف الدوله فى حشده إلى بالس أيضا فى المحرم، و وصله جماعه من بنى كلاب، و نهض بالعسكر مسرعا فى السير إلى أن نزل على دمشق، و وصل إليه جماعه من عرب قيس و اليمن، و قاتل أهل دمشق فى بعض الأيام، و خرج إليه عسكر تاج الدوله من دمشق، و حمل على عسكره حمله صادقه فانكشف و تضعضع عسكره، و عاد كل فريق إلى مكانه، و عاد عليهم بحمله أخرى، و انهزمت العرب و ثبت شرف الدوله مكانه و أشرف على الأسر، و تراجع أصحابه، و كان شرف الدوله قد اعتمد على معونه عسكر المصريين على دمشق، و معاضدته بالعسكر المصرى على أخذها، فوقع التثاقل عليه بالانجاد و التقاعد عنه بالاسعاد اشفاقا من ميل الناس إليه، و عظم شأنه بتواصلهم و وفودهم عليه فلما وقع يأسه مما أمله و رجاه و خاب ما تمناه، و ورد عليه من أعماله ما شغل خاطره فى تدبيره و اعماله(1)، و تواترت الأخبار بما أزعجه (64 و) و أقلقه، رأى أن رحيله عن دمشق إلى بلاده و عوده إلى ولايته لتسديد أحوالها و إصلاح اختلالها أصوب من مقامه على دمشق، و أوفق من شأنه، فأوهم أنه سائر مقتبلا لأمر مهم عليه، و أرب مطلوب نهد إليه، فرحل عن دمشق، و نزل مرج الصفر و عرف من بدمشق ذلک، فقلقوا لذلک و اضطربوا ثم رحل مشرقا فى البريه و جلا، وجد فى سيره مجفلا و واصل السير ليلا و نهارا فهلک من المواشى و الدواب للعرب ما لا يحصيه عدد، و لا يحصره كثره من العطش، و تلف و انقطع من الناس خلق كثير، و خرجت به الطريق إلى وادى بنى حصين قريبا من سلميه، فأنفذ وزيره أبا العز (بن) صدقه إلى خلف بن ملاعب المقيم بحمص ليجعله بين الشام و بين السلطان تاج الدوله لما يعلمه من نكايته فى الأتراک و فتکه بمن يظفر

1- لقد كان الذى أزعج مسلم و أقلقه، و جعله يقلع عن متابعه حصار دمشق هو خير قيام ثوره فى حران ضده، و يقول الذهبى:« عصا أهل حران على شرف الدوله مسلم بن قريش، و أطاعوا قاضيهم ابن جبله الحنبلى، و عزموا على تسليم حران إلى جبق أمير التركمان، لكونه سنيا و لكون مسلم رافضيا». انظر كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 190- 192.

به من أبطالهم الفتاک، فأقام أبو العز الوزیر بحمص إلی حین عوده فخلع علیه شرف الدوله، و أکرمه و قرر معه(1) حفظ الشام، و طیب نفسه.

و سار بعد ذلک السلطان تاج الدوله إلی ناحیه طرابلس، و افتتح انطرطوس، و بعض الحصون، و عاد إلی دمشق.

و ورد الخبر بنزول السلطان العادل ملک شاه أبی الفتح بن ألب أرسلان علی حلب فی یوم الأربعاء الثانی و العشرین من شعبان من السنه، و ضایقها إلی أن ملکها مع القلعه(2).

و فی یوم الخمیس الثانی من المحرم توجه شرف الدوله إلی بلد أنطاکیه للقاء الفردوس ملک الروم(3).

و فیها وصل الأمیر شمس الدوله سالم بن مالک(4) بالخلع السلطانیه إلی شرف الدوله إلی حلب(5).

1- سنسمع الکثیر من أخبار خلف بن ملاعب و لابن ملاعب ترجمه مطوله فی کتاب بغیه الطلب لابن العدیم، نشرتها فی ملاحق کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 380- 385.
2- لیس مکان هذا الخبر هنا، بل بعد الحدیث عن مقتل مسلم بن قریش، و ما استجد إثر ذلک فی حلب. انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 194- 205.
3- فی مرآه الزمان- أخبار سنه 475 ه:« لما صعد- مسلم- إلی الشام طالب الفردوس و الی أنطاکیه بمال الهدنه، و هو ثلاثون ألف دینار، فی کل سنه، فلم یحمل إلیه شیئا، و کاتبه أهل أنطاکیه، و قرروا معه فتحها و تسلیمها إلیه، و کان من سوء رأی مسلم و تخلفه أنه کان له کاتب نصرانی، فکان یدع عنده مکاتباتهم، ثقه به، و تحقق الکاتب فتح أنطاکیه، فهرب إلیها و مسلم بحلب، و دفع تلک الکتب إلی الفردوس، فلما وقف علیها أحضرهم، و کانوا ثلاثمائه انسان، فقتلهم بین یدیه صبرا، و کاشف مسلم، و کتب إلی السلطان بأنه یکاتب صاحب مصر، و ینفذ له الخلع و الأموال، و استقر أن الفردوس یحمل إلی السلطان کل سنه مال الهدنه».
4- ابن عم لمسلم بن قریش، کلفه مسلم بحکم قلعه حلب، و صار بعد مقتل مسلم و سقوط حلب للسلطان ملکشاه سیدا لقلعه جعبر، مما أهله و

آله من بعده إلى شغل دور كبير فى أحداث الحروب الصليبيه. له ترجمه فى كتاب بغيه الطلب نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 405- 407.
5- لدى معرفه السلطنه بخبر وجود علاقات بين مسلم بن قريش و الخلافه الفاطميه، بعث إليه الوزير نظام الملک يعاتبه، فأجابه مسلم:« إن كانت الكتب منى إلى صاحب مصر، توجب العتب على، و إن كانت منه إلى، فاحفظوا صاحبا لكم، يرغب فيه صاحب مصر، و لا تخرجوه عن أيديكم، و ارغبوا فيه، كما رغب فيه غيركم». و بناء على هذا وصلته الخلع السلطانيه. مرآه الزمان- أخبار سنه 475 ه.

و تقرر(1) الصلح بين شرف الدوله و ابن ملاعب بحمص، و فيها وصل أبو العز بن صدقه، وزير شرف الدوله، فى عسكر كثيف، لإنجاد حلب على تاج الدوله، فلما وصل إليها رحل تاج الدوله، فى الحال عنها(2).

سنه ست و سبعين و أربعمائه

فيها عمل على مدينه حران، و أخذت من ملكه شرف الدوله مسلم ابن قريش فى سابع صفر، و عاد إليها حين عرف خبرها، فنزل عليها فى عسكره، و ضايقها و واظبها إلى أن افتتحها، و ملكها، و رتب أمرها و احتاط عليها، و اعتمد على الثقات فى حفظها(3).

1- فى الأصل« و قرر» و هى مصحفه صوابها ما أثبتنا، ففى مرآه الزمان أخبار سنه 475 ه:« و عاد مسلم إلى حمص، فخرجت نساء ابن ملاعب و حريمه، فتعلقن بذيل مسلم، فاستحى منهن، و ذم له، و أبقاه على حاله، و لم يطالبه بما تقرر عليه، و استحلفه، و حلف له، و عاد إلى حلب».
2- حصل هذا قبل حمله مسلم بن قريش على دمشق، و فى سوق الخبر هكذا مع سواه دليل جديد على طبيعه عمل ابن القلانسى، من أنه أخذ من مصادر مختلفه و أثبت موارده دونما تنسيق.
3- نقل سبط ابن الجوزى- أخبار سنه 476 ه عن غرس النعمه محمد بن هلال الصابى ء خبر ثوره حران و القضاء عليها فقال:« و وصل الخبر إلى مسلم بأن أهل حران عصوا عليه، فرجع كارا إلى حمص، و صالح فى طريقه ابن ملاعب و حالفه و أعطاه مضافا إلى حمص: رفنيه و سلميه، و أقطع شبيب بن محمود بن الزوقليه حماه، و استخلفه فى تلك الأعمال، و عاجل حران، فوصلها يوم الجمعه ثامن ربيع الأول، فوجد قاضيها ابن جبله الحنبلى قد استغوى أهلها، و أدخل إليها جماعه من بنى نمير، مع ولد صغير لمنيع بن وثاب، و أنفذ ابن عطير، أحد وجوه بنى نمير إلى جبق أمير التركمان، فكان قريبا، فاستدناهم إليه ليسلم إليهم البلد، و شرع القاضى يعلم مسلما، و يمنيه خديعه منه ليصل التركمان، و علم مسلم فحاربهم، و رمى قطعه من السور، و بينا هو كذلك وصل التركمان، فترك أقواما يقاتلون البلد، و ركب هو بمن معه، فأشرب على التركمان، و اتصل الطراد، و قال للعرب املكوا عليهم النهر، المعروف بالجلاب، و اجعلوه وراءكم، و حولوا بين التركمان و بينه، ففعلوا، و عطشوا و خيلهم، و هجرت الشمس عليهم، فمالوا بجمعهم طالبين رأس الماء، على أن يشربوا و يسقوا خيولهم، و يعودوا على العرب،

فلما عطفوا خيوليهم، لم يشک العرب أنها هزيمه، فألقوا نفوسهم عليهم، فانهزموا، فتبعوهم و غنموهم، و قتلوا و أسروا، و أقام مسلم على حصار حران، و كان كلما رمى قطعه من السور، نصب ابن جبله بإزاء الثلمه مجانيق و عرادات، منعت من يروم القرب منها، و راسله: إنک كلما رميت قطعه من السور، نصب ابن جبله بإزاء الثلمه مجانيق و عرادات، منعت من يروم القرب منها، و راسله: إنک كلما رميت قطعه من السور، جعلت مكانها مجانيق و عرادات و رجالا أشد منها، فتوقف عن حربهم، و تربص.- - و اتفق أنه استأمن إلى مسلم من أهلها ثلاثه إخوه، فأخذ القاضى أباهم، و كان شيخا كبيرا، فأصعده إلى السور، و قتله، و رمى برأسه إلى مسلم، فلما أحضر الرأس بين يديه، و علم الحال، قال: غدا أفتح البلد إن شاء الله تعالى، فهذا بغى أرجو من الله النصر فى جوابه، و أنفذ إلى العرب و أمرهم بالبكور للقتال، فجاءوا و لبسوا السلاح، و تقدم مسلم و عليه السلاح، و كان قد بعث رجالا فى الليل، ينظفون الحجاره من الطريق، لأجل الخيل، فسئل أن يكاتب ابن جبله، و يعطيه الأمان لئلا يهلک الناس، و ينهب البلد، فلما كتب، أعاد جوابه على رأس الورقه: السيف أصدق أنباء من الكتب..... فتقدم إلى العرب بالدخول إلى الفتحه، فما منهم من أقدم، فجمع عبيده و خواصه فهجمها، و تبعته العرب حينئذ، فدخل البلد، و صعد ولد ايتكين السليمانى، و نزل من السور، و فتح الباب فأقطعه قرقيسياء، ثم طلب القاضى فوجد فى كندوج فيه قطن، فأخذ و ولداه، فقبض على أعيان أهل حران، و نهب البلد إلى آخر النهار، ثم رفع النهب و صلب القاضى و ولديه، و أعيان الحرانيين على السور، و قتل خلقا من العوام، و عاد إلى منازله بأرض الموصل.

و فی هذه السنه تنکر شرف الدوله علی وزیره أبی العز بن صدقه (64 ظ) لأسباب أنکرها منه، و أحوال بلغته عنه، فقبض علیه و اعتقله، و أقام أیاما، و قرر أمره و أطلقه و طیب نفسه.

سنه سبع و سبعین و أربعمائه

فی هذه السنه شرع سلیمان بن قتلش(1) فی العمل علی مدینه أنطاکیه، و التدبیر لأمرها و الاجتهاد فی أخذها و التملک لها و لم یزل علی هذه القضیه إلی أن تم له ما أراد فیها، و ملکها سرقه فی یوم الأحد العاشر من شعبان، و رتب أمرها بمن اعتمد علیه فی حفظها من ثقات ولاته(2).

1- مؤسس دوله سلاجقه الروم، کان أبوه قتلمش بن أرسلان بن سلجوق من أبناء عم طغرلبک أول سلاطین الدوله السلجوقیه، نشط سلیمان لحسابه الخاص فی آسیه الصغری، فتمکن من احتلال« نیقیه، و هی بلد بالساحل تضاهی أنطاکیه،- کما استولی علی- جمیع ما یلیها من طرسوس و أذنه، و مصیصه و عین زربه» أی مناطق الثغور الاسلامیه البیزنطیه التی کانت بیزنطه قد انتزعتها فی منتصف القرن العاشر من اماره حلب، و بعد هذا توجه سلیمان بأنظاره نحو أنطاکیه التی کانت أیضا قد انتزعتها بیزنطه من إماره حلب فی المده الزمنیه نفسها. مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 39، 62، 107- 110، 196- 198.
2- یقدم لنا ابن العدیم روایه مفصله حول احتلال سلیمان لأنطاکیه جاء فیها:« و فی سنه سبع و سبعین و أربعمائه 1084 م] شرع سلیمان بن قتلمش فی العمل علی أنطاکیه و الاجتهاد فی أخذها إلی أن تم له ما أراد، فأسری من نیقیه فی عسکره و عبر الدروب، و أوهم أن الفلاردوس(الحاکم البیزنطی لأنطاکیه) استدعاه، و أسرع السیر إلی أن وصل أنطاکیه لیلا، فقتل أهل ضیعه تعرف بالعمرانیه جمیعهم لئلا ینذروا به، و علقوا حبالا فی شرفات السور بالرماح، و طلعوا مما یلی- - باب فارس، و حین صار منهم علی السور جماعه نزلوا إلی باب فارس و فتحوه، و دخل هو و عسکره من الباب و أغلقوه، و کانوا مائتین و ثمانین رجلا .... و لم یشعر بهم أهل البلد إلی الصباح، و صاح الأتراک صیحه واحده، فتوهم أهل أنطاکیه أن عسکر الفلاردوس قد قاتلوهم فانهزموا و علموا أن البلد قد هجم، فبعضهم هرب إلی القلعه، و بعضهم رمی بنفسه من السور فنجا»، فحاصر قلعه أنطاکیه قرابه شهر ففتحها، و اتخذ سلیمان أنطاکیه مقرا له« و فتح

الحصون المجاوره لها بعضها عن طوع، و بعضها عن استدراج» ثم أخذ يتطلع نحو مدينه حلب للاستيلاء عليها. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 198- 199.

و فی شهر ربیع الأول من السنه، کانت وقعه بین عسکر شرف الدوله، و عسکر الأتراک بأرض آمد من دیار بکر، و استظهر الأتراک علی عسکر شرف الدوله فهزموه.

و فی رجب منها توجه شرف الدوله مسلم بن قریش إلی درکاه السلطان العادل ملک شاه بن ألب أرسلان و دخل علیه و وطی ء بساطه، فأکرمه و احترمه، و خلع علیه و قرر أمره علی ما یهوی من إصلاح أحواله، و الإقرار علی أعماله، و إزاله ما کان یخشاه، و عاد مسرورا بما لقی، و محبورا بنیل مبتغاه(1).

سنه ثمان و سبعین و أربعمائه

فی هذه السنه کان مصاف الحرب بین الملک سلیمان بن قتلمش و بین الأمیر شرف الدوله مسلم بن قریش فی الیوم الرابع و العشرین من صفر

1- فی سنه 476 ه/ 1083 م فوض ملکشاه إلی الوزیر فخر الدوله ابن جهیر قیاده جیش سلجوقی نحو الجزیره، جعل علی رأسه آق سنقر قسیم الدوله- الذی کان أول حاکم سلجوقی لحلب- ثم أردفه بجیش آخر بقیاده أرتق، و فی محاوله للتصدی لهذه الحمله تحالف مسلم بن قریش مع الدوله المروانیه لمیافارقین، و عسکر قرب آمد، و تراسل مسلم بن قریش مع ابن جهیر لتجنب القتال، و لم یرض هذا الترکمان و قالوا:« نحن جئنا من البلاد البعیده لطلب النهب، ..... و رکبوا نصف اللیل ... و أشرفوا .. علی العرب، و کانوا أضعاف الغز فأخذوهم بالید من غیر طعن و لا ضرب» و هرب مسلم إلی آمد و کسب الترکمان ما لا یحصی من الغنائم، و قام ابن جهیر بمحاصره مسلم فی آمد، و کتب إلی السلطان ملکشاه بخبر ما حصل، فسارع بالقدوم نحو الموصل، و قبل وصوله تمکن مسلم من النجاه من آمد بعد ما دفع مبلغا کبیرا من المال إلی أرتق، و فی الموصل سمع ملکشاه بنجاه مسلم، و علم بقیام أخیه تکش بثوره ضده فی خراسان، فقرر العوده لتلافی مخاطر الثوره هذه، لذلک راسل مسلم بن قریش و استقبله و صالحه، ثم غادر الموصل نحو أصفهان، انظر کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه.

على نهر عفرين(1) فى موضع يقال له قرزاحل فكسر عسكر شرف الدوله، و قتل، و رحل سليمان بعد ذلک فى جمعه و نزل على حلب محاصرا لها و مضايقا عليها فى مستهل شهر ربيع الأول و أقام منازلا لها مده، و لم يتهيأ له ما أراده فيها، فرحل عنها فى الخامس من شهر ربيع الآخر منكفئا إلى بلاده(2).

و فيها شرع فى عماره قلعه الشريف بحلب، و ترميم ما كان هدم منها، و إعادتها إلى ما كانت عليه فى حال عمارتها(3).

و فيها وردت الأخبار من ناحيه المغرب بأن الأفرنج استولوا على بلاد الأندلس، و تملكوها، و فتكوا بأهلها، و أن صاحب طليطله(4) استصرخ بالملثمين و استنجد بهم على الأفرنج، فأجابوه إلى الإنجاد،

1- فى الأصل« سفين» و هى تصحيف صوابه ما أثبتنا، انظر ماده عفرين فى معجم البلدان. زبده الحلب: 1/ 91. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 200.
2- فى ظهيره يوم السبت 24 صفر 478 ه/ 21 حزيران 1085 اشتبكت قوات سليمان بقوات مسلم فانتصرت عليها، لأن الشمس كانت فى وجوه أصحاب مسلم، و لأن المرتزقه الغز فى جيشه مع رجال القبائل تخلوا عنه، و تركوه يعانى مضيره، و لم يصمد معه سوى ستمائه من أحداث حلب، و حاول مسلم الانسحاب إلى حلب، و جهد الاحداث فى تغطيه انسحابه فسقط منهم أربعمائه، و أخفق مسلم فى تأمين طريق للنجاه، و تلقى ضربه أفقدته حياته، و حمل سليمان ابن قتلمش جثه مسلم و أتى بها فطرحها أمام سور حلب، و كان يأمل بأن تسلم المدينه له، لكن شيئا من هذا لم يحصل. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 199- 201.
3- فى الأصل« عماره القلعه الشريف» و فى العباره على هذا الشكل بعض اللبس. فعندما قتل مسلم بن قريش كان ابن عمه سالم بن مالک مقيما فى قلعه المدينه متحكما بها، و فى الوقت نفسه كانت أمور المدينه بيد الأحداث، الذين كان زعيمهم الشريف حسن بن هبه الله الحتيتى، و بعد مقتل مسلم لما لم يكن للحتيتى سيطره على قلعه حلب، و كان بحاجه إلى موقع دفاعى حصين، يتخذه مقرا له، قام ببناء- أو اعاده بناء- قلعه لنفسه و أحداثه داخل المدينه، و لا يزال موقع هذه القلعه معروفا، فأحد أحياء حلب

الواقعه جنوبى القلعه الكبيره يعرف الآن باسم« قلعه الشريف». مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 201.
4- كذا بالأصل، و هو خطأ صوابه- اشبيليه- و الخطأ الثانى هنا أن ما يشير إليه كان فى السنه التاليه، فهو يتحدث عن معركه الزلاقه، حين عبر يوسف بن تاشفين على رأس جيوش المرابطين- الملثمين- إلى الأندلس، بناء على دعوه المعتمد ابن عباد صاحب اشبيليه و معاضده بقيه أمراء الأندلس. انظر الحلل الموشيه فى ذكر الأخبار المراكشيه بتحقيقى. ط. الدار- - البيضاء: 1979 ص: 23- 66. حيث تعليل عدم استغلال نصر الزلاقه و ذلک بالاضافه إلى الوصف التفصيلى لها.

و نهضوا للإغائه و الإسعاد، و طلب الجهاد، و وصلوا إليه فى خلق عظيم، و جيش كثيف، و صاففوا الأفرنج و هم فى الأعداد الدثره، و العدد الغايه فى الكثره، فكسروا عسكر الأفرنج كسره عظيمه أجلت عن قتل الأكثر منهم، و لم يفلت إلا من سبق جواده، و أخر فى أجله بحيث أحصى القتلى فكانوا (65 و) عشرين ألفا، فجمعت رؤوسهم و بنى بها أربع منائر للتأذين فى غايه الارتفاع، و أذن المسلمون فيها، و عاد عسكر الملثمين إلى بلادهم سالمين ظافرين مسرورين مأجورين، و امتنعوا من استخلاص ما كان ملكه الأفرنج من بلاد الأندلس، و بقى فى أيديهم على حاله.

سنه تسع و سبعين و أربعمائه

فيها تقدم السلطان العادل ملک شاه أبو الفتح بن السلطان ألب أرسلان رحمه الله بإبطال أخذ الكوس من سائر التجار عن جميع البضائع فى العراق و خراسان، و حظر تناول شى ء منها فى بلد من البلاد الجاريه فى مملكته، فكثر الدعاء له من كافه الناس فى سائر الأعمال و تضاعف الثناء عليه من الخاص و العام(1).

و فيها وردت الأخبار من ناحيه المغرب بوصول الانبرت ابن ملک الافرنج فى عسكره إلى مدينه المهديه، و نزوله عليها و مضايقته لها إلى أن ملكها بالسيف قهرا، و قتل رجالها و سبى كافه من كان بها من أهلها(2).

1- فى مرآه الزمان- أخبار سنه 475 ه- أن هذا كان سنه خمس و سبعون و أربعمائه، و أنه اقتصر على قافله الحج صادره و وارده.
2- كانت المهديه لتميم بن المعز بن باديس، و قد هاجمها اسطول جنوى فى ثلاثمائه سفيه تحمل ثلاثين ألف مقاتل نورماندى و قد ظلت المهديه تحت الاحتلال النورماندى حتى استخلصها الموحدون. انظر البيان المغرب لابن عذارى. ط. بيروت 1950: 1/ 432- الحلل الموشيه:

و فيها جمع الملک سليمان شاه بن قتلمش(1) و حشد و قصد بلد حلب، و نزل عليها محاصرا لها و مضايقا عليها و طامعا فی تملكها، فوردت عليه أخبار السلطان تاج الدوله تتش بن ألب أرسلان باحتشاده، و تأهبه لقصدها، و استعداده فرحل عنها، و التقی عسكره و عسكر تاج الدوله فی موضع يعرف بعين سيلم(2) فی يوم الأربعاء الثامن عشر من صفر، فكسر عسكر تاج الدوله عسكر سليمان، فقتل فی الهزيمه، و ملک تاج الدوله عسكره و سواده، و نزل علی حلب، و ضيق عليها إلی أن تسلمها فی شهر ربيع الأول، سلمها إليه المعروف بابن البرعونی الحلبی(3).

و فيها وصل السلطان العادل ملک شاه أبو الفتح إلی الشام، و انهزم تاج الدوله من حلب، و ملكها السلطان العادل و دخلها فی شهر رمضان، و خرج منها، و قصد أنطاكيه، و ملكها و خيم علی ساحل البحر أياما، و عاد إلی حلب و عيد بها عيد الفطر، و رحل عنها و قصد الرها، و نزل عليها و ضايقها و ملكها.

1- فی الأصل« شاه بن قتلمش» و أضفنا عباره سليمان ليتضح السياق.
2- فی معجم البلدان لياقوت: عين سيلم علی ثلاثه أميال من حلب.
3- ضايق سليمان بن قتلمش مدينه حلب، فقام الشريف الحتيتی بتوجيه الدعوه للسلطان ملكشاه ليأتی فيتسلمها، و لما طال أمد وصول السلطان، و ضاق الأمر بالحتيتی راسل تتش و عرض عليه تسليمه المدينه، و لبی تتش فاصطدم بسليمان و قتله، و جاء ليتسلم المدينه فرفض الحتيتی، و أخبره أنه لن يسلمها إلا للسلطان، و كان الحتيتی قد عهد بأمر أحد أبراج المدينه إلی رجل عرف باسم ابن البرعونی، فقام هذا بمراسله تتش و اتفق معه علی تسليمه البرج، و هكذا تسلم تتش المدينه لكنه ما كاد يدخلها حتی عرف بوصول طلائع جيش أخيه السلطان ملكشاه(كانون أول 1086 م) لهذا آثر الانسحاب من حلب و العوده إلی دمشق، متجنبا الاصطدام بأخيه أو حتی الاجتماع به. مدخل إلی تاريخ الحروب الصليبيه: 201- 206.

سنه ثمانين و أربعمائه(1)

فی هذه السنه تقررت ولایه حلب للأمیر قسیم الدوله أق سنقر من قبل السلطان ملک شاه أبی الفتح، و وصل إلیها و أحسن السیره فیها، و بسط العدل فی أهلیها، و حمی السابله المترددین فیها، و أقام (65 ظ) الهیبه، و أنصف الرعیه، و تتبع المفسدین فأبادهم، و قصد أهل الشر فأبعدهم، و حصل له بذلک من الصیت، و حسن الذکر، و تضاعف الثناء و الشکر ما أخباره مذکور، و أجاره فیه منشور، فعمرت السابله للمترددین من السفار، و زاد ارتفاع البلد بالواردین بالبضائع من جمیع الجهات و الأقطار.

فی هذه السنه توجه السلطان العادل ملک شاه أبو الفتح إلی سمرقند طمعا فی ملکتها بعد فراغ قلبه من الشام، و بلاد الروم، و الجزیره، و الرها، و دیار بکر، و دیار بنی عقیل.

و فیها خرج الأمیر قسیم الدوله آق سنقر من حلب لتودیع تابوت زوجته خاتون، دایه السلطان ملک شاه، و قیل أنها کانت جالسه معه فی داره بحلب، و فی یده سکین فأومی بها إلیها علی سبیل المداعبه و المزاح، فوقعت فی مقتلها للقضاء المکتوب علیها، غیر متعمد، فماتت و حزن علیها حزنا شدیدا، و تأسف لفقدها علی هذه الحال، و حملها إلی الشرق لتدفن فی مقابر لها هناک فی مستهل جمادی الآخره(2).

و فی یوم الثلاثاء، مستهل رجل نزل قسیم الدوله علی شیزر و حصرها

1- تعد هذه السنه بدایه مرحله جدیده فی تاریخ بلاد الشام، فللمره الأولی تغیب القوی العربیه عن مسرح السیاسه و الحکم و الحرب، و آل هذا کله إلی الترکمان.
2- فی بغیه الطلب لابن العدیم ترجمه مطوله لآق سنقر قسیم الدوله، نشرتها فی ملاحق کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه، کما أنی بحثت فی الکتاب نفسه فی حقبه حکم قسیم الدوله بشکل شامل. انظر ص: 207- 228، 269- 277.

و نهب ربضها، و ضايقها إلى أن تقرر أمرها و الموادعه بينه و بين صاحبها(1) و رحل عنها عائدا إلى حلب.

سنه اثنتين و ثمانين و أربعمائه

فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه الشرق بافتتاح السلطان ملک شاه مدينه سمرقند و أسر ملكها(2)، و كانت أخته مع السلطان ملک شاه و له منها ثلاثه أولاد، فجعل الولايه بها لأحدهم و هو الملک أحمد، و أمر بالخطبه له على المنابر، و ذكر أن الملک أحمد المذكور توفى فى سنه أربع و ثمانين و أربعمائه، و الابنه منهم زوجها للإمام الخليفه المقتدى بأمر الله.

و فيها خرج عسكر مصر منها مع مقدميه، و قصد الساحل، و فتح ثغرى صور و صيدا، و كان فى صور أولاد القاضى عين الدوله (ابن) أبى عقيل بعد موته، و لم يكن قوه لهم تدفع، و لا هيبه تمنع، فسلموها، و كذلک صيدا، و قرروا أمرهما، ثم رحل العسكر عنها و نزل على ثغرى جبيل و عكا فافتتحهما.

و فيها عمرت مناره الجامع بحلب(3)، و فيها نهض قسيم الدوله صاحب حلب فى أثر الحراميه قطاع الطريق، و مخيفى السبيل، فأوقع بهم و استأصل شأفتهم قتلا و أسرا (66 و) فأمنت السابله، و اطمأنت السافره، و كتب إلى سائر الأطراف و الأعمال بتتبع المفسدين، و حمايه المسافرين، و بالغ فى ذلک مبالغه حسن ذكره بها، و عظمت هيبته بسببها،

1- فى زبده الحلب: 2/ 15.:« و جرى خلف بين أهل لطمين و بين نصر بن على بن منقذ فى سنه احدى و ثمانين، فخرج أق سنقر إلى شيزر، و قاتلها، و قتل من أهلها مائه و ثلاثين رجلا، و عاد إلى حلب بعد أن نهب ربضها، و استقرت الموادعه بينه و بين نصر صاحب شيزر.
2- لعله شمس الملوک تكين بن طمغاج الذى سلف لألب أرسلان أن غزاه سنه مقتله. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 290.
3- انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 209.

و شاع له الصيت باعتمادها، و احترز كل من كان فى ضيعه أو معقل من أن يتم على أحد من المجتازين به أمر يؤخذ به، و يهلک بسببه(1).

سنه ثلاث و ثمانين و أربعمائه

فى هذه السنه نزل السلطان تاج الدوله على حمص، فى عسكره و معه الأمير قسيم الدوله صاحب حلب فى عسكره، و الأمير بوزان صاحب أنطاكيه و فيها خلف بن ملاعب فضايقوها و صابروها إلى أن ملكوها بالأمان، و خرج ابن ملاعب منها، و سلمها و وفوا له بما قرروه معه، و أطلقوا سراحه فتوجه إلى مصر، فأقام بها مده، و عاد إلى الشام، و أعمل الحيله و التدبير على حصن أفاميه إلى أن ملكه، و حصل بيده(2).

سنه أربع و ثمانين و أربعمائه

فى ليله الثلاثاء التاسع من شعبان من السنه حدث فى الشام زلزله عظيمه هائله، لم يسمع بمثلها و وافق هذا اليوم كونه من تشرين الأول، و خرج الناس من دورهم خوفا من عودها، و حكى أن دورا كثيره خربت بأنطاكيه، و اضطربت كنيسه السيده فيها، و هلک خلق كثير

1- ذكر ابن العديم بأن آق سنقر:« كان قد شرط على أهل كل قريه فى بلاده متى أخذ عند أحدهم قفل، أو أحد من الناس، غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الأموال من قليل و كثير، فكانت السياره إذا بلغوا قريه من بلاده ألقوا رحالهم و ناموا، و قام أهل القريه يحرسونهم إلى أن يرحلوا، فأمنت الطرق ..- و نادى أق سنقر- فى بلد حلب لا يرفع أحد متاعه و لا يحفظه فى طريق لما حصل من الأمن فى بلاده .... فخرج يوما يتصيد، فمر على قريه من قرى حلب، فوجد بعض الفلاحين قد فرغ من عمل الفدان، و طرح عن البقر النير، و رفعه على دابه ليحمله إلى القريه، فقال له: ألم تسمع مناداه قسيم الدوله بأن لا يرفع أحد متاعا و لا شيئا من موضعه؟! فقال له: حفظ الله قسيم الدوله قد أمنا فى أيامه، و ما نرفع هذه الآله خوفا عليها أن تسرق، و لكن هنا دابه يقال لها ابن آوى تأتى إلى النير فتأكل الجلد الذى عليه، فنحن نحفظه منها، و نرفعه لذلک، فعاد قسيم الدوله من الصيد، و أمر الصيادين فتتبعوا بنات آوى فى بلد حلب، فصادوها حتى أفنوها من بلد حلب». مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 210.

2- كذا فى الأصل، و الذى حصل أن السلاجقه اقتحموا مدينه حمص و اعتقلوا ابن ملاعب، و سيروه« فى قفص حديد إلى السلطان ملكشاه، فأطلق حمص لأخيه تتش، و حبس ابن ملاعب، و بقى فى حبسه إلى أن أطلقته خاتون امرأه السلطان ملكشاه» بعد وفاته، فمضى آنذاک إلى مصر. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 217، 280.

بالردم، و انهدم بها تقدير سبعين برجا من سورها، و بقيت على حالها إلى أن أمر السلطان ملک شاه بعمارتها، و لم ما تشعث منها.

و فيها نزل الأمير قسيم الدوله صاحب حلب على حصن أفاميه، فملكه، و أبعد خلف بن ملاعب عنها، و رتب نائبه فى حفظها، فى ثالث رجب، و عاد إلى حلب(1).

و فيها وردت الأخبار من المشرق بوفاه الملک أحمد بن السلطان ملک شاه المرتب فى مملكه جده فى سمرقند، و خطب له على المنابر حسب ما تقدم ذكره، فعاجله القضاء الذى لا يدافع، و المحتوم الذى لا يمانع.

سنه خمس و ثمانين و أربعمائه

فى هذه السنه اقترن المريخ و زحل فى برج السرطان، وقت الظهر من يوم الإثنين النصف من شهر ربيع الأول و هو السادس و العشرون من نيسان، و ذكر أهل المعرفه من أهل صناعه النجوم أن هذا القران لم يحدث مثله فى هذا البرج منذ مبعث النبى صلى الله عليه و سلم و إلى هذه الغايه.

و فيها توجه السلطان العادل (66 ظ) ملک شاه من أصفهان إلى بغداد معولا على قصد مصر لتملكها، فلما وصل إلى همذان وثب رجل ديلمى من الباطنيه على وزيره خواجه بزرک نظام الملک أبى على الحسن ابن اسحق الطوسى، فقتله رحمه الله(2)، و هرب من ساعته، فطلب فلم يوجد و لا ظهر له خبر و لا بان له أثر، فأسف الناس، و تألموا لمصابه

1- كذا و فى الخبر بعض اللبس: فالذى حدث أن آق سنقر التحق بتتش و ساعده فى حمله طرابلس، و أثناء الحصار تخاصم معه و انسحب عائدا نحو حلب، و فى طريقه إلى حلب استولى على أفاميه التى كانت من أملاک ابن ملاعب، و بعد ذلک سلمها لنصر بن على المنقذى صاحب شيزر. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 217- 218.
2- قتل بتخطيط و أمر من حسن الصباح مؤسس الدعوه الاسماعيليه الجديده، و ربما كان هناک شى ء من التواطؤ من قبل ملكشاه. انظر الدعوه الاسماعيليه الجديده- ط. بيروت 1971:

و تضاعف حزنهم لفقد مثله، لما كان عليه من حسن الطريقه، و إيثار العدل و النصفه و الاحسان إلى أهل الدين و الفقه و القرآن العلم، و حب الخير، و حميد السياسه، و كان قد أثر الآثارات الحسنه فى البلاد من المدارس و الرباطات بالعراق و بلاد العجم، بحيث كان رزقه يجرى على اثنى عشر ألف انسان من فقيه إلى غيره، و حزن السلطان ملک شاه عليه، و أسف لفقده، و أسرع السير إلى أن وصل إلى بغداد فى أيام قلائل من شوال من السنه، و أقام مديده، و خرج إلى المتصيد، و عاد منه و قد وجد فتورا فى جسمه، و اشتد به المرض الحاد، فتوفى رحمه الله فى ليله الأربعاء السادس من شوال من السنه، و كان بين وفاته، و مقتل خواجه بزرک ثلاثه و ثلاثون يوما، و أقام مقامه فى المملكه ولده السلطان بركيارق، و انتصب فى منصبه، و أخذت له البيعه، و دعى على المنابر باسمه، و استقام أمره و انتظمت الحال على مراده.

و كان السلطان تاج الدوله تتش قد توجه من دمشق إلى بغداد، للقاء أخيه السلطان ملک شاه، و الخدمه له، و التقرب إليه، و ورد الخبر عليه بوفاته، فانكفأ راجعا، و نزل على الرحبه و ضايقها، و راسل المقيم بها يلتمس تسليمها إليه فلم يتم له فيها أمر و لا مراد، فرحل عنها إلى دمشق، و جمع و حشد و عاد فى العسكر إلى الرحبه(1)، و قد كان كاتب قسيم الدوله صاحب حلب، و مؤيد الدوله يغى سغان(2) صاحب أنطاكيه يستدعى منهما المساعده، و يبعثهما على المؤازره و المرافده، فسارا نحوه، و اجتمعا معه، فقوى أمره بهما، و استظهر بعسكرهما، و نزل على الرحبه و ضايقها إلى أن ملكها بالأمان، و أحسن إلى أهلها و أجمل السيره فيها، و كان قد نذر على نفسه أنه متى ملكها بالأمان و القهر شهر فيها

1- كذا و فى هذه الروايه اختصار مخل، انظر تفصيل خبر ما حدث فى كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 221- 226، و كتابى تاريخ العرب و الاسلام. ط. بيروت: 1982 ص: 332- 335.
2- يرسم أحيانا« ياغى سيان».

السیف، فعند ذاک شهر سیفه عند دخوله إلیها، و أغمده عند استقرار أمرها، و وفی بنذره، و رحل عنها بعد أن قرر أمرها، و رتب المستحفظین من قبله فیها قاصدا ناحیه (67 و) نصیبین.

و قد کان بعد وفاه السلطان ملک شاه قد رجع إبراهیم بن قریش إلی بلاده، و تسلم الموصل و أعمالها، و جمع العرب الأکراد و نزل فی بلاد بنی عقیل الموصل و ما والاها، و غلب ولد أخیه شرف الدوله محمدا، و أبعده عن الولایه، و لما وصل تاج الدوله إلی نصیبین وصل إلیه الأمیر بوزان صاحب الرها، و خرج إلیه والی نصیبین یبذل الطاعه له و المناصحه فی الخدمه، فامتنع أهل البلد من الجند الذین بها من أصحاب إبراهیم بن قریش، فقاتلها و هدم بعض سورها، و ملکها بالسیف، و قتل فیها تقدیر ألفی رجل، و قتل کل من التجأ إلی جامعها و مساجدها، و أخذت الحرم، و هتکت البنات و عوقبوا بأنواع العقوبات، إلی أن أظهرن کل مذخور، و أبرزن کل مستور، و فعل فی أمرهم مالا یستحله مسلم، و لا یستحسنه کافر، و أطلق بعد ذلک من کان فی الأسر من الرجال و النسوان إلا من بقی فی أیدی الأتراک، و ذلک فی صفر سنه ست و ثمانین و أربعمائه، و حکی بعض من حضر هذه الکائنه القبیحه أنه شاهد امرأه تحت [واحد من](1) الأتراک یطلب منها الفاحشه، و هی تصیح و تستغیث و تتمنع أشد التمنع «فجئته و حاولت تخلیصها منه فلم یفعل، فجرحته فتخلی عنها و إذا بها امرأه من وجوه الأشراف، و أخرجتها إلی المخیم إلی أن سکنت الفتنه، و أعدتها سالمه إلی دارها دون کل بنت هتکت، و أحرزت ثوابها، و حسن الذکر بین أشراف نصیبین».

سنه ست و ثمانین و أربعمائه

فی هذه السنه عاد السلطان تاج الدوله عن نصیبین بعد ما جری فیها طالبا لإبراهیم بن قریش، فلما عرف خبره، جمع و حشد و استصرخ

1- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.

و استنجد، و حصل فی خلق عظیم و نزل بها فی المنزل المعروف بشرقی الهرماس، و نزل السلطان تاج الدوله علی دارا(1)، فلما کان یوم الاثنین الثانی من شهر ربیع الأول من السنه التقی الجیشان علی نهر الهرماس(2)، و اختلط الفریقان و اشتد القتال، و انکشفت الوقعه عن قتل جماعه من الأتراک و العرب، و عاد کل فریق منهما إلی مکانه، فلما استقر بالعرب المنزل، عاد عسکر تاج الدوله إلیهم و هم غارون، و حمل علیهم و هم غافلون، فانهزمت العرب، و أخذهم السیف، فقتل منهم (67 ظ) العدد الکثیر، و الأکثر من الرجاله المقیمین فی المخیم، و قتل الأمیر إبراهیم بن قریش و جماعه من الأمراء، و المقدمین من بنی عقیل و غیرهم، و قیل إن تقدیر القتلی من الفریقین عشره آلاف رجل، و استولی النهب و السلب و السبی علی من وجد فی المخیم و امتلأت الأیدی من الغنائم و السواد و المواشی و الکراع، بحیث بیع الجمل بدینار واحد و المائه شاه بدینار واحد، و لم یشاهد أبشع من هذه الوقعه، و لا أشنع منها فی هذا الزمان، و قتل بعض النسوان العرب أنفسهن اشفاقا من الهتیکه و السبی، و لما عادوا بالأسری و السبی، و حصلوا بشاطی ء الفرات ألقی جماعه من الأسری أنفسهم فی الفرات فهلکوا(3).

و قصد السلطان تاج الدوله دیار بکر، و نزل علی آمد و ضایقها و ملکها من ملکه ابن جهیر المقیم بها مع الجزیره، و ولا (4) نصیبین عوضا عن الجزیره و ملک آمد من ابن مروان و تسلم میافارقین و أعمالها و قرر أمرها(5) و انفذ ولاته إلی الموصل و سنجار، و ملک الأعمال،

1- بلد فی دیار ربیعه، بینها و بین نصیبین خمسه فراسخ، و لها قلعه مشرفه، و یلیها بمقدار نصف مرحله مدینه ماردین. الروض المعطار.
2- هو نهر الخابور. الروض المعطار.
3- تعرف هذه المعرکه باسم معرکه المضیع أیضا. مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه:
4- فی الأصل- یحتاط- .
5- ابن مروان هو ناصر الدوله منصور بن مروان، و ابن جهیر هو الکافی ابن جهیر، انظر تاریخ میافارقین. ط. القاهره 1959: 223- 237.

و انهزم بنو عقیل من منازلهم و بلادهم، و توجهوا نحو السلطان برکیارق ابن ملک شاه، و کان علی بن شرف الدوله مسلم بن قریش و والدته خاتون بنت السلطان محمد بن داود(1) عمه السلطان ملک شاه یشکون ما نزل بهما من السلطان تاج الدوله.

و لما تهیأ لتاج الدوله ما تهیأ، و ما أمله من ملکه البلاد و طاعه العباد، قویت شوکته و کثرت عدته و عدته، و حدث نفسه بالسلطنه، و توجه إلی ناحیه خراسان، و لیس یمر ببلد و لا معقل من المعاقل إلا خرج إلیه أهله، و بذلوا له الطاعه و المناصحه فی الخدمه، و أمره یستفحل و شأنه یعظم.

و فصل عنه قسیم الدوله صاحب حلب، و عماد الدوله بزان صاحب الرها مغاضبین، و قصدا ناحیه السلطان برکیارق بن ملک شاه مخالفین له و عاصیین علیه، و اقتضت الحال عود تاج الدوله إلی دیار بکر، و نزل علی مدینه سروج(2) فملکها و ولی فیها، و فی الجزیره من ارتضاه من ثقات خواصه، و اتصل به خبر وصول الأمیر قسیم الدوله آق سنقر صاحب حلب، و مؤید الدوله ابن صاحب الرها اللذین(3) کانا فارقاه إلی السلطان برکیارق، و دخولهما علیه و إکرامه لهما و حسن موقع وصولهما منه و سروره بمقدمهما علیه، و أنهما شرعا فی الوقوع فی ناحیه تاج الدوله و التحذیر من (68 و) الاهمال لأمره، و التحریض علی معاجلته قبل إعضال خطبه، و تمکنه من الغلبه علی السلطنه و الإستیلاء علی أعمال المملکه، و أشارا علیه بالمسیر فی هذا الوقت، و طلبا منه من یسیر معهما لإیصالهما إلی بلدیهما حلب و الرها، فسار معهما لإیصالهما إلی الموصل، ورد بنی عقیل إلیهم و قدم علیا بن شرف الدوله مسلم بن قریش

1- محمد بن داود هو السلطان ألب أرسلان بن جغری بک.
2- بلد من أرض الجزیره، و بمقربه من ملطیه، و هی رستاق کثیر القری و الکروم فی بطن بین جبال. الروض المعطار.
3- قبل قلیل قال ابن عماد الدوله بوزان نفسه لا ابنه مؤید الدوله هو الذی ذهب برفقه قسیم الدوله إلی برکیارق.

علیهم، و لقبه سعد الدوله، فوصل قسیم الدوله إلی حلب فی شوال سنه ست و ثمانین و أربعمائه و معه جماعه من بنی عقیل، و بعض عسکر السلطان برکیارق بحیث وصل إلی حلب، و انتهی الخبر بذاک إلی تاج الدوله، فنهض فی العسکر من ناحیه الرحبه إلی الفرات، و قصد بلد أنطاکیه و أقام بها، و ورد علیه الخبر بانکفاء السلطان من الرحبه إلی بغداد، و أن عزمه أن یشتو بها، و أقام تاج الدوله بأنطاکیه مده فقلت الأقوات و ارتفعت الأسعار، و خوطب فی العود إلی الشام، فلم یفعل، و عاد إلی دمشق آخر ذی الحجه من السنه، و فی جملته الأمیر و ثاب بن محمود بن صالح و بنو کامل و جماعه من العرب لم یجسروا علی الإقامه بالشام خوفا من قسیم الدوله صاحب حلب.

و فی هذه السنه خرج من مصر عسکر کبیر إلی ثغر صور لما عصی و الیها الأمیر منیر الدوله الجیوشی، و قد کان أهل صور أنکروا عصیانه، و کرهوا خلفه لسلطانه أمیر الجیوش بدر، و عرف ذلک من نیاتهم، فحین اشتد القتال علیها نادوا بشعار المستنصر بالله و أمیر الجیوش، فهجم العسکر المصری علی البلد، و لم یدافع عنه مدافع، و لا مانع دونه ممانع، و نهب و أسر الخلق الکثیر، و أخذ فی الجمله منیر الدوله الوالی و خواصه و أجناده و حملوا إلی مصر فی یوم الرابع عشر من جمادی(1) سنه ست و ثمانین و أربعمائه و قطع علی أهل البلد ستون ألف دینار أجحفت بأحوالهم، و استغرقت جل أموالهم، و لما وصل الوالی منیر الدوله و من معه من أجناده و أصحابه، تقدم أمیر الجیوش بضرب أعناقهم ففعل ذلک، و لم یعف عن واحد منهم.

و فی هذه السنه وردت الأخبار من العراق بابطال مسیر الحاج لأسباب دعت إلی ذاک، و الخوف علیهم فی مسیرهم، و سار الحاج من دمشق و الشام فی هذه السنه صحبه الأمیر الخانی أحد مقدمی أتراک

1- لم یبین أی الجمادین الأولی أم الثانیه؟

السلطان (68 ظ) تاج الدوله بعد العقد له بولايته، و تأكيد خطابه بحمايتهم و وصيته، فلما وصلوا و قصدوا مناسكهم و فروض حجهم، تلوموا عن الانكفاء أياما خوفا من أمير الحرم ابن أبى شيبه(1) إذ لم يصل إليه من جهتهم ما يرضيه، فلما رحلوا من مكه تبعهم فى رجاله، و نهبهم قريبا من مكه، فعادوا إلى مكه، و شكوا إليه و تضوروا لديه مما نزل بهم مع بعد دارهم، فرد عليهم البعض من جمالهم، و قتل فى الوقعه أخو الأمير الخانى المقدم، فلما أيسوا من رد المأخوذ لهم ساروا من مكه عائدين على أقبح صفه، فحين بعدوا عنها ظهر عليهم قوم من العرب من عده جهات، فأحاطوا بهم فصانعوهم على ما دفعوه إليهم، هذا بعد أن قتل من الحجاج جماعه وافره، و هلك قوم بالضعف و الانقطاع، و جرى عليهم من العرب المكروه، و عاد السالم منهم على أقبح حال، و أكسف بال.

و فيها توفى الإمام أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن الحنبلى رحمه الله، فى يوم الأحد الثامن و العشرين من ذى الحجه بدمشق، و كان وافر العلم متين الدين حسن الوعظ، محمود السمت(2).

سنه سبع و ثمانين و أربعمائه

فى هذه السنه ورد الخبر من العراق بوفاه الخليفه الإمام المقتدى بأمر الله، أبى القاسم عبد الله بن الذخيره بن القائم بأمر الله، أمير المؤمنين، فجأه فى ليله السبت انتصاف المحرم، و عمره ثمان و ثلاثون سنه و تسعه أشهر و أيام، مولده يوم الأربعاء الثانى، و يقال الثامن من جمادى الأولى سته ثمان و أربعين و أربعمائه، و كانت مده خلافته تسع

1- كان شريف مكه هو الأمير تاج المعالى محمد بن جعفر، هاشمى من بنى موسى الجون، حسنى علوى، قيل بأنه مات سنه 487. انظر عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب، لأحمد بن على الداودى. ط. بيروت دار الحياه: 111- 112.
2- ترجم له سبط ابن الجوزى فى وفيات سنه/ 486/ و قال أنه هو الذى نشر المذهب الحنبلى فى دمشق، و دفن بالباب الصغير.

عشره(1) سنه، و خمسه أشهر، و كان حسن السيره، جميل السريره، و ولى بعده ولى عهده ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله أمير المؤمنين بن المقتدى بالله أمير المؤمنين، و بويع له بالخلافه بعد أبيه فى يوم الثلاثاء الثامن عشر من المحرم من السنه، و استقام له الأمر، و انتظمت بتدبيره الأحوال على قبض السداد، و كنه المراد، و عند ذلک قبض على إخوته و اعتقلهم عنده، و كان السلطان بركيارق عند وفاه المقتدى بالله رحمه الله مقيما ببغداد، و بقى فيها مقيما إلى آخر السنه.

و فى شهر ربيع الآخر منها برز السلطان تاج الدوله من دمشق فى العسكر، و توجه إلى الشام، و قطع العاصى فى شهر ربيع الآخر (69 و)، و تقدم إلى العسكريه برعى الزراعات، و نهب المواشى و العوامل، و لما اتصل الخبر بذاک إلى قسيم الدوله صاحب حلب، شرع فى الجمع و الاحتشاد، و التأهب لدفعه و الاستعداد، و أجمع على لقائه، و انتهى الخبر إلى تاج الدوله بذاک، و وصول بزان صاحب الرها إليه فى عسكره، لإسعاده عليه، و انجاده، و كذلک وصول كربوقا صاحب الموصل و يوسف [بن آبق](2) صاحب الرحبه فى ألفين و خمسمائه فارس، و حصول الجميع فى حلب لمعونته و مؤازرته، فرحل من منزله بكفر حمار(3) إلى الحانوته، ثم منها إلى الناعوره، و غارت الخيل على المواشى

1- يمكن الربط بين حوادث وفاه كل من نظام الملک، و ملكشاه، و الخليفه المقتدى، و ذلک على أرضيه الصراعات بين هؤلاء الأقطاب. انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 220- 221.
2- أضيف ما بين الحاصرتين توضيحا. انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه:
3- كذا فى الأصل، و لم أجد هذا الموقع فى أى من المصادر الجغرافيه على كثرتها هذا و لا حظت فى ترجمه آق سنقر فى بغيه الطلب أن ابن العديم ينقل روايه مطابقه لروايه ابن القلانسى مع فرق ببعض التفاصيل فقط، و لم يذكر ابن العديم هذا الموقع، و نقل ابن العديم عده روايات حول المعركه بين تتش و آق سنقر و ناقش متون بعض الروايات و انتهى إلى القول بأن المعركه كانت بموقع اسمه« كارس» من أرض نقره بنى أسد قرب نهر اسمه سبعين. انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 20- 275. الباهر فى الدوله الأتابكيه. ط. القاهره 1963: 15.

بها، و أحرقوا بعض زرعها، و رحل منها إلى ناحيه الوادى [وادى بزاعا](1) و رحل قسيم الدوله فى جمعه من العسكر، و تقديره نحو من عشرين ألفا، و زياده على ذلک، لكنهم(2) فى أحسن زى و هيئه، و أتم آله و عده و قطع سواقى نهر سبعين(3) قاصدا عسكر تاج الدوله، و كان بروزه من حلب فى يوم الجمعه الثامن من جمادى الأولى من السنه، التقى الفريقان غداه يوم السبت تاليه عقيب اقتران المريخ و زحل فى برج الأسد، المقدم ذكره بخمسه أيام، و كان عسكرا كربوقا و بزان لم يتمكنوا من قطع بعض السواقى، فأقاموا على حالهم(4)، و لم يثق بمن كان معه من العرب، فنقلهم فى وقت المصاف من الميمنه إلى الميسره، ثم جعلهم فى القلب فلم يغنوا شيئا، فنصر الله تعالى تاج الدوله و عسكره عليهم، فانهزمت العرب و عسكر كربوقا و بزان عند الحمله و عسكر يوسف، و تحكمت السيوف فيهم، و أسر قسيم الدوله آق سنقر صاحب حلب و أكثر أصحابه، و حين أحضروا بين يدى السلطان تاج الدوله(5)، فأمر بضرب عنق قسيم الدوله و من اتفق من أصحابه فقتلوا و توجه أكثر الفل إلى حلب، و اجتمعوا بأهل البلد و الأحداث، و تقرر بينهم الاعتصام بحلب، و الاستنجاد بالسلطان بركيارق، فوصل تاج الدوله فى الحال إلى حلب، و قد اختلفت الآراء فيها بينهم، و حاروا فيما يعملون عليه، فوثب جماعه

1- زيد ما بين الحاصرتين من روايه ابن العديم- انظر الحاشيه الماضيه- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 272.
2- كذا فى الأصل، و يحتمل أنها تصحيف صوابه« كلهم».
3- فى الأصل« سفيان» و هى تصحيف صوابه ما أثبتنا، و قال ابن العديم أن سبعين« قريه من قرى حلب من نقره بنى أسد على نهر الذهب» و على هذا فالنهر هو نهر الذهب الذى يصب بمملحه الجبول، و الموقع هو قريه سبعين حيث تمر بعض سواقى هذا النهر. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 271.
4- كذا و الصواب بالتثنيه.
5- صيغه الجمله هكذا توحى بوجود سقط، هذا و ذكرت المصادر التى تحدثت عن هذه الواقعه بأن« تاج الدوله تتش قال لقسيم الدوله لما حضر بين يديه: لو ظفرت بى ما كنت صنعت؟ قال: كنت أقتلک، فقال له تتش: فأنا أحكم عليک بما كنت تحكم على» فأمر ....

منهم لم يوبه لهم، و كسروا باب البلد، و نادوا بشعار تاج الدوله، فدخل الأمير و ثاب بن محمود بن صالح البلد فى مقدمته، و بادر الوالى(1) المقيم بقلعه الشريف التى قبلى حلب، بالظهور إلى تاج الدوله، و من باب منها دخل تاج الدوله، و نزل إليه رسول الأمير نوح صاحب (69 ظ) قلعه حلب و زوجته، و توثقا منه و أخذا الأمان له من تاج الدوله، و عادا إليه و أعلماه بما كان من تقرير الحال، و أخذ الأمان، فسلمها إليه، و حصل بها فى يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الأولى، و سلمت جميع الحصون إليه من الشام، و كان بزان صاحب الرها فى جمله من أسر فى الوقعه، فتقدم تاج الدوله بقتله، فضربت عنقه صبرا، و كذلک الأمير كربوقا صاحب الموصل، كان قد أسر فى الوقعه فاعتقل بحلب إلى أن تقرر أمر حلب و رتبت النواب و المستحفظون فيها و قرر أمره.

و رحل السلطان تاج الدوله عن حلب فى العسكر إلى ناحيه الفرات، و قطعه و قصد حران فاستعادها، و كذلک سروج و الرها، و قصد ديار بكر، و عدل عن طريق السلطان بركيارق، لأنه كان نازلا بأرض الموصل، طالبا لخاتون زوج السلطان ملک شاه والده أخيه محمود، و كانت مستوليه على أصفهان و جميع الأموال، لمكاتبات و مراسلات ترددت بينهما فى معنى الوصله بينها و بينه، و استقر الملک له و لها، و كانت قد منعت السلطان بركيارق التصرف فى تلک الأعمال و التقود بها.

فى هذا الوقت حدثت زلازل فى يوم و ليله دفعات لم يسمع بمثلها، فى كل زلزله منها تقيم و تطول بخلاف ما جرت بمثله العاده.

و رحل تاج الدوله عقيب ذلک، و لم يتمكن من الاتمام على سمته، و عرفت خاتون الخبر، فخرجت من أصفهان فى عسكرها للقاء تاج الدوله، فعرض لها فى طريقها مرض حاد، فتوفيت و تفرق عسكرها إلى

1- فى الأصل:« و بادر إلى المقيم» و إلى إما زائده، و إما- كما رجحت- جزء من كلمه، ففى زبده الحلب: 2/ 117« و دخل و ثاب بن محمود فى مقدمه أصحاب تاج الدوله إلى حلب، و سكن البلد، فنزل الوالى بقلعه الشريف، و سلمها إلى تاج الدوله فدخلها».

جهه السلطان برکیارق و إلی غیره، و حین عرف برکیارق ذاک سار فی الحال إلی أصفهان، فدخلها و ملکها، و قد کان أهلها أشرفوا علی الهلاک لفرط الغلاء بها و عدم الأقوات فیها، و وصل من عسکر خاتون إلی تاج الدوله خلق کثیر، و کذلک من عسکر برکیارق، فتضاعفت عدته، و قویت شوکته و دعی له علی منابر بغداد، و وصل إلی همذان، و کاتب ولده فخر الملوک رضوان بدمشق یأمره بالمسیر إلیه فی من بقی من الأجناد فی الشام، فسار إلی حلب، و من حلب إلی العراق، و معه الأمیر نجم الدین ایل غازی بن أرتق، و الأمیر وثاب بن محمود بن صالح، و جماعه من أمراء العرب و أتراک حلب القسیمیه(1)، و توجه صوب بغداد علی الرحبه فی أول سنه سبع و ثمانین و أربعمائه.

و فی هذه (70 و) السنه وردت الأخبار من ناحیه مصر بمرض أمیر الجیوش بدر، المستولی علی أمرها، و أنه أسکت فی مرضه هذا، و دام به إلی أن اشتد فی جمادی الأولی منها، و توفی فی العشر الأول منه، و قد کان الأمر تمهد لولده الأفضل، و استقامت حاله مع المقدمین و سائر الأجناد و العساکریه قبل وفاته، و أطاعوا أمره، و عملوا برأیه، و قیل أن وفاه أمیر الجیوش کانت فی جمادی الأولی.

و فی هذه السنه أیضا وردت الأخبار من ناحیه مصر بمرض الامام المستنصر بالله أمیر المؤمنین فی العشر الثانی من ذی الحجه، و إن المرض اشتد به، و توفی إلی رحمه الله فی لیله عید الغدیر، الثامن عشر من ذی الحجه سنه سبع و ثمانین و أربعمائه(2)، و عمره سبع و ستون سنه و سته

1- نسبه إلی قسیم الدوله آق سنقر.
2- تذکر مختلف المصادر أن المستنصر أوصی بالامامه من بعده لابنه نزار، ذلک أنه کان أکبر أولاده، و لم ینفذ الأفضل أمیر الجیوش وصیه المستنصر، و اختار المستعلی، لأنه کان ضعیفا و بلا سند، و زوجه أخته، و فرضه إماما، و أدی هذا إلی فرار نزار إلی الاسکندریه حیث حورب و قضی علیه، و الأهم من ذلک أن اسماعیلیه ایران و غالبیه الشام و أراضی المشرق رفضوا الاعتراف بإمامه المستعلی، مما أدی إلی انشطار الدعوه الاسماعیلیه إلی: نزاریه و مستعلیه، و عرف النزاریه فیما بعد باسم الحشیشیه، أو اتباع الدعوه الاسماعیلیه الجدیده التی أسسها حسن الصباح. انظر الدعوه الاسماعیلیه الجدیده: 48- 50، 64.

أشهر، و مولده سنه عشرين و أربعمائه، و نقش خاتمه «بنصر السميع العليم ينتصر الامام أبو تميم» و مده أيام دولته ستون سنه و أربعه أشهر، و كان حسن السيره، جميل السريره، محبا للعدل و الانصاف، و منى فى أكثر عمره من الأجناد بالعناد و الاختلاف، و ولى الأمر بعده ولده أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله، و لقب بالمستعلى بالله أمير المؤمنين، و أخذ له البيعه على الأمراء و المقدمين من الأجناد و العسكريه، و أعيان الرعيه، الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش، و نصبه فى منصب أبيه المستنصر بالله، و استقامت به الأحوال و انتظمت على غايه الايثار و الآمال.

و خرج أخواه من مصر خفيه: عبد الله و نزار ابنا المستنصر بالله، فقصد نزار منهما الاسكندريه، و حصل مع نصر الدوله و اليها، و كان من أكابر الغلمان الجيوشيه، الذين عول عليهم أمير الجيوش على إقامته فى الأمر من بعده دون ولده.

فاستحكم الخلف بينه و بين الأفضل، و جرت بينهما حروب و وقائع، أسفرت عن ظفر الأفضل به، و استقام له الأمر من بعده، و صلحت أحوال مصر و أعمالها، و استقامت بعد اضطرابها و اختلالها.

و أما ما يتعلق بمعرفه أحوال السلطان تاج الدوله، فإنه تم فى رحيله إلى مدينه الرى، فنزل عليها و ضايقها و ملكها، و استولى على البلاد و الأعمال و المعاقل من الشام و إلى الرى، و كان قد أنهض عسكرا من بنى عقيل و نمير إلى أعمال بنى عقيل، فاستولوا عليها ما خلا الموصل، و ساءت سيره الأتراک في الأعمال (75 ظ) و شملها منهم ما عاد عليها بالفساد و سوء الحال، و أنفذوا مواشى أهلها و أموالهم، و استغرقوا بالنهب و ارتكاب الظلم أحوالهم و أجلوهم عن منازلهم فى زمن الشتاء و شده البرد و سقوط الجليد.

و برز السلطان برکیارق من أصفهان فی العسکر، و قصد جهه عمه السلطان تاج الدوله، و خاف تاج الدوله من أهل الری أن یخامروا علیه إن أقام، فرحل عنها، و نزل فی منزله علی أربعه فراسخ منها، و وصل السلطان برکیارق فی عساکره و خیم بإزاءه، و حالت بینهما طوالع الفریقین، و تأهب کل منهما للقاء صاحبه، و رتبت المصافات للحرب، و التقی الفریقان فی الیوم السابع عشر من صفر سنه ثمان و ثمانین و أربعمائه، فانفل، عسکر السلطان تاج الدوله، و تفرق و نهب سواده و أثقاله، و أسر أکثره، و قتل منه الخلق الکثیر و استشهد تاج الدوله رحمه الله فی الجمله، و قتله(1) بعض أصحاب قسیم الدوله آق سنقر، صاحب حلب، بعد اصطناعه إیاه و تقریبه له، و حمل رأسه و طیف به فی العسکر، ثم حمل إلی بغداد، و طیف به فیها.

سنه ثمان و ثمانین و أربعمائه

فیها ورد الخبر إلی الملک فخر الملوک رضوان بن تاج الدوله باستشهاد أبیه تاج الدوله، و انفلال عسکره، و هو نازل فی عانه علی الفرات فی عسکره یرید الإتمام إلی بغداد، ثم المصیر إلی أبیه تاج الدوله، حین استدعاه إلی الوصول إلیه، فاضطرب لذاک و قلق، و خاف من وصول من یطلبه، فحط مضاربه فی الحال، و قوضت خیام العسکر فی الوقت، و رحل مجدا فی سیره فی نفر من سرعان خیله و غلمانه، و ترک باقی عسکره من ورائه، و لم یزل مغذا فی قصده إلی أن دخل حلب، و فتح الوزیر أبو القاسم(2) النائب فی القلعه أبوابها، و أصعده إلیها، و أخذوا الأهبه لمن یقصدها.

1- فی الأصل« و قتل» و هو تصحیف صوابه ما أثبتنا.
2- فی بغیه الطلب لابن العدیم ترجمه جیده لرضوان بن تتش جاء فیها:« فوصل إلی حلب و تسلمها من وزیر أبیه أبی القاسم بن بدیع، فی سنه ثمان و ثمانین و أربعمائه، و تولی حسین زوج أمه تدبیر ملکه». مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 387.

و وصل إليه من الفل أخوه شمس الملوک دقاق(1) ابن السلطان تاج الدوله، من ناحيه ديار بکر، و جماعه من خواص عسکره المفلول، و أقام بحلب مده يسيره، و راسله الأمير ساوتکين الخادم المستناب فى القلعه و البلد، و قرر له ملکه دمشق سرا، فخرج فى الحال من حلب من غير أن يعلم به أحد، وجد فى سيره ليله و نهاره، فلما عرف الملک فخر الملوک خبره (71 و) أنهض عده من الخيل فى إثره، ففاتهم و لم يعرفوا له خبرا، و لا وجدوا له أثرا، و وصل إلى دمشق و حصل بها و أجلسه ساوتکين فى منصب أبيه السلطان تاج الدوله، و أخذ له العهد على الأجناد و العسکريه، و استقام له الأمر، و استمرت(2) على السداد الأحوال.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه الحجاز بأن الأمير أصفهذ وصل إلى مکه فى أربعمائه فارس من التر کمانيه، فقاتل أهلها فقهرهم، و ملکها و قتل خلقا کثيرا من حرابتها من أصحاب ابن أبى شيبه، و انهزم ابن أبى شيبه، و جميع الأشراف من مکه، و حصل بها و أقام بها مديده يسيره و رحل عنها.

و فى هذه السنه وردت الأخبار بخلاص الأمير ظهير الدوله طغتکين أتابک من اعتقاله عقيب الکسره التاجيه، و توجه عائدا إلى دمشق، و خرج صاحبه السلار حصن الدوله بختيار شحنه دمشق نحوه لتلقيه و العود فى خدمته، و قد کان هذا الأمير المذکور فى حداثه سنه و نضاره غصنه، قد حظى عند السلطان الشهيد تاج الدوله، و رشحه يحجبه و قدمه على أبناء جنسه من خواصه و بطانته، و سکن إلى شهامته و صرامته و سداد طريقته، ورد إليه بعد ذلک ما أنس منه الرشد و حسن

1- فى حاشيه الأصل: قلت: دقاق و کنيته أبو نصر، و يقال فيه تقاق أيضا بالتاء. و هذا صحيح فالاسم أصلا بالترکيه يلفظ أولا بحرف وسط بين التاء و الدال، لذلک وجد من عربه بدال و من عربه بتاء، و هذه الحال نجدها فى غالبيه المصادر.
2- فى تاريخ دمشق لابن عساکر ترجمه قصيره لدقاق نشرتها فى ملاحق کتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 386.

التدبير فى الصدر و الورد، و الاسفهسلاريه على عسكريته و استنابه فى تدبير أمر دمشق، و حفظها أيام غيبته، فأحسن السيره فيها، و أنصف الرعيه من أهلها، و بسط المعدله فى كافه من بها، فكثر الدعاء له و الثناء عليه، فعلت منزلته و امتثلت أوامره و أمثلته، و لم يلبث أن شاع ذكره بنجابته، و أشفقت النفوس من هيبته، فولاه ميافارقين من ديار بكر و هى أول ولايته(1) و سلم إليه ولده الملک شمس الملوک دقاق، و اعتمد عليه فى تربيته و كفالته، فساس أمرها بالهيبه و التدبير، و أصلح فاسدها فى أقرب أوان و مده، و نكا فى جماعه من مقدميها، و وجود أهلها حين عرف منهم خيانه و مخامره نكايه قامت بها الهيبه، و استقامت معها أمور الرعيه، و تنقلت به الأحوال إلى أن توجه مع السلطان تاج الدوله إلى الرى، و شهد الوقعه التى استشهد فيها تاج الدوله، و حصل فى قبضه الاعتقال، مع من أسر من المقدمين و أقام مده إلى أن أذن الله فى الخلاص (71 ظ) وصل إلى دمشق فى سنه ثمان و ثمانين و أربعمائه، فتلقاه الملک شمس الدوله دقاق و عسكره و أرباب دولته، و بولغ فى إكرامه و احترامه، ورد إليه النظر فى الاسفهسلاريه، و اعتمد عليه فى تدبير المملكه و سياسه البيضه، و اقتضت الحال فيها بينه و بين الملک و أمراء الدوله العمل على الأمير ساوتكين، و الايقاع به، و تمم عليه الأمر، و قتل و عقدت الوصله بينه و بين ظهير الدين أتابک و بين الخاتون صفوه الملک والده شمس الملوک دقاق، و دخل بها، و استقامت له الحال بدمشق، و أحسن السيره فيها، و أجمل فى تدبير أهليها، و بالغ فى الذب عنها، و المراماه دونها، و سكنت نفس الملک شمس الملوک إليه، و اعتمد فى التدبير عليه.

و قد كان الملک فخر الملوک رضوان بن تاج الدوله صاحب حلب مائلا إلى دمشق، و محبا لها، و مؤثرا للعود إليها، و لا يختار عليها سواها، لمعرفته بمحاسنها، و ترعرعه فيها، فجمع و حشد و استنجد

1- انظر تاريخ ميافارقين: 237- 245.

بالأمير سكمان بن أرتق، و برز طالبا لدمشق و النزول عليها، و انتهاز الفرصه فيها.

و قد كان الملک شمس الملوک دقاق و العسکر مع الأمير يغى سغان، و الأمير نجم الدين ايل غازى قد غابوا عن دمشق فى هذا الوقت، فوصل الملک فخر الملوک رضوان صاحب حلب فى عسکره، و نزل بظاهر البلد فى سنه تسع و ثمانين و أربعمائه و زحف فى العسکر لقتالها، و کان فى البلد وزير الملک شمس الملوک زين الدوله محمد بن الوزير أبى القاسم، و نفر قليل من العسکريه، و انضاف إليهم جماعه من الأجناد و أهل البلد، و أغلقت الأبواب و ارتکبت الأسوار، و صاحوا و رشقوهم بالسهام، و کانوا قد بلغوا فى الزحف إلى سوق الغنم، و قربوا من السور و باب الصغير، و طلب جماعه من العسکريه و أحداث البلد الخروج إليهم، و الدفع لهم عن البلد، فمنعهم السلار بختيار شحنه البلد، و الرئيس أمين الدوله أبو محمد بن الصوفى رئيس البلد من الخروج، و قاتلوهم على الأسوار و منعوهم من الوصول إليها، و اتفق الأمر المقتضى أن حجر المنجنيق وقع فى رأس حاجب الملک رضوان و هو قائم يحرض على الحرب فقتله، فسکنت الحرب و اشتغلوا بأمره، و عادوا إلى مخيمهم لأجله، و لم يتم لهم أمر، و لا تسهل لهم غرض، و بلغهم أن الملک شمس الملوک عائد (72 و) فى العسکر إلى دمشق، فرحل فى العسکر عائدا إلى حلب، خائبا فى الأمر الذى طلب، و طلب فى رحيله ناحيه مرج الصفر، و طلب حوران، فعاث العسکر فى أطرافها، و طلب التوجه إلى بيت المقدس، و عاد شمس الملوک دقاق لما انتهى إليه الخبر فى العسکر، و وصل إلى دمشق، و تبع عسکر الملک رضوان على إثره، فوصل و تقارب المدى بين الفريقين، و فصل الملک رضوان منکفئا إلى حلب، فوصل إليها فى آخر ذى الحجه من السنه.

سنه تسع و ثمانين و أربعمائه

فيها وصل خلف بن ملاعب، الذى كان السلطان ملک شاه أبو الفتح أخذه من حمص، عند أخذها منه، و اعتقله بأصفهان(1)، و أطلق عند وفاه السلطان المذكور، و توجه إلى مصر.

و فيها ورد الخبر بوفاه أبى مسلم وادع بن سليمان، قاضى معره النعمان، و المستولى عليها فى آخر صفر منها، و كان له همه مشهوره، و طريقه فى اليقظه مشكوره.

و فيها انكفأ الأمير يغى سيان منفصلا عن الملک شمس الملوک دقاق إلى بلده أنطاكيه، فى المحرم منها.

سنه تسعين و أربعمائه

فى مستهل شهر ربيع الأول منها اجتمع سته كواكب فى برج الحوت و هى: الشمس، و القمر، و المشترى، و الزهره، و المريخ، و عطارد، و ذكر أهل صناعه النجوم أنهم لم يعرفوا اجتماع هذه الكواكب فى برج، فى قديم الزمان و حديثه، و لا سمعوا ذاک.

و فى شعبان منها ورد الخبر بأن الأمير جناح الدوله حسين أتابک الملک فخر الملوک رضوان بحلب، استوحش من الملک استيحاشا خاف معه على نفسه، و كان زوج والدته، ففصل عن حلب منكرا لما تم فى أمره، و كان أمر التدبير إليه و المعتمد فى الحل و العقد فيها عليه، و وصل إلى حمص فى عسكره و خواصه، و كان قراجه نائبه فيها، فسلمها إليه، و حصل بها، و شرع فى تحصينها، و الإحكام لجهات قلعتها، و نقل أهله إليها، و أمن على نفسه باستقراره بها(2)، و وصل عقيب انفصاله الأمير

1- كذا، و سلف أن ذكر المؤلف أن تتش هو الذى أخذ ابن ملاعب، و قد علقنا على ذلک. انظر ص 198.
2- لجناح الدوله ترجمه مفيده فى بغيه الطلب لابن العديم، نشرتها فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 376- 379.

یغی سغان من أنطاکیه إلی حلب و شرع فی التدبیر و التقریر بها، و الأمر و النهی فی عسکریتها و أهلیها، و برز الملک رضوان و یغی سغان من حلب فی (72 ظ) العسکر إلی ناحیه شیزر، عازما علی الاحتشاد، و التأهب و الاستعداد لمعاوده النزول علی دمشق، فأقاموا علی شیزر تقدیر شهر، و وقع الخلف بین مقدمی العسکر، فتفرقوا و عاد کل منهم إلی مکانه، و عاد الملک إلی حلب.

و فی هذه السنه ورد علی فخر الملوک رضوان کتاب المستعلی بالله صاحب مصر مع رسوله، یلتمس منه الدخول فی طاعته، و إقامه الدعوه لدولته، و کذلک کتاب الأفضل یتضمن مثل هذه الحال، فأجابهما إلی ما التمساه، و أمر بأن یدعی للمستعلی علی المنبر، و للأفضل بعده، و لنفسه بعده، و أقامت الخطبه علی هذه القضیه تقدیر أربع جمع، و کان الملک رضوان قد بنی الأمر فی ذلک علی الاجتماع مع العسکر المصری، و النزول علی دمشق لأخذها من أخیه الملک دقاق، فوصل الأمیر سکمان(1) بن أرتق و یغی سغان صاحب أنطاکیه إلی حلب، و أنکرا علی الملک الدخول فی هذا الأمر، و استبدعاه من فعله، و أشارا علیه بإبطاله و إطراح العمل به، فقبل ما أشیر به إلیه و أعاد الخطبه إلی ما کانت علیه.

و فی أول شهر ربیع الأول من السنه، وردت الأخبار بخروج العسکر المصری من مصر، و نزوله علی ثغر صور عند ظهور عصیان و الیه المعروف بالکتیله، و خروجه عن الطاعه، و الایثار للخلف و العدول عن المخالصه فی الخدمه و العود للمبایعه، و لم یزل العسکر منازلها و مضیقا علیها إلی أن افتتحها بالسیف قهرا، و قتل فیها الخلق الکثیر، و نهب منها المال الجزیل، و أخذ الوالی أسیرا من غیر أمان و لا عهد، و حمل إلی مصر، فقتل بها.

و فی هذه السنه کان مبدأ تواصل الأخبار بظهور عساکر الأفرنج من

1- فی الأصل: شکماز، و هذا تصحیف واضح صوابه ما أثبتناه.

بحر القسطنطينيه، فى عالم لا يحصى عدده كثره، و تتابعت الأنباء بذلک، فقلق الناس لسماعها و انزعجوا لاشتهارها، و صحت الأخبار بذاک عند الملک (قلج أرسلان بن) سليمان بن قتلمش و كان أقربهم إليهم دارا، فشرع فى الجمع و الاحتشاد، و إقامه مفروض الجهاد، و استدعى من أمكنه من التركمان للاسعاد عليهم و الانجاد، فوافاه منهم مع عسكر أخيه العدد الكثير، و قويت بذاک نفسه، و اشتدت شوكته فزحف إلى معابرهم و مسالكهم و سبلهم (73 و) فأوقع بكل من ظفر به منهم، بحيث قتل خلقا كثيرا، و عادوا إليه، و استظهروا عليه، و كسروا عسكره، فقتلوا منهم و أسروا و نهبوا و سبوا، و انهزم التركمان بعد أن أخذ أكثر دوابهم، و اشترى ملک الروم من السبى خلقا كثيرا، و حملهم إلى القسطنطينيه، و تواصلت الأخبار بهذه النوبه المستبشعه فى حق الاسلام، فعظم القلق، و زاد الخوف و الفرق، و كانت هذه الوقعه لعشر بقين من رجب.

و فى النصف من شعبان توجه الأمير يغى سغان صاحب أنطاكيه و الأمير سكمان بن أرتق و الأمير كربوقا فى العسكر إلى أنطاكيه، و قد وردت الأخبار بقرب الأفرنج منها، و نزولهم البلانه(1) و خف يغى سغان إلى أنطاكيه، و سير ولده إلى دمشق إلى الملک دقاق، و إلى جناح الدوله بحمص، و إلى سائر البلاد و الأطراف بالاستصراخ و الاستنجاد، و البعث على الخفوف إلى الجهاد، و قصد تحصين أنطاكيه، و إخراج النصارى منها.

و فى اليوم الثانى من شوال نزلت عساكر الأفرنج على بغراس و أغاروا(2) على أعمال أنطاكيه، فعند ذلک عصى من كان فى الحصون و المعاقل المجاوره لأنطاكيه(3)، و قتلوا من كان فيها و هرب من هرب

1- كذا فى الأصل و لم أجدها فى المظان الجغرافيه و سواها.
2- كذا بالأصل، و الأصح« و أغارت».
3- كثيرون من سكان المنطقه كانوا من غير المسلمين، من الأرمن.

منها و فعل أهل ارتاح(1) مثل ذلک، و استدعوا المدد من الأفرنج، و فی شعبان ظهر الکوکب ذو الذؤابه من الغرب و أقام طلوعه تقدیر عشرین یوما، ثم غاب، فلم یظهر، و کان قد نهض من عسکر الأفرنج فریق وافر یناهز ثلاثین ألفا، فعاثوا فی الأطراف و وصلوا إلی الباره(2) و قتلوا فیها تقدیر خمسین رجلا، و کان عسکر دمشق وصل إلی ناحیه شیزر لانجاد یغی سغان، فلما نزلت هذه الفرقه المذکوره علی الباره، نهضوا نحوهم، و تطاردوا و قتل منهم جماعه، و عاد الأفرنج إلی الروج(3)، و توجهوا إلی أنطاکیه، و غلا سعر الزیت و الملح، و غیر ذلک و عدم فی أنطاکیه، و تواصل ذلک إلیها سرقه، فرخص فیها، و جعل الأفرنج بینهم و بین أنطاکیه خندقا لکثره الغارات علیهم من عسکر أنطاکیه، و قد کان الأفرنج عند ظهورهم عاهدوا ملک الروم و وعدوه بأن یسلموا إلیه أول بلد یفتحونه، ففتحوا نیقیه و هی أول مکان فتحوا، فلم یفوا له بذلک و لا سلموها إلیه علی الشرط(4)، و افتتحوا فی طریقهم بعض الثغور و الدروب.

و فی هذه السنه وردت الأخبار من (73 ظ) ناحیه حلب بفساد حال رئیسها المعروف بالمجن لما کان علیه من التمکن و الغلبه علی الأمر، و ارتکاب الظلم، بحیث قبض علیه، و نهبت داره، و قتل مع من قتل من أولاده، و استؤصلت شأفته، و ذلک مجازاه الساعی فی

1- حصن منیع فی منطقه الثغور کان من أعمال حلب. معجم البلدان.
2- مدینه کانت ذات شهره کبیره، فیها آثار کثیره، و تتبع الباره الآن اداریا إلی منطقه أریحا فی محافظه ادلب فی سوریه.
3- من کور حلب المشهوره فی غربیها بینها و بین المعره. معجم البلدان.
4- إن الأمیره آنا کومینا أفضل من تحدث عن وصول حشود الصلیبیین إلی القسطنطینیه و وصف علاقاتهم بالامبراطور ألکسیوس کومنین، ثم قص خبر سقوط نیقیه، و کیف آلت ملکیتها إلی البیزنطیین، و قد أودعت هذا کله فی کتابها عن حیاه أبیها الذی حمل عنوان« ألکسیاد». انظر ترجمته إلی الانکلیزیه- ط لندن: 1967، ص 248- 278 و من الممکن العوده إلی موادها عن الحروب الصلیبیه فی المجلد السادس من موسوعتنا.

قتل النفوس، و سفک الدماء، و ما هی من الظالمین ببعید، و ذلک فی ذی القعده(1).

و فی هذه السنه استوزر الملک رضوان أبا الفضل بن الموصول(2)، و لقب مشید الدین، بحلب.

سنه إحدی و تسعین و أربعمائه

فی آخر جمادی الأولی منها ورد الخبر بأن قوما من أهل أنطاکیه من جمله الأمیر یغی سیان من الزرادین عملوا علی أنطاکیه و واطوا الافرنج علی تسلیمها إلیهم لإساءه تقدمت منه فی حقهم و مصادرتهم، و وجدوا الفرصه فی برج من أبراج البلد، مما یلی الجبل باعوه للأفرنج، و أطلعوهم إلی البلد منه فی اللیل(3)، و صاحوا عند الفجر، فانهزم یغی سیان، و خرج فی خلق عظیم، فلم یسلم منهم شخص، و لما حصل بالقرب من أرمناز، ضیعه قرب من معره مصرین، سقط عن فرسه علی الأرض، فحمله بعض أصحابه و أرکبه، فلم یثبت علی ظهر الفرس، و عاود سقط، فمات رحمه الله.

و أما أنطاکیه، فقتل منها و أسر و سبی من الرجال و النسوان و الأطفال ما لا یدرکه حصر، و هرب إلی القلعه تقدیر ثلاثه آلاف تحصنوا بها، و سلم من کتب الله سلامته.

و فی شعبان منها وردت الأخبار بخروج الأفضل أمیر الجیوش من مصر، فی عسکر کبیر إلی ناحیه الشام، و نزل علی بیت المقدس، و فیه الأمیران سکمان و أیل غازی ابنا أرتق، و جماعه من أقاربهما و رجالهما،

1- کان المجن الفوعی مقدما لأحداث حلب، اصطدم برضوان بن تتش، انظر تفصیل هذا فی کتابی مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 243- 244.
2- هو هبه الله بن عبد القاهر بن الموصول، و کان الوزیر قبله هبه الله بن محمد بن بدیع. زبده الحلب: 2/ 138.
3- انظر مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 237.

و خلق كثير من الأتراک فراسلهما يلتمس منهما تسلم بيت المقدس إليه، من غير حرب و لا سفک دم، فلم يجيباه إلى ذلک، فقاتل البلد، و نصب عليه المناجيق، فهدمت ثلمه من سوره، و ملکه و تسلم محراب [برج] داود من سکمان، و لما حصل فيه أحسن إليهما، و أنعم عليهما و أطلقهما و من معهما و وصلوا إلى دمشق فى العشر الأول من شوال، و عاد الأفضل فى عسکره إلى مصر.

و فيها توجه الأفرنج إلى معره النعمان بأسرهم، و نزلوا عليها فى اليوم التاسع و العشرين من ذى الحجه، و قاتلوها و نصبوا عليها البرج و السلالم، و بعد افتتاح الأفرنج بلد (74 و) أنطاکيه بتدبير الزراد، و هو رجل أرمنى اسمه نيروز(1) فى ليله الجمعه مستهل رجب، تواصلت الأخبار بصحه ذلک فتجمعت عساکر الشام فى العدد الذى لا يدرکه حصر و لا حرز، و قصدوا عمل أنطاکيه للإيقاع بعسکر الأفرنج، فحصروهم حتى عدم القوت عندهم حتى أکلوا الميته، ثم زحفوا و هم فى غايه من الضعف إلى عساکر الإسلام و هم فى الغايه من القوه و الکثره، فکسروا المسلمين، و فرقوا جموعهم، و انهزم أصحاب الجرد السبق، و وقع السيف فى الرجال المتطوعين و المجاهدين و المغالبين فى الرغبه فى الجهاد، و حمايه المسلمين، فى ذلک، فى يوم الثلاثاء السادس من رجب فى السنه(2).

و أهلت سنه اثنتين و تسعين و أربعمائه

فى المحرم منها زحف الأفرنج إلى سور معره النعمان من الناحيه الشرقيه و الشماليه، و أسندوا البرج إلى سورها، و هو أعلى منه، فکشفوا المسلمين عن السور، و لم تزل الحرب عليه إلى وقت المغرب من اليوم

1- هو فيروز فى مصادر أخرى.
2- انظر تفاصيل هذا فى کتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 238- 242.

الرابع عشر من محرم، و صعدوا السور، و انكشف أهل البلد عنه، و انهزموا بعد أن ترددت إليهم رسل الأفرنج فى التماس التقرير و التسليم و إعطاء الأمان على نفوسهم و أموالهم، و دخول الشحنه إليهم، فمنع من ذلک الخلف بين أهلها و ما قضاه الله تعالى و حكم به، و ملكوا البلد بعد صلاه المغرب، و قتل فيه خلق كثير من الفريقين، و انهزم الناس إلى دور المعره للاحتماء بها، فأمنهم الأفرنج و غدروا بهم، و رفعوا الصلبان فوق البلد، و قطعوا على أهل البلد القطائع، و لم يفوا بشى ء مما قرروه، و نهبوا ما وجدوه، و طالبوا الناس بما لا طاقه لهم به، و رحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر إلى كفر طاب.

ثم قصدوا بعد ذلک ناحيه بيت المقدس آخر رجب من السنه، و أجفل الناس منهم من أماكنهم، و نزلوا أولا على الرمله فملكوها عند إدراک الغله، و انتقلوا إلى بيت المقدس، فقاتلوا أهله، و ضيقوا عليهم، و نصبوا عليه البرج و أسندوه إلى السور، و انتهى إليهم خروج الأفضل من مصر فى العساكر الدثره، لجهادهم و الايقاع بهم، و إنجاد البلد عليهم و حمايته منهم، فشدوا فى قتاله، و لازموا حربه إلى آخر نهار ذلک اليوم، و انصرفوا عنه، و واعدهم الزحف إليهم من الغد، و نزل الناس عن السور وقت المغرب، (74 ظ) فعاود الأفرنج الزحف إليه، و طلعوا البرج، و ركبوا سور البلد، فانهزم الناس عنه، و هجموا البلد فملكوه، و انهزم بعض أهله إلى المحراب، و قتل خلق كثير و جمع اليهود فى الكنيسه و أحرقوها عليهم، و تسلموا المحراب بالأمان فى الثانى و العشرين من شعبان من السنه، و هدموا المشاهد و قبر الخليل عليه السلام.

و وصل الأفضل فى العساكر المصريه و قد فات الأمر، فانضاف إليه عساكر الساحل، و نزل بظاهر عسقلان فى رابع عشر شهر رمضان، منتظرا لوصول الإسطول فى البحر و العرب، فنهض عسكر الأفرنج إليه، و هجموا عليه فى خلق عظيم، فانهزم العسكر المصرى إلى ناحيه

عسقلان، و دخل الأفضل إليها، و تمكنت سيوف الأفرنج من المسلمين، فأتى القتل على الراجل و المطوعه و أهل البلد، و كانوا زهاء عشره آلاف نفس، و نهب العسكر، و توجه الأفضل فى خواصه إلى مصر، و ضايقوا عسقلان إلى أن قرروا عليها بعده للأفرنج عشرين ألف دينار، تحمل إليهم، و شرعوا فى جبايتها من أهل البلد، فاتفق حدوث الخلف بين المقدمين، فرحلوا و لم يقبضوا من المال شيئا، و حكى أن الذين قتلوا فى هذه الوقعه من أهل عسقلان من شهودها و تنائها و تجارها و أحداثها، سوى أجنادها ألفان و سبعمائه نفس.

سنه ثلاث و تسعين و أربعمائه

فى صفر منها ورد الخبر بوصول السلطان بركيارق إلى بغداد، بعد أن جرى بينه و بين أخيه السلطان محمد تبر خلف و حرب، استظهر فيها عليه، و غلبه على مدينه أصفهان و حصل بها.

و توجه الملك شمس الملوک دقاق بن تاج الدوله من دمشق فى عسكره إلى ديار بكر لتسلمها من المستولى عليها، و وصل إلى الرحبه فى البريه، و وصل إلى ديار بكر و تسلم ميافارقين، و رتب فيها من يحفظها و يذب عنها.

و فى رجب منها خرج بيمند ملک الأفرنج صاحب أنطاكيه إلى حصن أفاميه، و نزل عليه، و أقام أياما و أتلف زرعه و وصل الخبر بوصول الدانشمند(1) إلى ملطيه فى عسكره من الأتراک، فى خلق عظيم و من عسكر (قلج أرسلان بن) سليمان بن قتلمش، فعاد بيمند، عند معرفه ذاک إلى أنطاكيه، و جمع و حشد، و قصد عسكر المسلمين، فنصر الله تعالى المسلمين عليه، و قتلوا من حزبه خلقا كثيرا (75 و) و حصل فى قبضه

1- أنوشتكين الدانشمند، و عند ابن العديم حدثت المعركه على أرض مرعش، زبده الحلب: 2/ 508- 509.

الأسر مع نفر من أصحابه، و نفذت الرسل إلى نوابه بأنطاكيه يلتمسون تسليمها، فى العشر الثانى من شهر صفر سنه ثلاث و تسعين و أربعمائه.

و فيها وردت الأخبار بأن الآبار غارت فى عده جهات من أعمال الشمال، و المنابع فى أكثر المعاقل، و قلت و تقلصت الأسعار فيها.

سنه أربع و تسعين و أربعمائه

فيها جمع الأمير سكمان بن أرتق خلقا كثيرا من التركمان، و زحف بهم إلى أفرنج الرها و سروج، فى شهر ربيع الأول و تسلم سروج و اجتمع إليه خلق كثير، و حشد الأفرنج أيضا، و التقى الفريقان، و قد كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم، و القهر لهم، فاتفق هروب جماعه من التركمان، فضعفت نفسه و انهزم، و وصل الأفرنج إلى سروج، فتسلموها و قتلوا أهلها و سبوهم، إلا من أفلت منهم هزيما.

(و) فى هذه السنه توفى القاضى الفقيه الإمام أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن عقيل بن زيد الشهرزورى الواعظ، رحمه الله، يوم الإثنين السابع من المحرم منها.

و فى هذه السنه وصل كندفرى صاحب بيت المقدس إلى ثغر عكا، و أغار عليه فأصابه سهم فقتله، و كان قد عمر يافا و سلمها إلى طنكرى، فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين القمص صاحب الرها إلى بيت المقدس، فى خمسمائه فارس و راجل، فجمع شمس الملوک دقاق عند معرفته خبر عبوره، و نهض إليه معه الأمير جناح الدوله صاحب حمص، فلقوه بالقرب من ثغر بيروت، فسارع نحوه جناح الدوله فى عسكره فظفر به و قتل بعض أصحابه.

و فيها افتتح الأفرنج حيفا، على ساحل البحر بالسيف، و أرسوف بالأمان، و أخرجوا أهلها منها، و فى آخر رجب منها فتحوا قيساريه بالسيف، و قتلوا أهلها، و نهبوا ما فيها، و أعانهم الجنويون عليها.

و فيها ورد الخبر بقرب السلطان بركيارق من بغداد فى عسكره، طالبا للقاء أخيه محمد(1)، فأسر و قتل و أخذ وزيره و جماعه من مقدميه، و أمر بقتلهم، و توجه من وقته إلى ناحيه أصفهان، فنزل عليها عند وصوله إليها، و تقرر أمرها بحيث ملكها، و حصل فيها و هى دار السلطنه و استقام (75 ظ) له الأمر بها.

و فيها تقدم الخليفه المستظهر بالله أمير المؤمنين ببغداد بالقبض على عميد الدوله محمد بن محمد بن جهير وزيره، و على نوابه و أسبابه و مصادرتهم، و قتلهم لأشياء نقمها عليه(2)، و منكرات عزيت إليه.

و فى شعبان منها أرسل القاضى ابن صليحه المتغلب على ثغر جبله إلى الأمير ظهير الدين أتابک، يلتمس منه انفاذ من يراه من ثقاته ليسلم إليه ثغر جبله، و يصل إلى دمشق بماله و حاله، و يسيره إلى بغداد تحت الحوطه و الأمان و الحمايه، و جميل الرعايه، فأجابه إلى ما اقترحه، و وعده بتحقيق أمله، و ندب لولايه الثغر المذكور ولده الأمير تاج الملوک بورى، و كان الملک شمس الملوک دقاق غائبا عن دمشق فى ديار بكر، فعاد عنها، و دخل إلى دمشق فى أول شوال من السنه، و تقررت الحال على ما التمس ابن صليحه، و توجه تاج الملوک في أصحابه إلى جبله، فتسلمها، و انفصل ابن صليحه عنها، و وصل دمشق بأصحابه و أسبابه و كراعه و دوابه و كل ما تحويه يده من مال و أثاث و حال، فأكرم مثواه، و أحسن لقياه، و أقام ما أقام بدمشق و سير إلى بغداد مع فرقه وافره من الأجناد،

1- فى الأصل:« طالبا للقاء أخيه السلطان بركيارق بعسكر أخيه محمد فأسر و قتل و أخذ وزيره ...» و شكل هذه الجمله المتداخله يوحى بوجود سقط أو خطأ من قبل الناسخ، ثم إنها تفيد بأن بركيارق هزم و قتل، و أسر وزيره، و هذا ما لم يحدث، فالذى هزم هو السلطان محمد، و الذى أسر و قتل هو وزير محمد« مؤيد الملک أبو بكر عبد الله بن نظام الملک» لأنه سبق له أن أو عز بقتل الخاتون زبيده أم بركيارق. انظر مرآه الزمان- أخبار سنه 494 ه. تاريخ دوله آل سلجوق للعماد الأصفهانى- ط. القاهره: 190 ص: 79- 81.
2- ذكره سبط ابن الجوزى فى وفيات سنه/ 493/ و قال بعد ما تحدث عن أعماله و المناصب التى شغلها:« ثم آل أمره إلى أن حبسه الخليفه فى داره و أخرج ميتا فى شوال، فحمل إلى داره فغسل فيها، و دفن ...».

بجميع ما يملكه، و حصل بها، و اتفق له من و شى بماله، و عظم سعه حاله إلى السلطان، فنهب و اشتمل على ما كان يملک.

و أما تاج الملوک فإنه لما ملک ثغر جبله، و تمکن هو و أصحابه فيها أساؤوا إلى أهله، و قبحوا السيره فيهم، و جروا على غير العاده المرضيه من العدل و الإنصاف، فشکوا حالهم فيما نزل بهم إلى القاضى فخر الملک أبى على عمار بن محمد بن عمار المتغلب على ثغر طرابلس لقربها منهم، فوعدهم المعونه على مرادهم و إسعادهم بالانقاذ لهم، و أنهض إليهم عده وافره من عسکره فدخلت الثغر، و اجتمعت مع أهله على الأتراک، فقهروهم و أخرجوهم منه، و ملکوه و قبضوا تاج الملوک، و حملوه إلى طرابلس، فأکرمه فخر الملک و أحسن إليه، و سيره إلى دمشق، و کتب إلى والده أتابک يعرفه صوره الحال، و يعتذر إليه مما جرى.

و فيها قبض الملک شمس الملوک دقاق على أمين الدوله أبى محمد الصوفى، رئيس دمشق و صالحه على جمله من المال يحملها إلى خزانته، و أطلقه من الاعتقال، و أقره على رئاسته.

و فى هذه السنه خرج من مصر عسکر کثيف مع الأمير سعد الدوله المعروف بالعواسى و وصل إلى (76 و) عسقلان لجهاد الأفرنج فى أول شهر رمضان، و أقام بحيث هو إلى ذى الحجه منها، و رحل من عسقلان، و نهض إليه من الأفرنج ألف فارس و عشره آلاف راجل، و التقى الفريقان فکسرت ميمنه المسلمين و ميسرتهم و تبعوهم، و بقى سعد الدوله المقدم فى نفر يسير من عسکره فى القلب، فحمل الأفرنج عليه، و طلب الثبات، فعاجله القضاء، و کبا به جواده، و سقط عنه إلى الأرض، فاستشهد مکانه رحمه الله، و مضى شهيدا مأجورا، و عاد المسلمون على الأفرنج، و تذامروا عليهم، و بذلوا النفوس فى الکره إليهم، فهزموهم إلى يافا، و قتلوا منهم و أسروا، و غنموا و کانت العقبى الحسنه لهم، و لم يفقد إلا نفر يسير منهم.

و فیها انکفأ الأمیر کربوقا صاحب الموصل و الجزیره عن السلطان برکیارق لمشاهده أحوال ولایته، و استعاده المخالفین إلی طاعته، فلما وصل إلی مراغه عرض له مرض الموت، و اشتد به، و توفی هناک، و سار إلی ربه.

و فی هذه السنه وصل السلطان برکیارق بن ملک شاه إلی بغداد، منهزما من أخیه السلطان محمد فی آخرها(1).

سنه خمس و تسعین و أربعمائه

و فی هذه السنه وردت الأخبار بما أهل خراسان و العراق و الشام علیه، من الخلاف المستمر و الشحناء و الحروب و الفساد، و خوف بعضهم من بعض، لاشتغال الولاه عنهم و النظر فی أحوالهم بالخلف و المحاربه.

و فیها وصل قمص(2) الرها، مقدم الأفرنج فی عسکره المخذول إلی ثغر بیروت، فنزل علیه طامعا فی افتتاحه، و حاربه و ضایقه و طال مقامه علیه، و لم یتهیأ فیه مراد فرحل عنه.

و وردت مکاتبات فخر الملک بن عمار صاحب طرابلس یلتمس فیها المعونه علی دفع ابن صنجیل النازل فی عسکره من الأفرنج علی طرابلس، و یستصرخ بالعسکر الدمشقی، و یستغیث بهم، فأجیب إلی ما التمس، و نهض العسکر نحوه، فاجتمعوا فی عدد دثر و قصدوا ناحیه أنطرطوس، و نهد الأفرنج إلیهم فی جمعهم و حشدهم، و تقارب الجیشان و التقیا هناک، فانفل عسکر المسلمین من عساکر المشرکین، و قتل منهم

1- تحالف محمد مع أخیه سنجر ضد برکیارق، و قدم الاثنان إلی بغداد، فهرب منها برکیارق إلی واسط ثم إلی الجبل. مرآه الزمان- أخبار سنه 494.

2- کان بلدوین الأول أخو غودفری فی بوللیون هو کونت الرها و مؤسس الحکم الصلیبی فیها ثم صار ملک القدس بعد وفاه أخیه. و قد أرخ کاتب سریانی مجهول لمملکه الرها حتی سقوطها، و قمت مؤخرا بترجمه هذا النص و أودعته مع نصوص سریانیه أخری فی المجلد الخامس من موسوعتنا.

الخلق الكثير، و قفل من سلم إلى دمشق و حمص بعد فقد من (76 ظ) فقد منهم، و وصلوا فى الثانى و العشرين من جمادى الآخره.

و فيها وردت الأخبار من ناحيه مصر بوفاه المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن المستنصر بالله صاحب مصر، فى صفر منها، و عمره سبع و عشرون سنه، و مولده سنه ثمان و ستين و أربعمائه، و كانت مده أيامه سبع سنين و شهرين، و نقش خاتمه «الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين»، و كان حسن الطريقه، جميل السيره فى كافه الأجناد و العسكريه، و سائر الرعيه، لازما قصره كعاده أبيه المستنصر بالله منكفيا بالافضل سيف الاسلام ابن أمير الجيوش، فيما يريده، بأصاله رأيه و صواب تقديره و امضائه، و قام فى الأمر بعده ولده أبو على المنصور بن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد، و أخذ له البيعه على الأجناد و الأمراء، و كافه الرعايا و الخدم و الأولياء، الأفضل السيد أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش، و أجلسه فى منصب أبيه عقيب وفاته، و لقب بالآمر بأحكام الله، و استقام له الأمر بحسن تدبير الأفضل، و انتظمت به الأحوال على غايه المباغى و الآمال.

و فى هذه السنه خرجت العساكر المصريه من مصر، لإنجاد ولاه الساحل فى الثغور الباقيه فى أيديهم منها على منازليهم من أحزاب الأفرنج، و وصلت إلى عسقلان فى رجب، و لما عرف بغدوين قمص بيت المقدس وصولهم، نهض نحوهم فى جمعه من الأفرنج فى تقدير سبعمائه فارس و راجل، اختارهم، فهجم بهم على العسكر المصرى، فنصره الله على حزبه المفلول، و قتلوا أكثر خيله و رجالته، و انهزم إلى الرمله فى ثلاثه نفر، و تبعوه و أحاطوا به، فتنكر و خرج فى غفله منهم، و قصد يافا، و أفلت منهم، فكان قد اختفى فى أجمه قصب حين تبع، و أحرقت تلك الأجمه، و لحقت النار بعض جسده و نجا منها، و حصل بيافا، فأوقع السيف فى أصحابه و قتل و أسر من ظفر به فى الرمله من رجاله و أبطاله، و حملوا إلى مصر فى آخر رجب من السنه.

و فی هذا الوقت وصلت مراکب الأفرنج فی البحر، تقدیر أربعین مرکبا، و وردت الأخبار بأن البحر هاج بها، و اختلفت أریاحه علیها، فعطب أکثرها، و لم یسلم منها إلا القلیل، و کانت مشحنه بالرجال و المال.

سنه ست و تسعین و أربعمائه

(77 و) فیها برز الملک شمس الملوک دقاق و ظهیر الدین أتابک من دمشق، فی العسکر، و قصد الرحبه، و نزل علیها، و ضایق من بها، و قطع أسباب المیره عنها، و أصرّ بالمضایقه إلی أن اضطر المقیم بها إلی طلب الأمان له و لأهل البلد، فأمنوا، و سلمت إلیه بعد القتال الشدید، و الحرب المتصله فی جمادی الآخره منها، و رتب أمرها، و ندب من رآه من الثقات لحفظها، و قرر أحوال من بها، و رحل عنها فی یوم الجمعه الثانی و العشرین منها، منکفئا إلی دمشق.

و فیها ورد الخبر من حمص، بأن صاحبها الأمیر جناح الدوله حسین أتابک، نزل من القلعه إلی الجامع، لصلاه الجمعه و حوله خواص أصحابه بالسلاح التام، فلما حصل بموضع مصلاه علی رسمه، و ثب علیه ثلاثه نفر عجم من الباطنیه و معهم شیخ، یدعون له و یستمیحونه، فی زی الزهاد، فوعدهم، فضربوه(1) بسکاکینهم، و قتلوه و قتلوا معه جماعه من أصحابه، و کان فی الجامع عشره نفر من متصوفه العجم و غیرهم، فاتهموا، و قتلوا صبرا مظلومین فی الوقت عن آخرهم.

و انزعج أهل حمص لهذا الحادث و أجفلوا فی الحال، و هرب أکثر سکانها من الأتراک إلی دمشق، و اضطربت الأحوال بها، و راسلوا الملک شمس الملوک بدمشق یلتمسون إنفاذ من یتسلم حمص، و یعتمد علیه فی حمایتها، و الذب عنها قبل انتهاء الخبر إلی الافرنج، و امتداد أطماعهم

1- فی ترجمه جناح الدوله حسین لابن العدیم جاء« و کان قتله .... بتدبیر الحکیم أبی الفتح المنجم الباطنی، و رفیقه أبی طاهر، و قیل کان ذلک بأمر رضوان و رضاه». مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 378.

فیها، فسار الملک شمس الملوک و ظهیر الدین أتابک فی العسکر من دمشق، و وصل إلی حمص، و تسلمها، و حصل فی قلعتها، و وافق ذلک وصول الأفرنج إلیها، و نزولهم علی الرستن لمضایقتها و منازلتها، فحین عرفوا ذلک أحجموا عن القرب إلیها و الدنو منها، و رحلوا عنها.

و قد کان المعروف بالحکیم المنجم الباطنی، صاحب الملک فخر الملوک رضوان صاحب حلب أول من أظهر مذهب الباطنیه فی حلب و الشام، و هو الذی ندب الثلاثه النفر لقتل جناح الدوله بحمص، و ورد الخبر بهلاکه بعد الحادثه بأربعه عشر(1) یوما.

و لما رتب شمس الملوک أمر حمص، و قرر أحوالها، و انکفأ عائدا إلی دمشق فی أول شهر رمضان، خرجت العساکر المصریه من مصر إلی البر، و الاسطول فی البحر مع شرف المعالی ولد الأفضل شاهنشاه، و کتب فی استدعاء المعونه علی (77 ظ) الجهاد، و بنصره العباد و البلاد، بإنفاذ العسکر الدمشقی، فأجیب إلی ذلک، و عاقت عن مسیره أسباب حدثت، و صوادف صدفت، و وصل اسطول البحر، نزل علی یافا آخر شوال، و أقام أیاما و تفرق الاسطول و العساکر إلی الساحل و کانت الأسعار بها قد ارتفعت، و الأقوات قد قلت، فصلحت بما وصل من الاسطول من الغله و رخص الأسعار، إلا أن غارات الأفرنج متصله علیها.

و فی ذی القعده من السنه تواترت الأخبار بخروج قلج أرسلان بن سلیمان بن قتلمش، من بلاد الروم طالبا أنطاکیه، و وصوله إلی قریب من مرعش، و جری بینه و بین الأمیر الدانشمند صاحب ملطیه خلف و منازعه، أوجبت عوده علیه، و ایقاعه به، و فل عسکره، و الفتک برجاله، و لما انکفأ یعد ذلک قیل إنه وصل إلی الشام، و أرسل رسوله إلی حلب یلتمس الأذن للسفار بالوصول إلی عسکره بالمیر و الأزواد، و ما یحتاج إلیه سائر العسکریه و الأجناد، فسر الناس بذلک و تباشروا به.

1- فی بغیه الطلب لابن العدیم:« و بقی المنجم الباطنی بعده أربعه و عشرین یوما و مات». مدخل إلی تاریخ الحروب الصلیبیه: 378.

سنه سبع و تسعين و أربعمائه

فى رجب منها وردت الأخبار بوصول مراكب الأفرنج فى البحر من بلادهم إلى ظاهر اللاذقيه مشحونه بالتجار و الأجناد و الحجاج، و غير ذلک، و أن صنجيل المنازل لطرابلس استنجد بهم على طرابلس، فى مضايقتها و المعونه على ملكتها، و أنهم وصلوا إليه فاجتمعوا معه على منازلتها و مضايقتها، فقاتلوها أياما و رحلوا عنها، و نزلوا على ثغر جبيل فقاتلوه و ضايقوه و ملكوه بالأمان، فلما حصل فى ملكتهم، غدروا بأهله، و لم يفوا بما بذلوه من الأمان و صادروهم، و استنفدوا أحوالهم و أموالهم بالعقوبات و أنواع العذاب.

و ورد الخبر باجتماع الأميرين: سكمان بن أرتق، و جكرمش صاحب الموصل فى عسكرهما [و أنهما] تعاهدا و تعاقدا على المجاهده فى أعداء الله الأفرنج، و بذل الطاقه و الاستطاعه فى حربهم، و نزلا فى أوائل شعبان من السنه برأس العين، و نهض بيمند و طنكرى فى عسكريهما من ناحيه أنطاكيه إلى الرها لإنجاد صاحبها على الأميرين المذكورين، فلما قربا من عسكر المسلمين النازلين على الرها، تأهب كل من الفريقين للقاء صاحبه، فالتقوا فى تاسع شعبان فنصر الله المسلمين عليهم، و هزموهم و قتلوا منهم (78 و) مقتله كبيره، و كانت عدتهم تزيد على عشره آلاف فارس و راجل سوى السواد و الأتباع، و انهزم بيمند و طنكرى فى نفر يسير، و كان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيأ مثله و ضعفت نفوس الأفرنج، و قلت عدتهم، و فلت شوكتهم و شكتهم و قويت نفوس المسلمين و أرهفت(1) عزائمهم فى نصره الدين، و مجاهده الملحدين، و تباشر الناس بالنصر عليهم، و أيقنوا بالنكايه فيهم، و الإداله منهم.

و فى هذا الشهر ورد الخبر بنزول بغدوين ملک الأفرنج، صاحب بيت المقدس، فى عسكره على ثغر عكا، و معه الجنويون فى المراكب فى

1- تكررت« و أرهفت بالأصل».

البحر و البر، و هم الذين كانوا ملكوا ثغر جبيل فى نيف و تسعين مركبا، فحصروه من جهاته و ضايقوه من جوانبه، و لازموه بالقتال إلى أن عجز و اليه و رجاله عن حربهم، و ضعف أهله عن المقاتله لهم، و ملكوه بالسيف قهرا، و كان الوالى به الأمير زهر الدوله نبأ(1) الجيوشى قد خرج منه لعجزه عن حمايته، و ضعفه عن المراماه دونه، و أنفذ يلتمس منهم الأمان له و لأهل الثغر، ليأسه من وصول نجده أو معونه، فلما ملك الثغر تم على حاله منهزما إلى دمشق، فدخلها و أكرمه ظهير الدين أتابک، و أحسن تلقيه، و كان وصوله إلى دمشق يوم الخميس لثلاث بقين من شعبان، و تقدم شمس الملوک دقاق و ظهير الدين أتابک فى حقه، بما طيب نفسه و أكد أنسه، و أقام بدمشق إلى أن تسهلت له السبيل فى العود إلى مصر، فتوجه إليها عائدا، و وصل إليها سالما، و أوضح عذره فيما تم عليه من الغلبه، فقبل عذره بعد الإنكار عليه، و الغيظ من فعله.

و فى هذه السنه عرض للملک شمس الملوک دقاق ابن السلطان تاج الدوله، صاحب دمشق، مرض تطاول، و وقع معه تخليط الغذاء، أوجب انتقاله إلى عله الدق، فلم يزل به و هو كل يوم فى ضعف و نقص، فلما أشفى و وقع اليأس من برءه، و انقطع الرجاء من عافيته(2)، تقدمت إليه والدته الخاتون صفوه الملک بأن يوصى بما فى نفسه، و لا يترک أمر الدوله و ولده سدى، فعند ذلک نص على الأمير ظهير الدين أتابک فى الولايه بدمشق من بعده، و الحضانه لولده الصغير تتش بن دقاق بن تاج

1- كذا فى الأصل، و فى النفس شى ء منه، و لم أجد فى المتوفر من المصادر المتوفره ما يفيد حوله، و لعل عباره« نبأ» زائده فحين أورد سبط ابن الجوزى الخبر قال:« و كان و اليها زهر الدوله الجيوشى».
2- أورد ابن عساكر فى تاريخه سببا غير هذا لوفاه دقاق حيث قال:« ثم عرض لدقاق مرض تطاول به، و توفى منه فى الثانى عشر من رمضان سنه سبع و تسعين و أربعمائه، و إن أمه زيّنت له جاريه، فسمته فى عنقود عنب معلق فى شجرته، ثقبته بإبره فيها خيط مسموم، و إن أمه ندمت على ذلک بعد الفوت، و أومأت إلى الجاريه أن لا تفعل، فأشارت إليها أن قد كان، و تهرى جوفه، فمات». مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه 386.

الدوله إلى حين يكبر، و إحسان تربيته، و ألقى إليه ما كان فى نفسه، و توفى إلى جنه الله فى اليوم الثانى عشر من شهر رمضان من السنه(1).

و قد (78 ظ) كان ظهير الدين أتابک قبل هذه الحال فى عقابيل مرض أشفى منه، و تداركه من الله تعالى العافيه، و أبل من مرضه، و شرع فى إحسان السيره فى العسكريه و الرعيه، و أحسن إلى الأمراء و المقدمين من الدوله، و أطلق يده من الخزانه فى الخلع و التشريفات و الصلات و الهبات، و أمر بالمعروف، و نهى عن المنكر، و أقام الهيبه على المفسدين المسيئين، و بالغ فى الإحسان إلى المطيعين و المحسنين، و تألف القلوب بالعطاء، و استمال الجانح بالتودد و الحباء، و استقامت له الأمور، و أجمع على طاعته الجمهور، و قد كان الملک شمس الملوک قد حمل على الرئيس أبى محمد بن الصوفى رئيس دمشق، إلى أن قبض عليه فى سنه ست و تسعين و أربعمائه، و بقى معتقلا إلى أن قررت عليه مصالحه نهض فيها، و قام بها، و بعد ذلک عرض له مرض قضى فيه محتوم نحبه، و صار منه إلى ربه و قام بعده فى منصبه ولده أبو المجلى سيف و أخوه أبو الذواد المفرج، و كتب لهما المنشور فى الاشتراک فى الرئاسه، و أحضرهما ظهير الدين أتابک، عقيب وفاه شمس الملوک، و طيب نفسيهما، و وكد الوصيه عليهما فى استعمال النهضه فى سياسه الرعايا، و إنهاء أحوالها فيما يستمر من صلاح و فساد، ليقابل المحسن إليها بالإحسان، و الجانى عليها بالتأديب و الهوان، فامتثلا أوامره و عملا بأحكامه.

و كان الملک شمس الملوک رحمه الله، قبل وفاته قد سير أخاه الملک أرتاش ابن السلطان تاج الدوله إلى حصن بعلبک، ليكون به معتقلا عند واليه فخر الدوله- خادم أبيه- كمشتكين التاجى، فرأى ظهير

1- نقل سبط ابن الجوزى عن ابن القلانسى خبر وفاه دقاق و زاد فى نقله« و دفن على الشرف الشمالى بدمشق بقبه الطواويس». أخبار سنه- 497- .

الدين أتابک فی حکم ما یلزمه لأولاد تاج الدوله أن یراسل(1) الخادم المذکور فی إطلاقه و إحضاره إلی دمشق، فوصل إلیها، و تلقاه و أکرمه و بجله و خدمه، و أقامه فی منصب أخیه شمس الملوک، و تقدم إلی الأمراء و المقدمین و الأجناد بالطاعه لأمره، و المناصحه فی خدمته، و أجلسه فی دست المملکه، فی یوم السبت لخمس بقین من ذی الحجه سنه سبع و تسعین و أربعمائه فاستقامت بذلک الأمور و سکنت إلیه نفوس الجمهور.

و اتفق للأمر المقضی الذی لا یدافع، و المحتوم الذی لا یمانع، من سعی فی إفساد هذا التدبیر، و نقض هذا التقریر، فأوحش الملک محیی الدین أرتاش من ظهیر الدین أتابک، (79 و) و من الخاتون صفوه الملک والده شمس الملوک، و أوقعت أمه فی نفسه الخوف منهما، و أوهمته أنهما ربما عملا علیه فقتلاه، و الأمر بالضد مما نقله الواشی إلیه و ألقاه، فخاف منهما و حسن له الخروج من دمشق و مملکتها، و العود إلی بعلبک لتجتمع إلیه الرجال و العسکریه، فخرج منها سرا فی صفر سنه ثمان و تسعین و أربعمائه و خرج ایتکین الحلبی صاحب بصری هاربا، لتقریر کان بینهما فی هذا الفساد، فعاثا فی ناحیه حوران، و راسلا بغدوین ملک الأفرنج بالاستنجاد به، و توجها نحوه، و أقاما عنده مده بین الافرنج بحرضانه علی المسیر إلی دمشق، و یبعثانه علی الإفساد فی أعمالها، فلم یحصلا منه علی حاصل، و لا ظفرا بطائل، فحین یئسا من المعونه، و خاب أملهما فی الإجابه، توجها إلی ناحیه الرحبه فی البریه(2)، و استقام الأمر بعدهما

1- فی الأصل:« أن أرسل الخادم» و التقویم من مرآه الزمان- أخبار سنه 498- حیث النقل عن ابن القلانسی.
2- أورد سبط ابن الجوزی- أخبار سنه 498- أنهما عادا من الرحبه إلی بصری« فخرج طغتکین بالعساکر و نازل بصری و حصرهما فیها، و اتفق خروج العسکر المصری فی عشره آلاف مع الأمیر شمس المعالی ولد الأفضل، و کوتب طغتکین بالمسیر معه إلی قتال الفرنج، و کان نازلا علی بصری، فامتنع، ثم رأی تقدیم الجهاد، فسار إلی العسکر المصری، و التقی المسلمون و الفرنج، فانهزم عسکر المصریین إلی عسقلان، و عسکر طغتکین إلی بصری، و وجد أرتاش و ایتکین قد خرجا منها إلی الرحبه، فأمن أهل بصری، و سلموها إلیه، فلم یتعرض لهم، و طیب قلوبهم».

لظهير الدين أتابک، و تفرد بالأمر، و استبد بالرأى، و حسنت أحوال دمشق و أعمالها بأيالته، و عمرت بجميل سياسته، و قضى الله تعالى بوفاه تتش ولد الملک شمس الملوک دقاق المقدم ذكره فى هذه الأيام و اتفق أن الأسعار رخصت، و الغلات ظهرت، و انبسطت الرعيه فى عماره الأملاک فى باطن دمشق، و ظاهرها لإحسان سيرته و إجمال معاملته، و بث العدل فيهم، و كف أسباب الظلم عنهم.

و فى هذه السنه ورد الخبر من ناحيه طرابلس بظهور فخر الملک ابن عمار، صاحبها فى عسكره و أهل البلد، و قصدهم الحصن الذى بناه صنجيل عليهم(1) و أنهم هجموا عليه على غره ممن فيه، فقتل من به و نهب ما فيه، و أحرق، و أخرب، و أخذ منه السلاح و المال و الديباج و الفضه الشى ء الكثير، و عاد إلى طرابلس سالما غانما، فى التاسع عشر من ذى الحجه، و قيل ان بيمند صاحب أنطاكيه ركب فى البحر، و مضى إلى الأفرنج يستصرخهم، و يستنجد بهم على المسلمين فى الشام، و أقام مده، و عاد منهم منكفئا إلى أنطاكيه.

سنه ثمان و تسعين و أربعمائه

فيها عرض لظهير الدين أتابک مرض اشتد به، و لازمه، و خاف منه على نفسه، و أشفق على أهله و ولده و أصحابه و رعيته إن تم عليه أمر، و تواصلت مكاتبات فخر الملک ابن عمار (79 ظ) و رسله من طرابلس بالاستصراخ و الاستنجاد على الأفرنج النازلين عليها، و البعث على تعجيل إعانته بمن يصل إليه من العساكر، لكشف غمته، و تفريج كربته، و قد كان الأمير سكمان بن أرتق، و الأمير جكرمش صاحب الموصل، قد اتفقا على الجهاد فى المشركين، و نصره المسلمين، فنتج لظهير الدين فكره، و رأى(2) فيما نزل به من المرض المخوف أن يرسل [إلى] الأمير سكمان بن

1- أقيم هذا الحصن على تله أبى سمره الحاليه الواقعه على الضفه اليسرى من نهر قاديشا، و هى التى كانت تعرف بتله الحجاج. طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى: 95- 96.
2- فى الأصل:« و رأيه» و هى تصحيف صوابه ما أثبتنا بناء على روايه سبط ابن الجوزى.

أرتق، يستدعى وصوله إلى دمشق فى عسكره، ليوصى إليه، و يعتمد فى حمايه دمشق عليه، و نفذت إليه أيضا مكاتبه ابن عمار، بتحريضه على المسارعه إلى ذلک، و القصد لنصرته، و بذل له مالا جزيلا على معونته و نصرته، فحين وقف على مضمون المكاتبات أجاب إلى المقترح عليه، و سارع إليه، و ثنى عنانه إلى دمشق مغذا فى سيره، مواصلا لجده و تشميره، و قطع الفرات إلى ما حض عليه و المغارات، فلما وصل إلى القريتين، و اتصل خبره إلى أتابک، لامه أصحابه و خواصه على ما فرط فى تدبيره، و عنفوا رأيه فيما استدعاه، و خوفوه عاقبه ما أتاه، و قالوا له: و ليت الأمير سكمان بن أرتق دمشق، و أخرجتها من يدک، كيف يكون حالک و أحوالنا، أو ليس قد عرفت نوبه أتسز، لما استدعى السلطان تاج الدوله ابن ألب أرسلان، و سلم إليه دمشق، و كيف بادر بإهلاكه و لم يمهله و لا أهله فعند ذلک أفاق لغلطته، و تنبه لغفلته، و ندم ندامه الكسعى(1) و زاده هذا الأمر مرض الفؤاد مع مرض الجسم، و بينما هو و أصحابه من التفكير فيما يعتمد من أمره و يدبر به حاله عند وصوله(2)، و الخبر ورد من القريتين بأن الأمير سكمان ساعه وصوله فى عسكره إلى القريتين، و نزوله، لحقه مرض شديد، و قضى منه محتوم نحبه، و صار إلى رحمه ربه، و حمله أصحابه فى الحال، و رحلوا عائدين به، فسر أتابک بهذا الحال سرورا زائدا، كان معه بدء سعادته، و عود برئه إلى جسمه و عافيته، فسبحان مدبر الخلق بحكمته و مسبب الأسباب بقدرته، و قصدوا ناحيه الجزيره، و ذلک فى أول صفر من السنه.

و فى هذه السنه وردت الأخبار بهلاک صنجيل مقدم الأفرنج النازلين على ثغر طرابلس، فى رابع جمادى الأولى، بعد أن كان الأمر استقر بينه

1- الكسعى هو محارب بن قيس و قيل غامد بن الحارث، له قصه ذكرها الميدانى فى مجمع الأمثال- المثل رقم 4292- و بين فى نهايتها أنه كسر قوسه« فندم على كسر القوس، فشد على ابهامه فقطعها».
2- مرآه الزمان- أخبار سنه 498- أن طغتكين كتب إلى سكمان و هو فى القريتين يقول: « تثبت مكانک، فأنا خارج إلى خدمتک، فاتفق أن سكمان مرض ....».

و بين فخر الملک ابن عمار، صاحب طرابلس من المهادنه، على أن يكون ظاهر طرابلس لصنجيل بحيث لا (80 و) يقطع الميره عنها، و لا يمنع المسافرين منها.

و فى أول السنه ورد الخبر بوصول السلطان محمد تبر بن ملک شاه إلى الموصل، و نزوله عليها و خروج الأمير جكرمش صاحبها إليه، باذلا له الطاعه، و شروط الخدمه، و رحل عنها.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه العراق بوفاه السلطان بركيارق بن السلطان ملک شاه رحمه الله، بنهاوند، بعد أن تقررت الحال بينه و بين أخيه، بحيث تكون مملكه خراسان بأسرها للسلطان أبى الحارث سنجار و أصفهان و أعمالها، و بغداد و ما والاها برسم السلطان بركيارق، و السلطنه له، و أرمينيه و أذربيجان و ديار بكر و الموصل و الجزيره و الشام و ما يليها للسلطان محمد تبر.

و توجهت عساكر السلطان بركيارق بعد وفاته إلى بغداد، و مقدمها الأمير إياز معه الأمير صدقه بن مزيد بن دبيس، و توجه السلطان محمد إلى بغداد أيضا، فلما عرف الأمير إياز خبره خاف منه على نفسه، فهرب منه و معه ولد السلطان بركيارق، و دخل السلطان محمد بغداد، و وصل إليه الأمير سيف الدوله صدقه بن مزيد الأسدى، و استقر أمره معه، و عرف إياز أن حاله لا تستقر إلا بالعود إلى طاعه السلطان محمد، و الدخول فى جملته، و الكون فى خدمته، فراسله و التمس الأمان منه، و التوثقه باستحلافه على الوفاء بما عاهده عليه، فأجابه إلى ما رامه منه، و وصل إليه فى العسكر مع ولد السلطان بركيارق، و كان طفلا صغيرا، فانضاف فى جملته مع عسكره، فلما كان بعد أيام غدر بإياز، و نكث عهده، و أخلف وعده، و قبض عليه و هو آمن مطمئن بما توثق به من إيمانه و قتله، و جعل سبب هذا الفعل أمورا أسرها فى نفسه، و أوردها و احتج بأمور أضمرها و عددها، ليعذر فى فعله، و ما هو بمعذور فى فعله و لا بمشكور.

و فی أول شعبان توجه ظهیر الدین أتابک إلی بعلبک فی العسکر، و نزل علیها متنکرا علی کمشتکین الخادم التاجی و الیها، لأسباب انتهت إلیه عنه فأنکرها منه، فلما نزل علیه و ضایقه و عرف ما فی نفسه، أنفذ إلیه یبذل الطاعه و الخدمه، و الانکار لما افتری به علیه، و التنصل مما نسب إلیه و الحلف علی البراءه مما اختلق من المحال علیه، فصفح له عن ذلک، و رضی عنه، و قرر (80 ظ) أمره، و أوعز بکف الأذیه عن ناحیته، و رحل عنها متوجها إلی ناحیه حمص، و قصد رفنیه، و نزل علیها، و وفد علیه خلق کثیر من جبل بهراء(1)، فهجموا رفنیه علی حین غفله من أهلها، و غره من مستحفظها، و قتلوا من بها، و بأعمالها، و الحصن المحدث علیها من الأفرنج، و أحرق ما أمکن إحراقه فی الحصن و غیره، و هدم الحصن، و ملکت أبراج رفنیه، و قتل من کان فیها، و عاد العسکر إلی حمص.

و فی رجب خرج الملک فخر الملوک رضوان صاحب حلب، و جمع خلقا کثیرا، و عزم علی قصد طرابلس لمعونه فخر الملک بن عمار علی الأفرنج النازلین علیه، و کان الأرمن الذین فی حصن أرتاح قد سلموا إلیه الحصن، لما شملهم من جور الأفرنج، و تزاید ظلمهم، فلما عرف طنکری ذلک، خرج من أنطاکیه لقصد أرتاح، و استعادتها، و جمع من فی أعماله من الأفرنج، و نزل علیها، و توجه نحو فخر الملوک فی عسکره لإبعاده عنها، و قد جمع و حشد من أمکنه من عمل حلب، و الأحداث الحلبیین، لقصد الجهاد، فلما تقاربا نشبت الحرب بین الفریقین، فثبت راجل المسلمین، و انهزمت الخیل، و وقع القتل فی الرجاله، و لم یسلم منهم إلا من کتب الله سلامته، و وصل الفل إلی حلب و أحصی المفقود من الخیل و الرجل، فکان تقدیر ثلاثه آلاف نفس، و حین عرف ذلک من کان فی أرتاح من المسلمین، هربوا بأسرهم منها، و قصد الأفرنج

1- جبال النصیریه أو العلویین حالیا.

بلد حلب، فأجفل أهله منه، و نهب من نهب، و سبى من سبى، و ذلک فى الثالث من شعبان، و اضطربت أحوال من بالشام بعد الأمن و السكون(1).

و فى هذه السنه خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشره آلاف فارس و راجل مع الأمير شرف المعالى ولد الأفضل، و كوتب ظهير الدين أتابک بالاستدعاء للمعونه و الاعتضاد إلى جهاد الكفره و الأضداد، فلم يتمكن من الإجابه إلى المراد، لأسباب عاقته عن المعونه و الاسعاد، و توجه فى العسكر إلى بصرى، فنزل عليها عازما على مضايقتها، و فيها الملک أرتاش بن تاج الدوله و ايتكين الحلبى، لأنهما كانا عند الأفرنج على ما شرح من أمرهما أولا، ثم استدرک الرأى و استصوب المسير إلى العسكر المصرى للاعتضاد على الجهاد، فسار إليه و وصل (81 و) إلى ظاهر عسقلان، و نزل قريبا منه، و عرف الأفرنج الخبر، فتجمعوا، و قصدوا عسقلان، و التقى الفريقان فى رابع عشر ذى الحجه من السنه، فيما بين يافا و عسقلان، فاستظهر الأفرنج على المسلمين، و قتلوا والى عسقلان، و أسروا بعض المقدمين، و انهزم عسكر مصر إلى عسقلان، و عسكر دمشق إلى بصرى، و قيل ان الذين قتلوا من المسلمين بإزاء الذين قتلوا من المشركين، و لما عاد ظهير الدين و العسكر إلى بصرى، وجد الملک أرتاش و ايتكين الحلبى لما يئسا من نصره الأفرنج لهما، قد قصدا ناحيه الرحبه، و أقاما بها مده، و تفرقا، و راسل المقيمان ببصرى: أنوشتكين و فلوا من(2) ظهير الدين يطلبان الأمان، و المهله لهما بالتسليم مده اقتراحهما، فأجاب إلى ما التمساه منه، و رحل عنهما، و لما بلغ الأجل منتهاه، و الوعد مداه، سلما بصرى إليه، و خرجا

1- هناک مطابقه شبه كامله بين روايه ابن القلانسى هذه، و ما جاء عند ابن العديم فى زبده الحلب: 2/ 150- 151، و فى بغيه الطلب قدم ابن العديم فى ترجمه رضوان تفاصيل اضافيه. انظر مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 392- 393.
2- كذا بالأصل، و لم أهتد إلى هذا الاسم.

منها، و وفى لهما بما وعدهما من الأمان و الاقطاع، و زاد على ذلک، و أقاما عليه مده أيامه.

سنه تسع و تسعين و أربعمائه

فيها خرج الأفرنج إلى سواد طبريه و شرعوا فى عماره حصن علعال(1) فيما بين السواد و البثنيه، و كان من الحصون الموصوفه بالمنعه و الحصانه، فلما عرف ظهير الدين أتابک هذا العزم منهم، أشفق من إتمام الأمر فيه، فيصعب تدارک الأمر و تلافيه، فنهض فى العسكر، و قصدهم و هم على غفله مما دهمهم، فأوقع بهم، و قتلهم بأسرهم، و ملک الحصن بما فيه من آلاتهم و كراعهم و أثاثهم، و عاد إلى دمشق برؤوسهم و أسرائهم و غنائمهم، و هى على غايه الكثره، فى يوم الأحد النصف من شهر ربيع الآخر.

و فى هذا الشهر ظهر فى السماء من الغرب كوكب له ذؤابه، كقوس قزح، أخذ من المغرب إلى وسط السماء، و قد كان رؤى قريبا من الشمس نهارا قبل ظهوره فى الليل، و أقام عده ليال و غاب.

و فى السادس و العشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بقتل خلف بن ملاعب، صاحب أفاميه قتله قوم من الباطنيه نفذهم إليه المعروف بأبى طاهر الصائغ العجمى، من حلب، و هو الذى قام للباطنيه مقام الحكيم المنجم الباطنى، بعد هلاكه، بموافقه رجل (81 ظ) من دعاتهم يعرف بابن القنج(2) السرمينى، كان مقيما بأفاميه، و قد قرر ذلک مع أهلها، فنقبوا نقبا فى السور حتى تمكنوا من الوصول إليه، فلما قربوا منه،

1- يعرف هذا الموقع الآن باسم« العال» و هو واقع فى محافظه القنيطره، منطقه فيق، و يبعد عن فيق مسافه/ 7 كم/ و عن القنيطره/ 49 كم/. انظر التقسيمات الاداريه فى الجمهوريه العربيه السوريه. ط. دمشق 1968: 40.

2- فى الأصل« بأبى الفتح» و هى مصحفه صوابها ما أثبتنا، و ذلک عن خط ابن العديم فى كتابه بغيه الطلب فى ترجمته لابن ملاعب. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 284.

و أحس بهم لقيهم فوثب إليه بعضهم فطعنه فى جوفه فرمى بنفسه فى القله يريد بعض دور أولاده(1) فطعنه آخر طعنه ثانيه فعاش ساعه و مات، و صاح الصائح على القله، و [حين] نادوا بشعار الملک رضوان نجا أولاده و خاصته من(2) السور، و ملكوا عليهم الموضع و قتلوا من قتلوا، و سلم ولده مصبح بن خلف بن ملاعب، و توجه إلى شيزر، و أقام هناک مده، فأطلق منها.

و وصل طنكرى إلى أفاميه عقيب هذه الكائنه طامعا فيها، و معه أخ كان لابن القنج الداعى السرمينى كان مأسورا فى يده، فقرر له شيئا دفعه إليه، فرحل عنه.

و فى هذه السنه وصل قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، فى عسكر كثير، و قصد الرها، و نزل قريبا منها، فأنفذ أصحاب جكرمش المقيمون بحران يستدعونه لتسليمها إليه، فوصل إليهم و تسلمها منهم، و استبشر الناس بوصوله إلى الجهاد، و أقام أياما و مرض مرضا أوجب له العود إلى ملطيه، و أقام أصحابه بحران.

و ورد الخبر بأن مصبح بن ملاعب الذى أفلت من نوبه أفاميه التجأ إلى طنكرى صاحب أنطاكيه، و حرضه على العود إلى أفاميه، و أطمعه فى أخذها لقله القوت بها، فنهض إليها، و نزل عليها، و ضايقها إلى أن تسلمها بالأمان فى الثالث عشر من المحرم سنه خمسمائه، فلما حصل ابن القنج السرمينى الباطنى فى يده قتله بالعقوبه، و حمل أبا طاهر الصائغ معه و أصحابه أسرى، و لم يف لهم بما بذل من الأمان، و كان القوت قد نفد من أفاميه، و لم تزل الأسرى فى يده إلى أن فدوا نفوسهم بمال بذلوه له فأطلقهم و وصلوا إلى حلب.

1- فى الأصل« أهله ده» و هى مصحفه صوابها ما أثبتنا من بغيه الطلب لابن العديم حيث الروايه نفسها.
2- فى الأصل:« فجاء أولاده و صاحبه من السور» و فى العباره سقط و تصحيف و تم تقويم ذلک من روايه ابن العديم.

و فی هذه السنه نهض ظهیر الدین أتابک فی العسکر إلی بصری لمشاهدتها عند تسلمها من أیدی المقیمین بها عند انقضاء الأجل المضروب لها، و کان قد خلع علی کافه الأمراء و المقدمین و أماثل العسکر الخلع المکمله من الثیاب و الخیول و المراکب، بحیث تضاعف الثناء علیه (82 و) و الاعتراف بأیادیه، و شاع الخبر بذاک، و تضاعفت رغبه الأجناد فی خدمته، و المیل إلی طاعته و الحصول فی جملته، فلما حصل علی بصری، (اقطع المقیمن بها(1)) اقطاعا یکفیها و رجالها و أجابهما إلی ذلک، و وفی لهما بما قرره معهما حسب ما تقدم به الشرح.

سنه خمسمائه

فیها تزاید فساد الأفرنج فی أعمال السواد و حوران و جبل عوف، و انتهت الأخبار بذلک و شکا أهلها إلی ظهیر الدین أتابک فجمع العسکر، و من انضاف إلیه من الترکمان، و نهض بهم و خیم فی السواد، و کان الأمیر عز الملک الوالی بصور قد نهض منها فی عسکره إلی حصن تبنین(2) من عمل الأفرنج، فهجم ربضه، و قتل من کان فیه و نهب و غنم، و اتصل الخبر ببغدوین ملک الأفرنج، فنهض إلیه من طبریه، و نهض أتابک إلی حصن بالقرب من طبریه فیه جماعه من فرسان الأفرنجیه، فقاتله و ملکه، و قتل من کان فیه و انکفأ إلی المدان(3) و عاد الأفرنج إلیه، فلما قربوا منه اندفع العسکر إلی ناحیه زرا(4)، و تلاقت طلائع الفریقین و عزموا علی المصاف و الالتقاء، و قد قویت نفوس المسلمین، فلما کان من غد ذلک الیوم، رکب العسکر، و قد تأهب للقاء

1- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.
2- فی معجم البلدان: تبنین بلده فی جبال بنی عامر المطله علی بلد بانیاس بین دمشق و صور.
3- لم أجد هذا الموقع فی المصادر المتوفره، و هو لا شک علی مقربه من منطقه الشیخ مسکین الحالیه فی سوریه.
4- هی بلده ازرع الحالیه فی حوران- انظر معجم البلدان.

على تلک النیه و زحفوا إلی موضع مخیمهم، فصادفوهم و قد رحلوا عائدین إلی طبریه، ثم منها إلی عکا، فعاد ظهیر الدین عند ذلک فی العسکر إلی دمشق.

و کانت الأخبار متناصره فی هذه السنه باهتمام السلطان غیاث الدنیا و الدین محمد بن ملک شاه بمحاصره قلعه الباطنیه المعروفه بشاه دز المجاوره لأصفهان، و الجد فی افتتاحها، و حسم أسباب الفساد المتوجه علی البلاد من المقیمین بها، و توجه إلیها(1) فی عساکره الدثره المتناهیه فی القوه و الکثره، و لم یزل منازلها و مضایقها، إلی أن منحه الله تعالی افتتاحها و الاظهار علی من فیها، و ملکها بالسیف قهرا، و قتل من کان فیها من الباطنیه قسرا، و هدمها و أراح العالم من الشر المتصل منها، و البلاء المبثوث من أهلها(2)، و أنشأ کتاب الفتح بوصف الحال فیها إلی سائر أعمال المملکه لیقرأ علی (82 ظ) المنابر و یستنزل فی معرفه کل باد و حاضر أمیر الکتاب أبو نصر بن عمر الأصفهانی، کاتب السلطان، و بلاغته فی الکتابه معروفه مذکوره، و فصاحته فی إنشائه موصوفه مشهوره، و ذکرت مضمونه فی هذا الموضع، لیعلم من یقف علیه شرح حال هذه القلعه، و ما من الله به علی أهل تلک البلاد من الراحه من شر أهلها، و أذیه المقیمین بها و نسخته بعد العنوان و الطغراء:

بسم الله الرحمن الرحیم

و هو [إلی] الوزیر الأجل مجد الدین شرف الاسلام ظهیر الدوله زعیم المله بهاء الأمه فخر الوزراء أبو المعالی هبه الله بن محمد بن المطلب رضی أمیر المؤمنین.

1- فی الأصل« عنها» و ما أثبتناه أقوم.
2- بنی هذه القلعه السلطان ملکشاه، و قد استولی علیها فیما بعد الزعیم الاسماعیلی أحمد بن عبد الملک بن عطاش، و قد تحدث سبط ابن الجوزی فی أخبار سنه- 500- عن سقوطها للسلطان محمد بعد حصار دام سنه.

أما بعد أطال الله بقاء الوزير- و ألقابه(1)-، و أدام تأييده و تمهيده، و أحسن من عوائده مريده، فإن الله تعالى يقول و قوله الحق: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ(2) و لقد آتانا الله و له الحمد من هذا الفضل، ما صرنا به أطول الملوک فى الاسلام باعا، و أعزهم فى الذب عن حريمه أشياعا و أتباعا، و أشدهم عند الحفيظه له بأسا، و أطهرهم من درن الشبهه فيه لباسا، و أقصدهم فى اقتفاء الحق المبين أنحاء، و أثقلهم على أعداء الله و أعداء الدين المنير و طأه و انحاء، فلا تتجه عزائمنا لمهم فى ذلک إلا حققنا الفيصل، و طبقنا المفصل، و فرينا الفرى، و اقتدحنا من الزناد الورى، و أعدنا الحق جذعا، و انف الباطل مجدعا، نعمه من الله تعالى اختصنا بها من دون سائر الأنام، و أحلنا من التفرد بمزاياها فى الذروه و السنام، فالحمد لله على ذلک حمدا يوازى قدر نعمه، و يمترى المزيد من مواد كرمه، ثم الحمد لله على ما يسرنا له من إعزاز الدين، و رفع عماده، و قمع اضداده، و استئصال شأفه الباطنيه الناهضين لعناده، الذين استركوا العقول الفاسده فاستغووها بأباطيلهم، و استهووها بأضاليلهم، و اتخذوا دين (83 و) الله هزوءا و لعبا(3)، بما لفقوه من زخارف أقاويلهم، سيما ما سنّى الله من فتح الفتوح، و هيأ أسبابه من النصر الممنوح بأخذ قلعه شاه دز التى شمخ بها الجبل و بذخ، و كان الباطل باض فيها و فرخ، و كانت قذى فى عيون الممالک و سببا إلى التورط بالمسلمين فى المهاوى و المهالک، و مرصدا عليهم بالشراره و النكاره، حيثما ينحونه من المسالک، و فيها ابن عطاش الذى طار عقله فى مدرج الضلال و طاش،

1- كذا فى الأصل.
2- القرآن الكريم- المائده: 54.
3- انظر سوره المائده: 57.

و كان يرى الناس نهج الهدى مضله، و يتخذ السفر المشحون بالأكاذيب مجله، و يستبيح دماء المسلمين هدرا، و يستحل أموالهم غررا، فكم من دماء سفكت، و حرم انتهكت، و أموال استهلكت، و ترات تجرعتها النفوس فما استدركت، و لو لم يكن منهم إلا ما كان عند حدثان أمرهم بأصفهان من اقتناص الناس غيله، و استدراجهم خديعه، و قتلهم إياهم بأنواع العقوبات قتله شنيعه، ثم فتكهم عودا على بدء بأعيان الحشم و خيار العلماء، و إراقتهم ما لا يعد و لا يحصى من محرمات الدماء، إلى غير ذلک من هنات يمتعض الاسلام لها أى امتعاض، و ما الله عن المسلم أن يتميز لها براض، لكن حقا علينا أن نناضل عن حمى الدين، و نركب الصعب و الذلول فى مجاهدتها و لو إلى الصين.

و هذه القلعه كانت من أمهات القلاع، التى انقطع إليها رؤوس الباطنيه كل الانقطاع، فكان تبث الحبائل منها فى سائر الجهات و الأقطار، و ترجع إليها نتائج الفساد رجوع الطير إلى الأوكار فى العزه و المنعه مثل مناط الشمس التى (تنال)(1) منها حاسه البصر دون حاسه اللمس، ترد الطرف كليلا، و تعد العدد الدثر فى محاصرتها كليلا، و كأنها و هى أعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق، فهى بهذه الصفه مقابله لبلد أصفهان، التى هى مقر الملک، و دار الثواء، و أولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن و اختلاف الأهواء، و نحن نقيم بها طول هذه المده المديده، و ندبر أمرها إلى ما يصوبه الرأى من الحيله و المكيده، و أمامنا من المستخدمين و أصحاب (83 ظ) الدواوين نفر تصغى إليهم أفئدتهم، فيما كانوا عليه من مخالفه الدين، يتوصلون بمكرهم إلى نقض ما يبرم، و تأخير ما تقدم، و يوهمون أنها من النصائح التى تقبل و تلزم، حتى تطاول دون ذلک الأمد، و بان من القوم المعتقد، و اتضح لنا من مصائب التدبير ما يعتمد، و كنا فى خلال هذه الأحوال لم نخل هذه القلعه من

1- زياده من مرآه الزمان- أخبار سنه 500 ه

طائفه تهزهم حميه الدين من الجند، ينتهون من التضييق عليها إلى غايه من الجد، فيتوفرون على محاصرتهم و مصابرتهم، و يتشمرون لمزاولتهم و مصاولتهم، و يقعدون لهم بكل مرصد، و يسدون كل متنزل و مصعد، حتى انقطعت عنهم المواد، و خانتهم المير و الأزواد، و اضطروا إلى أن نزل بعضهم على حكم الأمان بعد الاستئمار و الاستئذان، فأمرنا بتخليه سربهم، و إيمان سربهم، و سلم الشطر من القلعه لخلوه من الفئه النازله، و اعتصم ابن عطاش بقله أخرى تسمى دالان، مع نخب أصحابه من المقاتله، و هذه القله هى أمنع المواضع من القلعه و أحصنها و أوعرها مسلكا و أحزنها، فقد نقل إليها ما كان بقى لهم من الميره، و سائر ما يستظهر به من السلاح و الذخيره على أن يلبثوا بها أياما معدوده، فينزلوا و يبذل لهم الأمان مثل ما بذل للأولين، فيتخولوا كل ذلک بوساطه من قدمنا ذكرهم من المستخدمين فى الدواوين، و فى باطن الأمر خلاف ما يتوهم من الإعلان، و ذلک أنهم قدروا أن ما سلم من القلعه يترک على عمارته و مكانته، و ما امتنع به من القله لا يقدر عليه لمنعته و حصانته، فهو يتوصلون بتمكنهم من ذلک الجبل، إلى سرقه ما سلموه آنفا ببعض الحيل، هذا و قد كفوا مؤن من نزل من الأكله، و عندهم الكفاف لمن بقى من العمله، ففطنا لما عمدوا و عليه اعتمدوا، و أمرنا فى الحال بالقلعه المسلمه فنسفت نسفا، و خسفت بها خسفا، و صير سفلها علوا، كما كان علوها خلوا، ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملک و الدين، حتى ساقهم الحين المتاح إلى حين.

فلم يفلت منهم صاحب و لا مصحوب إن الشقاء على الأشقين مصبوب

و وافق ذلک حلول الموعد لنزول باقى القوم من دالان، فأبوا إلا المطل و الليان، فلما مضت أيام على ذلک، أظهروا التمرد و العصيان، فصاروا كما قال الله تعالى وَ مِنَ (84 و) يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِکَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِکَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيا خِزْىٌ

وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِیمٌ(1) فعند ذلک استخرنا بالله تعالی تجرید العزائم لهذا الجهاد، الذی هو عندنا من أنفس العزائم، و لا نخاف فیها لومه لائم، و أهبنا بمن حضرنا من العساکر المنصوره إلی الإحداق بالقلعه المذکوره یوم الثلاثاء ثانی ذی الحجه، فنزلوا لفنائها محتشدین و لصدق اللقاء متشمرین متجردین، و جرت مناوشه عشیه هذا الیوم أثخنت عده من أولئک القوم، و بات المسلمون لیلتهم تلک علی أضم، و الملحدون لحما علی وضم، فلما تنفس الصبح و غردت الدیوک الصدح، و طوی اللیل رداءه، و رفع الفجر لواءه، نصر الله الحق و أدال الدین، فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِینَ(2)، و عدت جیوش النصر یدا واحده، و کلمه علی التظافر و التظاهر مساعده، تسطو بالفئه المتحصنه بالقلعه، سطوه اللیث الهصور، و کأنهم طاروا بأجنحه الصقور، علی صم الصخور، فلم یلبثوا قبل ذرور الشمس بقرنها، و أخذها الناصع من لونها، أن أخذوا القلعه عنوه و قهرا، و أجروا من دماء الباطنیه الملحده نهرا، فلم یئل منهم وائل، و لا أخطأهم من السیوف البواتر وائل، و أمرنا فی الحال بهدمها، و التعفیه علی ردمها، فلم یبق بها نافخ ضرمه، و لا أثر من نسمه، و لا مدر علی أکمه، و أسر ابن عطاش رأس الجالوت، و ولی الطاغوت، الذی کان ممن قال الله تعالی فیه: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی النَّارِ(3) فجعلناه و ولده المقرون به مثله للنظار، و عبره لأولی الأبصار، فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِینَ ظَلَمُوا، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ(4) هذا الفتح المبین، و العزه التی یتلألأ بها من الدهر الحین، و النعمه التی تمت و عمت و أخنت بالنقمه علی أعداء الله و رسوله و طمت، و ما ذاک إلا من برکات عقائدنا الناصعه، فی موالاه الدوله

1- القرآن الکریم- المائده: 41
2- القرآن الکریم- الصافات: 177.
3- القرآن الکریم- القصص: 41.
4- القرآن الکریم- الأنعام: 45

العباسيه، ظاهر الله مجدها، و ما يلتزمه فى فرضها من فضل المناصحه و المشايعه فيها، نحن نسطو بالأعادى، و نكفى من اعتراض النوائب كل العوادى، و نسوس الدهماء من الحواضر و البوادى.

و هذه البشرى، التى يهنأ بها الإسلام و ترفع بها من الاشاده بذكرها فى الخافقين الأعلام (384) أمرنا بنشرها فى الأقصى و الأدنى لا سيما الدار العزيزه(1) ظاهر الله مجدها فإنها أولى من يبشر بمثلها، و يهنأ، و أهبنا بالأمير عز الدوله إلى إيصال هذه البشاره إلى الديوان العزيز النبوى، أعلى الله جده، فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمه، و يعلمه ما نحن بصدده من الاعتراف بقدر هذه النعمه، و هذا الأمير كان من المندوبين أولا و آخرا، لمحاصره هذه القلعه فأبلى فيها بلاء حسنا جميلا، و أغنى غناء لم نجد له فيه عديلا، و لذلک ما اختصصناه بهذه المزيه، و آثرناه بإبلاغ هذه البشرى الهنيه، و المعول تام على الاهتمام الوزيرى، فى إلقائها إلى المقار المعظمه النبويه، ليعلم من صدق نهضتها بالخدمات، و عدنا المسعاه فى إعزاز الدين من أوجب المهمات، ما يزلفنا من شريف المراضى، و يفرض لنا من المحامد و المآثر التامه على الأبد أكرم الأحاظى، و ان يتقدم فى حق المبشر ما هو على الدوله ثبتها الله متعين، حتى يعود و لما يستحسن من موقع هذه البشاره عليه أثر بين، و الوزير أولى من اغتنم هذه المكرمه فاعتنقها، و تمكن من عصمه الرأى السديد فاعتقلها، و استحمد إلينا بما يتكلفه من جميل مساعيه، و يتكفله بالاهتزاز و الاهتمام فيه من سائر ما يلاحظه من الأمور و يراعيه، إن شاء الله تعالى.

و كتب بالأمر العالى شفاها فى ذى القعده سنه خمسمائه.

و فى هذه السنه تتابعت المكاتبات إلى السلطان غياث الدنيا و الدين محمد بن ملک شاه، من ظهير الدين أتابک، و فخر الملک بن عمار، صاحب طرابلس بعظيم ما ارتكبه الأفرنج من الفساد فى البلاد، و تملک

1- دار الخلافه، فالرساله مرسله إليها، أو بالحرى إلى وزيرها.

المعاقل و الحصون بالشام و الساحل، و الفتک فی المسلمین، و مضایقه ثغر طرابلس، و الاستغاثه إلیه، و الاستصراخ و الحض علی تدراک الناس بالمعونه، فندب السلطان لما عرف هذه الحال الأمیر جاولی سقاوه، و أمیر من مقدمی عسکره کبیرا فی عسکر کثیف من الأتراک، و کتب إلی بغداد، و إلی الأمیر سیف الدوله صدقه بن مزید، و إلی جکرمش صاحب الموصل بتقویته بالمال و الرجال علی الجهاد، و المبالغه فی إسعاده و إنجاده، و أقطعه الرحبه و ما علی الفرات، فثقل أمره علی المکاتبین، فدافعه ابن مزید، و سار نحو الموصل یلتمس من جکرمش ما وقع به علیه، فتوقف عنه فنزل (85 و) علی قلعه السن(1) و نهبها، و اجتمع إلیه خلق کثیر، و خرج جکرمش إلی لقائه فظفر به جاولی سقاوه و استباح عسکره، و انهزم ولده إلی الموصل، فضبطها، و توجه وراءه، و قتل جکرمش أباه، و أنفذ رأسه إلی الموصل، فلما عرف ولده ذاک کاتب قلج أرسلان بن قتلمش یستنجده من ملطیه، و یبذل له تسلیم البلاد و الأعمال التی فی یده إلیه، و کان جکرمش قد جمع مالا عظیما من الجزیره و الموصل، و کان جمیل السیره، (2) فی الرعیه، عادلا فی ولایته، مشهورا بالانصاف فی أعمال إیالته، فلما عرف قلج أرسلان بن سلیمان ما کتب به إلیه ولد جکرمش، أجابه إلی ملتمسه، و سار نحوه فی عسکره، و وصل إلی نصیبین، و استدعی ابن جکرمش من الموصل، فسار إلیه، و دخل قلج أرسلان إلی نصیبین، لأنه کان فی بعض عسکره و باقیه فی بلاد الروم لإنجاد ملک القسطنطینیه علی الأفرنج، و لما تقارب عسکر قلج من عسکر جاولی سقاوه، و التقت طلائع الفریقین ظفر قوم من أصحاب قلج بقوم من أصحاب جاولی فقتلوا بعضا، و أسروا بعضا، فرحل جاولی

1- السن بلیده علی دجله فی أعلی تکریت، عندها یصب الزاب الأصغر إلی دجله. تقویم البلدان: 288- 289.
2- فی الأصل« الصوره» و هی تصحیف صحح من مرآه الزمان حیث ینقل روایه ابن القلانسی هذه- أخبار سنه- 500 ه.

يطلب عسكر قلج، و قد عرف أنه قد أنفذ يستدعى بقيه عسكره من بلاد الروم، و أنه فى قل، و طلب ناحيه الخابور، و توجه منها إلى الرحبه، و نزل عليها و ضايقها، و راسل محمدا و اليها من قبل الملک شمس الملوک دقاق صاحب دمشق- و عنده الملک أرتاش بن تاج الدوله الهارب من دمشق بعد وفاه الملک دقاق أخيه مقيما- بالتسليم، إليه، فلم يحفل بمراسلته، و آيسه من طلبته، فأقام عليها مضايقا لها مده.

و وصل إليه الأمير نجم الدين ايل غازى بن أرتق، فى جماعه وافره من عسكره التركمان، و استنجد عليها بالملک فخر الملوک رضوان، فوصل إليه فى عسكره بعد أن هادن طنكرى صاحب أنطاكيه، فلما فصل عن حلب، و عرف جوسلين صاحب تل باشر بعده عن حلب، واصل الغارات على أعمالها من جميع جهاتها، و لم يزل جاولى مقيما على الرحبه منذ أول رجب و إلى الثانى و العشرين من شهر رمضان، و زاد الفرات زيادته المعروفه، فركب أصحاب جاولى الزواريق و صعدوا (85 ظ) طالبين سور البلد بمواطأه من بعض أهل البلد، فلم يتهيأ لهم أمر مع من و اطأهم، بل هجموا السور، و ملكوا البلد و نهبوه، و صادروا جماعه من أهله، و استخرجوا ذخائرهم بالعقوبه، ثم أمر جاولى برفع النهب، و أمن الناس وردهم إلى منازلهم، و تسلم القلعه بعد خمسه أيام، فى الثامن و العشرين من شهر رمضان، و أقر إقطاع محمد و اليها عليه و استخلفه، و قبض عليه بعد أيام لأمر بلغه عنه، فأنكره منه، و اعتقله فى القلعه، و حصل الملک أرتاش فى جمله سقاوه، و لم يتمكن من التصرف فى نفسه، و كان محمد هذا الوالى قد راسل قلج أرسلان بن سليمان أولا بالاستصراخ به، و طلب المعونه على دفع جاولى عن البلد، فتوجه نحو الرحبه فى عسكره، و بلغه خبر فتحها، فعاد و نزل على الشمسانيه(1) و لم

1- فى الأصل: السمانيه و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا مما نقله سبط ابن الجوزى عن ابن القلانسى. و فى معجم البلدان: الشمسانيه بليده بالخابور.

یکن فی نیته لقاء جاولی، و رحل جاولی و نزل ماکسین(1) و عزم علی التوجه إلی ناحیه الموصل، و معه فخر الملوک رضوان فاتفق أنهم قصدوا عسکر قلج، فالتقی الفریقان فی یوم الخمیس التاسع من شوال، و کان الزمان صیفا و اشتدت و قده الحر، و حمیت الرمضاء، فهلک أکثر خیل الفریقین، و حمل عسکر قلج أرسلان علی عسکر جاولی، و قصد جاولی قلج أرسلان فی الحمله و ضربه بالسیف عده ضربات، فلم تؤثر فیه، و انهزم عسکر قلج أرسلان، و فصل عنه صاحب آمد وقت الحرب، مع صاحب میافارقین، و انهزم الباقون، و وقع السیف فی أصحاب قلج أرسلان، و سقط قلج مع الهزیمه فی الخابور فهلک فی الماء، و لم یظهر، و بعد أیام وجد هالکا(2).

و عاد جاولی إلی الموصل(3)، و عاد عنه الملک فخر الملوک رضوان إلی

1- مدینه بالجزیره علی الخابور، بینها و بین قرقیسیا سبعه فراسخ و بین ماکسین و بین سنجار اثنان و عشرون فرسخا. تقویم لابلدان: 282- 283.
2- فی تاریخ میافارقین: 272- 273 فی أخبار سنه 498 ه،« و فی هذه السنه أنفذ الوزیر ضیاء الدین محمد الذی کان رتبه الملک بمیافارقین] إلی السلطان قلج أرسلان بن سلیمان بن قتلمش یستدعیه إلی میافارقین، و کان الملک سلیمان بن قتلمش قد ورد من عند ملکشاه و فتح بلاد الروم، و ملطیه و أقصرا- و الأصل« آق سرا» أی مدینه بیضاء- و قونیه و سیواس، و جمیع ولایه الروم، و بقی فیها، و استبد بها، فلما مات ولی ولده قلج أرسلان، فلما أنفذ إلیه الوزیر محمد حضر، و دخل میافارقین فی سابع عشرین جمادی الأولی سنه ثمان و تسعین و أربعمائه، و ملک میافارقین و بقی مده، و استوزر الوزیر محمد، و حضر إلی خدمته أمراء جمیع دیار بکر: الأمیر ابراهیم صاحب آمد، و السبع الأحمر من أسعرد، و سکمان بن أرتق، و الأمیر شاروخ و حسام الدین، و ولی میافارقین مملوک أبیه خمرتاش السلیمانی، و کان أتابکه، و خرج من میافارقین و أخذ معه الوزیر محمد، و أقطعه مدینه أبلستین، و أقام بملطیه، و جمع العساکر، و عاد نزل إلی باب الموصل، و صافف جاولی سقاوه مملوک السلطان محمد فکسره سقاوه، و عاد منهزما و غرق فی الخابور سنه تسع و تسعین و أربعمائه».
3- یبدو أن الفارقی صاحب تاریخ میافارقین کتب کتابه هذا أکثر من مره، و کان فی کل مره یزید أو یحذف أو یعدل، فقد نقل عنه سبط ابن الجوزی- أخبار سنه 500 ه- معلومات أعم فائده مما أثبتناه فی الصفحه الماضیه و

جاء فيها:« و قال صاحب تاريخ ميافارقين أن السلطان محمد بعث جاولى لحرب الفرنج، و كتب إلى أمراء البلاد بطاعته، فلما وصل الموصل أنف جكرمش أن يتأمر عليه جاولى، فحاربه فهزمه جاولى، فدخل الموصل مجروحا، فأقام يومين و مات، و استنجد ولده بقلج أرسلان- و قيل اسمه ابراهيم بن سكمان- صاحب آمد، و سار جاولى إلى حلب لينجد رضوان على الفرنج، و جاء قلج فدخل الموصل، و استولى عليها،- - و خطب لنفسه بعد الخليفه، و أسقط خطبه السلطان محمد شاه، و بلغ جاولى و هو على حلب، فعاد إلى الموصل، فخرج إليه قلج فاقتتلا قتالا شديدا، و أحيط بقلج و بأصحابه، فألقى نفسه فى الماء فغرق، و دخل جاولى الموصل، و كان بها مسعود بن قلج أرسلان، و هو صبى، فقبض عليه، و بعث به إلى السلطان، فاعتقله مده، ثم أفلت، فأتى ملطيه و بها بعض مماليک أبيه، فأطاعه، و تقررت له المملكه ببلاد الروم، فمسعود هذا جد ملوک الروم».

حلب خوفا منه، و أخذ جاولى نجم الدين ايل غازى بن أرتق، و طالبه بالمال الذى أنفقه فى التركمان، فصالحه على جمله يدفعها إليه، و أخذ رهائنه عليها إلى أن يؤديها، و أقام به بها فيما بعد.

و قد كان قلج أرسلان أنفذ بعض مقدمى أصحابه إلى بلاد الروم، فى خلق كثير من التركمان، لإنجاد ملک القسطنطينيه على بيمند و من معه من الأفرنج الواصلين إلى الشام، فانضافوا إلى ملک الروم و ما حشده من عساكر الروم، فلما اجتمع للفريقين ما اجتمع رتبوا (86 و) المصاف، و التقوا فاستظهر الروم على الأفرنج، و كسروهم كسره شنيعه أتت على أكثرهم بالقتل و الأسر، و تفرق السالم الباقى منهم عائدين إلى بلادهم، و فصل أصحاب قلج أرسلان الأتراک إلى أماكنهم، بعد أن أكرمهم، و خلع عليهم، و أحسن إليهم.

و لما عاد جاولى سقاوه، عن الرحبه، و نزل على الموصل، راسل أهلها و الجند بها، فلم يمكنهم المدافعه له عنها، و لا المراماه دونها، فسلموها إليه بعد أخذ الأمان منه على من حوته، و كان ولد قلج قد دخلها، فقبض عليه و سيره إلى السلطان محمد، و لم يزل مقيما عنده إلى أن هرب من المعسكر فى أوائل سنه ثلاث و خمسمائه، و عاد إلى مملكه أبيه ببلاد الروم، و يقال أنه لما وصل إليها عمل على ابن عمه، و قتله و استقام له أمر المملكه بعده.

و فى هذه السنه وصل إلى دمشق الأمير الأصفهبذ التركمانى من ناحيه عمله، فأكرمه ظهير الدين، و أحسن تلقيه، و أقطعه وادى موسى و مآب و الشراه و الجبال و البلقاء، و توجه إليها فى عسكره، و كان الأفرنج قد

نهضوا إلى هذه الأعمال، و قتلوا فيها و سبوا و نهبوا ما قدروا عليه منها، فلما وصل إليها وجد أهلها على غايه من الخوف، و سوء الحال عما جرى عليهم من الأفرنج فأقام بها.

و نهض الأفرنج إليه لما عرفوا خبره من ناحيه البريه، و نزلوا بإزاء المكان الذى هو نازل به، و أهملوه إلى أن وجدوا الفرصه فيه فكبسوه على غره، فانهزم فى أكثر عسكره، و هلک باقيه، و استولوا على سواده، و وصل إلى عين الكتيبه من ناحيه حوران، و العسكر الدمشقى نازل عليها، فتلقاه ظهير الدين متوجعا بما جرى عليه، و مسليا عما ذهب منه و عوضه، و أطلق له ما صلحت به الحال.

سنه إحدى و خمسمائه

فيها جمع ملک الأفرنج بغدوين حزبه المفلول، و عسكره المخذول، و قصد ثغر صور، و نزل بإزائه، و شرع فى عماره حصن بظاهرها على تل المعشوقه، و أقام شهرا، و صانعه و اليه على سبعه آلاف دينار، فقبضها منه و رحل عنه.

و فيها وردت الأخبار بوصول عسكر السلطان غياث الدنيا و الدين محمد إلى بغداد فى آخر (86 ظ) شهر ربيع الآخر منها، و أعلن الأمير سيف الدوله صدقه بن مزيد العصيان عليه، خوفا لما بلغه من إفساد شحنه بغداد، (و عميدها حاله معه، و لم يزل السلطان مقيما ببغداد(1)) إلى العشرين من رجب فاجتمع إليه تقدير ثلاثين ألف فارس، و اجتمع مع صدقه تقدير عشرين ألفا فى الحله، و بينهما أنهار و مواحل فى الحله، فآثر السلطان مراسلته فى تقرير أمره، و الصفح [عنه](2) و ايقاع مهادنه و موادعه تستقيم معها الأحوال، و تصلح بها الأعمال، فأبى ذلک كافه

1- سقط بالأصل استدرک من مرآه الزمان- أخبار سنه 501- حيث الروايه عن ابن القلانسى.
2- زياده من مرآه الزمان.

الأمراء و المقدمين، و امتنعوا عن الإهمال لأمره، و نهضوا إليه، فلما عرف الحال قطع الأنهار، و وصل فى جمعه حتى صار بإزائهم، و حمل بعض الفريقين على بعض، و نشبت الحرب بينهم، و كان منزل صدقه بن مزيد كثير الوحل عسر المجال، فترجل الأتراک عن خيلهم، [و جثوا على ركبهم] (1) و حبوا عليها، و أطلقوا السهام، و شهروا الصفاح، و شرعوا الرماح، و فعل مثل ذلک أصحاب صدقه، و التقى الجيشان، و نظر صدقه إلى أصحابه و السهام قد شكت خيولهم، و قد أشرفوا على الهلاک، و ظن الأتراک أنهم قد انهزموا، فركبوا أكتافهم رشقا بالسهام، و ضربا بالسيوف، و طعنا بالرماح، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، و قتل الأمير صدقه ابن مزيد فى الجمله، و وجوه رجاله، و لم يفلت منهم إلا اليسير ممن حماه الأجل، و استطار قلبه الخوف و الوجل، و كان السلطان قد اعتمد فى تدبير الجيش و ترتيب الحرب على الأمير مودود المستشهد بيد الباطنيه فى جامع دمشق(2) و وصل السلطان غد يوم الوقعه و نزل الحله.

و لم يكن للعرب صدقه مثله فى البيت و التقدم، و إحسان السيره فيهم، و الانصاف لهم، و الإنعام عليهم، و كرم النفس، و جزيل العطاء، و حسن الوفاء، و الصفح عن الجرائر، و التجاوز عن الجرائم و الكبائر، و التعفف عن أموال الرعيه، و إحسان النيه للعسكريه، غير أنه كان مع هذه الخلال الجميله و المآثر الحميده، مطرحا لفرائض الشريعه، متغافلا عن ارتكاب المحارم الشنيعه، مستحسنا لسب الصحابه رضى الله عنهم، فكان ما نزل به عليه عاقبه هذه الأفعال الذميمه، وَ ما رَبُّکَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(3).

و توجه السلطان بعد تقرير أمر الحله عائدا إلى أصفهان (87 و) فى أوائل شوال من السنه، و قد قرر مع الأمير مودود و العسكر قصد

1- زيد ما بين الحاصرتين من مرآه الزمان.
2- سيأتى خبر ذلک. انظر الدعوه الاسماعيليه الجديده: 119.
3- القرآن الكريم- الأنعام: 132.

الموصل، و منازلتها و التضييق عليها، و التملک لها، فرحل مودود و العسکر، و نزل علی الموصل، و کان جاولی صاحبها قد أخرج أکثر أهلها منها، و أساء أصحابه السیره فیها، و ارتکبوا کل محرم منها، و مضی إلی الرحبه و استناب فیها من وثق به من أصحابه، فی حفظها، و أقام العسکر السلطانی علیها مده، و عمد سبعه نفر من أهلها علی الموطأه علیها، و فتحوا بابا من أبوابها، و سلموها إلی مودود، و دخلها و قتل مقتله کبیره من أصحاب جاولی، و أمن من کان فی القلعه، و حملهم و ما کان معهم إلی السلطان.

و فی شعبان من هذه السنه اشتد الأمر بفخر الملک بن عمار بطرابلس، من حصار الأفرنج، و تطاول أیامه، و تمادی الترقب لوصول الإنجاد، و تمادی تأخر الإسعاد، فأنفذ إلی دمشق یستدعی وصول الأمیر أرتق بن عبد الرزاق، أحد أمراء دمشق إلیه، لیتحدث معه بما فی نفسه، فأجابه إلی ذلک، و استأذن ظهیر الدین فی ذلک، فأذن له، و توجه نحوه و قد کان فخر الملک خرج من طرابلس فی البر فی تقدیر خمسمائه فارس و راجل، و معه هدایا و تحف أعدها للسلطان عند مضیه إلیه إلی بغداد، فلما وصل أرتق إلیه و اجتمع معه، تقررت الحال بینهما علی وصوله إلی دمشق فی صحبته، فوصل إلیها و أنزل فی مرج باب الحدید بظاهرها، و بالغ ظهیر الدین فی إکرامه، و تناهی فی احترامه، و حمل إلیه أمراء العسکریه و مقدموه من الخیل و البغال و الجمال و غیر ذلک ما أمکنهم حمله و اتحافه به، و کان فخر الملک المذکور قد استناب عنه فی حفظها أبا المناقب ابن عمه، و وجوه أصحابه و غلمانه، و أطلق لهم واجب سته أشهر، و استحلفهم و توثق منهم، فأظهر ابن عمه الخلاف له و العصیان علیه، و نادی بشعار الأفضل بن أمیر الجیوش بمصر، فلما عرف فخر الملک ما بدا منه کتب إلی أصحابه یأمرهم بالقبض علیه، و حمل إلی حصن الخوابی(1)، ففعل

1- سیکون بین حصون الدعوه الاسماعیلیه فی منطقه مصیاف. انظر تقویم البلدان: 229.

ذلک، و توجه فخر الملک إلی بغداد، و معه تاج الملوک بوری بن ظهیر الدین أتابک، و قد کان أتابک عرف أن جماعه ممن یحسده فی باب (87 ظ) السلطان، و یقع فیه بالسعایه، و یقصده بالأذیه و إفساد الحال عند السلطان، فأصحب ولده المذکور من الهدایا و التحف من الخیول، و الثیاب، و غیر ذلک مما یحسن إنفاذ مثله، و استوزر له أبا النجم هبه الله ابن محمد بن بدیع، الذی کان مستوفیا للسلطان الشهید تاج الدوله، و جعله مدبرا لأمره، و سفیرا بینه و بین من أنفذ إلیه، و توجه فی الثامن من شهر رمضان سنه إحدی و خمسمائه، فلما وصلا إلی بغداد لقی فخر الملک من السلطان الإکرم و الاحترام ما زاد علی أمله، و تقدم إلی جماعه من أکابر الأمراء بالمسیر معه لمعونته و إنجاده علی طرد محاصری بلده، و الایقاع بهم، و الابعاد لهم، و قرر مع العسکر المجرد معه الإلمام بالموصل، و انتزاعها من یدی جاولی سقاوه، ثم المصیر بعد ذلک إلی طرابلس، فجری ما تقدم به الشرح من ذلک، و طال مقام فخر الملک، طولا ضجر معه، و عاد إلی دمشق فی نصف المحرم سنه اثنتین و خمسمائه.

فأما تاج الملوک بن ظهیر الدین فجری أمره، فیما نفذ لأجله، علی غایه مراده و نهایه محابه، و صادف من السلطان فی حق أبیه و حقه ما سره، و عاد منکفئا إلی دمشق بعد ما شرف به من الخلع السنیه الإمامیه و السلطانیه، و وصل إلی دمشق آخر ذی الحجه من السنه.

و أقام فخر الملک بن عمار فی دمشق بعد وصوله إلیها أیاما، و توجه منها مع خیل من عسکر دمشق جردت معه إلی جبله، فدخلها و أطاعه أهلها، و أنفذ أهل طرابلس إلی الأفضل بمصر یلتمسون منه إنفاذ وال یصل إلیهم فی البحر، و معه الغله و المیره فی المراکب لتسلم إلیه البلد، فوصل إلیهم شرف الدوله بن أبی الطیب والیا من قبل الأفضل، و معه الغله فلما وصل إلیها، و حصل فیها، قبض علی جماعه أهل فخر الملک بن عمار و أصحابه، و ذخائره و آلاته و أثاثه، و حمل الجمیع إلی مصر فی البحر.

و فی هذه السنه أسری ظهیر الدین أتابک فی عسکره إلی طبریه، و فرق عسکره فرقتین نفذ إحداهما إلی أرض فلسطین، و الأخری غار بها علی طبریه، فخرج إلیه صاحبها فی رجاله المعروف بجر فاس، و هو من مقدمی الأفرنج المشهورین بالفروسیه و الشجاعه (88 و) و البساله، و شد المراس، یجری مجری الملک بغدوین فی التقدم علی الأفرنج، فالتقاه و أحاطت خیل الأتراک به و بأصحابه، فقتل أکثرهم و أسر هو و جماعه معه، و حملوا إلی دمشق(1)، فأنفذ بعضهم هدیه إلی السلطان و قتل جرفاس و من کان معه فی الأسر من أصحابه بعد أن بذلوا فی إطلاقهم جمله من المال فلم یقبلها.

و فیها تقدم السلطان غیاث الدنیا و الدین محمد عند وصوله إلی بغداد برفع المکوس، و إبطال رسمها عن التجار و المسافرین فی جمیع بلاده، و حظر تناول الیسیر منها، فلما عاد إلی أصفهان منها، طمع فی التجار، و أخذ منهم المکس علی سبیل الخلاف لما أمر، فلما عاد إلی بغداد و انتهی الأمر إلیه أنکر ما جری فی مخالفه أمره، و وکد الأمر فی إبطال ذلک، و حذر من المخالفه له فی سائر البلاد.

و فیها وردت الأخبار من بغداد بوقوع النار فی الجانب الشرقی منها، فأحرقت ما یزید علی خمسمائه دار و افتقر أهلها.

و فیها تناصرت أخبار الباطنیه بقلعه ألموت و الحصون المجاوره لها فی إیغالهم فی الفساد، و إفاظه النفوس بالعدوان و الإلحاد، فأنهض السلطان وزیره أحمد بن نظام الملک خواجه بزرک، و معه جاولی سقاوه، فی عسکر

1- تحدث ولیم الصوری فی تاریخه- الترجمه الانکلیزیه: 1/ 538- 539 عن حمله طغتکین هذه لکنه لم یذکر جرفاس هذا بین رجال ملک القدس أو المدافعین عن طبریه. و أورد سبط ابن الجوزی هذا الخبر فقال:« و فیها أغار طغتکین علی طبریه، و بها جرفاس مقدم الفرنجیه و کان من أکبر الملوک، فخرج من طبریه، و التقوا فقتل أتابک منهم مقتله عظیمه، و أسر جرفاس و خواصه، فبذل فی نفسه أموالا عظیمه، فلم یقبل منه، و بعث به و بأصحابه هدیه إلی السلطان».

كثيف، فأظفره الله بهم، و نصره عليهم، و قتل منهم مقتله عظيمه، و خرب منازلهم و قلاعهم(1).

و فى هذه السنه نهض بغدوين فى عسكره المخذول من الأفرنج نحو ثغر صيدا، فنزل عليه فى البحر و البر، و نصب البرج الخشب عليه، و وصل الأسطول المصرى للدفع عنه، و الحمايه له فظهروا على مراكب الجنويه، و عسكر البر، و اتصل بهم نهوض العسكر الدمشقى لحمايه صيدا، و الذب عنها، فرحلوا عنها عائدين إلى أماكنهم.

سنه إثنتين و خمسمائه

فيها أنفذ صاحب عرقه(2) إلى ظهير الدين أتابک رسوله، يلتمس منه المعونه على دفع الأفرنج عنها، و إنفاذ من يتسلمها، فندب بعض ثقاته فتسلمها و أقام و اليها(3)، منتظرا وصول العسكر إليها، و الوفاء بما وعد به من الخلع عليه، و الاحسان إليه، فحدث فى (88 ظ) الوقت من الثلوج و الأمطار ما عاق المسير إليها، و قل القوت بها، و انقطعت الميره عنها، فبادر الأفرنج بالنزول عليها، و توجه ظهير الدين عند ذاک إليها، فصادفهم قد أحاطوا بها، و لم يتمكن من دفعهم عنها، و عاد إلى حصن الأكمه(4)، و نزل عليه و قاتله فلما عرف الأفرنج ذلک، نهضوا إليه فى

1- انظر كتاب الدعوه الاسماعيليه الجديده: 71.
2- كانت عرقه هى الخط الدفاعى الأول عن طرابلس، تقع على ساحل البحر و تبعد عن طرابلس مسافه اثنتى عشر ميلا، تقويم البلدان: 254- 255.
3- فى الأصل« واليا» و هى تصحيف صوابه ما أثبتنا.
4- لم أجد هذا الحصن فى المظان المتوفره، و فى الكامل لابن الأثير: 8/ 256 ما يفيد اثباته حول عرقه، فقد ذكر أن حصن عرقه و هو من الحصون المنيعه« انقطعت عنه الميره لطول مكث الفرنج فى نواحيه، فأرسل- صاحبه- إلى أتابک طغتكين صاحب دمشق، و قال له: أرسل من يتسلم هذا الحصن منى، قد عجزت عن حفظه، و لأن يأخذه المسلمون خير لى دنيا و آخره من أن يأخذه الفرنج، فبعث إليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل فى ثلاثمائه رجل يتسلم الحصن، فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل فى الأخلاط بسهم فقتله، و كان قصده بذلک أن يطلع أتابک طغتكين على ما

خلفه بالقلعه من المال، و أراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه و تقويته بالعساكر و الأقوات و آلات الحرب، فنزل الغيث و الثلج مده شهرين ليلا و نهارا، فمنعه، فلما زال ذلک سار فی أربعه آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الأکمه، فلما سمع» الفرنج ....

تقدیر ثلاثمائه فارس لانجاد من بالأکمه، فوصلوا إلیهم لیلا، فقویت نفوسهم، و اقتضی رأی أتابک الرحیل عنها بحکم من صار فیها منهم، فرحل کالمنهزم، و طمع فیه، و تتبع العسکر، فغنم من الخیل و الکراع غنیمه کبیره و تفرق العسکر فی الشجر و الجبال، و وصلوا إلی حمص علی أقبح صفه، و أشنع صوره، من غیر لقاء و لا محاربه، و عاد الأفرنج إلی عرقه، و عدم القوت فیها، فملکوها بالأمان.

و فیها استوزر ظهیر الدین أبا نجم هبه الله بن محمد بن بدیع الأصفهانی الذی کان مستوفیا للسلطان تاج الدوله، و کان قد وزر بعده لولده الملک رضوان بحلب، و بقی فی الوزاره مده، فی أوائل سنه اثنتین و خمسمائه، و أفسد قلب ظهیر الدین أتابک علیه مع ما کان فی قلبه فی الأیام التاجیه، فأمر بالقبض علیه و اعتقاله فی القلعه، و حمل ما کان فی داره، و قبض أملاکه، و أقام أیاما فی الاعتقال، ثم أمر بخنقه، فخنق و رمی فی جب بالقلعه، ثم أخرج و دفن فی المقابر.

و فی شعبان من هذه السنه وصل ریمند بن صنجیل، الذی کان نازلا علی طرابلس، من بلاد الافرنج فی جمله ستین مرکبا فی البحر، مشحونه بالأفرنج و الجنویین، فنزل علی طرابلس، و وقع بینه و بین السردانی ابن أخت صنجیل مشاجره، و وصل طنکری صاحب أنطاکیه إلیه لمعونه السردانی(1)، و وصل الملک بغدوین صاحب بیت المقدس فی عسکره فأصلح بینهم، و عاد السردانی إلی عرقه، و وجد بعض الأفرنج فی زرعها، فأراد ضربه فضربه الافرنجی فقتله، و لما بلغ الخبر ریمند بن صنجیل، وجه من تسلم عرقه من أصحابه.

و نزل الأفرنج بجموعهم و حشدهم علی طرابلس، و شرعوا فی قتالها و مضایقه أهلها منذ أول شعبان إلی الحادی عشر من ذی الحجه (89 و)

1- من أجل النزاع بین ولیم جوردان السردینی، و برتراند الابن الأکبر لریموند الصنجیلی و علاقه ذلک بحصار طرابلس، انظر طرابلس الشام فی التاریخ الاسلامی: 113- 116.

من السنه، و أسندوا أبراجهم إلى السور، فلما شاهد الجند و المقاتله و أهل البلد سقط فى أيديهم، و أيقنوا بالهلاک و ذلت نفوسهم لا سيما مع اليأس من تأخر وصول الاسطول المصرى فى البحر بالميره و النجده، و قد كانت عله الأسطول أزيحت، و سير و الريح ترده، لما يريد الله تعالى من نفاذ الأمر المقضى، فشد الأفرنج القتال عليها و هجموها من الأبراج، فملوكها بالسيف فى يوم الاثنين لإحدى عشره ليله خلت من ذى الحجه من السنه، و نهبوا ما فيها، و أسروا رجالها، و سبوا نساءها و أطفالها، و حصل فى أيديهم من أمتعتها و ذخائرها و دفاتر دار علمها، و ما كان منها فى خزائن أربابها ما لا يحد عدده، و لا يحصر فيذكر، و سلم الوالى بها و جماعه من جنده، كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها، فلما ملكت أطلقوا، و وصلوا إلى دمشق بعد أيام من فتحها، و عوقب أهلها و استصفيت أموالها، و استثيرت ذخائرهم من مكامنها، و نزل بهم أشد البلاء، و مؤلم العذاب(1).

و تقرر بين الأفرنج و الجنويين على أن يكون للجنويين الثلث من البلد، و ما نهب منه، و الثلثان لريمند بن صنجيل، و أفردوا للملک بغدوين من الوسط ما رضى به، و كان طنكرى لما لم ينل ما أراد من نصره السردانى، قد عاد و نزل على بانياس و افتتحها و أمن أهلها فى شوال من السنه، و نزل على ثغر جبيل و فيه فخر الملک بن عمار، و القوت فيه نزر قليل، فلم يزل مضايقا له و لأهله إلى يوم الجمعه الثانى و العشرين من ذى الحجه، فراسلهم و بذل لهم الأمان، فأجابوه إلى ذلک، فتسلمه بالأمان، و خرج منه فخر الملک بن عمار سالما، و قد وعده بإحسان النظر و الإقطاع.

و وصل عقيب ذلک الاسطول المصرى، و لم يكن خرج للمصريين فيما تقدم مثله كثره رجال و مراكب و عدد و غلال لحمايه طرابلس، و تقويتها

1- انظر كتاب طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى: 117- 131.

بالغله الكثيره و الرجال و المال لمده سنه، مع تقويه ما فى المملكه المصريه من ثغور الساحل و أهله، و وصل إلى صور فى يوم الثامن من فتح طرابلس، و قد فات الأمر فيها للقضاء النازل بأهلها، و أقام بالساحل مده و فرقت الغله فى جهاتها، و تمسک به أهل صور و صيدا (89 ظ) و بيروت، و شكوا أحوالهم و ضعفها عن محاربه الأفرنج، و لم يمكن الاسطول المقام، فأقلع عائدا عند استقامه الريح إلى مصر.

و فى شوال من هذه السنه وردت الأخبار بتملک الأمير سكمان القطبى مدينه ميافارقين بالأمان بعد الحصر لها و المضايقه لأهلها عده شهور، بعد أن عدم القوت بها، و اشتد الجوع بأهلها.

و فيها وصل بيمند صاحب أنطاكيه من بلاد الأفرنج، عائدا إلى مملكته فى خلق كثير، و نزل بالقرب من قسطنطينيه، و خرج ملكها إليه و معه خلق كثير من التركمان المجاورين له فاقتتلوا أياما، و طلب الروم تقبيحهم بكل نوع إلى أن تفرقوا و تبددوا فى البلاد، و أصلح بيمند أمره مع الملک، و دخل عليه و وطى ء بساطه، و من معه و كفى الله، و له الحمد، أمرهم، و صرف عن الاسلام شرهم.

و فى هذه السنه توفى الأمير أرتق بن عبد الرزاق أحد مقدمى أمراء دمشق بمرض طال به، و كثر ألمه بسببه، إلى أن قضى نحبه ليله عيد النحر من سنه اثنتين و خمسمائه.

و فيها ترددت رسل الملک بغدوين إلى ظهير الدين فى التماس المهادنه و الموادعه، فاستقر الأمر بينهما، على أن يكون السواد و جبل عوف أثلاثا: للأتراک الثلث، و للأفرنج و الفلاحين الثلثان، فانعقد الأمر على هذه القضيه، و كتب الشرط على هذه النيه.

و كان فخر الملک بن عمار، لما ملک الأفرنج جبيل، خرج منها و توجه إلى شيزر، فأكرمه صاحبها سلطان بن على بن المقلد بن منقذ الكنانى،

و احترمه، و جماعته، و عرض عليه المقام عنده، فلم يفعل، و توجه إلى دمشق عائدا إلى ظهير الدين أتابک، فأكرمه و أنزله فى دار، و أقطعه الزبدانى و أعمالها فى المحرم سنه ثلاث و خمسمائه.

سنه ثلاث و خمسمائه

لما فرغ الافرنج من طرابلس بعد افتتاحها، و تدبير أعمالها، و تقرير أحوالها، نهضوا إلى رفنيه و عرف ظهير الدين ذاک من قصدهم، فنهض فى العسكر نحوها لحمايتها، و خيم بإزائهم بحمص، فلم يتمكن الأفرنج من منازلتها و مضايقتها، و ترددت بينه و بينهم مراسلات و مخاطبات، أفضت إلى أن أجاب كل واحد من الفريقين (90 و) إلى تقرير الموادعه على الأعمال، و المسالمه، و استقر الأمر فى ذلک على أن يكون للأفرنج الثلث من استغلال البقاع، و يسلم إليهم حصن المنيطره(1) و حصن ابن عكار(2)، و يكفوا عن العيث و الفساد فى الأعمال و الأطراف، و أن يكون حصن مصيات(3) و حصن الطوبان(4) و حصن الأكراد(5) داخلا فى شروط الموادعه، و يحمل أهلها عنها مالا معينا فى كل سنه إلى الأفرنج فأقاموا على ذلک مده يسيره، فلم يلبثوا على ما تقرر، و عادوا إلى رسمهم فى الفساد و العناد.

و فيها توفى الشريف القاضى المكين فخر الملک أبو الفضل إسماعيل

1- قال ياقوت عن المنيطره: حصن بالشام قريب من طرابلس.
2- قلعه صغيره فى شمال لبنان(25 ميلا تقريبا إلى الشمال الشرقى من طرابلس) تربض فوق جرف جبلى على السفوح الشماليه لجبل عكار.
3- قلعه و مدينه صغيره فى وسط سوريه إلى الغرب من مدينه حماه، تقع فوق تل متدرج الانحدار فى الشعاب الشرقيه لجبال العلويين.
4- ذكره ياقوت فى معجم البلدان، وقع ما بين طرطوس و طرابلس، انظر الموسوعه ص 10464- 10465.
5- تعرف الآن باسم قلعه الحصن تربض فى وسط سوريه إلى الغرب من حمص فى منطقه وادى النضاره، موقعها ممتاز فوق ذروه مرتفعه تزيد عن/ 2100 قدم/ و تحيط بها من جميع جهاتها مدرجات متوسطه الانحدار.

ابن إبراهيم بن العباس الحسينى ليله الخميس الخامس و العشرين من صفر منها بدمشق، رحمه الله.

و فى جمادى الأولى من هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه العراق بوصول السلطان ركن الدنيا و الدين محمد بن ملک شاه إلى بغداد، و انفاذ كتبه إلى سائر البلاد معلما فيها بما هو عليه من قوه العزم على قصد الجهاد، و الأمر لظهير الدين أتابک بالمقام بحيث هو إلى حين ترد العساكر إلى الشام، و ينضاف إليها و يدبر أمرها، لأنه كان تابع كتبه بالاستصراخ و الاستنجاد على الكفره الأضداد، فعرضت عوائق عن ذلک عاقت، و موانع عن المراد صدت، و طالت مده الانتظار، و تزايد طمع الكفار بتأخر العسكر السلطانيه، فحملت ظهير الدين أتابک، الحميه الاسلاميه، و العزيمه التركيه على التأهب للمسير بنفسه إلى بغداد لخدمه الدار العزيزه النبويه المستظهريه، و المواقف السلطانيه الغياثيه، و المثول بها، و الشكوى لما نزل بالمسلمين فى الأعمال إليها، من تملک البلاد، و قتل الرجال، و سبى النساء و الأطفال، و حديثهم بينهم بالطمع فى الإمتداد إلى تملک الأعمال الجزريه و العراقيه، و تأهب للمسير، و استصحب معه فخر الملک بن عمار صاحب طرابلس، و خواص أصحابه، و ما أمكنه من الخيول العربيه السبق، و طرف مصر من أجناس اللباس، و ما يصلح لتلک الجهات من التحف و الهدايا من كل فن له قيمه وافره و توجه فى البريه على طريق السماوه و استناب فى دمشق ولده تاج الملوک بورى، و وصاه بما يجب عمله من استعمال اليقظه (90 ظ) فى الذب و الحمايه و إحسان السيره فى الرعيه، و المغالظه للأفرنج، و الثبات على الموادعه المستقره معهم إلى حين العود.

فلما سار، و حصل فى الوادى المعروف بوادى المياه من البريه، وافى الخبر بما شاع من المرجفين ببغداد، من الحديث بتقليد السلطان بلاد الشام لأمراء عين عليهم، و وقعت الإشاره فى ذلک إليهم، فأحدث هذا الخبر

وحشه أوجبت عوده عن طريقه، و اعتمد على فخر الملک بن عمار، و من عول عليه من ثقاته فى الإتمام إلى بغداد بما صحبه من التحف و الهدايا، و المناب عنه فى إنهاء ما دعاه إلى العود من طريقه، فوصل فخر الملک إلى بغداد بما صحبه، فصادف من الابتهاج بمقدمه و التأسف على عود أتابک، و لم يصل و يشاهد ما زاد على الأمل، و ظهور بطلان تلک الأراجيف بالمحال الذى لا حقيقه له، و تواصلت الأجوبه عن ذلک بما سر النفوس، و شرح الصدور و الاعتذار من إشاعه المحال، و أكاذيب الأخبار.

و قد كان ظهير الدين أتابک فى عوده من وادى المياه، قد اتصل به أن كمشتكين الخادم التاجى، الوالى ببعلبک قد راسل الأفرنج بالتماس المصافاه منهم، و بعثهم على شن الغارات على الأطراف، و أنه قد سير أخاه بايتكين الخادم التاجى إلى السلطان، للتوصل بالمحال إلى إفساد الحال، فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر و نفوذه، ندب جماعه من العسكر، و قرر معهم المصير إلى المسالک و الطرقات التى لابد من عبوره فيها، لمسكه و حمله إليه، فلم يقف لبايتكين المذكور على خبر، و سار ظهير الدين فى العسكر من طريقه، و كتب إلى تاج الملوک يأمره بالخروج فى العسكر إلى بعلبک، و النزول عليها، فسارع إلى امتثال أمره، و سار إليها و نزل عليها على غفله من أهلها و غره ممن بها، ثم أرسل إلى الخادم المذكور يلتمس منه الدخول فى الطاعه، و تسليم الموضع إليه، و يحذره من الاستمرار على المخالفه و العصيان، و يخوفه الإقامه على ما يفضى إلى سفک الدماء، و بالغ فى الاعذار له و الإنذار، فلم يجب المراد و الايثار، و أصر على الخلف و الانكار، و وافى عقيب ذلک ظهير الدين فى العسكر، و من جمعه من الرجاله، و زحف إلى بعلبک مقاتلا لها، و نصب عليها المناجيق، و شرع فى عمل آله الحرب و النقوب لقصد الأماكن المستضعفه منها لانتهاز الفرصه فيها (91 و) و ترامى إليه من أحداث أهلها و أجنادها جماعه أحسن إليهم، و خلع عليهم، و زحف إلى سورها، و قاتل

من علیه، فقتل جماعه منهم، فحین شاهدوا الجد فی القتال، و الصبر علی النزال، جنحوا إلی الدخول فی الطاعه، و التمس الخادم الإقاله، و بذل تسلیم البلد و الحصن علی شرط اشترطه، و اقطاع عینه، و طلب بعض المقدمین للحدیث معه و التوثق لنفسه، فنفذ إلیه الأمیر بلتاش لمحله من الدوله، فتقررت الحال علی ما اقترحه و سلم البلد و الحصن الذی هو غایه فی المنعه و الحصانه، و من العجائب المذکوره، و القلاع المشهوره، و خرج إلیه، و جری علی عادته الجمیله فی الصفح عمن أساء إلیه، و أظهر العصیان علیه، و عوضه عن بعلبک حصن صرخد، و هو مشهور بالحصانه و المنعه أیضا(1)، و أعاد إلیه ما کان قبض عنه من ملک و إقطاع(2)، و سلم ظهیر الدین أتابک، بعلبک إلی ولده تاج الملوک بوری، فرتب فیها من ثقات أصحابه من اعتمد علیه فی حفظها، و قرر أحوالها، و کانت مده المقام فی منازلتها خمسه و ثلاثین یوما و سلمت و تسلمت فی الیوم الثانی و العشرین من شهر رمضان سنه ثلاث و خمسمائه و أمر ظهیر الدین بإزاله حوادث الظلم عن أهل بعلبک، و تسویغ بعض خراجها(3) أهلها، و أعاد علیهم أملاکا کانت قد اغتصبت فی قدیم الزمان، و کثر له الدعاء، و تواصل علیه الثناء و عاد منکفیا إلی دمشق، و ورد علیه الخبر بعود السلطان من بغداد إلی أصفهان فی شوال من السنه.

و ورد الخبر بوفاه الأمیر ابراهیم ینال صاحب آمد، و کان قبیح السیره

1- ترسم الآن« صلخد» و هی مرکز منطقه تابعه لمحافظه السویداء، و قد وصفها أبو الفداء فی تقویم البلدان: 258- 259 بقوله: و هی بلده صغیره ذات قلعه مرتفعه و کروم کثیره، و لیس لها ماء سوی ما یجمع من الأمطار فی الصهاریج و البرک ... و من شرقیها تسلک طریقا تعرف بالرصیف إلی العراق.
2- فی الأصل« إلی دمشق» و هو غیر مستقیم قوم من مرآه الزمان- أخبار سنه- 503- حیث نقل روایه ابن القلانسی هذه.
3- فی الأصل« بعض خراج أهلها» و هو غیر مستقیم المعنی، و فی مرآه الزمان عن ابن القلانسی:« و حط بعض الخراج» لذا تم التقویم.

فیها، مذکورا بالظلم فی أهلها، و کان جماعه من أهلها قد جلوا عنها لأجل [ظلمه] المستمر علیهم، و اساءته إلیهم، فسرت النفوس بفقده، و أمل من بعده الصلاح و قام مقامه ولده، فکان أصلح منه سریره، و أحسن طریقه.

و فی هذه السنه خرج طنکری من أنطاکیه فی حشده و لفیفه المخذول، إلی الثغور الشامیه فملک طرسوس و ما والاها، و أخرج صاحب ملک الروم منها، و عاد إلی أنطاکیه، ثم خرج إلی شیزر و قرر علیها عشره آلاف دینار، مقاطعه تحمل إلیه بعد أن عاث فی عملها، و نزل علی حصن (91 ظ) الأکراد فتسمله من أهلها و توجه إلی عرقه، و کان الملک بغدوین و ابن صنجیل قد نزلا علی ثغر بیروت برا و بحرا، فعاد طنکری إلی أنطاکیه، و سار جوسلین صاحب تل باشر(1) إلی ثغر بیروت لمعاونه النازلین علیه من الأفرنج، و یستنجد بهم علی عسکر الأمیر مودود النازلین علی الرها، و شرع الأفرنج فی عمل البرج، و نصبه علی سور بیروت، فحین نجز و زحفوا به کسر بحجاره المناجیق و أفسد، فشرعوا فی عمل غیره، و عمل ابن صنجیل برجا آخر، و وصل فی الوقت من اسطول مصر فی البحر تسعه عشر مرکبا حربیه، فظهروا علی مراکب الأفرنج و ملکوا بعضها، و دخلوا بالمیره إلی بیروت، فقویت بها نفوس من فیها من الرعیه، و أنفذ الملک إلی السویدیه یستنجد بمن فیها من الجنویه فی مراکبهم، فوصل منها إلی بیروت أربعون مرکبا مشحنه بالمقاتله، فزحف الأفرنج فی البر و البحر إلیها بأسرهم فی یوم الجمعه الحادی و العشرین من شوال، و نصبوا علی السور برجین اشتدوا فی القتال، فقتل مقدم الاسطول المصری، و خلق کثیر من المسلمین، و لم یر الأفرنج من ما تقدم و تأخر أشد من حرب هذا، و انخذل الناس فی البلد

1- یعرف الآن باسم« تل باجر» و هو تابع اداریا لمنطقه جبل سمعان، احدی مناطق محافظه حلب.

و أيقنوا بالهلكه، فهجم الأفرنج على البلد آخر نهار هذا اليوم، فملكوه بالسيف قهرا و غلبه و هرب الوالى الذى كان فيه فى جماعه من أصحابه [ثم أمسک](1) و حمل إلى الأفرنج فقتل و من كان معه، و غنموا ما كان استصحبه من المال، و نهب البلد و سبى من كان فيه، و أسر و استصفيت أموالهم و ذخائرهم، و وصل عقيب ذلک من مصر ثلاثمائه فارس نجده لبيروت، فحين حصلوا بالأردن خرجت عليهم فرقه من الأفرنج يسيره العدد، فانهزموا منهم إلى الجبال، فهلک منهم جماعه.

فلما تقرر أمر بيروت رحل الملک بغدوين فى الأفرنج، و نزل على ثغر صيدا، و راسل أهله يلتمس تسليمه، فاستمهلوه مده عينوها، فأجابهم إلى المهله بعد أن قرر عليهم سته آلاف دينار تحمل إليه مقاطعه، و كانت قبل ذلک ألفى دينار، و رحل عنها إلى بيت المقدس للحج.

و فى هذه السنه وردت الأخبار بظهور الكرج على بلاد(2) كنجه (92 و) و ما قاربها، و أكثروا العيث و الفساد فى نواحيها، و انتهى الخبر بذلک إلى السلطان غياث الدنيا و الدين محمد بن ملک شاه، فأنهض عسكرا وافر العدد، فأوقع بهم و شردهم، و عن الفساد و العيث أبعدهم بالفتک فيهم، و طردهم و دوخ بلادهم، و أخرب أعمالهم، فأمن أهل بلاد كنجه من شرهم، و قامت الهيبه بإهلاكهم، و عاد العسكر السلطانى ظافرا غانما.

و فى هذه السنه وردت الأخبار بظهور قوم من كافر ترک على من صادفوه فى الأعمال، و وصلوا إلى جيحون فأفسدوا تلک الأعمال، و أعاثوا فيها، و اتصل الخبر بالسلطان المعظم أبى الحارث سنجر بن ملک شاه، سلطان خراسان، فأنهض إليهم أميرا كبيرا من مقدمى عساكر

1- زيد ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق حيث أن النص ألم به سقط.
2- هى وراء أرمينيه العليا، و هى من مشهور بلاد أران(اللان) على مرحلتين من برذعه. تقويم البلدان: 404- 405.

خراسان، فی عدد دثر من الأتراک، فظفر بهم و کسرهم، و قتل منهم خلقا کثیرا [فأقبلوا](1) عائدین خاسرین مفلولین.

و فی ثامن ذی القعده من السنه ظهر فی السماء کوکب من الشرق له ذؤابه ممتده إلی القبله، و أقام إلی آخر ذی الحجه، ثم غاب.

و فیها کاتب السلطان غیاث الدنیا و الدین الأمیر سکمان القطبی، صاحب أرمینیه و میافارقین، و شرف الدین مودود صاحب الموصل یأمرهما بالمسیر فی العساکر إلی جهاد الأفرنج، و حمایه بلاد الموصل، فجمعا و احتشدا، و نهضا و نزلا بجزیره بنی نمیر إلی أن تکامل وصول ولاه الأطراف إلیهما، و خلق کثیر من المتطوعه، و وصل إلیهما أیضا الأمیر نجم الدین ایل غازی بن أرتق فی خلق کثیر من الترکمان، و اجتمع المسلمون فی عدد لا یقوم بلقائه جمیع الأفرنج، و اتفقت الآراء علی افتتاح الجهاد بقصد الرها و مضایقتها، إلی أن یسهل الله افتتاحها بحکم حصانتها و منعتها.

فرحلوا بأسرهم و نزلوا علیها فی العشر الثانی من شوال، و أحاطوا بها من جهاتها کالنطاق، و منعوا الداخل و الخارج بالمسیر إلیها، و کان القوت بها قلیلا، فأشرف من بها علی الهلاک، و غلا بها السعر، و طالت مده الحصر لها و التضییق علیها، و حین عرف الأفرنج صوره هذه الحال، شرعوا فی الجمع و الإحتشاد، و التأهب للذب عنها، و الاستعداد، و اتفقت الکلمه بینهم علی هذه الحال، و اجتمع (92 ظ) طنکری صاحب أنطاکیه و ابن صنجیل صاحب طرابلس، و الملک بغدوین و مقدمو ولاه الأعمال من الأفرنج، و تعاهدوا و تعاقدوا علی الثبات فی الحرب و المصابره و اللباث، فلما استقرت الأحوال بینهم علی البینه رحلوا بأسرهم إلی ناحیه الرها.

1- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق. انظر ما ذکره سبط ابن الجوزی فی مرآه الزمان- أخبار سنه 503. ه.

و اتصلت الأخبار بظهير الدين أتابک، و عرف صوره الحال فيما تقرر بينهم، فسار من دمشق فى العسكر و خيم على سلميه، و عرف أن الافرنج قد قصدوا فى طريقهم رفنيه، و فيها الأمير شمس الخواص و اليها، و أنهم لما نزلوا عليها ظهر إليهم فى خيله و قتل منهم جماعه، و وصل إلى المخيم بسلميه، و اجتمع إليه خلق كثير من الشام، و وصل الخبر بحصول الأفرنج على الفرات عازمين على قطعه (قصد) الرها، فرحل أتابک فى الحال و توجه إلى ناحيه الرقه و قلعه جعبر، و قطع الفرات و تلوم هناک إلى أن عرف خبر الأفرنج، أنهم قد أحجموا عن العبور لتفرق سرايا العساكر الاسلاميه و طلائعهم فى سائر الجهات و المسالک إلى الفرات.

و لما عرف المسلمون قرب الأفرنج منهم، اتفقت الآراء فيما بينهم على الإفراج لهم ليتمكنوا من لقائهم فى الفضاء من شرقى الفرات، و رحلوا عن الرها فى آخر ذى الحجه منها، و نزلوا أرض حران على سبيل الخديعه و المكر، و كانت حران قد حصلت للأمير مودود، و سلمها إلى نجم الدين ايل غازى بن أرتق، و توقف المسلمون عن لقاء الأفرنج إلى أن يقربوا منهم، و يصل إليهم عسكر دمشق، و فطن الأفرنج لهذا التدبير و الاتفاق عليه، فخافوا و استشعروا الهلاک و الخذلان، و أجفلوا ناكصين على الأعقاب إلى شاطى ء الفرات، و بلغ المسلمين خبرهم، فنهضوا فى إثرهم و أدركهم سرعان الخيل و قد قطع الفرات بعضهم من مقدميهم، فغنم المسلمون سوادهم و أثقالهم، و أتوا على العدد الدثر من أتباعهم قتلا و أسرا و تغريقا فى الفرات، و امتلأت الأيدى من الغنائم و الأسلاب و السبى و الدواب، و لم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للحاق بهم بحكم اشتغالهم بأمر الرها، و العود إليها، و كانوا قد أخرجوا منها كل ضعيف الحال، و رتبوا جماعه من الأرمن لحفظها، و حملوا إليها ما صحب العسكر الواصل من الأقوات تقويه لها، و خرج بغدوين

الرویس (93 و) صاحبها عنها، و توجه صحبه الأفرنج المنهزمین، و أقام عسکر الإسلام علی الفرات أیاما نازلا بإزائهم، و رحل طالبا للعود إلی منازله الرها، و عرف ظهیر الدین أتابک خبر عودهم علی تلک الصفه، فعاد منکفئا إلی عمله لحمایته منهم، بعد أن نفذ شطرا وافرا من معسکره إلی النازلین علی الرها لمعونتهم، و وصل إلی دمشق و أقام من کان أنهضه من عسکره إلی الرها إلی أن خلت البلاد منهم و أذن لهم فی العود إلی أماکنهم بعد إکرامهم و الإحسان إلیهم(1).

و ترددت بین أتابک ظهیر الدین، و بین الأمیر شرف الدین مودود مراسلات، أفضت إلی استحکام الموده بینهما، و اتفاق الکلمه، و تأکید أسباب الإلفه، فطال مقام عسکر الاسلام علی الرها لامتناعها و حصانتها، و قل تواصل المیره إلی المخیم، و عدم وجودها، فدعتهم الحاجه إلی العود عنها، فتفرقوا بعد أن رتبوا من یقیم علی حران لحصر الرها.

و حدث لنجم الدین ایل غازی بن أرتق استیحاش من سکمان القطبی لأمر تجدد بینهما، فأجفل من حران إلی ماردین، فقبض سکمان علی ابن أخیه بلک، و حمله معه إلی بلده مقیما.

و بعد تفرق العساکر الاسلامیه عن الرها عاد إلیها بغدوین الرویس صاحبها، و حصل بها، و الغارات متواصله علی أطرافها، و قد کان الملک فخر الملوک رضوان صاحب حلب لما عرف هزیمه الأفرنج خرج إلی أعمال حلب، و استعاد ما کان غلب الأفرنج علیه منها، و غار علی عمل أنطاکیه، و غنم منه غنیمه وافره، و لما عرف خبر عودهم عاد إلی حلب، و وصل الأفرنج عقیب ذلک فأفسدوا فی عمل حلب، و قتلوا و أسروا خلقا کثیرا، و عاد طنکری و نزل علی الأثارب(2)، و ملکها بعد طول

1- کان جمع العساکر الاسلامیه موسمیا خاضعا لقواعد الاقطاع العسکری.
2- هی قلعه حصینه بین حلب و أنطاکیه. اللباب فی تهذیب الأنساب لابن الأثیر. ط. بیروت: 1980.

حصرها و المضايقه لها، و ذلک فی جمادی الآخره من السنه، و آمن أهلها، و خرج منها من أراد الخروج، و أقام من آثر المقام، و استقرت الموادعه بعد ذلک بین الملک فخر الملوک رضوان و بین طنکری، علی أن یحمل إلیه الملک من مال حلب فی کل سنه عشرین ألف دینار مقاطعه، و عشره أرؤس خیلا، و فکاک الأسری، و استقرت علی هذه القضیه.

و فیها وصل الملک بغدوین صاحب (93 ظ) بیت المقدس إلی ناحیه بعلبک و عزم العیث و الإفساد فی ناحیه البقاع، و ترددت المراسله بینه و بین ظهیر الدین أتابک فی هذا المعنی، إلی أن تقررت الموادعه بینهما علی أن یکون الثلث من استغلال البقاع للأفرنج، و الثلثان للمسلمین و الفلاحین، و کتبت بینهما المواصفه بهذا الشرح فی صفر من السنه، و رحل عائدا إلی عمله، و قد فاز بما حصل فی یده و أیدی عسکره من غنائم بعلبک، و البقاع.

و وردت الأخبار فیها بوصول بعض ملوک الأفرنج فی البحر، و معه نیف و ستون مرکبا مشحونه بالرجال لقصد الحج و الغزو فی بلاد الإسلام، فقصد بیت المقدس، و توجه إلیه بغدوین و اجتمع معه، و تقرر بینهما قصد البلاد، فلما عادا من بیت المقدس نزلا علی ثغر صیدا فی ثالث شهر ربیع الآخر سنه أربع و خمسمائه و ضایقوه برا و بحرا، و کان الاصطول المصری مقیما علی ثغر صور، و لم یتمکن من إنجاد صیدا، فعملوا البرج و زحفوا به إلیها، و هو ملبس بحطب الکرم و البسط و جلود البقر الطریه، لیمنع من الحجاره و النفط، و کانوا إذا أحکموه علی هذه الصوره نقلوه علی بکر ترکب تحته فی عده أیام متفرقه، فإذا کان یوم الحرب و قرب من السور، زحفوا به و فیه الماء و الخل لطفی النار، و آله الحرب.

فلما عاین من بصیدا هذا الأمر، ضعفت نفوسهم، و أشفقوا من مثل نوبه بیروت، فأخرج إلیهما قاضیها و جماعه من شیوخها، و طلبوا من

بغدوين الأمان، فأجابهم إلى ذلک، و أمنهم و العسکريه معهم على النفوس و الأموال، و إطلاق من أراد الخروج منها إلى دمشق، و استحلفوه على ذلک و توثقوا منه و خرج الوالى و الزمام و جميع الأجناد و العسکريه، و خلق کثير من أهل البلد، و توجهوا إلى دمشق لعشرين بقين من جمادى [الأولى](1) لسنه أربع و خمسمائه، و کانت مده الحصار سبعه و أربعين يوما، و رتب بغدوين الأحوال بها و الحافظين لها، و عاد إلى بيت المقدس، ثم عاد بعد مده يسيره إلى صيدا، فقرر على من أقام بها نيفا و عشرين ألف دينار، فأفقرهم و استغرق أحوالهم، و صادر من علم أن له تنبه منهم.

سنه أربع و خمسمائه

(94 و) فى هذه السنه وردت الأخبار بأن جماعه من التجار المسافرين خرجت من تنيس(2) و دمياط و مصر ببضائع و أموال جمه، کانوا قد ضجروا و ملوا طول المقام، و تعذر مسير الاسطول فى البحر، و حملوا نفوسهم على الخطر، و أقلعوا فى البحر، فصادفتهم مراکب الأفرنج، فأخذتهم و حصل فى أيديهم من الأمتعه و المال ما يزيد على مائه ألف دينار، و أسروهم و عاقبوهم، و اشتروا أنفسهم بما بقى لهم من الذخائر فى دمشق و غيرها.

و أما بغدوين فإنه لما عاد من صيدا، قصد عسقلان، و غار عليها، و کان واليها المعروف بشمس الخلافه يراسل بغدوين، فاستقرت الحال بينهما على مال يحمله إليه، و يرحل عنه و يکف الأذيه عن عسقلان، و کان شمس الخلافه أرغب فى التجاره من المحاربه، و مال إلى الموادعه و المسالمه و إيمان السابله، و قرر على أهل صور سبعه آلاف دينار تحمل

1- أضيف ما بين الحاصرتين من الکامل لابن الأثير: 8/ 260.
2- فى تقويم البلدان: 118- 119:« و تنيس جزيره فى مصر فى وسط بحيره تعرف ببحيره تنيس قريبه من ماء البحر» المتوسط.

إليه فى مده سنه و ثلاثه شهور، و انتهى الخبر بذلک إلى الأفضل صاحب مصر فى شوال، فأنكر هذه الحال، و أسرها فى نفسه، و لم يبدها لأحد من خاصته، و جهز عسكرا كثيفا إلى عسقلان مع وال يكون مكان شمس الخلافه، فلما قرب من عسقلان و عرف شمس الخلافه ذاک أظهر الخلاف على الأفضل، و جاهر بالعصيان عليه، و أخرج من كان عنده من العسكريه لخوفه من تدبيرهم عليه من الأفضل لما يعلمه من الأمور التى أنكرها عليه، و نقمها منه، و مراسلته لبغدوين يلتمس منه المصافاه و المعونه بالرجال و الغلال، و إن دهمه أمر، و حزبه خطب، سلم إليه عسقلان فطلب منه العوض عنها، فلما عرف الأفضل ذلک أشفق من تمام هذا الأمر، فكاتبه بما يطيب نفسه، و غالطه و أقطعه عسقلان و أقر إقطاعه بمصر عليه، و أزال الاعتراض لشى ء من ماله فى ديار مصر من خيل و تجاره و أثاث، و خاف شمس الخلافه من أهل البلد، فاستدعى جماعه من الأرمن فأثبتهم فى عسقلان، و لم يزل على هذه الحال إلى آخر سنه أربع و خمسمائه، فأنكر أمره أهل البلد، و وثب عليه قوم من كتامه و هو راكب فجرحوه، و انهزم إلى داره فتبعوه و أجهزوا عليه، و نهبوا داره و ماله، و تخطفوا بعض دور (94 ظ) الشهود و العامه، و انتهى الخبر إلى صاحب السياره فبادر إلى البلد، فأطاع أمره من به، و أنفذوا رأسه إلى الأفضل إلى مصر، و أنهوا جليه حاله، فحسن موضع ذلک منه و موقعه، و أحسن إلى الواردين بهذه البشرى، ثم تقدم بمطالبه القوم القاتلين بما نهبوه من داره، و استولوا عليه من ماله، و مال أهل البلد، و اعتقالهم، و قبض جماعه من أهل البلد، و حملهم إلى مصر، و لما وصلوا اعتقلوا فيها.

و فى هذه السنه هبت بمصر و أعمالها ريح سوداء، و طلع سحاب أسود أخذ بالأنفاس و أظلمت منه الدنيا، حتى لم يبصر أحد يده، و الريح تسفى الرمل فى مقل الناس و وجوههم، حتى يئسوا من الحياه، و أيقنوا بالبوار لهول ما عاينوه، و الخوف مما نزل بهم، و لما تجلى ذلک السواد، عاد إلى الصفره، و الريح بحالها، ثم انجلت الصفره، و ظهرت للناس

الكواكب، و ظن أهل تلک الأعمال بأن القيامه قد قامت، و خرج الناس من منازلهم و أسواقهم إلى الصحراء، و ركدت الريح، و أقلع السحاب، و عاد الناس إلى منازلهم سالمين من الأذى، و كانت مده هذه الشده منذ صلاه العصر إلى صلاه المغرب.

و فيها وصل السلطان غياث الدين محمد بن ملک شاه من همذان إلى بغداد، فى جمادى الأولى منها، و وردت الكتب و الرسل إليه من الشام بإنهاء الحال، و ما جرى من الأفرنج بعد عودهم عن الفرات، و نوبه صيدا و الأثارب و أعمال حلب.

و لما كان أول جمعه من شعبان حضر رجل من الأشراف الهاشميين من أهل حلب، و جماعه من الصوفيه و التجار و الفقهاء إلى جامع السلطان ببغداد، فاستغاثوا و أنزلوا الخطيب عن المنبر، و كسروه، و صاحوا و بكوا لما لحق الإسلام من الأفرنج، و قتل الرجال و سبى النساء و الأطفال، و منعوا الناس من الصلاه، و الخدم و المقدمون يعدونهم عن السلطان بما يسكنهم من إنفاذ العساكر، و الانتصار للإسلام من الأفرنج و الكفار، و عاودوا فى الجمعه الثانيه المصير إلى جامع الخليفه، و فعلوا مثل ذلک من كثره البكاء و الضجيج و الاستغاثه و النحيب.

و وصلت عقيب ذلک الخاتون السيده، أخت السلطان، و زوجه الخليفه إلى بغداد من أصفهان، و معها من التجمل و الجواهر و الأموال و الآلات، و أصناف المراكب و الدواب و الأثاث (95 و) و أنواع الملابس الفاخره، و الخدم و الغلمان و الجوارى و الحواشى، مالا يدركه حزر فيحصر، و لا عد فيذكر، و اتفقت هذه الاستغاثه، فتكدر ما كان صافيا من الحال و السرور بمقدمها، و أنكر الخليفه المستظهر بالله أمير المؤمنين ما جرى، و عزم على طلب من كان الأصل و السبب ليوقع به المكروه، فمنعه السلطان من ذلک، و عذر الناس فيما فعلوه، و أوعز إلى الأمراء و المقدمين بالعود إلى أعمالهم، و التأهب للمسير إلى جهاد أعداء الله الكفار.

و فی جمادی الآخره منها، وصل رسول متملک الروم بهدایا و تحف و مراسلات، مضمونها البعث علی قصد الأفرنج، و الإیقاع بهم و الاجتماع علی طردهم من هذه الأعمال، و ترک التراخی فی أمرهم، و استعمال الجد و الاجتهاد فی الفتک بهم قبل إعضال خطبهم و استفحال شرهم، و یقول إنه قد منعهم من العبور إلی بلاد المسلمین، و حاربهم، فإن طمعوا فیها، بحیث تتواصل عساکرهم و إمدادهم إلی البلاد الإسلامیه احتاج إلی مداراتهم و إطلاق عبورهم و مساعدتهم علی مقاصدهم و أغراضهم، للضرورات القائده إلی ذلک، و یبالغ فی الحث و التحریض علی الاجتماع علی حربهم، و قلعهم من هذه الدیار بالاتفاق علیهم.

و فی هذه السنه نقض الملک بغدوین صاحب بیت المقدس الهدنه المستقره بین أتابک و بینه، و کتب إلی ابن صنجیل صاحب طرابلس یلتمس منه الوصول إلیه فی عسکره، لیجتمع معه فی طبریه، و جمع و حشد، و رحل إلی ناحیه بیت المقدس لتقریر أمر کان فی نفسه، فحدث له فی طریقه مرض أقام به أیاما، ثم أبل منه و أفاق، و قصد فی حشده ناحیه البثنیه من حوران، و قد أطرح کل من فی الشام، و لم یبق فی عینه منهم أمر یحفل به من جهتهم، فنهض ظهیر الدین أتابک عند معرفته قصده فی عسکره، و نزل فی المنزل المعروف برأس الماء(1)، ثم رحل عنه إلی اللجاه، و نهض الأفرنج فی إثره إلی الصنمین(2)، ففرق أتابک العسکر علیهم من عده جهات، و بث فی المعابر و المسالک خیلا تمنع من حمل المیره إلیهم، و ضایقهم مضایقه ألجأتهم إلی الدخول فی حکم المسالمه و الموادعه، و ترددت المراسلات فی ذلک (95 ظ) إلی أن استقرت الحال بینهما علی أن یکون لبغدوین النصف من ارتفاع جبل عوف و السواد

1- اسمه الآن نبع السریا قرب قریه فقیع بحوران بین جاسم و نوی، جرت میاهه إلی قریه الشیخ مسکین و یبعد عن دمشق مسافه/ 70 کم/.
2- علی الطریق الدولیه التی تصل دمشق بدرعا. و تبعد عن دمشق حوالی/ 15/ میلا.

و الحيانيه مضافا إلى ما فى يده، و من هذه الأعمال التى يليها فى أيدى العرب من آل جراح، و كتب بينهما هذا الشرط، و رحل كل منهما منكفئا إلى عمله فى آخر ذى الحجه منها.

و قد كان الأمر تقرر مع السلطان غياث الدنيا و الدين على إنهاض العساكر عقيب تلك الاستغاثه المقدم شرحها ببغداد، و التقدم إلى الأمراء بالتأهب للمسير إلى الجهاد، فتأهبوا لذلک، و كان أول من نهض منهم إلى أعمال الأفرنج الأمير الاسفهسلار شرف الدين مودود، صاحب الموصل، فى عسكره إلى شبختان(1)، فافتتح تل قراد(2) و عده حصون هناک بالسيف و الأمان و وصل إليه الأمير أحمديل(3) فى عسكر كثيف الجمع، و كذلک تلاه الأمير قطب الدين سكمان القطبى من بلاد أرمينيه و ديار بكر، فاجتمعوا فى أرض حران، و كتب إليهم سلطان بن على بن منقذ صاحب شيزر يعلمهم نزول طنكرى صاحب أنطاكيه أرض شيزر، و شروعه فى بناء تل ابن معشر فى مقابله شيزر، و حمل الغلال إليه، و يستصرخهم و يبعثهم على الوصول إلى جهته، فحين عرفوا ذاک رحلوا إلى الشام، و قطعوا الفرات فى النصف من المحرم سنه خمس و خمسمائه، و نزلوا على تل باشر فى التاسع عشر من المحرم، و أقاموا عليه منتظرين وصول الأمير برسق بن برسق صاحب همذان، و كان قد أمر من السلطان بالتقدم عليهم، فوصل إليهم فى بعض عسكره، و به مرض من عله النقرس، و سكمان القطبى أيضا مريض، و الآراء بينهما مختلفه، و قاتل

1- فى الأصل سنجتان، و قد ضبطه أمدروز/ سنجتان/ و لم أجد لهذا الموقع من ذكر فى المصادر الجغرافيه و وجدت فى الباهر لابن الأثير: 17« شبختان» حيث قال:« فما بلغنى منها أن الأمير مودودا سار إلى الغزاه بالشام، ففتح فى طريقه قلاعا من شبختان كانت للفرنج» و شبختان كما يستنتج من ياقوت هى فى بلاد الأرمن فى ديار ربيعه. انظر زبده الحليب: 2/ 158.
2- فى الأصل:« تل مراد» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا ففى معجم البلدان: تل قراد: حصن مشهور فى بلاد الأرمن من نواحى شبختان.
3- أحمديل الكردى صاحب مراغه أعظم بلاد أذربيجان و أشهرها، ترجم له ابن العديم فى بغيه الطلب. انظر كتابى: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 254.

المطوعه و السوقه هذا الحصن و نقبوه، فأنفذ جوسلين صاحب تل باشر إلى الأمير أحمديل الكردى يلاطفه بمال و هديه، و يبذل له الكون معه، و الميل إليه، و كان أكثر العسكر مع أحمديل، و سأله الرحيل عن الحصن و ينزل إليه، فأجابه إلى ذلک، على كراهيه من باقى الأمراء، و اشتد مرض سكمان القطبى، و عزم أحمديل على العود طمعا منه فى أن السلطان يقطعه بلاد سكمان، و كان قد عقد بينهما وصله و صهر، فعادوا عن تل باشر إلى حلب، و نزلوا عليها، و عاثوا فى أعمالها و فعلوا أقبح من فعل الأفرنج فى الفساد، و توقعوا خروج (96 و) الملک فخر الملوک رضوان صاحب حلب إليهم، أو خدمه ينفذها لهم، فلم يلتفت إلى أحد منهم، و أغلق أبواب حلب، و أخذ رهائن أهلها إلى القلعه، و رتب الجند و أحداث الباطنيه و الطائعين لحفظ الأسوار، و منع الحلبيين من الصعود إلى السور، و أطلق الحراميه فى أخذ من يظفرون به من أطراف العسكر(1).

و قد كان ظهير الدين أتابک عند اجتماع هؤلاء الأمراء، و عبورهم الفرات قد كاتبوه بالوصول إليهم، ورد التدبير فيما يعتمدونه عليه إليه، و وصل إليه كتاب السلطان بمثل هذه الحال، فاقتضت الصوره، و صائب الرأى أن ينهض فى العسكر نحوهم للاعتضاد على الجهاد، و تقويه النفوس على حمايه هذه البلاد من أهل الشرک و الإلحاد، و جمع من أمكنه من رجال حمص و حماه و رفنيه و سائر المعاقل الشاميه، و سار إليهم و وصلهم على ظاهر حلب، فتلقوه بالإكرام و المزيد من الاحترام، و قويت بوصوله النفوس، و اشتدت الظهور، و سروا بحصوله عندهم سرورا، ظهر منهم و شاع منهم، فلم ير منهم عزيمه صادقه فى جهاد، و لا حمايه بلاد.

و أما سكمان القطبى فإن المرض اشتد به، و أشفى منه ففصل عنهم

1- انظر تفاصيل خبر هذا و آثاره فى ترجمه رضوان فى بغيه الطلب لابن العديم. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 292- 294.

و عاد إلى بلده(1)، و ورد الخبر بوفاته فی طریقه قبل وصوله الفرات(2)،

1- فی الأصل« ولده» و هو تصحیف صوابه ما أثبتنا.
2- سکمان القطبی هو صاحب میافارقین، و کان قبل ذلک یمتلک أخلاط، و تحدث الفارقی فی تاریخه: 274- 278 عن تسلمه لمیافارقین ثم مشارکته فی حمله مودود حتی وفاته، و روایه الفارقی لها أهمیه خاصه لأن حوادثها وقعت فی منطقه هو مؤرخها، یقول الفارقی:« و فی الخمیس العشرین من جمادی الأولی سنه اثنتین و خمسمائه نزل الأمیر سکمان صاحب أخلاط إلی میافارقین و حاصرها، و کان تشرین الأول من السنه، و حاصرها و ضایقها و کانت شتوه صعبه، و بقی یحاصرها سبعه أشهر، ثم سلمها إلیه أتابک خمرتاش بعد ذلک فی شوال سنه اثنتین و خمسمائه، و دخل میافارقین ... و أقام بمیافارقین، و أزال عنهم الکلف و المؤن و الأعشار و الأقساط و أسقط دار الضرب، و ما کان جدده المحتسب و أتابک و اتخذوه من الرسوم، و حط عن الناس أشیاء کثیره، و أطلق الحشر للسور، و أجری الناس علی أملاکهم، و خفف عنهم من الخراج، و أزال عنهم جمیع أسباب الظلم، و نزل فی القصر والیا مملوکه غزغلی و سلم البلد إلی خواجا أثیر الدوله أبو الفتوح، و بقی الناس معه علی کل خیر ... و فی سنه أربع و خمسمائه نزل الأمیر سکمان إلی میافارقین، و قصد الرها و معه عساکر عظیمه فمات هناک، و وصل تابوته إلی میافارقین، و حمل إلی أخلاط و دفن بها .. و فی سنه ست و خمسمائه وصلت خاتون زوجه الأمیر سکمان، و ولده الأمیر إبراهیم إلی میافارقین، و عزل غزغلی عن الولایه، و ولی السدید أبو سعد الحویلی الوزاره، و ولی میافارقین أخوه أبو منصور المعین، و استقر متولیا .. و فی سنه سبع و خمسمائه قتل الأمیر إبراهیم بن سکمان الوزیر السدید فی ولایه منازجرد، و أظهر أخوه المعین العصیان بمیافارقین و بقی مده متحکما فی البلد .. و فی آخر سنه ثمان و خمسمائه وصل قراجا الساقی مملوک السلطان محمد إلی باب میافارقین، و نزل علی الروابی، و بقی مده، و المعین متولی البلد و هو لا یظهر إلا أنه عابر و هو ینتظر من یلحقه من أصحابه، و لا یراسل المعین و لا یکلمه، و أخرج له المعین الإقامه و الضیافه، و کان کل یوم یرکب إلی الصید، و یعبر علی باب البلد، فعبر ذات یوم کعادته علی باب المدینه بباب الحوش، و هجم علی الباب، و قطع بسیف کان بیده السلسله، و دخل فوثب إلیه بعض الخراسانیه فجذب سیفه، و صاح فیه الأمیر فدخل إلی داخل البلد، و معه

جماعه فوقف داخل الباب، فوثب إلى بين يديه رجل حداد، و مشى بين يديه إلى باب القصر، و وقعت الصيحه، و غلق باب القصر، و اجتمع الناس، و بقوا ساعه، ففتح المعين باب القصر، و دخل عز الدين قراجه إلى ميافارقين فى آخر سنه ثمان و خمسمائه و نزل المعين إلى دار العجميه، و ملک قراجا البلد، و دخل أصحابه و رحله و ثقله و زوجته، و كانت جاريه للسلطان محمد، و كان معها ابنه السلطان تسمى فاطمه خاتون صغيره، و هى التى تزوجها الخليفه المقتفى فى سنه أربع و ثلاثين و خمسمائه، و لقد حضرت لما دخلت إليه دار الخلافه فى سنه أربع و ثلاثين و خمسمائه ببغداد .. و بقى قراجا ثلاثه أيام، و استوزر المعين، و خلع عليه ورد الأمور إليه .. ثم إن السلطان نفذ طلبه و استدعاه، فمضى إليه و أعطاه ولايه فارس و شيراز و المعين معه وزيره، فنفذ السلطان واليا اسمه الرزبيكى فدخل ميافارقين و بلدها و أخذوا منه من كل جانب و خرب أكثره، و كان قد أخذ منه فى ولايه أتابک خمرتاش مواضع كثيره فأخذ منه الأمير سكمان بن أرتق بلد حزه لحصن كيفا من قاطع شط ساتيدما إلى باب الشعب إلى شط أرزن مقدار مائه ضيعه، و أخذ لماردين نجم الدين إيلغازى بلد الحناضله من قاطع دجله إلى جبل الصور- - مقدار ثمانين ضيعه، و أخذ الأمير فخر الدوله إبراهيم صاحب آمد مقدار ثلاثين ضيعه من شرقى نهر الحو، و أخذ الأمير شاروخ صاحب حانى رأس الجسر الأعلى، و أخذ الأمير أحمد صاحب ابن مروان(و هو ابن الأمير نظام الدين) بلد الهتاخ، و أخذت السناسنه مقدار ثلاثين قريه من غاب الجوز و ما حوله داخل رأس السلسله، و أخذ حسام الدوله صاحب أرزن خمسا و عشرين قريه من بين النهرين، و كان ذلک لاختلاف الولاه و تغير الدول. و قال أيضا: إن فى اثنتى عشره و خمسمائه نفذ السلطان إلى الرزبيكى رسولا يأمره أن يسلم ميافارقين إلى نجم الدين إيلغازى، فحضر و سلمها إليه، و ملكها و خرج الرزبيكى و نزل على الروابى، و أقام ثلاثه أيام، فلما كان اليوم الرابع وصله رسول من السلطان يأمره أن لا يسلم، فوجد الأمر قد فات، و استقر نجم الدين بميافارقين، و أظهر العدل و الإنصاف و الإحسان إلى الناس.

و أما برسق فإنه كان يحمل فى المحفه و لا يتمكن من فعل و لا قول، أما أحمديل فإن عزمه قوى على العود بسبب بلاد سكمان و طمعه فى اقتطاعها من السلطان فاستجرهم ظهير الدين أتابک إلى الشام، فرحلوا فى آخر صفر و نزلوا معره النعمان، فأقاموا على ذلک المنهاج الأول، و امتار العسكر من عملها ما كفاهم، و قصروا عن جمله من العلوفات و الأقوات، و ظهر لظهير الدين من سوء نيه المقدمين فيه ما أوحشه منهم، و نفر قلبه من المقام بينهم، و ذكر له أن الملک فخر الملوک رضوان راسل بعض الأمراء فى العمل عليه، و الإيقاع به، فاتفق مع الأمير شرف الدين مودود، و تأكدت المصافاه و المعاهده بينهما، و حمل إلى بقيه الأمراء ما كان صحبه من الهدايا لهم و التحف، و الحصن العربيه السبق، و الأعلاق المصريه (96 ظ) و قوبل ذلک منه بالاستكثار له و الاستطراف و الشكر و الاعتراف، و وفى له مودود بما بذله، و ثبت على الموده، و جعل أتابک يحرضهم على قصد طرابلس، و يعدهم حمل ما يحتاجونه إليه من المير من دمشق و عملها، و إن أدركهم الشتاء أنزلهم فى بلاده، فلم يفعلوا و تفرقوا أيدى سبأ، و عاد برسق بن برسق و أحمديل، و تبعوا عسكر سكمان القطبى، و تخلف منهم الأمير مودود مع أتابک، فرحلا عن المعره و نزلا على العاصى.

و لما عرف الأفرنج رحيل العساكر، و تفرقهم اجتمعوا، و نزلوا

أفاميه بأسرهم: بغدوين، و طنكرى، و ابن صنجيل، بعد التباين و المنافره و الخلف، و صاروا يدا واحده و كلمه متفقه على الإسلام و أهله، و ساروا لقصدهم، فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه و جماعته، و اجتمع مع أتابک و مودود، و حرضهما على الجهاد، و هون عليهما أمر الأفرنج، فرحلوا و قطعوا العاصى، و نزلوا فى قبلى شيزر، و صار سوق العسكر فى سوق شيزر، و نزل عسكر مودود حول شيزر، و بالغ ابن منقذ و جماعته فى الخدمه و المواصله بالميره، و أصعد أتابک و مودود و خواصهما إلى حصن شيزر، و باشر خدمتهما بنفسه و أسرته، و نزل الأفرنج شمالى تل ابن معشر و دبر أمر العسكر أحسن تدبير، و بثت الخيل من جميع جهاتهم تطوف حولهم، و تجول عليهم، و تمنع من الوصول إليهم، و ضيقوا عليهم و حلأوهم عن(1) الماء و ذادوهم عن العاصى لكثره الرماه على شطوطه و جوانبه من قبليه، فما يدنو منه من الأفرنج شخص إلا و قد قتل، و طمع الأتراک فيهم و سهل أمرهم عليهم، و كانت خيل المسلمين مثل خيل الأفرنج إلا أن راجلهم أكثر، و زحف الأتراک إليهم فنزلوا للحرب عن تل كانوا عليه، فهجمت الأتراک عليهم من غربيهم و نهبوا جانبا من عسكرهم، و ملكوا عده من خيامهم و أثقالهم، و جالوا حولهم، فعادوا إلى مكانهم الذى كانوا به، و رجعوا منه، و ذلک فى شهر ربيع الأول، و اشتد خوف الأفرنج من الأتراک، و أقاموا ثلاثه أيام لا يظهر أحد منهم، و لا يصل إليهم شخص، و عاد المسلمون لصلاه الجمعه فى جامع شيزر، فرحل الأفرنج إلى أفاميه و لم ينزلوا فيها، بل تعدوها، و تبعهم المسلمون عند معرفه (97 و) رحيلهم، و تخطفوا أطرافهم، و من ظفروا به سائرا على آثارهم، و عادوا إلى شيزر، و رحلوا إلى حماه، و استبشر الناس بعود الأفرنج على هذه الحال.

1- أى صدوهم و نفوهم. النهايه فى غريب الحديث و الأثر لابن الأثير.

سنه خمس و خمسمائه

و [فيها] استحكمت الموده بين ظهير الدين أتابک، و بين الأمير مودود.

و فى هذه السنه جمع بغدوين الملک من أمكنه جمعه من الأفرنج، و قصد ثغر صور، فبادر عز الملک و اليه و أهل البلد بمراسله ظهير الدين أتابک بدمشق يستصرخون به و يستنجدونه، و يبذلون تسليم البلد إليه، و يسألونه المبادره و التعجيل بإنفاذ عده وافره من الأتراک تصل إليهم سرعه لمعونتهم و تقويتهم، و إن تأخرت المعونه عنهم قادتهم الضروره إلى تسليمه إلى الأفرنج، ليأسهم من نصره الأفضل صاحب أمر مصر، فبادر أتابک بإنفاذ جماعه وافره من الأتراک بالعدد الكامله تزيد على المائتين فرسانا رماه أبطالا، فوصلت إليهم، و أتت أهل صور رجاله كثيره من صور و جبل عامله رغبوا فى ذلک مع رجاله من دمشق، وصلوا إليهم، و حصلوا عندهم، و شرع أتابک فى إنفاذه عده أخرى، فحين عرف بغدوين ما تقرر بين أتابک و أهل صور، بادر النزول عليها فيمن جمعه و حشده فى اليوم الخامس و عشرين من جمادى الأولى سنه خمس و خمسمائه، و تقدم بقطع الشجر و النخل، و بنى بيوت الإقامه عليها، و زحف إليها، فقاتلها عده دفعات، و يعود خاسرا لم ينل منها غرضا، و قيل إن أهل صور رشقوا فى بعض أيام مقاتلتها فى يوم واحد بعشرين ألف سهم.

و خرج ظهير الدين من دمشق حين عرف نزولهم على صور، و خيم ببانياس و بث سراياه و رجاله الحراميه فى أعمال الأفرنج، و أطلق لهم النهب و القتل و السلب و الإخراب و الحرق طلبا لإزعاجهم و ترحيلهم عنها، فتدخل العده الثانيه إلى صور، فلم يتمكن من الدخول، و نهض ظهير الدين إلى الحبيس(1) الذى فى السواد و هو حصن منيع لا يرام، فشد

1- كذا فى الأصل، و فى مرآه الزمان- أخبار سنه 505 ه« الحبيس، و فى الكامل لابن الأثير: 8/ 284، فى أخبار سنه/ 512 ه/ أخذ الفرنج حصنا من أعمال طغتكين« يعرف بالحبس، و يعرف بحصن جلدک، سلمه إليهم المستحفظ به، و قصدوا أذرعات» و وقع حبيس جلدک فى وادى الراحوب، و أفضل وصف له هو عند المؤرخ وليم الصورى(تاريخه- ترجمتى ط. بيروت 1990 ص 855- 857.

القتال عليه، و ملكه بالسيف قهرا، و قتل من كان فيه قسرا، و شرع الأفرنج فى عمل برجى خشب للزحف بهما إلى سور صور، و زحف ظهير الدين إليهم عده دفعات ليشغلهم بحيث يخرج (97 ظ) عسكر صور فيحرق البرجين، و عرف الأفرنج قصده فى ذلک، و خندقوا عليهم من جميع الجهات، و رتبوا على الخندق الرجال بالسلاح لحفظه، و حفظ الأبراج، و لم يحفلوا بما يفعل و ما يجرى على أعمالهم من الغارات عليها، و الفتک بمن فيها، و هجم الشتاء فلم يضر بالأفرنج لأنهم كانوا نزولا فى أرض رمله صلبه، و الأتراک بالضد من ذلک قد كابدوا من مقامهم شده عظيمه، و مشقه مؤلمه، إلا أنهم لا يخلون من غاره و فائده، و قطع ميره عن الأفرنج و ماده، و أخذ ما يحمل إليهم.

و قطع الأتراک الجسر الذى كان يعبر عليه إلى صيدا لتقطع الماده أيضا عنهم فعدلوا عند ذلک إلى استدعاء الميره فى البحر من جميع الجهات، ففطن ظهير الدين لذلک، و نهض فى فريق من العسكر إلى ناحيه صيدا، و غار على ظاهرها، فقتل جماعه من البحريه، و أحرق تقدير عشرين مركبا على الشط، و هو مع ذلک لا يهمل إصدار الكتب إلى أهل صور بتقويه قلوبهم، و تحريضهم على استعمال المصابره للأفرنج، و الجد فى قتالهم.

و تم عمل البرجين و كباشهما التى تكون فيهما فى تقدير خمسه و سبعين يوما، و شرع فى تقديمهما، و الزحف بهما فى عاشر شعبان، و قربا من سور البلد، و اشتد القتال عليهما، و كان طول البرج الصغير منهما نيفا و أربعين ذراعا، و الكبير يزيد على الخمسين ذراعا.

و لما كان أول شهر رمضان خرج أهل صور من الأبراج بالنفط و الحطب و القطران و آله الحرق، فلم يتمكنوا من الوصول إلى شى ء منهما، فألقوا النار قريبا من البرج الصغير بحيث لم يتمكن الأفرنج من دفعها فهبت ريح، و ألقت النار على البرج الصغير، فاحترق بعد المحاربه الشديده عليه، و المكافحه العظيمه عنه، و نهب منه زرديات كثيره

و طوارق و غير ذلک، و اتصلت النار بالبرج الكبير، و اتصل الخبر بالمسلمين بأن الأفرنج قد هجموا خربه البلد، للاشتغال بحريق البرج، فانثنوا عن المقاتله على الأبراج، و شد الأفرنج عليهم و كشفوهم عن البرج، و أطفأوا ما علق به من النار، و ربتوا عده وافره من أبطالهم لحفظ البرج و المنجنيقات من جميع الجهات (98 و)، و واظبوا الزحف إليها إلى آخر شهر رمضان، و قربوا البرج إلى بعض أبراج البلد، و طموا الثلاثه الخنادق التى أمامه، و عمد أهل البلد إلى تعليق حائط البرج الذى بإزاء برج الأفرنج، و أطلقوا النار فيه، فاحترق التعليق، و سقط وجه الحائط فى وجه البرج فمنع من تقديمه إلى السور و الزحف به، و صار الموضع الذى قصدوه قصيرا و أبراج البلد تحكم عليه، و بطل تقديمه من ذلک الوجه، و كشف الأفرنج الردم و جروه إلى برج آخر من أبراج البلد، و دفعوه إليه، و قربوه من سور البلد، و صدموا بالكباش التى فيه السور، فزعزعوه و وقع منه شى ء من الحجاره، و أشرف أهل البلد على الهلاک، فعمد رجل من مقدمى البحريه عارف بالصندقه(1) من أهل طرابلس له فهم و معرفه بأحوال الحرب إلى عمل كلاليب حديد لمسک الكبش، إذا نطح به السور من رأسه و من جانبه بحبال يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشب يميل من شده جذبهم بها، فتاره تكسره الأفرنج خوفا على البرج، و تاره يميل أو يفسد، و تاره ينكسر بصرختين تلقيان عليه من البلد مشدوده إحداهما إلى الأخرى، فعملوا عده من الكباش، و هى تكسر على هذه الصفه واحدا بعد واحد، و كان طول كل واحد منها ستين ذراعا معلقا فى البرج الخشب بحبال فى رأس كل واحد من

1- فى مرآه الزمان- أخبار سنه 505 ه:« فتحيل واحد من المسلمين له خبره بالحرب، فعمل كباشا فى أخشاب، تدفع البرج الذى يلصقونه بالسور، ثم تحيل فى حريق البرج الكبير فاحترق، و خرج المسلمون فأخذوا منه آلات و أسلحه فحينئذ يأس الفرنج، فرحلوا و أحرقوا جميع ما كان لهم من المراكب على الساحل و الأخشاب و العمائر و العلوفات و غيرها، و جاءهم طغتكين فما سلموا إليه البلد فقال: أنا ما فعلت إلا لله تعالى لا لرغبه فى حصن و لا مال، و متى دهمكم عدو جئتكم بنفسى و رجالى، و رحل عنهم».

الكباش حديد يزيد وزنه على عشرين رطلا، فلما طال تجديد الكباش، و قربوا البرج من السور، عمد هذا الرجل البحرى المقدم ذكره إلى خشبه طويله جافيه قويه أقامها فى برج البلد الذى بإزاء برج الأفرنج، و فى رأسها خشبه على شكل الصليب طولها أربعون ذراعا تدور على بكر بلولب كيف ما أراد متوليها، على مثال ما يكون فى الصوارى البحريه، و فى طرف الخشبه التى تدور سهم حديد، و فى طرفها الآخر حبال مداره بها على ما يريد متوليها، و كان يرفع فيها جرار القذر و النجاسه، ليشغلهم بطرح ذلک عليهم فى البرج عن الكباش، و ضاق الأمر بالناس، و شغلهم ذلک عن أمورهم و أشغالهم، و عمد البحرى المذكور إلى سلال العنب و القفاف، فيجعل فيها الزيت و القير (98 ظ) و السراقه(1) و القلفونيه و قشر القصب، و يطلق فيها النار، فإذا علقت بذلک وقع ذلک فى الآله المذكوره حتى يوازى برج الأفرنج، فتقع النار فى أعلى البرج، فيبادروا بإطفائها بالخل و الماء، فيبادر برفع أخرى، و مع هذا يرمى أيضا بالزيت المغلى فى قدور صغار على البرج، فيعظم الوقيد، فلما كثرت النار، و حمل بعضها بعضا، و قويت قهرت الرجلين المتولين لرأس البرج، و قتل أحدهما و انهزم الآخر، و نزل منه فتمكنت النار من رأسه، و نزلت إلى الطبقه الثانيه من رأسه، ثم إلى الوسطى، و عملت فى الخشب، و قهرت من كان حوله فى الطبقات، و عجزوا عن إطفائها، و هرب كل من فيه و حوله من الأفرنج، و خرج أهل صور إليه، فنهبوا ما فيه، و غنموا من السلاح و الآلات و العدد ما لا يحده وصف.

فعند ذلک وقع يأس الأفرنج منه، و شرعوا فى الرحيل عنه، و أحرقوا البيوت التى كانت قد عمروها فى المنزل لسكناهم، و أحرقوا كثيرا من المراكب التى كانت لهم على الساحل، لأنهم كانوا أخذوا صواريها و أرجلها و آلاتها للأبراج، و كانت عدتها تقدير مائتى مركب

1- المراد« نشاره الخشب».

كبارا و صغارا، منها تقدير ثلاثين مركبا حربيه، و حملوا فى بعضها ما خف من أثقالهم، و رحلوا فى العاشر من شوال من السنه، و كانت مده إقامتهم على محاصره صور أربعه أشهر و نصف شهر، و قصدوا عكا و تفرقوا إلى أعمالهم.

و خرج أهل صور و غنموا ما ظفروا به منهم، و عادت الأتراک المندوبون لإسعادهم إلى دمشق، و قد فقد منهم فى الحرب نحو عشرين رجلا، و كان لهم فيها الجرايه و الواجب فى كل شهر، و لم يتم على برج من أبراج الأفرنج فى القديم و الحديث مثل ما تم على هذا البرج من إحراقه من رأسه إلى أسفله، و الذى أعان على هذا هو تساوى البرجين فى الارتفاع، و لو طال أحدهما على الآخر لهلک أقصرهما، و كان عدد المفقودين من أهل صور أربعمائه نفس، و من الأفرنج فى الحرب أيضا على ما حكى الحاكى العارف تقدير ألفى نفس و لم يف أهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين أتابک من تسليم البلد إليه، و لم يظهر لهم فى ذلک قولا، و قال: إنما فعلت ما فعلت لله تعالى، و للمسلمين، لا لرغبه (99 و) فى مال و لا مملكه، فكثر الدعاء له، و الشكر بحسن فعله، و وعدهم أنه متى دهمهم خطب مثل هذا سارع إليه، و بالغ فى المعونه عليه، و عاد إلى دمشق بعد مكابده المشقه فى مقابله الأفرنج، إلى أن فرج الله عن أهل صور، و شرع أهل صور فى ترميم ما شعثه الأفرنج من سورها، و أعادوا الخنادق إلى حالها، و رسمها بعد طمها، و حصنوا البلد، و تفرق من كان فيه من الرجاله.

و فى الثانى من شعبان ورد الخبر بهلاک بدران بن صنجيل(1) صاحب طرابلس بعله لحقته، و أقام ابنه فى الأمر من بعده، و هو طفل صغير

1- كذا فى الأصل: بدران، و هو تصحيف صوابه برتران، انظر تاريخ طرابلس 146- 149، و يلاحظ أن تعريب ابن القلانسى لأسماء قاده الصليبيين متفق على العموم مع القاعده التى اعتمدها المؤرخون العرب.

كفله أصحابه، و دبروا أمره مع طنكرى صاحب أنطاكيه، و جعلوه من خيله(1) و أقطعه انطرطوس و صافيتا، و مرقيه(2) و حصن الأكراد.

و فى هذه السنه حدث بمصر الوباء المفرط، بحيث هلک به خلق كثير، يقال تقدير ستين ألف نفس.

و فيها ورد الخبر من ناحيه العراق بوصول السلطان غياث الدنيا و الدين محمد بن ملكشاه(3) إلى بغداد فى جمادى الأولى منها، و أقام بها مده ثقل فيها على أهلها، و ارتفع معها السعر إلى أن رحل عنها، فصلحت الحال، و رخص السعر.

و فيها وردت الأخبار بوصول الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل فى عسكره، و نزوله على الرها و رعيه لزرعها فى ذى القعده منها و أقام عليها إلى المحرم سنه ست و خمسمائه، و رحل عنها إلى سروج و رعى زرعها، و هو فى غفله غير متحفظ من عدو يطرق و مسلم يرهق، و لم يشعر إلا و جوسلين صاحب تل باشر فى خيله من الأفرنج، و دواب العسكر منتشره فى المرعى، هجم عليها من ناحيه سروج، على حين غفله من مودود و أصحابه، فقتلوا منهم جماعه، و استاقوا أكثر كراعهم، و قتل بعض المقدمين، و استيقظ من كان من المسلمين غافلا، و تأهبوا للقائه، فعاد إلى حصن سروج.

و فى هذه السنه انتقل تاج الملوک بورى ابن أتابک إلى دار الملک شمس الملوک دقاق فى قلعه دمشق فى المحرم منها.

و فيها ورد الخبر بوفاه قراجه الوالى بحمص بعله طالت به، و كان

1- جعله من خيله أى من فرسانه و اسم ابن برتران« بونز» و ترسمه المصادر العربيه« بنص» انظر طرابلس الشام: 150.
2- قال عنها ياقوت: قلعه حصينه فى سواحل حمص، و يستفاد من أبى الفداء: 29 أنها كانت بين بانياس و طرطوس و يعرف الموقع الآن باسم نبع حسان على مقربه من منتجع الرمال الذهبيه.
3- فى الأصل: محمد بن ألبى، و هو خطأ واضح صوابه ما أثبتنا.

فیها هلاکه، و قد کان مؤثرا للظلم، مشارکا للحرامیه و قطاع الطریق، و أقیم فی مکانه (99 ظ) ولده خیرخان بن قراجه، تابعا فی الظلم لأفعاله، ناسجا فی العدوان و الجور علی منواله.

سنه ست و خمسمائه

فیها اشتد خوف أهل صور من عود الأفرنج إلی منازلتهم، فأجمعوا أمرهم مع عز الملک أنوشتکین الأفضلی الوالی بها، علی تسلیمها إلی ظهیر الدین أتابک، بحکم ما سبق من نصرته لهم فی تلک النوبه، و معاضدته إیاهم فی تلک الشده، و ندبوا رسولا و ثقوا به و سکنوا إلیه فی الحدیث مع ظهیر الدین أتابک فی هذا الباب، و وصل إلی بانیاس و والیها الأمیر سیف الدوله مسعود، فتحدث معه، و سار الأمیر مسعود مع الرسول إلی دمشق لتقریر الحال بمحضر منه، فصادف ظهیر الدین أتابک قد توجه إلی ناحیه حماه، لتقریر الحال فیما بینه و بین فخر الملوک رضوان، صاحب حلب، فأشفق الأمیر مسعود أن یتأخر الأمر إلی حین عود ظهیر الدین من حماه، فیبادر بغدوین بالنزول علی صور، و یفوت الغرض المطلوب فیها، فقرر مع ولده تاج الملوک بوری النائب عنه فی دمشق، المصیر معه إلی بانیاس، و انتهاز الفرصه فی تسلیم صور إلیه، فأجاب إلی ذلک، و توجه معه إلی بانیاس، و تم مسعود إلی صور، و معه من یعتمد علیه من العسکر، و لم ینتظر وصول أتابک، و وصل إلیها و حصل بها، و انتهت الحال فی ذلک إلی أتابک، فأنهض فرقه وافره من الأتراک إلی صور تقویه لها، فوصلت إلیها و حصلت بها، و استقر أمر الأتراک فیها، و حمل إلیها من دمشق ما أنفق فیهم، و طیب نفوس أهل البلد و أجروا علی الرسم فی إقامه الدعوه و السکه علی ما کانت علیه لصاحب مصر، و لم یغیر لهم رسم.

و کتب ظهیر الدین أتابک إلی الأفضل بمصر یعلمه: «إن بغدوین قد جمع و حشد للنزول علی صور، و إن أهلها استنجدوا بی علیه، و التمسوا

منى دفعه عنهم، فبادرت بإنهاض من أثق بشهامته لحمايتها، و المراماه دونها إليه، و حصلوا فيها، و متى وصل إليها من مصر من يتولى أمرها، و يذب عنها، و يحميها بادرت بتسليمها إليه، و خروج نوابى منها، و أنا أرجو أن لا يهمل أمرها، و إنفاذ الاصطول بالغله إليها، و التقويه لها».

و حين عرف بغدوين هذا الخبر رحل فى (100 و) الحال من بيت المقدس إلى عكا، فوجد الأمر قد فات، و حصل بها الأتراک، فأقام بعكا و وصل إليه من العرب الزريقيين من بلد عسقلان رجل يعلمه «إن القافله الدمشقيه قد رحلت من بصرى إلى ديار مصر، و فيها المال العظيم، و أنا دليلک إليها، و تطلق لى من أسر من أهلى»، فنهض بغدوين من وقته عن عكا فى طلب القافله، و اتفق أن بعض بنى هوبر تخطف بعضها، و خلصت منهم، و وصلت إلى حله بنى ربيعه، فمسكوها أياما و أطلقوها بعد ذلک، و خرجت من نقب عازب(1) و بينه و بين بيت المقدس مسافه يومين للفارس، فلما حصلت بالوادى أشرفت الأفرنج عليها، فهرب من كان بها، فالذى صعد منها الجبل سلم، و أخذ ماله، و أخذت العرب أكثر الناس، فاشتمل الأفرنج على ما فيها من الأمتعه و البضائع، و تتبعت العرب من أفلت منهم فأخذوه، و حصل لبغدوين منها ما يزيد على خمسين ألف دينار و ثلاثمائه أسير، و عاد إلى عكا، و لم يبق بلد من البلاد إلا و قد أصيب بعض تجاره فى هذه القافله.

و فيها توفى القاضى أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغونى التركى، فى يوم الجمعه الثالث عشر من جمادى الآخره بدمشق، رحمه الله، و هو معزول عن قضائها، و لازم منزله(2).

و فى هذه السنه وصل ابن الملک تكش ابن السلطان ألب أرسلان

1- فى الأصل« غارب» و هو تصحيف قوم من معجم البلدان، و المقصود هنا صحراء النقب.
2- من كبار علماء الفقه الحنفى، ولى القضاء فى دمشق، كان متعصبا لمذهبه مما أثار الشافعيه ضده. مرآه الزمان- أخبار سنه 506 ه.

أخى السلطان العادل ملک شاه، إلى حمص هاربا من ابن عمه السلطان غياث الدنيا و الدين محمد، و لم يمكنه المقام بحمص و لا حماه فتوجه إلى حلب، و كان فخر الملوک رضوان صاحب حلب فى الدركاه السلطانيه، فأشفق من المقام بحلب، فتوجه إلى طنكرى صاحب أنطاكيه فاستجاره فأجاره، و أكرمه و أحسن إليه، و اجتمع إليه جماعه من الأتراک الذين مع طنكرى، فأقام عنده، و خرج طنكرى من أنطاكيه فى أول جمادى الآخره إلى ناحيه كريسيل(1)، مقدم الأرمن و كان قد هلک طمعا فى تملک بلاده، فعرض له مرض فى طريقه أوجب عوده إلى أنطاكيه، فاشتد به المرض، فهلک فى يوم الأربعاء الثامن من جمادى الآخره، و قام فى الأمر بعده ابن أخيه سير رجال(2) فتسلم أنطاكيه و أعمالها، و استقام له (100 ظ) الأمر فيها، بعد أن جرى بين الأفرنج خلف بسببه إلى أن أصلح بينهم القسوس، و طلب من الملک رضوان مقاطعه حلب المستقره، فأجابه إلى ذلک، و مبلغها عشرون ألف دينار، و الخيل، و طلب مقاطعه شيزر، فأجاب صاحبها إليها، و هى عشره آلاف دينار، و تواترت غارات بغدوين على عمل البثنيه من أعمال دمشق، و انقطعت الطريق، و قلت الأقوات بها و غلا السعر فيها، و تتابعت كتب ظهير الدين أتابک إلى الأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل بشرح هذه الأحوال فى هذه الأعمال، و بعثه على الوصول إليه للاعتضاد على دفع المرده الأضداد، و الفوز بفضيله الجهاد، و كان مودود قد شنع عليه عند السلطان غياث الدنيا و الدين، بشناعات من المحال لفقها الحسده الأعداء، أوجبت استيحاشه منه و بعده عنه، قيل فى جملتها أنه عازم على

1- كذا فى الأصل، و قد لحق الاسم تصحيف، فهو« طوروس الأول» 1100- 1123] بارون دوله أرمنيه الصغرى التى قامت مع نجاح الحمله الصليبيه الأولى، و تمركزت فى المنطقه الواقعه فيما بين طرطوس و عين زربه. انظر القلاع أيام الحروب الصليبيه ط. دمشق 982:

2- يرسمه ابن العديم فى زبده الحلب: 2/ 163« روجار» و هو أصح من رسم ابن القلانسى لأن أصل الاسم Roger .

الخلاف و العصیان، و أن یده و ید أتابک قد صارت یدا واحده، و آراؤهما متوافقه، و أهواؤهما متوافقه، فلما عرف ذلک سیر ولده و زوجته إلی باب السلطان بأصفهان للتنصل و الاعتذار، و إبطال ما رقی إلیه من المحال، و التبری ء مما أفتری علیه و عزی إلیه، و الاستعطاف له، و الإعلام بأنه جار علی ما ألف منه علی إخلاص الطاعه و العبودیه و المناصحه فی الخدمه، و الاهتمام بالجهاد.

ثم جمع عسکره من الأتراک و الأکراد و من أمکنه، و توجه إلی الشام، و قطع الفرات فی ذی القعده من السنه، فحین اتصل خبره ببغدوین الملک قلق لذلک، و انزعج لخبره، و کان جوسلین صاحب تل باشر قد اختلف هو و خاله بغدوین الرویس، صاحب الرها، و صار مع بغدوین صاحب بیت المقدس، و أقطعه طبریه، و اتفقا علی أن راسل جوسلین لظهیر الدین أتابک یبذل المصافاه و الموده، و یرغبه فی الموادعه و المسالمه، و یسلم إلیه حصن تبنین المجاور لحصن هونین(1) و جبل عامله، و یتعوض عن ذلک بحصن الحبیس الذی فی السواد، و نصف السواد، و یضمن عن بغدوین الوفاء بذلک، و الثبات علی الموده، و المصافاه و ترک التعرض لشی ء من أعمال دمشق، و لا یعرض هو لشی ء من أعمال الأفرنج، فلم یجب إلی ذلک، و نهض من دمشق فی المعسکر للقاء الأمیر مودود، و الاجتماع به، علی الجهاد، فاجتمعا بمرج سلمیه، و اتفق رأیهما علی قصد بغدوین (101 و) و سارا و قد استصحب أتابک جمیع العسکر،

1- فراغ بالأصل، و جمیع الذین تعرضوا لهذا الموضوع لم یأت واحد منهم علی ذکر هذه التفاصیل حتی ولیم الصوری: 1/ 497- 500، اکتفی بذکر أسباب الخلاف بین بلدوین صاحب الرها و جوسلین صاحب تل باشر، فبین أنها أسباب ماله، و وصف إلقاء القبض علی جوسلین و طرده إلی مملکه القدس، و کذا فعل ابن الأثیر فی الکامل: 8/ 265- 266. الباهر:

و من كان بحمص و حماه و رفنيه، و نزلا يوم عيد النحر بقدس(1) و رحلا منها إلى عين(2) الجر بالبقاع ثم منها إلى وادى التيم، ثم نزلا بانياس، و نهضت فرقه من العسكر فقصدت ناحيه تبنين(3) فلم تظفر منها بمراد و عادت.

و وصل إليها بغدوين، و قد كان لما يئس من إجابه أتابک إلى الموادعه، واصل الغارات و الفساد فى الشام إلى أن وصل عسكر المسلمين إلى عمله، و بالغ أتابک فيما حمله إلى الأمير مودود و إعظامه و إكرامه، و ما حمله إليه و إلى مقدمى عسكره، و خواصه من أنواع الملبوس، و المأكول، و المركوب، ثم نهضوا معلمين على النزول على الإقحوانه، و وصل إلى بغدوين سير رجال صاحب أنطاكيه، و صاحب طرابلس، و أجمعوا رأيهم على النزول غربى جسر الصّنبّره(4)، ثم يقطعون إلى الإقحوانه للقاء المسلمين، و قد احتاطوا على أثقالهم وراء الجسر، و المسلمون لا يعلمون بذلک، و أنهم عارضوهم فى المسير إلى هذا المنزل، فسبق الأتراک إلى نزولهم فى الإقحوانه، و قطع بعض عسكر الأتراک الجسر لطلب العلوفات و الزرع، فصادفوا الأفرنج قد ضربوا خيامهم، و قد تقدم بغدوين للسبق إلى هذا المنزل، و نزل صاحب أنطاكيه و صاحب طرابلس وراءه يتبعونه إليه.

و نشبت الحرب بين المتعلفه و بين الأفرنج، و صاح الصائح، و نفر الناس، و قطعوا الجسر، و هم يظنون أنه جوسلين لأنه صاحب طبريه، فوقف أتابک على الجسر، و تسرع خلق كثير من العسكر إلى قطع الجسر، و قطع الأمير تميراک بن أرسلانتاش فى فريق وافر من العسكر، و نشبت الحرب بين الفريقين من غير تأهب للقاء، و لا ضرب خيام و لا استقرار

1- منطقه عين التنور الحاليه خارج حمص.
2- على مقربه من الحدود السوريه اللبنانيه بعد(المصنع) و هى« عنجر» الحاليه.
3- فى الأصل« تمنين» انظر الحاشيه(1) للصفحه الماضيه.
4- الصنبره موضع بالأردن مقابل لعقبه أفيق بينه و بين بحيره طبريه ثلاثه أميال. معجم البلدان.

فی منزل، و لا مجال، و اختلط الفریقان، فمنح الله الکریم، و له الحمد، المسلمین النصر علی المشرکین بعد ثلاث کرات، فقتل فیها من الأفرنج تقدیر ألفی رجل من الأعیان، و وجوه الأبطال و الشجعان، و ملکوا ما کان نصب من خیامهم، و الکنیسه المشهوره(1)، و أفلت بغدوین بعد ما قبض، و أخذ سلاحه، و ملکت دواب الرجاله، و ما کان لهم، و غرق منهم خلق کثیر فی البحیره(2)، و اختلط الدم و الماء، و امتنع الناس من الشرب منها أیاما حتی صفت منه، و راقت، و التجأ من نجا من الأفرنج (101 ظ) إلی طبریه، و أکثرهم جرحی، و ذلک فی یوم السبت الحادی عشر من المحرم سنه سبع و خمسمائه، و بعد انفصال الأمر وصل باقی الأفرنج أصحاب طنکری و ابن صنجیل، فلاموه علی التسرع و فندوا رأیه، و نصبوا ما کان سلم من خیامهم علی طبریه، و فی غد یوم الواقعه نهض فریق من عسکر الأتراک إلی ناحیه طبریه، و أشرفوا علی الأفرنج بناحیه طبریه و عزموا علی النزول إلیهم و الإیقاع بهم، فخافهم الأفرنج و أیقنوا بالهلاک و أقام الأتراک علی الجبل عامه نهارهم، و انکفأوا إلی معسکرهم، و طلع الأفرنج إلی الجبل و تحصنوا به لصعوبه مرتقاه، و هو من غربی طبریه، و الماء ممتنع علی من یکون فیه، فعزم المسلمون علی الصعود إلیه و مواقعتهم، و استدعی أتابک العرب الطائیین و الکلابیین(3) و الخفاجیین، فوصلوا فی خلق کثیر بالزادات و الروایا و الإبل لحمل الماء، و صعدت الطلائع إلی الجبل من شماله، و عرفوا أن هذا الجبل لا یمکن الحرب فیه لصعوبته علی الفارس و الراجل، و علم المسلمون أن الظفر قد لاحت دلائله و أماراته، و العدو قد ذل و انخزل(4) و فل و انخذل، و سرایا الإسلام قد بلغت فی النهیض إلی

1- کنیسه داخل خیمه کانت تتحرک مع الجیوش الصلیبیه.
2- بحیره طبریه.
3- کذا فی الأصل و فی النفس شی ء منه، فکلاب دیارها فی شمال الشام، و کلب فی الجنوب.
4- أی انقطع و انفرد. النهایه لابن الأثیر.

أرض بيت المقدس و يافا و أخرجت أعمالهم و دوختها، و استاقت عواملها و مواشيها، و غنمت ما وجدته فيها فانثنى الرأى عن الصعود، و دامت الحال على هذه القضيه إلى آخر صفر.

و عقيب هذه النوبه، وصل من حلب من عسكر الملک فخر الملوک رضوان مائه فارس على سبيل المعونه، خلاف ما كان قرره، و بذله فأنكر ظهير الدين أتابک و شرف الدين مودود ذلک منه، و أبطلا العمل بما كانا عزما عليه من الميل إليه، و إقامه الخطبه له، و ذلک فى أول شهر ربيع الأول سنه سبع و خمسمائه، و سيرا رسولا إلى السلطان غياث الدنيا و الدين إلى مدينه أصفهان، بالبشاره بهذا الفتح، و معه جماعه من أسارى الأفرنج، و رؤوسهم و خيولهم و طوارقهم، و مضاربهم، و أنواع سلاحهم.

ثم إن العسكر رحل من المنزل إلى وادى المقتول(1) و نزل الأفرنج عند ذلک عن الجبل إلى منزلهم، و التجأوا إلى جبل فى المنزل، و تواصلت إليهم ميرهم و أزوادهم و إمدادهم من أعمالهم، فعاد إليهم عسكر الأتراک من منزلهم جرائد فى بضع عشره كردوسا، و لزموا أياما يرومون أن يخرجوا إليهم، فلم يظهروا للحرب، و لازم بعضهم (102 و) بعضا الفارس و الراجل فى مكان واحد، لا يظهر منهم شخص، و جعل الأتراک يحملون عليهم فيصيبون منهم بالنشاب ما يقرب منهم، و يمنعون الميره و العلوفه عنهم، و قد أحدقوا بهم كالنطاق أو هاله بدر الآفاق، فاشتد الأمر بهم فرحلوا عن منزلهم فى ثلاثه أيام تقدير فرسخ عائدين، فلما كان الليل قصدوا الجبل الذى كانوا أولا عليه ملتجئين إليه و محتمين به، و واظب المسلمون قصدهم و التلهف على ما يفوت منهم، و من غنائمهم بالاستمرار على الإحجام عن ظهورهم، على أن مقدمى العسكر يمنعوهم من التسرع إليهم و الإقدام فى منزلهم عليهم، و يعدونهم بفرصه تنتهز فيهم، فطال أمد المقام، و ضاقت صدور أصحاب مودود لبعد

1- لم أجده فى المصادر.

ديارهم، و تأخر عودهم، و تعذر أوطارهم، فتفرق أكثرهم و عادوا إلى بلادهم، فاستأذن آخرون فى العود فأذن لهم، و عزم مودود على المقام بالشام، و القرب من العدو ينتظر ما يصله من الأمر السلطانى، و الجواب عما أنهاه و طالع به، فيعمل بحسبه، و لم يبق فى بلاد الأفرنج مسلم، إلا و أنفذ يلتمس الأمان من أتابک، و تقرير حاله، و وصل إليه بعض ارتفاع نابلس، و نهبت بيسان، و لم يبق بين عكا و القدس ضيعه عامره، و الأفرنج على حالهم فى التضييق عليهم، و الحصر على الجبل.

و اقتضى الرأى عود أتابک و مودود، فعادا إلى دمشق فى الحادى و العشرين من شهر ربيع الأول سنه سبع و خمسمائه، و نزل مودود فى حجره الميدان الأخضر، و بالغ أتابک فى إكرامه و احترامه و إعظامه، بما يجد إليه السبيل، و تأكدت الموده بينهما و المصافاه، و تولى خدمته بنفسه و خاصته، و واصلا صلاه الجمعه جميعا فى مسجد الجامع بدمشق، و التبرک بنظر المصحف الكريم الذى كان حمله عثمان بن عفان رضى الله عنه من المدينه إلى طبريه، و حمله أتابک من طبريه إلى جامع دمشق(1).

سنه سبع و خمسمائه

قد ذكرنا ما ذكرناه من الحوادث فى سنه ست و خمسمائه و سياقه الأمر إلى أوائل سنه سبع و خمسمائه رغبه فى صله الحديث، و رغبه عن قطعه، و لما كان يوم الجمعه الأخيره من شهر ربيع الآخر سنه سبع و خمسمائه دخل (102 ظ) الأمير مودود من مخيمه بمرج باب الحديد إلى الجامع، على رسمه، و معه أتابک، فلما قضيت الصلاه، و تنفل بعدها مودود، و عادا جميعا و أتابک أمامه على سبيل الإكرام له، و حولهما من الديلم و الأتراک و الخراسانيه و الأحداث و السلاحيه بأنواع السلاح من الصوارم المرهفه و الصمصامات الماضيه، و النواجح المختلفه و الخناجر

1- فى تاريخ الإسلام للذهبى أن هذا كان سنه/ 492/ خوفا على المصحف من الوقوع بيد الفرنج.

المجرده ما شاكل الأجمه المشتبكه، و الغيضه الآشبه، و الناس حولهما لمشاهده زيهما و كبر شأنهما، فلما حصلا فى صحن الجامع، و ثب رجل من بين الناس لا يؤبه له، و لا يحفل به فقرب من الأمير مودود، كأنه يدعو له، و يتصدق منه فقبض ببند قبائه بسرعه و ضربه بخنجره أسفل سرته ضربتين إحداهما نفذت إلى خاصرته، و الأخرى إلى فخذه، هذا و السيوف تأخذه من كل جهه، و ضرب بكل سلاح و قطع رأسه ليعرف شخصه، فما عرف، و أضرمت له نار فألقى فيها، و عدا أتابک خطوات وقت الكائنه، و أحاط به أصحابه، و مودود متماسک يمشى إلى أن قرب من الباب الشمالى من الجامع، و وقع فحمل إلى الدار الأتابكيه، و أتابک معه ماش، و اضطرب الناس اضطرابا شديدا، و ماجوا و اختلفوا ثم سكنوا بمشاهدتهم له يمشى، و ظنوا به السلامه، و أحضر الجرائحى فخاط البعض، و توفى رحمه الله بعد ساعات يسيره فى اليوم المذكور، فقلق أتابک لوفاته على هذه القضيه، و تزايد حزنه و أسفه و انزعاجه(1)، و كذلک سائر الأجناد و الرعيه، و تألموا لمصابه، و زاد التأسف و التلهف عليه، و كفن و دفن وقت صلاه العصر من اليوم فى مشهد داخل باب الفراديس من دمشق، و كل عين تشاهده باكيه، و المدامع على الوجنات جاريه، و شرع أصحابه فى التأهب للعود إلى أماكنهم من الموصل و غيرها من البلاد، و تقدم أتابک بإطلاق ما يستدعونه لسفرهم، و استصحبوا معهم أثقاله و جواريه(2) و ماله.

و قد كانت سيرته فى ولايته جائره، و طريقته فى رعيه الموصل غير حميده، و هرب خلق كثير من ولايته لجوره، فلما بلغه تغير نيه السلطان فيه، عاد عن تلک الطريقه و حسنت أفعاله، و ظهر عدله و إنصافه، و استأنف

1- ذكر الرهاوى الذى كان معاصرا(الموسوعه الشاميه ج 52 ص 300) أن طغتكين هو الذى دبر اغتياله خوفا على ملكه و نسب ذلک إلى الحشيشيه، انظر الحشيشيه ص 119.
2- فى الأصل« لجواره» و هو تصحيف قوم من مرآه الزمان- أخبار سنه 507 ه انظر أيضا ص: 1/ 51 من ط. حيدر أباد 1951.

ضد ما عرف منه و سمع (103 و) عنه، و لزم التدين و الصدقات، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر المكروه، فشاعت بالجميل أخباره، و بحسن الارتضاء آثاره، ثم توفى سعيدا مقتولا شهيدا، و لم يزل مدفونا فى ذلک المشهد مخدوم القبر بالقومه و القراءه إلى آخر شهر رمضان من السنه، و وصل من عند ولده و زوجته من حمل تابوته إليهما(1).

و فى هذه السنه ورد الخبر من بغداد بوفاه الفقيه الإمام أبى بكر محمد ابن أحمد الشاشى، رحمه الله ببغداد يوم السبت الخامس و العشرين من شوال منها، و قد انتهت الرئاسه إليه على أصحاب الشافعى، و دفن فى تربه شيخه أبى اسحق الشيرازى، رحمه الله(2).

و قد تقدم من ذكرنا ما كان من نوبه صور، و انتقال ولايتها إلى ظهير أتابک، و استنابته مسعودا فى حفظها و حمايتها، و تدبير أمرها و إنفاذ رسوله إلى الأفضل بشرح حالها، و لم يزل الرسول المسير إلى مصر مقيما بها إلى ذى الحجه من سنه ست و خمسمائه و ظهر للأفضل صوره الحال فيها، و جليه الأمر بها، و أعاد الرسول بالجواب الجميل، و إن «هذا أمر وقع منا أجمل موقع، و أحسن موضع»، و استصواب رأى ظهير الدين فيما اعتمده و إحماد ما قصده، و تقدم بتجهيز الأسطول إليها بالغله و الميره، و مال النفقه فى الأجناد و العسكريه، و ما يباع على الرعيه من الغلات، و وصل الأسطول بذلک إلى صور- و مقدمه شرف الدوله بدر بن أبى الطيب الدمشقى، الوالى كان بطرابلس عند تملک الأفرنج لها- فى آخر صفر سنه سبع و خمسمائه، بكل ما يحتاج إليه، فرخصت الأسعار بها، و حسنت حالها، و استقام أمرها، و زال طمع الأفرنج فيها، و وصل فى جملته خلع فاخره من طرف مصر، برسم ظهير الدين و ولده تاج الملوک بورى و خواصه،

1- إلى الموصل- مرآه الزمان: 1/ 51. و زاد هنا صاحب المرآه أن بلدوين ملک القدس كتب إلى أتابک طغتكين يقول معلقا على اغتيال مودود« إن أمه قتلت عميدها فى يوم عيدها فى بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها».
2- انظر ترجمته فى طبقات الشافعيه الكبرى- ط. دار المعرفه بيروت 4/ 57- 61.

و لمسعود الوالى المستناب بها، و أقام الأسطول عليها إلى أن استقام الريح له، فأقلع عنها فى العشر الأخير من شهر ربيع الأول منها.

و أرسل بغدوين الملک إلى الأمير مسعود و اليها يلتمس منه المهادنه و الموادعه و المسالمه، لتحسم أسباب الأذيه عن الجانبين، فأجابه إلى ذلک، و انعقد الأمر بينهما على السداد، و استقامت الأحوال على المراد، و أمنت السابله للمترددين و التجار و السفار الواردين من جميع (103 ظ) الأقطار، و توفى رحمه الله فى عاشر شوال سنه سبع و خمسمائه و قد كان صاحب أنطاكيه لما فصل عن الملک بغدوين بعسكره عائدا إلى أنطاكيه فسخ عنه ولد الملک تكش بن السلطان ألب أرسلان، و قصد صور، و أنفذ إلى ظهير الدين أتابک فى الوصول إلى دمشق، فأجابه بالاعتذار الجميل و الاحتجاج المقبول، و دفعه أحسن دفع، فلما أيسه توجه إلى مصر، و لقى من الأفضل ما أحب من الإكرام و المزيد من الاحترام و الإنعام و إطلاق ما يعود إليه بصالح الحال، و تحقيق الآمال.

و فى جمادى الآخره وردت الأخبار من ناحيه حلب بمرض عرض للملک فخر الملک رضوان صاحبها، و أنه أقام به، و اشتد عليه، و توفى رحمه الله فى الثامن و العشرين من الشهر، فاضطرب أمر حلب لوفاته، و تأسف أصحابه لفقده، و قيل أنه خلف فى خزانته من العين و العروض و الآلات و الأوانى تقدير ستمائه ألف دينار، و تقرر الأمر بعده لولده ألب أرسلان و عمره ست عشره سنه، و فى كلامه حبسه و تمتمه، و أمه بنت الأمير يغى سيان صاحب أنطاكيه، و قبض على جماعه من خواص أبيه، فقتل بعضا، و أخذ مال بعض، و دبر الأمر معه خادم أبيه لؤلؤ، فأساء كل واحد منهما التدبير، و قبض على أخويه ملک شاه من أمه و أبيه، و مبارک من أبيه و جاريه، و قتلهما(1).

1- فى بغيه الطلب لابن العديم ترجمه لكل من رضوان بن تتش و ابنه ألب أرسلان الأخرس، و سبق لى نشرهما فى ملاحق كتابى مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه:

و قد كان أبوه الملک رضوان فی مبدأ أمره فعل مثل فعله بقتل أخويه من تاج الدوله: أبی طالب و بهرام شاه، و كانا علی غايه من حسن الصوره، فلما توفی كان ما فعل بولديه مكافأه عما اعتمده فی أخويه.

و كان أمر الباطنيه قد قوی بحلب، و اشتدت شوكتهم بها، و خاف ابن بديع رئيس الأحداث بحلب و أعيان البلد منهم، لكثرتهم و شد بعضهم من بعض، و حمايه من يلجأ إليهم منهم لكثرتهم، و كان الحكيم المنجم و أبو طاهر الصائغ أول من أظهر هذا المذهب الخبيث بالشام، فی أيام الملک رضوان، و استمالا إليه بالخدع و المحاولات، و مال إليهم خلق كثير من الإسماعيليه بسرمين(1) و الجزر و جبل السماق و بنی عليم، فشرع ابن بديع رئيس حلب فی الحديث مع الملک ألب أرسلان بن رضوان فی أمرهم، و قرر الأمر معه علی الإيقاع بهم، و النكايه فيهم، فقبض علی أبی طاهر (104 و) الصائغ، و علی كل من دخل فی هذا المذهب، و هم زهاء مائتی نفس، و قتل فی الحال أبو طاهر الصائغ، و اسماعيل الداعی، و أخو الحكيم المنجم و الأعيان المشار إليهم منهم، و حبس الباقون و استصفيت أموالهم، و شفع فی بعضهم، فمنهم من أطلق، و منهم من رمی من أعلی القلعه، و منهم من قتل، و هرب جماعه أفلتوا إلی الأفرنج، و تفرقوا فی البلاد.

و دعت الملک ألب أرسلان الحاجه إلی من يدبر أمره، و يثقف أوده، فوقع اختياره علی ظهير الدين أتابک، صاحب دمشق، فراسله فی ذلک، و ألقی مقاليده إليه و اعتمد فی صلاح أحواله عليه، و سأله الوصول إلی حلب، و النظر فی مصالحها، و أوجبت الصوره أن خرج الملک نفسه فی خواصه، و قصد أتابک فی دمشق ليجتمع معه، و يؤكد الأمر بينه و بينه،

1- تتبع سرمين الآن محافظه ادلب، و تبعد عن ادلب مسافه/ 8 كم/ و الجزر كوره من كور حلب معظمها الآن يتبع محافظه ادلب، و جبل السماق و بنی عليم هو جبل الأربعين فی منطقه أريحا، و قد فصل الحديث عن هذه المناطق ابن العديم فی المجلده الأولی من بغيه الطلب و قد حققته، و طبعته فی دمشق عام 1988.

فوصل إليه فى النصف من شهر رمضان من السنه، فلقيه أتابک بما يجب لمثله من تعظيم مقدمه، و إجلال محله، و أدخله إلى قلعه دمشق، و أجلسه فى دست عمه شمس الملوک دقاق بن تاج الدوله، و قام هو و الخواص فى خدمته، و حمل إليه ما أمكن حمله من تحف و ألطاف تصلح لمثله، و كذلک لجميع من وصل فى صحبته، و أقام أياما على هذه الحال، و توجه عائدا إلى حلب فى أول شوال من السنه و معه ظهير الدين أتابک فى أكثر عسكره، و وصل إلى حلب، و أقام أياما، و أشار عليه قوم من أصحابه بالقبض على جماعه من أعيان عسكره، و على وزيره أبى الفضل بن الموصول، و كان حميد الطريقه مشهورا بفعل الخير، و تجنب الشر، ففعل ذلک، و استخلص ظهير الدين أتابک من جملتهم الأمير كمشتكين البعلبكى مقدم عسكره، و خالف ما فى نفس أتابک من صائب الرأى، و محمود التدبير، فحين شاهد الأمر على غير السداد و الصواب، و بان له فساد التدبير، و اختلال التقدير، رأى أن الانكفاء إلى دمشق أصوب ما قصد، و أحسم ما أعتمد، و فى صحبته والده الملک رضوان لرغبتها فى ذلک، و إيثارها له(1).

و لما حصل فى دمشق اتصلت المراسله بينه و بين بغدوين ملک الأفرنج فى إيقاع المهادنه و الموادعه و المسالمه، لتعمر الأعمال بعد الإخراب، و تأمن (104 ظ) السوابل من شر المفسدين و الخراب، فاستقرت هذه الحال بينهما، و استحلف كل منهما صاحبه على الثبات و الوفاء و إخلاص الموده و الصفاء، و أمنت المسالک و الأعمال، و صلحت الأحوال و توفر الاستغلال.

و فى هذه السنه ورد الخبر من شيزر بأن جماعه من الباطنيه من أهل أفاميه و سرمين و معره النعمان (و معره) مصرين فى فصح النصارى، و ثبوا فى حصن شيزر على غفله من أهله فى مائه راجل، فملكوه

1- انظر زبده الحلب: 2/ 167- 171.

و أخرجوا جماعه، و أغلقوا باب الحصن، و صعدوا إلى القلعه فملكوها و أبراجها، و كان بنو منقذ أصحابها قد خرجوا لمشاهده عيد النصارى، و كان هذا أمر قد رتب فى المده الطويله، و قد كانوا أحسنوا إلى هؤلاء المقدمين على الفساد كل الإحسان، فبادر أهل شيزر قبل وصولهم إلى الباشوره، و رفع الحرم [الرجال](1) بالحبال من الطاقات و صاروا معهم، و أدركهم الأمراء بنو منقذ أصحاب الحصن، و صعدوا إليهم، و كبروا عليهم، و قاتلوهم حتى ألجأوهم إلى القلعه، فخذلوا و هجموا إليهم و تكاثروا عليهم، و تحكمت سيوفهم فيهم، فقتلوهم بأسرهم، و قتل كل من كان على رأيهم فى البلد من الباطنيه، و وقع التحرز من مثل هذه الحال.

سنه ثمان و خمسمائه

فى هذه السنه ورد الخبر من ناحيه حلب بأن يايا المعروف بلؤلؤ الخادم، أتابک الملک تاج الدوله ألب أرسلان ولد الملک رضوان صاحب حلب، عمل عليه و واطأ جماعه من أصحابه على الإيقاع به و الفتک به عند وجود الفرصه مستهله فيه، و حين لاحت لهم و ثبوا عليه فقتلوه فى داره بقلعه حلب، و اضطرب الأمر بعده، و قد كان تدبيره لنفسه و عسكريته و رعيته سيئا فاسدا لا يرجى له صلاح و لا إصلاح، فمضى لسبيله غير مأسوف عليه، و لا محزون لفقده(2).

1- أضيف ما بين الحاصرتين لتدارک سقط ألم بالنص، و جاء فى مرآه الزمان: 1/ 46:« و دلى الحرم بالحبال من القلعه و أصعدوا الرجال و فتحوا الأبواب، و صعد الأمراء ...» و لعل هذه الواقعه هى ما أشار إليه أسامه بن مرشد بن منقذ فى كتابه الاعتبار. ط. برنستون 1930:

2- فى ترجمه ألب أرسلان فى بغيه الطلب:« و ساءت سيره ألب أرسلان بحلب، و انهمک فى المعاصى، و اغتصاب الحرم، فخافه لؤلؤ اليايا، فقتله بقلعه حلب فى الثامن من شهر ربيع الآخر من سنه ثمان و خمسمائه، و نصب أخا له طفلا عمره ست سنين، و بقى لؤلؤ بحلب إلى أن قتل فى آخر سنه عشر و خمسمائه». مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 296.

و فیها توفی الشریف نسیب الدوله أبو القاسم علی بن ابراهیم بن العباس بن الحسن الحسینی، رحمه الله، فی لیله الأحد الرابع و العشرین من شهر ربیع الآخر، و دفن بعد صلاه الظهر فی التربه الفخریه بدمشق(1) (105 و).

و فی هذه السنه حدثت زلزله بالشام عظیمه، و ارتجت لها الأرض، و أشفق الناس، و سکنت لها النفوس بعد الوجیب و القلق، و قرت القلوب بعد الانزعاج و الفرق.

و فی هذه السنه نزل الأمیر نجم الدین إیل غازی بن أرتق علی حمص، و فیها خیرخان بن قراجا، و کان عاده نجم الدین إذا شرب الخمر، و تمکن منه أقام منه عده أیام مخمورا، لا یفیق لتدبیر، و لا یستأمر فی أمر و لا تقریر، و قد عرف خیرخان منه هذه العاده المستبشعه، و الغفله المستبدعه، فحین عرف أنه علی تلک القضیه، خرج من قلعه حمص فی رجاله، و کبسه فی مخیمه، و انتهز الفرصه فیه، و قبض علیه، و حمله إلی حمص، و ذلک فی شعبان منها، و ضاق صدر ظهیر الدین أتابک لما انتهی الخبر بذلک إلیه، و کاتب خیرخان بالإنکار علیه، و الإکبار لما أجری علیه، و تغیرت نیته فیه، و أقام أیاما فی اعتقاله إلی أن أطلقه، و خلی سبیله.

و فیها وردت الأخبار من ناحیه الأفرنج بهلاک ملکهم بغدوین بعله هجمت علیه، مع انتقاض جرح کان أصابه فی الوقعه الکائنه بینه و بین المصریین، فهلک بها، و قام مقامه من بعده من ارتضی به(2).

1- ترجم له سبط ابن الجوزی بین وفیات سنه 509: 1/ 54- 55، و نقل عن ابن عساکر قوله:« و کانت له جنازه عظیمه و دفن بالباب الصغیر».
2- کذا، و هذا التاریخ مبکر، فوفاته کانت سنه 512 ه/ 1118 م، و سیذکره المؤلف ثانیه فی أخبار سنه/ 512/ و بعد ما توفی خلفه بلدوین الثانی صاحب الرها. انظر حول هذا کله تاریخ ولیم الصوری- بالانکلیزیه: 1/ 514- 522. الکامل لابن الأثیر: 8/ 284.

و فيها توفى الشيخ أبو الوحش سبيع بن مسلم الضرير، المعروف بابن قيراط المقرى ء المجود بالسبعه رحمه الله، فى يوم السبت الحادى عشر من شعبان منها، و دفن بباب الصغير، بين قبور الشهداء رضى الله عنهم، و كان ملازما لجامع دمشق يقرأ إلى أن توفى على أحسن طريقه(1).

سنه تسع و خمسمائه

فى هذه السنه قويت شوكه الأفرنج فى رفنيه، و بالغوا فى تحصينها و شحنها بالرجال، و شرعوا فى الفساد و التناهى فى العناد، فصرف ظهير الدين همه إلى الكشف عن أحوالهم و البحث عن مقاصدهم فى أعمالهم، و ترقب الفرصه فيهم، و معرفه الغره منهم، و تقدم إلى وجوه العسكر و مقدميه بالتأهب و الاستعداد، لقصد بعض الجهات لإحراز فضيله الجهاد، و النهوض (105 ظ) لأمر من المهمات، ثم أسرى إليهم مغذا، حتى أدركهم و هم فى مجاثمهم غارون، فلم يشعروا إلا و البلاء قد أحاط بهم من جميع جهاتهم، فهجمت الأتراک عليهم البلد، فملكوه و حصل كل من كان فيه فى قبضه الأسر، و ربقه الذل و القهر، فقتل من قتل، و أسر من أسر، و غنم منهم المسلمون سوادهم و كراعهم و أثاثهم ما امتلأت به الأيدى، و سرت به النفوس، و قويت بمثله القلوب، و ذلک فى يوم الخميس لليله خلت من جمادى الآخره من السنه، و انكفأ المسلمون إلى دمشق ظافرين مسرورين غانمين لم يفقد منهم بشر، و لا عدم شخص، و معهم الأسرى و رؤوس القتلى، فأطيف بهم فى البلد بحيث تضاعف بمشاهدتهم السرور، و انشرحت الصدور، و قويت من الجند فى الجهاد و الغزو الظهور.

و لما شاع ذكر ظهير الدين أتابک فى الأعمال العراقيه، و الدركاه السلطانيه بما أعطاه الله من شده البأس فى محاربه الأفرنج الأرجاس،

1- ترجم له ابن عساكر فى تاريخه، و ذكر وفاته سنه« خمس و خمسمائه». تهذيب تاريخ دمشق الكبير للشيخ عبد القادر بدران. ط بيروت 1979: 6/ 66.

و منحه من النصر عليهم، و النكايه فيهم، و الذب عن أهل الشام و مراماته دونهم، و محاماته عنهم و إحسان السيره فيهم، بحيث دعى له فى محافل الرعايا و التجار، و شكر بين الرفق من سفار الأقطار، فحسده قوم من مقدمى الدركاه السلطانيه الغياثيه، و راموا القدح فيه و الطعن عليه، طلبا لإفساد حاله، و اعتمادا لعكس آماله، و حطّا لرتبته بالحضره السلطانيه، و تشعيث الآراء الجميله الغياثيه، و ظهر الأمر بذاک و انتشر، و شاع من كل صوب و اشتهر، و كتب إليه بذلک من يؤثر صلاحه من الأصدقاء، و يشفق عليه، فأحدث ذاک له استيحاشا دعاه إلى التأهب و الاستعداد لتوجه ركابه إلى الباب الإمامى المستظهرى، و الباب السلطانى الغياثى بمدينه السلام بغداد للمثول بهما، و الخدمه لهما، و التقرب بالسعى إليهما، و إنهاء حاله إليهما، و إزاله ما وقع فى النفوس ظنه بالقدوم عليهما، و أشير عليه بترک ذلک و إهماله، و حذر منه و بعث على إغفاله، فلم يصخ إلى هذا المقال، و لا أعاد على أحد جواب سؤال، بل تأهب للمسير، و بالغ فى الجد فيه (106 و) و التشمير، و أعد ما يصحبه من أنواع التحف المستحسنه من أوانى البلور و المصاغ، و أجناس الثياب المصريه، و الخيول السبق العربيه، مما يصلح أن يتقرب بمثله إلى تلک المناصب العليه، و سار فى خواصه، و أهل ثقته من غلمانه، فى يوم الأحد لست بقين من ذى القعده من السنه.

فلما قرب من بغداد، و أنهى خبر وصوله تلقاه من خواص الدار العزيزه النبويه المستظهريه، و الدركاه السلطانيه الغياثيه، و وجوه الدوله و أعيان الرعيه، من بالغ فى إكرامه و تناهى فى احترامه، و قوبل من ذاک ما زاد فى مسره أوليائه، و الفت فى أعضاد حساده و أعدائه، و أوضح حاله فيما قصد لأجله، فما سمع إلا ما عاد ببسط عذره، و إحماد فعله، و إطراء أمره، و تطييب نفسه، و إبعاد استيحاشه، و تأكيد أنسه، و حين عزم على الانكفاء إلى دمشق، و أذن له فى ذلک، شرف بالخلع السنيه، و الكرامات

الهنیه، و کتب له المنشور العالی السلطانی الغیاثی بولایه الشام حربا و خراجا، و إطلاق یده فی ارتفاعه علی إیثاره و اختیاره بإنشاء الطغرائی أبی اسماعیل الأصفهانی(1) و هو إذ ذاک فرید زمانه فی الکتابه و البلاغه، و وحید عصره فی الآداب و البراعه، و قد أثبت نسخته فی هذا المکان، لیعرف الواقف علیه فضل منشئه، و علو مرتبه من کتب له، و أحسن وصفه فیه و هو:

بسم الله الرحمن الرحیم

هذا منشور أمر بإنشائه السلطان المعظم غیاث الدنیا و الدین، أطال الله بقاءه، و أعز أولیاءه، و نصر لواءه: للأمیر الأصفهسلار الأجل، الکبیر، ظهیر الدین أتابک، أدام الله تأییده، لما بان تمسکه من الطاعه بأحکم علائقها، و اعتصامه من الخدمه بأوکد وثائقها، و انتهاجه من المشایعه أقوم مسالکها، و اعتماده أفضل طرائقها، و أجلت التجارب منه عین الناصح الأریب، و المهذب اللبیب، المتدرج فی مراقی الرتب السنیه، بالمساعی الرضیه، و المحرز أحاظی القرب الخطیره بالآثار الشهیره، المشهوده موافقه فی قود الجماهیر العظام، و الذب عن حوزه الإسلام، و التجرد لمظافره الأولیاء، و مقارعه الأعداء و الاستقلال (106 ظ) بمعضلات الأعباء، الجامع إلی خصائص هذه الأسباب و الإلمام بخدمه الأبواب، و التحقق بزمر الحشم و الأصحاب، المستقل بنصحه، المنخول بدلائه المقبول، و وسائله المشفوعه توالدها بالطوارف، و شوافعه المنصوره سوالفها بالأوانف، أن یزاد فی الإنافه بقدره، و الإشاده بذکره، و یستخلص تخلیه صدره، بتفخیم أمره، و تجدد الصنیعه عنده بما یکون لواجب حقوقه قضاء، و لمصالح مساعیه کفاء، و لمحله المرموق لائقا، و لموضعه من الدوله مضاهیا مطابقا، فرأیناه أحق من أفیضت علیه

1- صاحب لامیه العجم، ینتهی بنسبه إلی أبی الأسود الدولی، توفی سنه 514 ه/ 1120 م ترجم له سبط ابن الجوزی فی وفیات سنه 514. مرآه الزمان: 1/ 92- 94.

ملابس الإنعام، و حبى من الكرامه بأوفر الأقسام، و رفع من مراتب الاحتباء و الاختصاص إلى الذروه و السنام، و رشح لكفايه المهام، و تدبير الأمور الجسام، و أوطى ء عقبه الكماه الأنجاد، ورد إلى إيالته الأمصار و الأجناد، رسمنا أن نجدد له هذا المنشور بإماره الشام، و نقرر عليه جميع ما دلت عليه المناشير المنشأه المتضمنه لأسامى البلاد الموجبه له، صارت رسمه مهما يجرى معها، و يضاف إليها من النواحى و الضياع و الحصون و القلاع، حسب ما أورد ذكره مفصلا فى هذا المثال، و جعلناها نعمه مصونه من الارتجاع، و طعمه محميه من الانتزاع، قلدناه فى عامه تلك البقاع: أعمال الحرب، و المعاون، و الأحداث(1)، و الأخرجه و الأعشار، و سائر وجوه الجبايات(2) و العروض و الإعطاء، و النفقه فى الأولياء، و المظالم و الأحكام، و سائر المستظهر عليه بنظر الولاه و الكفاه، و النصحاء الثقاه، رعايه لحقوقه اللازمه، و محافظه على أذمته المتقادمه، و ثقه منه باستدامه النعمه، و ارتباطها بالتوفر على شرائط الخدمه، و استدعاء مزيد الإحسان، و استيفاء عوائد الاصطناع بدوام النصح، و فضل الاستقلال و الاضطلاع، و الله تعالى يجزينا على أحسن عوائده، بإصابه شاكله الصواب فى اختيار الأولياء، و يلهمنا الرشد فى مرامى الأفكار، و مواقع الآراء، و لا يخلينا فى اصطفاء من نصطفيه و اجتباء من نجتبيه من مساوقه التوفيق لما نرتاده و نرتئيه.

أمرناه بتقوى الله و طاعته، و استشعار خيفته و مراقبته (107 و) و الالتجاء منها إلى الحصن الأمنع، و الظل الأمتع، و الاستظهار منها بالذخر الأتقى، و الحرز الأوقى، و الاحتراس من هواجس الهوى باعتلاق عروتها الوثقى، و إدراع شعارها الأتقى، قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ

1- أى الجيش و الشرطه و قوات الأحداث(الميليشيا البلديه).
2- فى الأصل« الجنايات» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.

وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(1) و أمرناه أن يسير فيمن قبله من الأولياء و الحشم أجمل سيره، و يحملهم بحسن السياسه على أفضل و تيره، و يسلكهم مسلكا وسطا بين اللين و الخشونه، و السهوله و الوعوره، و يشعر قلوبهم من الهيبه ما يقبض المتبسط، و يردع المتسلط، و يرد غرب الجامع، و يقيم صعر الجانح، و يخص منهم ذوى الرأى و الحنكه و الثبات و المسكه بالمشاوره و المباحثه، و يستخلص نخائل صدورهم، عند طروق الحوادث بالمفاوضه و المنافثه(2)، و يستعين بثمار ألبابهم، و نتائج أفكارهم على دفاع الملم، و كفايه المهم، و يتناول سفهاءهم و ذوى العيث و الفساد منهم بالتقويم و التهذيب، و التعريک و التأديب، و يردهم عن غلوائهم بالقول ما كفى، و إحراز النصح ما أجدى و أغنى، و من زاده الأناه و الحلم و الاحتمال و الكظم تماديا فى العدوان، و تتابعا فى الطغيان عركه عرک الأديم، و تجاوز به حد التقويم إلى التحطيم، متيقنا أن إعطاء كل طبقه ممن تشمله رعايته، و تكنفه إيالته حقها من قوانين السياسه إرهاقا لبصيره القارح المتماسک و كفا لغرب الحرج المتهالک، قال الله تعالى: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ(3).

و أمرناه أن يوكل بأمر الثغور المتاخمه لأعماله و المصاقبه لبلاده عينا كالئه، و أذنا واعيه، و همه للصغير و الكبير فى مصالحها مراعيه، فيشحنها بذوى البأس و النجده المذكورين بالبساله و الشده المعروفين بالصريمه و الغناء، و الصبر عند اللقاء، و البصيره بمكابده الأعداء، و يستظهر لهم باستجاده الأسلحه و الآلات و الاستكثار من المير و الأقوات، و يناوب بينهم فى مقارهم، مناوبه تجم المكدود، و تريح المجهود، و تدر عليهم

1- القرآن الكريم- الأنفال: 29.
2- نفث: أوحى و ألقى. النهايه لابن الأثير.
3- القرآن الكريم- الأنفال: 58.

الأرزاق عند (107 ظ) الوجوب و الاستحقاق، ليقوم أودهم، و يقل لددهم، و تحسن طاعتهم، و تلين مقادتهم، و يكثف عددهم و عدتهم، و تشتد على الأعداء شوكتهم، و يغيظ الكفار زيهم و شارتهم، قال الله تعالى: «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ(1).

و أمرناه أن يأخذ نفسه و أصحابه بالثبات و الصبر عند قراع السيوف بالسيوف، و ذلوف الزحوف بالحروف، و يرخصوا أنفسهم فى ابتغاء مرضاه الله و الذب عن حوزه الدين، و المحاماه عن بيضه الإسلام و المسلمين، و يحتاط مع ذلک لنفسه و أصحابه، و لا يقدم بهم على غرر، و لا يفسح لهم فى ركوب خطر إلا بعد الأخذ بالحزم، و استعمال الرفق فى الحذر، و يكون إقدامهم على بصيره تامه، لا يقتحم معها غره، و لا تضاع فرصه، و لا يحجمون إذا أحمز البأس، و اشتد المراس عن تورد المعركه، و لا يلقون بأنفسهم إذا حمى الوطيس، و التقى الخميس بالخميس إلى التهلكه، قال الله جل و علا: وَ جاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ(2).

و أمرناه أن يصل جناح ضمانه بالوفاء، و يشد أركان عهده بالثبات، و يصون ذمته عما يخفرها، و يشفق عليها مما يحيلها و يغيرها، و يذهب مع دواعى الصدق، و يصبر على تكاليف الحق، و لا يروع لهم سربا أمنه، و لا ينقض شرطا ضمنه، و لا ينكث عهدا أبرمه، و لا يخلف وعدا قدمه، و لا يتجافى عمن يلوذ بعقوته، و لا يأبى قبول السلم ممن اتقى بصفحته، قال الله تعالى: وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا(3). و قال جل من قائل: وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها(4).

1- القرآن الكريم- الأنفال: 60.
2- القرآن الكريم- الحج: 78.
3- القرآن الكريم- الإسراء: 34.
4- القرآن الكريم- الأنفال: 61.

و أمرناه أن يعم رعاياه القاره و الماره بالأمن العائد عليهم بسكون الجأش، وسعه المعاش، و يحوطهم فى متوجهاتهم و متصرفاتهم، حياطه تكنفهم من جميع جهاتهم، و يحمى نفوسهم و ذراريهم و أموالهم، و معائشهم، حمايه ترد كيد الظالم، و تقبض يد الغارم، و تخرج ذوى الريب من مظانهم، و تحول بينهم و بين عدوانهم، و تجرى حكم الله فيهم، و تقيم حده على من سفک فيهم دما، و انتهک محرما، أو أظهر شقاقا و عنادا، أو سعى فى الأرض فسادا، قال الله تعالى: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ (108 و) خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فِى الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِى الْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِيمٌ(1).

و أمرناه أن ينظر فى أحوال الرعايا أتم نظر و أوفاه، و يسأل عن ظلاماتهم أبلغ سؤال و أحفاه، و يستن بالسنه العادله فيهم، و يمنع أقوياءهم عن تهضم مستضعفيهم، و يحمل من تحت يده على التعادل و التناصف، و يصدهم عن التغاضب و التظالم، و يقر الحقوق مقارها، عند وضوح الحجه، و ارتفاع الشبهه، و يختار لهم من العمال و الولاه أسدهم طرائق، و أقومهم مذاهب، و أحمدهم خلائق، و يأمر كلا منهم أن لا يغير عليهم رسما، و لا يتوى(2) لهم حقا، و لا يسومهم فى معاملاتهم خسفا، و لا يحدث عليهم من يدع الجور رسما، و لا يرتكب منهم ظلما، و لا يأخذ منهم برا بأثيم، و لا بريئا بسقيم، و يقنع منهم فى إخراجاتهم و مقاساتهم و قسوطهم و مقاطعاتهم بالحقوق المستمره، و يحملهم فى العدل على القواعد المستقره، و يستقرى ء آثار الولاه قبله، فما طاب منها، و حسن اقتفاؤه اقتفره(3)، و ما ذم منها و استنكره أماطه و غيره.

و يعتقد أنه مسؤول عما اكتسب و اجترح، و محاسب على ما أفسد

1- القرآن الكريم- المائده: 33.
2- أى لا يضيع و لا يهلک. النهايه الابن الأثير.
3- أى تتبع أثره- النهايه لابن الأثير.

و أصلح، قال الله تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى. وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى. ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى(1) فيلتلقى هذه النعمه الكبيره، و العارفه الخطيره بإعظام قدرها، و القيام بواجب شكرها، و ليتحقق أنها قاطنه بفنائه ما أحسن جوارها بخالصه نصحه و ولائه، و باقيه عليه و على عقبه ما عملوا بأحكام هذا العهد، و عنوا بتأكيد أسبابه، و أعلنوا بشعار الدوله، و استمروا على السنه المألوفه فى إقامه الخطبه و السكه، و تمسكوا بولاء الدوله العباسيه التى هى سنه متبعه، و ما عداها ضلاله مبتدعه، وَ جاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ(2) و أحسنوا السيره فى عباده و بلاده، و الله تعالى يمدنا و إياه فى هذا الرأى الذى رأيناه، و يزلف من رضاه و يحمد فاتحته و عقباه، إن شاء الله تعالى.

و كتب فى المحرم سنه عشر و خمسمائه

و توجه منكفئا إلى دمشق، على أجمل صفه و أحسن قضيه فى سلامه النفس و الجمله، و تزايد العز و الحرمه، و دخلها فى يوم الاثنين (108 ظ) لثلاث عشره ليله بقيت من ربيع الأول سنه عشر و خمسمائه.

سنه عشر و خمسمائه

فى هذه السنه ورد الخبر بأن بدران بن صنجيل(3)، صاحب طرابلس، قد جمع و حشد، و بالغ و اجتهد، و نهض إلى ناحيه البقاع لإخرابه بالعيث و الفساد و الإضرار و العناد، و كان الاصفهسلار سيف الدين البرسقى، صاحب الموصل، قد وصل إلى دمشق فى بعض عسكره، لمعونه ظهير الدين أتابک على الأفرنج، و الغزو فيهم، و بالغ أتابک فى الإكرام له و التعظيم لمحله، و صادف ورود هذا الخبر بنهضه

1- القرآن الكريم- النجم: 39- 41.
2- القرآن الكريم- الحج: 78.
3- كذا فى الأصل و هو و هم، فبرتران كان قد توفى سنه 505 ه/ 1112 م و خلفه ابنه بونز و قد سبقت الإشاره إلى ذلک ص 289 انظر كتاب طرابلس الشام: 149- 152.

الأفرنج إلى البقاع، فاجتمع رأيهما على القصد لهما جميعا، و أغذا السير ليلا و نهارا، بحيث هجموا عليهم، و هم غارون، فى مخيمهم قارون، لا يشعرون فأرهقهم العسكر، فلم يتمكنوا من ركوب خيلهم، و لا أخذ سلاحهم، فمنحهم الله النصر عليهم، و أطلقوا السيف فيهم قتلا و أسرا و نهبا، فأتوا على الراجل و هم خلق كثير، قد جمعوا من أعمالهم، و أسروا وجوه فرسانهم و مقدميهم، و أعيان شجعانهم، و قتلوا الباقين منهم، و لم يفلت منهم غير مقدمهم بدران بن صنجيل و المقدم كند اصطبل، و نفر يسير معهما، ممن نجا به جواده، و حماه أجله، و استولى الأتراک على العدد الجمه، و الخيول و الكراع و السواد، و ذكر الحاكى المشاهد العارف أن المفقود المقتول من الأفرنج الخياله و السرجنديه(1) الرجاله، و النصارى الخياله و الرجاله فى هذه الوقعه ما يزيد على ثلاثه آلاف نفس.

و عاد ظهير الدين أتابک، و سيف الدين (آق) سنقر البرسقى فى عسكريهما إلى دمشق مسرورين بالظفر السنى، و النصر الهنى، و الغنائم الوافره، و النعم المتوافره، فلم يفقد من العسكريين بشر، و لا أصابهم بؤس و لا ضرر، و وصلا البلد بالأسرى و رؤوس القتلى، و خرج الناس من البلد لمشاهدتهم، و استبشروا بمعاينتهم، و سروا بنظرهم سرورا، واصلوا معه حمد الله مولى النصر، و مانح القهر، و شكروه تعالى على ما سناه من الاستظهار المبين بالاستعلاء المشرق الجبين، و أقام آق سنقر البرسقى أياما بعد ذلک و توجه (109 و) عائدا إلى بلده بعد استحكام الموده بينه، و بين ظهير الدين، و المصافاه و الموافقه على الاعتضاد فى الجهاد، متى حدث أمر أو حزب خطب.

1- حوت جيوش الفرنجه عده نوعيات من الأسلحه تقدمها سلاح الفرسان الثقال من طبقه النبلاء الإقطاعيه، و تلاهم« السر جنديه» و هم رجاله ثقال كانت تجندهم الكنائس و الديره و تنفق هذه المؤسسات عليهم، و غالبا ما كان السرجنديه ضعف عدد الفرسان الثقال، و بعد هؤلاء جاء الخياله أو الفرسان الخفاف« التركبول» ثم الرجاله العاديين و الحجاج و كان الجزء الأكبر من الصنفين الأخيرين من المرتزقه. أفضل مصدر حول هذا الموضوع كتاب فن الحرب فى الحروب الصليبيه(بالانكليزيه) تأليف ر. سميل. ط. لندن 1967.

و قد كان فى هذه السنه وردت الأخبار قبل عود ظهير الدين من العراق، بالكائنه الحادثه من الباطنيه فى الدركاه السلطانيه، و قتلهم الأمير أحمديل فيها، فى المحرم منها، مع وجاهته، و تزايد حشمته، و وفور عدته، و أكثر الناس التعجب من هذا الإقدام المشهور، و الفعل المذكور، و لله عاقبه الأمور(1).

و فيها وردت الأخبار من ناحيه حلب، بقتل لؤلؤ الخادم، الذى كان غلب أمره فيها، و عمل على قتل ولده مولاه الملک ألب أرسلان بن رضوان، فى ذى الحجه منها، بأمر دبره عليه أصحاب الملک المذكور(2).

سنه إحدى عشره و خمسمائه

فى هذه السنه توفى السلار بختيار شحنه دمشق، و نائب ظهير الدين فى تولى أمر البلد، و سياسه الرعيه، بعلل اختلفت عليه، و طالت به إلى أن قضى نحبه رحمه الله فى ليله النصف من شعبان منها، فأحزن ظهير الدين فقده، و أهمه المصاب به، و تأسف أكثر الناس عليه، لأنه كان عفيفا فى أفعاله غير معترض لخمر، غنى الحال و النفس، معينا لمن يقصده فى دفع مظلمه، و إنقاذ من شده، جميل المناب فيما يعود بصلاح الرعيه، و البعث على العمل بالعدل و السويه، و أقيم ولده السلار عمر فى منصبه، فاقتفى آثاره فى أشغاله، و حذا مثاله فى أعماله.

و فيها وردت الأخبار من ناحيه العراق، بوفاه السلطان غياث الدنيا و الدين محمد بن ملک شاه بأصفهان، رحمه الله، بعله حدثت به، و طال

1- فى ترجمه أحمديل فى بغيه الطلب قال ابن العديم:« و فى المحرم سنه عشر و خمسمائه كان أحمديل فى مجلس السلطان محمد، فجاءه رجل و معه قصه يشكو فيها الظلم و هو ينتحب، و سأله أن يوصل قصته إلى السلطان، فتناولها منه فضربه بسكين كانت معده ...» مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 254.
2- أخذ أموال قلعه حلب و حاول أن يهرب إلى بلاد الشرق، فلحقه بعض قاده جند حلب و رشقه بالسهام حتى قتل. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبيه: 295.

مقامها علیه، إلی أن توفی فی الحادی عشر من ذی الحجه منها، و قام مقامه فی السلطنه ولده محمود، و استقام له الأمر، و استقرت علی صلاح الحال.

و فیها وردت الأخبار من ناحیه حلب، بأن الاصفهسلار یارقتاش الخادم، متولی اصفهسلاریه حلب، هادن الأفرنج و وادعهم، و سلم إلیهم حصن القبه(1).

و قیل إن الأمیر آق سنقر البرسقی، خرج من الرحبه فی عسکره، و قصد حلب، و نزل علیها طامعا فی تملکها، فلم یتسهل له ما أمل و رحل (109 ظ) عنها عائدا إلی الموصل.

و ورد الخبر أیضا بأن الاصفهسلار یارقتاش المقدم ذکره أخرج من قلعه حلب، ورد أمر الاصفهسلاریه و النظر فی الأموال إلی الأمیر أبی المعالی (المحسن)(2) ابن الملحی العارض الدمشقی، و دبر الأشغال بها و الأعمال فیها.

و فی النصف من المحرم منها هجمت الأفرنج علی ربض حماه، فی لیله خسوف القمر، و قتلوا من أهلها تقدیر مائه و عشرین رجلا.

و ورد الخبر بهلاک دوقس أنطاکیه(3).

و فی المحرم منها وصل الأمیر نجم الدین إیل غازی بن أرتق فی عسکره إلی حلب، و تولی تدبیر أمرها مده صفر، و فسد علیه ما أراده، فخرج منها، و بقی ولده حسام الدین تمرتاش.

و فیها وردت الأخبار من القسطنطینیه بموت متملک الروم

1- لم أجد له ذکرا فی المصادر الجغرافیه، و ذکره ابن العدیم فی زبده الحلب: 2/ 110، 179، إنما لیس فی نصه ما یساعد علی تحدید موقع هذا الحصن.
2- أضیف ما بین الحاصرتین من زبده الحلب: 2/ 179.
3- قتل فی معرکه قرب عفرین قادها ضده إیلغازی بن أرتق. الکامل لابن الأثیر: 8/ 288- 289.

الكرانكس(1) و قام فی الملک بعده ولده یوحنا، و استقام له الأمر، و عمل بسیره أبیه، و فیها وردت الأخبار بموت بغدوین ملک الأفرنج صاحب بیت المقدس بعله طالت به و کانت سبب هلاکه فی ذی الحجه منها، و قام بعده فی الأمر کند هو [الذی کان] الملک [بالرها](2).

سنه إثنتی عشره و خمسمائه

فی هذه السنه شاعت الآثار و الأخبار من ناحیه الأفرنج، بطمعهم فی المعاقل و البلاد، و إجماعهم علی قصدها بالعیث و الإفساد، لغفله الإسلام عن قصدهم بالغزو و الجهاد، و أنهم قد شرعوا فی التأهب لهذه الحال، و الاستعداد و کاتب ظهیر الدین أتابک أرباب الجهات و المناصب، و بعثهم علی التعاون علی دفع شر الملاعین، بالتوازر و التواظب.

و ورد الخبر بتوجه الأمیر نجم الدین إیل غازی إلی دمشق، فی عسکره، للاجتماع مع ظهیر الدین أتابک علی إعمال الرأی فی التدبیر و التشاور فی العمل و التقریر، هذا بعد أن راسل طوائف الترکمان بالاستدعاء لأداء فریضه الجهاد و التحریض علی الباعث لذاک و الاحتشاد.

و وصل الأمیر المذکور إلی دمشق من حلب، فی بعض أصحابه و خواصه، و اجتمعا و تعاهدا علی بذل المکنه و الاجتهاد فی مجاهده الکفره الأضداد، و طردهم عن الإفساد فی هذه المعاقل و البلاد، و وقع الاتفاق بینهما علی [مصیر](3) الأمیر (110 و) نجم الدین إیل غازی بن أرتق إلی ماردین لإنجاز أمره، و جمع الترکمان من الأعمال، و حضهم علی النکایه فی أحزاب الشرک و الضلال، و اقتضت الآراء مصیر الأمیر ظهیر الدین معه لتأکید الحال، و تسهیل الآمال، و سارا فی العشر الأول من

1- هو الکسیوس کومونین، أفضل مصدر عنه کتاب الالکسیاد لابنته الأمیره آنا کومینا.
2- فی الأصل« کند هو الملک» و أضیف ما بین الحواصر کیما یستقیم السیاق، هذا و سبق للمؤلف أن ذکر وفاه بلدوین الأول فی أخبار سنه/ 508/. انظر ص 305.
3- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.

شهر رمضان سنه إثنتى عشره و خمسمائه، و عاد ظهير الدين عنه بعد أن قررا مع طوائف التركمان إصلاح أحوالهم و التأهب للوصول إلى الشام بجموعهم الموفوره، و عزائمهم المنصوره فى صفر سنه ثلاث عشره و خمسمائه ليقع الاجتماع على نصره الدين و اصطلام المرده الملحدين، و أقام ظهير الدين بدمشق إلى حين قرب الأجل المضروب، و الوقت المرقوب، و سار إلى ناحيه حلب فى أول شهر ربيع الأول سنه ثلاث عشره و خمسمائه.

و وردت الأخبار من ناحيه العراق بوفاه الخليفه الإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين، ابن الإمام المقتدى بالله أمير المؤمنين، بعله عرضت له، و استمرت به إلى أن قضى نحبه، إلى رحمه ربه فى ليله الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنه اثنتى عشره و خمسمائه، و كانت مده خلافته ستا و عشرين سنه و شهرين و أياما، و كان جميل السيره، محبا للعدل و الإنصاف، ناهيا عن قصد الجور و الاعتساف، و ولى الأمر من بعده ولده ولى العهد أبو منصور الفضل، المسترشد بالله أمير المؤمنين ابن أبى العباس أحمد المستظهر بالله أمير المؤمنين، و جدد له أخذ البيعه، و استقام له الأمر، و نفذت المكاتبات إلى سائر الأعمال بالتعزيه عن الإمام الماضى، و التهنئه بالإمام الباقى.

و دخلت سنه ثلاث عشره و خمسمائه

و لما وصل ظهير الدين أتابک إلى حلب للاجتماع مع نجم الدين على الأمر المقرر بينهما، بعد مضى الأجل المعين بتدبيرها، وجد التركمان قد اجتمعوا إليه من كل فج، و كل صوب فى الأعداد الدثره الوافره، و القوه الظاهره، كأنهم الأسود تطلب فرائسها، و الشواهين إذا حامت على مكاسرها، و وردت الأخبار ببروز روجير صاحب أنطاكيه منها، فى من جمعه، و حشده من طوائف الأفرنج (110 ظ) و رجاله الأرمن من سائر أعمالهم و أطرافهم، بحيث يزيد عددهم على العشرين ألف فارس

و راجل، سوى الأتباع، و هم العدد الكثير، فى أتم عده، و أكمل شكه، و أنهم قد نزلوا فى الموضع المعروف بسرمدا و قيل دانيث البقل بين- أنطاكيه و حلب، فحين عرف المسلمون ذلک طاروا إليهم بأجنحه الصقور إلى حمايه الوكور، فما كان بأسرع من وقوع العين على العين، و تقارب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم، و أحاطوا بهم من جميع الجهات، و سائر الجنبات ضربا بالسيوف، و رشقا بالسهام، و منح الله تعالى، و له الحمد، حزب الإسلام النصر على المرده الطغام، و لم تمض ساعه من نهار يوم السبت السابع من شهر ربيع الأول، من سنه ثلاثه عشره و خمسمائه، إلا و الفرنج، على الأرض سطحه واحده، فارسهم و راجلهم، بخيلهم و سلاحهم، بحيث لم يفلت منهم شخص يخبر خبرهم، و وجد مقدمهم روجير(1) صريعا بين القتلى، و لقد حكى جماعه من المشاهدين لهذه الوقعه، أنهم طافوا فى مكان هذه المعركه، لينظروا آيه الله تعالى الباهره، و أنهم شاهدوا بعض الخيول مصرعه كالقنافذ من كثره النشاب الواقع فيها، و كان هذا الفتح من أحسن الفتوح، و النصر الممنوح، لم يتفق مثله للإسلام، فى سالف الأعوام، و لا الآنف من الأيام، و بقيت أنطاكيه شاغره خاليه من حماتها، و رجالها، خاويه من كماتها، و أبطالها، فريسه الواثب، نهزه الطالب، فوقع التغافل عنها، لغيبه ظهير الدين أتابک عن هذه الوقعه، لتسرع التركمان إليها، من غير تأهب لها، للأمر النافذ، و القدر النازل، و اشتغال الناس بإحراز الغنائم، التى امتلأت بها الأيدى، و قويت بها النفوس، و سرت بحسنها القلوب، فتلک بيوتهم خاويه، و الحمد لله رب العالمين.

و عاد ظهير الدين أتابک منكفيا إلى دمشق، عقيب هذا الظفر، و دخلها يوم السبت لليله بقيت من جمادى الأولى سنه ثلاث عشره

1- و تعرف هذه المعركه باسم معركه ساحه الدم و هى من أهم معارک الحروب الصليبيه انظر تفاصيلها فى كتاب حروب الأنطاكيين تأليف و ولتر المستشار(الموسوعه الشاميه ج 51) ص 361- 394.

فصادف الخاتون صفوه الملک، والده الملک شمس الملوک دقاق ابن السلطان تاج الدوله تتش ابن السلطان ألب أرسلان، قد نهکها المرض، و طال بها، و قد أشفت علی الموت (111 و)، و کانت لقدومه متوقعه، و إلی مشاهدته متطلعه، فأدرکها و سمع مقالها، و قبل وصیتها، و أقامت القلیل، و توفیت إلی رحمه الله و مغفرته و رضوانه، بین صلاتی الظهر و العصر، من یوم الأحد آخر جمادی الأولی سنه ثلاث عشر و خمسمائه، و دفنت عند ولدها فی القبه التی بنتها علی القلعه المطله علی المیدان الأخضر، فلقد کانت من النساء المصونات، المحبه للدین و الصدقات، و التنزه عن الظلم، بطلب الخیرات، مع قوه النفس و شده الهیبه، و معرفه التدبیر فیما توخته فی حق ظهیر الدین، عند وفاه ولدها الملک شمس الملوک، إلی أن استقام له الأمر، و استقرت فی المملکه و الدوله الحال، و تسهلت له المطالب برأیها و هیبتها و سیاستها و الآمال، فقلق ظهیر الدین لفقدها، و تضاعف علیها حزنه و أسفه، و تسلم ما خلفته، و استخرج ما ذخرته و أودعته، و عمل بوصیتها.

و فی رجب من هذه السنه توفی الأمیر حارق بن کمشتکین العراقی فی رجب منها و کان من مقدمی الدوله و وجوه أمرائها.

و فیها وردت الأخبار من العراق بأن السلطان محمود بن السلطان غیاث الدنیا و الدین محمد بن ملک شاه توجه إلی عمه السلطان سنجر بن ملک شاه إلی خراسان، و دخل علیه، و وطی ء بساطه، بعد ما جری بینهما من الوقائع و الحروب، فأکرمه و احترامه و أحمده، و قرر أحواله علی ما فیه صلاح أمره و استقامه حاله، و وصله بابنته، و أقره علی مملکته، و شرفه بخلعه و تکرمته، و عاد منکفیا إلی أصفهان بلدته ظافرا(1) بأمله و بغیته.

و فی هذه السنه حکی من ورد من بیت المقدس، ظهور قبور الخلیل

1- فی الأصل: طامرا، و هو تصحیف قوم من مرآه الزمان: 1/ 79 حیث ینقل عن ابن القلانسی.

و ولديه اسحق و يعقوب الأنبياء عليهم الصلاه من الله و السلام، و هم مجتمعون فى مغاره بأرض بيت المقدس، و كأنهم كالأحياء، لم يبل لهم جسد، و لا رم عظم، و عليهم فى المغاره قناديل معلقه من الذهب و الفضه، و أعيدت القبور إلى حالها التى كانت عليه. هذه صوره ما حكاه الحاكى، و الله أعلم بالصحيح من غيره.

سنه أربع عشره و خمسمائه

(111 ظ) فيها ورد الخبر من ناحيه حلب بأن الأمير نجم الدين إيل غازى بن أرتق، رفع المكوس عن أهل حلب و المؤن و الكلف، و أبطل ما جدده الظلمه من الجور و الرسوم المكروهه، و قوبل ذلک منه بالشكر و الثناء، و الاعتداد و الدعاء، و حكى عن ماردين أنها وقع عليها برد عظيم لم تجر بمثله عاده، و لا بصر أكثر منها ماء، أهلک المواشى و أتلف أكثر النبات و الشجر.

و فيها هدم نجم الدين زردنا(1)، و فيها كسر الأمير بلک بن أرتق عفراس الرومى، و قتل من الروم تقدير خمسه آلاف على قلعه سريان من بلد أندكان، و أسر مقدمهم عفراس.

و فيها ورد الخبر بأن السلطان محمود كسر عسكر أخيه مسعود، بباب همذان، تحت الزعفرانى.

و فيها وردت الأخبار بوصول الكند(2)، هو ملک الأفرنج، فى المراكب البحريه، و ملک أكثر المعاقل.

1- فى معجم البلدان: زردنا: بلده من نواحى حلب الغربيه.
2- كذا فى الأصل و لم أجد بين المصادر من أتى على ذكر مجى ء أسطول بحرى يقوده« كونت» ما، أو حتى قيام بلدوين الثانى أو سواه من قاده الفرنجه بالشام، بعمل بحرى كل ما هنالک أن وليم الصورى تحدث عن قدوم أسطول البندقيه على رأسه« الدوج دومنجو ميشيلى» إلى ساحل يافا فى سنه 517 ه/ 1123 م أى بعد ثلاث سنوات، و كان بلدوين الثانى أسيرا آنذاک لدى الأمير الأرتقى بلک، و سيذكر ابن القلانسى هذا كله.

و فيها وقعت المهادنه بين نجم الدين إيل غازى بن أرتق صاحب حلب، و بين الأفرنج، و تقررت الموادعه و المسالمه، و كف كل جهه من الفريقين الأذيه عن الآخر.

و فيها وردت الأخبار بأن السلطان محمود قصد حله دبيس بن صدقه ابن مزيد فى عسكره، و نهبها و هزم عسكرها، و انهزم دبيس إلى قلعه جعبر مستجيرا بصاحبها الأمير شهاب الدين مالک بن سالم بن مالک، فأجاره و أكرمه و احترمه، و قيل أنه انعقد بينهما صهره.

و قيل إن فى ذى الحجه من السنه، هبت ريح شديده هائله منكره، بنواحى الجزر، فخرب بها كنائس و معاقل و قلعت كثيرا من شجر الزيتون، و قيل إن جوسلين غار على العرب و التركمان النازلين بصفين، و غنم منهم، و من مواشيهم بشاطى ء الفرات، و فى عوده خرب حصن بزاعه(1).

سنه خمس عشره و خمسمائه

فى هذه السنه وردت الأخبار بقتل الأفضل بن أمير الجيوش، صاحب الآمر(2) بمصر رحمه الله ثانى عيد الفطر، بأمر رتب له، و عمل فيه عليه، إلى حين أمكنت الفرصه فيه، فانتهزت الفرصه، و صودف راكبا فى موكبه، مجتازا فى بعض أسواق القاهره، و قد كان على غايه من التحرز و التحفظ و استعمال الاحتراس و التيقظ، لا سيما من الطائفه الباطنيه، و الاحتياط منهم بأنواع السلاح، و وافر الغلمان، (112 و) و الخدم و العبيد، و العدد المختلفه، و السيوف الماضيه، و كان المرتب لقتله و المرصد له جماعه، فوثب عليه رجل من بعض الشوارع، بحيث شغل أصحاب الركاب، و وثب

1- قال أبو الفداء فى تقويم البلدان: 266- 267« و أما» بزاعا فضويعه من أعمال الباب، و بظاهرها مشهد به قبر عقيل بن أبى طالب، و هى على مرحله من حلب فى الجهه الشماليه الشرقيه.
2- الخليفه الفاطمى الآمر 495- 524 ه/ 1101- 1130 م].

الآخر بين يديه فضربه ضربات سقط بها عن ظهر جواده إلى الأرض، و قتلا فى الحال، و حمل إلى داره و به رمق، و توفى رحمه الله من يومه، وادعى أن الباطنيه تولوا قتله، و ليس ذلک صحيحا، بل ذلک ادعاء باطل، و محال زائل، و إنما السبب الذى اجتمعت عليه الروايات الصحيحه التى لا تشک فى هذا الأمر، فساد ما بينه و بين مولاه الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، لتضييقه عليه، و منعه مما تميل نفسه إليه، و منافرته إياه فى بعض الأوقات، و قد كان هذا الخلف المستمر بينهما، قد ظهر بمصر لكثير من أهلها، و تحدثوا فيه، و كان الآمر قد عزم على اغتياله إذا دخل عليه فى قصره، للسلام عليه، أو فى أيام الأعياد، و قويت نفسه على إتمام هذا الأمر، فمنعه من ذلک الأمير أبو الميمون عبد المجيد، و قال له: إن هذا الأمر إذا تم على هذه القضيه، كان فيه شناعه و سوء سمعه، لأن هذا و أباه فى خدمتنا منذ خمسين سنه، لا يعرف الناس فى سائر أقطار البلاد غير هذا، فما يقال فى مثل هذه الحال فى مجازاتنا لمن هذه صفته، هذه المجازاه الشنيعه، و المكافأه الفظيعه، و ما العذر فى ذاک إلى الناس، و هم لا يعلمون ما فى نفوسنا له، و ما ننقم عليه بسببه، و ما يعرفون منه فى ظاهر الأمر إلا الموالاه الخالصه، و الطاعه الصادقه، و الذب عن الدوله، و المحاماه عنها، و لا بد أن تدعو الضروره إلى إقامه غيره فى مكانه، و الاعتماد عليه فى منصبه، فيتمكن كتمكنه أو بعضه، فيحذر من الدخول إلى قصرنا خوفا على نفسه، مما جرى على غيره، و إن دخل علينا كان خائفا معدا، و إن خرج عنا خرج و جلا مستعدا، و فى هذا الفعل ما يؤكد الوحشه، و يدل على فساد التدبير فى اليوم و فيما بعد، بل الصواب فى التدبير أن تستميل أبا عبد الله (محمد) بن البطائحى(1)، الغالب على أمره

1- كان مولده سنه 478 ه/ 1085 م و قيل أنه كان من أصل وضيع، حيث كان والده من جواسيس الأفضل بالعراق، مضى إلى مصر و عمل حمالا، ثم التحق بدار الأفضل فاستخدمه مع الفراشين، يوصف فى وزارته بأنه كان من ذوى الآراء السديده واسع الصدر سفاكا للدماء، شديد التحرز، كثير التطلع إلى أحوال الناس من الجند و العامه فكثر الواشون و السعاه بالناس فى أيامه. الوزاره و الوزراء فى العصر الفاطمى: 272- 273.

المطلع على سره و جهره، و تراسله و تعده و تمنيه، و تطمعه فى منصبه، فإنه يجيب إلى ذلک، و يعين عليه (112 ظ) لأمرين أحدهما دينا، لأن مذهبه مذهبنا و اعتقاده موالاتنا و محبتنا، و الثانى للدنيا و حبها، و كونه يصير فى منصبه فيها، و يدبر الأمر عليه بمن لا يعرف و لا يؤبه به، و لا يلتفت إليه، ممن يغتاله إذا ركب، فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه، و أظهرنا الطلب بدمه و الحزن عليه، و الأسف لفقده فيكون عذرنا عند كافه الرعيه مبسوطا، و يزول عنا قبح القاله، و سوء السمعه.

فاستقر الأمر على هذه القضيه، و شرع فى إتمامه، و الحال فيه ظاهره، و قضى الله عليه قضاءه المحتوم، و سر بمقتله سرورا غير مستور عن كافه الخاص بمصر و القاهره، و قيل إن الموضع الذى قتل فيه بمصر عند كرسى الجسر(1)، فى رأس السويقتين، فى يوم الأحد سلخ شهر رمضان سنه خمس و خمسمائه و عمره إذ ذاک سبع و خمسون سنه، لأن مولده كان بعكا سنه ثمان و خمسين و أربعمائه، و كان حسن الاعتقاد فى مذهب السنه، جميل السيره مؤثرا للعدل فى العسكريه و الرعيه، صائب الرأى و التدبير، عالى الهمه، ماضى العزمه، ثاقب المعرفه، صافى الحس، كريم النفس، صادق الحدس، عادلا عن الجور، حائدا عن مذاهب الظلم، فبكته العيون، و حزنت له القلوب، و لم يأت الزمان بعده بمثله، و لا حمد التدبير عند فقده، و انتقل الأمر بعده إلى صاحبه الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، و اشتمل على خزائنه و أمواله و ذخائره و كراعه و أثاثه، و هو الغايه فى الكثره و الوفور، و انتظمت للآمر(2) الأمور على المأثور، و أقام أبا عبد الله بن البطائحى، و وفى له بوعده، و لقبه بالمأمون، و بسط يده فى البرم و النقض و الرفع و الخفض.

1- الجسر المشار إليه هنا كان منصوبا بين الفسطاط و جزيره الروضه، و من هناک إلى بر الجيزه، و كان يتألف من مراكب مربوطه ببعضها بعضا مد فوقها أخشاب غطيت بالتراب، و استخدم لعبور الناس و الدواب. خطط المقريزى 2/ 170.
2- فى الأصل: للأمراء، و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.

و وردت الأخبار فی هذه السنه بظهور الکرج من الدروب، و قصدهم بلاد الملک طغرل، فاستنجد بالأمیر نجم الدین إیل غازی بن أرتق، صاحب حلب، و بالترکمان و بالأمیر دبیس بن صدقه بن مزید، فأجابوا إلی ما دعاهم إلیه، و بعثهم علیه، و توجهوا نحوه فی خلق عظیم، فانهزم جمع الکرج خوفا، و عاد فرقا، و ضایقهم المسلمون، و ضایقوهم فی الدروب، فعادوا علی المسلمین، فهزموهم و قتلوا منهم مقتله عظیمه، و قصدوا مدینه تفلیس، فافتتحوها بالسیف و قتلوا من کان فیها(1).

1- ذکر هذه الوقعه المؤرخ السریانی المجهول الذی أرخ للحملتین الصلیبیتین الأولی و الثانیه، و کذلک ابن الأثیر فی الکامل: 8/ 293- 294- و قدم الفارقی تفاصیل لا نجدها عند سواه، و ذلک فی النسخه المطوله من کتابه و المحفوظه فی المتحف البریطانی برقم/ 5803/ الأوراق: 169 ظ- 170 و: و لقیمه هذا النص أثبته فی الحاشیه، حیث قال: و فی سنه خمس عشره و خمسمائه نفذ أهل تفلیس إلی نجم الدین إیل غازی یستدعونه لیسلموا إلیه تفلیس و کان لها بید أهلها مقدار أربعین سنه، و کان ملکها قوم من أهلها یسمون بنی جعفر، من مقدار مائتی سنه ثم انقرض کبارهم و اضمحلوا، فعاد أمرهم إلی أهلها، و کان کل شهر یلی أمرهم منهم واحد، و بقوا کذلک مده أربعین سنه، و کان الملک داود ملک الأبخاز و الکرج قد ضایقها مضایقه شدیده و اضمحلت، و کان قد نفذوا إلی السلطان طغرل بک ابن السلطان محمد، و کان ملک جتری و أران، فنفذ لهم شحنه، و زادت مضایقه ملک الکرج لهم، و بقوا علی هذا مده فاتفقوا أن یحملوا له فی کل سنه عشره آلاف دنیار، و یکون عندهم شحنه معه عشره فوارس، فبقوا علی ذلک مده. و نفذوا إلی نجم الدین یستدعونه، فسار و معه عساکر عظیمه، و معه دبیس بن صدقه ملک العرب و کان صهر نجم الدین علی ابنته جهان خاتون، و کان قد وصل إلیه فی تلک السنه، فسار بالعساکر، و نفذ إلی شمس الدوله طغان أرسلان صاحب أرزن و بدلیس، و کان له مدینه دوین، و أمره أن یدخل من شرقی تفلیس، و سار و أخذ معه القاضی علم الدین ابن نباته، و معه ولده القاضی علم الدین أبو الفتح الکبیر، هو الآن(یعنی سنه 572) قاضی ماردین، و الوزیر أبو تمام بن عبدون و سار معه، فوصلوا إلی أرزن الروم، و تخلف القاضی و الوزیر بأرزن الروم، و دخل بالعساکر من ولایه الفرس، و طریق بر یالیث، و اتفقوا أن تجمع العساکر أجمع علی باب تفلیس، و تجهز السلطان طغرلبک من ناحیه جنزی،

و سار طغان أرسلان الأحدب من دوين، و وصل نجم الدين إلى أن بقى بينه و بين تفليس الجبل مقدار نصف يوم. و خرج الملک داود، و معه ولده ديميطرى من جنب الغرب، فى عساكر عظيمه و كان يحدر عليهم من الجبل، و هم فى لحفه، و لم تكن وصلت عساكر السلطان طغرلبک و لا شمس الدوله الأحدب بمن معه، و تقاتلوا قتالا عظيما، و كسر نجم الدين، و قتل منه خلقا كثيرا، و غنم الكفار منهم غنيمه عظيمه، و خرج نجم الدين، و دبيس فى نفر يسير بحيث أن بقى عندهم من الأسرى إلى زماننا. و لقد رأيت موضع الوقعه حيث دخلت إلى تفليس فى سنه ثمان و أربعين و خمسمائه فأقمت- - ثم وصلت إلى خدمه ملک الأبخاز، و بقيت عنده، و خرجت معه، و سرت فى ولايته معه مقدار نيف و سبعين يوما، و اجتاز إلى اللان و طرف الدربند و إلى ولايه الأبخاز، و لقد وصلنا بعض الأيام فى ولايه الأبخاز إلى برج واسع تحت جبل، فى قلعه شامخه، و نزل الملک هناک، و قال لى: يا فلان فى هذه القلعه رجل أسير مستعرب من نوبه إيلغازى، فأصعد إليه من الغد، و أبصره و اسأله من أين هو، فعولت على ذلک و قلت: أطلبه من الملک ليطلقه، فبت تلک الليله، فلما كان من وقت السحر ضرب بوق إلى الرحيل لأنه وصل إليه الخبر أن بعض ولايته قد تشوشت، فحين وصله الخبر رحل، و رحل الناس، و لم يقدر لى الاجتماع بذلک الرجل ... و لما كسر نجم الدين، و عاد بمن بقى معه، رحل ملک الأبخاز بالغنائم و الأسرى، و نزل على تفليس، و حاصرها مده، ثم هدم سورها من قبل الغرب، و دخلها سيفا، فأحرقها و نهبها، و بعد ثلاثه أيام أمن أهلها، و طيب قلوبهم، و وعدهم بالجميل، و أسقط عنهم تلک السنه الأعشار و المؤن، و الأقساط و الخراج و شرط للمسلمين كلما أرادوه من الشرط الذى هو الآن باق بها، أنه لا يعبر إلى جانب المسلمين بالمدينه خنزير و لا يذبح بها و لا سوقها، و ضرب لهم الدراهم و عليها اسم السلطان و الخليفه فى الوجه الواحد، و فى الوجه الآخر اسم الله و اسم النبى عليه السلام، و اسمه على جانب الدرهم، و نادى فى البلد: إن من آذى مسلما قد أهدر دمه، و شرط لهم الآذان و الصلاه و القراءه ظاهرا، و أن يخطب يوم الجمعه و يصلى و يدعى للخليفه و السلطان، و لا يدعى لغيرهما على المنبر، و شرط أن حمام إسماعيل بتفليس لا يدخلها كرجى و لا أرمنى و لا يهودى، و وصف خدمه الكرجى فى السنه خمسه دنانير، و خدمه اليهودى أربعه دنانير، و خدمه المسلم ثلاثه دنانير. و أحسن إلى المسلممين غايه الإحسان، و جعل لأهل العلم و الدين و الصوفيه أكرم المنازل، و ما ليس لهم عند المسلمين، و لقد رأيت هذه الشروط كلها لما دخلت إلى تفليس فى سنه ثمان و أربعين و خمسمائه، و لقد رأيت ملک الأبخاز ديميرطى الذى كنت فى خدمته، و قد نزل إلى تفليس، و أقام بها أياما، و نزل ذات يوم جمعه إلى الجامع، و جلس على دكه تقابل الخطيب، فوقف موضعه حتى خطب

الخطيب، و كل الناس يسمع الخطبه جميعها، ثم خرج و أطلق برسم الجامع مائتى دينار أحمر و كنت أرى العلماء و الوعاظ و الأشراف و الصوفيه، و الذين يصلون يكرمهم و يعطيهم و يحترمهم، و يعتمد معهم ما ليس بمثله، و لقد كنت أرى لاحترامه للمسلمين ما لو أنهم ببغداد ما احترموا تلک الحرمه».

و فی هذه السنه هبت بمصر ریح سوداء (113 ظ) ثلاثه أیام، فأهلکت شیئا کثیرا من الناس و الحیوان.

سنه ست عشره و خمسمائه

فی هذه السنه وردت الأخبار من ناحیه بغداد، بأن الأمیر دبیس بن صدقه بن مزید، جمع و احتشد، و قصد بغداد فی حشده، و عاث فی أطرافها و أفسد فی أکنافها، فخرج الإمام الخلیفه المسترشد بالله أمیر المؤمنین من دار الخلافه، و اجتمعت إلیه الأجناد، و ظهر إلیه، و حمل

علیه، فهزمه و تم إلی الحله فنهبها، و نهبت مقابر قریش ببغداد و ما بها من القنادیل الفضه و الستور و الدیباج، و عاد إلی بغداد و دخلها فی المحرم سنه سبع عشره و خمسمائه.

و ورد الخبر فیها بأن السلطان محمود سخط علی وزیره(1) لأشیاء نقمها علیه و أنکرها منه و أمر بالقبض علیه، ثم تقدم بقتله فقتل.

و فی صفر منها توجه عائدا إلی مدینه أصفهان.

و فی صفر ورد الخبر من ناحیه حلب أن أبا الفضل بن الموصول وزیر الملک رضوان توفی بحلب فی الشهر، و کان حسن الطریقه یمیل إلی فعل الخیر و [یسکت](2) عن قصد الشر.

و فیها جاء سیل عظیم حتی دخل إلی ربض قلعه جعبر، فغرق أکثر دورها و مساکنها، و هدمها و أخرج منها فرسا حمله من الربض حتی رمی به من أعلی السور فی الفرات، و قیل إن عده الدور الهالکه بهذا السیل الجارف ثمانمائه مکان.

و قیل إن الأمیر نجم الدین بن أرتق خرج من حلب فی عسکره، و قطع الفرات، و صادف الأفرنج، فلم یلقوه فأتلف ما ظفر به فی أعمالهم، و عاد منکفئا إلی الفنیدق، بظاهر حلب.

و فی هذه السنه وصل الأصطول المصری إلی صور، و هو مشحن بالرجاله البحریه، و طائفه من العساکر، و فی نفس الوالی، العمل علی

1- ذکره ابن الأثیر: 8/ 308 و تحدث عن أخلاقه و سلوکه فی السلطه و کذلک فعل سبط ابن الجوزری: 1/ 107- 109 حیث قال: أبو طالب السمیرمی وزیر السلطان محمود، و اسمه علی ابن حرب و کان ظلوما مجاهرا بالظلم و الفسق، و أعاد المکوس، و کان یقول: لقد سننت علی أهل بغداد السنن الجائره، و کل ظالم یتبع أفعالی، و ما أسلم فی الدنیا و قد فرشت حصیرا فی جهنم، و قد استحییت من کثره التعدی علی الناس و ظلمی لمن لا ناصر له إلا الله، و کان هذا القول منه فی اللیله التی قتل فی صباحها، حیث وثب علیه ثلاثه من الباطنیه و ذبحوه کما تذبح الشاه، و قیل

تجرد لقتله واحد من غلمان الطغرائى انتقاما للطغرائى، فطعنه عده سكاكين، أودت بحياته.
2- أضيف ما بين الحاصرتين من مرآه الزمان: 1/ 111 كيما يستقيم السياق.

الأمیر سیف الدوله مسعود، الوالی بصور من قبل الأمیر ظهیر الدین أتابک، فلما خرج للسلام علی والی الأصطول، سألوه النزول فلما حصل فی مرکب المقدم، اعتقله و تمت علیه المکیده، و حصل البلد فی أیدیهم، و لما أقلع الأصطول، و وصل إلی مصر، و فیه الأمیر مسعود، أکرم و أنزل فی دار، و أطلع له ما یحتاج إلیه، و السبب کان فی هذا التدبیر أن شکاوی أهل صور تتابعت (113 ظ) إلی الآمر بأحکام الله، فاقتضت الآراء التدبیر علیه، و إزاله ما کان من الولایه إلیه، و کانت عاقبه خروجه منها، و سوء التدبیر فیها، خروجها إلی الأفرنج، و حصولها فی ملکتهم.

و فی هذه السنه ورد الخبر، بأن الأمیر نور الدوله بلک بن أرتق، نهض فی عسکره فی أیام من رجب، و قصد الأفرنج بالرها، و أوقع بهم، و کسرهم و أسر مقدمهم جوسلین و ابن خالته کلیان(1)، و جماعه من مقدمیهم عند سروج.

و ورد الخبر بوفاه الأمیر نجم الدین إیل غازی بن أرتق بعله عرضت له، و هو نازل فی قریه تعرف بالفحول(2) من عمل میافارقین، من دیار بکر، فی السادس من شهر رمضان من السنه، و قام فی منصبه بعده ولده شمس الدوله سلیمان و أخوه تمرتاش أبناء نجم الدین، و ملکا ماردین، و أقاما مده متفقین و جری بینهما خلف استمر من کل منهما(3).

1- ذکر المؤرخ السریانی المجهول بالتفصیل واقعه أسر جوسلین و قریبه جالیران و سجنهما فی حصن زیاد(خرتبرت) و روی أنه عند ما غادر بلک حصن زیاد قال لجوسلین: سوف أجلب الملک بلدوین لیکون معک إن شاء الله، و هکذا کان بعد سنه، و قد ترجمت مؤخرا هذا النص السریانی و نشرته فی الموسوعه.
2- کذا فی الأصل و لعل الفحول تصحیف العجول، ففی زبده الحلب: 2/ 206« عجولین» و فی الفارقی« أوسل الهینه» و لم أجدأی من هذه الأسماء فی کتب البلدان للتحدید و تبیان وجه الصحه.
3- جاء فی تاریخ میافارقین- 171 و- ظ- : قیل و فی خمس عشره و خمسمائه عاد نجم الدین إلی ماردین، و أقام بها سنه ست عشر و خمسمائه، و خرج إلی أوسل الهینه من بلد میافارقین، و أقام هناک و معه زوجته الخاتون بنت طغتکین صاحب دمشق، فمرض و توفی یوم الخمیس سابع عشرین رمضان، فحمل لیلا و رکب ولده الأمیر شمس الدوله سلیمان

و الخاتون، و وصلوا ميافارقين ليلا، و وصلوا إلى باب الهوه، و أجلسوا الأمير على فرسه، و من ورائه رجل- - يسكنه، و تقدموا و صاحوا، فنزل الوالى، و كان اسمه كنغلى، فدخل شيخ ممن صحب الأمير نجم الدين من أول زمانه، و كلمه شمس الدوله و الخاتون، ففتح الباب، فقالوا إن الأمير مريض، فلما حصلوا فى أرض القصر، صاحوا و ضجوا، و قالوا: مات الأمير فى هذه الساعه، و أصبح الناس، و صعد أهل البلد و من كان بها من الجند إلى القصر، و غسل الأمير و صلى عليه و دفن بالسندلى مده ثم أخرج و دفن فى مسجد الأمير شرقى قبه السلطان، فدفن هناک. و كان نجم الدين إيل غازى قد تزوج بفرخندا خاتون، بنت الملک رضوان، لما ملک حلب، و حقد عليها، و لم يدخل بها و لا رآها، و مات و لم يرها و تزوجها بعده الأمير بلک بن بهرام بن أرتق. قيل: و استقر شمس الدوله بميافارقين و استوزر الوزير عبد الملک بن ثابت، ورد الأمور إليه، و أخذ خرتبرت من الأمير بلک، و بقيت معه إلى أن مات و أخذ الأمير داود و أخذ بلد حزه من الأمير داود، و أخذ الضياع التى أخذها حسام الدين(قرقى بن الأحدب) صاحب أرزن من بلد ميافارقين .. و دخل حسام الدين تمرتاش] البلد فى شوال سنه ثمان عشره و خمسمائه و استوزر عبد الملک، و استقر حاله، و حصل له جميع ما كان لأبيه نجم الدين، و أحسن إلى الناس، و أحبوه، و استبد بالملک».

و فيها توفى الحاجب فيروز، شحنه دمشق، فى آخر ربيع الآخر منها.

سنه سبع عشره و خمسمائه

فيها وردت الأخبار من ناحيه بغداد ببروز الإمام المسترشد بالله، أمير المؤمنين، و فى جملته الأمير (آق) سنقر البرسقى، عازما على قصد الأمير دبيس بن صدقه بن مزيد، لما هو عليه من الخلاف و المجاهره بالعصيان و الفساد فى الأعمال، و قصدوا الحله فانتهبوها، و ارتفع السعر ببغداد، حتى بلغ الخبز سته أرطال بدينار، و ورد الخبر من ناحيه حلب باستقرار المهادنه بين الأمير بدر الدوله [سليمان بن عبد الجبار] بن أرتق(1) صاحب حلب، و بين الأفرنج على تسليم قلعه الأثارب إلى الأفرنج فتسلموها، و حصلت فى أيديهم، و استمرت الموادعه على هذا، و استقامت أحوال الأعمال من الجانبين، و أمنت السابله للمترددين فيها بين العملين، فى صفر من السنه.

و فيها ورد الخبر بنهيض بغدوين ملک الأفرنج فى عسكره إلى ناحيه حلب، إلى الأمير بلک بن أرتق، فى تاسع صفر منها، و هو منازل لحصن

1- فى الأصل:« الأمير بدر الدوله بن إيل غازى بن أرتق» و هو و هم فسليمان بن إيل غازى تسلم ميافارقين، انظر زبده الحلب: 2/ 209- 210. الكامل لابن الأثير: 8/ 311.

الکرکر(1) فنهض إلیه و التقیا بالقرب من قنطره [سنجه](2) فکسره و أسره، و حصل فی یده أسیرا (114 و) مع جماعه من وجوه عسکره، فاعتقله فی جب فی قلعه خرتبرت مع جوسلین و مقدمی الأفرنج.

و فی آخر صفر نهض ظهیر الدین أتابک فی العسکر، فهجم ربض حمص و نهبه و أحرقه، و بعض دوره، و کان طغان أرسلان بن حسام الدوله قد وصل إلی حمص لمعونه خیرخان صاحبها، فعاد ظهیر الدین عنها إلی دمشق.

و ورد الخبر من ناحیه حلب بنزول الأمیر بلک بن أرتق علیها فی ربیع الأول منها، و أحرق زرعها، و ضایقها إلی أن تسلمها بالأمان فی یوم الثلاثاء غره جمادی الأولی، من بدر الدوله ابن عمه عبد الجبار(3) ابن أرتق و قد کان قبل ذلک تسلم مدینه حران فی شهر ربیع الأول.

و فیها وردت الأخبار بوصول فریق کثیر من عسکر لواته(4) من ناحیه الغرب إلی مصر، و أفسدوا فی أعمالها، و ظهر إلیهم المأمون أبو عبد الله بن البطائحی، المقام فی مقام الأفضل الشهید بن أمیر الجیوش، فی عسکر مصر بأمر صاحبه الإمام الآمر بأحکام الله بن المستعلی بالله، و لقیهم فکسرهم، و قتل و أسر منهم خلقا کثیرا، و قرر علیهم خرجا معلوما یقومون به فی کل سنه، و عادوا إلی أماکنهم، و عاد المأمون إلی مصر غانما منصورا، و بحسن الظفر مسرورا.

1- کرکر حصن بین سمیسباط و حصن زیاد- خرتبرت أو خربوط. معجم البلدان.
2- فی الأصل« بالقرب من منظره» و قد ألم بالجمله سقط و تصحیف، استدرک ذلک من زبده الحلب: 2/ 211. حیث جاء فیه« بالقرب من قنطره سنجه» و فی معجم البلدان: سنجه: نهر عظیم لا یتهیأ خوضه لأن قراره رمل سیال کلما وطئه الإنسان برجله سال به فغرقه، و هو یجری بین حصن منصور و کیسوم و هما من دیار مضر، و علی هذا النهر قنطره عظیمه هی إحدی عجائب الدنیا، و هی طاق واحد من الشط إلی الشط.
3- فی الأصل: إیل غازی و هو و هم. انظر الحاشیه- 1- فی الصفحه الماضیه.
4- من کبریات قبائل البربر فی المغرب، و ثوره لواته کانت بالصعید الأدنی. انظر اتعاظ الحنفا: 2/ 97.

و فیها ورد الخبر بأن اسطول مصر لقی اسطول البنادقه فی البحر، فتحاربا فظفر به أسطول البنادقه، و أخذ منه عده(1) قطع.

و فی العشر الأول من شهر ربیع الأول منها، ملک الأمیر بلک بن أرتق، حصن الباره و أسر أسقفها.

و فی هذه السنه ورد الخبر من ناحیه خرتبرت بأن الملک بغدوین الرویس و جوسلین مقدمی الأفرنج، و غیرهم من الأسری الذین کانوا فی أسر الأمیر بلک، المعتقلین فی قلعه خرتبرت عملوا الحیله فیما بینهم و ملکوا القلعه و هربوا(2) .... الملک بغدوین و نجا و لم یظفروا به و هرب فی ذلک الیوم أیضا أسقف الباره من اعتقاله.

1- انظر الحاشیه رقم- 2- ص: 322.
2- کذا بالأصل، و هناک سقط بالروایه و اضطراب، و ذکر هذه الواقعه ابن العدیم فی زبده الحلب: 2/ 213- 213 و سواه، إنما من الملاحظ أن معلومات المصادر العربیه حول هذه الحادثه لا تفی بالغرض، و لحسن الحظ أن المؤرخ السریانی المجهول تحدث عنها بإسهاب حیث قال: و فی شهر آب من تلک السنه- 1435 1123 م] قام عشرون رجلا من الأرمن، ممن کان یخدم فی حصن کیسوم بحبک مؤامره مع جودفری الموین و الملکه، فذهبوا إلی قلعه زیاد متنکرین علی شکل جنود فقراء، و کان عشره منهم یحملون العنب و الفواکه و الطیور الداجنه، و تظاهر هؤلاء أنهم قرویون أتوا للشکوی ضد والی مدینتهم الذی ظلمهم، و بقی الآخرون خارج الحصن، و هم علی استعداد للالتحاق برفاقهم عند ما تحین الفرصه، و تأتی ساعه العمل، و ذهبت الجماعه التی کانت تحمل الأغراض إلی بوابه الحصن العلیا و أخبروا البواب بسبب قدومهم، و هو الشکوی ضد والیهم، فطلب منهم الانتظار بین البوابتین، بینما یخطر شحنه القلعه بقدومهم، و صدف أن کان الشحنه یقیم آنذاک و لیمه لضباطه، و قد أثرت الخمره بهم، و کانوا جمیعا بمنتهی الغبطه و السرور، و کان کثیرون من رجال الحرس یشاهدون الولیمه، و لم یبق سوی اثنان أو ثلاثه مع البواب علی البوابه. و عند ما ذهب لإخبار الشحنه عمد الرجال لاختطاف السیوف المعلقه بین البوابات و قتلوا البواب و کل من وجدوه هناک، ثم دعوا رفاقهم الذین کانوا بانتظارهم فی الخارج، و انضم هؤلاء إلیهم و فتحوا الأبواب، و اندفعوا و قتلوا جمیع الضباط الذین کانوا یشترکون فی الولیمه بدون استثناء، ثم فکوا أسار الأسری، و

احتلوا القلعه، و ساعدهم جميع الأرمن الذين كانوا داخل المدينه. و حالما انتشر خبر هذه الواقعه، أرسل الخبر إلى بلک فى حلب، كما تجمع الأتراک من كل حدب و صوب و أحاطوا بالقلعه، و راقبوها عن كثب حتى لا يخرج منها أحد أو يدخلها إنسان، و عمد جوسلين فى الليله الأولى و معه اثنان أو ثلاثه آخرون، إلى الهرب بشجاعه، و اخترقوا الحصار و نجوا، و كان جوسلين قد وعد الملک بألا يرتاح حتى يصل إلى القدس و يجلب جيشا- - لإنقاذه، ثم سار مارا بكيسوم فتل باشر، فأنطاكيه، فالقدس. و زاد فرح الفرنجه لدى سماعهم أن بلدوين و جاليران أسقف الباره] قد أطلق سراحهما، و أن قلعه زياد قد سقطت، إنما عند ما سمع بلک بخبر ما حدث فى قلعه الحصينه، عاصمه ملكه، و بيت ماله، و مخزن ثروته، بدأ بالتحرک حالا مع فرق جيشه، و وصل إلى قلعه زياد فى مده أربعه أيام، أى بعد عشره أيام من حدوث الواقعه، و هاجم القلعه بضراوه، و نصب آلات الحصار التى قذفت السور برماياتها دون توقف دقيقه واحده، خشيه أن يحضر الفرنجه لنجدتها، و فى بضعه أيام فتحوا ثلمه فى السور، و طلب بلک تسليم الحاميه، و وعدها أن يحفظ حياه أفرادها، لأنه لم يرغب فى مهاجمه القلعه، فيدمر موطن سمعته و شرفه، و أثناء هذا تمكن من هدم برج آخر مقاما فوق صهريج الماء، و عند ما حدث هذا، فقد المحاصرون كل أمل، و خرج جاليران بنفسه إليه ليطلب كلمه الشرف و يتوثق من بلک بحفظ حياتهم، و أعطاه بلک ذلک و وعد بحفظ حياتهم، فسلموا له القلعه، فدخلها، و قام بتعذيب الأرمن و سلخ أجسادهم أحياء، و أعاد الملک بلدوين و جاليران إلى سجنهم الماضى 16 أيلول 1123 م].

و فی الشهر المذکور توجه الأمیر نور الدوله بلک فی عسکره إلی خرتبرت، و ضایق قلعتها إلی أن استعادها من الأفرنج الواثبین علیها، و رتب فیها من یحفظها و یتیقظ فیها.

و فی هذه السنه ورد الخبر بأن محمود بن قراجه (114 ظ) والی حماه خرج فی رجاله، و قصد ناحیه أفامیه، و هجم ربضها فأصابه سهم من الحصن فی یده، و لما قلع منه عملت علیه و تزاید أمرها، فمات منه، و کان عاهرا ظالما متمردا، و قتل جماعه من أعیان حماه ظلما و تعدیا بسعایه بعضهم علی بعض، و لما عرف ظهیر الدین ذلک أنهض إلی حماه من تسلمها، و تولی أمرها من ثقاته.

و فیها ورد الخبر بالنوبه الکائنه بین السلطان مغیث الدنیا و الدین محمود و بین أخیه طغرل ابنی السلطان محمد، و أن السلطان محمود صافه و کسره، و هزمه و ملک عسکره، و أن طغرل استعان بالأمیر دبیس بن صدقه بن مزید، و استنجد به علیه، و أجیب إلی ذلک.

و فی هذه السنه کانت النوبه الکائنه بین عسکری ظهیر الدین أتابک الدمشقی، و سیف الدین آق سنقر البرسقی، حین تجمعوا و نزلوا علی أعزاز من عمل حلب، و مضایقتها بالنقوب و الحروب، إلی أن سهل

أمرها، فتجمع الأفرنج من كل صوب، و قصدوا ترحيل العسكر عنها، و التقى الجيشان، و انفل جيش المسلمين، و تفرقوا بعد قتل من قتل و أسر من أسر، و عاد ظهير الدين أتابک إلى دمشق فى جمادى الأولى من السنه.

و فى شهر رمضان من السنه توجه الحاجب على بن حامد إلى مصر، رسولا عن ظهير الدين أتابک.

سنه ثمانى عشره و خمسمائه

فى هذه السنه ورد الخبر من ناحيه العراق بأن القاضى، قاضى القضاه زين الإسلام، أبا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى، كان قافلا من ناحيه خراسان بجواب السلطان سنجر عما صدر على يده إليه، و أنه لما نزل بهمذان فى جامعها، و ثب عليه على حين غفله منه، قوم رتبوا له من الباطنيه، فضربوه بسكاكينهم، فقتلوه و هربوا فى الحال، و لم يظهر لهم خبر و لا بان منهم أثر، و لا تبعهم شخص للخوف منهم، فمضى لسبيله شهيدا إلى رحمه الله، و ذلک للقضاء النازل الذى لا يدافع، و القدر الحال الذى لا يمانع، و ذلک فى رجب منها.

و فيها ملک الأفرنج ثغر صور بالأمان، و شرح الحال فى ذلک: كان قد مضى من ذكر الذى أوجب إخراج الأمير (115 و) سيف الدوله مسعود و اليها منها، و حمله فى الأسطول إلى مصر ما لا يحتاج إلى الإعاده له، و الإطاله بذكره، و لما حصل بها الوالى المندوب من مصر بعد مسعود، طيب نفوس أهله، و كاتب ظهير الدين بصوره الحال، فأعاد الجواب بأن الأمر فى ذلک لمن دبره، و المرجوع إلى ما رتبه و قرره، و اتفق أن الأفرنج لما عرفوا هذا الأمر، و انصراف مسعود عن ولايه صور، تحرک طمعهم فيها، و حدثوا نفوسهم بتملكها، و شرعوا فى الجمع و التأهب للنزول عليها، و المضايقه لها، و اتصل بالوالى صوره الأمر، و أنه لا طاقه له بالأفرنج، و لا ثبات على محاصرتهم، لقله من بها من الجند

و الميره، فطالع الآمر بأحكام الله صاحب مصر بذلک، فاقتضى الرأى أن ترد ولايه صور إلى ظهير الدين أتابک، ليتولى حمايتها و الذب عنها و المراماه دونها، على ما جرى رسمه فيها، و كتب منشور الولايه باسمه، فندب لتوليها جماعه لا غناء لهم، و لا كفايه فيهم و لا شهامه، ففسد أمرها بذاک، و توجه طمع الأفرنج حولها لأجله، و شرعوا فى النزول و التأهب للمضايقه لها، و نزلوا بظاهرها فى شهر ربيع الأول من السنه، و ضايقوها بالقتال و الحصار، إلى أن خفت الأقوات فيها، و عدمت الميره، و توجه ظهير الدين فى العسكر إلى بانياس للذب عن صور.

و نفذت المكاتبات إلى مصر باستدعاء المعونه لها، و تمادت الأيام بذلک إلى أن ضعفت النفوس، و أشرف أهلها على الهلاک، و عرف أتابک جليه [الأمر] (1) و تعذر تلافيها، و وقع اليأس من المعونه لها، فراسل الأفرنج بالملاطفه و المداهنه، و الإرهاب و الإرغاب إلى أن تقررت الحال على تسليمها إليهم، بحيث يؤمن كل من بها، و يخرج من أراد الخروج من العسكريه و الرعيه، بما يقدرون عليه من أحوالهم، و يقيم من أراد الإقامه.

و وقف أتابک فى عسكره بإزاء الأفرنج، و فتح باب البلد، و أذن للناس فى الخروج، فحمل كل منهم ما خف عليه، و أطاق حمله، و ترک ما ثقل عليه، و هم يخرجون بين الصفين، و ليس أحد من الأفرنج يعرض لأحد منهم، بحيث خرج كافه العسكريه و الرعيه، و لم يبق منهم إلا ضعيف (115 ظ) لا يطيق الخروج، فوصل بعضهم إلى دمشق، و تفرقوا فى البلاد، و ذلک فى اليوم الثالث و العشرين من جمادى الأولى سنه ثمانى عشره و خمسمائه.

و فيها ورد الخبر باجتماع الأفرنج من أعمالهم، و نزولهم على حلب، و شروعهم فى قتال من بها، و المضايقه، و تمادى الأمر فى ذلک إلى أن قلت الأقوات فيها، و أشرف على الهلاک أهلها، فلما ضاق بهم الأمر، و عدم

1- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق.

الصبر راسلوا الأمير سيف الدين (أق) سنقر البرسقى، صاحب الموصل بشكوى أحوالهم، و شرح ما نزل بهم، و السؤال له فى إنجادهم على الأفرنج، و إنقاذهم من أيدى الكافرين، فضاق لذلک صدره، و توزع سره، و تأهب فى الحال للمصير إليهم، و صرف الاهتمام إلى الذب عنهم.

فلما وصل إليهم فى ذى الحجه من السنه، و عرف الأفرنج خبره، و حصوله قريبا منهم، و ما هو عليه من القوه و شده الشوكه، أجفلوا مولين، و رحلوا منهزمين، و تبعهم سرعان الخيول يتلقطون من يظفرون به فى أعناقهم، و لم يلو منهم منهزم على متلوم، إلى أن حصلوا بأنطاكيه، و كانوا قد ابتنوا فى منزلهم مساكن و بيوتا تقيهم الحر و البرد، و أصروا على المقام، و لطف الله تعالى، و له الحمد بأهل حلب، و خلصهم من البلاء، و انتاشهم من اللأواء، و كسب آق سنقر البرسقى بهذا الفعل الجميل جزيل الأجر و الثناء، و دخل حلب و أحسن السيره فيها، و أجمل المعامله لأهليها، و اجتهد فى الحمايه لها، و المراماه دونها، بحيث صلحت أحوالها، و عمرت أعمالها، و أمنت سابلتها، و تواصلت الرفق إليها ببضائعها و تجارتها.

و فى شتوه هذه السنه احتبس الغيث بأرض الشام، فى كانون و كانون و أكثر شباط، و تلف الزرع، و غلا السعر، و عم القحط أكثر البلاد الشاميه، ثم تدارک الله عبيده بالرحمه، و أنزل الغيث بعد القنوط، فأحيا به الأرض بعد موتها، و انتاش الزراعات بعد فوتها، و طابت النفوس، و زال عنها الهم و البؤس، و ارتفعت الأسعار فى هذه السنه فى حلب و دمشق و أعمالها إلى الرحبه و القلعه و الموصل، و بقى إلى سنه تسع عشره و هلک كثير من ضعفاء الناس بالجوع.

سنه تسع عشره و خمسمائه

(116 و) فى هذه السنه وردت الأخبار من مصر، بتقدم الآمر بأحكام الله بالقبض على المأمون أبى عبد الله، و أخيه المؤتمن ابنى البطائحى،

غلامی الأفضل، اللذین کانا عملا علی قتله و أعانا علی إتلافه، و اعتقالهما فی شعبان و الاستیلاء علی أموالهما و ذخائرهما، للأسباب التی نقم بها علیهما، و المنکرات التی اتصلت به عنهما(1).

و فیها اتصلت الأخبار من ناحیه بغدوین ملک الأفرنج صاحب بیت المقدس، بالاحتشاد و التأهب و الاستعداد لقصد ناحیه حوران من عمل دمشق، للعیث فیها و الإفساد، و شرع فی شن الغارات علی الجهات القریبه من دمشق، و المضایقه لها، و قطع الطرقات علی الواردین إلیها، فعند المعرفه بذاک و التحقق له، شرع ظهیر الدین أتابک فی الاستعداد للقائه، و الاجتماع علی جهاده، و کاتب أمراء الترکمان و مقدمیهم و أعیانهم، بإعلامهم صوره الحال، و یستنجد بهم علیهم، و یبذل لهم الإحسان و الإنعام، و برز فی عسکره و قد ورد علیه خبر قربهم من طبریه، قاصدین أعمال البلد من مرج الصفر و شرخوب(2)، و خیم به، و کاتب ولاه الأطراف بإمداده بالرجاله، و اتفق وصول الترکمان فی ألفی فارس أولی بأس شدید، و رغبه فی الجهاد، و مسابقه إلی الکفاح و الجلاد، فاجتمع إلیه خلق کثیر، و کان الأفرنج حیث عرفوا نزول أتابک و العسکر بمرج صفر، رحلوا إلیه، و خیموا بإزائه، و وقعت العین علی العین، و تطاردت طلائع الفریقین، فلما کان یوم الاثنین السابع و العشرین من ذی الحجه من السنه، اجتمع للقضاء المقضی، و الحکم النافذ من أحداث دمشق و الشباب الأغرار، و رجال الغوطه و المرج و الأطراف، و أحداث الباطنیه المعروفین بالشهامه و البساله من حمص و غیرها و العقبه و قصر حجاج و الشاغور خلق کثیر، رجاله و خیاله بالسلاح التام، و الناهض مع المتطوعه و المتدینین، و شرعوا بالمصیر للحاق المصاف قبل اللقاء، و قد شاع الخبر بقوه عسکر الإسلام، و کثرته و استظهاره علی حرب الأفرنج، و شده

1- انظر تفاصیل الخبر فی اتعاظ الحنفا: 3/ 110- 115، و روی المقریزی أن الآمر کان یقول:« أعظم ذنوبه عندی ما جری منه فی حق صور و إخراجها من ید الإسلام إلی الکفر».
2- لم أجد هذا الموقع فی المعاجم و المصادر الجغرافیه.

شوکته، و لم یشک أحد فی هلاک الأفرنج فی هذا الیوم و بوارهم، و کونهم طعمه للمسلمین متسهله، (166 ظ) و اتفق أن فرقه وافره من عسکر الترکمان، غارت علی أطراف الأفرنج و نالت منهم، و استظهرت علیهم، و خاف الأفرنج، و علموا أنه لا طاقه لهم بهذا الجمع، و أیقنوا بالهلکه، و رحلوا بأسرهم من منزلهم الذی کانوا فیه، عائدین إلی أعمالهم علی غایه من الخوف و الوجل، و نهایه من الذل و الوهل، و نشبت فرقه من الترکمان فی فریق منهم، و هو راحلون فغنمت من أثقالهم و دوابهم غنیمه وافره، و ظفرت بالکنیسه المشهوره التی لهم فی مخیمهم، و طمع العسکر عند ذاک فیهم و حملوا علیهم، و هم مولون لا یلوون علی تابع و لا یقفون علی مقصر لاحق، و قد شملهم الرعب و ضایقوهم مضایقه ألجأتهم إلی رمی نفوسهم علیهم، إما لهم و إما علیهم، فتجمعوا و عادوا علی العسکر الإسلامی، و حملوا علیه حملتهم المعروفه، فکسروهم و هزموهم، و قتلوا من أعقابهم من ثبطه الوجل، و خانه الأجل، و تم العسکر فی الهزیمه علی حاله، و عادوا علی جمیع الرجاله، و هم العدد الکثیر و الجم الغفیر، و أطلقوا السیف فیهم حتی أتوا علیهم، و تتبعوا المنهزمین بالقتل حتی وصلوا إلی عقبه سحورا(1) و قربوا من البلد من شرخوب مع بعد المدی و المسافه، و صبر خیولهم.

و وصل ظهیر الدین أتابک و العسکر إلی دمشق آخر نهار هذا الیوم، و بنوا الأمر بینهم علی مباکرتهم فی غد للإیقاع بهم، فصادفوهم قد رحلوا عائدین إلی عملهم، خوفا مما عزم علیه من قصدهم، و تتبعهم، و الله یحکم ما یشاء.

سنه عشرین و خمسمائه

فی هذه السنه ورد الخبر من ناحیه الموصل باستشهاد الأمیر الاصفهسلار سیف الدین آق سنقر البرسقی صاحبها، بید الباطنیه رحمه

1- لم أجد هذا الموقع فی المعاجم و المصادر الجغرافیه.

الله، فى مسجد الجامع بها فى ذى القعده منها، و كان الذى وثب عليه جماعه، قد رتبت لمراصدته، و طلب غرته حتى حان الحين، و نفذ الأجل، و قد كان على غايه من التيقظ لهم و التحفظ منهم بالاستكثار من السلاحيه و الجانداريه و السلاح الشاک، لكن القضاء النازل لا يدافع، و القدر النافذ لا يمانع، و عليه مع هذا من (117 و) لباس الحديد ما لا تعمل فيه مواضى السيوف، و مرهفات الخناجر، و حوله من الغلمان الأتراک و الديلم و الخراسانيه بأنواع السلاح عدد، فلما حصل بالجامع على عادته، لقضاء فريضه الجمعه، و النفل على رسمه، و صادف هذه الجماعه الخبيثه فى زى الصوفيه، يصلون فى جنب المشهد، لم يؤبه لهم، و لا ارتيب بهم، فلما بدأ بالصلاه، و ثبوا عليه بسكاكينهم، فضربوه عده ضربات لم تؤثر فى لبس الحديد الذى عليه، و قد غفل أصحابه عنه، و انتضى سيفا كان معه و ضرب أحدهم فقتله، و صاح واحد منهم حين رأوا السكاكين لا تعمل فيه شيئا: و يلكم اطلبوا رأسه و أعلاه، و قصدوا حلقه بضرباتهم فأثخنوه، إلى حين أدركه أصحابه و حماته، فقضى عليه، و قتل شهيدا، و قتلوا جميع من كان وثب عليه.

و قد كان هذا الأمير رحمه الله سديد الطريقه، جميل الأفعال، حميد الخلال، مؤثرا للعدل، و الإنصاف، كثير التدين محمود المقاصد محبا للخير و أهله، مكرما للفقهاء و الصالحين، فحزن الناس عليه، و أسفوا لفقده على هذه الحال، و لما عرف ظهير الدين أتابک هذا، قلق له و ضاق صدره لسماعه، و قام فى الأمر بعده ولده الأمير مسعود، و هو مشهور بالنجابه و الذكاء، معروف بالشهامه و العناء، فاجتمع إليه خواص أبيه و وزيره و كتابه و سلک منهاجه المحمود، و قصد قصده المشكور، فاستقام له الأمر، و انتظمت على السداد و المراد أحواله.

و فى هذه السنه نهض ظهير الدين نحو تدمر، و لم يزل حتى استعادها من أيدى العاملين عليها الواثبين على ابن أخيه، الوالى كان بها، فى يوم

الخميس لإثنتى عشره ليله خلت من شهر ربيع الآخر منها، و استقر الأمر على أن تجعل برسم الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوک بورى بن ظهير الدين أتابک، و سلمت إليه و خرج إليها و معه من رتب لحفظه و حفظها من الثقات.

و فى هذه السنه عاد ظهير الدين من حلب، و قد بدا له من المرض، و دخل دمشق فى شعبان منها، و وصل إليه أمير الدوله كمشتكين والى بصرى من مصر بجواب الرساله التى كان نفذ لأجلها، و معه الأمير المنتضى (117 ظ) ابن مسافر الغنوى، رسول الآمر بأحكام الله صاحب مصر، و على يده خلع سنيه و تحف مصريه، فى الشهر المذكور.

و فى هذه السنه استفحل أمر بهرام داعى الباطنيه، و عظم خطبه فى حلب و الشام، و هو على غايه من الاستتار و الاختفاء و تغيير الزى و اللباس، بحيث يطوف البلاد و المعاقل، و لا يعرف أحد شخصه، إلى أن حصل فى دمشق بتقرير قرره نجم الدين إيل غازى بن أرتق مع الأمير ظهير الدين أتابک، و خطاب و كده بسببه، فأكرم لإتقاء شره، و شر جماعته، و أجملت له الرعايه، و تأكدت به العنايه بعد أن تقلبت به الأحوال، و تنقل من مكان إلى مكان، و تبعه من جهله الناس، و سفهاء العوام، و سفساف الفلاحين الطغام، من لا عقل له، و لا ديانه فيه، احتماء به، و طلبا للشر بحزبه، و وافقه الوزير أبو على طاهر بن سعد المزدقانى- و إن لم يكن على مذهبه- على أمره، و ساعده على بث حبال شره، و إظهار خافى سره، فلما ظهر أمره و شاع، و طاوعه وزير ظهير الدين المذكور، ليكون عونا له على فعله، و تقويه يده فى شغله، التمس من ظهير الدين أتابک حصنا يأوى إليه، و معقلا يحتمى به، و يعتمد عليه، فسلم له ثغر بانياس فى ذى القعده سنه عشرين و خمسمائه فلما حصل فيه اجتمع إليه أوباشه من: الرعاع، و السفهاء و الفلاحين، و العوام، و غوغاء الطغام، الذين استغواهم بمحاله و أباطيله، و استمالهم

بخدعه و أضاليله، فعظمت المصيبه بهم، و جلت المحنه بظهور أمرهم و شينهم، و ضاقت صدور الفقهاء و المتدينين، و العلماء، و أهل السنه، و المقدمين، و [أهل] الستر و السلامه من الأخيار المؤمنين، و أحجم كل منهم عن الكلام فيهم، و الشكوى لواحد منهم، دفعا لشرهم، و ارتقابا لدائره السوء عليهم، لأنهم شرعوا فى قتل من يعاندهم، و معاضده من يؤازرهم على الضلال، و يرافدهم بحيث لا ينكر عليهم سلطان و لا وزير، و لا يفل حد شرهم مقدم و لا أمير.

و فى هذه السنه ورد الخبر بوصول السلطان مغيث الدنيا و الدين محمود ابن السلطان محمد بن ملک شاه (118 و) إلى بغداد، و جرى بينه و بين الخليفه الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين مراسلات و مخاطبات، أوجبت تشعيث الحال بينهما، و المنافره من كل منهما، و تفاقم الأمر إلى أن أوجب زحف السلطان فى عسكره إلى دار الخلافه، و محل الإمامه، و محاربته فى قصره، و الطلبه لغلبته و قهره، و لم تزل الشحناء مستمره، و الفتنه على غير الإيثار مستقره، إلى أن زالت أسباب الخلف و النفار، و عادت الحال إلى ما أنتفيت من شوائب الأكدار، بحسن سفاره الوزير جلال الدين بن صدقه، وزير الخلافه، و جميل وساطته، و سديد نيابته، و عاد السلطان مع ذلک إلى المألوف من طاعته، و المعروف من مناصحته، و التصرف على أوامر أمير المؤمنين و أمثلته و ذلک فى العشر الأخير من ذى الحجه سنه عشرين و خمسمائه، و قيل فى أول المحرم سنه إحدى و عشرين و خمسمائه(1).

و فى رجب من هذه السنه، توفى الأمير طرخان بن محمود الشيبانى، أحد أمراء دمشق بعله حاده، هجمت عليه، فأردته.

و فيها قصدت الأفرنج رفنيه، و ضايقوها، و استعادوها من ملكه المسلمين.

1- أتى سبط ابن الجوزى على تفاصيل ذلک فى أخبار سنه/ 521/ ه و هى ليست فى المطبوع: 1/ 124- 125.

سنه إحدى و عشرين و خمسمائه

فيها ورد الخبر من ناحيه العراق بقتل المعين وزير السلطان سنجر بن السلطان ملک شاه صاحب خراسان، بتدبير الباطنيه فى شهر ربيع الآخر منها، ذكر أنه كان فتک بجماعه منهم، و محرضا للسلطان على النكايه فيهم، و تطهير الأرض منهم، فرتبوا له قوما من سفهائهم للأرصاد لفرصه تلوح فيه، و غره تظهر منه(1) فلم يتم لهم فى ذلک نيل طلب، و لا تسهل لهم إدراک أرب، فأفردوا منهم سفيها، و لم يزل يتحيل إلى أن خدم فى أسطبل دوابه، سائسا لبغاله، و قام فى خدمته إلى أن وجد الفرصه متسهله عند حضوره لمشاهده كراعه، فوثب عليه، و هو غافل مطمئن، فقتله و مسک فقتل من بعده، و كان هذا الوزير موصوفا بجميل الأفعال، و حميد الفعال، و متانه الدين (118 ظ) و حسن اليقين، و الإنصاف فى أعماله، و التسدد فى أقواله، و مضى لحال سبيله شهيدا، و انتقل إلى ربه مرضيا حميدا عند نفاد المده، و انقضاء العده، و لله عاقبه الأمر، و بيده محتوم النفع و الضر.

و قد تقدم من شرح حال الأمير سيف الدين آق سنقر البرسقى، صاحب الموصل فى استشهاده بيد الباطنيه فى جامعها، رحمه الله، و قيام ولده الأمير مسعود فى الأمر من بعده ما فيه الكفايه، فلما استتب أمره، و قويت شوكته، و استقامت ولايته، شمخ بأنفه، و نفخت حداثه السن فى سحره، و حدثته نفسه بمنازله البلاد الشاميه، و الطمع فى تملک المعاقل الإسلاميه، و الاطراح لمجاهده العصب الأفرنجيه، بالضد من أولى الحزامه و السداد، و ذوى البأس و البساله فى إحراز فضيله الغزو و الجهاد، و نمى الخبر عنه إلى ظهير الدين أتابک بحكايات تدل على حسده له، بما أوتى من الهيبه، و حسن الصيت و جميل الذكر، و كبر الشأن و الأمر، و أنه عازم على التأهب و الاحتشاد لقصد أعمال الشام، و العيث

1- فى الأصل: منهم، و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.

فيها و الإفساد، فعزم ظهير الدين أتابک، عند معرفته هذه الأحوال، التى لا يصدر مثلها عن أريب، و لا يبدو شبهها عن حازم فى رأيه لبيب، على الاستعداد لقصده فى عسكره، حين يدنو من الأعمال الشاميه، فيوقع بعسكره، و يشفى غليله بالفتک بحزبه، فما كان بعد ذلک إلا الأيام القلائل حتى انفصمت عرى شبابه، و نزل محتوم القضاء به، بهجوم مرض حاد عليه بظاهر الرحبه، أتى عليه و أصاره إلى المحتوم، الذى لابد له عنه، و لا مجير له منه، فانفل حده، و خذله أنصاره و جنده، و أسلمته للقضاء حماته، و تفرقت عنه خواصه و ثقاته، و هلک فى الحال وزيره و شريکه فى الوزر و مشيره، بعله شديده أعجلته، فى إشراک المنيه أوبقته، و هرب جماعه من خواص غلمان أبيه الأتراک بأعلامه التى كانت قد استعملها على مراده و إيثاره، و تناهى فى إحكامها على قضيه اقتراحه و اختياره، و وصلوا بها إلى ظهير الدين أتابک متحفين له بها، و متقربين إليه بإهدائها، فأحسن إليهم و بالغ فى الإكرام لهم، و الإنعام عليهم، و اصطفاهم لنفسه، و ضمهم إلى ثقاته و أهل أنسه، و قابلهم على وفودهم عليه (119 و) و بالفعل الجميل و العطاء الجزيل(1).

1- جاء فى كتاب الباهر لابن الأثير: 32- 35:« لما قتل البرسقى قام بالموصل بعد ابنه عز الدين مسعود، و أرسل إلى السلطان يطلب أن يقرر البلاد عليه، فأجابه إلى ذلک، و أقره على ما كان لأبيه من الأعمال، فضبط البلاد، و قام فيها المقام المرضى، و كان شابا عاقلا، فجمع عساكر أبيه و أحسن إليهم، و كان يدبر الأمر بين يديه الأمير جاولى- و هو مملوک تركى من مماليک أبيه- و كان أيضا عاقلا حسن السيره، فجرت الأمور على أحسن نظام، فلم تطل أيامه، و أدركه فى عنفوان شبابه حمامه، و توفى سنه إحدى و عشرين و خمسمائه، فولى بعد أخوه الأصغر، و قام بتدبير دولته جاولى أيضا، و أرسل إلى السلطان يطلب أن يقرر البلاد عليه، و بذل أموالا كثيره .. و كان واسطه ذلک القاضى بهاء الدين أبا الحسن على بن الشهرزورى، و صلاح الدين محمد الياغسيانى، فحضرا إلى بغداد ليخاطبا السلطان فى ذلک، و كانا يخافان جاولى، و لا يرضيان بطاعته و التصرف بحكمه، فاجتمع صلاح الدين و نصير الدين جقر- الذى كان أعظم أصحاب أتابک زنكى منزله و كان بين نصير الدين و صلاح الدين مصاهره فذكر له صلاح الدين ما قدم له، فخوفه نصير الدين من جاولى و تحكمه على صاحبه، و قال له: إن رأيت أن تطلب البلاد لعماد الدين فهو الرأى، لأن السلطان

صوره و أنا و أنت معنى، فأجابه إلى ذلک، و أخذه إلى القاضى بهاء الدين بن الشهرزورى، متحدثا معه و وعده نصير الدين و مناه، و ضمن له عن عماد الدين من الأملاک و الأقطاع، و الوقوف على اختياره ما جاوز أمله، فأجاب بهاء- - الدين أيضا، و ركب هو و صلاح الدين إلى دار الوزير- و هو حينئذ أنوشروان بن خالد- فقال له: قد علمت أنت و السلطان أن بلاد الجزيره و الشام قد استولى الفرنج عليها، و تمكنوا منها، و قويت شوكتهم، و قد كان البرسقى يكف بعض عاديتهم، فمذ قتل ازداد طمعهم، و هذا ولده طفل، و لابد للبلاد من شهم شجاع يذب عنها و يحمى حوزتها، و قد أنهينا الحال إليک، لئلا يجرى خلل أو وهن على الإسلام و المسلمين، فنحصل نحن بالأثم من الله، و اللوم من السلطان، فأنهى الوزير ذلک إلى السلطان، فقال: من تريان يصلح لهذه البلاد، فقد نصحتما لله تعالى و للمسلمين، فذكرا جماعه فيهم عماد الدين زنكى، و عظما محله أكثر من غيره، فمال السلطان إلى توليته، لما علم من شهامته و كفايته و عقله لما تولاه، و أمره بالحضور عنده، و فصل الحال فى خدمه يحملها، و استقر الحال و ولاه البلاد جميعها، و كتب منشوره إلى بغداد».

و فی هذه السنه وردت الأخبار من ناحیه العراق، بمسیر السلطان مغیث الدنیا و الدین محمود، و قد عبث به مرض خاف منه علی نفسه، محمولا فی محفه نحو همذان، و اجتاز عند ذلک بدار الخلافه، و راسل الإمام المسترشد بالله أمیر المؤمنین، یسأله المسامحه بما سبق منه فی تلک النوبه بینهما، و أن یحلله و یدعو له، و لا یدعو علیه، فخرج إلیه جواب الرساله بأجمل جواب، و ألطف خطاب، طابت بها نفسه و زاد فی استماعها أمله فی البر و أنسه، ثم إنه أفاق من مرضه هذا و عاوده نشاطه بعد الکسل و الفتور و عاد إلی الغرض المأثور، و کان قد أنکر علی وزیره شمس الملوک خواجه بزرک أمورا، دعته إلی الأمر بالقبض علیه، و تسلیمه إلی حاجبه فقتله، و قیل إنه شرب الخمر فی قحف رأسه.

و فی شعبان من هذه السنه قصد بغدوین ملک الأفرنج، صاحب بیت المقدس، فی عسکره وادی موسی، فنهب أهله و سباهم و شرد بهم، و عاد عنهم.

و فی جمادی الآخره منها ورد الخبر بأن الأمیر ختلغ آبه السلطانی ولی مدینه حلب، و حصل فی قلعتها بطالع اختیر له، و لم یقم إلا القلیل حتی فسد أمره و اضطرب حاله، و وقع بینه و بین أحداث الحلبیین، فحصروه فی القلعه إلی أن وصل إلی حلب عسکر الأمیر عماد الدین أتابک فتسلمه من القلعه، و اعتقل و استؤذن فی أمره، فأذن فی سمل عینیه، فسملتا.

سنه إثنتين و عشرين و خمسمائه

اشاره

في هذه السنه اشتد المرض بظهير الدين أتابک، و طال به طولا أنهک قوته، و أنحل جسمه، و أضعف منته، و أشفى منه على نزول ما لا يدفع بحيله، و لا يمنع بقوه، فأحضر ولده الأمير تاج الملوک، و أمراء دولته و خواصه، و أهل ثقته، و أعيان عسكريته، و أعلمهم بأنه قد أحس من نفسه بانقطاع الأجل، و فراغ المهل، و خيبه الرجاء من البقاء و الأمل، «و لم يبق غير الوصيه بما يعمل عليه، و يدبر به الأمر بعدى، و ينتهى إليه، و هذا ولدى تاج الملوک بورى، هو أكبر ولدى و المترشح للانتصاب مكانى من بعدى، و المأمول لسد ثلمه فقدى، و لا أشک فى (119 ظ) سداد طريقته و إيثاره لفعل الخير و محبته، و أن يكون مقتفيا لآثارى فى حفظ قلوب الأمراء و العسكريه، و عاملا على مثالى فى إنصاف الأعيان و الرعيه، فإن قبل وصيتى هذه، و نهج السبيل المرضيه فى بسط المعدله و النصفه، فى الكافه، و أزال بحسن سياسته عنهم أسباب الوجل و المخافه، فذاک الظن فى مثله، و المرجو من سداده، و جميل فعله، و إن عدل عن ذلک إلى غيره، و حاد عن ما يؤثر من السداد فى سره و جهره، فها هو مشاهد لهذه الحال، و متوقع لمثل هذا المآل»، فقال: بل أوفى على المراد، و لا أتعدى سبيل السداد و الرشاد، فوكد الأمر عليه فى ذلک تأكيدا، فهمه منه و قبله عنه.

ثم توفى إلى رحمه الله، ضحى نهار السبت لثمان خلون من صفر من السنه، فأبكى العيون، و انكأ القلوب، وفت فى الأعضاد، و فتت الأكباد، و اشتد الأسف لفقده، و الجزع عليه، و لم يسمع إلا متفجع له، و ذاكر لجميل أفعاله، و شاكر لأيامه.

و قام ولده تاج الملوک بورى بالأمر من بعده، و أحسن السيره فى خاصه و رعيته و جنده، فلو كانت مجارى الأقدار تدفع إليه عن ذوى المناصب و الأخطار، لكان هذا الأمير السعيد الفقيد أحق من تخطأته

المنايا، و لم تلم بساحته الرزايا، و أبقته الأيام لها رتبه تتباهى بها، و حليه تنافس بها، إلا أن الله تعالى لا يغالب أمره، و لا يدافع حكمه، و لابد من تمام ما سبق به علمه، و حدوث ما تقرر نفاذه فى خلقه، لأن الموت غايه الحيوان، و نهايه ما يكون من مصير الإنسان، و قد كان هذا الأمير السعيد قد بالغ فى استعمال العدل، و الكف عن الظلم، و أعاد على جماعه من الرعيه أملاكا فى ظاهر البلد جمه داثره، أغتصبت منهم فى زمن الولاه الظالمه، و قبضت عنهم فى زمن العتاه الجبابره، و جرت عليهما أحكام المقاسمه و عتت الأيدى العاديه الغاشمه، فأعادها إلى خراجها القديم المستقر، و رسمها السالف المستمر، و رفع عنها مواد الجور و العدوان، و حسم عن مالكيها أسباب التأول فى كل مكان و أوان، فأحرز بذاک صالح الدعاء، و جميل الشكر و الثناء.

ثم رفع إلى أمير المؤمنين الخليفه المسترشد بالله، رقعه عند مصيره إلى بغداد، (120 و) و مهاجرته إلى الباب الإمامى المسترشدى، و السلطانى الغياثى، يذكر فيها حال مواضع داثره فى عمل دمشق، و حصص عامره، و أرض معطله لا مالک لها و لا فائده فى عطلتها، و لا انتفاع لخاصى و لا عامى بشى ء منها، لدثورها و دروس معالمها و رسومها، و استأذنه فى بيعها ممن رغب فيها، و يؤثر عمارتها للانتفاع بريعها و غلتها، و صرف ما يحصل من ثمنها فى الأجناد المرتبين للجهاد، فأذن له فى ذلک أذنا تاما، مؤكدا إباحه له، و أمضاه لمن يملكه بالابتياع منه، و أحله و أطلقه، و وقع بذاک على ظهر الرقعه بالإمضاء، و إبطال التأول فيه، و التحذر من إبطال شى ء من حكمه، أو التجاوز لرسمه، و وكد بالعلامه الشريفه الإماميه المسترشديه بخطه الكريم، و وكل فى بيع ذلک من ارتضاه من ثقات الأمناء، الوكاله الصحيحه التى قبلها منه، و تقلدها عنه و أشهد عليه الشهود المعدلين، و أمضى البيع فى ذلک لمن رغب فيه، فعمرت عده ضياع يبابا خاليه، و على عروشها خاويه، و أرض عافيه لا انتفاع بها و لا

فائده لأحد بها، فأجريت عيون مياهها، و أعيدت إلى أجمل عاداتها، و ظهرت منها الخيرات، و عمت بذلک الميامن و البرکات، و دامت له الدوله، و لمن بعده ببرکات هذه الأفعال الحميده، و النيه الجميله، و حسنت لهم العقبى فى الولد و الأسره، و الأهل و الجمله و حصل له الذکر الجميل فى الآفاق و الأقطار و الأمصار، و الثناء الطيب الحسن الآثار، و مضى لشأنه سعيدا عزيزا حميدا، على ظهر فراشه لا يرد له أمر، و لا يخالف له قول و لا يتجاوز له حکم، ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(1).

1- القرآن الکريم- الحديد: 21.

ذكر تاج الملوک بورى بن أتابک عند توليه الأمر بعد أبيه ظهير الدين أتابک و أخباره

اشاره

و ما جرى فى أيامه من نوبه الباطنيه و الأحداث المتجدده و ما جرى مع الأفرنج إلى أن مضى سبيله

شرح ذلک

لما نفذ القضاء فى ظهير الدين أتابک رحمه الله، قام ولده الأمير تاج الملوک (120 ظ) بالأمر من بعده، إذ كان نجله و ولى عهده، فعمل بما كان ألقاه إليه، و اعتمد على ما وكده فى وصيته عليه، من حسن السيره فى جميع من حوته دمشق من الأجناد و العسكريه، و كافه الأتباع و الرعيه، و زاد على ذلک، و بالغ فى الذب عنهم و المراماه دونهم، و جرى على منهاج أبيه فى بسط المعدله، و اعتماد النصفه للأجناد، و ثقل الوطأه على الأعداء و الأضداد، و إنصاف المتظلمين، وردع الظالمين، و حمايه السفار و المترددين، و التبليغ بالنكايه للمفسدين، بحيث اجتمعت القلوب على حب دولته، و انطلقت الألسن بالدعاء الصالح بإدامه أيامه، و إطاله مدته، و أقر وزير أبيه أبا على طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته، و أجراه على رسمه فى سفارته، و لم يصرف أحدا من نوابه المعروفين بخدمته عن رسمه و عادته، و لا أزاله عن معيشته، بل زاد فى أرزاقهم، و خلع عليهم، و أحسن إليهم، و أقر الإقطاعات على أربابها، و الجامكيات على أصحابها، فكثر الدعاء له و الثناء عليه، و أحسن إلى وزيره المقدم ذكره، و أطلق له عشر ارتفاعه، مع حقوق العرض عن الإقطاعات و الواجبات و النفقات، و قد كان أسر فى نفسه من أمر الباطنيه، ما لم يبده لأحد من خواصه، و ثقات بطانته، عند ما قويت شوكتهم، و تضاعفت مضرتهم، اتباعا لما كان عليه أبوه من إظهار الرعايه لهم، و المداراه لدفع شرهم، فلما مكنه الله منهم، و أقدره عليهم، افتتح أمره بالتدبير عليهم، و الإيقاع بهم، فكان منه فى أمرهم ما سيأتى مشروحا فى مكانه.

ذكر ما حدث من الباطنيه بدمشق و أعمالها و ما آلت إليه أحوالهم من البوار و تعفيه الآثار فى بقيه سنه اثنتين و عشرين و خمسمائه

شرح الأمر و السبب فى ذلک

قد تقدم من ذكر بهرام، داعى الباطنيه، و السبب الذى أوجب تسليم ثغر بانياس إليه ما فيه الكفايه، عن تكرير الذكر له، و لما حصل فى بانياس شرع فى تحصينها، و ترميم ما استرم و تشعث منها، و بث دعاته فى سائر الجهات، فاستغووا خلقا كثيرا من جهال الأعمال، و سفساف الفلاحين من الضياع، و غوغاء الرعاع ممن لا (121 و) لب له يصده عن الفساد و يردعه، و لا تقيه تصدفه عن المنكر و تمنعه، فقوى شرهم، و ظهر بقبح الاعتقاد سرهم، و امتدت أيديهم و ألسنتهم إلى الخيار من الرعيه بالثلب و السب، و إلى المنفردين فى المسالک بالطمع و السلب، و أخذهم قسرا، و تناولهم بالمكروه قهرا، و قتل من يقتل من الناس تعديا و ظلما، و أعانهم على الإيغال فى هذا الضلال أبو على طاهر بن سعد المزدقانى الوزير، معونه بالغ فيها، و حصل له وخيم عاقبتها و ذميم مغبتها، لما تقرر بينه و بين بهرام الداعى المقدم، من المؤازره و المعاضده و المظافره و المرافده، موافقه فى غير ذات الله، و لا طاعته، طلبا لأن تكون الأيدى واحده على من يقصدهما بمكروه، و النيات مترادفه على من ينوى لهم شرا، و تاج الملوک غير راض بذاک، و لا مؤثر له، بل تبعثه السياسه السديده، و الحلم الوافر، و المعرفه الثاقبه على الاغضاء منهم على القذى، و الصبر على مؤلم الأذى، و هو يسر فى نفسه ما لم يظهره و يطوى من أمرهم ما لم ينشره إلى حين يجد الفرصه متسهله المرام، و المكنه من أعداء الله باديه الأعلام، فعند ذاک تنتهز الفرصه، و تقتنص الفريسه، و اتفق أن بهرام الداعى، لما يريد الله تعالى من بواره، و يحل به من هلكه و دماره، حدثته نفسه بقتل برق بن جندل أحد مقدمى وادى التيم، لغير سبب حمله عليه، و لا جنايه دعته إليه بل اغترار بعاقبه الظالمين، فى

سفک الدماء المحرمه، و إفاظه النفوس المحظوره، و جهلا بما حذر الله تعالی من یقصد ذاک، و یقدم علیه بقوله عز و جل: وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِیماً(1)، فخدعه إلی أن حصل فی یده، فاعتقله و قتله صبرا، فتألم لقتل مثله، علی هذه، مع حداثه سنه و شهامته و حسن صورته، و أعلنوا بلعن قاتله فی المحافل و المشاهد، و ذمه من کل غائب و مشاهد، فحملت أخاه الضحاک بن جندل، و جماعته و أسرته الحمیه الإسلامیه، و الحرقه الأهلیه علی الطلب بدمه، و الأخذ بثأره، فتجمعوا و تعاهدوا، و تحالفوا علی المصابره علی لقاء أعدائهم، و الإیغال فی الطلب لدمائهم، و بذل المهج و النفوس (121 ظ) فی إدراک ثأرهم، و شرعوا فی التأهب لهذه الحال صابرین، و للفرصه متوقعین إلی أن ساق بهرام و لفیفه الحین المتاح، و قضی الله علیهم بالاصطلام و الاجتیاح، فتجمعوا من کل ناحیه، و تهافتوا من کل صوب وجهه، و ظهر بهم من بانیاس فی سنه اثنتین و عشرین و خمسمائه و قصد ناحیه وادی التیم، للإیقاع بالمذکورین، و کانوا مستعدین للقائه، مترقبین لحربه، فلما أحسوا بقربه منهم، نهضوا بأجمعهم إلیه نهوض اللیوث من غابها للمحاماه علی أشبالها، و طاروا نحوهم مطار صقور الجبال إلی یعاقیبها و أحجالها، فحین دنوا من حزبه المفلول و حشده المخذول، هجموا علیهم و هم فی مخیمهم غارون، و بهم مغترون، و صاح صائحهم، و هم غافلون، و بما نزل بهم من البلاء ذاهلون، و إلی أن یتمکن فارسهم من امتطاء جواده، و راجلهم من تناول عدته و عتاده، أتی القتل علی أکثرهم ضربا بالسیوف و وجیا بخناجر الحتوف، و رشقا بسهام البلاء، و رجما بأحجار الأقدار و القضاء.

و کان بهرام فی خیمته، و حوله جماعه من شرکائه فی جهله و ضلالته، غافلا عما أحاط به و بطائفته، و قد وثبوا عند سماع الضوضاء، و الصیاح

1- القرآن الکریم- النساء: 93.

إلى أخذ آله السلاح، فأرهقوهم بسيوفهم الماضيه، و خناجرهم المبيره القاضيه، حتى أتوا على الجميع، و قطع رأس بهرام و يده بعد تقطيعه بالسيوف و السكاكين، و أخذهما واحد مع خاتمه من الرجال القاتلين، و مضى بهما إلى مصر مبشرا بهلاكه، و مهنئا ببواره، فخلع عليه و أحسن إليه، و شاعت بذلک الأخبار، و عم الكافه الجذل بملكهم، و الاستبشار، و أخذ الناس من السرور بهذا الفتح بأوفر السهام، و أكمل الأقسام، فقلت عدتهم، و انقصفت شوكتهم، و انفلت شكتهم.

و قام بعد بهرام صاحبه اسماعيل العجمى رفيقه فى الضلال و العدوان، و شريكه فى المحال و الطغيان، مقامه، و أخذ فى الاستغواء للسفساف مثاله، و زاد فى الجهل زياده أظهرت سخف عقله و محاله، و تجمع إليه بقايا الطائفه الخبيثه من النواحى و الأصقاع، و من كان منهم متفرقا فى النواحى و البقاع و جرى أبو على طاهر بن سعد المزدقانى الوزير على الحال التى سلكها مع بهرام فى حق اسماعيل، فى المساعده على مراده (122) و المعاضده على أغراضه، لتحرزه من الشر، و رغبته فى السلامه، و لم يعلم أن عقبى هذه الأفعال عين الندامه، و البعد عن طريق السلامه، فقد قيل «رب مستسلم نجت به سلامته، و متحرز من الشر كانت فيه آفته» و لم تزل شكوى الناس من الخاصه و العامه، تتضاعف، و الأضرار بهم من المخذولين تتوالى و تترادف إلى أن صرف تاج الملوک ابن ظهير الدين أتابک إلى الفتک بهم، و الاجتياح لهم همته، و أرهف لتطهير الأعمال منهم عزيمته، و رأى أن إصلاح الأمر فيما يقتضيه التدبير، فيما يراد، و التقرير الإيقاع بأبى على الوزير أولا فإنه أصوب ما اعتمد، و أولى ما قصد، فرتب لقتله من خواصه من اعتمد عليه، و سكن فى أمره إليه، و قرر معه أن يضرب رأسه بالسيف متى أشار إليه، فلما كان يوم الأربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنه ثلاث و عشرين و خمسمائه حضر مع جماعه الأمراء و المقدمين على الرسم، فى قبه الورد

من دار القلعه بدمشق، و جرى فى المجلس أمور و مخاطبات مع تاج الملوک و الحضور، انتهى الأمر فيها إلى الانصراف إلى منازلهم، و العود إلى دورهم، و نهض الوزير المذكور منصرفا بعدهم على رسمه، فأشار تاج الملوک إلى خصمه فضرب رأسه بالسيف ضربات أتت عليه، و قطع رأسه، و حمل مع جثته إلى رماده باب الحديد، فألقيت عليها ينظر الكافه إلى صنع الله تعالى بمن مكر، و اتخذ معينا سواه، و بغيره انتصر، و أحرقت جثته بعد أيام بالنار، و صارت رمادا تذروه الرياح، ذلک بما قدمت يداه، و ما الله بظلام للعبيد(1).

و شاع الخبر بذاک فى الحال، فثارت الأحداث بدمشق، و الغوغاء و الأوباش بالسيوف و الخناجر المجرده، فقتلوا من ظفروا به من الباطنيه و أسبابهم، و كل ما متعلق بهم، و منتم إليهم، و تتبعوهم فى أماكنهم، و استخرجوهم من مكامنهم، و أفنوهم جميعا تقطيعا بالسيوف، و ذبحا بالخناجر، و جعلوا مصرعين على المزابل كالجيف الملقاه، و الميته المجتواه، و قبض منهم نفر كثير التجأوا إلى جهات يحتمون بها، و أملوا السلامه بالشفاعه منها قهرا، و أريقت دماؤهم هدرا و أصبحت النواحى و الشوارع منهم خاليه، و الكلاب على أشلائهم و جيفهم متهاوشه عاويه إن فى (122 ظ) ذلک لآيه لأولى الألباب.

1- جاء فى مرآه الزمان- أخبار سنه 523- :« و فيها كانت فتنه الإسماعيليه بدمشق، و كان ابن محرز قد سلم إليهم حصن القدموس لأن بورى قصده ليأخذه منه، فسلمه إليهم، و كان الوزير المزدقانى بدمشق يكاتبهم و يهاديهم خوفا من بنى الصوفى، فشرع وجيه الدين المفرج بن الصوفى رئيس دمشق مع بورى فى الإغراء بالإسماعيليه، و هون عليه أمرهم، و ساعده الحاجب ابن فيروز، ثم اتفقوا على قتل الوزير المزدقانى، فاستدعاه بورى إلى القلعه سابع رمضان، فجلس عنده، فلما قام ليخرج، و ثبت عليه جماعه من الأجناد، فقتلوه فى دهليز قلعه دمشق، و قطعوا رأسه و أحرقوا جسده فى باب الحديد، ثم مضوا إلى دار الدعوى، و قتلوا كل من بها، و ثار عوام دمشق على الإسماعيليه، فقتلوهم شر قتله، ذبحا بالسيوف و رميا بالحجاره، و صلبوا منهم جماعه على سور دمشق، فكان عده من قتل منهم عشره آلاف على ما قيل، و لم يتعرضوا لحريمهم و لا لأموالهم ... و كان- طاهر بن سعد أبو على الوزير المزدقانى- سمحا جوادا، بنى المسجد على الشرف الشمالى فى دمشق، عند تربه ست الشام، و يسمى مسجد

الوزير، و فيه القراء و عليه الوقف، و كان قد عاداه وجيه الدوله ابن الصوفى، فانتمى إلى الإسماعيليه خوفا منه».

و كان قد أخذ فى الجمله المعروف بشاذى الخادم، تربيه أبى طاهر الصائغ الباطنى، الذى كان بحلب، و هذا اللعين الخادم كان أصل البلاء و الشر، فعوقب شر عقوبه، شفت قلوب كثير من المؤمنين، و صلب و معه نفر منهم على شرفات سور دمشق، ليشاهد فعل الله بالظالمين و نكاله بالكافرين، و كان الحاجب يوسف بن فيروز شحنه البلد، و رئيسه الوجيه ثقه الملک أبو الذواد مفرج بن الحسن الصوفى، قد بالغا فى التحريض على هلاک هذه الطائفه الخبيثه، فأخذا فى التحرز و الاحتياط من اغتيال من يندب إليهما من باطنيه ألموت(1) مقر الباطنيه، بلبس الحديد و الاستكثار من الحفظه حولهما، بالسلاح الوافر العتيد، فحصل الشقاء لمن أساء و كفر، و السعاده لمن أحسن و اعتبر.

و أما اسماعيل الداعى المقيم ببانياس، و من معه فإنهم لما سمعوا ما حدث من هذه الكائنه سقط فى أيديهم، و انخذلوا و ذلوا، و أقبل بعضهم على بعض يتلاومون، و تفرق شملهم فى البلاد و علم اسماعيل أن البلاء محيط به إن أقام ببانياس، و لم يكن له صبر على الثبات، فأنفذ إلى الأفرنج يبذل لهم تسليم بانياس إليهم، ليأمن بهم، فسلمها إليهم، و حصل هو و جماعته فى أيديهم، فتسللوا من بانياس إلى الأعمال الأفرنجيه على غايه من الذله، و نهايه من القله، و عرض لإسماعيل عله الذرب، فهلک بها، و قبر فى بانياس فى أوائل سنه أربع و عشرين و خمسمائه، فخلت منهم تلک الناحيه، و تطهرت من رجسهم.

و فى سنه اثنتين و عشرين و خمسمائه ورد الخبر من بغداد بوفاه الوزير جلال الدين أبى على الحسن بن على بن صدقه، وزير الخليفه رحمه الله، فى جمادى الآخره منها، و كان حسن السيره، محمود الطريقه، كاتبا فاضلا، بليغا محبوبا من الخاصه و العامه، سديد الرأى، حميد التدبير، صادق

1- مقر قياده الدعوه الإسماعيليه الجديده فى الشرق- انظر الدعوه الإسماعيليه الجديده:

العزم، صافی الحس، کریم النفس، فکثر الأسف علیه، و التوجع لفقده، و استوزر بعده نقیب النقباء شرف الدین أبو القاسم علی بن طراد الزینبی، فی جمادی الأولی منها، و هو من جلاله القدر، و شرف الأصل، و نباهه الذکر، و المنزله المشهوره، و الرتبه المعروفه، و المکان المشتهر.

و فی جمادی الأولی سنه اثنتین و عشرین و خمسمائه، توفیت الخاتون، شرف النساء، والده تاج الملوک رضی الله عنها (123 و) و قبرت فی قبتها المبنیه برسمها، خارج باب الفرادیس.

سنه ثلاث و عشرین و خمسمائه

قد مضی ذکر نوبه الباطنیه و غیرهم، لما اقتضی سوق الکلام فیه فی سنه اثنتین و ثلاث، و لما انتهی إلی الأفرنج خبر الکائنه فی الباطنیه، و انتقال بانیاس عنهم، إلیهم، أحدث ذلک لهم طمعا فی دمشق و أعمالها، و أکثروا الحدیث فی قصدها، و بثوا رسلهم إلی الأعمال فی جمع الرجال و الاحتشاد، فاجتمع إلیهم سائر من حوته بلادهم، من: الرها، و أنطاکیه، و طرابلس، و الساحل، و وصلهم فی البحر ملک کند، هو الذی(1) قام مقام بغدوین الهالک فی الأفرنج، و معه خلق کثیر، فاجتمعوا و نزلوا علی بانیاس، و خیموا علیها، و شرعوا فی تحصیل المیر و الأزواد للإقامه، و تواترت الحکایات عنهم، ممن شاهدهم و أحصی عددهم، أنهم یزیدون علی ستین ألفا فارسا و راجلا، و أکثرهم الرجاله.

فلما عرف تاج الملوک ذلک من عزمهم، تأهب لهذا الأمر و صرف همه إلی الاستکثار من العدد و السلاح، و آله الحرب، و ما یحتاج إلیه من الآلات التی یحتاج إلیها لتذلیل کل صعب، و کاتب أمراء الترکمان علی أیدی رسله المندوبین إلیهم بالاستنجاد و الاستغاثه بهم، و بذل من المال

1- هو فولک صاحب أنجو، زوج میلیسند أکبر بنات بلدوین الثانی. انظر تاریخ ولیم الصوری: 2/ 47- 51.

و الغلال ما بعثهم على المبادره إلى إجابه ندائه، و السرعه إلى دعائه، و وصل إليه من طوائفهم المختلفه الأجناس، كل ذى بساله، و شده مراس، راغبين فى أداء فريضه الجهاد، و مسارعين إلى الكفره الأضداد، و أطلق ما يحتاجون إليه لقوتهم، و قضيم خيولهم.

و رحل الملاعين عن بانياس طالبين دمشق، على أناه و ترتيب، و نزلوا على جسر الخشب و الميدان المعروف المجاور له فى(1) .... من ذى القعده سنه ثلاث و عشرين و خمسمائه، و خيموا هناک و أصبح العسكر، خرج من دمشق و انضم إليه التركمان من منازلهم حول البلد، و الأمير مرى بن ربيعه فى العرب الواصلين معه، و تفرقوا كراديس فى عده جهات، و وقفوا بإزائهم لتخرج منهم فرقه فيسارعوا إليها، و يزحفوا فيبادروا إلى لقائهم، فلم يخرج منهم فارس، و لا ظهر راجل، بل ضموا أطرافهم، و لزموا مخيمهم و أقام الناس على هذه الصوره أياما (123 ظ) يتوقعون زحفهم إلى البلد، فلا يشاهد منهم إلا تجمعهم و إطافتهم حول مخيمهم، و بريق بيضهم و سلاحهم، و كشف خبرهم و ما الذى أوجب تأخرهم عن الزحف و تلومهم، فقيل إنهم قد جردوا أبطال خيلهم و شجعان رجالهم للمصير مع البغال إلى حوران، لجمع المير و الغلال، التى يستعان بمثلها على الإقامه و النزال، و أنهم لا حركه لهم، و لا قوه بهم، إلى عوده المذكورين.

فلما عرف تاج الملوک هذه الحال، بادر بتجريد الأبطال من الأتراک الدمشقيين، و التركمان الواصلين، و العرب القادمين مع الأمير مرى، و أضاف إليهم الأمير سيف الدوله سوار فى عسكر حماه، و قرر معهم نهوضهم آخر يومهم، و الجد فى السير عامه الليل، و وصلوهم عند

1- فراغ بالأصل، و يبدو أن ذلک حصل فى أواخر ذى القعده حيث جاء فى الكامل لابن الأثير: 8/ 329:« و وصل الفرنج فى ذى الحجه فنازلوا البلد، و أرسلوا إلى أعمال دمشق لجمع الميره و الإغاره على البلاد».

الصباح إلى ناحيه براق(1)، لأن تقدير وصول الملاعين عند عودهم من حوران إلى ذلک المکان، فسارعوا إلى العمل بما مثل لهم، و أصبحوا فی ذلک المکان، و هم علی غایه من الکثره و المنعه، و معهم سواد عسکرهم بأسره، فی عدد لا یحصی کثره، فهجموا علیهم فلم یتکامل رکوبهم إلا و قد قتل منهم جماعه بالنشاب، و ضربوا مصافا، و وقفوا قطعه واحده، و حمل علیهم المسلمون، فثبتوا، و لم یزل عسکر الإسلام یکر علیهم و یفتک بهم، إلی أن فشلوا و انخذلوا، و أیقنوا بالبوار، و حلول الدمار، و ولی کلیام(2) دبور مقدمهم و شجاعهم فی فریق من الخیاله منهزمین، و حمل الأتراک و العرب حمله هائله، و أحدقوا بهم ضربا بالسیوف، و طعنا بالرماح و رشقا بالسهام، فما کان إلا بعض النهار، حتی صاروا علی وجه الأرض مصرعین، و بین أرجل الخیل معفرین، و غنموا منهم الغنیمه التی امتلأت أیدیهم بها، من: الکراع، و السلاح، و الأسری، و الغلمان، و أنواع البغال، و هو شی ء لا یحصر فیذکر، و لا یحد فیعد، و لم یسلم منهم إلی معسکرهم إلا القلیل من الخیاله، الذین نجت بهم سوابقهم المضمره، و عاد الأتراک و العرب إلی دمشق ظافرین غانمین منصورین مسرورین، آخر نهار ذلک الیوم المذکور، فابتهج الناس بهذا الیوم السعید، و النصر الحمید، و قویت به النفوس، و انشرحت به الصدور، و عزم العسکر علی مباکرتهم بالزحف إلی مخیمهم، عند تکامل

1- ذکر یاقوت أکثر من موقع یحمل هذا الاسم، و اکتفی عند أحدها بقوله: موضع بالشام، و بناء علی معطیات المصادر العربیه مع ولیم الصوری، فإن موقع براق هو فی حوران، بعد منطقه مرج الصفر حیث کان معسکر الفرنجه و فی منطقه ازرع التابعه لمحافظه درعا قریه ما تزال تحمل اسم براق، من المرجح أنها المقصوده، و تبعد براق هذه عن درعا مسافه/ 112 کم/ و عن ازرع/ 82 کم/ و عن مرکز ناحیه المسمیه/ 20 کم/. انظر التقسیمات الإداریه فی الجمهوریه العربیه السوریه. ط. دمشق: 1968، ص: 50.

2- هو William de Bury ، کان یمتلک موقعا علی مقربه من صور، قاد حسب ولیم الصوری:

وصوله (124 و) و تسرع إليهم جماعه من الخيل وافره، و هم ينظرون إلى كثره النار، و ارتفاع الدخان، و هم يظنون أنهم مقيمون، فلما دنوا من المنزل صادفوهم، و قد رحلوا آخر تلك الليله، عند ما جاءهم الخبر، و قد أحرقوا أثقالهم و آلاتهم، و عددهم و سلاحهم، إذ لم يبق لهم ظهر يحملون عليه، عند ما عرفوه من حقيقه الأمر، الذى لا يمكن معه المقام، مع معرفتهم بكثره عسكر الأتراک، و لا طاقه لهم به، و لم يتمالكوا أن رحلوا لا يلوون على منقطع، و لا يقفون على مقصر، و خرجوا إلى منزلهم فغنموا منه الشى ء الكثير من أثاثهم و زادهم، و صادفوا جماعه من الجرحى فى الوقعه، قد هلكوا مع وصولهم، و دفنوا فى أماكنهم، و خيولهم مصرعه من الجراح و الكد، و لحق أواخرهم العسكر، فقتلوا جماعه من المنقطعين، و أغذوا سيرهم فى هزيمتهم خوفا من لحاق المسلمين لهم، و أمن الناس و خرجوا إلى ضياعهم، و انتشروا فى أماكنهم و معايشهم، و انفرجت عنهم الكربه، و انكشفت الغمه، و جاءهم من لطف الله تعالى و جميل صنعه ما لم يكن فى حساب، و لا خطر فى بال، فلله الحمد و الشكر على هذه النعمه السابغه، و الموهبه الكامله، حمدا يستديم جزيل نعمه، و يستمد المزيد من منائحه و قسمه.

و عاد التركمان إلى أماكنهم بالغنائم الوافره، و الخلع الفاخره، و تفرق جمع الكفره إلى معاقلهم، على أقبح صفه من المذله، و عدم الكراع، و ذهاب الأثقال، و فقد أبطال الرجال، و سكنت القلوب بعد الوجل، و أمنت بعد الخوف و الوهل، و أيقنت النفوس بأن الكفره لا يكاد يجتمع لهم بعد هذه الكائنه شمل، بعد فناء أبطالهم، و اجتياح رجالهم، و ذهاب أثقالهم.

سنه أربع و عشرين و خمسمائه

فى المحرم أول هذه السنه، توفى الشيخ الأمين، جمال الأمناء، أبو محمد هبه الله بن أحمد الأكفانى، رحمه الله، و كان موصوفا بالكفايه،

و الأمانه معروفا بالصيانه و الديانه، و لم يقم من الشهود بعده مثله، فى الذكاء و الأمانه و الغناء.

لما خلا ديوان الوزاره بدمشق، بعد قتل أبى طاهر المزدقانى الوزير من عارف ينظم حساباته، و يسدد أمور معاملاته، و ارتاد تاج الملوک كافيا يرد الأمر فى ذلک (124 و) إليه، و يعتمد فيه عليه، و يسكن إلى نهضته فى تهذيب أحواله، و ترتيب أعماله، و حفظ أبواب ماله، فلم يتسهل له بلوغ المقصود، و لا تيسر لارتياده نيل الغرض المنشود، فوقع تعويله على الرئيس الوجيه ثقه الملک أبى الذواد المفرج بن الحسن الصوفى، رئيس دمشق، فرد الأمر فى ذلک إليه، و قلده منصب الوزاره، و اعتمد فيه عليه، و وجده أكفى من وقعت إليه الإشاره من كتابه و متصرفيه، و إن كان ضعيف الصناعه فى الكتابه، خفيف البضاعه من البلاغه، فإن رأيه سديد، و مذهبه فى التنزه و الأمانه حميد، و له معرفه بسياسه المعاملين فى المعاملات، و يد فى الحل، و الضبط فى استدعاء الحسبانات، و حفظ الإخراجات، و لم يجد له محيدا عنه، و لا بدلا منه، فقلده هذا المنصب، واثقا بحسن سفارته، و مرضى مؤازرته، و خلع عليه، و زاد فى إحسانه إليه، و أجلسه مجلسه من الديوان، تأكيدا لأمره، و رفعا لقدره، فأحسن السياسه، و سدد أحوال الرئاسه، و استعمل العدل فى أعماله و الإنصاف لمعاملته، و عماله، و نظر فى الأعمال، و اعتمد على الكفاه الثقات من العمال، و جرت الأحوال فى ذلک على السداد، و اطردت على الاستقامه أحسن إطراد.

(و) فى هذه السنه ورد الخبر بوصول الأمير عماد الدين أتابک زنكى ابن أق سنقر، صاحب الموصل إلى حلب فى عسكره، عازما على الجهاد، و أرسل تاج الملوک بورى بن ظهير الدين أتابک، يلتمس منه المعونه، و الإسعاد على محاربه الأفرنج الأضداد، و ترددت الرسل بينهما فى ذلک إلى أن أجاب إلى المراد، و أنفذ إليه من استحلفه على المصافاه و الوداد، و توثق منه على الوفاء و جميل الاعتقاد، و أكد الأمر فى هذه الحاله تأكيدا،

سكن إليه و وثق به، و اعتمد عليه، و بادر بتجريد وجوه عسكره فى خمسمائه فارس، و كتب إلى ولده بهاء الدين سونج بحماه يأمره بالخروج فى عسكره، و الاختلاط بالعسكر الدمشقى، و مقدمه الأمير شمس الأمراء الخواص، و عده من الأمراء و المقدمين (125 و)، فامتثل الأمر، و خرج من حماه فى رجاله و تجمله، و توجهوا جميعا إلى مخيم عماد الدين أتابک، فأحسن لقاءهم، و بالغ فى الإكرام لهم، و أغفلهم أياما، و عمل عليهم، و غدر بهم و قبض على سونج ولد تاج الملوک، و على جماعه المقدمين، و نهب خيامهم و أثقالهم، و كراعهم، فهرب منهم من هرب، و اعتقل الباقين، و حملهم إلى حلب و أمر بحفظهم فيها.

و زحف من يومه إلى حماه، و هى خاليه من الرجال الحماه، فملكها و استولى على ما فيها، و رحل عنها إلى حمص، و كان صاحبها خيرخان ابن قراجه معه، بعسكره، و مناصح فى خدمته، و عامل بطاعته، و كان المعين له، و المحرض على الغدر بسونج، و قبضه، فحين نزل عليها غدر بخير خان صاحبها و اعتقله، و نهب خيامه و أثقاله، و توثق منه، و طلب تسليم حمص إليه، فراسل نوابه فيها، و ولده بذاک، فلم يلتفتوا إلى مقاله، و لا وقعت منهم إجابه إلى سؤاله، فأقام عليهم مده طويله، يبالغ فى المحاربه لأهلها، و المضايقه لها، فلم يتهيأ له فيها مطلب، و لا تيسر مأرب، فرحل عنها إلى الموصل، و استصحب معه سونج بن تاج الملوک، و المقدمين من عسكر دمشق، و أقر الباقين فى حلب، و ترددت المراسلات فى إطلاق المعتقلين، فلم يفعل، و التمس عنهم خمسين ألف دينار، أجاب تاج الملوک إلى تحصيلها، و القيام بها.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه مصر، بقتل الآمر بأحكام الله صاحبها، فى آخرها، تدبيرا دبر له، و عمل فيه عليه، لأمور منكره ارتكبها، و أحوال قبيحه اعتمدها، و دعت إلى قتله، و أوجبت الفتک به، لأنه بالغ فى ظلم الرعيه، و أخذ أموالهم، و اغتصاب أملاكهم، و سفک

الدماء، و أساء السيره، و ارتكب المحذورات، و استحسن القبائح من المحظورات، فابتهج الخاص و العام بالحادث فيه، و الراحه منه فى يوم الثلاثاء الثانى من ذى القعده سنه أربع و عشرين و خمسمائه، و عمره أربع و ثلاثون سنه، و مولده بالقاهره سنه تسعين و أربعمائه، و أيام دولته أربع و عشرون سنه، و نقش خاتمه «الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين»(1)، و قام بعده ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم بن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، و أخذت له البيعه على الرسم (125 ظ) فيها، و نعت بالحافظ لدين الله، أمير المؤمنين، فاستقام له الأمر، و استتب برأيه التدبير(2) و قلد الأمر أبا على، أحمد بن الأفضل أمير الجيوش، وزاره الدوله، و تدبير المملكه، فساس الكافه أعدل سياسه، و دبر الأعمال أجمل تدبير، و جرى على منهاج أبيه الأفضل، رحمه الله فى حب العدل و إيثاره، و اجتواء(3) الجور و إخماد ناره، و أعاد على التناء و التجار ما اغتصب من أموالهم، و قبض من أملاكهم، و أمن البر التقى، و أخاف المفسد الشقى، و بالغ فى ذلک مبالغه أحرز بها شكر القريب و البعيد، و حاز بها أجر الموفق السعيد.

و لم يزل على المذهب الحميد مواظبا، و لهذا المنهاج السديد مداوما إلى أن نجم له من مقدمى الدوله، حسده حسدوه على ما ألهمه الله من أفعال الخيرات، و اقتناء الصالحات، تجمعوا على إفساد أحواله، و لفقوا

1- وصف المقريزى بشكل أوفى عمليه اغتيال الآمر، و اتهم بها جماعه الحشيشيه، و قد اختير عبد المجيد خليفه و ليس إماما، فقد كلف بكفاله الإمام الحقيقى ابن الآمر و ولى عهده، ففى روايه أنه ولد للآمر قبل مقتله بأشهر غلام ذكر سماه« الطيب» و أعلنه وليا لعهده، و فى روايه ثانيه أنه قال:« قبل وفاته بأسبوع عن نفسه: المسكين المقتول بالسكين، و أشار إلى أن إحدى جواريه« حامل منه، و أنه رأى رؤيا تدل أنها ستلد ولدا ذكرا، و هو الخليفه من بعده، و أن كفالته للأمير عبد المجيد أبى الميمون، فجلس المذكور كفيلا و نعت بالحافظ لدين الله». اتعاظ الحنفا: 3/ 128- 137.
2- كذا، و ذكر المقريزى فى اتعاظ الحنفا: 3/ 140، أن الوزير أحمد بن الأفضل« أحاط بالحافظ و سجنه فى خزانه فيما بين الإيوان و باب العيد».
3- اجتوى الشى ء كرهه- النهايه لابن الأثير.

المحال فی الطعن فی أعماله، و سعوا فی العمل بأنواع من الکذب جمعوها، و ألفاظ من الباطل نمقوها، و قرر ذلک مع العسکریه دون الأعیان، و الأماثل من الرعیه، و أغفل إلی أن وجدت الفرصه فیه مستهله، و الغره منه بادیه، و حصل فی جانب من المیدان خالیا من العده و العده و الأعوان، و النجده، لا یشعر بما قد رتب له، و دبر علیه، فوثبوا علیه، و قتلوه رحمه الله، و انفرد به، و أدرکه أصحابه، و قد قضی، فقتلوا الجناه، و حملوه إلی تربته فدفنوه بها(1).

سنه خمس و عشرین و خمسمائه

فی هذه السنه انتهی إلی تاج الملوک، عن الرئیس المقلد أمر الوزاره محال غیر قلبه علیه، و قدح فی منزلته، و أفسد ما کان جمیلا فیه من رأیه، و أمر باعتقاله مع بعض أقاربه اعتقالا جمیلا، و عزله عن الوزاره و الرئاسه، فی شهر ربیع الأول منها، و عول فی تقلید مکان الوزاره علی کریم الملک أبی الفضل أحمد بن عبد الرزاق المزدقانی، ابن عم الوزیر أبی علی المزدقانی المقدم ذکره، فرد الأمر فی ذلک إلیه، و عول فی الوزاره و السفاره علیه، و استقام له الأمر، و مشت الأحوال به، و استبشر أکثر

1- دفن بتربه أمیر الجیوش بدر الجمالی، و کانت مده تحکمه سنه و شهران و ثلاثه عشر یوما، عادی الإسماعیلیه، حیث کان إمامیا، أزال من الآذان« حی علی خیر العمل، محمد و علی خیر البشر» و أسقط ذکر الحافظ من الخطبه، و اخترع لنفسه دعاء یدعی به علی المنابر و هو: السید الأجل الأفضل، سید ممالک أرباب الدول، المحامی عن حوزه الدین، و ناشر جناح العدل علی المسلمین، الأقربین و الأبعدین، ناصر إمام الحق فی حالی غیبته و حضوره، و القائم فی نصرته بماضی سیفه، و صائب رأیه و تدبیره، أمین الله علی عباده و هادی القضاه إلی أتباع شرع الحق و اعتماده، و مرشد دعاته المؤمنین إلی واضح بیانه و إرشاده، مولی النعم، رفع الجور عن الأمم، مالک فضیلتی السیف و القلم، أبو علی أحمد بن السید الأجل الأفضل، أبی القاسم شاهنشاه أمیر الجیوش، تآمر علیه بعض الجند بقیاده أحد ضباط القصر و اسمه یانس، و قد خرج فی أحد الأیام« لیعرق فرسا فی المیدان فی البستان الکبیر، خارج باب الفتوح من القاهره، و للعب بالکره علی عادته، فجاء و هو هناک عشره من صبیان الخاص الذین تحالفوا علی قتله حتی ظفروا به جمیعا أو فرادی، فصاح أبو علی: من یسابق؟

فقال العشره علیک، و حملوا علیه و طعنوه حتی قتل» و بعد هذا تجمع المتآمرون« فأخرجوا الحافظ من الخزانه التی کان معتقلا بها، و فکوا عنه القید، و أجلسوه فی الشباک علی منصه الخلافه» و أخذوا له علی« أنه ولی عهد کفیل لمن لم یذکر اسمه». و فور ذلک خلع الخلیفه علی یانس خلع الوزاره. اتعاظ الحنفا: 143- 144.

المتصرفين و العمال، لأنه كان حسن الطريقه، قد تهذب فى النيابه عن الوزاره فى الديوان، و عرف سياسه (126 و) الأعمال فى كل عصر و أوان، فصيح اللسان بالفارسيه و العربيه، و لم يزل مستمر الأمر إلى أن حدث ما تغيرت به حاله، لأن الباطنيه لما جرى عليهم ما قضاه الله من البوار، و أحله بهم من الهلاک و الدمار، انتهى خبر ذاک إلى رفقائهم بألموت، فأسفوا عليهم، و قلقوا لما نزل بهم، و شرعوا فى بث حبائل شرهم، و نصب أشراک خترهم و مکرهم، و ندبوا لتاج الملوک من يغتاله، و يوقع به من جهال أخوانهم، و فتاک أقرانهم، و وقع اختيارهم على جاهلين من الخراسانيه قرروا معهما التحيل فى أمر تاج الملوک، و الطلب له، و الفتک به، فى داره، عند إمکان الفرصه فيه، و وصل هذان الرجلان إلى دمشق فى زى الأتراک بالقباء و الشربوش، و حضرا إلى معارف لهما من الأتراک، و سألوهما الوساطه فى اسخدامهما، و تقرير الواجب لهما، و خدعاهم، و لم يرتابوا بهما، و تدرجا بالحيله و المکر إلى أن صاروا فى الجمله من الخراسانيه المرتبين لحفظ رکاب تاج الملوک، و تمکنا، و سکنت القلوب إليهما لأنهما ضمنا، و رقبا الفرصه فى تاج الملوک إلى أن دخل الحمام، و عاد منه، و وصل إلى باب داره من القلعه بدمشق، و تفرق عنه من کان فى رکابه من الخراسانيه، و الديلم، و الأحداث، الحفظه له، فوثبا عليه فى يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الآخره سنه خمس و عشرين و خمسمائه، و ضربه أحدهما بالسيف طالبا لرأسه، فجرحه فى رقبته جرحا لم يتمکن منه، و ضربه بسکين عند خاصرته نفذت بين اللحم و الجلد، و رمى بنفسه فى الحال عن فرسه سليما، و تکاثرت الرجال عليهما، فقطعوهما بالسيوف، و أحضر أهل الخبره بمداواه الجراح من الأطباء و الجراحيين، و عولجا فبرأ إحدهما الذى عند الرأس، و تنسر الذى فى الخاصره، و صلحت الحال فى ذلک، و رکب و أقام مده يحضر مجلسه الخواص و العسکريه و الأجناد، للسلام و الشراب على الرسم المعتاد.

و فیها ورد الخبر من بغداد بوفاه السلطان مغیث الدنیا و الدین محمود ابن السلطان غیاث الدنیا و الدین محمد بن ملک شاه بن ألب أرسلان رحمه الله فی شوال سنه خمس و عشرین و خمسمائه، بمرض حدث به، کان معه نفاذ أجله، و فراغ مهله، و تقررت السلطنه بعده لأخیه السلطان أبی الفتح مسعود بن محمد (126 ظ) بن ملک شاه بن ألب أرسلان، و تکون ولایه العهد من بعده لابنه داود بن محمود، ثم لأخیه السلطان طغرل بن محمد، و سیأتی ذکر کل واحد منهم فی موضعه.

و فیها ورد الخبر من حله مکتوم بن حسان بن مسمار(1) بأن الأمیر دبیس بن صدفه بن مزید اجتاز بالحله، و کان قد انهزم من العراق فی خواص أصحابه و غلمانه خوفا من الخلیفه المسترشد بالله أمیر المؤمنین، و ضل فی الطریق، و لم یکن معه دلیل عارف بالمسالک و المناهل، و کان قصده حله مری بن ربیعه، فهلک أکثر من کان معه، و تفرق أصحابه بعد موت من مات بالعطش و قد حصل فی الحله کالمنقطع الوحید، فی نفر یسیر من أصحابه، فأنهض تاج الملوک، فرقه من الخیل نحوه، لإحضاره فأحضرته إلی القلعه بدمشق فی لیله یوم الاثنین، لست خلون من شعبان سنه خمس و عشرین و خمسمائه فتقدم تاج الملوک بإنزاله فی دار القلعه، و إکرامه و احترامه، و التنوق فی شرابه و طعامه، و حمل إلیه من الملبوس و المفروض ما یقتضیه محله الرفیع، و مکانه المکین الوجیه، و اعتقله اعتقال کرامه، لا اعتقال إهانه، و أنهی الحال فی ذلک إلی الدار العزیزه الإمامیه المسترشدیه، فورد الجواب إلیه بالتوثق منه، و الاحتیاط علیه، إلی حین یصل إلیه من یتسلمه، و یحمله إلی بغداد.

و لما عرف عماد الدین أتابک زنکی صاحب الموصل هذه الحال، نفذ رسولا إلی تاج الملوک، یلتمس منه تسلیمه، و یکون الجزاء عنه الخمسین

1- أمیر قبائل کلب و کانت منازله(حلته) فی منطقه صلخد. مرآه الزمان- أخبار سنه 525 ه.

الألف الدينار المقرره على ولده سونج، و بقيه العسكر الدمشقى المعتقلين فأجابه تاج الملوک إلى ذلک، و تقرر الشرط عليه، و أن يصل عسكره إلى ناحيه قارا، و معه المعتقلون، و يخرج الأمير دبيس مع عسكر دمشق، إلى هناک، فإذا تسلم المعتقلين سلموا دبيسا إلى أصحابه، فتوجهوا به من دمشق، و وصلوا به إلى قارا فتسلموا المعتقلين منهم، و سلموا إليهم دبيسا فى يوم الخميس الثامن من ذى القعده من السنه، و عاد كل من العسكريين إلى مكانه، و وصل سونج إلى دمشق هو و الجماعه، فسر تاج الملوک بهم، و زال شغل قلبه (127 و) بوصولهم، فعند ذلک خوطب تاج الملوک فى الرئيس و أهله المعتقلين، و سئل فى إطلاقهم، و المن عليهم بتخليه سبيلهم، فأجاب إلى ذلک بعد أن قرر عليه مصالحه، يقوم بها و أطلق و أعيد إلى رئاسته دون وزارته، و خلع عليه، و على الوزير كمال الدين كريم الملک أبى الفضل أحمد بن عبد الرزاق المزدقانى، فى مستهل رمضان من السنه.

و فى هذه السنه ورد الخبر من صرخد بوفاه و اليها فخر الدوله كمشتكين الخادم التاجى، فى جمادى الآخره منها، و كان حسن الطريقه، جميل الذكر، كثير التدين، مشكور المقاصد.

و فيها وصل سديد الدوله ابن الأنبارى، كاتب الخليفه، الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين، رسولا منه فى أمور و أسباب اقتضتها، فى آخر ذى القعده منها، و يبعث على تسليم الأمير دبيس إلى من يحمله إلى بغداد، و قد فات الأمر فيه، فأكرم مثواه، و سر بمقدمه، و أجيب عن رسائله، و توجه عائدا بعد أن حمل إليه ما يقتضيه محله و يوجبه مكانه، و صادفه فى طريقه بناحيه الرحبه خيل الأمير عماد الدين، فقبضت عليه، و نهبت ما كان معه، و قتلت بعض غلمانه، و لقى شده عظيمه من الاعتقال و الإعنات، إلى أن خلص و أطلق سراحه، و عاد إلى بغداد(1).

1- فى مرآه الزمان: 1/ 135- 136:« قد ذكرنا أن دبيسا دخل البريه و انقطع خبره، و قد اختلفوا فى قصته، أما تواريخ البغداديين فإنهم قالوا: ضل فى طريقه، فقبض عليه بحله- - حسان بن مكتوم الكلبى من أعمال دمشق، و انقطع منه أصحابه، فحمل إلى دمشق، فباعه أميرها ابن طغتكين من زنكى بن آق سنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار، و كان زنكى عدوه، فظن أنه سيهلكه، فلما حصل فى قبضته أكرمه، و خوله المال و السلاح،

فلما ورد الخبر إلى بغداد، بعث الخليفه ابن الأنبارى، ليتوصل فى أخذه، فلما وصل الرحبه قبض عليه أميرها بأمر زنكى، و حمل إلى قلعه الموصل ... فلم يخلص إلا بشفاعه السلطان مسعود».

و فى يوم الخميس لثلاث ليال خلت من جمادى الآخره منها، جمع تاج الملوک جماعه من الأمراء و المقدمين و الخواص، و أعيان الأجناد و الكتاب و الفقهاء و أماثل الرعيه، فى مجلسه، و قال لهم: إننى قد انتهت بى الحال بسبب هذا الجرح الذى قد طال ألمه، و تعذر اندماله، ما قد أيقنت معه الحلول بالأمر المقضى الذى لا بد منه و لا مندوحه للخلق عنه، و قد يئست من روح الحياه، و استشعرت قرب الوفاه، و هذا ولدى أبو الفتح اسماعيل قد لاحت لى منه أماره الشهامه و النجابه، و بانت لى فيه مخايل الكفايه و اللبابه، و هو أكبر ولدى، و المرجو لسد ثلمه فقدى، و قد رأيت أن أجعله ولى عهدى، و المرشح لتولى الأمر بعدى، ثقه بسداده، و حسن تأتيه مع حداثه سنه، و حميد اقتصاده، فإن سلک منهاج الخير، و اقتفاه، و قصد سبيل العدل و الإنصاف، و توخاه، فذاک المراد منه، و المأمول فيه، و إن عدل عن المطلوب المشار إليه، و خالف (127 ظ) الأمر المنصوص عليه، كان المعول عليكم فى تنبهه من نومته، و إيقاظه من فتور غفلته، فإن الحازم اللبيب و السديد الأريب إذا ذكر ذكر، و إذا نهى عن المنكر أعرض عنه و اقتصر، فقالوا: الأمر أمرک الذى لا يخالف، و لا يعدل عنه، و الحكم حكمک، الذى لا خروج لنا منه، و طاعتنا لک فى حياتک، كطاعتنا لولدک بعد وفاتک، و الله يمد لک فى العمر، و يمن عليک بالعافيه الشافيه، و تعجيل السلامه و البر، فسر بمقالهم، و شكر ما بدا منهم من الحوادث الداله على حميد خلالهم، ثم نص فى الأمر عليه، و أشار فى ولايه العهد من بعده إليه، و قرر معهم العمل بطاعته، و الانتهاء إلى إشارته، و خلع عليه خلعا سنيه، تليق بمثله، و تضاهى شرف مثله، و ركب فيها إلى داره من القلعه بين الأمراء و المقدمين

و الأتباع، من: الخراسانيه، و الغلمان و السلاحيه و القزاغنديه(1) و الجاووشيه فى اليوم المذكور، و المحفل المحضور، و تضاعف بذاک منهم الجذل و السرور، و مالت كافه الأصحاب إليه، و اجتمعوا عليه، و واظبوا الخدمه له فى كل يوم و التسليم عليه.

سنه ست و عشرين و خمسمائه

اشاره

فى هذه السنه، ورد الخبر من ناحيه الأفرنج بهلاک بغدوين الرويس ملک الأفرنج، صاحب بيت المقدس بعكا، فى يوم الخميس الخامس و العشرين من شهر رمضان منها، و كان شيخا قد عركه الزمان بحوادثه، و عانى الشدائد من نوائبه و كوارثه، و وقع فى أيدى المسلمين عده دفعات أسيرا فى محارباته و مصافاته، و هو يتخلص منهم، بحيله المشهوره، و خدعه المخبوره، و لم يخلف بعده فيهم صاحب رأى صائب، و لا تدبير صالح، و قام فيهم بعده الملک القومص الجديد الكند انجور(2)، الواصل إليهم فى البحر من بلادهم، فلم يتسدد فى رأيه، و لا أصاب فى تدبيره، فاضطربوا لفقده، و اختلفوا من بعده.

و فيها اشتد مرض الجرح بتاج الملوک، و وقع اليأس من برئه و صلاحه، فطال الأمر به طولا، سئم معه الحياه، و أحب الوفاه، و تزايد الضعف به، و الذبول فى جسمه، و قوته، و قرب أجله و خاب فى الصحه أمله (128 و) و توفى إلى رحمه الله و مغفرته، و تجاوزه، على مضى ساعه من نهار يوم الاثنين الحادى و العشرين من رجب منها، فتألمت القلوب لمصابه، و أفيضت الدموع للنازل به.

1- فى الأصل: و المقر عداريه، و هو تصحيف رجحت صوابه: إما المقرداريه، أو كما أثبتت فى المتن، و القزاغنديه نوع من المقاتلين كانوا يرتدون أثوابا قطنيه أو حريريه محشوه أيام الحرب، و هى عباره مركبه من: قز، و كند أو غند، و القز هو الحرير، و غند أو كند هو البطل الشجاع بالفارسيه، و سبب الترجيح أنه لم يمر بى من قبل« المقرداريه» بينما مرت العباره الثانيه كثيرا.
2- سبق له أن ذكر وفاته- انظر ص 357.

و إذا المنيه أنشبت أظفارهاألفيت كل تميمه لا تنفع

و لكن قضاء الله تعالى لا يغالب، و حكمه لا يدافع، لأن هذه الدنيا دار سوء لم يدم فرح لامرى ء فيها، و لا حزن، الأنفاس فيها محصاه معدوده، و الآجال محصوره محدوده، و الليل و النهار يقطعان الأعمار، و يفنيان المده، و ما فهم مواعظ الزمان من سكن إلى خدم الأيام، و لقد أنشد عند فقده قول الشريف الرضى:

بعدا ليومک فى الزمان فإنه أقذى العيون وفت فى الأعضاد

لولا ما من الله من قيام نجله فى الأمر من بعده، و نصه عليه فى ولايه عهده، شمس الملوک، فأزال الروعه، و خفف اللوعه، فاشتغل الناس بالتهنئه بالأمير الموجود عن التعزيه بالشهيد المفقود، و قد كان لتاج الملوک رحمه الله من: المحاسن، و المآثر، و المناقب، ما يذكر فى المحافل، و ينشر فى الأنديه و المحاضر، و نظمت مدائحه الشعراء، و نشرت فضائله الفصحاء البلغاء، و كان الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن الخياط الشاعر الدمشقى رحمه الله، و هو طرفه شعراء الشام، و المشهور بمحاسن الفنون من المديح و غيره بينهم، قد نظم فى تاج الملوک عده قصائد، بالغ فى تهذيبها و تحريرها و تحبيكها، فذكرت من جمله أبياتها المعربه عن صفات معاليه، ما يستدل به على استحقاقه، ما بالغ فيه من مدح مقاصده و مساعيه، فمن أبيات قصيده أولها:

لقد كرم الله ابن دهر تسوده و شرف يا تاج الملوک بک الدهرا

و من على هذا الزمان و أهله بأروع لا يعصى الزمان له أمرا

حسام أمير المؤمنين و من يكن حساما له فليقتل الخوف و الفقرا

إذا قلت فى تاج الملوک قصيدهمن الشعر قالوا قد مدحت به الشعرا(1)

1- ديوان ابن الخياط- ط. بيروت 1994 ص 234- 236.

ص: 377

و قال من أخرى:

ألم تک للملوک الغر تاجاو للدنیا و عالمها سراجا

لقد شرف الزمان بک افتخاراکما سعد الأنام بک ابتهاجا

مددت إلی اقتناء الحمد کفاطمی بحر السماح بها و ماجا

و غادرت المعالی بالعوالی کخیس اللیث عزّبه و لاجا(1)

1- دیوان ابن الخیاط- ط. ص 236- 241.

ذکر أیام شمس الملوک أبی الفتح اسماعیل بن تاج الملوک بوری بن ظهیر الدین أتابک، و شرح حاله فی ابتداء أمره إلی انقضائه، و ما کان فی خلال ذلک من الحوادث المتجدده، و معرفه تواریخها و أوقاتها و أحوالها

لما مضی الأمیر تاج الملوک بوری بن أتابک یرحمه الله، من هذه الدنیا الفانیه، إلی الدار الباقیه سعیدا حمیدا شهیدا، أقام ولده شمس الملوک أبو الفتح اسماعیل مقامه فی المملکه، حسب ما کان عهد به إلیه فی حیاته، و أوصی بما یعمل به بعد وفاته، حسن السیاسه و السیره، و أخلص النیه فی أعماله و السریره، و بسط العدل فی الرعیه، و أفاض إحسانه علی کافه الأجناد و العسکریه، و أقر الإقطاعات علی أربابها، و الجامکیات علی أصحابها، و زاد فی الواجبات و لم ینقصها، و أقر وزیر أبیه علی وزارته، و رتب العمال و المتصرفین علی ما کانوا علیه، ورد أمر التقریر و التدبیر إلی الحاجب یوسف بن فیروز، شحنه دمشق، و اعتمد علیه فی مهمات أمره، و سکن إلیه فی جهره و سره، و افتتح أمر السیاسه بالنظر فی أمر الرعیه و المتعیشین، بأن رفع عنهم ما کان یستخرج منهم فی کل سنه من أقساط الفیئه، و أبطل رسمها، و حظر تناولها، و أزال حکمها، و عوض أرباب الحوالات علیها بجهات غیرها، فکثر له الدعاء، و اتصل علیه الثناء، و ذلک فی رجب سنه ست و عشرین و خمسمائه، و ظهر من شهامته و شده بأسه و شجاعته و إقدامه و بسالته و مضاء عزیمته ما لم یقع فی و هم، و لا خطر فی بال و فهم، و سنذکر من ذلک فی أماکنه ما یقوم مقام العیان دون الحکایه بالمقال.

فمن ذلک أولا افتتاحه حصن اللبوه(1) و الرأس (129 و) و کانا فی یدی المندوبین لحفظهما من قبل تاج الملوک أبیه، و کانا قد أقرا علی رسمهما، فانتهی إلی شمس الملوک أن أخاه شمس الدوله محمد بن تاج

1- قرب منابع نهر العاصی.

الملوک صاحب بعلبک قد عمل علیهما، حتی استنزلهما علی حکمه من حصنیهما المذکورین، و ندب لهما من رآه من ثقاته و نوابه لحفظهما، فأنکر مثل هذا الفعل علیه، و امتعض منه، و راسل أخاه المذکور بالمعاتبه علی ما قصده، و یهجن رأیه فیما اعتمده، و یسأله النزول علیهما(1)، و إعادتهما إلی ما کانا علیه، فامتنع من الإجابه إلی ما طلب، و القبول لما التمس، فأهمل الأمر فیه، و فی الحدیث فی معناه مده یسیره، ثم نهض فی العسکر و آلات الحرب من دمشق، موهما أنه یطلب ناحیه الشمال فی آخر ذی القعده من السنه، ثم عاد فی طریق أخری مغربا بعد تشریقه، فلم یشعر من بحصن اللبوه إلا و قد نزل علیه، و زحف من وقته إلیه بعزیمه لا تدافع، و شده لا تمانع، فلما أحس من فیه بالبلاء، لما شاهده من شده القتال، و لم یجد له مخلصا بحال من الأحوال طلب الأمان من یومه، فأجیب إلی ما سأل، و أسعف بما أمل، و نزل من الحصن، و سلمه إلیه، فقرر أمره و استناب فی حفظه من اعتمد علی کفایته و نهضته، ثم رحل عنه عند الفراغ منه إلی حصن الرأس، فجری أمر من فیه علی تلک القضیه فتسلمه، و ولاه لمن یحفظه، ثم رحل عنه، و نزل علی بعلبک، و قد استعد أخوه، صاحبها، و احتشد و اجتمع إلیه خلق کثیر من فلاحی البقاع و الجبال، و غیر ذلک من الحرامیه المفسدین، فحصرهم فیها، و ضایقهم، و زحف إلیهم فی الفارس و الراجل، و خرج من بعلبک من المقاتله جماعه، فقتل منهم و جرح نفر کثیر و علی السور أیضا.

ثم زحف بعد أیام إلی البلد البرانی، و قد حصنوه بالرجال، فشدد علیهم القتال، و فرق العسکر علیه من عده جهات، فملکه و حصل العسکر فیه، بعد أن قتل و جرح الخلق الکثیر ممن کان فیه، و نصب المناجیق علی البلد و الحصن، و واظب الزحف إلیهما و الشد علیهما، فلما عاین صاحبها شده الأمر و الاستمرار علی الإقامه (129 ظ) و المصابره،

1- کذا فی الأصل، و أقوم منها« عنهما».

راسل فی بذل الطاعه و المناصحه، و السؤال فی إقراره علی ما کان علیه فی أیام أبیه، فحملته عاطفه القربی علی احتمال ما جری، و الإغضاء عما سلف، و أجاب إلی ما التمس، و نزل علی إیثاره ما طلب، و تقرر الأمر بینهما علی ما اقترح، و عاد شمس الملوک فی العسکر إلی دمشق ظافرا مسرورا فی أوائل المحرم منها.

سنه سبع و عشرین و خمسمائه

فی المحرم منها وردت الأخبار من ناحیه الأفرنج بوقوع الخلف بینهم، من غیر عاده جاریه لهم بذلک، و نشبت المحاربه بینهم، و قتل منهم جماعه.

و فیها صادف جماعه من التورکمان صاحب زردنا(1) فی خیله، فظفروا به و قتلوه، و من معه، و اشتملوا علی خیولهم و کراعهم، و قیل إن ابن الدانشمند(2) ظفر بفریق وافر خرج من القسطنطینیه، فأوقع به، و قتل من کان فیه من الروم و غیرهم.

و فی سابع عشر جمادی الآخره غار الأمیر سوار(3) من حلب فی خیله علی تل باشر، فخرج من فیه من أبطال الأفرنج إلیه، فقتل منهم تقدیر ألف فارس، و راجل، و حمل رؤوسهم إلی حلب.

و فی رجب منها قبض شمس الملوک علی مری بن ربیعه، فاعتقله و علی

1- قال یاقوت: زردنا بلیده من نواحی حلب الغربیه، و یجعل کل من ابن الأثیر فی کتابه الباهر:
2- هو محمد بن غازی خلف أباه سنه 520/ 1126 م حسب روایه المؤرخ السریانی، و فی الکامل لابن الأثیر: 8/ 244 قال فی أخبار سنه 528 ه: فی هذه السنه أوقع الدانشمند صاحب ملطیه بالفرنج الذین بالشام، فقتل کثیرا منهم، و لم یذکر لا ابن الأثیر و لا سواه الإیقاع بفرنجه قادمین من القسطنطینیه.
3- هو سیف الدین سوار من کبار قاده أتابک زنکی، انظر زبده الحلب: 2/ 251، و الحادث عنده سنه 626 ه.

أسامه بن المبارک، و صانعه علی مصالحه قام بها، و أطلقه، و أقام مری علی حاله، و تردد فیه خطاب، انتهی آخره إلی قتله، و هذا مکافأه ما أسلفه من قبیح الأفعال، و مذموم الأعمال، و الظلم الذی ارتکبه فی سائر الأحوال.

و لما عاد شمس الملوک من ناحیه بعلبک، بعد المقرر بینه و بین أخیه صاحبها، مما تقدم ذکره و شرحه، انتهی إلیه من ناحیه الإفرنج ما هم علیه من فساد النیه و العزم علی نقض الموادعه المستقره، و شکا إلیه بعض التجار الدمشقیین أن صاحب بیروت، قد أخذ منهم عده أحمال کتان، قیمتها جمله وافره من المال، فکتب إلی مقدم الأفرنج فی رد ذلک علی أربابه و إعادته علی من هو أولی به، و ترددت المکاتبات فی ذلک، فلم تسفر عن نیل مراد، و لا نیل طلاب، فحمله الغیظ و الحنق علی مقابله هذا الفعل بمثله، و أسر ذلک فی نفسه، و لم یبده لأحد من خاصته و ثقات بطانته، و صرف همه و عزمه إلی التأهب لمنازله بانیاس (130 و) و انتزاعها من أیدی الملاعین المتغلبین علیها، و نهض إلیها فی أواخر المحرم من السنه، و نزل علیها فی یوم الأحد غره صفر منها، و زحف فی عسکر إلیها، و فیها جماعه وافره من الخیاله و الرجاله، فارتاعوا لما أتاهم فجأه، و ذلوا و انخذلوا، و قرب من سورهم بالدرق الجفتیات و الخراسانیین و النقابین، و ترجل عن جواده، و ترجل الأتراک بأسرهم لترجله، و رشقوا من علی السور بالنشاب، فاستتروا و لم یبق أحد یظهر برأسه علیه لکثره الرماه، و ألزق الجفتیات إلی مکان من السور استرقه فنقبوه إلی أن تمکنوا منه، ثم هجموه، و تکاثروا فی البلد، و التجأ من کان فیه من الأفرنج إلی القلعه و الأبراج، و تحصنوا بها و مانعوا عن نفوسهم فیها، و ملک البلد، و فتح بابه، و قتل کل من صودف فیه من الأفرنج و أسر، و لما رأی من بالقلعه و الأبراج من المنهزمین ما نزل بهم من تملک البلد، و القصد لهم بالقتال، و لا ناصر لهم، و لا ممانع عنهم، التمسوا الأمان، فأجیبوا إلیه، و نزلوا، فأسروا جمیعا، و نهب ما کان فی البلد، و قرر فیه من الرجال الأجلاد من

يحفظه، و يذب عنه، و رحل عنه فى العسكر، و معه الأسرى، و رؤوس القتلى، و حرم الوالى الذى كان به، و أولاده و العدد الكثيره، و وصل إلى دمشق فى يوم الخميس لست ليال خلت من صفر من السنه، و خرج الناس من البلد للقائه، و مشاهده الأسرى فى الحبال، و الرؤوس فى القصب، و هم الشى ء الكثير، و الجم الغفير، فرأى الناس من ذلک ما أقر عيونهم، و سر قلوبهم، و شد متنهم، و ابتهجوا له، و أكثروا من شكر الله تعالى على ما سناه من هذا النصر العزيز، و الفتح المبين، و شاعت الأخبار بذلک فى الأفرنج، فهالهم سماعه، و ارتاعوا لحدوث مثله، و امتلأت قلوبهم رعبا و وجلا، و أكثروا التعجب من تسهل الأمر فى بانياس مع حصانتها، و كثره الرجال فيها فى أقرب مده، و أسهل مرام، و أسفوا على ما قتل من الخياله الفرسان و الرجاله.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه العراق، بوصول السلطان مسعود بن السلطان محمد(1) إلى بغداد، و نزوله فى الجانب الغربى منها، و أقام بها أياما قلائل لتقرير الحال، و كتب تذكره بأشياء اقترحها، و التمس إضافه الشام إلى العراق (130 ظ) و وصل إليه قاضى القضاه و الأعيان و الأماثل، و استحلفوه على ما تضمنه المشروح المقترح فى التذكره، و طولع بما جرى، فخرج الأمر السامى الإمامى المسترشدى بالإذن له فى نزوله فى دار السلطنه، و كتابه ألقابه، و إقامه الدعوه له، و حمل إليه ما يحتاج إلى مثله من الفرش و غيره، و خطب له آخر جمعه من المحرم، و كتب بتقرير أمر السلطنه، و كتابه ألقابه، و إقامه الدعوه له، و حمل إليه ما يحتاج إلى مثله من الدار العزيزه المسترشديه، و ناب الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد وزير الخليفه عنه، فى إيصال سلامه و دعائه أحسن مناب، و خوطب بأجمل جواب، و أفيضت الخلع عليه فى

1- فى الأصل« ابن السلطان محمود» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا، و يحتمل أن النص أصابه سقط ذلک أن السلطان مسعود تلقاه عند دخوله إلى بغداد« داود بن محمود». انظر الكامل لابن الأثير: 8/ 339.

يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الأول من السنه، و قد جلس الإمام الخليفه المسترشد بالله أمير المؤمنين، فحضر بين يديه، و خدم كما جرت العاده لمثله، فقال له أمير المؤمنين فى مبدأ خطابه:

تلق هذه النعمه بشكرک، و اتق الله تعالى فى سرک و جهرک، و كان هذا التشريف: سبع دراريع مختلفات الأجناس، و السابعه منها سوداء، و تاجا مرصعا، و سوارين، و طوق ذهب، و لما جلس على الكرسى المعد له، و قبل الأرض، قال له أمير المؤمنين: من لم يحسن سياسه نفسه، لم يصلح لسياسه غيره، قال الله تعالى ذكره: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ. وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ(1)، فأعاد الوزير عليه ذلک بالفارسيه، فأكثر من الدعاء له، و الثناء عليه، و استدعى أمير المؤمنين السيفين المعدين له، فقلده بهما، و اللوائين، فعقدهما له بيده، و سلم إليه السلطان داود بن محمود ابن أخيه(2)، و أتابكه آق سنقر، و أكد الوصيه عليه فى بابهما، و إجمال الرعايه لهما، و استحلفه على الوفاء بما قرره فى بابهما، و قال أمير المؤمنين: انهض و خذ ما آتيتک [بقوه](3) و كن من الشاكرين، و توجه السلطان مسعود بعد ذلک إلى ناحيه أذربيجان فى أول شهر ربيع الآخر من السنه، و قد انضم إليه (آق) سنقر الأحمديلى(4) و خلق كثير من الأتراک.

و وردت الأخبار إلى بغداد بأن عسكر السلطان مسعود كسر عسكر السلطان طغرل بن محمد(5) بناحيه همذان فى ثامن عشر رجب من

1- القرآن الكريم- الزلزال: 7- 8.
2- فى الأصل أخاه، و هو خطأ صوابه ما أثبتنا.
3- أضيف ما بين الحاصرتين اعتمادا على ما جاء القرآن الكريم: البقره: 63، 93: الأعراف:
4- فى الأصل سنقر و أحمديلى، و هو تصحيف قوم من الكامل لابن الأثير: 8/ 339.
5- فى الأصل« ابن محمود» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا، انظر الكامل لابن الأثير: 8/ 339- 340.

السنه، و تفرق عسكره فى البلاد، و عاد السلطان مسعود إلى (131 و) منزله، و خطب له فى جامع همذان.

و فى هذه السنه عزم شمس الملوک اسماعيل بن تاج الملوک على قصد حماه لمنازلتها، و استعادتها من أيدى الغالبين عليها، و ملكتها، و قد كان أخفى هذا العزم فى نفسه، و لم يظهر عليه غيره، و شرع فى التأهب لذاک و الاستعداد للمصير إليها، و قد كانت الأخبار انتهت إلى الحافظ لها بهذا الاعتزام، فبالغ فى التحصين لها، و التأهب للذب عنها، و المراماه دونها، و أعد لذلک كل آله يحتاج إليها، و يعتمد عليها، و انتهى الخبر بهذه الحال إلى شمس الملوک، فلم يحفل بهذا الأمر و لا ثبطه عنه، بل برز فى العشر الأخير من شهر رمضان سنه سبع و عشرين.

و لم يبق من مقدمى أمرائه و خواصه إلا من أشار عليه بإبطال هذه الحركه، و استوقف عزمه عنها، و هو لا يحفل بمقال، و لم يسمع منه جواب خطاب، و قيل له: تمهل هذا إلى فراغ صوم هذه الأيام القلائل من هذا الشهر المبارک، و تقضى سنه العيد، و يكون التوجه بعده إلى ذلک المكان، فلم يصغ إلى أحد فى هذا الرأى، و لا عمل بمشوره إنسان، و بنى أمره على قصدها، و أهلها غارون، و من بها من الحماه غافلون، لتحققهم أنه لا ينهض أحد فى هذا الأيام إلا بعد العيد و ترفيه الجند، ثم إنه رحل فى الحال إليها، و أغذ السير حتى نزل عليها، و هجم فى يوم العيد على من فيها، فراعهم ما أحاط من البلاء بهم، و زحف إليهم من وقته فى أوفر عده، و أكمل عده، فتحصنوا بالدروب و الرحال، و صبروا على الرشق بالسهام و النبال، و عاد العسكر فى ذلک اليوم، و قد نكا فيهم نكايه ظاهره من القتل و الجرح و النهب و السلب، و باكرهم من غده فى الفارس و الراجل، و فرقهم حول البلد من جميع نواحيه، ثم زحف فى خواصه من الغلمان الأتراک، و جماعه وافره من الرجاله و الخياله الفتاک، و استرق موضعا من حماه، قصد إليه و عول فى هجم البلد عليه، و شد

على من به من الحماه، و الرماه، فاندفعوا بين يديه، و هجم البلد نفسه من ذلک المکان، و لاذ من بها بالأمان، و ترامی إليه جماعه من حماتها مستأمنين، فأمنهم، و خلع عليهم، و أحسن إليهم، و نادی بالکف عنهم، و رفع الأذيه عن کافتهم، ورد ما نهب عليهم، فخرج إليه أکثر رجال القلعه طالبين الأمان، فخلع عليهم (131 ظ) و أمنهم، فحين رأی الوالی ذلک، و عرف عجزه عن المصابره، طلب إيمانه فأمنه، و سلم القلعه بما فيها إليه، و حصلت مع البلد فی يديه بأسهل أمر و أسرع وقت، فرتب لولايتها من اعتمد عليه، و سکن فی حفظها إليه، و رحل عنها و قصد شيزر، و نزل عليها، و أمر بالعيث و الفساد فی نواحيها، و لم يزل علی هذه الحال، إلی أن لوطف و استعطف بما حمل إليه، و رحل عائدا إلی دمشق، و دخلها مسرورا ظافرا، فی ذی القعده من السنه.

و من اقتراحات شمس الملوک، الداله علی قوه عزيمته، و مضاء همته، و مستحسن ابتدائه، ما أحدثه من البابين المستجدين، خارج باب الحديد من القلعه بدمشق: الأوسط منها و باب جسر الخندق منها، و هو الثالث لها، أنشأهم فی سنه سبع و عشرين و خمسمائه، مع دار المسره بالقلعه، و الحمام المحدثه من شامها، علی قضيه اخترعها، و بنيه اقترحها، و صفه آثرها، فجاءت فی نهايه الحسن و الطيبه و التکوين و الاعتدال، و فرغ منها فی أوائل سنه ثمان و عشرين و خمسمائه.

و فيها [ورد](1) الأمير المنتضی أبو الفوارس و ثاب بن مسافر الغنوی، رسولا من مصر فی يوم السبت لأربع بقين من ذی القعده منها، بجواب ما کان صدر من مکاتبه شمس الملوک، و أوصل ما صحبه من الخلع السنيه، و أسفاط الثياب المصريه، و الخيل و المال، و قری ء الکتاب الوارد علی يده، و لم يزل مقيما إلی أن تسهل مسيره، فعاد منکفئا سنه سبع و عشرين فی يوم السبت لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول منها.

1- أضيف ما بين الحاصرتين کيما يستقيم السياق.

و فی ذی الحجه منها وردت الأخبار بوصول عسکر وافر من الترکمان إلی ناحیه الشمال، و أنهم غاروا علی طرابلس، و أعمالها من معاقل الأفرنج، فظفروا بخلق کثیر منهم قتلا و أسرا، و حصل لهم من الغنائم و الدواب الشی ء الکثیر، و أن صاحب طرابلس بنص طلولا بن(1) بدران الصنجیلی خرج إلیهم فیمن حشده من أعماله، و لقی عسکر الترکمان فکسروه، و أظفرهم الله بحشده المفلول، و جمعه المخذول، و قتل أکثر رجاله و جل حماته و أبطاله، و انهزم فی نفر قلیل من [أصحابه إلی](2) الحصن المعروف ببعرین(3)، فالتجأوا إلیه، و تحصنوا به، و نزل عسکر الأتراک علیه، و أقاموا محاصرین له أیاما کثیره، حتی نفد ما فیه من القوت (132 و) و الماء بحیث هلک منهم، و من خیلهم الأکثر، فأعملوا الحیله، و استغنموا الغفله، و انتهزوا الفرصه، و خرجوا فی تقدیر عشرین، مع المقدم، فنجوا و وصلوا إلی طرابلس، و کاتب ملک بنص طلولا صاحبها، ملک الأفرنج بعکا یستصرخ به و بمن فی أعماله، و یبعثهم علی نصرته، فاجتمع إلیه من الأفرنج خلق کثیر، و نهضوا إلی الترکمان لترحیلهم عن حصن بعرین، و استنقاذ من بقی فیه منهم، فلما عرفوا عزمهم و قصدهم، زحفوا إلی لقائهم فقتلوا منهم جمعا کثیرا، و أشرف الترکمان علی الظفر بهم و النکایه فیهم، لولا أنهم اندفعوا إلی ناحیه رفنیه، فاتصل بهم رحیلهم عنها، و عودهم علی طریق الساحل، فشق ذلک علیهم، و أسفوا علی ما فاتهم من غنائمهم، و تفرقوا فی أعمالهم.

و فی هذه السنه، عرض لکریم الملک أبی الفضل أحمد بن عبد الرزاق، وزیر شمس الملوک، مرض حاد، لم یزل به إلی أن توفی إلی رحمه الله فی یوم الأحد الحادی و العشرین من ذی الحجه منها، فحزن له الناس و تفجعوا

1- هو بونز بن برتران- انظر طرابلس الشام فی التاریخ الإسلامی: 151.
2- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق، انظر الکامل لابن الأثیر: 8/ 241.
3- بعرین الآن إحدی قری محافظه حماه، تابعه لمنطقه مصیاف، و هی تبعد عن مدینه حماه/ 42 کم/ و عن بلده مصیاف/ 17 کم/. التقسیمات الإداریه فی الجمهوریه العربیه السوریه: 144.

بوفاته، و تأسفوا علیه لحسن طریقته، و مشکور أفعاله، و حمید خلاله، و کان محبا للخیر متمسکا بالدین، مواظبا علی تلاوه القرآن الکریم.

و فی صفر من السنه نهض صاحب بیت المقدس ملک الأفرنج فی خیله، إلی أطراف أعمال حلب، و وصل إلی موضع یعرف بنواز(1)، فنهض إلیه الأمیر سوار النائب فی حلب فی عسکر حلب، و ما انضاف إلیه من الترکمان، فالتقوا و تحاربوا أیاما، و تطاردوا إلی أن وصلوا إلی أرض قنسرین، فحمل الأفرنج علیهم فکسروهم کسره عظیمه، قتلوا فیها من المسلمین تقدیر مائه فارس، فیهم جماعه من المقدمین المشهورین المذکورین(2)، و قتل من الأفرنج أکثر من ذلک، و وصل الفل إلی حلب، و تم الأفرنج إلی قنسرین، ثم إلی المقاومه(3) ثم إلی نقره الأحرین(4) فعاود الأمیر سوار النهوض إلیهم من حلب فی من بقی من العسکر و الأتراک فلقوا فریقا من الأفرنج فأوقعوا به و کسروه و قتلوا منه تقدیر مائه فارس فانکفأت الأفرنج هزیما نحو بلادهم و عاد المسلمون برؤوس القتلی و القلائع إلی حلب فانجلت تلک الغمه بتسهل هذه النعمه، و وصل الملک إلی أنطاکیه.

و انتهی إلی (132 ظ) سوار خبر [غاره](5) خیل الرها، فنهض الأمیر سوار و حسان البعلبکی، فأوقعوا بهم و قتلوهم عن آخرهم فی بلد الشمال، و أسروا من وقع فی أیدیهم حیا، و عادوا إلی حلب ظافرین سالمین، و معهم الأسری و الرؤوس.

1- فی یاقوت هی إحدی قری جبل السماق من أعمال حلب.
2- ذکر بعضهم ابن العدیم فی زبده الحلب: 2/ 252.
3- کذا بالأصل و لم أهتد إلی هذا الموقع.
4- کذا بالأصل، و النقره موقع خارج حلب، و قد اکتفی ابن العدیم فی زبده الحلب: 2/ 252 بالقول:« و تحول الفرنج إلی النقره فصابحهم سوار و العسکر فأوقعوا بسریه منهم، فقتلوهم و عادوا برؤوسهم و أسری منهم».
5- أضیف ما بین الحاصرتین توضیحا، انظر زبده الحلب: 2/ 252.

سنه ثمان و عشرين و خمسمائه

و فى هذه السنه نهض شمس الملوک اسماعيل بن تاج الملوک فى عسکره إلى شقيف تيرون(1) الذى فى الجبل المطل على ثغر بيروت و صيدا، فملکه و انتزعه من يد الضحاک بن جندل التيمى، المتغلب عليه فى يوم الجمعه لست بقين من المحرم منها.

و فى هذه السنه خرج شمس الملوک إلى المتصيد، أواخر شهر ربيع الآخر، بناحيه صيدنايا(2) و عسال، فلما کان يوم الثلاثاء التاسع منه، و قد انفرد من غلمانه و خواصه، و ثب عليه أحد مماليک جده ظهير الدين أتابک، من الأتراک يعرف بايلبا، و قد وجد منه خلوه و فرصه بالسيف و ضربه ضربه هائله يريد بها قطع رأسه، فقضى الله تعالى بالسلامه، فانقلب السيف فى يده و لم يعمل شيئا، و رمى بنفسه إلى الأرض فى الحال، و ضربه ثانيه فوقعت فى عنق الفرس، فأتلفه، و حال بينه و بينه الفرس إلى أن تکاثر عليه الغلمان، و توافوا إليه فانهزم و أنهض فى إثره من الخيل من يقفوه و يطلبه و يتوثق منه، و عاد إلى البلد، و قد اضطرب الأمر فيه عند إشاعه هذه الکائنه، فسکنت النفوس بسلامته، وجد المنهضون فى طلبه من الخيل و الغلمان، و البحث عنه فى الجبال و الطرقات و المسالک، إلى أن لحقوه، فجرح جماعه بالنشاب إلى أن أمسکوه، فلما أحضروه إلى شمس الملوک، و قرره و سأله: ما الذى حملک على هذا الفعل؟ فقال: لم أفعله إلا تقربا إلى الله تعالى بقتلک، و راحه الناس منک، لأنک قد ظلمت المساکين و الضعفاء من الناس، و الصناع و المتعيشين و الفلاحين، و امتهنت العسکريه و الرعيه، و ذکر

1- قال عنها أبو الفداء فى تقويم البلدان: 244- 245:« هى قلعه منيعه، ناقله عن البحر، و هى عند صفد على مسيره يوم فى سمت الشمال».
2- ما زالتا تعرفان باسميهما و تتبعان محافظه دمشق، و تبعد صيدنايا عن دمشق/ 28 کم/ و تعرف عسال الآن باسم عسال الورد و تبعد عن دمشق 125 کم.

جماعه من الغلمان أبرياء، أوقعهم فى التهمه، بأنهم وافقوه على هذا، فقبض عليهم و أضافهم إليه، و قتل الجميع فى الحال صبرا، و لامه الناس على ذلک [حيث قتل(1)] هؤلاء الغلمان بقول هذا الجانى من غير بينه قامت (133 و) و لا دلاله ظهرت، و لم يكفه قتل من قتل ظلما، حتى اتهم أخاه سونج بن تاج الملوک، فقتله، و هو كبيره، أشنع قتله بالجوع فى بيت(2) و بالغ فى هذه الأفعال القبيحه، و الظلم، و لم يقف عند حد.

و فى يوم السبت الرابع من جمادى الأولى، من السنه، وصل أثير الملک أبو على الحسن بن أقش رسولا من الدار العزيزه النبويه المسترشديه، و على يده برسم شمس الملوک التشريف الإمامى المندوب لإيصاله إليه، و إفاضته عليه، و وردت المكاتبات على يده عن الوزير شرف الدين أبى القاسم على بن طراد النقيب الزينبى، وزير الخليفه، و كان معزولا عن الوزاره، فأعيد إليها فى شهر ربيع الأول سنه ثمان و خمسمائه، و صرف عنها الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد صرفا جميلا.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه مصر، بالخلف الحادث بين ولدى الإمام الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد أمير المؤمنين:

أبى على الحسن ولى عهد المسلمين، و أخيه أبى تراب حيدره ابنى الحافظ، و اقتسام الأجناد فرقتين إحداهما مائله إلى مذهب السنه و أهله، و الأخرى إلى مذهب الاسماعيليه و حزبه، و استعار نار الحرب بينهما، و استظهار حزب السنه على حزب الاسماعيليه، بحيث قتل منهم خلق كثير، و كان أكثر القتل فى الريحانيه السودان، و استقام الأمر بعده لأبى على الحسن، و تتبع من كان ينصر مذهب الاسماعيليه من المقدمين و الدعاه، و من يجرى مجراهم، فأبادهم بالقتل و التشريد، و صلحت

1- أضيف ما بين الحاصرتين من مرآه الزمان: 1/ 148.
2- « تركه فى بيت ورد عليه الباب فمات جوعا» مرآه الزمان: 1/ 148.

الأحوال، و استقامت أمور الأعمال، بعد الاضطراب و الاختلال، و ورد كتاب الحافظ لدين الله إلى شمس الملوک بهذه الحال، فى أواخر ذى الحجه من السنه، بما تجدد عنده من هذه النعمه(1).

و فى ذى القعده من السنه انتهت الأخبار إلى شمس الملوک، من ناحيه الأفرنج باعتزامهم على نقض المستقر من الهدنه، و قبيح الموادعه المستمره، و تأهبهم للجمع و الاحتشاد، و قصد الأعمال الدمشقيه بالعيث و الفساد، فحين عرف شمس الملوک هذه الحال، شرع فى جمع الرجال، و استدعى التركمان من جميع الأعمال، و اتصل به نهوض الأفرنج إلى ناحيه حوران فبرز فى (133 ظ) العسكر، و توجه إليهم، و خيم بإزائهم، و شرعوا فى إخراب أمهات الضياع الحورانيه، و وقع التطارد بين الفريقين، و كان الأفرنج فى جمع كثيف من الخيل و الرجل، بحيث حصروهم فى منزلهم، لا يخرج منهم فارس و لا راجل، إلا رشقته السهام، و اختطفه الحمام، و أقامت المناوشه بين الفريقين عده أيام، ثم أغفلهم شمس الملوک، و نهض فى فريق وافر من العسكر، و هم لا يشعرون، و قصد بلادهم: عكا و الناصره و ما جاورهما، و طبريه و ما والاها، فظفر بما لا يحصى كثره من المواشى و العوامل، و النسوان و الصبيان و الرجال، و قتل من صادفه و سبى من ظهر له، و أحرق ما وجده، و امتلأت أيدى التركمان من غنائمهم، و اتصل الخبر بالأفرنج، فانخذلوا و قلقوا و انزعجوا، و أجفلوا فى الحال من منزلهم طالبين أعمالهم، و عرف شمس الملوک ذاک، فانكفأ إلى مخيمه على طريق الشعراء سالما فى نفسه و جملته، ظافرا غانما و وصل الأفرنج إلى أعمالهم، فشاهدوا ما حل بها و نزل بأهلها من البلاء، فساءهم ذاک وفت فى أعضادهم و انفلت شكتهم، و انقضت شوكتهم، و تفرق شملهم، و ذلوا و طلبوا تقرير الصلح بينهم، و عاد شمس الملوک إلى دمشق مسرورا فى آخر ذى الحجه من السنه.

1- انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 149- 155.

و فیها وردت الأخبار باجتماع الأمیر عماد الدین أتابک، و الأمیر حسام الدین تمرتاش بن إیل غازی بن أرتق علی بلاد الأمیر داود بن سکمان بن أرتق، و نهض إلیهما فی عسکره، و التقی الفریقان علی باب آمد، فانهزم داود، و انفل عسکره، و أسر بعض أولاده و قتل جماعه من أصحابه، و ذلک فی یوم الجمعه سلخ جمادی الآخره، و نزل علی آمد و حصرها، و قطع شجرها، و لم یحصل منها علی طائل، فرحل عنها.

و وردت الأخبار بأن عماد الدین أتابک، نزل علی القلعه المعروفه بالصور(1) و ضایقها و افتتحها فی رجب من السنه.

و فیها ورد الخبر من ناحیه بغداد بوقوع النار فی بعض محالها، فاحترق الخان المشهور بمخازن التجار، و کثیر من الأسواق، و تلف للتجار الحاضرین و الغائبین من جمیع الجهات ما لا یحصی من أموالهم و بضائعهم.

و فیها ورد الخبر بأن عماد الدین أتابک استوزر ضیاء الدین (134 و) أبا سعید الکفرتوثی، و هو مشهور بحسن الطریقه و الکفایه، و حب الخیر و المقاصد السدیده، و المذاهب الحمیده.

و فیها وردت الأخبار من ناحیه العراق بوفاه السلطان طغرل ابن السلطان محمد بن ملک شاه رحمه الله.

و فیها تواصلت الأخبار من ناحیه الأمیر عماد الدین أتابک، باعتزامه علی التأهب لقصد مدینه دمشق لمنازلتها و محاصرتها، و أنه منصرف الهمه إلی الاستعداد لذلک(2).

1- فی الکامل لابن الأثیر: 1/ 343« قلعه الصور من دیار بکر».
2- عزا ابن العدیم فی زبده الحلب: 2/ 255- 256 سبب عزم زنکی إلی سوء الأوضاع الداخلیه، و اضطراب أحوال اسماعیل و سفکه للدماء ثم مراسلته زنکی یعرض علیه تسلیمه البلد وفق شروط.

سنه تسع و عشرين و خمسمائه

فى أول من المحرم هرب الحاجب يوسف بن فيروز شحنه دمشق، إلى تدمر خوفا من شمس الملوک اسماعيل بن تاج الملوک بورى.

كان الحاجب المذكور فى حياه(1) تاج الملوک متمكن الرتبه عنده، مقبول الرأى فيما يرومه، و قد صرف همه، و وكده إلى تطلب معقل حصين يعده لنائبه تنوب، و خطب من خطوب الزمان يتجدد، و اتفق أن الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوک المقيم بتدمر، قد سئم المقام بها، و ضجر من كونه فيها، و ارتاحت نفسه إلى دمشق و الإقامه فيها، و جعل يراسل أباه تاج الملوک، و يسأله نقله عنها، و لم يزل إلى أن أجيب إلى مقترحه و أسعف بمطلبه، فوجد يوسف بن فيروز الغرض الذى يتطلبه، قد تسهلت أسبابه، فشرع فى الحديث فيه، و الخطاب بسببه، و الاستعانه بمن يعينه على ذلک من المقدمين و الوجوه، إلى أن تسهل الأمر، و أجيب إليه و عول فى تولى أمر تدمر عليه، و تسلمها و حصلت فى ولايته، و رتب فيها ولده مع من وثق به فى حفظها، و الذب عنها من ثقات أصحابه و أمناء نوابه، و شرع فى تحصينها و رمرمتها، و لم شعثها و شحنها بالغله و العدد، و حصل فيها كل ما يحتاج مثلها إلى مثله، فلما عرف من شمس الملوک التنكر عليه، و ظهر له فساد نيته فيه، و بان ذلک له من ثقات يسكن إليهم، و لا يشک فيهم، و حمله الخوف من العاجله له، و الإيقاع(2) به، فهم بالهروب إلى تدمر، و ترقب الفرصه فى ذلک إلى أن اتفق لشمس الملوک فى بعض الجهات خروج، فخرج من البلد آخر النهار، و سره مكتوم عن الخل و الجار، و قصد ضيعته لمشاهدتها، (134 ظ) و قد استصحب خواص أصحابه و غلمانه، ثم تم على حاله مغذا فى سيره، مجدا فى قصده إلى أن حصل بتدمر، آمنا مما توقاه، ظافرا بما رجاه، و ظهر خبره

1- فى الأصل: جاء و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.
2- قيل بأن شمس الملوک اتهم يوسف بوالدته. زبده الحلب: 2/ 256.

فی غد ذلک الیوم، فحین عرف شمس الملوک جلیه حاله، ضاق صدره لإفلاته من یده، و تضاعف ندمه لفوات الأمر فیه، و کاتبه بما یطیب نفسه، و یؤنسه بعد استیحاشه، فلم یصغ إلی ذلک، بل أجابه جواب الخاضع، و الطائع، و العبد الناصح، و المستخدم المخلص، و یقول: «إننی فی هذا المکان خادم فی حفظه، و الذب عنه»، فلما وقع الیأس، و علم أن المقال لا ینجع، حنق علیه، و ذکره بکل قبیح، و أظهر ما یسره فی نفسه، و لم یعرض لشی ء من ملکه و داره، و إقطاعه و أهله و أسبابه، و تجدد بعد ذلک ما یذکر فی موضعه، و کان هروبه فی لیله الجمعه للیله خلت من المحرم سنه تسع و عشرین و خمسمائه، من الضیعه الجاریه فی إقطاعه، المعروفه بالمنیحه(1) من الغوطه.

و فی هذه السنه شاعت الأخبار فی دمشق بین خاصتها و عامتها، عن صاحبها الأمیر شمس الملوک أبی الفتح اسماعیل بن تاج الملوک بوری ابن ظهیر الدین أتابک، بتناهیه فی ارتکاب القبائح المنکرات، و إیغاله فی اکتساب المآثر المحظورات، الداله علی فساد التصور و العقل، و صداء الحس و ظهور الجهل، و تبلد الفهم، و حب الظلم، و عدوله عما عرف فیه من مضاء العزیمه فی مصالح الدین، و المسارعه إلی الجهاد فی الأعداء الملحدین، و شرع فی مصادرات المتصرفین، و العمال، و تأول المحال علی المستخدمین فی الأعمال، و استخدم بین یدیه کردیا، جاءه من ناحیه حمص، یعرف ببدران الکافر، لا یعرف الإسلام، و لا قوانینه، و لا الدین و شروطه، و لا یرقب فی مؤمن و لا ذمه، و نصبه لاستخراج مال المصادرین من المتصرفین، و الأخیار المستورین بفنون قبیحه اخترعها فی العقوبات، و أنواع مستبشعه فی التهدید لهم و المخاطبات و ظهر من شمس الملوک، مع هذه الحال القبیحه، و الأفعال الشنیعه، بخل زائد و اسفاف نفس إلی الدنایا متواصل، بحیث لا یأنف من تناول الخسیس

1- لعلها القریه المعروفه الآن باسم« المنیحه» فی الغوطه الشرقیه، و تبعد عن دمشق مسافه/ 12 کم/.

الحقير بالعدوان، و أخذه من غير وجهه بالعتو و الطغيان، و أشياء من هذا الباب لا حاجه إلى ذكرها لإشاعتها، و اشتهار أمرها، بحيث أنكرت من أفعاله، و استبشعت (135 و) من أمثاله، و لم يكفه ما هو عليه من هذه الأفعال الذميمه، و الخصال المكروهه، حتى أسر فى نفسه مصادره كفاته من الكتاب، و خواصه من الأمراء و الحجاب، و عزم على الابتداء أولا بالحاجب سيف الدوله يوسف بن فيروز، أحظى من كان عند أبيه أولا، و عنده ثانيا و اشتهر عنه حتى هرب إلى تدمر منه، و رأى الغنيمه الكبرى ببعده من شره، و راحته من نظره، و كاتب فى أثناء هذا الاختلال و الاضطراب الأمير عماد الدين أتابک، حين عرف اعتزامه على قصد دمشق، لمنازلتها و مضايقتها، و الطمع فى ملكتها، يبعثه على سرعه الوصول إليها، ليسلمها إليه طائعا، و يمكنه من الانتقام من كل من يكرهه من المقدمين و الأمراء و الأعيان بإهلاكهم و أخذ أموالهم، و إخراجهم من منازلهم، لأمر تصوره، و هذيان فى نفسه قرره، و تابع الكتب إليه بالمسأله فى الإسراع و البدار، و ترک التلوم و الانتظار، و يقول له فى أثناء هذا المقال: «و ان اتفق إهمال لهذا الأمر، و إغفال أو إمهال، أحوجت إلى استدعاء الأفرنج من بلادهم، و سلمت إليهم دمشق بما فيها، و كان إثم دم من بها فى رقبته»، و أسر ذلک فى نفسه، و لم يبده لأحد من وجوه دولته، و أهل بطانته، و كانت كتبه بذلک، بخط يده، و شرع فى نقل المال و الأوانى، و الثياب من خزانته إلى حصن صرخد، حتى حصل الجميع به، ظنا منه أنه يفوز به، و يهلک جميع الناس من بعده.

فلما بدأ هذا الأمر يظهر، و السر فيه ينتشر، شرع فى القبض على أصحابه و كتابه و عماله، و غيرهم من أهل دمشق، و مقدمى الضياع، و امتعض الأمراء و المقدمون و وجوه الغلمان الأتابكيه، و كافه العسكريه و الرعيه، من هذا الفعل، و أشفقوا من الهلاک و البوار إن تم هذا التدبير المذموم، لما يعلمون من أفعال عماد الدين أتابک إذا ملک البلد، فأجروا

الحديث فيما بينهم سرا، و أنهوا الحال فيه إلى والدته الخاتون صفوه الملک، فقلقت لذاک، و امتعضت منه، و استدعته و أنکرته و استبشعته، و حملها فعل الجميل، و دينها القويم و عقلها الرصين على النظر فى هذا الأمر، بما يحسم داءه، و يعود بصلاح دمشق و من حوته، و تأملت الأمر فى ذلک تأمل الحازم الأريب، و المرتأى (135 ظ) المصيب، فلم تجد لدائه دواء، و لا لنفسه شفاء إلا بالراحه منه، و حسم أسباب الفساد المتزايد عنه، و أشار عليها وجوه الغلمان و أكابرهم بذاک و استصوبوا رأيها فيه، و بعثوها على العاجله له، قبل ظهور الشر، و فوات الأمر، و أنه لا ينفع فيه أمر، و لا ينجع معه وعظ، فصرفت الهمه إلى مناجزته، و ارتقبت الفرصه فى خلوته إلى أن تسهل الأمر المطلوب، عند خلوته من غلمانه، و سلاحيته، فأمرت غلمانها بقتله، و ترک الإمهال له، غير راحمه له، و لا متألمه لفقده، لما عرف من قبيح فعله، و فساد عقله، و سوء سيرته، و مذموم طريقته، و أوعزت بإخراجه حين قتل، و إلقائه فى موضع من الدار، ليشاهده غلمانه و أصحابه، و كل سر بمصرعه، و ابتهج بالراحه منه، و بالغ فى شكر الله تعالى على ما سهله فيه، و أكثر الدعاء لها، و الثناء عليها، و ذلک ضحى نهار يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الآخر سنه تسع و عشرين و خمسمائه، و قد كان مولده ليله الخميس السابع بالعدد من جمادى الآخره سنه ست و خمسمائه فى الساعه الثانيه منها، و الطالع برج السرطان أو المشترى فيه كمح مح و المريخ فى السنبله، و الزهره فى الخامس، و العقرب و الشمس فى السادس من القوس، و القمر و زحل فى التاسع، و سهم السعاده فى العاشر.

و قد كان المعروف ببدران الكافر، لعنه الله فى يوم الثلاثاء المتقدم ليوم الأربعاء، الذى قتل فيه، قد راح من بين يديه بعد أن أسر إليه بشر يعمل عليه، فلما حصل فى بيته وقت الظهر من يومه المذكور، أرسل الله تعالى ذكره، عليه آفه عظيمه، أخذت بأنفاسه و ربا لسانه حتى ملأ فاه،

و هلک من وقته، و کانت الکائنه فی غده فبالغ الکافه فی حمد الله تعالی، و شکره علی هذه الآیه الباهره، و القدره الظاهره، و واصلوا تسبیحه و تقدیسه و تمجیده، فسبحان مالک الأمر و مدبر الخلق، تعالی عما یقول الظالمون علوا کبیرا.

و فی الوقت نودی بشعار أخیه الأمیر شهاب الدین محمود بن تاج الملوک ابن أتابک، و جلس فی منصبه، بمحضر من والدته خاتون صفوه الملک، و حضر الأمراء و أماثل الأجناد، و أعیان الرعیه، فسلموا علیه بالإمره، و استحلفوا علی الطاعه (136 و) له و لوالدته، و المناصحه فی خدمتهما، و النصره لأولیائهما، و المجاهده فی أعدائهما، و حلف کل منهم بانشراح من صدره، و انفساح من أمله، و ظهر من سرور الکافه خاصیها و عامیها، بهذه النوبه السعیده، و الأفعال الحمیده، ما یزید علی الوصف، و أیقنوا بالخلاص من المکروه الذی أشرفوا علیه، و استقامت الأحوال، و تحققت الآمال.

و تتابعت المکاتبات فی أثناء ذلک، من سائر الجهات، بوصول عماد الدین، فی عسکره، و قطعه الفرات مجدا لتسلم دمشق، من شمس الملوک صاحبها، و وصلت رسله لتقریر الأمر، فصادفوا الحال بالضد، و التدبیر بالعکس، إلا أنهم أکرموا و بجلوا، و أحسن إلیهم، و أعیدوا بأجمل جواب، و ألطف خطاب، و أعلم عماد الدین جلیه الحال، و اتفاق الکلمه فی حفظ الدوله و الذب عن الحوزه، و البعث علی إجمال الرعایه، و العود علی أحسن نیه.

فلما انتهی إلیه الجواب، و وقف علیه، لم یحفل به، و لا أصاخ إلی استماعه، فأوهمته نفسه بالطمع فی ملکه دمشق، ظنا منه بأن الخلف یقع بین الأمراء و المقدمین من الغلمان، فکان الأمر بخلاف ما ظن، و واصل الرحیل و اغذاذ السیر إلی أن وصل إلی ظاهر دمشق، و خیم بأرض عذراء إلی أرض القصیر، فی عسکر کثیف الجمع، عظیم السواد، فی أوائل جمادی الأولی من سنه تسع و عشرین و خمسمائه، و قد کان التأهب له مستعملا عند

ورود أخبار عزيمته، و أجفلت الضياع، و حصل أهلها فى البلد، و وقع الاستعداد لمحاربته و اللقاء عند منازلته، و الاجتماع على صده، و دفعه، و لم تزل الحال على هذه القضيه، و الانتصاب بإزائه على هذه السجيه، و قد أشعرت النفوس من شده البأس، و الصبر على المراس، للقائه و التأهب لزحفه، و دنوه من البلد، و قربه، و قد كان رحل عن عذراء و نزل تحت العقبه القبليه، و كان يزحف فى عسكره، و قد فرقه فى عده مواضع كالمراكب، حتى تقرب من البلد، فيشاهد كثره من يخرج من البلد و العسكريه، و أحداث الرعيه بالسلاح الشاک، و امتلأ المصلى و سائر الأماكن، و الكمناء فى جميع المسالک ما يروعه و يصده عن الزحف، و فى كل يوم يصل من مستأمنى عسكره جمله وافره، مع ما ينهب من خيولهم، و يقلع من فوارسهم (136 ظ) فلما طالت الأيام عليه، و لم يحصل على طائل مما حاول، و لا مرام، راسل فى طلب الصلح، و الدخول فى طاعته، و التمس خروج الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوک إليه لوطء بساط ولد السلطان الواصل معه، و يخلع عليه، و يعيده إلى بلده، و أجمل الخطاب فى ذلک و الوعد، فلم يجب إلى خروج شهاب الدين، و تقررت الحال على خروج أخيه تاج الملوک بهرام شاه بن تاج الملوک، و وافق ذلک وصول الرئيس بشر بن كريم بن بشر، رسولا من الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين إلى عماد الدين أتابک، بخلع أعدت له، و الأمر بالرحيل عن دمشق، و ترک التعرض لها، و الوصول إلى العراق لتولى أمره، و التدبير له، و أن يخطب للسلطان ألب أرسلان المقيم بالموصل.

و دخل الرسول المذكور، و القاضى بهاء الدين بن الشهرزورى إلى دمشق، لتقرير الأمر و لإحكام القاعده فى الجمعه، فى الثامن و العشرين من جمادى الأولى، فتقرر الأمر، و وكدت الأيمان، و حضرا الجامع لصلاه الجمعه، و خطب للسلطان ألب أرسلان على المنبر، بأمر أمير المؤمنين، و عادا إلى العسكر الأتابكى، و خرج بهرام شاه فأكرمه و أعاده على أجمل قضيه، و رحل فى يوم السبت غد ذلک اليوم، منكفئا و القلوب قد أمنت

بعد الوجل، و النفوس قد سكنت بعد الاضطراب و الوهل، و الشكر له متواصل، و الثناء عليه متكامل، فلما حصل بحماه أنكر على شمس أمراء الخواص و اليها أمرا، ظهر له منه، و تزايد شكوى أهلها لأصحابه و نوابه، فعزله عنها، و قرر من رآه في ولايتها، و قد كان ظهر من الأمير ابن شجاع الدوله بزواج، و معين الدين أنر من حسن السياسه فى تدبير العسكريه و الأجناد عند الترتيب فى الحرب، ما وافق الأغراض، و طابق الإصابه و السداد، بحيث شكرا، و حمدت مقاصدهما.

و فى ذى القعده منها، وردت الأخبار من العراق باستشهاد الإمام الخليفه المسترشد بالله أبى منصور الفضل بن المستظهر بالله أمير المؤمنين، رحمه الله عليه و رضوانه.

و قد مضى ذكر ما كان من الخليفه المفقود، فى معنى السلطان مسعود ابن السلطان محمد(1) بن ملک شاه (137 و) من تقرير السلطنه له، ورد تدبير الأعمال و الأمر بالدعاء له، على منابر البلاد، و تشريفه بالخلع و الحملان الكامل، و عقيب هذا الفعل الجميل ظهر لأمير المؤمنين المسترشد بالله أمور أنكرها، و بلغته أسباب امتعض منها، و بدت منه أفعال أكبرها، فرام استعطافه و استعادته إلى الواجب المألوف فى طاعه الخلفاء، فامتنع و حاول استمالته إلى الصواب المعروف فى المناصحه، و حسن الوفاء فلم ينفع، و بعثه على الحق الذى هو خير من التمادى فى الباطل، فلم يقبل، فأفضت الحال صرف الهمه العليه المسترشديه إلى مداواه هذا الداء، و الاستعداد له، إلى أن أعضل بالدواء، و لم ير فيه أنجع من التأهب لقصده، و الاحتشاد للإيقاع به و صده، لأن أخباره كانت متناصره بعزمه على قصد بغداد، و الإخراب لها، و الإعاثه فى نواحيها، فرأى الصواب فى معاجلته، و مقابله فعله بمثله.

و اتفق وصول جماعه من وجوه عسكره، و مقدمى جنده، لخدمه

1- فى الأصل: ابن محمود بن محمد، و محمود زياده فحذفت.

الخليفه، و المعاضده له على محاربه عدوه، و شرعوا فى تحريضه على البروز إليه، و المسارعه بالإطلال عليه، فتوجه نحوه فى تجمل يعجز عنه الوصف، و يقصر دونه النعت، و قد اجتمع إليه من أصحاب الأطراف، و أصناف الأجناد، الخلق الكثير، و الجم الغفير، الذى بمثله قويت نفسه، و اشتد بأسه، و لم يشک أحد فى أنه الظافر به، و المستولى على حزبه، فلما قرب من مخيمه بناحيه همذان، و وقع العيان على العيان، زحف إليه فى عسكره، و التقى الجمعان، و اتفق للقضاء المكتوب، و القدر المحجوب أن أمراء الأتراک الواصلين لخدمه الخليفه، فى عسكره خامروا عليه، بمواطأه كانت، و تقريرات تقررت و بانت، فانقلبوا عنه و أسلموه، و عملوا عليه و أغنموه، بحيث تفرقت عنه حماته، و خذله أبطاله و كماته، و ثبت هو و خواصه فى المصاف، يقاتلون و لا يولون إلى أن انفل عنه حزبه، و ضعف أمره، و غلب على نفسه، فأخذوه و وزيره النقيب، و كاتبه سديد الدوله ابن الأنبارى، و صاحب مخزنه و خدمه و خاصته، و حملوه مع أصحابه المذكورين إلى خيمه، و وكل بجماعه من يحفظهم، و يتوثق منهم، (137 ظ) و يحتاط عليهم.

و كتبت المطالعات إلى السلطان سنجر بن ملک شاه، صاحب خراسان بصوره الحال، و الاستئذان بما يعتمد فى بابه، و وعد السلطان مسعود الخليفه و من معه بالإطلاق، و إعادتهم إلى بغداد، و تقرير أمر الخلافه على ما جرى به الرسم قديما، فلما عاد الجواب من السلطان سنجر فى هذا الباب، و تقرير ما اقتضاه الرأى فى أمر الخلافه بين السلطانين المذكورين، ندب عده من الرجال، تقدير أربعه عشر رجلا، نسبوا إلى أنهم من الباطنيه، فقصدوا الخليفه فى خيمته، و هو مطمئن لا يشعر بما نزل به من البلاء، و أحاط به من محتوم القضاء، و هجموا عليه، فقتلوه فى يوم الخميس الثامن عشر من ذى القعده سنه تسع و عشرين و خمسمائه، صبرا و قتلوا معه من أصحابه و فراشيه من دافع عنه و مانع دونه، و شاع الخبر بذاک بناحيه مراغه على مرحلتين منها، و دفن بها، و استبشع الناس هذا

الفعل الشنيع، و القصد الفظيع، فى حق خليفه الزمان، و ابن عم رسول الله، عليه أفضل الصلاه و الرضوان، و أكبروا الجرأه على الله، و الإقدام على هذا المنكر فى الإسلام، و الدم الحرام، و أطلقوا الألسنه بالدعاء، و الذم على من استحسن هذا الفعل القبيح، و دبر هذا الخطب الشنيع، و تيقن كل إنسان من الخاص و العام أن الله تعالى لا يمهل المقدم، و لا يغفل (عن) المجرى إليه، لأنه جلت قدرته لا يصلح عمل المفسدين، و لا يهدى كيد الخائنين، و لا يهمل عقوبه الظالمين.

و لما انتهى هذا الخبر إلى ولده، ولى عهده، تقدم بتحصين بغداد، و التأهب لدفع من يقصدها بسوء من الأعداء و المخالفين، و بويع بالخلافه فى يوم السبت السابع و العشرين من ذى القعده سنه تسع و عشرين و خمسمائه، و لقب بالراشد بالله أبى جعفر المنصور ابن المسترشد بالله أمير المؤمنين، و جلس فى منصب الخلافه فى ذى الحجه سنه تسع و عشرين و خمسمائه، و استقام له الأمر و توكدت له البيعه على الرسم، و وعد كافه الأجناد و العسكريه، و أماثل الرعيه بما طيب نفوسهم، و شرح صدورهم، و أطلق مال النفقات و الواجبات على جارى العاده، فكثر الدعاء له، و الثناء عليه، و سكنت الدهماء(1) (138 ظ).

1- فى تاريخ ميافارفين لابن الأزرق الفارقى، مواد و ثائقيه حول الصراع بين الخليفه و السلطان، مع وصف المعركه بينهما و نتائجها، و قد أثبت المحقق الأول هذا النص فى حواشى الكتاب، و لفائدته أبقيته، و قمت بضبطه على مصوره مخطوطه المتحف البريطانى الموجوده لدى، قال الفارقى: و قيل خرج فى شعبان سنه تسع و عشرين و خمسمائه، قيل فى ثمان و عشرين و خمسمائه، خرج الخليفه المسترشد من بغداد، و لقى السلطان مسعود بباب همذان إلى موضع يسمى دآى مرک قريب من جبل بهستون، و نهب العسكر، و كان جمع السلطان خلقا، فالتقوا بعسكر الخليفه و أسروه و أسروا أرباب المناصب كلها. و لقد سألت السعيد مؤيد الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنبارى، رحمه الله، فى سنه أربع و ثلاثين و خمسمائه ببغداد، حين نزلت إليه فى أيام السلطان محمود عن حال المسترشد و ما جرى، فقال رضى الله عنه: كان قد وقع بين السلطان و الخليفه فى أيام السلطان محمود، و خرج و أسره مرتين، فلما ولى مسعود استطال نوابه على العراق، و عارضوا الخليفه فى أملاكه، فوقعت الوحشه، و تجهز المسترشد و عزم على الخروج، و جد فى ذلک، و اتفق أن بعض

الأيام دخل الوزير شرف الدين الزينبى على بن طراد على الخليفه، و أنا معه و جمال الدين طلحه صاحب المخزن،- و كان الخليفه قد طرد أصحاب السلطان عن العراق، و رتب صاحب المخزن على دار السلطان للمظالم و البلد، فلما دخلنا ذلک اليوم قال له الوزير شرف الدين: يا مولانا إلى أين تمضى و بمن تعتضد و إلى من تلتجى ء، و بمن تنتصر؟ و مقامنا ببغداد أمكن لنا، و لا يقصدنا أحد إلا و فينا نحن الظهر، و العراق فيه لنا كفايه، فإن الحسين بن على عليهما السلام لما خرج إلى العراق جرى عليه ما جرى، و لو أقام بمكه و المدينه ما اختلف عليه اثنان، و كان تابعه جميع الناس، فقال له الخليفه: ما تقول يا كاتب؟ فقلت: يا مولانا الصواب المقام، و ما رآه الوزير فهو الرأى، فلا يقدم علينا بالعراق أحد، و ليت بقى لنا العراق، فقال لصاحب المخزن: يا وكيل ما تقول؟ قال: فى نفسى ما فى نفس مولانا- و كان هو قد حمله على الخروج- فقال المسترشد: و إذا لم يكن من الموت بدفمن الغبن أن تموت جبانا قال مؤيد الدين: لما قتل المسترشد جاء السلطان مسعود و نفذ أحضرنا عنده، فحضر الوزير شرف الدين، و جمال الدين صاحب المخزن، و أنا، فلما حضرنا عنده، قال: ما الرأى و ما التدبير فى أمر الخلافه، من ترون؟ فقال الوزير: يا مولانا الخلافه لولى العهد، و قد بايعه الناس، و جلس و استقر، و قد بويع له بولايه العهد، و الآن بعد قتل أبيه، فقال: ما إلى هذا سبيل أبدا و لا أقره عليها فإنه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه، و نحن كل يوم من حيث ولى المسترشد لم يزل يخرج علينا و كان خرج على أخى محمود مرتين، و على مره، و هذه أخرى ثم تم عليه ما تم، و بقيت علينا شناعه عظيمه و سبه إلى آخر الدهر، و يقولون: قتلوا الخليفه، و هم كانوا السبب فى عود الخلافه إلى هذا البيت، لا أريد يجلس إلا من لا يداخل نفسه فى غير أمور الدين، و لا يتخذ و لا يجمع و لا يخرج على و لا على أهل بيتى، و فى الدار جماعه، فاعتمدوا على شيخ منهم، صاحب عقل و رأى و تدبير، و يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا، و لا يخرج من داره، و لا تعرجوا عن هارون ابن المقتدى، فهو شيخ كبير، و لا يرى الفتنه، و قد أشار به عمى سنجر، و كان فى الدار فى ذلک الوقت سبعه أخوه من أولاد المقتدى، و لهم أولاد و أولاد أولاد ... و من أولاد المستظهر سبعه أخوه ... و كان للمسترشد أولاد جماعه و للراشد، و له مقدار نيف و عشرين ولدا ... و قال المؤرخ أيضا: قيل و نفذ السلطان مسعود إلى عمه سنجر، يأخذ أذنه فيمن يولى، فنفذ إليه يقول: لا تول إلا من يقع عليه رأى الوزير، و صاحب المخزن، و ابن الأنبارى، فاجتمع السلطان بهم، و شاورهم، و أشار بهرون، و عرفهم ما أمرهم السلطان سنجر، و قال الوزير: إذا كان هذا الأمر يلزمنا فنحن نولى من نراه، و هو الزاهد العابد الدين الذى ليس فى الدار مثله، قال السلطان: من هو؟ قال: الأمير أبو عبد الله بن المستظهر، فقال: و تضمنون ما يجرى منه؟ فقال الوزير: نعم، و كان الأمير أبو عبد الله صهر

الوزير شرف الدين على ابنته، فإنها دخلت ذات يوم فى الدار، فى زمن المستظهر، فرآها الأمير أبو عبد الله، فطلبها من أبيه فزوجه إياها، و كان شرف الدين إذ ذاک نقيب النقباء، و دخل بها، و بقيت عنده مده، و ماتت عنده، فقال السلطان: ذاک إليكم، و اكتموا الحال لئلا ينمو الأمر فيقتل، ثم رحل السلطان يطلب بغداد و الوزير و الجماعه إلى بغداد و الوزير و نحن أجمع فى صحبته ...

سنه ثلاثين و خمسمائه

اشاره

فى المحرم منها وردت الأخبار من ناحيه العراق، بقتل الأمير دبيس بن صدقه بن مزيد، قتله السلطان مسعود بن محمد، لأمور أنكرها، و أسباب

امتعض منها، نسبت إليه، و قيل إن هذا مكافأه من الله تعالى له، عما كان منه فى عصيان الخليفه الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين، و السعايه فى دمه، و كان هذا الخليفه المسترشد بالله أمير المؤمنين رحمه الله، عالما تقيا فاضلا، حسن الخط، بليغا نافذا فى أكثر العلوم، عارفا بالفتوى، و اختلاف الفقهاء، فيها، أشقر الشعر أشهل العينين، بوجهه نمش، و كانت مده خلافته سبع عشره سنه، و ما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

و فى شهر ربيع الأول منها تسلم الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوک، مدينه حمص، و قلعتها.

شرح الحال فى ذلک

لما عرف من كان بحمص و قلعتها من أولاد خير خان بن قراجه، و خمارتاش الوالى من قبلهم فيها، ما استمر عليها، من مضايقه الأمير عماد الدين أتابک لها، و بذل جهده، و حرصه فى تملكها و أخذها، و أخذه حماه المجاوره لها، وجده فى طلبها، و إضعاف أهلها، و مواصله الغارات عليها، و أنهم لا طاقه لهم بضبطها، لقله القوت بها، و عدم الميره فيها، أنفذوا رسلهم إلى شهاب الدين يلتمسون منه إنفاذ من يراه، لتسلم حمص و قلعتها، و يعوضهم عنها بما يتفق عليه الرأى، و توسط الحاجب سيف الدوله يوسف بن فيروز المقيم بتدمر الأمر فى ذلک طمعا فى الكون بها، و الانتقال من تدمر إليها، لكونها من الأماكن الحصينه، و القلاع المنيعه، و استأذن فى الوصول إلى دمشق للحديث، و تقرير الحال فى ذلک، فأذن له، و وصل إلى دمشق، و جرى فى ذلک خطاب طويل، أفضى آخره إلى أن تسلم حمص و قلعتها إلى شهاب الدين، و تسلم إلى خمارتاش تدمر عوضا عنها، و وقع الشرط و اليمين على هذه الصفه، و برز شهاب الدين من دمشق فى العسكر، و توجه إليها، فحين حصل بها نزل خمارتاش من القلعه و أولاد خيرخان و أهله بما يخصهم، و سلموها إليه فتسلمها يوم الأحد الثانى و العشرين من شهر ربيع الأول

سنه ثلاثين و خمسمائه و حصل بها و رتب أمرها [138 ظ] و قرر ولايتها للحاجب يوسف بن فيروز، و أن يكون فيها نائبا عن الأمير معين الدين أنر الأتابكى، حسب ما تقرر، و كتب إلى الجهات و الأطراف بحمل الأقوات إليها، و التقويه لها بالميره، و عاد شهاب الدين عنها بعد تقرير أمرها منكفئا إلى دمشق، و شرع الأمير سوار النائب عن عماد الدين فى حلب، و من بحماه من قبله فى الغارات على أعمال حمص، و رعى زرعها، و جرى فى ذلک مراسلات و مخاطبات، أسفرت عن المهادنه و الموادعه، و المسالمه إلى أمد معلوم، و أجل مفهوم، بحيث انحسمت أسباب الفساد عن الجهتين، و استقامت أحوال الجانبين.

و فى يوم الأحد الرابع و العشرين من جمادى الأولى من السنه، خلع شهاب الدين على أمين الدوله كمشتكين الأتابكى، والى صرخد و بصرى الخلع التامه، ورد إليه أسفهسلاريه العسكريه، و خوطب بالأتابكيه، و أنزل فى الدار الكبيره الأتابكيه بدمشق، و حضر الناس لهنائه فيها، و أوعز إلى الكافه باتباع رأيه، و الامتثال لأمره.

و فى يوم الأربعاء السابع و العشرين من جمادى الآخره من هذه السنه، قتل الحاجب يوسف بن فيروز، فى ميدان المصلى بدمشق.

شرح السبب فى ذلک

كان الحاجب يوسف بن فيروز المقدم ذكره، عند كونه فى خدمه شمس الملوک اسماعيل بن تاج الملوک، و تمكنه عنده، و ارتفاع طبقته لديه، قد اعتمد فى حق مقدمى الغلمان الأتابكيه ما أوحشهم منه، و بلغهم ما ضيق صدورهم عنه، و أسروا ذلک فى نفوسهم، و أخفوه فى قلوبهم، لا سيما ما قصده فى نوبه الغلمان الذين قتلهم شمس الملوک مع أخيه سونج بن تاج الملوک، بسبب اتهامهم بكونهم مع إيلبا الغلام التركى- الذى كان وثب على شمس الملوک، و ضربه بالسيف طالبا

قتله، فسلمه الله و نجاه، حسب ما تقدم به الشرح- و كونه أكبر السعاه عليهم، و السبب فى قتلهم، على عاده قد ألفيت من فعله، و طريقه قد عرفت من طبعه، و قد كان حصل بتدمر، و أهمل أمره، و نسى ما سبق به شره، فلما راسل من تدمر(1) يطلب الأذن فى الوصول إلى دمشق، لتقرير أمر حمص، و أجيب إلى الأذن فى ذلک، أنكر الأمير شجاع الدوله بزواج، و الحاجب سنقر، و أكابر الغلمان الأتابكيه الأذن له فى ذلک، و امتعضوا من وصوله كل الامتعاض (139 و)، لما عرفوا من سوء فعله، و مشهور سعيه، و ختله، و أشاعوا بينهم ما هم عازمون عليه من العمل على قتله، و نصحه أهل وده، و الإشفاق عليه، و المتقربين إليه بذاک، فأبى القبول منهم، و أخذ النصح منهم، و قويت نفسه على التغرير بها، و المخاطره باتباع هواها، و تمسک بمدافعه الأمير معين الدين عنه، و المنع منه، لصداقه كانت بينهما، قد استحكمت قواها، و وصله انعقدت و أحكمت عراها، و لما وصل إلى دمشق توثق لنفسه من الجماعه بأيمان سكنت إليها نفسه، و توكد معها أنسه، و قرر معه أنه يكون يحضر للسلام فى كل يوم، و يعود إلى داره، و يقنع بالكون فى ملكه دمشق، و التنقل منها إلى حمص، و لا يداخل نفسه فى أمر غير ذلک.

فما هو إلا أن حصل بها، و جعل يدبر أمرا غير خاف، و يقرر تقريرا غير مكتوم و لا مستتر، فأثار بذلک ما كان فى نفوس الغلمان كامنا، و حرک ما كان فى القلوب ساكنا، و وجد الأمير بزواج(2) و الغلمان السبيل إلى نقض ما عوهدوا عليه، باعتماده المخالفه لما قرره معه، و سكنوا إليه و لاحت الفرصه لهم فيه، و لما كان فى اليوم المقدم ذكره، و قد تقرر الأمر بينهم على الفتک به، صادفه شجاع بزواج، المقدم ذكره فى الميدان المجاور للمصلى بظاهر دمشق فماشاه ساعه بالحديث و قد خلا

1- فى الأصل: من تدمر من يطلب، و من الثانيه زياده فحذفت.
2- يرد رسم هذا الاسم فى مرآه الزمان- بزواش.

من أصحابه و أغفله و جرد سيفه و ضربه به، ضربه عظيمه فى وجهه إلى رأسه، و ثنى بأخرى فسقط إلى الأرض، و أجهز عليه آخر من الغلمان، و لم يتجاسر أحد من أصحابه من الدنو منه، و لا الدفع عنه لقوه شوكه الغلمان، و اتفاق كلمتهم على قتله.

و انهزم شهاب الدين و أصحابه من الميدان إلى داره، و بقى ساعه مطروحا على الأرض فى الميدان، يشاهد مصرعه، و يعتبر اللبيب بمنظره، ثم حمل إلى المسجد الذى بناه فيروز أبوه بالعقيبه، فدفن عند قبره فى يومه فى تربته، و أنفذ بزواج و سنقر و جماعه الغلمان إلى شهاب الدين و والدته الخاتون مراسلات و معاتبات، على ما اعتمداه من الأذن له فى العود إلى دمشق، بعد ما كان من فعله فى حق من قتل بسعيه من الغلمان، و اشترطوا أمورا وقع الإباء لها و الاستيحاش منها، و من طلب مثلها، و امتنع الغلمان، و أكثر الأتراک من الدخول إلى البلد و [رفضوا](1) العود إلى دورهم إلا بعد تقرير أمر بزواج (139 ظ) و جماعه الغلمان، و الدخول فيما راموه، و تطيب نفوسهم بالإجابه إلى ما حاولوه.

و اندفعوا إلى ناحيه المرج، فنزلوا فيه و خيموا فى ناحيه من نواحيه، و ترددت بينهم مراسلات لم تسفر عن سداد، و لا نيل مراد، فأظهروا الخلاف، و كاشفوا بالعصيان و الانحراف، و عمدوا إلى خيل الجشار(2) فاستاقوها، و اشتملوا على جميعها، و هى العدد الكثير لسائر الأمراء و العسكريه و الرعيه من أنواع الدواب، و لها قيما عظيمه، و توجهوا بها فى يوم الجمعه السابع و العشرين من جمادى الأولى من السنه من تل راهط(3) إلى ناحيه المرج، و خرج إليهم من بقى فى البلد من العسكر مع

1- زيد ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق.
2- الجشر قوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى و يبيتون مكانهم، و لا يأوون إلى البيت. النهايه لابن الأثير.
3- منطقه قريه عربين فى أحواز دمشق.

الأمراء، و المقدمين، و هم منهم أكثر عددا و أتم عددا، طلبا للإيقاع بهم، و تخليص الجشار من أيديهم، فما أغنوا فتيلا و لا أعادوا مما أخذوا كثيرا و لا قليلا، و رحلوا به إلى صوب بعلبک، فخرج إليهم الأمير شمس الدوله محمد بن تاج الملوک صاحبها، و وقعت الموافقه و المعاهده بينهم، على إقامته و الدخول فى طاعته، و المناصحه فى خدمته، و اجتمع إليه خلق كثير من التركمان، فأخافوا السبيل، و شرعوا فى العيث و الفساد، و اقتضت الحال مراسلتهم بالملاطفه، و دعاهم إلى الطاعه، و ترک المخالفه، و تطييب نفوسهم، و بعثهم على العود إلى ما كانوا عليه، و الإجابه إلى ما اقترحوا و أشاروا إليه و استقرت الحال على مرادهم، و أخذت الأيمان المؤكده عليهم و لهم بالوفاء، و استعمال الإخلاص و الصفاء، و أذن لهم فى العود، فعادوا إلى البلد، و خيم بزواج و جماعته بجسر الخشب، و امتنع من الدخول إلى داره لما رآه و جال فى نفسه، و اتفق الرأى على خروج شهاب الدين فى العسكر إلى ناحيه حوران على الرسم فى ذلک، و الاجتماع هناک، و تقرير ما يجب تقريره من الأحوال، و ابعث على تحصيل الغلال، و اتفق الرأى فى أوائل شعبان على تقديم بزواج على سائر الأجناد و الغلمان، ورد إليه الاسفهسلاريه، و خوطب بالأتابكيه، و لقب بجمال الدين مضافا إلى ألقابه، فاستقام له الأمر، و نفذ فى النفع و الضر.

و فى العشر الأول من رجب من السنه، خرج أمين الدوله كمشتكين الأتابكى والى صرخد من دمشق، مظهرا قصد الصيد (140 ظ) و الإشراف على ضياعه لأجل الجراد الظاهر بها، فى خواصه و ثقله، و فى النفس ضد ذاک، فلما توارى عن البلد، أغذ السير قاصدا سمت صرخد، و مفارقا لما كان فيه، خوفا على نفسه من الغلمان، بحيث حصل بها، و سكنت نفسه من الخوف فيها، ثم روسل بالاستعطاف و التلطف فى العود إلى داره و منزلته، و الانكفاء إلى رتبته، فأبى و احتج بأسباب ذكرها، و أحوال شرحها، و نشرها، فوقع السلو عنه، و اليأس منه.

و فی یوم السبت الثالث عشر من شعبان سنه ثلاثین و خمسمائه وردت الأخبار من ناحیه الشمال، بنهوض الأمیر مسعود سوار من حلب، فیمن انضم إلیه من الترکمان إلی الأعمال الأفرنجیه فاستولوا علی أکثرها، و امتلأت أیدیهم بما حازوه من غنائمها، و تناصرت الأخبار بهذا الظفر من جمیع الجهات، و الاستکثار لذلک، و التعظیم له، و لقد ورد کتاب من شیزر یتضمن البشری بهذه النوبه، و یشرحها علی جلیتها، فأثبت مضمونه فی هذا الموضع، تأکیدا للخبر، و تصدیقا لما وصف و ذکر، و هو:

إن المتجدد عندنا بهذه الناحیه، ما یجب علینا من حیث الدین أن نذیعه، و نبشر به کافه المسلمین، فإن الترکمان- کثرهم الله، و نصرهم- اجتمعوا فی ثلاثه آلاف فارس جریده معده، و نهضوا إلی بلاد اللاذقیه و أعمالها بغته بعد الیأس منهم، و قله الاحتراز من غارتهم، و عادوا من هذه الغزاه إلی شیزر یوم الأربعاء حادی عشر رجب، و معهم زیاده عن سبعه آلاف أسیر، ما بین رجل و امرأه و صبی و صبیه، و مائه ألف رأس دواب، ما بین بقر و غنم و حمر، و الذی حازوه و اجتاحوه یزید عن مائه قریه کبار و صغار، و هم متواصلون، بحیث قد امتلأت الشام من الأساری و الدواب، و هذه نکبه ما منی الأفرنج الشمالیون بمثلها، و بعد هذا ما یبع منهم أسیر إلا بثمنه، و لا نقص السعر الأول، و هم سائرون بهم إلی حلب، و دیار بکر و الجزیره.

و فی آخر نهار یوم الأربعاء الرابع و عشرین من أیار، طلع علی دمشق سحاب أسود أظلمت الدنیا له، و صار الجو کاللیل، ثم طلع بعد ذلک سحاب أحمر أضاءت الدنیا منه، و صار الناظر إلیه یظن أنه نار موقده، و کان (104 ظ) قد هب قبل ذلک ریح عاصف شدیده آذت کثیرا من الشجر، و قیل إنه فی هذا الوقت و الساعه جاء فی حوران برد کبار و مطر شدید بحیث جرت منهما الأودیه، و جاء فی اللیله مطر عظیم، زاد منه بردی زیاده لم یر مثلها عظما.

و فی المحرم من هذه السنه، فی الثالث عشر منه أرسل الله تعالی من الغیث ما طبق الأعمال الدمشقیه، بحیث سالت به الأودیه و الشعاب، و زاد المد فی الأنهار بحیث اختلطت، و انکسر نهر یزید، و نهر بانیاس و القنوات، و التقت المیاه، و بطلت الأرحیه، و دخل الماء إلی بعض بیوت العقیبه، و ذکر جماعه من الشیوخ المعمرین أنهم لم یشاهدوا فی مثل هذا الوقت مثل ذلک.

و فی شعبان من هذه السنه، وردت الأخبار من ناحیه العراق، بأن السلطان مسعود بن محمد(1) بن ملک شاه حصر بغداد، و ضایق الإمام الخلیفه الراشد بالله بن الإمام المسترشد بالله أمیر المؤمنین، و معه السلطان داود ابن أخیه، و الأمیر عماد الدین أتابک زنکی بن آق سنقر، و اقتضی التدبیر حین لم ینل منها غرض، و لم یظفر بمراد، و لابد من اللقاء و المحاربه، العود عنها، فعاد السلطان داود إلی بلاده، و عماد الدین أتابک إلی الموصل، و أقام السلطان مسعود علی رسمه فی بغداد، و حین رأی الإمام الراشد بالله إقامه السلطان علی الاستیحاش منه، زادت وحشته، و علم أنه لا طاقه له بالمقام معه، و خاف علی نفسه، فتبع عماد الدین إلی الموصل، و نزل بظاهرها و خیم به، کالمستجیر و العائذ به، و حین خلت بغداد من الخلیفه و تدبیره، تمکن من کل ما یرید فعله و یروم قصده، فأقام فی منصب الخلافه أبا عبد الله محمد أخا المسترشد بالله، و لقبه المقتفی لأمر الله، و عمره أربعون سنه، و أخذ البیعه له علی جاری الرسم، و خطب له علی المنابر فی بلاده فقط، فی ذی القعده سنه ثلاثین و خمسمائه، و بقی الأمر واقفا إلی أن تقرر الصلح بین السلطان مسعود، و بین عماد الدین أتابک فی سنه إحدی و ثلاثین و خمسمائه، فخطب له و للسلطان فی الموصل، و سائر الأعمال، و سیأتی ذکر ذلک مشروحا فی موضعه.

1- فی الأصل: ابن السلطان محمود بن محمد، و محمود زیاده حذفت، و قد سبق وقوع مثل هذا.

و فی هذه السنه، سنه ثلاثین و خمسمائه تشتی السلطان مسعود ببغداد، و أتابک عماد الدین (141 و) و الإمام الراشد بالله، و وزیره جلال الدین أبو الرضا بن صدقه بظاهر الموصل.

و فیها وردت الأخبار فی ذی القعده منها، بظهور متملک الروم من القسطنطینیه(1)، و حکی أن طالع ظهوره کان عشر درج من المیزان، و أن الزهره و المشتری فی العاشر و الشمس فی الأسد و المریخ فی السابع، و الله أعلم بالغیب.

و فی یوم الجمعه السابع عشر من رمضان من السنه، قتل الرئیس محیی الدین أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الحسین الصوفی، رئیس دمشق بظاهر المسجد الجدید، قبلی المصلی فی الیوم المذکور، و السبب فی ذلک أن الأمیر شهاب الدین محمود بن تاج الملوک، صاحب دمشق، و الأمیر بزواج، و الحاجب سنقر، کانوا قد أنکروا علیه أمورا بلغتهم عنه، و أحوالا استوحشوا بسببها منه، فشرعوا فی إفساد حاله، و تحدثوا فی أخذ ماله، و تقررت الحال فیما بینهم علی هذه الصوره فی المخیم بحوران، و کان الرئیس المذکور قد فارقهم من حوران، و عاد إلی البلد لمداواه مرض عرض له، فلما استقر الأمر بینهم علی هذه القضیه، و عادوا إلی البلد، و خرج الرئیس المذکور فی جماعه لتلقیهم، فحین سلم علیهم وافق ذاک حدیث جری بینهم فی معنی المعاملات، أجاب عنه جوابا غلظ علیهم و أنکروه منه، فعادوا لذاک عن القبض علیه إلی القتل له، و قد کان بلغه اعتزامهم علی إفساد حاله بأخذ ماله، و أشیر علیه بالاحتیاط علی نفسه، و التحیل فی دفع الضرر عنها، فلم یقبل للأمر المقضی، و القدر النازل، فقتل مظلوما رحمه الله، بغیر استحقاق للقتل،

1- هو الامبراطور جون- أو یوحنا- کومنین جمع جیشا لجبا بالغ المؤرخ السریانی المجهول فی تقدیر عدده، فجعله« أربعمائه ألف رجل من الأغریق و الفرنجه و الألمان و الهنغاریین». انظر أیضا الکامل لابن الأثیر: 8/ 358، حیث التاریخ عنده و عند المؤرخ السریانی سنه 531 ه/ 1137 م.

و مضى شهيدا و اعتقل باقى أقاربه، و التمسوا الأذن لهم بعد أيام فى التوجه إلى صرخد، دفعا للشر، و إخمادا لنار الفتنه، فأذن لهم فى ذلک، فتوجه من توجه منهم إليها.

و فى هذه السنه فى أواخرها حضر المعروف بالأصمعى الديوان الشهابى، و التمس الأذن له فى ضرب الدينار فى دمشق، على أن يكون عياره نصف و ربع و ثمن دينار خلاصا، و الباقى من الفضه و النحاس، و كرر الخطاب إلى أن أجيب إلى ما طلب، و تقرر ضربه على هذه السجيه، و أن تنقش السكه باسم الإمام الراشد بالله أمير المؤمنين، و السلطان (141 ظ) المعظم مسعود، و شهاب الدين، و لما وردت الأخبار بأخذ السلطان البيعه للإمام المتقى لأمر الله، و توجه الراشد بالله إلى ناحيه الموصل، و أظهر السلطان رقعه بخط الراشد بالله تتضمن أنه متى خرج من داره، و قصد محاربه السلطان، أو أباح دما محرما، بغير واجب، أو مدّ يدا إلى أخذ مال من غير محله، و لا جهته، كانت بيعته باطله، و خرج من عهده الخلافه، و كان متعديا للواجب، و بذاک أشهد على نفسه القضاه و الفقهاء و الأعيان، فكان ذلک أوكد الحجه فى خلعه، و نقض أمره.

سنه إحدى و ثلاثين و خمسمائه

فى هذه السنه وردت الأخبار بظهور متملک الروم كياليانى(1) من القسطنطينيه، فى ذى القعده سنه ثلاثين و قيل، بل أول المحرم سنه إحدى و ثلاثين و خمسمائه و وصل إلى جزيره أنطاكيه، و أقام بها إلى أن وصلت مراكبه البحريه بالأثقال و الميره و المال و العدد، فى عاشر نيسان، و نزل على نيقيه فملكها، و قيل بل هادنه عليها أهلها، و وصل إلى الثغور، و تسلم أذنه و المصيصه و غيرهما، و حاصر عين زربه و ملكها عنوه، و قيل فى التاريخ إن أمير المؤمنين المأمون بالله بن الرشيد بالله،

1- كذا، و هذا التعريف فيه بعض البعد عن الأصل« جون- أو يوحنا».

كان عمر عين زربه عند الاجتياز بها، لما ورد إلى هذه الجهات، و أنفق على عمارتها مائه و سبعين ألف دينار، مع جاه الخلافه و السلطنه و القدره، و كان يعمل فيها كل يوم أربعون ألف فاعل، سوى البنائين و الحدادين و النجارين، و ملک تل حمدون و حمل أهله إلى جزيره قبرص، و كان صاحبه ابن هيثم(1) الأرمنى، ثم عمر ميناء الاسكندريه، ثم خرج إلى أنطاكيه، و نزل عليها، و ضايق أهلها فى سلخ ذى القعده، و جرى بينه و بين صاحبها ريمند بن بيدقين(2) مصالحه، و رحل عائدا إلى الدروب، فافتتح ما بقى فى يد ابن ليون الأرمنى من الحصون، و شتى بها.

و فى رجب من السنه نهض الأمير فى فريق وافر من العسكر الدمشقى، من التركمان، إلى ناحيه طرابلس، فظهر إليه قومصها فى عسكر، و التقيا فكسره بزواج، و قتل منهم جماعه وافره، و ملک حصن وادى ابن الأحمر(3) و غيره.

و فى رجب أيضا نهض ابن صلاح والى حماه فى رجاله إلى (142 و) حصن الخربه فملكه.

و فى شعبان منها ورد الخبر بأن عماد الدين أتابک بن أق سنقر، توجه فى عسكره من ناحيه الموصل، و قطع الفرات فى العشر الأول منه، و وصل إلى حمص، و كان قد تقدمه إليها صلاح الدين(4) فى أوائل العسكر، و نزلا عليها و ضايقاها، و فيها الأمير معين الدين أنر و اليها، فراسله فى تسليمها، فاحتج عليه بأنها للأمير شهاب الدين، و أنه نائبه فيها، فنصب الحرب عليها و المضايقه لها أياما، و لم يحظ منها بطائل،

1- هو« ليو بن رافين» انظر صفحات من تاريخ الأمه الأرمنيه، 135- 137.
2- هو ريموند ابن كونت بواتو. انظر تاريخ وليم الصورى(بالانكليزيه) 2/ 59.
3- لعله الحصن الذى نال اسم« يحمور» فاسمه بالأفرنجيه الحصن الأحمر. انظر القلاع أيام الحروب الصليبيه. ط. دمشق 1982(ترجمه لكتاب فولفغانغ مولر- فينر) ص: 64. طرابلس الشام: 151- 152.
4- يريد به صلاح الدين محمد الياغيسيانى. انظر كتاب الباهر: 34.

فرحل عنها فی العشرین من شوال من السنه و نزل علی الحصن المعروف ببعرین لینتزعه من أیدی الأفرنج، فلما عرفوا ذاک تجمعوا و نزلوا قریبا لحمایته و معونه من فیه منهم، فحین عرف عماد الدین خبرها کمن لهم کمینا، و التقی الجمعان، فانهزم فریق من الأتراک بین أیدی الأفرنج(1)، و قتلوا منهم جماعه وافره عند عودهم إلی منزل مخیمهم، و ظهر علیهم عماد الدین فی من کمن لهم من الکمناء، و أوقع بالرجاله، و ملک الأثقال و السواد، و حین قربوا من المخیم و شاهدوا ما نزل علیهم، و حل بهم انخذلوا و فشلوا، و حمل علیهم عسکر عماد الدین، فکسرهم و محقهم قتلا و أسرا، و حصل لهم من الغنائم الشی ء الکثیر من الکراع، و السواد، و الأثاث و عاد عماد الدین إلی حصن بعرین، و قد انهزم إلیه ملکهم کند ایاجور(2) و من نجا معه من مقدمی الأفرنج، و هم علی غایه من الضعف و الخوف، فنزل علیهم و حصرهم فی الحصن المذکور، و لم یزالوا علی هذه الحال فی المضایقه و المحاربه إلی أن نفد ما عندهم من القوت، فأکلوا خیلهم، و تجمع من بقی من الأفرنج فی بلادهم و معاقلهم و انضموا إلی ابن جوسلین، و صاحب أنطاکیه و احتشدوا، و ساروا طالبین نصره المخذولین المحصورین فی حصن بعرین، و تخلیصهم مما هم فیه من الشده و الخوف و الهلاک، فحین قربوا من عسکر أتابک، و صح الخبر عنده بذاک، اقتضت الحال أن أمنهم و عاهدهم علی ما اقترحه علیهم من طاعته، و قرر علیهم خمسین ألف دینار یحملونها إلیه، و أطلقهم و تسلم الحصن منهم، و عاد من کان اجتمع لنصرتهم(3).

و فی شهر رمضان منها ورد الخبر بأن الإمام (142 ظ) الخلیفه الراشد بالله أمیر المؤمنین ابن المسترشد بالله، کان قد فصل عن الموصل

1- مع وضوح المعنی یبدو أن هناک سقط بالسیاق.
2- فولک أوف أنجو Fulk of Anjou .
3- انظر الکامل لابن الأثیر: 8/ 357- 358. ولیم الصوری: 58- 91.

قاصدا إلى مراغه، و أنه اجتمع بالسلطان داود بن محمود، و جرى بينهما أحاديث و تقريرات قررها كل واحد منهما مع الآخر(1).

1- كما فعل أمدروز حين مر بمقتل الخليفه المسترشد فنقل عن الفارقى، فعل الآن، فنقل نصا طويلا له أهميه خاصه، و قد أبقيت على ما نقله و ضبطته على المصوره الموجوده لدى، قال الفارقى: و كان الراشد على طريقه أبيه، و كان بايعه الناس فى آخر سنه تسع و عشرين و خمسمائه، و كان شهما شريف النفس، ذا رأى و همه، فلهذا انحرف السلطان من توليته الخلافه .. قيل: و كان الراشد بعد قتل أبيه قد بايعه الناس، و استبد و استقر، و نفذ إلى أتابک زنکى إلى الموصل، و استدعاه و ضمن له أن تكون السلطنه فى الملک ألب أرسلان بن محمود الذى عند أتابک، و تكون الأتابكيه و الخلافه بحكمه، فنزل أتابک إلى بغداد، و نزل بالجانب الشرقى، فى إحدى دور السلطنه، و بقى إلى أن وصله أن السلطان قد طلب بغداد، فخيم فى الجانب الغربى، فلما قرب السلطان من بغداد، و نزل قريبا من النهروان، حقق الراشد الحال، و أنهم لابد من توليه غيره فجمع الأمراء بأسرهم الذين كانوا فى الدار من بنى الخلفاء فى سرداب، و تقدم بأن يطبق السرداب. و لقد حدثنى زين الدوله أبو القاسم على بن الصاحب، و كان هو حاجب الباب هو و أبوه وجده، و كان بين يدى الراشد، قال: لما جمع الراشد الأمراء فى السرداب، و قال: يا على خذ هذا السيف- و كان بيده سيفا- و قال: احذر أن يسبق سيفى سيفک، فإنى أريد أخرج كل من فى السرداب، و أقتل الجميع، حتى لا يبقى من يصلح للخلافه، فإن هؤلاء ربما دخلوا و غيروا و ولوا غيرى، ثم أمر بفتح السرداب، و الصائح جاءه، فقال: ما الخبر؟ فقال: إن أتابک زنکى نهب الحريم الطاهرى، و طلب الموصل(فى ذى القعده) و أما السلطان فوصل و عبر النهروان، و لما حقق أتابک نزول السلطان بالنهروان انهزم، فرمى السيف من يده، و دخل إلى الدار و أخذ معه من الجواهر ما لا يعرف له قيمه، و أعطانى منه مثل ذلک و خرج، و أخرج معه قاضى القضاه الزينبى، و كان قد استوزر جلال الدين أبا الرضا(بن) صدقه، فخرج و خرجنا، و لحق أتابک زنکى على طريق الموصل. قال السعيد مؤيد الدين رحمه الله: فلما كان بكره ذلک اليوم، دخل السلطان بغداد، و دخلنا معه، فنزل فى داره، و نزلنا نحن فى دورنا، و كان دخولنا عاشر ذى القعده سنه ثلاثين و خمسمائه فلما كان من الغد مضى الوزير إلى دار السلطنه، و نحن معه، و استأذن فيما يفعل، فأخذ خطه و خطوطنا

بالضمان، ثم عدنا إلى دورنا و أصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذى القعده سنه ثلاثين و خمسمائه و حضرنا عند الأمير أبى عبد الله، و تحدث الوزير معه، و تحدثنا معه، و شرط عليه القيام بأمر الخلافه، و طاعه السلطان، و أعلمناه« أننا قد ضمنا ذلک من السلطان جميع ما اقترحه عليک»، فرضى بذلک، و انفصلنا عنه، و مضينا إلى السلطان و أعلمناه ما جرى، و أنه رضى بما شرطت عليه، فقال السلطان: إذا كان من الغد فبايعوه، فلما أصبحنا صعدنا إلى الدار، و أخرجنا من الدار أشياء من الآلات التى تصلح للغناء، و أشياء لا تليق، و شهد جماعه من أهل الدار أنه شرب الخمر، فأفتى العلماء بخلعه و اعتنق ذلک القاضى عماد الدين شرف القضاه أبو طاهر أحمد بن الكرخى المحتسب، و كان قاضى أصحاب الشافعى رحمه الله، و اجتمع العلماء و الأكابر، فخلعوه. و دخل إليه الوزير، و صاحب المخزن، و أنا، و تحدثنا و ناولته رقعه فيها ما يسمى به من اللقب، و كان فيها المقتفى لأمر الله، و المستضى ء بأمر الله، و المستنجد بالله، فقال: ذلک- - إليكم، فقال لى الخليفه، ما ترى؟ فقلت: المقتفى لأمر الله، فقال: مبارک، ثم مد يده، فأخذها الوزير، و قبلها، و قال: بايعت سيدنا و مولانا المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين على كتاب الله و سنه رسول الله و اجتهاده، ثم أخذها صاحب المخزن و قبلها، و بايعه على مثل ذلک، ثم أخذت يده و قلت بعد أن قبلتها: بايعت سيدنا و مولانا الإمام المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين، على ما بايعت عليه أباه و أخاه و ابن أخيه فى ولايه عهده- و كنت بايعت الإمام المستظهر بالله لما خدمته فى وكاله الدار سنه تسعين و بقيت إلى سنه سبع و خمسمائه ثم وليت ديوان الإنشاء، و بايعت المسترشد و الراشد- ثم قمنا من عنده و دخل إلى الدار، و دخل العلماء و الفقهاء و القضاه و أكابر الناس أجمع، فبايعوه، و حضر السلطان مسعود بعد ثلاثه أيام و بايعه، و بايعه جميع أصحابه من خواجا الوزير] و الأمير حاجب، و جميع أرباب دولته و استبد له الأمر، و استقر فى الخلافه ... و أما ما كان من الراشد فإنه خرج مع أتابک زنكى فى صفر سنه إحدى و ثلاثين و خمسمائه إلى الموصل، و معه قاضى القضاه الزينبى، و جلال الدين أبو الرضا بن صدقه ابن أخى الوزير أبى على، و بقى عنده مده، فوصل معه إلى باب نصيبين، و أقام أياما، ثم عاد إلى الموصل و انفصل عن أتابک، و مضى إلى السلطان مسعود حتى يستأذنه و يمضى إلى السلطان سنجر، و قيل قصد السلطان داود و دخل عليه حتى يرده إلى الخلافه، فلما قارب أصفهان خرج عليه قوم من الملاحده، و دخلوا عليه و قتلوه فى شهر رمضان سنه اثنتين و ثلاثين و خمسمائه، و حمل إلى أصفهان دفن بها فى مدينه شهرستان من أصفهان على فرسخ ... و كانت خلافته من حيث بويع له بعد قتل أبيه إلى أن بويع المقتفى أحد عشر شهرا زائدا فناقصا، و قيل إن السلطان نفذ من دخل عليه و قتله ..

و وردت الأخبار من ناحیه الشمال بأن الأمیر عماد الدین أتابک رحل فی عسکره عن حلب، فی یوم الجمعه السادس عشر من شهر رمضان من السنه، و نزل علی حمص، و خیم بها و قاتلها و وصل إلیه رسول متملک الروم.

و وردت الأخبار من ناحیه العراق بالتقاء عسکری السلطان مسعود و [ابن] أخیه داود، و أن عسکر السلطان مسعود ظهر علی عسکر السلطان داود، و کسره و قتل من مقدمیه و أجناده جماعه وافره من السنه(1).

و فی سنه إحدی و ثلاثین و خمسمائه ترددت المراسلات من الأمیر شجاع الدوله أبی الفوارس المسیب بن علی بن الحسین الصوفی و جماعه المقیمین بصرخد، و کتب الأمیر أمین الدوله کمشتکین الأتابکی الوالی بصرخد إلی

1- کذا فی الأصل و لا وجه لها، و خبر المعرکه مفصلا فی ابن الأثیر: 8/ 360 حیث هزم الجیشان بعضهما بالتناوب.

الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوک، و إلى الأمير شجاع الدوله بزواج، و الحاجب أسد الدين أكز فى التماس الأذن لهم فى العود إلى دمشق، و السؤال فى إعاده ما قبض من أملاكهم إليهم، و إعاده كل مغصوب منها عليهم، و لم تزل المراسلات فى هذا الباب متناصره، و الكتب فى طلبه متواتره إلى أن تقررت الحال فى ذلک، و الإجابه إليه على مصالحه معينه مقسطه برسم واجبات الأجناد يقومون بها فى أنجمها المعينه، و أوقاتها المبينه، تصلح الأحوال بتأديتها، و تتحق الآمال بتملكها، و أن يرد أمر الرئاسه فى البلد إلى الأمير المقدم ذكره، و كتب له المنشور بالرئاسه، و نعت فيه مع أوصافه بالأمير الرئيس الأجل، مؤيد الدين، ممهد الإسلام، مضافا إلى ألقابه و نعوته المتقدمه، و أن يكون الرسم فى الرئاسه جاريا على العاده المستمره، و القاعده المقيمه المستقره فى الحمايات و الواجبات، و الرسوم الجاريات فى دار الوكاله، و سائر العراص، و نفذت الكتب إليهم بالإجابه إلى ما التمسوه، و الإسعاف بما اقترحوه، و الأذن لهم فى العود إلى البلد و اثقين بما يقدمون عليه، من حفظ الحرمه، و حراسه الحشمه، و التطيب بالنفس، و تأكيد (143 و) الأنس.

فعند الوقوف على ما صدر إليهم من هذه الحال سرت به نفوسهم، و ابتهجت بمعرفته قلوبهم و شرعوا فى التأهب للعود بصدور منشرحه، و آمال منفسحه، و عادوا بأسرهم، و حين قربوا من البلد خرج كل من فيه من خاص و عام، لتلقيهم و إظهار السرور و الاستبشار بعودهم، و الاغتباط و الابتهاج بمقدمهم، و دخلوا البلد فى العشر الأول من رجب من السنه المذكوره فاستقامت أحوالهم على منهج السداد، و استمرت على قضيه الإيثار و المراد، و أعيد عليهم جميع ما اعترض لهم من ملک و غيره، و أجروا على كل رسم جميل و إكرام و تبجيل، فكم من شده فرجها الله تعالى ذكره بعد اشتدادها، و غمه كشفها بلطفه بعد إظلامها.

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجه كحل العقل

و فی هذه السنه ورد الخبر من ناحیه مصر، بأن مقدم الأرمن(1) بها، قام فی حزبه علی صاحبها الإمام الحافظ لدین الله أبی المیمون عبد المجید، و زحف إلیه فی قصره، و أقام علیه کالمحاصر له، فعاد أکثر الجند عنه خوفا و قتلا، فانخذل و انهزم، و قیل إن السبب فی ذلک کون أخ لمقدم الأرمن فی الصعید، ورد علیه خبر قتله، فغلظ هذا الأمر علیه، و حمله علی ما کان منه، ثم إنه تلطف أمره بحیث عفی عنه، و لزم داره خائفا مروعا.

و فی رجب من السنه نهض الأمیر بزواج فی العسکر، و من حشده و جمعه من الترکمان إلی ناحیه طرابلس فی الرابع منه، فظهر إلیه صاحبها فی خیله من الأفرنج، فکمن لهم فی عده مواضع، فلما حصلوا بالموضع المعروف بالکوره(2) ظهرت علیهم الکمناء، فهزموهم، و وقع السیف فی أکثرهم، و لم یفلت منهم إلا الیسیر، و هجم علی الحصن الذی هناک فنهبه، و قتل من فیه من المقدمین و الأتباع، و أسر من بذل فی نفسه المال الکثیر، و حصل له و لعسکره القیمه الکثیره.

و فی شوال من السنه تقررت المهادنه و الموادعه بین عماد الدین، و بین شهاب الدین صاحب دمشق، علی قاعده أحکمت.

و فی ذی الحجه منها، ورد الخبر بعود متملک الروم فی عسکره عن أنطاکیه إلی ناحیه بعرین(3) من عملها فی الثانی و العشرین منه، (143 ظ) و أنفذ رسوله إلی عماد الدین أتابک، و ظفر الأمیر سوار النائب عنه فی حلب بسریه وافره العدد من عسکر الروم، فقتل بعضا، و أسر بعضا، و دخل بهم إلی حلب.

1- هو« بهرام الأرمنی النصرانی، الملقب تاج الدوله، انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 155- 161.
2- ما زالت تعرف بهذا الاسم فی منطقه طرابلس فی لبنان.
3- کذا بالأصل، و هو مضطرب و یمکن أن یکون صوابه« فی عسکره عن شیزر إلی ناحیه بعرین»، فالامبراطور البیزنطی حاصر شیزر، و هذا ما سیفصل خبره المؤلف بعد قلیل، و هو ما أتت علی ذکره جمیع المصادر، هذا و سیشیر المؤلف أیضا أنه بعد عوده الامبراطور إلی أنطاکیه، بعد ما أخفق فی أخذ شیزر، توجه من أنطاکیه نحو بزاعه حیث أخذها ..

و ورد الخبر بأن حسام الدين تمرتاش بن إيل غازى بن أرتق ملک قلعه الهتاخ(1) من بقيه آل مروان و ما كان بقى فى أيديهم غيرها، بعد البلاد و المعاقل ملكها بحيله أعملها عليهم، و مكيده نصبها لهم، و هى على غايه من الحصانه و المنعه.

و فيها شرع أهل حلب فى تحصينها، و حفر خنادقها، و التحصن من الروم بها، لقربهم منها.

و ورد الخبر بأن عماد الدين أتابک عزل وزيره أبا المحاسن على بن أبى طالب العجمى، و قبض عليه، و اعتقله بسبب مال وافر، و انكسر عليه من المعاملات ما عجز عن القيام به، و الخلاص بتأديته، و بقى معتقلا فى القلعه بحلب بسببه.

سنه اثنتين و ثلاثين و خمسمائه

أولها يوم الاثنين مستهل المحرم، و هو العشرون من أيلول، و فيه وصل الحاجب حسن الذى كان أرسل إلى متملک الروم، و معه رسول الملک عماد الدين أتابک.

و فى رابع عشر المحرم وصل أتابک فى عسكره إلى حماه، و رحل عنها متوجها إلى ناحيه البقاع، فملک حصن المجدل(2) من أيدى الدمشقيين، و دخل فى طاعته ابراهيم بن طرغت والى بانياس من عمل دمشق.

و ورد الخبر فى صفر بأن زلزله عظيمه جاءت بالجزيره و أعمال الموصل، و قيل إنها أهلكت عده مواضع من الأرض، و هلک فيها خلق كثير وافر من أهلها فى أوائل شهر ربيع الأول من السنه، و قيل إن

1- فى الأصل: الهياج، و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا و الهتاخ كما وصفها أبو الفداء: 281« قلعه حصينه من ديار بكر». انظر الكامل لابن الأثير: 8/ 363.
2- فى تقويم البلدان: 230 و بالقرب من عين الجر ضيعه تعرف بالمجدل، و هى على الطريق الآخذ من بعلبک على وادى التيم.

رسول السلطان مسعود ابن السلطان محمد، وصل إلى الموصل بالتشريف الكامل لعماد الدين أتابک، و وصلت کتب نصير الدين نائبه فيها شرح حالها.

و ورد الخبر بأن صاحب أنطاکيه قبض على بطرکها الأفرنجى، و نهب داره، و ذکر أن السبب فى ذلک أن ملک الروم لما تقرر الصلح بينه و بين ريمند صاحب أنطاکيه، شرط فى جمله الشروط أن ينصب بأنطاکيه بطرکا من قبل الروم على ما جرى بمثله الرسم قديما، ثم انتقض هذا الرسم فيما بعد، و خرج ريمند صاحب أنطاکيه إلى متملک الروم و هو مخيم فى (144 و) عسکره بمرج الديباج، و قرر معه الهدنه و الموادعه، و عاد إلى أنطاکيه.

و فيها عاد عماد الدين أتابک عن دمشق إلى حماه فى شهر ربيع الآخر، و نزل عليها، و رحل عنها إلى حمص، فنزل عليها محاصرا لها.

و فى هذه السنه نقض الأفرنج الهدنه المستقره بين عماد الدين أتابک و بينهم، و أظهروا الشقاق و العناد، و شرعوا فى العيث و الفساد بعد اصطناعه لمقدميهم، و الکف عنهم، حين أظهره الله عليهم، و قبضوا بأنطاکيه و ثغور الساحل جماعه من تجار المسلمين و أهل حلب و السفار، تقدير خمسمائه رجل فى جمادى الآخره.

و فيها شتى السلطان مسعود ببغداد، و وصل رسوله إلى أتابک بحمص و شتى ملک الروم بالثغور و الدروب، و خيم بمرج الديباج.

و فى يوم الأحد النصف من جمادى، نهض الأمير بزواج من دمشق فى عسکره إلى ناحيه الأفرنج، و قد أفسد أمره مع شهاب الدين صاحب دمشق لعجرفه فيه و إقدام على استعمال الشر، و نودى عليه بفساد أمره، و ظهور غدره و مکره، و کثره جهله، و تناهيه فى سوء فعله، و أقام بظاهر البلد مده، و عاد أمره انصلح، و دخل البلد، و أقام فيه مستقيم الحال

مبلغا غايه الآمال فعمل عليه شهاب الدين، و قتله بقلعه دمشق بأيدى الشمسيه، فى يوم الاثنين السادس من شعبان من السنه، و السبب فى ذلک أن شهاب الدين كان قد نقم عليه أمورا أنكرها، و استوحش منه لأجلها، و عبث بمال الارتفاع يفرقه فى النفقات و الإطلاقات، فأعمل الحيله فى قتله، و آنسه و طمنه إلى حين وجد الفرصه فيه مستهله، و حصل عنده بقبه الورد فى داره بالقلعه، و قد رتب له جماعه من الأرمن الشمسيه، أصحاب ركابه، و قرر معهم قتله، فحين تمكنوا منه بخلوه من أصحابه قتلوه، و أخرجوه ملفوفا فى كساء إلى المقبره المبنيه لزوجته، فدفن بها.

و فى يوم الأحد السابع عشر من شعبان من السنه، خلع شهاب الدين على الأمير معين الدين أنر، و قرر له أمر الأسفهسلاريه، و خوطب بالأتابكيه، ورد أمر الحجبه إلى الأمير الحاجب أسد الدين أكز، و طيب بنفسيهما، ورد التدبير و التقرير فى سائر الأعمال، و عامه الأحوال إليهما.

و فى هذا (144 ط) الشهر وردت الأخبار من ناحيه الشمال، بنزول ملک الروم فى عسكره على شيزر، محاصرا لها، و مضايقا عليها، و نصب عليها عده من المناجيق، و اشتدت الحرب بينه و بين أهلها، و قتل فيها جماعه من المسلمين بحيث أشرفت على الهلاک، مع مبالغه الأمير عماد الدين أتابک فى إمدادها بالرجاله و السلاح و آلات الحرب، و كونه بإزاء الروم يجول بخيله على أطرافهم، و يفتک بمن يظفر به منهم، و لم يزالوا على هذه القضيه إلى أن سئموا المقام عليها، و يئسوا من بلوغ الغرض فيها، و لطف الله تعالى بأهل الشام، و تداركهم برحمته، و ورد خبر رحيلهم عن شيزر إلى أنطاكيه، و استبشر الناس برحيلهم، و عودهم خاسرين، غير ظافرين، و مفلولين غير فالين، فلله تعالى الحمد على هذه النعمه دائما، و الشكر متواصلا متتابعا.

قد مضى من ذكر الروم فيما اعتمدوه فى هذه الأيام، ما قد عرف،

و نذكر بعد ذلک، مبدأ أحوالهم و خروجهم و أفعالهم، و ذلک أنهم ظهروا من ناحيه مدينه البلاط فی يوم الخميس الكبير من صومهم، و نزلوا غفله علی حصن بزاعه بالوادی فی يوم الأحد عيدهم، و غارت خيلهم علی أطراف حلب فی تاسع عشر رجب من السنه، و استأمن منهم إلی حلب جماعه من كافر ترک(1)، و أنذروا من بحلب بالروم، فحذروا و ضموا أطرافهم و تحرزوا و تحفظوا، و استعدوا، و تيقظوا قبل الإغاره بليله، و كان هذا الإنذار من المستأمنه لطفا من الله تعالی و رحمه، و بعد هذا التحرز و الاحتياط، اشتمل الروم فی عادتهم علی جمله وافره من أهل حلب و ضواحيها، و أنفذ أهل حلب من أعيانهم من مضی إلی عماد الدين أتابک مستصرخا به و هو مخيم علی حمص، فأنهض إليهم من أمكنه من الخياله و الرجاله و الناشبه و النباله، و العدد الوافره، و حصل الجميع [بحلب](2) فی السابع و عشرين من رجب من السنه.

و وردت الأخبار بتملک [ملک] الروم المذكور حصن بزاعه، بعد حصره و مضايقته، و محاربته بالمنجنيقات فی يوم السبت الخامس و العشرين من رجب بالأمان، و غدر بأهله بعد تسلمه و إيمانهم، و جمع من غدر بهم و أحصاهم، و قيل إنهم كانوا خمسه آلاف و ثمانمائه نفس، و تنصر قاضی بزاعه و جماعه من الشهود (145 و) و غيرهم، تقدير أربعمائه نفس، و أقام الملک بعد ذلک بمكانه عشره أيام، يدخن علی مغارات اختفی فيها جماعه، فملكوا بالدخان.

و فی يوم الأربعاء الخامس من شعبان نزل الروم أرض الناعوه، و رحلوا عنها فی يوم الخميس ثامنه، و اجتازوا بحلب، و معهم عسكر أنطاكيه و مقدمهم ريمند صاحبها، و ابن جوسلين، فنزلوا علی حلب، و نصبوا خيامهم علی نهر قويق و أرض السعدی، و زحف الملک من غده

1- كان قوام الجيوش البيزنطيه من المرتزقه، و شكل« الخزر و الكومان» الأتراک قسما كبيرا من هؤلاء المرتزقه.
2- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق.

فى خيله و رجله من قبلى حلب و غربيها من ناحيه قرنه برج الغنم، و خرج إليهم فرقه واحده من أحداث حلب، فقاتلتهم و ظهرت عليهم، فقتلوا فيهم و جرحوا، و أصيب من الروم مقدم مذكور، و انكفوا خائبين إلى مخيمهم، و أقاموا على حلب أياما قلائل، و رحلوا عنها غداه يوم الأربعاء ثامن شعبان مقتبلين إلى أرض صلدع، و خاف من بقلعه الأثارب، فهربوا منها يوم الخميس تاسع شعبان، و طرحوا النار فى خزائنها، و عرف الروم ذلک، فنهضت منهم طائفه إلى القلعه، و نزلت عليها و ملكتها، و حازوا ما فيها، و ألجأوا السبايا و الأسرى الذين فى أيديهم من حصن بزاعه إلى ربض الأثارب و خندقها، بحيث عرف الأمير سوار النائب بحلب ذاک، و انعزال الروم عنها، نهض فى عسكر حلب و أدركهم بالأثارب، فأوقع بهم و قهرهم، و استخلص المأسورين و المسبيين إلا اليسير منهم، و ذلک فى يوم السبت الحادى عشر من شعبان، و سر أهل حلب بهذه النوبه، سرورا عظيما.

و فى يوم الخميس التاسع من الشهر، رحل عماد الدين أتابک عن حماه إلى سلميه، و سير ثقله إلى الرقه، و بقى فى خيله جريده مخفا.

و فى يوم الاثنين رحل ملک الروم عن بلد المعره، فهرب من كان مقيما فى كفر طاب من الجند، خوفا على نفوسهم، و تناصرت الأخبار بعبور عسكر التركمان الفرات مع ولد الأمير داود بن أرتق إلى ناحيه حلب، للغزو فى الروم، و نزلوا بمجمع المروج، و نهض فريق وافر من عسكر دمشق للغزاه أيضا فى خدمه عماد الدين أتابک، و كان سبب رحيل الروم عن شيزر، ما انتهى إليهم من وصول التركمان، و تجمع العساكر حاشرين، و كانت مده إقامتهم عليها ثلاثه و عشرين يوما، و وصول ملک الروم إلى أنطاكيه فى عوده يوم الأحد (145 ظ) الثامن من شهر رمضان من السنه، و تواصلت الأخبار بإتمام الروم فى رحيلهم إلى بلادهم، و سكنت القلوب بعد انزعاجها و قلقها منهم و وجلها.

و ورد الخبر من ناحيه حلب بوفاه القاضى بهاء الدين بن الشهرزورى بها، فى يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان من السنه، و حمل إلى مشهد صفين، و دفن به و كان صاحب عزيمه ماضيه، و همه نافذه و يقظه ثاقبه(1).

و فى هذه السنه توفى القاضى الأعز أبو الفتح محمد بن هبه الله بن خلف التميمى رحمه الله، فى ليله الجمعه النصف من شهر رمضان، و كان من المتخصصين ذوى المروءه، و كرم النفس.

و فى هذه السنه ترددت المراسلات من الأمير عماد الدين أتابک، إلى الأمير شهاب الدين، فى التماس انعقاد الوصله بينه و بين والدته الخاتون صفوه الملک زمرد ابنه الأمير جاولى، إلى أن أجيب إلى ذلک، و استقر الأمر فيه، و ندب من دمشق من تولى لها العقد فى مخيمه بحمص، فى يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان من السنه، و تقررت الحال على تسليم حمص إليه، فتسلمها مع القلعه و عوض عنها لواليها الأمير معين الدين أنر حصن بعرين(2)، و توجهت الخاتون صفوه الملک والده شهاب الدين من دارها إلى عسكر عماد الدين أتابک بناحيه حمص و حماه، مع أصحاب عماد الدين المندوبين لإيصالها إليه، فى أواخر شهر رمضان منها.

1- كان يشغل وظيفه« قاضى الممالک الأتابكيه، و كان أعظم الناس منزله عنده»(زنكى). الباهر: 57.
2- فى مرآه الزمان: 2/ 165:« و فيها(532 ه) تزوج أتابک زنكى بأم شهاب الدين محمود، و هى الخاتون صفوه الملک زمرد ابنه الأمير جاولى، و كان قد طلبها فى السنه الماضيه، فامتنع بزواش، فقال: و ما السبب فى أننا نزيل دوله مولانا بأيدينا، فلما قتل بزواش راسل أتابک زنكى فى هذا المعنى، و هو مقيم على حمص فأجيب، فعقد العقد بحمص يوم الاثنين سابع عشر رمضان، و تقرر الحال فى تسلم حمص إليه، فتسلمها مع القلعه، و عوض لمعين الدين أنر حصن بعرين، و توجهت خاتون من دمشق فى عسكر أتابک إليه فى شهر رمضان، و قيل سارت إليه فى المحرم أول السنه الآتيه، و اجتمعا على حمص».

و وردت الأخبار من ناحیه العراق بأن الإمام الراشد بالله أمیر المؤمنین. کان قد فصل عن الموصل، و توجه إلی ناحیه الجبل، فقضی الله تعالی للقدر النازل، و الحکم النافذ استشهاده علی باب أصفهان، بأمر قرر له، و عمل عمل علیه، فصار إلی رحمه ربه سعیدا مأجورا شهیدا، فی یوم الثلاثاء السادس و العشرین من شهر رمضان من السنه، فکانت خلافته إلی أن استشهد سنتین و عشره أشهر(1).

و فی هذه السنه ورد الخبر بوفاه الأمیر طغان (أرسلان)(2) بن حسام الدوله ببدلیس، و انتصب فی مکانه ولده الأمیر قرتی بن طغان أرسلان، و استقام له الأمر، و حکی عنه حکایات فی الظلم و التعجرف و التجبر و الجور، تنکرها النفوس، و تنفر من سماعها القلوب.

سنه ثلاث و ثلاثین و خمسمائه

(146 و) أول هذه السنه یوم الجمعه بالرؤیا، مستهل المحرم، و فیه اجتمع الأمیر عماد الدین أتابک بالخاتون صفوه الملک والده الأمیر شهاب الدین، بظاهر حمص، و قد اجتمع عنده جماعه وافره من رسل الخلیفه و السلطان و مصر و الروم و دمشق و غیر ذلک.

1- فی مرآه الزمان: 1/ 167- 168 روایه هامه حول الراشد جاء فیها: و فیها 532 ه] توفی منصور الراشد فی أصبهان، توفی سابع عشرین رمضان، و اختلفوا فی سبب وفاته علی أقوال: أحدها أنه سقی السم ثلاث مرات، و الثانی أنه قتله قوم من الفراشین الذین کانوا فی خدمته، و الثالث أنه قتله قوم من الباطنیه، و قتلوا بعده، و کان قد داس بلادهم و أخربها، و بعثهم إلیه سنجر و مسعود، فجاءوا فقتلوه کما قتلوا أباه. و ذکر العماد الکاتب فی الخریده ما یدل علی هذا، فإنه قال: تنقل الراشد فی البلاد، و دیار بکر و أذربیجان و مازندران، و عاد إلی أصبهان فأقام مع السلطان داود بن محمود، و البلد محاصر، و هناک قحط عظیم، و ضر عمیم. قال العماد: أذکر و نحن أطفال و قد خرجنا من البلد یعنی أصبهان، و أقمنا بالربط عند المصلی، و العسکر قریب منا فسمعنا أصواتا هائله وقت القائله من یوم الثلاثاء سادس عشرین رمضان من هذه السنه، فقلنا: ما الخبر؟ فقالوا: الخلیفه قد فتکت به الملاحده لعنهم الله، و خرج أهل أصبهان حفاه حاسرین، و شیعوا جنازته إلی مدینه جی، و لطموا و بکوا و دفنوه بالجامع».

2- أضيف ما بين الحاصرتين من الكامل لابن الأثير: 8/ 363.

و فی هذا الشهر غارت الأفرنج علی ناحیه بانیاس و نهض شهاب الدین فی العسکر فی إثرهم فلم یدرکهم و عاد إلی البلد.

و فی یوم الثلاثاء الرابع من صفر جاءت فی دمشق زلزله هائله بعد الظهر، اهتزت بها الأرض ثلاث مرات، و تلاها فی لیله الجمعه وقت عشاء الآخره ثانیه اهتزت بها الأرض عده مرات، و فی لیله الاثنین التاسع عشر من صفر عادت الزلزله فی الثلث منها ثلاث مرات، فتبارک رب هذه القدره الباهره، و الآیه الظاهره، و عادت فی لیله الأربعاء تتلوها فی الربع الأخیر من لیله الجمعه، و تناصرت الأخبار من الثقات السفار، و الواردین من ناحیه الشمال بصفه هذه الرجفات المذکورات، و أنها کانت فی حلب، و ما والاها من البلاد و المعاقل و الأعمال أشد ما یکون، بحیث انهدم فی حلب الکثیر من الدور، و تشعث السور، و اضطربت جدران القلعه، و ظهر أهل حلب من دورهم إلی ظاهره من خوفهم علی نفوسهم، و یقول المکثر من الحاکی أن الزلزله جاءت تقدیر مائه مره، و قوم یحققون أنها ثمانون مره، و الله أعلم بالغیب و الصواب، تبارک الله رب العالمین، القادر علی کل شی ء.

و فی یوم السبت السابع عشر من شعبان الموافق للتاسع من نیسان جاء رعد هائل مختلف من عده جهات، و برق زائد، و جلبات هائله قبل الظهر، ثم جاء مع ذلک مطر شدید الوقع، و برد هائل، حکی بعض الثقات أنه وزن واحده من کبار البرد، فکان وزنها فی ناحیه الغوطه و المرج ثمانیه دراهم، و قال آخرون وزنوا واحده، فکانت سبعه عشر درهما، و قتل کثیرا من الطیر، و أتلف کثیرا من الشجر و الزرع و الثمار.

و فی یوم الأربعاء النصف من شوال، وردت الأخبار من ناحیه مصر، بالحادثه الکائنه بمصر بین الأجناد(1) بها، بحیث قتل بینهم من الفریقین الخلق الکثیر، من: الخیاله، و الرجاله.

1- تعلق هذا بالصراع بین الوزیر رضوان و الخلیفه الحافظ. انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 168- 171.

و على مضى ست ساعات من (146 ظ) نهار يوم الأربعاء، الحادى و العشرين من شوال، جاءت رجفه هائله، ارتاعت لها القلوب، و رجفت بها الصدور.

و فى يوم الجمعه الثالث و العشرين من شوال من السنه فى غداته، ظهرت الحادثه المدبره على الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوک بن ظهير الدين أتابک، و قتله فى فراشه، و هو فى نومه فى ليله الجمعه المذكوره، بيد غلمانه الملاعين: البغش الأرمنى الذى اصطنعه و قربه إليه و اعتمد فى أشغاله عليه، و يوسف الخادم الذى وثق به فى نومه لديه، و الخركاوى الفراش الراقد حواليه، و وقوع الزحف عند اشتهار هذا الخبر إلى كاتبه النفيس أبى طالب عقيل بن حيدره، مستوفى ديوان المعاملات، و قتله فى الطريق، عند أخذه من الدار التى لجأ إليها و اختفى عند هروبه فيها، و كان هؤلاء الثلاثه النفر الجناه الملاعين يبيتون حول سريره، فلما قرر معهم هذا الأمر، رقدوا فى أماكنهم على جارى عادتهم، فلما انتصف الليل و تحققوا نومه، و ثبوا عليه، فقتلوه فى فراشه على سريره، و صاح فراش آخر كان معهم، فقتلوه أيضا، و دبروا أمرهم بينهم، و أخفوا سرهم، بحيث خرجوا من القلعه، و ظهر الأمر، و طلب البغش لعنه الله، فهرب و نهب بيته و مسک الآخران(1)، فصلبا على سور باب الجابيه.

و كتب إلى الأمير جمال الدين محمد بن تاج الملوک أخيه، صاحب بعلبک، بصوره الحال، فبادر بالوصول إلى دمشق فى أسرع وقت، و أقرب أوان، فجلس فى منصبه، و عقد الأمر له و استحلف الأمراء و المقدمين و الأعيان على الطاعه و المناصحه فى خدمته، فتقررت الحال، و سكنت الدهماء، و ظهرت الكائنه، و انكشفت الغماء.

و حين انتهى (الخبر)(2) إلى الخاتون صفوه الملک والده الأمير شهاب

1- ذكر سبط ابن الجوزى اسميهما فقال: يوسف البواب الخادم و عنبر الفراش و يعرف بالخركاوى. مرآه الزمان: 1/ 171.
2- أضيف ما بين الحاصرتين من مرآه الزمان: 1/ 172.

الدين رحمه الله، قلقت و انزعجت و حزنت عليه، و أسفت و أكبرت هذا الأمر، و حدوث مثله، على ولدها، و راسلت الأمير عماد الدين أتابک، و هو بناحيه الموصل، معلمه له بصوره الحال، و باعثه لهمته على النهوض لطلب الثأر، من غير تلوم و لا إغفال، فحين وقف على الخبر، امتعض له، أشد الامتعاض و لم يكن باستمرار مثله بالراضى، و صرف الاهتمام إلى التأهب لما حرضته عليه، و أشارت إليه، و الاستعداد له، و الاحتشاد لقصده و ثنى أعنه (147 و) الاعتزام إلى ناحيه الشام، مجدا فى قصد دمشق لبلوغ كل مطلب ينحوه، و مرام، و تناصرت الأخبار بهذه العزيمه إلى دمشق، فوقع الاحتياط، و التحرز من جانبه و الاستعداد، ثم تلا ذلک ورود الخبر بنزوله على بعلبک فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجه من السنه، فى عسكر كثيف، و جم غفير، و قد كانت قبل نزوله عليها قد شحنت بالرجال المقاتله، و العدد الكامله، ورد أمر الولايه فيها إلى معين الدين أنر، و قد تمكنت حالته، و ارتفعت رتبته، و نفذت أوامره فى الدوله، و أمثلته، فنصب عليها عده من المناجيق، و واصل المحاربه لأهلها و بالغ فى المضايقه لها، و قيل إن عده المنجنيقات المنصوبه عليها أربعه عشر منجنيقا، يرمى عليها بالنوبه ليلا و نهارا، بحيث أشرف من بها على الهلاک، و لم تزل هذه حالها إلى أن ورد الخبر بافتتاحها بالأمان، لشده ما نزل بأهلها من البلاء و المضايقه و النقوب، و بقيت القله(1) و فيها جماعه من شجعان الأتراک المندوبين لحمايتها، و الذب عنها، فلما أيسوا من معين يأتيهم من المعين، و وصول من ينقذهم من البلاء المحيط، سلموها إلى عماد الدين أتابک، بعد أخذ أمانه، و التوثق منه، فلما حصلت فى ملكته، نكث عهده، و نقض أمانه لحنق أسره، و غيظ على من كان فيها أكنه، فأمر بصلبهم، و لم يفلت منهم إلا من حماه أجله، فاستبشع الناس ذلک من فعله، و استبدعوه من نكثه.

1- أعلى مكان بالقلعه، أو القلعه ذاتها.

و قد كان الخبر ورد قبل ذلک بافتتاح عماد الدين أتابک قلعه الأثارب، فى يوم الجمعه أول صفر من السنه المقدم ذكرها.

و وردت الأخبار بأن رجفه عظيمه، حدثت فى الشام، بعد ما تقدم ذكره، فى ليله الجمعه الثامن من صفر منها.

و فى شهر رمضان منها، ورد الخبر بأن الأمير الأفضل رضوان بن و لخشى، صاحب الأمر بمصر، خرج منها لأمر خاف معه من صاحبه الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، و وصل إلى صرخد، و أن أمين الدوله كمشتكين الأتابكى و اليها، تلقاه بالإكرام و مزيد الإعظام و الاحترام، و أقام فى ضيافته و كرامته، مده ثم عاد من عنده طالبا لمصر لأمر كان دبره، و سبب قرره، فلما وصل إليها فسد ذلک التدبير عليه، و لم ينل ما كان صرف همه إليه، فاعتقل فى القصر مكرما، و مبجلا محترما(1).

(147 ظ) و فيها توفى النقيب الإمام، جمال الإسلام، أبو الحسن على ابن محمد بن الفتح السلمى الشافعى، متولى المدرسه الأمينيه، فى يوم الأربعاء الثالث عشر من ذى القعده منها، و هو ساجد فى صلاه الغداه رحمه الله، و كان مشهورا بوفور العلم فى التفقه، و قوه الفرائض و الوعظ و الدين و الأمانه، بحيث وقع التألم لفقده، و افتقر إلى مثله من بعده(2).

سنه أربع و ثلاثين و خمسمائه

أول هذه السنه المباركه يوم الثلاثاء بالرؤيه مستهل المحرم، و فيه ورد الخبر بفراغ عماد الدين أتابک من ترتيب أمر بعلبک، و قلتها و ترميم ما

1- انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى: 3/ 173.
2- نقل سبط ابن الجوزى ترجمته عن ابن عساكر: و ضبط اسمه« على بن المسلم» و ذكر ابن عساكر المدرسه الأمينيه فقال: بناها كمشتكين المعروف بأمين الدوله، و نقل الشيخ بدران أنها كانت« قبل باب الزياده من أبواب الجامع الأموى، المسمى قديما بباب الساعات» انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: 2/ 74. مرآه الزمان: 1/ 170- 171، منادمه الأطلال: 86.

تشعث منها، و شروعه فی التأهب للنزول علی مدینه دمشق لمضایقتها، و ورد عقیب ذلک الخبر برحیله عنها فی العسکر، و نزوله فی البقاع فی شهر ربیع الأول منها، و أنفذ رسوله إلی الأمیر جمال الدین محمد بن تاج الملوک بوری ابن أتابک صاحبها، فی التماس تسلیم البلد إلیه، و یعوض عنه بما یقع الاختیار و الاقتراح علیه، فلم یجب إلی ما رغب فیه، فرحل عن البقاع، و نزل علی داریا ظاهر دمشق فی یوم الأربعاء ثالث عشر ربیع الآخر منها، و کان عند نزوله علی داریا قد التقت الطلائع فظفر بجماعه و انهزم الباقون إلی البلد، و زحف بعد ذلک إلی البلد فی عسکر من ناحیه المصلی فی یوم الجمعه الثامن و عشرین من شهر ربیع الآخر من السنه، فظفر بجماعه وافره من أحداث البلد، و الغوطه، و أطلق السیف فیهم، فمنهم من مضی قتیلا و أسیرا، و منهم من عاد إلی البلد سالما و جریحا، و أشرف البلد فی هذا الیوم علی الهلاک لو لا لطف الله تعالی، و عاد إلی مخیمه بمن أسر بعد من قتل، و أمسک أیاما عن الحرب، و تابع المراسله و التلطف فی تسلیم البلد، و أخذ العوض عنه بعلبک و حمص، و ما یقترح معهما، فآثر جمال الدین محمد بن تاج الملوک الدخول فی هذا الأمر، لما فیه من الصلاح و حقن الدماء، و عماره الأعمال، و سکون الدهماء، و أباه عند الاستشاره فیه، و جعل یزحف بعسکره فی أیام متفرقه، بحیث لم یصدق فی القتال، و لا بالغ فی التضییق و النزال، إشفاقا من سفک الدماء، کالکاف المسالم، و المتأنی فی الوقائع و المغانم، و ابتدأ بجمال الدین (148 و) محمد ابن تاج الملوک مرض اتصل به فی جمادی الأولی من السنه، فصار یخف تاره، و یثقل و یمضی و یعود و یقل و یزید إلی أن اشتد به اشتدادا، وقع الیأس معه منه، و لم یکن له فیه طب و لا راق، و لم یزل علی هذه الحال إلی أن قضی محتوم نحبه، و صار إلی رحمه ربه فی لیله الجمعه الثامن من شعبان منها، فی الوقت الذی أصیب فیه أخوه شهاب الدین محمود بن تاج الملوک رحمهما الله، فعجب الناس من ذلک، و اتفاق الوقت و الساعه، و سبحوا الله و قدسوه، و جهز و دفن فی تربه جدته بالفرادیس.

و اجتمع رأى المقدمين و أصحاب الأمر من بعده، على سد ثلمه فقده، بنصب ولده الأمير عضل الدوله أبى سعيد آبق بن جمال الدين محمد فى مكانه، و أخذت له بذلک العهود المؤکده بالأيمان المشدده، على الإخلاص فى الطاعه، و الصدق فى الخدمه و المناصحه، فاستقام الأمر، و صلح التدبير، و زال الخلف، و سكنت الأمور بعد اضطرابها، و قرت النفوس بعد استيحاشها، و حين عرف عماد الدين أتابک هذه القضيه، زحف فى عسكره إلى البلد طامعا فى خلف يجرى بين المقدمين بوفاته، فينال به بعض طلباته، فكان الأمر بالضد مما أمل، و الحال بالعكس فيما ظن، و لم يصادف من أجناد دمشق و أحداثها إلا الثبات على القراع، و الصبر على المناوشه و المصاع(1)، فعاد منكفئا إلى عسكره، و قد ضعفت نفسه، و ضاق لهذا الأمر صدره، و قد كان تقرر الأمر مع الأفرنج على الاتفاق و الاعتضاد و المؤازره و الإسعاد و الامتزاج فى دفعه، و الاختلاط فى صده عن مراده و منعه، و وقعت المعاهده على ذلک بالأيمان المؤكده، و الضمان للوفاء بما بذلوه، و التمسوا على ذلک مالا معينا، يحمل إليهم ليكون عونا لهم على ما يحاولونه، و قوه و رهانا تسكن بها نفوسهم و أجيبوا إلى ذلک، و حمل إليهم المال و الرهائن من أقارب المقدمين، و شرعوا فى التأهب للإنجاد، و الاستعداد للمؤازره و الإسعاد، و كاتب بعضهم بعضا بالبعث على الاجتماع من سائر المعاقل و البلاد، على إبعاد أتابک، و صده عن نيل الأرب من دمشق و المراد، قبل استفحال أمره، و إعضال خطبه، و قوه شوكته، و استظهاره على عصب الأفرنج و قصد بلادهم.

فحين تيقن صوره الحال فى هذا العزم (148 ظ) و تجمعهم لقصده مع عسكر دمشق، رحل عن منزله بداريا فى يوم الأحد الخامس من شهر رمضان، طالبا ناحيه حوران، للقاء الأفرنج إن قربوا منه، و طلبهم إن بعدوا عنه، و أقام على هذا الاعتزام مده ثم عاد إلى ناحيه غوطه دمشق،

1- المصاع: الجلاد و الضراب. النهايه لابن الأثير.

و نزل بعذراء يوم الأربعاء لست بقين من شوال، فأحرق عده ضياع من المرج و الغوطه إلى حرستا التين، و رحل يوم السبت تاليه متشاملا، حين تحقق نزول الأفرنج بالميدان فى جموعهم، و كان الشرط مع الأفرنج أن يكون فى جمله المبذول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد إبراهيم بن طرغت، و تسليمها إليهم فاتفق أن إبراهيم بن طرغت و اليه، كان قد نهض فى أصحابه إلى ناحيه صور، للإغاره عليها، فصادفه ريمند صاحب أنطاكيه فى قصده واصلا إلى إسعاد الأفرنج على إنجاد أهل دمشق، فالتقيا فكسره، و قتل فى الوقعه و معه نفر يسير من أصحابه، و عاد من بقى منهم إلى بانياس، فتحصنوا بها، و جمعوا إليها رجال وادى التيم، و غيرهم، و من أمكن جمعه من الرجال، للذب عنها و المراماه دونها، فنهض إليها الأمير معين الدين فى عسكر دمشق، و نزل عليها، و لم يزل محاربا بالمنجنيقات، و مضايقا لها بأنواع المحارب، و معه فريق وافر من عسكر الأفرنج عامه شوال.

و ورد الخبر بأن الأمير عماد الدين أتابک قد نزل على بعلبک، و أنفذ يستدعى التركمان من مظانهم، فى شوال لقصد بانياس، و دفع المنازلين لها عنها، و لم تزل الحاله جاريه على هذه القضيه إلى آخر ذى الحجه من السنه.

و وردت الأخبار من ناحيه مصر، بأن الأفضل بن و لخشى، لما فصل عن صرخد، و وصل إلى ظاهر مصر، أن الأتراک الذين انضموا إليه، عملوا عليه و غدروا به، و انتهبوا ما كان معه من كراع و سواد، فحين و جدوا منه الغره و الغفله لم يبقوا على أى شى ء مما صحبه، و تفرقت عنه أصحابه و رجاله، و بقى فريدا، فحصل فى أيدى الحافظيه أسيرا، و وصل به من يحفظه و يحتاط عليه، و هذا الأفضل المقدم موصوف بالشجاعه و الفروسيه و علو الهمه و مضاء العزمه و البساله، و حسن السياسه، و ذكاء الحس، و لكن المقادير لا تغالب، و الأقضيه لا تدافع، و الله يفعل ما يشاء و يختار.

و لم تزل بانياس على حالها فى المضايقه و المحاصره، إلى أن نفدت منها الميره، و قل قوت المقاتله فسلمت (149 و) إلى معين الدين، و عوض عنها الوالى الذى كان بها بما أرضاه من الإقطاع و الإحسان، و سلمها إلى الأفرنج، و وفى لهم بالشرط، و رحل عنها منكفئا إلى دمشق ظافرا بأمله حامدا لعمله فى أواخر شهر شوال.

و فى صبيحه يوم السبت السابع من ذى القعده من السنه، حصل عماد الدين أتابک بعسكره جريده بظاهر دمشق، و وصل المصلى، و قرب من سور البلد، و لم يشعر به أحد لكون الناس فى أعقاب نومهم، فلما تبلج الصباح، و عرف خبره، علت الجلبه و الصياح، و نفر الناس، و اجتمعوا إلى الأسوار، و فتح الباب، و خرجت الخيل و الرجاله، و كان قد فرق عسكره إلى حوران و الغوطه و المرج و سائر الأطراف للغاره، و وقف هو فى خواصه بإزاء عسكر دمشق، بحيث لا يمكن أحدا من أصحابه فى اتباع أحد من خيله المغيره، و نشبت الحرب بينه و بين عسكر دمشق، و جرح من الفريقين جمله وافره، و أحجم عنهم لاشتغاله بمن بثه من سراياه فى الغارات، و حصل فى أيديهم من خيول الجشار و الأغنام و الأحمال و الأبقار و الأثاث ما لا يحصى كثره لأنهم جاؤوا على غفله، و غره، و نزل من يومه بمرج راهط، إلى أن اجتمعت الرجال و الغنائم، و سار عائدا على الطريق الشماليه بالغنائم الدثره المتناهيه فى الكثره.

و وردت الأخبار من ناحيه بغداد بعزل الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى، عن وزاره الإمام المقتفى بأمر الله، و تقليدها الوزير نظام الدين بن جهير.

سنه خمس و ثلاثين و خمسمائه

فى شهر رمضان منها ورد الخبر بظهور عسكريه عسقلان، على خيل الأفرنج الغائرين عليها، و قتل جماعه منهم و عودهم مفلولين خاسرين.

و فيها ورد الخبر من ناحيه الشمال بتملک الباطنيه حصن مصيات بحيله دبرت عليه، و مکيده نصبت له.

و فيها توفى البدليسى(1) إمام المسجد الجامع بدمشق، فى ثالث ذى الحجه منها رحمه الله، و کان حسن الطريقه قليل التبذل، جيد الحفظ و القراءه، و التصون، و وقع الاختيار على الشيخ الإمام أبى محمد بن طاووس فى إقامته مکانه، لما فيه من حسن الطريقه و التصون و التدين، و القيام بقراءه السبعه المشهوره (149 ظ).

سنه ست و ثلاثين و خمسمائه

فيها ورد الخبر من ناحيه الشمال بإغاره الأمير لجه الترکى، النازح عن دمشق إلى خدمه الأمير عماد الدين أتابک، على بلد الأفرنج و ظفره بخيلهم، و فتکه بهم، بحيث ذکر أن عده المقتولين منهم تقدير سبعمائه رجل.

و فيها ورد الخبر من ناحيه العراق، بإيقاع عسکر السلطان غياث الدنيا و الدين، رکن الإسلام و المسلمين، مسعود بن محمد، بحله بنى خفاجه و نهبها و قتل من ظفر به، لکثره فسادهم، و تزايد عنادهم و إخافتهم السابله، و أخذهم کل رفقه من التجار الصادره و القافله، و عوده إلى بغداد ظافرا غانما.

و فيها توفى النقيب الإمام أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلى رحمه الله [ليله الأحد سابع عشر صفر سنه ست و ثلاثين

1- هو اسماعيل بن فضائل بن سعيد البدليسى، نقل سبط ابن الجوزى عن ابن عساکر أنه« أقام إماما بجامع دمشق نيفا و ثلاثين سنه، يؤم الناس، و يتلو القرآن فظهر عليه شى ء من اعتقاده من ميله إلى التشبيه، فعزل عن الإمامه فى رمضان سنه ثمان و عشرين و خمسمائه، و بعث مکانه أبو محمد بن طاووس، فجاءت فى ذلک مرافضات و تعصبات، فاستقر الأمر على أن لا يبقى فى الجامع من يصلى إماما غير إمام الشافعيه و الحنفيه لا غير، و بطلت إمامه المالکيه و الحنابله». انظر تاريخ دمشق لابن عساکر ط. بيروت 2001 ج 71 ص 308- 309.

و خمسمائه(1)] بمرض حاد عرض له، فأضعفه و قضى فيه نحبه، و كان على الطريقه المرضيه، و الخلال الرضيه، و وفور العلم و حسن الوعظ، و قوه الدين، و التنزه مما يقدح فى أفعال غيره من المتفقهين، و كان يوم دفنه يوما مشهورا من كثره المشيعين له، و الباكين حوله، و المؤبنين لأفعاله، و المتأسفين عليه.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه العراق، بالوقعه الهائله بين السلطان الأعظم شاهنشاه المعظم معز الدنيا و الدين أبى الحارث(2) سنجر بن ملک شاه سلطان الشرق، و بين كافر ترک الواصل من ناحيه الصين عند ما وراء النهر، و كان فى عسكر لا يحصى عددا، و قصده السلطان سنجر فى عسكر يناهزه، و التقى الجمعان فظهر عسكر كافر ترک على عسكر السلطان سنجر فكسره و هزمه، و قتل أكثره إلا اليسير ممن حماه أجله، و اشتمل على ما حواه من الأموال و الحرم و الكراع و السواد، و هو شى ء لا يحيط به وصف فيوصف و يحصر، و لا يدركه نعت فيذكر، و عاد السلطان منهزما إلى بلخ(3).

و فيها ورد الخبر بوفاه ضياء الدين أبى سعيد بن الكفرتوثى، وزير الأمير عماد الدين أتابک فى خامس من شعبان، و كان على ما حكى عنه حسن الطريقه، جميل الفعل، كريم النفس، مرضى السياسه، مشهور النفاسه و الرياسه.

1- فراغ فى الأصل تم تداركه من كتاب ذيل طبقات الحنابله لابن رجب الحنبلى. ط. القاهره: 1952: 1/ 198- 201، و قد نقل ابن رجب عن ابن القلانسى.
2- فى الأصل« السلطان المعظم ناصر الدين الله» و التصحيف واضح على العباره مع بعض السقط، و قد تم تقويم ذلک اعتمادا على تاريخ دوله آل سلجوق: 115. راحه الصدور و آيه السرور: 255.
3- ارتبط هذا الصراع بين سنجر و خان الخطا بمحاولات سنجر بسط سيطرته على واحه خوارزم، و قد علق سبط ابن الجوزى على هزيمه سنجر هذه بقوله: « أخذ الله للمسترشد بالثأر و أحل به الهلاک و البوار، إن فى ذلک عبره لأولى الأبصار». انظر الكامل لابن الأثير: 9/ 502. راحه الصدور: 262. مرآه الزمان: 1/ 180.

و فیها ورد الخبر بوفاه الأمیر سعد الدوله، صاحب آمد، و جلوس ولده محمود(1) فی منصبه من بعده (150 و) فانتظم له الأمر من بعد فقده.

و فیها ورد الخبر بوفاه الأمیر ولد الدانشمند رحمه الله، و انتصاب ولده فی منصبه من بعده و استقام له الأمر.

و فیها توفی الشیخ أبو محمد بن طاووس، إمام المسجد الجامع بدمشق، فی یوم الجمعه سابع عشر من المحرم من السنه(2).

سنه سبع و ثلاثین و خمسمائه

فیها وردت الأخبار من ناحیه مصر بعظم الوباء فی الاسکندریه و الدیار المصریه، بحیث هلک هناک الخلق العظیم، و الجم الغفیر.

و فی یوم الأحد، السابع و العشرین من شهر ربیع الأول، توفی القاضی بهجه الملک أبو طالب علی بن عبد الرحمن بن أبی عقیل، بمرض صعب، کان فیه قضاء نحبه، و انتقاله إلی رحمه ربه، و هو من جلاله القدر، و جمیل الذکر علی الطریقه المرضیه المشهوره، و السجیه المستحسنه المشکوره.

و فیها ورد الخبر بظهور صاحب أنطاکیه إلی ناحیه بزاعه، و أن الأمیر سوار، النائب فی حفظ حلب ثناه عنها و حال بینه و بینها(3).

و فیها وردت الأخبار بظهور متملک الروم إلی الثغور دفعه ثانیه بعد

1- فی الأصل« محمد» و التقویم من تاریخ الفارقی- أخبار سنه 536 ه- حیث قال:« و فی منتصف جمادی الأولی من هذه السنه مات الأمیر سعد الدوله أیکلدی بن إبراهیم صاحب آمد، و کان مؤید الدین بن نیسان متولی آمد، فرتب ولده شمس الملوک محمود فی الإماره و قررها، و کانت أمه یمنی خاتون بنت نجم الدین إیلغازی، و کان حسام الدین خاله، و کنت فی صحبه والدی رحمه الله»، و ذکر فی أخبار سنه(542 ه) أنه« وصل عز الدین أبو نصر بن نیسان إلی میافارقین، و عقد علی صفیه خاتون بنت السعید حسام الدین لجمال الدین شمس الملوک محمود ابن ایکلدی صاحب آمد علی خمسین ألف دینار».

2- هو هبه الله بن أحمد بن عبد الله بن على بن طاووس المقرى ء، ذكره الحافظ ابن عساكر و قال: كان إمام جامع دمشق، و كان قبل تسلمه الإمامه يؤدب الصبيان. مرآه الزمان: 1/ 181- 182.
3- انظر زبده الحلب: 2/ 277.

أولی، و برز إلیه صاحب أنطاکیه، و خدمه و أصلح أمره معه، و طیب نفسه، و عاد عنه إلی أنطاکیه(1).

و فیها وردت الأخبار بأن الأمیر عماد الدین أتابک، استوزر الأجل أبا الرضا ولد أخی جلال الدین بن صدقه، وزیر الخلیفه، و فیها ورد الخبر بأن الأمیر عماد الدین أتابک افتتح قلعه أشب(2)، المشهوره بالمنعه و الحصانه.

و فی شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملک الروم.

و فیها توفی القاضی المنتجب أبو المعالی محمد بن یحیی، فی یوم الأربعاء النصف من شهر ربیع الأول منها، و دفن بمسجد القدم رحمه الله، و تولی بعده القضاء ولده القاضی أبو الحسن علی بن محمد القرشی، و کتب له منشور القضاء من قاضی القضاه ببغداد.

سنه ثمان و ثلاثین و خمسمائه

فیها وردت الأخبار من ناحیه العراق، بأن الخبر ورد إلیها بهلاک ملک کافر ترک من ناحیه الصین، الذی کان ظفر بعسکر السلطان سنجر، فی تلک الوقعه المقدم ذکرها.

و فیها ورد الخبر بافتتاح الأمیر عماد الدین قلعه حیزان(3).

1- ذکر المؤرخ السریانی المجهول أن الامبراطور وصل إلی طرسوس، و معه جیش کبیر، و أخذ یعد الترتیبات لغزاه کبری فی سوریه، و أثناء ذلک خرج إلی الصید فأصیب ذراعه بجراح سبب له تورما شدیدا أدی إلی وفاته بعد أیام، و قد قاد هذا إلی عوده الجیش إلی القسطنطینیه.
2- جاء فی الکامل لابن الأثیر: 9/ 7 5- 6: فی هذه السنه- 537 ه- أرسل أتابک زنکی جیشا إلی قلعه أشب، و کانت أعظم حصون الأکراد الهکاریه، و أمنعها، و بها أموالهم و أهلهم، فحصروها و ضیقوا علی من بها فملکوها، فأمر بإخرابها و بناء القلعه المعروفه بالعمادیه عوضا عنها.
3- بلد من دیار بکر، ذکره یاقوت فی معجم البلدان، و جاء فی تاریخ میافارقین فی أخبار سنه/ 537 ه/:« صعد أتابک زنکی إلی دیار بکر، و دخل إلی ولایه الأمیر یعقوب بن السبع الأحمر قزل أرسلان فقصد حیزان ... و کنت بالموصل فی هذه السنه».

و فی شهر رمضان منها (150 ظ) وردت الأخبار من ناحیه العراق، بقتل السلطان داود بن السلطان محمود بن محمد بن ملک شاه بید نفر ندبوا لقتله فاغتالوه و قتلوه، و لم یعرف لهم أصل و لا جهه، و لا علم مستقرهم(1).

و فی ثالث جمادی الأولی منها قبض علی الأمیر الحاجب أسد الدین أکز، و أخذ ماله، و سملت عیناه، و اعتقل، و تفرق عنه أصحابه. و فیها ورد الخبر من ناحیه الأفرنج بهلاک ملکهم الکند أیاجور(2) ملک بیت المقدس، بعله عرضت له کان فیها إتلاف نفسه، و أقیم ولده الصغیر، و أمه مقامه فی الملک، و رضی الأفرنج بذلک، و استقامت الحال علیه.

و فی رمضان منها عزل أبو الکرام عن وزارته [فی] دیوان دمشق لأسباب أنکرت علیه، و أشیاء قبیحه عزیت إلیه.

و فیها ورد الخبر بعزل عماد الدین أتابک وزیره أبا الرضا بن صدقه، لأسباب أوجبت ذاک و دعت إلیه، و أغراض بعثت علیه، و استوزر مکانه(3).

سنه تسع و ثلاثین و خمسمائه

اشاره

فی یوم الخمیس الحادی عشر من المحرم منها توجه الأمیر الرئیس مؤید الدین رئیس دمشق إلی ناحیه صرخد، مستوحشا من أحوال بلغته عن أبی الکرام المستناب فی وزاره دیوان دمشق، و عن الأمیر مؤید الدوله أسامه بن مرشد بن علی بن منقذ، أنکرها من سعیهما، و استبشعها من قصدهما، فسار عن البلد ممتعضا من أقدامهما علی ما

1- قتل فی تبریز من قبل أربعه من حشیشیه الشام. الدعوه الاسماعیلیه الجدیده: 83.
2- هو فولک أوف أنجو، آل الحکم بعد وفاته إلی ولده بلدوین الثالث مع أمه میلیسند. انظر تاریخ ولیم الصوری: 136- 140.
3- فی زبده الحلب لابن العدیم: 2/ 278:« و استوزر أبا الغنائم حبشی بن محمد الحلی».

يخالف أمره، و يضيق صدره، و وصل إليها و تلقاه و اليها بالإكرام لمثواه، و إحسان لقياه، و ترددت المراسلات بينه و بين الأمير معين الدين أتابک، صاحب الأمر و التدبير بدمشق فى هذا الباب، و تكرر المقال بينهما بالاعتذار من كل واحد منهما و العتاب، و لم تزل هذه الحال مترددة بينهما إلى أن أسفرت عن تقرير عوده إلى داره، و إخراج أبى الكرام الوزير و أسامه بن منقذ إلى ناحيه مصر بأهليهما و مالهما و أسبابهما، فسارا من دمشق إلى ناحيه مصر، بعد استئذان صاحبها فى أمرهما، و خروج أذنه بوصولهما فى يوم الخميس السابع من جمادى الأولى من السنه، على سبيل المداراه و المصانعه، و قيل أنهما لقيا من إحسان تلک الدوله السعيده، من الإحسان و جزيل الإنعام ما جرت به عادتها المستحسنه فى حق من يلجأ إلى ظلها، و سابغ عدلها.

و فى يوم الجمعه (151 و) الثالث عشر من جمادى الأولى، عاد الأمير مؤيد الدين إلى دمشق من صرخد، و خرج أهل البلد لتلقيه، و إظهار السرور به، و الاستبشار بعوده، و طابت نفسه ببلوغ أمانيه، و مضى أعاديه الساعين فيه.

و فى شهر ربيع الآخر ورد الخبر بخروج عسكر إلى فرقه وافره من الأفرنج، وصلت إلى ناحيه بعلبک، للعيث فيها، و شن الإغارات فالتقيا فأظفر الله المسلمين بهم، و أظهرهم عليهم، فقتلوا أكثرهم، و استولوا على ما كان معهم، و امتلأت أيدى المسلمين بغنائمهم، و عادوا إلى بعلبک سالمين مسرورين غانمين، و عاد الباقون من الأفرنج إلى مكانهم مفلولين محزونين خاسرين.

و فى جمادى الأولى منها، ورد الخبر من ناحيه الشمال بأن عسكر حلب ظفر بفرقه كبيره من التجار و الأجناد، و غيرهم، خرجت من أنطاكيه تريد بلاد الأفرنج، و معها مال كثير و دواب و متاع و أثاث، فأقعوا بها، و اشتملوا على ما كان فيها، و قتلوا من كان معها من

خياله الأفرنج لحمايتها و الذب عنها، و عاد إلى حلب بالمال و السبى و الأسرى و الدواب(1).

و فى يوم السبت الثالث عشر من رجب من السنه، توفى الأخ الأمين أبو عبد الله محمد بن أسد بن على بن محمد التميمى عن أربع و ثمانين سنه، بعله الذرب، و دفن بتربه اقترحها، خارج باب الصغير من دمشق، و كان على الطريقه المرضيه من حسن الأمانه و التصون و الديانه، و لزوم داره و التنزه عن كل ما يوتغ(2) الدين، و يكره بين خيار المسلمين، غير مكاثر الناس، و لا معاشر لهم، و لا متخلط بهم.

و فى هذه السنه وردت الأخبار من ناحيه الشمال بأن الأمير عماد الدين أتابک افتتح مدينه الرها بالسيف، مع ما هى عليه من القوه و الحصانه و الامتناع على قاصديها، و الحمايه على طالبيها من العساكر الجمه و منازليها، و إن السبب فى ذلک أن الأمير عماد الدين أتابک، لم يزل لها طالبا، و فى تملكها راغبا، و لانتهاز الفرصه فيها مترقبا، لا يبرح ذكرها جائلا فى خلده و سره، و أمرها ماثلا فى خاطره و قلبه، إلى أن عرف أن جوسلين صاحبها، قد خرج منها فى جل رجاله و أعيان حماته و أبطاله لأمر اقتضاه، و سبب من الأسباب إلى البعد عنها دعاه، للأمر المقضى و القدر النازل، فحين تحقق (151 ظ) ذاک بادر بقصدها، و سارع إلى النزول فى العسكر الدثر عليها لمضايقتها، و الحصر لمن فيها، و كاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونه عليها، و الإسعاد و أداء فريضه الجهاد، فوصل إليه منهم الخلق الكثير، و الجم الغفير بحيث أحاطوا بها من جميع الجهات، و حالوا بينها و بين ما يصل إليها من المير و الأقوات، و الطائر لا يكاد يقرب منها خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها، و يقظه المضيقين عليها، و نصب على أسوارها المناجيق، ترمى عليها دائما،

1- انظر زبده الحلب: 2/ 277- 278.
2- وتغ: أهلک. النهايه لابن الأثير.

و المحاربه لأهلها مصرا و مواظبا، و شرع الخراسانيون و الحلبيون العارفون بمواضع النقوب، الماضون فيها، فنقبوا فى عده مواضع عرفوا أمرها، و تيقنوا نفعها و ضرها، و لم يزالوا على هذه الحال فى الإيغال فى النقب، و التمادى فى بطن الأرض إلى أن وصلوا إلى تحت أساس أبراج السور، فعلقوه بالأخشاب المحكمه، و الآلات المنتخبه، و فرغوا من ذلک، و لم يبق غير إطلاق النار فيها، فاستأذنوا عماد الدين أتابک فى ذلک، فأذن لهم بعد أن دخل فى النقب، و شاهد حاله، و استعظم كونه و هاله، فلما أطلقت النار فى تعليق النقوب تمكنت من أخشابها و أبادتها، فوقع السور فى الحال، و هجم المسلمون البلد بعد أن قتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم، و قتل من الأفرنج و الأرمن و جرح ما أوجب هزيمتهم عنه، و ملک البلد بالسيف فى يوم السبت السادس و عشرين من جمادى الآخره منها، ضحوه النهار(1)، و شرع فى النهب و الغنائم و السبى، ما سرت به النفوس، و ابتهجت بكثرته القلوب، و شرع عماد الدين أتابک بعد أن أمر برفع السيف و النهب فى عماره ما انهدم، و ترميم ما تشعث، و رتب من رآه لتدبير أمرها(2) و حفظها، و الاجتهاد فى مصالحها، و طيب بنفوس أهلها، و وعدهم بإجمال السيره فيهم، و بسط المعدله فى أقاصيهم و أدانيهم، و رحل عنها و قصد سروج، و قد هرب الأفرنج منها، فملكها و جعل لا يمر بعمل من أعمالها، و لا معقل من معاقلها، فينزل عليه إلا سلم إليه فى الحال (152 و).

و توجه إلى حصن البيره من تلک الأعمال، و هو غايه فى الامتناع على طالبه، و الصعوبه على قاصده، فنزل عليه و شرع فى محاربته و مضايقته،

1- فى ترجمه زنكى فى بغيه الطلب لابن العديم مواد جيده عن سقوط الرها، و قد نشرتها فى موسوعتنا هذه ج 16 ص 378- 391. إنما على أهميه المواد فى المصادر العربيه يبقى ما ذكره المؤرخ السريانى المجهول أكثر تفصيلا و أعظم أهميه، لأنه كان من أهل الرها و شاهد عيان لما حصل. أنظر هذه فى الجزء الخامس من موسوعتنا هذه.
2- عين زين الدين على كوجک صاحب إربيل و شهرزور حاكما على الرها، هذا ما ذكره المؤرخ السريانى المجهول.

و قطع عنه سائر من يصل إليه بالقوت و الميره و المعونه و النصره، و لم يزل محاصرا له و محاربا و مضيقا إلى أن ضعف أمره، و عدمت الميره فيه، و ورد على عماد الدين و قد أشرف على ملكته من خبر نائبه فى الموصل الأمير جقر بن يعقوب، فى الوثوب عليه و قتله، ما أزعجه و أقلقه، و رحله عنها لكشف الحال الحادثه بالموصل(1)، مما يأتى شرح ذلک فى موضعه.

و فى جمادى الأولى منها ورد الخبر بأن الأمير عماد الدين أتابک انتهى إليه أن أهل حديثه(2) عانه قد خالفوا أمره، و عصوا عليه، فأنهض إليها من عسكره فريقا وافرا، فقصدها و نزل عليها و حاربها و ضايقها، و ملكها بالسيف و قتل أكثر أهلها و نهبها، و بالغ فى إهلاک من بها.

و فى شهر رمضان منها ورد الخبر من ناحيه الشمال بأن عسكر الأفرنج المجتمع بناحيه أنطاكيه لإنجاد أهل الرها من جميع أعمالها و معاقلها(3) .... و كان عماد الدين أتابک قد أنهض إليه جيشا وافر العدد، من طوائف التركمان و الأجناد، فهجموا عليه بغته و أوقعوا بمن و جدوه فى أطرافه و نواحيه، و فتكوا به، فرحل فى الحال و قد استولوا على كثير من الأفرنج قتلا و أسرا، و اشتملوا على جمله وافره من كراعهم، و تحكم السيف فى أكثر الراجل، و تفرقوا فى أعمالهم و معاقلهم مفلولين مخذولين خاسرين.

و فيها كانت الحادثه على الأمير نصير الدين جقر بن يعقوب، النائب عن الأمير عماد الدين فى ولايه الموصل.

1- أورد ابن الأثير فى كتابه الباهر تفاصيل عظيمه عن حوادث الموصل الانقلابيه ضد زنكى ص: 71- 72.
2- فى الأصل« الحديثه عانه» و حذفت أداه التعريف كيما يستقيم المعنى.
3- ألم بالنص سقط لم أتمكن من جبره من المصادر العربيه المتوفره، و قد تحدث المؤرخ السريانى أن أحد قاده جوسلين صاحب الرها، و اسمه روبرت السمين قام بعد ما انضم إليه عدد من قاده الفرنج بالتوجه نحو البيره لمساعدتها فنال عظيم الإخفاق.

شرح الحال فی ذلک

كان الملک فرخانشاه (الخفاجی) بن السلطان محمود بن محمد بن(1) ملک شاه قد حدث نفسه علی العمل علی الأمیر نصیر الدین، الوالی بالموصل، و الفتک به، و ملکه الموصل، و بالتفرد بالأمر، و اشتمال جماعه من غلمان الأمیر عماد الدین أتابک، تقدیر أربعین غلاما، من وجوه الغلمان مع أصحابه و خواصه، و رقب الفرصه فیه و الغفله منه، مع شده تیقظه، و مشهور احتراسه و تحفظه، إلی أن اتفق رکوبه (152 ظ) فی بعض الأیام للتسلیم علی الخاتون فی دارها، و قد خلا من حماته و وجوه أصحابه، و رصدوه، فلما حصل فی دهلیز الدار، و ثبوا علیه فقتلوه، و أدرکه أصحابه، و من فی البلد من أصحاب عماد الدین، فهرب من هرب، و مسکوا الملک ابن السلطان، فمانع فجرح، و أخذ و اعتقل معه أکثر الغلمان المشارکین فی دمه، و توثق منهم بالاعتقال لهم و الاحتیاط علیهم، و ذلک فی یوم [الثامن من ذی القعده سنه تسع و ثلاثین و خمسمائه](2) و کتب إلی عماد الدین بصوره هذه الحال و هو منازل لقلعه البیره فی عسکره، و أقلقه سماع هذا الخبر الشنیع، و الرزء الفظیع، و رحل فی الحال عن البیره، و قد شارف افتتاحها و الاستیلاء علیها، و هو متفجع بهذا المصاب، متأسف علی ما أصیب به متیقن أنه لا یجد بعده من یقوم مقامه و لا یسد مسده، و ارتاد من یقیمه فی موضعه و ینصبه فی منصبه، فوقع اختیاره علی الأمیر علی کوجک لعلمه بشهامته و مضائه فی الأمور، و بسالته، و ولاه مکانه، و عهد إلیه أن یقتفی آثاره فی الاحتیاط و التحفظ، و یتبع أفعاله فی التحرز و التیقظ، و إن کان لا یغنی غناءه، و لا

1- فی الأصل:« کان الملک فرخانشاه بن السلطان ... أخی السلطان محمد بن» و قد ألم بالنص اضطراب مرده إلی الناسخ، وتم التقویم من دوله آل سلجوق للعماد الأصفهانی: 187، حیث جاء فی:« کان مع زنکی ملکان من أولاد السلطان محمود بن محمد بن ملکشاه، أحدهما یسمی ألب أرسلان و هو فی معقل من معاقل سنجار، و الآخر یسمی فرخانشاه، و یعرف بالملک الخفاجی و هو بالموصل ...».
2- فراغ فی الأصل، و قد أضفت ما بین الحاصرتین من تاریخ الفارقی/ 179 و/.

يضاهى كفايته و مضاءه، فتوجه نحوها، و حصل بها، و ساس أمورها سياسه سكنت معها نفوس أهلها، و اطمأنت معها قلوب المقيمين فيها، و بذل جهده فى حمايه المسالک، و أمن السوابل، و قضاء حوائج ذوى الحاجات، و نصره أرباب الظلامات، فاستقام له الأمر، و حسنت بتدبيره الأحوال، و تحققت بيقظته فى أعماله الآمال، و قد كان لنصير الدين هذا المقصود أخبار فى العدل و الإنصاف و تجنب الجور و الاعتساف متداوله بين التجار و المسافرين، و متناقله بين الواردين و الصادرين من السفار، و قد كان دأبه جمع الأموال من غير جهه من حرام و حلال، لكنه يتناولها بألطف مقال و أحسن فعال، و أرفق توصل و احتيال، و هذا فن محمود من ولاه الأمور و قصد سديد فى سياسه الجمهور، و هذه هى الغايه فى مرضى السياسه، و النهايه فى قوانين الرئاسه.

و فى أواخر هذه السنه فرغ من عماره المسجد، الذى تولى عمارته و اختيار بقعته الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين (153 و) مقدم الأكراد بظاهر باب الفراديس من دمشق، بعقب الجسر القبلى، و كان مكانه أولا مستقبح المنظر، و أجمع الناس على استحسان بقعته، و اقتراح هيئته بعد أن أنفق عليه المبلغ الوافر، من ماله، مع جاهه، رغبه فى حسن الذكر فى الدنيا، و وفور الثواب و الأجر فى الأخرى، إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

سنه أربعين و خمسمائه

فى جمادى الأولى منها، تناصرت الأنباء من ناحيه الأمير عماد الدين أتابک، بصرف الاهتمام إلى التأهب و الاستعداد و الجمع و الاحتشاد، لقصد الغزو و الجهاد، و شاعت عنه الأنباء بأنه ربما قصد الأعمال الدمشقيه، و النزول عليها، و لم تزل أخباره بذلک متصله، و ما هو عليه بالاستكثار من عمل المناجيق و آله الحرب، و ما يحتاج إليه لتذليل كل ممتنع صعب إلى أوائل شعبان، و وردت الأخبار عنه بأن عزيمته عن ذلک قد انحرفت، و أعنه رأيه إلى غيره قد ثنيت، و أعيدت المناجيق إلى

ناحیه حمص من بعلبک، و قیل إن الخبر وافاه من جهه الرها بأن جماعه من الأرمن عملوا علیها، و أرادوا الإیقاع بمن فیها من مستحفظیها، و أن مکتوم سرهم ظهر، و مخفی أمرهم بدا و انتشر، و أن الجناه أخذوا و تتبعوا، و قوبلوا علی ذلک بما یقابل به من یسعی فی الأرض بالفساد، من: القتل، و الصلب، و التشرید فی البلاد.

و فی أوائل شعبان من السنه وردت الأخبار من ناحیه بغداد، بوصول السلطان غیاث الدنیا و الدین مسعود بن محمد(1) بن ملک شاه إلی بغداد، و قیل أنه وجل من أخیه السلطان طغرل بن محمد(2)، لأنه قد جمع، و اجتهد فیما حشد، و هو عازم علی لقائه و الإیقاع بعسکره.

و فی هذه السنه وردت الأخبار من ناحیه مصر بوفاه الأمیر المعظم أبی المظفر خمارتاش الحافظی، صاحب باب الإمام الحافظ لدین الله أمیر المؤمنین، صاحب مصر بعله عرضت له و قضی فیها نحبه، و قیل إنه کان حسن الطریقه جمیل الفعل، مشکور القصد.

قال الرئیس الأجل مجد الرؤساء أبو یعلی حمزه بن أسد بن محمد التمیمی: قد انتهیت فی شرح ما شرحته من (153 ظ) هذا التاریخ و رتبته و تحفظت من الخطأ و الخطل و الزلل فیما علقته، من أفواه الثقات و نقلته و أکدت الحال فیه بالاستقصاء و البحث إلی أن صححته إلی هذه السنه المبارکه، و هی سنه أربعین و خمسمائه، و کنت قد منیت منذ سنه خمس و ثلاثین و خمسمائه و إلی هذه الغایه بما شغل الخاطر عن الاستقصاء عما یجب إثباته فی هذا الکتاب، من الحوادث المتجدده فی الأعمال، و البحث عن الصحیح منها، فی جمیع الأحوال، فترکت بین کل سنتین من السنین بیاضا فی الأوراق لیثبت فیه ما یعرف صحته من الأخبار، و تعلم حقیقته من الحوادث و الآثار، و أهملت فیما ذکرته من أحوال

1- فی الأصل:« مسعود بن محمود بن محمد»، و محمود زیاده حذفت و سبق مثل هذا.
2- فی الأصل:« طغرل بن محمود» و أبدلت محمود بمحمد، و سبق مثل هذا.

سلاطين الزمان فيما تقدم، و فى هذا الأوان استيفاء ذكر نعوتهم المقرره و ألقابهم المحرره، تجنبا لتكريرها بأسرها، و الإطاله بذكرها، و لم تجر بذلک عاده قديمه، و لا سنه سالفه فى تاريخ يصنف، و لا كتاب يؤلف، و إنما كان الرسم جاريا فى القديم بإطراح الألقاب و الإنكار لها، بين يدى ذوى العلوم و الآداب، فلما ظهرت الدوله البويهيه الديلميه، و لقب أول مسعود نبغ فيها بعماد الدوله بن بويه ثم أخوه و تاليه فى الولاده و السعاده بركن الدوله أبى على، ثم أخوهما بمعز الدوله أبى الحسين و كل منهم قد بلغ من علو المرتبه و المملكه، و نفاذ الأمر فى العراق و خراسان و الشام إلى أوائل المغرب ما هو مشهور و ذكره فى الآفاق منشور، و لما علا قدر الملک عضد الدوله فناخسره بن ركن الدوله أبى على بن بويه بعدهم، و ظهر سلطانه، و علا شأنه، و ملک العراق بأسره و ما والاه من البلاد و المعاقل، و خطب له على المنابر، زيد فى نعوته فى أيام المطيع لله أمير المؤمنين رحمه الله: تاج المله، و لم يزد أحد من إخوته: مؤيد الدوله، صاحب أصفهان، و فخر الدوله، صاحب الرى و ما والاهما، و انضاف إليهما على اللقب الواحد.

و لم يزل الأمر على ذلک مستمرا إلى أن ظهر أمر السلطان ركن الدنيا و الدين طغرلبک محمد بن ميكال بن سلجق، و قويت شوكه الترک، و انخفضت الدوله البويهيه و اضمحلت و انقرضت، و لقب السلطان طغرلبک لما ظهر أمره فى العراق، و اجتاح شأفه أبى الحارث أرسلان الفساسيرى فى أيام (154 و) الإمام الخليفه القائم بأمر الله أمير المؤمنين رحمه الله ب: «السلطان المعظم، شاهنشاه الأعظم، ركن [الدنيا و] الدين، غياث المسلمين، بهاء دين الله، و سلطان بلاد الله، و مغيث عباد الله، يمين خليفه الله طغرلبک».

ثم زاد الأمر فى ذلک إلى أن أضيف إلى ألقاب ولاه الأطراف: الدين، و الإسلام، و الأنام، و المله، و الأمه، و غير ذلک، بحيث اشترک فى هذا

الفن الخاص و العام، لا سيما فى هذا الأوان و ألقاب سلاطينه، لأن منهم:

سلطان خراسان، السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم مالک رقاب الأمم، سيد سلاطين العرب و العجم، ناصر دين الله، مالک عباد الله، الحافظ بلاد الله، سلطان أرض الله، معين خليفه الله، معز الدنيا و الدين، کهف الإسلام و المسلمين، عضد الدوله القاهره، تاج المله الظاهره، و غياث الأمم الباهره أبو الحارث سنجر بن ملک شاه، برهان أمير المؤمنين، و سلطان العراق: السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم، مالک رقاب الأمم، مولى العرب و العجم جلال دين الله، سلطان أرض الله، ناصر عباد الله، ظهير خليفه الله، غياث الدنيا و الدين، رکن الإسلام و المسلمين، عضد الدوله القاهره، و مغيث الأمم الباهره، أبو الفتح مسعود بن محمد(1) بن ملک شاه قسيم أمير المؤمنين.

و سلطان الشام و غيره: الأمير الأسفهسلار الکبير، العادل المؤيد، المظفر، المنصور، الأوحد، عماد الدين، رکن الإسلام، ظهير الأنام، قسيم الدوله، معين المله، جلاله الأمه، شرف الملوک، عمده السلاطين، قاهر الکفره و المتمردين، قامع الملحدين و المشرکين، زعيم جيوش المسلمين، ملک الأمراء، شمس المعالى، أمير العراقين و الشام بهلوان جهان، ألب غازى إيران، اينانج قتلغ طغرلبک أتابک أبو سعيد زنکى بن آق سنقر، نصير أمير المؤمنين.

و صاحب دمشق: الأمير الأسفهسلار الکبير، العادل المؤيد، المظفر، المنصور، ظهير الدين، عضد الإسلام، ناصر الإمام، تاج الدوله سيف المله، محيى الأمه، شرف الملوک، عماد الأمراء، کهف المجاهدين، زعيم جيوش المسلمين، أبو سعيد آبق بن محمد بن بورى أتابک، سيف أمير المؤمنين.

1- فى الأصل:« مسعود بن محمود بن محمد»، و محمود زياده حذفت و سبق مثل هذا.

سنه إحدى و أربعين و خمسمائه

(154 ظ) قد تقدم من ذكر عماد الدين أتابک زنکی، فی أواخر سنه أربعين و خمسمائه، فی نزوله علی قلعه دوسر(1) علی غره من أهلها، و هجمه علی ربضها و نهبه، و أخذ أهله ما لا حاجه إلی إعاده ذکره، و شرح أمره، و لم يزل مضايقا لها، و محاربا لأهلها فی شهر ربيع الآخر من سنه إحدی و أربعين و خمسمائه، حتی وردت الأخبار بأن أحد خدمه، و من کان يهواه و يأنس به، يعرف بيرنقش و أصله افرنجی، و کان فی نفسه حقد عليه لإساءه تقدمت منه إليه فأسرها فی نفسه، فلما وجد منه غفله فی سکره، و وافقه بعض الخدم من رفقته علی أمره، فاغتالوه عند نومه فی ليله الأحد السادس من شهر ربيع الآخر من السنه، و هو علی الغايه من الاحتياط بالرجال و العدد، و الحرس الوافر العدد حول سرادقه، فذبحه علی فراشه بعده ضربات تمکنت من مقاتله، و لم يشعر بهم أحد، حتی هرب الخادم القاتل إلی قلعه دوسر المعروفه حينئذ بجعبر، و فيها صاحبها الأمير عز الدين علی بن مالک بن سالم بن مالک، فبشره بهلاکه، فلم يصدقه، و آواه إلی القلعه و أکرمه، و عرف حقيقه الأمر، فسر بذلک، و استبشر بما آتاه الله من الفرج بعد الشده الشديده، و الإشفاء علی الهلکه، بتطاول المحاصره و المصابره، و إرسال خواصه و ثقاته إليه بما استدعاه منه، و اقترحه عليه من آلات فاخره، و ذخائر وافره أشار إليها، و عين عليها، و وعده إذا حصلت عنده بالإفراج عنه، فعند حصول ذلک لديه مع أصحابه، غدر بهم، و عزم علی الإساءه إليهم، فأتاه من القضاء النازل، الذی لا دافع له و لا مانع عنه، ما صار به عبره لأولی الأبصار، و عبره لذوی العقول و الأفکار، و تفرقت

1- کذا، و ما ذکره المؤلف هو عدم توجه زنکی نحو دمشق و کشف خبر مؤامره فی الرها، فلعل ذلک سقط من الأصل، و قلعه دوسر هی قلعه جعبر، قائمه الآن وسط بحيره سد الفرات فی سوريه.

جیوشه أیدی سبأ، و نهبت أمواله الجمه، و خزائنه الدثره، و قبر هناک بغیر تکفین إلی أن نقل کما حکی إلی مشهد علی [فی](1) الرقه.

و توجه الملک ولد السلطان المقیم کان معه فیمن صحبه، و انضم إلیه، إلی ناحیه(2) الموصل، و معه سیف الدین غازی بن عماد الدین أتابک، رحمه الله، و امتنع علیهم الوالی بالموصل علی کوجک أیاما إلی حین تقررت الحال بینهم، ثم فتح الباب، و دخل ولده و استقام له الأمر (155 و) و انتصب منصبه.

و عاد الأمیر سیف الدوله سوار و صلاح الدین فی تلک الحال إلی ناحیه حلب، و معهم الأمیر نور الدین محمود بن عماد الدین أتابک، و حصل بها، و شرع فی جمع العساکر و إنفاق المال فیها، و استقام له الأمر و سکنت الدهماء و فصل عنه الأمیر صلاح الدین(3) و حصل بحماه

1- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق. انظر الحاشیه الثالثه التالیه.
2- هو الملک ألب أرسلان ابن السلطان محمود، انظر حول ملابسات الصراع علی السلطه بعد مقتل زنکی، الباهر: 84- 86.
3- الیاغیسیانی، و قد نقل ابن العدیم فی ترجمه زنکی فی کتابه بغیه الطلب أن قاتل زنکی« جاء إلی تحت القلعه فنادی أهل القلعه: شیلونی فقد قتلت السلطان فقالوا له: اذهب إلی لعنه الله قد قتلت المسلمین کلهم بقتله، و افترقت العساکر، فأخذ أولاد الدایه نور الدین محمود الملک العادل ابن عماد الدین زنکی، و طلبوا حلب و الشام، فملکها و سار أجناد الموصل بسیف الدین غازی إلی الموصل و أعمالها فملکها و ملک الجزیره، و بقی عماد الدین أتابک زنکی وحده، فخرج إلیه أهل الرافقه فغسلوه بقحف جره، و دفنوه علی باب مشهد الإمام علی علیه السلام فی جوار الشهداء من الصحابه». و نقل الفارقی فی تاریخه روایه و ثائقیه حول مقتل زنکی و وصف الحال من بعده حیث قال:« و لقد سألت الوالی الصدر الکامل قاضی القضاه کمال الدین أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوری، أدام الله ظله فی سنه أربع و أربعین و خمسمائه بالموصل عن قتل أتابک و ما جری، فقال: کنا نازلنا القلعه مده، فلما کان بعض الأیام خرج الأمیر حسام الدین المنبجی و صاح: أرید أکلم الأمیر علی- و هو سیف الدوله أبو الحسن علی بن مالک- فتراءی له من علی السور، و قال له:

تعلم ما بينى و بينک من الصداقه، و أنت تعرف أتابک و ما هو عليه، و مالک من تلتجى ء إليه و لا من يصرفه عنک، و الرأى أن تسلم و إلا إن أخذها بالسيف يجرى ما لا تقدر على دفعه، و بعد هذا إيش تنتظر؟ فقال له: يا أمير حسان انتظر الفرج من الله تعالى، و ما انتظرت على منبج لما حاصرها الأمير بلک، و كفاک الله أمره. فقال جمال الدين: و الله ما كان إلا تلک الليله نصف الليل، و كان ذلک اليوم الأربعاء- - خامس شهر ربيع الآخر، و قيل تاسعه سنه إحدى و أربعين و خمسمائه، و الصائح جاءنا من القلعه يصيح: قتل أتابک، و اختبط الناس و ماجوا، و كان سبب ذلک أن الأمير أتابک كان يبيت فى الخيمه و عنده خادم، فما كان يبيت عنده غيره، فلما نام تلک الليله قتله الخادم فى الخيمه، و أخذ السكين بالدم و خرج و طلع إلى الربض إلى تحت القلعه و صاح إليهم: قتلت أتابک، فلم يصدقوه، فأراهم السكين و علامه أخرى كان أخذها من عنده، فأصعدوه إليهم و حققوا الحال منه، و صاحوا، فاختبط الناس و اختلفوا، و قصد الناس مخيم جمال الدين الوزير فنهب و انهزم، و جاء إلى، و قصدنى الأمراء و الكبار و ركبت و قالوا: ما رأى الملک؟ فقصدوا و قصدت خيمه ألب أرسلان بن محمود و قلت: أنا و الناس و أتابک، غلمان الملک، و البلاد له و الكل خدمه، و مماليک السلطان فاجتمع الناس على الملک، و تفرق الناس فرقتين، فأخذ صلاح الدين محمد بن أيوب الياغيسيانى نور الدين محمود بن أتابک و عسكر الشام، و مضوا إلى الشام، فملک حلب و حماه و منبج و حران و حمص، و جميع ما بيد أتابک من الشام و استقر به، و سرنا نحن مع الملک و عساكر ديار ربيعه فطلبنا الموصل، فوصلنا إلى سنجار، فانهزم الملک، و طلب الجزيره، فلحقه أخى تاج الدين أبو طاهر يحيى بن الشهرزورى، رحمه الله، و عز الدين أبو بكر الدبيسى، و حلفا له، ورداه إلى المعسكر، و نزلوا إلى الموصل». و لتوضيح بعض ما جاء فى نص الفارقى روى ابن العديم فى ترجمه زنكى قال:« أخبرنى الأمير بدران بن جناح الدوله حسين بن مالک بن سالم بن مالک العقيلى قال: لما طال حصار أتابک زنكى لعمى على بن مالک على قلعه جعبر تقدم حسان البعلبكى صاحب منبج إلى عمى و قال له من تحت القلعه: يا أمير على ايش بقى يخلصک من أتابک، فقال له: يا عاقل يخلصنى الذى خلصک من جب خرتبرت، فذبح أتابک فى تلک الليله، و كان حسان قد قبض عليه بلک بن بهرام بن أرتق، و طلب منه أن يسلم إليه منبج فلم يفعل فسيره إلى خرتبرت و حبسه فى جب بها، و حاصر منبج، فجاءه سهم فقتله عليها، و خلص حسان، و عاد إلى منبج».

ولايته، على سبيل الاستيحاش، و الخوف على نفسه، من أمر يدبر عليه على أن الأعمال كانت قد اضطربت، و المسالک قد اختلت بعد الهيبه المشهوره، و الأمنه المشکوره، و انطلقت أيدى الترکمان و الحراميه فى الإفساد فى الأطراف، و العيث فى سائر النواحى و الأکناف، و نظمت فى صفه هذه الحال أبيات من الشعر، تنطق بذکرها، و تعرب بالاختصار عن جليه أمرها، فمنها من جمله قصيده يطول شرحها بتشبيبها:

کذاک عماد الدين زنکى تنافرت سعادته عنه و خرت دعائمه

و کم بيت مال من نضار و جوهرو أنواع ديباج خوتها مخاتمه

و أضحت بأعلى کل حصن مصونهيحامى عليها جنده و خوادمه

و من صافنات الخيل کل مطهم تروع الأعادى حلبه و براجمه

و لو رامت الکتاب وصف شياتهابإقلامها ما أدرک الوصف ناظمه

و كم معقل قد رامه بسيوفه و شامخ حصن لم تفته غنائمه

و دانت ولاه الأرض فيها لأمره و قد أمنتهم كتبه و خواتمه

و أمن من فى كل قطر بهيبهتراع بها أعرابه و أعاجمه

و ظالم قوم حين يذكر عدله فقد زال عنهم ظلمه و خصائمه

و أصبح سلطان البلاد بسيفه و ليس له فيها نظير يزاحمه

و كم قد بنى دارا يباهى بحسنهاجنان خلود أحكمتها عزائمه

مزخرفه بالتبر من كل جانب و أغصان بقش قد تحلت حمائمه

و زاد على الأملاک بأسا و سطوهو لم يبق فى الأملاک ملک يقاومه

فلما تناهى ملكه و جلاله و راعت ولاه الأرض منه لوائمه (155 ظ)

أتاه قضاء لا يرد سهامه فلم ينجه أمواله و مغانمه

و أدركه للحين منها حمامه و حامت عليه بالمنون حوائمه

و أضحى على ظهر الفراش مجدلاصريعا تولى ذبحه فيه خادمه

و قد كان فى الجيش اللهام مبيته و من حوله أبطاله و صوارمه

و سمر العوالى حوله بأكفهم تذود الردى عنه و قد نام نائمه

و من دون هذا عصبه قد ترتبت بأسهمها بردى من الطير حائمه

و كم رام فى الأيام راحه سره و همته تعلو و تقوى شكائمه

فأودى و لم ينفعه مال و قدرهو لا عنه رامت للقضاء مخاذمه

و أضحت بيوت المال نهبى لغيره يمزقها أبناؤه و مظالمه

و كم مسلک للسفر أمن سبله و مسرح حى أن تراع سوائمه

و كم ثغر إسلام حماه بسيفه من الروم لما أدركته مراحمه

فلما تولى قام كل مخالف و شام حساما لم يجد و هو شائمه

و أطلق من فى أسره و حبوسه و فكت عن الإقدام منه أداهمه

و عاد إلى أوطانه بعد خوفه و طابت له بعد السغوب مطاعمه

و فرت و حوش الأرض حين تمزقت كواسره عنها و فلت سواهمه

و لم يبق جان بعده يحذر الردى و لا داعر يخشى عليه مناقمه

فمن ذا الذى يأتى بهيبه مثله و تنفذ فى أقصى البلاد مراسمه

فلو رقيت فى كل مصر بذكره أراقمه ذلت هناک أراقمه

و من ذا الذی ینجو من الدهر سالماإذا ما أتاه الأمر و الله حاتمه

و من رام صفوا فی الحیاه فما یری له صفوه عیش و الحمام یحاومه

فإیاک لا تغبط ملیکا بملکه و دعه فإن الدهر لا شک قاصمه

فإن کان ذا عدل و أمن لخائف فلا شک أن الله بالعدل راحمه

و قل للذی یبنی الحصون لحفظه رویدک ما تبنی فدهرک هادمه (156 و)

فکم ملک قد شاد قصرا مزخرفاو فارق ما قد شاده و هو عادمه

و أصبح ذاک القصر من بعد بهجهو قد درست آثاره و معالمه

و فی مثل هذا عبره و مواعظبها یتناسی المرء ما هو عازمه

و هذه صفاته فیما ملکه من البلاد و الثغور و المعاقل، و حازه من الأموال و القلاع و الأعمال، و نفوذ أوامره فی سائر الأطراف و الأکناف، ثم أتاه القضاء الذی لا یدافع، و القدر الذی لا یمانع، و حین اتصل هذا الخبر الیقین إلی معین الدین، و عرف صوره الحال، شرع فی التأهب و الاستعداد لقصد بعلبک، و انتهاز الفرصه بآلات الحرب و المنجنیقات، و نهد إلیها و نزل علیها و ضایقها، و نصب الحرب علی مستحفظیها، و لم یمض إلا الأیام القلائل حتی قل الماء فیها قله، دعتهم إلی النزول علی حکمه، و کان الوالی بها(1) ذا حزم و عقل و معرفه بالأمور، فاشترط ما قام له به من إقطاع و غیره، و سلم البلده و القلعه إلیه، و وفی له بما قرر الأمر علیه، و تسلم ما فیه من غله و آله فی أیام من جمادی الأولی من السنه، و راسل معین الدین الوالی بحمص، و تقررت بینه و بینه مهادنه و موادعه یعودان بصلاح الأحوال و عماره الأعمال، و وقعت المراسله فیما بینه و بین صلاح الدین بحماه، و تقرر بینهما مثل ذلک، ثم انکفأ بعد ذلک إلی البلد عقیب فراغه من بعلبک، و ترتیب من رتبه لحفظها و الإقامه فیها، فی یوم السبت الثامن عشر من جمادی الآخره من السنه، و صادف الخادم یرنقش القاتل لعماد الدین أتابک رحمه الله، قد فصل

1- أیوب بن شادی والد صلاح الدین الأیوبی.

عن قلعه جعبر لخوف صاحبها من طلبه منه، و وصل إلى دمشق متيقنا أنه قد أمن بها، و مدلا بما فعله، و ظنا منه أن الحال على ما توهمه، فقبض عليه، و أنفذ إلى حلب صحبه من حفظه و أوصله إليها، فأقام بها أياما، ثم حمل إلى الموصل، و ذكر أنه قتل بها.

و وردت الأخبار فى أثناء ذلک فى أيام من جمادى الآخره من السنه بأن ابن جوسلين جمع الأفرنج من كل ناحيه، و قصد مدينه الرها على غفله بموافقه من النصارى المقيمين فيها فدخلها و استولى عليها، و قتل من فيها (156 ظ) من المسلمين فضاقت الصدور باستماع هذا الخبر المكروه، و وردت الأخبار مع ذلک، بأن الأمير نور الدين صاحب حلب نهض فى عسكره، و من انضاف إليه من التركمان عند وقوعه على الخبر، و تقدمه سيف الدوله سوار، و أغذوا السير ليلا و نهارا و غدوا و ابتكارا، مع من اجتمع من الجهات، و هم الخلق الكثير، و الجم الغفير زهاء عشره آلاف فارس، و وقفت الدواب فى الطرقات من شده السير و وافوا البلد، و قد حصل ابن جوسلين و أصحابه فيه، فهجموا عليهم و وقع السيف فيهم، و قتل من أرمن الرها و النصارى من قتل، و انهزم [من انهزم] إلى برج يقال له برج الماء، فحصل ابن جوسلين فى تقدير عشرين فارسا من أبطال أصحابه، و أحدق بهم المسلمون من جهاته، و شرعوا فى النقب عليهم، و ما كان إلا بقدر كلا و لا، حتى تعرقب البرج، و انهزم ابن جوسلين، و أفلت منه فى الخفيه مع أصحابه، و أخذ الباقون، و محق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها، و استخلص من كان أسر من المسلمين، و نهب منها الشى ء الكثير من المال و الأثاث و السبى، و سرت النفوس بهذا النصر بعد الحزن و الإنخزال، و قويت القلوب بعد الفشل و الانخذال، و انكفأ المسلمون بالغنائم و السبى إلى حلب و سائر الأطراف.

و فى شوال من هذه السنه، ترددت الرسل و المراسلات بين الأميرين نور الدين محمود ابن عماد الدين أتابک صاحب حلب، و معين الدين أنر

إلى أن استقرت الحال بينهما على أجمل صفه، و أحسن قضيه، و انعقدت الوصله بين نور الدين و بين ابنه معين الدين، و تأكدت الأمور على ما اقترح كل منهما، و كتب كتاب العقد فى دمشق بمحضر من رسل نور الدين، فى الخميس الثالث و العشرين من شوال سنه إحدى و أربعين و خمسمائه، و شرع فى تحصيل الجهاز، و عند الفراغ منه توجهت الرسل عائده إلى حلب، و فى صحبتهم ابنه معين الدين و من فى جملتها من خواص الأصحاب فى يوم الخميس النصف من ذى القعده من السنه.

و كان معين الدين قد حصل آلات الحرب و المنجنيقات، و جمع من أمكنه جمعه من الخيل و الرجل، و توجه إلى ناحيه صرخد و بصرى بعد أن أخفى عزيمته، و ستر نيته استظهارا لبلوغ طلبه، و تسهيل أربه (157 و) و نزل غفله على صرخد، و كان المعروف بها بألتونتاش غلام أمين الدوله كمشتكين الأتابكى، الذى كان واليها أولا، و كانت نفسه قد حدثته بجهله، أنه يقاوم من يكون مستوليا على مدينه دمشق، و أن الأفرنج يعينونه على مراده و ما يلتمسه من إنجاده و إسعاده، و يكونون معه على ما نواه من عيثه و إفساده، و كان قد خرج للأمر المقضى من حصن صرخد إلى ناحيه الأفرنج للاستنصار بهم، و تقرير أحوال الفساد معهم، و لم يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين، و لم يشعر بما نواه معين الدين من إرهاقه بالمعاجله، و عكس آماله بالمنازله فحال بينه و بين العود إلى أحد الحصنين المذكورين، و لم تزل المحاربه بين من فى صرخد و المنازلين متصله، و النقوب مستعمله، و المراسلات مترددة، و التهديد، إن لم يجب إلى المطلوب، و معين الدين لا يعدل عن المغالطه و المدافعه، و كان قد عرف تجمعهم و تأهبهم للنهوض إليه و إزعاجه و ترحيله(1) عنها، فأوجبت هذه الحال أن راسل نور الدين صاحب حلب يسأله الإنجاد على الكفره الأضداد بنفسه و عسكره، فأجابه إلى ذلک، و كان لاتفاق الصلاح مبرزا بظاهر حلب فى

1- فى الأصل« و ترحيلهم» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.

عسکره، فثنی إلیه الأعنه، و أغذ السیر، و وصل إلی دمشق فی یوم الأربعاء السابع و عشرین من ذی الحجه من السنه، و خیم بعین شواقه(1)، و أقام أیاما یسیره، و توجه نحو صرخد، و لم یشاهد أحسن من عسکره و هیئته و عدته، و وفور عدته.

و اجتمع العسکران و أرسل من بصرخد إلیهما یلتمس الأمان، و المهله أیاما، و یسلم المکان، و کان ذاک منهم علی سبیل المغالطه و المخاتله، إلی حین یصل عسکر الأفرنج لترحیل النازلین علیهم، و قضی الله تعالی للخیره التامه للمسلمین، و المصلحه الشامله لأهل الدین وصول من أخبر بتجمع الأفرنج و احتشادهم و نهوضهم فی فارسهم و راجلهم مجدین السیر إلی ناحیه بصری، و علیها فرقه وافره من العسکر محاصره لها، فنهض العسکر فی الحال و الساعه عند المعرفه بذاک إلی ناحیه بصری، کالشواهین إلی صیدها و البزاه (157 ظ) إلی حجلها، بحیث سبقوا الأفرنج إلی بصری، فحالوا بینهم و بینها، و وقعت العین علی العین، و قربت المسافه بین الفریقین، و استظهر عسکر المسلمین علی المشرکین، ملکوا علیهم المشرب و المسرب و ضایقوهم برشق السهام و إرسال نبل الحمام، و أکثروا فیهم القتل و الجراح و إضرام النیران فی هشیم النبات فی طرقهم و مسالکهم، و أشرفوا علی الهلاک و الدمار، و حلول البوار، و ولوا الأدبار، و تسهلت الفرصه فی إهلاکهم، و تسرعت الفوارس و الأبطال إلی الفتک بهم، و المجاهده فیهم.

و جعل معین الدین یکف المسلمین عنهم، و یصدهم عن قصدهم، و التتبع لهم فی انهزامهم، إشفاقا من کره تکون لهم، و راجعه علیهم، بحیث عادوا علی أعقابهم ناکصین، و بالخذلان منهم منهزمین، قد شملهم الفناء، و أحاط بهم البلاء، و وقع الیأس من فلاحهم، و سلمت بصری إلی معین الدین بعد تقریر أمر من بها، و إجابتهم علی ما اقترحوه

1- لم أجدها فی المصادر الجغرافیه.

من إقطاعاتهم، و رحل عنها عائدا إلى صرخد، و جرى الأمر فى تسليمها إلى معين الدين على هذه القضيه، و عاد العسكران إلى دمشق و وصلاها فى يوم الأحد السابع و العشرين من المحرم سنه اثنتين و أربعين، و أقام نور الدين فى الدار الأتابكيه، و توجه عائدا إلى حلب فى يوم الأربعاء انسلاخ المحرم من السنه المذكوره.

و فى هذا الوقت وصل ألتونتاش، الذى خرج من صرخد إلى الأفرنج بجهله و سخافه عقله، إلى دمشق من بلاد الأفرنج، بغير أمان و لا تقرير و استئذان، توهما منه أنه يكرم و يصطنع بعد الإساءه القبيحه، و الارتداد عن الإسلام فاعتقل فى الحال، و طالبه أخوه خطلخ، بما جناه عليه من سمل عينيه، و عقد لهما مجلس حضره القضاه و الفقهاء، و أوجبوا عليه القصاص، فسمل كما سمل أخاه، و أطلق إلى دار له بدمشق فأقام بها.

و فى ذى الحجه من سنه إحدى و أربعين ورد الخبر بأن السلطان شاهنشاه مسعودا عمل رأيه و تدبيره على تطييب نفس الأمير عباس، فسكن إلى ذلک بعد التوثقه بالأيمان المؤكده و العهود المشدده و وصل إليه إلى بغداد ساكنا إلى ما كان تأكد من إيمانه على نفسه و جماعته، و كان السلطان قد تمكن فى نفسه من الرعب منه، و الخوف على عسكره من قوه شوكته، و مشهور هيبته، و كثره عدده (158 و) و عدته ما لم يمكنه ترک الفرصه فيه، و قد أمكنت، و الغره قد تسهلت و تيسرت، فرتب له جماعه للفتک به عند دخوله عليه، فعوجل عليه بالقتل(1) و نهبت خزائن أمواله و آلاته و كراعه، و امتلأت أيدى جماعه من نهبها، و تفرق عسكره فى البلاد و الأعمال، و كان له الذكر الحسن و الفعل المستحسن، و الأجر الوافر، و المدح السائر بما كان له فى مجاهره أحزاب الباطنيه، و الفتک بهم، و القمع لهم و الحصر فى معاقلهم، و الكف لشرهم، و لكن الأقدار لا تغالب، و الأقضيه لا تدافع.

1- كان عباس صاحب الرى« عسكره أكثر من عسكر السلطان» الكامل لابن الأثير: 9/ 15.

و أما أخبار المغرب، و الحوادث فيه، فلم تسكن النفس إلى إثبات شی ء من طوائح أخباره، و ما يؤخذ من أفواه تجاره، و قد أفردت من أحوال الخوارج فيه، و الفتن المتصله بين أهليه من الحروب المتصله، و سفک الدماء ما لا تثق النفس به، لاختلاف الروايات و تباين الحكايات، و كان قد ورد من فقهاء المغاربه من وثقت النفس بما أورده، و سكنت إلى ما شرحه، و عدده، و حضرت كتب من أهل المغرب إلى أقاربهم ببعض الشرح، و وافق ورود ذلک فی سنه إحدی و أربعين و خمسمائه بالتواريخ المتقدمه و الحكايات المختلفه، فرأيت ذكر ذلک و شرحه فی هذا المكان:

فمن ذلک ظهور المعروف بالفقيه السوسی، الخارج بالمغرب، و ما آل إليه أمره، إلى أن هلک، و من قام بعده و استمر على مذهبه، و ما اعتمده من الفساد، و سفک الدماء، و مخالفه الشريعه الإسلاميه، و مبدأ ذلک على ما حكی ظهور المعروف بالفقيه أبی [عبد الله](1) محمد بن تومرت من جبل السوس، و مولده به، و أصله مصمودی، و كان غايه فی التفقه و الدين، مشهورا بالورع و الزهد، و كان قد سافر إلى العراق و جال فی تلک الأعمال، و مهر فی المناظره و الجدال، و اجتمع بأئمه الفقهاء، و أخذ عنهم، و سمع منهم، و عاد إلى ناحيه مصر و ما والاها، و اجتمع مع علمائها، و قرأ عليهم، ثم عاد إلى المغرب و دعا إلى مذهب الفكر، و ابتداء ظهوره فی سنه اثنتی عشره و خمسمائه فی مدينه تعرف بدرن(2) فی جبل أوله فی البحر المحيط و آخره فی بحر الاسكندريه فی رأس أوثان، و غلب على جبل السوس، و اجتمع إليه خلق كثير من قبائل المصامده بجبل درن، و قيل إنه وصل إلى المهديه و أمر أهلها أن يبنوا قصرا على نيه الفكره، (158 ظ) و أن يعبدوا الله فيه بالفكره، فاجتمع مشايخ أهل المهديه و فقهاؤها، و عزموا على بناء ما أمرهم به، و العباده لله تعالى فيه،

1- أضيف ما بين الحاصرتين تقويما. انظر الحلل الموشيه فی ذكر الأخبار المراكشيه، تحقيقی. ط. الدار البيضاء: 1979 ص: 130.
2- كذا، فدرن اسم الجبل، و هو ما ندعوه الآن باسم الأطلس الكبير، و قد ولد وسط هرغه و هی قبيله بالسوس الأقصى. الحلل الموشيه: 103.

فقام رجل من كبار الفقهاء، و قال: نقيم ما أقمنا بالمهديه، و يجى ء إليكم رجل بربرى مصمودى، يأمركم بالعباده بالفكره فتجيبون إلى ما أمركم به، و تسارعون إلى قبول ما ذكره لكم؟ و أنكر هذا الأمر إنكارا شديدا، حتى عادوا عنه، و أبطلوه، و اقتضت هذه الحال خروج الخارجى من المهديه، إذ لم يتم له فيها أمر، و لا بلغ غرضا، و قصد بلدا فى الغرب يعرف ببجايه(1) فى أيدى بنى حماد من صنهاجه، و شرع فى الإنكار على أهله شرب الخمور، و جعل يكسر الأوانى إلى أن منع من شربها، و ساعده على ذلک ابن حماد(2) مقدم هذا البلد و حمل إليه مالا، فامتنع من أخذه، و تعفف عنه لما أظهره من الزهد فى الدنيا، و التفقه و الورع، ثم خرج من هذا البلد و قصد مدينه أغمات، فأظهر فيها الزهد و تدريس الفقه، و صار معه من أتباعه تقدير أربعمائه رجل من المصامده، ثم ارتفع أمره، و ظهر شره، و اتصل خبره إلى الأمير ابن يوسف بن تاشفين(3) و ما هو عليه و ما يظهره و يطلقه من إباحه دمه و دم أصحابه، و أهل مملكته، فاستدعاه الأمير المذكور إلى حضرته، و جمع له وجوه الفقهاء و المقدمين، إلى مجلس حفل و وقع الاختيار من الجماعه على فقيه يعرف بأبى عبد الله محمد بن مالک بن وهيب الأندلسى(4)، لمناظرته فناظره فى هذا المحفل، فاستظهر عليه فى المناظره، و قهره و غلبه، فقال الخارجى السوسى المناظر له: انظرنى، فأجابه إلى ما طلب، ثم قال لابن يوسف بن

1- فى الأصل: بجامه، و هى عباره مصحفه صوابها ما أثبتناه، انظر الحلل الموشيه: 106 حيث جاء:« و لما وصل إلى المهديه غير بها المنكر، فرفع أمره إلى العزيز ابن الناصر على بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس] فهم أن يأخذه فهرب إلى بجايه، فبلغ خبره لابن حماد صاحبها، فاختفى و خرج منها».

2- فى الأصل: ابن حمدون، و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا و كان يحكم بجايه من آل حماد يحيى ابن العزيز، انظر أخبار المهدى بن تومرت للبيذق صاحب المهدى ط. الرباط 1971. ص: 13 و. أعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب ط. الدار البيضاء 1964: 3/ 99.

3- على بن يوسف بن تاشفين. الحلل الموشيه: 97- 102.

4- مالک بن وهيب الاشبيلى، كان فقيها فيلسوفا، ذكره صاحب المعجب: 184- 186. ط. القاهره 1949. أخبار المهدى: 27. الحلل الموشيه: 100.

تاشفین، المقدم: ینبغی أن یأمر الأمیر بحبس هذا المفتن لیکشف سره، و یحقق أمره، و یظهر لکافه المسلمین صحه خبره، فإنه لا یرید غیر الدنیا و السلطنه و الفساد فی الأرض، و قتل النفوس، فما حفل بکلامه، و لا أصغی إلی إشارته، و تغافل عنه للأمر المقضی، و أعان هذا الخارجی قوم من المقدمین علی مرامه و حامی عنه(1).

ثم عاد إلی السوس إلی جبل درن، و کان یقول للناس: کلما قربتم من المرابطین و ملتم إلیهم، کانوا مطایاکم إلی الجنه، لأنهم حماه الدین و الذابون عن المسلمین، ثم حمل المرابطین و الملثمین، و قد مال معه منهم الخلق الکثیر و الجم الغفیر علی محاربه الأمیر علی بن یوسف بن تاشفین(2) و جمع علیه و حشد، و قویت نفسه (159 و) و نفوس من معه علی اللقاء، و معهم أصحاب القوه و البساله، و شده البأس و الشجاعه و نشبت الحرب بین الفریقین، و أریقت الدماء بین الجهتین، و لم تزل رحی الحرب دائره بینهم إلی أن کان بینهم فی عده سنین متوالیه أربعه مصافات هائله منکره، و قتل فیها من الفریقین ما قدر و حزر تقدیر مائتی ألف نفس، و لم تزل الحرب علی هذه القضیه الشنیعه، و الصفه الفظیعه إلی أن أهلکه الله تعالی بمدینه درن فی سنه اثنتین و عشرین و خمسمائه(3)، و خلف جماعه من تلامذته و أصحابه، سلکوا سبیله، و بنوا علی بنائه، و سلکوا مذهبه فی الفساد، و تولد بینهم مذهب سموه «تکفیر الذنب»(4)، هذا ما أورده و حکاه و شاهده، و استقصاه الفقیه أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الصقلی بإملائه من لسانه.

1- ممن دافع عنه القائدان ینتان بن عمر، و سیر بن وربیل. أخبار المهدی: 28.
2- کذا و هو و هم، فالمهدی حارب المرابطین و الملثمین و أمیرهم علی بن یوسف، حاربهم بمصموده و سواها من القبائل. انظر المصادر المذکوره أعلاه.
3- کذا و هو و هم، فقد توفی المهدی فی تینملل فی جبل درن« یوم الاثنین الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من عام أربعه و عشرین و خمسمائه». الحلل الموشیه: 117.
4- یبدو أن المقصود بهذا ما یعرف فی المصادر المغربیه و الأندلسیه باسم« التمییز» حیث کانت تجری مذابح کبیره جدا.

ثم تناصرت الأخبار بعد ذلک من ناحیه المغرب، بظهور أحد تلامذه المذکور یعرف بالفقیه عبد المؤمن، فلقب بالمهدی، أمیر المؤمنین و خلیفه المهدی إلی سبیل الموحدین(1)، و اجتمع إلیه مع من کان فی حزبه من طوائف السوس، و البربر، و المصامده، و المرابطین، و الملثمین ما لا یحصی له عدد، و لا یدرکه أمر، و شرع فی سفک الدماء، و افتتاح البلاد المغربیه بالسیف و القتل لمن بها من الرجال و الحرم و الأطفال، ما شاعت به الأخبار و انتشر ذکره فی سائر الأقطار، و وردت مکاتبات السفار و التجار، و من جملتها کتاب وقفت علیه من هذا الخارجی ما نسخه عنوانه:

من أمیر المؤمنین، خلیفه المهدی إلی سبیل الموحدین إلی أهلیه(2).

بسم الله الرحمن و صلی الله علی سیدنا محمد و آله الطاهرین.

أما بعد: یا عضد الفجار، و عناد الفساق الأشرار، فقد کاتبناکم بالبنان، و خاطبناکم بالبیان، حتی سار کالبدر، و استمر مرور الدهر، فلم تجیبوا، و لا أطعتم، بل تثاقلتم عن الحق، و عصیتم، و إن الله سینتقم منکم لأولیائه نقمه من کان قبلکم من الأمم الجاحده، و الفرق المعانده، فانتظروا سیف الدم ینهلکم، و حجاره المدر تدمغکم، ثم لا یکون لکم استرجاع، و لا یقبل فیکم استشفاع، و هذه خیل الله قد أظلتکم و بلها، و طمی علیکم سبیلها، فتأهبوا للموت، و السلام علی من اتبع (159) الهدی هداه، و لم یغلب علیه هواه و رحمه الله و برکاته.

1- کذا و فی الخبر و هم و فی(1) فی الأصل مکر بایکان و هو تصحیف صوابه ما أثبتنا، و هو موقع علی مرحله من همذان، انظر راحه الصدور: 348- 350. تاریخ دوله آل سلجوق:
2- هذه الروایه شاذه، ففی عدد من رسائل عبد المؤمن وصلتنا نصوصها و نشرت فی کتاب رسائل موحدیه. ط. الرباط: 1941 نجد مطلع کل رساله هو:« من أمیر المؤمنین، أیده الله بنصره، و أمده بمعونته إلی ....» هذا و لم أجد الرساله التی أوردها ابن القلانسی فی هذا المجموع.

سنه اثنتين و أربعين و خمسمائه

فى صفر منها عاد الحاجب محمود الكاتب من بغداد، بجواب ما صدر على يده من المكاتبات المعينه، و معه رسولا للخليفه و السلطان و على أيديهما التشريف برسم ظهير الدين و معينه، و لبساه و ظهرا فيه فى يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر، و أقاما أياما و عادا بجواب ما وصل معهما.

و ورد الخبر عقيب ذلک من بغداد بأن السلطان كان قد توجه منها بعد قتل الأمير عباس، فى العسكر إلى ناحيه همذان، عند انتهاء الأخبار إليه بأن الأمير [ابن] عباس، و عسكره قد انضاف إلى الأمير بوزبه، و صارا يدا واحده، فى خلق عظيم، و قصدا ناحيه أصفهان، و نزلا عليها و ضايقاها إلى أن أسلمت إلى بوزبه بأسباب اقتضت ذلک، و لما حصل السلطان بظاهر همذان تواصلت العساكر من كل جهه إليه، و صار فى خلق كثير.

و وردت الأخبار إلى بغداد بأن السلطان لما كثف جمعه، و قويت نفسه، و قصد المذكورين، و قصدوه، و ترتب المصاف بينهم، و التقى المصافان، و منح الله السلطان النصر عليهم، و كسرهم، و قتل بوزبه و ابن عباس، و استولى عسكر السلطان على الفل و السواد، و حكى الحاكى المشاهد لهذه الوقعه فى كتابه بشرحها، ما ذكر فيه أن مبدأ الفتح أن السلطان كان فى مخيمه بباب همذان فى تقدير ثلاثه آلاف فارس، و بوزبه فى عسكره على باب أصفهان فى خلق عظيم، و أن بوزبه لما عرف ذلک طمع فيه و نهض فى عسكره إليه و قطع مسافه ثلاثين فرسخا فى يوم و ليله و وصل إلى قراتكين(1) و قد كلت الخيل و نزل هناک، فلما عرف السلطان ذلک التجأ

1- فى الأصل مكر بايكان و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا، و هو موقع على مرحله من همذان، انظر راحه الصدور: 348- 350. تاريخ دوله آل سلجوق 200- 201. الكامل: 9/ 16.

إلى بساتين همذان، و جعلها ظهره مع جبلين هناک، و وصل إليه الأمير جندار صاحب أذربيجان(1) فى ألف فارس، و وصله الأمير ايلدكز(2) فى خمسه آلاف فارس، و وصله خاصبک بلنكرى(3) فى إثنى عشر ألفا، قويت بهم شوكته، و نهض إلى جهه بوزبه عند ذلک، و عبأ كل فريق منهما مصافه فى يوم السبت من شهر(4) .... منذ غداته إلى وقت العصر منه، و كسرت الميمنه السلطانيه، و فيها الأمير(5) جندار (160 و) و الميسره فيها الأمير تبر، و بقى السلطان فى القلب، و عرف أن بوزبه يقصده، فقال للأمير جندار: أنا المطلوب أقم أنت مكانى تحت الشمسه، فإن بوزبه يطلبها لقصدى، ففعل و نهض السلطان فى جمله وافره من العسكر، و جاء من وراء عسكر بوزبه، و حمل بوزبه و قصد مكان السلطان تحت الشمسه، فلما قرب بوزبه فى حملته من الشمسه كبا به جواده، و سقط إلى الأرض، فانفل عسكره، و أدركته الخيل، فأخذ هو و خواصه و ابن عباس، و وزير بوزبه يقال له صدر الدين بن الخوجندى و كان قد أعان بوزبه على تسلم أصفهان، فجازاه على ذلک باستيزاره(6).

و فى يوم الخميس الحادى و العشرين من شهر ربيع الآخر، وصل رسول مصر إلى دمشق بما صحبه من تشريف و قود و مال برسم ظهير الدين و معينه، على جارى الرسم فى مثل ذلک.

1- فى الأصل:« حيدر صاحب زنكان» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا. انظر المصادر المذكوره من قبل.
2- فى الأصل:« أكز» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا. انظر المصادر السالفه.
3- فى الأصل:« بلنكى» و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا. انظر المصادر السالفه.
4- لم أعثر فى المصادر على من حدد شهر المعركه، الذى جاء فراغا بالأصل.
5- هو جاولى بک الجندار صاحب أذربيجان.
6- صدر الدين بن الخجندى هو محمد بن عبد اللطيف، كان من كبار علماء الشافعيه، توفى سنه 552 ه، ترجم له السبكى فى طبقات الشافعيه الكبرى .. ط. بيروت: 4/ 80، و نقل أنه« كان إماما فاضلا مناظرا، فحلا واعظا، مليح الوعظ، سخى النفس جوادا ... و كان بالوزراء أشبه من العلماء ... و كان لرياسته يمشى و حوله السيوف».

و فی لیله الجمعه الثالث من شهر ربیع الأول من السنه توفی الفقیه شیخ الإسلام أبو الفتح، نصر الله بن محمد بن عبد القوی المصیصی، بدمشق رحمه الله، و کان بقیه الفقهاء المقیمین علی مذهب الشافعی رحمه الله و لم یخلف مثله بعده(1).

و فی جمادی الآخره منها، تقررت ولایه حصن صرخد للأمیر مجاهد الدین بزان بن مامین، علی مبلغ من المال و الغله، و شروط و أیمان دخل فیها، و قام بها، و توجه إلیه، و حصل به فی النصف من الشهر المذکور، و استبشر من بتلک الناحیه من حصوله فیه، لما هو علیه من حب الخبر و الصلاح و التدین و العفاف، عقیب من کان قبله، ممن لا یدین لله بدین و لا صلاه، و لا إنصاف و لا نزاهه نفس، و لا جمیل فعل.

و فی هذه السنه وردت الأخبار من ناحیه مصر بأن رضوان بن و لخشی، المنعوت کان بالأفضل، وزیر صاحب مصر، الذی کان معتقلا بالقصر، و قد تقدم ذکره فیما مضی، نقب من المکان الذی کان فیه إلی مکان ظاهر القصر، نقبا یکون تقدیر طوله أربعون ذراعا، و اجتمع إلیه خلق کثیر من العسکریه، ممن کان یهواه، و یتولاه فی العشر الأخیر من ذی القعده سنه اثنتین و أربعین و أنه راسل سلطان مصر یلتمس منه إعادته إلی منصبه و إخراج المال لینفق علی العسکریه و الأجناد و المدافعه، إلی حین دبر الأمر علیه، و رتب له من الرجال الأجلاد و أبطال الأجناد و الأنجاد من هجم علیه فی مکانه، و مجتمع أعوانه، فقتل و قتل معه من دنا منه و تابعه، و ورد بشرح قصته السجل

1- ترجم له السبکی فی الطبقات الکبری: 4/ 319 و قال عنه:« الشیخ أبو الفتح المصیصی ثم اللاذقی ثم الدمشقی، الإمام فقها و أصولا و کلاما، مولده سنه ثمان و أربعین و أربعمائه و نشأ بصور و سمع بها ... و بدمشق ... و ببغداد. و بالأنبار ... ثم سکن دمشق و درس بالزاویه الغربیه و هی الغزالیه .. و به کثرت أوقافها، لأن کثیرا من الناس وقفوا بعده علیها، و منهم من وقف علیها ابتداء بواسطته، و هو أیضا وقف شیئا جیدا».

من سلطان مصر إلى ثغر عسقلان، و قرى ء على منبرها و مضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم(1) ..

و فى يوم الخميس الحادى و العشرين من شوال سنه اثنتين و أربعين، و هو مستهل نيسان، أظلم الجو، و نزل غيث ساكن، ثم أظلمت الأرض فى وقت صلاه العصر ظلاما شديدا، بحيث كان ذلک كالغدوه بين العشائين، و بقيت السماء فى عين الناظر إليها كصفوره الورس، و كذلک الجبال و أشجار الغوطه، و كل ما ينظر إليه من حيوان و جماد و نبات، ثم جاء فى إثر ذلک من الرعد القاصف و البرق الخاطف، و الهدات المزعجه و الزحفات المفزعه ما ارتاع لها الشيب و الشبان، فكيف الولدان و النسوان، و قلقت لذلک الخيول فى مرابطها، و أجفلت من هولها، و بقى الأمر على هذه الحال إلى حين وقت العشاء الآخره، ثم سكن ذلک بقدره الله تعالى، و أصبح الناس غد ذلک اليوم ينظرون فى أعقاب ذلک المطر، فإذا على الأرض و الأشجار و سائر النبات غبار فى رقه الهواء، بين البياض و الغبره بحيث يكون إذا جرد عنها الشى ء الكثير، و يلوح فيه بريق لا يدرى ما لونه و لا جسمه من نعومته، فعجب الناس من هذه القدره التى لا يعلم ما أصلها، و لا شبيه لها، بل نزلت فى جمله المطر، ممتزجه به كامتزاج الماء بالماء، و الهواء بالهواء.

و فى هذه السنه تواصلت الأخبار من ناحيه القسطنطينيه، و بلاد الأفرنج و الروم و ما والاها، بظهور ملوک الأفرنج من بلادهم منهم ألمان و الفنش، و جماعه من كبارهم فى العدد الذى لا يحصر، و العدد التى لا تحرز، لقصد بلاد الإسلام، بعد أن نادوا في سائر بلادهم و معاقلهم بالنفير إليها، و الإسراع نحوها، و تخليه بلادهم و أعمالهم خاليه، شاغره من حماتها، و الحفظه لها، و استصبحوا من أموالهم و ذخائرهم و عددهم

1- لم يثبت نص السجل، و تحدث المقريزى عن مقتل رضوان بالتفصيل، و لم يذكر نص السجل المشار إليه. اتعاظ الحنفا: 3/ 182- 184.

الشى ء الكثير، الذى لا يحصى، بحيث يقال إن عدتهم ألف ألف عنان، من الرجاله و الفرسان، و قيل أكثر (161 و) من ذلک و غلبوا، على أعمال القسطنطينيه، و احتاج ملكها إلى الدخول فى مداراتهم، و مسالمتهم، و النزول على أحكامهم، و حين شاع خبرهم، و اشتهر أمرهم، شرعت ولاه الأعمال المصاقبه لهم، و الأطراف الإسلاميه القريبه منهم، فى التأهب للمدافعه لهم، و الاحتشاد على المجاهده فيهم، و قصدوا منافذهم، و دروب معابرهم التى تمنعهم من العبور و النفوذ إلى بلاد الإسلام و واصلوا شن الغارات على أطرافهم، و اشتجر القتل فيهم، و الفتک بهم، إلى أن هلک منهم العدد الكثير، و حل بهم من عدم القوت و العلوفات و المير، و غلاء السعر إذا وجد، ما أفنى الكثير منهم بموت الجوع و المرض، و لم تزل أخبارهم تتواصل بهلاكهم، و فناء أعدادهم إلى أواخر سنه اثنتين و أربعين و خمسمائه بحيث سكنت النفوس بعض السكون، و ركنت إلى فساد أحوالهم بعض الركون، و خف ما كان من الانزعاج، و الفرق مع تواصل أخبارهم(1).

ثم دخلت سنه ثلاث و أربعين و خمسمائه

و أولها يوم الجمعه الحادى و عشرين من أيار، و الشمس فى الجوزاء، و فى أوائلها تواترت الأخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الأفرنج، المقدم ذكرهم إلى ساحل البحر، و حصولهم على سواحل الثغور الساحليه صور و عكا و اجتماعهم مع من كان بها من الأفرنج، و يقال أنهم بعد ما فنى منهم بالقتل و المرض و الجوع تقدير مائه ألف عنان، قصدوا بيت المقدس، و قضوا مفروض حجهم، و عاد بعد ذلک من عاد إلى بلادهم، فى البحر، و قد هلک منهم بالموت و المرض الخلق العظيم، و هلک من

1- الحديث هنا عن الحمله الصليبيه الثانيه، و قد ترجمت المواد الوثائقيه اللاتينيه و نشرتها فى المجلده العاشره من موسوعتنا هذه، و كان أبرز قاده هذه الحمله كونراد امبراطور ألمانيا و لويس ملک فرنسا، و فى تاريخ وليم الصورى وصف مفصل لحصار دمشق 2/ 187- 196، و نص كتاب وليم موجود بالكامل مع ذيله فى موسوعتنا.

ملوكهم من هلک، و بقی ألمان أکبر ملوکهم، و من هو دونه، و اختلفت الآراء بینهم فیما یقصدون منازلته من البلاد الإسلامیه، و الأعمال الشامیه إلی أن استقرت الحال بینهم علی منازله مدینه دمشق، و حدثتهم نفوسهم الخبیثه بملکتها، و تبایعوا ضیاعها و جهاتها، و تواصلت الأخبار بذلک، و شرع متولی أمرها الأمیر معین الدین أنر فی التأهب و الاستعداد لحربهم، و دفع شرهم، و تحصین ما یخشی من الجهات، و ترتیب الرجال فی المسالک و المنافذ، و قطع مجاری المیاه (161 ظ) إلی منالهم و طم الآبار، و عفی المناهل، و صرفوا أعنتهم إلی ناحیه دمشق فی حشدهم و حدهم و حدیدهم، فی الخلق الکثیر علی ما یقال، تقدیر الخمسین ألف من الخیل و الرجل، و معهم من السواد و الجمال و الأبقار ما کثروا به العدد الکثیر، و دنوا من البلد، و قصدوا المنزل المعروف بمنازل العساکر(1) فصادفوا الماء معدوما فیه، مقطوعا عنه، فقصدوا ناحیه المزه، فخیموا علیها لقربها من الماء، و زحفوا إلیه بخیلهم و رجلهم، و وقف المسلمون بإزائهم فی یوم السبت السادس من شهر ربیع الأول سنه ثلاث و أربعین، و نشبت الحرب بین الفریقین، و اجتمع علیهم من الأجناد و الأتراک الفتاک، و أحداث البلد و المطوعه بکثره الأعداد و العدد، و غلبوا علی الماء، و انتشروا فی البساتین، و خیموا فیها، و قربوا من البلد، و حصلوا منه بمکان لم یتمکن أحد من العساکر قدیما و لا حدیثا منه، و استشهد فی هذا الیوم الفقیه الإمام یوسف الفندلاوی المالکی(2) رحمه الله، قریب الربوه علی الماء، لوقوفه فی وجوههم، و ترک الرجوع عنهم، اتباعا لأوامر الله تعالی فی کتابه الکریم، و کذلک عبد الرحمن الحلحولی الزاهد رحمه الله جری أمره هذا المجری.

1- یقول ولیم الصوری: 2/ 187 بأنهم عسکروا أولا قرب داریا.
2- هو« یوسف» بن دوناس بن عیسی، أبو الحجاج المغربی، الفقیه المالکی .. قدم الشام، و سکن بانیاس مده، و انتقل إلی دمشق، فاستوطنها، و درس بها بمذهب مالک، و حدث بالموطأ و غیره .. و کان شیخا حسن المفاکهه، حلو المناظره ... کریم النفس، مطرحا للتکلف، قوی القلب، صاحب کرامات». مرآه الزمان: 1/ 200.

و شرعوا فی قطع الأشجار و التحصین بها، و هدم الفطائر(1) و باتوا تلک اللیله علی هذه الحال، و قد لحق الناس من الارتیاع لهول ما شاهدوه، و الروع بما عاینوه، ما ضعفت به القلوب، و حرجت معه الصدور، و باکروا إلیهم فی غد ذلک الیوم، و هو یوم الأحد تالیه، و زحفوا إلیهم، و وقع الطراد بینهم، و استظهر المسلمون علیهم، و أکثروا القتل و الجراح فیهم، و أبلی الأمیر معین الدین فی حربهم بلاء حسنا، و ظهر من شجاعته و صبره و بسالته ما لم یشاهد فی غیره، بحیث لا ینی فی ذیادتهم و لا ینثنی عن جهادهم، و لم تزل رحی الحرب دائره بینهم، و خیل الکفار محجمه عن الحمله المعروفه لهم، إلی أن تتهیأ الفرصه لهم إلی أن مالت الشمس إلی الغروب، و أقبل اللیل، و طلبت النفوس الراحه، و عاد کل منهم إلی مکانه، و بات الجند (162 و) بإزائهم، و أهل البلد علی أسوارهم للحرس و الاحتیاط، و هم یشاهدون أعداءهم بالقرب منهم.

و کانت المکاتبات قد نفذت إلی ولاه الأطراف، بالاستصراخ و الاستنجاد، و جعلت خیل الترکمان تتواصل، و رجاله الأطراف تتابع، و باکرهم المسلمون، و قد قویت نفوسهم، و زال روعهم، و ثبتوا بإزائهم، و أطلقوا فیهم السهام، و نبل الجرخ(2) بحیث تنتع فی مخیمهم فی راجل، أو فارس، أو فرس، أو جمل.

و وصل فی هذا الیوم من ناحیه البقاع و غیرها، رجاله کثیره من الرماه، فزادت بهم العده، و تضاعفت العده، و انفصل کل فریق إلی مستقره هذا الیوم و باکروهم من غده یوم الثلاثاء کالبزاه إلی

1- فی الأصل« العطایر» و هی تصحیف لعل صوابها ما أثبتنا .. و المرجح أنه قصد بالفطائر جدران« الدک» التی فصلت بین السباتین.
2- کانت هذه السهام تطلق من قسی خاصه، قویه و بعیده المدی، و غالبا ما کانت تحمل مواد ملتهبه من النفوط و غیر ذلک. انظر ماده جرخ فی معجم دوزی: 1/ 182، و نتع الدم خرج من الجرح. القاموس.

يعاقيب(1) الجبل، و الشواهين إلى مطار الحجل، و أحاطوا بهم فى مخيمهم، و حول مجثمهم، و قد تحصنوا بأشجار الزيتون، و أفسدوها رشقا بالنشاب، و حذفا بالأحجار، و قد أحجموا عن البروز، و خافوا و فسلوا، و لم يظهر منهم أحد، و ظن بهم أنهم يعملون مكيده، و يدبرون حيله، و لم يظهر منهم إلا النفر اليسير من الخيل و الرجل على سبيل المطارده و المناوشه، خوفا من المهاجنه، إلى أن يجدوا لحملتهم مجالا، أو يجدون الغره احتيالا، و ليس يدنو منهم أحد إلا صرع برشقه أو طعنه، و طمع فيهم نفر كثير من رجاله الأحداث و الضياع، و جعلوا يرصدونهم فى المسالک و قد أينوا(2) فيقتلون من ظفروا به، و يحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها، و حصل من رؤوسهم العدد الكثير.

و تواترت إليهم أخبار العساكر الإسلاميه، بالخفوف إلى جهادهم، و المسارعه إلى استئصالهم، فأيقنوا بالهلاک و البوار، و حلول الدمار، و أعملوا الآراء بينهم، فلم يجدوا لنفوسهم خلاصا من الشبکه التى حصلوا فيها، و الهوه التى ألقوا بنفوسهم إليها، غير الرحيل سحر يوم الأربعاء التالى مجفلين، و الهرب مخذولين مفلولين(3)، و حين عرف

1- جمع يعقوب و هو الحجل. القاموس المحيط.
2- الأين: الإعياء و التعب. النهابه لابن الأثير.
3- وصف سبط ابن الجوزى أحوال دمشق فى أواخر أيام الحصار بقوله:« و لما ضاق بأهل دمشق الحال أخرجوا الصدقات بالأموال على قدر أحوالهم، و اجتمع الناس فى الجامع مع الرجال و النساء و الصبيان، و نشروا مصحف عثمان، و حثوا الرماد على رؤوسهم، و بكوا و تضرعوا، فاستجاب الله لهم، فكان للفرنج قسيس كبير، طويل اللحيه، يقتدون به، فأصبح فى اليوم العاشر من نزولهم على دمشق، فركب حماره، و علق فى عنقه صليبا، و جعل فى يديه صليبين، و علق فى عنق حماره صليبا، و جمع بين يديه الأناجيل و الصلبان، و الكتب، و الخياله و الرجاله، و لم يتخلف من الفرنجيه أحد إلا من يحفظ الخيام، و قال لهم القسيس: قد وعدنى المسيح أننى أفتح اليوم. و فتح المسلمون الأبواب، و استسلموا للموت، و غاروا للإسلام، و حملوا حمله رجل واحد، و كان يوما لم ير فى الجاهليه و الإسلام مثله، و قصد واحد من أحداث دمشق القسيس، و هو فى أول القوم، فضربه فأبان رأسه، و قتل حماره، و حمل الباقون، فانهزم الفرنج، و قتلوا منهم عشره

آلاف، و أحرقوا الصلبان و الخياله بالنفط، و تبعوهم إلى الخيام، و حال بينهم الليل، فأصبحوا قد رحلوا، و لم يبق لهم أثر». مرآه الزمان/ 2/ 198- 199.

المسلمون ذلک، و بانت لهم آثارهم فی الرحیل، برزوا لهم فی بکره هذا الیوم، و سارعوا نحوهم فی آثارهم بالسهام، بحیث قتلوا فی أعقابهم من الرجال و الخیول و الدواب العدد الکثیر، و وجد فی آثار منازلهم و طرقاتهم من دفائن قتلاهم، و فاخر خیولهم ما لا (162 ظ) عدد له و لا حصر یلحقه، بحیث لها أرائح من جیفهم، تکاد تصرع الطیور فی الجو، و کانوا قد أحرقوا الربوه و القبه الممدوده فی تلک اللیله، و استبشر الناس بهذه النعمه التی أسبغها الله علیهم، و أکثروا من الشکر له تعالی ما أولاهم من إجابه دعائهم، الذی واصلوه فی أیام هذه الشده، فلله علی ذلک الحمد و الشکر.

و اتفق عقیب هذه الرحمه، اجتماع معین الدین مع نور الدین صاحب حلب، عند قربه من دمشق للإنجاد لها فی أواخر شهر ربیع الآخر من السنه، و أنهما قصدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف [بالعریمه](1) و فیه ولد الملک ألفنش أحد ملوک الأفرنج المقدم ذکرهم، کان هلک بناحیه عکا، و معه والدته، و جماعه وافره من خواصه و أبطاله، و وجوه رجاله، فأحاطوا به، و هجموا علیه، و قد کان وصل إلی العسکرین النوری و المعینی فرقه تناهز الألف فارس، من عسکر سیف الدین غازی بن أتابک، و نشبت الحرب بینهم فقتل أکثر من کان فیه، و أسر، و أخذ ولد الملک المذکور و أمه، و نهب ما فیه من العدد و الخیول و الأثاث، و عاد عسکر سیف الدین(2) إلی مخیمه بحمص، و نور الدین

1- فراغ بالأصل، استدرک من الکامل لابن الأثیر: 9/ 21. و العریمه کانت إحدی قلاع الساحل السوری تربض فوق جرف یتاخم السهل العریض الذی یجتازه النهر الکبیر، و تتحکم بمدخل وادی الأبرش. القلاع أیام الحروب الصلیبیه: 65. و تمت الحمله ضد العریمه بناء علی اقتراح من ریموند الثانی صاحب طرابلس نظرا لاحتلال العریمه من قبل أرمله ألفونسو صاحب تولوز و ابنه، و کان هذا الابن حفیدا لریموند صاحب تولوز و لهذا ادعی الحق لیس فی ملک العریمه فحسب بل فی کونتیه طرابلس. انظر ولیم الصوری: 2/ 197. و کتاب« الصلیبیون فی المشرق» تألیف ستیفنسون. ط. بیروت 1968(بالانکلیزیه) ص: 164- 165.
2- ذکر سبط ابن الجوزی أثناء حدیثه عن حصار دمشق: 2/ 197- 198:« و کان معین- - أنر کاتب سیف الدین غازی صاحب الموصل قبل نزول الفرنج علی دمشق، یستصرخ به و یخبره بشده بأس الفرنج، و یقول: أدرکنا، فسار سیف الدین فی عشرین ألف فارس، فنزل بجوار بحیره حمص».

عائدا إلى حلب و معه ولد الملک و أمه و من أسر معهما و انکفأ معین الدین إلى دمشق.

و قد کان ورد إلى دمشق الشریف الأمیر شمس الدین، ناصح الإسلام، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبید الله الحسینى النقیب، من ناحیه سیف الدین غازى بن أتابک، لأنه کان قد ندب رسولا من الخلافه إلى سائر الولاه، و طوائف الترکمان لبعثهم على نصره المسلمین، و مجاهده المشرکین، و کان ذلک السبب فى خوف الأفرنج من تواصل الإمداد إلیهم، و الاجتماع علیهم و رحیلهم على القضیه المشروحه، و هذا الشریف المذکور من بیت کبیر فى الشرف و الفضل و الأدب، و أخوه ضیاء الدین نقیب الأشراف فى الموصل، مشهور بالعلم و الأدب و الفهم، و کذا ابن عمه الشریف نقیب العلویین ببغداد، و ابن عمه نقیب خراسان، و أقام بدمشق ما أقام، و ظهر من حسن تأتیه فى مقاصده، و سداده فى مصادره و موارده، ما أحرز به جمیل الذکر، و وافر الشکر، و عاد منکفئا إلى بغداد بجواب ما وصل (163 و) فیه یوم الأربعاء الحادى عشر من رجب سنه ثلاث و أربعین.

و فى رجب فى هذه السنه ورد الخبر من ناحیه حلب بأن صاحبها نور الدین أتابک، أمر بإبطال «حى على خیر العمل» فى أواخر تأذین الغداه، و التظاهر بسب الصحابه رضى الله عنهم، و أنکر ذلک إنکارا شدیدا، و حظر المعاوده إلى شى ء من هذا المنکر، و ساعده على ذلک الفقیه الإمام برهان أبو الحسن على الحنفى و جماعه من السنه بحلب، و عظم هذا الأمر على الإسماعیلیه، و أهل الشیع، و ضاقت له صدورهم، و هاجوا له و ماجوا، ثم سکنوا، و أحجموا بالخوف من السطوه النوریه المشهوره، و الهیبه المحذوره(1).

1- انظر تفاصیل أوسع فى زبده الحلب: 32/ 29- 296.

و فی رجب من هذه السنه أذن لمن یتعاطی الوعظ بالتکلم فی الجامع المعمور بدمشق، علی جاری العاده و الرسم، فبدا من اختلافهم فی أحوالهم و أغراضهم، و الخوض فیما لا حاجه إلیه من المذاهب، ما أوجب صرفهم عن هذه الحال، و إبطال الوعظ لما یتوجه معه من الفساد، و طمع سفهاء الأوغاد، و ذلک فی أواخر شعبان منها.

و فی جمادی الآخره منها، وردت الأخبار من بغداد باضطراب الأحوال فیها، و ظهور العیث و الفساد فی نواحیها و ضواحیها، و أن الأمیر بوزبه، و الأمیر قیس، و الأمیر علی بن دبیس بن صدقه اجتمعوا، و توافقوا فی تقدیر خمسه آلاف فارس، و وصلوا إلی بغداد علی حین غفله من أهلها، و هجموها و حصلوا بدار السلطان، و تناهوا فی الفساد و العناد، بحیث وقعت الحرب بینهم، و قتل من النظار و غیرهم نحو خمسمائه إنسان فی الطرقات، و أن أمیر المؤمنین المقتفی لأمر الله، رتب الأجناد و العسکریه بإزائهم، بحیث هزموهم و أخرجوهم من بغداد، و طلبوا ناحیه النهروان، و تناهوا فی العیث و الإفساد فی الأعمال و الاستیلاء علی الغلال، و خرج أمر الخلافه بالشروع فی عماره سور بغداد، و حفر الخنادق، و تحصینها، و إلزام الأماثل و التناء و التجار و أعیان الرعایا القیام بما ینفق علی العمارات من أموالهم، علی سبیل القرض و المعونه، و لحق الناس من ذلک المشقه و الکلفه المؤلمه(1).

و ذکر أن السلطان رکن الدین مسعود مقیم بهمذان، و أن أمره قد ضعف عما کان، و الأقوات قد قلت، و السعر قد غلا، و الفتن (163 ظ) قد ثارت، و الفساد فی الأعمال قد انتشر، و أن العدوان فی أعمال خراسان قد زاد، و ظهر، و الفناء قد کثر.

و فی هذه السنه وردت الأخبار من دیار مصر، بظهور بعض أولاد نزار، و اجتمع إلیه خلق کثیر من المغاربه و کتامه و غیرهم، و قربوا من

1- لمزید من التفاصیل انظر المنتظم: 10/ 137- 138.

الاسکندریه فی عالم عظیم، و أن إمام مصر الحافظ أنهض إلیهم العساکر المصریه، و نشبت الحرب بینهم، و قتل من الفریقین العدد الکثیر من الفرسان و الرجاله، و کان الظهور لعساکر الحافظیه علی النزاریه، بحیث هزموهم، و أثخنوا القتل فیهم، و أجلت الوقعه عن قتل ولد نزار المقدم، و معه جماعه من خواصه و أسبابه، و انهزم من ثبطه الأجل، و أطار قلبه الوجل، و خمدت عقیب هذه النوبه النائره، و زالت تلک الفتنه الثائره، و سکنت النفوس، و زال عن مصر الخوف و البؤس(1).

و وردت الأخبار فی رجب منها من ناحیه حلب، بأن نور الدین صاحبها، کان قد توجه فی عسکره إلی ناحیه الأعمال الأفرنجیه، و ظفر بعده وافره من الأفرنج، و أن صاحب أنطاکیه جمع الأفرنج، و قصده علی حین غفله منه، فنال من عسکره و أثقاله و کراعه ما أوجبته الأقدار النازله، و انهزم بنفسه و عسکره، و عاد إلی حلب سالما فی عسکره لم یفقد منه إلا النفر الیسیر بعد قتل جماعه وافره من الأفرنج، و أقام بحلب أیاما(2)، بحیث جدد ما ذهب له من الیزک(3)، و ما یحتاج إلیه من آلات العسکر، و عاد إلی منزله، و قیل لم یعد.

و کان الغیث أمسک عن الأعمال الحورانیه و الغوطیه و البقاعیه، بحیث امتنع الناس من الفلاحه الزراعیه و قنطوا و یئسوا من نزول الغیث، فلما کان فی أیام من شعبان فی نوء الهنعه(4) أرسل الله تعالی، و له الحمد و الشکر، علی الأعمال من الأمطار المتدارکه ما

1- فی اتعاظ الحنفا: 3/ 186« و عقدوا لرجل قدم من المغرب، و ادعی أنه ولد نزار ابن المستنصر، إنما لا تبیان لاسمه».
2- انظر الخبر مفصلا فی الکواکب الدریه فی السیره النویه لابن قاضی شبهه. ط. بیروت 1971: 130. الروضتین. ط. مصوره بیروت: 1/ 55.
3- فی الأصل« البرک» و هو تصحیف صوابه ما أثبتنا، و الیزک نوع من الحرس الطلیعی للجیش. انظر الماده فی معجم دوزی.
4- النوء: النجم مال للغروب، و الهنعه منکب الجوزاء الأیسر و هی خمسه أنجم مصطفه ینزلها القمر. القاموس المحیط.

رویت به الأراضی و الآکام و الوهاد، و انشرحت الصدور، و لحقوا معه أوان الزراعه، فاستکثروا منها، و زادوا فی الفلاحه، و العماره و ذلک من شعبان.

و قد کان تقدم من شرح نوبه قتل برق بن جندل التیمی بید الاسماعیلیه و جمع أخیه ضحاک بن جندل لبنی عمه و أسرته و قومه و رجاله، و کبسه لجماعه خصومه و قتلهم مع رأس طغیانهم، (164 و) بهرام الداعی، ما قد شرح فی موضعه من هذا التاریخ، و عرف، و ورد الخبر فی شعبان من هذه السنه بأن المذکورین ندبوا لقتل ضحاک المذکور، رجلین أحدهما قواسا، و الآخر نشابیا، فوصلا إلیه و تقربا بصنعتهما إلیه، و أقاما عنده برهه من الزمان طویله إلی أن وجدوا فیه الفرصه مستهله، و ذاک أن ضحاک بن جندل کان راکبا مسیرا حول ضیعه له، تعرف ببیت لهیا من وادی التیم، فلما عاد منها، وافق اجتیازه بمنزل هذین المفسدین، فلقیاه و سألاه النزول عندهما للراحه، و ألحا علیه فی السؤال، فنزل و القدر منازله، و البلاء معادله، فلما جلس أتیاه بمأکول حضرهما، فحین شرع فی الأکل مع الخلوه، و ثبا علیه فقتلاه، و أجفلا فأدرکهما رجاله، فأخذوهما و أتوا بهما إلی ضحاک و قد بقی فیه رمق، فلما رآهما أمر بقتلهما، بحیث شاهدهما ثم فاظت نفسه فی الحال، و قام مقامه ولده فی إماره وادی التیم، و بهذا الشرح وصل کتابه، و علی هیئته أوردته.

و فی ذی الحجه ورد الخبر من ناحیه بغداد بوفاه القاضی، قاضی القضاه الأکمل فخر الدین عز الإسلام أبی القاسم علی بن الحسین بن محمد الزینبی رحمه الله، بیوم النحر من سنه ثلاث و أربعین و خمسمائه، و صلی علیه الإمام المقتفی لأمر الله أمیر المؤمنین، و صلی الله علیه بعده نقیب النقباء، و دفن علی والده نور الهدی فی تربه الإمام أبی حنیفه، رحمه الله، و ولی أمر القضاء بعده القاضی أبو الحسن علی بن الدامغانی.

و دخلت سنه أربع و أربعين و خمسمائه

و أولها يوم الأربعاء الحادى عشر من أيار، قد كان كثر فساد الأفرنج المقيمين بصور و عكا و الثغور الساحليه، بعد رحيلهم عن دمشق، و فساد شرائط الهدنه المستقره بين معين الدين و بينهم، بحيث شرعوا فى الفساد فى الأعمال الدمشقيه، فاقتضت الحال نهوض الأمير معين الدين فى العسكر الدمشقى إلى أعمالها، مغيرا عليها و عائثا فيها، و خيم فى ناحيه حوران بالعسكر، و كاتب العرب فى أواخر سنه ثلاث و أربعين و خمسمائه، و لم يزل مواصلا للغارات و شنها على (164 ظ) بلادهم و أطرافهم مع الأيام و تقضيها، و الساعات و تصرمها، و استدعى جماعه وافره من التركمان، و أطلق أيديهم فى نهب أعمالهم، و الفتك بمن يظفر به فى أطرافهم: الحراميه، و أهل الفساد، و الإخراب، و لم يزل على هذه القضيه لهم محاصرا، و على النكايه فيهم و المضايقه لهم مصابرا، إلى أن ألجأهم إلى طلب المصالحه، و تجديد عقد المهادنه، و المسامحه ببعض المقاطعه، و ترددت المراسلات فى تقرير هذا الأمر، و إحكام مشروطه و أخذ الأيمان بالوفاء بشروطه فى المحرم سنه أربع و أربعين و خمسمائه، و تقررت حال الموادعه مده سنتين و وقعت الأيمان على ذلک، و زال الخلف، و اطمأنت النفوس من أهل العملين بذلک، و سكنت إلى تمامه، و سرت بأحكامه.

و وافق ذلک تواصل كتب نور الدين صاحب حلب إلى معين الدين، يعلمه أن صاحب أنطاكيه جمع أفرنج بلاده، و ظهر يطلب بهم الإفساد فى الأعمال الحلبيه، و أنه قد برز فى عسكره إلى ظاهر حلب للقائه، و كف شره عن الأعمال، و أن الحاجه ماسه إلى معاضدته بمسيره بنفسه و عسكره إليه، ليتفقا بالعسكرين عليه، فاقتضت الحال أن ندب الأمير معين الدين، الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين، فى فريق وافر من العسكر الدمشقى، للمصير إلى جهته، و بذل المجهود فى طاعته

و مناصحته، و توجه فی یوم [السبت](1) من العشر الأول من صفر من السنه، و بقی معین الدین فی باقی العسکر بناحیه حوران، لإیناس حلل العرب، و حفظ أطرافهم، و تطییب نفوسهم لنقل الغلال علی جمالهم إلی دمشق، علی جاری العاده، و حفظها و الاحتیاط علیها.

و فی صفر من السنه وردت البشائر من جهه نور الدین، صاحب حلب، بما أولاه الله- و له الحمد- من الظهور علی حشد الأفرنج المخذول، و جمعهم المفلول، بحیث لم یفلت منهم إلا من خبر ببوارهم، و تعجیل دمارهم، و ذلک أن نور الدین لما اجتمع إلیه ما استدعاه من خیل التركمان و الأطراف، و من وصل إلیه من عسکر دمشق مع الأمیر مجاهد الدین (165 و) بزان قویت بذلک نفسه، و اشتدت شوکته، و کثف جمعه، و رحل إلی ناحیه الأفرنج بعمل أنطاکیه، بحیث صار عسکره یناهز السته آلاف فارس مقاتله، سوی الأتباع و السواد و الأفرنج فی زهاء أربعمائه فارس طعانه، و ألف راجل مقاتله، سوی الأتباع، فلما حصلوا بالموضع المعروف بإنب(2) نهض نور الدین فی العسکر المنصور نحوهم، و لما وقعت العین علی العین حمل الکفره علی المسلمین حملتهم المشهوره، و تفرق المسلمون علیهم من عده جهات، ثم أطبقوا علیهم و اختلط الفریقان، و انعقد العجاج علیهم، و تحکمت سیوف الإسلام فیهم، ثم انقشع القتام، و قد منح الله، و له الحمد و الشکر المسلمین النصر علی المشرکین، و قد صاروا علی الصعید مصرعین و به معفرین و بحربهم مخذولین، بحیث لم ینج منهم إلا النفر الیسیر ممن ثبطه الأجل، و أطار قلبه الوجل، بحیث یخبرون بهلاکهم و احتناکهم، و شرع المسلمون فی إسلابهم، و الاشتمال علی سوادهم، و امتلأت الأیدی من غنائمهم و کراعهم، و وجد اللعین البلنس

1- فراغ فی الأصل، و السبت یقابل العاشر من صفر، ذلک أن ابن القلانسی نفسه و ابن العدیم فی کتاب زبده الحلب: 2/ 298 أوردا أن نور الدین اشتبک مع الفرنجه« یوم الأربعاء حادی و عشرین من صفر». انظر أیضا الکواکب الدریه: 130.
2- حصن من أعمال عزاز فی جهات حلب. یاقوت.

مقدمهم(1) صريعا بين حماته و أبطاله، فعرف، و قطع رأسه، و حمل إلى نور الدين، فوصل حامله بأحسن صله، و كان هذا اللعين من أبطال الأفرنج المشهورين بالفروسيه، و شده البأس، و قوه الحيل، و عظم الخلقه، مع اشتهار الهيبه، و كبر السطوه، و التناهى فى الشر، و ذلک فى يوم الأربعاء الحادى و العشرين من صفر سنه أربع و أربعين، ثم نزل نور الدين فى العسكر على باب أنطاكيه، و قد خلت من حماتها و الذابين عنها، و لم يبق فيها غير أهلها مع كثره أعدادهم، و حصانه بلدهم، و ترددت المراسلات بين نور الدين و بينهم فى طلب التسليم إلى نور الدين، و إيمانهم و صيانه أحوالهم، فوقع الاحتجاج منهم بأن هذا الأمر لا يمكنهم الدخول فيه إلا بعد انقطاع آمالهم من الناصر لهم و المعين على من يقصدهم، فحملوا ما أمكنهم من التحف و المال، و استمهلوا فأمهلوا و أجيبوا إلى ما فيه سألوا، ثم رتب بعض العسكر للإقامه عليها، و المنع لمن يصل إليها.

و نهض نور الدين فى بقيه (165 ظ) العسكر إلى ناحيه أفاميه، و قد كان رتب الأمير صلاح الدين فى فريق وافر من العسكر لمنازلتها و مضايقتها و محاربتها، فحين علم من فيها من المستحفظين هلاک الأفرنج، و انقطع أملهم من مواد الإنجاد و أسباب الإسعاد، التمسوا الأمان، فأمنوا على نفوسهم، و سلموا البلد، و وفى لهم بالشرط، فرتب فيها من رآه كافيا فى حفظها و الذب عنها، و ذلک فى الثامن عشر من شهر ربيع الأول من السنه.

و انكفأ نور الدين فى عسكره إلى ناحيه [أنطاكيه، و قد انتهى الخبر بنهوض الفرنج من ناحيه](2) الساحل إلى صوب أنطاكيه، لإنجاد من

1- هو ريموند أمير أنطاكيه، استمر فى حكمه ثلاث عشره سنه، و قد خلف وراءه زوجته كونستانس مع أربعه أولاد: ذكرين و ابنتين. تاريخ وليم الصورى: 2/ 198- 200. الباهر:
2- أضيف ما بين الحاصرتين من الروضتين: 1/ 58، حيث نقل عن ابن القلانسى، و هو خبر أورده وليم الصورى فى تاريخه: 2/ 199- 200.

بها و طلب نور الدين تسهل الفرصه فى قصدهم للإيقاع بهم، فأحجموا عن الإقدام على التقرب منه، و تشاغلوا عنه، و اقتضت الحال مهادنه من فى أنطاكيه و موادعتهم، و تقرير أن يكون ما قرب من الأعمال الحلبيه له، و ما قرب من أنطاكيه لهم، و رحل عنها إلى جهه غيرهم، بحيث قد كان فى هذه النوبه قد ملک ما حول أنطاكيه من الحصون و القلاع و المعاقل، و غنم منها الغنائم الجمه، و فصل عنه الأمير مجاهد الدين بزان فى العسكر الدمشقى، و قد كان له فى هذه الوقعه و لمن فى جملته البلاء المشهور، و الذكر المشكور، لما هو موصوف به من الشهامه و البساله و أصاله الرأى، و المعرفه بمواقف الحروب، و وصل إلى دمشق سالما فى نفسه و جملته فى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر من السنه، و من لفظه و صفته، هذا الشرح معتمدا فيه على الاختصار دون الإكثار، و فيه من تقويه أركان الدين و إذلال ما بقى من الكفره الملحدين ما هو مشهور بين العباد، و سائر البلاد، مشكور مذكور، و الله تعالى اسمه، عليه المحمود المشكور.

و قد مضى من ذكر معين الدين أنر فيما كان أنهضه من عسكره إلى ناحيه حلب، لإعانه نور الدين صاحبها، على ملاقاه الأفرنج المجتمعين من أنطاكيه و أعمالها للإفساد فى الأعمال الشاميه، و ما منح الله تعالى، و له الحمد، من الظفر بهم و النصر عليهم، ما أغنى عن ذكر شى ء منه، و اتفق أن معين الدين فصل عن عسكره بحوران، و وصل إلى دمشق فى أيام من آخر شهر ربيع الأول سنه أربع و أربعين و خمسمائه، لأمر أوجب ذاک، و دعا إليه، و أمعن فى الأمل لعاده جرت (166 و) له فلحقه عقيب ذلک انطلاق تمادى به، و حمله اجتهاده فيما يدبره على العود إلى العسكر بناحيه حوران، و هو على هذه الصفه من الانطلاق، و قد زاد به، و ضعفت قوته، و تولد معه المرض المعروف بدوسنطريا(1) و عمله فى

1- فى الأصل: بجوسنطريا و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا و هو الزحار الشديد.

الكبد، و هو مخوف لا يكاد يسلم صاحبه منه، و أرجف به و ضعفت قوته، فأوجبت الحال عوده إلى دمشق فى محفه لمداواته، فوصل فى يوم السبت السابع من شهر ربيع الآخر من السنه، فزاد به المرض و الإرجاف بموته، و سقطت قوته، و قضى نحبه فى الليله التى صبيحتها يوم الاثنين الثالث و العشرين من ربيع الآخر من السنه، و دفن فى إيوان الدار الأتابكيه التى كان يسكنها، ثم نقل بعد ذلک إلى المدرسه التى عمرها، و لما دفن فى قبره و فرغ من أمره، اجتمع حسام الدين بلاق، و مؤيد الدين الرئيس، و مجاهد الدين بزان، و أعيان الأجناد فى مجلس مجير الدين بالقلعه، و إليه الأمر و التقدم، و تقررت الحال بينهم على ما اتفق من صلاح الحال.

و فى مستهل جمادى الأولى من السنه توفى أبو عبد الله البسطامى المقرى ء المصلى فى مشهد زين العابدين رحمه الله.

و ورد الخبر من ناحيه الموصل بوفاه الأمير سيف الدين غازى بن عماد الدين أتابک رحمه الله، بعله قولنجيه دامت به، فى أوائل جمادى الأولى من السنه و أنه قرر الأمر لأخيه مودود بن عماد الدين، و النظر فى أمره للأمير على كوجک، و الوزاره لجمال الدين.

و فى يوم الجمعه التاسع من رجب سنه أربع و أربعين و خمسمائه قرى ء المنشور المنشأ عن مجير الدين بعد الصلاه على المنبر بإبطال الفيئه المستخرجه من الرعيه و إزاله حكمها، و تعفيه رسمها، و إبطال دار الضرب، فكثر دعاء الناس له و شكرهم.

و حدث عقيب هذه الحال استيحاش مؤيد الدين الرئيس، من مجير الدين استيحاشا أوجب جمع من أمكنه من سفهاء الأحداث و الغوغاء و حمله السلاح من الجهله العوام، و ترتيبهم حول داره و دار أخيه زين الدوله حيدره للاحتماء بهم من مكروه يتم عليهما، و ذلک فى يوم

الأربعاء الثالث و عشرين من رجب، و وقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكنهما، و يطيب قلوبهما، فما وثقا بذلک، و جدا فی الجمع و الاحتشاد من العوام، و بعض الأجناد (166 ظ) و أثارا الفتنه فی لیله الخمیس تالی الیوم المذکور، و قصدوا(1) باب السجن، و کسروا أغلاقه، و أطلقوا من فیه، و استنفروا جماعه من أهل الشاغور و غیرهم، و قصدوا الباب الشرقی(2)، و فعلوا مثل ذلک، و حصلوا فی جمع کثیر، و امتلأت بهم الأزقه و الدروب فحین عرف مجیر الدین و أصحابه هذه الصوره، اجتمعوا فی القلعه بالسلاح الشاک، فأخرج ما فی خزائنه من السلاح و العدد، و فرقت علی العسکریه، و عزموا علی الزحف إلی جمع الأوباش، و الإیقاع بهم، و النکایه فیهم، فسأل جماعه من المقدمین التمهل فی هذا الأمر، و ترک العجله بحیث تحقن الدماء، و تسلم البلد من النهب و الحریق، و ألحوا علیه إلی أن أجاب سؤالهم، و وقعت المراسله و التلطف فی إصلاح ذات البین، فاشترط الرئیس و أخوه شروطا أجیبا إلی بعضها، و أعرض عن بعض، بحیث یکون ملازما لداره، و یکون ولده و ولد أخیه فی الخدمه فی الدیوان و لا یرکب إلی القلعه إلا مستدعیا إلیها، و تقررت الحال علی ذلک، و سکنت الدهماء، ثم حدث بعد هذا التقریر عود الحال إلی ما کانت علیه من العناد، و إثاره الفساد، و جمع الجمع الکثیر من الأجناد و المقدمین و الرعاع و الفلاحین، و اتفقوا علی الزحف إلی القلعه و حصر من بها و طلب من عین علیه من الأعداء و الأعیان، فی أواخر رجب، و نشبت الحرب بین الفریقین، و جرح و قتل بینهم نفر یسیر، و عاد کل فریق منهم إلی مکانه.

و وافق ذلک هروب السلار زین الدین اسماعیل الشحنه، و أخیه إلی ناحیه بعلبک، و لم تزل الفتنه ثائره، و المحاربه متصله، إلی أن اقتضت

1- کان فی الأصل، بالجمع بدلا من التثنیه.
2- ما تزالان تحملان الاسمین نفسیهما.

الصوره إبعاد من التمس إبعاده من خواص مجير الدين، و سكنت الفتنه، و أطلقت أيدى النهابه فى دور السلار زين الدين و أخيه و أصحابهما، و عمهما النهب و الإخراب، و دعت الصوره إلى تطييب نفس الرئيس و أخيه، و الخلع عليهما بعد أيمان حلف بها، و إعاده الرئيس إلى الوزاره و الرئاسه، بحيث لا يكون له فى ذلک معترض و لا مشارک.

و ورد الخبر بظهور الأفرنج إلى الأعمال للعيث فيها و الإفساد، و شرعوا فى التأهب لدفع شرهم.

و ورد الخبر من ناحيه مصر بوفاه صاحبها الإمام الحافظ بأمر الله أمير المؤمنين عبد المجيد ابن الأمير أبى القاسم بن المستنصر بالله، فى الخامس (167 و) من جمادى الآخره سنه أربع و أربعين، و ولى الأمر من بعده ولده الأصغر أبو منصور اسماعيل بن عبد المجيد الحافظ، و لقب بالظافر بالله، و ولى الوزاره أمير الجيوش أبو الفتح بن مصال المغربى، فأحسن السيره، و أجمل السياسه، و استقامت بتدبيره الأعمال، و صلحت الأحوال، ثم حدث من بعد ذلک من اضطراب الأمور، و الخلف المكروه بين السودان و الريحانيه، بحيث قتل بين الفريقين الخلق الكثير، و سكنت الفتنه بعد ذلک، و انتشر الأمن بعد الخوف، و قد كان الحافظ رحمه الله ولى الأمر أولا فى المحرم سنه ست و عشرين و خمسمائه، بحيث كانت مده إقامته فيه ثمانى عشره سنه و خمسه أشهر و خمسه و عشرين يوما، و كان أول زمانه حسن الأفعال و السيره، و بث الإحسان فى العسكريه و الرعيه(1).

و قد كان الخبر اتصل بنور الدين بإفساد الأفرنج فى الأعمال الحورانيه بالنهب و السبى، فعزم على التأهب لقصدهم، و كتب إلى من فى دمشق يعلمهم ما عزم عليه من الجهاد، و يستدعى منهم المعونه على ذلک بألف

1- انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 189- 192 حيث المزيد من التفاصيل.

فارس، تصل إليه مع مقدم يعول عليه، و قد كانوا عاهدوا الأفرنج أن يكونوا يدا واحده على من يقصدهم من عساكر المسلمين، فاحتج عليه، و غولط، فلما عرف ذلک رحل و نزل بمرج يبوس و بعض العسكريه(1) بيعفور، فلما قرب من دمشق، و عرف ما بها خبره، و لم يعلموا أين مقصده، و قد راسلوا الأفرنج بخبره و قرروا معهم(2) الإنجاد عليه، و كانوا قد نهضوا إلى ناحيه عسقلان لعماره غزه، و وصلت أوائلهم إلى بانياس، و عرف نور الدين خبرهم، فلم يحفل بهم، و قال: لا أنحرف عن جهادهم، و هو مع ذلک كاف أيدى أصحابه عن العيث و الإفساد فى الضياع، و إحسان الرأى فى الفلاحين و التخفيف، و الدعاء له مع ذلک متواصل من أهل دمشق و أعمالها، و سائر البلاد و أطرافها، و كان الغيث قد انحبس عن حوران و الغوطه و المرج حتى نزح أكثر أهل حوران عنها للمحل و اشتداد الأمر، و ترويع سربهم، و عدم شربهم، فلما وصل إلى بعلبک اتفق للقضاء المقدر، و الرحمه النازله أن السماء أرسلت عزاليها، بل وابل وطل و انسكاب و هطل، بحيث أقام ذلک منذ الثلاثاء الثالث من ذى الحجه سنه أربع و أربعين إلى مثله (167 ظ) و زادت الأنهار، و امتلأت، برک حوران، و دارت أرحيتها، و عاد ما صوح(3) من الزرع و النبات غضا طريا، و ضج الناس بالدعاء لنور الدين، و قالوا:

هذا ببركته و حسن معدلته و سيرته.

ثم رحل من منزله بالأعوج و نزل على جسر الخشب المعروف بمنازل العساكر(4) فى يوم الثلاثاء السادس و العشرين من ذى الحجه سنه أربع و أربعين، و راسل مجير الدين و الرئيس، بما قال فيه: إننى ما قصدت بنزولى هذا المنزل طالبا لمحاربتكم، و لا منازلتكم، و إنما دعانى إلى هذا

1- خارج دمشق تعرفان بهذين الاسمين.
2- فى الأصل« معه».
3- صوت النبات إذا يبس و تشقق. النهايه لابن الأثير.
4- فى الأصل« العاسر» و هو تصحيف قوم من الكواكب الدريه: 134.

الأمر كثره شكايه المسلمين من أهل حوران و العربان، بأن الفلاحين الذين أخذت أموالهم و شتتت نساؤهم و أطفالهم، بيد الأفرنج، و عدم الناصر لهم، و لا يسعنى مع ما أعطانى الله- و له الحمد- من الاقتدار على نصره المسلمين، و جهاد المشركين، و كثره المال و الرجال، و لا يحل لى، القعود عنهم، و الانتصار لهم، مع معرفتى بعجزكم عن حفظ أعمالكم، و الذب عنها، و التقصير الذى دعاكم إلى الاستصراخ بالأفرنج على محاربتى، و بذلكم لهم أموال الضعفاء و المساكين من الرعيه، ظلما لهم و تعديا عليهم، و هذا ما لا يرضى الله تعالى، و لا أحد من المسلمين، و لابد من المعونه بألف فارس مزاحى العله، تجرد مع من يوثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان و غيره.

فكان الجواب عن هذه الرساله: ليس بيننا و بينک إلا السيف، و سيوافينا من الأفرنج ما يعيننا على دفعک إن قصدتنا، و نزلت علينا، فلما عاد الرسول بهذا الجواب، و وقف عليه، أكثر التعجب منه، و الإنكار له، و عزم على الزحف إلى البلد، و محاربته فى غد ذلک اليوم، و هو يوم الأربعاء الخامس و العشرون من نيسان، فأرسل الله تعالى من الأمطار و تداركها و دوامها، ما منعه من ذلک، و صرفه عنه.

و دخلت سنه خمس و أربعين و خمسمائه

أولها يوم الاثنين مستهل المحرم، و فيه تقرر الصلح بين نور الدين و أرباب دمشق، و السبب فى ذلک أن نور الدين أشفق من سفک دماء المسلمين إن أقام على حربها و المضايقه لها، مع ما اتصل به من أخبار دعته إلى ذلک، و اتفق أنهم (168 و) بذلوا له الطاعه، و إقامه الخطبه له على منبر دمشق، بعد الخليفه و السلطان و السكه، و وقعت الأيمان على ذلک، و خلع نور الدين على مجير الدين خلعه كامله بالطوق، و أعاده مكرما محترما، و خطب له على منبر دمشق يوم الجمعه رابع عشر المحرم، ثم استدعى الرئيس إلى المخيم، و خلع عليه خلعه مكمله أيضا، و أعاده

إلى البلد، و خرج إليه جماعه من الأجناد و الخواص إلى المخيم، و اختلطوا به، فوصل من استماحه من الطلاب و الفقراء و الضعفاء، بحيث ما خاب قاصده، و لا أكدى من سأله، و رحل عن مخيمه ليله الأحد عائدا إلى حلب، بعد إحكام ما قرر، و تكميل ما دبر.

و ورد الخبر فى الخامس من المحرم من ناحيه حلب بأن عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب أعزاز و أصحابه، و حصوله فى قبضه الأسر فى قلعه حلب، فسر بهذا الفتح كافه الناس.

و ورد الخبر بأن الملك(1) مسعود وصل فى عسكره طالبا أنطاكيه، و نزل على تل باشر، و ضايقها فى أيام من المحرم.

و فى أيام من المحرم وصل إلى دمشق جماعه من حجاج العراق و خراسان المأخوذين فى طريق الحج عند عودهم، لجماعه من كفار العربان و زطهم و أوباشهم، تجمعوا فى عدد دثر، و حكوا مصيبه ما نزل مثلها بأحد فى السنين الخاليه، و لا يكون أشنع منها، و ذكر أنه كان فى هذا الحج من وجوه خراسان و تنائها و فقهائها و علمائها و قضاتها، و خواتين أمراء العسكر السلطانيه و الحرم العدد الكثير، و الأموال الجمه، و الأمتعه الوافره، فأخذ جميع ذلک و قتل الأكثر، و سلم الأقل إلا نزر، و هتكت النساء، و سلبوا، و هلک من هلک بالجوع و العطش، فضاقت الصدور لهذه النازله الفادحه، و الرزيئه الحادثه، فكسا العارى منهم، و أطلق لهم ما استعانوا بقدره على عودهم إلى أوطانهم، من أصحاب المروءه و المقدمين بدمشق، و ذلک بتقدير الحكيم القدير(2).

و قد كان نور الدين عقيب رحيله عن دمشق، و حصول ابن جوسلين

1- هو« الملک مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونيه» و كان نور الدين زوجا لابنته. انظر زبده الحلب: 2/ 301.
2- لمزيد من التفاصيل انظر الكواكب الدريه: 136. و نقل صاحب الروضتين هذا النص: 1/ 77.

فی قلعه حلب أسیرا، توجه فی عسکره إلی اعزاز بلد ابن جوسلین، و نزل علیها، و ضایقها و واظب قتالها، إلی أن سهل الله تعالی ملکتها بالأمان، و هی علی غایه من الحصانه و المنعه و الرفعه، فلما تسلمها رتب فیها من ثقاته من وثق به، و رحل (168 ظ) عنها ظافرا مسرورا، عائدا إلی حلب، فی أیام من شهر ربیع الأول من السنه.

و ورد الخبر بعد المضایقه و المحاربه عن تل باشر، فی یوم الجمعه مستهل ربیع الآخر برحیل الملک مسعود، و وصل أکثر حماتها، لأسباب أوجبت ذاک و دعت إلیه، و کان مجاهد الدین بزان قد توجه إلی حصنه صرخد، لتفقد أمواله، و ترتیب أحواله و أحوال ولده النائب عنه فی حفظه، و تقریر أموره، و عرضت بعده نفره بین مجیر الدین و الرئیس بسعایات أصحاب الأغراض و الفساد، و اقتضت الحال استدعاء مجاهد الدین لإصلاح الحال، فوصل و تم ذلک بوساطته علی شرط إبعاد الحاجب یوسف، حاجب مجیر الدین، عن البلد مع أصحابه، و توجهوا، و لم یعرض لشی ء من أموالهم، و قصد بعلبک فأکرمه عطاء و الیها.

و قد کانت الأخبار متناصره من ناحیه مصر بالخلف المستمر بین وزیرها ابن مصال، و بین الأمیر المظفر بن سلار، و جمیع العسکریه، و وقوع الحرب منهم، و سفک الدماء إلی أن أسفرت عن قتل ابن مصال الوزیر، و ظفر ابن سلار به، و غلبته علی الأمر، و انتصابه فی الوزاره، و سعی فی الصلاح و ترتیب الأجناد، و إطلاق واجباتهم، و هدأت النائره(1) و سکنت الفتنه الثائره(2).

و ورد الخبر بوصول منکوبرس(3) فی جماعه من الأتراک و الترکمان إلی ناحیه حوران، و اجتماعه مع الأمیر سرخاک والی بصری علی العیث

1- أی الفتنه و الشغب.
2- انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 196- 198 حیث أوفی التفاصیل.
3- لم یذکره غیر ابن القلانسی حتی یمکن التعریف به.

و الفساد فی ضیاع حوران، و قیل إن ذاک بإذن نور الدین، و قصدوا عمل صرخد بالإفساد و الإخراب و المضایقه لها، و رحلوا بعد ذلک إلی غیرها للإفساد، و منع الفلاحین من الزرع.

و فی یوم الاثنین السابع عشر من رجب من السنه توفی القاضی بهاء الدین عبد الملک بن الفقیه عبد الوهاب الحنبلی رحمه الله، و کان إماما فاضلا مناظرا مستقلا مفتیا علی مذهب الإمامین أحمد و أبی حنیفه، رحمهما الله، بحکم ما کان علیه عند إقامته بخراسان لطلب العلم و التقدم و کان (یعرف)(1) اللسان بالعربیه و الفارسیه، حسن الحدیث فی الجد و الهزل، و کان له یوم دفنه فی جوار أبیه و جده فی مقابر الشهداء(2) رحمهما الله، مشهود بکثره العالم و الباکین حول سریره، و المؤمنین له و المتأسفین علیه (169 و).

و توفی أیضا عقیب وفاته الشریف القاضی النقیب أبو الحسین، فخر الدوله ابن القاضی ابن أبی الجن رحمه الله، فی یوم الخمیس العشرین من رجب، من السنه، و دفن فی مقابر فخر الدوله جده رحمه الله، و تفجع الناس له، لخیریته و شرف بیته.

و فی رجب من السنه وردت الأخبار من ناحیه نور الدین بظفره بعسکر الأفرنج النازلین بإزائه قریبا من تل باشر، و عظم النکایه فیهم، و الفتک بهم، و امتلأت الأیدی من غنائمهم و سبیهم، و استیلائه علی حصن(3) [تل] خالد، الذی کان مضایقه و منازله.

و فی العشر الأخیر من رجب ورد الخبر من حوران، بأن الأمیر

1- أضیف ما بین الحاصرتین من ذیل طبقات الحنابله: 1/ 219 حیث نقل ابن رجب مادته عن ابن قلانسی.
2- أضاف ابن رجب إلی هذا قوله:« یعنی بالباب الصغیر». المصدر السالف.
3- أضیف ما بین الحاصرتین من زبده الحلب: 2/ 302 حیث تحدث عن سقوط عدد من الحصون لنور الدین، و فی معجم البلدان:« تل خالد، قلعه من نواحی حلب».

منکوبرس إلتقی فی المعروف بالنویسه(1) الحاجی و رجاله من عسکر دمشق، فهزمه و جرحه جرحا تمکن منه، و حمل إلی البلد، فمات فی الطریق، و وصل و قبر فی مقابر الفرادیس فی یوم الاثنین السادس من شعبان من السنه.

و فی یوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان أرسلت السماء عزالیها بثلج لم یر فی السنین الخالیه مثله، و تمادت به الأیام، بحیث عم کثیرا من أقطار الأرض: حوران و البقاع و البریه، و قیل إن أقصاه من بلاد الشمال إلی قلعه جعبر، و جرت أودیه حوران، و دارت أرحیتها، و امتلأت برکها، و فاضت آبارها، و استبشر الناس بهذه النعمه العامه، و شکروا مولیها، و المنعم بها، و زادت أنهار بردی و العیون عقیب ذلک زیاده وافره، و سرت النفوس و تتابع بعد ذلک غیث کانون الثانی، و روی الزراعات، و منابت العشب.

و فی یوم السبت الثالث من ذی الحجه من السنه، توفی القاضی المکین أبو البرکات محفوظ ابن القاضی أبی محمد الحسن بن صصری رحمه الله، بعله طالت به، و هو فی أواخر الثمانین، و کان مشهورا بالخیر، و العفاف و سلامه الطبع.

و ورد الخبر من ناحیه مصر بالخلف المستمر بین وزیرها العادل بن سلار، و أجنادها بحیث الدماء بینهم مسفوحه، و أبواب الشر و العناد مفتوحه(2).

و دخلت سنه ست و أربعین و خمسمائه

و أولها یوم الجمعه مستهل المحرم، و فی یوم الأربعاء العاشر من المحرم من هذه السنه المبارکه نزل أوائل عسکر نور الدین علی أرض

1- کذا بالأصل، و لم أجد الخبر فی مصدر آخر فاضبطه.
2- لمزید من التفاصیل انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 195- 200.

عذراء من عمل دمشق و ما والاها، (169 ظ) و فی یوم الخمیس تالیه قصد فریق وافر منهم ناحیه السهم(1) و النیرب، و کمنوا عند الجبل لعسکر دمشق، فلما خرج منها إلیها أسرع النذیر إلیهم، فحذرهم، و قد ظهر الکمین فانهزموا إلی البلد، و خرج من أعقابهم، و سلموا من الإیقاع بهم، و فی یوم الجمعه تالیه وصل نور الدین فی عسکره، و نزل علی عیون فاسریا(2) ما بین عذراء و دومه، و امتدوا إلی تلک الجهات، و فی یوم السبت التالی له رحلوا من ذلک المکان و نزلوا فی أراضی حجیرا و راویه(3)، و تلک الجهات فی الخلق الکثیر، و الجم الغفیر، و انبثت أیدی المفسدین فی العسکر الدمشقی و الأوباش من أهل العیث و الإفساد فی زروع الناس، فحصدوها و استأصلوها و فی الثمار فأفنوها بلا مانع و لا دافع، و ضر ذلک بأصحابها الضر الزائد، و تحرک السعر و انقطعت السابله، و ضاقت الصدور، و وقع التأهب و الاستعداد لحفظ البلد و السور، و وافت رسل نور الدین إلی ولاه أمر البلد، تقول: أنا ما أوثر إلا صلاح المسلمین، و جهاد المشرکین، و خلاص من فی أیدیهم من الأسارى فإن ظهرتم معی فی عسکر دمشق، و تعاضدنا علی الجهاد، و جری الأمر علی الوفاق و السداد، فذلک غایه الإیثار و المراد، فلم یعد الجواب إلیه بما یرضاه و یوافق مبتغاه.

و فی یوم السبت الثالث و العشرین منه رحل نور الدین فی عساکره عن ذلک المنزل، بحیث نزل فی أرض مسجد القدم و ما والاه من الشرق و الغرب، و مبلغ منتهی الخیم إلی المسجد الجدید قبلی البلد، و هذا منزل ما نزله أحد من مقدمی العساکر فیما سلف من السنین، و جری بین أوائل العسکر، و بین من ظهر إلیه من البلد مناوشات، ثم عاد کل

1- السهم و النیرب من منتزهات دمشق فی أرض الصالحیه. غوطه دمشق: 10، 76.
2- معروفه فی سفح جبل دوما. غوطه دمشق: 75.
3- راویه هی بلده الست« السیده زینب» الحالیه، و حجیرا« و اسمها الآن حجرا» علی مقربه منها. غوطه دمشق: 229- 232.

إلى مكانه، و لم تزل الحال مستمره من العسكر النورى على إهمال الزحف إلى البلد، و محاربه من فيه إشفاقا من قتل النفوس، و إثخان الجراح فى مقاتله الجهتين، بحيث انطلقت أيدى المفسدين من الفريقين فى الفساد، و حصد زراعات المرج و الغوطه، و ضواحى البلد، و خراب مساكن القرى، و نقل أنقاضها إلى البلد و العسكر، و زاد الأضرار بأربابها من التناء و الفلاحين و تزايد طمع الرعاع و الأوباش فى التناهى فى الفساد بلا رادع لهم و لا مانع و عدم التبن لعلف الكراع فى جميع الجهات و ارتفع السعر و عظم (170 و) الخطب و صعب الأمر، و الأخبار تتناصر باحتشاد الأفرنج و اجتماعهم للإنجاد لأهل دمشق و الإسعاد، و قد ضاقت صدور أهل الدين و الصلاح، و زاد إنكارهم لمثل هذه الأحوال المنكره و الأسباب المستبشعه، و لم تزل الحال على هذه القضيه المكروهه، و المناوشات فى كل يوم متصله من غير مزاحفه و لا محاربه إلى يوم الخميس الثالث عشر من صفر من السنه.

ثم رحل العسكر النورى من هذه المنازل و نزل فى أراضى فذايا و حلقبلتين و الخامسين(1) المصاقبه للبلد، و ما عرف فى قديم الزمان من أقدم من الجيوش على الدنو منها، و نشبت المطارده فى اليوم المذكور، و كثر الجراح فى خياله البلد و رجالته، و ملک مواشى الفلاحين و الضعفاء و دواب المتعلقه من البلد، و ما يخص فلاحى الغوطه و المرج و الضواحى، ثم رحل فى يوم الخميس لعشر بقين من صفر عائدا إلى ناحيه داريا، لتواصل الأرجاف بقرب عسكر الأفرنج من البلد للإنجاد، ليكون قريبا من معابرهم لقوه العزائم على لقائهم، و الاستعداد لحربهم، لأن العسكر النورى قد صار فى عدد لا يحصى كثره، و قوه، و فى كل يوم زياده بما يتواصل من الجهات و طوائف التركمان، و نور الدين مع هذه الحال لا

1- مناطق مصاقبه لدمشق حول طريق مطار دمشق الدولى الآن، فموقع فذايا جنوب مقبره اليهود الحاليه، و ضبط كرد على« حلقبلتين»« حلفبلتا» و هى مجاوره لفذايا و ضبط« الخامسين»« الخامس» انظر غوطه دمشق: 239- 241.

يأذن لأحد من عسكره فى التسرع إلى قتال أحد من المسلمين من رجال البلد و عوامه، تحرجا من إراقه الدم فيما لا يجدى نفعا، إذ كانوا يحملهم الجهل و الغرور على التسرع و الظهور، و لا يعودون إلا خاسرين مفلولين، و أقام على هذه الصوره، ثم رحل إلى ناحيه الأعوج لقرب عسكر الأفرنج، و عزمهم على قصده، و اقتضى رأيه الرحيل إلى ناحيه الزبدانى استجرارا لهم، ليكونوا فى أعمال حوران مع العرب، لقصد الأفرنج و لقائهم و ترقبا لوصولهم، و خروج العسكر الدمشقى إليهم، و اجتماعهم [بهم] ثم يقاطع عليهم(1).

و اتفق أن عسكر الأفرنج وصل عقيب رحيله إلى الأعوج و نزل به فى اليوم الثالث من شهر ربيع الأول سنه ست و أربعين و وصل منهم خلق كثير إلى البلد، لقضاء حوائجهم، و خرج مجير الدين و مؤيده فى خواصهما، و جماعه وافره من الرعيه، و اجتمعا بملكهم و خواصه و ما (170 ظ) صادفوا عندهم شيئا مما هجس فى النفوس من كثره، و لا قوه، و تقرر بينهم النزول بالعسكرين على حصن بصرى، لتملكه، و استغلال أعماله.

ثم رحل عسكر الأفرنج إلى رأس الماء، و لم يتهيأ خروج العسكر الدمشقى إليهم لعجزهم و اختلافهم، و قصد من كان بحوران من العسكر النورى، و من انضاف إليهم من العرب فى خلق كثير، ناحيه الأفرنج، للإيقاع بهم و النكايه فيهم، و التجأ عسكر الأفرنج إلى لجاه حوران للاعتصام بها، و انتهى الخبر إلى نور الدين، فرحل و نزل على عين الجر، من البقاع، عائدا إلى دمشق، و طالبا قصد الأفرنج، و العسكر الدمشقى، و كان الأفرنج حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقى، قد قصدوا بصرى لمنازلتها و مضايقتها و محاربتها فلم يتهيأ

1- فى الأصل:« و اجتماعهم ثم تقاطع عليهم» و قد زيد ما بين الحاصرتين و قومت العباره من الروضتين: 1/ 90.

ذلک لهم، و ظهر إليهم سرخاک و اليها فى رجاله، و عادوا عنه خاسرين، و انكفأ عسكر الأفرنج إلى أعماله فى العشر الأوسط من شهر ربيع الأول من السنه، و راسلوا مجير الدين و مؤيده، يلتمسون باقى المقاطعه المبذوله لهم على ترحيل نور الدين عن دمشق، و قالوا: لو لا نحن ندفعه ما رحل عنكم.

و فى هذه الأيام ورد الخبر بوصول الأسطول المصرى إلى ثغور الساحل فى غايه من القوه، و كثره العده و العده، و ذكر أن عده مراكبه سبعون مركبا حربيه مشحنه بالرجال، و لم يخرج مثله فى السنين الخاليه، و قد أنفق عليه ما حكى و قرب ثلاثمائه ألف دينار، و قرب من يافا من ثغور الأفرنج فقتلوا و أسروا و أحرقوا ما ظفروا به، و استولوا على عده وافره من مراكب الروم و الأفرنج، ثم قصدوا ثغر عكا، و فعلوا فيه مثل ذلک، و حصل فى أيديهم عده وافره من المراكب الحربيه الأفرنجيه، و قتلوا من حجاج [الأفرنج] و غيرهم خلقا عظيما، و أنفذوا ما أمكن إلى ناحيه مصر، و قصدوا ثغر صيدا و بيروت و طرابلس، و فعلوا فيها مثل ذلک.

و وعد نور الدين بمسيره إلى ناحيه الأسطول المذكور لإعانته على تدويخ الأفرنجيه، و اتفق اشتغاله بأمر دمشق، و عوده إليها لمضايقتها، و حدث نفسه بملكتها لعلمه بضعفها، و ميل الأجناد و الرعيه إليه، و إشارتهم لولايته و عدله، و ذكر أن نور الدين أمر بعرض عسكره و حصره، فذكر أنه بلغ كمال ثلاثين ألف مقاتله، ثم رحل و نزل بالدلهميه من عمل البقاع، ثم رحل منها طالبا نحو دمشق، و نزل فى (171 و) أرض كوكبا من غربى داريا فى يوم السبت الحادى و العشرين من ربيع الأول، و غارت الخيل على طريق حوران إلى دمشق، فاشتملت على الشى ء الكثير من الجمال و الغله و المواشى، و غاروا على ناحيه الغوطه و المرج، و استاقوا ما صادفوا من المواشى، ثم رحل عن هذا المنزل فى يوم الاثنين، و نزل من أرض داريا إلى جسر الخشب،

و نودی فی البلد بخروج الأجناد و الأحداث إلیه، فلم یظهر منهم إلا الیسیر ممن کان یخرج أولا(1).

و فی یوم الأربعاء الرابع و العشرین من الشهر، رحل من هذا المنزل، و نزل فی أرض القطیعه(2) و ما والاها، و دنا منها بحیث قرب من البلد، و وقعت المناوشه بین الفریقین من غیر زحف، و لا شد فی محاربه.

و ورد الخبر إلی نور الدین بتسلیم نائبه الأمیر حسان(3) المنبجی مدینه تل باشر بالأمان فی یوم الخمیس الخامس و عشرین من شهر ربیع الأول سنه ست و أربعین، و ضربت فی عسکره الطبول و الکوسات و البوقات بالبشاره، و ورد مع البشیر جماعه من أعیان تل باشر، لتقریر الأحوال.

و استمر رأی نور الدین علی [وقف](4) الزحف إلی البلد، و محاربه أهله و عسکریته تحرجا من قتل المسلمین، و قال: لا حاجه إلی قتل المسلمین بأیدی بعضهم بعضا، و أنا أرفههم لیکون بذل نفوسهم فی مجاهده المشرکین، و حدثت مع هذه النیه تردد المراسلات فی عقد الصلح فی أیام من شهر ربیع الآخر علی شروط أشیر إلیها، و اقتراحات عین علیها، و تردد فیها الفقیه برهان الدین البلخی، و الأمیر أسد الدین شیرکوه، و أخوه نجم الدین أیوب، و تقارب الأمر فی ذلک، و ترددت المراسلات إلی أن استقرت الحال علی قبول الشروط المقترحه، و وقعت الأیمان من الجهتین علی ذلک، و الرضا به فی یوم الخمیس العاشر من شهر ربیع الآخر من السنه.

1- زاد سبط ابن الجوزی فی روایته معللا عدم استجابه الأجناد و الأحداث بقوله:« لما وقر فی نفوسهم من استنجاد مجیر الدین و ابن الصوفی بالفرنج». مرآه الزمان: 1/ 210.
2- قریه ظاهر دمشق قرب میدان الحصا. غوطه دمشق: 235، 242.
3- فی الأصل« الأمیر نائبه الأمیر حسن» و حذفت عباره الأمیر الأولی و استبدلت عباره حسن بحسان لأنها مصحفه صوابها ما أثبتنا، و قد ورد اسم حسان فیما مضی. انظر زبده الحلب: 2/ 310. الروضتین: 1/ 81.
4- زید ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.

و رحل نور الدين فى عسكره فى يوم الجمعه غد اليوم المذكور، طالبا ناحيه بصرى، للنزول عليها، و المضايقه لها، و التمس من دمشق ما تدعو إليه الحاجه من آلات الحرب و المناجيق، لأن سرخاک الوالى المذكور، كان بها، كان شاع عصيانه و خلافه، و مال إلى الأفرنج، و اعتضدهم، فأنكر نور الدين ذلک عليه، و أنهض فريقا وافرا من عسكره إليه.

و ورد الخبر من ناحيه قلعه جعبر فى يوم السبت الثالث عشر من (171 ظ) شهر ربيع الآخر بأن صاحبها الأمير عز الدين على بن مالک ابن سالم بن مالک، خرج فى أصحابه إلى عسكر الرقه، و قد غار على أطراف أعماله لتخليص ما استاقوا منه، فالتقى الفريقان، و سبق إليه سهم من كمين ظهر عليهم قضى عليه، و عاد به أصحابه إلى قلعه جعبر، و جلس ولده مالک بن على فى منصبه، و اجتمع عليه جماعه أسرته، و استقام له الأمر من بعده.

و وردت الأخبار فى سنه ست و أربعين من ناحيه مصر بأن أهل دمياط، حدث فيهم فناء عظيم ما عهد مثله فى قديم و لا حديث، بحيث أحصى المفقود منهم فى سنه خمس و أربعين و خمسمائه، سبعه آلاف شخص، و فى سنه ست و أربعين مثلهم سبعه آلاف بحيث يكون الجميع أربعه عشر ألفا، و خلت دور كثيره من أهلها، و بقيت مغلقه، و لا ساكن فيها، و لا طالب لها.

و فى يوم السبت الثانى من جمادى الآخره سنه ست و أربعين توفى القاضى السديد الخطيب أبو الحسين بن أبى الحديد خطيب(1) دمشق رحمه الله و كان خطيبا سديدا مبلغا متصونا عفيفا، و لم يكن له من يقوم مقامه

1- هو« عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، ولد سنه اثنتان و ستون و أربعمائه، و سمع الحديث الكثير ... و كان بيت أبى الحديد يتوارثون نعل النبى صلى الله عليه و سلم» مرآه الزمان: 1/ 211- 212.

فی منصبه، سوی أبی الحسن الفضل ولد ولده [و هو](1) حدث السن، فنصب مکانه، و خطب و صلی بالناس، و استمر الأمر له و مضی فیه.

و وردت الحکایات بحدوث زلزله، وافت فی اللیله الثالثه عشر من جمادی الآخره سنه ست و أربعین اهتزت الأرض لها ثلاث رجفات، فی أعمال بصری و حوران، و سکنت، و ما والاها من سائر الجهات، و هدمت عده وافره من حیطان المنازل ببصری و غیرها، ثم سکنت بقدره من حرکها و سکنها، سبحانه و تعالی، إنه علی کل شی ء قدیر.

و فی یوم الخمیس الثانی عشر من رجب سنه ست و أربعین توجه مجیر الدین صاحب دمشق إلی حلب فی خواصه، و وصل إلیها، و دخل علی نور الدین صاحبها، و أکرمه و بالغ فی الفعل الجمیل فی حقه، و قرر معه تقریرات اقترحها علیه، بعد أن بذل له الطاعه، و حسن النیابه عنه فی دمشق، و انکفأ عنه مسرورا بما قصده فی حقه من الإکرام، و حسن الاحترام، و وصل إلی دمشق فی یوم الثلاثاء السادس من شعبان من السنه.

و فی آخر شعبان ورد الخبر من ناحیه بانیاس بأن فریقا وافرا (172 و) من الترکمان غاروا علی ظاهرها، و خرج إلیهم و الیها من الأفرنج فی أصحابه، و وافقهم، فظهر الترکمان علیهم، و قتلوا منهم و أسروا، و لم یفلت منهم غیر الوالی، و نفر یسیر، و اتصل الخبر بمن فی دمشق، فأنکر مثل هذا الفعل بحکم انعقاد الهدنه و الموادعه، و أنهض إلیهم من العسکر الدمشقی من صادف بعض الترکمان متخلفا عن رفقتهم، فحصلوا منهم ما کان فی أیدیهم و عادوا بثلاثه نفر منهم.

و فی أیام من أوائل رمضان من السنه، ورد الخبر بأن أکثر عسکر الأفرنج قصدوا ناحیه البقاع، علی غره من أهلها، و غاروا علی عده وافره من الضیاع، فاستباحوا ما بها من رجال و نسوان و شیوخ و أطفال،

1- أضیف ما بین الحاصرتین من الروضتین: 1/ 83. حیث الروایه عن ابن القلانسی.

و استاقوا عواملها و مواشيها و دوابها، و اتصل الخبر بوالى بعلبک، فأنهض إليهم رجاله، و اجتمع إليهم خلق كثير من رجال البقاع، و أسرعوا نحوهم القصد، و لحقوهم و قد أرسل الله تعالى عليهم من الثلوج المتداركه ما ثبطهم و حيرهم فقتلوا من رجالتهم الأكثر، و استخلصوا من الأسرى و المواشى ما سلم من الهلاک بالثلج، و هو الأقل، و عادوا على أقبح صفه من الخذلان و سوء الحال، بحمد الله، و نصره المسلمين(1).

و فى يوم السبت الثانى و العشرين من شوال من السنه، و هو اليوم الثالث من شباط وافت قبيل الظهر زلزله اهتزت لها الأرض ثلاث هزات هائله، و تحركت الدور و الجدران، ثم سكنت بقدره الله تعالى ذكره.

و دخلت سنه سبع و أربعين و خمسمائه

و أولها يوم الثلاثاء مستهل المحرم، و فى المحرم منها ورد الخبر من ناحيه نور الدين بنزوله على حصن انطرطوس فى عسكره، و افتتاحه له، و قتل من كان فيه من الأفرنج، و طلب الباقون الأمان على النفوس، فأجيبوا إلى ذلک و رتب فيه الحفظه و عاد(2) عنه، و ملک عده من الحصون، بالسيف و السبى و الإخراب، و الحرق و الأمان.

و وردت الأخبار من ناحيه عسقلان، فى يوم الخميس العاشر من المحرم بظفر رجال عسقلان بالأفرنج المجاورين لهم، بغزه بحيث هلک منهم العدد الكثير، و انهزم الباقون.

و فى ليله الثلاثاء الثانى و العشرين من المحرم من أواخر نيسان أرسل الله تعالى غيثا (172 ظ) هطالا مجللا بالرعود و البروق المتتابعه ما زادت

1- كان والى بعلبک آنذاک أيوب بن شادى، والد صلاح الدين، و مفيد أن نشير أنه فى هذه السنه التحق صلاح الدين بعمه أسد الدين بحلب فقدمه إلى نور الدين. الروضتين: 1/ 83- 84.
2- فى الأصل« و عادوا» و التقويم من الروضتين: 1/ 86 حيث الروايه عن ابن القلانسى.

معه مياه بردى زياده وافره، و تصندل لون مائها بمسايل الأوديه و الجبال، و انتفعت به زراعات السقى و البعول نفعا ظاهرا.

و فى النصف من شهر أيار من صفر سنه سبع و أربعين كان من زمجره الرعود و تتابع البروق و الأمطار فى عده جهات ما زادت به الأنهار، و سالت معه شعاب الجبال و الأوديه، و فى وقت العصر من يوم الأحد الثانى و العشرين من أيار و العشرين من صفر من السنه، نشأت غمامه برعود مجلجله هائله متتابعه لا تفتر مزعجه، ثم انهلت بوابل هطال جود بالمطر إلى آخر النهار، ثم أقبلت بردى بالليل بالسيل الزائد المتغير اللون، بماء الجبال المختلف، بحيث أفعمت الأنهار و السواقى و المجارى، و احمرت أماكنها، و صادفت طرحات الزرع و أكداسه، فغيرت الشعير و صفرته، و سكنت بقدره الله، و نفع من نشأتها، ثم حضر من شاهد هذا العارض، و حكى أنه كان من البرد الكبار ما لا حد له بحيث أفسد من المواشى الكثير، و هدم بعض دور الغوطه، و صار الماء فى الحقول راكدا و سائحا بالأنهار المغدقه، و حكى الحاكى أن هذا لم ير مثله فى الأزمان.

و فى أواخر صفر سنه سبع و أربعين توجه مجير الدين فى العسكر، و معه مؤيد الدين الوزير إلى ناحيه حصن بصرى، و نزل عليه محاصرا لسرخاك و اليه، و مضايقا لأهليه لمخالفته لأوامره و نواهيه، و جوره على أهل الضياع الحورانيه، و اعتدائه عليهم و إلزامهم ما لا طاقه لهم به، و استدعى المنجنيقات و آله الحرب لمنازلتها، و اتفق لمجير الدين المصير إلى صرخد لمشاهدته، و استأذن مجاهد الدين و اليه فى ذلک، فقال له: هذا المكان بحكمک و أنا فيه من قبلک، و أنفذ إلى ولده سيف الدين محمد، النائب فيه باعتداد ما يحتاج إليه، و تلقى مجير الدين بما يجب له، فخرج إليه فى بعض أصحابه، و معه المفاتيح، فوفاه ما يجب له من الإعظام، و أخلى الحصن من الرجال، و دخل إليه فى خواصه، فسر بذلک، و تعجب من فعل مجاهد الدين، و شكره على ذلک، و قدم إليه ما أعده

من القود و التحف، و عاد عنه شاكرا إلى مخيمه على بصرى و حاربها عده أيام إلى أن استقر (173 و) الصلح، و الدخول فيما أراد و عاد إلى البلد.

و فى أوائل شعبان من السنه، وردت الأخبار بوفاه السلطان غياث الدنيا و الدين مسعود بن السلطان محمد.

و فى العشر الأول من شوال من السنه، الموافق للعشر الأول من تشرين الثانى، تغير الماء و الهواء فى دمشق، و عرض لأهلها الحمى و السعال، بحيث عم الخاص و العام، و الشيوخ و الشباب و الأطفال، بحيث وقع الزحام على حوانيت العطارين لتحصيل المغلى، و حكى الحاكى أن بعض العطارين أحصى ما باعه فى يوم، فكان ثلاثمائه و ثمانين صفه، و السالم منه و المعافى الأكثر، و ما يقيم هذا المرض بالإنسان أكثر من الأسبوع و دونه، و يمضى من قضى أجله، و صعب أمر المغسلين و الحفارين، و احتيج إليهم لكثره الموتى.

و فى يوم السبت الرابع و عشرين من شوال من السنه، توفى الأمير سعد الدوله أبو عبد الله محمد بن المحسن بن الملحى رحمه الله، و دفن فى مقابر الكهف(1) و كان فيه أدب وافر، و كتابه حسنه، و نظم جيد، و تقدم والده فى حلب فى التدبير و السياسه، و عرض الأجناد.

و دخلت سنه ثمان و أربعين و خمسمائه

أولها يوم الأحد، و الشمس فى برج الحمل، و الطالع الجدى، و فى سادس و عشرين من المحرم منها ورد الخبر من ناحيه مصر بأن العادل المعروف بابن سلار، الذى كانت رتبته قد علت، و منزلته فى الوزاره قد تمكنت، و نفذ أمره فى البسط و القبض، و حكمه فى الإبرام و النقض، و أنه كان قد جلس للإنفاق فى رجال الأسطول، ليجهزه فى البحر إلى ناحيه عسقلان بالميره، لتقويه من بها على النازلين عليها من الأفرنج،

1- خارج دمشق فى جبلها معروف حتى الآن. لم يتغير اسمه.

و المضايقين لها، و هم فى الجمع الكثير و الجم الغفير، بالمال و الرجال و الغلال، و إشراف أهلها على الخطر، و أنه نهض من المجلس على العاده للراحه من النصب، و الهجعه عقيب التعب، و كان لزوجته ولد يعرف بالأمير عباس، و قد قدمه و اعتمد عليه فى الأعمال، و لعباس هذا ولد قدمه الوزير و أنعم عليه، و أذن له فى الدخول بغير إذن إليه، فدخل عليه و هو نائم فى فرشته على (173 ظ) العاده، فأخذ سيفه و ضربه به فقطع رأسه و خرج به بين أثوابه، و لم يشعر أحد، و أتى به إلى باب القصر فى يوم الأحد الثانى عشر من المحرم، و قال لخدم الإمام الظافر بالله: هذا رأس المنافق، فقيل له: ما كان منافقا، و كان جماعه من الأتراک قد اصطنعهم الوزير المقتول لنفسه، فتجمعوا فى زهاء ثلاثمائه فارس، و أنهم طلبوا ليقتلوا، فحموا نفوسهم بالسهام، و حصلوا بظاهر القاهره، و صادفهم عباس عائدا من بلبيس حين وافاه الخبر، فوعدهم الجميل، و إقرارهم على واجباتهم، فلم يثقوا به، و تفرقوا على أقبح حال، و وصلوا إلى دمشق فى أواخر المحرم، و قيل إن عباسا المذكور حصل فى منصب العادل المذكور، و استقام له الأمر، و تمكن فى الأعمال، و قيل إن العادل كان قد قتل [كثيرا] من الحجريه و الريحانيه و أصناف الأجناد حتى استقام له الأمر، و تمكن فى الأعمال.

و تواصلت الأخبار من ناحيه نور الدين سلطان حلب و الشام، بقوه عزمه على جمع العساكر و التركمان من سائر الأعمال و البلدان، للغزو فى أحزاب الشرک و الطغيان، و بنصره أهل عسقلان على النازلين عليها من الأفرنج، و قد ضايقوها بالزحف إليها بالبرج المخذول، و هو فى الجمع الكثير، و الله يحرسها من شرهم، و اقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق إلى نور الدين، فى جمهور عسكره، للتعاضد على الجهاد، فى يوم السبت الثالث عشر من المحرم، و اجتمع معه فى ناحيه الشمال، و اتفق بينهما و جماعه المقدمين من أمراء الأعمال و التركمان، و هم فى العدد

الدثر، و قد ملک نور الدین الحصن المعروف بأفلس(1) بالسیف بأمر قضاه الله و سهله و یسره و عجله، و هو فی غایه المنعه و الحصانه، و قتل من کان فیه من الأفرنج و الأرمن، و حصل للعسکر من المال و السبی الشی ء الکثیر.

و نهضوا طالبین ثغر بانیاس، و نزلوا علیه فی یوم السبت تاسع و عشرین صفر، و قد خلا من حماته و تسهلت أسباب ملکته، و قد تواصلت استغاثه أهل عسقلان و استنصارهم بنور الدین، فقضی الله تعالی بالخلف بینهم، و القتل، و هم فی تقدیر عشره آلاف فارس و راجل، فأجفلوا عنها من غیر طارق من الأفرنج طرقهم و لا عسکر (174 و) منهم أرهقهم، و نزلوا علی المنزل المعروف بالأعوج، و عزموا علی معاوده النزول علی بانیاس و أخذها، ثم أحجموا عن ذلک من غیر سبب و لا موجب و تفرقوا، و عاد مجیر الدین إلی دمشق و دخلها سالما فی نفسه و جملته، فی یوم الاثنین الحادی عشر من شهر ربیع الأول من السنه، و عاد نور الدین إلی حمص، و نزل بها فی عسکره.

و وردت الأخبار بوصول أسطول مصر إلی عسقلان، و قویت نفوس من بها بالمال و الرجال و الغلال، و ظفروا بعده وافره من مراکب الأفرنج فی البحر، و هم علی حالها فی محاصرتها و مضایقتها، و الزحف بالبرج إلیها.

و قد تقدم من شرح الحال للرئیس فی تمکنه من منصب الوزاره، بنفیه من نفاه من المعاندین له، بحیث طابت نفسه، و توکد أنسه، فعرض بینه و بین أخویه عز الدوله و زینها مشاحنات و مشاجرات، اقتضت المساعده إلی مجیر الدین، فی جمادی الأولی من السنه، و أنفذ مجیر الدین إلی الرئیس یستدعیه للإصلاح بینهم فی القلعه، فامتنع من ذلک، و جلس فی داره، و هم بالتحصن عنه بأحداث البلد و الغوغاء، و آلت الحال إلی تمکن زین

1- لم أجده فی المصادر الجغرافیه و سواها.

الدين منه بمعاونه مجير الدين عليه لأسباب تقدمت، و تقرر بينهما إخراج الرئيس من البلد و جماعته إلى حصن صرخد مع مجاهد الدين بزان و اليه فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الأولى، بعد أن قرر بقاء داره و بستانه و ما يخصه و يخص أصحابه، و تقلد أخوه زين الدين له مكانه، و خلع عليه، و أمر و نهى، و نفذ الأشغال على عادته فى العجز و التقصير و سوء الأفعال و التماس الرشاء على أقل الأعمال، و رأى مجير الدين عقيب ذلک التوجه إلى بعلبک لتطييب نفس و اليها عطاء الخادم، و استصحابه معه إلى دمشق لينوب عنه فى تدبير الأمور، و المعونه على مصالح الأحوال، و عاد و هو معه، و استشعر مجاهد الدين أن نيه مجير الدين قد تغيرت فيه، فاستوحش من عوده إلى البلد عن غير يمين يحلف له بها على إيمانه على نفسه، فوعد بالإجابه إلى ما رغب فيه، و بقى الأمر موقوفا لأسباب اقتضت التوقف.

و وردت الأخبار فى أثناء ذلک بأن الأفرنج النازلين على عسقلان قد (174 ظ) ضايقوها بمغاداه القتال و مراوحته، إلى أن تسهلت لهم أسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها، فهدموه و هجموا البلد، و قتل بين الفريقين الخلق الكثير، و ألجأت الضروره و الغلبه إلى طلب الأمان، فأجيبوا إليه، و خرج منها من أمكنه الخروج فى البر و البحر إلى ناحيه مصر و غيرها، و قيل إن فى هذا الثغر المفتتح من العدد الحربيه و الأموال، و الميره و الغلال ما لا يحصر فيذكر، و لما شاع هذا الخبر فى الأقطار ساء سماعه، و ضاقت الصدور، و تضاعفت الأفكار بحدوث مثله، فسبحان من لا يرد نافذ قضائه، و لا يدفع محتوم أمره عند نفوذه و مضائه.

و ورد الخبر من ناحيه حلب بوفاه الأديب أبى الحسين أحمد بن منير الشاعر، فى أيام من جمادى الآخره سنه ثمان و أربعين و خمسمائه، بعله هجمت عليه، ربا فيها لسانه، بحيث قضى نحبه و كان أديبا شاعرا عارفا بفنون اللغه، و أوزان العروض، لكنه مرهوب اللسان، خبيث

الهجاء مجيد فيه، لا يكاد يسلم من مقاطيع هجائه: منعم عليه، و لا مسى ء إليه، و كان طبعه فى الذم أخف منه فى المدح و كان يصل بهجائه، لا بمدحه و ثنائه.

و وصل إلى دمشق الأديب أبو عبد الله محمد بن [نصر بن](1) صغير القيسرانى الشاعر من حلب يوم الأحد الثانى عشر من شعبان سنه ثمان و أربعين باستدعاء مجير الدين له، و حضر مجلسه و أنشده قصيده حبرها يائيه، مقيده حسنه المعانى و المقاصد، فاستحسنها السامعون و استجادها، و شفعها بغيرها و وصله أحسن صله و اتفق عوده إلى منزله، فعرضت له حمى حاده، و جاء معها إسهال مفرط قضى نحبه فى يوم الأربعاء الثانى و العشرين من شعبان من السنه، و كان أديبا شاعرا مترسلا فاضلا، بليغ النظر، مليح المعانى، كثير التطبيق و التجنيس، و له يد قويه فى علم النجوم و الأحكام و الهيئه، و حفظ الأخبار و التواريخ، و كان بينه و بين أبى الحسين أحمد بن منير على قديم الزمان مشاحنات، حرص معها على الإصلاح بينهما فما تهيأ ذلک لمن رامه، و كان بينهما هذه المده اليسيره.

و كان قد ورد من بغداد إلى دمشق فى أوائل سنه ثمان و أربعين و خمسمائه الشيخ الإمام الفيلسوف أبو الفتح ابن الصلاح، و كان غايه فى الذكاء، و صفاء الحس، و النفاذ فى العلوم الرياضيه: (175 و) الطب و الهندسه و المنطق و الحساب، و فنون النجوم و الأحكام و المواليد، و الفقه و ما يتصل به، و تواريخ الأخبار و السير و الآداب، بحيث وقع الإجماع عليه، بأنه لم ير مثله فى جميع العلوم، و حسن الخلق، و نزاهه النفس، بحيث لا يقبل من أحد من الولاه صله قلت أو كثرت، و اتفق للحين المقضى أنه عرض له مرض حاد، و معه إسهال مفرط أضعف قوته، أقام

1- أضيف ما بين الحاصرتين من خريده القصر و جريده العصر للعماد الأصفهانى الكاتب- قسم شعراء الشام- ط. دمشق 1955: 1/ 96، و فى هذا الجزء حديث مطول عن كل من ابن منير و القيسرانى: 76- 160.

به أياما و توفى رحمه الله فى دمشق يوم الأحد السادس و العشرين من شعبان من السنه، و قيل إنه من بيت كبير فى العلم و الأصل، و نظم فيه هذه الأبيات بصفه حاله فى هذا الموضع، ليعرف محله:

سررت أبا الفتوح نفوس قوم رأوک وحيد فضلک فى الزمان

حويت علوم أهل الأرض طراو بينت الجلى من البيان

دعيت الفيلسوف و ذاک حق بما أوضحت من غرر المعانى

و وافاک القضاء بعيد دارغريبا ما له فى الفضل ثان

فأودعت القلوب عليک حزنايعض عليه أطراف البنان

لئن بخل الزمان على ظلمابأنى لا أراک و لن ترانى

فقد قامت صفاتک عند مثلى مقام السمع منى و العيان

سقى جدثا به أصبحت فردامل‌ث الغيث بهمى غير وان

و فى أيام من تشرين الثانى الموافق لأيام من شعبان سنه ثمان و أربعين أرسل الله تعالى، و له الحمد و الشكر، من الغيث المتدارک الهطال ما أحيا به الأرض بعد القحط و الجدب، و أجرى أوديه حوران و أفعم بركها بعد جفافها، و قيل إن هذا الغيث لم ير مثله فى هذا الوقت فى السنين الماضيه، و أنه أفرط فى أعمال طبريه، بحيث حدث منه سيل جارف هدم عده من مساكنها، و رماها إلى البحيره، فسبحان محيى عباده، و مغيث بلاده.

و فى يوم الخميس انسلاخ شعبان من السنه توفى الإمام الفقيه برهان الدين أبو الحسن على البلخى، رئيس الحنفيه رحمه الله، و دفن فى مقابر باب الصغير المجاور لقبور الشهداء، رضى الله عنهم، و كان من التفقه على مذهب الإمام أبى حنيفه (175 ظ) رحمه الله، ما هو مشهور شائع، مع الورع و الدين و العفاف و التصون، و حفظ ناموس الدين، و العلم و التواضع و التردد إلى الناس على طريقه مرضيه، و سجيه محموده، لم يشاركه فيها

غيره، و وقع الأسف عليه من جميع الخاص و العام، و التأبين له، و الحزن عليه.

قد مضى من ذكر الرئيس المسيب فى حصوله بصرخد، و تقرر بعد ذلک تطييب نفس مجاهد الدين، و الحلف له على إزاله ما خامره من الاستيحاش و النفار ما سكن إليه، و اعتمد عليه، و عاد إلى داره بدمشق أواخر شعبان و صام رمضان فيها، ثم هجس فى خاطره من مجير الدين و خواصه ما أوحشه منهم، و دعاه ذلک إلى الخروج من البلد سرا فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من شوال طالبا صرخد، فحين عرف خبره، نهض فى طلبه و قص أثره جماعه من الخيل، فأدركوه و قد قرب من صرخد، فقبض عليه، و أعيد إلى القلعه بدمشق و اعتقل بها اعتقالا جميلا.

و حدث فى هذه الأيام من تتابع الأمطار فى الأماكن و الثلوج فى الجبال و الأعمال البقاعيه، ما لم ير مثله، ثم ذاب الثلج، و سالت بمائه الأوديه و الشعاب، و ساح على الأرض كالسيل الجارف، و امتلأت به الأنهار، و التقت الشطط، و أفسد ما مر به من الأراضى المنخفضه، و وصل المد إلى بردى، و ما قرب منها، و رؤى من كثرته و عظمه و تغير لونه ما كثر التعجب منه، و الاستعظام له، فسبحان مالک الملک، منزل الغيث من بعد القنوط، إنه على كل شى ء قدير.

ثم تجدد عقيب ذلک من الرئيس الوزير حيدره المقدم ذكره أشياء ظهرت عنه، مع ما فى نفس الملک مجير الدين منه، و من أخيه المسيب، و المعرفه بالسعى و الفساد ما اقتضت الحال استدعاءه إلى القلعه، على حين غفله منه، و عن القضاء النازل به، لسوء أفعاله، و قبح ظلمه و خبثه، ثم عدلت به الجندرايه إلى الحمام بالقلعه، فى يوم الأحد مستهل ذى القعده من السنه، و ضربت عنقه صبرا، و أخرج رأسه و نصب على حافه الخندق، ثم طيف به و الناس يلعنونه و يصفون أنواع ظلمه و تفننه فى الأدعيه و الفساد، و مقاسمه اللصوص، و قطاع الطريق على أموال الناس المستباحه بتقريره، و حمايته، و كثر السرور بمصرعه، و ابتهج بالراحه منه، ثم رجعت العامه و الغوغاء، و من كان من أعوانه على الفساد من أهل العيث

و الإفساد إلى منازله و خزائنه، و مخازن غلته و أثاثه و ذخائره، فانتهبوا منها ما لا يحصى، و غلبوا أعوان السلطان و جنده عليها بالكثره، و لم يحصل للسلطان من ذلک إلا النزر (176 و) اليسير، ورد أمر الرئاسه و النظر فى البلد فى اليوم المقدم ذكره إلى الرئيس رضى الدين أبى غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد بن على التميمى، و طاف فى البلد مع أقاربه، و سكن أهله، و سكنت الدهماء، و لم يغلق فى البلد حانوت و لا اضطرب أحد، و استبشر الناس قاطبه من الخاص و العام و العسكريه، و عامه الرعيه، و بولغ فى إخراب منازل الظالم، و نقل أخشابها، و هذه عاده البارى تعالى فى الظالمين، و الفسقه المفسدين، وَ كَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِىَ ظالِمَهٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ(1).

و فى ذى القعده سنه ثمان و أربعين وردت الأخبار من ناحيه بغداد، بورود الأخبار إليها من ناحيه الشرق باضطراب الأحوال فى الأعمال الخراسانيه، و انفلال عسكر السلطان سنجر، و الاستيلاء عليه و القهر، و الاستظهار، و حصره فى دار مملكته بلخ، و التضييق عليه، و استدعاء ما فى خزائنه من الأموال، و الآلات و الذخائر و الأمتعه، و الجواهر بخلق عظيم من الغز و التركمان، تجمعوا من أماكنهم و معاقلهم، و حللهم فى الأعداد الدثره، و التناهى فى الاحتشاد و الكثره، و لم يكن للسلطان سنجر مع كثره عساكره و أجناده [بهم] طاقه، و لا لدفعهم(2) قوه، فقهروه و غلبوه و حصروه، و قيل إن نيسابور(3) و تلک الأعمال حدث فيها من الفساد و الخلف، و القتل و النهب، و السلب ما ترتاع النفوس باستماع مثله، و تفرق من قبح فعله، و نهبت بلخ بالمذكورين المقدم ذكرهم أشنع نهب، و أبشع سلب، فسبحان مدبر بلاده و عباده، كما يشاء، إنه على كل شى ء قدير.

1- القرآن الكريم- هود: 102.
2- فى الأصل:« و أجناده كافه و لا لدفعه عنه» و قد أضيف ما بين الحاصرتين و قوم النص كيما يستقيم السياق.
3- فى الأصل: نيشاوور، و هو تصحيف صوابه ما أثبتنا.

و فى الشهر المذكور حدث بمدينه دمشق ارتفاع السعر، لعدم الواصلين إليها بالغلات فى بلاد الشمال، على جارى العاده، بتقدم نور الدين صاحب حلب، بالمنع من ذلک، و حظره، فأضر ذلک بأهلها من المستورين و الضعفاء و المساكين، و بلغ سعر الغراره الحنطه خمسه و عشرين دينارا، و زاد على ذلک، و خلا من البلد الخلق الكثير، و لقوا من البؤس و الشده و الضعف ما أوجب موت جماعه وافره فى الطرقات، و انقطعت الميره من كل الجهات، و ذكر أن نور الدين عازم على قصد دمشق بمنازلتها، و الطمع لهذه الحال فى مملكتها، و ذلک مستصعب عليه لقوه سلطانها، و كثره أجنادها (176 ظ) و أعوانها، و الله تعالى المرجو لقرب الفرج، و حسن النظر بخلقه بالرأفه و الرحمه، كما جرت عوائد إحسانه و فضله فيما تقدم.

و فى أواخر ذى القعده استدعى الرئيس رضى الدين إلى القلعه المحروسه، و شرف بالخلع المكمله، و المركوب بالسخت و السيف المحلى، و الترس، و ركب معه الخواص و أصحاب الركاب إلى داره، و كتب له المنشور بالتقليد و الإقطاع، و لقب بالرئيس الأجل رضى الدين وجيه الدوله، سديد الملک، فخر الكفاه، عز المعالى شرف الرؤساء، و كان عطاء الخادم، المقدم ذكره، قد استبد بتدبير الأمور، و مد يده فى الظلم، و أطلق لسانه بالهجر، و أفرط فى الاحتجاب عن الشاكى و المشتكى، بالغلمان و الحجاب، و قصر فى قضاء الحوائج تقصيرا منكرا، و اتفق للأقضيه المقدره و المكافأه المقرره، أن تقدم مجير الدين باعتقاله و تقييده، و الاستيلاء على ما فى داره، و مطالبته بتسليم بعلبک، و ما فيها من مال، و غلال، و سرت بمصرعه النفوس، و نهب العوام و الغوغاء بيوت أصحابه و أسبابه، و أرسل اله تعالى الغيث المتدارک، بحيث افترت الأرض عن نضارتها، و أبانت عن اخضرارها و غضارتها.

و لما كان فى يوم الاثنين الخامس و العشرين من ذى الحجه من السنه،

أمر مجير الدين بضرب عنق عطاء الخادم المذكور، لأسباب أوجبت ذاک و دعت إليه.

و فی يوم الأربعاء السابع و عشرين من ذی الحجه، استدعی مجير الدين أبا الفضل، ولد نفيس الملک، المستوفی لجده تاج الملوک رحمه الله، ورد إليه استيفاء ديوانه علی عاده أبيه، و لقبه لقب أبيه وجيه الدين نفيس الملک، و تقرر إشراف الديوان للعميد سعد الدوله أبی الحسن علی ابن طاهر الوزير المزدقانی.

و دخلت سنه تسع و أربعين و خمسمائه

أولها يوم الأربعاء، مستهل المحرم، و الطالع للعالم الجوزاء، و فى العشر الثانى من المحرم منها وصل الأمير الأسفهلار أسد الدين شيركوه، رسولا من نور الدين صاحب حلب، إلى ظاهر دمشق، و خيم بناحيه القصب من المرج، فى عسكر يناهز الألف، فأنكر ذاک، و وقع الاستيحاش منه، و إهمال الخروج إليه، لتلقيه و الاختلاط به، و تكررت المراسلات فيما اقتضته الحال، و لم تسفر عن سداد و لا نيل مراد.

و غلا سعر الأقوات (177 و) لانقطاع الواصلين بالغلات، و وصل نور الدين فى عسكره إلى شيركوه فى يوم الأحد الثالث من صفر، و خيم بعيون الفاسريا عند دومه، و رحل فى الغد، و نزل بأرض الضيعه المعروفه ببيت الآبار(1) من الغوطه، و زحف إلى البلد من شرقيه، و خرج إليه من عسكريته و أحداثه الخلق الكثير، و وقع الطراد بينهم، ثم عاد كل من الفريقين إلى مكانه، ثم زحف يوما بعد يوم، فلما كان يوم الأحد العاشر من صفر، للأمر المقدر المقضى، و الأمر الماضى، و سعاده نور الدين الملک، و أهل دمشق، و كافه الناس أجمعين، باكر الزحف، و قد احتشد، و تهيأ لصدق الحرب، و ظهر إليه العسكر الدمشقى على العاده، و وقع الطراد بينهم، و حملوا من الجهه الشرقيه من عده أماكن، فاندفعوا بين أيديهم حتى قربوا من سور باب كيسان و الدباغه من قبلى البلد، و ليس على السور نافخ ضرمه من العسكريه و البلديه، لسوء تدبير صاحب الأمر، و الأقدار المقدره، غير نفر يسير من الأتراک المستحفظين، لا يؤبه لهم، و لا يعول عليهم فى أحد الأبراج، و تسرع بعض الرجاله إلى السور، و عليه امرأه يهوديه، فأرسلت إليه حبلا، فصعد فيه، و حصل على السور، و لم يشعر به أحد،

1- بليده خربت، كان من عملها المنيحه و جرمانا و دير هند و بيت سابر، و الغالب أنها التل الكبير الماثل للعيان شرقى جرمانا، غوطه دمشق: 223.

و تبعه من تبعه، و اطلعوا علما نصبوه على السور، و صاحوا: نور الدين يا منصور، و امتنع الأجناد و الرعيه من الممانعه، لما هم عليه من المحبه لنور الدين، و عدله، و حسن ذكره، و بادر بعض قطاعى الخشب بفأسه إلى الباب الشرقى، فكسر أغلاقه، و فتح فدخل منه العسكر على رعب، و سعوا فى الطرقات و لم يقف أحد بين أيديهم، و فتح باب توما أيضا، و دخل الناس منه ثم دخل الملک نور الدين و خواصه، و سر كافه الناس و من الأجناد و العسكريه لما هم عليه من الجوع و غلاء الأسعار، و الخوف من منازله الأفرنج الكفار.

و كان مجير الدين لما أحس بالغلبه و القهر، قد انهزم فى خواصه إلى القلعه، و أنفذ إليه و أومن على نفسه و ماله، و خرج إلى نور الدين، فطيب نفسه، و وعده الجميل، و دخل القلعه فى يوم الأحد المقدم ذكره، و قد أمر نور الدين فى الحال بالمناداه بالأمان للرعيه، و المنع من انتهاب شى ء من دورهم، و تسرع قوم من الرعاع و الأوباش إلى سوق على(1) و غيره، فعاثوا و نهبوا، و أنفذ المولى الملک نور الدين إلى أهل البلد بما طيب (177 ظ) نفوسهم، و أزال نفرتهم، و أخرج مجير الدين ما كان له فى دوره بالقلعه و الخزائن من المال، و الآلات، و الأثاث على كثرته إلى الدار الأتابكيه، دار جده، و أقام أياما، ثم تقدم إليه بالمسير إلى حمص فى خواصه، و من أراد الكون معه من أسبابه و أتباعه، بعد أن كتب له المنشور بإقطاعه عده ضياع بأعمال حمص برسمه، و رسم جنده و توجه إلى حمص على القضيه المقدره(2)، ثم أحضر بعد ذلک اليوم أماثل

1- على مقربه من القلعه، حيث قام ما عرف باسم سوق الخيل إلى امتداد منطقه البحصه الحاليه.
2- أورد ابن الأثير فى كتابه الباهر: 108« و أما مجير الدين فإنه أقام بحمص، و راسل أهل دمشق فى إثاره الفتنه، فأنهى الأمر إلى نور الدين، فخاف أن يحدث ما يشق تلافيه، بل ربما تعذر، لا سيما مع مجاوره الفرنج، فأخذ حمص من مجير الدين، و عوضه عنها مدينه بالس، فلم يرضها، و سار عن الشام إلى العراق، فأقام ببغداد، و ابتنى دارا تجاور المدرسه النظاميه، و توفى بها».

الرعيه من الفقهاء، و التجار، و خوطبوا بما زاد فى إيناسهم، و سرور نفوسهم، و حسن النظر لهم بما يعود بصلاح أحوالهم، و تحقيق آمالهم، فأكثر الدعاء له، و الثناء عليه، و الشكر لله على ما أصاروه إليه، ثم تلا ذلک إبطال حقوق دار البطيخ، و سوق البقل و ضمان الأنهار، و أنشأ بذلک المنشور، و قرى ء على المنبر بعد صلاه الجمعه، فاستبشر الناس بصلاح الحال، و أعلن الناس من التناء و الفلاحين، و الحرم و المتعيشين برفع الدعاء إلى الله تعالى بدوام أيامه، و نصره أعلامه، و الله سبحانه ولى الإجابه بمنه و فضله.

قد كان مجاهد الدين بزان قد أطلق يوم الفتح من الاعتقال، و أعيد إلى داره، و وصل الرئيس مؤيد الدين المسيب إلى دمشق مع ولده النائب عنه فى صرخد إلى داره، معلولا على لزومها، و ترک التعرض لشى ء من التصرفات و الأعمال، فبدا منه من الأسباب المعربه عن إضمار الفساد، و العدول عن مناهج السداد و الرشاد، ما كان داعيا إلى فساد النيه فيه، و كان فى إحدى رجليه فتح قد طال به و نسر، ثم لحقه معه مرض و انطلاق متدارک أفرط عليه، و أسقط قوته مع فهاق متصل، و قلاع فى فيه زائد، فقضى نحبه فى الليله التى صبيحتها يوم الأربعاء الرابع من شهر ربيع الأول سنه تسع و أربعين و دفن فى داره، و استبشر الناس بمهلكه، و الراحه منه، و من سوء أفعاله، بحيث لو عدت مخازيه مع جنونه و اختلاله، لطال بها الشرح، و عجز عنها الوصف.

و فى أواخر المحرم من السنه، ورد الخبر من ناحيه ماردين، بوفاه صاحبها الأمير حسام الدين بن إيل غازى بن أرتق، رحمه الله، فى أول المحرم، و كان مع شرف قدره فى التركمان، ذكيا محبا لأهل العلم و الأدب، مميزا عن أمثاله بالفضيله.

و فى شهر ربيع الأول من السنه وردت الأخبار من ناحيه مصر، بأن الإمام الظافر بالله أمير المؤمنين (178 و) صاحبها، كان ركن إلى

أخويه يوسف و جبريل، و إلى ابن عمهم صالح بن حسن، و أنس بهم فى أوقات مسراته، فعملوا عليه، و اغتالوه و قتلوه، و أخفوا أمره فى يوم الخميس انسلاخ صفر سنه تسع و أربعين و حضر الإمام، العادل عباس الوزير، و ولده ناصر الدين، و جماعه من الأمراء و المقدمين للسلام على الرسم، فقيل له: إن أمير المؤمنين ملتاث الجسم، فطلبوا الدخول عليه لعيادته فاحتج عليهم، فلم يقبلوا، و ألحوا فى الطلب، فظهر الأمر و انكشف، و اقتضت الحال المسارعه إلى قتل الجناه فى الوقت و الساعه، و إقامه ولد الظافر عيسى، و هو صغير يناهز ثلاث سنين، و لقبوه الفائز بنصر الله، و أخذ البيعه على الأجناد و العسكريه و أعيان الرعيه على جارى العاده، و العادل عباس الوزير، و إليه تدبير الأمور، و استمرت الأحوال على المنهاج(1).

ثم ورد الخبر بعد ذلک بأن الأمير فارس المسلمين، طلائع بن رزيک، و هو من أكابر الأمراء و المقدمين، و الشجعان المذكورين، لما انتهى إليه الخبر، و هو غائب عن مصر، قلق لذاک، و امتعض، و جمع و احتشد، و قصد العود إلى مصر، فلما عرف عباس الوزير بما جمع، خاف الغلبه و الإقدام على الهلكه، إذ لا طاقه له بملاقاته فى حشده الكثير، و لم يمكنه المقام على الخطار بالنفس، فتأهب للهرب فى خواصه و أسبابه، و حرمه و وجوه أصحابه، و ما تهيأ من ماله و تجمله و كراعه، و سار مغذا، فلما قرب من أعمال عسقلان و غزه ظهر إليه جماعه من خياله الأفرنج، فاغتر بكثره من معه، و قله من قصده، فلما حملوا عليه قتل أصحابه و أعانوا عليه، و انهزم أقبح هزيمه هو و ولد له صغير، و أسر ابنه الكبير الذى قتل ابن السلار مع ولده و حرمه و ماله و كراعه، و حصلوا فى أيدى الأفرنج، و من هرب لقى من الجوع و العطش، و مات العدد الكثير من الناس و الدواب، و وصل إلى دمشق منهم من نجاه الهرب، على أشنع صفه من العدم و العرى و الفقر، فى أواخر شهر ربيع الآخر من السنه،

1- لمزيد من التفاصيل انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 208- 214.

و ضاقت صدور المسلمين بهذه المصيبه المقضيه بيد الأفرنج، فسبحان من لا يرد له قضاء، و لا محتوم أمر(1).

و فى آخر شهر ربيع الأول، وصل الأمير الأسفهسلار مجد الدين أبو بكر(2) محمد نائب المولى (178 ظ) الملک نور الدين فى حلب إلى دمشق، عقيب عوده من الحج، و أقام أياما و عاد منكفئا إلى منصبه فى حلب، و تدبير أعمالها و تسديد أحوالها.

و فى شهر ربيع الآخر سنه تسع و أربعين و خمسمائه، ثار فى دمشق مرض مختلف الحميات منه ما يقصر و منه ما يطول، و أعقبه بعد ذلک موت فى الشيوخ و الشباب و الصبيان، ثم تقاصر ذلک.

و فى أيام من جمادى الأولى من السنه ورد الخبر من ناحيه مصر، بأن عده وافره من مراكب الأفرنج، من صقليه وصلت إلى مدينه تنيس، على حين غفله من أهلها فهجمت عليها، و قتلت و أسرت و سبت و انتهبت، و عادت بالغنائم بعد ثلاثه أيام و تركتها صفرا(3) و بعد ذلک عاد من كان هرب منها فى البحر بعد الحادثه، و من سلم، و اختفى، و ضاقت الصدور، عند استماع هذا الخبر المكروه.

و فى شهر رمضان ورد الخبر من ناحيه حلب، بوفاه القاضى فخر الدين أبى منصور محمد بن عبد الصمد الطرسوسى، رحمه الله، و كان ذا همه ماضيه، و يقظه مضيئه، و مروءه ظاهره فى داره و ولده و من يلم به

1- روى المقريزى خبر دخول طلائع إلى القاهره و ذكر:« و أما عباس فإنه سار بمن معه يريد أيله ليسير منها إلى بلاد الشام، فأرسلت أخت الظافر إلى الفرنج بعسقلان رسلا على البريد تعلمهم الحال، و تبذل لهم الأموال فى الخروج إلى عباس، و أباحتهم جميع ما معه، و أن يبعثوا به إلى القاهره، فأجابوا إلى ذلک». اتعاظ الحنفا: 3/ 215- 220.
2- هو ابن الدايه، و كان نور الدين كثير الاعتماد عليه و على إخوته، و يرد ذكرهم كثيرا فى الأيام النوريه. الروضتين 1/ 99.
3- فى الأصل:« و هى صفر»، و هى تصحيف قوم من الروضتين: 1/ 99، حيث روايه ابن القلانسى.

من غريب و وافد، و قد نفذ أمره و تصرفه فى أعمال حلب فى أيام الملكيه النوريه، و أثر فى الوقوف أثرا حسنا، توفر به ارتفاعه ثم انعزل عن ذلک أجمل اعتزال.

و فى يوم الثلاثاء الثامن من شهر رمضان سنه تسع و أربعين و خمسمائه، توفى الحكيم أبو محمد بن حسين الطبيب المعرى، رحمه الله، و كان حسن الطريقه و الصناعه، كثير التجربه، ثاقب المعرفه، فكثر التأسف عليه، و عند فقد مثله.

و دخلت سنه خمسين و خمسمائه

و أولها يوم الاثنين مستهل المحرم، و الطالع العقرب عشرون درجه و ثلاثون دقيقه و ثمان و أربعون ثانيه، و فى اليوم الرابع و العشرين من ربيع الأول من السنه، تقررت أسباب الموادعه بين الملک العادل نور الدين، صاحب دمشق، و بين ملک الأفرنج تقدير السنه، و تمهدت القاعده على هذه الحال إلى آخر المده المستقره، و بعد أيام قلائل من ذلک خرج الأمر الملكى النورى بالقبض على ضحاک والى بعلبک، و طلب منه تسليمها، فأجاب إلى ذلک و رحل العسكر المنصور إليها لتسلمها، و فى يوم الخميس السابع من (179 و) شهر ربيع الأول من السنه كان تسليمها(1)، و رتب فيها من سلمت إليه، و اعتمد فى حفظها عليه، و فى يوم الاثنين الحادى و عشرين من رجب من السنه توجه الأمير أسد الدين شيركوه إلى حلب، عند استدعاء الملک العادل نور الدين له.

و فى أيام من شعبان من السنه، ورد الخبر من ناحيه مصر بأن المنتصب فى الوزاره فارس الإسلام ابن رزيک، لما استقام له الأمر عزم على مصالحه الأفرنج و موادعتهم، و استكفاف شرهم، و مصانعتهم بمال يحمل إليهم من

1- فى الروضتين: 1/ 99:« و رأيت بعض المؤرخين قد ذكر أن مجير صاحب دمشق، أنزل نجم الدين من القلعه، و جعله فى البلد- بعلبک- و ولى القلعه رجلا يقال له ضحاک، فلما ملک نور الدين دمشق، خرج إلى بعلبک، و استنزل منها ضحاکا».

الخزانه، و ما يفرض على إقطاع المقدمين من الأجناد، فحين شاورهم فى ذلک أنکروه، و نفروا منه، و عزموا على عزله و الاستبدال به من يرتضون به و اختاروا مقدما يعرف بالأمير ...(1) مشهورا بالشهامه و البساله و حسن السياسه، و ارتضى لتوليه الأسطول المصرى مقدما من البحريه شديد البأس، بصيرا بأشغال البحر، فاختار جماعه من رجال البحر يتكلمون بلسان الأفرنج، و ألبسهم لباس الأفرنج، و أنهضهم فى عده من المراكب الأسطوليه، و أقلع فى البحر لكشف الأماكن و المكامن و المسالک المعروفه بمراكب الروم، و تعرف أحوالها، ثم قصد ميناء صور، و قد ذكر له أن فيه شختوره روميه كبيره، فيها رجال، و مال كبير وافر، فهجم عليها و ملكها، و قتل من فيها، و استولى على ما حوته، و أقام ثلاثه أيام ثم أحرقها، و عاد عنها فى البحر، فظفر بمراكب حجاج أفرنج، فقتل و أسر و انتهب، و عاد منكفئا إلى مصر بالغنائم و الأسرى.

و فى الشهر المذكور، ورد الخبر من ناحيه حلب، بوقوع الخلف بين أولاد الملک مسعود بعد وفاته، و بين أولاد قتلمش، و بين أولاد قلج أرسلان، و أن الملک العادل نور الدين صاحب دمشق و حلب دخل بينهم للصلح و الإصلاح، و التحذير من الخلف المقوى للأعداء من الروم و الأفرنج، و طمعهم فى المعاقل الإسلاميه، و بالغ فى ذلک بأحسن توسط، و بذل التحف و الملاطفات، و صلحت بينهم الأحوال.

و تناصرت الأخبار فى هذا الأوان من ناحيه العراق بأن الإمام المقتفى لأمر الله أمير المؤمنين، قد اشتدت شوكته، و ظهر و استظهر على كل مخالف له و عادل عن حكمه، و لم يبق له مخالف مشاقق و لا عدو منافق، و أنه مجمع على قصد (179 ظ) الجهات المخالفه لأمره.

و فى يوم الجمعه العاشر من ذى الحجه سنه خمسين و خمسمائه عاد

1- فراغ بالأصل، و قد أتى المقريزى على ذكر هذا الخبر دون أن يذكر اسم هذا الأمير أو المقدم و لربما كان هو الأمير الأوحد بن تميم. انظر اتعاظ الحنفا: 3/ 224.

الملک العادل نور الدین إلی دمشق من حلب، و قد کان ورد الخبر قبل ذلک بأن الأمیر قرا أرسلان بن داود بن سکمان بن أرتق(1) ورد علی الملک العادل نور الدین، و هو بأعمال حلب، فبالغ فی الإکرام له، و السرور بمقدمه، و لا طفه و ألطفه بما جل قدره، و عظم أمره من التحف و العطاء، ثم عاد عنه إلی عمله، مسرورا شاکرا.

و ورد الخبر أیضا فی شهر رمضان سنه خمسین بأن الملک العادل نور الدین نزل فی عسکره بالأعمال المختصه بالملک قلج أرسلان ابن الملک مسعود بن سلیمان بن قتلمش ملک قونیه، و ما والاها، فملک عده من قلاعها و حصونها بالسیف و الأمان، و کان الملک قلج أرسلان و أخواه:

ذو النون، و دولات مشتغلین بمحاربه أولاد الدانشمند، و اتفق أن أولاد الملک مسعود رزقوا النصر علی أولاد الدانشمند و الإظهار علی عسکره فی وقعه کانت علی موضع یعرف بأقصرا فی شعبان سنه خمسین و خمسمائه، فلما عاد قلج أرسلان، و عرف ما کان من العادل نور الدین فی بلاده، عظم علیه هذا الأمر، و استبشعه مع ما بینهما من الموادعه و المهادنه و الصهر، و راسله بالمعاتبه و الإنکار علیه، و الوعید و التهدید، و أجابه بحسن الاعتذار و جمیل المقال، و بقی الأمر بینهما مستمرا علی هذه الحال.

و دخلت سنه إحدی و خمسین و خمسمائه

اشاره

و أولها یوم الجمعه مستهل المحرم، و الطالع الدلو خمس عشره درجه، و سته عشرن دقیقه [و بعد](2) وصول الحجاج یوم الجمعه السادس من صفر من السنه توجه الملک العادل نور الدین إلی ناحیه حلب، فی بعض عسکره فی یوم الثلاثاء الرابع و العشرین من صفر من السنه، عند انتهاء

1- فی الأصل:« فلما عرف و عاد ما کان»، و فی العباره بتر و تقدیم و تأخیر تم تقویم ذلک من الروضتین: 1/ 100 حیث الروایه عن ابن القلانسی.
2- أضیف ما بین الحاصرتین کیما یستقیم السیاق.

خبر الأفرنج إليه بعيثهم فى أعمال حلب، و إفسادهم، و صادفه فى طريقه المبشر بظفر عسكره فى حلب بالأفرنج المفسدين على حارم، و قتلهم جماعه منهم و أسرهم، و وصل مع المبشر عده وافره من رؤوس الأفرنج المذكورين، و طيف بها فى دمشق.

و فى يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الأول من السنه توفى الشيخ الفقيه الزاهد أبو البيان نبا بن محمد المعروف بابن الحورانى رحمه الله و كان حسن الطريقه مذ نشأ (180 و) صيتا إلى أن قضى، مدينا ثقه عفيفا، محبا للعلم و الأدب، و المطالعه للغه العرب، و كان له عند خروج سريره لقبره فى مقابر الباب الصغير المجاوره لقبور الصحابه من الشهداء رضى الله عنهم، يوم مشهود من كثره المتأسفين له و المتأسفين عليه(1).

و ورد الخبر من ناحيه حلب بوفاه الشريف السيد بهاء الدين أبى الحسن الهادى بن المهدى بن محمد الحسينى الموسوى، رحمه الله، فى اليوم السابع عشر من رجب سنه إحدى و خمسين و خمسمائه، و كان حسن الصوره فصيح اللسان بالعربيه و الفارسيه، جميل الأخلاق و الخلال، مشكور الأفعال، كريم النفس، مليح الحديث، واسع الصدر، مكين المحل من الملك العادل نور الدين، ركن الإسلام و المسلمين، سلطان الشام أدام الله علاه، و ناله من الحزن لفقده و التأسف عليه ما يقتضيه مكانه المكين عنده، و نظم فيه هذه الأبيات رثاه بها من كان بينه و بينه موده مستحكمه أوجبت ذاک أن رأيت إثباتها فى هذا الموضع، مع ذكره و هى:

1- ذكره سبط ابن الجوزى فى وفيات سنه- 551 ه- و نقل ما أورده ابن القلانسى و زاد عليه:« و حكى لى بعض مشايخى بدمشق أن أبا البيان، دخل يوما من الساعات إلى جامع دمشق، فنظر إلى أقوام فى الحائط الشمالى، و هم يثلبون أعراض الناس، فاستقبل القبله، و رفع يديه و قال: اللهم كما أنسيتهم ذكرک فأنسهم ذكرى». مرآه الزمان: 1/ 227- 228.

ص: 513

نعى الناعى بهاء الدين لماأتاه نازل القدر المتاح

فروع كل ذى علم و فضل من الأدباء و العرب الفصاح

بكته غزاله الآفاق حزناو أظلم رزؤه ضوء الصباح

و اسيلت العيون دما عليه كذلک عاده المقل الصحاح

فكم متفجع يبكى عليه بحرقه موجع دامى الجراح

و ينشر فضله فى كل نادبألفاظ محبره فصاح

على حسناته تبكى المعالى بدمعه ثاكل خور رداح

فلو رام البليغ لها صفات لقصر عن مراث و امتداح

له خلق صحيح لا يضاهى و وجه مشرق الأرجاء صاح

و كف جودها كالغيث يهمى على العافين كالجود المباح

له شرفان فى عرب و فرس و قد صالا بمرهفه الصفاح

فأضحى لا يساجل فى جلال و لا شرف ينير و لا سماح

على أمثاله عند الرزاياتقط جيوب أرباب البطاح (180 ظ)

و من كان الحسين أباه قدمافقد نال المعلى فى القداح

لئن واراه فى حلب ضريح بعيد عن مواطنه الفساح

و أصبح فيه منفردا غريباعن الأهلين فى غلس و ضاح

فهذا الرسم جار فى البرايابلا قصد يكون و لا اقتراح

فلا برحت غمائم كل نوءتروضه بأنوار الأقاحى

و رحمه محيى الأموات تسرى عليه فى الغدو و فى الرواح

صدى الأيام ما ناحت هتوف و لاح بقفره بيض الأداحى

و فى اليوم الخامس و العشرين توفى الشيخ أبو طالب شيخ الصوفيه بدمشق رحمه الله، و كان خيرا تقيا عفيفا، حسن الطريقه، مشكور الخلال.

فی ليه الخميس التاسع من شعبان سنه إحدی و خمسين و خمسمائه، الموافق لليوم السابع و العشرين من أيلول، فی الساعه الثانيه منها، وافت زلزله عظيمه، رجفت بها الأرض ثلاث أو أربع مرات، ثم سكنت بقدره من حركها و سكنها، سبحانه و تعالی من مليک قادر قاهر، ثم وافی بعد ذلک ليله الأربعاء الثانی و عشرين من شعبان المذكور، زلزله هائله و جاءت قبلها و بعدها مثلها فی النهار و فی الليل، ثم جاء بعد ذلک ثلاث دونهن، بحيث أحصين ست مرات، و فی ليله السبت الخامس و عشرين من الشهر المذكور، جاءت زلزله إرتاع الناس منها، فی أول النهار و آخره، ثم سكنت بقدره محركها، سبحانه و تعالی.

و تواصلت الأخبار من ناحيه حلب و حماه، بانهدام مواضع كثيره، و انهدام برج من أبراج أفاميه بهذه الزلازل الهائله(1)، و ذكر أن الذی أحصی عدده منها تقدير الأربعين، علی ما حكی و الله تعالی أعلم، و ما عرف مثل ذلک فی السنين الماضيه، و الأعصر الخاليه، و فی يوم الأربعاء التاسع و عشرين من الشهر بعينه- شعبان- وافت زلزله تتلو ما تقدم ذكره آخر النهار، و جاءت فی الليل ثانيه فی آخره، ثم وافی فی يوم الاثنين أول شهر رمضان من السنه زلزله مروعه للقلوب، و عاودت ثانيه، و ثالثه، ثم (181 و) وافی بعد ذلک فی يوم الثلاثاء ثلاث زلازل، إحداهن فی أوله هائله، و الثانيه و الثالثه دون الأولی، و أخری فی وقت الظهر مشاكله لهن، و وافی بعد ذلک أخری هائله، أيقظت النيام، و روعت القلوب، انتصاف الليل، فسبحان القادر علی ذلک، ثم وافی بعد ذلک فی الساعه التاسعه من ليله الجمعه النصف من شهر رمضان من السنه زلزله عظيمه هائله أعظم مما سبق، و لما كان عند الصباح من الليله المذكوره، وافت أخری دونها، و تلا ما تقدم فی ليله السبت أولها، و جاءت أخری آخرها، ثم تلا ذلک فی

1- فی الأصل:« المباركه» و هی تصحيف مرده إلی الناسخ، لعل صوابه ما أثبتنا.

يوم الاثنين زلزله هائله، و تلا ذلک فی لیله الجمعه الثالث و العشرین من شهر رمضان فی الثلث الأول منها زلزله عظیمه مزعجه، و فی غداه یوم الأحد ثانی شوال من السنه تالی ما تقدم ذکره، وافت زلزله أعظم مما تقدم، روعت الناس و أزعجتهم و فی یوم الخمیس سابع شوال المذکور، وافت زلزله هائله، فی وقت صلاه الغداه، و فی یوم الأحد الثالث عشر منه، وافت زلزله هائله، فی وقت صلاه الغداه، و فی یوم الاثنین تلوه وافت زلزله أخری مثلها، ثم أخری بعدها دونها، ثم ثالثه، ثم رابعه، و فی لیله الأحد الثانی و العشرین من شوال، وافت زلزله عظیمه روعت النفوس، ثم وافی عقیب ذاک ما أهمل ذکره لکثرته، و دفع الله تعالی عن دمشق، و ضواحیها ما خاف أهلها من توالی ذلک و تتابعه، برأفته بهم، و رحمته لهم، فله الحمد و الشکر، لکن وردت الأخبار من ناحیه حلب بکثره ذلک فیها، و انهدام بعض مساکنها، إلا شیزر فإن الکثیر من مساکنها انهدم علی سکانها، بحیث قتل منهم العدد الکثیر، و أما کفر طاب فهرب أهلها منها خوفا علی أرواحهم، و أما حماه فکانت کذلک، و أما باقی الأعمال الشامیه فما عرف ما حدث فیها من هذه القدره الباهره(1).

و فی یوم الأربعاء الحادی و العشرین من شهر رمضان سنه إحدی و خمسین و خمسمائه، وصل المولی الملک نور الدین أعز الله نصره إلی بلده دمشق، عائدا من ناحیه حلب و أعمال الشام بعد تهذیبها و تفقد أحوالها سالما فی النفس و الجمله، بعد استقرار الموادعه بینه و بین ولد السلطان مسعود صاحب قونیه (181 ظ) و زوال ما کان حدث بینهما.

و فی شوال تقررت الموادعه و المهادنه بینه و بین ملک الأفرنج مده سنه کامله أولها شعبان، و أن المقاطعه المحموله إلیهم من دمشق ثمانیه آلاف دینار صوریه، و کتبت المواصفه بذلک بعد تأکیدها بالأیمان بالمواثیق المشدده، و کان المعروف بأبی سالم بن همام الحلبی قد ولی مشارفه الدیوان

1- لمزید من التفاصیل، انظر الروضتین: 1/ 103- 105.

بدمشق، بعنايه الأمير أسد الدين النائب عن الملک العادل نور الدين، فظهر منه خيانات اعتمدها، و تفريطات قصدها بجهله و سخافه عقله و تقصيره، فأظهرها قوم من المتصرفين عند الكشف عنها، و التحقيق لها، فاقتضت الحال القبض عليه و الاعتقال له إلى أن يقوم بما وجب عليه، فلما كان فى يوم الأحد السادس عشر من شوال سنه إحدى و خمسين و خمسمائه خرج الأمر السامى النورى بالكشف عن سعاياته فى فضول كان غنيا عنها، فاقتضت الحال بأن تحلق لحيته و يركب حمارا مقلوبا، و خلفه من يعلوه بالدره، و أن يطاف به فى أسواق دمشق بعد سخام وجهه، و ينادى عليه: «هذا جزاء كل خائن و نمام» ثم أقام بعد ذلک فى الاعتقال أياما، ثم أمر بنفيه إلى حلب بشفاعه من شفع فيه من مقدمى الدوله السعيده، فمضى على أقبح صفه من لعن الناس، و نشر مخازيه، و تعديد مساويه.

و فى شعبان من السنه وردت الأخبار من ناحيه مصر بارتفاع أسعار الغله بها، و قله وجودها، و شده إضرارها بالضعفاء و المساكين و غيرهم، و أمر المتولى لأمرها التناء و المحتكرين لها ببيع الزائد على أقواتهم على المقلين و المحتاجين، و وكد الخطاب فى ذلک، و ما زادت الحال إلا شده مع ما ذكر من توفيه النيل فى السنه.

و فى شعبان وردت الأخبار من ناحيه العراق، بخلاص السلطان سنجر ابن السلطان العادل من ضيق الاعتقال المتطاول به، بتدبير أعمل على الموكلين به، و وعود وافيه، بحيث أجابوا إلى ذلک، و عاد إلى مكانه من السلطنه، و وفى بما وعد المساعدين له على الخلاص، و قويت شوكته، و استقامت مملكته(1).

و فى شهر رمضان وردت الأخبار من ناحيه الموصل، بأن السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد(2) عزم على العبور فى عسكره إلى أعمال

1- انظر كتابى تاريخ العرب و الإسلام: 334- 335، و لقد توفى سنجر بعد نجاته بمده و جيزه.
2- فى الأصل« مسعود» و هو و هم صوابه ما أثبتنا، انظر الخبر بتفاصيله فى الباهر لابن الأثير: 108.

الموصل، فأنفذ إليه واليها و مدبرها الأمير زين الدين على كوجک، يقول له: إنک فعلت و أضررت بالأعمال، و آذيت أهلها، و سأله (183 و) فلم يقبل، و نهض إليه فى عسكره من الموصل، و من انضاف إليه و صافقه، فرزق النصر عليه، و هزم عسكره أقبح هزيمه، و استولى على سواده، و عاد به إلى الموصل ظافرا منصورا.

و فى العشر الأخير من ذى الحجه من السنه غدر الكفره الأفرنج، و نقضوا ما كان استقر من الموادعه و المهادنه، بحكم وصول عده وافره من الأفرنج فى البحر، و قوه شوكتهم بهم، و نهضوا إلى ناحيه الشعراء المجاوره لبانياس، و قد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكريه و الرعيه و عوامل الفلاحين، فلاحى الضياع و مواشى الجلابين و العرب الفلاحين الشى ء الكثير، الذى لا يحصى، فيذكر، للحاجه إلى الرعى بها، و السكون إلى الهدنه المستقره، و وقع من المندوبين لحفظهم من الأتراک تقصير، فانتهزوا الفرصه، و استاقوا جميع ما وجدوه و أفقروا أهله منه، مع ما أسروه من تركمان و غيرهم، و عادوا ظافرين غانمين آثمين، و الله تعالى فى حكمه يتولى المكافأه لهم، و الإداله منهم، و ما ذلک عليه بعزيز.

و دخلت سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه

أولها يوم الأربعاء مستهل المحرم، و الطالع برج الدلو اثنتين و عشرين درجه و ثمانى عشره دقيقه، و قد تقدم شرح ما حدث من الزلازل إلى أواخر سنه إحدى و خمسين، ما يغنى عن ذكره، و لما كانت ليله الأربعاء التاسع عشر من صفر سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه، وافت زلزله عظيمه عند انبلاج الصباح، فروعت و أزعجت، ثم سكنها محركها بلطفه و رأفته بعباده، ثم تلا ذلک أخرى دونها إلى ليله الخميس تاليه، بعد مضى ساعات منها، و وافت بعدهما أخرى بعد صلاه الجمعه تاليه، و تواصلت الأخبار من ناحيه الشمال بعظم تأثير هذه الزلازل الأول منها و الآخر،

فى مدينه شيزر و حماه، و كفرطاب و أفاميه، و ما والاها إلى مواضع من حلب، و الله تعالى ذكره و عز اسمه أعلم و أرحم لخلقه.

و فى العشر الأخير من صفر ورد كتاب السلطان غياث الدنيا و الدين أبى الحارث سنجر بن السلطان العادل أبى الفتح بن السلطان ألب أرسلان، أعز الله نصره إلى الملک العادل نور الدين، أدام الله أيامه، بالتشوق إليه و الإحماد (183 ظ) بخلاله، و ما ينتهى إليه من جميع أفعاله، و إعلامه ما من الله عليه به من خلاصه من الشده التى وقع فيها، و الأسر الذى بلى به فى أيدى الأعداء الكفره من ملوک التركمان، بحيله دبرها و سياسه أحكمها و قررها، بحيث عاد إلى منصبه من السلطنه المشهوره، و اجتماع العساكر المتفرقه عنه إليه، و إذعانها بطاعته، و امتثالها لأوامره و أمثلته، و إحسان وعده لكافه المسلمين بنصره على أحزاب الضلال من الأفرنج الملاعين.

و تواصلت مع ذلک إلى نور الدين رسل أرباب الأعمال و المعاقل و الولايات، بالاستعداد للخفوف إلى أعداء الله الملاعين، و غزو من بإزائه من المشركين، الأضداد المفسدين فى البلاد، و الناكثين أيمانهم الموكده فى الموادعه و المهادنه، فعند ذلک أمر المولى نور الدين بزينه البلد المحروس سرورا بهذه الأحوال، و فعل فى ذلک ما لم تجر عاده فيما تقدم فى أيام الولاه الخاليه، و أمر مع ذلک بزينه قلعته و دار مملكته بحيث جلل أسوارها بالآلات الحربيه من الجواشن و الدروع و التراس و السيوف و الرماح و الطوارق الأفرنجيه، و القنطارات و الأعلام و المنجوقات و الطبول و البوقات، و أنواع الملاهى المختلفات، و هرعت الأجناد و الرعايا و غرباء البلاد من المسافرين لمشاهده الحال فشاهدوا ما استحسن منه، مده سبعه أيام فالله تعالى يقرن ذلک بالتوفيق و الإقبال، و تحقيق الآمال فى إهمال الكفره أولى الأفک و الضلال، بمنه و فضله.

و فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول، توجه المولى نور الدين

أدام الله أيامه إلى ناحيه بعلبک، لتفقد أحوالها و تقرير أمر المستحفظين لها، و تواصلت الأخبار إليه من ناحيه حمص و حماه بإغاره الأفرنج الملاعين على تلک الأعمال، و إطلاقهم فيها أيدى العيث و الفساد، و الله تعالى يحسن الإداله منهم و يعجل البوار عليهم، و الإهلاک لهم.

و فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول، توجه زين الحجاج كتب الله سلامته، إلى ناحيه مصر رسولا من المولى نور الدين، لإيصال ما صحبه من المطالعات إلى صاحب الأمر فيها، و صحبته أيضا الرسول الواصل منها.

و فى يوم الأحد الخامس عشر من شهر ربيع الأول، ورد المبشر من المعسكر المنصور برأس الماء، بأن نصره الدين أمير ميران، لما انتهى إليه خبر الأفرنج الملاعين بأنهم قد أنهضوا سريه وافره من العدد من أبطالهم (184 و) الموفوره العدد إلى ناحيه بانياس لتوليها و تقويتها بالسلاح و المال، أسرع النهضه إليهم فى العسكر المنصور، و قد ذكر أن عدتهم سبعمائه فارس من أبطال الاسبتاريه و السرجنديه و الداويه، سوى الرجاله، فأدركهم قبل الوصول إلى بانياس، و قد خرج إليهم من كان فيها من حماتها، فأوقع بهم، و قد كان كمن لهم فى مواضع كمناء من شجعان الأتراک، و جالت الحرب بينهم، و اتفق اندفاع المسلمين بين أيديهم فى أول المجال، و ظهر عليهم الكمناء، فأنزل الله نصره على المسلمين و خذلانه على المشركين، فتحكمت من رؤوسهم و رقابهم مرهفات السيوف، بقوارع الحمام و الحتوف، و تمكنت من أجسادهم مشرعات الرماح و صوارم السهام، بحيث لم ينج منهم إلا القليل ممن ثبطه الأجل، و أطار قلبه الوجل، و صاروا بأجمعهم بين قتيل و جريح و مسلوب و أسير و طريح، و حصل فى أيدى المسلمين من خيولهم و عدد سلاحهم و كراعهم و أموالهم و قراطيسهم و أسراهم، و رؤوس قتلاهم، ما لا يحد كثره، و محقت السيوف عامه رجالتهم من الأفرنج، و مسلمى جبل عامله المضافين إليهم، و كان

ذلک یوم الجمعه الثالث عشر من شهر ربیع الأول، و وصلت الأسری و الرؤوس من القتلی و العدد إلی البلد المحروس، فی یوم الاثنین تالیه، و أطیف بهم البلد، و قد اجتمع لمشاهدتهم الخلق الکثیر، و الجم الغفیر، و کان یوما مشهودا مستحسنا، سرت به قلوب المؤمنین، و أحزاب المسلمین، و کان ذلک من الله تعالی ذکره و جل اسمه، مکافأه علی ما کان من بغی المشرکین، و إقدامهم علی نکث أیمان المهادنه مع المولی نور الدین، أعز الله نصره، و نقض عهود الموادعه، و إغارتهم علی الجشارات و مواشی الجلابین و الفلاحین المضطرین إلی المرعی فی الشعراء، لسکونهم إلی الأمن بالمهادنه، و الاغترار بتأکید الموادعه، و کان قد أنفذ المولی نور الدین إلی بعلبک جماعه من أسری المشرکین، فأمر بضرب أعناقهم صبرا ذلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فِی الدُّنْیا وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِیمٌ(1) وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ(2).

و تبع هذا الفتح المبین، ورود البشری الثانیه من أسد الدین، باجتماع العدد الکثیر إلیه من شجعان الترکمان، و أنه قد ظفر من المشرکین بسریه وافره، ظهرت من معاقلهم من ناحیه الشمال، فانهزمت، و تخطف الترکمان منهم من ظفروا به، و وصل أسد الدین إلی بعلبک فی العسکر (184 ظ) من مقدمی الترکمان و أبطالهم للجهاد فی أعداء الله المشرکین، و هم فی العدد الکثیر، و الجم الغفیر، و اجتمع بالملک العادل نور الدین فی یوم الاثنین الخامس و العشرین من شهر ربیع الأول، من السنه، و تقررت الحال علی قصد بلاد المشرکین لتدویخها، و إقامه فرض الغزو و الجهاد لمن بها، و الابتداء بالنزول علی بانیاس، و المضایقه لها، و الجهاد فی افتتاحها، و الله یسهل ذلک بلطفه و یعجله بمعونته.

و وصل نور الدین إلی البلد المحروس فی یوم الخمیس السابع

1- القرآن الکریم- المائده: 33.
2- القرآن الکریم- الشعراء: 227.

و العشرين من شهر ربيع الأول، لتقرير الأمر فى إخراج آلات الحرب، و تجهيزها إلى العسكر، بحيث يقيم أياما يسيره، و يتوجه فى الحال إلى ناحيه العساكر المجتمعه من التركمان و العرب للجهاد فى الكفره الأضداد، و الله يسهل أسباب الإداله منهم، و يعجل البوار و الهلاک لهم، إن شاء الله تعالى.

و فى وقت وصوله شرع فى إنجاز ما وصل لأجله، و أمر بتجهيز ما يحتاج إليه من المناجيق و السلاح إلى العسكر المنصور، بالنداء فى البلد المحروس، فى الغزاه و المجاهدين، و الأحداث و المتطوعه من فتيان البلد و الغرباء، بالتأهب و الاستعداد لمجاهده الأفرنج أولى الشرک و الإلحاد، و بادر بالمسير فى الحال إلى عسكره المنصور، مغذا غير متلوم، و لا متريث فى يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول، و تبعه من الأحداث و المتطوعه و الفقهاء و الصوفيه و المتدينين العدد الكثير الدثر المباهى فى الوفور، و الكثره فالله تعالى يقرن آراءه و عزماته بالنصر المشرق المنار، و الظفر بإخراب المرده الكفار، و يعجل لهم أسباب الهلاک و البوار، بحيث لا تبقى لهم باقيه، و لا يرى لهم رائحه، و لا غاديه، و ما ذلک على الله تعالى القادر بعزيز.

و لما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الآخر، تالى اليوم المقدم ذكره، عقيب نزول الملک العادل نور الدين على بانياس فى عسكره المنصور، و مضايقته لها بالمنجنيقات و الحرب، سقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس، يتضمن كتابه الإعلان بورود المبشر من معسكر أسد الدين بناحيه هونين فى التركمان و العرب، بأن الأفرنج خذلهم الله أنهضوا سريه من أعيان مقدميهم و أبطالهم، تزيد على مائه فارس سوى أتباعهم، لكبس المذكورين ظنا منهم أنهم فى قل، و لم يعلموا أنهم فى ألوف، فلما دنوا منهم و ثبوا إليهم كالليوث إلى فرائسها، فأطبقوا عليهم بالقتل و الأسر و السلب، و لم يفلت (185 و) منهم إلا اليسير، و وصلت

الأسرى، و رؤوس القتلى، و عددهم من الخيول المنتخبه و الطوارق و القنطاريات إلى البلد فى اليوم الاثنين تالى اليوم المذكور، و طيف بهم فيه فسرت القلوب بمشاهدتهم، و أكثروا الشكر لله على هذه النعمه المستهله بعد الأولى المتكمله، و الله المأمول لتعجيل هلاكهم و بوارهم، و ما ذلک على الله بعزيز، و تتلو هذه الموهبه المجدده سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس فى يوم الثلاثاء يتلو المذكور، بذكر افتتاح تناهى النقب، و إطلاق النار فيه، و سقوط البرج المنقوب، و هجوم الرجال فيه، و بذل السيف فى قتل من فيه، و نهب ما حواه، و انهزام من سلم إلى القلعه و انحصارهم بها، و أن أخذهم بمشيئه الله تعالى لا يبطى ء، و الله يسهله و يعجله.

و اتفق بعد ذلک للأقضيه المقدره أن الأفرنج تجمعوا من معاقلهم، عازمين على استنقاذ الهنفرى، صاحب بانياس، و من معه من أصحابه الأفرنج المحصورين بقلعه بانياس، و قد أشرفوا على الهلاک، و بالغوا فى السؤال للأمان للمولى نور الدين، و يسلمون ما فى أيديهم من القلعه، و ما حوته لينجو سالمين، فلم يجبهم إلى ما سألوه و رغبوا فيه، فلما وصل ملک الأفرنج فى جمعه من الفارس و الراجل من ناحيه الجبل على حين غفله من العسكرين النازلين: على بانياس لحصارها، و النازل على الطريق لمنع الواصل إليها، اقتضت السياسه الاندفاع عنها، بحيث وصلوا إليها و استخلصوا من كان فيها، فحين شاهدوا ما عم بانياس من خراب سورها، و منازل سكانها، يئسوا من عمارتها بعد خرابها، و ذلک فى أيام من العشر الأخير من شهر ربيع الآخر.

و فى يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى سقطت الأطيار بالكتب من المعسكر المحروس النورى، تتضمن الإعلام بأن الملک العادل نور الدين، أعز الله نصره، لما عرف أن معسكر الكفره الأفرنج على الملاحه بين طبريه و بانياس، نهض فى عسكره المنصور من الأتراک و العرب،

وجد فی السیر، فلما شارفهم، و هم غارون، و شاهدوا راياته قد أظلتهم، بادروا بلبس السلاح و الركوب، و افترقوا أربع فرق، و حملوا على المسلمين، فعند ذلک ترجل (185 ظ) الملک نور الدين، و ترجلت معه الأبطال، و أرهقوهم بالسهام و خرصان الرماح، فما كان إلا كلا و لا، حتى تزلزلت بهم الأقدام، و دهمهم البوار و الحمام، و أنزل الله العزيز القهار نصره على الأولياء الأبرار، و خذلانه على المرده الكفار، و تمكنا من فرسانهم قتلا و أسرا، و استأصلت السيوف الرجاله، و هم العدد الكثير، و الجم الغفير، و لم يفلت منهم على ما حكاه الخبير الصادق غير عشره نفر، ممن ثبطه الأجل، و أطار قلبه الوجل، و قيل إن ملكهم لعنهم الله فيهم، و قيل إنه فی جمله القتلى، و لم يعرف له خبر، و الطلب مجد له، و الله المعين على الإظفار به، و لم يفقد من عسكر الإسلام سوى رجلين أحدهما من الأبطال المذكورين، قتل أربعه من شجعان الكفره، و قتل عند حضور أجله، و انتهاء مهله، و الآخر غريب لا يعرف، فكل منهما مضى شهيدا، مثابا مأجورا، رحمهما الله، و امتلأت أيدى العسكريه من خيولهم، و عددهم و كراعهم، و أثاث سوادهم الشی ء الذى لا يحصى كثره، و حصلت كنيستهم فی يد الملک نور الدين بآلاتها المشهوره، و كان فتحا من الله القادر الناصر عزيزا، و نصرا مبينا، أعز الله بهما الإسلام و أهله، و أذل الشرک و حزبه.

و وصلت الأسرى و رؤوس القتلى إلى دمشق، فی يوم الأحد تالى يوم الفتح، و قد رتبوا على كل جمل فارسين من أبطالهم، و معهما رايه من راياتهم منشوره، و فيها من جلود رؤوسهم بشعرها عده، و المقدمون منهم، و ولاه المعاقل و الأعمال، كل واحد منهم على فرس، و عليه الزرديه و الخوذه، و فی يده رايه، و الرجاله من السرجنديه و الدركبوليه(1) كل ثلاثه و أربعه و أقل و أكثر فی حبل، و خرج من أهل البلد الخلق الذى لا يحصى

1- فرسان خفاف غالبا ما كانوا من المرتزقه.

لهم عدد، من الشيوخ و الشبان و النسوان و الصبيان، لمشاهده ما منح الله تعالى ذكره، كافه المسلمين، من هذا النصر المشرق الأعلام، و أكثروا من التسبيح، و مواصله التقديس لله تعالى مولى النصر لأوليائه، و مديلهم من أعدائه، و واصلوا الدعاء الخالص للملک العادل نور الدين، المحامى عنهم، و المرامى دونهم، و الثناء على مكارمه، و الوصف لمحاسنه، و نظم فى ذلک أبيات فى هذا المعنى و هى: (186 و).

مثل يوم الفرنج حين علتهم ذله الأسر و البلا و الشقا

و برایاتهم على العيس زفوابين ذل و حسره و عناء

بعد عز لهم و هيبه ذكرفى مصاف الحروب و الهيجاء

هكذا هكذا هلاک الأعادى عند شن الإغاره الشعواء

شؤم أخذ الجشار كان و بالاعمهم فى صباحهم و المساء

نقضوا هدنه الصلاح بجهل بعد تأكيدها بحسن الوفاء

فلقوا بغيهم بما كان فيه من فساد بجهلهم و اعتداء

لا حمى الله شملهم من شتات بمواض تفوق حد المضاء

فجزاء الكفور قتل و أسرو جزاء الشكور خير الجزاء

فلرب العباد حمد و شكردائم مع تواصل النعماء

و شرع فى قصد أعمالهم لتملكها و تدويخها، و الله المعين و الموفق لذلک بمنه و لطفه و مشيئته.

و فى يوم الخميس الخامس و العشرين من جمادى الأولى وافت زلزله عظيمه بعد مضى ثلاث ساعات منه اهتزت لها الأرض هزات، ثم وافت بعدها ثانيه قريب بعد مضى ست ساعات من اليوم، ثم بعد مضى ثمانى ساعات من هذا اليوم المذكور، وافت ثالثه أشد من الأوليين، و أزعج، فسبحان محركهن بقدرته، و مسكنهن بحكمته، تعالى علوا كبيرا.

و فى آخر هذا اليوم وافت زلزله رابعه لما تقدم بين العشائين من ليلته

مروعه هائله، أزعجت و أقلقت، و ضج الناس بالتهليل و التسبيح و التقديس، و فى ليله الأحد الرابع من جمادى الآخره من السنه فى آخرها عند صلاه الغداه، وافت زلزله هائله، و جاء بعدها أخرى دونها، و تواصلت الأخبار من ناحيه الشمال، بأن هذه الزلازل أثرت فى حلب تأثيرا أزعج أهلها و أقلقهم، و كذلک فى حمص، و هدمت مواضع فيها و فى حماه و كفر طاب و أفاميه، و هدمت فيها ما كان من هدم ما بنى من المهدوم بالزلازل الأول، و حكى عن تيماء ان هذه الزلازل أثرت فى مساكنها، تأثيرا مهولا.

و فى العشر الثانى من جمادى الآخره تواصلت (186 ظ) الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود فى خلق كثير للنزول على أنطاكيه، و أوجبت الصوره تقرير المهادنه بين الملک العادل نور الدين و ملک الأفرنج، و تكررت المراسلات بينهما، و الاقتراحات و المشاجرات، بحيث فسد الأمر، و لم يسفر على ما يؤثر من الصلاح، و مرضى الاقتراح المقرون بالنجاح، و وصل الملک العادل نور الدين، أعز الله نصره إلى مقر عزه، فى بعض عسكره، فى يوم السبت الخامس و العشرين من جمادى الآخره من السنه، و أقر بقيه عسكره و مقدميه مع العرب، بإزاء أعمال المشركين، خذلهم الله.

و كانت الأخبار تناصرت من بغداد، بإظهار أمير المؤمنين المقتفى لأمر الله أعز الله نصره على عسكر السلطان [محمد شاه](1) المخالف لأمره، و من انضم إليه من عسكر الموصل و غيره، بحيث قتل منهم العدد الكثير، و الجم الغفير، و رحلوا عن بغداد مفرقين مفلولين خاسرين، بعد المضايقه و التناهى فى المحاصره و المصابره.

و فى يوم الأحد الثالث من رجب توجه الملک العادل نور الدين إلى ناحيه حلب و أعمالها، لتجديد مشاهدتها، و النظر فى حمايتها، بحيث عبث

1- الإضافه من الباهر لابن الأثير: 113.

المشركون فيها، و قرب عساكر الملک ابن مسعود منها، و الله الموفق له فيما يراه، و يقصده و يتوخاه.

و فى الساعه التاسعه من يوم الاثنين الرابع من رجب سنه اثنتين و خمسين وافت زلزله عظيمه فى دمشق لم ير مثلها فيما تقدم، و دامت و جفاتها حتى خاف الناس على أنفسهم و منازلهم، و هربوا من الدور و الحوانيت و السقايف، و انزعجوا و أثرت فى مواضع كثيره، و رمت من فص الجامع الكثير الذى يعجز عن إعاده مثله، ثم وافت عقيبها زلزله فى الحال، ثم سكنتا بقدره من حركهما، و سكنت نفوس الناس من الروعه و الخوف برحمه خالقهم و رازقهم، لا إله إلا هو الرؤوف الرحيم، ثم تبع ذلک فى أول ليله اليوم المذكور زلزله، و فى وسطه زلزله، و فى آخره زلزله أخف من الأولى، و الله تبارک و تعالى لطيف بعباده و بلاده، و له الحمد و الشكر، رب العالمين، و تلا ذلک فى يوم الجمعه الثامن من رجب زلزله مهوله أزعجت الناس، و تلاها فى النصف منها ثانيه، و عند انبلاج الصباح ثالثه، و كذلک (187 و) فى ليله السبت، و ليله الأحد، و ليله الاثنين، و تتابعت بعد ذلک بما يطول به الشرح.

و وردت الأخبار من ناحيه الشمال، بما يسوء سماعه و يرعب النفوس ذكره، بحيث انهدمت حماه و قلعتها، و سائر دورها و منازلها على أهلها، من الشيوخ و الشبان و الأطفال و النسوان، و هم العدد الكثير، و الجم الغفير، بحيث لم يسلم منهم إلا القليل اليسير.

و أما شيزر فإن ربضها سلم، إلا ما كان خرب أولا، و أما حصنها المشهور فإنه انهدم على واليها تاج الدوله بن أبى العساكر بن منقذ رحمه الله و من تبعه، إلا اليسير ممن كان خارجا، و أما حمص فإن أهلها كانوا قد أجفلوا منها إلى ظاهرها، و سلموا و تلفت مساكنهم، و تلفت قلعتها، و أما حلب فهدمت بعض دورها، و خرج أهلها و (أما ما) بعد عنها من الحصون و المعاقل إلى جبله و جبيل فأثرت فيها الآ (ثار) المستبشعه،

و أتلفت سلميه و ما اتصلت بها إلى ناحيه الرحبه، و ما جاورها و لو لم تدرک العباد و البلاد رحمه الله تعالى و لطفه و رحمته و رأفته، لكان الخطب الخطير، و الأمر الفظيع المزعج بحيث نظم فى ذلک من قال:

روعتنا زلازل حادثات بقضاء قضاه رب السماء

هدمت حصن شيزر و حماهأهلكت أهلها بسوء القضاء

و بلادا كثيره و حصوناو ثغورا موثقات البناء

و إذا ما رنت عيون إليهاأجرت الدمع عندها بالدماء

و إذا ما قضى من الله أمرسابق فى عباده بالمضاء

حار قلب اللبيب فيه و من كان له فطنه و حسن ذكاء

و تراه مسبحا باكى العين مروعا من سخطه و بلاء

جل ربى فى ملكه و تعالى عن مقال الجهال و السفهاء

و أما أهل دمشق، فلما وافتهم الزلزله من هولها، أجفلوا من منازلهم و المسقف إلى الجامع و الأماكن الخاليه من البنيان، خوفا على نفوسهم و وافت بعد ذلک أخرى، و فتح باب البلد، و خرج الناس إلى ظاهره و البساتين، و الصحراء، و أقاموا عده ليال (187 ظ) و أيام على الخوف

و الجزع .. يسبحون و يهللون، و يرغبون إلى خالقهم و رازقهم فى العفو عنهم، و اللطف بهم، و الله تعالى ولى الإجابه، و قبول الرغبه و الإنابه.

و وردت الأخبار مع ذلک من ناحيه العراق فى أوائل رجب سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه بوفاه السلطان غياث الدنيا و الدين أبى الحارث سنجر ابن السلطان العادل أبى الفتح ابن السلطان ألب أرسلان، و هو سلطان خراسان، عقيب خلاصه من الشده التى وقع فيها، و الأسر الذى حصل فيه و كان يحب العدل و الإنصاف للرعايا، حسن الفعل، جميل السيره، و قد علت سنه و طال عمره، و تولاه الله برحمته و سابغ مغفرته بفضله و رأفته.

و فی شهر رمضان من السنه ورد الخبر من ناحیه حلب، بوفاه الشیخ الأمین مخلص الدین أبی البرکات عبد القاهر بن علی بن أبی جراده رحمه الله فی العشر الثانی منه، بمرض عرض له، و هو الأمین علی خزائن مال الملک العادل نور الدین سلطان الشام، فراعنی فقده، و المصاب بمثله، لأنه کان خیرا کاتبا بلیغا، حسن البلاغه نظما و نثرا، مستحسن الفنون من التذهیب البدیع، و حسن الخط المحرر علی الأصول القدیمه المستظرفه، مع صفاء الذهن، و توقد الفطنه و الذکاء، و کان بینی و بینه موده محصده(1) الأسباب فی أیام الصبی و بعدها بحکم تردده من حلب إلی دمشق، و أوجبت هذه الحال تفجعی به، و تأسفی علی مثله، نظم هذه الأبیات أرثیه بها و أصف محاسنه فیها، و هی:

فجعت بخل کان یونس وحشتی تذکره فی غیبه و حضور

فتی کان ذا فضل یصول بفضله و لیس له من مشبه و نظیر

و قد کان ذا فضل و حسن بلاغهو نظم کدر فی قلائد حور

یفوق بحسن اللفظ کل فصاحهو خط بدیع فی الطروس منیر

و قد کنت ذا شوق إلیه إذا نأی فقد صرت ذا حزن بغیر سرور

سأشکو زمانا روعتنی صروفه بفقدی من أهوی بغیر مجیر

و ما نافعی شکوی الزمان و قد غداعلی کل ملک فی الزمان خطیر

و أجناده بالمرهفات تحوطه و کل شجاع فاتک و نصیر (188 و)

سقی الله قبرا ضمه بمجلجل بکل أصیل حادث و بکور

لیصبح کالروض الأنیق إذا بدابزهر یروق الناظرین نضیر

برحمه من یرجی لرحمه مثله و غفران رب للعباد غفور

و فی یوم الأربعاء الرابع و العشرین من شهر رمضان من السنه، وافت فی دمشق زلزله روعت الناس و أزعجتهم لما قد وقع فی نفوسهم، مما قد

1- أى محكمه الأسباب سديده. القاموس.

جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها، و هدم ما هدمت منها، و وافت الأخبار من ناحيه حلب بأن هذه الزلزله المذكوره جاءت فى حلب هائله قلقلت من دورها و جدرانها العدد الكثير، و أجفل منها أهلها إلى ظاهرها خوفا على نفوسهم، و أنها كانت بحماه أعظم ما كانت فى غيرها، و أنها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت يلتجأ إليها، و أنها دامت فيها أياما كثيره فى كل يوم عده وافره من الرجفات الهائله، و تتبعها صيحات مختلفات توفى على أصوات الرعود القاصفه المزعجه، فسبحان من له الحكم و الأمر، و منه تؤمل الرحمه و اللطف، و هو على كل شى ء قدير، و تلا بعد ذلک رجفات متواليه، أخف من غيرهن، فلما كان فى ليله السبت العاشر من شوال وافت زلزله هائله بعد صلاه العشاء الآخره أزعجت و أقلقت، و تلاها فى إثرها هزه خفيفه، ثم سكنهما محركهما بقدرته و رأفته بأهل دمشق و رحمته فله الحمد و الشكر رب العالمين.

و فى يوم الثلاثاء الرابع عشر من شوال من السنه ورد الخبر من ناحيه بصرى، باستشهاد و اليها فخر الدين سرخاک غيله فى مقره من حصنها، بتدبير تقرر بين الأمير على بن جوله زوج ابنته، و من وافقه من أعيان خاصته و أماثل بطانته، و كان فيه إفراط من التحرز و استعمال التيقظ و لكن القضاء لا يغالب و لا يدافع، و المحتوم النافذ لا يمانع.

و فى أول ليله الأحد العشرين من شوال من السنه، توفى الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن سلامه السكونى بمرض عرض له، و قد علت سنه، و بلغ سبعا و تسعين سنه، المعروف بابن الحراسى، و كان شيخا ظريفا، حسن الهيئه، نظيف اللبسه، أديبا فاضلا حسن المحاضره عند (188 ظ) المباثثه و المذاكره، و كان أكثر زمانه مقيما بشيزر بين آل منقذ مكرما محترما رحمه الله.

و فى ليله السبت العاشر من ذى القعده من السنه، وافت أولها زلزله،

رجفت لها الأرض، و وجلت لها القلوب، و تبعها عده أخف من الأولى، و فى غد هذا اليوم بعد مضى تقدير ساعتين منه، وافت زلزله و أخرى فى إثرها، و سكنهن المحرک لهن بقدرته و حکمته، و سلم منهن برحمته و رأفته، سبحانه و تعالى الرؤوف الرحيم.

و كان الغيث قد احتبس و سميه عن العاده المعروفه، و احتاج ما بذر من الغلال إلى سقيه، و ضاقت الصدور لذلک، و قنطت النفوس، ثم بعث الله برحمته لخلقه، فى أول ذى القعده منه ما روى الوهاد و الآكام، و عم حوران و سائر البقاع، و سرت بذلک النفوس، و انحط سعر الغله بعد ارتفاعه، فلله الحمد على إنعامه على عبيده، و له الشكر.

و فى ليله الجمعه الثالث و العشرين من ذى القعده التالى لما تقدم بعد مضى ساعه منها، وافت زلزله روعت القلوب، و هزت المنازل و المساكن، ثم سكنها محركها بقدرته القاهره، و رحمته الواسعه، فله الحمد و الشكر رب العالمين.

و فى ليله الأحد الخامس و العشرين من الشهر المذكور، التالى ليوم الجمعه المقدم ذكره وافت فى أوائلها زلزله أزعجت و أقلقت، ثم تلاها ثانيه عند انتصافها أعظم منها، نفر الناس من هولها إلى الجامع و الأماكن المنكشفه، و ضجوا بالتكبير و التهليل و التسبيح و الدعاء إلى الله تعالى و التضرع إليه، ثم وافى بعد تلک الثانيه ثالثه دونها، عند تصرم الليل، ثم وافى بعد الثالثه رابعه دونها، ثم خامسه، و سادسه، ثم سكنت بقدره محركها، و لم تؤثر أثرا منكرا فى البلد، فلله الحمد تعالى أمره، و عظم شأنه.

و فى أوائل ذى القعده من هذه السنه، ورد الخبر من حمص، بوفاه و اليها الأمير الملقب بصلاح الدين، و كان فى أيام شبوبيته قد حظى فى خدمه عماد الدين أتابک زنكى صاحب حلب و الشام، رحمه الله، و تقدم عنده بالمناصحه و سداد التدبير، و حسن السفاره و صواب الرأى، و لما

علت سنه ضعفت قوته و آلته عن السعى إلا فى ركوب الخيل، و ألجأته الضروره إلى الحمل فى المحفه لتقرير الأحوال، و النظر فى (189 و) الأعمال، و لم ينقص من حسه و فهمه ما ينكر عليه إلى حين وفاته، و خلفه من بعده أولاده فى منصبه و ولايته.

و فى يوم الجمعه انسلاخ ذى القعده من السنه، بعد مضى تقدير ساعتين منه، وافت زلزله رجفت بها الأرض، و انزعج الناس لها، ثم سكنت بقدره المحرک لها، و حكمته البالغه، فله الحمد على لطفه بعباده، تبارک الله رب العالمين.

و فى أيام من شوال سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه، ورد إلى دمشق أمير من أئمه فقهاء بلخ، فى عنفوان شبابه، و غضاره عوده، ما رأيت أفصح من لسانه ببلاغته العربيه و الفارسيه، و لا أسرع من جوابه ببراعته، و لا أطيش من قلمه فى كتابته، فقلت ما ينبغى أن يهمل إثبات اسم هذا الأمير الإمام فى هذا التاريخ المصنف لأننى ما رأيت مثله، و لا شاهدت شبيها له، فالتمست نعوته التى بها يعرف، و إليه تنسب فأنفذ إلىّ كتابا قد كتب عن السلطان غياث الدنيا و الدين أبى شجاع محمود بن محمد ابن ممدود قسيم أمير المؤمنين فى الطغراء، و كتاب وزيره محمود بن سعد ابن عبد الواحد مخلص أمير المؤمنين إلى الملک العادل نور الدين ملک الشام، و كلاهما ينطق بحسن صفاته، و احترامه، و الوصيه المؤكده بإكرامه و وصفه بنعوته المكمله، و هى: الأمير الإمام الأجل العالم المحترم الأخص، الحميد الأعز، نظام الدين، عماد الإسلام، تاج الملوک و السلاطين، ملک الكلام، بستان العالم، أفصح العرب و العجم، أعجوبه الدهر، كريم الأطراف، فخر الأسلاف، افتخار ما وراء النهر، تاج العراق، سراج الحرمين، مقتدى الأئمه، مرتضى الخلافه، رئيس الأصحاب شرقا و غربا، مهذب الأئمه و الأفاضل ذو المناقب و الفضائل، نادر الزمان، نسيب خراسان، أبو الحياه محمد بن أبى القاسم

ابن عمر البلخی، (و وعظ)(1) فی جامع دمشق عده أیام، و الناس یستحسنون وعظه، و یستطرفون فنه، و سلاطه لسانه، و سرعه جوابه، وحده خاطره، و صفاء حسه، و نظمت فی صفاته هذه الأبیات:

نظام الدین أفضل من رأینامن العلماء فی عرب و عجم

و أبهی منهم لفظا و خطابحسن بلاغه و صفاء فهم (189 ظ)

یفوق فصاحه قسا و یوفی علیه عند منثور و نظم

إذا رام البدیع من المعانی أتاه مسرعا کالغیث یهمی

فلیس له مجار فی فنون حوی إحسانها من کل علم

إذا وعظ الإمام سمعت وعظایحط العصم من قال الأشم

و یخرق حسن منطقه إذا ماتکرر حسنه سمع الأصم

له الشرف الرفیع إذا تناهت مفاخره الشراف بکل قرم

و ما ألفیت من یحظی بمدح سواه إذا مضی فی المدح عزمی

و ما سمحت لغیر علاه نفسی علی ضنی به عن کل فدم

فلا زالت مطایا المدح تسری إلیه و قد خلا من کل ذم

مدی الأیام ما هتفت هتوف علی غصن بغض النور ینمی

قد تقدم من ذکر الملک العادل نور الدین فی نهوضه من دمشق فی عساکره إلی بلاد الشام، عند انتهاء الخبر إلیه، بتجمع أحزاب الأفرنج خذلهم الله، و قصدهم لها، و طمعهم فیها، بحکم ما حدث من الزلازل و الرجفات المتتابعه بها، و ما هدمت من الحصون و القلاع و المنازل فی أعمالها و ثغورها، لحمایتها، و الذب عنها، و إیناس من سلم من أهل حمص و شیزر، و کفرطاب، و حماه و غیرها، بحیث اجتمع إلیه الخلق الکثیر، و الجم الغفیر، من رجال المعاقل و الأعمال، و الترکمان، و خیم بهم بإزاء جمع الأفرنج فی

الأعداد الدثره، و التناهى فى الكثره بالقرب من أنطاكيه، و حصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الإقدام على الإفساد.

1- زيد ما بين الحاصرتين من الروضتين: 1/ 114.

فلما مضت أيام من شهر رمضان من سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه عرض للملک العادل نور الدين ابتداء مرض حاد، فلما اشتد به، و خاف منه على نفسه، استدعى أخاه نصره الدين أمير ميران، و أسد الدين شيركوه، و أعيان الأمراء، و المقدمين، و أوصى إليهم ما اقتضاه رأيه و استصوبه، و قرر معهم كون أخيه نصره الدين القائم فى منصبه من بعده، و الساد لثلمه فقده لاشتهاره بالشهامه و شده البأس، و يكون مقيما بحلب، و يكون أسد الدين فى دمشق فى نيابه (190 و) نصره الدين، و استحلف الجماعه على هذه القاعده، فلما تقررت هذه القاعده، اشتد به المرض، فتوجه فى المحفه إلى حلب، و حصل فى قلعتها، و توجه أسد الدين إلى دمشق لحفظ أعمالها من فساد الأفرنج، و قصد أعمال الملاعين فى أواخر شوال من السنه، و تواصلت عقيب هذه الحال الأراجيف بالملک نور الدين، فقلقت النفوس، و انزعجت القلوب، فتفرقت جموع المسلمين، و اضطربت الأعمال، و طمع الأفرنج، فقصدوا مدينه شيزر، و هجموها و حصلوا فيها فقتلوا و أسروا، و انتهبوا، و تجمع من عده جهات خلق كثير من رجال الاسماعيليه و غيرهم، فاستظهروا عليهم، و قتلوا منهم، و أخرجوهم من شيزر.

و اتفق وصول نصره الدين إلى حلب، فأغلق والى القلعه مجد الدين فى وجهه الأبواب، و عصى عليه فثارت أحداث حلب، و قالوا: هذا صاحبنا و ملكنا بعد أخيه، و زحفوا فى السلاح إلى باب البلد، فكسروا أغلاقه، و دخل نصره الدين فى أصحابه، و حصل فى البلد، و قامت الأحداث على والى القلعه باللوم و الإنكار و الوعيد، و اقترحوا على نصره الدين اقتراحات من جملتها إعاده رسمهم، فى التأذين «بحى على خير العمل، محمد و على خير البشر»، فأجابهم إلى ما رغبوا فيه، و أحسن القول لهم، و الوعد، و نزل فى داره، و أنفذ والى القلعه إلى نصره الدين و الحلبيين، يقول: مولانا الملک العادل نور الدين حى فى نفسه، مقيم فى

مرضه، و ما كان إلى ما فعل حاجه تدعو إلى ما كان، فقيل الذنب فى ذاک إلى الوالى، و كتم الحال، و صعد إلى القلعه من شاهد نور الدين حيا يفهم ما يقول، و ما يقال له، فأنكر ما جرى، و قال: الآن أنا أصفح للأحداث عن هذا الخطل، و لا أواخذهم بالزلل، و ما طلبوا إلا صلاح حال أخى، و ولى عهدى من بعدى.

و شاعت الأخبار و انتشرت البشارات فى الأقطار، بعافيه الملک نور الدين، فأنست القلوب بعد الاستيحاش، و ابتهجت النفوس بعد القلق و الانزعاج، و تزايدت العافيه، و صرفت الهمم إلى مكاتبات المقدمين بالعدو إلى جهاد الملاعين، و كان نصره الدين قد ولى مدينه حران و أضيف إليها، و توجه نحوها، و كان الغيث قد أمسک عن أعمال حوران، و عزم أهلها على (190 ظ) النزوح من ضياعها لعدم ماء شربهم، و بعده عنهم، و كذلک سائر الأعمال، فلطف الله تعالى بعباده و بلاده، فأرسل عليهم فى العشر الآخر من كانون الثانى من السنه الشمسيه، و الموافق للعشر الآخر من ذى الحجه من السنه القمريه، سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه من الغيث الهطال المتدارک، و الثلج المتتابع، ما روى الوهاد و الآكاد، و جرت به أوديه حوران، و دارت أرحيتها، و انتعشت زروعها، و أنبتت بالغيث سباخها، فلله تعالى الحمد على هذه النعمه التى لا يحصى لها عدد، و لا يحصر لها أمد.

و لما تناصرت الأخبار بالبشائر إلى أسد الدين بدمشق بعافيه الملک العادل نور الدين، و اعتزامه على استدعاء عساكر الإسلام لجهاد أعداء الله و المقيمين بالشام، سارع بالنهوض من دمشق إلى ناحيه حلب، و وصل إليها فى خيله، و اجتمع مع الملک العادل نور الدين، فأكرم لقياه، و شكر مسعاه، و شرعوا فى حمايه الأعمال من شر عصب الكفر و الضلال، بما يعود بصلاح الأحوال، و الله المسهل لنيل المباغى و الآمال، بمنه و فضله، و نظمت هذه الأبيات فى هذا المعنى:

لقد حسنت صفاتک یا زمانی و فزت بما رجوت من الأمانی

فکم أصبحت مرعوبا مخوفافبدلت المخافه بالأمان

فکم من وحشه وافت و زالت و هدمت الرفیع من المبانی

و جاءتنا أراجیف بملک عظیم الشأن مسعود الزمان

فروعت القلوب من البراياو صار شجاعها مثل الجبان

و ثارت فتنه یخشی أذاهاعلی الإسلام فی قاص و دان

و وافی بعد ذاک بشیر صدق بعافیه المليک مع التهانی

فولی الخوف مهدوم المبانی و عاد الأمن معمور المغانی

و دخلت سنه ثلاث و خمسین و خمسمائه

و أولها یوم الاثنین أول المحرم، و الطالع الجدی، و فی أوائله تناصرت الأخبار من ناحیه الأفرنج- خذلهم الله- المقیمین فی الشام، فی مضایقتهم لحصن حارم، و مواظبتهم علی رمیه (191 و) بحجاره المناجیق إلی أن أضعف، و ملک بالسیف، و تزاید طمعهم فی شن الغارات فی الأعمال الشامیه، و إطلاق الأیدی فی العیث و الفساد، فی معاقلها و ضیاعها، بحکم تفرق العساکر الإسلامیه و الخلف الواقع بینهم باشتغال الملک بعقابیل المرض العارض له، و لله المشیئه التی لا تدافع، و الأقضیه التی لا تمانع.

و فی صفر منها ورد الخبر و المبشر ببروز الملک العادل نور الدین من حلب للتوجه إلی دمشق، و اتفق للکفره الملاعین متواتر الطمع، فی شن الغارات علی أعمال حوران و الإقلیم، و إطلاق أیدی الفساد و العیث و الإحراق و الإخراب فی الضیاع، و النهب و الأسر و السبی، و قصد داریا، و النزول علیها فی یوم الثلاثاء، انسلاخ صفر من السنه، و إحراق منازلها و جامعها، و التناهی فی إخرابها، و ظهر إلیهم من العسکریه و الأحداث العدد الکثیر، و هموا بقصدهم و الإسراع إلی لقائهم، و کفهم، فمنعوا من

ذلک، بعد أن قربوا منهم، و حين شاهد الكفار، خذلهم الله، كثره العدد الظاهره إليهم، رحلوا فى آخر النهار المذكور إلى ناحيه الإقليم.

و وصل الملک نور الدين إلى دمشق، و حصل فى قلعتها، غره يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الأول سالما فى نفسه و جملته، و لقى بأحسن زى، و ترتيب، و تجمل، و استبشر العالم بمقدمه المسعود، و ابتهجوا، و بالغوا فى شكر الله تعالى على سلامته و عافيته، و الدعاء له، بدوام أيامه، و نصر أعلامه، و شرع فى تدبير أمر الأجناد، و التأهب للجهاد، و الله تعالى يمده بالنصر، و إدراک كل بغيه و مراد.

و فى أوائل ربيع الأول من سنه ثلاث و خمسين ورد الخبر من ناحيه مصر، بخروج فريق وافر من عسكرها إلى غزه و عسقلان، و أغاروا على أعمالها، و خرج إليها من كان بها من الأفرنج الملاعين، فأظهر الله المسلمين عليهم قتلا و أسرا، بحيث لم يفلت منهم إلا اليسير، و غنموا ما ظفروا، و عادوا سالمين ظافرين، و قيل إن مقدم الغزاه فى البحر ظفر بعده من مراكب المشركين، و هى مشحنه بالأفرنج، فقتل و أسر منهم العدد الكثير، و الجم الغفير، و حاز من أموالهم و عددهم و أثاثهم ما لا يكاد يحصى، و عاد ظافرا غانما.

و ورد الخبر فى الخامس عشر (191 ظ) من شهر ربيع الأول من السنه من ناحيه حلب، بحدوث زلزله هائله روعت أهلها، و أزعجتهم، و زعزعت مواضع من مساكنها، ثم سكنت بقدره محركها، سبحانه و تعالى ذكره، و فى ليله السبت الخامس و العشرين من ربيع الأول من السنه، وافت زلزله بدمشق، روعت و أقلقت، ثم سكنت بقدره محركها تعالى ذكره.

و فى يوم الأحد التاسع من شهر ربيع الآخر من السنه، برز الملک

العادل نور الدين من دمشق إلى جسر الخشب فى العسكر المنصور بآلات الحرب، مجدا فى جهاد الكفره المشركين، و قد كان أسد الدين قبل ذلک عند وصوله فى من جمعه من فرسان التركمان غار بهم على أعمال صيدا و ما قرب منها، فغنموا أحسن غنيمه و أوفرها، و خرج إليهم ما كان بها من خياله الأفرنج و رجالتها، و قد كمنوا لهم فغنموهم، و قتل أكثرهم، و أسر الباقون، و فيهم ولد المقدم المولى حصن حارم، و عادوا سالمين بالأسرى، و رؤوس القتلى، و الغنيمه لم يصب منهم غير فارس واحد فقد، و لله الحمد على ذلک و الشكر.

و فى يوم الثلاثاء أول شهر تموز الموافق لأول جمادي الآخره من السنه، وافى فى البقاع مطر هطال، بحيث حدث منه سيل أحمر، كما جرت به العاده فى تنبوک(1) الشتاء، و وصل إلى بردى، و وصل إلى دمشق، فكثر التعجب من قدره الله سبحانه و تعالى حدوث مثل ذلک، فى مثل هذا الوقت.

و فى آخر ليله الأربعاء الثالث و العشرين من رجب من السنه، وافت زلزله عند تأذين الغداه، روعت القلوب، و أزعجت النفوس، ثم سكنت بقدره الله الرؤوف الرحيم، ثم وافت أخرى عقيب الماضيه، فى ليله الخميس وقت صلاه الغداه، ثم سكنت بقدره الله تعالى.

و ورد الخبر من العسكر المحروس بأن الأفرنج خذلهم الله، تجمعوا، و زحفوا إلى العسكر المنصور، و أن المولى نور الدين نهض فى الحال فى العسكر، و التقى الجمعان، و اتفق أن عسكر الإسلام حدث [فيه](2) لبعض المقدمين فشل، فاندفعوا و تفرقوا بعد الاجتماع، و بقى نور الدين ثابتا بمكانه، فى عده يسيره من شجعان غلمانه، و أبطال خواصه، فى وجوه الأفرنج، و أطلقوا فيهم السهام، فقتلوا منهم، و من خيولهم العدد

1- انتبک ارتفع. القاموس.
2- أضيف ما بين الحاصرتين من الروضتين: 1/ 130.

الكثير، ثم ولوا منهزمين خوفا من (192 و) كمين يظهر عليهم من عسكر الإسلام، و نجى الله- و له الحمد- نور الدين من بأسهم، بمعونه الله تعالى له، و شده بأسه، و ثبات جأشه، و مشهور شجاعته، و عاد إلى مخيمه سالما فى جماعته، و لام من كان السبب فى اندفاعه بين يدى الأفرنج، و تفرق جمع الأفرنج إلى أعمالهم.

و راسل ملک الأفرنج فى طلب الصلح و المهادنه، و حرص على ذلک، و ترددت المراسلات بين الفريقين، و لم يستقر حال بينهما، و أقام العسكر المنصور بعد ذلک مده، ثم اقتضى الرأى السعيد الملكى النورى، الانكفاء إلى البلد المحروس، فوصل إليه فى يوم ..(1) من شعبان من السنه.

و لما كان فى أواخر أيام من رجب سنه ثلاث و خمسين و خمسمائه، تجمع قوم من سفهاء العوام، و عزموا على التحريض للملک العادل نور الدين على إعاده ما كان أبطله، و سامح به أهل دمشق من رسوم دار البطيخ، و عرصه البقل و الأنهار، و صانهم من إعنات شر الضمان، و حواله الأجناد، و كرروا بسخف عقولهم الخطاب، و ضمنوا القيام بعشره آلاف دينار بيضاء، و كتبوا بذلک، حتى أجيبوا إلى ما راموه، فشرعوا فى فرضها على أرباب الأملاک من المقدمين و الأعيان و الرعايا، فما اهتدوا إلى صواب، و لا نجح لهم رأى فى خطاب و لا جواب، و عسفوا الناس بجهلهم، بحيث تألموا، و أكثروا الضجيج، و الاستغاثه إلى الملک العادل نور الدين، فصرف همه إلى النظر فى هذا الأمر، فنتجت له السعاده، و إيثار العدل فى الرعيه فى إعاده ما أشكل إلى ما كان عليه، فلما كان يوم الاثنين العاشر من شهر رمضان أمر بإعاده الرسوم المعتاده إلى ما كانت من إماتتها و تعفيه أثرها، و أضاف إلى ذلک تبرعا من نفسه إبطال ضمان الهريسه و الجبن و اللبن، و رسم بكتب منشور يقرأ على كافه الناس

1- فراغ بالأصل، و حين روى صاحب الروضتين: 1/ 130 الخبر عن ابن القلانسى اختصر نهايته فلم يذكر تاريخ عوده نور الدين إلى دمشق.

بإبطال هذه الرسوم جميعها، و تعفيه ذكرها، فبالغ العالم فى ذلک من مواصله الأدعيه للملک العادل، و الثناء عليه، و النشر لمحاسنه، فالله تعالى يستجيب منهم، و يديم أيامه و يقرن أيامه بالسعاده و النصر، لأوليائه و أعلامه.

و فى يوم الثلاثاء الحادى و العشرين من شهر رمضان من السنه، وصل الحاجب محمود المسترشدى(1) من ناحيه مصر بجواب ما تحمله من المراسلات من الملک الصالح متولى أمرها (192 ظ)، و معه رسول من مقدمى أمرائها، و معه المال المنفذ برسم الخزانه الملكيه النوريه، و أنواع الأثواب المصريه و الجياد العربيه، و كانت فرقه من الأفرنج خذلهم الله قد ضربوا لهم فى المعابر، فأظفر الله بهم، بحيث لم يفلت منهم إلا القليل النزر، ثم تلا ذلک ورود الخبر من العسكر المصرى، بظفره بجمله وافره من الأفرنج و العرب تناهز أربعمائه فارس، و تزيد على ذلک، فى ناحيه العريش من الجفار، بحيث استولى عليهم القتل و الأسر و السلب، و كان فتحا حسنا، و ظفرا مستحسنا، و الله المحمود على ذلک المشكور.

و فى يوم الثلاثاء ثالث شوال من السنه توفى المنتجب أبو سالم بن عبد الرحمن الحلبى، متولى كتابه الجيش، و عرض الأجناد فى ديوان الملک العادل نور الدين رحمه الله، و كان خيرا حسن الطريقه، مجمعا(2) على شكره و التأسف على فقد مثله، و تلا مصابه وفاه المهذب أبى عبد الله بن نوفل الحلبى، فى دمشق أيضا، رحمه الله فى يوم الجمعه السادس و العشرين من ذى القعده من السنه، و كان كاتبا للأمير الاسفهسلار

1- فى الأصل« محمود المولد من ناحيه مصر بجواب ما تحملنا» و قد أصاب بعض العبارات تصحيف تم تقويمه من الروضتين: 1/ 121. و كان المسترشدى رسول نور الدين، و بصحبته الأمير عز الدين أبو الفضل غسان بن محمد بن جلب، و قد جهز الملک الصالح« رسول محمود ابن زنكى بجواب رسالته، و معه هديه منها من الأسلحه و غيرها ما قيمته ثلاثون ألف دينار، و من العين ما مبلغه سبعون ألف دينار تقويه له على جهاد الأفرنج». اتعاظ الحنفا: 3/ 233- 236.
2- فى الأصل« مجموعا» و ما أثبتناه أقوم.

أسد الدين، و وزيره، و هو موصوف بالخيريه، محمود الأفعال، مشكور المقاصد، فى جميع الأحوال و الخلال، و استخدم ولده فى منصبه.

و تلا ذلک ورود الخبر من ناحيه حماه فى العشر الأخير من ذى الحجه من السنه، بوفاه رضى الدين أبى المجد مرشد بن على بن عبد اللطيف المعرى بحماه، رحمه الله، و كان من الرجال الأسداء الكفاه، فيما كان يستنهض فيه فى الأيام الأتابكيه، و كذلک فى الأيام النوريه، و كان مع ذلک موصوفا بالخيريه، و سلامه الطبع، مستمرا فى ذلک على منهاج أسرته.

و كانت الأخبار قد تناصرت من ناحيه القسطنطينيه، فى ذى الحجه من السنه، ببروز ملک الروم منها، فى العدد الكثير، و الجم الغفير، لقصد الأعمال و المعاقل الإسلاميه، و وصوله إلى مرج الديباج، و تخييمه فيها، و بث سراياه للإغاره على الأعمال الأنطاكيه و ما والاها، و أن قوما من التركمان ظفروا بجماعه منهم، هذا بعد أن افتتح من أعمال(1) لاوين ملک الأرمن عده من حصونه و معاقله، و لما عرف الملک العادل نور الدين هذا، شرع فى مكاتبه ولاه الأعمال و المعاقل، بإعلامهم ما حدث من (193 و) الروم و يبعثهم على استعمال التيقظ، و التأهب للجهاد فيهم، و الاستعداد للنكايه بمن يظفر منهم، و الله تعالى ولى النصر عليهم، و الإظفار بهم، كما جرت عوائده الجميله فى خذلانهم، و الإظهار عليهم، ورد بأسهم فى نحورهم، و هو تعالى على ذلک قدير.

و قد اتفق فى هذه السنه السعيده التى هى سنه ثلاث و خمسين و خمسمائه، منذ ابتداء تشرين الثانى الكائن فيها إلى أوائل شباط أن السماء، بأمر خالقها، أرسلت عزاليها، بتدارک الثلوج و الأمطار، مع توالى الليل و النهار، بحيث عمت الأقطار، و روت الوهاد و الأغوار، و البرارى و القفار، و جرت الأوديه و تتابعت السيول بمائها المصندل

1- فى الأصل: الأعمال، و التقويم من الروضتين: 1/ 122.

و اللبنى و البنكى، و اكتست الأراضى المنخفضه و البقاع، بخضره الزرع، و عشب النبات، و أشبعت السائمه بعد الضعف و السغب، و أراحتها من كلفه العناء و التعب، و كذلک سائر المواشى الراعيه، و الوحوش القاصيه و الدانيه، و تناصرت الأخبار من سائر الجهات، بعموم هذه النعمه، و ذكر الشيوخ أنهم لم يشاهدوا مثل ذلک فى السنين الخاليه، فلله على (نعمته) (1) خالص الحمد، و دائم الشكر.

و دخلت سنه أربع و خمسين و خمسمائه

أولها يوم الجمعه مستهل المحرم منها، و فى هذا اليوم وافت زلزله عظيمه ضحى نهاره، و سكنها محركها بقدرته و رحمته، و تلاها فى يومها ثنتان دونها.

و كان فى أوائل أيام من ذى الحجه سنه ثلاث و خمسين و خمسمائه، قد عرض للملک العادل نور الدين مرض تزايد به، بحيث أضعف قوته، و وقع الإرجاف به من حساد دولته، و المفسدين من عوام رعيته، و ارتاعت الرعايا، و أعوان الأجناد، و ضاقت صدور قطان الثغور و البلاد، خوفا عليه، و إشفاقا من سوء يصل إليه، لا سيما مع أخبار الروم، و الخبر من الفرنج، خذلهم الله، و لما أحس من نفسه بالضعف، تقدم إلى خواص أصحابه، و قال لهم: إننى قد عزمت على وصيه إليكم بما قد وقع فى نفسى، فكونوا لها سامعين مطيعين، و بشروطها عاملين، فقالوا: السمع و الطاعه لأمرک، و ما تقرره من رأيک و حكمک، فإنا له قابلون، و به عاملون، فقال: إنى مشفق على الرعايا و كافه (193 ظ) المسلمين ممن يكون بعدى من الولاه الجاهلين، و الظلمه الجائرين، و إن أخى نصره الدين أمير ميران أعرف من أخلاقه، و سوء أفعاله ما لا أرتضى معه بتوليته أمرا من أمور المسلمين، و قد وقع اختيارى على أخى الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين، متولى الموصل، و خواصه، لما

1- أضيف ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق.

يرجع إليه من عقل و سداد و دين، و صحه اعتقاد بأن يكون فى منصبى بعدى، و الساد لثلمه فقدى، فكونوا لأمره بعدى طائعين، و لحكمه سامعين، و احلفوا له بصحه من نياتكم و سرائركم، و إخلاص من عقائدكم و ضمائركم، فقالوا: أمرک المطاع، و حکمک المتبع، فحلفوا الأيمان المؤكده على العمل بشروطها، و اتباع رسومها مسرعا، ثم تفضل الله تعالى عليه، و على كافه المسلمين ببدوء الإبلال من المرض، و تزايد القوه فى النفس و الجسم و جلس للدخول إليه، و السلام عليه، فسرت النفوس بهذه النعمه، و قويت بتجديدها.

و كان الأمير مجد الدين، النائب فى حلب، قد رتب فى الطرقات، من يحفظ السالكين فيها، فظفر المقيم فى منبج برجل حمال من أهل دمشق، يعرف بابن مغزو، معه كتب، فأنفذه بها إلى مجاهد الدين، متولى حلب، فلما وقف عليها أمر بصلب متحملها، و أنفذها فى الحال إلى الملک العادل نور الدين، فلما وقف عليها فى يوم الخميس من العشر الثانى من المحرم من السنه الجديده، وجدها من أمين الدين زين الحاج أبى القاسم، متولى ديوانه، و من عز الدين متولى ولايه القلعه مملوكه، و من محمد جغرى أحد حجابه، إلى أخيه نصره الدين أمير ميران، صاحب حران، بإعلامه بوقوع اليأس من أخيه الملک العادل، و يحضونه على المبادره و الإسراع إلى دمشق، لتسلم إليه، فلما عرف ذلک، عرض الكتب على أربابها، فاعترفوا باعتقالهم، و كان فى جملتهم الرابع لهم سعد الدين عثمان، و كان قد خاف، فهرب قبل ذلک بيومين، و ورد فى الحال كتاب صاحب قلعه جعبر يخبر بقطع نصره الدين مجدا إلى دمشق، فأنهض أسد الدين فى العسكر المنصور، لرده و منعه من الوصول، فاتصل به خبر عوده إلى مقره، عند معرفته بعافيه الملک العادل أخيه، فعاد أسد الدين فى العسكر إلى البلد.

و وصلت رسل الملک من (194 و) ناحيه الموصل بجواب ما تحملوه

إلى أخيه قطب الدين، و فارقوه، و قد برز فى عسكره، متوجها إلى ناحيه دمشق، فلما فصل عن الموصل، اتصل به خبر عافيه الملک نور الدين، فأقام بحيث هو، و نفذ الوزير جمال الدين أبا جعفر محمد بن على، لكشف الحال، فوصل إلى دمشق فى يوم السبت الثامن من صفر سنه أربع و خمسين و خمسمائه، فى أحسن زى، و أبهى تجمل، و خرج إلى لقائه الخلق الكثير، و هذا الوزير قد ألهمه الله تعالى من جميل الأفعال، و حميد الأخلاق، و كرم النفس و إنفاق ماله فى أبواب البر و الصلات و الصدقات، و مستحسن الآثار فى مدينه الرسول صلى الله عليه و سلم و مكه و الحرم و البيت [المعظم شرفه الله تعالى](1) ما قد شاع ذكره، و تضاعف عليه مدحه و شكره، و اجتمع مع الملک العادل نور الدين، و جرى بينهما من المفاوضات و التقريرات، ما انتهى عوده إلى جهته، بعد الإكرام له، و توفيته حقه من الاحترام، و أصحبه برسم قطب الدين أخيه، و خواصه من الملاطفه، ما اقتضته الحال الحاضره، و توجه معه الأمير الأسفهسلار أسد الدين شيركوه، فى خواصه يوم السبت النصف من صفر، من السنه المذكوره.

و قد كان وصل من ملک الروم رسول من معسكره، و معه هديه أتحف بها الملک العادل، من أثواب ديباج، و غير ذلک، و جميل خطاب، و فعال(2) و قوبل بمثل ذلک، و عاد إليه فى أواخر صفر من السنه، و حكى عن ملک الأفرنج- خذله الله- أن المصالحه بينه و بين ملک الروم، تقررت، و المهادنه انعقدت، و الله يرد بأس كل واحد منهما إلى نحره، و يذيقه عاقبه غدره و مكره، و ما ذلک على الله بعزيز.

و فى العشر الثانى من صفر من السنه توجه الحاجب محمود المسترشدى إلى مصر عائدا مع رسلها، كتب الله سلامتهم، بجرايات ما

1- زيد ما بين الحاصرتين من الروضتين: 1/ 122.
2- فى الأصل« و بغال» و هى تصحيف صوابه من الروضتين: 1/ 123.

كان ورد معهم من مكاتبات الملک العادل الصالح، متولی أمرها عن الملک العادل نور الدين أعز الله نصره.

و وردت الأخبار من ناحيه ملک الروم باعتزامه علی أنطاكيه، و قصد المعاقل الإسلاميه، فبادر الملک العادل نور الدين بالتوجه إلی البلاد الشاميه، لإيناس أهلها من استيحاشهم من شر الروم و الأفرنج، خذلهم الله، فسار فی العسكر المنصور، صوب حمص و حماه و شيزر، و الاتمام إلی حلب إلی أن اقتضت الحال ذلک، فی يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الأول من السنه (194 ظ) و فی ليله الأحد الثانی و العشرين من شهر ربيع الأول من السنه، وافت فی انتصافه زلزله هائله ماجت أربع موجات، أيقظت النيام، و أزعجت اليقظی، و خاف كل ذی مسكن مضطرب علی نفسه، و علی مسكنه، ثم سكنها محركها بلطفه و رحمته، فله الحمد الرؤوف بعباده، الرحيم، و لم يعلم تأثيرها فی الأماكن النائيه، فسبحان القادر علی ما يشاء العليم الحكيم.

و فی العشر الأول من شهر ربيع الآخر من السنه، ورد الخبر من ناحيه حلب بوفاه أبی الفضل اسماعيل بن وقار الطبيب، فی يوم الجمعه آخر شهر ربيع الأول، رحمه الله، و كان فی خدمه الملک العادل نور الدين، أعز الله أنصاره، و كان قد حظی عنده بإصابات فی صنائعه و قرب سعادته، مع ذكاء فيه، و معرفه، بكونه سافر إلی بغداد من دمشق، و اجتمع بجماعه من فضلائها، و قرأ عليهم، و أخذ عنهم هذا مع خبرته، و حميد طريقته، و اجتماع الناس علی إحماده، و التأسف علی فقد مثله، فی حسن فعله، لكن القضاء لا يدافع، و المقدور لا يمانع.

و فی يوم الجمعه التاسع من جمادی الأولی، من السنه، هبت ريح شديده، أقامت يومها و ليلتها فأتلفت أكثر الثمار صيفيها و شتويها، و أفسدت بعض الأشجار، ثم وافت آخر الليل زلزله هائله، ماجت موجتين أزعجت و أقلقت، و سكنها محركها، و حرس المساكين مثبتها برحمته و قدرته، فله الحمد و الشكر، رب العالمين.

و فى جمادى الأولى من السنه، فى أوله تناصرت الأخبار المبهجه، من ناحيه العسكر المنصور الملكى النورى بأعمال حلب، بتواصل الأمراء المقدمين، ولاه الأعمال، المجاهده فى أحزاب الكفره الضلال من الروم و الأفرنج، لقصد الأعمال الإسلاميه، و الطمع فى تملكها، و الإفساد فيها، و الحمايه لها من شرهم، و الذب عنها من مكرهم، فى التناهى فى الكثره، و الأعداد الدثره، فقضى الله بحسن لطفه بعباده، و رحمته، و رأفته ببلاده، أن سهل للعزائم المنصوره الملكيه النوريه، من صائب الرأى و التدبير، و حسن السياسه و التقرير، و خلوص النيه لله تعالى، و حسن السريره، بحيث المهادنه المؤكده، و الموادعه المستحكمه بين الملک العادل نور الدين و ملک الروم، ما لم يكن فى الحساب، و لا خطر ببال، بحيث انتظمت الحال فى ذلک، فى عقد السداد، و كنه المراد، بحسن رأى ملک الروم، و معرفته بما تؤول إليه عواقب الحروب، و تيسر الأمل المطلوب، بعد تكرر المراسلات، و الاقتراحات فى (195 و) التقريرات، و أجيب ملک الروم إلى ما التمسه من إطلاق مقدمى الأفرنج المقيمين فى حبس الملک نور الدين، و أنفذهم بأسرهم، و ما اقترحه إليه، و حصولهم لديه، و قابل ملک الروم هذا الفضل، بما يضاهيه، أفعال عظماء الملوک الأسداء، من الاتحاف بالأثواب الديباج الفاخره، المختلفه الأجناس، الوافره العدد، و من جوهر نفيس، و خيمه من الديباج، لها قيمه وافره، و ما استحسن من الخيول الجبليه، ثم رحل عقيب ذلک فى عسكره من منزله، عائدا إلى بلاده، مشكورا محمودا، و لم يؤذ أحدا من المسلمين، فى العشر الأوسط من جمادى الأولى سنه أربع و خمسين و خمسمائه، فاطمأنت القلوب بعد انزعاجها و قلقها، و أمنت عقيب خوفها و فرقها، فلله الحمد على هذه النعمه حمد الشاكرين.

و ورد الخبر بعد ذلک بأن الملک العادل نور الدين، صنع لأخيه قطب الدين و لعسكره، و لمن ورد معه من المقدمين و الولاه

و أصحابهم الواردين، لجهاد الروم و الأفرنج، فى يوم الجمعه السابع عشر من جمادى الأولى من السنه، سماطا عظيما هائلا تناهى فيه بالاستكثار من ذبح الخيول و الأبقار و الأغنام، و ما يحتاج إليه فى ذلک، مما لا يشاهد مثله، و لا شبه له، مما قام بجمله كبيره من الغرامه، و فرق من الحصن العربيه، و الخيول، و البغال العدد الكثير، و من الخلع و أنواع الديباج المختلفه و غيره و التحوف الذهب الشى ء الكثير، الزائد على الكثره، و كان يوما مشهودا فى الحسن و التجمل، و اتفق أن جماعه من غرباء التركمان، و جدوا من الناس غفله باشتغالهم بالسماط و انتهابه فغاروا على العرب من بنى أسامه و غيرهم، و استاقوا مواشيهم، فلما ورد الخبر بذلک، أنهض فى إثرهم فريق وافر من العسكر المنصور، فأدركوهم، و استخلصوا منهم جميع ما أخذوه، و أعيد إلى أربابه، و سكنت النفوس بعد انزعاجها، و الله المحمود المشكور.

ثم تقرر الرأى الملكى النورى، أعلاه الله، على التوجه إلى مدينه حران لمنازلتها و استعادتها من أخيه نصره الدين، حسبما رآه فى ذلک من الصلاح، و رحل فى العسكر المنصور، فى أول جمادى الآخره، فلما نزل عليها، و أحاط بها، وقعت المراسلات و الاقتراحات و الممانعات، و المحاربات، إلى أن تقررت الحال على إيمان (195 ظ) من بها، و تسلمت فى يوم السبت الثالث و العشرين من جمادى الآخره المذكور، و قررت أحوالها، و أحسن النظر إليها فى أحوال أهليها، و سلمت إلى الأمير الأجل الأسفهسلار، زين الدين، على سبيل الاقطاع له، و فوض إليه تدبير أمورها.

و دخلت سنه خمس و خمسين و خمسمائه

و أولها يوم الثلاثاء مستهل المحرم، و الشمس فى كح درجه و كح دقيقه من الجدى، و الثانى عشر من كانون الثانى، و الطالع القوس سبع

عشره درجه و خمس دقائق، و فی لیله الجمعه من صفر من هذه السنه توفی الأمیر مجاهد الدین بزان بن مامین(1) أحد مقدمی أمراء الأکراد، و الوجاهه فی الدوله، رحمه الله، موصوف بالشجاعه، و البساله و السماحه، مواظب علی بث الصلات و الصدقات، فی المساکین و الضعفاء و الفقراء، مع الزمان، و کل عصر ینقضی و أوان، جمیل المحیا، حسن البشر فی اللقاء، و حمل من داره بباب الفرادیس إلی الجامع للصلاه، ثم إلی المدرسه المشهوره(2) باسمه، فدفن فیها فی الیوم، و لم یخل من باک علیه و مؤبن له، و متأسف علی فقده بجمیل أفعاله و حمید خلاله، و رثی بهذه الأبیات المختصره و هی:

کم غافل و سهام الموت مصمیهتصمیه فی غفله منه و نیسان

بینا تراه سریع الخطو فی وطرحتی تراه صریعا بین أکفان

کذاک کان بزان فی إمارته ما بین جند و أنصار و أعوان

هبت ریاح الرزایا فی منازله فغادرتها بلا أنس و جیران

أمسی بقبر وحیدا جنب مدرسهبلا رفیق و لا خل و إخوان

ما عاینت نعشه عین مؤرقهإلا بکته بأنواء و تهتان

فرحمه الله لا تنفک زائرهلحدا حوی جسمه منه بغفران

و لا اغبت ثراه کل مرعدهتهمی علیه بغیث لیس بالوانی

حتی تروضه منها بصیبهابکل زهر غضیض لیس بالفانی

ما دامت الشهب فی الأفلاک دائرهو ناحت الورق لیلا بین أغصان (196 و)

من یفعل الخیر فی الدنیا فقد ظفرت یداه بالحمد من قاص و من دان

و فی یوم الخمیس مستهل صفر من السنه، رفع القاضی زکی الدین

1- فی حاشیه الأصل بخط مخالف: قلت: هذا مجاهد الدین، هو أبو الفوارس بزان بن مامین بن علی بن محمد، و هو من الأکراد الجلالیه، و هی طائفه منهم، بلادهم فی العراق، بنواحی دقوقا من أعمال بغداد.
2- کانت لصیق باب الفرادیس المجدد، تغیر اسمها و صار الآن« جامع السادات» انظر منادمه الأطلال: 146- 148.

أبو الحسن على بن محمد بن يحيى بن على، قاضى دمشق إلى الملک العادل نور الدين رقعه يسأله فيها الإعفاء من القضاه و الاستبدال به، فأجاب سؤاله، و ولى قضاء دمشق القاضى الأجل الإمام كمال الدين بن الشهرزورى، و هو المشهور بالتقدم، و وفور العلم، و صفاء الفهم، و المعرفه بقوانين الأحكام، و شروط استعمال الإنصاف، و العدل، و النزاهه عن الإسفاف، و تجنب الهوى و الظلم، و حكم بين الرعايا بأحسن أفصال فى الحكم، و كتب له المنشور بذلک بنعوته المكمله، و صفاته المستحسنه، و وصاياه البليغه المتقنه، و استقام له الأمر على ما يهواه و يؤثره و يرضاه، على أن القضاء من بعض أدواته، و استقر أن [يكون](1) النائب عنه عند اشتغاله ولده(2).

هذا آخر ما وجد من مذيل التاريخ الدمشقى، و الحمد لله وحده، و صلواته على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا

و كان الفراغ من كتابته سلخ ربيع الآخر سنه تسع و عشرين و ستمائه، كتبه أسير ذنبه الراجى عفو ربه محمد بن أبى بكر بن اسماعيل بن الشيرجى الموصلى، غفر الله له زلله و خطأه و خطله، و لجميع المسلمين.

1- زيد ما بين الحاصرتين من الروضتين: 1/ 124.
2- كتب صاحب الروضتين بعد نقله لهذا الخبر:« و الى ها هنا انتهى ما نقلناه من كتاب الرئيس أبى يعلى التميمى، فإنه آخر كتابه، و فى هذه السنه توفى رحمه الله». الروضتين: 1/ 124.

ص: 549

ص: 550

ص: 553

ص: 554

ص: 555

ص: 556

تکمله تاریخ دمشق لسبط ابن الجوزی و الیونینی 555- 692 ه/ 1160- 1291 م

اشاره

ص: 559

من مرآه الزمان لسبط ابن الجوزى 555- 654 ه/ 1160- 1256 م

ص: 560

السنه الخامسه و الخمسون و خمسمائه

اشاره

و فی یوم الجمعه سلخ صفر أرجف علی المقتفی بالموت فانزعج الناس، فوقع إلی الوزیر بعافیته، فطابت قلوب الناس، فلما کان صبیحه الأحد ثانی ربیع الأول أصبحت دار الخلافه مغلقه إلی الظهر، و رکبت العساکر لحفظ البلد فتحقق الناس موته، فلما کان قریب الظهر، فتحت الأبواب ودعی الناس إلی بیعه ولی العهد.

بیعه المستنجد بالله

و اسمه یوسف بن محمد المقتفی، و کنیته أبو المظفر، ولد فی ربیع الأول سنه ثمان عشر و خمسمائه و أمه أم ولد یقال لها طاووس و أدرکت خلافته، و توفیت فی هذه السنه، و لما تولی أسقط الضرائب علی الغنم، و الخیل، و التمر، و السمک، و غیره، و بسط العدل، و کف الناس عن الظلم و عمل العزاء فی بیت النوبه ثلاثه أیام، و کان رجل یرفع إلی المقتفی أخبار البلد، فلما ولی المستنجد کتب إلیه علی العاده، فقال المستنجد: ما هذا؟ قالوا: صاحب خبر، فأمر به فضرب حتی سال دمه، ثم أمر به فحبس.

فصل [فی وفاه قیماز الأرجوانی أمیر الحاج]

و فیها توفی قیماز الأرجوانی أمیر الحاج بعد نظر الخادم، و کان شجاعا عادلا، رفیقا بالحاج، محسنا إلیهم، دخل المیدان فی دار الخلافه یلعب بالکره، فسقط من الفرس علی رأسه فخرج من أذنه دم، فمات فحزن الخلیفه علیه، و الناس لخیره و حسن سیرته، و أمر أرباب الدوله یمشون فی جنازته، فمشوا إلی الشونیزیه، فدفن بها، و حج بالناس عشر سنین.

فصل [فی وفاه المقتفی بالله محمد بن المستظهر]

و فیها توفی المقتفی بالله أمیر المؤمنین، و اسمه محمد بن المستظهر،

و كنيه أبو عبد الله، و قد ذكرنا أيامه، و سبب وفاته أنه خرج إلى بعض منتزهاته فى حر شديد فيقال إنه أكل رطبا كثيرا أياما متواتره، فحم حمى حاده، و عاد مريضا، فاتصل به المرض حتى صار تراقيا، و الرتاقى دمل يخرج فى العنق، و به مات أبوه المستظهر، و ماتا جميعا فى ربيع الأول، و بين وفاه المقتفى و السلطان محمد ثلاثه أشهر، و كذا السلطان محمود مات قبل المستظهر بثلاثه أشهر، و كذلک المقتفى مات ملک شاه قبله بثلاثه أشهر، و مات المقتفى بعد غرق بغداد بسنه، و كذا المستظهر، و كانت وفاه المقتفى ليله الأحد ثانى ربيع الأول عن ست و ستين سنه، و قيل عن خمس و ستين سنه و أحد عشر شهرا و مولد المقتفى فى سنه تسع و ثمانين و أربعمائه، و كانت خلافته أربعا و عشرين سنه و ثلاثه أشهر، و أحد و عشرين يوما و أمه أم ولد تسمى بغيه النفوس، و يقال نسيم، و دفن بداره بعد أن صلى عليه المستنجد، و كبر أربعا، ثم نقل بعد ذلک إلى الرصافه، و حج فى أيامه نظر الخادم، و قيماز الأرجوانى، و سمع المقتفى الحديث من أبى الفرج و اسمه عبد الوهاب بن هبه الله ابن السيبى، و حكى عفيف الناسخ، و كان صالحا، قال: رأيت فى المنام قائلا يقول: إذا اجتمعت ثلاث خاءات كان آخر خلافته، فقلت خلافه من؟

قال: المقتفى، فلما دخلت سنه خمس و خمسين و خمسمائه مات.

السنه السادسه و الخمسون و خمسمائه

اشاره

و فيها فى ربيع الأول نقل المقتفى إلى الرصافه ليله الأربعاء، و أنزل تابوته فى الزبزب، و معه جميع أرباب الدوله.

و فيها قتل طلائع بن رزيک بمصر، و فيها قدم أبو الخير القزوينى بغداد، و جلس بالنظاميه و ذكر مذهب الشافعى، و ثارت الحنابله عليه.

فصل [فى وفاه الصالح طلائع بن رزيک، أبو الغارات]

و فيها توفى الصالح طلائع بن رزيک، أبو الغارات، وزير الديار

المصريه أقام وزيرا سبع سنين على أحسن الوجوه، و بسط العدل و الإحسان، فلما كان العاشر من رجب وثب عليه باطنى بين القصرين فضربه بسكين فى رأسه، ثم فى ترقوته فحمل إلى داره، و قتل الباطنى و مات طلائع من الغد، فحزن الناس عليه، و بكوا و أقيمت المآتم بين القصرين و الشوارع و مصر لأنه كان جوادا محسنا مشفقا على الرعيه، دينا صالحا كاسمه، كثير الصدقات، حسن الآثار بنى جامعا على باب زويله، و آخر بالقرافه فى سنه أربعين و خمسمائه و بنى تربه إلى جانبه، و هو مدفون بها، و عمر المساجد، و كان يفتقد أرباب البيوت، و كان فاضلا شاعرا، و له ديوان مليح، و رثاه الشعراء و قام بعده ولده رزيک بن طلائع بأمر الوزاره، و لقب بمجد الاسلام ابن الصالح طلائع سنه تسع و أربعين و خمسمائه، و قتل فى دهليز القصر سنه ست و خمسين و خمسمائه.

السنه السابعه و الخمسون و خمسمائه .....

و فيها حاصر نور الدين محمود بن زنكى حصن حارم، و اجتمع الفرنج و راسلوه و لاطفوه، و كانوا خلقا عظيما، فرجع إلى حلب، و كان معه مؤيد الدين أسامه بن مرشد بن منقذ الذى أخرجه عمه من شيزر و نزل بدار إلى جانبها مسجد، و كان قد نزل بها عام أول و حج ثم عاد إلى المنزل بعد عوده من الغزاه فكتب على حائط المسجد:

لک الحمد يا مولاى كم لک منهعلى و فضل لا يحيط به شكرى

نزلت بهذا المقام إذ كنت قافلامن الغزو موفور النصيب من الأجر

و منه رحلت العيس فى عامى الذى مضى نحو بيت الله و الركن و الحجر

فأديت مفروضى و أسقطت ثقل ماتحملت من وزر الشباب على ظهرى (7)

و فيها توفيت زمرد خاتون بنت جاولى أخت الملک دقاق بن تاج الدوله تتش بن ألب أرسلان، و أم شمس الملوک اسماعيل، و شهاب الدين محمود ابنى بورى بن طغتكين.

قرأت القرآن على أبى محمد بن طاووس، و أبى بكر القرطبى، و سمعت الحديث من نصر بن ابراهيم المقدسى و غيره، و كانت محبه للعلماء و أهل الخير حنفيه المذهب، و هى التى بنت مسجد خاتون على الشرف بأرض صنعاء من دمشق، و أوقفت عليه الأوقاف الكثيره، و ليست خاتون التى بنت خانقاه الصوفيه على الشرف القبلى من القبله، تلك بنت معين الدين أنر زوجه نور الدين محمود بن زنكى، و تزوجها صلاح الدين، و سنذكرها بعد الثمانين و خمسمائه، و دفنت بجبل قاسيون، و هى التى بنت مدرسه خاتون بدمشق.

و أما صاحبه هذه الترجمه فهى التى ساعدت على قتل ابنها شمس الملوك اسماعيل لما كثر فساده و سفكه للدماء و قتله خواص أبيه و مصادرات الناس و مواطأه الفرنج على بلاد المسلمين، فأراحت منه العباد، و طهرت منه البلاد.

و قال الحافظ ابن عساكر: دبرت عليه حتى قتل بحضرتها، و أقامت أخاه محمودا مكانه، و قد ذكرنا ذلك، و تزوجها أتابك زنكى طمعا فى دمشق فلم يظفر بطائل، و نقلها إلى حلب، و لما قتل أتابك على قلعه جعبر عادت إلى دمشق فأقامت مده، ثم حجت على طريق العراق و دخلت بغداد و عادت إلى الحج فجاورت بها سنه حتى توفيت، و دفنت بالبقيع، و كان قد قل ما بيدها فبلغنى أنها كانت بالمدينه تغربل القمح و الشعير و تتقوت بأجرهما، و كانت كثيره البر و الصدقات و الصوم رحمها الله تعالى.

و فيها أقام نور الدين بحمص أياما، ثم نزل بلاد الفرنج فنزل بالبقيعه تحت حصن الأكراد عازما على حصار طرابلس، و معه خلق عظيم و ضربوا خيامهم، و لم يكن للمسلمين يزك و لا طليعه ظنا من نور الدين أنهم لا يقدمون عليه، فبينما الناس وسط النهار لم يرعهم إلا ظهور الصلبان من وراء الجبل الذى عليه الحصن، فالسعيد من ركب فرسه

و نجا، و خرج نور الدين من خيمته و عليه قباء فركب نور الدين فرس النوبه و فى رجله شبحه قطعها كردى فنجا نور الدين، و قتل الفرنج و أسروا خلقا عظيما، و استولوا على العسكر بما فيه، و كان من قله الحزم حيث غفلوا عن العدو، و لم يستظهروا باليزک و الطلائع، و جاء نور الدين إلى حمص فلم يدخلها، و اجتمع إليه من نجا من المعركه، و أرسل إلى حلب و دمشق، و أحضر الخيام و السلاح و الخيل و فرقها فى الناس، و من قتل أبقى أقطاعه على ولده، و الا فأهله و كان من عزم الفرنج قصد حمص، فلما بلغهم نزول نور الدين على البحيره قالوا: ما فعل هذا الا عن قوه فتوقفوا و فرق فى يوم واحد مائتى ألف دينار، و جاء رجل و ادعى أنه ذهب له شى ء كثير و كان الأمر بخلافه، فكتب النواب إلى نور الدين أنه مبطل فى دعواه، فكتب إليهم لا تكدروا عطاءنا فإنى أرجو من الله الأجر على القليل و الكثير، و كتب إليه النواب إن الإدارات و الوقوف كثيره فى البلاد على الفقراء و الفقهاء و الصوفيه، و لو حملناها إليک فى هذا الوقت لاستعنت بها و تعيد العوض، فغضب و كتب إليهم:

إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ (8) و هل أرجو النصر إلا بهؤلاء، و هل تنصرون إلّا بضعفائكم، فكتب النواب إليه فإذا لم تغير عليهم شيئا، و قد وقعت فى هذه الورطه العظيمه، فلو أمرتنا لاقترضنا من أرباب الأموال ما نستعين به على جهاد العدو فقد نفدت الخزائن، و يطمع العدو فى الاسلام، فبات مفكرا و قال فى نفسه: نقترض ثم ندفع العوض، ثم قال: ما أفعل، و بات قلقا إلى وقت السحر فنام فرأى انسانا ينشد:

احسنوا مادام أمركم نافذا فى البدو و الحضر

و اغنموا أيام دولتكم انكم منها على خطر

فقام مرعوبا مستغفرا مما خطر له و علم أن هذا تنبيه من الله تعالى، فكتب إليهم: لا حاجه لى فى أموال الناس و عاد الفرنج إلى بلادهم.

السنه التاسعه و الخمسون و خمسمائه

و فيها حارب أمير ميران أخاه نور الدين، فكسره نور الدين، و سنذكره فى ترجمه أمير أميران فى السنه الآتيه.

و فيها فتحت حارم فى شهر رمضان فى هذه السنه و كان السبب فيه ان نور الدين لما أصابه بالبقيعه ما اصابه بعث إلى ملوک الأطراف: إلى أخيه قطب الدين بالموصل، و فخر الدين قرا أرسلان بالحصن، و نجم الدين ألبى بماردين، و غيرهم يطلب النجده، فأخبره نجم الدين بأنه جمع العساكر مجدا و على مقدمته زين الدين على كوجک، و أما فخر الدين قرا أرسلان فقال له أصحابه: على أى شى ء قد عزمت؟ قال: على القعود فإن نور الدين قد أثر فيه الصوم و الصلاه فهو يلقى نفسه و الناس معه فى المهالک، فوافقوه.

فلما كان من الغد نادى فى عسكره بالمسير إلى الغزاه فقيل له فى ذلک فقال: إن نور الدين قد كاتب زهاد بلادى المنقطعين عن الدنيا و ذكر لهم ما جرى على المسلمين من الفرنج، و طلب منهم الدعاء و سألهم أن يحثوا المسلمين على الجهاد، و قد قعد كل واحد معه جماعه يقرؤون كتب نور الدين و يبكون و يدعون له و على، فإن تأخرت خرج أهل بلادى عن طاعتى، ثم سافر بنفسه، و لما اجتمعت العساكر على حلب سر نور الدين بقدومها، و سار على حارم فنازلها، فبلغ الفرنج فحشدوا و جاؤوا فى ثلاثين ألفا و فيهم البرنس صاحب أنطاكيه، و القومص صاحب طرابلس و ابن جوسلين و الدوک، و هو رئيس القوم، و كان فيهم من الرجاله مالا يحصى، و لما تراءى الجمعان صعد نور الدين على تل عال فشاهد من الفرنج ما أذهله و هاله، فنزل و انفرد عن العساكر، و نزل عن فرسه و صلى ركعتين و مرغ وجهه على التراب و بكى، و قال: يا سيدى هذا الجيش جيشک، و الدين دينک، و من محمود فى الناس، افعل ما يليق بک.

و حملت الفرنج على الميمنه و فيها عسكر حلب فاندفعوا بين أيديهم ليبعدوا عن الراجل، و تبعهم الفرنج، فعطف نور الدين على الرجاله فحصدهم بالسيف، و رجعت الفرنج فلم يروا إلا الرجاله على الأرض فانخلعت قلوبهم، و أحاط بهم المسلمون فذلوا و خضعوا، و عمل فيهم السيف فلم يبق منهم إلا من نجا به فرسه، و أسر نور الدين ابن جوسلين من ملوكهم و سته آلاف من أكابرهم، و غنم ما كان معهم من الأموال و الخيل و السلاح و الخيام و غير ذلک، و فتح حصن حارم فى حادى عشرين رمضان يوم الجمعه، و عاد إلى حلب بالأسارى و الغنائم و امتلأت حلب منهم فبيع الأسير بدينار و فرقهم نور الدين على العساكر و أعطى أخاه و صاحب الحصن الأموال العظيمه و التحف الكثيره، و عادوا إلى بلادهم، ثم فاداهم نور الدين و كان قد استفتى الفقهاء فاختلفوا فقال قوم: يقتل الجميع، و قال آخرون: يفادى بهم، فمال نور الدين إلى الفديه، فأخذ منهم ستمائه ألف دينار معجلا و خيلا و سلاحا و غير ذلک، فكان نور الدين يحلف بالله أن جميع ما بناه من المدارس و الربط و المارستانات و غيرها من هذه المفاداه، و جميع ما وقفه منها، و ليس فيها من بيت المال درهم واحد.

السنه الستون و خمسمائه

فصل [فى فتح نور الدين بانياس عنوه:]

..... فيها فتح نور الدين بانياس عنوه و كان معه أخوه نصره الدين أمير ميران فأصابه سهم فأذهب إحدى عينيه، فقال له نور الدين:

لو كشفت عما أعد لک من الأجر لتمنيت ذهاب الأخرى، و كان ولد معين الدين الذى سلم أبوه بانياس للفرنج قائما على رأس نور الدين، فقال له نور الدين: للناس بهذا الفتح فرحه واحده، و لک فرحتان، قال:

يا مولانا و لم؟ قال: لأن اليوم بردت جلده أبيک من نار جهنم.

و فيها فوض نور الدين شحنكيه دمشق إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب على ما قيل فأظهر السياسه و نفذت الأمور فقال عرقله (9):

رويدكم يالصوص الشآم فإنى لكم ناصح فى مقالى

و إياكم من سمى النبى يوسف رب الحجى و الجمال

فقطع أيدى النساءو هذا يقطع أيدى الرجال

فصل [فى وفاه أمير ميران بن زنكى:]

و فيها توفى أمير ميران بن زنكى أخو نور الدين محمود أصابه سهم على بانياس فى عينه، و قد ذكرنا أن نور الدين لما مرض كاتب أمير ميران الأمراء، فلما برأ نور الدين سار إليه و أخذ حران منه فطرده فمضى إلى صاحب الروم، و جيش الجيوش فى سنه تسع و خمسين و خمسمائه، و انضم إليه خلق كثير و كان نور الدين نازلا على رأس الماء فالتقوا فكسر نور الدين و قتل أخو مجد الدين بن الدايه و نهب عسكر نور الدين، و رجع أمير ميران إلى صاحب حصن كيفا مستجيرا به، فيقال إنه مات عنده، و يقال انه شفع فيه نور الدين فقبل شفاعته، و مات بدمشق.

السنه الحاديه و الستون و خمسمائه

و فيها فتح نور الدين العريمه و صافيتا و هدم قلعتاهما و سورهما، و مضى إليه غازى بن حسان صاحب منبج، و أعطاه الرقه

السنه الثانيه و الستون و خمسمائه

اشاره

..... و فيها عاد أسد الدين شيركوه إلى مصر، و هى المره الثانيه، و سببه أن العاضد كتب إلى نور الدين محمود يستنجده على شاور، و أنه قد اشتد الأمر و ظلم و سفك الدماء، و ما كان فى قلب نور الدين من شاور لأنه غدر بأسد الدين و استنجد الفرنج، فسار أسد الدين من دمشق منتصف ربيع الأول و معه ابن أخيه صلاح الدين، فنزل الجيزه

غربى مصر على البحر، و كان شاور قد أعطى الفرنج الأموال و أقطعهم الاقطاعات، و أنزلهم دور القاهره، و بنى لهم أسواقا، و كان يتقدمهم الملک مرى و ابن بيرزان، فأقام أسد الدين على الجيزه شهرين، ثم عدى إلى بر مصر و القاهره فى خامس عشرين جمادى الآخره.

ذكر وقعه البابين

و لما عدى أسد الدين صعد إلى البابين، و خرج شاور و الفرنج و رتب العساكر، فجعل الفرنج فى الميمنه مع ابن بيرزان، و عسكره فى الميسره، و أقام الملک مرى فى القلب فى شوكه الفرنج و الخياله، و رتب أسد الدين عساكره فجعل صلاح الدين فى الميمنه، و الأكراد فى الميسره، و أسد الدين فى القلب، فحمل الملک مرى على القلب فتعتعه، و كانت أثقال المسلمين خلفهم، فاشتغل الفرنج بالنهب، و حمل صلاح الدين على شاور فكسره، و فرق جمعه، و عاد أسد الدين إلى صلاح الدين، فحملا على الفرنج فانهزموا فقتلوا منهم ألوفا، و أسروا مائه و سبعين فارسا، و طلبوا القاهره، فلو ساق أسد الدين خلفهم لملک القاهره، و إنما حول إلى الاسكندريه فتلقاه أهلها طائعين، و ولى عليها ابن أخيه صلاح الدين، فأقام بها، و سار أسد الدين إلى الصعيد، و استولى عليه، و أقام يجمع أمواله و يجبى خراجه.

و خرج شاور و الفرنج من القاهره فحصروا الاسكندريه، فأقاموا عليها أربعه أشهر، و أهلها يقاتلون مع صلاح الدين و يقوونه بالمال، و بلغ أسد الدين فجمع عرب البلاد، و سار إلى الاسكندريه ينجد صلاح الدين، و عاد شاور إلى القاهره، و راسل أسد الدين و أعطاه إقطاعا بمصر و عجل له مالا فعاد إلى الشام، و صلاح الدين يتبعه، و اعتذر إلى نور الدين بكثره الفرنج و المال و رأى صلاح الدين ما فعله أهل الاسكندريه، فلما ملک أحسن إليهم و سنذكره.

ثم إن الفرنج طلبوا من شاور أن يكون لهم شحنه بالقاهره و تكون أبوابها بأيدى فرسانهم، و يحمل إليهم فى كل سنه مائه ألف دينار، و من سكن منهم القاهره يبقى على حاله، و يعود بعض ملوكهم إلى الساحل، و كان نور الدين ينظر من ستر رقيق، و يخاف على مصر غلبه الفرنج فسار بعساكره إلى الساحل و فتح المنطيره، و قلاعا كثيره، فخاف من كان بمصر من الفرنج فعادوا إلى الساحل فى سنه أربع و ستين و خمسمائه، و سنذكره.

السنه الثالثه و الستون و خمسمائه

و فيها ....

السنه الرابعه و الستون و خمسمائه

اشاره

و فى المحرم ملک نور الدين محمود قلعه جعبر، خرج صاحبها مالک العقيلى فأخذه بنو كلاب و ذهبوا به إلى نور الدين، فأحسن إليه و أكرمه و قال أنت عاجز عن حفظها فاختر ما سميت من البلاد و الاقطاعات فامتنع، فأرسل إليها نور الدين فخر الدين مسعود بن على الزعفرانى و مجد الدين ابن الدايه فحصراها، فلم يقدرا عليها، ثم ان صاحبها طلب من نور الدين سروج و أعمالها و مالا فأعطاه و تسلمها، و هذه القلعه ما زالت فى يد بنى مالک من أيام السلطان ملک شاه إلى هذه السنه، و بلغ نور الدين أنهم كان لهم رجال يقطعون الطريق.

و فى صفر خرج الفرنج من عسقلان و الساحل طالبين الديار المصريه، فنزلوا على بلبيس و أغاروا على الريف فقتلوا و أسروا، فأخرج شاور من كان بالقاهره من الفرنج، و قتل البعض و هرب الباقون، و أمر شاور أهل مصر أن ينتقلوا إلى القاهره و أحرق مصر، و سار الفرنج من بلبيس فنزلوا على القاهره فى تاسع صفر، و ضايقوها و ضربوها بالمناجيق، فلم يجد شاور بدا أن كتب لنور الدين بأمر العاضد، و كان الفرنج لما وصلوا إلى مصر فى المرتين الأولتين اطلعوا على عوراتها و طمعوا فيها، و علم

نور الدين فاسترجع و خاف عليها، و جاءته كتب العاضد و شاور، فقال نور الدين لأسد الدين: خذ العساكر و توجه إليها، و قال لصلاح الدين:

اخرج معه فامتنع، و قال: يا مولانا يكفى مالقينا من الشدائد، فقال: لابد من خروجک، فما أمكنه مخالفه نور الدين فساروا إلى مصر، و بلغ الفرنج فرجعوا إلى الساحل، و قيل إن شاور أعطاهم مائه ألف دينار، و جاء أسد الدين فنزل على باب القاهره، فاستدعاه العاضد إلى القصر و خلع عليه فى الايوان خلع الوزراء، و سر أهل مصر بوصوله.

و قيل انه لم يستدعه و إنما بعث إليه بالخلع و الأموال و الاقامات، و للأمراء الذين معه، و أقام مكانه و أرباب الدوله يترددون إلى خدمته كل يوم و شاور لم يقدر على منعهم لكثره العساكر و كون العاضد مائلا إلى أسد الدين، فكاتب الفرنج و استدعاهم و قال يكون مجيئكم إلى دمياط فى البحر و البر، و بلغ أعيان المصريين فاجتمعوا عند أسد الدين و قالوا: شاور هو فساد العباد و البلاد، و قد كاتب الفرنج و هو يكون سبب هلاک الاسلام، ثم إن شاور خاف لما تأخر وصول الفرنج فشرع فى عمل دعوه لأسد الدين و الأمراء و يقبضهم، فنهاه ابنه الكامل و قال:

و الله لئن لم تنته من هذه لأعرفن أسد الدين، فقال له شاور: و الله لئن لم أفعل هذا لنقتلن كلنا، فقال له ابنه لأن نقتل و البلاد بيد المسلمين، خير من أن نقتل و البلاد بيد الفرنج، و كان أسد الدين قد شارط لشاور ثلث البلاد، فأرسل أسد الدين يطلب منه المال فجعل يتعلل و يماطل و ينتظر وصول الفرنج إلى البلاد فقتلوه، و سنذكره فى موضعه، و لما قتل بعث العاضد منشورا بالوزاره لأسد الدين بخط الفاضل و عليه بخط العاضد نسخه الأيمان إلى أسد الدين، و حلف كل واحد لصاحبه بالوفاء و الطاعه و الصفاء، فتصرف أسد الدين شهرين و مات، و لما احتضر أوصى لابن أخيه صلاح الدين، فاختلف عليه جماعه من الأمراء و سنذكره فى عقيب وفاه أسد الدين، و بلغ نور الدين اتفاق الأمراء على صلاح الدين فى ذلک. انتهى.

فصل [فی وفاه صاحب دمشق مجیر الدین بن محمد بن بوری بن أتابک طغتکین ببغداد:]

و فیها توفی صاحب دمشق و هو مجیر الدین بن محمد بن بوری بن أتابک طغتکین ببغداد، و دفن بداره التی عند النظامیه، و بلغ نور الدین فجلس له فی العزاء، و قد ذکرنا سیرته.

فصل [فی قتل شاور:]

و فیها قتل شاور کما ذکرنا و قائعه إلی هذه السنه، و کان جبارا لا ینظر فی عاقبه الأمور سفاکا للدماء، ممدوحا قد مدحه عماره الیمنی الشاعر بقصائد.

ذکر مقتله

عزم علی عمل دعوه لأسد الدین و الأمراء ثم یقتلهم و أن ابنه الکامل نهاه، و اختلفوا فی کیفیه مقتله علی أقوال:

أحدها: ان الأمراء اتفقوا علی قتله لما علموا بمکاتبته للفرنج، و أن أسد الدین تمارض، و کان شاور یخرج إلیه کل یوم و الطبل و البوق یضرب بین یدیه علی عاده وزراء مصر، فجاء لیعود أسد الدین فقتلوه.

و القول الثانی: أن صلاح الدین و جردیک اتفقا علی قتله فأخبرا أسد الدین فنهاهما، و قال: لا تفعلا فنحن فی بلاده و معه عساکر عظیم فسکتا، و اتفق أن أسد الدین رکب إلی زیاره الشافعی، فأقام عنده، و جاء شاور علی العاده لأسد الدین، فالتقاه صلاح الدین و جردیک و قالا: انزل هو فی الزیاره فامتنع، فجذباه فوقع إلی الأرض فقتلاه.

و القول الثالث: انهما لما جذباه لم یمکنهما قتله بغیر أمر أسد الدین و سحبه الغلمان إلی الخیمه، و انهزم أصحابه إلی القاهره لیجیشوا علیهم، و علم أسد الدین فعاد مسرعا، و جاء رسول من العاضد برقعه یطلب من أسد الدین رأس شاور، و تتابعت الرسل، و کان أسد الدین قد بعث

إلى شاور مع الفقيه عيسى يقول: لک فى رقبتى أيمان و أنا خائف عليک من الذى عندى فلا تجى ء، فلم يلتفت و جاء على العاده فجذبوه بالقوه عن فرسه و أدخله جرديک إلى الخيمه، و حز رأسه، فلما عاد أسد الدين استرجع، و بعثوا برأسه إلى العاضد فسر به، و دعا العاضد ولد شاور الكامل فقتله فى الدهليز، و قتل أخاه، و استوزر أسد الدين على ما ذكرنا، و قتل شاور فى ربيع الآخر.

و فيها توفى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، أقام فى الوزاره شهرين و أياما لأنه وزر فى ربيع الآخر، و توفى فجاءه يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخره، و كانت وزارته شهرين و خمسه أيام، و كان كثير الأكل للحوم الغليظه، و كان يواتر التخم و الخوانيق، فاعتراه خانوق عظيم فقتله، و دفن بظاهر القاهره إلى أن مات أخوه نجم الدين أيوب، فحملا جميعا إلى مدينه النبى صلى الله عليه و سلم فدفنا فى رباطيهما، و لما مات كان قد أوصى إلى ابن أخيه صلاح الدين، فاختلف الأمراء عليه و منهم عز الدين الياروقى رأس الأتراک، و سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب ملک الأكراد، و شهاب الدين محمود صاحب حارم، و هو خال صلاح الدين و جماعه، و كل واحد منهم رام أن يكون له الأمر، فبادر العاضد و استدعى صلاح الدين، و خلع عليه فى الايوان خلعه الوزاره، و كتب عهده كما فعل بأسد الدين، و لقبه الملک الناصر، و قيل إنما لقبه المستضى ء بعد ذلک، و شرع الفقيه عيسى فى تفريق البعض عن البعض، و اصلاح الأمور لصلاح الدين، و بذل صلاح الدين الأموال و أحسن إلى جميعهم، و أقام نائبا عن نور الدين يدعى لنور الدين على المنابر بعد العاضد و لصلاح الدين بعدهما.

و ذكر الحافظ ابن عساكر أسد الدين فقال: قد ولى دمشق، و أقام يحارب الفرنج، و فتح حصونا كثيره، و كان شجاعا مقداما صارما مهيبا، و حج سنه خمس و خمسين و خمسمائه و ذكر فتوح مصر.

انتهت ترجمه أسد الدين و الحمد لله وحده، و صلى على أشرف خلقه محمد صلى الله عليه و سلم.

السنه الخامسه و الستون و خمسمائه

اشاره

و فيها نزلت الفرنج على دمياط يوم الجمعه ثالث صفر، وجدوا فى القتال، و أقاموا عليها ثلاثه و خمسين يوما يضربونها بالمناجيق و يزحفون إليها ليلا و نهارا، و وجه صلاح الدين إليها العساكر مع شهاب الدين خاله و تقى الدين، و طلب من العاضد مالا فبعث بشى ء كثير، فكان صلاح الدين يقول: ما رأيت أكرم من العاضد جهز إلىّ فى حصار الفرنج ألف ألف دينار سوى الثياب و غيرها.

و أشعل نور الدين بلاد الفرنج بالغارات، و وقع فيهم الوباء و الفناء، فرحلوا بعد أن مات منهم خلق كثير، و كان رحيلهم فى ربيع الآخر، و فى شعبان سار نور الدين إلى الكرک فنازله و ضربه بالمناجيق، و جمع ملوک الساحل فجاؤوه فتأخر إلى البلقاء.

و فى شوال كانت بالشام زلازل هائله بحيث وقع معظم دمشق و شرفات الجامع و سقطت رؤوس المنابر، و كانت تهتز مثل النخل فى ريح عاصف، و كانت بحلب أعظم بحيث وقع نصف القلعه و البلد، فهلک من أهلها ثمانون ألفا تحت الهدم، و تهدمت أسوار جميع القلاع و خرج أهلها إلى البرارى، و وقعت قلعه حصن الأكراد بحيث لم يبق للسور أثر، و كذا حماه و حمص، فلولا أن نور الدين كان بالبلقاء و الفرنج فى قتاله سار و أخذ حصن الأكراد، و جاءه ما شغل قلبه من ناحيه الشرق و دمشق، أما من ناحيه المشرق فوفاه أخيه، قطب الدين مودود بالموصل، و أما من دمشق فوفاه العمادى و كان نائبه فى حلب و غيرها، و كانت له بعلبک و تدمر، و كان عزيزا عند نور الدين و صاحبه و حاجبه، و بلغه أيضا وفاه مجد الدين ابن الدايه بحلب و كان صاحب بره.

و سار نور الدين إلى حلب خوفا عليها من العدو، لأن أسوارها تهدمت، و فرق نور الدين العساكر فى القلاع خوفا عليها من العدو، و لأنها بقيت بغير أسوار، و كانت هذه الزلزله عامه فى الدنيا و أخربت قلاع المسلمين و بلادهم بالشام و حلب و العواصم و أنطاكيه، و نزلت إلى اللاذقيه و جبله و جميع بلاد الساحل إلى الداروم، و يقال انه لم يمت من دمشق إلا رجل واحد أصابه حجر و هو على درج جيرون، لأن أهلها خرجوا إلى الصحراء.

ثم امتدت الزلزله و قطعت الفرات فوصلت إلى الموصل و سنجار و نصيبين و الرها و حران و الرقه و ماردين و غيرها، و امتدت إلى بغداد و واسط و البصره و جميع بلاد العراق، و لم ير الناس زلزله من أول الاسلام مثلها أفنت العالم.

و فيها أمر نور الدين بعماره جامع داريا القائم الآن، و كان قديما عند قبه أبى سليمان الدارانى، فأحرقوه لما نزلت الفرنج على داريا فى أيام مجير الدين، أمر أن يعمر- نور الدين- فى هذه السنه هذا الجامع فى وسط القريه ....

فصل [فى وفاه مودود بن زنكى صاحب الموصل:]

و فيها توفى مودود بن زنكى صاحب الموصل، و لقبه قطب الدين أخو نور الدين محمود، كان أسمر اللون، و تام القامه، و عادلا منصفا، و لما احتضر أوصى إلى ولده زنكى و لقبه عماد الدين، و كان أكبر ولده و أعزهم إليه، و توفى قطب الدين، و قد جاوز الأربعين و كانت ولايته إحدى و عشرين سنه.

و فيها توفى أبو بكر ابن الدايه، و يلقب مجد الدين من أكابر أمراء نور الدين كان شجاعا دينا بنى بحلب خانقاه، و هى باقيه إلى هلم جرا، و اتفق موت العمادى فى هذه السنه و كان من أعظم أمرائه، و لما مات

بکی نور الدین و قال: قص جناحای، و أعطی أولاد العمادی بعلبک و قدم علی العساکر سابق الدین عثمانابن الدایه أخا مجد الدین، و دفن مجد الدین بحلب و العمادی بقاسیون فی تربه قریبه من تربه شرکس شمالها و هی أول تربه بنیت فی الجبل، و اسمه مکتوب علی بابها، وقفت علی باب التربه و علیها مکتوب «هذه تربه العمادی محمد».

السنه السادسه و الستون و خمسمائه

اشاره

و فی أول محرم سافر نور الدین إلی سنجار ففتحها، و سلمها إلی عماد الدین زنکی ابن أخیه، و سار فنزل علی الموصل و أخذها من عبد المسیح و کان بها، و أزال من الموصل الضمانات و المکوس، و عدل و أحسن إلی أهله، و أعطی عمر الملا ستین ألف دینار من فتوح الفرنج، و أمر بعماره الجامع النوری وسط البلد، و أعطی جزیره ابن عمر و الموصل لابن أخیه سیف الدین، و أقام عشرین یوما، و کان یحب الموصل، فقیل له: لو أقمت بها، فقال: و من یجاهد الکفار و یحفظ بلاد المسلمین، ثم رحل نحو الشام و معه عبد المسیح، و قد أحسن إلیه و أقطعه اقطاعا کبیرا، و کان قد أخذ الموصل، و هذا کله بأمر الخلیفه لأن نور الدین ما کان یعمل شیئا حتی یستأذنه، ثم قال نور الدین لعبد المسیح: و یحک ما هذا الاسم القبیح، أما کان فی الدنیا مسلم یغیره، و کیف وافقک علیه أخی قطب الدین؟.

فصل [فی بعث الخلیفه (المستضی ء) رسولا إلی نور الدین محمود یعرفه بخلافته، و یطلب البیعه له:]

و فیها بعث الخلیفه (المستضی ء) رسولا إلی نور الدین محمود یعرفه بخلافته، و یطلب البیعه له، فبعث نور الدین إلی الخلیفه شرف الدین ابن أبی عصرون نائبا عنه فی الخدمه.

و فیها بنی صلاح الدین بالقاهره المدرسه الصلاحیه للشافعیه و کان موضعها حبس المعونه، و بنی بها أیضا مدرسه المالکیه بالقرب من دار

العدل، و ولى صدر الدين عبد الملک بن درباس الکردى القضاء بالقاهره و مصر و أعمالها، و فى جمادى الأولى خرج صلاح الدين بالعساکر إلى الشام فأغار على غزه و عسقلان و الرمله، و مضى إلى ايله، و کان بها قلعه فيها جماعه من الفرنج، و التقاه الاسطول فى البحر فافتتحها و قتل من فيها، و شحنها بالرجال و العدد، و کان على الحاج منها خطر عظيم، ثم عاد إلى القاهره فى جمادى الآخره.

السنه السابعه و الستون و خمسمائه

اشاره

و فيها خطب لبنى العباس بمصر بعد انقطاع الخطبه عن بنى العباس فيها مائتى سنه و ثمانى سنين.

و فيها بعث الخليفه الخادم صندل المقتفوى، و هو أکبر الخدم إلى نور الدين جواب ابن أبى عصرون بالخلع لنور الدين، و فيها طوق فيه ألف دينار، و الفرجيه و العمامه، و لصلاح الدين دونها، و بعث لنور الدين سيفين قلده، سيفا للشام، و سيفا لمصر، و زينت بغداد و ضربت القباب.

و فى هذه السنه أخذ نور الدين الحمام الهوادى فى جميع البلاد فى الأبراج تنفذ إليه الأخبار، و سببه اتساع مملکته، فکانت من حد بلاد النوبه إلى همذان، و کان أهم ما عنده قلع الفرنج من الساحل، فکان إذا تحرک الفرنج لقصده، أو تحرک لقصدهم، کتب الکتب على أجنحه الطيور إلى البلاد البعيده، يستدعى العساکر، فيأتون إليه بسرعه.

فصل [فى وفاه العاضد عبد الله بن يوسف بن الحافظ:]

و فيها توفى العاضد و اسمه عبد الله بن يوسف بن الحافظ أبو محمد، و لم يل أبوه الخلافه، و قد ذکرناه، و أمه أم ولد يقال لها ست المنى، ولد سنه أربع و أربعين و خمسمائه و بويع فى رجب سنه خمس و خمسين و خمسمائه، و هو ابن احدى عشره سنه، و کانت أيامه احدى عشره سنه و شهورا، و اختلفوا فى سبب وفاته على أقوال:

أحدهما: أنه تفكر فى أموره فرآها فى إدبار، فأصابه ذرب عظيم فمات منه.

و الثانى: أنه لما خطب لبنى العباس بلغه فاغتم فمات، و قيل ان أهله أخفوا عنه ذلک و قالوا: ان سلم فهو يعلم، و ان مات فلا ينبغى أن ينغص على هذه الأيام التى بقيت من عمره.

و الثالث: أنه لما أيقن بزوال دولته كان فى خاتم له فص مسموم فمصه فمات، و ختم صلاح الدين على ما فى القصر من الأموال و الذخائر و التحف و الجواهر و العبيد و الخدم و الخيل و المتاع و غيره، و كان فى القصر من الجواهر النفيسه ما لم يكن عند خليفه و لا ملک، مما قد جمع على طول السنين، فمنها القضيب الزمرد و طوله قبضه و نصف، و الجبل الياقوت الأحمر، و الدره اليتيمه مثل بيض الحمام، و الياقوته الحمراء، و تسمى الحافر، و زنها أربعه عشر مثقال، و من الكتب المنتخبه بالخطوط المنسوبه مائه ألف مجلد، و وجد عمامه القائم و طليسانه بحاله، بعث بهما البساسيرى إلى المستنصر، و وجد أموالا لا تحد و لا تحصى، و أفرد أهل العاضد ناحيه عن القصر و أجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه و سلمهم إلى قراقوش فعزل الرجال عن النساء و احتاط عليهم و فرق الأموال التى أخذها من القصر فى العساكر و باع بعض الجوارى و العبيد و أعطى القاضى الفاضل من الكتب ما أراد و بعث إلى نور الدين بعمامه القائم و طيلسانه و هدايا و تحفا و طيبا و مائه ألف دينار، و كان نور الدين بحلب فلما حضرت بين يديه قال: و الله ما كان بنا حاجه إلى هذا، ما وصل إلينا عشر معشار ما أنفقناه على العساكر التى جهزناها إلى مصر و ما قصدنا بفتح مصر إلا فتح الساحل و قلع الكفار منه، و انقضت أيام المصريين بموت العاضد و عددهم أربعه عشر على عده بنى أميه إلا أن أيامهم طالت فملكوا مائتين و ثمانى سنين، و بنوا أميه ملكوا نيفا و تسعين سنه، و قد ذكرنا سيره المصريين على وجه التفصيل و تقلب الأحوال.

السنه الثامنه و الستون و خمسمائه

اشاره

و فيها بعث صلاح الدين إلى نور الدين هديه فيها فيل و حمار عتابى، فبعث بها نور الدين إلى بغداد، و خرج الناس للقائهما، و عجبوا من خلقه الحمار، و كان بمحله العتابيين رجل نحوى قاصر فى كل شى ء، قد تعلق بطرف من النحو، و كان يدعى دعاوى عظيمه، فخرج مع الناس يتفرج و رآه بعض الظراف، فقال: يا قوم ليس بعجب أن يحمل الفتى حمار عتابى، عندنا عتابى حمار، فضحک الناس.

و فيها سار نور الدين إلى الموصل و صلى فى الجامع الذى بناه وسط البلد، و تصدق بمال عظيم، و لما علم صلاح الدين أن نور الدين قد توجه إلى الموصل خرج بعساكر مصر فحصر الكرک و الشوبک، و نهب أعمالها، و كان جماعه من العرب نازلين بأرض الكرک ينقلون الأخبار إلى الفرنج و إذا أغاروا على البلاد دلوهم على المسلمين، فنهبهم صلاح الدين، و قتل البعض، و أجلى من بقى منهم عن أرض الكرک، و كتب إلى نور الدين كتابا يخبره بما جرى من العربان و أن لا يبقى منهم أحد و أن يدرک ديارهم فانهم آفه على المسلمين، و دليل الكفار على الاسلام، فلذا أبدتهم بحيث أن العدو إذا نهض لا يجد بين يديه دليلا، و لا يستطيع حيله، و لا يهتدى إليه سبيلا، و هو كتاب طويل.

ثم عاد صلاح الدين إلى مصر، قيل هى أول غزاه، و ذكر القاضى أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلى، و يعرف بابن شداد قاضى حلب رحمه الله فى سيره صلاح الدين الكرک و الشوبک لأنهما فى طريق الديار المصريه، و كانوا يغيرون على القوافل منها، فقصد تسهيل الطريق لتتصل البلاد بعضها ببعض، فحصرهم فى هذه السنه، فلم يظفر منهم بطائل و تأخر فتحهما إلى ما بعد الفتوح.

و عاد نور الدين من الموصل، و قطع الفرات و قصد بلاد الروم ففتح

نور الدين بهسنا، و مرعش و قلاعا من أعمال قليج أرسلان، و بينما نور الدين يفتح هذه القلاع إذ جاءه خبر من حمص بأن الفرنج قد نزلوا عليها، فرجع إلى الشام و معه ابن الدانشمند قد وعده بخلاص بلاده، فلما أخذ نور الدين بهسنا، و مرعش، و المرزبان خاف منه قليج أرسلان، فأجابه إلى ما أراد، ورد بلاد الدانشمند، و شرط عليه نور الدين تجديد اسلامه، لأنه كان يتهم بالزندقه، و أنه متى طلب منه النجده بعساكره ينجده، و أن يزوج ابنته بابن أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل ففعل، و بعث نور الدين فخر الدين عبد المسيح مع ابن الدانشمند إلى ملطيه و سيواس و معه عسكر فى خدمته فأقام عنده حتى توفى نور الدين، و رجعت البلاد إلى قليج أرسلان.

و فيها قدم القطب النيسابورى (10) من حلب إلى دمشق بعثه نور الدين مدرسا بالمدرسه الأمينيه، و قيل لم يدرس بالأمينيه بل بالزاويه الغربيه بجامع دمشق زاويه الفقيه نصر، و شرع نور الدين لبناء مدرسه للشافعيه إلى جانب الجاروخيه، فأدركه أجله دون بنائها، و كان قد وضع نور الدين المحراب و بعض البنيان، و هيأ أمرها على حاله، فجاء العادل أبو بكر بن أيوب فأزال ذلک البناء و بناها البناء المحكم و دفن بها (11).

و فيها بعث تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين جيشا إلى المغرب مع مملوک له اسمه قراقوش فالتقاه عسكر من عند عبد المؤمن، فهزمه بعد أن أقام الدعوه العباسيه بإفريقيه، فعاد إلى القاهره مهزوما.

فصل [فى وفاه نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان:]

و فيها توفى نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان و كان عاقلا شجاعا حليما رحيما جوادا، عاطفا على الفقراء و المساكين، محبا للصالحين قليل الكلام جدا لا يتكلم إلا عن ضروره، و لما قدم مصر سأله ولده صلاح الدين أن يكون هو السلطان فقال: أنت أولى، فكان يلعب بالأكره دائما.

قال القاضى ابن شداد: كان شديد الركض بالخيل يلعب بالأكره، و من يراه يلعب بها يقول: ما يموت إلا من وقوعه عن الفرس، و ركب يوما من داره، و خرج من باب النصر يريد الميدان، فشب به فرسه، فوقع على رأسه فحمل إلى داره، فمكث ثمانيه أيام، و توفى ليله الثلاثاء السابع و العشرين من ذى الحجه، دفن إلى جانب أخيه أسد الدين فى بيته بالدار السلطانيه، ثم نقلا بعد سنين إلى مدينه النبى صلى الله عليه و سلم، و كان صلاح الدين قد عاد من الكرک فبلغه خبره فى الطريق فحزن عليه و تأسف حيث لم يحضره.

فصل [فى أولاده:]

خلف من الذكور سته: صلاح الدين، و أبا بكر العادل، و توران شاه شمس الدوله، و شاهنشاه، و طغتكين سيف الاسلام و بورى تاج الاسلام، و هو الأصغر، و شمس الدوله الأكبر، و من البنات ست الشام و ربيعه خاتون.

السنه التاسعه و الستون و خمسمائه

اشاره

و فيها كتب صلاح الدين إلى نور الدين يستأذنه فى انفاذ جيش إلى اليمن، فأذن فبعث أخاه توران شاه شمس الدوله، فسار إليها فى رجب، و كان باليمن رجل يقال له عبد النبى يلقب بالداعى من أصحاب المصريين، و كان ظالما فاتكا، فحصره شمس الدوله فى قصر زبيد مده، ثم طلب الأمان، فأمنه، فلما نزل إليه و كل به، و سار شمس الدوله ففتح صنعاء و حصون اليمن و المدائن، فيقال انه فتح ثمانين حصنا و مدينه و استولى على أموالها و ذخائرها و قتل الخارجى و عبد النبى بن مهدى، و ولى على زبيد سيف الدوله مبارک بن منقذ أبا الميمون، و كان من الفضلاء جوادا ممدحا.

و فيها أكثر نور الدين الصدقات و الصلوات و زاد فى الأوقاف و كسا

اليتامى و زوج الأرامل و أغنى الفقراء، و كشف المظالم بحيث لم يبق فى بلاده مظلمه إلا وردها، و بعث محمد بن خالد القيسرانى أمينا على مال القصر، و مستوفيا لحواصل البلاد، فأكرمه صلاح الدين، و قال: نحن مماليک نور الدين افعل ما أمرک، إلا أن جماعه من الأكابر قد تصرفوا فى أماكن لا يمكن انتزاعها منهم و لا يرضون بأن ينقص انتفاعها، فعلم ابن خالد ان طاعته إنما هى مخادعه و مراوغه، فسكت و لم يشافهه، و مات نور الدين فى شوال و بطل ذلک الأمر.

و فيها قبض صلاح الدين على جماعه من أعيان الدوله المصريه مثل داعى الدعاه و عماره اليمنى و غيرهما، بلغه أنهم يجتمعون لاثاره الفتن، و اتفقوا على السودان و كاتبوا الفرنج، و أنهم يريدون قتل صلاح الدين و الغزّ، و رتبوا مع السودان يبكروا و ينادوا بشعار المصريين، و كان زين الدين ابن نجيه الواعظ قد اطلع على ذلک، فخاف من صلاح الدين، فأنهى إليه الحال و مادبروا فقبض عليهم، و قتل داعى الدعاه و صلب عماره و سنذكره.

فصل [فى وفاه عبد النبى بن مهدى:]

و فيها توفى عبد النبى بن مهدى

وقفت على تاريخ بمصر فرأيت أن شمس الدوله لما سار إلى اليمن، و كان أعيانها قد كتبوا إلى صلاح الدين يسألونه أن يبعث إليهم بعض أهله، فلما وصل شمس الدوله إلى مكه صعد صاحبها إلى أبى قبيس فتحصن عليه بقلعه بناها، و أغلق باب الكعبه، و أخذ المفاتيح، فجاء شمس الدوله فطاف بالبيت و صلى ركعتين، و صعد إلى باب الكعبه، و قال: اللهم ان كنت تعلم أنى جئت إلى هذه البلاد لاصلاح العباد، و تعهدها فيسر على فتح الباب، و إن كنت تعلم أنى جئت لغير ذلک فلا تفتحه، و مد يده فجذب القفل فانفتح، فدخل شمس الدوله إلى البيت

و صلى و دعا، فلما بلغ أمير مكه ذلک نزل إلى خدمته و حمل المفاتيح و اعتذر، و قال خفت منک، و الآن فأنا تحت طاعتک، فقال: إذا أخذت منک مفاتيح مكه فلمن أعطيها؟ ثم خلع عليه و على أصحابه و طيب قلوبهم، و سار إلى اليمن، فانهزم عبد النبى بين يديه إلى زبيد، و كان أبوه المسمى بالمهدى قد فتح البلاد، و قتل خلقا كثيرا، و شق بطون الحوامل و ذبح الأطفال على صدورهن، و كان يرى رأى القرامطه، و يظهر أنه داعيه لأهل مصر و يستتر باليمن، و كان قد مات قبل دخول شمس الدوله اليمن بسنين، و ملک بعده ولده عبد النبى، ففعل باليمن ما فعله أبوه و سبى نساءهم و استعبدهم، و كان أبوه لما مات بنى عليه قبه عظيمه و صفح حيطانها بالذهب الأحمر و الجواهر ظاهرا و باطنا بحيث لم يعمل فى الدنيا مثلها، و جعل فيها قناديل الذهب و ستور الحرير، و منع أهل البلد من زبيد إلى حضر موت أن يحجوا إلى الكعبه، و أمرهم بالحج إلى قبر أبيه، و كانوا يحملون إليها الأموال فى كل سنه ما لا يحد و لا يحصى، و يطوفون حولها مثل ما يطوفون بالكعبه، و من لم يحمل مالا قتله، و كانوا يقصدونها من الشحر، فاجتمع فيها أموال عظيمه، و أقام عبد النبى على الظلم و الفسق و الفجور و ذبح الأطفال و سفک الدماء و سبى النساء إلى أن دخل شمس الدوله اليمن، و جاء إلى زبيد فيقال أنه حصر عبد النبى فيها و ابنه و قيده و قتله، و قد ذكرناه، و يقال إنه انهزم بين يديه، و جاء إلى قبه أبيه فهدمها و أخذ ما فيها من المال و الجواهر و الفضه، و كان على ستمائه جمل، و نبش القبر و أحرق عظام أبيه و ذراها فى الريح، و مضى إلى صنعاء، فحلف شمس الدوله لا ينتهى عنه حتى يقتله و يحرقه كما فعل بأبيه، و سار خلفه فرجع إلى زبيد، و عاد شمس الدوله إليها فظفر به فأخذ ما كان معه، و قتله.

فصل [فى وفاه أبو القاسم نور الدين محمود بن زنكى بن أقسنقر:]

اشاره

و فيها توفى أبو القاسم نور الدين محمود بن زنكى بن أقسنقر، الملک العادل.

أعلم أن سيره نور الدين أولى ما صرفت العنايه إليها، و اعتمد فى اقتناء الفضائل عليها، تحث الطالب على نيل المطالب، و تعدل بهمه الراغب على تحصيل الرغائب، و قد ذكر العلماء سيرته، و سطر الفضلاء ترجمته، و قد جمعت فى كتابى هذا ما تفرق فى تواريخهم من محاسن أخباره، و أتيت على معظم مآثره و آثاره.

فصل فى صفته و طرف من أخباره

ذكر الحافظ ابن عساكر أنه ولد فى سنه احدى عشره و خمسمائه، و كان معتدل القامه، أسمر اللون، واسع الجبهه حسن الصوره بلحيته شعرات خفيفه فى حنكه.

قال: و نشأ على الخير و الصلاح، و قراءه القرآن، و العباده، و كان قليل المحافظه للجند، و كان أبوه زنكى يقدمه على أولاده و يرى فيه مخايل النجابه، قال: و فتح نيفا و خمسين حصنا، منها تل باشر، و أعزاز، و مرعش، و بهسنا، و تل خالد، و حارم، و المرزبان، و رعبان، و كسيون، و الرها، و كسر برنس أنطاكيه و قتله، و قتل معه ثلاثه آلاف، و أخذ منه ثلاثه آلاف دينار و خمسمائه زرديه، و خمسمائه حصان، و خمسمائه أسير، و اتسع ملكه، ففتح: الموصل و الجزيره، و ديار بكر، و الشام و العواصم، و دمشق و بعلبک و بانياس و مصر و اليمن، و خطب له فى الدنيا، و أظهر السنه بحلب و أزال الأذان بحى على خير العمل، و بنى بها المدارس و أوقف الأوقاف، و بنى سور دمشق و المساجد و المدارس، و أسقط ما كان يؤخذ من دار بطيخ و سوق الخيل و الغنم و الكياله و جميع المكوس، و عاقب على شرب الخمر، و كان فى الحرب ثابت القدم حسن الرمى يتقدم أصحابه، و يتعرض للشهاده، و يسأل الله أن يحشره من بطون السباع و حواصل الطير، و وقف أوقافا على المرضى و المجانين، و بنى

المكاتب لليتامى، و بنى المارستان بدمشق، و وقف على سكان الحرمين، و أقطع أمراء العرب القطائع لئلا يتعرضوا للحجاج، و أمر بإكمال سور المدينه، و أجرى إليها العين التى تأخذ من أحد من عند قبر حمزه، و هيأ الربط و الجسور و الخانات و القناطر، و جدد كثيرا من قنى السبيل، و وقف كتبا كثيره فى مدارسه، و كان حسن الخط، كثير المطالعه للكتب الدينيه، متبعا للآثار النبويه، مواظبا على الصلوات الخمس فى الجماعات، عاكفا على تلاوه القرآن، حريصا على فعل الخيرات، عفيف البطن و الفرج، مقتصدا فى الانفاق، متحريا فى المطعم و المشرب و الملبس، لم يسمع منه كلمه فحش قط فى رضاه و لا فى غضبه، هذا إلى ما جمع الله فيه من العقل المتين و الرأى الصائب الرزين، و الاقتداء بسنه السلف الصالحين، حتى روى حديث المصطفى و أسمعه، و كان قد استجيز له ممن سمعه و جمعه حرصا على الخير فى نشر السنه و الحديث، و رجاء به أن يكون ممن حفظ على الأمه أربعين حديثا، كما جاء فى الحديث، فمن رآه شاهد من جلال السلطنه و هيبه المملكه ما يبهره، فإذا فاوضه رأى من نصافته و تواضعه ما يحيره، يحب الصالحين و يوافيهم و يزورهم فى أماكنهم لحسن ظنه فيهم، هذا قول ابن عساكر، و ذكر كلاما طويلا.

و قال الجزرى فى تاريخ الموصل (12): قد طالعت تواريخ الملوک المتقدمه من قبل الاسلام إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين، و عمر بن عبد العزيز ملكا أحسن سيره من نور الدين، و لا أكثر تحريا للعدل و الانصاف منه، ثم ذكر من عدله و زهده و فضله و جهاده و اجتهاده من أحسن ما ذكره الحافظ ابن عساكر.

قال: و كان لا يأكل و لا يلبس و لا يتصرف فيما يخصه إلا من ملک اشتراه من سهمه من غنائم الكفار، و كان يحضر الفقهاء و يستفتيهم فيما يحل له من تناول الأموال، فأفتوه من جهات عينوها، فلم يتعد إلى غيرها، و لم يلبس حريرا قط و لا ذهبا و لا فضه، و منع من بيع الخمر فى

بلاده، و كان يحد شاربه عند الناس، و كان كثير الصيام و له أوراد فى الليل و النهار، و كان يقدم أشغال المسلمين عليها، ثم يتمم أوراده، و كان قد تزوج الخاتون بنت معين الدين، فطلبت منه زياده نفقه فقال: قد فرضت لها ما يكفيها و الله لا أخوض جهنم بسببها، و هذه الأموال ليست لى و إنما هى للمسلمين، و أنا خادمهم فلا أخونهم فيها، ولى بحمص ثلاثه دكاكين اشتريتها من الغنائم قد وهبتها إياها، و كان يحصل منها قدر يسير.

قال و كان يلعب بالأكره كثيرا، فكتب إليه بعض الصالحين ينكر عليه و يقول: تتعب الخيل فى غير فائده، فكتب إليه نور الدين بخطه: و الله ما أقصد اللعب، و إنما نحن فى ثغر و العدو منا قريب، فربما وقع الصوت فتكون الخيل قد أدمنت على سرعه الانعطاف بالكر و الفر، و إذا طلبنا العدو أدركناه، و لو تركناها بحالها لصارت جهاما لا ينتفع بها، فنيتى فى لعب الأكره هذه.

قال و أهديت إليه عمامه مذهبه من مصر فوهبها لشيخ الصوفيه أبى الفتح بن حمويه (13) فبعث بها إلى العجم فبيعت بألف دينار قال:

و كان عارفا بمذهب أبى حنيفه، و ليس عنده تعصب على أحد.

قال: و كان يوما يلعب بالأكره فى ميدان دمشق فجاءه رجل فوقف بازائه و أشار إليه، فقال للحاجب: اسأله ما حاجته فسأله فقال: لى مع نور الدين حكومه، فرمى الصولجان من يده فجاء إلى مجلس القاضى كمال الدين الشهرزورى، و تقدمه الحاجب يقول للقاضى قد قال: لاتنزعج و اسلک معه ما تسلكه من آحاد الناس، فلما سوى بينه و بين خصمه كآحاد الناس، فلم يثبت له عليه حق، و كان يدعى ملكا له فى نور الدين، فقال نور الدين للقاضى و العدول: هل ثبت له على حق؟ قالوا: لا، فقال:

اشهدوا أنى قد وهبت الملک له، و قد كنت أعلم أن لا حق لک عندى، و إنما حضرت معک لئلا يقال عنى أنى دعيت إلى مجلس الشرع فأبيت.

و دخل يوما إلى خزائنه فرأى مالا كثيرا فقال: من أين هذا؟ قال:

بعث به القاضى كمال الدين (14) من مال الأوقاف، فقال: ردوه إليه و قولوا له: إن رقبتى رقيقه لا أقدر على حمله غدا، رقبتک غليظه تقدر على حمله، قال: و نور الدين أول من بنى دار العدل بدمشق، و سماها دار الكشف، و سببه أن الأمراء لما قدموا دمشق اقتنوا الأملاک، و استطالوا على الناس و خصوصا أسد الدين شيركوه، و كثرت الشكاوى إلى القاضى، فلم يقدر على الانتصار من أسد الدين، فأمر ببناء دار العدل.

و أحضر أسد شيركوه أصحابه و ديوانه، و قال: إن نور الدين ما بنى هذه الدار إلا بسببى وحدى لينتقم منى، و إلا فمن هو الذى يمتنع عن كمال الدين، و الله لئن أحضرت لدار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنه، فإن كان بينكم و بين أحد منازعه فأرضوه بمهما أمكن، و لو أتى على جميع ما فى يدى، فإن خروج أملاكى من يدى أهون من أن يرانى نور الدين بعين ظالم، و يسوى بينى و بين آحاد العوام، ففعلوا و أرضوا الخصوم، فجلس نور الدين فى دار العدل و قال للقاضى: ما أرى أحدا يشكو من شيركوه، فأخبره الخبر فسجد و قال: الحمد لله الذى جعل أصحابنا ينصفون من نفوسهم قبل حضورهم عندنا، فكان نور الدين يقعد فى دار العدل فى كل اسبوع أربعه أيام أو خمسه، و يحضر عنده العلماء و الفقهاء، و يأمر بإزاله الحاجب و البواب، و يوصل إليه الشيخ الضعيف و العجوز الكبيره، و يسأل الفقهاء عما أشكل عليه.

قال: و كان نور الدين إذا حضر الحرب شد تركاشين و حمل قوسين و ساس الحرب بنفسه فقال له القطب النيسابورى: لا تخاطر بنفسک فأنت عماد الاسلام و المسلمين فلو أصبت فى معركه و العياذ بالله لا يبقى من يقوم مقامک و ذهبت البلاد، فقال له: من محمود حتى يقال له هذا، و من حفظ البلاد قبلى إلا الله تعالى.

قال: و كان إذا مات أحد من جنده أو قتل و له ولد، فان كان كبيرا

أقر الاقطاع عليه، و إن كان صغيرا رتب معه من يتولى أمره حتى يكبر فكان الأجناد يقولون: هذه أملاكنا، و نحن نقاتل عليها لأننا نتوارثها، قال: ما كان يكل الجند على الأمراء بل يتولاهم بنفسه و يباشر خيولهم و سلاحهم مخافه أن يفضى الأمر إلى خفضهم، و يقول: نحن كل وقت فى النفير فإذا لم تكن أجنادنا كاملى العده دخل الوهن على الاسلام.

قال: و بنى جامعه بالموصل، و فوض عمارته إلى الشيخ عمر الملاء، و كان من الصالحين فقيل له: إنه لا يصلح لمثل هذا، فقال: إذا وليت بعض الأجناد، أو بعض العمال لا يخلو من الظلم، و بناء الجامع لا يفى بظلم رجل مسلم، و إذا وليت هذا الشيخ غلب على ظنى أنه لا يظلم، فإذا كان الاثم عليه لا على.

و كان عمرا الملاء من الصالحين، و إنما سمى الملاء لأنه كان يملأ تنانير الآجر و يأخذ الأجره، فيتقوت بها، و كان ما عليه مثل القميص و العمامه ما يملك غيره، و لا يملك من الدنيا شيئا، و كان عالما بفنون العلوم، و جميع الملوک و العلماء و الأعيان، يزورونه و يتبركون به، و صنف كتاب سيره النبى صلى الله عليه و سلم، و كان يعمل مولد رسول الله صلى الله عليه و سلم كل سنه، و يحضر عنده صاحب الموصل و الأكابر، و كان نور الدين يحبه و يكاتبه، و كان مكان الجامع النورى خربه واسعه ما شرع أحد فى عمارتها إلا و قصر فأشار عمر على نور الدين بعمارتها جامعا فاشتراها، و انفق عليها أموالا كثيره، قيل ستين ألف دينار، و يقال ثلاثمائه ألف دينار، فتم فى ثلاث سنين، و لما تم جاء نور الدين إلى الموصل و هى المره الأخيره، فصلى فيه، و وقف عليه قريه بالموصل، و رتب فيه الخطيب و المؤذنين و الحصر و البسط و غيرها، ثم دخل عمر الملاء على نور الدين و هو جالس على دجله فترک بين يديه دساستين الخرج و قال: يا مولانا أشتهى أن تنظر فيها، فقال نور الدين: يا شيخ نحن عملنا هذا لله، دع الحساب إلى يوم الحساب، ثم رمى بالدساتين فى دجله.

قال: و بنى جامع حماه على العاصى، و هو من أحسن الجوامع، و قال:

وقع بيد نور الدين أفرنجى من أكابر الملوك، ففدى نفسه بمال عظيم، فشاور نور الدين أمراءه فأشاروا عليه ببقائه فى الأسر خوفا من شره، فأرسل نور الدين إليه يقول: أحضر المال، فأحضر ثلاثمائه ألف دينار، فأطلقه نور الدين، فعند وصوله إلى مأمنه مات، فطلب الأمراء سهمهم من المال، فقال نور الدين: ما تستحقون منه شيئا لأنكم نهيتم عن الفداء، و قد جمع الله لى الحسنيين الفداء و موت اللعين، و خلاص المسلمين منه فبنى بذلک المارستان بدمشق و مدرسه و دار الحديث بدمشق، و وقف عليها الأوقاف.

حكى ابن الأثير قال: و بلغنى أن وقوف نور الدين فى أبواب البر بالشام فى وقتنا هذا و هو سنه ثمان و ستمائه تغل كل شهر تسعه آلاف دينار صوريه، ليس فيها ملک فيه كلام، بل حق ثابت بالشرع باطنا و ظاهرا صحيح الشراء.

قلت: رحم الله المجد أشار إلى ذلک، أما فى زماننا هذا فقد تشعث وقفه و تغيرت صفاته، و لم يبق منه إلا آثاره و بركاته.

حكى ابن الأثير أيضا أن بعض الأمراء كان يحسد القطب النيسابورى على قربه من نور الدين فنال منه، فقال: يا مسكين لو نظرت فى عيب نفسک لشغلک عن عيوب الناس، و إن صح ما قلت فله حسنه، واحده يغفر الله له بها كل زله و هى العلم، و أنت و أصحابک ليست لک عند الله حسنه، و الله لئن عدت إلى ذكره أو ذكر غيره بسوء لأؤدبنک، فكف عنه.

قال: ما كان أحد من الأمراء يتجاسر أن يجلس عنده من هيبته فإذا دخل عليه فقير أو عالم أو رب خرقه قام و مشى إليه و أجلسه إلى جانبه، و يعطيه الأموال، فإذا قيل له فى ذلک، يقول: هؤلاء لهم حق فى بيت المال، فإذا قنعوا ببعضه فلهم المنه علينا.

و ذكره العماد الكاتب فى أول البرق الشامى و أثنى عليه، و قال: و فى سنه تسع و ستين و خمسمائه و هى التى توفى فيها نور الدين أكثر من الصدقات و الأوقاف، و عماره المساجد المهجوره، و تعفيه آثار الآثام، و اسقاط كل ما كان فيه الحرام، فما أبقى سوى الجزيه و ما يحصل من قسمه الغلات على قويم المناهج.

قال: و أمرنى أن أكتب مناشير لجميع أهل البلاد، فكتبت أكثر من ألف منشور، و حسبنا ما تصدق به فى تلك الشهور، فكان ثلاثين ألف دينار، و كان له برسم نفقته الخاصه فى كل شهر من الجزيه ما يبلغ ألفى قرطاس يصرفها فى كسوته و ملبوسه و مأكوله، حتى أجره خياطه و جامكيه طباخه، و يستفضل منها ما يتصدق به فى آخر الشهر، و قيل إن قيمه القراطيس مائه و خمسون درهما، و قيل كل ستين قرطاسا أو سبعين بدينار.

قال: و ما كان يصل إليه من الهدايا و غيرها يبعثه إلى القاضى يبيعه و يعمر به المساجد المهجوره، و لا يتناول منه شيئا، و أمر بإحصاء مساجد دمشق فأحصيت، فكانت مائه مسجد، فأوقف الأوقاف على جميعها، و ذكر العماد جمله من فضائله و لمعه من فواضله، و من المساجد جامع قلعه دمشق، و مسجد عطيه بباب الجابيه، و مسجد الرياحين، و مسجد سوق الصاغه، و مسجد دار البطيخ، و مسجد العباسى، و مسجد بجوار بيعه اليهود، و مسجد الكشك و أشياء أخرى.

قلت: و ذكره جدى فى المنتظم بكلمات يسيره فقال: ولى الشام سنين، و جاهد الكفار، و كأن أصلح من كثير من الولاه، و كان يتدين بطاعه الخليفه، و الطرق آمنه فى أيامه، و المحامد كثيره، و ذكر بناء المارستان بدمشق، و جامع الموصل، و كان يميل إلى التواضع، و يحب العلماء و أهل الدين، و قد كاتبنى مرارا، و ذكر أسره لملك الفرنج و أنه أخذ منه ثلاثمائه ألف دينار، و شرط عليه أن لا يغير على بلاد الاسلام سبع سنين و سبعه أشهر و سبعه أيام، و أخذ منه رهائن على ذلك، هذا ما ذكره جدى فى المنتظم فى ترجمه نور الدين.

قلت: و قد صنف كتابا سماه الفخر النورى فيه أحاديث العدل و الجهاد و مواعظ و غير ذلک، و صنف نور الدين أيضا كتابا فى الجهاد و هو بدمشق.

قلت: و قد نقل ذكره علماء السير مما وقع لهم من سيرته و ما يستدل به على صالح سريرته، و قد وقع لى مآثر لم يذكروها و مفاخر لم يسطروها، و لم تكن لغيره من ملوک الجاهليه و لا الاسلام، و لا رأوها و لو فى احتلام، و كان مشغولا بالصيد و يصيد الغزلان، فمن ذلک أنه كان فى عزمه أن يفتح بيت المقدس، فعمر منبرا و قبله بجامع حلب على اسم القدس فتوفى قبل الفتوح، فلما ملک صلاح الدين البيت المقدس حمل المنبر إليه و أبقى القبله بجامع حلب.

و منها أنه كان له عجائز بدمشق و حلب فكان يخيط الكوافر (15) و يعمل السكاكير للأبواب و يبيعها العجائز و لا يدرى أحد، فكان يوما يصوم و يفطر على أثمانها، و حكى شرف الدين يعقوب ولد المعتمد رحمه الله ان فى دارهم سكره من عمل نور الدين بخوزستان، و هى باقيه إلى سنه خمسين و ستمائه يتبركون بها.

و منها ما حكاه الشيخ أبو عمر شيخ المقادسه رحمه الله قال: كان نور الدين يزور والدى الشيخ أحمد فى المدرسه الصغيره التى على نهر يزيد المجاوره للدير، و نور الدين الذى بنى هذه المدرسه، و المصنع و الفرن، قال: فجاء يوما لزياره جدى، و كان فى سقف المسجد خشبه مكسوره، فقال له بعض الجماعه: يا نور الدين لو كشفت السقف و جددته، فنظر إلى الخشبه و سكت، فلما كان من الغد جاء معماره و معه خشبه صحيحه فزرقها موضع المكسوره و مضى، فعجب الجماعه، فلما عاد إلى الزياره قال بعض الحاضرين: يا نور الدين ما تعذبنا به فى كشف سقف، فقال:

لا و الله، و إنما الشيخ رجل صالح، و انما أزوره لأنتفع به، و ما أردت أن أزخرف له المسجد و أنقض ما هو صحيح، و هذه الخشبه يحصل بها المقصود، فدعونى مع حسن ظنى فيه، فلعل الله ينفعنى به.

و منها ما حكاه لى رجل صالح من أهل حران فقيه الشيخ حياه فى سنه خمسين و ستمائه قال: لما قتل أتابک زنکى على قلعه جعبر، و ملک نور الدين قلعه حلب تصدق و أزال المكوس، ورد المظالم، و أنا حديث عهد بعرس، و قد ركبنى دين، فقالت لى زوجتى: قد سمعت أوصاف نور الدين و احسانه للناس، فلو قصدته و أنهيت إليه حالک لقضى دينک، قال: فخرجت من حران، و ليس معى سوى درهمين، فتركت عندها درهما و تزودت بدرهم، و أتيت الفرات وقت القائله فعبرت جسر منبج، و أبعدت عن أعين الناس، و خلعت ثيابى و نزلت و توضأت للصلاه و صليت ركعتين و إذا على جانبى شخص ملفوف فى عباءه، فقال لى: يا فقير من أين أنت؟ قلت: من حران، قال و إلى أين؟ قلت: إلى حلب، قال فما تصنع فيها؟ فقلت: أنا فقير مديون، و قد بلغنى احسان نور الدين إلى الخلق، فقصدته لعله يقضى دينى، فقال: فأين أنت من نور الدين، و من يوصلک إليه و كم عليک دين؟ فقلت: خمسون دينارا، فأخرج يده من العباءه، و بحث فى الرمل و أخرج منه قرطاسا و ألقاه إلى، و قال: خذ فاقض به دينک و ارجع إلى أهلک، قال فأخذته فعددته و إذا به خمسون دينارا و التفت فلم أره، فبهت، و بت فى مكانى أتفكر هل أرجع إلى حران أم أمضى إلى حلب، و ترجح عندى المضى إلى حلب، و قلت فى نفسى: فهذه أوفى بها دينى، فمن أين أتقوت، ثم قمت و قصدت طريق حلب فبت بباب بزاعه و نمت فى الليل فأصبحت تحت قلعه حلب وقت الصباح، فصليت و قعدت تحت القلعه، و إذا قد فتح بابها و نزل نور الدين فى أهبه عظيمه و الأمراء بين يديه حتى جاء إلى الميدان، فلما أراد أن يدخل نظر إلي فرمقنى طويلا، فأشار إلى خادم بين يديه، فجاء الخادم إلى و قال: قم فأخذنى و صعدنى القلعه، قال: فندمت على مجيئى إلى حلب و قلت: يا ليتنى قبلت من ذلک الرجل الصالح و لعل نور الدين توهم أنى اسماعيلى.

قال: فلما كان بعد ساعه عاد نور الدين إلى القلعه، و جلس فى الديوان، و مد سماط عظيم و لم يمد يده إليه و إذا قد فتح باب عن يمينه صغير و خرج منه خادم، و على يده طبق خوص مغطى بمنديل، فوضعه بين يديه و فيه عصاره عليها رغيف، فتأملتها من بعيد و هى ثرده فتناول منها شيئا و أكل الناس و أكلت معهم، و صرف الناس، و بقيت قاعدا خائفا فأومأ إلى فقمت إلى بين يديه و أنا خائف أرعد فقال: من أين أنت؟ قلت: من حران، قال: و ما الذى أقدمک؟ قلت: على دين و بلغنى احسانک فقصدتک لتقضى دينى، قال: و كم دينک؟ قلت: خمسون دينارا قال: أما قد أعطاک أمس صاحب العباءه على الفرات خمسين دينارا، هلا رجعت إلى أهلک و أنت عليک خرقه الفقر، و إذا حصل القوت للفقير فما يطلب شيئا آخر، ما يضيع تعبک و رفع سجادته و كانت زرقاء و إذا بقرطاس مثل القرطاس الذى أعطانى صاحب العباءه، قال: فبكيت بكاء كثيرا و قلت: لا آخذ شيئا حتى تخبرنى بصاحب العباءه، قال: هو أمر لا يلزمک، فقلت: يا مولانا أنا غريب و ضيف ولى حرمه فبالله عليک، فقال: احلف أنک لا تتحدث بهذا فى حال حياتى، فحلفت له فكشف القباء و إذا بتلک العباءه على جسده، و قال: أنا ذاک الفقير، فقلت: ما الذى أعطاک هذه المنزله، بأى شى ء وصلت إلى هذا فقال بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى(1) و لابد من السبب، لما التقينا بالأفرنج على حارم، و نصرنا الله عليهم، وعدت إلى حلب التقانى فى الطريق شاب حسن الوجه طيب الرائحه فسلم على، و قال: يا محمود أنت من الأبدال و قد أعطاک الله الدنيا فاشتر بها الآخره، و سله مهما شئت ثم علمنى كلمات، و قال إذا طلبت أمرا فاذكرها، فقلت له: بالله من أنت؟ فقال: أنا أخوک الخضر، ثم غاب عنى، فإذا عزمت على أمر و أردت أذهب إلى مكه أو إلى المدينه أو إلى أى بلد شئت، لبست العباءه، و تكلمت بتلک الكلمات، و أغمض عينى فما افتحها إلا و أنا فى تلک البقعه.

1- سوره الأنبياء- الآيه: 101.

قلت و حکی لی نجم الدین الحسن بن سلام، أحد عدول دمشق و أعیانها، و کان صدیقنا و صاحبنا رحمه الله، قال: ملک الأشرف بن العادل دمشق و بنی مسجد أبی الدرداء فی القلعه، و أفرده عن الدور، و دخلت علیه یوما و هو فیه فقال لی: یا نجم الدین کیف تری هذا المسجد قد عمرته و أفردته عن الدور، و ما صلی فیه أحد منذ زمان أبی الدرداء، إلی الآن؟ فقلت له: الله الله یا مولانا، ما زال نور الدین منذ ملک دمشق یصلی فیه الصلوات الخمس، فقال: من أین لک هذا؟

فقلت: حدثنی والدی، و کان من أکابر عدول دمشق، و کان أبوه یلقب بالسعید، أنه لما نزلت الفرنج علی دمیاط بعد وفاه أسد الدین و ضایقوها أشرفت علی الأخذ، فأقام نور الدین عشرین یوما صائما لا یفطر إلی علی الماء، فضعف و کاد یتلف، و کان مهیبا لا یتجاسر أحد یخاطبه فی ذلک، و کان له إمام یقال له یحیی ضریر یصلی به فی هذا المسجد، و کان یقرأ القرآن، و له عنده حرمه، فاجتمع إلیه خواص نور الدین و خدمه و قالوا:

خفنا علی السلطان و نحن فی هیبه لا نقابله، و أنت تدل علیه، و نحن نسألک ان یتناول ما یحفظ به من قوته، فقال: نعم إذا صلیت به غداه الفجر سألته، قال: فلما کان فی تلک اللیله رأی الشیخ یحیی فی المنام رسول الله صلی الله علیه و سلم یقول له: یا یحیی بشر نور الدین برحیل الفرنج عن دمیاط قال: فقلت یا رسول الله ربما لا یصدقنی و أرید له أماره، قال: قل له بعلامه یوم حارم، قال: و انتبه یحیی و هو ذاهب العقل، فلما صلی نور الدین خلفه الفجر و سلم، شرع یدعو، ففاته أن یتحدث معه، فقال له نور الدین: یا یحیی، قال: لبیک یا مولانا، قال:

تحدثنی أو أحدثک؟ قال: فارتعد یحیی و خرس، فقال له: أنا أحدثک رأیت النبی صلی الله علیه و سلم فی هذه اللیله، و قال لک کذا و کذا؟

فقال: نعم یا مولانا، ما معنی قوله علیه السلام بعلامه یوم حارم؟ فقال له نور الدین: لما التقینا خفت علی الاسلام لأنی رأیت من کثره الأفرنج ما هالنی، فانفردت عن العسکر فنزلت و مرغت وجهی علی التراب،

و قلت: يا سيدى من محمود فى الفئتين، الدين دينک، و الجند جندک، و هذا اليوم هو فافعل ما يليق بكرمک، قال: فنصرنا الله عليهم.

قلت: و حدثنى شهاب الدين النابلسى عم جمال الدين البانياسى، و كان على ديوان جامع دمشق، أول ما قدمت الشام اجتمعت به فى درب العشاريين فى قاعه الوزير صفى الدين بن شكر وزير العادل، و كان هناک جماعه، فاشتغل الوزير بالحديث معهم، و كان الشهاب إلى جانبى، فتذاكرنا نور الدين، فقال: كان أبى يخدم نور الدين فى أسفاره و مقامه يتصيد فى أرض قطنا و يعفور و أنا معه، فبينما أنا ذات يوم و قد ركب من الخيم ليذهب إلى الصيد، و إذا برجل أعجمى قد أقبل من ناحيه دمشق، و كان معه خيل و مماليک، و كان تاجرا، فلما وصل إلى نور الدين، و كان صديقه، فقال: أين أرمغان؟ فقال: حاضر و مضى نور الدين، فلما عاد استدعاه فأحضر قماشا وعده مماليک، و فيهم مملوک مستحسن جدا فقبل المملوک ورد الباقى، و كان له خادم أبيض اسمه سهيل قد رباه فقال له:

يا سهيل خذ هذا المملوک إليک و ادفع إلى التاجر خمسمائه دينار و خلعه و بلغه، قال أبو الشهاب: فحدثنى سهيل قال: لما قال لى كذا قلت فى نفسى: إنا لله و إنا إليه راجعون، هذا ما اشترى مملوكا قط يساوى خمسين دينارا يشترى مملوكا بخمسمائه دينار، قال: ففعلت ما أمرنى به فتركنى أياما، و قال: يا سهيل أحضر المملوک كل يوم مع المماليک يقف فى الخدمه، قال: فأحضرته، فلما كان بعد أيام قال لى: أحضره وقت العشاء الآخره إلى الخيمه و نم أنت و إياه على باب البرج، قال: فقلت فى نفسى: هذا الشيخ فى زمن شبابه ما ارتكب كبيره، و لما ارتفع سنه يقع فيه و الله لأقتلنه قبل أن يقع فى معصيه، قال: فعمدت إلى كاذه لى فأصلحتها و قلت: و الله لأقتلنه قبل أن يصل إليه، و جئت بالمملوک إلى الخيمه و أنا قلق، فسهرت عليه الليل و نور الدين فى أعلى البرج، فلما كان وقت الصبح غلبتنى عينای فنمت، ثم انقلبت فوقعت يدى على

خد الغلام، و إذا به مثل الجمره قد أخذته الحمى، فأخذته و مضيت به إلى خيمتى فلما أصبحت أحضرت الطبيب، قال: هذا مرض سماوى، فلما كان وقت الظهر مات فغسلته و كفنته.

فلما كان اليوم الثانى دعانى نور الدين فدخلت عليه فقال: اقعد فقعدت، فقال يا سهيل: «ان بعض الظن اثم» قال: فاستحييت، فقال: قد عرفت حالى و أنت ربيتنى، هل عثرت لى على عثره؟ قلت: حاشى الله، قال: فلم حملت الكاذه و حدثتک نفسک بالسوء ما أنا معصوم، و لما رأيت الغلام وقع فى قلبى منه مثل النار، فقلت انه من تسويل الشيطان فقلت لک: اشتره لعلى يذهب عنى ما أنا فيه، فلم يذهب فقالت لى نفسى: أريد أن أراه كل يوم فأمرتک باحضاره، فقالت: ما اقنع إلا بأن تحضره فلما كان فى تلک الليله ما تركتنى أنام، و بقيت أنا و اياها فى حرب إلى وقت السحر، فهممت أن أفتح باب البرج أصعده إلى عندى، فجاءتنى اليقظه، و كشفت رأسى و قلت: الهى محمود عبدک المجاهد فى سبيلک، الذاب عن دينک و دين نبيک صلى الله عليه و سلم، عمر المدارس و الربط، و أوقف الأوقاف و فعل ما فعل أيختم له بمثل هذا؟ قال: فسمعت هاتفا يقول: يا محمود قد كفيناک أمره لابأس عليک فعلمت أنه قد حدث، و أما أنت يا سهيل جزاک الله عن الصحبه خيرا، و الله القتل أهون على من الوقوع فى المعصيه، ثم قدم سهيلا و أحسن إليه.

و حكى لى الكمال ابن البانياسى، ابن أخى الشهاب قال: حكى من يتولى أوقاف نور الدين أنه أجر بعض بساتينه لرجل من دمشق على ستمائه درهم، فأصاب البساتين جائحه، فجاء ذلک الرجل يتضرر، فاسقطوا عنه ثلاثمائه درهم، فلما كان بعد أيام جاء الرجل و معه ستمائه درهم، و هو يبكى، فقلنا له: مالک؟ قال: رأيت فى المنام و قد خرج على نور الدين من القبر و بيده جوكان، و قال: أنت تكسر وقفى و أراد أن يضربنى، فقال: أنا تائب و رمى بالدراهم، فقلنا له: خذها فقال: لا و الله أخاف أن يضربنى.

و حكى شيخنا تاج الدين الكندى، رحمه الله، قال: ما تبسم نور الدين إلا نادرا، و حكى لى جماعه من المحدثين انهم قرأوا عليه حديث التبسم، و كان يرويه فقالوا له: تبسم: فقال: لا أتبسم من غير عجب.

و حدثنى رجل من أهل حران قال: خرج يوما نور الدين من حران قاصدا إلى الرها، فاجتاز على نهر و فقير نائم على جنب النهر فوقف و سلم عليه، فرفع اصبعا واحده، فحرک الفقير اصبعين، و مضى نور الدين باكيا، فقيل له: ما هذا؟ قال: أشار الفقير إلى، و قال: فى أى شى ء أنت، هذا كله لماذا؟ فقلت: من أجل رغيف واحد، فأشار إلى باصبعيه فأنا آكل كل يوم رغيفين و أنا مثلک، و ذكر الأستاذ الجزرى فى تاريخه قال: كان نور الدين قد جمع العساكر من الموصل و الجزيره و ديار بكر ليتركها بالشام فى مقابله الفرنج و يتوجه بنفسه إلى مصر، فإنه رأى من صلاح الدين فتورا فى غزو الفرنج، و كان المانع لصلاح الدين خوفه من نور الدين، فكان يقصر فى غزوهم، و ما كان يرى نور الدين إلا خلاص القدس منهم و استئصالهم من السواحل، فمضى إلى دمشق و أقام يتجهز فأدركه أجله و هو على هذه النيه.

ذكر وفاته

كان ختن ولده اسماعيل يوم الفطر، و هنى ء بالعيد و الظهور، و مدحه الشعراء، و خرج نور الدين يوم الأحد إلى المصلى بالأمراء و الأجناد، و القدر يقول: هذا آخر الأعياد، فمرض و بدأ به الخوانيق، و ما كان يرى الطب، قال الرحبى الطبيب: فاستدعانا، فدخلنا عليه و نحن جماعه من الأطباء و هو فى قلعه دمشق فى بيت صغير، كان يتعبد فيه، و قد استحكم منه المرض و استحكمت الخوانيق على حلقه، فما كان يسمع له صوت فشرعنا فى مداواته، فلم ينجع فيه الدواء مع حضور أجله، و كانوا قد أشاروا عليه بالفصد فى أول المرض، فامتنع و كان مهيبا فما روجع، و كانت وفاته يوم الأربعاء حادى عشر شوال، و دفن بالقلعه،

ثم نقل إلى مدرسته التى أنشأها مجاوره الخواصين، و يقال إنها كانت دار عمر بن عبد العزيز، و قيل دار سليمان بن عبد الملک، و عاش ثمانيا و خمسين سنه، و كانت أيامه ثمانيا و عشرين سنه و سته أشهر، و قال عرقله فى مدرسه نور الدين:

و مدرسه سيفنى كل شى ءو تبقى فى نمى علم و نسک

تضوع ذكرها شرقا و غربابنور الدين محمود بن زنكى

يقول و قوله حق و صدق بغير كنايه و بغير شک

دمشق فى المدائن بيت ملكى و هذى فى المدارس بيت هلكى

و رثاه رحمه الله تعالى جماعه من الشعراء فقال العماد الكاتب فيه:

عجبت من الموت كيف اهتدى إلى ملک فى سجايا ملک

و كيف ثوى الفلک المستديرفى الأرض و الأرض وسط الفلک

و قال أيضا:

يا ملک أيامه لم تزل لفضله فاضله فاخره

ملكت دنياک و خلفتهاو صرت تملک بها الآخره

و حكى أبو اليسر شاكر بن عبد الله قال: تعدى بعض أمراء صلاح الدين على رجل و أخذ ماله، فجاء إلى صلاح الدين فلم يأخذ له بيده فجاء إلى قبر نور الدين فشق ثيابه و حثا التراب على رأسه، و جعل يستغيث: يا نور الدين بن أتابک، و يبكى، و بلغ صلاح الدين فاستدعاه و أعطاه ماله، فازداد بكاؤه فقال له صلاح الدين: ما يبكيک و قد انصفناک؟ فقال: انما أبكى على ملک انتصفت ببركاته بعد موته، كيف يأكله التراب، و يفقده المسلمون.

ذكر ألقاب نور الدين

السلطان الملک العادل، العالم، العامل، الزاهد، العابد الورع المجاهد المرابط، نور الدين، و عدته، و ركن الدين و سيفه، قسيم الدوله و عمادها، اختيار الخلافه و معدها، رضى الامامه و أميرها، فخر المله و مجيرها و شمس المعالى و ملكها، سيد ملوک الشرق و الغرب و سلطانها، محيى العدل فى العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، ناصر دوله أمير المؤمنين.

و ذكر ألفاظا أخر، ثم إن نور الدين أسقط الجميع قبل موته و قال:

اللهم و أصلح عبدک الفقير محمود بن زنكى، و روى أنه كتب رقعه بخطه إلى وزيره خالد بن القيسرانى يأمره أن يكتب له صوره ما يدعى له به على المنابر، و كان مقصوده صيانه الخطيب عن الكذب، و لئلا يقول ما ليس فيه، ثم قال: و أرى أن يقال على المنبر، اللهم و أصلح عبدک الفقير إلى رحمتک، الخاضع لهيبتک، المعتصم بقوتک، المجاهد فى سبيلک، المرابط لأعداء دينک أبا القاسم محمود بن زنكى بن أقسنقر، ناصر أمير المؤمنين، قال: هذا ما يدخله كذب و لا تزيد، فكتب نور الدين بخطه على رأسه، مقصودى أن لا يكذب على المنبر، أنا بخلاف كلما يقال أأفرح بما لا أعمل إنه عمل عظيم، الذى كتبت به جيد، اكتب به نسخا إلى البلاد، فكتب، و كان يقول لأصحابه حرام على كل من صحبنى، و لا يدفع إلى قصه مظلوم لا يستطيع الوصول إلى.

و ذكر ابن الأثير فى تاريخه و قال: كان مجلس نور الدين مثل مجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يسمع لأحد فيه كلمه إلا مفيده، فلما ملک صلاح الدين دمشق حضر الحافظ ابن عساكر مجلسه، فسمع لغطا كثيرا و كل واحد يتحدث مع الآخر، و ليس للمجلس هيبه، فبكى الحافظ و قال: يرحم الله نور الدين، فلقد حضرت مجلسه مرارا فما سمعت أحدا ينطق إلا جوابا، فما هذا اللغط، فبلغ صلاح الدين فقال:

إذا حضر الحافظ عندنا فلا يتكلم أحد بكلمه.

ذكر ما جرى بعد وفاته

كان ولده الصالح لم يبلغ الحلم فأجلسوه مكانه، و حضر القاضى كمال الدين الشهرزورى و شمس الدين بن المقدم و جمال الدين، و ريحان و هو أكبر الخدم و العدل أبو صالح ابن العجمى أمين الأعمال، و الشيخ اسماعيل خازن بيت المال، و تحالفوا أن تكون أيديهم واحده، و أن شمس الدين ابن المقدم إليه تقدمه العساكر و تربيه الملک الصالح، و وصل كتاب صلاح الدين من انشاء الفاضل إلى دمشق و فيه: أدام أيام مولانا الملک الصالح و رفع قدره، و أعظم أجر المملوک فى مولانا السلطان الملک العادل و أجره، اصدر خدمته هذه يوم الجمعه رابع عشر ذى العقده، و فيه أقيمت الخطبه بالاسم الكريم، و صرح بذكره فى الموسم العظيم، و الجمع الذى لا لغو فيه و لا تأثيم، و أشبه يوم المملوک فيه أمسه فى الخدمه و وفى بما لامه من حقوق النعمه، و جمع كلمه الاسلام لعلمه أن الجماعه رحمه، و الله تعالى يخلد ملک مولانا السلطان الملک الصالح، و يصلح به و على يديه، و يديم النعماء عليه، و ذكر فصولا تتعلق بالتهنئه و التعزيه.

و لما بلغ الفرنج وفاه نور الدين قصدوا بانياس طمعا فى البلاد، فراسلهم شمس الدين ابن المقدم، و خوفهم بأس صلاح الدين، فلم يلتفتوا فصالحهم على مال و دفعه إليهم فى ذلک الوقت، و بلغ صلاح الدين فشق عليه، و كتب إلى شرف الدين ابن أبى عصرون يقول: لما بلغنى وفاه المرحوم، خرجت من مصر لقصد الجهاد و تطهير البلاد من أهل الكفر و العناد، فبلغنى حديث الهديه المؤذنه بذل الاسلام، و شين شريعه المصطفى صلى الله عليه و سلم، و سيدنا الشيخ أولى من جرد لسانه فى إنكار هذا الأمر فإن بلسانه تغمد السيوف و تتجرد الحقوق.

و اما سيف الدين غازى فقد كان سار عن الموصل لنجده عمه نور الدين، و وصل إلى حران فبلغه وفاه عمه فاستولى على الجزيره بأسرها ما خلا قلعه جعبر، و كان نور الدين قد أبطل المكوس و الخمور من

الجزيره، فأعادها سيف الدين و أقام مناديا ينادى فى الأسواق و بيده باطيه خمر و قدح و هو يشرب، فكثر الترحم على نور الدين، و أراد سيف الدين العبور إلى الشام و الاستيلاء على حلب فقال له الأمراء: ارجع إلى بلدک فقد ملكت الجزيره و لم يملكها أبوک، و صلاح الدين بين يديک، فكتب إلى أمراء نور الدين يلومهم حيث ملكوا سيف الدين الجزيره، و يقول: سوف أصل إلى خدمه ابن مولاى و أجازى انعام والده على، و ما عاملنى به، و كان شمس الدين بن الدايه فى قلعه حلب حاكما عليها هو و أخواه مجد الدين أبو بكر و سابق الدين عثمان، و كانوا أعز الناس على نور الدين، و كان نجم الدين أبو بكر رضيع نور الدين، و كانت شيزر لشمس الدين على بن الدايه، و قلعه تل باشر لأخيه سابق الدين عثمان و حارم لبدر الدين أحمد أخيهما، و كان نور الدين قد اسكنهم معه بقلعه حلب و لا يصدر إلا عن رأيهم، فلما مات نور الدين لم يشكوا أنهم أحق بتربيه ولده من غيرهم، و كان أوجههم شمس الدين، و كان بالقلعه معه شاذبخت الخادم، فلما وصل سيف الدين إلى الفرات أرسل شمس الدين إلى دمشق فطلب الملک الصالح ليدفع به سيف الدين، فقالوا: ان سيرتموه إليه استولى على تربيته، فاعتذروا إليه، و أقام الملک الصالح بدمشق تمام هذه السنه.

انتهت ترجمه نور الدين رحمه الله عليه و صلى على أشرف خلقه محمد و آله.

السنه السبعون و خمسمائه

فصل ملک صلاح الدين .....

لما انقضت نوبه الاسطول فسار إليها بعساكره، و كان ابن المقدم قد كاتبه و القاضى كمال الدين بن الشهرزورى، و ابن الجاولى و الأعيان،

و كان بالقلعه ريحان الخادم فعزم على قتاله فجهز إليه عسكر دمشق، و ركب صلاح الدين من الجسوره و التقاه أهل دمشق بأسرهم و أحدقوا به، فنثر عليهم الدراهم و الدنانير، و جاء صلاح الدين فدخل دمشق، و لم يغلق فى وجهه باب و لم يمنعه مانع.

و قال القاضى الفاضل، فملكنا دمشق عنايه لا عنوه، و كان عسكر دمشق لما رأوا فعل العوام بصلاح الدين انكفؤوا راجعين إلى القلعه، و نزل صلاح الدين بدار العقيقى و كانت دار أبيه، و نزل أخوه شمس الدين بدار عمه أسد الدين شيركوه، و تمنعت عليه القلعه أياما، ثم سلمها إليه ريحان الخادم، و أحسن صلاح الدين إلى ابن المقدم و القاضى ابن الشهرزورى، و مشى إلى دار كمال الدين فانزعج و خرج إلى لقائه، و دخل صلاح الدين فجلس و باسطه، و قال: يا كمال الدين لما كنت فى الشحنكيه قد كانت بيننا هنات و مشاحنات- و كان كمال الدين يكرهه فكان كل واحد منهما ينقض على الآخر أحكامه- فقال له صلاح الدين ما مشيت إليک إلا لأزيل ما فى خاطرک من الوهم، و أعرفک أن ما فى قلبى لک ما تكره، فطب نفسا و قر عينا، فالأمر أمرک و البلد بلدک.

قلت: و مشى صلاح الدين إلى دار كمال الدين من أحسن ما سطر فى السير، و هو دليل على تواضعه و عفوه بعد ما قدر، فيا طوبى لمن جاء بعده إن فكر و اعتبر، و عرف قدر انعام الله عليه فحمد و شكر، و أكثر الشعراء فى أخذ صلاح الدين دمشق، ثم ان صلاح الدين أسكن أخاه طغتكين قلعه دمشق، و طغتكين هو سيف الاسلام، ثم كتب إلى الملک الصالح بن نور الدين كتابا يتواضع له فيه و يخاطبه بمولانا و ابن مولانا، و يقول: إنما جئت من مصر خدمه لک لأؤدى ما يجب من حقوق المرحوم فلا تسمع ممن حولک فتفسد أحوالک و تختل أمورک، و ما قصدى إلا جمع كلمه الاسلام على الفرنج، فعرض كتابه على أرباب دولته و فيهم خالد ابن محمد بن القيسرانى و غلمان أبيه و ابن العجمى، فأشاروا إليه بأن

يكاتبه بالغلظه، فكتب إليه منكرا عليه، و ينسبه إلى كفر النعمه، و حجد احسان والده و أوعده و هدده، و بعث بالكتاب مع ينال بن حسان صاحب منبج، فأغلظ لصلاح الدين فى الجواب و قال: السيوف التى ملكتک مصر هى التى تردک، و أشار إلى سيفه فغضب صلاح الدين و قال: و الله لولا أنک رسول لضربت عنقک، و الله ما جئت إلى هاهنا شرها و لا طمعا فى الدنيا، و فى مصر كفايه، و ما جئت إلا لأستنقذ هذا الصبى من يد مثلک و أمثالک، فأنتم سبب زوال دولته، ثم طرده بغير جواب، فعاد إلى حلب و استناب صلاح الدين بدمشق أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين، و سار إلى حمص فأخذها، و فتح حماه، و سار إلى حلب فاستغاثوا عليه بالاسماعيليه و أعطوهم ضياعا و مالا فأرسلوا إليه جماعه من فتاكهم ورآهم ناصر الدين خمارتكين صاحب أبى قبيس فعرفهم، لأنه كان منازعا لهم، و أنكر عليهم مجيئهم، و سبق إلى خيمه صلاح الدين ليخبره فأدركوه على باب الخيمه، ثم أرادوا الهجوم على صلاح الدين، و كان أمير جنوده سيف الدين طغريل، فجذب السيف و قتل واحدا منهم، و اجتمع الغلمان على الباقين فقتلوهم، و رحل صلاح الدين عن حلب فى أول رجب و جاء إلى حمص، ثم نازل بعلبک فأخذها فى رمضان من الخادم يمن الريحانى، و وصل عسكر الموصل إلى حلب، و انضاف إليهم عسكر حلب، و نزلوا تل السلطان فساق عليهم و بغتهم و كان مقدمهم عز الدين مسعود أخو سيف الدين غازى، فكسرهم كسره عظيمه و انهزموا إلى حلب، و غنم أثقالهم و أسر رجالهم، فجاء فحصر حلب و هى المره الثانيه من حصار حلب، و المره الأولى من كسره الموصل، و رجع صلاح الدين فنازل حصن بارين و أخذه من ابن الزعفرانى، و كان من أكابر أمراء نور الدين و لقبه فخر الدين و اسمه مسعود، و أعطى مدينه حماه لخاله و قيل لابن خاله و صهره ابن شهاب الدين محمود، و أعطى حمص لناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، و جاءته رسل حلب، و اتفق الحال أن يكون بدمشق نائبا عن الملک

الصالح ابن نور الدين فأجابهم، و شفع فى بنى الدايه و قال: لابد منهم فلهم علينا حقوق كثيره، فقالوا: نعم، و فارقوه على ذلک و جاءته الخلع و التشريفات من الخليفه و لأهله، و لقب بالملک الناصر.

فصل و فيها وصلت النبويه من العراق بين عشره آلاف فارس و راجل

فنزلوا بزاعه و الباب فقتلوا ثلاثه عشر ألفا من أمراء الاسماعيليه، و سبوا نساءهم و ذراريهم، و عادوا إلى العراق و معهم الغنائم و الرؤوس على رماحهم و على القصب عشرون ألف أذن، و بعث صلاح الدين العساكر فأغاروا على البلاد الاسماعيليه و أحرقوا سرمين و معره مصرين و مصيات، و ضياع جبل السماق و قتلوا معظم أهله.

و فيها استخدم صلاح الدين العماد الكاتب، و سببه أنه التقى القاضى الفاضل على حمص و مدحه بأبيات من الشعر، فدخل الفاضل على صلاح الدين و قال له: تأتيک تراجم الأعاجم و ما يحلها مثل العماد فقال:

مالى عنک مندوحه أنت كاتبى و وزيرى و قد رأيت على وجهک البركه فإذا سلمت غيرک تحدث الناس، فقال الفاضل: هذا يحل التراجم و ربما أغيب أنا و لا أقدر على ملازمتک، فإذا غبت قام مقامى و قد عرفت فضل العماد و خدمته للدوله النوريه، فاستكتبه.

و فيها استوزر سيف الدين غازى صاحب الموصل جلال الدين أبا الحسن على بن جلال الدين الوزير الأصبهانى فظهر منه من الكفايه و النهضه و حسن التدبير و الكتابه مالم يكن فى أحد، و كان عمره خمسا و عشرين سنه .....

السنه الحاديه و السبعون و خمسمائه

اشاره

و أما أخبار الشام فإن الحلبيين نقضوا الصلح الذى كان بينهم و بين صلاح الدين، و سببه أن سيف الدين غازى لامهم على ذلک، و أرسل

رسولا، و وقع له كتابين أحدهما إلى صلاح الدين ليأخذ منه عهدا للمواصله و يكشف ما عنده، و الكتاب الثانى إلى الحلبيين يلومهم على الصلح و يخبرهم أنه مقبل بعساكر الشرق، و كان صلاح الدين بدمشق فبدأ به الرسول و قد ربط الكتابين فى منديله لتغفله، فلما دخل على صلاح الدين غلط فناوله كتاب الحلبيين لسعاده صلاح الدين فتأمله و علم أن الرسول غلط فلم يقل له كلمه و فهم الرسول، فقام و خرج من عنده و لم يمكنه الاستدراک، و كتب صلاح الدين إلى مصر لأخيه الملک العادل أبى بكر بتجهيز العساكر المصريه إلى الشام سرعه، و جمع سيف الدين العساكر من الجزيره، و كان أخوه عماد الدين زنكى بسنجار عاصيا له مائلا إلى صلاح الدين، فصالحه و جاء سيف الدين فقطع الفرات و نزل عليها و بعث إلى أمراء حلب و كمشتكين الخادم و تقرر بينهم أمر، و سار إلى حلب و التقاه الملک الصالح بن نور الدين فاعتنقه سيف الدين و بكى، و نزل بظاهر حلب بعين المباركه، و صعد القلعه جريده، و كان أمراء حلب يركبون كل يوم إلى خدمته، ثم رحل إلى تل السلطان و معه عساكر الشرق و ديار بكر و الحلبيين فكانوا عشرين ألفا ما بين فارس و راجل، و بلغ صلاح الدين، و هو بدمشق و لم يكن عنده سوى سته آلاف و ما رأى التخلف عن لقائهم و كان فى انتظار العسكر المصرى فسار و نزل حماه و ترک اثقاله بها، و سار إلى جباب التركمان، و جاءه رسول الحلبيين يخوفونه بأسهم و يأمرونه بالرجوع إلى مصر.

قال رسولهم: فوافيته و هو فى خيمه صغيره على بساط لطيف، و تحته سجاده، و بين يديه مصحف، و هو مستقبل القبله إلى جانبه زرديته و سيفه و قوسه و تركاشه معلق فى عمود الخيمه، فلما رأيته وقع فى خاطرى أنه المنصور، لأننى فارقت سيف الدين و الأمراء و هم على طنافس الحرير و الخمور تروق و الخواطى تعمل، و ليس فى خيامهم خيمه إلا و فيها أنواع المحرمات، فأديت إليه الرساله، و جاء وقت الظهر

فضج العسكر بصوت الآذان، و فى كل خيمه إمام فقال لى: الحق بأصحابك و قل لهم يستعدوا للقائى فإنى عند طلوع الشمس نازل عليهم و يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ(1).

قال: ففارقته و أنا على بصيره من نصره و خذلانهم، و سقت عامه الليل فوافيتهم وقت الفجر و هم سكارى، فطلبت سيف الدين فقيل هو نائم قال: و الله ما انتظر الشمس إلا و أعلام صلاح الدين قد أقبلت و الكوسات تخفق و أصحابنا نيام فقاموا مسرعين و كان يوم الخميس عاشر شوال و كان على ميمنه صلاح الدين ابن خاله شهاب الدين محمود، و على ميسرته ابن زين الدين صاحب إربل و صاحب بصرى و هو فى القلب، و كان فى ميمنه المواصله مظفر الدين ابن زين الدين صاحب إربل، و على ميسرته الحلبيون و سيف الدين فى القلب، و كان صلاح الدين قد وقف على تل عال فحمل ابن زين الدين فطحن ميسره صلاح الدين، و حمل الحلبيون على ميمنته فتعتقوها، فنزل إليهم و اتفق وصول العساكر المصريه فى تلك الساعه مع تقى الدين عمر، و عز الدين فرخشاه و ناصر الدين محمد بن أسد الدين فهال ذلک الحلبيين من دق الكوسات، و كثره الأطلاب، و العدد الوافره و الخيل العربيه، فانخذلوا و ولوا منهزمين، و ساق صلاح الدين خلفهم و أسر أمراءهم، و نجا سيف الدين بنفسه، و عاد صلاح الدين إلى خيامهم فوجد سرادق سيف الدين مفروشا بالرياحين و المغانى جلوس فى انتظاره، و الخمور تروق و مطابخه بقدورها، و فيه اقفاص الطيور فيها أنواع من القمارى و البلابل و الهزارات، فأرسل صلاح الدين بما كان فى السرادق و المغنين و الخمور و الطيور إليه و قال للرسول قل له: اشتغالک بها أليق من مباشره الحروب، و لا تعد إلى مثلها، ثم فرق صلاح الدين الخزائن و الخيل و الخيام على أصحابه و أعطى عز الدين فرخشاه سرادق

1- سوره الأعراف- الآيه: 87.

سيف الدين، و كان عز الدين قد أبلى فى ذلک اليوم بلاء حسنا، ثم سار صلاح الدين فنزل على منبج و بها قطب الدين ينال بن حسان فقاتله، و اتفق وقوع ثلمه فى السور و طلب الأمان على نفسه فأمنه، فخرج سليبا، و أخرج صلاح الدين من الحصن ثلاثمائه ألف دينار و عرض عليه المقام عنده فامتنع و كان بينه و بين صلاح الدين شنآن قديم، فأنف أن يكون تبعا له، فسار إلى الموصل فأقطعه سيف الدين الرقه، و سار السلطان لفتح حصن بزاعه، و نازل أعزاز فأقام عليه ثمانيه و عشرين يوما، و فتحه فى ذى الحجه.

فصل [فى محاوله الاسماعيليه قتل صلاح الدين:]

و فيها و ثبت الاسماعيليه على صلاح الدين و هو على أعزاز، جاءه ثلاثه فى زى الأجناد، فضربه واحد بسكين فى رأسه و كان فى عمته زرد مدفون فلم يجرحه و خدشه السكين فى خده و قتل داود بن مسكلان و قتل الثلاثه، فرحل صلاح الدين فنزل على حلب، فبعث الملک الصالح اخته الخاتون بنت نور الدين إلى صلاح الدين فى الليل، فدخلت عليه فقام قائما و قبل الأرض و بكى على نور الدين، فسألت أن يرد عليهم أعزاز فقال: سمعا و طاعه و أعطاها إليها، و قدم إليها من الجواهر و التحف و المال شيئا كثيرا، و اتفق مع الملک الصالح أن له حماه و ما فتحه إلى مصر، و أن يطلق الصالح أولاد الدايه.

و سار إلى بلاد الاسماعيليه فنصب المناجيق على مصيات، و نهب العساكر بلادهم، و قتلوا و سبوا و كان مقدم الاسماعيليه سنان بن محمد، و أرسل إلى شهاب الدين محمود صاحب حماه خال صلاح الدين يقول له: نحن جيرانک و قد فعل ابن اختک ما فعل، و المصلحه رحيله عنا، فاشفع إليه، فما أمكنه مخالفتهم، فأخبر صلاح الدين و قال أخاف على نفسى فرحل إلى دمشق.

فصل [فى قدوم شمس الدوله أخو صلاح الدين من اليمن إلى دمشق]

و فيها قدم شمس الدوله أخو صلاح الدين من اليمن إلى دمشق فى سلخ ذى الحجه، و فيها فوض سيف الدين غازى أمر الموصل إلى مجاهد الدين قيماز الخادم، و كان قبل ذلک نائب سيف الدين.

السنه الثانيه و السبعون و خمسمائه

..... و فيها تزوج صلاح الدين بالخاتون عصمه الدين، بنت الأمير معين الدين أنر زوجه نور الدين محمود، و كانت بقلعه دمشق، زوجها منه شرف الدين بن أبى عصرون.

و فيها كانت نوبه الكنز مقدم السودان بالصعيد، جمع كل أسود بالصعيد، و سار إلى القاهره فى مائه ألف ليعيد الدوله المصريه، فخرج إليه الملک العادل سيف الدين، و أبو الهيجاء الهكارى، و عز الدين موسک، و قتل الكنز بمن معه، و يقال انهم قتلوا منهم ثمانين ألفا، و عادوا إلى القاهره فقال العماد الكاتب: قتل الكنز و ما انتطح فيها عنزان.

و فيها سار صلاح الدين إلى مصر و استناب أخاه شمس الدوله على الشام، و جاءت الفرنج إلى داريا فأحرقوها، و نهبوا و عادوا.

و فيها أمر صلاح الدين قراقوش بعماره سور على القاهره و مصر و ضيع فيه أموالا كثيره، و لم ينتفع به أحد.

و فيها أبطل صلاح الدين الخفاره التى كانت تؤخذ من الحاج بجده مما يحمل فى البحر، و عوض صاحب مكه فى كل سنه ثمانيه آلاف اردب قمح تحمل إليه فى البحر، و يحمل مثلها فتفرق فى أهل المارستان فى القصر، و وقف عليهما الأوقاف و على أهل الحرمين ....

السنه الثالثه و السبعون و خمسمائه

فصل [فی وقعه الرمله فی جمادی الآخره:]

..... و فیها کانت وقعه الرمله فی جمادی الآخره خرج صلاح الدین من مصر بالعساکر علی عسقلان ثم رحل یرید تل الصافیه فازدحمت العساکر علی الجسر یریدون العبور، فلم یشعروا إلا و قد خالطهم الفرنج فبعث تقی الدین عمر و قاتل، ثم قتل من المسلمین خلق کثیر و انهزمت عساکر الاسلام و أسر کثیر، منهم الفقیه عیسی و غیره، و لولا أن اللیل حجز بینهم لم یبق من المسلمین أحد، و سار صلاح الدین فی اللیل إلی مصر من غیر دلیل و لا ماء، و لا زاد، و کانت هذه الوقعه من أعظم الوقائع أبلت فی الاسلام فأوهنت صلاح الدین، لأنه کاد أن یتلف جوعا و عطشا، و نهبت خزائنه و قتل رجاله و أسر أبطاله، و کان مقدم الفرنج أرناط و کان من أکبر ملوک الفرنج، و کان نور الدین قد أسره فی وقعه حارم و حبسه فی قلعه حلب، فأطلقه الملک الصالح فجاء و معه ملوک الفرنج، و ما أتلف عسکر المسلمین إلا أنهم تفرقوا فی الغارات، و کانوا زیاده علی عشرین ألفا، و وقعت الکسره و معظمهم لم یعلم فلما رجعوا من الغارات لم یجدوا صلاح الدین و لم یکن لهم حصن یأوون إلیه فدخلوا الرمل، و تبعهم الفرنج قتلا و أسرا، و من سلم منهم مات جوعا و عطشا و کان یوما عظیما علی الاسلام لم یجبره إلا وقعه حطین.

و رجع أرناط بجمعه إلی حماه فأناخ علیها، و بها شهاب الدین محمود خال صلاح الدین، و هو یومئذ مریض، و عنده سیف الدین المشطوب فقاتلهم العسکر و أهل حماه قتالا عظیما، و لولا المشطوب لملکوها و قطعوا أشجارها و أحرقوا ضیاعها، و رحلوا إلی حارم و بها کمشتکین الخادم عاصیا علی الملک الصالح اسماعیل، فنصبوا علیها المناجیق و قاتلوها أیاما فلجأت الضروره إلی مصالحه الملک الصالح فبعث إلیه النجده فرحلوا إلی أنطاکیه و قتل کمشتکین و أبو صالح بن العجمی، و بلغ صلاح الدین

نزول الفرنج على حماه، فجمع العساكر بمصر، و سار إلى الشام فقدم دمشق و بها أخوه شمس الدوله مشغول بلذاته و لهوه، و كان قد بعث إلى الفرنج بمال مصانعه، فعز على صلاح الدين و لامه و قبح فعله، و قال أنت مشغول باللعب و تضييع أموال المسلمين، و كان وصول صلاح الدين إلى دمشق فى شوال، و استناب بمصر أخاه العادل أبا بكر ...

فصل [فى وفاه كمشتكين خادم نور الدين محمود:]

و فيها توفى كمشتكين الخادم خادم نور الدين محمود و كان من أكابر خدمه، ولاه قلعه الموصل نيابه عنه، فلما مات نور الدين هرب إلى حلب، و خدم شمس الدين ابن الدايه، ثم جاء إلى دمشق و أخذ الملک الصالح، و جاء به إلى حلب و قد ذكرناه و أقطعه الملک الصالح حارم و أقام بها، و عصى عليه، فلما حصره الفرنج صالحه و قد ذكرناه.

و اختلف فى قتله على قولين: أحدهما أن كمشتكين حسد أبا صالح ابن العجمى وزير الملک الصالح، فوضع عليه الاسماعيليه فقتلوه، و استقل كمشتكين بالأمر فقيل للملک الصالح ما قتل وزيرک إلا الخادم ليستبد بالأمر، فحبسه و طالبه بتسليم قلعه حارم، فكتب إلى نوابه أن يسلموها قال العماد الكاتب: فلما طال أمره قصر عمره.

و الثانى أنهم لما امتنعوا من تسليم قلعه حارم خرج إليها الملک الصالح من حلب و معه الخادم فقال: مرهم بتسليمها فلم يقبلوا، فعلقه منكوسا و دخن تحت أنفه، فمات، و عاد الملک الصالح إلى حارم فأخذها و سلمها بعد ذلک إلى مملوک أبيه جرديک ...

فصل [: فى وفاه شهاب الدين محمود خال صلاح الدين]

و فيها توفى شهاب الدين محمود خال صلاح الدين، كانت له حماه فنزلت عليه الفرنج و هو مريض فتوفى، و أعطاها صلاح الدين لناصر الدين منكورس بن خمارتيكن صاحب صهيون، و قيل إنما أعطى صلاح

الدين حماه لتقى الدين عمر، و قيل فى السنه الآتيه، و كان ناصر الدين نائبا عن تقى الدين .....

السنه الرابعه و السبعون و خمسمائه

فصل [: فى عصيان شمس الدين ابن المقدم ببعلبک]

و فيها عصى شمس الدين ابن المقدم ببعلبک و كان صلاح الدين قد أعطاه اياها، و قدم صلاح الدين دمشق فأرسل إلى ابن المقدم يطلبه، فاعتذر خوفا من شمس الدوله لأنه طلب منه بعلبک فامتنع، فخرج صلاح الدين من دمشق و نزل على بعلبک و أقام تسعه أشهر يحاصرها فنفد ما عنده، فأرسل إلى السلطان يطلب العوض فأعطاه بارين و كفر طاب، و خرج شمس الدين بن المقدم إليها و سلم صلاح الدين بعلبک إلى أخيه شمس الدوله، و فيها مات الهنفرى ملک الفرنج، بلغ صلاح الدين أنه يريد أن يغير على دمشق فبعث عز الدين فرخشاه ابن أخيه بعسكر دمشق إلى عين الجر و قال: تقيم هناک إلى مرج عيون، فإن جاؤوک، فأرسل كتب الطيور إلى و لا تواقفهم حتى آتيک، فسار فنزل مرج عيون فلم يشعر إلا بطلائع الهنفرى قد خالطوه، فاضطر إلى القتال فاقتتلوا أشد قتال، فجرح الهنفرى و أثقلته جراحه فأوثقوه و أخذوه، و انهزموا و غنمهم فرخ شاه و مات هنفرى بعد أيام، و جاء صلاح الدين فنزل قصر يعقوب و بعث السرايا و الغارات إلى بلد الفرنج .....

السنه الخامسه و السبعون و خمسمائه

و فيها كان السلطان نازلا على تل القاضى بباناس، فأجمع رأيه مع بقيه المسلمين على أن يقتحموا على الكفار ديارهم، و يستوعبوا ما بقى فى أيديهم من الغلات فى يوم واحد، ثم رجعوا فرحلوا صوب البقاع، فنهضوا ليله الأحد ثانى عشر محرم، فلما أصبح جاءه الخبر بأن الفرنج

قد خرجوا فالتقاهم، و أنزل الله نصره على المسلمين، فأسر فرسانهم و شجعانهم، و انهزمت رجالتهم فى أول اللقاء.

فأسر مقدم الداويه و الاسبتار، و صاحب طبريه و ابن بيزران صاحب الرمله، و ابن القومصيه، و قسطلان يافا، و صاحب جينين، و صاحب جبيل، و كانت وقعه عظيمه، فخلص بعضهم و مات بعضهم فى الأسر، و خلص الفقيه عيسى، و كان قد أخذ من الرمله و قد ذكرناه، و حسب من القطيعه بستين ألف دينار، و قيل إن وقعه مرج عيون كانت فى المحرم، و هذه وقعه مخاضه بيت الأحزان.

و فيها سار السلطان فى ربيع الأول إلى حصن يعقوب و يسمى قصر يعقوب و بيت الأحزان عند المخاضه، فنصب عليه المناجيق، و خلع على النقابين، و باشر القتال بنفسه فعلقوا النقوب، و أحرقوا الأخشاب فسقطت الأبراج، فصاحوا الأمان، و عاجلهم المسلمون ففتحوه عنوه، و كان عرض سوره عشره أذرع و طوله أربعون ذراعا فقتل المسلمون منهم ألفا و خمسمائه، و خلصوا من أسارى المسلمين مائه أسير، و كان بيت الأحزان الذين يزعمون أن يعقوب كان ينفرد فيه و يبكى على يوسف كنيسه، فجعله السلطان مسجدا و ذكر الشعراء هذا الحصن فقال أحمد بن نقاذه الدمشقى و يلقب بالنشو:

فقال:

هلاک الفرنج أتى عاجلاو قد آن تكسير صلبانها

و لو لم يكن قددنا حتفهالما عمرت بيت أحزانها

و كتب الفاضل إلى بغداد كتاب كسر الفرنج، فأمر الخليفه بضرب البوقات و الدبادب على أبواب الأمراء ما عدا طبول الخليفه، و لم يشهد تقى الدين هذه الغزاه، و سببه ان قليج أرسلان نزل على حصن رعبان فى عشرين ألفا و ادعى أنه له، فسار تقى الدين إليه فى

ألف فارس و هزمه، فكان تقى الدين يدل بهذه الوقعه حيث هزم ألوفا بألف، انتهى.

و فيها ختن السلطان ولده الملک العزيز عثمان فاتخذ له يوسف بن الحسين، و يعرف بابن المجاور معلما و تسلم فرخشاه بعلبک و مات المستضى ء .....

السنه السادسه و السبعون و خمسمائه

فصل [: فى وفاه سيف الدين صاحب الموصل]

و فيها توفى سيف الدين صاحب الموصل

و فيها سار صلاح الدين إلى بلاد الروم، و سببه ان نور الدين محمد ابن قرا أرسلان بن سكمان بن أرتق صاحب حصن كيفا قد انتمى إليه، و كان عز الدوله قليج ارسلان بن مسعود بن قليج أرسلان قد زوجه ابنته فأساء العشره معها، فكتبت إلى أبيها تشكوه فبعث إليه، إما أن تحسن عشرتها، و إما أن تفارقها، فلم يلتفت إليه، و كاتب صلاح الدين فسار فى نجدته فالتقاه ابن أرتق على نهر يقال له الأزرق بين بهسنا و حصن منصور، ثم عبرا منه إلى النهر الأسود، و جاءت رسل قليج و تقرر الصلح و عاد السلطان إلى بلاد ليون فأخربها و نهبها، فصالحه على مال و اسارى، فرجع إلى دمشق ....

و فيها توفى الملک المعظم شمس الدوله أخو صلاح الدين لأبيه، و اسمه توران شاه، و لقبه فخر الدين، و كان أكبر من صلاح الدين، و قد ذكرنا أخباره و دخوله إلى اليمن و أخذه لبعلبک، و كان جوادا سمحا حسن الأخلاق، إلا أنه كان فى نفسه من الملک و يرى انه أحق به من صلاح الدين، و كانت تبدو منه كلمات فى حال سكره، و بلغ صلاح الدين فأبعده إلى اليمن فسفک الدماء و قتل الأرامل و أخذ الأموال، و أعطاه بعلبک، فبلغه عنه أشياء فخاف منه فأبعده عنه إلى الاسكندريه،

فأقام بها منعكفا على لهوه و لعبه، و لم يحضر حروب أخيه صلاح الدين، فتوفى بالاسكندريه فى هذه السنه، فأرسلت أخته ست الشام و كانت شقيقته فحملته فى تابوت إلى دمشق فدفنته فى تربتها التى أنشأتها على الشرف الشمالى عند العوينه، و بنت عليه قبه و بهذه التربه ولدها حسام الدين بن لاجين، و زوجها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، و دفنت هى بعد الكل، و سنذكرها إن شاء الله تعالى.

فصل [: فى وفاه سيف الدين غازى بن مودود بن غازى بن أقسنقر صاحب الموصل]

اشاره

و فيها توفى سيف الدين غازى بن مودود بن غازى بن أقسنقر صاحب الموصل، ابن أخى نور الدين، و كان من أحسن الناس صوره عاقلا وقورا غيورا للدماء مع شح كان فيه، قال المجد ابن الأثير: كان قد علق عليه سل، و طالت علته، و أجدبت البلاد قبل موته، و خرج الناس يستسقون و خرج سيف الدين معهم، فاستغاث إليه الناس و قالوا: كيف يستجاب لنا و الخمور و الخواطى ء و المظالم بيننا؟ فقال: قد أبطلتها، و رجع البلد و فيهم رجل صالح يقال له أبو الفرج الدقاق، فأهرق الخمور لا غير، و نهب العوام دكاكين الخمارين، فاستدعى الدقاق إلى القلعه و قيل له: أنت جرأت العوام على السلطان، و ضرب على رأسه، فانكشف رأسه و اطلق، و نزل مكشوف الرأس، فقيل له غط رأسك، فقال: لا و الله لا أغطيه حتى ينتقم ممن ظلمنى فمات الزردار و الذى ضربه بعد قليل و مرض سيف الدين و توفى.

ذكر حكايته مع الشيخ ابن أحمد أبى الحداد الزاهد:

كان أبو أحمد قد انقطع فى قريه من بلاد الموصل يقال لها الفضيليه، و منها أصله، و هى على فراسخ من الموصل.

حدثنى أبو بكر القديمى و اسماعيل الشعار، و كانا قد صحبا الشيخ أبا أحمد قالا: كان سيف الدين يزور الشيخ أحمد، فقال له: يا سيف

الدين أى فائده فى زيارتک و أنت تشرب الخمر و تبيح المحرمات و تمكس المسلمين، فان كنت تدع هذا و الا فلا تجى ء إلى عندى، فقال: يا سيدى أنا تائب إلى الله من جميع ما قلت، و ترک الجميع و عاد إلى ما كان عليه.

و كان للشيخ طاقه على باب الزاويه ينظر من يجى ء من دمشق، قال:

فبينما نحن عنده ذات يوم و إذا بسيف الدين قد أقبل و صعد إلى الدرج، فقال لى أبو أحمد: أغلق الباب فى وجهه، و قل له ما لک عندى شغل، و ادفعه إلى أسفل الدرج، قال أبو بكر القديمى: فخرجت فاستحييت منه، فقال لى سيف الدين: يا شيخ افعل بى ما أمرک الشيخ و أدار ظهره إلى فدفعت فى ظهره حتى أنزلته إلى أسفل الدرج، فقعد يبكى و قد صاح الجند بأسرهم، فأشار إليهم أن اسكتوا، ثم قال لى: يا شيخ أبا بكر اصعد إلى الشيخ و قل له: مالى توبه؟ قال: فصعدت إليه و أخبرته فقال:

قل له: يجوز قد أذنت له، قال: فخرجت و قلت: له بسم الله، فدخل على الشيخ فبكى و قبل يده و تاب إلى الله تعالى، و عاد إلى الموصل، فأقام مده يسيره، و مات يوم الأحد ثالث صفر، و لم يبلغ ثلاثين سنه، و كانت ولايته عشر سنين و شهورا.

و أراد أن يعهد إلى ولده سنجر شاه، فامتنع أخوه عز الدين مسعود من ذلک، و قال له مجاهد الدين قيماز و أكابر الأمراء: قد علمت استيلاء صلاح الدين على البلاد و قربه منا و سنجر شاه صبى لا رأى له و أخوک عز الدين كبير السن صاحب رأى و شجاعه، اعهد إليه و اجعله و صيا على أولادک ففعل، و كانت الرعيه قد خافت من عز الدين مسعود لا قدامه على سفک الدماء و حدته، فلما ولى تغيرت أخلاقه فصار رفيقا بالرعيه قريبا منهم محسنا إليهم.

و لما مات سيف الدين كان صلاح الدين فى حدود الروم، فأرسل إليه مجاهد الدين قيماز الفقيه أبا شجاع بن الدهان البغدادى، يطلب منه أن يكون مع عز الدين كما كان مع أخيه سيف الدين، و يبقى عليه الجزيره

و ما بيده من حران و الرها و الرقه و الخابور و نصيبين و قاطع الفرات، فقال صلاح الدين: أما ما خلف عليه من بلاد الموصل فهو باق على حاله، و أما ما ذكره من بلاد الجزيره فإنما كانت بيده بشفاعه الخليفه على شرط أن يقوى ثغور المسلمين بالمال و العساكر، أما الآن فالخليفه قد فوض أمرها إلى، لا أفعل فيها إلا ما أراه من المصلحه ....

السنه السابعه و السبعون و خمسمائه

اشاره

و فيه عاد صلاح الدين من دمشق إلى القاهره و استناب بدمشق ابن أخيه عز الدين فرخشاه بعساكر الشام فبلغ قريبا من تيماء، و بلغ البرنس فرجع إلى الكرک، و أمر صلاح الدين أخاه سيف الدين بالمسير إلى اليمن فأقام يتجهز.

و فيها توجه صلاح الدين إلى الاسكندريه فخيم بظاهرها عند عمود السوارى، و قال: نقم تجاه الشيخ أبى طاهر السلفي و نسمع من ابن عوف موطأ مالک بزاويته على الطرشوشى، و تم له و لأولاده السماع، و كان واليها فخر الدين قراجا.

و كان فى هذه السنه بالمزه خطيب يقال له العالم، زور على صلاح الدين خطا بزياده فى جامكيته، و وقف عليه فرخشاه فعلم باطن الحال، فهم بالايقاع به فهرب إلى القاهره و استجار بالسلطان فأجاره، و قال: ما أخيب قصدک، و كتب له توقيعا بما طلب و حج بالناس من العراق طاشتكين.

فصل [: فى وفاه الملک الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكى، صاحب حلب]

و فيها توفى الملک الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكى، صاحب حلب، و كان مرضه بالقولنج بدأ به فى رجب.

و ذكر ابن الأثير فى تاريخه: أنه لما اشتد به المرض، و ضعف وصف له الأطباء قليل خمر، فقال: لا أفعل حتى أسأل الفقهاء، فسأل الشافعيه فأفتوه بالجواز، و سأل العلاء الكاشانى فأفتاه أيضا، و لم يفعل و قال: إن

كان الله قرب أجلى أيؤخره شرب الخمر؟ قال: لا، قال: فوالله لا لاقيت الله و قد لقيت ما حرم على، فمات و لم يشربه.

قلت: أخطأ الكاشانى فإن الخمر لا يباح عند أبى حنيفه و جميع أصحابنا للتداوى، و كذا عند مالک و أحمد، و عند الشافعى يجوز للضروره، و عندنا ان الله لم يجعل شفاء الأمه فيما حرم عليها.

و لما اشتد مرضه أحضر الأمراء و استحلفهم لعز الدين صاحب الموصل، فقيل له: لو أوصيت إلى ابن عمک عماد الدين صاحب سنجار، و هو تربيه أبيک، و زوج اختک، و شجاع كريم، و عز الدين له من الفرات إلى همذان؟ فقال: إن هذا لم يخف عنى، و لكن علمتم استيلاء صلاح الدين على الشام و مصر و اليمن، و عماد الدين لا يثبت له، و عز الدين له العساكر و الأموال فهو أقدر على حفظ حلب، و متى ذهبت حلب ذهب الجميع، فاستحسنوا قوله.

و توفى فى الخامس و العشرين من رجب، و لم يبلغ عشرين سنه و كانت أيامه ثمانى سنين و شهرا، و أقام الحلبيون النوح عليه و المأتم، و فرشوا الرماد فى الأسواق و أقاموا مده على ذلک، و جرى عليهم ما لم يجر على أحد، لأنه كان صالحا كما سمى، عادلا منصفا حسن السيره على أسلوب أبيه، و تزوج عز الدين أم الملک الصالح فى شوال، و أقام فى قلعه حلب إلى سادس عشر شوال، و علم أنه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لملازمته الشام، و ألح عليه الأمراء فى طلب الزيادات و دلوا عليه لأنهم اختاروه، و ضاق عليه، فسار إلى الرقه، و اتفق مع أخيه عماد الدين صاحب سنجار، و تقايضا، و رحل عماد الدين إلى حلب فى سادس عشر المحرم سنه ثمان و سبعين و خمسمائه، و كتب صلاح الدين إلى الخليفه يستأذنه فى الاستيلاء على حلب، و يقول بأن جماعه الأتابكيه يسعون فى تفريق الكلمه، و يستنهضون الفرنج لقتال المسلمين، و يستعينون علينا بالاسماعيليه، و أقام بمصر منتظرا الجواب .....

السنه الثامنه و السبعون و خمسمائه

و فی المحرم سار سیف الدین طغتکین إلی الیمن، فنزل بزبید و بها حطان، فأمره أن یسیر إلی الشام، فجمع أمواله و ذخائره و أسبابه فنزل بظاهر زبید، فقبض علیه سیف الاسلام و أخذ جمیع ما کان معه، و کان قیمته ألف ألف دینار، ثم قتله بعد ذلک، و کان عثمان الزنجبیلی بعدن، فلما بلغه ذلک سار إلی الشام بعد أن اثر فی الیمن آثارا کثیره، و أوقف أوقافا، و له مدرسه بمکه، و رباط بالمدینه و غیرها.

و فی خامس المحرم خرج صلاح الدین من مصر، فنزل البرکه قاصدا إلی الشام، و خرج أرباب الدوله لوداعه، و أنشده الشعراء ابیاتا فی الوداع فسمع قائلا یقول فی ظاهر الخیم:

تمتع من شمیم عرار نجدفما بعد العشیه من عرار

و طلب القائل فلم یوجد، فوجم السلطان، و تطیر الحاضرون فکان کما قال اشتغل السلطان بالشرق و الفرنج، و لم یعد بعدها إلی مصر، و سار السلطان علی ایله و الحسی و وادی موسی، و کان فرخشاه بدمشق فبلغه ان الفرنج قد اجتمعوا عند الکرک لقصد السلطان، فخرج من دمشق فنزل طبریه و عکا و دبوریه فقصدوه فالتقاهم و کسرهم، و قتل منهم ألوفا و أسر، و ساق عشرین ألفا من الأنعام و غیرها، و فتح حصنا مشرفا علی السواد علی شقیف یقال له حصن جلدک، و قتل من فیه، و أسکنه المسلمین و جعلهم طلائع، و ساق إلی بصری، فالتقی السلطان عندها فسر به و دخلا دمشق فی صفر.

و فیها کانت وقعه الحاجب لؤلؤ مع الفرنج، خرج البرنس صاحب الکرک إلی ایله فأقام بها، و معه الأخشاب علی الجمال و الصناع بعمل المراکب، و کان قصده مکه و المدینه و الغارات فی البحر، فلما تم عملها رکب فیها و وصل إلی عیذاب فی بحر القلزم، فأخذ مراکب التجار

و نهب و قتل و أسر، و سار يريد جده، و بلغ الخبر إلى سيف الدين العادل أخى السلطان، فأمر حسام الدين الحاجب لؤلؤ، فركب فى بحر القلزم و سار خلفهم، و ساعده الريح فأدركهم، و قد اشرفوا على مدينه النبى صلى الله عليه و سلم، فهرب بعضهم فى البر، و أسر الباقين، فأخذ مائه و سبعين أسيرا، و خلص أموال التجار، وردها إليهم، و استولى على مراكبهم، و عاد إلى القاهره و كتبوا إلى السلطان بذلک، فقال: تضرب رقاب الأسارى بعضهم بالقاهره و بعضهم بمكه و المدينه ففعلوا، و كتب القاضى الفاضل إلى الخليفه كتابا فى هذا المعنى: و كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا، و افتضوا من البحر بكرا، و عمروا مراكب شحنوها بالمقاتله و الأزواد، و ضربوا بها سواحل تهامه و أوغلوا فى البلاد، و ما ظن المسلمون إلا ان الساعه قد نشر مطوى شروطها، و طوى منشور بساطها، فثار غضب الله لفناء بيته المحرم، و مقام أنبيائه المعظم، و ضريح نبيه المفخم، صلى الله عليه و سلم، و زخر من فضل الله أنه كان البيت إذ قصدوه أصحاب الفيل، و وكلوا الأمور إلى الله، فكان حسبهم و نعم الوكيل، فلم يبق من العدو خبرا و لا أثر وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً(1) ....

السنه التاسعه و السبعون و خمسمائه

و فى يوم الأحد عاشر المحرم تسلم السلطان آمد و دخل إليها و جلس فى دار الاماره، ثم سلمها و أعمالها إلى نور الدين محمد بن قرا أرسلان، و كان وعده بها لما جاء إلى خدمته، و لما أخذها صلاح الدين خرج الرئيس محمود بن على و محمد بن كيكلدى منها بأموالها و حريمها إلى الموصل، و أعانهما صلاح الدين بدواب تنقل بعض قماشهما، فحملا ما خف حمله، و عجزا عن حمل كثير من الذخائر و الأسلحه.

و فى المحرم عاد السلطان فقطع الفرات قاصدا إلى حلب، و اجتاز فى

1- سوره الزمر- الآيه: 71.

طريقه بعين تاب، و بها ناصح الدين محمد بن خمارتكين، و نزل إليه، و قام بالضيافه، فأبقاها عليه، و جاءه ابن الساعاتى فأنشده:

و انهض إلى حلب فى كل سابقهسيوفها تغنى عن الفلک

ما فتحها غير إقليد الممالک و الداعى إلى جميع الخلق و الملک

فنازل حلب فى سادس عشر المحرم، و نزل بالميدان الأخضر و باشر القتال بكره و عشيا، و زحف يوما أخوه تاج الملوک بورى فجاءه سهم فى عينه، فوقع مريضا، و مات فى الثالث و العشرين من صفر، ثم علم عماد الدين زنكى أنه لا طاقه له به، و ضج من اقتراح الأمراء عليه، فقال لحسام الدين طمان: اخرج إلى صلاح الدين و سله فى الصلح فخرج سرا و لم يعلم به أحد، فقرر الصلح و أن يرد إليه سنجار و أعمالها، و الخابور، و نصيبين، و أنه يسلم إليه قلعه حلب، و علم الناس بالصبح، فخرجوا إلى صلاح الدين فخلع عليهم، و جعل أهل حلب تحت القلعه اجانه و ثيابا و صابونا، و صاحوا على عماد الدين: يا فاعل، يا صانع، انزل فاغسل الثياب مثل المخانيث ما يصلح لک غير هذا، و عملوا فيها الأشعار و تغنوا بها فى الأسواق، و منها:

و بعت بسنجار خير القلاع ثكلتک من بائع مشترى

فلما كان اليوم العشرون من صفر توفى تاج الملوک أخو السلطان، فحزن عليه حزنا عظيما و جلس للعزاء، و نزل إليه عماد الدين فالتقاه السلطان و أكرمه و خدمه، و قدم له الخيول و التحف الجليله، و عاد عماد الدين إلى القلعه و أقام السلطان كئيبا حزينا و كان يبكى و يقول: ما وفت حلب بشعره من أخى، و قيل انه قال: ما غلت حلب ببورى، و الأول أليق بالسلطان لأنه ما كان فى البيت مثل بورى، و سار عماد الدين من يومه إلى سنجار، و أقام السلطان فى المخيم غير مكترث بحلب لما جرى عليه من وفاه أخيه، ثم صعد القلعه سلخ صفر، فأنشده القاضى ابن

زکی الدین محمد بن علی القرشی، قاضی القضاه بدمشق أبیاتا منها:

و فتحکم حلبا بالسیف فی صفرمبشر بفتوح القدس فی رجب

فعجب الناس من رمیه من غیر رام، فکان کما قال، و لکن بعد أربع سنین، و هو الذی خطب بالقدس لما فتحه السلطان، و ولی السلطان القضاء بحلب محی الدین بن الزکی و القلعه سیف الدین یازکیج، و الدیوان ناصح الدین اسماعیل بن العمید، و أعطی تل باشر و تل خالد لبدر الدین دلدرم بن بهاء الدین یاروق، و أعطی قلعه أعزاز لعلم الدین سلیمان بن جندر، ثم رحل عن حلب یوم السبت ثانی عشرین ربیع الآخر، و دخل دمشق، و کان دخوله دمشق ثالث جمادی الأولی فأقام بها أیاما ثم خرج إلی الفوار، فأقام بها علی رأس الماء.

و فیها بعث الخلیفه عسکرا إلی دقوقا فأخذها

و فیها کانت غزاه بیسان، و رحل السلطان من الفوار فی جمادی الآخره، فنزل بیسان و قد هرب أهلها فقدم بین یدیه جردیک النوری، و جاولی الأسدی و جماعه من النوریه فجاؤوا إلی عین الجالوت و الفرنج إلی الفوله، فصادفوا علی عین جالوت طائفه من الفرنج فقتلوا منهم مقتله عظیمه و أسروا مائه فارس، و رحل السلطان إلی الفوله یطلب المصاف فتحصن الفرنج فی الداخل، و لم یخرج منهم أحد، فلما کان فی اللیل ساروا طالبین عکا و رحل السلطان خلفهم یقاتل الساقه فقتل منهم جماعه فدخلوا عکا و عاد السلطان علی صفوریه فنهب و أحرق و عاد إلی دمشق.

ثم خرج فی رجب إلی الکرک، و کان أخوه سیف الدین العادل قد کتب إلیه یطلب منه أن یعوضه بحلب عوض مصر، فکتب إلیه أن یوافیه علی الکرک، فالتقیا علی الکرک، و نصب السلطان علیها المناجیق، و حشد الفرنج و نزلوا الواله، قریبا من الکرک، فرأی السلطان أن حصار

الكرک يطول فعاد إلى دمشق و معه أخوه الملک العادل، فأعطاه حلب، فسار إليها و بها ولده السلطان الملک الظاهر غازى، و سيف الدين يازكيج، فسلمها، إليه، و قدم الظاهر دمشق مع يازكيج فى شوال، و أقام الظاهر فى خدمه أبيه راضيا فى الظاهر، و فى الباطن فيه ما فيه.

و فيها وصل عبد الرحيم شيخ الشيوخ من بغداد رسولا إلى صلاح الدين و معه محيى الدين أبو حامد محمد ابن قاضى القضاه كمال الدين ابن الشهرزورى رسولا من المواصله، فأغلظ محى الدين على السلطان و قال: تحلف لعز الدين ان هذه الجزيره و ما يقطع الفرات من ناحيه الشرق يكونوا مضافين إلى عز الدين و لا تعلق لک بهم، و إلا جاء البهلوان و ملول العجم إليک، و اتفقوا عليک، فغضب السلطان و قال:

أنا قاصد إليكم، فإذا فرغت منكم سرت إلى البهلوان ...

و فيها توفى تاج الملوک بورى- كما ذكرنا- ابن أيوب أخو صلاح الدين، و كنيته أبو سعيد، ولد فى ذى الحجه سنه ست و خمسين و خمسمائه و كان الله عز و جل قد جمع فيه مكارم الأخلاق، و لطف طباع و كرما و شجاعه، و فضلا و فصاحه، و كان أديبا و شاعرا مترسلا، و له ديوان شعر ذكره العماد فى الخريده، و أثنى عليه، و أنشد مقطعات من شعره ...

السنه الثمانون و خمسمائه

اشاره

و فيها كتب زين الدين بن نجيه الواعظ من مصر إلى صلاح الدين يشوقه إليها، و كان السلطان بدمشق: أدام الله أيام مولانا السلطان الملک الناصر، و قرنها بالتأييد و النصر و التسديد، أو ما يشتاق مولانا إلى مصر و نيلها و خيرها و سلسبيلها، و دار ملكه، و داره فلكه و بحرها و خليجها و نشرها و أريجها، و مقسم مقاسمها، و أنيس أبياتها، و قصور معزها، و مبارک عزها، و جيزتها و جزيرتها، و بركها و بركتها، و تعلق القلوب بقلوبها، و استئلاف النفوس لأسلوبها، و ملتقى البحرين،

و مرتقی الهرمین، و روضه جنانها، و جنه رضوانها، و مشاهدها و مجامعها، و مساجدها و جوامعها، و نواضر بساتینها و مناظر میادینها، و ساحات سواحلها، و آیات فضائلها؟!.

و ذکر ابن نجیه کلاما طویلا من هذا الجنس فکتب إلیه السلطان:

ورد کتاب الفقیه زین الدین أدام الله توفیقه، لا ریب أن الشام أفضل و أن أجر ساکنه أجزل، و إن القلوب إلیه أمیل، و إن زلاله البارد أحلی و أنهل، و إن الهواء فی صیفه و شتائه أعدل، و إن الجبال فیه أجمل، و الجمال به أکمل، و إن القلب به أروح، و الروح به أقبل، و دمشق فعاشقها بها مستهام، و ما علی محبها ملام، و ما فی ربوتها ریبه، و لکل نور فیها سیبه، و ساجعاتها علی المنابر الورق، و هزاراتها و بلابلها تعجم و تعرب، و کم فیها من جواری ساقیات و سواقی جاریات، و ثمار بلا أثمان، و روح و ریحان و فاکهه و رمان، و خیرات حسان، و کون الله تعالی أقسم (و التین و الزیتون) یدل علی فضله المکنون، و قال صلی الله علیه و سلم: الشام صفوه الله من بلاده، یسوق إلیها خیر أمه من خلقه، و عامه الصحابه اختاروا المقام بالشام، و فتح دمشق بکر الاسلام، و ما ینکر ان الله تعالی ذکر مصر، و لکن علی لسان فرعون بقوله: (ألیس لی ملک مصر)(1) لکن هذا أخرج مخرج العتب له و الذم، ألا تری أن یوسف علیه السلام نقل منها إلی الشام، ثم المقام بدمشق أقرب إلی الرباط و أوجب للنشاط، و أین قطوم المقطم من النیربین، و أین دار منیف من ذروه الشرف المبین، و أین لبانه لبنان من الهرمین، و هل هما إلا مثل السلعتین، و هل للنیل من طول نیله و طول ذیله برد بردا فی نفع العلیل، و ما لذاک الکثیر من طلاوه هذا القلیل، و إن فاخرتنا بالجامع و فیه البشر ظهر بذلک قصر القصر، و لو کان لهم بانیاس لما احتاجوا إلی قیاس المقیاس، و نحن لا نجفو الوطن کما جفاه، و لا نأبی فضله کما أباه، و حب الوطن من

1- سوره الزخرف- الآیه: 51.

الإيمان، و نحن لاننكر أن اقليم مصر إقليم عظيم الشأن، و لن نقول كما قال المجلس الفاصلى: ان دمشق تصلح أن تكون بستانا، و لا نشک أن أحسن ما فى البلاد البستان، و لعل زين الدين يرجع إلى الحق و يوافق على ما هو الأحق.

قالت: عاب السلطان على ابن نجيه كون أصله و منشأه بدمشق، و فضل عليها مصر، و ليس من طارفه و لا تلاده، و كان أولى أن يتشوق إلى السلطان من غير وصف لما فيه مضاهاه لوطنه و بلاده.

فصل [: فى هجوم السلطان على نابلس]

و فيها هجم السلطان نابلس كانت عساكر الشرق وصلت إليه لنجدته فيها: نور الدين ابن قرا أرسلان صاحب الحصن و آمد و ديار بكر، و مظفر الدين بن زين الدين، و العادل من حلب، و تقى الدين عمر، فخرج من دمشق و نزل الكرک و نصب عليها المناجيق، و كان أعظم مهماته فتحه، لكونه على طريق مصر، و بلغ الفرنج فجمعوا الفارس و الراجل و قصدوه، و نزلوا الواله قريبا من الكرک، فاغتنم السلطان خلو الساحل منهم، و سار على البلقاء و نزل الغور و هجم نابلس فقتل و سبى و نزل على سبسطيه و بها الرهبان و الأقساء و عندهم الودائع فطلبوا منه الأمان، و أن يطلقوا ما عندهم من الأسارى، فأمنهم، ثم سلک الغور و طلع على عقبه فيق، و عاد إلى دمشق، و كان عنده رسل الحلبيه شيخ الشيوخ، و شيخ الشيوخ بالرحبه، و حج بالناس من العراق طاشتكين.

فصل [: فى وفاه ايلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن ايلغازى بن أرتق، الملقب بقطب الدين صاحب ماردين]

و فيها توفى ايلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن ايلغازى بن أرتق، و لقبه قطب الدين صاحب ماردين و كانت وفاته فى جمادى الآخره، و خلف ولدين صغيرين، و كان جوادا شجاعا عادلا منصفا عاقلا، و الحمد لله وحده و صلى على أشرف خلقه محمد و على آله و صحبه و سلم.

السنه الحاديه و الثمانون و خمسمائه

اشاره

و فيها قطع السلطان الفرات، و نزل على حران سادس عشرين صفر، و سار السلطان و نزل على الموصل، و ضايقها و خرج إليه أهلها العوام و الخواص فقاتلوه و ظهروا عليه، و جاءه الملوک زين الدين صاحب إربل، و سنجر شاه صاحب الجزيره، و عسكر ديار بكر، و كان القتال يعمل كل يوم و تخرج المواصله إليه عراه يقاتلون، فبينما هو على ذلک جاءه الخبر بوفاه شاه أرمن صاحب أخلاط، و جاءت كتب مقدميها يطلبونه، فشاور الأمراء فأشاروا إليه بقصد أخلاط، لما رأوا أنهم لا طمع لهم فى الموصل، و قالوا: ما تفوت الموصل فسار إلى أخلاط و فى مقدمته ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، و تقى الدين عمر فوصلوا ميافارقين، و بها الأسد يرنقش، مملوک صاحب آمد فامتنع عليهم و قال:

أنا وصى يتامى أستاذى قطب الدين و بعد هذا فالأمر للخاتون والدتهم، فأرسل إليها صلاح الدين خادما و وعدها أن يتزوجها، و يزوج ابنه احدى بناتها، فأجابت و سلمت إليه ميافارقين و أعطاها الهتاخ، و أعطى يرنقش جبل جور، و كان الحاكم على أخلاط الوزير مجد الدين بن الموفق، و هو الذى كاتب السلطان فبعث إليه الفقيه عيسى ليكشف الحال، فغالطه و قال: فى القلعه سيف الدين بكتمر، و بها ابنه البهلوان زوجه شاه أرمن، و ربما جاء البهلوان بعساكر أذربيجان و همذان و الشرق، فنزل قريبا من أخلاط، و أرسل إلى السلطان يقول: هذه البلاد لا بنتى، و هى فى القلعه، و المصلحه تبقى الموده بيننا و دوام الصداقه، فرجع السلطان إلى الجزيره، و رجع البهلوان إلى بلاده بعد أن حمل إليه سيف الدين بكتمر أموالا و هدايا، و ولى السلطان على ميافارقين و ديار بكر مملوكه سنقر الخلاطى.

و عاد إلى الموصل، و هذه المره الثالثه، و هى الأخيره فنزل الاسماعيليات، و قيل نزل على كفر رمان بدجله، و عزم أن يشتى بذلک المكان، و استعد

المواصله للحصار، فأشار أمراء عز الدين عليه أن يخرج إليه النساء بكتاب يتشفعن إليه، فخرجوا معهن والده عز الدين مسعود فأكرمهن و وعدهن الاحسان، و قرر عماد الدين الصلح و خطب للسلطان بالموصل، و أعطى شهرزور و البوازيج، و وقف عليها قريه تعرف بباقيلا على ورثه شيخ الشيوخ ببغداد، و رحل عن الموصل يريد الجزيره.

قال العماد: و كان السلطان قد لازم قراءه القرآن فى شهر رمضان، و اشتد الحر، و قيل إنه قد رد النساء اللائى خرجن يشفعن، فندم على ردهن فمرض مرضا شديدا فتناثر شعر رأسه و لحيته، و قيل إنه سقى و ضعف ضعفا خيف عليه منه و أرجف بموته، و أقام على نصيبين و قد ايسنا منه، ثم تماثل فحمل فى محفه إلى حران، و نزل بظاهرها و بنى بها دارا سماها دار العافيه.

فصل [: فى كذب المنجمين]

و كانت المنجمون قد حكموا بأن يهب رمل هواء مزعج يهلک الناس، فحفروا سراديبا و اختفوا، و ظهر كذب المنجمين.

فصل [: وفاه عصمه خاتون بنت معين الدين زوجه السلطان صلاح الدين]

و فيها توفيت عصمه خاتون بنت معين الدين زوجه السلطان صلاح الدين، و كانت قبله زوجه السلطان نور الدين محمود، و كانت من أعف النساء و أكرمهن و أحزمهن، و لها صدقات و بر عظيم، بنت بدمشق مدرسه لأصحاب أبى حنيفه فى حجر الذهب قريبه من حمام أركش و تعرف بمدرسه خاتون، و بنت للصوفيه رباطا على الشرف القبلى خارج باب النصر على بانياس، و بنت تربه بقاسيون على نهر يزيد و دفنت بها، و وقفت على هذه الأماكن أوقافا كثيره، و كانت وفاتها فى رجب، و بلغ السلطان وفاتها و هو مريض بحران، فتزايد مرضه، و حزن عليها و تأسف و كان يصدر عن رأيها، و مات بعدها أخوها سعد الدين

مسعود بن معين الدين أنر فى هذه السنه، و كان من أكابر الأمراء، زوجه السلطان أخته ربيعه خاتون لما تزوج أخته الخاتون، فلما توفى مسعود بن أنر تزوج ربيعه الخاتون مظفر الدين بن زين الدين.

و فيها توفى محمد بن أسد الدين شيركوه، و لقبه ناصر الدين ابن عم صلاح الدين، كان السلطان يخافه لأنه يدعى أنه أحق بالملک منه، و كان يبلغ السلطان عنه هذا، و كان قد فارق السلطان من حران و جاء إلى حمص، و كان زوج أخت السلطان ست الشام، و كانت وفاته بحمص يوم عرفه بقى يتناثر لحمه، و قيل إنه سم، و قيل مات فجأه فنقلته زوجته ست الشام إلى تربتها بالعوينه شمالى دمشق، فدفنته بها عند أخيها شمس الدوله، و لما بلغ السلطان وفاته أبقى على ولده أسد الدين شيركوه حمص و تدمر و الرحبه و سلميه، اقطاع أبيه، و خلع عليه و كتب له منشورا بها، و الحمد لله وحده و صلى على أشرف خلقه محمد و على آله و صحبه و سلم.

السنه الثانيه و الثمانون و خمسمائه

فصل [: فى قطع السلطان الفرات، و وصوله إلى حلب]

قطع السلطان الفرات، و وصل إلى حلب، و خرج منها يريد الشام فتلقاه أسد الدين صاحب حمص و أخته سفرى خاتون بتل السلطان، و معها الهدايا العظيمه، و سار إلى حمص فأطلق المكوس و أزال الضمانات، و قال لأخيه العادل أبى بكر: اقسم التركه بينهم على فرائض الله تعالى، و كان قد خلف شيركوه و سفرى و زوجته ست الشام، فصعد العادل إلى قلعه حمص و أقام أياما فقسم التركه، و كان قد خلف أموالا عظيمه و جواهر و مناطق الذهب و الفضه، فكان مبلغ التركه ألف ألف دينار، و كان القاضى نجم الدين بن أبى عصرون حاضر القسمه، فقام يوما فوقعت من تحت ذيله منطقه مجوهره، فنسبه العادل إلى ما لا يليق، و كان

نجم الدين منزها عن ذلک، لأنه كان عفيفا جوادا شريف النفس فحلف للعادل أننى ما علمت بها، و صدق، و إنما الحساد و جدوا طريقا للقول.

و فيها دخل سيف الاسلام إلى مكه، و منع من الأذان بحى على خير العمل، و قتل جماعه من العبيد كانوا يؤذون الناس، و أغلق أمير مكه باب البيت و صعد إلى أبى قبيس، فأرسل إليه و طلب المفتاح فامتنع من إنفاذه، فقال سيف الاسلام: قل لصاحبک إن الله نهانا عن أشياء فارتكبناها، و قال النبى صلى الله عليه و سلم: لا تأخذوا المفتاح من بنى شيبه، فنأخذه و نستغفر الله تعالى، فبعث إليه بالمفتاح.

و فيها قسم السلطان البلاد بين أولاده و أهله برأى القاضى الفاضل، فإنه لما مرض أشار عليه بذلک.

و فيها ظهر الخلاف بين الفرنج، و تفرقت كلمتهم، و كان ذلک سببا لسعاده الاسلام.

و فيها غدر البرنس صاحب الكرک، و اسمه أرناط، و كان أخبث الفرنج و أشرهم، فقطع الطريق على قافله جاءت من مصر إلى الشام، و فيها خلق عظيم و مال كثير، فاستولى على الجميع قتلا و أسرا و نهبا، فأرسل إليه السلطان يوبخه على ما فعل، و يقول أين العهود و المواثيق، رد ما أخذت، فلم يلتفت و شن الغارات على المسلمين و فتک فيهم، فنذر السلطان دمه و أقام السلطان بدمشق بتجهز للقاء العدو، و استدعى العساكر من الشرق و الغرب .....

السنه الثالثه و الثمانون و خمسمائه

اشاره

و فيها فتح البيت المقدس، و عكا و حصون الساحل و سببه وقعه حطين، خرج السلطان من دمشق غره المحرم بعساكر الشام فنزل بصرى يرتقب وصول أخته ست الشام و ابنها ابن لاجين، و كان قد بلغه ان البرنس يرتقب وصولهم فخاف من غدره و وصل الحاج فى أواخر المحرم،

و خلا سر السلطان منهم، فسار إلى الكرک فقطع الأشجار، و رعى الزرع، و فعل بالشوبک مثله، و أقام ينتظر عسكر مصر و كان عند مسيره إلى الكرک أمر ولده الأفضل أن ينزل على رأس الماء بطائفه من العسكر، ينتظر باقى عسكر الشرقيه، فأنهض الأفضل طائفه للغاره على طبريه، و جعل مقدم العساكر الشرقيه مظفر الدين بن زين الدين و على عسكر الشام صارم الدين قيماز النجمى فنازلوا طبريه، و تقدم بدر الدين دلدرم مقدم عسكر حلب إلى طبريه، فخرج إليه مقدم الداويه و الاسبتار بجماعه معهم فقاتلوهم فقتلهم دلدرم و أسر بعضهم، و سار إلى صفوريه ففعل كذلک، و عاد بالأسارى إلى الأفضل و هو على شعب الشهاب و جاء السلطان إلى تسيل- قريه غربى نوى- و صعد تلها و عرض العساكر، و سر بما رأى، و اندفع يوم الجمعه سابع عشرين ربيع الأول نحو فيق و رحل الأفضل معه فالتقوا على الأقحوانه، و كان يقصد المسير إلى العدو يوم الجمعه تبركا بأدعيه الخطباء، و خيم على ساحل البحيره فى اثنى عشر ألفا من الفرسان، فأما الرجاله فيقال أنهم كانوا فى ثمانين ألفا بين فارس و راجل، فنزلوا الصفوريه، و تقدم السلطان إلى طبريه فنصب عليها المناجيق، و نقب أسوارها، ففتحها يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر، و تمنعت القلعه عليه و بها الست زوجه القومص، و تقدم الفرنج فنزلوا لوبيه يوم الجمعه عند طلوع الشمس، و ملک المسلمون عليهم الماء، و كان يوم حارا، و التهب الغور عليهم، و أضرم مظفر الدين بن زين الدين النار فى الزرع، و باتوا الليل و المسلمون حولهم، فلما طلع الفجر يوم السبت قاتلوا إلى الظهر، و طلعوا إلى تل حطين و النار تضرم حولهم، فهلكوا و تساقطوا من التل، و كان القومص معهم، فحمل و فتح له السلطان دربا فصعد إلى صفت، و عملت السيوف فى الفرنج قتلا و أسرا، و أسر من الملوک كاى و أخوه جفرى و برنس الكرک و الهنفرى، و صاحب جبيل و بيروت و صيدا، و مقدم الداويه و الاسبتار، و غيرهم و جى ء إلى السلطان بصليب الصبوت، و هو مرصع بالجواهر و اليواقيت فى غلاف من

الذهب، و هو عند النصارى مثل المسيح، و الذى أسر الملک درباس الكردى، و الذى أسر البرنس إبراهيم غلام المهرانى.

فلما رآهم السلطان نزل و سجد لله تعالى، و جاء إلى خيمته فاستدعاهم، فجلس الملک عن يمينه، و برنس الكرک إلى جانب الملک، و نظر السلطان إلى الملک و هو يلهث عطشا، فأمر له بقدح من ثلج و ماء فشرب منه و سقى البرنس، فقال ما أذنت فى سقيه، و كان السلطان قد نذر أن يقتل البرنس بيده، فقال له: غدار حلفت و غدرت و نكثت، و جعل يعدد عليه غدراته، ثم قام إليه فضربه بالسيف على كتفه، و تممه المماليک، و قطعوا رأسه و أطعموا جثته الكلاب.

فلما رآه الملک قتيلا، خاف و طار عقله، فأمنه السلطان، و قال: هذا غدار كذاب، غدر غير مره، ثم عرض السلطان الاسلام على الداويه و الاسبتار فمن أسلم منهم استبقاه، و من لم يسلم قتله، فقتل خلقا عظيما، و بعث بباقى الملوک و الأسارى إلى دمشق إلى الصفى بن القابض، فاعتقل الأعيان فى القلعه، و باع الأسارى بثمن بخس، حتى باع بعض الفقراء أسيرا بنعل فقيل له: هذا ثمن بخس، فقال: أردت هوانهم.

و دخل القاضى ابن أبى عصرون إلى دمشق و صليب الصلبوت منكسا بين يديه، و عاد السلطان إلى طبريه، فأمن صاحبتها، فخرجت بنفسها و مالها إلى عكا، و ولى طبريه قيماز النجمى، و أما القومص فإنه خرج من صفت إلى طرابلس فمات بها.

فقيل انه مات من جراحات كانت به، و قيل إن امرأته سمته، و قيل هذا كان سببا فى هلاک دين النصرانيه و أكثر الشعراء فى هذه الوقعه.

ذكر فتح عكا

و فيها لغتان المد و النسبه إليها عكاوى، و عكه بالهاء.

و سار السلطان من طبريه فنازلها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر،

و ليس بها من يحميها لأن وقعه حطين أبادتهم، و كانوا ثلاثين ألفا، فطلبوا منه الأمان على نفوسهم و ما يقدرون على حمله، فأمنهم و دخلها يوم الجمعه غره جمادى الأولى و بها من الأسارى المسلمين أربعه آلاف، فاستنقذهم و جعل الكنيسه جامعا و ولاها ولده الأفضل، و ولى القضاء و الخطابه و الامامه عبد اللطيف ابن أبى النجيب الشهرزورى، و غنم المسلمون أموالا لا تحصى، و لما دخلوا عكا ركز كل واحد رمحه على دار فأخذها و ما فيها، و أعطى السلطان الفقيه عيسى جميع ما يختص بالداويه، و لم يحضر هذه الفتوح العادل سيف الدين أخو السلطان، فجاء ففتح فى طريقه مجدل يابا و يافا، و حضره الملک العزيز لأنه تقدم مع العسكر المصرى، و مضى إلى مصر، و ما عاد اجتمع بأبيه و فارق أباه فى شعبان، و السلطان على صور.

و كتب العماد الكاتب إلى بغداد كتابا أوله وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصَّالِحُونَ(1) و الحمد لله على انجاز هذا الوعد، و على نصره هذا الدين الحنيف من قبل و من بعد، و جعل من بعد عسر يسرا، و أحدث من بعد أمر أمرا، و هون هذا الأمر الذى ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا، و خوطب النبى بقوله: (و لقد مننا عليک مره أخرى)(2) فالأولى فى عصر النبى صلى الله عليه و سلم و الصحابه، و الأخرى فى هذه الدوله التى عتق فيها من رق الكتابه، و الزمان كهيئته قد استدار، و الحق ببهجته قد استنار، و الكفر قد رد ما عنده من الشعار، و الخادم يشرح من هذا الفتح العظيم، و النصر الكريم، ما يشرح صدور المؤمنين، و يسوء وجوه الكافرين، و يورد من البشرى ما أنعم الله به فى يوم الخميس الثالث و العشرين من ربيع الآخر سلخه، و تلک سبع ليال و ثمانيه أيام حسوما عدموا فيه نفوسا و جسوما،

1- سوره الأنبياء- الآيه: 105.
2- سوره طه- الآيه: 37.

فأصبحوا قد هووا فى الهاويه كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَهٍ(1) و أصبحت البلاد إلى الاسلام ضاحكه، كما كانت بالكفر باكيه ففى يوم الخميس الأول فتحت طبريه، و الجمعه و السبت كانت الكسره التى ما أبقت منهم بقيه لا يقوم لهم بعدها قائمه، وَ كَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِىَ ظالِمَهٌ(2).

و فى يوم الخميس سلخ الشهر فتحت عكه بالأمان، و رفعت بها أعلام الايمان و هى أم البلاد، و أخت إرم ذات العماد، و صليب الصلبوت عندنا مأسور، و قلب الكفر الأسير بخشبه المكسور مكسور، و أنصار الصليب و أعوانه قد أحاطت به يد القبضه، و علق رهنه، فلا يقبل فيه القناطير المقنطره من الذهب و الفضه، و طبريه قد رفعت أعلام الاسلام عليها، و هو خير يوميها، و صارت البيع مساجد يعمرها من يؤمن بالله و اليوم الآخر، و صارت المذابح مواقف لخطباء المنابر، وعد الحصون التى فتحت.

و قال فى آخر الكتاب- و ما يتأخر النهوض إلى البيت المقدس، و هذا أوان فتحه، و قد دام عليه ظلام الضلال، و قد آن أن يسفر الهدى عن صحه السلام.

ذكر ما فتح السلطان فى هذه السنه من بلاد الفرنج و طبريه و عكا

لما فتح عكا راح إلى تبنين، و تسلمها و تسلم صيدا و بيروت و جبيل و غيرها و الداروم و الرمله و يبنا و بيت جبرين و الخليل و عسقلان، فكان بين أخذ الفرنج و بين خلاصها خمس و ثلاثون سنه، لأنهم ملكوها فى جمادى الآخره سنه ثمان و أربعين و خمسمائه، و فوض السلطان القضاء و الخطابه إلى جمال الدين عبد الله بن عمر قاضى اليمن، و تسلم السلطان

1- سوره الحاقه- الآيه: 7.
2- سوره هود- الآيه: 102.

هذه الأماكن فى أربعين يوما، أولها ثامن عشرين جمادى الأولى و آخرها الثامن من رجب.

ذكر فتوح القدس

سار إليه السلطان فنازله يوم الأحد منتصف رجب، و كان المنجمون قد قالوا له: تفتح القدس، و تذهب عينک الواحده، فقال رضيت أن أفتحه و أعمى، و كان قد نزل على غربيه أولا، ثم انتقل إلى شماليه من باب العمود إلى برج الزاويه، و من هذا المكان أخذه الفرنج، و كان مشحوتا بالبطارقه و الخياله و الرجاله ما يزيد على ستين ألفا، غير النساء و الذريه، فنصب عليها المناجيق و آله القتال، و تعلق النقابون بالسور، و قاتل الفرنج قتالا شديدا، فلما رأوا أن المسلمين قد ظهروا عليهم سقط فى أيديهم و أيقنوا بالخذلان، فصاحوا الأمان، فبطل عنهم القتال و استقر الأمر على أن يخرجوا بأنفسهم و أموالهم و ذراريهم، سوى الخيل الحربيه و السلاح، بعد أن يؤدى كل واحد منهم عشره دنانير، و عن المرأه خمسه دنانير، و عن الصبى أربعه دنانير، و عن الطفل دينارا، و من عجز منهم كان رقيقا سيملک، و من أراد من النصارى الإقامه، فليقم و تؤخذ منه الجزيه، و أقر بأيديهم القمامه، و عينوا أماكن يزورونها، و سلموا البلد يوم الجمعه سابع عشرين رجب ليله المعراج، فكان استيلاء الفرنج عليه اثنتين و تسعين سنه لأنهم أخذوه فى سنه إحدى و تسعين و أربعمائه، و فتح فى هذه السنه و هى سنه ثلاث و ثمانين و خمسمائه، و دخل السلطان الصخره و غسلها بالماورد، و قيل غسلها بلحيته و هو يبكى، و محا الصور منها، و كسر الصلبان، و أحرق دار الداويه، و عمر المسجد الأقصى، و فرق الأموال التى أخذها من الفرنج، و كانت نيفا و ثلاثمائه ألف دينار على العلماء و الفقهاء و الصوفيه، و كان قد حضر معه هذا الفتح زهاء على عشره آلاف عمامه من جميع الأجناس، و تطاول جماعه من الأعيان على الخطابه، فذكر السلطان قوله ابن زكى الدين:

و فتحه حلبا بالسيف فى صفرمبشر بفتوح القدس فى رجب

قال الفاضل: إنه أنطق الله السلطان بالغيب، فأعطاه الخطابه و ابن زكى الدين قاضى القضاه بدمشق.

و قال ابن القادسى فى ذيله: إن صلاح الدين خطب بالبيت المقدس، و هو و هم منه، و خلص السلطان من القدس ثلاثه آلاف من أسارى المسلمين، و بعث مع الفرنج الذين كانوا فى القدس من أوصلهم إلى صور، و كان بها مركيس.

قلت: و لقد ضيع السلطان الحزم بتسيير الفرنج إلى صور، و لم ينظر فى عواقب الأمور، فإن اجتماعهم بصور كان سببا لأخذهم البلاد، و قتلهم بعكا من قتلوا من الأعيان و أجناد الاسلام، و قد كان الواجب عرضهم على الاسلام فإن أبوا فالسيف، «و هو أصدق أنباء من الكتب» و أنى و كيف، و ما أشبه هذه القضيه بفديه الأسارى يوم بدر حيث أشار بعض الصحابه بأخذ ذلک القدر، و بعضهم أشار بضرب الرقاب، و ما صدر ذلک الرأى إلا عن صدر، فلا جرم قتل منهم يوم أحد سبعون، و أسر سبعون من المسلمين كما فعلوا يوم بدر بالمشركين.

و كان القاضى الفاضل بدمشق مريضا لم يحضر هذا الفتح، فأمر السلطان العماد الكاتب أن يكتب كتابا إلى بغداد بالفتح، فكتب فى أوله:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً(1)، و الحمد لله الذى أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، و قهر بأهل التوحيد أهل الشرک و الخلاف، و خص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافه، و بذل الأمن به من بعد المخافه، و ادخر هذا الفتح الأسنى و النصر الأهنى لخادم المقام النبوى،

1- سوره النور- الآيه: 24.

و منحه أخلص أوليائه، و أخص أصفيائه بعد أن انقرض من الملوک الماضيه و القرون الخاليه على حسره تمنيه، و فوات ترجيه، و تقاصرت عنه الهمم و تخاذلت عنه ملوک الأمم فلله الحمد الذى حقق بفتحه ما كان فى النفس، و بدل وحشه الكفر فيه من الاسلام بالأنس، و جعل عز يومه ما حيا ذل أمس، و أسكنه العالم و الفقيه بعد البطرک و القس، و عباد الصليب و مستقبلى الشمس، و أخرج أهل يوم الجمعه من أهل يوم الأحد، و قمع من كان يقول بالتثليث أهل قل هو الله أحد، و قد فتح الخادم بأمر الله من الداروم إلى طرابلس، و جميع ما حوت مملكه الفرنج إلى نابلس و غسلت الصخره بدموع الباكين من المؤمنين، و نزع لباس اليأس عنها بإفاضه ثواب المحسنين، و رجع الاسلام غريبه منه إلى داره، و طلع قمر الهدى من سراره، و عادت الأرض المقدسه إلى ما كانت عليه من التقديس، و أمنت المخاوف بها، و فيها، فصارت صباح السرى، و مناخ التعريس، و أقصى من المسجد الأقصى من الله الأبعدون، و توافد إليه المصطفون المقربون، و خرس الناقوس برحيل المسيحيين، و خرج المفسدون بدخول المصلحين، و قال المحراب لأهله: مرحبا و أهلا، و رفعت الأعلام الاسلاميه على منبره فأخذت من بره أوفى نصيب، و تلت بألسنه عزتها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ(1)، و غسلت الصخره بدموع المتقين من دنس الكافرين، و أبعد أهل الالحاد من قربها بقرب الموحدين.

و ذكر بها مانسى من عهد المعراج النبوى و الاعجاز المحمدى، و عاد الاسلام بإسلام البيت المقدس إلى تقديسه، و رجع بيت الله من التقوى إلى تأسيسه، و ذكر العماد فصولا فى هذا المعنى.

فصل [: فى مسير السلطان إلى صور]

و فى شعبان سار السلطان إلى صور فوصلها غره رمضان فوجدها مدينه حصينه، و هى فى البحر مثل السفينه، و البحر محيط بها، من

1- سوره الصف- الآيه: 13.

جوانبها و ليس لها طريق فى البر إلا من مكان واحد فيه سبعه أبراج، و به المركيس، و كان شجاعا حازما، و قد انضوى إليه جميع من كان بالقدس و الساحل من الفرنج، و أقام السلطان ينتظر الاصطول من مصر، فوصل فقاتلهم فى البر و البحر، و اتفق أن الاصطول غفل ليله فكبسه الفرنج فأخذوا المراكب، و رمى بعضهم نفسه فى البحر، فتأخر السلطان فى سلخ شوال، و وصل إليه من بغداد تاج الدين أبو بكر حامد أخو العماد الكاتب، فالتقاه السلطان و أكرمه، و كان معه رساله تذكره مشحونه بالعتاب على أسباب، منها: ان الخليفه عتبه لأجل ابن البوشنجى و يلقب بالرشيد، و كان صبيا ببغداد، و لا يؤبه له فخرج إلى الشام، و اتصل بصلاح الدين، و قيل له هذا من بيت كبير ....

السنه السادسه و الثمانون و خمسمائه

اشاره

و فى سابع المحرم دخل ألب أرسلان بن السلطان طغريل إلى بغداد و هو صبى صغير و عليه كفن و بيده سيف مشهور كأنه يطلب عفو الخليفه و جاء فنزل بباب النوبى، و باس العتبه فبكى أهل بغداد، ورق له الخليفه، و أنزله دار ابن العطار مقابل المخزن، و أكرمه و أحسن نزله، و عفا عن جرائم أبيه و ما فعل ابن يونس، و استدعاه إلى باب الحجره و خلع عليه خلعه السلطنه، و طوقه بطوق من ذهب، و اجتمع بولى العهد أبى نصر محمد.

و فيها تسلم الخليفه قلعه الحديثه، بعد حصار كثير، و فيها بنى الخليفه دار الفلک، و رتب فيها ابنه السيد العلوى، و يقال لها ست الجدود.

و أما حديث السلطان، فإن هذه السنه دخلت و هو مرابط على الخروبه، و فى ربيع الآخر تسلم شقيف أرنون بالأمان بعد الحصار الطويل، و ضيق على صاحبها أرناط، بدمشق فسلمه، و مضى إلى صور، و فى هذا الشهر قدمت العساكر الاسلاميه على السلطان، و فيهم الملک الظاهر صاحب حلب، و أسد الدين شيركوه صاحب حمص، و سابق

الدين عثمان صاحب شيزر، و عز الدين إبراهيم ابن المقدم و غيرهم، فتقدم السلطان إلى تل كيسان و عزم على لقاء الفرنج، و قد وصل رسول الخليفه فخر الدين نقيب العلويين بمشهد التين و معه خمسه أحمال نفط، و توقيع بعشرين ألف دينار تقترض من التجار على الخليفه فشق على السلطان و قال: أنا فى يوم واحد أخرج مثل هذا و أضعافه، و ما أنا مضطر، ورد عليه الجميع، فأشار عليه بعض أصحابه بأخذ النفط للغزاه فأخذه، ورد التوقيع، و قال: يرحم الله العاضد وصل إلى منه فى عشرين يوما بمقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار، و مثلها عروض.

حديث حريق الأبراج

كان للافرنج ثلاثه أبراج من الخشب و الحديد، و ألبسوها جلود البقر المسقاه بالخل و الخمر لئلا تعمل فيها النار، و طموا خندق عكا، و سحبوا الأبراج على العجل إلى السور، فأقبلت مثل الجبال، و أشرفت على البلد، و فى كل برج خمسمائه مقاتل، فأيس المسلمون من البلد، و قد حيل بينهم و بين السلطان، و العساكر، و اجتهدوا فى الوصول إلى البلد فلم يقدروا، و رماهم الزراقون الذين فى البلد بالنفط فلم يحترق منها شى ء، و كان بعكا شاب دمشقى يقال له ابن النحاس، ليس له فى الديوان اسم، و كان عارفا بالنفط و الحريق، فهيأ ثلاثه قدور، و قال لقراقوش: انصب لى منجنيقا، فانتهره و قال: قد عجز الصناع فمن أنت؟ فقال: قد عملت قدورا لله تعالى و ما أريد منكم شيئا، و ما يضركم أن أرمى بها فى سبيل الله، فإن نفعت و إلا فاحسبنى واحدا منهم، فقال قراقوش: ما يضرنا ذلک، ثم نصب له المنجنيق فرمى قدره واحده فى البرج، فاحترق بمن فيه، ثم فعل ذلک بالثانى و الثالث فكبر المسلمون و سمع السلطان و كبر العساكر، و فرح قراقوش و الأمراء و طموه بالخلع و الأموال، فلم يأخذ منها شيئا، و قال: أنا فعلت هذا لله تعالى، و كان ذلک صبيحه يوم الجمعه العشرين من ربيع الأول.

قلت و قد اجتمعت بابن النحاس فى حلب سنه ثلاث و ستمائه و حكى لى صوره الحريق، و كان يحضر مجالسى، فطاب قلبه يوما فقال للناس: اشهدوا أن نصف ثوابى فى حريق الأبراج لفلان عنى.

و بعد يومين من حريق الأبراج وصل عماد الدين زنكى صاحب سنجار إلى خدمه السلطان، فالتقاه و تعانقا و سار به السلطان إلى خيمته، فترجل عماد الدين قبل السلطان و مشى فى خدمته بمقدار ما لبس السلطان زرموجته، و دخل السلطان الخيمه، و قدم له السلطان من الطرف ما يقدم لمثله و بسط له الثياب الأطلس، فمشى عليها، و أنزله فى طرف الميسره.

حديث ملك الألمان

و فى هذه السنه قطع الألمان خليج القسطنطينيه إلى بلاد قليج أرسلان فى ستمائه ألف جاؤوا من أفرنجه، فخاف منهم ملك القسطنطينيه، فقالوا: لا تخف نحن ما جئنا إلا لنخلص القدس، و صليب الصلبوت، و نملك بلاد المسلمين، فلما دخلوا بلاد قليج أرسلان لم يكن له بهم طاقه فاحتاج إلى مسالمتهم، و كتب إلى السلطان يعتذر بالعجز عنهم، و ساروا طالبين و وقع فيهم الوباء، فدفنوا كثيرا من سلاحهم ظنا منهم إذا عادوا أخذوها، فهلكوا، و أخذ المسلمون ما دفنوه، و وصلوا إلى نهر طرسوس فتخلص منهم ابن ليون بقلاعه لأنه أرمنى، و هم روم فأراد الملک أن يسبح، و كان ماؤه باردا فنهوه، و قالوا: لا تفعل فأنت متعوب، فقال: لابد فسبح فأخذته الحمى، فأقاموا على النهر بسببه، فأوصى إلى ولده الذى كان فى صحبته و مات، فسلقوه فى خل و حملوا عظامه ليدفنوه فى القدس.

و لما مات اختلفوا على ولده، لأنه كان له آخر أكبر منه فكانوا يميلون إليه، فتأخر عنه أكثرهم، و دخل أنطاكيه فى جيش قليل، و سأل البرنس

أن يخلى له القلعه ليضع أمواله و أثقاله فيها، و كان فى البرنس خبره فأجابه إلى ذلک ظنا منه أنه لا يتفق عوده إليها، و كان كما ظن ما عاد، و أخذ البرنس الجميع.

ثم سار إلى طرابلس، و جعل أهل الجبال يقتلونهم و ينهبونهم، فما وصلوا طرابلس إلا فى نفر يسير، فأقاموا أياما، و ساروا إلى عكا فلقيهم الافرنج و استبشروا بهم، و وصل رسول ملک القسطنطينيه يعتذر إلى السلطان من الروم، و كان صديق السلطان، و أنه خطب للخليفه و السلطان بقسطنطينيه، و انقطعت أخبار عكا عن السلطان، فندب أقواما للسباحه و أعطاهم المال فى أوساطهم، و الطيور فى أعابهم فترد الأخبار، ثم احترز الفرنج بعد ذلک بشباک نصبوها فى المساقاه، فإذا جاء سابح وقع فيها، فامتنع الناس.

و بعث قراقوش يشكو قله الميره، فرتب لهم السلطان بطسه كبيره و جعل فيها نصارى من أهل بيروت كانوا قد أسلموا، فقال: ارفعوا الصلبان على البطسه كأنكم قاصدين الفرنج، ففعلوا ذلک، فخرج إليهم الفرنج فى الشوانى، فقالوا: نراكم قاصدين البلد، فقالوا: ما أخذتموه بعد؟ قالوا: لا، فقالوا: وراءنا بطسه أخرى ردوها عن البلد، فذهبوا، عنهم، فردوا القلوع إلى البلد و دخلوا الميناء، و كبر المسلمون و امتاروا أياما.

و أما ابن ملک الألمان فإنه أعد دبابه عظيمه، فدخل تحتها ألوف من الناس، و لها رأس عظيم برقبه طويله إذا نطحت السور دخلت فيه و هدمته، و عمل بطسه لها خرطوم طويل، إذا أرادوا قلب السور انقلب بالحركات، و زحفوا إلى برج الذبان، فأحرق المسلمون جميع ذلک، و طلبت العساكر الشرقيه العود إلى بلادها، فقال السلطان: فى هذه الحاله اصبروا إلى زمان الشتاء، فأما عماد الدين صاحب سنجار فأقام و أما سنجر شاه صاحب الجزيره، فأصر على الرحيل، و دخل على

السلطان فقبل يده، و سار من ساعته، و كتب السلطان وراءه كتابا يقول فيه، و فى أوله كلاما منه:

من ضاع مثلى من يديه فليت شعرى ما استفادا

فقرأ الكتاب و لم يلتفت، و سار فلقيه تقى الدين عند عقبه فيق، فقال له: إلى أين؟ فأخبره فقال: ارجع، فقال: ما أرجع، و كان تقى الدين مقداما فقال: ارجع يا صبى و إلا رجعت مقهورا فرجع فسأل تقى الدين السلطان فعفا عنه.

و فيها كتب السلطان إلى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أمير الغرب، كتابا يستنجد به على يد شمس الدين بن منقذ، و دخل فصل الشتاء فأعطى السلطان العساكر دستورا و أقام فى نفر يسير.

و فى ذى الحجه مات ابن ملک الألمان، و استشهد بعكا جماعه، منهم جمال الدين محمد بن أرككز خرج فى شانى يقاتل، فاحتاطت به مراكب الفرنج و عرضوا عليه الأمان، فقال ما أضع يدى إلا فى يد مقدمكم الكبير، فجاء إليه المقدم الكبير، فأخذ بيده و عانقه و ألقى نفسه و إياه فى البحر فغرقا.

و فيها تسلم صلاح الدين الشوبک بعد حصار شديد بالأمان، و فيها ملک سيف الدين صنعاء، و أعطاها لولده شمس الملوک الذى ادعى الخلافه، و حج بالناس من بغداد طاشتكين .....

و فيها توفى يوسف بن على بن بكتكين صاحب إربل، و لقبه زين الدين و هو أخو مظفر الدين، و زين الدين، كان عند السلطان فى هذه السنه على الخروبه، فمرض فى رمضان، فارتحل من الخروبه إلى الناصره، فأقام يمرض نفسه، و كان عنده أخوه مظفر الدين يمرضه فيقال إنه سقاه سما فمات، و ظهرت على مظفر الدين أمارات ذلک، فإنه لم يكترث بموته، و لا تأسف عليه، و بلغ السلطان فحزن عليه

و بکی لأنه صاحبه و مصافیه و شاکره و داعیه، و حزن المسلمون علیه لمکان عفته و شبابه و غربته.

و قال العماد: اتینا مظفر الدین نعزیه ظنا منا أنه قد حزن علیه حزن الأخ علی أخیه، فکأننا جئنا نهنئه، و إذا به مشغول عن العزاء بحیازه أمواله و أسبابه، و القبض علی عماله و کتابه، ثم أرسل مظفر الدین إلی السلطان یطلب منه إربل و ینزل عن حران و الرها، فأجابه إلی ذلک، و سأله کتابا إلی صاحب إربل فی هذا المعنی، و الله تعالی أعلم.

السنه السابعه و الثمانون و خمسمائه

اشاره

و فیها استیلاء الفرنج علی عکا، اشتد علیها الحصار فی جمادی الآخره، و طم الفرنج الخنادق، و نصبوا المناجیق و الدبابات و السلالم، و مل المسلمون من السهر و التعب و القتال و کثرت فیهم الجراح، و کان الفرنج قد صنعوا تلا من تراب یقدمونه یسیرا یسیرا و یقاتلون من ورائه، لأن المسلمین أحرقوا أبراجهم و مناجیقهم و دباباتهم، فعملوا هذا التل و شرفوه، فصار للمقاتله مثل الحائط، و جاء کتاب أهل عکا إلی السلطان یقولون قد عجزنا و ما بقی إلا طلب الأمان و التسلیم، فلم یرد علی السلطان خبر أشد من ذلک، لأنه کان قد نقل إلی عکا جمیع سلاح الساحل و القدس و دمشق و حلب و مصر، فقال: إنی هاجم علی القوم من البر و یخرج المسلمون من البلد، فقالوا: ما هذا مصلحه فقد نری ما بین أیدینا من الخنادق و الرجاله کالسور، و بعدهم الخیاله، و هم أضعاف عددنا، و لم یوافقوه، و لما کان یوم الجمعه سابع عشر رجب، و السلطان قد رکب و العساکر بأسرها، و إذا بأعلام الفرنج قد ظهرت علی عکا وقت الظهر، و صاح الفرنج صیحه عظیمه، و طلع علم علی القلعه و آخر علی مأذنه الجامع، و ملأوا الأبراج بالأعلام، و دخلوا عکا و أسروا من کان بها، و استولوا علی جمیع ما کان فیها، و کانوا قبل ذلک قرروا علی أهلها مائتی ألف دینار، و ألفی أسیر، و صلیب الصلبوت، و یخرج

من بها من المسلمين سالمين بأموالهم و أهلهم، و أخبروا السلطان، فأجابهم، فقال الفرنج: سلموا إلينا المال و الأسارى، و اقنعوا بأماننا حتى نسلم إليكم أصحابكم، فقال السلطان: و أى أمانه لكم، و نخاف من غدركم، و البلد و ما فيه قد صار بأيديكم، و توقف الحال.

فلما كان يوم السبت سابع عشرين رجب خرج الفرنج من عكا، و وقفوا وسط المرج بين تل كيسان و العياضيه، و أحضروا المسلمين موثقين فى الحبال، و كانوا زهاء عن سته آلاف مسلم، و حملوا عليهم حمله رجل واحد ضربا و طعنا، فقتلوهم فنزل المسلمون يشاهدونهم و لا يعلمون ما يصنعون بهم لبعدهم عنهم، فعادوا و أخبروا السلطان فبكى بكاء شديدا، و يقال انه لطم على رأسه و نتف لحيته، و وقع العويل و البكاء فى العسكر، و رحل السلطان من منزله.

ذكر ما جرى بعد انفصال أمر عكا

و لما كان غره شعبان يوم الأحد رحل الفرنج من عكا و مقدمهم الانكلتار، و كان ملكا عظيما، فسار فى البر بالفارس و الراجل، و المراكب فى البحر، و معهم فيها أزوادهم، فنزلوا على نهر القصب، و كانوا ثلاثه أقسام: الملك العتيق و اسمه كاى فى المقدمه مع الساحليه، و الانكلتار و الفرنسيسيه معه فى الوسط و أولاد الست أصحاب طبريه فى الساقه و السلطان فى أعراضهم، و جرى بينهم قتال على نهر القصب قتل فيه أياز الطويل، مملوك السلطان، و كان فارسا عظيما فى دبوسه عشره أرطال حديد، و كان يضرب الفارس و يهشمه، فقاتل فى ذلک اليوم قتالا عظيما، و قتل من الفرنج جماعه، فتقنطر به فرسه فقتلوه، فحزن السلطان عليه و دفن على تل عال مشرف على بركه.

و طلب الانكلتار الاجتماع بالملک العادل سيف الدين، و ركبا كل واحد فى نفر يسير فقال له الانكلتار: إنما جئنا لنصره أفرنج الساحل،

فردوا عليهم ما أخذتم، و احقنوا دماء الفريقين، فقال العادل: حتى اجتمع بالسلطان.

ذكر وقعه أرسوف

لما كان السبت رابع عشر شعبان أصبح الفرنج على نصبه، وصف السلطان عساكره، فاندفع جماعه من المسلمين، و ثبت العادل و قيماز النجمى و عسكر الموصل و كان مقدمهم خرم شاه و لقبه علاء الدين ولد عز الدين مسعود، فلقبه السلطان فى ذلک بالملک السعيد، ثم غارت عليهم عساكر المسلمين، فولا حيطان أرسوف لحل بهم الحتوف.

و ذكر محمد بن القادسى فى ذيله و قال: انهزم صلاح الدين فى ذلک اليوم و رجع فى عسكر الموصل، و كانوا فوارس.

و قد حكى القاضى ابن شداد، و كان حاضرها، و ليس المخبر كالمعاين، فقال: ما انهزم السلطان، إنما بقى فى سبعه رجال، و أعلامه واقفه و كوساته تخفق، فلما رأى ما نزل بالمسلمين، صاح فيهم و حرضهم، و وقف فى ظلته، فلما رآه الناس فى ظلته ثابتا أتت العساكر إليه، فتراجع الفرنج إلى منزلته، و قتل من الفريقين جماعه، و أما قول ابن القادسى إنه قتل من الانكلتار مائه ألف و أربعين ألفا، فإن الفرنج ما بلغت عدتهم يوم أرسوف ثلاثين ألفا، قال القاضى: قتل منهم خمسون افرنجيا و قيل أقل.

حديث خراب عسقلان

و سار السلطان من أرسوف، فنزل عسقلان، فأجمع الأمراء على خرابها، فبكى السلطان على خرابها، و قال: إن فقد أولادى أهون على من خرابها، أو أن أنقض منها حجرا، فقالوا: اخربها و الا جرى عليها ما جرى على عكا، و هذه بين يافا و القدس، و لا يمكن حفظ الموضعين، و اختر أيهما شى ء، و جاء الخبر نزول الفرنج على يافا، فأمر بخرابها، و كان

فيها شى ء كثير فأجابه المسلمون فنهبوها، و أخربوا بعض السور و السلطان يبكى و ينتحب، و بعث الانكلتار يعرض على العادل أن يزوجه بأخته، فأجاب العادل، فاجتمعوا و أوقفوا الأمر، و قالوا: إن تنصر العادل و دخل فى دينها، و إلا غضب المسيح على الانكلتار، فتوقف الحال على ما ذكر الأقساء، و كان الانكلتار يجتمع بالعادل فى كل وقت، و يتهاديان، و كان خديعه من الاثنين، و بعث الانكلتار إلى السلطان يقول: لابد من القدس، و صليب الصلبوت فادفعهما إلينا و لک من قاطع الأردن إلى ناحيه الشرق، فقال السلطان: أما القدس فهو أعظم عندنا مما هو عندكم، انه مسرى نبينا صلى الله عليه و سلم، و مجمع الملائكه، فلا يتيسر ان ننزل عنه، و أما صليب الصلبوت فهلاكه عندنا قربه عظيمه فلا يجوز أن نفرط فيه إلا لمصلحه راجعه إلى الاسلام هى أوفى منه، فقال الانكلتار للعادل: اجمع بينى و بين السلطان، فقال: الملوک إذا اجتمعوا تقبح الحرب بينهم بعد ذلک، فإذا انتظم الصلح حسن الاجتماع، و عاد الفرنج إلى الرمله، و طلع السلطان إلى القدس فى ذى القعده، و أخذ فى تحصينه، و شرع ينقل الحجاره هو و أولاده، على أكتافهم و أمراؤه و أجناده، و القضاه و الفقراء و العلماء، و العامه و الخاصه.

و فيها عزل السلطان أبا حامد محمد بن عبد الله بن أبى عصرون عن قضاء دمشق، و ولى محيى الدين بن زكى الدين، قالوا، سبب عزل ابن أبى عصرون عن قضاء دمشق مداخلته الجند، و اشتغاله بما اشتغل به الأمراء من اتخاذ الخيول و المماليک و البرک، و مباشره الحروب، و معامله الأمراء و مداينتهم، فتبرم السلطان منه و عزله، و فيها حج بالناس من بغداد طاشتكين.

فصل [: فى وفاه أسعد بن المطران الطبيب، الملقب بالموفق]

و فيها توفى أسعد بن المطران الطبيب، و يلقب بالموفق، و كان نصرانيا أسلم على يد السلطان، و كان غزير المروءه، حسن الأخلاق كريم

العشره جوادا مهيبا متعصبا للناس عند السلطان، و يقضى حوائجهم، و كان قد صحبه صبى من المسلمين اسمه عمر، و كان حسن الصوره فأحسن إليه، و كان الموفق يحب أهل البيت، و يبغض ابن عنين الشاعر لخبث لسانه و لقبح هجائه و ثلبه لأغراض الناس، و يحرض السلطان على نفيه من البلاد، و قال اليس هو القائل:

سلطاننا أعرج و كاتبه أعمش و الوزير منحدب

فهجاه ابن عنين و قال:

قالوا الموفق شيعى فقلت لهم هذا خلاف الذى للناس منه ظهر

فكيف يجعل دين الرفض مذهبه و ما دعاه إلى الاسلام غير عمر

و كان الموفق يعود الفقراء المرضى، و يحمل إليهم من عنده الأشربه و الأدويه حتى أجره الحمام، و زوجه السلطان بجاريه له يقال لها جوره، و كانت من حظايا السلطان، و نقل معها جهازا عظيما، و قال ليله عرسها احملوا إليه المطبخ، فنزل الموفق جامع دمشق ليصلى العصر، فجاء إليه صوفيه الخانكاه و طلبوا منه سماعا بالخانكاه، فقال: سمعا و طاعه، و قام فدخل إلى الخانكاه الصميصاطى و استدعى مطبخ السلطان من دار العقيقى، و أحضر المغانى و الحلاوه الكثيره إلى الخانكاه، و نزلت العروس مع حظايا السلطان إلى دار العقيقى، فأقمن طول الليل، و هو عند الصوفيه، و هم يرقصون، و ما علموا أنها ليله عرسه فاستحى أن يعرفهم، فلما كان فى آخر الليل قيل للصوفيه: ايش عملتم الرجل الليله عريس على جاريه السلطان، و الساعه يبلغ السلطان فيغضب فجاؤوا إليه بأجمعهم، و اعتذروا و سألوه أن يمضى فقال: لا و الله إلى الصباح، و بلغ السلطان فقال: ألام على هذا و تقريبه، فكانت وفاته فى ربيع الأول بدمشق، و دفن بقاسيون على قارعه الطريق عند دار زوجته جوره، و لما مات اشترت زوجته دارا و بنت إلى جنبها مسجدا، و بنت له تربه و هى

تعرف اليوم بتربه جوره و لما قدمت الشام سنه ثلاث و ستمائه كانت جوره، باقيه و كانت صالحه عابده.

فصل [: فى وفاه القاضى أبو القاسم قاضى حماه]

و فيها توفى القاضى أبو القاسم قاضى حماه، و اسمه الحسين، بن حمزه ابن الحسين كان فاضلا جوادا سمحا لا ينزل قدره عن النار، يضيف الخلائق من الخاص و العام، و ما اجتمع أحد بحماه من الأكابر إلا و أضافه، و كان صلاح الدين يحبه، و كذا العادل و تقى الدين، و بلغنى أن العادل اجتاز بحماه فأرسل إلى القاضى يقول له: أريد الحمام خلوه، فأخلاه فما خرج العادل من الحمام إلا و قد جهز له من الفواكه، و كان قد تزوج بدمشق خطلخ خاتون بنت سودكين فأولدها ابنه و سماها زينب و مات القاضى و هى صغيره، فلما بلغت تزوجها رجل من أهل حماه يقال له اسماعيل بن العرباض، ثم مات عنها، قلت فتزوجتها فى سنه عشرين و ستمائه و توفيت فى سنه ثلاث و أربعين و ستمائه و أنا ببغداد، فدفنوها بتربتى بقاسيون، و خلف أبو القاسم ولدا ذكرا، و للولد أولاد، و مات القاضى و هو على قضاء حماه رحمه الله تعالى.

و فيها توفى الأمير سليمان بن جندر من أكابر أمراء حلب و مشايخ الدولتين النوريه و الصلاحيه، و هو والد صديقنا علم الدين بن سليمان، و شهد سليمان مع السلطان حروبه كلها، و هو الذى أشار بخراب عسقلان لتتوفر العنايه على حفظ القدس، و لما صعد السلطان إلى القدس مرض سليمان فطلب المسير إلى حلب فأذن له السلطان، فسار فتوفى بغباغب فى أواخر ذى الحجه و حمل إلى حلب فدفن بها.

و فيها توفى حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، ابن أخت صلاح الدين صاحب نابلس، و اسمها ست الشام، و كان شجاعا مقداما جوادا، توفى ليله الجمعه تاسع رمضان بدمشق، و بينه و بين وفاه تقى

الدين ساعات، ففجع السلطان بابن أخيه و ابن اخته فى يوم واحد، و دفن بالتربه التى أنشأتها والدته بالعوينه بظاهر دمشق.

و فيها توفى الصفى بن القابض وزير صلاح الدين، و اسمه نصر الله، و كان قد خدم السلطان لما كان بشحنكيه دمشق، و أمده بالمال، فرأى له ذلک فلما ملک استوزره، و كان شجاعا ثقه دينا أمينا، فلما نزل الفرنج داريا، و السلطان فى الشرق جمع من أهل دمشق سوادا عظيما، و خرج إلى ظاهر البلد، فظنوهم عسكرا فرحلوا و كان كثير المعروف، و كتب أملاكه لمماليكه لأنه لم يكن له ولدا، و بنى بالعقيقه مسجدا و دفن به فى رجب، و يعرف اليوم بمسجد الصفى ....

السنه الثامنه و الثمانون و خمسمائه

اشاره

و فيها فى ربيع الأول ولى جدى مدرسه الشيخ عبد القادر، فذكر الدرس بها.

و قال ابن القادسى: و فى جمادى الأولى جلس الشيخ أبو الفرج بن الجوزى عند تربه أم الخليفه المجاوره لمعروف الكرخى، فتاب مائه و ثلاثون شخصا و مات ثلاثه فى المجلس بوجدهم.

و فيها حبس الخليفه طاشتكين أمير الحاج، و كان فى قلبه مه من نوبه ابن يونس و تقصيره فى القتال، و نقل إلى الخليفه انه يكاتب صلاح الدين، و كبر عنه ابن يونس، فاعتقله تحت التاج و اختفى خبره بحيث أقام سنين لم يطلع له على خبر.

و فيها كانت نوبه الخويلفه، و كان السلطان قد كتب إلى مصر يستدعى العساكر، فاجتمع على بلبيس خلق عظيم و قافله عظيمه فيها أموال الدنيا، و كان الانكلتار يترقب مجيئهم فبعث السلطان يحذرهم و قال ابعدوا فى البريه، و بلغ الانكلتار قربهم، فركب من تل الصافيه فى ألف فارس مردفين بألف راجل، و ساروا حتى نزلوا ماء يقال له الحسى،

و جاء الانكلتار فكبسهم بغته قبيل الصبح و هم غارون، فالسعيد من نجا بنفسه، و كانت نوبه لم يجر مثلها فى الاسلام، ساقوا من الجمال ثلاثه آلاف جمل، و من الخيل ألفا و خمسمائه فرس، و من البغال مثلها، و من المسلمين خمسمائه أسير، و من العين ألفا ألف دينار، و من الثياب مثلها، و كان فى القافله فلک الدين أخو العادل لأمه، فنجا على فرسه و عاد الفرنج إلى تل الصافيه فى سادس عشر جمادى الآخره و بلغ السلطان فأسقط فى يده و قال: الأمر لله.

و لما حصل ذلک بيد الافرنج، عزموا على قصد مصر، ثم عدلوا إلى القدس، و بعث الانكلتار إلى البلاد الساحليه، فاستدعى الفارس و الراجل، فجاءه خلق عظيم، فسار من الرمله إلى بيت نوبه، و وصل الانكلتار إلى القبيبه فى نفر يسير، و شاهد القدس، و عاد إلى بيت نوبه.

و كان السلطان فى القدس، فشاور الأمراء، و قال: أنتم جند الاسلام و منعته و دماء المسلمين و أموالهم و أهاليهم متعلقه بكم، فإن خفتم طووا البلاد طيا، و كنتم المطالبين بذلک، فقالوا: نحن مماليکک و ما تطير رؤوسنا إلا بين يديک، و افترقوا على هذا، فلما كان فى الغد اختلفوا فقال بعضهم: ما نقيم حتى يكون السلطان معنا، نخاف أن يجرى علينا ما جرى على أهل عكا.

و بلغ السلطان فبعث إليهم يقول: هذا مجد الدين فرخشاه ابن أخى يكون عندكم، و أكون أنا من وراء أذب عنكم، فقالوا: ما هذا برأى و انما نخرج و نصدقهم الحمله، فإن قهرناهم و إلا نسلم العسكر و نمضى إلى دمشق، فعز عليه ذلک خوفا على القدس و من فيه من المسلمين، و بات ليله الجمعه ساهرا باكيا متضرعا، و بعث بالصدقات إلى الفقراء، و طلع الفجر فجلس إلى الضحى يدعو و مضى إلى المسجد الأقصى، فدخل المقصوره و سجد و بكى و تضرع إلى الله تعالى.

و كان جرديک فى اليزک، فجاءت منه رقعه يقول: قد ركبوا بأسرهم،

و بات السلطان ليله السبت قلقا لم يعرف المنام، فلما طلع الصباح جاء جرديک مسرعا فقال السلطان: يهنيک رحلوا نحو الرمله، فسجد السلطان و انكشفت أخبارهم، و سبب رحيلهم ذلک لأن السلطان كان أمر بطم الصهاريج و الآبار التى كانت حول القدس، فقال لهم الانكلتار: و من أين نشرب؟ قالوا: من العيون التى حول القدس، فقال يتخطفوننا فحكموا منهم ثلاثمائه من علمائهم، و حكم الثلاث مائه اثنى عشر، و حكم الاثنا عشر ثلاثه على عادتهم فى النوازل، فباتوا يتشاورون فترجح عندهم الرحيل، و قالوا: السلطان حاضر، و معه العساكر، فارحلوا فرحلوا طالبين عكا، و كانوا قد أخذوا يافا و حصنوها.

فأقام السلطان بالقدس حتى تيقن وصولهم إلى عكا، فخرج فنزل على يافا و حصرها و تعلق النقابون فى الأسوار، و ملک المدينه و أشرفوا على أخذ القلعه فصاح أهلها الأمان، و نهب المسلمون البلد فوقف مماليک السلطان على الأبواب كل من خرج و معه شى ء أخذوه، و عز ذلک على الأمراء و الأكراد، و سلموا القلعه، و بعث السلطان لها جماعه من أصحابه و بقى فيه من الفرنج أربعون رجلا، فبينماهم على ذلک إذ لاحت مراكب يسيره، فرأوا علم السلطان عليها فظنوا أنه قد أخذها فتوقفوا، و قويت نفوس الفرنج الذين فى القلعه، و علموا أنها مراكب الانكلتار فرمى واحد نفسه فى الماء، و سبح إليهم و قال: تقدموا فأرسوا إلى المينا، و كانت خمسه و ثلاثين مركبا، و وصل الانكلتار، فهرب المسلمون من البلد و تأخر السلطان إلى يازور، و جاء الانكلتار فنزل فى منزله السلطان، و لم يكن معه سوى عشرين فارسا، و ثلاثمائه راجل، و عشرين خيمه، و السلطان فى ألوف، فبعث إلى السلطان يقول: أنت سلطان عظيم، و معک هذا الجيش الكثير، و معظم عساكر المسلمين، فكيف رحلت عن منزلتک عند وصولى، و ليس عندى أحد، و لا طلعت من البحر إلا بزربولى؟! فغضب السلطان، و بات على غضب، فلما

أصبح ركب و ركبت العساكر و الانكلتار نازل على حاله لم يصل إليه من الفرنج أحد، فحمل إليه المسلمون، و هو فى عشرين فارسا و ثلاثمائه راجل، فلم يتحرک، فعظم على السلطان و صاح بالأطلاب: و يحكم و كم معه و أنتم عشره آلاف و زياده، فلم يجبه أحد و قال له الجناح أخو المشطوب: قل لعلوقک الذين ضربوا الناس بالأمس و أخذوا كسبهم، و يقال ان الانكلتار أخذ رمحه و حمل من طرف الميمنه إلى طرف الميسره، فلم يعترض أحد و ساق السلطان من حينه إلى النطرون.

و نزل فى خيمه صغيره وحده و انفرد، و لم يتجاسر أحد أن يكلمه، و جاءت رسل الانكلتار إلى السلطان يقول: قد هلكنا نحن و أنتم و ما طلبت الصلح لتقصير و ضعف منى بل حرصا على المصلحه العائد نفعها علينا و عليكم.

ثم وقع الاتفاق على أن البلاد الساحليه التى بأيدى الفرنج هى لهم، و البلاد الجبليه التى فيها القلاع تبقى بأيدى المسلمين، و ما بين العملين يكون مناصفه، و اختلفوا فى عسقلان، ثم اتفقوا انها تكون للفرنج خرابا لا تعمر، و أعطاهم السلطان القمامه، و كتبوا كتاب الصلح، و اتفقوا و لم يؤاخذ السلطان الجناح بل عفا عنه، و كان عفوه من كمال عفو السلطان، لأن الناس كلوا و ملوا و علتهم الديون و ذلوا، و خاف السلطان أيضا على البيت المقدس، و انعقد الصلح، و ارتفعت أصوات الفريقين و ضجوا فرحا و سرورا، و كان يوما عظيما، و اختلط الفريقان و زال بينهم الشنآن، و سار الانكلتار فى البحر طالبا بلاده، فمات قبل أن يصل إليها، و عاد السلطان إلى دمشق، و عزم على الحج فقيل له: البلاد خراب، و ما نأمن من غدر الفرنج فتوقف.

فصل [: فى إخبار السلطان بأن ثلاثه أنهار من الحبشه تغيرت، كانت عذبه فصار الواحد أجاجا، و الآخر لبنا و الثالث دما.]

و وصل إلى السلطان كتاب فى غره السنه من اليمن أن ثلاثه أنهار من الحبشه تغيرت، كانت عذبه فصار الواحد أجاجا، و الآخر لبنا و الثالث دما.

و حج بالناس من بغداد فلک الدین، و من الشام درباس الکردی.

فصل [: فی وفاه سنان بن سلیمان، صاحب الدعوه بقلاع الشام]

و فیها توفی سنان بن سلیمان، صاحب الدعوه بقلاع الشام، و أصله من البصره، و کان فی حصن ألموت، فرأی منه صاحب الأمر فی تلک البلاد نجابه و شهامه و یقظه، فسیره إلی حصون الشام، و کانت له معرفه و سیاسه و حذق فی استجلاب القلوب، و کان مجیئه إلی الشام فی أیام نور الدین محمود، فأقام والیا ثلاثین سنه، و جرت له مع السلطان قصص، و بعث إلیه جماعه فوثبوا علیه، و قد ذکرناه و فی عزم السلطان قصده، و لم یعطه طاعه قط، و لما صالح السلطان الأفرنج و عزم علی قصده توفی.

و یحکی عنه الغرائب و العجائب، و فی الجمله أنه کان کما وصفنا و لم یقم أحد بعده مقامه.

فصل [: فی وفاه سیف الدین المشطوب ملک الهکاریه، و اسمه علی بن أحمد الهکاری]

و فیها توفی سیف الدین المشطوب ملک الهکاریه، و اسمه علی بن أحمد الهکاری، کان شجاعا صابرا علی الحرب مطاعا فی قبیلته، دخل مع أسد الدین شیرکوه إلی مصر فی المرات الثلاث، و شهد فتح مصر و لزم خدمه السلطان، فکان ممن أسر بعکا ففدی نفسه بخمسین ألف دینار عجل منها عشرین ألفا، و أعطاهم رهائن بالباقی، و أطلق فأحسن السلطان إلیه و أعطاه نابلس و أعمالها فجار دیوانه علی أهلها، فاتفق أن السلطان اجتاز بنابلس من القدس فی عوده إلی دمشق، فاجتمع أهلها و شکوا إلی السلطان و استغاثوا فقال: ما لهؤلاء؟ قالوا: یتظلمون من المشطوب، و هو راکب بین یدیه، فقال: یا علی لو کان هؤلاء یدعون لک حتی یسمع الله، فکیف و هم یدعون علیک.

و اختلفوا فی وفاته، فقال العماد الکاتب: مات المشطوب فی نابلس فی

آخر شوال، و قال القاضى ابن شداد: مات فى القدس، و صلى عليه فى المسجد الأقصى، و دفن بداره.

و فيها توفى قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، صاحب بلاد الروم و لقبه عز الدين.

و فيها توفى المركيس صاحب صور، قدم عليه راهبان فلزما الكنيسه و تعبدا عباده زائده، و بلغه خبرهما فقربهما، و لم يكن يصبر عنهما، فأغفلوه ليله و ذبحاه فأخذا و قررا فقالا: نحن من الاسماعيليه، فقتلا و سر الانكلتار بقتله، لأنه كان يضاهيه و يضاده، و يراسل السلطان فى الاعانه عليه، فلما قتل استقل الانكلتار بالأمر، و زوج الانكلتار زوجه المركيس بكندهرى ابن أخت ملك الانكلتار من أبيه، و ابن أخت ملك الافرنسيس من أبيه، و أقام الانكلتار كندهرى و هى حامل، و ما ذاک عيب عندهم فى دين النصرانيه، و يكون الولد منسوبا لأمه، و كان الملک فى المملكه فأقام كندهرى ملک الافرنج سبع سنين .....

السنه التاسعه و الثمانون و خمسمائه

اشاره

و يقال لها سنه الملوک مات صلاح الدين، و بكتمر شاه أرمن و عز الدين صاحب الموصل .....

و فيها توفى بكتمر بن عبد الله مملوک شاه أرمن بن سكمان صاحب خلاط، مات شاه أرمن و لم يخلف ولدا، فاتفق خواصه على بكتمر، فضبط الأمور و أحسن إلى الرعيه، و عدل فيهم، و صاحب العلماء و الصوفيه، و كان حسن السيره متصدقا صالحا دينا جاءه أربعه من الصوفيه، و كان لا يمنع صوفى، فتقدم إليه واحدا فمنعه الخازندار يه، فقال دعوه فتقدم و بيده قصه فأخذها منه فضربه بسكين فشق جوفه، فمات من ساعته، فأخذوهما و قرروهما فقالا: نحن من الاسماعيليه، و كانوا قد شفعوا إليه فى أمر لا يليق، فلم يقبل شفاعتهم فعملوا هذا، فأحرقوا، و ذلک فى جمادى الأولى و خلف بكتمر ولدا صغيرا ...

فصل [فی وفاه عز الدین مسعود بن مودود بن زنکی بن أقسنقر صاحب الموصل]

و فیها توفی عز الدین مسعود بن مودود بن زنکی بن أقسنقر صاحب الموصل، کان خفیف العارضین أسمر ملیح اللون، عادلا منصفا محسنا عاقلا جوادا، صبر علی حصار صلاح الدین للموصل ثلاث مرات حفظا علی البلاد، و فرق الأموال و داری حتی سلم له الملک، و کان قد بنی فی داره مسجدا یخرج إلیه فی اللیل، و یصلی فیه أورادا کانت له، و یلبس فرجیه أهداها له الشیخ عمر المسنائی الصوفی فیصلی فیها، و کان قد خرج من الموصل فی جهاد، لقتال الملک العادل سیف الدین بن أیوب، و کان علی حران بعد موت صلاح الدین، ثم عاد فی سابع عشرین شعبان مریضا فاحتضر فجعل یتشهد و یذکر الله تعالی و یقر بالشهادتین، و عذاب القبر، و منکر و نکیر و الصراط و الحساب و المیزان، و توفی و دفن بمدرسته التی أنشأها بالموصل بمقابر دار السلطنه، و کانت أیامه ثلاث عشره سنه و سته أشهر، و أوصی بالملک إلی ولده الأکبر نور الدین أرسلان شاه، و کان أخوه شرف الدین مودود یروم السلطنه، فصرفها عنه أخوه عز الدین إلی ولده نور الدین أرسلان شاه، و قام بالأمور مجاهد الدین قیماز أحسن قیام ....

فصل [: فی وفاه الملک الناصر صلاح الدین یوسف بن أیوب بن شاذی

اشاره

و فیها توفی الملک السلطان الملک الناصر صلاح الدین یوسف بن أیوب بن شاذی بن مروان، من أولاد خلفاء بنی أمیه، و ذکر ابن القادسی، أن شاذی مملوک بهروز، و هذه من هنات ابن القادسی، و ما کان شاذی مملوکا قط و لا جری علی أحد من بنی أیوب رق، و إنما شاذی خدم بهروز الخادم فی قلعه تکریت، استنابه فیها و قد ذکرناه.

ذکر طرف من أخباره

ولد صلاح الدین بتکریت فی سنه اثنتان و ثلاثین و خمسمائه، و نشأ فی

حجر أبيه أيوب، و ربى فى الدوله النوريه، و ولاه نور الدين دمشق، و خرج مع عمه أسد الدين إلى مصر فملكها، و قد ذكرنا ذلک أولا، و كان شجاعا سمحا جوادا مجاهدا فى سبيل الله، يجود بالمال قبل الوصول إليه، و يحيل به، و متى عرف وصول حمل وقع عليه بأضعافه، و ما خيب أحدا بالرد و إن لم يكن عنده شى ء لطف به كأنه غريم يستمهله، و كان مغرما بالإنفاق فى سبيل الله و حسب ما أطلقه و وهبه مده مقامه على عكا مرابطا للفرنج من رجب سنه خمس و ثمانين و خمسمائه إلى يوم انفصاله عنها فى شعبان سنه ثمان و ثمانين و خمسمائه، مده ثلاث سنين و كسر، فكان اثنى عشر ألف رأس من الخيل العراب و الأكاديش الجياد، للحاضرين معه فى الجهاد، و القادمين عليه من البلاد، غير ما أطلقه من الأموال فى أثمان الخيل المصابه فى القتال.

و قال العماد: و لم يكن له فرس يركبه إلا و هو موهوب، و لا جاءه قود إلا و هو مطلوب و ما كان يلبس إلا ما حل لبسه و تطيب به نفسه، كالكتان و القطن و الصوف، و يخرج عالى أثمان كسوته فى أثمان المعروف، و مجالسه منزهه عن الهزء و الهزل، و محافله حافله بأهل العلم و الفضل، و ما سمعت منه قط كلمه فحش و لا كلمه تسقط و لا لفظه تسخط، و يؤثر سماع الأحاديث بالاسانيد، و يتكلم عنده فى العلم الشرعى المفيد، و يلين للمؤمنين و يغلظ على الكافرين، و من جالسه لا يعلم أنه جليس سلطان، بل يعتقد أنه أخ من الإخوان، تقيا صفيا، مارد سائلا، و لا صد نائلا، و لا أخجل و لا خيب أملا.

قال: و شكا إليه أيوب بن كنعان دينا، مبلغه اثنا عشر ألف دينار، فقضاه عنه، قال: و كتب إليه سيف الدوله بن منقذ، نائبه بمصر، أن بعض الضمان انكسر عليه مال كثير، و ربما وصل إلى الباب و يتمحل، فلما كان بعد أيام وصل ذلک الرجل إلى الباب، و تمحل و بلغ السلطان، فأرسل إليه يقول احذر أن تقع فى عين ابن منقذ.

قال العماد: و رأى معى يمما دواه محلاه، فأنكر على، و قال: ما هذا؟

فلم أكتب بعد بها عنده أبدا، قال: و كان محافظا على الصلوات فى أوقاتها، مواظبا على مفروضاتها و مسنوناتها، و ما رأيته يصلى إلّا فى جماعه، و لم يؤخر صلاه من ساعه إلى ساعه، و لا يلتفت إلى قول منجم، و إذا عزم على أمر توكل على الله الذى يقدم و يؤخر.

و ذكره القاضى ابن شداد فى السيره و أثنى عليه، و حكى عنه العجائب، فمن ذلک أنه قال: كان حسن العقيده، كثير الذكر لله تعالى، و إذا جاء وقت الصلاه، و هو راكب نزل فصلى و ما تركها إلا فى مرضه، الذى كات فيه ثلاثه أيام اختلط فيها ذهنه، و كان قد قرأ عقيده القطب النيسابورى، و علمها أولاده الصغار، لترسخ فى أذهانهم من الصغر و كان يأخذها عليهم.

و أما الزكاه فإنه مات و لم تجب عليه قط، و أما صدقه النوافل فاستنفدت أمواله كلها، و كان يحب سماع القرآن، و اجتاز يوما على صبى صغير بين يدى أبيه، و هو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته، فوقف عليه و على أبيه مزرعه.

قال: و كان شديد الحياء، خاشع الطرف، رقيق القلب، سريع الدمعه، شديد الرغبه فى سماع الحديث، و إذا بلغه عن شيخ روايه عاليه، و كان ممن يحضر عنده استحضره، و سمع عليه، و أسمع أولاده و مماليكه و أمرهم بالقعود عند سماعه إجلالا له، و إن لم يكن يحضر عنده و لا يطرق أبواب الملوک، سعى إليه و سمع منه، و روى عنه، و تردد إليه، و مضى إلى الاسكندريه، و سمع الحديث الكثير من الحافظ السلفى، و من ابن عوف الموطأ، و كان مبغضا لكتب الفلاسفه، و أرباب المنطق، و من يعاند الشريعه و لما بلغه عن السهروردى ما بلغه أمر ولده الملک الظاهر بقتله، و كان محبا للعدل له اثنان و خمسون مجلسا للعلم تحضره القضاه و الفقهاء، و يصل إليه الصغير و الكبير و الشيخ و العجوز، و ما

استغاث إليه أحد إلا و أجابه و كشف ظلامته، و استغاث إليه زهير الدمشقى على تقى الدين عمر و قال: ما يحضر معى مجلس الشرع، فأمر تقى الدين بالحضور معه، و كان أعز الناس عليه تقى الدين.

قال: و لقد ادعى رجل على السلطان أن سنقر الخلاطى مملوكه مات على ملكه، قال: فأخبرته فأحضر الرجل، و تزحزح عن طراحته و ساواه فى الجلوس، فادعى الرجل، فرفع السلطان رأسه إلى جماعه الشيوخ من الأمراء الخيار، و هم وقوف على رأسه، فقال: لمن تعرفون سنقر الخلاطى؟ قالوا: نشهد أنه مملوكك، و أنه مات على ملكك، و لم يكن للرجل بينه فأسقط فى يد الرجل، قال: قلت يا مولانا رجل غريب، و قد جاء من خلاط فى طمع و نفدت نفقته، و ما يحسن أن يرجع من المولى خائبا، فقال: يا قاضى هذا إنما يكون على غير الوجه، و وهب له خلعه و نفقه و بغله و أحسن إليه.

قال: و فتح آمد و وهبها لابن قرا أرسلان، و اجتمع عنده وفود بالقدس و لم يكن عنده مال فباع ضيعه من بيت المال، و فرق ثمنها فيهم، قال:

و سألت ابن بير زان يوم انعقاد الصلح عن عده الفرنج الذين كانوا على عكا و هو جالس، فقال للترجمان: قل له كانوا خمسمائه ألف إلى ستمائه ألف، قتل منهم أكثر من مائه ألف، و غرق معظمهم، و كان يوم المصاف يدور على الأطلاب و يقول: هل أنا إلا واحد منكم، و كان فى الشتاء يعطى العساكر دستورا و هو نازل على برج عكا، و يقيم طول الشتاء فى حلقته فى نفر يسير، قال: و كنا على الرمله فجاءه كتاب بوفاه تقى الدين، فقال: و قد خنقته العبره: مات تقى الدين، و لم يعلم بذلک أحد حتى عاد العدو، و لقد واجهه الجناح على يافا بذلک الكلام القبيح فما قال له كلمه و قد استدعاه فأيقن بالهلاک، و ارتقب الناس أن يضرب رقبته فأطعمه فاكهه جاءته من دمشق و سقاه ماء و ثلجا، قال: و كان للمسلمين لصوص يدخلون خيام الفرنج فى الليل و يسرقونهم، فسرقوا ليله صبيا فباتت أمه

تبكى طوال الليل، فقال لها الفرنج: إن السلطان رحيم القلب فاذهبى إليه، فجاءته و هو على تل الخروبه راكب، فعفرت وجهها و بكت فسأل عنها، فأخبروه بقصتها فرق لها و دمعت عيناه، و تقدم إلى مقدم اللصوص بإحضار الطفل، و لم يزل واقفا حتى أحضره، فلما رأته بكت و أخذته و أرضعته ساعه، و ضمته إليها، و أشارت إلى ناحيه الفرنج، فأمر أن تحمل على فرس و تلحق بالفرنج ففعلوا.

و قال: و كان حسن العشره، طيب الخلق، حافظا لأنساب العرب، عارفا بخيولهم، طاهر اللسان، و القلم، فما شتم أحد قط، و لا كتب بيده ما فيه أذى مسلم، و ما حضر بين يديه يتيم إلا و يترحم على مخلفه و جبر قلبه و أعطاه ما يكفيه، فإن كان له كافل و إلا كفله، و سرق من خزانته يوما ألفا دينار، و جعل فى الكيسين فلوس فما قال شيئا، و ذكر القاضى من مناقبه و سطر من فضائله ما زين به التواريخ و السير.

قلت: حكى لى المبارز سنقر الحلبى قال: كان الحجاب يزدحمون على طراحته فجاء سنقر الخلاطى، و معه قصص فقدم له قصه، و كان السلطان قد مد يده اليمنى على الأرض ليستريح، فداسها سنقر الخلاطى، و لم يعلم، و قال له: علم عليها فلم يجبه، فكرر عليه القول، فقال له: يا طواشى أعلم بيدى أو برجلى؟ فنظر سنقر فرأى يد السلطان تحت رجله فخجل و تعجب الحاضرون من هذا الحلم، ثم قال السلطان: هات القصه فعلم عليها، و ما زال السلطان على هذه الأخلاق حتى توفاه الله تعالى إلى مقر رحمته و رضوانه.

و لما كان السادس عشر من صفر وجد كسلا، و حم حمى صفراويه، و كان قد ركب فالتقى الحاج، فركب و بكى، و تأسف حيث لم يكن معهم، و أصبح يوم السبت و الحمى بحالها، و تزايد به المرض حتى ضعف، و أجمع الأطباء على أنه لا يفصد فخالفهم الرحبى و فصده، فكان سبب وفاته، و حجب عن الرجال، و تولاه النساء و أحضر الأفضل

و الأمراء، سعد الدين مسعود، أخو بدر الدين مودود، و شحنه دمشق، و ناصر الدين صاحب صهيون، و سابق الدين عثمان صاحب شيزر ابن الدايه، و ميمون القصرى و أيبک الفارسى، و أيبک فطيس، و حسام الدين بشاره، و سامه الجبلى، و غيرهم فاستحلفهم لنفسه، و كان عندم أبو جعفر إمام الكلاسه يقرأ القرآن، فلما انتهى إلى قوله تعالى هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ و قد كان غاب ذهنه فقال صحيح، و كانت وفاته يوم الأربعاء بعد صلاه الفجر السابع و العشرين من صفر، و غسله الخطيب الدولعى، و صلى عليه القاضى محيى الدين بن الزكى، و بعث إليه القاضى الفاضل الأكفان و الحنوط من أحل الجهات، و دفن بدار البستان موضع جلوسه.

قال ابن القادسى: و دفن معه سيفه، قال الفاضل هذا يتوكأ عليه فى الجنه، و هو وهم من ابن القادسى، لأن سيفه بعث به ولده الأفضل إلى بغداد، و سنذكره.

و عمل الأفضل العزاء ثلاثه أيام و حزن الناس عليه حزنا لم يحزن قبله مثله على غيره.

قال العماد: دخلنا عليه ليله الأحد للعياده، و مرضه فى زياده، و فى كل تضعف القلوب، و تتضاعف الكروب، ثم انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء سحره يوم الأربعاء، و مات لموته رجاء الرجال، و أظلم لغروب شمسه فضاء الأفضال، و دفن بقلعه دمشق فى مسكنه، و دفن جماع الكرم و الفضل فى مدفنه، و رثاه الشعراء، و بكاه الفصحاء، فمن ذلک قصيده ذكرها العماد فى البرق الشامى، عددها مائتان و عشرون بيتا ذكرت ههنا غررها، و سطرت دررها فأولها يقول:

شمل الهدى و الملک عم شتاته و الدهر ساء و أقلعت حسناته

و منها:

بالله أين الناصر الملک الذی لله خالصه صفت نیاته

أین الذی مذ لم یزل مخشیهمرجوه و ثباته و هباته

أین الذی کانت له طاعاته مبذوله و لربه طاعاته

أین الذی مازال سلطانا لنایرجی نداه و تتقی سطواته

أین الذی شرف الزمان بفضله و سمت علی الفضلاء تشریفاته

لا تحسبوه مات شخصا واحدابل عم کل العالمین مماته

ملک عن الاسلام کان محامیاأبدا لماذا أسلمته حماته

قد أظلمت مذ غاب عنا دوره لما خلت من بدره داراته

دفن السماح فلیس تنشر بعد ماأودی إلی یوم النشور رفاته

الدین بعد أبی المظفر یوسف أقوت قواه و اقفرت ساحاته

بحر خلا من وارديه و لم تزل محفوفه بوفوده حافاته

من للیتامی و الأرامل راحم متعطف مفضوضه صدقاته

لو کان فی عصر النبی لأنزلت من ذکره فی ذکره آیاته

بکت الصوارم و الصواهل إذ خلت من سلها و رکوبها عزماته

یا وحشه الاسلام حین تمکنت من کل قلب مؤمن روعاته

ما کان أسرع عصره لما انقضی فکأنما سنواته ساعاته

یا راعیا للدین حین تمکنت منه الذئاب و اسلمته رعات

ما کان ضرک لو أقمت مراعیادینا تولی مذ رحلت ولاته

فارقت ملكا غير باق متعباو وصلت ملكا باقيا راحاته

فعلى صلاح الدين يوسف دائمارضوان رب العرش بل صلواته

و كتب الفاضل إلى الظاهر و هو بحلب كتاب التعزيه يقول فيه: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِی رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ الآيه: كتبت إلى الملک الظاهر أحسن الله عزاءه فی مصابه، و جعل الخلف فيه لمماليک المرحوم و أصحابه، و الدموع قد حفرت النواظر، و القلوب قد بلغت الحناجر، فإنی قد ودعت أباک مخدومی وداعا لا نلتقی بعده، و أسلمت إلى الله

طالبا فضله و رفده، و لم تدفع عنه جنوده القضاء، و لا ردت عنه الأسلحه و الخزائن البلاء، و العين تدمع و القلب يخشع، و لا نقول ما يسخط الرب و إنا عليک يا يوسف لمحزونون: و فى آخر الكتاب: فإن اتفقتم ما عدمتم إلا شخصه، و إن اختلفتم فالمصائب المستقبليه هو لها عظيم ..

قلت: قد فات الفاضل شيئان أحدهما النعيم، و الثانى عند قوله هو لها عظيم، كان ينبغى أن يقول: ذلِکَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

ذكر ما خلفه، و اختلفوا فيه

ذكر القاضى ابن شداد فى سيره السلطان و قال: توفى، و لم يخلف سوى سبعه و أربعين درهما ناصريه و جرما واحدا صوريا ذهبا و لم يخلف دارا و لا عقارا و لا ضيعه و لا بستانا و لا سقفا و لا غيره.

و قال العماد الكاتب: لم يخلف فى خزائنه سوى سته و ثلاثين درهما، و دينارا واحدا ذهبا- ذكر بمعنى ما ذكر ابن شداد.

ذكر فتوحاته:

أول ما فتح الديار المصريه، و الحجاز و مكه و المدينه، و اليمن من زبيد إلى حضر موت متصلا بالهند، و فى الشام: دمشق و بعلبک و حمص و بانياس و حماه و حلب و أعمالها، و من حصون الساحل بلاد القدس و غزه و الداروم و تل الصافيه و عسقلان و يافا و قيساريه و حسى و عكا و طبريه و الشقيف و صفد و كوكب و الكرک و الشوبک و نابلس و صيدا و بيروت و جبيل و جبله و اللاذقيه و الشغر و بكاس و صهيون و بلاطنس و حصن برزيه و قد ذكرنا تلک الحصون.

و من الشرق حران و الرها و الرقه و رأس العين و سنجار و نصيبين و جملين و الموزر، و سروج و ديار بكر و ميافارقين و آمد و حصونها و شهرزور و البوازيج، و خطب له على المنابر من باب همذان إلى الفرات، و من الفرات إلى حضر موت، و من المغرب إلى إفريقيه.

و يقال انه فتح ستين حصنا، و زاد على نور الدين بمصر و الحجاز و المغرب و اليمن و القدس، و الساحل و بلاد الفرنج، و ديار بكر، و لو عاش لفتح الدنيا شرقا و غربا و بعدا و قربا، و إن كان مبدأ فتوحه مصر بهمه نور الدين و أمواله و عساكره و رجاله، و بينهما مقاربه فى السيره و العدل و الأيام و اجتناب الآثام و كلاهما لم يبلغ ستين سنه و لا خلا من فضيله و منقبه حسنه، و قد ذكرنا أن نور الدين ولد فى سنه إحدى عشره و خمسمائه، و توفى سنه تسع و ستين و خمسمائه، و ولد صلاح الدين سنه اثنتان و ثلاثين و خمسمائه و توفى سنه تسع و ثمانين و خمسمائه و قد ذكرنا ذلک.

ذكر أولاده

كانوا سته عشر ذكرا و ابنه واحده، و كان أكبر أولاده الأفضل على ولد بمصر سنه خمس و ستين و خمسمائه يوم عيد الفطر، و أخوه لأبيه و أمه خضر الملقب بالظافر، ولد بمصر سنه ثلاث و سبعين و خمسمائه و أخوهما لأبيهما و أمهما موسى و يلقب قطب الدين، ولد بمصر سنه ثلاث و سبعين و خمسمائه، و أخوه لأبيه و أمه يعقوب الأعز، ولد بمصر سنه اثنتان و سبعون و خمسمائه، و غازى الملک الظاهر، ولد بمصر سنه ثمان و ستين و خمسمائه، و أخوه لأبيه و أمه الزاهد داود ولد بمصر سنه ثلاث و سبعين و خمسمائه، و المعز اسحاق ولد سنه سبعين و خمسمائه، و المؤيد و اسمه مسعود ولد بدمشق سنه احدى و سبعين و خمسمائه، و الأشرف محمد ولد بالشام سنه خمس و سبعين و خمسمائه، و أخوه لأبيه و أمه ملک شاه، و يلقب بالغالب ولد بالشام سنه ثمان و سبعين و خمسمائه، و أخوهما لأبيهما و أمهما أبو بكر، و يلقب بالنصره ولد بحران بعد وفاه أبيه فى سنه تسع و ثمانين و خمسمائه.

و أما البنت فاسمها مؤنسه خاتون، تزوجها الكامل محمد بن العادل ماتت عنده، و كان لصلاح الدين ولد اسمه اسماعيل مات فى حياه أبيه.

ذكر قضاته و وزرائه و كتابه

القاضى كمال الدين بن الشهرزورى، و شرف الدين بن أبى عصرون، و ولده أبو حامد و محيى الدين بن زكى الدين، و وزيره صفى الدين بن القابض، و كتابه: الفاضل، و العماد، و كان الفاضل حاكما على الجميع، و هو المشار إليه بالسيف و القلم، لا يصدر السلطان إلا عن رأيه، و لا يمضى فى الأمور إلا بمضائه.

ذكر ما تجدد بعد وفاته

كان أخوه العادل سيف الدين لما توفى بالكرک، فقدم دمشق معزيا للأفضل، فأقام ثم رحل إلى الجزيره، إلى البلاد التى أعطاه إياها السلطان، و هى: حران و الرها و سميساط، و الرقه و قلعه جعبر، و ميافارقين، و ديار بكر، و كان له بالشام: الكرک و الشوبک، و بعث الأفضل ضياء الدين ابن الشهرزورى رسولا إلى الخليفه، و معه زرديه السلطان و سيفه و حصانه و كزا غنده، و دبوسه و تحفا كثيره، و عاب الناس عليه بحيث بعث بعده السلطان إلى بغداد، و كتب كتابا إلى الخليفه بيد ابن الشهرزورى، فمنه: أصدر العبد خدمته هذه، و صدره معمور بالولاء، و قلبه مغمور بالصفاء، و ذكر كلاما طويلا، فقيل لابن الشهرزورى: لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ، و أما العادل فإن المشارقه ثاروا عليه، و استثاروا عز الدين صاحب الموصل و أصحابه، فأشار عليه المجد ابن الأثير بالخروج، و أشار عليه مجاهد الدين قيماز بالمقام ليظهر حقائق الأمور، و يراسل جيرانه: ابن زين الدين صاحب إربل، و سنجر شاه صاحب الموصل، و عماد الدين صاحب سنجار، و خرج عز الدين من الموصل و اجتمعا على حران، فاستنجد العادل بأولاد أخيه، فجاءته عساكر الشام، و مصر و مرض عز الدين على نصيبين بالاسهال و ترک العساكر مع أخيه عماد الدين و رجع إلى الموصل جريده فمات بها، ثم إن الملک العزيز قدم إلى الشام و تقدم فى منزلته، و قدمت معه العساكر على

الأفضل، و بعث إليه العادل ارحل إلى مرج صفر، فرحل و هو مريض، و كان قصد العادل أن يبعده عن البلد لتصل العساكر، فوصل الظاهر من حلب، و المنصور من حماه، و شيركوه من حمص، و الأمجد من بعلبک فی نجده الأفضل، فقال العادل: قد تقرر أنه يرجع إلى مصر، و يقع الاتفاق، و تعود الأمور إلى ما كانت عليه، و اشتد مرض العزيز، و لو لا مرضه ما صالح، فأرسل العزيز كبراء دولته فخر الدين شركس و غيره، فحلف الملوک و طلب مصاهره العادل، فزوجه ابنته خاتون، و رجع كل واحد إلى بلده، و ذلک فی شعبان.

و قال العماد الكاتب: و لما انفصلت العساكر عن دمشق شرع الأفضل فی اللهو و اللعب، و احتجب عن الرعيه، و انقطع إلى لذاته فسمى: الملک النوام، و فوض الأمر إلى وزيره ابن الجزرى، و حاجبه الجمال محاسن ابن العجمى فأفسدا عليه الأحوال، و كانا سببا لزوال دولته، و استبدلا بكبراء الأمراء و الأجناد أراذل الناس، ففسدت أمور العباد.

السنه التسعون و خمسمائه

فصل [: فی عوده اختلاف الأخوين العزيز و الأفضل]

..... و فيها عاد الاختلاف بين الأخوين العزيز و الأفضل، و قد ذكر العماد القصه، فقال: لما كان العزيز نازلا على الفوار رحل أبو الهيجاء و الأسديه عشيه الاثنين رابع شوال، و كانوا أكثر العسكر، و أخبر العزيز بهم فما بالى بانصرافهم و قال: صفونا من أكدارهم، و لم يأمر أصحابهم باتباعهم، و بقى فی خواصه تلک الليله و رحل، و اتفق الكامل، و الأفضل أن يكون ثلث البلاد للعادل، و ثلثان للأفضل، و هو السلطان، و استناب الأفضل بدمشق أخاه قطب الدين موسى، و خاف العزيز من الأسديه الذين بالقاهره أن يفعلوا كما فعل أصحابهم، و يمنعوه من دخولها، و كان قد استناب بها بهاء الدين قراقوش ثقه بمودته، فلما وصل إلى القاهره

خرج قراقوش و الأسديه إلى لقائه فأكرمهم و أحسن إليهم، و لما وصل العسكر إلى بلبيس غلا السعر، و ظهرت ندامه الأسديه، فخاف العادل من ميلهم إلى العزيز و غدرهم، و أخبر الأفضل و قال: المصلحه الصلح فأسرى إلى الأفضل و لقيه على فرسخ، و قرر الصلح، و استبشر الناس بذلک و عفا العزيز عن الأسديه، و أحسن إليهم، و اجتمع العزيز و الأفضل و عاد الأفضل إلى دمشق، و أقام العادل عند العزيز.

و أما الأفضل فإنه لما عاد إلى دمشق ازداد وزيره الجزرى من الأفعال القبيحه، و آذى الأكابر من الدوله، و الأفضل يسمع منه و لا يعدى أحدا، و لا يخالفه، فكتب قيماز النجمى و أعيان الدوله إلى العادل يشكونه، فأرسل العادل إلى الأفضل يقول: ارفع يد هذا الأحمق السى ء التدبير القليل التوفيق، فلم يلتفت و اتفق مع العزيز على النزول إلى دمشق، فسارا إلى الشام فاستشار الأفضل أصحابه فكل أشار عليه أن يلتقى عمه و أخاه، و لا يخالفهما إلا الجزرى فإنه أشار عليه بالعصيان، فاستعد للحصار، و حلف الأمراء و المقدمين، و فرقهم فى الأبراج و على الأسوار، فراسلوا العزيز و العادل و أصلحوا أمرهم فى الباطن، و اتفق العادل مع عز الدين ابن الحمصى على فتح الباب الشرقى، ففتحه ابن الحمصى، فدخلا البلد من غير قتال، فنزل العزيز دار عمته ست الشام، و نزل العادل دار العقيقى، و نزل الأفضل إليهما و هما فى دار العقيقى، فدخل عليهما و بكى بكاء شديدا، فأمره العزيز بانتقاله إلى صرخد، فأخرج وزيره الجزرى فى الليل فى جمله الصناديق خوفا من القتل، فأخذ أموالا عظيمه، و هرب إلى بلاده، و كان العزيز قد قرر مع العادل أن يكون نائبه بمصر، و يقيم العزيز بدمشق، ثم ندم فأرسل إلى الأفضل رساله فيها صلاح حاله فأذاعها، و وصلت إلى العادل فغضب العزيز، و رسم عليه بالخروج فخرج إلى مسجد خاتون بأهله و عياله، و سلم العزيز بصرى إلى العادل، و كان بها الظافر، و أقام العزيز بدمشق أربعه أيام، و صلى

الجمعه عند مكان قبر والده بالكلاسه، و أمر ببناء القبه، و المدرسه إلى جانبها، و أمر محيى الدين بن زكى الدين بعماره المدرسه العزيزيه، و نقل السلطان من الكلاسه فى سنه اثنتان و تسعين و خمسمائه، و كان الأفضل قد شرع فى بناء تربه عند مشهد القدم بوصيه من السلطان، فإنه قال:

تكون تربتى على الجاده التى يمر بها الصادر و الوارد، فيترحم على فارتفع قامه، و جاء العزيز فحصر دمشق و أخربها، و كان العزيز إذا جلس فى مجالس لهوه جلس على بابه كأنه برد دار، فلما كان آخر الليله من مقدمه بدمشق، و كانت ليله الاثنين تاسع شعبان قال العادل لولده الملک المعظم: ادخل فقبل يده و اطلب منه دمشق، و كان المعظم قد راهق الحلم، فدخل فقبل يده و طلب منه دمشق، فدفعها إليه و أعطاه سبحته، و قيل استناب العادل فيها و أعطاها للمعظم عيسى بن العادل على سنن فى سنه أربع و تسعين و خمسمائه، و رحل تاسع شعبان إلى مصر، و مضى الأفضل إلى صرخد، و نفى العادل ابن الحمصى الذى فتح له الباب الشرقى و كان قد أعطاه عشره آلاف دينار، فاستردها منه، و اجتاز العزيز فى طريقه إلى مصر بالقدس، فعزل أبا الهيجاء السمين عنه، و ولاه سنقر الكبير، و مضى أبو الهيجاء إلى بغداد، و سنذكره .....

السنه الحاديه و التسعون و خمسمائه

..... و فيها كانت الوقعه العظيمه، و تعرف بوقعه الزلاقه [اقرأ:

الأرک] بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن و بين ألفنش ملک طليطله، و كان ألفنش قد استولى على جزيره الأندلس و قهر ولاتها، و كان يعقوب مشغولا عن نصرتهم بالخوارج الخارجين عليه، و بينه و بين الأندلس زقاق، و عرضه ثلاثه فراسخ، و يحتاج فى عبوره إلى مشقه عظيمه، و طمع الناس فى المسلمين بهذا السبب، و كتب ألفنش إلى يعقوب كتابا نسخته: باسمک اللهم فاطر السموات و الأرض، و صلى الله على المسيح عيسى بن مريم الفصيح، أما بعد أيها الأمير إنه لا يخفى على ذى عقل لازب، و ذكاء ثاقب

أنک أمیر المله الحنیفیه، کما أنا أمیر المله النصرانیه، و غیر خاف عنک ما علیه نوابک بالأندلس من التخاذل، و التقاعد، و التکاسل، و اهمال أمور الرعیه و الاشتمال علی اللذات الدنیه، و لما أظهروا العصیان، و ادرعوا بالخذلان سلطنی الله علیهم، فأذقتهم الخسف، و أسمتهم العسف، أخلی منهم الدیار و أمحو الآثار، و أسبی الذراری و الولدان، و امثل بالکهول و الشبان، و قد جعلت ألوفا من العذاری المسلمات مملوکات لبنات الفرنجیات، و لا عذر لک فی التخلف عن نصرتهم، و قد أمکنتک ید القدره، و أنت قادر علی النصره، مع أنکم تعتقدون أن الله فرض لکم فی کتابکم، فقال عشره منا بواحد منکم، و قد زاغ عنکم الصواب، و کذبتم الکتاب، و الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْکُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِیکُمْ ضَعْفاً فَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَهٌ صابِرَهٌ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أَلْفٌ یَغْلِبُوا أَلْفَیْنِ(1)، و نحن الیوم الواحد منا یقتل العدد منکم فقد أظفرنا الله بکم، و أقدرنا علیکم لا تقدرون دفاعا، و لا تستطیعون امتناعا، ثم بلغنی أنک أخذت فی الاحتیال، و أشرفت علی ربوه القتال، و جمعت جمعا من البربر و العرب الذین ادرعوا العار، و عبدوا الدرهم و الدینار، و أحلوا الحرام، و باینوا دین الاسلام، و تظل عاما تنتظر حوادث الزمان، و تقلب الحدثان، تقدم رجلا و تؤخر أخری، و هذا الفعل بمثلک أحری، فلا أدری ألجبن أبطأ بک، فضللت فی غیک أم التکذیب بما أنزل علی نبیک، فإن کنت عاجزا عن العبور إلی خائفا من أهوال الزقاق، فإنی أذکر لک ما فیه الرفق بک، و الارتفاق، و هو أن تعاهدنی بالأیمان المغلظه، و الأقسام المعظمه، و دفع الرهائن، و توجه إلی جمله من المراکب لأعبر إلیک، و أبارزک فی أعز الأماکن علیک، فإن کانت الدبره لک، کانت غنیمه ساقها الله إلیک، و إن کانت لی کانت یدی العلیا، و استحقیت إماره الملتین، و التقدم علی الفئتین، و الله تعالی یوفق للسعاده، و یسهل الإراده، فإنه لا رب غیره، و لا خیر إلا خیره، و السلام.

1- سوره الأنفال- الآیه: 66.

و الكتاب بخط وزير ألفنش، و كان نصرانيا قد قرأ العربيه، فلما قرأ يعقوب كتابه استشاط غضبا، و أدركته حميه الاسلام، و الغيره على الإيمان، فكتب على رأس الكتاب بخطه ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَ هُمْ صاغِرُونَ(1) و كتب تحت الآيه:

و لا كتب إلا المشرفيه عندناو لا رسل إلا الخميس العرمرم

ثم قام من ساعته، فشد ذنب فرسه، و لبس سلاحه و سار إلى زقاق سبته، فنزل عليه، و جمع الشوانى و المراكب، و عرض جنده فكانوا مائتى ألف مقاتل، مائه ألف يأكلون بالديوان، و مائه ألف مطوعه، و عبر الزقاق إلى مكان يقال له الزلاقه، و جاءه ألفنش فى مائتى ألف فارس و أربعين ألفا من أعيان الفرنج من أعيان المقاتله، فجرى بينهم قتال لم يجر فى الجاهليه و لا الاسلام، ثم إن الله أنزل نصره على الاسلام، فهرب ألفنش فى نفر يسير إلى طليطله، و غنم المسلمون ما كان فى عسكره، فكان عده من قتل من الفرنج مائه ألف و سته و أربعين ألفا، و عده الأسارى ثلاثين ألفا، و من الخيام مائه ألف خيمه و خمسون ألفا، و من الخيل ثمانون ألفا، و من البغال مائه ألف، و من الحمير أربعمائه ألف تحمل أثقالهم، لأنهم لا جمال لهم، و من الأموال و الجواهر و الثياب ما لا يحد و لا يحصى، و بيع الأسير بدرهم، و السيف بنصف درهم، و الحصان بخمسه دراهم، و الحمار بدرهم، و قسم يعقوب الغنائم بين المسلمين على مقتضى الشريعه، فاستغنوا إلى الأبد، و وصل ألفنش طليطله على أقبح حال، فحلق رأسه و لحيته، و نكس صليبه و آلى أن لا ينام على فراش، و لا يقرب النساء، و لا يركب فرسا و لا دابه حتى يأخذ بالثأر و أقام يجمع الجزائر، و البلاد، و يستعد، و قيل إنما كانت هذه الواقعه سنه تسعين و خمسمائه.

1- سوره النمل- الآيه: 37.

و حج بالناس من بغداد سنجر الناصرى، و من الشام قراسنقر و أيبک فطيس الصلاحيان، و من مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى، من ولد جعفر بن أبى طالب ....

السنه الثانيه و التسعون و خمسمائه

..... و فيها كانت وقعه يعقوب بن يوسف أيضا مع ألفنش، قد ذكرنا أنه حشد و جمع جمعا أكثر من الأول، و التقوا فهزمه يعقوب و ساق خلفه إلى طليطله، و ضربها بالمناجيق، و ضيق عليها و لم يبق إلا فتحها فخرجت إليه والده ألفنش و بناته و نساؤه و أهله، و بكين بين يديه و سألنه إبقاء البلد عليهن، فرق لهن و من عليهن بها، و وهب لهن المال و الجواهر، و ردهن مكرمات بعد القدره، و لو فتح طليطله فتح إلى مدينه النحاس، و عاد إلى قرطبه، فأقام شهرا يقسم الغنائم، و جاءته رسل ألفنش يسأله الصلح، فصالحه مده، و أمن أهل الأندلس، و قيل إن هذه الوقعه كانت فى سنه احدى و تسعين و خمسمائه.

و فيها ظهر ببوصير قريه بصعيد مصر و هى التى قتل فيها مروان الجعدى بيت هرمس الحكيم و فيه أمثله كباش و ضفادع و قوارير كلها نحاس، و فيه أموات لم تبل ثيابهم.

و حج بالناس من بغداد ألب قرا، مملوک طاشتكين، و كان الخليفه قد أفرج عن طاشتكين من الحبس فى هذه السنه، و حج من مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى ....

السنه الثالثه و التسعون و خمسمائه

اشاره

و فيها قدم حسام الدين أبو الهيجاء السمين بغداد، و خرج الموكب للقائه فى زى عظيم، و رتب الأطلاب على ترتيب الشام، و كان فى خدمته عده من الأمراء، و كان معه ولدا أخيه عز الدين كرد، و الغرز، و أول ما تقدم طلب كرد، ثم الغرز، ثم أمير أمير، و جاء هو بعد الكل فى

العدد الكامل، و السلاح التام، و خرج جميع من ببغداد للقائه و كان رأسه صغير و بطنه كبير جدا، بحيث كان على ركبه البغله، و كان قد رآه عند الحربيه رجل كواز، فعمل فى ساعته كوزا من طين، و سبق بغلته فى السوق، فلما اجتاز به ضحک و عمل أهل بغداد بعده كيزانا، و سموها أبا الهيجاء السمين على صورته، و أنزله الخليفه بدار العميد غربى بغداد بعد أن عبر إلى الجانب الشرقى، و قبل عتبه باب النوبى، و قام له الخليفه و أكرمه بالضيافات، ثم أمره أن يجرد جماعه من أصحابه مع عسكر الخليفه إلى همذان، فجرد جماعه، فلما بعدوا من بغداد نهبوا خزانه الخليفه، و قتلوا جماعه من العسكر، و مضوا إلى الموصل و الجزيره، و عاد عسكر الخليفه إلى بغداد، و قد حرجوا فنقله الخليفه إلى الجانب الشرقى إلى دار عند النظاميه كانت لسلطان دمشق مجير الدين أبق، و وكل به، ثم خلع عليه بعد ذلک: الجبه، و الفرجيه، و العمامه السوداء، و القباء الأسود، و بين يديه الخيل بمراكب الذهب، و قد شاهدته و أنا صغير فى هذه السنه، و أعطاه الأموال و الرجال، و سار إلى همذان.

و فيها انقضت الهدنه التى كانت بين صلاح الدين و الفرنج، فقصدوا بيروت و بها سامه الجبلى، فهرب، و استولى الفرنج عليها فقال بعض الدمشقيين هذه الأبيات:

سلم الحصن ما عليک ملامه ما يلام الذى يروم السلامه

إن أخذ الحصون لا من قتال سنه سنها ببيروت سامه

أبعد الله تاجرا سن ذاو أخزى بخزيه من سامه

فصل [فى الحج بالناس و وفاه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين ملک اليمن]

و حج بالناس من بغداد شمس الدين اصبه و من الشام سيف الدين محمد بن تميرک.

و فيها توفى سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح

الدين ملک اليمن من زبيد إلى حضر موت، و قمع الخوارج، و كان شجاعا شهما، و قد ذكرناه، و كانت وفاته فى شوال بزبيد، و ولى بعده ولده شمس الملوک إسماعيل، و ادعى الخلافه- و سنذكره ....

السنه الرابعه و التسعون و خمسمائه

اشاره

و فيها نزلت الفرنج فى المحرم على تبنين، فأرسل العادل محيى الدين ابن زكى الدين إلى العزيز إلى مصر يستنجده، فخرج بجيوشه إلى الشام، فوصل فى ربيع الأول، و كانوا ضايقوا الحصن، و نقبوه من كل جانب، و أشرف على الأخذ، و نقبوه سربا سربا، و كانوا يستظلون من المطر، و جعلوا النقوب بيوتا يسكنونها، و كان الفرنج يحدقون بالمسلمين من النقوب، و يحدثونهم، و كان المسلمون مع العادل نازل بهم عند هونين و معه شيركوه صاحب حمص، و الأمجد صاحب بعلبک، و عز الدين ابن المقدم، و دلدرم صاحب تل باشر، و جاءهم العزيز فساروا جميعا إلى هونين، فلو تأخر يوما أخذت تبنين، و قتل من فيها، و أرسل الله تلک الليله مطرا عظيما، و ريحا شديده، و أوقع فى قلوب الفرنج الرعب، و قيل جاءكم سلطان مصر، و العساكر فتركوا المناجيق و الدبابات، و الآلات بحالها، و الخيم و ما فيها، و هربوا فى الليل إلى صور، ثم بعثوا يطلبون الصلح، فصالحهم العزيز على قاعده صلح صلاح الدين، و خلع العزيز على المعظم عيسى بن العادل، و أعطاه صنجقا و منشورا بدمشق، و عاد إلى مصر، و مضى العادل إلى ماردين فحصرها فى رمضان، و ملک الربض و لم يبق سوى القلعه.

و فيها حج بالناس من بغداد إيلبا، و من دمشق زين الدين قراجا، مملوک صلاح الدين.

فصل و فيها توفى جرديک بن عبد الله النورى

، كان من أكابر أمراء نور الدين، ثم خدم صلاح الدين فى جميع غزواته، و هو الذى قتل شاور

بمصر، و ابن الخشاب، بحلب، و كان شجاعا جوادا، ولاه صلاح الدين القدس، ثم أخذه منه الأفضل.

أبو الهيجاء، و قد ذكرناه .....

فصل و فيها توفى عماد الدين صاحب سنجار

، و اسمه زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر ابن أخى نور الدين، و قد ذكرناه فى السنين، و كان عاقلا جوادا، و هو الذى قايض حلبا بسنجار، و لم يزل مع السلطان صلاح الدين فى غزواته مجاهدا، و كان ميمون النقيبه، و كان السلطان يحترمه مثل ما كان يحترمه نور الدين، و يعطيه الأموال و الهدايا، و التحف الكثيره، و لما توفى صلاح الدين خرج مع أخيه عز الدين إلى لقاء العادل، و كانت وفاته بسنجار، و لما احتضر أوصى إلى أكبر أولاده، و هو قطب الدين محمد، و يلقب الملک المنصور .....

و فيها توفى قيماز بن عبد الله مجاهد الدين الخادم الرومى، الحاكم على الموصل، و هو الذى بنى الجامع المجاهدى، و الرباط، و المدرسه، و المارستان بظاهر الموصل على دجله، و وقف عليهم الأوقاف، و كان عليه رواتب كثيره بحيث لم يدع بالموصل بيت فقير إلا و أغنى أهله، و كان دينا صالحا، عادلا كريما يتصدق كل يوم خارجا عن الرواتب بمائه دينار، و له حكايات مشهوره، و لما مات عز الدين محمود و ولى ابنه أرسلان شاه حبسه و ضيق عليه، و آذاه فتوفى فى الحبس، فأخرج ملفوفا فى كساء، فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن فأبقى على قارعه الطريق حتى أذن له، و كان لعز الدين مسعود جاريه يقال لها أفضل أولدها الجهه الأتابكيه التى بنت فى قاسيون التربه و المدرسه، و كانت زوجه الملک الأشرف رحمه الله، و كان عز الدين قد زوج أفضل أم الأتابكيه مجاهد الدين قيماز.

فصل و فيها توفى أبو الهيجاء السمين الكردى

، و لقبه حسام الدين، و قد ذكرنا أنه قدم بغداد، و بعثه الخليفه إلى همذان، فلم يتم له أمر، و اختلفت الأمراء عليه، و تفرق عنه أصحابه فخاف من الخوارزمى، و استحيى أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشام على دقوقا، فلما وصل إليها مرض و أقام بها أياما، فتوفى، و بلغنى أنه كان نازلا على تل فقال: ادفنونى فيه، فحفروا له قبرا على رأس التل، و ظهرت بلاطه عليها اسم أبيه فدفنوه عليه.

و الحمد لله.

السنه الخامسه و التسعون و خمسمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و العادل على ماردين، و توفى الملک العزيز فى المحرم، و كتبت الصلاحيه إلى الأفضل و هو بصرخد ليقدم عليهم، فسار إلى مصر فجعلوه أتابک ولد العزيز .....

فصل ... و فيها توفى الملک العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر،

اشاره

و قد ذكرنا أنه ولد سنه سبع و ستين و خمسمائه و كان العزيز، لطيفا كثير الخير، رفيقا بالرعيه.

حكى لى المبارز سنقر الحلبى رحمه الله قال: نفد ما بيده بمصر، فلم يبق فى الخزانه درهم و لا دينار، فجاء رجل من أهل الصعيد إلى يازكش، سيف الدين فقال: عندى للسلطان عشره آلاف دينار، و يولينى قضاء الصعيد، فدخل يازكش على العزيز، فأخبره فقال: و الله لا بعت دماء المسلمين و أولادهم بملک الأرض و كتب ورقه ليازكش، بألف دينار، و قال اخرج فاطرد هذا المدبر و لولاک لآذيته.

و قد ذكرنا أنه وهب دمشق للملک المعظم و کان یطلق عشره آلاف دینار، و عشرین ألفا، و کان سبب وفاته أنه خرج إلی الفیوم یتصید، فلاح له ظبی فرکض خلفه فکبا به الفرس فدخل قربوس السرج فی فؤاده، فحمل إلی القاهره، فمات فی العشرین من المحرم، و دفن عند الشافعی عن سبع و عشرین سنه و شهور، و قیل عن ثمان و عشرین سنه.

و قال ابن القادسی: کان قد رکب و تبع غزاله فوقع فاندقت عنقه، و بقی أربعه أیام، و مات، و کانت الوصیه إلی أمیر کبیر اسمه یازکش، فوثبت الأسدیه علیه فقتلته، و هذه من هنات ابن القادسی بقوله: اندقت عنقه، و الملک العزیز ما اندقت عنقه، إنما دخل قربوس السرج فی فؤاده، و أقام بالقاهره اسبوعین، و نص علی ولده ناصر الدین محمد، و کان أکبر أولاده، و کان له عشره أولاد، و لم یذکر عمه العادل فی الوصیه، فأما سیف الدین یازکش فکان مقدم الأسدیه کبیر القدر فیهم، و عاش بعد العزیز مده طویله، و سنذکره، و الحمد لله.

ذکر ما جری بعد وفاته

کان لابنه محمد عشر سنین، و کان مقدم الصلاحیه فخر الدین جهرکس، و أسد الدین سراسنقر، و زین الدین قراجا فاتفقوا علی ناصر الدین محمد، و حلفوا له الأمراء، و کان سیف الدین یازکش مقدم الأسدیه غائبا بأسوان، فقدم فصوب رأیهم، و ما فعلوه إلا أنه قال: هو صغیر السن لا ینهض بأعباء الملک، و لابد من تدبیر کبیر یحسم المواد، و یقیم الأمور، و العادل مشغول بالشرق بماردین، و ما ثم أقرب من الأفضل، فجعله أتابک العسکر فلم یمکن الصلاحیه مخالفه الأسدیه، فقالوا: افعلوا، فکتب یازکش إلی الأفضل یستدعیه، و هو بصرخد، و کتبت الصلاحیه إلی من بدمشق من أصحابهم یقولون: قد اتفقت الأسدیه علی الأفضل، و إن ملک حکموا علینا فامنعوه من المجی ء، فرکب عسکر دمشق لیمنعوا الأفضل ففاتهم، و کان الأفضل قد التقی

نجابا من عند جهركس إلى من فى دمشق بهذا المعنى، و معه كتب فأخذها منه، و قال: ارجع فرجع إلى مصر، و لما وصل الأفضل إلى مصر التقاه الأسديه، و رأى جهركس النجاب فقال: ما أسرع ما عدت فقال له الخبر، فساق هو و قراجا إلى القدس فتحصنا به، ثم أشارت الأسديه على الأفضل بقصده دمشق، و أن العادل مشغول بماردين فكتب إلى الظاهر فأجابه، و قال: اقدم حتى أساعدک.

ذكر حصار دمشق

فقام الأفضل و سار بالعساكر إلى الشام و استناب بمصر سيف الدين يازكش و وصل إلى دمشق فأحدق بدمشق و بلغ العادل و هو على ماردين، و قد أقام عليها عشره أشهر و لم يبق إلا تسليمها و صعدت أعلامه على القلعه، و سمعوا بوفاه العزيز فتوقفوا، فرحل عنها و ترک ولده الكامل محمدا عليها، و جاء العادل، و معه دلدرم، و ابن المقدم و جماعه من الأمراء، و كان الأفضل نازلا فى الميدان الأخضر، فأشار عليه جماعه من الأمراء أن يتأخر إلى مشهد القدم، حتى يصل الظاهر، و صاحب حمص و الأمراء، و كانت مكيده، فتأخر إلى مشهد القدم، و دخل العادل، و من معه من العسكر إلى دمشق، و جاء الظاهر بعسكر حلب، و جاء عسكر حماه، و حمص، و بشاره من بانياس، و عسكر الحصون، و سعد الدين مسعود صاحب صفد، و ضايقوا البلد، و كسروا باب السلامه، و جاء آخرون إلى باب الفراديس، فيقال ان الناصح ابن الحنبلى، و أخاه الشهاب و أصحابهما كسروا باب الفراديس، و كان العادل فى القلعه قد استأمن إليه جماعه من المصريين مثل ابن كمدان، و قيماز الجمدار الخادم، و بلغه فركب و خرج إليهم، و جاء إلى جيرون و المجد أخو الفقيه عيسى قائم على فرسه يشرب الفقاع، فصاح العادل «يا فعله يا صنعه» إلى ههنا، فخرجوا و أغلق باب السلامه و جاء إلى باب الفراديس، فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمرزبات، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: الحنابله، فسكت و لم يقل شيئا.

قلت: و حكى لى الملک المعظم عيسى رحمه الله قال: لما رجعنا من باب الفراديس، و وصلنا إلى باب مدرسه الحنابله رمى على رأس أبى حب الزيت فأخطأه، و وقع فى رقبه الحصان فوقع الحصان ميتا، فنزل أبى و ركب غيره، و لم ينطق بكلمه، و جاء جهركس و قراجا فى الليل من جبل سنير فدخلا دمشق، و أما المواصله، فساقوا على الملک الكامل فرحلوه من ماردين، فجاء يقصد دمشق، و جمع التركمان، و أما دمشق فإنه لما اشتد الحصار عليها قطعوا أشجارها، و مياهها الداخله إليها، و انقطعت عن أهلها الميره، و ضجوا فبعث العادل إلى الظاهر يقول: أنا اسلم إليک دمشق على أن تكون أنت السلطان، و تكون دمشق لک لا للأفضل، فطمع الظاهر فأرسل إلى الأفضل يقول: أنت صاحب مصر، فآثرنى بدمشق، فقال: دمشق لى من أبى، و إنما أخذت منى غصبا فلا أعطيها لأحد، فوقع الخلف بينهما و وقع التقاعد، و خرجت السنه على هذا.

و لما مات العزيز كتب الفاضل إلى العادل يعزيه يقول: حياه طيبه تقف فيها المواقف الجسيمه، و تنقلب عنها بالأمور السالمه، و العواقب الرحيمه، و لا نقص الله له عددا و لا أعدمه نفسا، و لا ولدا، و لا كدر له مشربا و لا موردا، و أعظم أجره فى ولده العزيز رحمه الله على ذلک الكريم و نضره، و إلى سبيل الجنه يسره و كتب فيها:

و إذا محاسن وجهه بليت فعفا البلى عن وجهه الحسن

قال و كان مده مرضه بعد عوده من الفيوم مده اسبوعين، فأحرق القلب و أجرى العين، قلت و هذا البيت من أبيات أولها:

إنى أرقت و ذكر الموت أرقنى فقلت للدمع: أسعدنى فأسعدنى

إنى أظن البلى لو كان يعرفه عف البلى عن بقايا وجهه الحسن

فصل [فى وفاه أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب]

اشاره

و فيها توفى الملک المنصور الغازى المجاهد أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب، الذى كسر ألفنش على الزلاقه،

و لم يكن لألفنش مع كثره جيوشه به طاقه و لم يكن فى ولاه المغرب من له سيره كسيرته، و قد أثنى عليه أصحاب السير، و ذكره عبد المنعم بن عمر فى تاريخه، و أثنى عليه و قال: لما توفى أبوه يوسف، قام بالأمر أحسن قيام، فأقر العيون بما قرر من قواعد الاسلام، و يسر كلمه التوحيد، و أذل من الكفر كل جبار، و رفع غايه الاجتهاد فتضوع باجتهاده كل ناد، و أمر بالمعروف، و نهى عن المنكر، و نشر نشره أذكى من العنبر، و صوب كرمه أعلى من ضوء القمر الأنور، و أقام الحدود على العالمين خصوصا على أهله، و عشيرته الأقربين، فاستقامت الأمور ببركاته، و ظهرت الفتوحات العظيمه بعزماته، و انتشرت الخيرات بكراماته، و ذكر هزيمته لملک الفرنج، و اسمه الأدفنش بالديار المغربيه.

قلت و حكى لى الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس بن ما سيف المغربى اللواتى بالديار المصريه بالقرافه فى سنه أربعين و سبعمائه، من فضائل الملک المنصور يعقوب بن يوسف المذكور، و كان أبو العباس قد صحبه زمانا و انتفع به و استفاد منه.

قلت: و كلما حكيته عنه فهو على المشاهده و العيان، لا من فلان و فلان، قال: فمن ذلک أنه قدم بلده فاس رجل شريف، و كان فاضلا لطيفا، و كان يعظ بصوت طيب، فجلس بها فمال الناس إليه و أرادوا أن يبايعوه، و بلغ خبره إلى يعقوب، فكتب إليه كتابا يقول: قد بلغنا قدومک البلاد، و وصول بركتک إلى أهلها، و نحن نسألک أن تقدم إلينا لنأخذ حظنا منک كما أخذ أهل البلاد حظهم، و بعث إليه بعشره آلاف دينار، فخاف الشريف، و اجتمع إليه أهل البلاد و قالوا: متى وقعت فى يده قتلک، فأظهر العصيان، و نحن أهل الجبال معک، فقال الشريف: معاذ الله أن أكون سببا لإراقه دم مسلم، و لكنى أسير إليه و أستعين بالله عليه، و بلغ يعقوب قوله، فلما قرب من مراكش، خرج يعقوب و استقبله و أنزله معه فى قصره، و جمل إليه المال و التحف، و جلس يسمع كلامه.

و اتفق عبور يعقوب للقاء الفنش و من عادتهم يوم المصاف أن يصلى الخليفه بالناس الفجر، و يركب و معه خمسه آلاف من القراء ملبسين الدروع حاملين الأسلحه، فيقرأون سبعا من القرآن و يدعو الخليفه، و لا يدعو غيره، و كان له طبال اسمه حماد مقدم الطبالين، و خلفه مائه كوس، و ليس فى العسكر من له طبل سوى الخليفه، فإذا فرغ من الدعاء بعد القراءه، قال حماد: قال لبيک فيقول: اضرب الطبل فيدق الكوسات، و تحمل العساكر و هاتان الخصلتان لا يشارک الخليفه فيهما أحد: الدعاء و قوله: يا حماد اضرب الطبل.

فلما كان فى هذا اليوم الذى التقى فيه يعقوب صلى الخليفه بالناس، و ركب و الشريف عن يمينه، و لما فرغ من قراءه السبع، التفت إلى الشريف فقال: يا شريف ادع فقال: الله الله يا أمير المؤمنين العفو هذه وظيفه أمير المؤمنين، فقال: لابد فما أمكنه مخالفته خوفا منه، فمد يده و دعا و عجب الناس، و لما فرغ من الدعاء قال له: يا شريف قل لحماد يضرب الطبل، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، فقال لابد فقال: يا حماد اضرب الطبل، و فضرب و حملوا ثم التفت إلى الشريف، و قال: يا شريف إن كان خطر ببالک أنک تحكم فى البلاد، و أطاعتک أهل فاس و الجبال فى هذا الأمر، و رأيت مناما، فهو هذا الذى رأيت ما يحصل لک من الخلافه سواه، فنزل و قبل الأرض، و كسر الله الفنش.

و لله در هذه المكارم و لو كان غير يعقوب لحل بالشريف العظائم.

و منها ما حكاه لى أبو العباس أيضا قال: كان ليعقوب ابن أخت لم يكن بمراكش أحسن صوره منه، و له ثمانى عشره سنه، فقدم مراكش رجل يرقص الدب و معه امرأته، فرآها ابن أخت يعقوب فأعجبته، فأرسل إليها فأخذها فوقف زوجها ليعقوب فقال: يا أمير المؤمنين إنى رجل غريب، و قد غصبنى ابن أختک و أخذ زوجتى، فقال له: اتبعنى و جاء إلى قصر ابن أخته و قال للرجل: قف هاهنا، ثم دخل القصر

و استدعى ابن أخته و قال له: لم أخذت زوجه هذا الرجل، فأنكر، فدعا بالرجل و قال له: قد أنكر، فقال: يا أمير المؤمنين، لى كليبه قد ربتها المرأه تحضر كل امرأه فى القصر، و أحضر الكليبه فهى تعرفها من بين ألف امرأه، فإن وقفت عندها و إلا فاقتلنى، فقال للرجل: اخرج ثم قال لابن أخته لا تبقى امرأه فى القصر إلا و تخرج، فأخرج النساء، و خرجت المرأه بينهن و قد غير زيها و ألبسها الحلى و الجواهر و الثياب الفاخره و أطلق الكلبه، فجاءت فوقفت عندها فاستدعى الرجل، و قال:

زوجتک بما عليها، ثم التفت إلى ابن أخته و قال قصرک مملوء بالجوارى المستحسنات، و أنت تمد عينک إلى امرأه رجل غريب جاء من بلاد بعيده فأخذتها غصبا، ثم قال لغلمانه: أعطوه الرماح، و هذه قتله المغاربه، فخرجت أمه حاسره فبكت بين يديه، و قالت: مالى غيره، فقال و الله لابد، و قتله.

و منها ما حكاه أبو العباس أيضا قال: اشتهرت امرأه بالزهد، و أنها ما تأكل الخبز، فبعث إليها يعقوب و قال: أقيمى عندى فى القصر أياما لأتبرک بک، فأقامت عنده أياما فدخلت بعض جواريه إلى السقايه يوما فرأت الزاهده تأكل الخبز فى بيت الماء فبهتت، و جاءت إليه فأخبرته فقال لها: و الله لئن سمع هذا غيرى منک لأقتلنک، ثم بحث عن ذلک فوجده صحيحا، فأرسل إلى الزاهده خمسمائه دينار، و ثيابا، و قال لها: قد حصل لنا البركه بمقامک عندنا، و قد سألنى بنو عمى أن تقيمى عندهم فى قصرهم لتصل إليهم بركتک، فانتقلت إليهم و لم يظهر أمر المرأه.

قال: و كان جوادا سمحا يهب مائه ألف دينار، و خمسين ألفا، و يفتقد أرباب البيوت، و يكرم العلماء و الفقهاء و لم يسمع منه كلمه فحش، و كان عادلا متمسكا بالشرع، و يصلى بالناس الصلوات، و يلبس الصوف على جسده، و يقف للمرأه و الضعيف و يأخذ لهم الحق.

قلت يعقوب هذا هو الذى راسله صلاح الدين بشمس الدين ابن

منقذ يستنجد به فى سنه سبع و ثمانين و خمسمائه و مدحه ابن منقذ بأبيات من الشعر فأعطاه لكل بيت ألف دينار.

ذكر وفاته

قال علماء الأندلس: مرض يعقوب مرضا أشفى منه على الموت، فأوصى إلى ولده أبى عبد الله محمد، و أن لا يخفوا موته و أن يصلى عليه المسلمون، و يدفن على قارعه الطريق ليترحم عليه من يمر به، و توفى فى ربيع الأول، فكانت مده أيامه خمس عشره سنه، و بايع الناس ولده محمدا و استمر على سيره أبيه، ثم اختلفت الأهواء، و دخل النقص على البيت بموت يوسف، قلت: و عهدى بالشيخ أبى العباس باقيا فى سنه أربعين و ستمائه، و بلغنى أنه توفى فى سنه ثلاث و خمسين و ستمائه بالقرافه بمصر، و قد جاوز المائه سنه، و جرى بينى و بينه مذاكره فى القرافه فى سنه ثلاث و خمسين و ستمائه، فى ترک الصلاه و ما حكمه، فقال: انشدنى ابن الرمامه و اسمه محمد بن جعفر المرسى الحافظ قال:

أنشدنى أبو الفضل طاهر النحوى لنفسه يقول هذه الأبيات:

فى حكم من ترک الصلاه و حكمه إن لم يقربها كحكم الكافر

و إذا أقربها و جانب فعلهافالحكم فيه للحسام الباتر

و به يقول الشافعى و مالک و الحنبلى تمسكا بالظاهر

و أبو حنيفه لا يقول بقتله و يقول بالضرب الشديد الزاجر

هذى أقاويل الأئمه كلهم و أجلها ما قلته فى الآخر

المسلمون دماؤهم معصومهحتى تراق بمستنير باهر

مثل الزنا و القتل فى شرطيهماو انظر إلى ذاک الحديث السائر

و معنى قوله فى أول الأبيات: تمسكا بالظاهر، يعنى قوله عليه السلام «بين العبد و الكفر ترک الصلاه» و معنى قوله: «لا يحل دم امرى ء مسلم إلا

بإحدى ثلاث» الحديث.

السنه السادسه و التسعون و خمسمائه

اشاره

و فيها كان ابتداء جلوسى عند قبر الإمام أحمد بن حنبل فى يوم الأربعاء، و يجتمع خلق عظيم و تهب فى تلك المجالس من القبول نسيم و يعرف فيها نضره النعيم و يصحبها كل ما رد من طيب و كل كريم بكل تكريم سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ(1).

و دخلت هذه السنه و الحصار، و كان أتابک أرسلان شاه الموصلى قد رحّل الملک الكامل من ماردين، فقدم دمشق و معه خلق كثير من التركمان و عسكر الرها و حران فتأخر الأفضل بالعساكر إلى عقبه شيحورا سابع عشر صفر، و وصل الكامل تاسع عشر صفر، و نزل بجوسق أبيه على الشرف، و دخل الأفضل إلى مرج صفر، و رحل الظاهر إلى حلب و أحرقوا ما عجزوا عن حمله، و سار الأفضل إلى مصر، و أحضر العادل بنى الحنبلى: الناصح، و أخاه شمس الدين، و غيرهما و كان الأفضل قد وعد الناصح بقضاء دمشق، و الشهاب بالحسبه، فقال لهم العادل: ما الذى دعاكم إلى كسر باب الفراديس و مظاهره أعدائى على، و سفک دمى، فقال له الناصح: أخطأنا و ما ثم إلا عفو السلطان، فقال العادل: فما بدا منى إليكم ما يوجب ذلک، و لو لا أن يقال عنى أنى شنقت فقهاء ما أبقيت منكم أحدا و لكن البلد لكم هبوه لى، فأخرجهم إلى حلب.

و جرت بعد هذا واقعه عظيمه شفع فى الشهاب الحنبلى إلى العادل فرده، و كان يذكر الدرس فى حلقه الحنابله، و يأخذ مغل الوقف، و كان فى الحنابله رجل مصرى يقال له نصر يخدم الشيخ العماد، فأقام الشهاب سنين لا يعطيهم شيئا، فنهضوا و استغاثوا إلى العادل و هو فى دار العدل، و كان الملک الأشرف، و المعظم، و أولاد العادل وقوفا فى الخدمه، فقال

1- سوره ياسين- الآيه: 58.

نصر: يا سلطان العالمين، هذا الرجل الوقف معه مده يأكله، و لا يوصل إلينا شيئا، و كان ذلک فی حدود سنه عشر و ستمائه، فقال العادل: کم له معه سنه؟.

فقال نصر: من کسر باب الفراديس، فقال الملک الأشرف: ذا تاريخ ميشوم، فضحک العادل و الجماعه.

و أما الأفضل فإنه لما سار إلی مصر أرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين العدل أن يقول له: ترفق فإنا لک مثل الوالد، و عندی کل ما تريد فقال للعدل: قل له إن صح ما قلت فأبعد عنک أعدائی الصلاحيه، و بلغ الصلاحيه، فقالوا للعادل: ايش قعودنا، قم بنا، و ساروا خلف الأفضل مرحله مرحله، فنزل الأفضل بلبيس، و نزل العادل السائح، فرجع الأفضل، و ضرب بهم المصاف فکسروه، و تفرق عنه أصحابه، و دخل القاهره، و أغلق أبوابها، و جاء العادل فنزل البرکه و دخل سيف الدين يازکش بين العادل و الأفضل و اتفقوا أن يعطيه العادل ميافارقين و جبل جور، و ديار بکر، و يأخذ منه مصر، و رحل الأفضل من مصر فی ربيع الآخر، و دخل العادل القاهره، و أحسن إلی يازکش، و قال للأفضل جميع من معک کاتبنی إلا سيف الدين، و قدم العادل يازکش و حکمه فی البلاد، ورد القضاء إلی صدر الدين عبد الملک بن درباس الکردی، و ولی شيخ الشيوخ ابن حمويه التدريس بالشافعی، و مشهد الحسين، و النظر فی خانقاه الصوفيه، و جلس الوزير صفی الدين عبد الله بن علی وزير العادل فی دار السلطنه فی حجره الفاضل، و نظر فی الدواوين، قال العماد: أعطی القوس باريها، و أجری الأمور علی أحسن مجاريها، و سار الأفضل إلی ميافارقين، و استدعی العادل ولده محمد الکامل إلی مصر، فخرج من دمشق فی ثالث شعبان، و ودعه أخوه عيسی المعظم إلی رأس الماء، و قال العماد: و سرت معه إلی مصر و أنشدته هذه الأبيات:

دعتک مصر إلی سلطانها فأجب دعاءها فهو حق غیر مکذوب

قد کاد یهیضنی دهری فأدرکنی محمد بن أبی بکر بن أیوب

و رحل الکامل إلی مصر فی عاشر رمضان، و التقاه العادل من العباسه و أنزله دار الوزاره، و کان قد زوجه العادل ببنت أخیه صلاح الدین فدخل بها، و لم یقطع العادل الخطبه لولد العزیز، ثم إنه جمع الفقهاء و قال: هل یجوز ولایه الصغیر علی الکبیر؟ فقالوا: الصغیر مولی علیه، قال: فهل یجوز لکبیر أن یولی علیه و ینوب عنه؟ قالوا: لا، لأن الولایه من الأصل إذا کانت غیر صحیحه، فکیف تصح النیابه؟ فقطع خطبه ابن العزیز، و خطب لنفسه، و لولده الکامل محمد بن بعده.

و نقص النیل فی هذه السنه فلم یبلغ ثلاث عشره ذراعا، و وقع الغلاء و الوباء، و حج من العراق آقسنقر- المسمی- وجه السبع، و من الشام سامه الجبلی.

فصل و فیها توفی خوارزم شاه، و اسمه تکش بن أرسلان شاه بن أتسز

اشاره

، من ولد طاهر بن الحسین، و یلقب علاء الدین، و کان شجاعا ملک الدنیا من الصین، و الهند، و ماوراء النهر إلی خراسان، إلی باب بغداد، کان نوابه فی حلوان و کان دیوانه مائه ألف مقاتل، و هو الذی کسر مملوکه میانجق عسکر الخلیفه و أزال دوله بنی سلجوق، و کان حاذقا بعلم الموسیقا، لم یکن فی زمانه ألعب منه بالعود، و حکی أن الباطنیه جهزوا إلیه رجلا لیقتله، و کان یحترز کثیرا فجلس لیله یلعب بالعود، و شرع الخیمه فاتفق أنه غنی بیتا بالعجمیه و فیه «بینم» و معناه: قد أبصرتک فخاف الباطنی منه و ارتعد و هرب، فأخذ و حمل إلیه فقرره، فأقر فقتله، و کان یباشر الحروب بنفسه حتی ذهبت احدی عینیه فی الحرب، و کان یقول: الملک إذا لم یباشر الحرب بنفسه لا یصلح للملک، لأنه یکون مثل المرأه، و کان قد عزم علی

قصد بغداد، فجمع و حشد و وصل إلى دهستان فتوفى بها فى رمضان، فحمل فى تابوت إلى خوارزم فدفن عند أهله و أقام ولده محمد مقامه.

و فيها توفى القاضى الفاضل، و اسمه عبد الرحيم بن على بن حسن أبو على البيسانى الكاتب، ولد ببيسان فى سنه تسع و عشرين و خمسمائه، و اشتغل بعلم الأدب و الرسائل، فبرع فيه و صار أوحد زمانه فى فنه، و كان صلاح الدين يقول فى ملأ من الناس: لا تظنوا ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل، و كان يستشيره فى أموره، و قد ذكرنا طرفا من ذلک، و كان كثير العباده تاليا للقرآن، و قد استعان بآيات من الكتاب فى كثير من رسائله، و رسائله عشره مجلدات، و سمع قائلا يقول بيت شعر، و هو هذا:

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع در على خالصه

فقال: لو قلعت عينا هذا الشعر لأبصر، و سمع أيضا قائلا يقول:

«إن المداد خلوق ثوب الكاتب

فقال: الكاتب النحس، انتهى.

و كان الفاضل ممدحا، قال العماد: مدح بمائه ألف بيت من الشعر، و كان الفاضل متحيرا من الناس إذا سلم عليه من لا يعرفه آذاه، و إذا التقاه إنسان و لم يسلم عليه أعناه.

ذكر وفاته

لما تيقن الفاضل استيلاء العادل على القاهره دعا على نفسه بالموت خوفا من ابن شكر وزير العادل، فإنه كانت بينه و بينه وحشه، فخاف أن يستدعيه و يهينه، فقام تلک الليله يبكى و يتضرع و يصلى، فأصبح ميتا، و حكى عن الملک المحسن بن صلاح الدين أنه قال: اتفق يوم وفاه الفاضل يوم دخول العادل القاهره، دخل من باب النصر، و خرجنا

بجنازته من باب زويله، و دفن بتربته فى القرافه، و بنى مدرسه بالقاهره و وقف عليها أوقافا نقل إليها بعض كتبه، و كانت كتبه مائه ألف مجلده، و وقف على الأسارى وقفا عميما، فاستنقذ به خلقا عظيما، و هجاه ابن عنين الشاعر، فأشار على صلاح الدين بنفيه إلى البلاد فنفاه إلى الهند، و هجاؤه معروف، و قد قال فيه الوجه:

فى كتبه قلم يريک به القضاء مقدراما نور الظلماء غير مداده إذ نورا

فصل .... و فيها توفى قيماز النجمى

، و لقبه صارم الدين، كان من أكابر مماليک نجم الدين أيوب، و كان عظيم القدر عند صلاح الدين، إذا فتح بلدا سلمه إليه، و استأمنه عليه، و كان كثير الصدقات، و أفعال الخير، بنى القنطره بين خسفين و نوى و غيرها، و المدرسه المجاوره لداره بدمشق بجنب باب القلعه، و كان العادل قد جعله بدمشق مع ولده الملک عيسى ثقه به، فتوفى بدمشق فى جمادى الأولى، و ظهرت له أموال عظيمه فيقال إنه وجد له فى أسفل البركه مائه ألف دينار.

و فيها توفى الحاجب لؤلؤ بن عبد الله الذى ذكرنا أنه أخذ مراكب الفرنج فى بحر القلزم، و كان جوادا شجاعا، كثير الصدقات.

قال العماد: وقع الغلاء بمصر فى السنه الماضيه، و هذه، فكان يخبز كل يوم أربعه و عشرين ألف رغيف، يفرقها على الفقراء، و فى غير الغلاء كان يخبز كل يوم اثنى عشر ألفا، و كان صائما قائما متعبدا، و كانت وفاته بالقاهره فى جمادى الأولى و الله أعلم .....

السنه السابعه و التسعون و خمسمائه

اشاره

و فيها استناب الخليفه نصير الدين ناصر بن مهدى فى الوزاره، و أذن للقاضى ابن الشهرزورى فى الخروج من بغداد.

و فيها كانت حوادث عظيمه لم يتجدد مثلها فى السنين الماضيه، منها:

هبوط النيل، و لم يعهد ذلک فى الاسلام، إلا مره واحده، فإنه بقى منه شى ء يسير، و اشتد الغلاء، و الوباء بمصر، فهرب الناس إلى المغرب، و الحجاز، و اليمن، و الشام، و تفرقوا تفرق أيدى سبأ، و مزقوا كل ممزق أعظم من سنه اثنتين و أربعمائه فى أيام المستنصر، فإن كان الناس فى هذه السنه كان الرجل يذبح ولده الصغير و تشاركه أمه فى طبخه و شيه، و أحرق السلطان جماعه فعلوا ذلک، و لم ينتهوا و كان الرجل يدعو صديقه و أعز الناس عليه إلى منزله فيضيفه، فيذبحه و يأكله، و فعلوا بالأطباء كذلک، و كانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم و يأكلونهم، و فقدت الميتات و الجيف من كثره ما أكلوها، و كانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم، و كفن السلطان فى مده يسيره مائتى ألف و عشرين ألفا، و امتلأت طرقات المغرب، و الحجاز و الشام برمم الناس و صلى إمام جامع الاسكندريه فى يوم على سبعمائه جنازه.

قال العماد الكاتب: و فى سنه سبع و تسعين و خمسمائه اشتد الغلاء، و امتد البلاء، و تحققت المجاعه، و تفرقت الجماعه، و هلک القوى، فكيف الضعيف، و نحف السمين، فكيف العجيف، و خرج الناس حذر الموت من الديار، و تفرق فريق مصر فى الأمصار، و لقد رأيت الأرامل على الرمال، و الجمال باركه تحت الأحمال، و مراكب الفرنج واقفه بساحل البحر على اللقم تسترق الجياع باللقم، و جاءت فى شعبان زلزله عظيمه هائله من الصعيد فعمت الدنيا فى ساعه واحده فهدمت مدينه نابلس، و بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلق كثير، ثم امتدت إلى الشام، و الساحل، فهدمت نابلس، فلم تبق بها جدارا قائما إلا حاره السمره، مات تحت الهدم ثلاثون ألفا.

و هدمت عكا و صور و جميع قلاع الساحل، و امتدت إلى دمشق فرمت بعض المناره الشرقيه بجامع دمشق، و أكثر الكلاسه، و المارستان النورى،

و عامه دور دمشق إلا القليل، و هرب الناس إلى الميادين، و سقط من الجامع ست عشره شرفه، و تشققت قبه النسر، و خسف بالكلاسه، و تهدمت بانياس، و هونين و تبنين و خرج قوم من بعلبک يجنون الريباس من جبل لبنان، فالتقى عليهم الجبلان، و ماتوا بأسرهم.

و تهدمت قلعه بعلبک مع عظم حجارتها، و وثيق عمارتها، و امتدت إلى: حمص، و حماه، و حلب، و العواصم، و قطعت البحر إلى قبرس، و انفرق البحر فصار أطوادا، و قذف بالمراكب إلى الساحل، فتكسرت، ثم امتدت إلى خلاط، و أرمينيه، و آذربيجان، و الجزيره، و أحصى من هلک فى هذه السنه على وجه التقريب فكان ألف ألف انسان، و مائه ألف انسان، و كان قوه الزلزله فى مبدأ الأمر بمقدار ما يقرأ الانسان سوره الكهف، ثم دامت بعد ذلک أياما.

فقال بعض البلغاء: أما بعد، فإنه لما حدث بملک الشام حادث الزلازل، و وجد فى أكثرها أعظم البلايا و البلابل، حتى طمت الأرض من أرض الجزيره إلى بلاد الساحل، و هدمت الحصون و المعاقل، و أخربت ما لا يحصى من الدور و المنازل، و سوت الأعالى من البنيان بالأسافل، و أوحشت من أهلها المجالس، و المحافل، و شدخت كثيرا من الهام بالجنادل، و فصلت من الأعضاء و المفاصل، و أبانت من الأقدام و الأكف و الأنامل، و أدبر القطان من الأوطان إدبار النعام الجافل، و خلا كثير من السكان فى الموارد و المناهل، و كثرت فى الدنيا اليتامى و الأرامل، و أرمضت قلوب الفاقدات، و أرمضت عيون الثواكل، و أخمصت كثيرا من أجنه الحوامل، و وضعت الطيور لهولها فى الحواصل.

فكان ما حدث منها عبره للبيب العاقل، و حسره على المصر الغافل، و تنبيها على اخلاص التوبه المتغافل، و إزعاجا للمتباطى ء عن الطاعه و المتثاقل، و ما ظلم الله عباده بإهلاک النسل و الناسل، و لكنهم لما تعاموا عن الحق، و تمادوا فى الباطل و أضاعوا الصلوات، و عكفوا على

الشهوات و الشواغل، و أهدروا دم المقتول، و أرشوا فی ترک القاتل، و ارتکبوا الفجور، و شربوا الخمور، و انتشر فسقهم فی القبائل، و أکلوا الربا و الرشا و أموال الیتامی، و هو شر المآکل، و زهدوا فیما رغبوا فیه، و طمعوا فی الحاصل، و من بقی منهم إنما یستدرج فی أیام قلائل، و ما جری علی البلاد فعبره و موعظه للخارج و الداخل.

و الله یمن علی الإسلام، و أهله بفرج عاجل، و یوفقهم للقیام بمرضاته من أداء الفرائض و النوافل، و یکفیهم من عذابه الألیم الهائل، و ینجیهم من عقابه الآجل و العاجل، فهو مجیب المضطر، و معطی السائل و فارج الکرب الفادح و الخطب النازل.

و فی مستهل ذی القعده حوصرت دمشق، و جاء الأفضل، و الظاهر، و کان العادل بمصر، و بشاره ببانیاس، و قد أقطعها العادل مع تبنین و هونین و غیرهما لجهرکس، فلما نزل الأفضل و الظاهر علی دمشق، جاء بشاره بجنده لهما، فقاتلوا دمشق أیاما، و کان بها الملک المعظم عیسی، و بلغ العادل، فجاء فنزل نابلس، و بعث و أصلح الأمراء، و زحف الأفضل و الظاهر فوصلوا إلی باب الفرادیس، و أحرقوا فندق تقی الدین، و قاتلهم المعظم و حفظ البلد، و أقاموا شهرین، و فی شهر ذی القعده وقعت المصلحه للعادل، و الخلف بین الأخوین فرحلوا سلخ ذی القعده، و جاء العادل فدخل دمشق و مضی المعظم و جهرکس، و قراجا فحاصروا بانیاس و بها حسام الدین بشاره فقاتلهم فقتل ولده و أخرجوه من البلاد و تسلمها جهرکس و سلم قراجا صرخد.

فصل و حج بالناس طاشتکین

، و کان الخلیفه أفرج عنه، ورد علیه إقطاعه و ماله، و توفی جدی، و العماد عقیب هذه الزلازل.

فصل و فیها توفی عز الدین ابن المقدم

، و اسمه إبراهیم بن محمد بن عبد

الملک، و أبوه محمد المقتول بعرفات، و کان إبراهیم شجاعا، عاقلا، و له قلعه بارین و فامیه، و منبج، و الراوندان، و عده حصون مدعینه إلیها الملک الظاهر فأخذها و بقیت له بارین فتوفی و دفن فی العقیبه، و کان له بنات ...

فصل و فیها توفی العماد الکاتب، و اسمه محمد بن محمد بن حامد بن محمد

بن عبد الله بن علی بن محمود بن هبه الله بن الّه بتشدید اللام، و هو اسم فارسی و معناه بالعربیه العقاب، و کنیته أبو عبد الله بن أبی الفرج الأصبهانی المشد، و یعرف بابن أخی العزیز، و قد ذکرنا جمله من أخباره و عباراته و آثاره، و ذکره الحافظ ابن عساکر فقال: ولد بأصفهان فی سنه تسع عشره و خمسمائه، و بها نشأ و تفقه علی مذهب الشافعی علی أبی منصور سعید بن محمد بن الرزاز، مدرس النظامیه، و سمع علیه الحدیث، و استقل بعلم الأدب و الکتابه و الإنشاء، و برع فیها، و خدم الوزیر یحیی بن هبیره، و کان أحد کتابه و شعرائه، ثم سافر إلی الشام، و قدم دمشق فی أیام نور الدین محمود بن زنکی، و أنزله القاضی ابن الشهرزوری کمال الدین فی المدرسه التی فی نواحی باب الفرج عند باب القصر، و کان نجم الدین أیوب بدمشق فقصد زیارته لیرفع من قدره و مدحه العماد.

و قد ذکرناه فی سنه اثنتین و ستین و خمسمائه، ثم مدح نور الدین، و أسد الدین، و صلاح الدین و کان فاضلا عارفا بالأدب، أخذه عن ابن الخشاب، و کان القاضی الفاضل یقول: العماد کالزناد الوقاد، یعنی أن النار فی باطنه، و ظاهره فیه قتره، و له الترسل و النظم و النثر، و کان حافظا لدواوین العرب، و صنف المصنفات الحسان، و کان القاضی الفاضل یحبه و یثنی علیه، و یمازحه، و هو الذی استخدمه عند صلاح الدین، و قد ذکر العماد نفسه فی الخریده، و مبدأ حاله، و أن عمه العزیز لما توفی کان طفلا، و قد ذکرنا أن عمه العزیز قتل بتکریت، و أن أبا العماد صودر بأصبهان، و خرجوا منها و قدموا بغداد فی سنه أربع و ثلاثین

و خمسمائه، و أنه عاد إلى أصبهان فى سنه ثلاث و أربعين و خمسمائه فى زى طلبه العلم، فإنه لقى بها الفضلاء، و صحب العلماء، و خرج منها فى سنه ثمان و أربعين و خمسمائه على نيه الحج، ثم عاد إليها، ثم سافر إلى بغداد مع أبيه فى سنه احدى و خمسين و خمسمائه [فاتصل بالوزير يحيى بن هبيره و مدحه] بقصائد و استكتبه و استنابه بواسط و أعمالها.

و فيها برز العادل إلى القصير طالبا حلب، و كان الأفضل بحمص عند شيركوه، فجاء إلى عمه العادل فالتقاه عند ثنيه العقاب، فأكرمه و عوضه عن ميافارقين صميصات، و سروج، و قلعه نجم، و قد أتى فى المرج و حضر، و تسلم الملک الظاهر فاميه من شمس الدين ابن المقدم فى صفر، و نزل العادل إلى حمص.

و جات فى شعبان زلزله عظيمه هائله فشققت قلعه حمص و رمت المنظره التى على القلعه و أخربت حصن الأكراد، و تعدت إلى جزيره قبرس و امتدت إلى نابلس فأخربت ما بقى.

و فيها شرع الشيخ أبو عمر شيخ الفارسيه رحمه الله فى بناء الجامع بالجبل، و كان بقاسيون رجل فامى يقال له أبو داود محاسن، و أدركته فى سنه ست و ستمائه فوضع أساسه و بلغ قامه، و أنفق عليه ما كان يملكه، و بلغ ابن زين الدين مظفر الدين فبعث إلى الشيخ أبى عمر مالا فتممه، و وقف عليه وقفا، و بعد ذلک أراد ابن زين الدين أن يسوق الماء إليه من برزه، و بعث إليه ألف دينار، فقال المعظم عيسى رحمه الله: طريق الماء كله قبور، و كيف يجوز أن ينبش عظام المسلمين، اشتروا بغلا و اعملوا مدارا، و بالباقى مكانا، و أوقفوا عليه و لا تؤذوا أحدا ففعلوا .....

السنه الستمائه

اشاره

دخلت سنه ستمائه، و فى أول هذه السنه سافرت من بغداد إلى الشام، و هى أول رحلتى، فاجتزت بدقوقا، و بها خطيبها، و يقال له الحجه،

و كان يعظ بها، و روى لنا الحديث، و سمع بالعراق ابن البطى و غيره، و جلست بدقوقا، ثم قدمت إربل، فاجتمعت بشيخ كيس ظريف يقال له محيى الدين الساقانى، و أنشدنى مقطعات لغيره، ثم قدمت الموصل، و جلست بها، و حصل لى القبول التام بحيث أن الناس كانوا ينامون ليله المجلس فى الجامع من كثره الزحام، و أدركت بها جماعه من علماء الإسلام، و حمله حديث المصطفى عليه السلام، فسمت الأحاديث النقوريه على أبى طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسى الخطيب، و غيره، ثم قدمت حران فجلست بها، و سمعت الخطيب فخر الدين ابن تيميه، و ابن الطباخ، و عبد القادر الرهاوى، و غيرهم.

ثم قدمت حلب، و جلست بها، و سمعت شمائل النبى صلى الله عليه و سلم، من افتخار الدين، و أسباب النزول من عبد الرحمن ابن الأستاذ و غيرهما، ثم سمعت شمائل النبى صلى الله عليه و سلم من افتخار الدين سنه ثلاث و ستمائه، مره ثانيه، ثم قدمت دمشق و نزلت بقاسيون عند الفارسيه، و جلست به و بجامع دمشق، فكانت مجالسى و لله الحمد و المنه مثل غرفات الجنه، ثم زرت البيت المقدس المخصوص بالإعظام، و قبر الخليل عليه السلام، و جلست بالبيت المقدس، و ذكرت فضله الذى هو على التقوى مؤسس.

و عدت إلى قاسيون فأقمت بها إلى سنه ثلاث و ستمائه، و رجعت إلى حلب، و أدركت بالشام شيخنا تاج الدين الكندى، و جمال الدين بن الحرستانى القاضى، و شمس الدين ابن الشرازى، و شرف الدين ابن الموصلى، و بنى عساكر، و قرأت على الشيخ موفق الدين الحنبلى، و داود بن ملاعب، و ابن صصرى، و خلق كثير، و صحبت الشيخ أبا عمر شيخ الفارسيه و شاهدت منه الزهد فى الدنيا، و الورع و الفضل، و التواضع، و من أخيه الموفق و نسيبه العماد ما يرد به عن الصحابه و الأولياء و الأفراد، فأنسانى حالهم أهلى و أوطانى، مع بقاء أعيانى، ثم عدت إليهم

بعد ذلک علی نیه الاقامه عسی أن أکون رفیقهم فی دار الإقامه، و أنشدت بلسان الظاهر و الباطن أقول:

فألقت عصاها و استقر بها النوی

فصل و فیها کانت کسره المواصله

سار نور الدین صاحب الموصل إلی تل أعفر، ففتحها بالسیف، و کانت لقطب الدین ابن عماد الدین صاحب سنجار، فاستنجد قطب الدین بالملک الأشرف ابن العادل، فجاء و معه سنجر شاه صاحب الجزیره، و الصالح صاحب آمد، و الأوحد أخو الأشرف صاحب میافارقین فی عساکر دیار بکر، و اجتمعوا فی خلق عظیم، و کان صاحب الموصل نازلا علی کفر ذمار فی عسکر الموصل لا غیر، و کان الحر شدیدا و الأشرف علی یوسری فی ألوف، فساق علیهم نور الدین فی أول مره، ثم کانت الکسره علیه لسوء تدبیره، لأنهم کانوا أضعافهم مستریحین و هو متعوب عطشا فانهزم و أسروا جماعه من أمرائه منهم: المبارز سنقر، الجبلی، و ولده الظهیر غازی، و ذلک فی یوم السبت تاسع عشر شعبان، و دخل نور الدین الموصل و تحصن بها، و استعد للحصار، و جاء الأشرف فنزل کفر ذمار، و تراسلا و اصطلحا فی آخر ذی الحجه، و أطلق الأمراء الذین أسرهم إلا المبارز سنقر، و ولده الظهیر غازی فإنهما أقاما فی سجن حران مده حتی شفع فیهما قطب الدین بن زین الدین فأطلقهما و تزوج الأشرف أخت نور الدین صاحب الموصل.

فصل [: فی قتل ناصر الدین بن أرتق صاحب ماردین عمه زوج أمه نظام الدین]

و فیها وثب ناصر الدین بن أرتق صاحب ماردین علی عمه زوج أمه نظام الدین، و غلامه لؤلؤ فألحقهما بالهالکین، و استولی، و کانا قد حکما علیه و قترا الرزق علیه، و کان ناصر الدین و أخوه حسام الدین نازلین بحرزم لا یمکنهما النظام و لؤلؤ من سکنی القلعه، و یقال إن لؤلؤ دس

إلى حسام الدين من سقاه السم فرمى كبده قطعا، و بقى ناصر الدين فخاف أن يجرى عليه ما جرى على أخيه، و يصير له تعبا، فكان النظام و لؤلؤ يأكلون البلاد على اسم ناصر الدين، و كان يصعد إلى القلعه للسلام على النظام، فصعد على العاده و ضبط له الأمراء الباب، فدخل على النظام و قد تهيأت له الأسباب و عنده أم ناصر الدين فضربه بالباقرون فقامت إليه فى وجهه، و قالت: تأن فما يفوت، فقال: اذهبى و إلا ألحقتک بالنظام، ثم قتله، و خرج و اتفق دخول لؤلؤ فالتقاه فى الدهليز و كان أعور ذهبت احدى عينيه فى حصار ماردين، فضربه بالباقرون فى عينه الصحيحه على أفعاله القبيحه، و طلع السطح فرمى به للعوام، فانهزم أصحاب لؤلؤ و النظام، و ملک القلعه بما فيها و استولى على ذخائر يحير وصفها، و بعث ناصر الدين بأطراف لؤلؤ إلى الموصل، و ميافارقين و جبل جور، و استقامت له الأمور.

و فيها حج بالناس طاشتكين .....

السنه الحاديه و ستمائه

اشاره

و فى جمادى الآخره عزل الخليفه الناصر ولده أبا نصر محمد عده الدنيا و الدين عن ولايه العهد، اجتمع أرباب الدوله فى دار الوزير ابن مهدى و القضاه، و العلماء، و الفقهاء و الأمراء، و أخرج الوزير رقعه بخط ولى العهد إلى والده مضمونه أنه حين ولاه العهد لم يكن يعلم ما يجب عليه و لا قدر ذلک، و أنه سأل أباه إقالته و عزله و أنه لا يصلح لذلک، و شهد عليه أبو منصور سعيد بن الرزاز، و أبو نصر أحمد بن زهره العدلان بذلک، و أن الخليفه أقاله، و انشأ محمد بن محمد القمى كتابا إلى البلدان بذلک، و هذا محمد القمى هو الذى ناب فى الوزاره، و عزل فى أيام المستنصر بالله و لقبه المكين.

و فى جمادى الآخره عقيب هذه الواقعه وقع حريق فى دار الخليفه لم يجر فى الدنيا مثله، فتحت أبواب الدار فى الليل، و ركب الوزير ابن

مهدى و أرباب الدوله إلى خزانه السلاح، فرأوا النار قد لعبت فيها، و اجتمع جميع من ببغداد من: السائقين، و الفراشين بالقرب، و الروايا و الصناع، و الفعله و أقاموا يوما و ليله يقلبون الماء على النار، و هى تزداد، فاحترق جميع ما كان فى الخزانه من الأسلحه و الأمتعه و القسى، و النشاب و الرماح، و الجروخ، و السيوف و الجواشن و الزرديات، و قدور النفط و الخوذ المرصعه بالجواهر، و اليواقيت، و عملت النار و ساعدها الهواء، و دبت إلى الدور، و التاج، و الدار البيضاء، فخرج الخليفه منها إلى دجله، و احترقت خزانه الرؤوس [و فيها] رأس البساسيرى، و رأس ابن منكلى، و رأس طغريل و غيرها، و يقال إن قيمه ما ذهب ثلاثه آلاف ألف و ستمائه ألف دينار، و كان ذلک عبره لمن اعتبر، و فكره لمن افتكر.

فصل و فيها جاءت الفرنج إلى حماه، و أخذوا النساء الغسالات

من باب البلد على العاصى، و خرج إليهم الملک المنصور ابن تقى الدين و ثبت و أبلى بلاء حسنا، و كسر الفرنج عسكره، و وقف على الصافه من المرقنطه إلى باب حماه، و لولا وقوفه ما أبقوا أحدا من الناس.

و حج بالناس من العراق وجه السبع، و من الشام صارم الدين برغش العادلى والى قلعه دمشق، و زين الدين قراجا صاحب صرخد، و جاء أبو محمد يوسف، و قرأ عزل ولى العهد بمكه و المدينه عند قبر النبى صلى الله عليه و سلم .....

فصل و فيها توفى الملک ابن بكتمر صاحب خلاط

، كان شابا لم يكن فى الدنيا أحسن منه، و لم يبلغ عشرين سنه قتله الهزار دينارى، و قيل بل غرقه فى البحر، ثم قتل الهزار دينارى بعده و سنذكره، و الحمد لله وحده و صلى الله على أشرف خلقه محمد و آله و صحبه و سلم.

السنه الثانيه و ستمائه

اشاره

و فيها استوزر الخليفه نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الحسنى، و خلع عليه خلعه الوزاره: القميص، و الدراعه، و العمامه، و خرج من باب الحجره، فقدم له فرس من خيل الخليفه، و بين يديه دواه فيها ألف مثقال ذهب، و وراءه المهد الأصفر، و ألويه الحمد، و طبول النوبه، و الكوسات تخفق، و العهد منشور بين يديه، و جمع أرباب الدوله مشاه بين يديه، و ضربت الطبول و البوقات له بالرحبه فى أوقات الصلوات الثلاث: المغرب، و العشاء، و الفجر، فقال الناس: يا ليت شعرنا ماذا أبقى الخليفه لنفسه.

و فيها هرب أبو جعفر محمد بن حديده الوزير الانصارى من دار ابن مهدى، و كان محبوسا بدار المطبخ عند ابن مهدى ليعذبه، فحلق ابن حديده رأسه و لحيته، و خرج فلم يظهر خبره إلا من مراغه بعد مده، و عاد إلى بغداد ..

و فيها توجه ناصر الدين صاحب ماردين إلى خلاط بمكاتبه، فجاء الملک الأشرف فنزل على دنيسر، و أقطع بلاد ماردين، فعاد ناصر الدين إلى بلده، بعد أن غرم مائه ألف دينار، و لم يسلموا إليه خلاط.

و فيها أغار ابن لاون على بلاد حلب، و أخذ الجشار من نواحى حارم فبعث الملک الظاهر فارس الدين ميمون القصرى، و أيبک فطيس، و ابن تركمان، و حسام الدين ابن أمير تركمان، فنزلوا على حارم فقيل لميمون:

كن على حذر فتهاون، و كبسهم ابن لاون، و قتل جماعه من المسلمين و ثبت أيبک فطيس، و ابن التركمان، و قاتلا قتالا شديدا، و لولاهم لأخذ ميمون، و بلغ الظاهر فخرج من حلب، و نزل مرج دابق، و جاء إلى حارم، فهزم ابن لاون إلى بلاده و كان قد بنى قلعه فوق دربساک، فأخربها و عاد إلى حلب.

و حج بالناس من العراق وجه السبع، و من الشام الشجاع بن على بن السلار .....

فصل و فيها توفى طاشتكين بن عبد الله التسترى

أمير الحاج و الحرمين و لقبه مجير الدين حج بالناس ستا و عشرين حجه، و كان فى طريق الحج مثل الملوک، فحسده ابن يونس، و قال للخليفه: إنه يكاتب صلاح الدين، و زور عليه كتابا فحبسه مده، ثم تبين له أنه برى ء من ذلک فأطلقه، و أعطاه خوزستان، ثم أعاده إلى إمره الحج، و كانت الحله السيفيه إقطاعه، و كان جوادا شجاعا، سمحا قليل الكلام يمضى عليه الأسبوع لا يتكلم، استغاث إليه رجل يوما فلم يكلمه، فقال الرجل: الله كلم موسى فقال: أنت موسى؟ فقال الرجل: و أنت الله؟ فقضى حاجته.

و كان حليما التقاه رجل فاستغاث إليه فى بوابه، فلم يجبه فقال له الرجل أحمار أنت؟ فقال طاشتكين: لا، و قام يوما إلى الوضوء فحل حياصته و تركها موضعه، و دخل ليتوضأ، و كانت الحياصه تساوى خمسمائه دينار فسرقها الفراش و هو يشاهده، فلما خرج طلبها فلم يجدها فقال أستاذ داره: اجمعوا الفراشين، و أحضروا المعاصير، فقال له طاشتكين لا تضرب أحدا فالذى أخذها ما يردها، و الذى رآه ما يغمز عليه، فلما كان بعد مده رأى على الفراش الذى سرق الحياصه ثيابا جميله و بزه ظاهره، فاستدعاه سرا و قال له: بحياتى هذه من ذيک؟ فخجل؟

فقال لا بأس عليک فاعترف فلم يعارضه، و كان قد جاوز تسعين سنه فاستأجر أرضا وقفا ثلاثمائه سنه على جانب دجله ليعمرها دارا، فكان ببغداد رجل يحدث فى الخلق، يقال له قبيح المحدث فقال: يا أصحابنا نهنئكم مات ملک الموت، فقالوا: و كيف؟ فقال: طاشتكين عمره مقدار تسعين سنه استأجر أرضا ثلاثمائه سنه، فلولا علم أن ملک الموت قد مات ما فعل هذا، فتضاحک الناس.

و كانت وفاته بتستر، و أوصى أن يحمل إلى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام، فحمل فى تابوت فدفن كما أوصى.

فصل و فيها توفى مسعود و مودود ابنا الحاجب مبارک بن عبد الله

، فمسعود لقبه سعد الدين صاحب صفد، و مودود لقبه بدر الدين شحنه دمشق و أمهما أم فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، و أصل أمهما من المنظره، ففرخشاه أخوهما لأمهما، و اختهما ست عذراء صاحبه المدرسه المجاوره لقلعه دمشق، و كانا أميرين كبيرين، لهما مواقف كثيره مع صلاح الدين، و تقدمت وفاه بدر الدين مودود، فإنه مات بدمشق يوم الأحد خامس شهر رمضان، و توفى سعد الدين بصفد يوم الاثنين خامس شوال، فبينهما شهر، و الحمد لله وحده و صلواته على أشرف خلقه محمد و آله و صحبه و سلم.

السنه الثالثه و ستمائه

و فيها فارق وجه السبع الحج، و قصد الشام، و كان فى الحج العراقى جمع من الأعيان، فبكوا و ضجوا، و سألوه فقال: مولانا أمير المؤمنين محسن إلىّ و ما أشكو إلا من الوزير ابن مهدى يقصدنى لقربى من مولاى، و ما عن الروح عوض، و سار إلى الشام و دخل الحجاج بغداد و عليهم وحشه و كآبه، و أمر الخليفه أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم و لا يخرج إليهم أحد و أدخل الكوس، و العلم، و المهد فى الليل، و أقام الخليفه حزينا أياما.

و أما وجه السبع فوصل إلى دمشق فالتقاه العادل و أولاده و خدمه، و أحسنوا إليه و أكرموه .....

و فيها قبض الخليفه على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الذى أحرقت كتبه فى الرحبه، و استأصله، و أصبح يطلب من الناس، و كان قد بلغه فسقه و فجوره .....

و فيها نزلت الفرنج على حمص، و كان الظاهر قد بعث يوسف خطلخ الجبلى إليها نجده لأسد الدين، و أمر فى هذه المره الصمام ابن العلائى صاحب حمص.

و فيها فارقت دمشق قاصدا إلى حلب، و جلست بقاسيون و ودعت الناس، فلم يتخلف بدمشق إلا اليسير، و امتلأ جامع الجبل بالناس فصاحوا علينا من الشبابيک و الأبواب: لا، لا، لا، يعنى قوموا فاخرجوا، فخرجنا إلى المصلى، و كان شيخنا تاج الدين الكندى حاضرا، فلما خرج من الباب زحموه فانكشف رأسه، و وقعت عمامته فعز على و سألته أن يمضى إلى دمشق و لا يحضر فى المصلى، فامتنع و قال: لا و الله حتى يتم المجلس، و تاب فى ذلک اليوم زياده عن خمسمائه شاب، و قطعوا شعورهم، و كان سيف الدين ابن بيرک حاضرا، و جرى الكلام فى المغناطيس و أنه يعشق الحديد ثم قلت و الحبارى يعشق الشمس، و لهذا كلما مالت الشمس إلى جهه مال الحبارى إليها فصاح شمس الدين بن بيرک: كلنا اليوم حبارى.

و حج بالناس مجاهد الدين ياقوت و هى أول حجه حجها، و حج صدر جهان، و وصلت إلى حلب فى ذى الحجه و اجتمعت بالنقاش الحلبى الشاعر، و لقبه تاج الدين، و اسمه مسعود بن أبى الفضل أبو الفتح فأنشدنى مقطعات من شعره، و كتبها لى بخطه، و مولده سنه أربعين و خمسمائه، و مدح الملک الأمجد صاحب بعلبک، قلت: و هجا مسعودا صاحب شيزر بيتين هما عينا الذم، و سبب ذلک أنه حكى عن نفسه قال: اشتريت من دمشق فاكهه بأربعين درهم**، 350، و قوسين بأربعين درهما، فقصدت شيزر، فنزلت بخان فى الربض و أخبر مسعود صاحبها بى فاستدعانى، فدخلت عليه، و قدمت له الهديه و أنشدته أبياتا غزلا و مديحا فلما انتهينا أخرج من تحت طراحته خمسه دراهم، و قال:

أنفق عليک هذه الليله فطباخنا مريض، فنزلت إلى الخان فلما كان

صبیحه ذلک الیوم جاءنی أستاذ داره، و قال: الأمیر یسلم علیک، و یقول لک: کم ثمن الفاکهه و القوسین؟ فقلت: معاذ الله أن أذکر لهما ثمنا، و إنما أهدیتهما للأمیر، فقال: لابد، فقلت: اشتریتهما من دمشق بثمانین درهما، و اکتریت لی و لهما بغلا بعشرین درهما، فعاد و معه مائه درهم و قال: هو یعتذر إلیک و ما فی الخزانه شی ء، فامتنعت من أخذها و خرجت من شیزر و لم أبت بها و قلت:

ما ألیق النحس بمسعود کم علی الوری یا ساکنی شیزر

فیا ملوک الأرض هموا به فإنه و الله شی ء زری

قلت عهدی بالنقاش فی سنه ثمان و ستمائه فی الحیاه، و قدم دمشق فی سنه تسع و ستمائه، و أنشد الجماعه قطعا من قصائده، و أفادهم من فرائد فوائده، إلا أنه کان باطنه کالزناد الوقاد، و ظاهره کالجلید و الجماد، و من رآه نسبه إلی البلاهه و عدم الذکاء و الفقاهه، فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مثل الجمان، و قد شاهدته، و لیس الخبر کالعیان، و لم أقف علی تاریخ وفاته .....

السنه الرابعه و ستمائه

اشاره

..... قلت و حججت أنا فی هذه السنه و هی الرابعه و ستمائه و رأیت من الموتی ما أذهلنی و خصوصا فی النقره و العسیله فإنی رأیت فیها ما یزید علی خمسه آلاف میت و مشینا ثلاثه أیام فی الأموات .....

فصل ..... و فیها وصل النجم خلیل قاضی العسکر الحنفی إلی بغداد

رسولا من العادل و أخرج فی مقابلته السهروردی، و سنقر السلحدار و معهما الخلع للعادل و أولاده، و کان فی خلعه العادل: الطوق و السواران.

و فيها ملک الأوحد ابن العادل خلاط، کاتبه أهلها بعد قتل ابن بکتمر الهزار دیناری، و یأخذ بثأر أخی [ابن بکتمر] فسار إلی أخلاط و خرج الهزار دیناری للقائه فضربه فأبان رأسه، و عاد إلی أرزن الروم، و بقیت خلاط بغیر ملک و کان الأوحد صاحب میافارقین فکاتبوه فجاء إلیهم و استولی علیها و کانوا جبابره و شرط علیهم بالملازکردیه(1) و المقدمون، فشرع فیهم فأبادهم، و غرقهم فی بحر خلاط و بدد شملهم.

و فیها حج بالناس یاقوت و حججت معه، و هی أول حجاتی، و کانت الوقفه یوم الأربعاء، وعدت إلی العراق، و حج من الشام زین الدین دلدرم، و شیخ الشیوخ صدر الدین و أولاده، و شبل الدوله الحسامی و خلق کثیر ....

فصل .... و فیها توفی قراجا الصلاحی صاحب صرخد

، و لقبه زین الدین، کان شجاعا جوادا، توفی بدمشق، و دفن بقاسیون، و قبره عند تربه ابن تمیرک فی قبه علی الجاده .....

السنه الخامسه و ستمائه

و فیها تکاملت دار المضیف ببغداد بالجانب الغربی للحجاج، و الواردین من البلاد، و رتب الخلیفه لهم فنون الأطعمه و الزاد، و إذا عادوا من الحج رتب فیهم الدنانیر و الثیاب.

و فیها زلزلت نیسابور زلزله عظیمه، و دامت عشره أیام فمات تحت الهدم خلق کثیر، و حج بالناس من العراق یاقوت، و من الشام حسام الدین قیماز والی القدس .....

1- انظر الموسوعه ج 59- ص 117.

السنه السادسه و ستمائه

اشاره

و فيها نزلت الكرج على خلاط، و بها الملک الأوحد بن العادل فی عسکر خلاط، و جاء ملک الكرج، و يقال له إيوانی فی خلق عظيم و تحصن الأوحد فی القلعه، و حصر أبواب البلد و ضايقه و أشرف على أخذه، فأصبح ذات يوم فقال له منجمه: البشاره لی، قال: و كيف؟ قال:

ما تبيت الليله إلا فی قلعه خلاط، فشرب الخمر حتى ثمل و ركب فی جيوشه، و قصد باب أرجيش، و خرج إليه المسلمون فقاتلوه و رأوا ما لا قبل لهم به، فبينما هم كذلک إذ عثر به جواده فقتل عليه جماعه من خواصه، و أخذ أسيرا فحمل إلى القلعه فبات بها و رحل الكرج عن البلد، و فرج الله عن أهله، ثم اتفق مع الأوحد على أن يرد إيوانی ما فتح من بلاد المسلمين، و يطلق الأسارى و مائه ألف دينار، و يزوج إيوانی ابنته من أخی الأوحد، و قيل إنما كانت وقعه إيوانی بعد حصار سنجار فی سنه سبع و ستمائه(1).

و فی ربيع الأول نزل العادل على سنجار بعساكر الشام، و مصر، و ديار بكر، و حلب، و معه أولاده، و أقام بضربها بالمناجيق إلى رمضان، و لم يبق إلا تسليمها فأرسل الظاهر أخاه المؤيد يشفع فی السنجاريه فلم يشفعه، و مات المؤيد فی هذه السنه، و كره المشارقه مجاوره العادل فاتفقوا عليه و صاحب إربل و أرسل الخليفه إلى ابن الضحاک، و آقباش يشفع إلى العادل فيهم، و تقاعد العسكر عن القتال، و خذله صاحب حمص، فرحل بعد أن أخذ نصيبين، و الخابور، و نزل حران و فرق العساكر، و عزم صاحب إربل، و الموصل، و ماردين، و الجزيره، و حلب على قتال العادل، ثم صالحوه، و اتفقوا.

و حج بالناس من العراق ياقوت، و من الشام فخر الدين إياس الشمامی .....

1- انظر الموسوعه ج 59- ص 134.

فصل ..... و فيها عصى قطب الدين سنجر الناصرى بتستر بعد موت طاشتكين

، و كان زوج ابنته، فبعث إليه الخليفه عز الدين نجاح الشرابى، و مؤيد الدين القمى نائب الوزاره، فلما قربوا من تستر هرب سنجر بأمواله و أهله إلى صاحب شيراز أتابک نرسى، و قيل سعد، فحلف له أن لا يسلمه، ثم نكث و غدر به و نهب أمواله، و جميع ما كان معه و ارتكب من النساء الفواحش، و سلمه إلى نواب الخليفه فعادوا به إلى بغداد فأدخل سنجر بعد الملک و السلطنه على بغل فى السنه الآتيه.

فصل و فيها خرجت من دمشق إلى نابلس إلى الغزاه

، و كان الملک المعظم عيسى رحمه الله بها، جلست بالجامع يوم السبت خامس ربيع الأول و كان الناس من باب المشهد الذى لزين العابدين إلى باب الناطفانيين، و إلى باب الساعات، و كان القيام فى الصحن أكثر بحيث امتلأ جامع دمشق، و حزروا ثلاثين ألفا، و كان يوما لم ير بدمشق مثله و لا بغيرها، و كان قد اجتمع عندى شعور كثيره، و قد وقفت على حكايه أبى قدامه الشامى مع تلک المرأه التى قطعت شعرها، و بعثت به إليه و قالت:

اجعله قيدا لفرسک فى سبيل الله، فعملت من الشعور التى اجتمعت عندى شكلا لخيل المجاهدين، و لما صعدت المنبر أمرت بإحضارها فحملت على أعناق الرجال، و كانت ثلاثمائه شكال، فلما رآها الناس صاحوا صيحه عظيمه، و قطعوا مثلها، و قامت القيامه، و كان المبارز المعتمد إبراهيم رحمه الله والى دمشق حاضرا و جميع الأعيان، فلما نزلت من المنبر يطرق لى و يمشى بين يدى إلى باب الناطفانيين، فتقدم إلى فرسى فأمسک بركابى و أركبنى، و خرجت من باب الفرج إلى المصلى، و جميع من كان بالجامع بين يدى، و سرنا من الغد إلى الكسوه و معنا خلق مثل التراب.

و كان معنا من قريه واحده يقال لها زملكا، من قرى دمشق، ثلاثمائه رجل بالعدد و السلاح، و أما من غيرها فخلق كثير، و الكل خرجوا احتسابا و جئنا إلى عقبه فيق، و الطير لا يقدر أن يطير من خوف الفرنج، فسرنا على الجاده إلى نابلس، و وصلت أخبارنا إلى عكا، و خرج المعظم فالتقانا، و سرّ بنا، و جلست بجامع نابلس و أحضرنا الشعور، فأخذها و جعلها على صدره و وجهه و جعل يبكى، و كان يوما عظيما، و لم أكن اجتمعت به قبل ذلک اليوم، و خدمنا و أكرمنا و خرجنا إلى نحو بلاد الفرنج فخرجنا و هدمنا و قطعنا أشجارهم، و أسرنا جماعه، و قتلنا جماعه و لم يتجاسروا أن يخرجوا من عكا، فأقمنا أياما، ثم عدنا سالمين إلى الطور المطل على الناصره، و المعظم معنا، فقال: أريد أن أبنى عليه قلعه، فطلب أخاه الملک الأشرف، و عساكر الشرق و حلب و شرع فى عماره الطور، و أقام العسكر تحته من ذى الحجه هذه السنه سنه ثمانى و ستمائه، فعمل سوره و دارا و استوى، و خاف الفرنج، فأرسلوا إلى العادل فصالحهم و أعطوا العسكر دستورا فتفرقوا، و المعظم يعمر الطور إلى قبيل وفاه العادل فلا يحصى ما غرم عليه.

فصل ..... و فيها توفى أتابک نور الدين صاحب الموصل

، و اسمه أرسلان بن عز الدين مسعود، و كان متكبرا جبارا بخيلا، فاتكا سفاكا للدماء حبس أخاه علاء الدين، فمات فى حبسه، و ولى الموصل رجلا ظالما يقال له السراج، فأهلک الحرث و النسل، و كان نور الدين يسى ء التدبير، و هو الذى كسره الأشرف على يوسرى، و عرض لنور الدين مرض السل فأقام يذوب ذوبانا، و مات فى صفر و خلف ولدين: مسعودا و لقبه القاهر و زنكى، و أوصى إلى بدر الدين لؤلؤ أن يكون مسعود السلطان، و زنكى فى شهرزور، و بعث بدر الدين العماد ابن يونس إلى بغداد يطلب الخلع مع بدر الدين محمد سبط العقاب فخلع عليه .....

السنه الثامنه و ستمائه

اشاره

و فيها عاد نجاح الشرابى و القمى من تستر إلى بغداد، و بين يديهما سنجر مملوک الخليفه الذى عصى عليه راكبا على بغل ببرذعه، و فى رجليه سلسله، و حبس، و جمع القمى القضاه و الفقهاء و الأعيان، و أخرج كتبه إلى المخالفين فى الدوله و إلى نوابه يقول: من لقيتم من عسكر الخليفه، و قرأها على الجماعه فأفتوا بإراقه دمه و أيس سنجر و الناس من نفسه، فقال القمى: فإن أمير المؤمنين قد عفا عن ذنبه و صفح عن جرمه، و أفاض الخلع عليه، و جمع بينه و بين أهله فى الصاغه فى دار طاشتكين بدار الخليفه.

و فيها قدم رسول جلال الدين حسن صاحب ألموت يخبر بأنهم تبرأوا من الباطنيه و بنوا المساجد و الجوامع، و قد أقيمت الجمعه و الجماعات عندهم، و صاموا رمضان، فسر الخليفه و الناس بذلک، و قدمت خاتون أم جلال الدين حاجه، فاحتفل لها الخليفه.

و فيها بعث الخليفه خاتمه إلى وجه السبع بالشام، و بعث معه العادل رسولا، فأكرمه و ولى وجه السبع الكوفه إقطاعا.

و فى شعبان قدم ايدغمش من همذان إلى بغداد، و كان منكلى مملوک أزبک قد طرده من همذان فاحتفل له الخليفه و أخرج جميع أرباب الدوله للقائه و قام له بالضيافه العظيمه ....

فصل ..... و فيها حج بالناس من العراق علاء الدين محمد بن ياقوت،

نيابه عن أبيه، و معه ابن أبى فراس يدبره، و فى الحج أم جلال الدين، و حج بالناس الصمصام أخو سياروخ على حج دمشق، و من القدس الشجاع على بن السلار أميرا على حج القدس، و كانت ربيعه خاتون بنت أيوب، أخت صلاح الدين فى الحج، فلما كان يوم النحر بمنى،

بعد ما رمى الناس الجمره، و ثب الاسماعيليه على رجل شريف من بنى عم قتاده أشبه الناس به، و ظنوه إياه فقتلوه عند الجمره، و يقال إن الذى قتله كان مع أم جلال الدين فثار عبيد مكه و الأشراف، و صعدوا على جبلين بمنى، و هللوا و كبروا، و ضربوا الناس بالحجاره و المقاليع و النشاب، و نهبوا الناس يوم العيد و الليله، و اليوم الثانى و قتل من الفريقين جماعه، فقال ابن أبى فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى الزاهر إلى منزله الشاميين فلما حملت الأثقال على الجمال حمل قتاده و العبيد عليهم، فأخذوا الجميع إلا القليل، و قال قتاده: و الله ما كان المقصود إلا أنا، و الله لا أبقيت من حاج العراق أحدا، و كانت ربيعه خاتون بالزاهر و معها ابن السلار و أخو سياروخ و حاج الشام، فجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقى فدخل خيمه ربيعه خاتون مستجيرا بها و معه خاتون أم جلال الدين، فبعثت ربيعه ابن السلار إلى قتاده تقول: ما ذنب الناس قد قتلت القاتل، و جعلت ذلک وسيله إلى نهب المسلمين، و أنت تحللت الدماء فى الشهر الحرام فى الحرم و المال، و قد عرفت من نحن و من أولاد أخى، و الله لئن لم تنته لأفعلن و لأفعلن، فجاء إليه ابن السلار فخوفه و هدده، و قال: ارجع عن هذا و إلا قصدک الخليفه من العراق، و نحن من الشام، فكف عنهم و طلب مائه ألف دينار فجمعوا له ثلاثين ألفا من أمير الحاج العراقى و من خاتون أم جلال الدين، و أقام الناس ثلاثه أيام حول خيمه ربيعه خاتون بين قتيل، و جريح، و مسلوب، و جائع، و عريان، و قال قتاده: ما فعل هذا إلا الخليفه و إن عاد قرب أحد من بغداد إلى هاهنا لأقتلن الجميع، و يقال إنه أخذ من المال و المتاع و غيره ما قيمته ألفا ألف دينار، و أذن للناس فى الدخول إلى مكه، فدخل الأصحاء و الأقوياء فطافوا و أى طواف، و معظم الناس ما دخلوا، و رحلوا إلى المدينه فدخلوا بغداد على غايه من الفقر، و الذل، و الهوان، و لم تنتطح فيها شاتان.

و فيها توفى شركس بن عبد الله الصلاحى، و يقال إياز شركس، و يقال جهاركس، يعنى أنه اشترى بأربعه دنانير، و كان من أمراء صلاح الدين، شهد معه الغزوات كلها، و قد ذكرنا انحرافه عن الأفضل، و كان العادل قد أعطاه بانياس، و تبنين، و الشقيف، و هونين و قلعه أبى الحسن، و تلك البلاد و أقام بها، و كان التردد إلى دمشق فمرض بها و توفى فى صفر، و دفن بقاسيون، و كان قد خلف ولدا فأقره العادل على ما كان لأبيه، و قام بأمره صارم الدين خلطبا التبنينى أحسن قيام، و سد تلك الثغور، و قوم الأمور على أحسن نظام، و اشترى صارم الدين ضيعه بوادى بردا تسمى الكفر، وقفها على تربه فخر الدين و عمر له فيه قبه عظيمه على الجاده، و قابل احسانه إليه بالحسنى و زياده، و أقام صارم الدين بالحصون إلى سنه خمس عشره و ستمائه، و انتزعتها منه يد الأيام و انتقضت تلك السنون و أهلها .....

السنه التاسعه و ستمائه

و فيها خلع الخليفه على ايدغمش الفرجيه، و العمامه، و خلعا تقارب خلع السلطنه، و أعطاه مالا، و أمره أن يبرز خيامه ليسير إلى همذان، و أعطاه الكوسات و الأعلام.

و فيها صرف خالى أبو محمد يوسف عن الحبسه و النظر فى الوقف العام، ورد ذلک إلى شرف الدين ابن البخارى، فولى أبو البركات يوسف ابن أبى البركات يوسف بن المبارک ابن هبه الله الحسبه، و الوقف العام.

و فيها كانت نوبه سامه الجبلى، اجتمع العادل و أولاده: الفائز، و الكامل، و المعظم عيسى بدمياط، و كان سامه بالقاهره قد استوحش منهم، و اتهموه بمكاتبه الملک الظاهر صاحب حلب، و حكى لى المعظم أنه وجد كتبا إليه، و أجوبه، فخرج سامه من القاهره كأنه يتصيد، و تم

اجتماع الملوک بدمیاط، و ساق إلی الشام فی مماليكه يطلب قلعه كوكب، و عجلون، و كان ذلک يوم الاثنين سلخ جمادی الآخره، فأرسلوا الحمام من دمياط إلی بلبيس يخبرهم خبره، فقال العادل: من ساق خلفه فله أمواله و قلاعه، فقال المعظم: أنا، و ركب من دمياط يوم الثلاثاء غره رجب، و كنت أنا معه، فقال لی: أنا أريد أن أسوق فسق مع قماشی، و دفع لی بغله، و ساق و معه نفريسير، و علی يده حصان، فكان صباح يوم الجمعه جهز ساق مسيره ثمانيه أيام فی ثلاثه أيام فسبق سامه فانقطع عنه مماليكه و من كان معه، و بقی وحده بفرس، فجاء إلی بلد الداروم، و كان المعظم قد مسک عليه من البحر إلی الزرقاء، فرآه بعض الصيادين فی تربه الداروم فعرفه، فقال له: انزل، فقال: هذه ألف دينار و أوصلنی إلی الشام فأخذها الصياد، و جاء رفاقه فعرفوه، و أخذوا به علی طريق الخليل عليه السلام ليحملوه إلی عجلون، فدخلوا به القدس يوم الأحد سادس رجب جاء بعد المعظم بثلاثه أيام، فقال المعظم رحمه الله: ما كنت خائفا إلا أن يصادفنی فی الطريق غلمانه فيقتلوننی، لو رمانی أيدكين بسهم قتلنی، فأهلک الله أيدكين، و الجميع فأنزل سامه فی صهيون، و بعث إليه بطعام و ثياب و لاطفه و راسله و قال: أنت شيخ كبير و بک نقرس، و ما يصلح لک قلعه سلم إلیّ كوكب، و عجلون و أنا أخلفک علی مالک و ملکک و جميع أسبابک، و تعيش بيننا مثل الوالد، فا متنع و شتم المعظم، و ذكر كلاما قبيحا، فلما آيس المعظم منه بعثه إلی الكرک فاعتقله، و استولی علی قلاعه و أمواله و ذخائره، و خيله، فكانت قيمه ما أخذ منه ألف ألف دينار.

و حج بالناس من العراق حسام الدين بن أبی فراس نيابه عن محمد بن ياقوت، و كان معه خلع و مال لقتاده حتی سكت عنهم، و من الشام شجاع الدين بن محارب علی إيله .....

و فيها توفی الملک الأوحد صاحب خلاط، و اسمه أيوب بن أبی بكر

و لقبه نجم الدين، قد ذكرنا سفكه لدماء المتقدمين من أهل خلاط، فلم يطل عمره و ابتلى بأمراض مزمنه كان يتمنى الموت منها، و كان قد استزار أخاه الأشرف من حران، فأقام عنده أياما و اشتد مرضه فطلب الرجوع إلى حران لئلا يتخيل منه الأوحد، فقال له الأوحد: يا أخى كم تلح، و الله إنى ميت، و أنت تأخذ البلاد، و كان الأوحد قد صاغ للأشرف طلعه ذهب من خمسمائه دينار للسنجق، و بقيت فى الخزانه، و اشتغلوا بمرض الأوحد و توفى، و ملك الأشرف و أول ركوبه فى خلاط و السنجق بتلك الطلعه، و كانت وفاه الأوحد بملاز كرد، فدفن بها، و جاء الأشرف فدخل خلاط، فأحسن إلى أهلها، و خلع عليهم و عدل فيهم فأحبوه و أطاعوه، و قدموا من البلاد، و سروا بموت الأوحد، فكانت مده ملكه خلاط أقل من خمس سنين، لأنه ملكها فى سنه أربع و ستمائه ...

السنه العاشره و ستمائه

اشاره

و فيها ورد شمس الدين ابن التبنى رسولا من العادل، لما حوصر بدمشق، و اقترض له أموال التجار، و ضمنها، فرأى العادل له ذلک فأحبه و قربه و حسده الصفى بن شكر فأبعده عنه، و كان شمس الدين سيد الأجواد و سيد الأمجاد، و الأولى عند ذكره طى ذكر حاتم طى.

و حج بالناس ابن أبى فراس نيابه عن محمد بن ياقوت، و من الشام صديق بن تمرتاش و لقبه الغرز التركمانى على ايله بحاج الكرک، و القدس، و حج فيها خضر، و يلقب الملک الظافر بن صلاح الدين على تيماء و معه حج الشام، و يعقوب الخياط المغارى، و كان مقيما بمغاره الجوع بقاسيون و كان صديق الظافر يقال له الشمر، فلما وصل الظافر إلى بدر وجد عسكر الكامل محمد صاحب مصر قد سبقه خوفا على اليمن منه، فقالوا: ترجع فقال قد بقى بينى و بين مكه مسافه يسيره، و الله ما قصدى اليمن، و إنما أريد الحج فنفذوا بى و احتاطوا بى حتى

أقضى المناسک، و أعود إلى الشام، فلم يلتفتوا إليه فأراد أن يقاتلهم، فلم يكن له طاقه، فرجع الشام، و عاد يعقوب الخياط معه و لم يحج ....

فصل ..... و فيها توفى سنجر بن عبد الله الناصرى

، صهر طاشتكين، و قد ذكرنا عصيانه على الخليفه، و عفوه عنه، و كان بخيلا مع كثره البلاد و الأموال، و تولى إماره الحج فى سنه تسع و ثمانين و خمسمائه، و عاد فى صفر سنه تسعين و خمسمائه، فاعترض الحاج رجل بدوى من عنزه يقال له دهمش فى جمع يسير، و مع سنجر خمسمائه فارس، فلم يلقه و ذل، و طلب دهمش منه خمسين ألف دينار، فجمعها سنجر من الحاج، و ضيق عليهم، و لما ورد بغداد و كل عليه الخليفه بذلک المال و أخذه منه، ورده إلى أصحابه و عزله عن إماره الحاج، و ولاها طاشتكين، و كانت وفاته فى شوال، ففتح له جامع القصر و صلى عليه قاضى القضاه ابن الدامغانى، و مشى أرباب الدوله فى جنازته، و دفن بالشونيزيه.

السنه الحاديه عشره و ستمائه

اشاره

و فيها عزل الخليفه عماد الدين ابن الدامغانى، و ولى الزنجارى القضاء و فيها ملک أقسيس بن محمد الكامل اليمن، و يلقب بالملک المسعود و كان جبارا فاتكا، قيل إنه قتل باليمن ثمانى مائه شريف، و خلقا من الأكابر و العظماء، و لو لم يحج المعظم، و ظن أهل اليمن أنه واصل إليهم لما قدر أقسيس على اليمن.

فصل و فيها أخذ المعظم قلعه صرخد من ابن قراجا

، و عوضه عنها مالا و إقطاعا.

و حج بالناس من العراق ابن أبى فراس نائبا عن محمد بن ياقوت،

و من الشام العلم الفقيه نصر الله الجعبرى إمام المعظم، و حج المعظم فى هذه السنه، و معه جماعه من خواصه: عز الدين أيبک، و عماد الدين بن موسک، و الظهير بن سنقر الحلبى و غيرهم، و سلكوا طريق العلاء، و تبوک، و جدد المعظم البرک، و المصانع، و أحسن إلى الناس، و تلقاه سالم أمير المدينه و خدمه، و قدم له الخيل و الهدايا، و سلم إليه مفاتيح المدينه و فتح الأهراء، و أنزله فى داره، و خدمه خدمه عظيمه، و سار إلى مكه فالتقاه أمير مكه، و حضر فى خدمته.

و حكى لى قال: قلت له: أين ننزل؟ فأشار إلى الأبطح بسوطه، و قال هناک، فنزلنا بالأبطح، و بعث لنا هدايا يسيره، و حج السلطان على مذهب أبى حنيفه، و أحيا السنه، و أتى بجميع المناسک أحرم قارنا، و بات بمنى ليله عرفه، و صلى بها الصلوات الخمس، و سار إلى عرفه و قضى نسكه كما أمر الله تعالى، و قد رأيت كتفيه بعد ما عاد، و قد أكلته الشمس و انكشط، و قيح، فقلت: ما هذا؟ قال: ما غطيت رأسى و لا كتفى منذ ثلاثه عشر يوما، و تصدق على فقراء الحرمين بمال عظيم، و حمل المنقطعين و زودهم و أحسن إليهم، و لما عاد إلى المدينه شكا إليه سالم جور قتاده، فوعده ينجده عليه، و لما عاد كنت مقيما بالكرک، فخرجت إلى لقائه مع جماعه من الأعيان و الأمراء، و الفقهاء، و الفقراء فما التفت إلى أحد منهم، فلما رآنى ترجل عن ناقته و عانقنى، و سرنا إلى زيراء، و كان لقاؤنا له على غدير الطرفاء فى البريه، و شرع يحكى لى صفه حجه، و ما فعل، و كان والده العادل على خربه اللصوص، فقال: أريد أن ابغته حتى لا يلتقينى أحد، و سار إليه و اجتمع به، و حكى خدمه سالم، و تقصير قتاده فجهز جيشا مع الناهض ابن الجرخى إلى المدينه، و التقاهم سالم و أكرمهم، و قصدوا مكه فانهزم قتاده عنهم إلى البريه، و لم يقف بين أيديهم .....

السنه الثانيه عشره و ستمائه

اشاره

و فيها قدم مسعود الجوادى رسولا من الملک الأشرف إلى الخليفه،

فالتقاه الموكب، و كان معه نسر رماه الملک الأشرف للخليفه، فعلق النسر بباب البدريه، و نثروا عليه دنانير.

و فيها أخذ ابن لاون أنطاكيه من الفرنج يوم الأحد رابع عشرين شوال، و كنت فى ذلک اليوم قد جلست عند الملک الظاهر بحلب فى دار العدل، فلما انقضى المجلس نزلت من المنبر، فقام الظاهر و التقانى، و أجلسنى إلى جانبه و دفع إلى بطاقه جاءته من حارم تخبره بذلک، ثم إنه عاد البرنس إلى طرابلس بعد ذلک أخذها من ابن لاون.

و فيها مات ولد الخليفه على، و قتل منكلى، و حج بالناس ابن أبى فراس.

فصل و فيها توفى على ابن الخليفه أبو الحسن

، و يلقب بالملک المعظم كان جوادا، كثير الصدقات، وافر المعروف، كريم الأخلاق، حسن العشره مرض أياما، و توفى فى ذى العقده، و صلى عليه بتاج الخليفه، و أخرج التابوت و بين يديه أرباب الدوله، لم يتخلف سوى الخليفه، و حمل إلى تربه أم الخليفه فدفن معها فى القبه.

و من العجائب أنه يوم الجمعه دخل رأس منكلى على خشبه و قد زينتت بغداد، و ظهر السرور، فلما وصل الرأس إلى درب حبيب وافق فى تلک الساعه، وفاه ابن الخليفه فرد الرأس إلى عقد اللكافين و رمى فى بيت فى خان، و كوسات منكلى مشققه، و أعلامه منكسه، و انقلب ذلک السرور حزنا، و أمر الخليفه بالنياحه عليه فى أقطار بغداد، ففرشوا البوارى و الرماد، و خرج العواتق و نشرن شعورهن و لطمن، و قام النوائح فى كل ناحيه، و عظم حزن الخليفه بحيث أنه امتنع من الطعام و الشراب، و غلقت الأسواق، و عطلت الحمامات، و بطل البيع و الشراء، و جرى فى بغداد ما لا يجرى فى بلد آخر، و كان الخليفه قد رشحه و شد جميع فتيان بغداد إليه من العلماء و الأعيان و الأجناد، ففعل الله فى ملكه ما أراد، و خلف ولدين:

أبا عبد الله الحسين، و لقبه المؤيد، و يحيى و لقبه الموفق .....

فصل و فيها توفى منكلى بن عبد الله الخارج بهمذان

، و قد ذكرنا أنه هرب فى الليل، فضل عن أصحابه، و جاء إلى بيت صديق له فى بعض القرى، و كان رئيسها، فنزل عليه، و كان تحته فرس سابق، و سلاح له قيمه فأطعمه و سقاه، فقام الرجل فقتله، و أخذ رأسه، و قيل إن الرجل قيده، ثم قتله و حمله إلى أزبک، فبعث به إلى ابن زين الدين، فبعث به إلى الخليفه فكان عاقبه أمره ما ذكرنا، و هذا دأب الدنيا، و صلى الله على أشرف خلقه محمد و آله و صحبه و سلم.

السنه الثالثه عشره و ستمائه

اشاره

و فيها توفى الملک الظاهر صاحب حلب، و وصل إلى الملک العادل أبو العباس عبد السلام ابن أبى عصرون رسولا من حلب من الملک العزيز محمد بن الظاهر سأل تقريره على ما كان عليه والده.

فصل و فيها نزل الأشرف من خلاط إلى حران

فى شعبان إلى الجلوس بجامع حران، و قال: إلى الآن ما دخلت حران، فضربت له خركاه فى الجامع، و حضر، و كان يوما مشهودا، و جلس فى الخركاه، و جاء الفخر ابن السميه الخطيب، فقعد عنده، و كتبوا إلى رقاعا كثيره، فجمعتها و قلت: اتركوا هذه إلى يوم مجلس شيخكم يجيب عنها، فهو يطول روحه عليكم، أما هذا اليوم، فالوقت لا يحتمل فأعجب الأشرف، و انقضى المجلس، فقلت للأشرف: لابد لى فى هذه السنه من شيئين الحج على بغداد، و الثانى الاعتكاف بالرقه، فقال: مبارک، و خرجت من حران فى آخر شعبان أريد الرقه، فبينما أنا بين مسكنه و الرقه، و إذا جاء بينى و بينهم رجل عليه بغلطاق أحمر، فقلت لأصحابى: هذه شمائل الملک المعظم، فقالوا: المعظم فى دمشق أى شى ء جاء به إلى هاهنا، فلما

قربوا منا إذا به المعظم، و قد أعيت ناقته، فنزل و تحدثنا، و أكلنا شيئا كان معنا، و أعطانا ناقته، و أخذ فرسى، و قال: أين أخى؟ فقلت: فى الزراعه، و ساق فاجتمعا و فاوضه فى أمر حلب، و كان الأشرف قد حلف لشهاب الدين طغريل الخادم، و أنه أتابک محمد العزيز ولد الظاهر، فشق على المعظم، و لم يقل شيئا و جاءا إلى الرقه و أنا معتكف بالخانكاه، و حضرا عندى، و سار المعظم إلى دمشق و جهزنى الأشرف إلى الحج، و عمل لى سبيلا مثل سبيله، و توجهت إلى بغداد.

فصل و حج بالناس من العراق ابن أبى فراس، و من الشام الفقيه علم الدين الجعبرى

، و عدت من الحج على تبوک و العلاء و جمعت بين زياره النبى صلى الله عليه و سلم، و بين زياره الخليل فى المحرم، و لله المنه و فى الحديث «من زارنى و زار أبى إبراهيم فى عام واحد ضمنت له على الله الجنه»، و إن لم يتفق على نقل هذا الحديث الثقات، و الأعمال بالنيات ....

فصل ..... و فيها توفى الملک الظاهر صاحب حلب، و اسمه غازى بن صلاح الدين

اشاره

، و قد ذكرنا أنه ولد بمصر سنه ثمان و ستين و خمسمائه بالقاهره، و كان مهيبا له سياسه و فطنه، و كانت دولته معموره بالعلماء و الفضلاء، مزينه بالملوک و الأمراء، و كان محسنا إلى الرعيه، و إلى الوافدين عليه، و حضر معظم غزوات والده، و لما استقر العادل بدمشق ضم إليه الأمراء الصلاحيه كميمون القصرى، و المبارز ابن يوسف بن خطلج، و سنقر الحلبى، و سرا سنقر، و أيبک فطيس، و غيرهم، و كان فى دولته من أرباب العمائم القاضى بهاء الدين ابن شداد، و الشريف الافتخار الهاشمى، و بنو العجمى، و القيسرانى و بنو الخشاب و غيرهم، و كان ملجأ الغرباء، و كهف الفقراء يزور الصالحين و يتفقدهم، و يغيث

الملهوف، و كان يتوقد ذكاء، و فطنه، سريع الإدراک جلست عنده فی سنه اثنتی عشره و ستمائه، و كان الأشرف قد أرسلنی إليه فی قضايا لا يطلع عليها كاتب، و كتب كتابا بيده إلى الظاهر، و كان جلوسی فی يوم أخذ ابن لاون أنطاكيه، و قد ذكرته، و كان بحلب فقير يحضر مجالسی قبل ذلک فی سنه ثلاث و ستمائه و أربع، و خمس و كان ذلک الفقير يقوم فی المجلس و يصيح: واه واه، فيزعج الحاضرين، و كان صالحا و الظاهر تغير حاله، فلما جلست فی سنه ثلاث عشره و ستمائه عند الظاهر بقی ذلک الفقير يحترق، و يقول: كيف أعمل و يرددها، فقال الظاهر: قدموه إلى عندی، فقدموه فقال له: هذا الذی يقول الشيخ ما هو بمليح، قال: بلى، قال: فإن أردت أن تصيح صح، فعجب الحاضرون.

و حضرنی فی ذلک المجلس رجل عجمی يقال له أبو بكر النصيبی، و كان صالحا، و كان يحمل عصا أبنوس، فطابت قلوب الجماعه فی ذلک اليوم، و بكوا، فقام النصيب و دار، و جاء إلى الظاهر، و قال: أنت فرعون ما تتحرک، و ثار فی وجهه مثل التفاحتين، و خرج من المجلس فمات بعد ثلاث، و حضرنا عنده يوم الخميس فی دار العدل فجی ء بامرأه قد كذبت على شخص و اعترفت بالكذب، فقال للقاضی ابن شداد: ما يجب عليها؟ قال التأديب، قال: تضرب بالدره شريعه، و يقطع لسانها سياسه، فقلت له: الشريعه هی السياسه الكامله، ما عداها يكون تغاضبا عليها، فأطرق، فأدبت المرأه، و سلمت من قطع اللسان.

و له من هذا الجنس نوادر فی الموارد و المصادر.

ذكر وفاته

توفی ليله الثلاثاء العشرين من جمادی الآخره بعله الذرب، و دفن بقلعه حلب، ثم نقل بعد ذلک إلى مدرسته التی أنشأها، و قام بعد ذلک ولده العزيز محمد، و شهاب الدين طغريل الخادم أتابكه، و قد اطرد هذا فی قلعه حلب قبل أن يموت، و خلف ولدا صغيرا، و يكون أتابكه

و المقیم بأمره خادما، و قد ذکرناه فیما تقدم، و عزل وزیره شمس الدین ابن أبی یعلی الموصلی، و مضی إلی الروم، و قام أتابک طغریل بأمر الملک العزیز أحسن قیام، و أجمل نظام، فاستمال الملک الأشرف یدنیه منه شیئا و یقصیه منه شیئا، فاستمال المماليک بحسن تدبیره، ورد کید الأعداء فی نحورهم بتحریره .....

السنه الرابعه عشره و ستمائه

اشاره

و فیها قدم شیخ الشیوخ تاج الدین ابن حمویه إلی بغداد رسولا من العادل، و قدم بعده ولده فخر الدین رسولا من الکامل، و خلع علیه خلعه بطیلسان.

.... و فیها قدم محمد خوارزم شاه إلی همذان بقصد بغداد فی أربعمائه ألف علی ما قیل، و قیل ستمائه ألف، و استعد له الخلیفه، و فرق الأموال و السلاح و أرسل إلیه الشهاب السهروردی فی رساله، فأهانه و استدعاه و أوقفه إلی جانب تخته، و لم یأذن له فی القعود، فحکی الشهاب قال:

استدعانی فأتیت إلی خیمه عظیمه لها دهلیز لم أر فی الدنیا مثله، و الدهلیز و الشقه أطلس و الأطناب حریر، و فی الدهلیز ملوک العجم علی اختلاف طبقاتهم منهم: صاحب همذان، و أصبهان، و الری و غیرهم، فدخلت إلی خیمه أخری إبریسم، و فی دهلیزها ملوک خراسان: مرو، و نیسابور، و بلخ، و غیرهم، ثم دخلت خیمه أخری ملوک ماوراء النهر فی دهلیزها، کذلک ثلاث خیام، فدخلنا علیه و هو فی خرکاه عظیمه من ذهب، و علیها سجاف مرصع بالجواهر، و هو صبی له شعرات قاعد علی تخت ساذج و علیه قباء بخاری یساوی خمسه دراهم، و علی رأسه قطعه من جلد تساوی درهما، فسلمت علیه فلم یرد، و لا أمرنی بالجلوس فشرعت خطبت خطبه بلیغه، ذکرت فیها فضل بنی العباس، و وصفت الخلیفه بالزهد، و الورع، و التقی، و الدین، و الترجمان یعید علیه قولی، فلما فرغت قال للترجمان: قل له: هذا الذی تصفه ما هو فی بغداد، بل أنا اجی ء و أقیم

الخليفه يكون بهذه الأوصاف، ثم ردنا بغير جواب، و نزل الثلج عليهم فهلكت دوابهم، و ركب خوارزم شاه يوما فعثر به فرسه، فتطير و وقع الفساد فى عسكره، و قلت الميره، و كان معه سبعون ألفا من الخطا، فرده الله و نكب بتلك النكبه العظيمه و سنذكرها.

فصل و فيها انفسخت الهدنه بين المسلمين و الفرنج

اشاره

و جاء العادل من مصر بالعساكر الشاميه و خرج الفرنج من عكا و مقدمهم ملک الهنكر، فى خمسه عشر ألفا، و كان شجاعا مقداما، فنزلوا عين الجالوت، و معه جميع ملوک الساحل، فلما أصبحوا ركب الهنكر فى أوائلهم و قصد العادل، و كان العادل على تل بيسان، فنظر فرأى أنه لا قبل له بهم، فتأخر فقال له المعظم: إلى أين؟ فشتمه بالعجميه و قال: بمن أقاتل أقطعت الشام مماليكک، و تركت أولاد الناس الذين يرجعون إلى الأصول، و ذكر كلاما فى هذا المعنى، و ساق فعبر الشريعه عند نرقا و جاء الهنكر إلى بيسان و بها الأسواق، و الغلال و المواشى شى ء لا يعلمه إلا الله تعالى، فأخذ الجميع، و ارتفع العادل إلى عجلون، و مضى المعظم فنزل بين نابلس و القدس على عقبه اللين خوفا على القدس، و أقام الفرنج على بيسان ثلاث أيام، و رحلوا طالبين قصر ابن معين الدين، و سار العادل فنزل رأس الماء، و صعد الفرنج عقبه الكرسى إلى خربه اللصوص، و الجولان، و أقاموا ثلاثه أيام ينهبون و يقتلون و يأسرون، ثم عادوا فنزلوا الغور، و بعث العادل أثقاله إلى بصرى، و نساءه، و أقام على رأس الماء جريده، و لما نزل الفرنج الغور جاء العادل فنزل عالقين.

حديث صعودهم إلى الطور

لما رجعوا من خربه اللصوص و وصلوا إلى تل الفرس قريبا من نوى، رجعوا و نزلوا تحت الطور يوم الأربعاء ثامن عشرين شعبان،

و أقاموا إلى ثانى يوم من رمضان، و كان يوما كثير الضباب، فما أحس بهم أهل الطور إلا و هم عند الباب قد ألصقوا رماحهم بالسور، ففتح المسلمون الباب و خرج إليهم الفارس و الراجل، و قاتلوهم حتى رموهم إلى قسوم أسفل الطور، فلما كان يوم الثلاثاء رابع رمضان طلعوا بأسرهم، و معهم سلم عظيم، فرجعوا من ناحيه باب دمشق، و ألصقوا السلم بالسور، فقاتلهم المسلمون قتالا لم يجر فى الإسلام مثله، و دخلت رماح الفرنج من المرامى من كل ناحيه، فضرب بعض الزراقين السلم بالنفط فأحرقه، و قتل عنده جماعه من أعيان الفرنج منهم كند كبير فلما رأوه مقتولا صاحوا و بكوا و كسروا رماحهم، و استشهد فى ذلک اليوم من أبطال المسلمين بدر الدين محمد بن أبى القاسم، و سيف الدين ابن المزربان، و كان من الصالحين الأجواد، و أغلق المسلمون باب الطور و جبن جماعه منهم عن القتال، و بات الناس عشيه الأربعاء يداوون جراحاتهم، و ضربوا مشوره، و اتفقوا على أنهم يقاتلون قتال الموت لا يسلمون أنفسهم لئلا يجرى عليهم ما جرى على أهل عكا، و كان فى الطور أبطال المسلمين و خيار عسكر الشام، و قال الأمير الحلبى فى تلک الوقعه هذين البيتين:

قل للخليفه لا زالت عساكره لها إلى النصر إصدار و إيراد

إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوالا تغفلن فحصن الطور بغداد

و أنشدنى إياها الأمير الحلبى، و بات الناس على عزم القتال، و أوقد الفرنج حول الطور النيران، فلما كان وقت السحر يوم الخميس سادس رمضان رحلوا طالبين عكا، و جاء المعظم و صعد الطور، و بكى على بدر الدين بن أبى القاسم، و ابن المرزبان، و من قتل، و أطلق المال و الخلع، و طيب قلوب الناس، ثم اتفق العادل، و المعظم على خراب الطور فى السنه الآتيه و سنذكره.

فصل و فيها وصل الفرنج إلى جزين

قريه قريبه من شعراء [بانياس] لما عادوا عن الطور، فقصد ابن أخت الهنكر صيدا، و قال: لابد لى من أهل هذا الجبل، فنهاه صاحب صيدا و قال هؤلاء رعاه و بلادهم وعر، فلم يقبل، و صعد خمسمائه من أبطال الفرنج إلى جزين ضيعه الميارنه، فأخلاها أهلها، و جاء الفرنج فنزلوا بها و ترجلوا عن خيولهم ليستريحوا فتحدرت عليهم الميارنه من الجبل، فأخذوا خيولهم، و قتلوا عامتهم، و أسروا ابن أخت الهنكر، و هرب من بقى منهم إلى صيدا، و كان معهم رجل يقال له الجاموس من المسلمين قد أسروه، فقال لهم: أنا أعرف إلى صيدا طريقا سهلا أوصلكم إليها، فقالوا: إن فعلت أغنيناك، فسلک بهم أوديه و عره و المسلمون خلفهم يقتلون و يأسرون، ففهموا أن الجاموس غرهم فقتلوه، و لم يفلت إلى صيدا سوى ثلاثه أنفس بعد أن كانوا خمسمائه، و جاؤوا إلى دمشق بالأسارى، و كان يوما عظيما.

فصل ..... و فيها توفى الأمير بدر الدين محمد أبى القاسم أبو عبد الله الهكارى

الذى استشهد على الطور، أبلى فى ذلک اليوم بلاء حسنا، و كان من المجاهدين له المواقف المشهوده فى قتال الفرنج، و كان من أكابر أمراء المعظم، يستشيره و يصدر عن رأيه، و يثق به لصلاحه و دينه، و كان سمحا لطيفا، دينا، ورعا، بارا بأهله، و بالفقراء، و المساكين، كثير الصدقات دائم الصلاه، بنى بالقدس مدرسه للشافعيه، و وقف عليها الأوقاف، و بنى مسجدا قريبا من الخليل عليه السلام عند يونس على قارعه الطريق، و كان ملازما لمجالسى بالقدس، و كان يتمنى الشهاده دائما و يقول: ما أحسن وقع سيوف الكفار على وجهى و أنفى، فاستجاب الله دعاءه و رزقه الشهاده، و نقل من الطور إلى القدس فدفن بتربته رحمه الله.

السنه الخامسه عشره و ستمائه

اشاره

و فيها أعيد خالى أبو محمد يوسف إلى الحسبه، و أفرج الخليفه عن ولده أبى نصر محمد، و أذن له فى الركوب إلى حيث شاء.

و فيها نزلت الفرنج على دمياط فى ربيع الأول، و كان العادل بمرج الصفر، فبعث العساكر التى كانت عنده إلى مصر إلى الكامل فى مقاتله الفرنج، و أقام الملک المعظم بالساحل بعسكر الشام فى مقاتله الفرنج.

و فيها استدعى العادل الملک المعظم عيسى، و قال: قد بنيت هذا الطور و يكون سببا لخراب الشام، و قد سلم الله من كان فيه من أبطال المسلمين و سلاح الدنيا و الذخائر، و أرى من المصلحه خرابه ليتوفر من فيه من المسلمين و العدد على حفظ دمياط، و أنا أعوضک، فتوقف المعظم و بقى أياما لا يدخل إلى العادل، فبعث إليه فأرضاه بمال، و وعده بمصر ببلاد، فأجابه فبعث فنقل ما كان فيه من العدد و الذخائر إلى القدس، و عجلون و الكرک و دمشق.

و فى يوم الجمعه ثانى عشر ربيع الآخر كسر الملک الأشرف ملک الروم كيكا و سس.

و فى جمادى الأولى أخذ الفرنج برج السلسله، و أرسل الكامل شيخ الشيوخ صدر الدين إلى العادل يخبره و يستصرخ، فلما اجتمع بالعادل أخبره، و دق يده على صدره، و مرض مرض الموت.

و فى جمادى الآخره التقى المعظم بالفرنج على القيمون، فنصر عليهم، و قتل منهم مقتله عظيمه، و أسر من الداويه مائه فارس، و أدخلهم القدس منكسه أعلامهم.

و فيها وصل رسول خوارزم شاه إلى العادل، و هو بمرج الصفر، فبعث فى الجواب الخطيب الدولعى، و النجم خليل قاضى العسكر،

فوصلا إلى همذان فوجدا الخوارزمى قد اندفع بين يدى الخطا، و قد خامر عليه عسكره، فسارا إلى حد بخارا فاجتمعا بولده جلال الدين ابن محمد، فأخبرهما بوفاه العادل، فرجعا إلى دمشق، و حج بالناس من بغداد آقماش الناصرى .....

فصل ..... و فيها توفى الملک العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذى بن مروان

اشاره

، و كنيته أشهر من اسمه، سألته عن مولده فقال:

فتوح الرها يعنى سنه تسع و ثلاثين و خمسمائه، و قد ذكرنا أحواله مع أخيه صلاح الدين فى إعطائه إياه مصر، ثم حلب، ثم الشرق، و الكرک و الشوبک، و ما يتعلق بذلک، و ما جرى بينه و بين أولاد أخيه فى ممر السنين إلى أن استقر له الملک، و امتد من بلاد الكرج إلى همذان، و الجزيره، و الشام، و مصر، و الحجاز، و مكه، و المدينه و اليمن إلى حضر موت و كان لبيبا خليقا بالملک معدد، أحسن التدبير حليما صفوحا مدبرا للملک على الوجه المرضى عادلا، مجاهدا، دينا عفيفا، متصدقا، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، طهر جميع ولايته من الفساد و الخواطى ء و القمار و المخانيث و المكوس و المظالم، و كان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوس مائه ألف دينار فأبطل الجميع لله تعالى، و كان و اليه المبارز المعتمد قد أعانه على ذلک أقام رجالا على عقاب قاسيون و جبل الثلج، و حوالى دمشق بالجامكيه و الجرايه يحرسون أحدا يدخل دمشق بمنكر، فكان أهل الفساد يتحليون و يجعلون زقاق الخمر فى الطبول و يدخلون بها إلى دمشق، فمنع من ذلک و بلغنى أن بعض المغانى دخلت على العادل فى عرس فقال لها: أين كنت؟ قالت: ما قدرت أجى ء حتى وفيت ما علىّ للضامن، فقال: و أى ضامن؟ قالت: ضامن القينات، فقامت عليه القيامه و طلب المعتمد، و عمل به ما لا يليق، و قال: و الله لئن عاد بلغنى مثل ذلک لأفعلن و لأصنعن.

و لقد فعل العادل فى غلاء مصر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره، كان يخرج بالليل بنفسه و معه الأموال يفرقها فى أرباب البيوت و المساكين، و لولاه لمات الناس كلهم، و كفن فى يوم من ماله ثلاثمائه ألف من الغرباء، و كان إذا مرض أو تشوش مزاجه خلع ما عليه و باعه حتى فرسه، و تصدق به، و ثبت له على زكى الدين القاضى قاضى دمشق لبيت المال عشرون ألف دينار، و شرع القاضى يستدينها من الناس فقالت له بعض حظاياه: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام، و هو يوصيک بالقاضى فاستقيلها عنه، ورده إلى القضاء، و قد ذكرنا مواقفه مع أخيه، و غزواته، و تدبيره مع الانكلتار، و لولاه ما انتظم الصلح.

ذكر وفاته

قد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ بخبر برج دمياط، و أنه انزعج و دق بيده على صدره، و أقام مريضا إلى يوم الجمعه سابع أو ثامن جمادى الآخره فتوفى فى عالقين و كان المعظم قد كسر الفرنج على القيمون يوم الخميس خامس جمادى الآخره، و قيل يوم الأربعاء، و لما توفى العادل لم يعلم بموته غير كريم الدين الخلاطى، فأرسل الطير إلى نابلس إلى المعظم، فجاء المعظم يوم السبت إلى عالقين فاحتاط على الخزائن، و صبر العادل، و جعله فى محفه، و عنده خادم يروح عليه، و قد رفع طرف سجافها و أظهروا أنه مريض، و دخلوا به دمشق يوم الأحد، و الناس يسلمون على الخادم و هو يومى إلى ناحيه العادل، و دخلوا به القلعه و كتموا موته، و من العجائب أنهم طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه، و أخذوا عمامه الفقيه ابن فارس فكفنوه بها، و أخرجوا قطنا من مخده فلفوه به، و لم يقدروا على فأس فسرق كريم الدين فأسا من الخندق، فحفروا له به فى القلعه.

و كنت قاعدا إلى جانب المعظم عند باب الدار التى فيها الإيوان، و هو

واجم، و لم أعلم بحاله، فلما دفن أبوه قام قائما و شق ثيابه، و لطم على رأسه و وجهه، و كان يوما عظيما و عمل العزاء ثلاثه أيام بالإيوان الشمالى، و لما رأيت المعظم بلغ به الحال تكلمت فى أول يوم، فلما انقضى العزاء عتبنى المعظم، و قال: يا سبحان الله أنت صاحب العزاء ايش كان حاجه إلى كلامک مع ابن؟؟؟، و كان الناصح قد تكلم فى ذلک اليوم، فقلت:

لابد من الكلام فقال: و إذا كان و لابد فليكن يوم الثالث فلا يتكلم معک أحد، فامتثلت ما أمر، و عمل له العزاء فى الدنيا كلها، و نودى ببغداد: من أراد الصلاه على الملک العادل الغازى المجاهد فى سبيل الله فليحضر إلى جامع القصر، فحضر الناس و لم يتخلف سوى الخليفه، و صلوا عليه صلاه الغائب، و ترحموا عليه، و تقدموا إلى خطباء الجوامع بأسرهم ففعلوا ذلک بعد صلاه الجمعه، و فوض إلى الملک المعظم نوبه بدر الدين حسن فى اليوم الثالث، و كتب به إليه و كان الصالح إسماعيل، و أخوه قطب الدين أحمد بدمشق فمقام الصالح فتوجه إلى بصرى و أحمد فتوجه إلى مصر، و أقام العادل بالقلعه إلى سنه تسع عشره و ستمائه، ثم نقل إلى تربته التى أنشأها عند دار العقيقى و مدرسته.

ذكر أولاده

كان له عده أولاد منهم: شمس الدين ممدود والد الجواد يونس، و الكامل محمد، و الأشرف موسى، و المعظم عيسى، و الأوحد أيوب، و الفائز إبراهيم، و شهاب الدين غازى، و العزيز عثمان شقيق المعظم، و الأمجد شقيقهما أيضا و الحافظ أرسلان، و الصالح إسماعيل، و المغيث محمود، و مجير الدين يعقوب، و تقى الدين عباس، و قطب الدين أحمد، و القاهر إسماعيل، و خليل أصغرهم.

و كان له عده بنات أفضلهن ضيفه خاتون صاحبه حلب أم الملک العزيز، و سنذكرها.

ذكر ما تجدد بعد وفاته

لما دخل رجل رد المعظم المكوس و الخمور، و ما كان أبوه أبطله، فقلت له: قد خلفت سيف الدين غازى ابن أخى نور الدين، فإنه كذا فعل لما مات نور الدين، فاعتذر بقله المال، و الفرنج، و سار المعظم إلى بانياس و راسل الصارم التبنينى، و هو بتبنين فى تسليم الحصون فأجابه فأخرب بانياس و سار إلى تبنين، و هدمها، و كانت؟؟؟ بله البلاد و ملجأ العباد و أعطى بلاد جهاركس لأخيه العزيز، و زوجه ببنت جهاركس، و بعث إليه أخوه الكامل بالخلع، و قال: أدركنى، و جاءت الفرنج فنزلوا على شارمساح، و أخلى لهم المسلمون الخيام فطمعوا، ثم رجع إليهم الكامل فكسرهم، و قتل منهم خلقا كثيرا، و عادوا إلى دمياط، و نزل الصارم و ولده ناصر الدين و أصحابه من الحصون، فأكرمهم المعظم، و خلع عليهم و أحسن إليهم و أظهر أنه ما اخرب بانياس إلّا خوفا من استيلاء الفرنج عليها.

فصل و فيها قدم الصفى ابن شكر وزير العادل دمشق من الشرق

، و كان العادل قد نقم عليه و نفاه إلى الشرق فمضى إلى آمد، فأقام بها فلما مات العادل كتب الكامل إليه يطلبه، فقدم دمشق و نزل بظاهرها ببيت رانس على المؤيد العقربانى، فخدمه المؤيد، و كان قد قل نظره فأقام أياما، ثم توجه إلى مصر.

و فيها توفى كيكاوس صاحب الروم، و لقبه عز الدين، كان جبارا ظالما سفاكا للدماء و لما عاد إلى بلده من كسره، اتهم أقواما من أمراء دولته أنهم قصروا فى قتال الحلبيين، فسلق بعضهم فى القدور و جعل آخرين فى بيت و أحرقهم، فأخذه الله بغته مات سكرانا فجأه، و قيل بل ابتلى فى بدنه فتقطع، و كان أخوه علاء الدين كيقباذ محبوسا فى قلعه،

و قد أمر بقتله، فبادر الأمراء فأخرجوه و أقاموه فی الملک، و کانت وفاه کیکاوس فی شوال و هو الذی اطمع الفرنج فی دمیاط.

و فیها توفی محمد بن تکش، خوارزم شاه وصل العراق فی أربعمائه ألف، و وصل إلی همذان یرید بغداد، و قیل کان معه ستمائه جتر، تحت کل جتر ألف، و کان قد أفنی ملوک خراسان، و ما وراء النهر، و قتل صاحب سمرقند، و کان حسن الصوره أخلی البلاد من الملوک، و استقل بها، فکان ذلک سببا لهلاکه، و لما نزل همذان کان فی عسکره سبعون ألفا من الخطا، فکاتب القمی عساکره، و وعدهم بالبلاد فاتفقوا مع الخطا علی قتله، و بعث القمی إلیهم بالأموال و الخیول و الخلع سرا، فکان ذلک سببا لوهنه، و لما علم خوارزم شاه بذلک سار من همذان طالبا خراسان، فنزل بمرو، و التقی فی طریقه الخیل و الخلع و الکتب المنفذه إلی الخطا، فلم یمکنه الرجوع لفساد عسکره، و کان خاله من الخطا، و کانوا حلفوه أن لا یطلعه علی ما دبروه علیه، فجاء إلیه فی اللیل و کتب له فی یده صوره الحال، و وقف بازائه فنظر إلی السطور، و فهمها و هو یقول: خذ لنفسک فالساعه تقتل، فقام و خرج من تحت ذیل الشقه و معه ولداه: جلال الدین و أخوه، و رکب و سار بهما، و لما خرج من الخیمه دخل الخطا و العساکر من بابها ظنا منهم أنه فیها، فلم یجدوه فنهبوا الخزائن و الخیول و الخیام و الجواری، فیقال إنه کان فی خزانته عشره آلاف ألف دینار، و ألف حمل قماش أطلس و غیره، و عشرون ألف فرس و بغل، و کان له عشره آلاف مملوک مثل الملوک، و تمزق الجمیع و نهب.

و أما خوارزم شاه فهرب إلی البحر، و رکب فی مرکب سفینه صغیره إلی جزیره، و هرب ولده جلال الدین إلی الهند، و معه أخوه، و صعد خوارزم شاه إلی الجزیره، و بها قلعه فتحصن بها فأدرکه الموت دون صعود القلعه، و دفنوه علی ساحل البحر، و جاء الخطا فدلوا علیه فنبشوه

و قطعوا رأسه و أخذوه و عادوا، و تفرقت الممالک بعده، و ظهر التتر علی الخطا بعد سنین، و صار الخطا تبعا لهم و أخذوا البلاد .....

فصل و فیها توفی القاهر صاحب الموصل

، و ترک ولدا صغیرا اسمه محمود، و کان طفلا فأخرج بدر الدین لؤلؤ زنکی أخا القاهر من الموصل و استولی علیها.

السنه السادسه عشره و ستمائه

اشاره

و فی أول المحرم أخرب المعظم القدس، کان قد توجه إلی أخیه الکامل إلی دمیاط، و بلغه أن طائفه من الفرنج علی عزم القدس فاتفق الأمراء علی خرابه و قالوا: قد خلا الشام من العساکر، فلو أخذه الفرنج حکموا علی الشام، و کان بالقدس أخوه العزیز الأمیر عثمان، و عز الدین أیبک أستاذ الدار، و کتب إلیهما المعظم بخرابه فتوقفا و قالا: نحن نحفظه، فکتب المعظم إلیهما: لو أخذوه لقتلوا کل من کان فیه و حکموا علی دمشق و بلاد الإسلام، فألجأت الضروره إلی إخرابه، فشرعوا فی السور أول یوم من المحرم، و وقع فی البلد ضجه مثل یوم القیامه، و خرج النساء المخدرات، و البنات و الشیوخ، و العجائز، و الشباب، و الصبیان إلی الصخره، و الأقصی فقطعوا شعورهم و مزقوا ثیابهم، بحیث امتلأت الصخره و محراب الأقصی من الشعور، و خرجوا هاربین، و ترکوا أموالهم و أهالیهم، و ما شکوا أن الفرنج تصبحهم، و امتلأت بهم الطرقات، فبعضهم إلی مصر، و بعضهم إلی الکرک، و بعضهم إلی دمشق، و البنات المخدرات یمزقن ثیابهن و یربطنها علی أرجلهن من الحفا، و مات خلق کثیر من الجوع، و من العطش، و کانت نوبه لم یکن مثلها فی الاسلام، و نهبت الأموال التی کانت لهم فی القدس، و بلغ القنطار الزیت عشره دراهم، و أکثر الشعراء فی ذم دوله المعظم و دعوا علیها، فقال بعض أهل العلم:

فى رجب حلل الحمياو أخرب القدس فى المحرم

من أبيات و لم يعذره أحد.

و فيها نفى المعظم ابن المشطوب من مصر، و كان قد اتفق مع الفائز ابن العادل على الكامل، و استحلف العساكر، و عرف الكامل فرحل إلى أشمون، و عزم على التوجه إلى اليمن، و أيس من البلاد، و علم المعظم فقال له: لا بأس، و ركب المعظم آخر النهار، و جاء إلى خيمه ابن المشطوب، و قال: قولوا لعماد الدين يركب حتى نسير، فأخبروه فخرج من الخيمه بغير صباغات، و لحق المعظم، فأبعد به عن العسكر و قال له:

الملک الأشرف قد طلبک، و هو محتاج إليک فتسير إليه الساعه، فقال:

ما فى رجلى صباغات، و لا معى أحد من غلمانى، و لا قماشى، فوكل به جماعه، و أعطاه خمسمائه دينار، و قال كل مالک يلحقک، و الله لا يضيع لک خيط واحد، و سار به الموكلون، و رجع المعظم إلى خيمته فوقف حتى جهز خيله و غلمانه و ثقله، و لم يبق له خيطا واحدا، و ساروا خلفه، و عاد المعظم إلى خيمته، و جاء إليه الكامل فقبل الأرض بين يديه و خاف الفائز خوفا عظيما.

و أما ابن المشطوب فاجتاز بظاهر دمشق، و سار إلى حماه، و أقام بها فبعث إليه الأشرف منشورا بأرجيش بلد خلاط و زياده، و بعث إليه بالخلع، فسار إلى الأشرف فأكرمه و أحسن إليه، فصار يركب بالشبابه و يعمل له سلطنه أعظم من الأشرف و تجبر و طغا و بغا و خامر على الأشرف، و طلع إلى ماردين و قصد سنجار، و جرى عليه ما سنذكره.

و فيها فى شعبان أخذت الفرنج دمياط، و كان المعظم قد جهز إليها ابن الجرخى الناهض فى خمسمائه راجل، فهجموا على الخنادق و كانوا طموا الخنادق، و ضعف أهل دمياط، و أكلوا الميتات، و عجز الكامل عن نصرتها، و وقع فيهم الفناء، و الوباء، فراسلوا الفرنج على أن يسلموا لهم

البلد و يخرجون منها بأهلهم و أموالهم، و اجتمع الأقساء و حلفوهم على ذلک، فركبوا فى المراكب، و زحفوا فى البحر و البر، و فتح لهم أهل دمياط الأبواب، فدخلوا و رفعوا أعلامهم على السور، و غدروا بأهله، و وضعوا فيهم السيف قتلا و أسرا، و باتوا تلک الليله فى الجامع يفجرون بالنساء، و يفضحون بالبنات، و أخذوا المنبر، و المصاحف و رؤوس القتلى، و بعثوا بها إلى الجزائر، و جعلوا الجامع كنيسه و كان أبو الحسن بن قفل بدمياط، و سألوا عنه، فقالوا: هذا رجل صالح من مشايخ المسلمين تأوى إليه الفقراء، فما تعرضوا له، و وقع على الإسلام كآبه عظيمه، و بكى الكامل و المعظم بكاء شديدا، ثم تأخرت العساكر عن تلک المنزله، فكان المعظم يقول لى بعد ذلک: لو كان الدعاء الآن يسمع، لسمع دعاء أهل دمياط، فإن الله تعالى أخبرنا أنه يستجيب دعاءنا فى عده مواضع من كتابه، و إنما أهل دمياط لما كثر فسقهم، و فجورهم سلط الله عليهم من انتقم منهم وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْيَهً(1) الآيه.

ثم قال الكامل للمعظم: و قد سقط فى يده قد فات ما ذبح، و جرى المقدور بما هو كائن، و ما فى مقامک هاهنا فائده، و المصلحه أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج و تستجلب العساكر من الشرق.

فصل [كتاب المعظم الى الكامل يريد منه ان يحرض الناس على الجهاد]

و كتب المعظم إلىّ و أنا بدمشق كتابا بخطه يقول فى أوله: أخوه عيسى الكاملى قد علم الأخ العزيز، و ذكر ألقابا كثيره، و قال: قد جرى على دمياط ما جرى، و أريد أن تحرض الناس على الجهاد، و تعرفهم ما جرى على إخوانهم أهل دمياط من الكفره أهل العناد، و إنى كشفت ضياع الشام فوجدتها ألفى قريه منها ألف و ستمائه أملاک لأهلها، و أربعمائه سلطانيه، و كم مقدار ما تقوم هذه الأربعمائه من العساكر؟ و أريد أن

1- سوره الإسراء- الآيه:

تخرج الدماشقه ليذبوا عن أملاكهم، الأصاغر منهم و الأكابر، و يكون لقاؤنا و هم فى صحبتک إلى نابلس فى وقت سماه.

فجلست فى جامع دمشق، و قرأت كتابه عليهم فأجابوا بالسمع و الطاعه، و قالوا: نمتثل أمره بحسب الاستطاعه، و تجهزوا، فلما حل ركابه بالساحل وقع التقاعد من الأماثل لأن لكل مقام مقالا، و للحرب رجالا و كان تقاعدهم سببا لأخذه الثمن، و الخمس من أموالهم، و المؤاخذه على أفعالهم، و كتب إلى يقول: إذا لم يخرجوا فسر أنت إلى و أقدم علينا، فخرجت إلى الساحل، و هو نازل على قيساريه، فأقمنا حتى فتحها عنوه، ثم سرنا إلى النقر، ففتحه و هدمه، و عاد إلى دمشق بعد أن أخرب بلاد الفرنج.

فصل و فيها ألبس زكى الدين القباء و الكلوته و كان فى قلبه منه حزازات،

كان منعه من إظهارها حياؤه من العادل، و خوفه من الشناعات، و كان يشكو إلىّ مرارا و يقول إنه لا ينفذ الأحكام، و لا يقيم معالم الاسلام قال:

و كنت أقول له: يا قاضى أما قد ثبت عندک هذا الأمر؟ فيقول: بلى، فأقول: فلم لا تحكم به؟ فيقول: ما أحكم، و اتفق موت العادل، و مرض ست الشام عمه الملک المعظم، و كانت قد أوصت بدارها مدرسه، و أحضرت زكى الدين و الشهود و أشهدتهم عليها، و أوصت إلى القاضى، و بلغ المعظم فعز عليه، و قال: يحضر إلى دار عمتى بغير إذنى، و سمع كلامها هو و الشهود، ثم اتفق أن القاضى أرسل إلى أخضر جابى المدرسه العزيزيه، و طلب منه حسابها، فأغلظ له فى القول، فأمر بضربه، فضرب بين يديه كما تفعل الولاه، فوجد المعظم سبيلا إلى إظهار ما كان فى نفسه، و كان الجمال المصرى وكيل بيت المال عدو القاضى، فجاء فجلس عند القاضى فى مجلس الحكم و الشهود حاضرون، و الناس فبعث المعظم مع صديق غلام عماد الدين بن موسک ببقجه فيها: قباء، و كلوته، و أمره أن

يحكم بين الناس، و هما عليه، فقام من خوفه فلبسهما، و حكم بين اثنين و كان أضر ما عليه حضور الجمال المصرى عنده، و كان هذا القاضى قد سلب التوفيق و إلا فلو قال: اشهدوا علىّ إننى قد عزلت نفسى عن الحكم، و ما ألبس هذه لتخلص، و القتل أهون مما جرى عليه ثم إن القاضى مرض، و رمى كبده قطعا، و كانت حركه شنيعه، و واقعه قبيحه لم يجر فى الإسلام أقبح منها، و كانت من غلطات المعظم، و لقد قلت له: ما فعلت إلا بصاحب الشرع؟ و لقد وجبت عليک ديه القاضى، فقال: هو الذى أحوجنى و لقد ندمت، قلت بعد أن سارت بفعلک الركبان، و تحدث الناس فى البلدان، و قال ابن عنين فى ذلک:

يا أيها الملک المعظم سنهأحدثتها تبقى على الآباد

تجرى الملوک على طريقک بعدهاخلع القضاه و تحفه الزهاد

و كان ابن عنين قد تزهد، فبعث إليه قنينه خمر و نردا و قال:

سبح بهذا ...

فصل و فيها توفيت ست الشام بنت أيوب أخت صلاح الدين

، و العادل، و شقيقه شمس الدوله، كانت سيده الخواتين عاقله كثيره البر و الصلاه، و الإحسان و الصدقات، و كان يعمل فى دارها من الأشربه و المعاجين و العقاقير فى كل سنه بألوف دنانير، تفرقها على الناس، و كان بابها ملجأ القاصدين، و مفرج المكروبين، و هى أم حسام الدين بن لاجين، و تزوجها ناصر الدين محمد بن أسد الدين صاحب حمص، و بنت لها مدرسه و تربه بالعوينه على الشرف الشمالى من دمشق، و أوقفت عليهما و على المدرسه الجوانيه أوقافا كثيره، و كانت وفاتها فى ذى القعده، و دفنت بتربتها بالعوينه، و كانت لها جنازه عظيمه، و كان شبل الدوله كافور الحسامى خادمها، فتولى أمرها، قال: و قد اجتمع لست الشام

و أختها ربيعه خاتون ما لم يجتمع لأحد، لأنا قد ذكرنا فيما تقدم أن فاطمه بنت عبد الملک بن مروان کان لها ثلاثه عشر محرما، کل واحد منهم خليفه، و أمها عاتکه بنت يزيد بن معاويه حرمت على عشره من الخلفاء، و ذکرناه، و بنت صاحب ماردين کان لها عده محارم، و ست الشام و أختها کان لها نيف و ثلاثون محرما من الملوک، سوى أولادهم، و أولاد أولادهم، فإخوتها أربعه: صلاح الدين، و العادل، و سيف الإسلام، و شمس الدوله، فمن أولاد صلاح الدين: العزيز، و ولده محمد، و الأفضل، و الظاهر، و ولده محمد العزيز، و ابنه الناصر يوسف، و الزاهر، و الظاهر، و من أولاد العادل الکامل و أولاده الثلاثه أقسيس صاحب اليمن، و أبو بکر العادل صاحب مصر، و أيوب الصالح صاحب مصر أيضا، و ابن العادل أبو بکر صاحب الکرک، و ابن الصالح أيوب تورانشاه المقتول بمصر، و الملک المعظم عيسى بن العادل، و ولده داود الناصر، و الملک الأشرف بن العادل، و الصالح اسماعيل بن العادل، و الأوحد بن العادل، صاحب خلاط، و شهاب الدين غازى و ولده، و الحافظ صاحب قلعه جعبر، و ابن سيف الإسلام صاحب اليمن الذى ادعى الخلافه، و فرخ شاه بن شاهنشاه، و ولده الأمجد و غيرهم.

فصل و فيها توفى الملک المنصور محمد بن عماد الدين زنکى صاحب سنجار

، کان ملکا عادلا، جوادا قدم سنجار فى سنه ثلاث و ستمائه، و جلس بالمدرسه العماديه ظاهر سنجار بشفاعه الخليفه، و قد ذکرناه، و کانت وفاته فى هذه السنه و هى سنه ست عشره و ستمائه، و خلف عده أولاد:

سلطان شاه، و سيف الدين زنکى، و مظفر الدين، و عده بنات ....

السنه السابعه عشره و ستمائه

اشاره

و فيها نافق ابن المشطوب و عاث فى الأرض بسنجار، و ساعده صاحب ماردين، و کان نجم الدين ابن أبى عصرون مع ابن المشطوب،

قد زور له، فسار الأشرف و نزل على دنيسر، و جاء الملک الصالح فأصلح بين صاحب ماردين و الأشرف، و دخل ابن المشطوب إلى تل أعفر، و سار إليه فارس الدين ابن صبره من نصيبين، و بدر الدين لؤلؤ من الموصل، و حصراه فى تل أعفر، فأنزله بدر الدين لؤلؤ بالأمان، و حمله معه إلى الموصل، ثم قيده، و بعث به إلى الأشرف، فألقاه الحاجب على فى الجب فمات بالقمل و الجوع، و كان نور الدين ابن عماد الدين صاحب قرقيسيا مع الأشرف، و قد كاتب عليه، و اتفق مع ابن المشطوب، فاعتقله الأشرف و بعث به مع العلم تعاسيف على قرقيسيا و عانه، و علق نور الدين برجليه تحت القلعتين و عذبه فسلمت إلى تعاسيف جميع بلاده، و أراد الأشرف أن يرميه فى الجب، فتشفع إلى الملک المعظم، فشفع فيه إلى الأشرف، فأطلقه و سار نور الدين إلى دمشق و أحسن المعظم إليه فاشترى فى العقيبه بستان ابن حيوس و أقام به.

فصل و فيها قتل صاحب سنجار أخاه

، فسار الأشرف إليها فأخذها، و عوض صاحب سنجار الرقه.

و فيها عزل المعظم المبارز المعتمد من ولايه دمشق، و ولى العدل خليل.

و فيها كان أول ظهور التتر، و عبورهم جيحون، و كان أول ظهورهم من وراء النهر سنه خمس عشره و ستمائه، و قبل عبورهم جيحون قصدوا بخارا، و سمرقند، فقتلوا أهلها و سبوهم، و حصروا خوارزم شاه، فانضم إليهم الخطا و صاروا تبعا لهم، و كان خوارزم شاه قد أخلى البلاد من الملوک، فلم يجدوا أحدا يردهم، و وصل التتر إلى الرى و قزوين، و همذان فى هذه السنه، فقتلوا أهلها و أحرقوا مساجدها، و سبوا، ثم توجهوا إلى بلاد أذربيجان ففعلوا كذلک.

فصل و حج بالناس من بغداد آقباش الناصرى

، و قتل بمكه، و لم يحج أحد من العجم بسبب التتر، و حج من الشام المبارز المعتمد، و عاد حج العراق.

و فيها توفى الملک الفائز ابن العادل، و اسمه إبراهيم، و كان قد حالف ابن المشطوب، و الأمراء بمصر على الكامل، و لو لا المعظم لتم لهم ما أرادوا و لما كانت وقعه البرلس، قال الكامل للفائز: هؤلاء الفرنج قد استولوا على البلاد، و قد أبطى علينا الملک المعظم، و ما لملوک الشرق غيرک، فقم و توجه إلى الأشرف، و عرفه ما نحن فيه من المضايقه، فسار إلى الشرق، و كان الأشرف على الموصل، فمرض الفائز بين سنجار و الموصل، و قيل إنه سم فمات، فردوه إلى سنجار فدفن عند تربه عماد الدين زنكى و الله أعلم .....

فصل و فيها توفى الشيخ عبد الله اليونينى، أسد الشام

اشاره

، و أصله من قريه من قرى بعلبک يقال لها يونين، كان صاحب رياضات، و مجاهدات و كرامات و اشارات، لم يقم لأحد من الناس تعظيما لله تعالى، و يقول:

لا ينبغى القيام لغير الله، صحبته مده، و ما كان يدخر شيئا، و لا يمس يده دينارا و لا درهما، و كان زاهدا، ورعا عفيفا، و ما لبس طول عمره إلا الثوب الخام، و قلنسوه من جلد الماعز تساوى نصف درهم، و فى الشتاء يبعث له بعض أصحابه فروه قرض يلبسها ثم يؤثر بها فى البرد، و كان إذا لبس الثوب يقول هذا لفلان و هذا لفلانه.

و قال لى يوما: يا سيدى أنا أبقى فى هذه الزاويه أياما، و كنا ببعلبک، ما آكل شيئا فقيل له: فأنت صاحب القبول، فكيف تجوع؟ قال: يا سيد لأن أهل بعلبک يتكل بعضهم على بعض فأجوع أنا.

و حدثنى عبد الله خادمه عنه قال: كان يأخذ، ورق اللوز، فيفركه

و يستفه، و كان الملک الأمجد يزوره، و يحبه، و كان الشيخ يهينه فما قام له يوما قط، و كان يقول له: يا مجيد أنت تظلم، و تفعل، و تصنع، و هو يعتذر إليه، و أظهر العادل قراطيس سود، فقال الشيخ عبد الله: يا مسلمين انظروا إلى هذا الشيخ الفاعل الصانع يفسد على الناس معاملاتهم، و بلغ العادل فأبطلها.

ذكر طرف من أخباره و كراماته

كنت قد اجتمعت به فى الشام فى سنه ستمائه إلى سنه ثلاث و ستمائه و كان له تلميذ اسمه توبه، و كان من الصالحين الأجواد، و سافرت إلى العراق فى سنه أربع و ستمائه، و حججت، فلما كان يوم عرفه صعدت جبل عرفات، و إذا بالشيخ عبد الله قاعد على الجبل مستقبل الكعبه، و عليه الثوب الخام، و على رأسه القلنسوه السوداء، فسلمت عليه فرحب بى و سألنى عن طريقى، و قعدت عنده إلى قريب الغياب ثم قلت له: ما تقوم تروح إلى المزدلفه؟ فقال: اسبقنى أنت فلى رفاق، فنزلت من الجبل و أتيت المزدلفه، و وقفت بها، و جئت إلى منى فدخلت مسجد الخيف، و إذا بالشيخ توبه خارج من المسجد، فسلم على فقلت له: أين نزل الشيخ، ظنا منى أنه قد حج معه، فقال: أيما شيخ؟ فقلت: عبد الله، قال: خلفته ببعلبک، ففطنت فقلت مبارک، ففهم فلزم بيدى و بكى قال:

و بالله حدثنى ايش معنى هذا؟ فقلت: رأيته البارحه على عرفات، و حدثته الحديث فحدثنى توبه قال: قال لى الشيخ: ما هو صحيح منک فلان فتى، و الفتى لا يكون غمازا، فلما عدت إلى الشام عتبنى الشيخ، فقلت: توبه تلميذک، فقال: لا تعد إلى مثلها فإنه لم يأمره أن يتحدث له بكرامه فى حال حياته.

و حدثنى القاضى جمال الدين ابن يعقوب قاضى كرک البقاع ببعلبک، قال كنت يوما عند الجسر الأبيض فى مسجد هناک، وقت السحر و إذا بالشيخ عبد الله قد جاء، فنزل ثورا يتوضأ، و إذا بنصرانى عابر على

الجسر، و معه بغل علیه حمل خمر، فعثر البغل عند الجسر، و لیس فی الطریق أحد فصعد الشیخ من النهر، و صاح بی: یا فقیه تعال، قال:

فجئت من النهر، فقال: عاونی فعاونته حتی رفعنا الحمل علی البغل، وراح النصرانی، قال: فقلت فی نفسی: مثل هذا الشیخ یفعل کذا، ثم مشیت خلف البغل إلی العقیبه فجاء إلی الخمار فحط الحمل، و فتح الزقاق، و قلب لیکیله، و إذا به قد صار خلا، فقال له الخمار هذا خل فبکی، و قال: و الله ما کان إلا خمرا من ساعه، و إنما أنا أعرف العله، ثم ربط البغل فی الخان و عاد إلی الجبل، و کان الشیخ قد صلی الظهر فی المسجد الذی عند الجسر، و قعد یسبح، فدخل علیه النصرانی، و قال:

یا سیدی أنا أشهد أن لا إله إلّا الله، و أن محمدا رسول الله صلی الله علیه و سلم، و صار فقیرا.

و حکی لی جماعه من أهل بعلبک قالوا: کان جالسا یوما فی زاویته، و إذا بامرأه طالعه و بین یدیها دابه تسوقها علیها نحاس و ثیاب فربطتها، و جاءت إلیه فسلمت علیه، فقال لها: من أین أنت؟ فقالت: نصرانیه من جهه المنیطره، قال: و ما الذی جاء بک إلی عندی؟ قالت: رأیت السیده مریم فی المنام، فقالت: اذهبی فاخدمی الشیخ عبد الله الیونینی إلی أن تموتی، قالت: فقلت لها یا سیدتی فذاک مسلم، فقالت صحیح إنه مسلم و لکن قلبه [مؤمن] فقال لها الشیخ: أجادت مریم ما عرفنی غیرها، فأعطاها بیتا فی الزاویه، فأقامت تخدمه ثمانیه أشهر، فمرضت، فقال لها الشیخ: ایش تشتهین؟ قالت أموت علی دین السیده مریم، فقال صیحوا بالقسیس، فقال: خذ هذه إلیک، و خذ قماشها، و کان خمسمائه درهم، فماتت عند القسیس.

و حکی بعض أهل بعلبک أنها ما ماتت إلا مسلمه عند الشیخ، و تصدق بما خلفت.

و کان یأوی فی الشتاء إلی عیون الفاسریا بظاهر دمشق لأجل سخونه

الماء، و قد بنى له على رأس العين مسجدا صغيرا يأوى إليه، و كان الدماشقه يخرجون من دمشق إلى زيارته، فحكت لى امرأه صالحه قالت:

خرجت من دمشق بعد العصر، فوصلت إلى العيون بعد العشاء الآخره فتوضأت، و طلعت إلى باب الزاويه، و كانت ليله مقمره و إذا بالسبع نائما على باب الزاويه و رأسه على عتبتها فيئست و لم أقدر أتحرک، فسحبت ركبتى إلى نحو القبله، فلما كان وقت السحر هرول السبع و مضى، و خرج الشيخ فرآنى فقال: و يحک و ايش كان عليک منه، و من هذا كثير.

و كان الشيخ شجاعا لا يبالى بالرجال قلوا أو كثروا، و كان قوسه ثمانين رطلا، و ما فاته غزاه الشام قط، و كان يتمنى الشهاده، و يلقى نفسه فى المهالک، حكى لى عنه خادمه عبد الصمد قال: لما دخل العادل إلى بلاد الفرنج، و وصل إلى صافيتا، كان الشيخ فى الزاويه ببعلبک، فقال لى: يا صميد انزل إلى الفقيه عبد الله اطلب لى منه بغله، قال فأحضرت البغله فركبها و خرجت معه فبتنا فى هونين، و قمنا نصف الليل فجئنا إلى المحدثه قبل الصبح، فقلت: لا تتكلم هاهنا، فهذا مكمن الفرنج، قال:

فرفع صوته و قال: الله أكبر ما أبرکک من يوم أمضى إلى صاحبى، و ساق إليهم و قد شهر سيفه، فقلت فى نفسى: شيخ و تحته بغله و بيده سيف يسوق إلى طلب الفرنج، قال: فانكسر قلبى، و فترت همتى فقلت له: احمد ربک فإن الله قد نظر إليک أنت واحد تريد تلاقى مائه حمار و حش على بغله.

قال: و جئنا إلى حمص، فجاءنا الملک المجاهد أسد الدين، و قدم له حصانا من خيله، فركبه و دخل معهم، فعمل العجائب، و كان يقول للفقيه محمد: فىّ و فيک نزل إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ(1) أنا من الرهبان و أنت من الأحبار.

1- سوره التوبه- الآيه: 34.

ذكر أخلاقه

قد ذكرنا أن الملک الأمجد کان یزوره و یحبه، و کان الشیخ یهینه، فما قام له قط، و کان یقول له: یا مجید أنت تظلم، و تفعل، و تصنع، و هو یعتذر إلیه، و قد ذکرنا أن العادل أظهر قراطیس سود، فقال الشیخ عبد الله: انظروا یا مسلمین إلی هذا الشیخ الفاعل الصانع یفسد علی الناس معاملاتهم، و بلغ العادل فأبطلها، و قد ذکرنا أخباره و کراماته و حکایاته، و قد ذکرنا حکایته مع النصرانی و مع المرأه التی کان معها الدابه، و علیها النحاس و الثیاب.

و حکی عبد الصمد خادمه قال: لما کان یوم الجمعه نزل فصلی الجمعه بجامع بعلبک، و هو صحیح لیس به شی ء، و دخل الحمام قبل الصلاه و اغتسل، و کان علیه ثوبان ثوب قد سماه لأم أیدمر، و الآخر سماه لأم بهجه، و جاءه داود المؤذن، و کان یغسل الموتی فقال له: و یحک یا داود انظر کیف تکون غدا، فما فهم داود، و قال: یا سیدی کلنا غدا فی غفارتک، ثم صعد الشیخ إلی المغاره، و کان قد أمر الفقراء أن یقطعوا صخره عند اللوزه التی کان ینام تحتها و یقعد عندها، و عندها قبر و کان فی نهار الجمعه قد نجرت الصخره، و بقی منها مقدار نصف ذراع، فقال لهم: لا تطلع الشمس إلا و قد فرغتم منها.

قال: و بات طول اللیل یذکر أصحابه و معارفه، و یدعو لهم و یقول:

یا سیدی فلانه اجتزت بها فی الموضع الفلانی أعطتنی شربه ماء فشربتها، و قلیل ماء، فتوضأت به، اغفر لها، و فلان أحسن إلی فأحسن إلیه، و طلع الصبح فصلی بی، و خرج إلی الصخره التی کان یجلس علیها، فجلس علیها و بیده سبحته، و قام الفقراء یتممون الصخره، و طلعت الشمس، و قد فرغوا منها، و الشیخ قاعد نائم و السبحه بیده و جاء خادم من القلعه فی شغل فرآه نائما قاعدا بحاله فما تجاسر أن یوقظه، فقعد ساعه فطال علیه، فقال: یا عبد الصمد ما أقدر أقعد أکثر من هذا، فتقدمت إلیه و قلت:

سیدی، سیدی، فما تکلم فحرکته فإذا به میت، و قد فرغوا من الصخره، و عملوا فیها ساعه، و هو میت، و ارتفع الصیاح، و کان صاحب بعلبک فی الصید، فأرسلوا وراءه فجاء فرآه علی تلک الحال، لا وقع و لا وقعت السبحه من یده، و هو کأنه نائم، فقال: دعونا نبنی علیه بنیانا، و هو علی حاله لیکون أعجوبه الدنیا أن الانسان یموت و هو قاعد، و لا یتغیر فقالوا: إتباع السنه أولی، و طلع داود فغسله، و دفع الثوبین إلی المرأتین، و لما ألحدوه قال له الحفار: یا شیخ عبد الله اذکر ما عاهدتنا علیه ففتح عینیه، و نظر إلیه شزرا، و دفن عند اللوزه یوم السبت فی العشر الأول من ذی الحجه، و قد جاوز ثمانین سنه رحمه الله، و نفعنا ببرکته.

اقتصرنا علی هذه اللمعه من فضائل الشیخ عبد الله و صفاته، و أحواله و کراماته، و کان یستوحش من الناس لما حصل له من الانسان، فتاره یکون بجبل لبنان هاجرا للأوطان و تاره بالغسوله و بثنیه العقاب یفر من الأسباب، و تاره بضمیر یستنشق روائح الغویر .....

السنه الثامنه عشره و ستمائه

اشاره

و فیها توجه الملک المعظم إلی أخیه الأشرف، و اجتمعا علی حران، و کتب صاحب ماردین ناصر الدین إلی الأشرف یسأله أن یصعد المعظم إلیه، فسأله فسار إلی ماردین، و نزل صاحب ماردین، و التقاه من دنیسر و أصعده إلی القلعه، و خدمه خدمه عظیمه، و قدم له التحف و الجواهر، و تحالفا و اتفقا علی ما أرادا، و زوج المعظم احدی بناته، و زوج ناصر الدین ابنه بنته الأخری، و خلع علی الجمیع و أعطاهم الأموال، و رجع المعظم إلی حران، و وصلت الأخبار بوصول التتر إلی کرمان شاهان قریبا من بغداد، و انزعج الخلیفه، و أمر الناس بالقنوت فی الصلاه، و حصن بغداد و استخدم العساکر.

و فی جمادی الآخره فتحت دمیاط.

ذكر السبب

و كان المعظم من أحرص الناس على خلاص دمياط، و الغزاه، و كان مصافيا لأخيه الكامل، و كان الأشرف مقصرا فى حق الكامل، و كان مباينا له فى الباطن، فلما اجتمعت العساكر على حران، قطع بهم المعظم الفرات، و سار الأشرف فى آثاره، و جاء المعظم فنزل حمص، و نزل الأشرف سلميه، و كنت قد خرجت من دمشق إلى حمص لطلب الغزاه، فإنهم كانوا على عزم الدخول إلى طرابلس، فاجتمعت بالمعظم على حمص فى ربيع الآخر فقال لى: قد سحبت الأشرف إلى هاهنا بأسنانى، و هو كاره، و كل يوم أعاتبه فى تأخره، و هو يكاسر، و أخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر، و هو صديقک و أرى أن تقوم تروح إليه فقد سألنى عنک مرارا، ثم كتب إلى أخيه كتابا بخطه نحو ثمانين سطرا، و أخذتها و مضيت إلى سلميه، و بلغ الأشرف وصولى، فخرج من الخيمه و التقانى، و عاتبنى على انقطاعى عنه.

و جرى بينى و بينه فصول، و قلت له: المسلمون فى ضائقه، و إذا أخذ الفرنج الديار المصريه ملكوا إلى حضر موت، و عدوا إلى مكه، و المدينه، و الشام، و أنت تلعب، قم الساعه و ارحل، فقال: ارموا الخيام و الدهليز، و سبقته إلى حمص، و المعظم عينه إلى الطريق، فلما قيل له: قد وصل، ركب و التقانى، فقال: ما نمت البارحه، و لا أكلت اليوم شيئا، فقلت:

غدا يصبح أخوک على حمص، فدعانى، و لما كان الغد أقبلت الأطلاب، و جاء طلب الأشرف، و الله ما رأيت أجمل منه، و لا أحسن رجالا و لا أكمل عده، و سر المعظم سرورا عظيما، و جلسوا تلک الليله، يتشاورون، فاتفقوا على الدخول فى سحر إلى طرابلس، و يشوشوا على الفرنج، و كانوا على حال، فأنطق الله الأشرف من غير قصد، و قال للمعظم:

يا خوند عوض ما ندخل الساحل، و تضعف خيلنا و عساكرنا، و يضيع زماننا ما نروح إلى دمياط، و نستريح؟ فقال له المعظم: قول رماه

البندق؟ قال: نعم فقبل المعظم قدمه، و نام الأشرف، فخرج المعظم من الخيمه كالأسد الضارى يصيح: الرحيل، الرحيل إلى دمياط، و ما كان يظن أن الأشرف يسمح بذلک، و ساق المعظم إلى دمشق، و تبعته العساكر، و نام الأشرف في خيمته إلى الظهر و انتبه، فدخل الحمام، فلم ير حول خيمته أحدا، فقال: و أين العساكر؟ فأخبروه الخبر، فسكت و ساق إلى دمشق، و نزل القصير يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى، فأقام إلى سلخ جمادى، و عرض العساكر تحت قلعه دمشق، و كان هو و أخوه المعظم فى الطياره فى القلعه، و ساروا إلى مصر غره جمادى الآخره.

و أما الفرنج فإنهم خرجوا بالفارس و الراجل، و كان البحر زائدا جدا فجاؤوا إلى ترعه فأرسوا إليها، و فتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان فأحدقت بهم عساكر الكامل، فلم يبق لهم وصول إلى دمياط، و جاء أسطول المسلمين فأخذوا مراكبهم، و منعوهم أن يصل إليهم ميره من دمياط و كانوا خلقا عظيما و انقطعت أخبارهم عن دمياط و كان فيهم مائه كند و ثمانى مائه من الخياله المعروفين و ملک عكا و الدوک و اللوكان نائب البابا، و من الرجاله ما لا يحصى، فلما عاينوا الهلاک أرسلوا إلى الكامل يطلبون الصلح و الرهائن و يسلمون دمياط، فمن حرص الكامل على خلاط دمياط أجابهم، و لو أقاموا يومين أخذوا برقابهم، فبعث إليهم الكامل ابنه الصالح أيوب، و ابن أخيه شمس الملوک و جاء ملوكهم إلى المنصوره فى ثالث رجب، فجلس الكامل مجلسا عظيما، أحضر ملوک الفرنج، و الخياله، و وقف: المعظم، و الأشرف، و الملوک فى خدمته و قام الحلى الشاعر فأنشد:

هنيئا فإن السعد راح مخلداو قد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا إله الخلق فتحا بدا لنامبينا و إنعاما و عزا مؤبدا

تهلل وجه الدهر بعد قطوبه و أصبح وجه الشرک بالظلم أسودا

و لما طغا البحر الخضم بأهله طغاه و أضحى بالمراكب مزبدا

أقام لهذا الدين من سل عزمه صقيلا كما سل الحسام مجردا

فلم ينج إلا كل شلو مجدل سوى منهم و من تراه مقيدا

و نادى لسان الكون فى الأرض رافعاعقيرته فى الخافقين و منشدا

أعباد عيسى إن عيسى و حزبه و موسى جميعا يخدمون محمدا

من أبيات، هذين البيتين بيت القصيده، وقع الصلح بين الكامل و الفرنج يوم الأربعاء تاسع رجب و سار بعض الفرنج إلى البر و بعضهم فى البحر إلى عكا و تسلم الكامل دمياط و وصلت العساكر الشرقيه و الشاميه و قد أخذ الكامل دمياط.

فصل و حج بالناس ابن أبى فراس

، و معه كتاب إلى مكه و المدينه بإعاده ولى العهد أبى نصر إلى العهد، و كتب إلى الآفاق بذلک.

و عاد المعظم إلى الشام، و أقام الأشرف بمصر عند الكامل، فغير الله القلوب، و صارا متصادقين، و اتفقا على المعظم، و ولى المعظم الجمال المصرى قضاء دمشق، و قرأ منشوره بهاء الدين ابن أبى اليسر فى شهر رجب ....

و حج بالناس من اليمن أقسيس بن الكامل، و لقبه الملک المسعود فى عسكر عظيم فجاء إلى الجبل، و قد لبس و أصحابه السلاح، و منع علم الخليفه أن يصعد الجبل، و أصعد علم أبيه الكامل، و علمه، و قال لأصحابه: إن اطلع البغادده علم الخليفه فأكسروه و انهبوهم، و وقفوا تحت الجبل من الظهر إلى غروب الشمس يضربون الكوسات، و يتعرضون للحاج العراقى، و ينادون: يا ثارات ابن المقدم، فأرسل ابن أبى فراس أباه، و كان شيخا كبيرا إلى أقسيس، فأخبره بما يجب من طاعه الخليفه، و ما يلزمه فى ذلک من الشناعه، و يقال إنه أذن فى صعود العلم قبيل الغروب، و قيل لم يأذن، و بدا من أقسيس فى تلک السنه جرأه عظيمه.

و حكى لى شيخنا جمال الدين الحصيرى، قال: رأيت أقسيس قد صعد إلى قبه زمزم و هو يرمى حمام مكه بالبندق، قال: و رأيت غلمانه فى المسعى يضربون الناس بالسيوف فى أرجلهم، و يقولون اسعوا قليلا قليلا، فإن السلطان نائم سكران فى دار السلطنه التى فى المسعى، و الدم يجرى من ساقات الناس.

و فيها نقل العادل من قلعه دمشق إلى مدرسته التى أنشأها عند دار العقيقى و الله أعلم .....

السنه العشرون و ستمائه

اشاره

و فيها عاد الأشرف من مصر إلى الشام قاصدا إلى الشرق، و التقاه المعظم، و عرض عليه النزول بالقلعه فامتنع، و نزل بجوسق أبيه، و بدت الوحشه بين الإخوه: الكامل، و الأشرف، و المعظم، و أصبح الأشرف فى وقت السحر، و ساق و نزل ضمير، و لم يعلم المعظم برحيله، و سار يطوى البلاد إلى حران، و كان الأشرف استناب أخاه شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين على خلاط لما سافر إلى مصر، و جعله ولى عهده بعده، عينه و مكنه فى جميع بلاده، فسولت له نفسه بالعصيان و أعانه عليه قوم آخرون، و هم ابن زين الدين، و المشارقه، و الملك المعظم و قالوا: نحن من ورائک، و لما وصل الأشرف إلى حران، قال لى المعظم:

أما عندک خبر ما قد شنع على أخى أننى أردت أن أمسكه؟ فقد كان فى الجوسق لو أردت أن أمسكه مسكته، و الله ما خطر لى ذلک أبدا.

فصل و حج بالناس من العراق ابن أبى فراس

، و من الشام الشرف يعقوب صاحب جهاركس بن محمد.

و فيها توفى الأمير مبارز الدين سنقر الحلبى الصلاحى، والد الظهير، كان مقيما بحلب، ثم انتقل إلى ماردين، فخاف الأشرف منه، فبعث إلى

المعظم، و قال: مادام المبارز فی الشرق ما آمن علی نفسی، فأرسل المعظم الظهیر غازی إلیه، و قال: أنا أعطیه نابلس، و ایش أراد فجاء الظهیر إلی ماردین، و عرف المبارز رغبه المعظم فیه، و أنه یقطعه من الشام ایش أراد، فقال له صاحب ماردین: فإنه رأی بالشام الذل و الهوان، و کان یتمنی أنه ما وجد، و لا کان، فسار عن ماردین و کان مسیره إلی الشام فی سنه ثمان عشره و ستمائه، و وصل إلی دمشق، و خرج المعظم للقائه، و لم ینصفه، و جاء فنزل فی دار شبل الدوله الحسامی بقاسیون التی انتقلت إلی الصوفیه، و أقام بها و المعظم معرض عنه، و یماطله بالیوم و غدا حتی تفرق عنه أصحابه، و کان معه جمله من المال و الخیل العربیه المنسوبه، و الجمال، و البغال، و السلاح و المماالیک شی ء کثیر، ففرق للأمراء و الأکابر، و کان جاری لأنی کنت مقیما بتربه بدر الدین حسن علی ثورا، و کان یزورنی و أزوره، و یشکو إلی إعراض المعظم عنه، و ما فعله، و کده الظهیر به، و کیف خدعه، و أنا أسأله و أسلیه و أهون عنه، و أقول: کل الأشیاء فضلتک، و لقد وقع لی کتاب فیه حدیث ملوک الیمن، و بینما أنا قاعد أقرأه، فدخل فقال: ایش تقرأ؟ قلت: أخبار ملوک الیمن، فقال:

إقرأ علی، فقرأت فلان الملک عاش ألف سنه و مات بالغم، و فلان عاش سبعمائه سنه و مات بالغم، و ذکرت من هذا الجنس، فقال: و أنا أموت بالغم، و کان طول النهار یجلس مهموما مغموما، و ما یفید فیه العذل حتی انقطع أکله، فأقام عشرین یوما لا یدخل فی فیه إلا الماء، و مات کمدا فی شعبان فی دار شبل الدوله، فقام شبل الدوله بأمره أحسن قیام، و جهزه أحسن جهاز، و کان صدیقه من أیام شمس الدوله أخی ست الشام، و یقال إن المبارز کان مملوک شمس الدوله، و اشتری له کافور تربه علی رأس زقاق شبل الدوله بألف درهم عند المصنع، و حضر جنازته خلق عظیم لأنه کان محسنا إلی الناس، و لم یکن فی زمانه من الصلاحیه و غیرهم أکرم و لا أشجع من المبارز، و کانت له المواقف المشهوده مع صلاح الدین و غیره، و لما مات وجد فی صندوقه منشور فیه

جمله ما أنفق فی نعال الخیل و ذلک ثمانیه عشر ألف درهم، فسألت کاتبه عن ذلک، فقال: هذا ما یتعلق بنعال دوابه، و إنما کان یستعرض الفرس الثمین بخمسمائه دینار فأکثر، فینعله أولا قبل أن یرکبه، فإذا صلح أعطی صاحبه ثمنه، و خلع علیه، و إن لم یصلح أعطی صاحبه مائتی درهم و اعتذر إلیه، قلت: و جرت عقیب ذلک واقعه اعترض بعض الأمراء فرسا و أنعله، ثم رکبه فلم یصلح، و جاء صاحبه یطلبه فقال الأمیر لغلامه: اقلع نعاله و أعطه له، و ما کانت الدراهم تساوی عند المبارز قلیلا و لا کثیرا، و حکی لی الظهیر ولده قال: وصل مع أبی إلی الشام ذهب، و جمال و غیرها ما قیمته مائه ألف دینار، و مات و لیس له کفن، و ما کفنه إلا شبل الدوله .....

السنه الحادیه و العشرون و ستمائه

اشاره

و فیها ظهر جلال الدین خوارزم شاه فی أذربیجان، و استولی علیها، فبعث المعظم إلیه رجلا صوفیا یقال له الملو فی رساله، و اتفق المعظم، و ابن زین الدین مع الخوارزمی علی الأشرف و بعث المعظم ولده الناصر داود إلی ابن زین الدین رهینه، و عبر الفرات عند الحربیه، و مضی إلی إربل، و استولی بدر الدین لؤلؤ علی الموصل، و أظهر أن محمود ابن القاهر مات.

و حج بالناس من بغداد ابن أبی فراس و من الشام الشجاع علی بن السلار، و جرت بالعراق واقعه عجیبه بقریه یقال لها بعقوبا، فیها نخل کثیر تولاها ناظر یتشیع، و کان بها رجل من أهلها له نخل، فصادره الناظر و أخذ منه ألفی نخله، فجعل یسب الناظر، و یدعو علیه، فبلغ الناظر فأحضروه، و أمر بضربه فقال له: بالله علیک أنصفنی، فقال: قل قال: أنتم تسبون أبا بکر و تقولون أخذ فدک من فاطمه، و إنما فی فدک نخیلات یسیره و تأخذ أنت منی ألفی نخله و أسکت؟ فضحک الناظر ورد علیه نخیله.

فصل و فيها قدم أقسيس من اليمن على أبيه الكامل بالقاهره

، و يلقب بالملک المسعود، و ما جاء من اليمن إلا طمعا فی أخذ دمشق، و الشام، و کان معه من الهدايا شی ء عظيم من جمله ذلک ثلاثه أفيله أحدهم کبير، و يدعی بالملک، و عليه محفه بدرابزين يقعد فيها عشره أنفس، و فياله راکب علی رقبته، و بيده کلاب حديد يضربه کيف ما أراد، و خرج الکامل للقاء ولده، فلما قربوا من الکامل أمرهم سواسهم فوضعوا رؤوسهم علی الأرض بين يدی الکامل خدمه له، و کان فی الهديه: مائتا خادم، و أحمال عود، و ند، و مسک، و عنبر، و تحف اليمن، و فيها بنی الکامل دار الحديث التی بين القصرين و الله أعلم.

السنه الثانيه و العشرون و ستمائه

اشاره

و فی ربيع الأول وصل خوارزم شاه جلال الدين إلی دقوقا، ففتحها عنوه، و أوقع السيف فی أهلها و نهب أموالهم، و سبی حريمهم، و هتک نساءهم و أحرق البلد، و هدم سوره، و کانوا قد عصوا عليه و سبوه فی الأسواق، و بالغوا فی شتمه، و عزم علی قصد بغداد، فانزعج الخليفه، و أخرج المال، و فرق فی العساکر ألف ألف دينار، و نصب المناجيق علی الأسوار، و فرق السلاح، و فتح الأهراء.

و حکی لی المعظم قال: کتب إلیّ يقول أنت تحضر، و من عاهدنی و اتفق معی، حتی نقصد الخليفه فإنه کان السبب فی هلاک أبی و مجی ء الکفار إلی البلاد، و وجدنا کتبه إلی الخطا، و تواقيعه لهم بالبلاد و الخيل و الخلع.

قال المعظم: فکتبت إليه أنا معک علی کل أحد إلا الخليفه، فإنه إمام المسلمين.

قال: و بينما هو علی عزم بغداد و کان قد جهز جيشا إلی الکرج إلی تفليس، فکتبوا إليه: أدرکنا فما لنا بالکرج طاقه، و بغداد ما تفوت، فسار

إلى تفليس، فخرج إليه الكرج فضرب معهم مصافا، فقتل منهم سبعين ألفا، و فتح تفليس عنوه، و قتل منها ثلاثين ألفا، فصاروا مائه ألف، و ذلک فى سلخ ذى الحجه.

و فيها صلب المعظم ابن الكعكى و رفيقا له منكسين على رؤوسهما و كان ابن الكعكى رأس حزب، و خلفه جماعه، فكانوا ينزلون على الناس فى البساتين يقتلون و ينهبون، و المعظم فى الكرک، و بلغه أن ابن الكعكى قال للصالح إسماعيل، و كان ببصرى: أنا آخذ لک دمشق، فكتب إلى والى دمشق بأن يصلب ابن الكعكى و رفيقه منكوسين، فصلبهما فى العشر الأواخر من رمضان فأقاما أياما لا يتجاسر أحد أن يطعمهما، و لا يسقيهما فماتا.

و أخذ المعظم دمشق بعد ما ماتا فمرض مرضا عظيما أشفى منه، ثم أبل، و لم يزل ينتقض عليه حتى مات.

و كان رفيق ابن الكعكى رجلا خياطا شهد له أهل دمشق بالصلاح، و البراءه مما كان فيه ابن الكعكى.

فصل و حج بالناس من العراق ابن أبى فراس، و من الشام على بن السلار

و توفى الخليفه.

فصل و فيها توفى الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن الإمام المستضى ء بالله

، و قد ذكرنا أنه ولد فى رجب سنه ثلاث و خمسين و خمسمائه، بالخلافه غره ذى القعده سنه خمس و سبعين و خمسمائه، و قد ذكرنا سيرته مفرقه فى السنين، و كانت وفاته ليله الأحد سلخ رمضان عن تسع و ستين سنه، و كانت خلافته سبعا و أربعين سنه إلا شهورا

و أياما، و لم يبلغ من بنى أميه و لا من بنى العباس هذا العدد إلا المستنصر من المصريين، فإنه ولى ستين سنه، و من الملوک سنجر.

و كان له خادم اسمه رشيق قد استولى على الخلاقه، فأقام مده يوقع عن الخليفه، و كان قد قل بصره، قيل ذهب مره، و كانت به أمراض مختلفه، منها: عسر البول، و الحصى، و لقى منه شده، و شق ذكره مرارا و ما زال يعتريه حتى قتله، و غسله أبو محمد يوسف خالى، و كان قد عمل له ضريحا عند موسى بن جعفر، فأمر الظاهر بحمله إلى الرصافه، فحمل فى تابوت، و دفن عند أهله، و قيل توفى سابع عشرين رمضان، و بويع أبو نصر محمد.

فصل فى بيعه الإمام الظاهر بأمر الله:

اشاره

قد ذكرنا أن أباه خطب له بولايه العهد فى سنه خمس و ثمانين و خمسمائه، و عمره إذ ذاک أربع عشره سنه، لأنه ولد فى المحرم سنه سبعين و خمسمائه، و خطب له على المنابر، و عزل فى سنه احدى و ستمائه، ثم أعيد إلى العهد فى سنه ثمان عشره و سبعمائه، و لما مات أبوه استدعى القمى تقى الدين الوزير، و قشتمر و الأعيان إلى البدريه فشاهدوا الناصر ميتا، فبايعوا أبا نصر محمدا، و لقبوه بالظاهر، و هذه البيعه الخاصه، ثم بويع البيعه العامه: حضر القضاه، و الأعيان فبايعوه، و كان جميل الصوره أبيض، مشربا بحمره، حلو الشمائل شديد القوى، أفضت الخلافه إليه و له اثنتان و خمسون سنه إلا شهورا، فقيل: ألا تفتتح؟ فقال: قد فات الزرع، فقيل له: يبارک الله، فقال: من فتح دكانا بعد العصر ايش يكتسب؟ و لما بويع أحسن إلى الناس، و لم يؤاخذ أحدا ممن سعى فى خلعه، و كان الناس يظنون خلاف ذلک، و خاف الخونه و استعدوا للهلاک، و كتبوا وصاياهم، فقابل الإساءه بالإحسان، و التجاوز

و الإمتنان و صلى على أبيه بالتاج، و عمل العزاء ثلاثه أيام، و فرق الأموال، و أبطل المكوس، و أزال المظالم.

ذكر فتوحاته

خوزستان، و ششتر، و تشتمل على أربعين قلعه، و همذان، و أصبهان و حمل إليه خراجها، و تكريت، و دقوقا و الحديثه، و فى أيامه فتح صلاح الدين البيت المقدس، و الساحل.

ذكر عماراته

رباط الأخلاطيه، و رباط الحريم، و مشهد عبيد الله، و تربه عون، و معين عند تربه الخلاطيه، و تربه والدته، و المدرسه التى إلى جانبها، و الرباط المقابل لها الذى كان دار والدته، و مسجد سوق السلطان، و رباط المرزبانيه، و دور المضيف بالمحال، و دار ضيافه الحاج، و دار المنسا، و دار الملك، و جعلها رباطا، و الدار البيضاء التى كان يسكنها عند التاج، و غرم على هذه الأماكن أموالا جليله، و نقل الكتب السنيه بالخطوط المنسوبه، و المصاحف الشريفه إلى النظاميه، و رباط الأخلاطيه و الرباط الذى إلى جانب تربه والدته، و رباط الحريم، و غير ذلک.

و فيها توفى سيف الدين ابن علم الدين، و اسمه على بن سليمان بن جندر، كان من أكابر أمراء حلب كثير الخير، و الصدقات الداره و البر الوافر، و بنى بحلب مدرستين إحداهما لأصحاب أبى حنيفه ظاهر حلب، و الأخرى للشافعيه داخل حلب، و وقف عليهما الأوقاف، و بنى الخانات فى الطرقات، و كان حنفى المذهب، و له الغزوات المشهوره، و المواقف المذكوره، و كان صديقى خدمنى مده إقامتى بحلب و كانت وفاته بحلب فى العشر الأواخر من جمادى الأولى.

و فيها توفى الملک الأفضل على بن صلاح الدين، ولد بمصر سنه خمس و ستين و خمسمائه و كان فاضلا شاعرا، حسن الحظ، و قد ذكرنا

تقلب الأحوال به فی جمیع الحالات، حتی ألقاه الدهر فی صمیصات، و مما یعزی إلیه من الشعر أنه کتب إلی الخلیفه لما أخرج من دمشق، و اتفق علیه العادل و العزیز:

مولای إن أنا بکر و صاحبه عثمان قد غصبا بالسیف حق علی

فانظر إلی حظ هذا الاسم کیف لقی من الأواخر مالاقی من الأول

و بلغنی أنه کان ینکر هذا الشعر أنه له، و قد ذکرنا من شعره لما قصده العزیز من مصر، و کانت وفاته بصمیصات یوم الجمعه فی ربیع الأول، و نقل إلی حلب فدفن بظاهرها .....

السنه الثالثه و العشرون و ستمائه

اشاره

و فیها قدم الأشرف دمشق و أقام، و فیها توجه خالی إلی مصر إلی الکامل، و هذه أول سفره سافرها خالی إلی الشام و مصر.

و فیها توفی الجمال المصری القاضی، و ولی المعظم القاضی الخوئی، و اسمه أحمد بن خلیل بن سعاده، و کنیته أبو العباس، و استدعاه و عرض علیه القضاء فامتنع و قال: أنا رجل غریب، و الدماشقه فیهم کثره، فقال: لابد و ولاه قضاء القضاه فی ربیع الآخر، و خلع علیه.

فصل و فیها فوض إلی المعظم التدریس بمدرسه شبل الدوله بقاسیون

اشاره

، و حضر أعیان دمشق لم یتخلف منهم أحد.

و حج بالناس من العراق ابن أبی فراس، و من الشام علی بن السلار.

و فیها توفی المبارز المعتمد، و اسمه إبراهیم بن موسی ولد بالموصل و قدم الشام، و خدم فرخشاه ابن شاهنشاه ابن أخی صلاح الدین، و تقلبت به

الأحوال، و استنابه بدر الدين الشحنه بدمشق، ثم ولاه

العادل استقلالا، فأحسن السياسه، و تلطف بالرعيه، فكان للكبير منهم ولدا و للصغير، والدا، و للمتوسط أخا، و له واقعات عجيبه.

ذكر طرف من أخباره

كان دينا، عفيفا، نزها، اصطنع عالما من النساء و الرجال و ستر عليهم كبائر الأحوال، و كانت دمشق فى أيام ولايته حره طاهره، و دلائل الخيرات بها ظاهره، و مما جرى له أنه كان فى دمشق رجل فاتک و إلى جانب بيته قوم لهم ولد صغير فى آذانه حلق ذهب، فاغتاله الرجل يوما فخنقه، و أخذ الحلق من أذنه، و أخرجه فدفنه فى الباب الصغير، و فقدته أمه، فاتهمت الرجل به فعذبه المبارز عذابا أليما فلم يقر و أطلق، و فى قلب المرأه النار من فقد ولدها، فطلقت زوجها و تزوجت القاتل، و أقامت معه مده فقالت له يوما و هى تداعبه: قد مضى الابن و أبوه و كان منهما ما كان، و كان- الزوج قد مات- أنت قتلت الصغير؟

قال: نعم، و أخذته و دفنته بالباب الصغير، قالت: فأرنى قبره، فأخذها، و خرج بها إلى المقابر، و حفر القبر، و رأت ولدها فلم تتمالک و ضربت القاتل بسكين فشقت بطنه و دفعته، فألقته فى القبر، و جاءت إلى المبارز فحكت له الحكايه، فقام و خرج معها إلى القبر فكشفته، فقال لها:

أحسنت، و الله ينبغى لنا كلنا أن نشرب لک فتوه.

و حكى لى قال: لما حرم العادل الخمر ركبت يوما من باب الفرج، فإذا برجل فى رقبته طبل، و هو يتمايل تحته فقلت: أمسكوه و شقوا الطبل، فشقوه و إذا فيه ركوه خمر، فبددتها و ضربته الحد، فقلت له: فمن أين علمت؟ قال: رأيت رجليه و هى تلعب، فعلمت أنه حامل شيئا ثقيلا، و كان لداره بابان: باب كبير عليه الغلمان و النواب، و باب سر فى زقاق آخر، فكان البوابون إذا أمسكوا امرأه فى الليل من بيت معروف، و حملوها إليه يقول: انزلوا حتى أقررها، ثم يقول لها: يا بنتى أنت من بيت كبير، و أهلک رجال معروفون فما الذى جرأک على هذا؟ فتقول:

يا سيدى قضى الله، فيقول لها: ستر الله عليک، و يبعث معها الخادم من باب السر إلى بيتها، فأقام على هذا نحوا من أربعين سنه، و كان فى قلب المعظم له شحناء، لأنه كان مشفقا عليه، و يحفظه من أماكن يدخل إليها بدمشق فى الليل، و هو شاب، فيأمر غلمانه أن يتبعوه من بعيد و كان العادل من مصر يكتب إليه بذلک، فلما مات العادل أظهر ما كان فى قلبه منه، و اعتقله مده فى القلعه، فلم يظهر عليه، و لا على أحد من أولاده و حاشيته أنه أخذ من أحد من الرعيه ما مقداره مثقال حبه من خردل، و لا غير ما كان عليه من العفه و الأمانه و الصلاح، و الديانه، و لا غير و لا بدل، ثم أنزله من القلعه إلى داره، و حجر عليه فى وطنه و بالغ فى التشديد، و العجب من الحجر على الحر البالغ العاقل الرشيد، و كانت وفاته فى حادى عشر ذى القعده، و دفن بقاسيون فى التربه التى أنشأها بالجبل عن ثمانين سنه.

و حكى أنه ولى دمشق نيابه بدر الدين الشحنه أول ولايه صلاح الدين، ثم استقل بالولايه إلى أن عزل فى سنه سبع عشره و ستمائه، و صلاح الدين فتح دمشق فى سنه سبعين و خمسمائه أو إحدى و سبعين و خمسمائه، و كانت ولايته نيابه و استقلالا قريبا من خمسين سنه، قالوا:

و لم يؤخذ على المبارز شى ء إلا أنه كان يحبس و ينسى، فعوقب بمثل ذلک، أقام محبوسا خمس سنين إلا أياما.

و جرت لى معه واقعه عجيبه، كنت فى كل ليله جمعه أزوره، و انقطعت عنه مده بسبب غلق باب داره فى بعض الأوقات، فرأيت فى المنام كأن قبره فى روضه خضراء، و القبر معمول بالفص الأخضر، و ليس هو من جنس فصوص الدنيا، نظرت لحسنه و رونق المكان، فهتف بى هاتف: لو رأيت ما فى باطن القبر، قلت: فما فى باطنه؟ قال:

الدر، و الياقوت و المرجان، و ما يستغنى عن قراءه كتاب الله تعالى، فانتبهت و فهمت الإشاره فأنا فى كل ليله أقرأ ما تيسر من القرآن،

و أهديه إليه و إلى أهلى و أصحابى و معارفى، فرضى الله عنه رضا الأبرار و جمعنا و إياه فى دار القرار، فلقد كان محسنا إلىّ، و متفضلا علىّ، خدمنى بنفسه و جاهه و ماله، و جمع لى بين خيرى الدنيا بتفضله و إفضاله.

فصل و فيها: توفى البدر الجعبرى والى دمشق

أقام واليا بها مده، و كان ذا مروءه، خدم القاهر بحلب و غيره، و حمل إلى بالس فدفن عند أهله.

فصل و فيها: توفى كافور بن عبد الله الحسامى

، و لقبه شبل الدوله، خادم ست الشام، كان عاقلا دينا صالحا، له حرمه وافره فى الدوله، و منزله عاليه عند الملوک، بنى مدرسه على نهر ثورا لأصحاب أبى حنيفه، و وقف عليهم الأوقاف، و نقل إليها الكتب الكثيره، و فتح للناس طريقا من الجبل إلى دمشق قريبه عند القفارات، على طريق عين الكرش، و بنى المصنع الذى على باب الزقاق، و الخانكاه للصوفيه إلى جانب مدرسته و مصنعا آخر عند المدرسه، و له صدقات داره، و إحسان كثير، و توفى فى رجب، و دفن إلى جانب مدرسته.

و قد سمع الحديث على شيخنا تاج الدين الكندى، و روى اعتقاد الطحاوى و غيره.

و فيها: توفى الإمام الظاهر أمير المؤمنين، محمد بن أحمد، و قد ذكرنا ما جرى عليه من الشدائد، و التعصب الوافر الزائد، و ما تجرع من الغصص فى أوقاته، و ما وفت ولايته مده يسيره فكانت خلافته تسعه أشهر و أياما، و ياليتها دامت أعواما، و توفى فى رجب، و مع هذا فإنه قام من أوامر الله بما عليه وجب، و غسله محمد الخياط الشاعر، و حصل له مال وافر، و حكى لى أنه دخل يوما إلى الخزائن، فقال له خادمها: فى أيامک تمتلى ء، فقال: ما جعلت الخزائن لتمتلى ء، بل لتتفرغ و تنفق فى سبيل الله، فإن الجمع شغل التجار.

فصل فی خلافه ولده أبی جعفر منصور بن محمد، و لقبه المستنصر بالله؟

بویع یوم مات أبوه البیعه العامه، و استبشر الناس بطلعته، و سعدوا بولایته، فإنه ظهر منه مخایل الکرم، و الاحسان، و العدل، و الامتنان، و توفی فی سنه أربعین و ستمائه، و سنذکره هناک إن شاء الله تعالی.

و فیها توفی یونس بن بدران، و یلقب بالجمال المصری، کان وکیل بیت المال فی أیام العادل، فلما مات العادل، و ألبس المعظم القاضی ابن زکی الدین القباء و الکلوته، ولی الجمال المصری قضاء القضاه بدمشق، و کان فاضلا، عفیفا، مهیبا، ورعا، نزها، و دفن بداره، و الله سبحانه و تعالی أعلم.

السنه الرابعه و العشرون و ستمائه

اشاره

و فیها عاد الأشرف إلی بلاده، و قدم رسول الانبروز علی المعظم بعد اجتماعه بالکامل یطلب الفتوح، فأغلظ علیه، و قال: قل لصاحبک: ما أنا مثل الغیر، ما له عندی سوی السیف.

و فی شعبان أمر المعظم الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغنی أن یرتب مسند أحمد علی أبواب الفقه، فقعد فی الکلاسه، و معه جماعه من المحدثین منهم الشرف الإربلی، فرتبوه فمات المعظم، و هم علی ذلک.

فصل و حج بالناس من الشام الشجاع بن السلار

، و من میافارقین شهاب الدین غازی بن العادل، و کان ثقله علی ستمائه جمل، و معه خمسون هجینا کل هجین علیه مملوک، و جهزه الأشرف جهازا عظیما، و سار غربی الفرات علی قرقیسیا، و الکیسان، و القمر، و العین و شنانا، و کلها قری فیها عیون جاریه، و نخل کثیر، و منها یجلب التمر إلی الشام، و علی کربلاء فزار المشهد، ثم دخل الکوفه و زار مشهد أمیر المؤمنین.

و حج بالناس من العراق قيران شمس الدين، مملوک الخليفه، و بعث الخليفه لشهاب الدين فرسين، و بغله و ألف دينار، و قال: هذه من ملکی للفقهاء فی طريق الحاج و أوصی أمير الحاج بخدمته و تصدق فی مکه و المدينه و عاد إلی العراق، و لم يصل الکوفه بل سار غربی الطريق الذی سلکها، فکاد يهلک و من معه عطشا حتی وصل إلی حران.

فصل و فيها توفی الملک المعظم عيسی بن العادل أبی بکر بن أيوب:

اشاره

العالم، الفقيه، الفاضل، المجاهد فی سبيل الله الغازی، النحوی اللغوی.

ذکر طرف من أخباره

ولد بالقاهره فی سنه ست و سبعين و خمسمائه، و نشأ بالشام، و قرأ القرآن، و تفقه علی مذهب أبی حنيفه علی فخر الدين الحصيری، و حفظ المسعودی، و اعتنی بالجامع الکبير، و قرأ الأدب علی تاج الدين الکندی، فأخذ عنه کتاب سيبويه، و شرحه للسيرافی، و الحجه فی القراءات لأبی علی الفارسی، و الحماسه، و قرأ عليه الإيضاح لأبی علی حفظا، و سمع مسند أحمد علی حنبل بدمشق، و علی ابن طبرزد أشياء من مسموعاته، و سمع السيره لابن هشام علی ابن المحلی بمصر، و غير ذلک، و شرح کتب الجامع الکبير، و الرد علی الخطيب و العروض، و له ديوان شعر، و من تصنيفه العروض ما کان يقيم وزن الشعر فی بعض الأوقات، فکنت أقول له: فيک ضرب من النبوه، وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ(1)، و کان شجاعا مقداما، کثير الحياء متواضعا، مليح الصوره، ضحوکا غيورا، جوادا، حسن العشره، محافظا علی الصحبه و الموده .....

و کان إذا خرج إلی الغزاه لا ينام إلا علی جل الفرس، و زرديته مخدته، و لا يقطع الإشتغال بالقرآن، و بالجامع الکبير، و سيبويه، و کان دائما يرکب، فإذا نزل مد السماط، فإذا أکل الناس قضی الحوائج إلی الظهر.

1- سوره یاسین- الآیه: 69.

و كان فى أيام الفسخ مع الفرنج يرتب النيران على الجبال من باب نابلس إلى عكا، و على عكا جبل قريب منها يقال له الكرمل، كان عليه المنورون، و بينهم و بين الجواسيس علامات، و كان له فى عكا أصحاب أخبار، و أكثرهم نساء الخياله، فكانت طاقاتهم فى قباله الكرمل، فإذا عزم الفرنج على الغاره فتحت المرأه الطاقه، فإن كان يخرج مائه فارس أوقدت المرأه شمعه واحده، و إن كانوا متئتين شمعتين، و إن كانوا يريدون حوران أو ناحيه دمشق، أشارت إلى تلک الناحيه، و كذا إلى نابلس، فكان قد ضيق على الفرنج الطرق، و كان يعطى النساء و الجواسيس فى كل فسخ جمله كثيره، فقلت له فى بعض الأيام: هذا إسراف فى بيوت الأموال، فقال: أنا أستفتيک لما عزم الإنبروز على الخروج إلى الشام، أراد أن ينزل عكا بغته، و يسير إلى باب دمشق، فبعث فارسا عظيما، و قال: أخف مجيئنا إلى البلاد لغير بغته، و كان بعكا امرأه مستحسنه، فكتبت إلىّ تخبرنى، فبعثت لها ثيابا ملونه و عنبرا، و مقانع حرير فلبستها، و اجتمعت بالفارس فدهش و قال: من أين هذا؟ قالت:

من عند صديق لنا من المسلمين، فقال: من هو؟ فقالت: الكريدى، فصلب على وجهه، و قام فخرج من عندها، قال: فما زالت تلک المرأه تتلطف بالفارس و تهاديه حتى صارت كتب الإنبروز تجى ء إليه مختومه فيبعثها إليه، و يقول له: تكتب ما تريد، فلو لم أدار عن المسلمين، فلو جاء الإنبروز، و ساق إلى أهل الشام، و مواشيهم و أموالهم ما لا يعد و لا يحصى، فأنا أفدى المسلمين بالشى ء اليسير، و أحفظ الخطير بالحقير.

و كان المعظم قد أمر الفقهاء أن يجردوا له مذهب أبى حنيفه، دون صاحبيه، فجردوا له المذهب فى عشر مجلدات، و سماه التذكره، فكان لا يفارقه سفرا و لا حضرا، يطالعه دائما، فكتب على ظهر كل مجلده: أنهاه حفظا عيسى بن أبى بكر بن أيوب، فقلت له: ربما يؤخذ هذا عليک، لأن أكبر مدرس فى الشام يحفظ القدورى مع تفرغه، و أنت مشغول بتدبير

الممالک تکتب خطک علی عشر مجلدات أنک قد حفظتها، فقال: لیس الاعتبار بالألفاظ، و إنما الاعتبار بالمعانی، بسم الله فاسألونی عن جمیع مسائلها، فإن قصرت کان الصحیح معکم، و إلا فسلموا إلی ما قلت.

حکی لی سعد الدین مسعود والی الخوان، قال: کنت والیا بالشوبک، و کان بها راهب منفرد فی بعض الجبال، فجاءنی کتاب المعظم بنفیه، فنفیته فغاب سنه، و جاءنی بکتاب المعظم: أعده إلی مکانه و توص به، فبحثت عن قصته، و إذا به قد بعث به إلی البحر، کشف له أخبار الإنبروز علی وجهها، و إنما نفاه حتی لا یتهم و أطلق له أرضا یعیش منها، و أعطاه مائه دینار.

و کان یحب الفقهاء یحرضهم علی الاشتغال بالعلم، فیقول: من حفظ نص الجامع الکبیر للکرمانی أعطیته مائه دینار، و من حفظ الإیضاح لأبی علی فی النحو أعطیته مائتی دینار، فحفظ جماعه الکتابین، و وفی لهم بما شرطه.

ذکر وفاته

کان قد جهز العساکر إلی طرابلس خوفا من اتفاق الإنبروز و خوفا من الکامل، و مرض فی نصف شوال، و کان عنده رسل الخوارزمی، فحکی لی نجم الدین بن سلام، قال: غرم علیهم فی مده تسعه أشهر تسعمائه ألف درهم، و اشتد مرضه، و أصابه ذرب عظیم بحیث أنه رمی قطعه کبده و مصرانا، و کثرت الأقوال أنه سقی السم، و اتهم به جماعه، و ربک الخبیر، و آخر عهدی به لیله الجمعه تاسع عشرین ذی القعده، دخلت علیه آخر النهار، و عنده ولده الملک الناصر داود، و کریم الدین الخلاطی، و یعقوب الحکیم، فی محفه قد زمن، و قد تغیرت أحواله، و طلع الموت فی محاسن وجهه الملیح، فبکیت فقال: حاشاک، حاشاک، و تحته طراحه خفیفه بندقی و مخده، و لحاف من جنسها، و علی رأسه

كوفيه، و عند رأسه صينيه أسبادوره(1) فيها تراب، فقلت لكريم الدين:

ما هذه؟ قال: يتيمم لكل صلاه، و كان المعظم يقول: و الله ما فاتنى صلاه قط، قال كريم الدين: بات الليله التى مات فى صبيحتها ساهرا، فطفت عينه قبل الفجر، و كان قد قام قياما عظيما، ففتح عينيه و قد كادت الشمس أن تطلع، و لم يقدر أن يتيمم فصلى بالإيماء، و كان دائما يقول: ما أظن يدخل ملک إلى الجنه، و يقول: الموت خير من الحياه، و الحاجه إلى الناس، و يقول: و قد صح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:

«لا يجتمع غبار فى سبيل الله، و دخان جهنم فى منخرى عبد أبدا، و كم فى منخرى من تراب فى سبيل الله.

و توفى فى ثالث ساعه من نهار الجمعه أول يوم من ذى الحجه، و غسله النجم خليل، و كريم الدين يصب عليه، و كان قد أوصى أن لا يدفن فى القلعه، و يخرج إلى الميدان بقاسيون فيدفن على باب تربه والدته تحت الشجره، فلم تنفذ وصيته و دفن فى القلعه ثم أخرج بعد ذلک بمده لما ملک الأشرف دمشق على حال غير مرضى بين يديه نصف شمعه و العزز خليل معه، و بلغنى أن الحمالين طلبوا ما يربطوه به على النعش، فقيل لأحدهم: اربطه بعمامتک، و دفن مع والدته فى التربه عند الباب، و فيها أخوه المغيث.

و عملنا له العزاء ثلاثه أيام فى جامع دمشق، و جرى على الرعيه فى وفاته ما لم يجر على غيرهم عند موت أحد من الملوک، رأيت بنات البيوت اللاتى لم يخرجن قط من خدورهن من أوائل الليل، يأتين إلى تحت القلعه، و قد شققن ثيابهن، و نشرن شعورهن، و معهن الدرادکه فليطمن عليه، ثم يمشين فى الأسواق، و يلطمن إلى الصباح أقمن على ذلک شهرا، و كذلک فى الميادين طول النهار.

1- أى سفيدرو و هو خلط من النحاس و القلعى.

و تكلمت أول يوم فى عزائه، فغلبنى البكاء، و كان محسنا للرعيه، ذابا عن حريمهم، رفيقا بهم يعرف صغيرهم، و كبيرهم، و كان يحضر مجالسى بجامع دمشق، و بالقدس، و يبكر إلى جامع دمشق، فيقعد عند المنبر الذى عند باب المشهد بين العامه، فلما رجع من الحج سنه احدى و عشرين و ستمائه، حضر مجلسى بجامع دمشق، فأنشد قصيدا لجدى رحمه الله.

سلام على الدار التى لا نزورهاعلى أن هذا القلب فيها أسيرها

من أبيات، فلما فرغ من القصيده بكى، و زاد بكاؤه، فخفت عليه لا يفتضح بين الناس، فقلت: لا نسى الله لک مواقفک فى رضائه، و سهرک الليالى فى جهاد أعدائه:

ذكر ما بنى من المدارس و غيرها

بنى مدرسه بقاسيون، و دفن فيها والدته، و أخاه المغيث، و مدرسه القدس، و دار المضيف، و اعتنى بأرض الحجاز، فبنى حمامين بعمان للرجال و النساء، و أقام لهم الضيافه عند زواحهم إلى مكه و مجيئهم، و أباحهم الحمامين، و زرع طريق الحجاز من باب الجابيه إلى مكه، و حفر البرک و المصانع، و أوقف على الحاج ضياعا من الساحل، و على المدارس، و لو عاش لسار الناس إلى مكه بغير دليل، و كان قد حج فى سنه احدى عشره و ستمائه على طريق تبوک و المعلى، ففعل ما ذكرناه فى طريقها، و كانت المعلى لبنى صخر، و هى قلعه فأخذها منهم، و رتب فيها جماعه، و عمر المساجد عند جعفر الطيار، و أقام الضيافات للزوار، و بنى سور دمشق و الطارمه التى عند الباب الجديد، و الطياره التى عند باب السر المشرفه على دار المعظم العتيقه و بنى الخان على باب الجابيه، و بنى الدار و الجسر و القصر و القيساريه و غير ذلک.

ذكر ثناء الخلفاء و الملوک عليه

لما قدم خالى فى سنه ثلاث و عشرون و ستمائه، قال لى: أمرت من

الديوان أن لا أخاطبه إلّا بمشهد الظاهر بالشام، و هو الملک، و لما اجتمعت بالملک الظاهر فی سنه اثنتی عشره و ستمائه، قال لی: و الله هو واسطه العقد و عین القلاده، و لو لا همته و أنه مشغول بجهاد الأعداء لما قر لی فی حلب قرار، و کان الکامل یقول: و هل انبت الشعر من رؤوسنا إلا الملک المعظم.

و قال لی الکامل فی مصر: و من حفظ علیّ البلاد، و أحیانی بعد الموت غیره، یشیر إلی نوبه ابن المشطوب، و کان الأشرف یقول: الله بینی و بین التی ولدت فیها، و معناه أنه ولد قبل المعظم بشهر، أو بلیله، و کان یقف فی خدمه العادل فوق المعظم، علی ما جرت به عادتهم فی کبر السن.

ذکر طرف من شجاعته

قد ذکرنا أنه التقی الفرنج علی القیمون و قتل منهم مائه فارس و أسر منهم مائه فارس و دخل بهم القدس منکسه أعلامهم و کسر الفرنج غیر مره، و أخرب قیساریه، و النقر، و دعوق و حصونا کثیره فی الساحل، و کان بالغور حرامی یقال له قندیل معه مائه راجل، فکان یقطع الطریق من بیسان و أریحا، فحکی المعظم قال: بلغنی أن الفرنج قاصدین القدس، فخرجت من دمشق بعد الظهر و ما معی غیر رکبدار و قلاوون مملوکی، و قلت للجماعه اتبعونی، و سقت فبت بالطریق، و سقت فی اللیل فأصبحت فی بیسان فتغدیت، و ساق معی والی بیسان، و أنسیت قندیل، فسقت أرید أریحا فبینما أنا فی عدوه بیسان، و إذا بقندیل قد خرج و معه رجاله، و لم یکن معی عشره خیاله، قال:

فوقفت و صحت فیه: والک أنت قندیل؟ قال: نعم و بیده قوس لو ضرب بسهمه الجبل لنفذ منه، فقلت لبعض المماریک: انزل إلیه، فقلت اکتفه بوتر قوسه فکتفه، و انهزم أصحابه، و أخذت وتر القوس بیدی و سقت إلی قراوا، و هو ساکت فالتقانی رؤساء قراوا، فخافوا و نزلت عندهم و قلت لهم هذا برؤوسکم ما أعرفه إلا منکم فی القدس،

و نمت عندهم إلى السحر، و ركبت فدخلت القدس، و كانت عادته أن يبيت من دمشق إلى القدس فى الطريق ليله واحده و بعض أخرى، فلما كان من الغد جاؤوا و هو معهم، فقلت: اخرجوا و اشنقوه، و كان شابا مليحا شجاعا فقال: يا خوند عوض ما تشنقنى فاستبقنى أحمى بلادک، و أجاهد الكفار بين يديک، قال: فرق له قلبى و خلعت عليه، و استحلفته، و أطلقته فنزل إلى الغور فأقام فيه الخفراء، فأمنت الطريق، و حفظت الأموال، و لما نزلت الفرنج على الطور، جاهدهم جهادا عظيما، و حفظ الباب، فلما رأى الغلبه خرج إليهم فقتل منهم جماعه، ثم استشهد رحمه الله.

ذكر أولاده

كان له ثلاثه من الذكور: الملک الناصر داود، و عبد العزيز، يقال له المغيث، و عبد الملک يقال له القاهر، و من البنات سبع، و قيل تسع عشره، انتهت ترجمته و الله أعلم.

السنه الخامسه و العشرون و ستمائه

و فيها نزل جلال الدين الخوارزمى على خلاط مره ثانيه، و هجم عليه الشتاء، فرحل عنها إلى أذربيجان، و خرج الحاجب على من خلاط بالعسكر، و استولى على خوى، و سلماس، و هجوان، و تلک النواحى، و أخذ خزائن الخوارزمى و عائلته، و عاد إلى خلاط فقيل له: بئس ما صنعت، و هذا يكون سبب هلاک العباد و البلاد فلم يلتفت.

و فيها نجزت مدرسه الركن الفلكى بقاسيون، و ذكر فيها ملک شاه الدرس.

و فيها فى ربيع الأول كانت الوقعه على باب صور، بين العزيز عثمان و صارم الدين و كند الفرنج قريبا من صور، فلما تعالى النهار خرج الفارس و الراجل بأغنامهم و مواشيهم، و خرج عليهم المسلمون فقتلوا

و أسروا منهم سبعين فارسا و ساقوا الجميع، و لم يسلم من الفرنج سوى ثلاثه أنفس، و كانت الوقعه عظيمه.

و حج بالناس من الشام على بن السلار .....

السنه السادسه و العشرون و ستمائه

فصل و فى صفر ولى الملك الناصر محيى الدين يحيى بن الزكى أقضى القضاه بدمشق

، و قرأ عهده بهاء الدين بن أبى اليسر بالكلاسه.

و فيها أعطى الكامل الإنبروز البيت المقدس، و وصل الإنبروز إلى يافا، و خرج الكامل من مصر، فنزل تل العجول، و كان الملك الناصر داود قد بعث الفخر ابن بصاقه إلى الملك الأشرف يستدعيه إلى دمشق، فوصل إلى النيرب، و نزل بستانه، و كان عز الدين أيبک قد أشار إلى الناصر بمداراه الكامل، و قال له: لا تبعث إلى الأشرف و داوى الأخضر فخالفه و قال الأشرف للناصر: أنا أمضى إلى الكامل و أصلح حالک معه، و مضى إليه فوجده قد دفع القدس إلى الإنبروز فشق عليه و لام الكامل، فقال: ما أحوجنى إلى هذا إلا المعظم، أشار إلى أن المعظم أعطى إلى الإنبروز من الأردن إلى البحر و أعطاه الضياع التى من باب القدس إلى يافا و غيرها، و لما اجتمع الأشرف و الكامل اتفقا على حصار دمشق و وصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج فقامت القيامه فى جميع بلاد الاسلام و اشتدت العظائم بحيث ان أقيمت المآتم و أشار الملك الناصر داود بأن أجلس بجامع دمشق و اذكر ما جرى على البيت المقدس فما أمكنتنى مخالفته و رأيت من جمله الديانه الحميه للاسلام موافقته، فجلست بجامع دمشق، و حضر الناصر داود على باب مشهد على، و كان يوما مشهودا لم يتخلف من أهل دمشق أحد، و كان من جمله الكلام: انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشه المجاورين،

كم كان لهم فى تلک الأماکن من رکعه، و کم جرت لهم على تلک المساکن من دمعه، تا لله لوصارت عیونهم عیونا لما وفت، و لو تقطعت قلوبهم أسفا لما شفت، أحسن الله عزاء المؤمنین، یا خجله ملوک المسلمین، لمثل هذه الحادثه تسکب العبرات، لمثلها تنقطع القلوب من الزفرات، لمثلها تعظم الحسرات.

و ذکر کلاما طویلا، و أکثر الشعراء فى حدیث القدس، و حکى أن فقیرا بات بالقدس سمع قائلا یقول فى اللیل هذه الأبیات:

إن یکن بالشآم قل نصیرى و تهدمت ثم دام هلکى

فلقد أصبح الغداه خرابى سمه العار فى حیاه الملوک

و مضى عز الدین أیدمر إلى الکامل من نابلس، و کان الناصر قد أهانه فأعطاه عشره آلاف دینار، و عرفه الإنعام، و کان الکامل عزم على العود إلى مصر، فقال: جاءنى مفتاح الشام، و نمى إلى الأشرف و الکامل أنى قد أفتیت بقتالهما على المنبر، فأرعدا و أبرقا، و تواعدا علیه، و تهددا و لذکر الله أکبر، فتوکلت على الله، و من یتوکل على الله فهو حسبه و اعتمدت علیه، و من یعتمد علیه یصفو له شربه، و أحیط بدمشق من کل جانب و حل بها من الخراب و الفساد العجاب، و قبض الناصر على الفخر بن بصاقه، و ابن عمه المکرم، و رماهما فى الجب، و استأصلهما و قیدهما، و کان قد اتهم الفخر بالأشرف، و أنه لما مضى فى الرساله و اطى ء على الناصر، و قال: هذا صبى لا یصلح للملک، و أنت أولى فبلغنى أنهما فى الجب تغاضبا، فقال الفخر للمکرم: یا مکرم بعد الأمر و النهى، و الجاه أصارنا الدهر إلى الحبوس و القیود؟ فسبحان مزیل النعم، فقال له المکرم: سبحانک، أى أنت کنت السبب.

فصل و فیها دخل الإنبروز إلى القدس، و الحصار على دمشق

، و جرى له

عجائب منها أنه لما دخل الصخره رأى قسيسا قاعدا عند القدم، يأخذ من الفرنج القراطيس، فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء، و لكمه فرماه إلى الأرض، و قال: يا خنزير السلطان قد تصدق علينا بزياره هذا المكان تفعلوا فيه هذه الأفاعيل، لئن عاد واحد منكم دخل على هذا الوجه لأقتلنه.

و حكى صوره الحال قوام الصخره، قالوا: و نظر إلى الكتابه التى فى القبه، «و قد طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين»، فقال:

و من هم المشركون؟ و قال للقوام: هذه الشباک التى على أبواب الصخره من أجل ايش؟ قالوا: لئلا تدخلها العصافير، فقال: قد أتى الله إليكم بالجبارين.

قالوا: و لما دخل وقت الظهر، و أذن المؤذن قام جميع من معه من الفراشين و الغلمان و معلمه، و كان من صقليه يقرأ عليه المنطق فصولا، فصلوا، و كانوا مسلمين، قالوا: و كان الإنبروز أشقر فى عينيه ضعف، لو كان عبدا ما ساوى مائتى درهم، قالوا: و الظاهر من كلامه أنه كان دهريا، و إنما كان يتلاعب بالنصرانيه، قالوا: و كان الكامل قد تقدم إلى القاضى شمس الدين قاضى نابلس أن يأمر المؤذنين مادام الإنبروز فى القدس لا تصعدوا المنبر، و لا تؤذنوا فى الحرم فأنسى القاضى أن يعلم المؤذنين، و صعد عبد الكريم المؤذن فى تلک الليله فى وقت السحر، و الإنبروز نازل فى دار القاضى فجعل يقرأ الآيات التى تختص بالنصارى مثل قوله تعالى مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ(1) ذلِکَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ(2) و نحو هذا، فلما طلع الفجر استدعى القاضى عبد الكريم، و قال له: إيش عملت؟

السلطان رسم كذا و كذا، قال: فما عرفتنى و التوبه.

فلما كانت الليله الثانيه ما صعد عبد الكريم المأذنه، فلما طلع الفجر استدعى الإنبروز القاضى، و كان قد دخل القدس فى خدمته و هو الذى

1- سوره المؤمنون- الآيه: 91.
2- سوره مريم- الآيه: 34.

سلم إليه القدس، فقال له: يا قاضى أين ذاک الرجل الذى طلع البارحه المناره، و ذكر ذاک الكلام، فعرفه أن السلطان أوصاه، فقال الإنبروز:

أخطأتم يا قاضى تغيرون أنتم شعاركم، و شرعكم، و دينكم لأجلى فلو كنتم عندى فى بلادى هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم؟ الله، الله لا تفعلوا هذا أول ما تنقصون عندنا، ثم فرق فى القوام، و المؤذنين، و المجاورين جمله أعطى كل واحد عشره دنانير، و لم يقم بالقدس سوى ليلتين، و عاد إلى يافا، و خاف من الداويه فإنهم طلبوا قتله.

فصل و فيها اشتد الحصار على دمشق

، فألجت الضروره أن الناصر خرج إلى عمه الكامل، و أعطاه الكرک، و عجلون، و الصلت، و نابلس، و القدس، و الخليل، و أخذ منه الشوبک، و سلم إليه دمشق، و كان نزوله على دمشق فى ربيع الآخر من هذه السنه، و تسلمها فى غره شعبان، أقاموا عليها أربعه أشهر، و سلم الكامل دمشق إلى الأشرف.

و نزل الخوارزمى على خلاط، و أقام عليها إلى السنه الثانيه، و نزل عليها الثلج، و حفر أسرابا له و لأصحابه، و لم يزل حتى أخذها عنوه فى السنه الآتيه.

و سار الكامل إلى حماه، فحصرها و أخذها من الناصر قليج أرسلان، و أعطاها لمحمود ابن المنصور، و لقبه المظفر، و كلاهما ابنا أخيه.

و سار الناصر إلى الكرک، و كان قد بكى بين يدى الكامل على الشوبک، فقال الكامل: أنا مالى حصن يحمى رأسى، و افرض أنک و هبتنى إياه، فسكت، و أقام الأشرف بدمشق فدخل عليه ابن عنين الشاعر فلم ير منه ما كان يعهده من مجالس المعظم، و ما كان يجرى فيها من الهنات و قذف المحصنات، فإن ابن عنين كان هجاء خبيث اللسان، فشرع فيما كان يفعله فنهاه الأشرف، و قال: ما مجالسى كما عهدته، يكفينى ما أنا فيه

حتی أضیف إلیه ثلب أعراض المسلمین، فخرج من عنده و کان شاعرا لبیبا کثیر الکلام فأخذ یصنف هجاءه و قد عمل فیه.

و کنا نرجی بعد عیسی محمدالینقذنا من شده الضر و البلوی

فأوقعنا فی تیه موسی کما تری حیاری فلا منّ لدیه و لا سلوی

و بلغ الأشرف، فقال: هذا الملعون إذا لم یکن عندی من و لا سلوی، فعند من؟ و أمر بقطع لسانه، فدخل علی جماعه و حلف بأنه ما قال هذا، فقال الأشرف: ما أفلت من لسانه أحد، و لابد من قطعه، فهرب إلی بلاد زرع و حوران، و سکت الأشرف عنه.

فصل و فیها توفی أقسیس الملک المسعود بن الکامل صاحب الیمن

بلغه موت الملک المعظم فی سنه خمس و عشرین و ستمائه فطمع فی الشام، فتجهز جهازا لم یسبقه إلیه أحد من الملوک، و نادی فی بلاد الیمن فی التجار: من أراد صحبه السلطان إلی الدیار المصریه، فلیتجهز، فجاء التجار من الهند بأموال الدنیا و الأقمشه و الجواهر، فلما تکاملت المراکب بزبید جمع التجار و قال: اکتبوا إلیّ بضائعکم، و ما معکم لأحمیها من الزکاه و المؤن، فکتبوها، فصار یکتب لکل تاجر برأس ماله إلی بعض بلاد الیمن، و یستولی، ففعل بالجمیع کذا، فاجتمعوا و استغاثوا، و قالوا:

نحن جئنا من بلدان شتی و فینا من أهل: الاسکندریه، و القاهره، و مصر، و الشام، و الروم، و لنا مده سنین عن أهلنا، و قد اشتقنا إلیهم، فخذ أموالنا و أطلقنا نروح إلی أهلنا، فلم یلتفت إلیهم و أخذ الجمیع، و بلغنی أنه کان ثقله فی خمسمائه مرکب، و معه ألف خادم، و مائه قنطار عنبر و عود و مسک، و مائه ألف ثوب، و مائه صندوق أموال، و جواهر، و رکب الطریق إلی مکه، و لما وصل بعض الطریق مرض مرضا مزمنا، فما دخل مکه إلّا و قد فلج، و یبست یداه، و رجلاه، و رأی فی نفسه

العبر، فلما احتضر بعث إلى رجل مغربى بمكه قال: و الله ما أرضى لنفسى من جميع ما معى كفنا اتكفن به، فتصدق علىّ بكفن، فبعث له بنصفيتين بغدادى، و مائتى درهم، فكفنوه فيهما، و دفن بالمعلى.

و حكى أن الهواء ضرب بعض المراكب، فرجعت إلى زبيد، فأخذها أصحابها، و بلغنى عن الكامل أنه سر بموته، و لما جاء خزنداره إليه ما سأله كيف مات، بل قال: كم معک من المال و التحف؟ و قد ذكرنا ما فعل أقسيس، و ضربه الحرم بالبندق، فعوقب سريعا، و ضربه القدر ضربا وجيعا.

السنه السابعه و العشرون و ستمائه

و فيها بعث الأشرف أخاه الصالح إسماعيل فحصر بعلبک و ضربها بالمناجيق، و ضايقها، و توجه إليها الملک الأشرف، و كانوا قد ضربوا بيت الماء الذى للأشرف قريبا من الشيخ عبد الله اليونينى، فقامت قيامه الأشرف و ضرب الفراشين و طردهم، و ضرب خيمته ناحيه، و دخل الصفى مرزوق ابن الأمجد، و الأشرف صاحبهما.

و فيها أخذ خوارزم شاه خلاط، بعد أن أكلوا الميتات، و الجيف و بيعت قطعه من جلد بألف درهم، فلما كان فى جمادى الأولى زحف عليها من كل جانب، و نصب المناجيق، وطم الخنادق، و كان قد أقام عليها عشره أشهر، فدخلها بالسيف فنهبها، و هتک نساءها، و أخذ مجير الدين، و تقى الدين بن العادل، و كانا بها، و أخذ الكرجيه زوجه الأشرف و دخل بها من ليلته، و كان عز الدين أيبک قد خنق الحاجب عليا، و كان مع الخوارزمى مماليک الحاجب، فقالوا لخوارزم شاه: هذا قتل أستاذنا، فقال: اقتلوه فقتلوه، و بلغ الأشرف و هو بدمشق، و الكامل بالرقه، فخرج من دمشق، و جاء إلى الرقه، و كتب صاحب الروم كيقباذ إلى الأشرف يقول: هذا يستولى على البلاد، و المصلحه أن تجى ء إلى عندى فعندى المال،

و الرجال، فشاور الكامل، فقال: مصلحه، و قطع الكامل الفرات إلى ناحيه مصر فى سبعه آلاف مقاتل، و ليس له عدو، و سار الأشرف إلى حران فى سبعمائه فارس، و عدوه الخوارزمى، فأقام بحران، و كتب إلى حلب، و الموصل، و الجزيره، فجاءته العساكر، فرحل يريد الروم، و معه من المقدمين: أخوه شهاب الدين غازى، و العزيز عثمان، و الجواد، و شمس الدين صواب و الأمراء، و اجتمع الأشرف بصاحب الروم، و بلغ خوارزم شاه، فسار إليهم فوقع فى طريقه بسبعه آلاف من الروم جاؤوا نجده لصاحب الروم، و قد نزلوا فى مرج يستريحون.

و حكى لى الأمير عماد الدين ابن موسک صوره الحال فقال: لما وصلنا إلى الروم، و خرج عسكر أرزنجان نجده لنا، و كانوا فى اثنى عشر ألفا، فنزلوا فى مرج، و رموا سلاحهم، و سيبوا دوابهم ترعى، و لم يعلموا بمسير الخوارزمى فمر بهم فى طريقه فقتلهم و أسرهم، و لم ينفلت منهم إلّا اليسير، و كان فى خامس عشرين رمضان نهار الأربعاء، فضعفت قلوب العساكر و خافوا، و أقمنا مقامنا إلى عشيه الخميس، فوصل الجاسوس، و أخبر أن العدو يصبحنا يوم الجمعه، فرتبنا الأطلاب:

الحاشيه فى الأول، ثم بعدهم العرب، و بعدهم الحلبيون ثم صواب، ثم الجواد، ثم العزيز، ثم شهاب الدين، ثم تبعتهم أطلاب الروم، و صاحب الروم فى طلب خاص، و كنا فى أرض و عره، فخرجنا إلى وطأه، و إذا بطلائع الخوارزمى، فأخذ منهم العرب مائه فارس، و قتلوا مائه فارس، و لم يتقدموا إلينا، و نزلوا و نزلنا، و بيننا و بينهم جبل، و إلى جانبه واد عظيم، و خفنا خوفا شديدا، و ليس معنا زاد، و لا ماء، و لا علف لدوابنا، و قال الأشرف لا نحشر إلّا تحت حوافر خيولنا، أين المفر؟ فلما كان وقت السحر قبيل طلوع النجم، أمر الخوارزمى بمن بقى من عسكر أرزنجان، و كانوا خمسمائه فضرب رقابهم.

فلما كان بكره السبت ثامن عشرين رمضان، قطعوا إلينا الوادى،

و وقف الخوارزمى على رأس الجبل و سنجقه فى الوادى، و وقع القتال، و أرسل الله ضبابا فلم ير أحد كفه، و نصرنا الله عليهم، فانكسروا و وقع معظمهم فى الجبال و الأوديه، و قاتل الروم قتالا شديدا، و كان من وقع من رأس الجبل إلى الوادى أكثر، فأصبحوا بين قتيل و أسير، و غنم الناس أموالهم، و خيلهم و سلاحهم، و امتلأت الجبال، و الأوديه بنتنهم، و شبعت الطيور، و الوحوش من دمائهم، و لحومهم.

و قال الأشرف للرومى: لابد لى من خلاط، فأعطاه و أصحابه و إخوته، و جميع الأعيان من الأموال، و الخلع، و الثياب، و الخيل، و التحف ما قيمته ألفى ألف دينار، و رجع الرومى إلى بلاده، و جرد مع الأشرف بعض عسكره، و سار الأشرف، فنزل أرزن الروم، و كان صاحبها قد سار مع الخوارزمى، فأخذها منه و بعث به إلى صاحب الروم، و سلم أرزن إلى نواب صاحب الروم، و سار إلى خلاط، و لما وصل الخوارزمى إلى خلاط أخذ جميع ما كان له فيها، و الكرجيه، و مجير الدين و تقى الدين، و نزل أرجيش و جاء الأشرف فنزل خلاط، و سار خلف الخوارزمى، فأبعد عنه، و تراسلا، و اصطلحا على أن يطلق الخوارزمى من عنده من الأسارى، فأطلق مجير الدين، و تقى الدين، و لم يطلق الكرجيه، و عاد الأشرف إلى دمشق مستهل جمادى الأولى سنه ثمان و عشرين و ستمائه، فأقام شهرا و طلع إلى أخيه الكامل إلى مصر.

قلت: و من العجائب أنه كانت لى عاده أن أجلس الثلاثه أشهر بجامع دمشق، فلما كان فى يوم السبت ثامن عشرين رمضان اليوم الذى التقى فيه الخوارزمى، و ثار الضباب، و كان آخر مجالسى بجامع دمشق، و حضره الصالح إسماعيل، و كان نائب الأشرف بدمشق، فقال الصالح- و كان بالقبه- لنجم الدين بن سلام: قل للشيخ يدعو للسلطان بالنصر، فأشار إلىّ، فدعوت و أمن الجماعه، فثار فى ساعه الدعاء ضباب عظيم، و غشى أهل المجلس ما غشيهم، و غبت أنا أيضا، فلما أفقت

قلت: نصر الأشرف اليوم، فتعجبت الجماعه، فوصل الخبر بعد عشره أيام بالواقعه كما ذكرنا، و أن الضباب الذى كان عندهم كان عندنا، و أنهم نصروا فى الساعه التى دعونا فيها.

و فيها استخدم شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين العزيز الجاموس على ديوانه، و أعطاه الكوسات و الأعلام، و قدمه على جماعته، و دعى بالصاحب العزيز الأمير عز الدين، و مكنه من البلاد و العباد فبدا منه من الكبر و التجبر و الظلم و العدوان بحيث كان كالجلندى الذى يأخذ كل سفينه غصبا عند كسرى أنوشروان، و كان غازى قد اقترض من البدر ابن المسجف الشاعر لما توجه إلى مكه عشره آلاف درهم، و كتب له توقيعا على الجهات، فمطله الجاموس و أحاله على جهات منكسره، و لقى منه أمورا عسره، فهجاه بأبيات و كتب بها إلى غازى فمنها ..

أبوه الذى أفتى قديما بسبكم جهارا و هذا الابن من ذلک الصلب

فأبعده وقيت الردى عند دياركم و قابله بالإعراض و الفتک و الصلب

فقد قيل بيتا سائرا فى مثاله و سار مسير الشمس فى الشرق و الغرب

و من ربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب

و مات الجاموس فى هذه السنه و هى سنه سبع و عشرين و ستمائه، بميافارقين، فاستولى غازى على تركته و دوابه، و غلمانه و لعنه غازى، و قال: ظلم الرعيه و وسخ أعراضنا، فدعوا علينا بسببه، و جاء عمه من دمشق، يطلب تركته، فسبه غازى، و قال: ايش جاءنى؟ و أعطى عمه ألف درهم .....

و فيها توفى الحاجب على الموصلى، و كان خصاصا أول زمانه، ثم خدم طغتكين بدمشق، و كان فقيرا.

و حكى لى أخوه عثمان قال: كان طغتكين يقعد عندى على الدكان بسوق النحاسين بدمشق، و الحاجب يحمل سرموجته، و هو قائم، و كان

أخوه عثمان، و هو يسوق على الدواب من قاسيون إلى دمشق يبيع الحجاره، و كنت أقول له: بكم عملت اليوم؟ فيقول: بدرهمين، فتقلبت بهما الأحوال حتى صار الحاجب نائبا للملک الأشرف بالشرق و خلاط، و كان شهما مقداما جوادا، بنى الحمامات، و أوقف عليها الأوقاف، و كان عادلا منصفا لا يحابى أحدا، فكان الأمراء و أرباب الدوله يخافونه و يتقونه، و كان مهيبا، و ساق خلف الخوارزمى، و أخذ البلاد منه، و نهب عياله و قد ذكرناه.

و كان سبب هلاكه أنه لما جاء الأشرف إلى دمشق، و اتفق مع أخيه الكامل على المقايضه بالشرق، بلغ الحاجب، فكتب إلى الأشرف يقول له: الله الله لا تفعل، فليس هذا مصلحه لوجوه:

أحدها لأنک إنما قطعت الفرات لتنجد ابن أخيک الناصر، فإذا أخذت منه دمشق فأى حرمه تبقى لک عند الملوک، فإن كان الماء و البساتين و الفرجه، فهذه سنجار أصح من دمشق، و هى وسط البلاد.

و الثانى أن الخوارزمى معاهد الملک المعظم، فما يتخلى عن ولده و هو قريب منا، و متى أخذ خلاط أخذ جميع البلاد.

و الثالث أنک اليوم ملک الشرق و الشام، و الخليفه و المواصله و الروم يخدمونک، تصبح مثل بعض الأمراء، تصير تبعا، و حكمک اليوم على عشره آلاف فارس، و دمشق ما تقيم بأكثر من أربعمائه فارس و ذكر كلاما، فوقع الكتاب فى يد الكامل، فقال: ما كفى الخصاص ما فعل، و أخذه لأهل الخوارزمى، و فتحه علينا هذا الباب الذى ما نقدر نسده، حتى يكتب مثل هذا الكتاب، ثم أمر كاتبه أن يكتب كتابا إلى خلاط إلى عز الدين أيبک مملوک الأشرف بقتل الحاجب، و كان أيبک عدو الحاجب، و بعث بالكتاب إلى الأشرف و قال: علم عليه، فعلم عليه، و قال بعد أيام: مسكين الحاجب على كتب الكامل كتابا بهلاكه، و علمت عليه.

قلت: سبحان الله كيف سمحت نفس الأشرف بهلاک رجل مسلم قد خدمه مده سنين، و حفظ بلاده من السلاطين، و كسر جيوش المخالفين، و كان الأشرف يغيب تاره بالشام، و تاره بمصر، و الحاجب يسوس تدبيره على أحسن نظام، و ما خان الحاجب فى درهم و لا دينار، و لا قصر فى خدمه ربه آناء الليل و أطراف النهار، و لكن حبه لدمشق هو الذى هون عليه هلاک الحاجب، و أنساه خدمه المشفق الصاحب، و لما وصل الكتاب إلى أيبک رمى الحاجب فى جب، و أخذ جميع ماله، و بعث به فى جماعه من الأرمن فخنقوه، و لما فتحت خلاط عمد مماليكه إلى أيبک فقطعوه، ثم اعتقل الأشرف أخا الحاجب على فى قلعه دمشق، و استأصله، ثم أطلقه، و سار الخوارزمى فنزل على أعمال توريز.

و فيها مات الحلى الشاعر و قد ذكرناه لما أخذ المسلمون دمياط، و الحمد لله وحده.

السنه الثامنه و العشرون و ستمائه

اشاره

و فى جمادى الأولى، ذكر التقى بن الصلاح الدرس فى المدرسه التى وقفتها ابنه حسام الدين لاجين ابن ست الشام على الشافعيه بدمشق، المجاوره إلى مرستان نور الدين، و فى رجب ذكر الناصح بن الحنبلى الدرس فى المدرسه التى أنشأتها ربيعه خاتون بنت أيوب بقاسيون، و حبس الأشرف على الحريرى بقلعه عزتا.

و فى رمضان ساق التتر خلف جلال الدين خوارزم شاه من بلاد توريز، فانهزم بين أيديهم إلى ديار بكر، و كان قد استحلف صاحب آمد متى قصدوه فتح له باب آمد، و كان ظهرا له، فجاء إلى آمد فلم يفتح له الباب، و رموه بالحجاره من السور، فأخذ على وجهه وحده فى أطراف الجبال، فوصل إلى قريه من أعمال ميافارقين فقتل فيها و سنذكره.

و جاء التتر إلى ميافارقين و طلبوه، فقال سيف الدين غازى: و الله ما

أعلم أين هو، فقاتلوا ميافارقين أياما فلم يقدروا عليها، فعادوا إلى أسعرد، فقتلوا نيفا و عشرين ألفا، و أخذوا من البنات المستحسنات ما أرادوا و أخربوها، و عادوا إلى خلاط، و كانت بوادر الشتاء، و وصلت طائفه منهم إلى نصيبين و الجزيره. انتهى.

فصل و حج بالناس من دمشق شبل الدوله كافور العادلى.

اشاره

و فيها قتل عز الدين أيبک الأشرفى فى توريز، و قيل خنق فى الجب، كما فعل بالحاجب على.

و فيها قتل الأمجد صاحب بعلبک، و اسمه بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب، قد ذكرنا أن صلاح الدين أعطاه بعلبک عند وفاه أبيه فى سنه ثمان و سبعين و خمسمائه، فأقام بها إلى سنه سبع و عشرين و ستمائه، خمسين سنه حتى حصره الأشرف، و أخرجه منها، و ساعده شيركوه صاحب حمص، و كان فى قلبه عليه أحقاد قديمه، كما يكون بين الأهل، و كان المعظم يحب صاحب بعلبک و يحترمه، و يعظمه، و لقد رأيته يقبل يده، و كان يتردد على الكامل و الأشرف، و الناس فلما مات المعظم بانت الأحقاد البدريه، و الأضغان المخفيه، و قد ذكرنا أنهم أخرجوه من بعلبک و جاء إلى دمشق.

ذكر وفاته

ذكر لى جماعه أنه سرقت له حياصه لها قيمه، و دواه تساوى مائتى دينار، فاتهم بها بعض مماليكه، فظهرت عليه، و أخفاها عند بعض تلک المماليک فأخذ المملوک السارق، و حبسه فى خزانه فى دار فرخشاه، و كانت الخزانه خلف الأمجد، و تهدد المملوک بقطع اليد و الصلب، فلما كانت ليله الأربعاء ثانى عشر شوال جلس على عادته بين يدى الخزانه التى فيها المملوک على الحاله التى يجلس أمثاله عليها، و عنده عباس ابن

أخى الشريف البهاء الكاتب، و ابن فهيد اليهودى و بيده الأسطرلاب، ليأخذ له طالع الوقت، و كان يلعب مع العباس بما جرت عادتهم بلعبه، فقال له ابن فهيد: يا مولانا انظر إلىّ فهذه ساعه سعيده، لو أردت أخذ دمشق أخذتها، فقال له: لا تكلمنى فقد تعين لى اللعب، و كان مع المملوک الذى فى الخزانه سكين صغيره فعالج رزه باب الخزانه قليلا قليلا فقلعها، و هجم فأخذ سيف الأمجد و جذبه و ضربه به فصاح لا والک يا مأبون و المملوک يضربه، فحل كتفه و نزل السيف إلى نحره ثم ضربه ضربه أخرى، فقطع يده و طعنه فى خاصرته، و انهزم فصعد السطح، فصعدوا خلفه فألقى نفسه إلى الدار، فمات و قطعه الغلمان قطعا، و غسل الأمجد، و كفن، و حمل إلى تربه أبيه التى على الميدان على الشرف الشمالى، فدفن بها.

و كان شاعرا، فاضلا، فصيحا، و له ديوان شعر مليح، و كان جوادا ممدحا، و قد مدحه خلق كثير، و جزاهم الجوائز السنيه، و قد ذكرنا مدح النقاش الحلبى له، و كان صديقى، و كنت إذا صعدت جبل لبنان للزياره، أجتاز ببعلبک فيخدمنى، و يحسن إلىّ و اجتمعت به عند الشيخ عبد الله اليونينى و أنشد من شعره:

كم يذهب هذا العمر فى الخسران ما أغفلنى فيه و ما أنسانى

ضيعت زمانى كله فى لعب يا عمر فهل بعدک عمر ثانى

يا ليتهم عادوا إلى الأوطان كى تجتمع الأرواح بالأبدان

كم رام بى العذول عنهم بدلاهذا غلط عمرى قصير فانى

و رآه بعض أصحابه فى المنام، فقال له: ما فعل الله بک؟ فأخذ ينشد يقول:

كنت من ذنبى على وجل زال عنى ذلک الوجل

أمنت نفسى بوائقهاعشت لما مت يا رجل

و كان الأمجد قد قتل ولدا له شابا مليحا، و قيل خنقه، و قيل بنى عليه بنيانا، و سنذكره فى ترجمه العزيز عثمان بن العادل فى سنه ثلاثين و ستمائه.

و فيها توفى خوارزم شاه، و اختلفوا فى اسمه، فقيل تكش، سمعت الملک المعظم يقول: ليس هو من بنى سلجوق، و إنما هو من نسل طاهر بن الحسين، و جده تكش هو الذى أزال مملكه السلجوقيه، و ملک محمد أبو جلال الدين البلاد، و كان مآله إلى ما ذكرنا، طلع جزيره فمات بها، فقطع الخطا رأسه، و تمزق ملكه، و كان ابنه جلال الدين هذا قد هرب إلى الهند، و عاد منها فنزل على همذان، و قصد بغداد، و جعل طريقه على دقوقا، فقتل أهلها، و قد ذكرناه، و قد طلبه عسكره إلى تفليس، فسار على إربل، و وصل إلى حسان و تلک النواحى، و عزم على حصار إربل، فضايقه ابن زين الدين، و عاهده أنه من أصحابه، فجاء إلى بلاد الكرج، فاستولى عليها، و راسله المعظم باطنا بالملق الصوفى، و ظاهرا بالركين مملوكه، و جاء به فأنزله على خلاط و صاهره و زوجه ابنته الكبرى، و يقال لها دار مرشد و جهازها الذى جهزه أبوها ما جهزه ملک لا بنته، و اتفق موت المعظم، و أخذ خوارزم شاه خلاط، و فعل فيها ما فعل و آخر أمره مجى ء التتر خلفه، و أنه انهزم إلى بلاد ميافارقين، و تاه فى الجبال، فوقع به فلاح من قريه يقال لها مين دار، فرآه راكبا على سرج مرصع باليواقيت، و على لجام فرسه الجواهر و سلاحه كله مجوهر، فقال: من أنت؟ فقال: خوارزم شاه، و كل عساكر الخوارزمى قد قتلوا، فقيل إن الفلاح شره إلى ما كان معه، فأنزله و أطعمه، و أمنه و نام عنده، فضربه بفأس فقتله و أخذ ما كان معه و بلغ شهاب الدين غازى، فأرسل إلى الفلاح، فأنكر، فقرره فأقر و أحضر الفرس، و السلاح، و قال: دفنته إلى جانب القريه، و كان طرخان خال الخوارزمى، قد وصل إلى شهاب الدين، فأنزله فى قصره، و أمر بحمل الخوارزمى ليلا من القريه، و قال لخاله: انظر هل هو هذا، فلما رآه بكى، و قال: نعم، فدفنوه ليلا، و أخفوا قبره مخافه أن ينبش.

و بلغنى فى مقتل خوارزم شاه وجه آخر، أنه لما كسبه التتر خرج من الخيمه ليلا، و معه جماعه من أصحابه، و قصد ميافارقين، و كان معه جواهر نفيسه، فبات بقريه عند أرمن، فقال: أنا خوارزم شاه، و أعطاهم جواهر، و قال: احملونى إلى شهاب الدين غازى، فحملوه إلى سفينه و كان تحته فرس سرجه، و لجامه ذهب مجوهر، فأنزلوه فى السفينه و بها رجل كردى، كان خوارزم شاه قد قتل أهله، فضربه فى صدره بحربه، و أخرجها من ظهره، فقتلوا الكردى، و أخذوا ما كان على خوارزم شاه، و حياصته، و فرسه، و كان فيها جوهر عظيم، و ألقوه فى بئر، و بلغ شهاب الدين غازى، فأرسل إليهم، فأخذهم، و أخذ ما أخذوه، و سألهم عن خوارزم شاه، فأخرجوه من البئر، فقتلهم شهاب الدين و غسله و كفنه، و دفنه خارج ميافارقين، فعفىّ شهاب الدين موضع قبره.

و قيل قتل فى سنه تسع و عشرين و ستمائه، ثم تفرقت عساكره تفرق أيدى سبأ، و كم فتك و قتل من المسلمين، و سبى و زالت أيامه، و بقيت آثامه، و كان كثير الفساد للعباد و البلاد.

و حكى خالى أبو محمد يوسف محيى الدين، قال: بعثنى الخليفه إليه فى رساله، و هو على خلاط، فدخلت عليه، و بين يده المصحف، و هو يقرأ فيه، و يبكى فقلت له: تقرأ فى المصحف و تبكى، و أنت تفعل بالمسلمين ما تفعل، و قد قتلت فى دقوقا عشرين ألف مسلم، و سبيت نساءهم، و فعلت و فعلت؟ فقال: هذا عسكر عظيم، مسيره خمسه أيام مالى عليهم طاقه، و لا أحكم عليهم و لا يلتفتون إلىّ، و مع هذا فإنه كان سدا بين المسلمين و الكفار، و سندا لأهل الإسلام من الفجار، و كان يدفع التتر عن المسلمين، فلما هلك انفتح السد.

و لقد حكى لى الأمير عماد الدين بن موسک قال: لما كسر الخوارزمى دخل عثمان العزيز، و غازى، و جماعه من الأعيان فهنأوا الأشرف بالكسره، فقال: تهنونى بهذا، سوف ترون غب هذا، و الله لتكونن هذه

الكسره سببا لدخول التتر بلاد المسلمين، ما كان الخوارزمى إلّا مثل السد الذى بيننا و بين يأجوج و مأجوج، فكان كما قال.

و كان الخوارزمى إذا لقى التتر اقتتلوا عشره أيام بلياليها، يترجلون عن خيولهم، و يلتقون بالسيوف، و أحدهم يأكل و يبول، و هو يقاتل .....

السنه التاسعه و العشرون و ستمائه

و فيها عاد التتر إلى الجزيره، و حران، و وصلوا إلى جسر بدايا، فقتلوا و أسروا و سبوا، و خرج إليهم عسكر حران فما رجع منهم إلا القليل، و خرج الكامل و الأشرف من مصر لدفع التتر عن البلاد.

و قتل فى هذه النوبه صديقنا عز الدين بن سعد بن كوجبا الحلبى، و كان شابا حسنا صالحا، و رجع التتر إلى خلاط و عبر الكامل و الأشرف الفرات، و نزلا على آمد فى ذى الحجه، و ولى الأشرف القاضى عماد الدين عبد الكريم ابن الحرستانى قضاء القضاه بدمشق، و قرأ بهاء الدين ابن أبى اليسر عهده.

و فيها فتح الكامل آمد، و استولى على قلاعها، و ذخائرها، و أخذ صاحبها معه إلى مصر، خامر عليه، فاعتقله إلى أن مات الكامل، و قتل فى السنه الآتيه .....

السنه الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فيها فتح الكامل آمد، و قد كان ضربها بالمناجيق، و أنذر صاحبها الملک المسعود، و كان ضد أبيه، و اسمه مودود بن الصالح، و أعطاه إقطاعات كثيره، فلم يلتفت، فلما رأى الغلبه، خرج إلى الكامل، و فى رقبته منديل، فوكل عليه، و دخل البلد و تسمله، و استولى على أولاده و أمواله و ذخائره، و طلب منه تسليم القلاع، فسلم الجميع و بقى حصن كيفا عاصيا، فبعث الكامل الأشرف، و شهاب الدين غازى، و معهما

صاحب آمد تحت الحوطه، فلم يسلموا، فعذبه الأشرف عذابا عظيما و كان يبغضه.

قال لى الأشرف: وجدنا فى قصره خمسمائه حره من بنات الناس للفراش، ثم سلمت القلعه فى صفر، و عاد الأشرف إلى دمشق، و سمع البخارى على الحسين بن المبارک بن الزبيدى، و توفيت للأشرف ابنه فدفنها فى بستان العلاء بن القلانسى بقاسيون، عند دير الحنابله ظنا منه أن ابن القلانسى لا يتوقف فى مثل هذا، و لو دفنها فى داره، فشق على العلاء ذلک، و قال: هذا المكان وقف، و بلغ الأشرف، فاشترى تربه الشرف يعقوب، و نقلها إليها، و اشترى لها ملكا، و وقفه عليها، و سأله المقادسه أن يكون وقفا عليهم دون غيرهم فأجابهم.

ثم اجتمعا عنده بعد ذلک فى النيرب، فقال له بعض أصحابه: قد خصصت بهذه الدار المقادسه، و لهم الضياع، و الأوقاف و الغريب إذا ورد أين ينزل؟ فالتفت إلىّ و قال: هذا الصحيح، فهل يمكن أن يضاف إلى الوقف ما قال فى حق الغرباء؟ فقلت: بعد أن حكم الحاكم لا يجوز تغييره بإجماع الفقهاء، إنما قبل حكم الحاكم ففيه خلاف، و كان الكامل بدمشق فأمر باستئصال ابن القلانسى و هلاكه، فقال الأشرف لا حاجه إلى هذا، فلا يدخل علىّ بعد.

و فيها فتحت دار الحديث الأشرفيه المجاوره لقلعه دمشق ليله النصف من شعبان، و أملى بها ابن الصلاح الحديث، و وقف عليها الأشرف الأوقاف، و بها نعل قدم النبى صلى الله عليه و سلم.

و فيها نزل ناصر الدين صاحب ماردين من قلعته، و جاءته عساكر الروم، فحصروا حران، و الرها و الرقه و استولوا على الجزيره، و فعلوا بالجزيره مالا تفعله التتر، و كان القاضى علاء الدين الكردى فى المستحم يتوضأ، فجاءه حجر المنجنيق فقتله، و كان بالرها.

فصل و فيها توفى صفى الدين ابن شكر

، وزير العادل سيف الدين، و اسمه عبد الله بن على، و أصله من الدفيره قريه من قرى مصر، و كان وزيرا مهيبا، فاضلا، له معرفه بقوانين الوزاره، و كان على دوله العادل به جلاله، و كانت عنايته مصروفه إلى العلماء، و الفقهاء، و الفضلاء، و الأدباء، و المدارس فى أيامه عامره، و الأوقاف عليها ظاهره، و العلم نافق السوق، و أحواله جاريه على النظام، ثم انقضت تلك السنون و أهلها، و كان مالكى المذهب محبا لمن فى العلم يرغب، و صنف كتابا سماه «البصائر بروايه الأوائل و الأواخر» و من جمله ما ذكر فيه من فضائل دمشق، قال الصادق الذى أجمل القول: «قد و كل الله تعالى بكل بلد ملكا إلّا دمشق فإنه يحرسها بعينه».

و كان العادل قد انحرف عنه آخر عمره، و نفاه إلى آمد، فأقام بها حتى توفى العادل، فأرسل الملك الكامل إليه، و اجتمع به، و كان قد قد نظره، و كان فى أيام العادل يسير إليه، و يجتمع عنده فى درب الشعارين.

فصل و فيها توفى الملك العزيز عثمان بن العادل

، شقيق المعظم لأبيه و أمه، و كان صاحب: بانياس و تبنين و هونين و الحصون، و هو الذى بنى الصبيبه، و كان عاقلا قليل الكلام، مطيعا لأخيه المعظم، و كان بعد موت المعظم قد عامل على قلعه بعلبک فى سنه خمس و عشرين و ستمائه، و كتب إليه ولد الملک الأمجد يقول قد نشرت باب السر، فسر إلينا وقت السحر، و كان بالصبيبه، فساق منها أول الليل و المسافه بعيده فجاءهم، و قد طلعت الشمس، ففات الغرض، و نزل مقابل بعلبک، فبعث الأمجد إلى الناصر داود يقول قد عرفت ما كان بينى و بين المعظم، و كنت صديق من صادقه، و عدو من عاداه، و أريد ترحل العزيز عنى، فأنفذ

الناصر إلى العزيز، فرحل إلى بانياس، و ما عاد إلى دمشق إلّا مع الكامل، فإنه سار إليه و التقاه من القدس، و قال: أنا آخذ لک دمشق، و أعطاه مالا، و أحسن إليه، و كان العزيز أحد الأسباب الموجبه لأخذ دمشق من الناصر، و كذا الصالح إسماعيل، و أيدمر، و أما صاحب بعلبک، فعلم بما فعل ولده، و وقف على نشر الباب، فيقال: إنه خنق ولده، و قيل بنى عليه بنيانا، و كانت وفاه العزيز يوم الإثنين عاشر رمضان ببستانه فى الناعمه، ببيت لهيا، و حمل تابوته فدفن بقاسيون فى تربه المعظم عند والدته و أهله .....

فصل و فيها توفى مظفر الدين ابن زين الدين، و اسمه كوكبورى بن على بن بكتكين فى إربل

، قد ذكرنا مواقفه مع صلاح الدين فى حطين و غيرها، و أنه خدم صلاح الدين، و زوجه أخته، و ملكه الشرق، و أن أخاه زين الدين مات بالناصره، و طلب إربل عوض حران، و أعطاه إياها، و بعد موت صلاح الدين ما زال منتميا إلى بيت العادل مصافيا لهم، حتى مال الأشرف إلى بدر الدين لؤلؤ، و عزم على أخذ إربل منه، فاستنجد عليه بالخليفه المستنصر فنهاه عنه، فقدم بغداد و معه مفاتيح إربل و القلاع، فالتقاه الموكب، و جلس له جلوسا عاما فى صحن السلام، و قعد فى شباک المبايعه، و حضر أرباب الدوله، و صعد على الدرج، و بايع الخليفه، و طلب منه يده ليقبلها فناوله إياها، فجعل يقبلها و يبكى، و يقول: الحمد لله على هذا المقام، ما وصل إليه غيرى، و خاطبه الخليفه بأجمل خطاب، و قدم للخليفه الخيل و التحف و الهدايا، و أعطاه الخليفه أضعاف ذلک، و خلع عليه خلعه السلطنه، و عاد إلى إربل، و قطع خطبه بنى العادل، و اقتصر على خطبه الخليفه، و كان كثير الصدقات غزير البر و الصلات، حكى جماعه عنه أنه كان يقول: لما أخذت إربل آليت على نفسى أن أقسم مغلها ثلاثه أقسام: قسم أنفقه فى أبواب البر، و قسم للجند

و ما يخصنى، و قسم ادخره لعدو يقصدنى، و كان يعمل فى كل سنه مولد النبى صلى الله عليه و سلم فى ربيع الأول تجتمع فيه الدنيا من: العلماء، و الفقهاء، و الوعاظ، و القراء، و الصوفيه، و الفقراء من كل صنف، و يضرب الخيام فى الميدان، و ينزل من القلعه بنفسه، فيقرأ القراء، و يعظ الوعاظ، و يمد سماطا أوله عنده، و آخره فى القلعه، و تحضره الخلائق فلا يبقى إلّا من يأكل و يحمل.

و حكى لى من حضر بعض السنين، فقال: عددت على السماط مائه فرش قشلمش، و خمسه آلاف رأس شوى، و عشره آلاف دجاجه، و مائه ألف زبديه، و ثلاثين ألف صحن حلوى، ثم يخلع فيه على الأعيان، و يفرق فيه الأموال على أقدارهم، و لا يحضر هذا السماط أحد من عسكره، ثم يقوم فى الميدان فيدخل الخانكاه، و قد اجتمع فيه من الصوفيه ما بين ثمانى مائه إلى ألف، فيأخذون فى السماع من بعد الظهر إلى الفجر، و هو يرقص بينهم، فإذا كان من الغد بعث إليهم من يكتب أسماءهم و كل شيخ و معه جماعه، فيعطى المشايخ على قدر طبقاتهم من المائه دينار إلى الخمسين، و الثلاثين، و لأتباعهم على حده، و من شاء أن يسافر، و من شاء أن يقيم أياما.

و كان قد بنى دار المضيف يدخلها جميع الأجناسس لا يمنع منها أحد، و يعطى كل واحد على قدر حاله، و هى حيزا عظيما، و قسمه أربعه أقسام: مكان للزمناء، و مكان للعميان، و مكان لليتامى، و مكان للمساكين، و أجرى عليهم الجرايات، و الجوامك، و الكساوى، و كان يركب كل يوم بكره فيدخل إليهم، و يقعد اليتيمه، و المسكينه على فخذه، و يقول: ايش تريدين تأكلين، ايش تريدين تكتسين؟ فمهما طلبت أحضره، و إذا كبرت اليتيمه زوجها، و أقام لكل واحد من الزمناء قائدا يخدمه، و كان فى كل سنه يبعث بالأموال و الجواهر إلى الشام مع ديوان فيشترى بها الأسارى من بلاد الفرنج، و يعودون إلى إربل فيقيمون فى

قریه علی باب إربل یقال لها بیت النار، فلا یدخلون إربل حتی یجهز غیرهم لئلا ینقطع عمله، و إذا خلص الأسیر أعطوه کسوه و نفقه توصله إلی أهله، فکان یخلص فی کل سنه خلقا کثیرا، فلما توفی أحصی ما تخلص من الأساری، فکانوا ستین ألف أسیر ما بین رجل و امرأه، و کان یبعث فی کل سنه بمال یفرق فی الحرمین و عشره آلاف دینار تنفق فی السبیل، و ألف دینار برسم إجراء الماء إلی البرک التی بعرفات.

و حکت زوجته ربیعه خاتون قالت: کان ثوبه یساوی خمسه دراهم من خام، فقلت له: لو لبست ألین من هذا، فإن بدنک ما یحتمل الخشن، فقال: أیما أصلح و أکثر أجرا، أننی ألبس ثوبا بعشره دراهم، أو ألبس ثوبا بخمسه دراهم، و أتصدق بخمسه علی فقیر أو مسکین، و کانت أمواله استنفدتها الصدقات، فکان یرسل الجواهر فیبیعها بدمشق، و یشتری الأساری.

و حکی لی بإربل أنه کان ینفق علی المولد فی کل سنه ثلاثمائه ألف دینار، و علی الخانکاه مائتی ألف، و علی دار المضیف مائه ألف، و علی الأساری مائه ألف، و فی الحرمین، و السبیل ثلاثین ألف دینار غیر صدقات السر.

قلت: و مع هذه المناقب فلا یسلم من ألسنه الناس، و یقولون: هذا یصادر دیوانه، و دواوینه، و کتابه و یستأصلهم، و لعله اطلع منهم علی خیانات فرأی أخذ الأموال و إنفاقها فی أبواب البر، و القربات أولی.

و ذکروا أشیاء أخر، من ذا من ألسنه الناس یسلم؟ اللهم غفرا.

و کانت وفاته فی رمضان بقلعه إربل، و أوصی أن یحمل إلی مکه فیدفن فی حرم الله تعالی، و قال: أستجیر به، فحمل فی تابوت إلی الکوفه، و لم یتفق رواح الحج فی هذه السنه إلی مکه، فدفن عند أمیر المؤمنین علی علیه السلام، و کان أیوب بن الکامل فی آمد، و إسماعیل ابن

العادل فی سنجار، فسار کل واحد منهما إلی إربل لیأخذها لنفسه، و جری ما لا یلیق بین الإثنین، و کان سبقهما عسکر الخلیفه فتسلمها و رجعا، و کانت قد عصت و بقلعتها خادمان ففتحت عنوه، و جری بها ما لا یجوز من النهب و القتل، و الذل، و الهوان .....

السنه الحادیه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فیها اجتمع الکامل و إخوته، و أسد الدین صاحب حمص و العساکر الشامیه، و المصریه، و ساروا لیدخلوا بلاد الروم من عند النهر الأزرق، فوجدوا العساکر الرومیه قد حفظوا الدربند، و وقفوا علی رؤوس الجبال، و سدوا الطرق بالحجاره، و الأخشاب، فامتنعت العساکر من الدخول، و کان الأشرف ضیق الصدر من جهه الکامل، لأنه طلب منه الرقه تکون برسم علف دوابه إذا عبر الفرات، فامتنع و قال: ما یکفیه کرسی بنی أمیه، و اجتمع أسد الدین صاحب حمص بالأشرف، و قال:

إن حکم علی الروم أخذ جمیع ما بأیدینا، فوقع التقاعد، فلما رأی الکامل ذلک عبر الفرات، و نزل السویداء، و جاءه صاحب خرت برت، و هو من بنی أرتق فقال: عندنا طریق سهله تدخل منها، فجهز الکامل من بین یدیه ولده الصالح أیوب، و الملک الناصر داود، و صواب الخادم، فما راعهم إلّا علاء الدین بعساکر الروم، و کان الناصر قد تأخر و تقدم صواب فی خمسه آلاف، و قاتل فأسر صواب، و المظفر صاحب حماه و من معه، و قتل منهم جماعه، و انهزم الباقون، و عاد الکامل إلی آمد و لم یتقدم، فأطلق الرومی صوابا و الأمراء، و أحسن إلیهم، فجاؤوا إلی آمد و أعطی الکامل ولده الصالح أیوب حصن کیفا، و أقام صواب بآمد، و عاد الکامل إلی الشام بالعساکر، و عمر الأشرف مسجد جراح بظاهر الباب الصغیر.

و قدم رسول الإنبروز، و معه هدایا فیها دب أبیض، و شعره مثل شعر السبع، ینزل البحر یتصید السمک، ثم یأکله و معه طاووس أبیض.

فصل و فيها توفى أتابک شهاب الدين طغريل مملوک الملک الظاهر

، صاحب حلب، و عتيقه، و كان صالحا عفيفا، زاهدا عابدا، صحبنى مده، و أنزلنى فى الخانكاه النى بناها بظاهر حلب على باب الأربعين عند القناه، و كان دائما يبيت عندى أول قدومى الشام فى سنه ستمائه إلى سنه ست و ستمائه، و كان كثير الصدقات و الإحسان يقسم الليل أثلاثا: الثلث الأول يجرى فيه حكايات الصالحين و أحوال الناس، و محاسنهم، و ينام الثلث الأوسط، و يحيى الثلث الأخير قراءه و صلاه و بكاء، و كان واسطه خير عند الظاهر، و يحب الصالحين و يزورهم، و لما توفى الظاهر قام بأمر ولده العزيز أحسن قيام، و استمال الأشرف يحفظ عليه البلاد، و يدفع الأعادى، و الحساد، و لما استعاد الأشرف تل باشر، دفعها إلى الخادم، و قال: تكون هذه برسم صدقاتک و ما يمونک من المغارم، فإنک تكره أن تتصرف فى أموال الصغير فنقل من الأموال و الذخائر كل نفيس خطير، و كان قد طهر حلب من الفسق و الفجور، و المكوس و الخمور، و كان الملک الأشرف يقول لى:

إن كان لله تعالى فى الأرض ولى، فهو هذا الخادم الذى فعل ما عجز عنه الفحول، فلما ترعرع الملک العزيز بن الظاهر فى سنه تسع و عشرين و ستمائه، تحدث عليه أقوام أرادوا قصد أذى أتابک، و قالوا: رضيت لنفسک أن تكون تحت حجر هذا الخادم، فأخذ منه تل باشر، و أزال الحجر، و التحق بالأكابر، و أقام أتابک لا ينفذ له أمر فمرض، و توفى فى هذه السنه، و دفن بباب الأربعين على الجاده ....

فصل و فيها توفى الركن الفلكى، و اسمه منكورس، فلک الدين

، أخى العادل لأمه، و كان من كبار الأمراء، ولاه العادل بصرى و الشام نيابه عنه، و كان دينا صالحا عفيفا عادلا، منصفا، قليل الكلام، كثير الصدقات و الخيرات، ملازما لجامع دمشق لخمس صلوات، و كان يخرج

فی وقت السحر إلی الجامع وحده، و بیده طوافه فلا یتبعه من غلمانه أحد، و بنی بقاسیون مدرسه و تربه، فأوقف علیها الأوقاف الکثیره، و توفی فی جیرود من قری دمشق، و حمل إلی قاسیون، فدفن بتربته إلی جانب مدرسته .....

و فیها توفی کریم الدین الخلاطی الأمیر، کان کیسا لطیفا حسن الملتقی، متعصبا ذا مروءه خدم الأشرف، و المعظم، و الکامل، و حج بالناس أمیرا من الشام، و توفی بدمشق، و دفن بقاسیون عند مغاره الجوع .....

السنه الثانیه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فیها شرع الأشرف فی بناء خان الزنجاری بالعقیبه مسجدا، و کان خانا مشهورا بالفجور و الخواطی ء، و شرب الخمور، فسبحان من بدل ذلک المکان بالذکار و الصلوات، و قراءه القرآن.

فصل و فیها خرجت عساکر الروم نحو آمد

، فأقاموا علیها أیاما، ثم نازلوا السویداء فأخذوها، و قیل فی هذه السنه أخذوا: الرها، و حران، و الرقه، و نزل إلیهم صاحب ماردین، و أخذوا من الأموال ما لا یحصی .....

فصل و فیها توفی صواب مقدم عسکر العادل، الذی أسره الروم

، و کان خادما عاقلا شجاعا، جوادا، و کان العادل و الکامل، یعتمدان علیه، و کان حاکما علی الشرق .....

السنه الثالثه و الثلاثون و ستمائه

و فیها قطع الأشرف و الکامل الفرات، و استعاد الکامل: حران، و الرها، و غیرها من بلاد الشرق، و أخرب قلعه الرها، و اندفعت عساکر

الروم قبل وصوله، و نزل على دنيسر فأخربها إلّا الجامع، و استباحوا الفروج و الأموال، و بينما هم على دنيسر إذ جاء كتاب بدر الدين لؤلؤ إلى الأشرف يقول: قد قطع التتر دجله فى مائه طلب، كل طلب خمسمائه فارس، و وصلوا إلى سنجار، فخرج إليهم معين الدين ابن كمال الدين بن مهاجر، فقتلوه على باب سنجار، و قطع الكامل، و الأشرف الفرات إلى ناحيه دمشق، و رجع التتر، و لما قطعا الفرات عادت عساكر الروم، و جاءت الخوارزميه إلى صاحب ماردين، فنزل إليهم، و أحرقوا نصيبين، و فعلوا فيها أعظم مما فعل الكامل بدنيسر، و توجهت العساكر، فنازلوا آمد، و خرجت السنه و الحصار على آمد، و فتحت فى السنه الآتيه ....

السنه الرابعه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فيها نزل التتر على إربل بالفارس و الراجل، و حاصروها مده و نصبوا عليها المناجيق و نقبوا سورها و دخلوها عنوه، و قتلوا كل من فيها، و سبوا و فضحوا البنات، و أخذوا الأموال، و صارت الآبار و الدور قبور أهلها، و نتنت المدينه من كثره الجيف، و كان بادكين مملوک الخليفه فى القلعه، فقاتلهم، و نقبوا القلعه، و جعلوها سردابا، و طرقا، و قلت عندهم المياه، و مات بعضهم عطشا، و لم يبق إلّا أخذها، فمن الله على من بقى من أهلها، فرحلوا عنها فى ذى الحجه، و قد عجزوا عن حمل ما أخذوا من الأموال و الغنائم، ثم هرب بعد ذلک بادكين إلى بغداد، و استخدم الصالح أيوب الخوارزميه الذين بقوا من أصحاب جلال الدين، فانضموا إلى الصالح أيوب بن الكامل، و انفصلوا عن الرومى.

فصل و فيها بدت الوحشه بين الأشرف و الكامل

، و سببه أن الأشرف طلب منه الرقه، فقال: الشرق قد صار له، و أنا كل يوم فى خدمته فتكون هذه برسم عليق دوابى، و جعلت الفلک ابن المسيرى واسطه، فكتب الفلک إلى

الكامل يخبره، فكتب الكامل إلى الفلک کتابا غليظا شنيعا، و كان الكامل قد عزم على أخذ الروم، قال أسد الدين للأشرف: متى أخذ الروم نبقى بين يديه يقلبنا كيف شاء، و اتفقا عليه، و لما عادوا من الروم إلى دمشق فهم الكامل ذلک، فخاف و عجل الرجوع إلى مصر، فبعث إليه الأشرف يقول:

أخذت منى الشرق، و قد افتقرت بهذه البواكير، و دمشق مالى فيها بستان، فبعث إليه الكامل بعشره آلاف دينار، فردها و قال: أنا أدفع هذه لأميرين، فغضب الكامل، و قال: إيش يعمل بالملک يكفيه عشره المغانى، و تعلمه لصناعتهم، فتنمر عليه الأشرف و قال: و الله لأعرفنه قدره، فأرسل إلى:

حلب، و حماه، و بلاد الشرق، و قال: قد عرفتم بخل الكامل و طمعه فى البلاد، فحلفوا و اتفقوا، و لما وصل الكامل إلى قلعه القاهره باس العتبه، و قال: رأيت روحى فى قلعتى، فلما مات الأشرف فى سنه خمس و ثلاثين و ستمائه، قال: و الله لو لم يمت لراحت البلاد منا، فقيل له: لک من باب الموصل إلى اليمن فايش تلتفت إليه، فقال: اسكتوا كان كريما، و الكرم ما معه حديث، و كان الملک الأشرف، قد اتفق مع الملک الناصر، ثم انحرف عنه و مضى إلى الكامل ....

و فيها توفى الشهاب أحمد الأمير، كان شجاعا جوادا من خواص الكامل، و أرباب سره، كيسا متواضعا حسن المحضر .....

فصل و فيها توفى الملک العزيز محمد بن الملک الظاهر صاحب حلب

، ولد فى ذى الحجه سنه تسع و ستمائه، و توفى والده و هو طفل، و نشأ تحت حجر شهاب الدين الخادم، فرتب أموره أحسن ترتيب، و قام بدولته القيام العجيب إلى أن ترعرع فى سنه تسع و عشرين، فاشتغل بالأمر، و فک عن نفسه الحجر، و توفى بحلب، و دفن فى القلعه، و كان حسن الصوره، كريما عفيفا، و لم يبلغ أربعا و عشرين سنه، و حكى الحلبيون أن أحواله تغيرت و توفى فى شوال و أقاموا ولده الملک الناصر يوسف بعده.

فصل و فيها توفى علاء الدين كيقباذ صاحب الروم

، كان عاقلا شجاعا كسر الخوارزمى، و كسر الكامل، و استولى على بلاد الشرق، و زوجه الكامل ببنته و أولادها منه، و كان عادلا منصفا مهيبا، ما وقف له مظلوم إلّا و كشف ظلامته.

فصل و فيها توفى الكمال ابن مهاجر

، كان كثير المال، و الصدقات، مات بدمشق فى جمادى الأولى، فجأه و دفن بقاسيون، و أخذ الأشرف جميع ما وجد له بدمشق تبلغ قيمته ثلاثمائه ألف دينار، أرانى الأشرف من ذلک مسبحه فيها مائه حبه مثل بيض الحمام، و الحمد لله.

السنه الخامسه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فيها توفى الأشرف، و الكامل و الخطيب، و القضاه، و ولى الجواد دمشق، و اختلفت الخوارزميه على الصالح أيوب بن الكامل، و أرادوا القبض عليه، فهرب إلى سنجار، و ترک خزائنه، و أثقاله، و عبر الفرات من عند دير شير، فنهبوا الجميع، و لما وصل سنجار سار إليه بدر الدين لؤلؤ، فحصر فى ذى القعده، فأرسل الصالح إلى لؤلؤ يسأله الصلح فقال: لابد من حمله إلى بغداد فى قفص، و كان لؤلؤ و المشارقه يكرهون مجاورته، و ينسبونه إلى التكبر، و التجبر، و الظلم فألجأت الضروره إلى أن بعث الصالح إلى الخوارزميه، و هم على حران يستنجدهم، فيقال: أنه بعث إليهم بدر الدين قاضى سنجار، و حطه من السور فى حبل، فشرط الخوارزميه كل ما أرادوا، و ساقوا جرائد من حران، و كبسوا بدر الدين لؤلؤ على سنجار فنجا وحده على فرس سابق، فنهبوا أمواله و خزائنه و الخيام و الخيل و جميع ما كان معه فى عسكره.

و بلغنى أن الدواه المفضضه تساوى مائتى درهم بيعت بخمسه

دراهم، و الطشت و الإبريق بعشرين درهما، و اقتسموا الكوسات و النقارات من ذلک اليوم، و استغنوا إلى الأبد جميعهم .....

فصل و فيها توفى خطلبا بن عبد الله التبنينى

اشاره

المجاهد المرابط، الدين الصالح، العاقل، مات يوم الإثنين ثالث شعبان، و دفن فى تربته التى أنشأها بقاسيون، و دفن بها شركس، و هو الذى أنشأ هذه التربه، و وقف عليها الأوقاف، و أقام فى الثغور مده سنين يجاهد العدو، و يحفظ البلاد على المسلمين، و كان كثير الصدقات، دائم المعروف و الصلات، طاهر اللسان كثير الفضل و الاحسان.

و فيها توفى الملک الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب ولد سنه ثلاث و سبعين و خمسمائه، و كان أكبر أولاد العادل بعد ممدود، و كان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته و عقله، و سداده فى إصداره و إيراده.

ذكر نبذه من أخباره

و ما جرى بعد وفاته سيرته مفرقه فى السنين، كان شجاعا زكيا مهابا، فطنا يحب العلماء و الأماثل، و يلقى عليهم المشكلات من المسائل، و تكلم على صحيح مسلم بكلام مليح، و لفظ فصيح، و يثبت بين يدى العدو، و لما نزل الفرنج على دمياط ما أبقى قلما فى خزائنه و ذخائره، و أما عدله فإليه المنتهى، و فضله فهو المشتهى، جلست عنده بدار الوزاره فى القاهره فى سنه تسع و ستمائه، و حضر شيخ الشيوخ قال: لما حصر الفرنج دمياط، صعد الكامل على مكان عال و قال لى: ما ترى ما أكثر الفرنج ما لنا بهم طاقه، قال: فقلت له: أعوذ بالله من هذا الكلام، قال: و لم؟ قلت: لأن السعد موكل بالمنطق، فأخذت الفرنج دمياط بعد قليل، فلما طال الحصار صعد على مكان و قال:

يا فلان ترى الفرنج ما أقلهم، و الله ما هم شى ء، قلت: أخذتهم

و الله، قال: و كيف؟ قلت: فى يوم كذا و كذا، فأخذوا دمياط، و قد قلت اليوم كذا فالملوک منطقون بخير و شر، فأخذ دمياط بعد قليل.

و كانت وفاه الملک الكامل ليله الأربعاء، حادى عشرين رجب فى بيت صغير بدار الفضه، و لم يعلم أحد بموته، و لا حضره أحد من شده هيبته، و دخلوا عليه فوجدوه ميتا، و كان مرضه نيفا و عشرين يوما بالإسهال و السعال، و النزله فى حلقه، و نقرس فى رجليه، و أظهروا موته يوم الجمعه، و لم يحزن عليه أحد، و لا لبسوا ثياب الحزن، و لحق الناس بهته، و نعقوا فى الحلقه فى ذلک النهار باتفاق الجواد، و سيف الدين بن قليج، و الخدام، و عز الدين أيبک، و عماد الدين بن الشيخ، و سنذكر القصه، و بلغ من عدله أن بعض الركبداريه استغاث إليه يوما و قال: إن أستاذى استخدمنى سته أشهر بغير جامكيه، فأحضر أستاذه، و أنزله عن فرسه و خلعه ثيابه، و ألبسها للركبدار، و أركبه الفرس، و ألبس الجندى ثياب الركبدار، و قال للجندى: احمل مداسه و اخدمه سته أشهر كما خدمک.

و كان إذا سافر لا يتجاسر أحد أن يأخذ من فلاح علاقه تبن، و لا دجاجه، و إن دعت إلى ذلک الحاجه.

و لقد بلغنى أنه شنق جماعه من الأجناد على آمد على علاقه من شعير، هذب به المأمور، و الأمير و كانت الطرق فى أيامه آمنه بحيث يسير الراكب وحده، و لا يحتاج إلى حمل عده، و كان الأشرف قد توفى أول هذه السنه، و استولى الصالح إسماعيل على دمشق، و جاء الكامل فحصره، و كان خالى محيى الدين بدمشق، فدخل بينهما فى الصلح، و أعطاه الكامل بعلبک مضافه إلى بصرى بعد أن حوصرت دمشق حصارا شديدا، و قتل عليها جماعه، و زحف الناصر داود بعسكره من باب توما، و تعلقوا بالنقوب، و لم يبق إلا أخذها، فأرسل الكامل فخر الدين ابن شيخ الشيوخ إليه، فرحله إلى أرض برزه، و كان الصالح قد أرسل للكامل يقول: قد بلغنى أنک تعطيها الناصر، و أنت أحق،

و سلمها إلى الكامل فى آخر جمادى الأولى، فأقام بها إلى ثانى عشرين رجب، فتوفى و دفن بالقلعه بعد ما صلوا عليه و أظهروا موته.

ذكر ما جرى بعد وفاته

اجتمع الأمراء، و فيهم سيف الدين بن قليج، و عز الدين أيبک و الركن الهيجاوى، و عماد الدين، و فخر الدين ابنا الشيخ، و تشاوروا و انفصلوا على غير شى ء، و كان الملک الناصر بدار سامه فجاءه الهيجاوى و الركن فى الليل، و بينا له وجه الصواب، و أرسل إليه عز الدين أيبک يقول: أخرج المال، و فرقه فى مماليک أبيک، و العوام معک، و تملک البلد و يبقوا فى القلعه محصورين، فما اتفق، و أصبحوا يوم الجمعه فى القلعه فحضر من سمينا بالأمس، و ذكروا الناصر، و الجواد، و كان أضر ما على الناصر عماد الدين لأنه كان يجرى فى مجلس الكامل مباحثات، فيخطئه فيها و يستجهله، فيبقى فى قلبه، و كان فخر الدين يميل إلىّ، فأشار عماد الدين بالجواد و وافقوه، و راح الهيجاوى يوم الجمعه إلى الناصر و هو فى دار سامه، فدخل عليه و قال له: ايش قعودک فى بلد القوم، قم فقام و خرج و ركب، و جمع من فى دمشق من دار سامه إلى القلعه، و ما شک أحد أن الناصر طلع القلعه، و ساق، فلما تعدى مدرسه العماد الكاتب، و خرج إلى الرفاق، عرج على باب الفرج، فصاحت العامه: لا، لا، لا، و انقلبت دمشق، و خرج الناصر من باب الفرج إلى القابون، و وقع بهاء الدين بن ملكيشو فى الناس و غلمانه بالدبابيس فاتكون فيهم فهربوا، و أما الجواد فإنه فتح الخزائن، و أخرج المال، فبلغنى أنه فرق سته آلاف ألف دينار، و خلع خمسه آلاف خلعه، و أبطل المكوس، و الخمور و نفى الخواطى، و أقام الناصر بالقابون أياما، و عزموا على قبضه، فرحل و بات بقصر أم حكيم، و خرج خلفه أيبک الأشرفى ليمسكه، و عرف عماد الدين بن موسک، فبعث إليه فى السر، فساق فى الليل إلى عجلون، و وصل أيبک إلى قصر أم حكيم، و عاد إلى دمشق.

ما جرى بين الناصر و الجواد

سار الناصر من عجلون إلى غزه، فاستولى على الساحل، فخرج إليه الجواد فى عسكر مصر، و الشام، فبلغنى أنه قال للأشرفيه: كاتبوه و أطمعوه، فكاتبوه و اغتر بهم، فساق من غزه فى سبعمائه فارس إلى نابلس بأثقاله و خزائنه و أمواله، و كانت على سبعمائه جمل على ما بلغنى، و ترک العساكر مقطعه خلفه، و ضرب دهليزه على صبصطيه، و الجواد على جينين، فساقوا عليه، و أحاطوا به فساق فى نفر يسير نحو نابلس، و أخذوا الجمال بأحمالها، و الخزائن، و الجنائب، و الجواهر و استغنوا للأبد، و افتقر هو، و بلغنى أن عماد الدين ابن الشيخ وقع بسفط صغير فيه اثنتى عشره قطعه من الجوهر، و فصوص ليس لها قيمه فدخل على الجواد فطلبه منه فأعطاه إياه.

قالوا: و هذه الأموال كانت على الجمال هى التى جهز بها المعظم دار مرشد ابنته لما زوجها للخوارزمى أخذها الناصر منها ظنا أنه يعوضها إذا فتح البلاد، ففعل الله فى ملكه ما أراد و الناصر لا يلوى على شى ء إلى الكرک، و كانوا قد أشاروا عليه فى غزه أن يبعث الأموال و الخزائن و الأثقال إلى الكرک على الزوبره، و يجمع عسكره، و يسير إليهم جريده، فإن ظهر عليهم و إلّا سلمت خزائنه و أمواله، و أموال عسكره، فاغتر بمكاتبه الأشرفيه، و لله فى خلقه أسرار خفيه.

حكى لى أن الكامل لما توفى اختلفت أصحابه فيمن يولون، فقالوا لفخر الدين بن الشيخ: ما تقول فى الجواد، فقد اتفق الأمراء عليه؟

فقال: المصلحه أن يولى بعض الخدام نائبا عن ابن أستاذنا العادل، متى شاء عزله، و متى شاء أبقاه، و لا تولوا أحدا من بيت الملک ما يقدر أحد بعد ذلک عليه، و يحكم علينا، و بلغ الجواد، فجاءه و قال: يا فخر الدين أنا و أنت ربينا فى خدمه الكامل، و بيننا خبز و ملح، و أنا مملوكک و وعده أن يعطيه خبز مائه و خمسين فارسا، و عشره آلاف دينار، فقال: و الله ما

وافقنا إلا على ما فيه مصلحه ابن أستاذى، فلما أيس منه، فرق ضياع الشام على الأمراء، و خلع عليهم، و فرق الخزائن و كان فيها تسعمائه ألف دينار، و توجه فخر الدين إلى مصر و معه جماعه من الأمراء بعد أن تردد إلى الناصر بالقابون دفعات ...

فصل و فيها توفى الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن أبى بكر بن أيوب

ولد بالقاهره فى سنه ست و سبعين و خمسمائه، و كان فى مبدأ أمره بالقدس تحت ابن الزنجبيلى عثمان، قال لى المعظم: أنا أخذت له: حران، و الرها، و الشرق، و جهزته من عندى بالخيل، و العده و المماليک، و تقلبت به الأحوال حتى صار شاه أرمن، و كسر المواصله، و الروم، و الخوارزمى، و أخاه شهاب الدين، و كان جوادا عادلا، عاقلا، لو كانت الدنيا بيده و دفعها إلى أقل الناس ما استكثرها له، و كان ميمون النقيبه، و ما كسرت له رايه قط، و لما أيقن بالموت أخذ بعض مماليكه سنجقه ليكسره، و قال ما يحمله غيره، فقال له: لا تفعل فو الله ما كسر قط، و حضر مجالسى بخلاط، و حران، و دمشق فى ذى الحجه يوم عرفه بعد العصر بجامع التوبه التى أنشأه، و بكى بكاء شديدا، و اعتق مماليكه و جواريه، و كان عفيفا عن المحارم ما خلا بامرأه إلا أن تكون زوجه، أو جاريه، و لما صعدت إلى خلاط اجتمعت به بالقلعه جلس يوما فى منظره فعبت على المعظم فى قضيه بلغته عنه، و قال: و الله ما مددت عينى إلى حريم أحد، و لا ذكر و لا أنثى، و لقد كنت يوما قاعدا هاهنا فى هذه الطياره، فدخل الخادم فقال: على الباب امرأه عجوز، تذكر أنها من عند بنت شاه أرمن صاحب خلاط، فأذنت لها فدخلت و معها ورقه من بنت شاه أرمن، تذكر أن الحاجب على قد قصدها، و أخذ ضيعتها و قصده هلاكها، و ما تتجاسر أن تظهر خوفا منه، قال: فكتبت على الورقه بإطلاق القريه، و نهى الحاجب عنها، فقالت العجوز: فهى تسأل الحضور بين يديک،

فعندها سر ما يمكن ذكره إلّا للسلطان، فقلت: بسم الله، فقامت و غابت ساعه، ثم جاءت، فدخلت و معها امرأه ما رأيت فی الدنيا أحسن منها، و كأن الشمس تحت نقابها، فخدمت، و قمت لها لكونها بنت شاه أرمن، فقلت: و أنت فی هذا البلد و ما علمت بک، فسفرت عن وجه ضاءت منه المنظره، فقلت لها: غطی وجهک و أخبرينی حالک، فقالت: بنت شاه أرمن صاحب هذه البلاد: مات أبی و استولی بكتمر على الممالک، و تغيرت الدول، و كان لی ضيعه أعيش منها أخذها الحاجب على، و ما أعيش إلّا من عمل النقش، غير أنی ساكنه فی دور الكرى، قال: فبكيت ورق قلبی لها، و أمرت الخادم أن يكتب لها توقيعا بالضيعه، و الوصيه، و أمرت لها من الخزانه بقماش و دار تصلح لسكنها، و قلت: بسم الله فی حفظ الله، فقالت العجوز: يا خوند ما جاءت إلا حتى تحظى بک الليله، فلما سمعت كلامها أوقع الله فی قلبی تغير الزمان و أن يملک خلاط غيری، و تحتاج بنتی أن تقعد مثل هذه القعده، قال: فقلت: يا عجوز معاذ الله، و الله ما هو شيمتی، و لا خلوت بغير محارمی فخذيها، و انصرفی و هی العزيزه الكريمه، و مهما كان لها من الحوائج فهذا الخادم تنفذ إليه، فقامت و هی تبكی، و تقول: صان الله عاقبتک كما صنتنی، قال: فلما خرجت افتتنتنی نفسی، و قالت: فی الحلال مندوحه عن الحرام، تزوجها، فقلت: و يحک يا نفس خبيثه، فأين الحياء و الكرم، و المروءه، و الله ما فعلته أبدا.

قال: و قال لی: مات لی مملوک بالرها، و خلف ولدا لم يكن فی زمانه أحسن منه صوره، و لا أظرف، و كان من لا يفهم باطن حالی يتهمنی به، و كنت أحبه، و هو عندی أعز من الولد، و بلغ عشرين سنه فضرب غلاما له فمات، فاستغاث أولياؤه فقلت: أثبتوا أنه القاتل، فاثبتوا و جاؤوا يطلبون الثأر، فاجتمع عليهم مماليكی و خواصی، و قالوا:

نعطيكم عشر ديات، فأبوا و قالوا: لابد من الاستيفاء، فقلت: سلموه

إليهم، فسلموا فقتلوه، و لو طلبوا ملكى دفعته إليهم، و لكن خفت من الله أن أمنعهم حقهم لغرض نفسى.

و كنت عنده بخلاط فقدم عليه النظام بن أبى الحديد، و معه نعل النبى صلى الله عليهم و سلم، فعرفته بقدومه، فقال: يحضر، فلما دخل عليه و معه النعل، قام قائما و نزل من الإيوان، و أخذ النعل فقبله، و وضعه على عينيه، و بكى و خلع على النظام و أعطاه نفقه، و أجرى عليه جرايه، و قال: تكون فى الصحبه نتبرک بک، و انفصلت عن خلاط، و أقام عنده فبلغنى أنه قال: هذا النظام يطوف البلاد، و ما يقيم عندنا، و أنا أوثر أن يكون عندى قطعه منه، ثم بات مفكرا و رجع عن ذلک الخاطر، و لما أخذ دمشق حكى لى قال: عزمت على أخذ قطعه منه، ثم فكرت فقلت: ربما يجى ء بعدى من يفعل مثل فعلى فيتسلسل الحال، و يؤدى إلى استئصاله بمره، فتركته و قلت: من ترک شيئا لله عوضه الله أمثاله، ثم أقام عندى النظام شهورا، و اتفق أنه مات و أوصى لى بالنعل، فأخذت النعل بأسره، و لما فتح دمشق اشترى دار قيماز النجمى، و جعلها دار حديث، و ترک النعل فيها، و نقل إليها الكتب الثمينه، و أوقف عليها الأوقاف الكثيره، و كان فطنا ذكيا.

فصل ما عمر من الأماكن

اشاره

بنى مسجد أبى الدرداء بقلعه دمشق و زخرفه، و كان عامه مقامه به، و المسجد الذى عند باب النصر، و مسجد القصب بالعقيبه، و جامع بيت الأبار، و وقف عليها الأوقاف، و بنى فى بستان النيرب بنيانا عظيما، و كان حسن الظن بالفقراء، يحسن إليهم، ويزورهم، و يفتقدهم بالمال و الأطعمه، و قصته مع أصحاب الشيخ حياه لما بددوا المسكر بين يديه مشهوره، و كان يقول: و بها نصرت، و كان طول ليالى رمضان لا يغلق

باب القلعه، و جفان الحلوى خارجه إلى الجوامع و الزوايا، و الربط و بيت الأبار، و المزه إلى أبى القاسم المسعودى، و عمر الخلخال، و إلى الجبل و غيره، و كان إنعامه العام شاملا للخاص و العام.

و لما فارقت دمشق بسبب ما جرى فى حديث القدس، طلعت إلى الكرک، و أقمت عند الملک الناصر، و كنت أتردد إلى القدس و نابلس من سنه ست و عشرين إلى سنه ثلاث و ثلاثين و ستمائه، ثم جرت أسباب أوجبت قدومى إلى دمشق، فسر بقدومى و زارنى، و أحسن إلىّ، و فصل لى خلعه سنيه، فامتنعت من لبسها، فقال: لا بالله و لو ساعه ليعلم الناس بأنک قد رضيت، و زال ما كان بيننا من الوحشه و بعث لى بغلته الخاص، و عشره آلاف درهم، و جلست فى جامع التوبه ليله عرفه، و حضر و بكى و أعتق مماليكه و جواريه، و قال لى: قد رجع الحق إلى نصابه، و مثلک يصلح أن يكون فى خراب نابلس، و القدس، و الكرک، و الله إن دمشق تغار عليک أن تكون فى غيرها، و أقمنا معه من سنه ثلاث و ثلاثين، إلى أن توفى فى سنه خمس و ثلاثين و ستمائه فى أرغد عيش، و أحسن حال، و أهنأ بال.

ذكر وفاته

مرض فى رجب مرضين مختلفين فى الأعالى و الأسافل، و كنت كل يوم أعوده أنا و الأماثل، و كان الجرائحى يخرج العظام من رأسه، و هو يسبح الله و يحمده و يوحده و يقدسه، ثم اشتد الذرب، فكان يتحامل إلى أن غلب، فلما أيس من نفسه قال لوزيره جمال الدين بن جرير: يا جمال الدين فى أى شى ء تكفنونى؟ فقال: حاشاک من ذلک، فقال: دعنى من ذلک، فما بقى فى قوه تحملنى أكثر من نهار غد، و تواروني، فقال: عندنا فى الخزانه نصافى، فقال: حاشى الله أن تكفنونى من هذه الخزانه التى لا تخلو من الخيانه، و كان عماد الدين بن موسک حاضرا فقال: قم أحضر الوديعه التى هى إلى الله ذريعه، فقام عماد الدين، و مضى و على رأسه

مئزر صوف أبيض تلوح منه أنوار الرضى، ففتحه و إذا فيه خرق الفقراء الشيوخ، و كان فى الثياب إزار عتيق ما يساوى خمسه قراطيس، فقال:

هذا يكون على جسدى، أتقى به حر الوطيس، فإن صاحبه كان من الأبدال، و سادات الرجال، و كان حبشيا أقام بجبل الرها يزرع قطعه زعفران يتقوت بها برهه من الزمان، و كنت أصعد إلى زيارته، و أعرض عليه المال، فيمتنع فقلت له يوما: أنا أعرض عليک الدنيا، فلا تقبل فأريد من أثرک ما أجعل فى كفنى، فقال: أفعل و أعطانى هذا الإزار، و قال: قد أحرمت فيه عشرين حجه، و كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، ثم مات يوم الخميس رابع المحرم، و دفن بالقلعه، ثم نقل إلى تربته بالكلاسه فى جمادى الأولى، و لما كان بعد موته بأيام قدم رجل من أهل حران كان له عليه فى كل سنه شقاق قطن لأولاده، و مائتى درهم، فجاء إلى قبره فجعل يبكي و يقول: كان لى عليه رسم، فقال له بعض أصحابه: هو ذا يسمعک، فإن أراد يعطيک فهو يعطيک، فانكسر قلبه و خرج إلى السوق، فالتقاه تاجر من أهل بلده و قال له: أنتظرک قد خبأت لک من الزكاه مائتى درهم، و شقاق لأولادک، و أعطاه إياها، و قال: هذا رسم لک فى كل سنه.

و حكى لى الفقيه محمد اليونانى ببعلبک فى سنه خمس و أربعين و ستمائه، عند عودى من بغداد، قال: حكى لى فقير صالح من جبل لبنان، قال: لما مات الأشرف رأيته فى المنام و عليه ثياب خضر، و هو يطير بين السماء و الأرض مع جماعه من الأولياء، فقلت له: يا موسى ايش تعمل مع هؤلاء و أنت كنت تفعل فى الدنيا و تصنع، فالتفت إلىّ و تبسم، و قال الجسد الذى كان يفعل تلک الأفاعيل فى الدنيا تركناه عندكم، و الروح التى كانت تحب هؤلاء قد صارت معهم.

و كان الأشرف لما أحس بوفاته فى آخر سنه أربع و ثلاثين و كنت أغشاه فى مرضه فقلت له: استعد للقاء الله، فما يضرک، قال: لا و الله

بل ينفعنى، ففرق البلاد، و أعتق المماليک، و وقف دار فرخشاه التى يقال لها دار السعاده، و بستان النيرب على ابنته، و أوصى لها بجميع الجواهر.

ذكر ما جرى بعد وفاته

لما انقضى عزاؤه ركب أخوه الملک الصالح إسماعيل ركوب السلطنه، و ترجل الناس فى ركابه، و صاحب حمص إلى جانيه، و عز الدين أيبک قدامه بالغاشيه، و عاد أسد الدين إلى حمص، و عز الدين إلى صرخد، و جاءت نجده حلب، و وصلت الأخبار بوصول التتر إلى دقوقا، و صادر إسماعيل الصالح جماعه من دمشق إتهمهم بالكامل، منهم: العلم تعاسيف و أولاد ابن مزهر، و ابن عريف البدرى، و أخذ جميع مالهم، و حبس أولاد مزهر ببصرى، فأقاما مده سنين، و مات أحدهما فى الحبس مقيدين، و أخرج إسماعيل على الحريرى من قلعه عزتا، و منعه من دخول دمشق، و جاء عسكر الكامل إلى قريب من دمشق، فقسم الأبراج على الأمراء و حصنها، و غلقت أبوابها، و وصل عز الدين أيبک من صرخد، و أمر بفتح أبوابها ففتحت، و جاء الناصر داود، فنزل المزه، و نزل مجير الدين و تقى الدين القابون، و أحدق العسكر بالبلد، و جاء الكامل فنزل عند مشهد القدم، و قطع المياه عن دمشق، و اشتد الحصار، و غلت الأسعار و نصبوا على الأبواب المناجيق، و سدوا الأبواب بمره إلّا: باب الفرج، و باب النصر، ورد الكامل ماء بردى إلى ثورا، و أخرب الصالح العقيبه، و الطواحين خرابا شنيعا، و زحف الناصر إلى باب توما، و علق النقوب فيه، و لم يبق إلا فتح البلد، ثم تأخر إلى أرض برزه، و أحرق الصالح الشاغور، و بدع بظاهر المدينه، و أخربه خرابا لم يعهد مثله، و أصبح أهل هذه الأماكن على الطرق يكدون، و احترق جماعه فى دورهم.

و حكى لى أن الصالح أو ابنه وقف على العقيبه، و قال للزراقين:

احرقوها، فضربوها بالنار، و كان لرجل عشر بنات، فقال لهن: اخرجن،

فقلن: لا و الله النار و لا العار، ما نفتضح بين الناس، فاحترقت الدار و هن فيها، فاحترقن و لم يخرجن، و جرت قبائح و فضائح آل الأمر فيها إلى أن أعطى الكامل لأخيه بعلبک مع بصرى، و تسلم دمشق، و كان الفلک المسيرى قد حبسه الأشرف فى حبس الحيات بالقلعه، فأخرج و تسلم الكامل دمشق، و نقل الأشرف إلى الكلاسه إلى تربته و عبر الكامل إلى القلعه .....

السنه السادسه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فيها قبض على الصفى بن مرزوق، و أخذ منه أربعمائه ألف دينار، و حبسه فى قلعه حمص، فأقام ثلاث سنين لا يرى الضوء، و كان ابن مرزوق يقيم بالجواد، و يكتب إليه مملوكه بولس.

فصل و فيها اتفق الجواد، و الصالح أيوب على مقايضه دمشق بسنجار

، و عانه، و سببه ضيق عطن الجواد، و عجزه عن القيام بمملكه الشام و كان يقول لى: ايش أعمل بملک؟ باز و كلب عندى أحب إلى من الملک، و كان أسد الدين قد جاء إلى دمشق، و كان الجواد يظهر أنه النائب بدمشق عن العادل صاحب مصر، فلما قتل ابن الشيخ، و أقام أسد الدين صاحب حمص بدمشق خاف الجواد من صاحب مصر، و ظن أن صاحب حمص يأخذ منه دمشق، فخرج من دمشق إلى البريه و كاتب الصالح أيوب فاتفقا على المقايضه، و علم صاحب حمص، و توجه إلى حمص، و كان فى قلب الصالح منه لما جرى بينه و بين الكامل، و دخل الصالح دمشق غره جمادى الأولى، و الجواد بين يديه، قد حمل الغاشيه من تحت القلعه، و حملها المظفر صاحب حماه من باب الحديد، و اتفق أن صنجق الصالح انكسر عند باب القلعه، و نزل الصالح فى القلعه، و الجواد فى دار فرخشاه، فدخل ابن جرير فى الوسط، و أصلح الحال،

و خرج الجواد إلى النيرب، و اجتمع الخلق على باب النصر يدعون عليه و يسبونه فى وجهه.

و كان قد سلط عليهم خادما لبنت كرجى يقال له الناصح، فأخذ أموال الناس و صادرهم و علقهم و ضربهم، فيقال: إنه أخذ من الناس ستمائه ألف درهم، و أرسل الصالح أيوب إلى الجواد ليعطى الناس أموالهم، فما التفت، و سافر و بقيت فى ذمته، و مات و لم يعط أحدا شيئا.

و أما الناصح الخادم فإنه كان مقيما بحماه، فتوصل لما أخذ الصالح أيوب إلى مصر، و خدم الصالح، و كان لما قتل ابن الشيخ عماد الدين قد أخذ الجواد ثيابه، و فيها فرجيه حمراء، فأعطاها للناصح، و علم معين الدين أخو عماد الدين، فقال معين الدين للصالح: هذا الناصح الذى فعل بالناس ما فعل و عمل على قتل أخى، و لبس فرجيته، و فعل و فعل، فرماه الصالح فى الجب، و استأصله، فمات فى الجب على أقبح صوره من الفقر و القله، و القمل، و استوزر الصالح جمال الدين ابن جرير، فأقام أياما، و مات فى رمضان.

و توجه الصالح أيوب إلى خربه اللصوص، على عزم ديار مصر و كاتب عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبک ليسير إليه، و كان أيوب لما دخل دمشق جاء إليه إسماعيل من بعلبک و اجتمعا، و تحالفا و تعاهدا، و رجع إسماعيل إلى بعلبک، و سار أيوب إلى نابلس فى شوال استولى عليها و على بلاد الناصر [و كان الناصر سافر] إلى مصر إلى العادل، و أقام أيوب بنابلس ينتظر وصول عمه إسماعيل، و كان ولده و عسكره عنده، و كتبه وارده إلى نابلس يقول للصالح أيوب: إننى واصل، و كان ناصر الدين بن يغمور مع ابن الصالح إسماعيل بنابلس دائرا على الأمراء، و الجند يحلفهم على أيوب و الدسائس تعمل فى دمشق.

و بلغنى أن الأموال كانت تفرق فى دار النجم بن سلام، و حكى لى

الصالح أيوب بمصر القضيه، و قال: إن فتح الله على يدى دمشق لأفعلن به و أصنع.

رجعنا إلى الحديث و الدسائس تعمل فى دمشق، و من تكبر أيوب و تجبره لا يتجاسر أحد أن يخبره، و خرجت السنه على هذه .....

فصل و فيها توفى عماد الدين بن شيخ الشيوخ

قد ذكرنا أنه كان السبب فى إعطاء دمشق للجواد، فلما مضى إلى مصر لامه العادل على ذلک، و تهدده فقال: أنا أمضى إلى دمشق، و أنزل فى القلعه، و أبعث بالجواد إليک و إن امتنع أقمت نائبا، فسار إلى دمشق و ذلک قبل المقايضه، و نزل بقلعه دمشق، و أمر و نهى، و قال: أنا نائب السلطان، و قال للجواد: تسير إلى مصر، و كان أسد الدين صاحب حمص بدمشق، قالوا: فاتفق الجواد و أسد الدين على قتل ابن الشيخ، و استدعى صاحب حمص بعض نصارى قارا، و أمره بقتله، فركب ابن الشيخ يوما من القلعه وقت العصر، فوثب عليه النصرانى فضربه بسكين حتى قتله، و ذلک فى جمادى الأولى، و دخل الصالح أيوب دمشق فى جمادى الآخره، و حبس النصرانى أياما ثم أطلق، قلت: و أسد الدين لما قتل ابن الشيخ كان فى حمص، و إنما شنعوا عليه، و ذكر سعد الدين مسعود بن تاج الدين شيخ الشيوخ، ابن عم عماد الدين، و هو كان حاضر القضيه قال: خرجنا من القاهره فى ربيع الأول، و ذكر أن عماد الدين لما توجه ودعه إخوته، فقال له أخوه فخر الدين: ما أرى رواحک مصلحه، و ربما آذاک ابن مودود، فقال: أنا ملكته دمشق فكيف يخالفنى؟ فقال: صدقت أنت فارقته أميرا، و تعود إليه و قد صار سلطانا، فتطلب منه تسليم دمشق، و تعوضه الاسكندريه، و يقيم عندكم فكيف تسمح نفسه بهذا؟ و إذا أبيت فانزل

على طبريه، و كاتبه فإن أجاب و إلّا تقيم مكانک، و تعرف العادل، فلم يلتفت و سار إلى دمشق.

قال سعد الدين: فنزلنا المصلى، و جاء الجواد للقائنا، و قال هذا شى ء يلزمنى خدمه المولى عماد الدين، لأنه جعلنى من الناس، و ملكنى دمشق، و سار معنا، فأنزل عماد الدين بالقلعه بدار المسره، و عاد أسد الدين صاحب حمص إلى دمشق، و بعث الجواد لعماد الدين بالذهب، و الخلع، و الخيل و القماش.

قال سعد الدين: و ما وصلنى من رشاشها قطره، مع ملازمتى لعماد الدين فى مرضه، فإنه ما خرج من القاهره إلّا فى محفه، فكنت كما قيل:

ان يطبخوا يوسعونى من دخانهم و ليس يبلغنا ما تنضج النار

و كان عماد الدين قد فرق الخلع فى أصحابه، و لما تحقق الجواد أن رساله عماد الدين أن يخرج من دمشق، و يعوض منها اسكندريه، رسم عليه فى الدار، و منعه من الركوب، و جاء إلى عماد الدين و قال: إذا أخذتم منى دمشق أعطيتمونى الاسكندريه، و لابد أن يكون لكم بدمشق نائب فاحسبونى ذلک النائب، و إلّا فقد بعث إلىّ الصالح نجم الدين أيوب أسلم إليه دمشق، و آخذ منه سنجار، فقال ابن الشيخ:

إذا فعلت هذا أصلحت بين الصالح و العادل، و تبقى أنت بغير شى ء، فقام و خرج مغضبا.

و حكى الجواد لأسد الدين ما جرى بينهما، فقال: و الله لئن اتفق العادل و الصالح ليتركونا نشحذ فى المحال، فجاء أسد الدين إلى ابن الشيخ و قال له: المصلحه أن تكتب إلى العادل و تشير له عن هذا، فقال ابن الشيخ:

حتى أروح إلى برزه، و تهرب إلى بعلبک فغضب، و انفصلا عن هذا.

قال: ودس الجواد إلى عماد الدين ابن قاضى بعلبک ليسقيه سما، و كان

ابن الشيخ مريضا فلم يفعل، و توجه أسد الدين إلى حمص، فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشرين ربيع الأول بعث الجواد إلى عماد الدين يقول:

إن شئت أن تركب تتنزه فاركب إلى ظاهر البلد، فاعتقد أن ذلک بوادر رضا، فلبس فرجيه كان الجواد بعث إليه بها، و شدوا له حصانا بعث به إليه، فلما خرج من باب الدار قابله واحد واقف و بيده قصه، فاستغاث فأراد حاجبه أن يأخذها منه، فقال لى: مع الصاحب شغل، فقال عماد الدين: دعوه فتقدم إليه، فناوله القصه، و ضربه بسكين على خاصرته ندر مصارينه، و جاء آخر فضربه على ظهره، فمات فردوه إلى الدار ميتا، و بعث الجواد فأخذ جميع مال عماد الدين، و خيله و مماليكه، و كتب محضرا أنه ما والى على قتله، فامتنع مماليک ابن الشيخ من خدمه الجواد، و قالوا: أنت تدعى أنک ما قتلته، و هو له إخوه و ورثه فبأى طريق تأخذ ماله؟ فحبسهم.

قال سعد الدين: و بعث الجواد إلى والدى تاج الدين، و قال اطلع فجهز ابن أخيک، قال: فجهزناه و أخرجناه، و كانت له جنازه عظيمه، لأنه قتل مظلوما، و حملناه إلى قاسيون، فدفناه فى زاويه الشيخ سعد الدين و خيطنا جراحاته، و صلى عليه سعد الدين ابن عمه.

قال سعد الدين بن تاج الدين و رثيته ببيتين فقلت:

فبعدک لا رقت عبرات عين بأحزان و لا سكن الغرام

و لا هدأت جوانحنا قليلاعلى فقدان مثلک و السلام

قال و كان له يوم مات ست و خمسون سنه

قال و كتب على تقويم

إذا كان حكم النجم لا شک واقع فما سعينا فى دفعه بنجيح

و إن كان بالتدبير يمكن رده علمنا بأن الكل غير صحيح

فصل و فيها توفى جمال الدين بن جرير، وزير الأشرف

، أصله من الرقه و كان يتردد إلى خانكاه الرقه فى سنه اثنتى عشره و ستمائه و ثلاث عشره و ستمائه، و كان له بستان و ملک يسير يعيش منه، و لم يكن يعرف الأشرف يومئذ فما زال يتوصل إليه حتى استوزره بدمشق أيوب أياما قلائل دون الشهر، و كانت وفاته يوم الجمعه سابع عشرين جمادى الآخره بالخوانيق، و دفن بمقابر الصوفيه عند المنيبع، سمع الحديث و كان يتردد إلى زياره الصالحين و فيه يقول ابن محمد بن الحنفى:

من قال أهل الشام عندى كلهم بقر فليس عليه فيه جناح

لو لم يصح مقاله فيهم لماأضحى يسوس أمورهم فلاح

قلت: ما كان ابن جرير فلاحا، و عامه الوزراء كانوا فلاحين، مثل ابن هبيره و غيره.

السنه السابعه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فيها هجم الصالح إسماعيل دمشق، و معه أسد الدين صاحب حمص يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر، و كان الصالح أيوب مقيما بنابلس، و إسماعيل ببعلبک يكاتبه، و يعده أنه واصل إلى خدمته، و كان أسد الدين قد جاء إلى الزراعه، و اجتمع مع إسماعيل، و اتفقا على أيوب، و أن تكون البلاد بينهما مناصفه، و كان إسماعيل، و ابن يغمور بنابلس كما ذكرنا، و كان عز الدين أيبک مقيما بصرخد لم ينزل إلى خدمه أيوب، و اتفق مع إسماعيل على أيوب، و كتب إسماعيل إلى أيوب يطلب ولده ليصل إليه و يقيم عوضه ببعلبک، فبعث إليه به و كل هذا و أم عامر نائمه، و كان هذا بترتيب السامرى و أبى الحسن المستطبب ابن غزال وزير إسماعيل، و كان الصالح أيوب قد سير سعد الدين الحكيم من نابلس، و معه الطيور إلى بعلبک يعرف أيوب أخبار إسماعيل كل وقت

و مسیره، فکان سعد الدین یکتب الکتب و یربطها علی جناح الطیر، فیسرق ابن غزال الطیر و یکتب إلی أیوب ما یرید، فاطمأن إلیهم، و ما کان عنده دهاء، کان سلیم الصدر، و إسماعیل یبعث الدراهم و الخلع إلی دار ابن سلام، علی ما قالوا، تفرق فی المقدمین، و خرج إسماعیل من بعلبک بالفارس و الراجل علی أنه متوجه إلی نابلس علی بانیاس، فبات بالمجدل، و کتب بطاقه إلی أیوب یخبره بوصوله إلیه، و قام وقت السحر و قصد دمشق، و وصل إلی عقبه دمر، و وقف و جاء صاحب حمص من وادی منین، و قصدوا باب الفرادیس ففتحوه فی ساعه واحده، و ما کان علیه أحد، و دخلوا فنزل الصالح فی داره بدرب الشعارین، و أول من دخل علیه و رقص بین یدیه و هنأه و قال: إلی بیتک جئت نجم الدین ابن سلام، و نزل صاحب حمص، و أصبحوا یوم الأربعاء ثامن عشرین صفر، فزحفوا علی القلعه فنهبوها من ناحیه باب الفرج، و هتکوا حرمتها و دخلوها، و بها المغیث ابن الصالح أیوب، فاعتقله إسماعیل فی برج، و استولی علی ما فی القلعه، و لم یکن بها ذخائر و لا عده، کان الصالح أیوب قد رکن إلی أیمان إسماعیل و عهوده و مواثیقه، و ما ظن أنه ینکث أیمانه و لا تفکر فی عواقبه، و ضیع أیوب الحزم، و بلغ الصالح أیوب ما جری، و قیل له: لم تؤخذ القلعه فخلع علی عمیه مجیر الدین و تقی الدین، و الرکین و السعید، و غیرهم و أعطاهم الأموال، و قال: ما ترون؟ قالوا: نسوق إلی دمشق قبل أن تؤخذ القلعه، فخرجوا من نابلس، و نزلوا القصیر، و بلغهم أخذ القلعه، فساروا عن أیوب بأسرهم و خافوا علی أثقالهم و أولادهم بدمشق، و کان الفساد قد لعب فیهم، فرحلوا إلی دمشق و بقی أیوب فی ممالیکه و غلمانه، و معه جاریته أم خلیل، فرحل من القصیر یرید نابلس علی طریق جینین و طمع فیه أهل الغور و القبائل، و کان مقدمهم شیخ جاهل یقال له تبل من أهل بیسان قد سفک الدماء، و قد التقت الجیوش بسببه، و رأیته بمصر بعد ما تملکها أیوب، و قد عفا عنه، و أحسن إلیه فتبعوه و ما زالوا وراءه، و هو یحمل

عليهم، فيفرق جمعهم، و أخذوا بعض ثقله، و وصل إلى سبسطيه فنزل عليها، و كان الوزيرى قد عاد إلى نابلس، فأرسل إليه يقول: قد مضى ما مضى، و ما زالت الملوک کذا، و قد جئت مستجيرا بابن عمى و نزل فى الدار بنابلس، و اتفق عود الناصر داود من مصر على غير رضا، فوصل إلى الكرک، و كتب الوزيرى إلى الناصر يخبره الخبر، فبعث الناصر: عماد الدين ابن موسک، و الظهير ابن سنقر الحلبى فى ثلاثمائه فارس إلى نابلس، فركب أيوب و التقاهم فخدموه، و قالوا: طيب قلبک إلى بيتک جئت، فقال: لا ينظر ابن عمى إلى ما فلعت، فما زال الملوک کذا، و قد جئت إليه أستجير به، فقالوا: قد أجارک، و ما عليک بأس، و أقاموا أياما حول الدار، فلما كان فى بعض الليالى ضرب بوق النفير، و قيل جاءت الفرنج إلى الظهير، فركب الناس و مماليک الصالح و وصلوا إلى سبسطيه، و جاء عماد الدين، و الظهير و العسكر إلى الدار و دخل عليها الظهير، و قال تطلع إلى الكرک فإن ابن عمک له بک اجتماع، و أخذ سيفه، و بلغنى أن جاريته كانت حاملا فأسقطت، و أخذوه و توجهوا إلى الكرک، و لما اجتمعت به فى سنه ست و أربعين و ستمائه بالقاهره حكى لى صوره الحال، قال: أركبونى بغله بغير مهماز و لا مقرعه و ساروا بى إلى المؤته فى ثلاثه أيام و الله ما كلمت أحدا منهم كلمه، و لا أكلت لهم طعاما حتى جاء خطيب المؤته، و معه ثريده عليها دجاجه، فأكلت منها و أقاموا بى فى المؤته يومين، و لم أعلم ايش كان المقصود، و إذا بهم أدخلونى إلى الكرک ليلا على الطالع الذى كان سبب سعادتى، و نحوسهم، و وكل بى مملوكا فظا غليظا يقال له زريق، فكان أضر لى من كل ما جرى، فأقمت عندهم إلى رمضان سبعه أشهر، و لقد كان عندى خادم صغير فاتفق أنه أكل ليله كثيرا فاتخم و بال على البسط، فأخذت البساط بيدى، و الخادم، و قمت من الإيوان إلى قريب الدهليز، و فى الدهليز ثمانون رجلا يحفظون، و قلت: يا مقدمين هذا الخادم قد أتلف

هذا البساط بالله انزلوا به إلى الوادى، و اغسلوه، قال: فنفر فى زربق و قال: ايش جاء بک إلى هنا؟ و صاحوا علىّ فعدت موضعى، و حكى لى أشياء من هذا الجنس.

ثم إن الوزيرى أطلع خزائنه، و خيله و أشياءه إلى الصلت، و أقام مماليكه بنابلس، و وصل ابن النابلسى العلاء من مصر من عند العادل يطلب الصلح من الناصر، و يعطيه مائه ألف دينار فما أجاب، و كان إسماعيل، و صاحب حمص فى هذا المعنى، فما أجاب، و لما طال مقامه أشار عماد الدين بن موسک و ابن قليج، و الظهير، على الناصر باتفاقه و اخراجه، و تحالفا و اتفقا، و أخرجه فى أواخر رمضان.

و قال لى الصالح: لما أخذ مصر: حلفنى على شى ء ما تقدر ملوک الأرض عليه، و هو أن آخذ له دمشق، و حمص، و حماه، و حلب، و الجزيره، و الموصل، و ديار بكر، و غيرها، و نصف ديار مضر، و نصف ما فى الخزائن من المال، و الجواهر، و الخيل، و الثياب و غيرها، فحلفت من تحت القهر، و السيف، و لما علم العادل و إسماعيل و الملوک بإخراجه من الحبس، رموا الناصر عن قوس واحده، و عزموا على قصده، و اتفقوا عليه و أول من برز العادل إلى بلبيس بالعساكر يريد الشام، و اختلف العسكر عليه، و قبضوه و أرسلوا إلى الصالح يعرفونه و يسألونه الإسراع، فسار و معه الملک الناصر، و جماعه من أمرائه ابن موسک و غيره، و كان وصول الصالح إلى بلبيس يوم الأحد رابع عشرين ذى القعده، فنزل فى خيمه العادل، و العادل معتقل فى خركاه، و كان خالى محيى الدين بمصر، قد خلع على العادل، و الفلک بن المسيرى، فأخبر بمسكه فخرج إلى بلبيس و قد فات.

و حكى لى الصالح واقعات جرت فى مسيره إلى مصر، منها أنه قال:

و الله ما قصدت بمجى ء الناصر معى إلّا خوفا لا تكون معموله علىّ و منذ فارقنا غزه تغير على، و لا شک أن بعض أعدائى أطمعه فى الملک، فذكر لى جماعه من مماليكى أنه تحدث معهم فى قتلى.

قال: و منها أنه لما أخرجنى ندم و عزم على حبسى، فرميت روحى على ابن قليج فقال: ما كان قصده إلّا أن يتوجه إلى دمشق فإذا أخذنا عدنا إلى مصر.

قال: و منها أن ليله وصلت إلى بلبيس شرب و شطح إلى العادل فخرج من الخركاه و قبل الأرض بين يديه، فقال له: كيف رأيت ما أشرت عليک و لم تقبل منى، فقال: التوبه التوبه، فقال: طيب قلبک الساعه أطلقک، ثم قال الصالح: و جاء فدخل علينا الخيمه، و وقف فقلت: بسم الله اجلس، فقال: ما أجلس حتى تطلق العادل، فقلت:

اقعد، و هو يكرر الحديث فسكت، و لو أطلقته لضرب رقابنا كلنا.

قال: فنام فما صدقت بنومه، و قمت فى آخر الليل فأخذت العادل فى محفه، و دخلت القاهره و لما وصلنا القاهره بعثت إليه بعشرين ألف دينار، فعادت إلىّ مع غلمانى، و ذكر قول الناصر له: بس يدى و رجلى، فقلت: ما أظنه يبدو منه هذا، و هو رجل عاقل، فأقسم بالله أن هذا وقع منه.

فصل و فيها أخذ بدر الدين لؤلؤ سنجار من الجواد بموافقه من أهلها

، لسوء سيرته، فإنه صادرهم، و أخذ أموالهم، و خرج يتصيد و لجج فى البريه، فبعثوا إلى بدر الدين، فجاء ففتحوا له الأبواب، و مضى الجواد إلى عانه، فأقام بها، ثم باعها للخليفه .....

و فى ربيع الأول أنزل الكامل من القلعه إلى تربته بجامع دمشق، و ولى الخطابه العز عبد العزيز بن عبد السلام بجامع دمشق فى ربيع الآخر، و خطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم بجامع دمشق، و غيره، و نقل الكامل من القلعه إلى تربته .....

فصل و فيها توفى ناصر الدين صاحب ماردين

، و قيل اسمه أرتق، قد ذكرنا

قتله للنظام، و لؤلؤ، و استيلاءه على ماردين، و طلوع المعظم إليه و اتفاقه معه، و مصاهرته إياه، و كان المعظم قد تزوج أخت ناصر الدين، و هى التى بنت المدرسه و التربه عند الجسر الأبيض بقاسيون، فدفن بها، لأنه لما مات المعظم انتقلت إلى ماردين، فتوفيت بها، و كان ناصر الدين شجاعا شهما، جوادا، ما قصده قاصد فخيبه، و قصده الأشرف غير مره و لم يلتفت، و كانت وفاته بماردين قتله ولده خنقا و هو سكران، فبعث إلى ابنه و كان محبوسا فجاء إلى ماردين فملكها.

فصل و فيها توفى أسد الدين صاحب حمص

، و لقبه الملك المجاهد، و اسمه شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى.

و قد ذكرنا أن صلاح الدين أعطاه حمص عند موت والده محمد، فى سنه احدى و ثمانين و خمسمائه، فأقام بها إلى هذه السنه سبعا و خمسين سنه، و كان شجاعا شهما مقداما، يباشر الحرب بنفسه، و حفظ المسلمين من الفرنج، و العرب، و أما من ناحيه الفرنج بنى الأبراج على مخائض العاصى، و سكن فيها الرجال و الطيور فيخرج بنفسه فيسبق الفرنج إلى المخاضه فيقتل و يأسر، و يرد القافله، و ما أخذوا منها شيئا، و كذا كان يفعل بالعرب من ناحيه البريه، يركب بنفسه و يقاتل، و لم يزل كذلك حتى توفى، و كانت بلاده طاهره من الخمور، و الخواطى ء، و المكوس، فكانت تعبر على بلده قوافل الدنيا، فلا يتعرض لها، و كان بنو أيوب يخافونه لأنه كان يرى أنه أحق بالملك منه، و اتهمه بأنه هو الذى أوقع بينه، و بين الأشرف، فلما ملك الكامل دمشق و نزل جوسق أبيه اجتمعنا، فقال لى: ما أفسد أحوالنا إلا صاحب حمص، و الله لأمحون آثاره، فقلت: ابن عم و قريب، و هو خير من غريب، و طلب منه مالا عظيما، فبعث أسد الدين نساءه إلى دمشق يسألن الكامل فيه، فما أجاب، و قال: لابد من المال، و أيقن أسد الدين بوزن المال، فحكى لى جماعه أنه

كان فى قلعه حمص قاعدا يزن المال، و يعبيه فى الأكياس، و إذا بطاقه من دمشق قد وصلت على جناح طائر فأخذها البراج، فدخل بها فقرأها، و فيها وفاه الكامل، فرد المال إلى الخزائن، و جاء بعد ذلک إلى دمشق، و جلس عند قبر الكامل يتصرف فى أمواله و خيله و دولته، و كان أسد الدين دينا، عاقلا، يعاشر العلماء و الفقهاء، جوادا متصدقا.

قالوا: إلّا أنه كان إذا حبس انسانا أقام مده محبوسا، و كان قد منع النساء يخرجن من باب حمص أيام ولايته.

و كانت وفاته بحمص فى شهر رجب يوم الثلاثاء العشرين منه، و دفن بها .....

السنه الثامنه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فيها سلم إسماعيل الصالح الشقيف لصاحب صيدا، و عزل عبد العزيز بن عبد السلام من الخطابه، و ولاها لعماد الدين الخطيب، و حبس أيضا أبا عمرو بن الحاجب، لأنهما أنكرا عليه فعله، فحبسهما مده، ثم أطلقهما و أمرهما بملازمه بيوتهما.

فصل و فيها سلم الملک الحافظ قلعه جعبر إلى الحلبيين، و عوضوه أعزاز

، و كان قد ضربه الفالج، و كان ولده قد مضى إلى الخوارزميه يطلب منهم عسكرا ليحاصره، فخاف فجاء إلى حلب.

و فيها ظهر بالروم رجل تركمانى يقال له البابا، و ادعى النبوه، و كان يقول: قولوا لا إله إلّا الله البابا ولى الله، و اجتمع إليه خلق عظيم، فجهز إليه صاحب الروم جيشا و التقوا فقتل منهم أربعه آلاف، و قتلوا البابا.

و فيها وصل رسول خاقان ملک التتر إلى ميافارقين إلى شهاب الدين غازى، و معه كتاب إليه و إلى ملوک الإسلام يأمرهم بالدخول فى طاعته،

و كان فى عنوان الكتاب: «من نائب رب السماء، ماسح وجه الأرض، ملک الشرق و الغرب، خاقان»، و قال لشهاب الدين: قد جعلتک سلحدار، و أمرتک أن تخرب أسوار بلادک جميعها، فقال شهاب الدين:

أنا من جمله الملوک، و بلادى حقيره بالنسبه إلى بلاد الروم، و الشام، و مصر، فتوجه إليهم فمهما فعلوه فعلته، و كان هذا الرسول شيخا لطيفا مسلما من أهل أصبهان.

حكى لشهاب الدين عجائب منها، أنه قال: بالقرب من بلاد قاقان قريبا من بلد يأجوج و مأجوج على البحر المحيط أقوام ليس هم رؤوس، و أعينهم فى مناكبهم، و أفواههم فى صدورهم، يأكلون السمک، و إذا رأوا أحدا من الناس هربوا، و ذكر أن عندهم بزرا ينبت الغنم يعيش الخروف منها شهرين و ثلاثه و لا يتناسل، و هناک طائفه يزرعون ذلک البرز فيتولد منها غنم كما يولد دود القز الحرير، فلا يعيش الخروف أكثر من شهرين أو ثلاثه، مثل بقاء النبات فى الأرض، و إن هذه الغنم لا تتناسل.

و منها أن بمازندران عين ماء، يطلع منها كل ثلاثين سنه خشبه غليظه مثل المناره، فتقيم طول النهار، فإذا غربت الشمس غارت فى العين و لا ترى إلى مثل ذلک الوقت.

و قيل إن بعض ملوک العجم جاء بنفسه إليها فى مثل ذلک اليوم، و ربطها بسلاسل، و حلق عظام، و ربطها إلى أساطين حولها، و استوثق منها، فلما جاء وقت الغروب، قطعت السلاسل، و غارت فى العين و هى إلى الآن إذا طلعت، رأوا السلاسل فى وسطها.

فصل و فيها جاء عسكر حلب إلى حران

، و معهم إبراهيم المنصور صاحب حمص و التقوا فانكسرت الخوارزميه، و انكى فيهم الحلبيون

قتلا و أسرا، و هرب برکه بن خان إلی الخابور و أخذ المنصور حران و عصت علیه القلعه.

و فیها اختلف عسکر مصر علی الصالح أیوب فقبض علی جماعه، و فیها تسلم الروم آمد بعد حصار شدید، فیقال إنهم اشتروها بثلاثین ألف دینار ....

فصل و فیها کانت الوقعه بین الحلبیین و الخوارزمیه

، و کان الجواد و الصالح صاحب حمص مع الخوارزمیه، یقصدون حلبا، و نزلوا علی باب بزاعه فی خمسه آلاف، فخرج علیهم عسکر حلب فی ألف و خمسمائه فارس، فکسروهم کسره عظیمه، و أسروا أمراءهم، و ساقوا إلی حیلان، و قطعوا الماء عن حلب، و ضایقوها، ثم عادوا إلی منبج فنهبوها، و قتلوا أهلها و فضحوا نساءها، و عادوا إلی حران، و کان الملک المنصور إبراهیم شیرکوه ابن صاحب حمص نازلا علی شیزر، فاستدعاه الحلبیون، فجاء إلی حلب فنزل بظاهرها و معه عسکر حمص و دمشق .....

السنه التاسعه و الثلاثون و ستمائه

اشاره

و فیها قصد الجواد دیار مصر ملتجئا إلی الصالح أیوب، و مهاجرا إلی بابه، فعبر الرمل فخاف أیوب منه، فعزم علی قبضه، فرجع إلی الملک الناصر داود، و التجی إلیه، و جاء جمال الدین ابن شیخ الشیوخ فنزل غزه، و کان الناصر بالقدس، فجاء إلیه الجواد، و اتفقا، و أقام الناصر بالقدس، و جهز العسکر مع الجواد، و جاء الکمال، و التقوا علی مکان یقال له بیت فوریک، فکسره الجواد، و أخذ الکمال ابن الشیخ أسیرا، فجاء به إلی الناصر فوبخه فقال له الجواد: لا توبخه، و أقام الجواد عند الناصر فتخیل منه، فاعتقله، و بعث به إلی بغداد فی البریه تحت الحوطه، فنزل قریبا من الأزرق فعرفه بطن من العرب، فأطلقوه فعاد إلی دمشق،

و أقام فی خدمه الصالح إسماعیل، ثم أتی إلی الفرنج، و أقام معهم مده، و عاد إلی دمشق، و اعتقله الصالح فی عزتا، ثم هلک فی سنه احدی و أربعین و ستمائه، و سار المنصور صاحب حمص، و عسکر حلب إلی حران، فالتقوا مع الخوارزمیه، فکسروا الخوارزمیه، و مزقوهم کل ممزق.

فصل و فیها شرع الصالح أیوب فی عماره المدارس بین القصرین، و قلعه الجزیره

، و أخذ أملاک الناس، و أخرب نیفا و ثلاثین مسجدا، و قطع ألف نخله، و غرم علیها دخل مصر سنین کثیره، فأخربها الترک فی سنه احدی و خمسین و ستمائه.

فصل و فیها تخلص الصفی إبراهیم بن مرزوق من حبس حمص

، بعد الیأس منه، و کان الجواد و أسد الدین قد اتفقا علیه، و أخذا منه أربعمائه ألف دینار، و بقی محبوسا ثلاث سنین، و الحمد لله الخ.

السنه الأربعون و ستمائه

اشاره

و فیها اتفق شهاب الدین غازی مع الخوارزمیه، و مضوا إلی میافاقین، و نزلوا، و جاءه عسکر حلب، و نزل الجزیره بالخوارزمیه، فنهبوا و قتلوا، و جرت حروب کثیره مع المواصله، و صاحب ماردین.

فصل و فیها عزم الصالح أیوب علی التوجه إلی الشام

، فقیل له: البلاد مختلفه، و العساکر مختلفه، فجهز العساکر، و أقام أیاما، و لم یتهیأ له سفر.

فصل و فیها کانت وقعه عظیمه بین الحلبیین و الخوارزمیه

، و کان غازی

صاحب میافارقین مع الخوارزمیه، و قد أخربوا بلاد الموصل و ماردین، و حلفوا لغازی، و حلف لهم، و وافقهم صاحب ماردین، و جمع غازی الخانات، و شاورهم فقالوا: لابد من اللقاء، فقال: المصلحه أن نمضی و نخرب بلد الموصل، فلم یلتفتوا علیه، فلما کان ثامن عشرین محرم رکبوا، و طلبوا من جبل ماردین إلی الخابور، و ساقوا إلی المجدل، و وقف الخانات میمنه و میسره، و غازی فی القلب، و اقتتلوا فصدمهم عسکر حلب صدمه رجل واحد فانهزموا لا یلوون علی شی ء، و تبعهم الحلبیون یقتلون و یأسرون، و أخذوا أثقال غازی و عسکره، و أغنام الترکمان و خیلهم و نساءهم، و کانوا خلقا عظیما، و بیع الفرس بخمسه دراهم، و رأس الغنم بدرهم، و نهبت نصیبین، و سبیت نساؤهم، و کانت قد نهبت مرارا فی سنه تسع و أربعین مقدار سبع عشره مره من المواصله، و الخوارزمیه، و عسکر میافارقین، و ماردین، و عاد غازی إلی میافارقین، و تفرقت الخوارزمیه، ثم اجتمعوا، ثم رحلوا فنزلوا رأس عین، فقتلوا أهلها و نهبوا الأموال، و سبوا النساء، و فعلوا بالخابور کذلک، و قد نهبوا أغنام الترکمان.

و فیها جاء إلی غازی منشور بخلاط، و أعمالها من شمس الدین النائب بالروم، فتسلم غازی خلاط و ما فیها، انتهی و الله تعالی أعلم.

و فیها توفی کمال الدین أحمد بن صدر الدین شیخ الشیوخ بغزه فی صفر عن ست و خمسین سنه، و بنی علیه أخوه معین الدین قبه فی جانب الطریق، و کان قد کسره الجواد بعسکر الناصر داود، و یقال إنه سم، و کتب إلی ابن عمه سعد الدین هذه الأبیات:

لو أن فی الأرض جنات مزخرفهتحف أرکانها الولدان و الخدم

و لم تکن رأی عینی فالوجود هناو لا أراک وجود کله عدم

فصل و فیها توفی الإمام المستنصر بالله أبو منصور جعفر بن محمد الظاهر

،

كان جوادا سمحا عادلا، قريبا من الناس، رحوم القلب، متصدقا سرا و جهرا، عمر المدرسه المستنصريه وقفها على المذاهب الأربعه، و أوقف عليها الأوقاف الكثيره، و نقل إليها الخطوط المنسوبه مثل خط ابن البواب، و ابن مقله و غيرهما، و رتب للفقهاء جميع ما يحتاجون إليه من الأطعمه، و الأشربه، و الجوامک، و الفواکه فی ناحيتها حتی المارستان، و الحمام فيها، و لم يکن عنده تعصب علی مذهب، و ليس فی الدنيا مثل هذه المدرسه و لا بنی مثلها فی سالف الأعوام، فهی فی العراق کجامع دمشق و قبه الصخره بالشام، و بنی المساجد، و المشاهد، و عمر الخانات فی الطرقات، و کان يزور الصالحين، و يحسن إليهم و يتفقدهم، و يبرهم، و يزور المشهدين: مشهد علی عليه السلام، و مشهد الحسين، و يحسن علی العلويين و ينعم علی المجاورين، و لم يکن للمال عنده قدر، و لما وردت بغداد فی سنه أربع و أربعين و ستمائه، حکی لی الثقات عنه أنه له الأحوال الجليله، منها أنه کان يزور الشيخ عبد العزيز الناسخ بالحريم الطاهری، و يغشاه کثيرا، فقال له يوما: أنا لا أثاب علی ما أفعله، فقال له عبد العزيز: الله الله يا مولانا إذا لم تثاب أنت فمن يثاب؟ فقال:

لأن المال الذی أنفقه فی أبواب البر ما له عندی قدر، بل مثل التراب، و الثواب إنما يکون علی قدر المشقه.

و منها أنه کان يمضی إلی العلث، قريه من الدجيل بينها و بين بغداد مسيره يومين، حتی يزور اسحاق العلثی الحنبلی.

و منها أنه لما کان الناصر فی الحياه، کان قد بنی عنده فی الدار برکه للمال، فکان يقول: تری أعيش حتی أملأها، فلما ولی المستنصر وقف عليها و قال: تری أعيش حتی أفرغها.

و منها أنه رکب يوما للصيد فی رمضان، فاجتاز بين الحربيه و دار القز محلتين بالجانب الغربی من بغداد، فرأی شيخا کبيرا مع قدح فيه طبيخ قد أخذه من العتابين، و هو يريد يدخل الحربيه، و کان فی کل محله دار

مضيف فى رمضان، فقال له: يا شيخ ممن أنت؟ قال: من الحربيه، قال:

أما عندكم دار مضيف؟ قال: بلى، قال: تأخذ من الموضعين؟ قال:

فبكى الشيخ، و قال: و الله ما أخذت من المحلتين، و إنما أنا رجل كان لله على نعمه، و كان لى مال كثير، فافتقرت، و ذهب المال و الولد، و أستحيى من أهل محلتى أن آخذ من دار المضيف، فأنا أمضى إلى المحله التى لا أعرف فيها فآخذ الطعام فى القدح، و آتى إلى باب الحربيه، فإذا أذن المغرب، و دخل الناس فى الصلاه، دخلت بيتى، و لا يرانى أحد، فبكى الخليفه و قال لنفسه: و يحک يا منصور ما جوابک غدا إذا سألک الله عن هذا الفقير المحتاج؟ ثم أعطاه ألف دينار، و قال: إذا نفدت تعال إلى باب البدريه، فأخذ المال، و من فرحه انشق قلبه فعاش عشرين يوما، و مات و طولع الخليفه فقيل ما نقص غير دينار فقال: إن كان له ورثه فادفعوه إليهم، و إلا فأذنت لكم أن تتصدقوا به فى الحربيه على الفقراء، فهذا مال أخرجناه لله فلا ترجع فيه، و لا يدخل إلينا.

و كانت وفاته فى هذه السنه، و حمل إلى الرصافه، و حزن الخلق عليه حزنا عظيما لإحسانه إليهم، و عمل له العزاء ببغداد، و البلاد كلها، ثلاثه أيام، و ولى ولده عبد الله، و لقبه المستعصم بالله، و الحمد لله و صلى على أشرف خلقه محمد، و على آله و صحبه و سلم.

السنه الحاديه و الأربعون و ستمائه

فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب، و عمه الصالح إسماعيل فى الصلح، و قدم الشرف ابن التبنينى و الأصيل السعرتى الخطيب، و أطلق المغيث بن الصالح أيوب، و خطب للصالح أيوب بدمشق، و لم يبق إلّا أن يتوجه المغيث إلى مصر، و رضى الصالح ببقاء دمشق على عمه الصالح، بعد أن سلم إليه ولده عمر المغيث، فأفسد السامرى وزير إسماعيل الحال، و قال لإسماعيل هذا خاتم سليمان لا تخرجه من يدک، فتقدم الملک، و توقف الأمر، و لم ينتظم صلح، و منع المغيث من

الركوب، و حبس فى برج القلعه، و فسدت الأحوال، و كتب الصالح أيوب إلى الخوارزميه، فعبروا الفرات، و انقسموا قسمين قسم جاءوا على بقاع بعلبک، و قسم على غوطه دمشق، و نهبوا و أسروا، و قتلوا، و سد اسماعيل أبواب دمشق و نزلوا على غزه .....

و فيها توفى الصالح صاحب الروم، و قيل توجه إلى التتر، و لم يمت، و توافق مع التتر على أن يدفع لهم فى كل يوم ألف دينار و فرسا و مملوكا، و جاريه، و كلب صيد، و هذا هو ابن علاء الدين، و كان ناقص العقل فاتكأ، يلعب بالكلاب و السباع، و يسلطها على الناس، فعضه سبع فمات و صح موته .....

و فيها توفى الجواد، و اسمه يوسف، و قيل يونس بن ممدود بن أبى بكر ابن أيوب، و لقبه مظفر الدين، و كان قد جاء إلى المعظم لما وقع بينه و بين الكامل ما وقع، فأحسن إليه، ثم عاد إلى مصر، و لما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق، و أقام بها حتى مات الكامل، و ملكوه دمشق، و كان جوادا كما سموه، إلّا أنه كان حوله من ينهب الناس و يظلم و ينسب ذلک إليه، و كان يحب الصالحين، و يحسن الظن بالفقراء، و قد ذكرنا تقلب الأحوال به، و أن أهله لم يقبلوه، فقصد الفرنج فقبلوه، و خدموه، و حضر معهم نوبه قلنسوه- ضيعه من أعمال نابلس- قتلوا فيها ألف مسلم، و هو قائم لم يتكلم كلمه، و خاف منه الصالح إسماعيل، فبعث إليه ناصر الدين ابن يغمور ليحتال عليه، و يحمله إلى دمشق، فيقال أنهما اتفقا على الصالح، ثم احتال الصالح على الجواد حتى قبضه و حبس الجواد فى عزتا، و ابن يغمور فى قلعه دمشق، و كان السامرى قد قصده، و طلب الفرنج الجواد، و قالوا: لابد لنا منه، فأظهر أنه قد مات، و أهله يقولون إنه خنقه، و الله أعلم، و كان ذلک فى شوال، و دفن بقاسيون فى تربه المعظم.

و أما ناصر الدين ابن يغمور، فأقام محبوسا بقلعه دمشق حتى

ملكها الصالح أيوب، و بعث به ابن شيخ الشيوخ إلى مصر، فحبسه الصالح أيوب فى الجب، فأقام مده ثم شنق هو السامرى على قلعه القاهره و سنذكرهما.

السنه الثانيه و الأربعون و ستمائه

اشاره

و فيها عزل القاضى الرفيع، و السبب السامرى فإن الرفيقع كتب إلى الصالح إسماعيل يقول: قد حملت إلى خزانتک ألف ألف دينار من أموال الناس، فقال إسماعيل: و لا ألف ألف درهم، و أوقف السامرى على ورقه الرفيع، و كان الله تعالى قد سخر إسماعيل للسامرى، فلو قال له: مت لقال لداعى الموت أهلا و مرحبا، ليكون سببا لهلاكه، و أنكر السامرى، فقال الرفيع: و أنا أقابله، فقال السامرى للصالح: هذا الرفيع قد أكل البلاد، و أقام الشناعات علينا، و المصلحه عزله ليحقق الناس أنک ما أمرته بهذه الأشياء، فعزل عن القضاء أول السنه، و أخذ منه مدارسه، و فوض أمرها إلى ابن الصلاح، فأعطى العادليه للقاضى الجمال التفليسى، صهر الخوئى، و الشاميه للتقى الحموى، و العذراويه لمحيى الدين بإسقاط شهادات أصحاب الرفيع: العز ابن القطان، و الزين ابن الحموى، و الجمال ابن سيده، و النصير ابن قاضى بعلبک، و سالم المقدسى و ابنه محمد، لما فعلوا بالمسلمين و أكلوا أموالهم بالباطل، و كانت المحنه العظمى، و الطامه الكبرى الواسطى الملقب بالموفق، فإنه أهلک الحرث و النسل، فأهلک الله ذلک الفسل.

فصل و فيها ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يقول:

بأننى قد قدرت على أهل الشام قطيعه فى كل سنه: على الغنى عشره دراهم، و على الوسط خمسه، و على الفقير درهم، و قرأ محيى الدين بن الزكى الكتاب على الناس و شرعوا فى الجبايه.

و فيها كانت وقعه عظيمه بين الخوارزميه و الفرنج، لما نزل الخوارزميه غزه، بعث إليهم الصالح أيوب الأموال و الخيل، و الخلع و الأقمشه و العساكر، و أمرهم بالنزول على دمشق، فاتفق الصالح إسماعيل، و الناصر داود، و المنصور صاحب حمص مع الفرنج على الخوارزميه، و عسكر مصر، و كان إسماعيل قد أعطاهم الشقيف، و بلاد المسلمين و صفذ، و عذب والى الشقيف، و استأصله حيث امتنع من تسليمه، و خرج إسماعيل من دمشق، و مضى إلى الشقيف، و سلمه إليهم بنفسه، و كانت صفد خرابا و الشقيف عامرا، و لما اتفق مع الفرنج، خرج صاحب حمص من دمشق بعسكر دمشق و حمص إلى بلاد الفرنج، و جهز الناصر عسكره من نابلس مع الظهير ابن سنقر الحلبى، و الوزيرى، و كنت يومئذ بالقدس، و الناصر بالكرک، و اجتمعوا بأسرهم على يافا، و الخوارزميه و عسكر مصر على غزه، و ساق صاحب حمص، و عسكر دمشق تحت أعلام الفرنج، و على رؤوسهم الصلبان و الأقساء فى الأطلاب يصلبون على المسلمين، و يقسسون عليهم، و بيدهم كاسات و طاسات يسقونهم، و ساقت الخوارزميه، و عسكر مصر، و التقوا على مكان يقال له قربيا، و كانت الفرنج فى الميمنه، و عسكر الملک الناصر فى الميسره، و ابن صاحب حمص فى القلب، و كان يوما عظيما لم يجر فى الإسلام مثله، و لا فى زمان نور الدين، و صلاح الدين، فأول ما كسرت الميسره، و هرب الوزيرى و أسر الظهير ابن سنقر، و جرح فى عينه، و أخذ جميع ماله، و أصبح فقيرا، و انهزم ابن صاحب حمص، و مالت الميمنه بالفرنج فرأوا القلب و القلب قد انكسروا، فخذلوا فأحاطت بهم الخوارزميه، و كان عسكر مصر قد انهزموا إلى قريب العريش، و رموا كوساتهم، و أثقالهم، و ثبتبت الخوارزميه، و كان الفرنج ألفا و خمسمائه فارس من الديويه و الإسبتار و الكنود و الكبار، و عشره آلاف راجل، و ما كانت إلّا ساعه حتى حصدتهم الخوارزميه بالسيوف حصدا جيدا، و أسروا منهم ثمانى مائه أسير، و لقد أصبحت ثانى يوم الكسره إلى غزه،

فوجدت الناس يعدون القتلى بالقصب فقالوا: هم زياده على ثلاثين ألفا، و قد بعث الخوارزميه بالأسارى، و الرؤوس إلى مصر و الظهير ابن سنقر، و جماعه من المسلمين فى الجمله.

و أما صاحب حمص، فما وصل إلى دمشق إلّا فى نفر يسير، و نهبت خزانته و خيله و سلاحه، و قتل أصحابه، و لقد بلغنى أنه طلب شاشا يتعمم به فما وجده، و جعل يبكى و يقول: قد علمت أنا لما سرنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح، و وصل الأسارى مصر، و الظهير معهم، و علقت الرؤوس على أبواب القاهره، و امتلأت الحبوس من الأسارى، و كان يوما عظيما، و جهز الصالح أيوب معين الدين ابن الشيخ لحصار دمشق ...

و فيها توفى عمر بن شهاب الدين غازى، صاحب ميافارقين، و يلقب بالملك السعيد، و كان شابا حسن الأخلاق، مليح الصوره جوادا شجاعا، و كان التتر لما استولوا على ديار بكر، و أخذوا خلاط، فخرج غازى من ميافارقين هاربا منهم، ليستنجد عليهم الخليفه، و الملوک، و خرج معه ولده عمر، و الأمير حسن بن تاج الملوک أخى غازى، فوصلوا إلى الهرماس لوداع غازى، فقال غازى لولده عمر: يا ولدى المصلحه أن ترجع إلى ميافارقين، و تحفظ المسلمين من التتر، و أنا أروح إما إلى بغداد، و إما إلى مصر استنجد الملوک، فقال: و الله ما أفارقک، و جاء حسن بن تاج الملوک إلى جانبه، و أخرج سكينا و ضرب عمر فى خاصرته، و هرب ليرمى نفسه فى العين ليغرقها فصاح غازى أمسكوه، فقد قتل عمر ولدى، و قام السلطان غازى ليقتله، فرمى عمر نفسه على غازى و قال لحسن: يا عدو الله قتلتنى و تقتل والدى، فضربه حسن بالسيف، فقطع خاصرته فوقع إلى الأرض و أمر غازى بحسن فقطع قطعا، و حمل عمر إلى الحصن، فدفن به، و حزن عليه والده، حزنا عظيما رحمه الله، و الحمد لله وحده، و صلى على أشرف خلقه محمد، و على آله و صحبه و سلم.

السنه الثالثه و الأربعون و ستمائه

اشاره

و فيها حصر معين الدين بن الشيخ و الخوارزميه دمشق و ضايقوها، و قطعت الخوارزميه على الناس الطرق، و زحفوا على البلد من كل ناحيه، و فى يوم الاثنين ثامن محرم بعث الصالح إسماعيل إلى معين الدين ابن الشيخ سجاده و إبريقا، و عكازا، و قال: اشتغالک بهذا أولى من اشتغالک بقتل الملوک، فبعث إليه ابن الشيخ بجنک، و زمر، و غلاله، حرير أحمر و أصفر، و قال: السجاده تصلح لى، و أنت أولى بالغلاله، و الجنک و الزمر، و أصبح ابن الشيخ، فركب بالعساكر، و زحفوا من كل ناحيه و رموا النيران فى قصر حجاج، و ضربوا المناجيق، و كان يوما عظيما، و بعث إسماعيل الزراقين يوم الثلاثاء تاسع المحرم فأحرقوا جوسق العادل، و منه إلى زقاق الرمان العتيقه بأسرها، و نهبت أموال الناس، و رموا على الطرق فاحترق بعضهم.

و حكى أن رجلا كان له عشر بنات أبكار، فقال لهن: اخرجن، فقلن: لا و الله الحريق أولى من الفضيحه، فاحترقت الدار، و احترقن، و لم يخرجن، و جرى على الناس ما لم يجر فى بلد آخر.

و فى ربيع الآخر، خرج المنصور صاحب حمص من دمشق إلى ظاهرها، و اجتمع ببركه خان، و استبشر الناس باجتماعهما، و عاد المنصور إلى دمشق، و فى جمادى الأولى فتحت دمشق، بعث السامرى إلى ابن الشيخ يطلب منه من ملبوسه، فبعث له فرجيه و عمامه و قميصا، و منديلا، فلبسهم و خرج إلى ابن الشيخ بعد العشاء الآخره، فتحدث معه ساعه، ثم عاد إلى دمشق، ثم خرج مره أخرى فوفق الحال، و خرج إسماعيل و صاحب حمص فى الليل إلى بعلبک، و دخل ابن الشيخ دمشق، فنزل فى دار سامه، و دخل الشهاب رشيد إلى القلعه، و ولى ابن الشيخ: الجمال هارون المدينه، و صدر الدين بن سنى الدوله قاضى القضاه، و استناب العزيز السنجارى، و الكمال التفليسى، و عزل محيى الدين بن الزكى،

و وصل سيف الدين ابن قليج من عجلون إلى دمشق تاسع عشرين جمادى الأولى منفصلا عن الناصر داود، و أوصى بعجلون، و ماله للصالح أيوب، و نزل بدار فلوس، و جهز ابن الشيخ السامرى إلى مصر تحت الحوطه، و أما الخوارزميه فإنهم لم يحضروا الصلح، و لم يعلموا، فلما علموا دخلوا إلى داريا فنهبوا أهلها و أتلفوا ما كان عليها، ثم رحلوا نحو الشرق، و كاتبوا الصالح إسماعيل و اتفقوا معه على أيوب، و نقضوا الصلح الذى قرره السامرى، و وصل ابن خالى عبد الرحمن، و ابن سنقر من بغداد بخلع السلطنه للصالح أيوب، و المنشور، و مضيا إلى مصر، فالتقاهما و ألبساه على العباسه، و عادت الخوارزميه فحصرت دمشق، و جاءهم إسماعيل من بعلبک فى ثالث عشرين ذى القعده، و ضيقوا على دمشق، فبلغت الغراره ألف و ستمائه درهم، و القنطار الدقيق ستمائه درهم، و الخبز و قيتين إلا ربع بدرهم، و عدمت الأقوات، و بيع العقار بالدقيق، و أكلت الميته و الجيف، و الدم و القطط، و الكلاب، و مات الناس على الطرق، و نتنت الدنيا، فكان الإنسان إذا مر بالجبان، و شم روائح الناس مرض و مات، و ضجر الناس من التغسيل و التكفين، و كانوا يحفرون الآبار، و يرمون الناس بعضهم على بعض، و مع هذا فكانت الخمور دائره، و الفسق ظاهرا، و المكوس بحالها.

فصل و فيها ولى معين الدين ابن الشيخ صدر الدين ابن سنى الدوله القضاء بدمشق.

و فيها تقدمت من مصر إلى قاسيون، و مرضت فخرجت إلى العراق فى السنه الآتيه، فقدمت بغداد فى رمضان.

و فيها وصلت الكرجيه بنت إيوانى زوجه الملک الأشرف التى أخذها الخوارزمى إلى خلاط، و معها منشور خاقان بأخلاط و أعمالها، و راسلت

شهاب الدين غازى تقول: أنا كنت زوجه أخيک الملک الأشرف، و خاقان أقطعنى خلاط، فإن تزوجت بى فالبلاد لک، فما أجابها، فأقامت بخلاط و أعمالها، و راسلت شهاب الدين غازى تقول: أنا أتوجه إلى ميافارقين فسكت عنها.

فصل و فيها بعث الصالح نجم الدين أيوب حسام الدين بهرام بن الخضر ليحضر المعظم توران شاه إلى مصر

، و بعث بدر الدين لؤلؤ إلى المعظم الخيام و المماليک و الخيل، و كذا فعل شهاب الدين غازى كذلک، و كتب أيوب إلى ولده مع ابن بهرام: الولد يقدم خيره الله، و يصل إلى بالس، فقد اتفقنا نحن مع الحلبيين، و قد ذكروا أنهم يجردون ألف فارس فى خدمتک، و اعبر بلد ماردين ليلا، فما نحن و إياهم متفقين، فلما قرأ الكتاب كره ذلک، و ما كان يؤثر الخروج من الحصن، و قال لابن بهرام:

يكون الانسان مالک رأسه يصبح مملوكا عليه، و لم يجبه.

و حكى لى حسام الدين بن أبى على أن الصالح أيوب كان يكره مجى ء ابنه المعظم إليه، و كنا إذا قلنا له: أنفذ أحضره ينفض يده و يغضب و يقول أجيبه و اقتله؟.

فصل و فيها أخرج الصالح أيوب فخر الدين ابن شيخ الشيوخ من الحبس

، بعد أن لاقى شدااائد من الضيق و الضرب، و لقد بلغنى أن القمل ما كان يمكنه من النوم، و فرج الله عنه، و أقام فى الحبس ثلاث سنين و قصته مشهوره.

و فيها بعث الخليفه خلع السلطنه إلى الصالح أيوب مع عبد الرحمن ابن خالى محيى الدين، و هى: عمامه سوداء، و فرجيه مذهبه، و ترس ذهب، و سنان محلاه، و غلامان، و طوق ذهب، و حصان بسرج و لجام،

و خلع لأصحابه، و لما علم الصالح أيوب أن إسماعيل قد اتفق مع الخوارزميه شرع يقطع عنه الملک المنصور صاحب حمص، و يستجلبه و يمنيه فأجابه .....

و فيها توفى معين الدين ابن شيخ الشيوخ وزير الصالح أيوب و اسمه الحسن بن صدر الدين محمد بن عمر بن حمويه أبو على الذى حصر دمشق، و كانت وفاته ليله الأحد الثانى و العشرين من شهر رمضان بمرض الإسهال، و الدم، و نزع يوما و ليله، و توفى عن ست و خمسين سنه، و صلى عليه بجامع دمشق، و دفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين، فكان بين بلوغ أمنيته، و حلول منيته أربعه أشهر، و خمسه عشر يوما.

و فيها توفى الفلک ابن المسيرى بمصر، رحمه الله تعالى.

فصل و فيها توفيت ربيعه خاتون بنت أيوب أخت صلاح الدين

و العادل، قد تزوجها أولا سعد الدين مسعود بن معين الدين، و كان صلاح الدين قد تزوج أخت معين الدين، ثم مات سعد الدين مسعود، فزوجها صلاح الدين من مظفر الدين بن زين الدين فأقامت بإربل، ثم قدمت دمشق، و خدمتها أمه اللطيف العالمه بنت الناصح بن الحنبلى، و أقامت فى خدمتها مده، فحصل لها منها أموال عظيمه، و بنت للحنابله بقاسيون مدرسه، و أوقفت عليها الأوقاف، و توفيت ربيعه خاتون بدمشق بدار العقيقى و دفنت بقاسيون، و قد جاوزت ثمانين سنه لأن أباها أيوب مات فى سنه ثمان و ستين و خمسمائه، و توفيت هى فى هذه السنه بينهما ست و سبعون سنه، و كان لربيعه خاتون محارم كثيره، و قد ذكرناهم فى ترجمه أختها ست الشام.

و أما أمه اللطيف المدعوه لطيفه بنت الحنبلى، فإنها لاقت بعد ربيعه خاتون الشدائد و الأهوال من الحبس و المصادره، و أخذ المال و أقامت

محبوسه ثلاث سنين بقلعه دمشق، و دخلت مع نواب الصالح فى قضيتها و بالغت فى أمرها، و أطلقت من الحبس و تزوجت بابن صاحب حمص الملک الأشرف، و سافر بها إلى الرحبه و تل باشر، فتوفيت فى سنه ثلاث و خمسين و ستمائه، غريبه من الأهل و العشائر و ظهر لها بدمشق من المال و الذخائر و اليواقيت و الجواهر ما يساوى ستمائه ألف درهم على ما قيل، غير الأوقاف و الأملاک، فإن الدنيا تكون عاقبتها الهلاک، و مع هذا فكانت فاضله صالحه دينه عفيفه، و لها تصانيف و مجموعات و تآليف.

فصل و فيها توفى أمين الدين الحلبى الكاتب

، و اسمه عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن، أبو الفضل كان كاتبا لعز الدين أيبک، و كان فاضلا بارعا دينا صالحا، حسن الخط، ذا مروءه و فضائل جمه، و له تصانيف كثيره و أنشدنى لما نزل الفرنج على الطور فى سنه أربع عشره و ستمائه:

قل للخليفه لا زالت عساكره لها إلى النصر إصدار و إيراد

إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوالا تغفلن فإن الطور بغداد

السنه الرابعه و الأربعون و ستمائه

اشاره

و فى رابع المحرم كسر الخوارزميه على بحيره حمص لما بعث الصالح أيوب الملک المنصور إليه و اقتطعه عن الصالح إسماعيل، كتب إلى الحلبيين يقول: هؤلاء الخوارزميه قد أخربوا البلاد، و المصلحه أن نتفق عليهم، فأجابوه، و خرج شمس الدين لؤلؤ بالعساكر من حلب، و صاحب حمص بالعرب و التركمان، و خرج إليهم عسكر دمشق، و اجتمعوا كلهم على حمص، و اتفق الصالح إسماعيل و الخوارزميه، و الملک إسماعيل، و الملک الناصر، و عز الدين أيبک، و اجتمعوا على مرج صفر، و لم ينزل الناصر من الكرک، و إنما بعث عساكره، و بلغهم أن صاحب حمص يريد قصدهم، فقال بركه خان: دمشق لا تفوتنا،

و المصلحه أن نسير إليهم، فساروا و التقوا على بحيره حمص يوم الجمعه سابع محرم، أو فى ثامنه، فكانت الدبره عليهم، فقتل بركه خان، و هرب إسماعيل، و عز الدين أيبک، و من سلم من العسكر عرايا جياعا، و قد نهبت أموالهم، و وصلوا إلى حوران و ساق صاحب حمص إلى بعلبک، و أخذ الربض، و سلمه إلى ناصر الدين القيمرى، و جمال الدين هارون، و عاد إلى حمص، و ودع الحلبيين، و ساروا إلى حلب، و جاء الملک المنصور إلى دمشق فى خدمه الصالح أيوب، فنزل ببستان سامه، و مضت طائفه من الخوارزميه إلى البلقاء، و نزل إليهم الملک الناصر من الكرک، و صاهرهم، و استخدمهم و أطلع عائلتهم إلى الصلت، و كذا فعل عز الدين، و ساروا، و نزلوا نابلس، و استولوا عليها، و مرض صاحب حمص بدمشق، فتوفى بالنيرب، و حمل إلى حمص.

و جهز الصالح أيوب فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر إلى الشام، فلما وصل غزه عاد من كان بنابلس من الخوارزميه إلى الصلت، فقصدهم ابن الشيخ، و قاتلهم فكسرهم، و بدد شملهم و كان الناصر معهم، فعاد إلى الكرک، و تبعه الخوارزميه فلم يمنكهم من صعود القلعه، و لا الربض، و أحرق ابن الشيخ الصلت، و ساق فنزل على الكرک، و طلع عز الدين و كان مع الناصر إلى صرخد، فتحصن بها و كان كسره ابن الشيخ للخوارزميه على الصلت سابع عشر ربيع الآخر فى هذه السنه، و نزل ابن الشيخ على وادى الكرک، و قابل الناصر، و كتب إليه الناصر يقول:

غدور على قيس لخفر جواره لأمنع عرضى إن عرضى ممنع

و كان عبد الناصر صبى أمرد مستحسن من الخوارزميه، يقال له طاش بورک بن خان، فطلبه ابن الشيخ، فقال الناصر: هذا صوته طيب قد أخذته ليقرأ عندى القرآن، فكتب إليه ابن الشيخ كتابا غليظا شنيعا، و ذكر غدره و إيمانه و خبثه و أنشده:

لأبذل عرضی إن عرضی مقطع..... .....

و قال: لابد من الصبی الخوارزمی، فبعث به إلیه و کان ابن الشیخ قد قال: أنا أبعث لک بشیخ أعمی یقرأ أطیب منه، فقال: ما أرید، و کان حسام الدین بن أبی علی بدمشق، فسار إلی بعلبک، فتسلم قلعتها باتفاق من الشاماتی مملوک إسماعیل، و کان حاکما علیها، و بعث أولاد إسماعیل و عیاله إلی مصر، و تسلم نواب أیوب الصالح بصری، و کان بها الشهاب غازی والیا، فأعطوه حرستان القنطره.

فصل و فی رمضان قدمنا بغداد و معی ابنی إبراهیم و مملوکی بلبان

، و سالم فأنزلنا خالی أبو محمد فی داره بدار الخلیفه، و خدمنا غیر أن ماربحناه فی سوره یوسف، خسرناه فی سوره النور، و جری لنا عجائب، و ما زلت مع وزیر الخلیفه أدام الله تعالی سعده حتی خرجنا من بغداد فی صفر سنه خمس و أربعین و ستمائه و وصلنا إلی حلب، و توفی ابنی إبراهیم فی ربیع الآخر، و نقلته إلی قاسیون فی هذه السنه، فدفنته بالتربه عند أمه، و أخته.

و فی ربیع الآخر لما کنا بحلب قدمها الصالح إسماعیل فی طائفه من الخوارزمیه منهم: کشلو خان، و کانوا هاربین من الصالح أیوب، و لم یبق لإسماعیل فی الشام مکان یأوی إلیه، فتلقاهم الملک الناصر صاحب حلب، و أنزل الصالح فی دار جمال الدوله الخادم، و قبض علی کشلو خان و الخوارزمیه، و ملأ بهم الحبوس، و بلغنی أن الناصر لما التقی إسماعیل قال شمس الدین لؤلؤ للناصر: أبصر عواقب الظلم کیف صارت.

فصل و فیها وصلت الأخبار من البحر صحبه مرکب وصل من صقلیه إلی الاسکندریه، أن البابا غضب علی الإنبروز

اشاره

، و عامل خواصه الملازمین له

على قتله، و كانوا ثلاثه، و قال: قد خرج الإنبروز عن دين النصرانيه، و مال إلى المسلمين، فاقتلوه، و خذوا بلاده لكم، و أقطع كل واحد مملكه، فأعطى واحدا صقليه، و الآخر تصقانه، و الآخر بوليه، و هذه ممالک الإنبروز، و كتب أصحاب الأخبار إلى الإنبروز بذلک فعمد إلى مملوک له فجعله مكانه على التخت، و أظهر أنه قد شرب دواء، و أرسل إلى الثلاثه فجاؤوا و المملوک نائم على التخت، فظنوه الإنبروز، و قد اختبأ الإنبروز فى مجلس معه مائه فارس، فلما دخلوا على المملوک مالوا إليه بالسكاكين، فقتلوه فخرج إليهم الإنبروز، فذبحهم بيده، و سلخهم و حشا جلودهم تبنا، و علقهم على باب القصر، و بلغ البابا، فبعث إلى قتاله جيشا، و الخلف واقع بينهم، و هذا الإنبروز هو الذى أعطاه الكامل القدس.

ذكر ألقابه

الملک الكبير، الأجل الخطير، الأعز الأثير، قيصر المعظم امبرطور المقتدر بقدره الله، المستعلى بعزته، مالک الألمانيه و الانبرديه، و صقليه، و حافظ بيت المقدس، معز إمام روميه، مالک ملوک النصرانيه، حامى الممالک الفرنجيه، قائد الجيوش الصليبيه.

فصل و فيها قبض الملک الناصر داود على عماد الدين بن موسک فى الكرک

، و احتاط على موجوده، و كان له صندوق فيه نيف و خمسين ألف درهم.

و فى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعده، قدم الصالح أيوب دمشق، فأحسن إلى أهلها، و تصدق على المدارس، و الربط و أرباب البيوت بأربعين ألف درهم، و ببعلبک بعشرين ألفا، و ببصرى بعشرين ألفا، و خلع على أعيان الدماشقه الخلع السنيه، و مضى إلى بعلبک و عاد عنها، و مشى ناصر الدين، و ابن مطروح بين الصالح، و عز الدين أيبک فى الصلح بواسطه شمس الدوله ابن العميد، و خرج الصالح من دمشق

و مضى إلى بصرى، و صعد إلى صرخد، و نزل إليه عز الدين أيبک العميد، و تسلم الصالح صرخد، و أقام عز الدين فى ميدانها أياما، و قدم دمشق فى ذى الحجه، فنزل بالنيرب، و كتب له منشورا بقرقيسيا، و المجدل، و ضياعا فى الخابور، فلم يحصل له منها شى ء، و توجه الصالح أيوب إلى مصر، و تصدق فى القدس بألفى دينار مصريه، و أمر بعماره القدس، و ذرع و كان سته آلاف ذراعا بالهاشميه، فقال: اصرفوا مغل القدس فى عمارته، و كنت لما أطلقه الناصر من الحبس، و جاء إلى القدس أخذت يده على ذلک.

فصل و فيها توفى الملک المنصور صاحب حمص، و اسمه إبراهيم بن شيركوه

، و كان شجاعا مقداما، و كان موافقا للصالح إسماعيل، و مصاهرا له، ثم ألفته عنه الصالح أيوب، و قدم دمشق فنزل بستان سامه.

و حدثنى جماعه من الدماشقه أنه عامل على دمشق، و لو عاش أياما لأخذها، فمرض و حمل إلى النيرب، فنزل ببستان الأشرف، فتوفى به يوم الأربعاء حادى عشر صفر، و حمل فى تابوت إلى حمص، فكانت ولايته بعد وفاه أبيه عشر سنين، و أخذت منه كما نذكر.

و فيها توفى بركه خان الخوارزمى، أحد الخانات الأربعه، و كان أصلحهم فى الميل إلى الخير، و الرفق بالناس، و كان الصالح أيوب قد صاهره و أحسن إليه، و جرى منه عليه ما جرى، و لما قتل انحل نظام الخوارزميه، و أمنت البلاد و العباد.

حكى لى شمس الدين لؤلؤ لما أخذوا دمشق فى سنه ثمان و أربعين و ستمائه، و كان يزورنى، زارنى يوما، فحكى حديث بركه خان، قال: لما التقينا على حمص رأيتهم خلقا عظيما، نحن بالنسبه إليهم كالشامه السوداء فى الثور الأبيض، فقال لى غلمانى: أيما أحب إليک نأخذ بركه

خان أسيرا، أو نحمل رأسه إليک؟ قال: فقلت: رأسه کأن الله أنطقنى، و التقينا فلما کان بعد ساعه، و إذا بواحد من أصحابنا يحمل رأسا مليح الصوره، و ليس فى وجهه سوى شعرات يسيره، و لم يعرفه و لا نحن، و انهزموا، و جى ء بطائفه منهم أسارى، فلما رأوا الرأس، رموا نفوسهم، و بکوا فعلمنا حينئذ أنه رأسه، فبعثنا به إلى حلب .....

و فيها توفى عماد الدين بن داود بن موسک، و کان ابن الشيخ فخر الدين قد شفع فيه إلى الملک الناصر، فأخرجه من الحبس، و کان قد خرج فى حلقه خراج عظيم، فبط بغير اختياره، و حشى الدواء الهالک فمات بالکرک، و حمل إلى مساجد جعفر بن أبى طالب، فدفن هناک رحمه الله عليه، لأنه کان جمع بين الأصاله و الجلاله، و الفتوه، و المروءه الزائده، و العصبيه، و النفس الطاهره، فکم أغاث ملهوفا، و کم أعان مکروبا، و کان الناصر اتهمه بالرواح إلى مصر، و و الله قد برأک الله من الغدر و الخيانه يا عماد الدين کما برئت عائشه أم المؤمنين، و أقول:

هيهات أن يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

و ختم الله أعماله بأن مات فقيرا مثل بعض فقراء المسلمين.

و مات الرکن الهيجاوى فى مصر فى الحبس، و کان قد قفز إلى دمشق من غير عاده، و کان الصالح أيوب قد أحسن إليه، و قدمه على العساکر و الحمد لله.

السنه الخامسه و الأربعون و ستمائه

اشاره

و فيها تسلم نواب الصالح أيوب قلعه الصبيبه من نواب الملک العزيز، و أقطعه بمصر اقطاعا، و أعطاه مائه ألف درهم، و خمسمائه قطعه قماش، و خبزا لمائه و خمسين فارسا، و نازل فخر الدين ابن الشيخ طبريه ففتحها عنوه، و حاصر عسقلان، و قد قاتل عليها قتالا عظيما، و فتحها فى جمادى الآخره و تسلم نواب الصالح شميميس من ابن صاحب

حمص فحصنها، و بعث إليها الخزائن، و نزل عسكر حلب على حمص، و أخذها فى السنه الآتيه.

و فيها فوض إلىّ الأمير عز الدين أيبک النظر فى أوقافه، و مدارسه و أبواب البر على كره منى، و حياء منه.

و فيها قدم تاج الدين ابن مهاجر من مصر إلى دمشق، و معه المبارز نسيبه، و معهما تذكره فيها أسامى جماعه من الدماشقه، بأن يحملوا إلى مصر، فحملوا و هم: القاضى محيى الدين ابن الزكى، و ابن الحصيرى، و ابن العماد الكاتب، و بنو صصرى الأربعه، و شرف الدين ابن المعتمد، و ابن الخطيب العقربانى، و التاج الاسكندرانى الملقب بالشحرور، و أبو الشامات مملوک إسماعيل، و ابن الهادى المحتسب، و أخرج العماد ابن خطيب بيت الأبار من جامع دمشق إلى بيت الأبار، و ولى العماد ابن الحرستانى القاضى الخطابه بجامع دمشق فى رجب، و سبب حمل الجماعه المذكورين إلى مصر أنه نقل إلى الصالح أيوب أنهم خواص الملک الصالح إسماعيل، فخاف أن يجرى ما جرى فى النوبه الأولى من أخذ دمشق، و لما وصلوا إلى مصر أقاموا بحسب اختيارهم، غير ابن الهادى المحتسب، و عاد الباقون بعد وفاه أيوب إلى دمشق.

و فى ثالث عشرين ذى القعده اعتقل عز الدين أيبک فى دار فرخشاه بتواطى ء من ابن مطروح و غيره وضعوا مترجما جاء له من حلب من عند إسماعيل، و أعانه عليه قوم آخرون، فكتبوا إلى الصالح أيوب و أخبروه، فأمر أن يحمل إلى القاهره تحت الحوطه، فأنزل فى دار صواب فاعتقل فيها.

و بلغنى أن ابنه قال لأيوب: إن أموال أبى بعث بها إلى الحلبيين، و أول ما نزل بها من صرخد كانت ثمانين خرجا، فأودعها عند فلان- عنى- قال: و بلغ عز الدين اجتماعه بأيوب، فمرض و وقع إلى

الأرض و قال: هذا آخر عهدى، و لم يتكلم بعدها حتى مات بباب النصر فياليته عاش حتى رأى فى أعدائه العبر.

و أما ابن مطروح فرأى الذل و الهوان، و لعب به القدر، و لم يمت حتى ذهب منه البصر، و أما غيره فانتثر لحمه عن عظامه، و ارتحل بآثامه، و لما سعى إبراهيم بعز الدين سعى بحاشيته، و قال: عندهم أمواله مثل:

البرهان كاتبه، و ابن الموصلى صاحب ديوانه، و البدر الخادم، و مسرور، و غيرهم فأمر أيوب بحملهم إلى مصر، فأما البرهان فإنه من خوفه يوم أخرج ليتوجه إلى مصر فمات بمسجد النارنج و الباقون فحملوا إلى مصر، و لم يظهر عليهم مما قيل درهم واحد، و رجعوا إلى دمشق بعد وفاه أيوب، و قد لاقوا الشدائد، و ختم للأمير عز الدين بالشهاده كما عاش فى دنياه تحت تلك السعاده، و كنت قد عزمت على نقله إلى دمشق، و دفنه فى تربته فأتاح الله بعض مماليكه فحملناه فى تابوت، و دفناه فى قبته بين العلماء و الفقهاء، و المحدثين، و الفقراء، و أعطاه الله فى آخرته ما كان يتمنى فى دنياه، و أناله أرفع الدرجات، و الأعمال بالنيات، و لقد كان كثير الصدقات، عظيم الصلات، اشتراه المعظم فى سنه سبع و ستمائه، و نحن على الطور، و فوض إليه استاذ داريته، و ظهر منه من العقل و السداد ما أوجب تقديمه على الأولاد، و أعطاه قلعه صرخد، و أقام بها يضاهى الملوک، و لا فرق عنده بين الغنى و الصعلوک، و قيل إنه مات فى سنه سبع و أربعين و ستمائه، السنه التى مات فيها أيوب رحمه الله عليهما.

فصل و فيها توفى شهاب الدين غازى

، و قد ذكرناه فى عده أماكن، و كان شجاعا، شهما، جوادا، اجتمعت به فى الرها سنه اثنتى عشره و ستمائه، و أنا قاصد إلى خلاط، فحضر مجلسى بجامع الرها، و كان يوما مشهودا، و أحسن إلىّ و خدمنى، و كان حفظه لطيفا، ينشد الأشعار، و يحكى الحكايات، و قد ذكرنا حجه على العراق، حكى عنه سعد الدين مسعود بن

تاج الدين شيخ الشيوخ قال: قطع الكامل الفرات فى سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه بعسكر لم يجمع لصلاح الدين مثله، قال: فدخلت يوما عليه، و عنده الملک الناصر داود، فقال: تروح تروح تخرب حصن منصور، قال:

ما يحل لى أن أقاتل المسلمين، و أنهبهم، أنفذ غيرى فاغتاظ، فقال: و الله إن شربنا الخمر، و فسقنا أجود من زهدک، و ذكرتک مثل ما رحت خلصت نهب الفرادى من أصحابنا، و تزهدت علينا، و لو وقع لک ظلم ظلمت، و هذا الآخر- يعنى الناصر- يوافقک فى الخساف، قال فقمت و خرجت، فلحقنى الصلاح الإربلى، و قال: قال لک السلطان: تروح إلى حصن منصور، نحن نبعث غيرک، قال: فقلت له و الله ما أروح و لو رسمت علىّ، فلا حاجه إلى قولک .....

السنه السادسه و الأربعون و ستمائه

و فيها قايض الأشرف موسى صاحب حمص، تل باشر بحمص، مع الملک الناصر يوسف بن الملک العزيز صاحب حلب، و خرج الصالح أيوب من مصر إلى دمشق، و جهز العساكر مع فخر الدين ابن الشيخ إلى حمص، و سخر الفلاحين لحمل المناجيق إلى حمص، و كانوا يحملون عودا عشرون درهما إلى حمص، فيغرم عليه ألف درهم، فخرب الشام، و هرب أهله، و نصبوا المناجيق على حمص، و خرج عسكر حلب إلى لقائهم على حمص، و كان الشيخ نجم الدين الباذرائى بالشام، فدخل بين الفريقين ورد الحلبيين إلى حلب و الدمشقيين إلى دمشق، و عاد الصالح أيوب إلى مصر مريضا فى محفه ....

و فيها قتل نور الدين ابن رسول صاحب اليمن قتله مماليكه.

فصل و فيها توفى الصلاح يوسف بن الشهاب

، كان خيرا فاضلا يحب الفقراء، و يخدم المشايخ، و يمشى فى حوائج الناس، و يشترى الأسارى،

و كان الصالح أيوب قد حبسه فى مصر، فخلصته من يده بعد اللتيا و التى، و جعلت خلاصه من الصالح ضيافتى و فائدتى، و كان فطنا يقول الشعر و قد رثى العماد الحنبلى.

فصل و فيها توفى أبو بكر، الملقب بالعادل بن الكامل

، أخو الصالح نجم الدين أيوب، ذكر سعد الدين مسعود بن تاج الدين شيخ الشيخ بن حمويه و قال: و فى خامس شوال سنه ست و أربعين و ستمائه جهز الصالح أخاه أبا بكر العادل، و نفاه إلى الشوبک، و بعث إليه الخادم محسن، فدخل عليه الحبس، و قال:

السلطان يقول: لابد من رواحک إلى الشوبک، فقال: إن أردتم تقتلونى فى الشوبک فها هنا أولى، و لا أروح أبدا، فعذله محسن فرماه بدواه كانت عنده، فخرج و عرف الصالح أيوب، فقال: دبر أمره، فأخذ ثلاثه مماليک و دخلوا عليه ليله الإثنين ثانى عشر شوال فخنقوه بشاش علمه و علقوه به، و أظهروا أنه خنق نفسه، و أخرجوا جنازته مثل بعض الغرباء، و لم يتجاسر أحد أن يترحم عليه، أو يبكى حول نعشه، و دفن بتربه شمس الدوله.

قلت: سبحان الله الحكم العدل الذى لا يحيف فى قضائه، و لا يحكم عليه أحد فى أمر قضائه، و إمضائه فإنه لم تطل مده أيوب لأنه توفى فى نصف شعبان سنه سبع و أربعين و ستمائه، و قتل أخوه فى شوال سنه ست و أربعين و ستمائه، بينهما عشره أشهر، رأى بنفسه فيها العبر، و لا نفعه الإحتراز و الحذر، و بعد أن أذاقه كؤوس حتوفه، قتل مماليكه ولده تورانشاه بسيوفه انتهى، و الحمد لله وحده و صلى على أشرف خلقه محمد و آله و صحبه و سلم.

السنه السابعه و الأربعون و ستمائه

اشاره

و فيها توجه الصالح أيوب من دمشق إلى مصر فى المحفه مريضا

مدنفا، فى رابع المحرم، و نادى فى الناس: من كان له عندنا شى ء فليحضر و يأخذ الذى له، فطلع الناس إلى قلعته، و أخذوا ما كان لهم.

و حدثنى من شهد الواقعه، بينما الصالح فى مرج صفر فى محفه، استغاث إليه رجل على المخلص المغيثى، و قال: اشترى منى غنما و لم يعطنى شيئا، قال: و مسكه من بغلته فنكسه و أخذ البغله فباعها بسبعمائه درهم، و استوفى ماله من ذلک.

و فيها حمل عز الدين أيبک المعظمى إلى القاهره تحت الحوطه و قيل فى سنه ست و أربعين و ستمائه، و فيها احترقت المئذنه الشرقيه بجامع دمشق، و راح للفقراء و المشائخ بها ودائع و صناديق و أموال كثيره، و كتبوا إلى الصالح أيوب فأمر بعمارتها.

و فيها توجه الملک الناصر داود من الكرک إلى حلب، و ورد كتاب الصالح أيوب إلى جمال الدين ابن يغمور بخراب دار سامه و قطع شجر بستان القصر فتوقف ابن يغمور، فجاءته كتب، فأخرب الدار، و القصر و قلع الشجر.

و فيها مضى حسن بن الناصر من الكرک إلى مصر، و سلم الكرک إلى الصالح أيوب فى جمادى الآخره، و أعطاهم مالا، و أخرج منه عيال المعظم، و أولاده و بناته و أم الناصر، و جميع ما كان فيه، و بعث إليه ألف ألف دينار، و جواهر و ذخائر و أسلحه و شيئا كثيرا.

و فيها تقحمت الفرنج دمياط فى ربيع الأول، و كان فيها فخر الدين ابن الشيخ، و العساكر فخرجوا منها، و خرج أهلها، و كان الصالح على المنصوره، فشنق من أعيان أهلها ستين نفسا، و هرب الباقون خوفا أن يجرى عليهم ما جرى فى النوبه الأولى، و لما أمر بشنقهم قالوا: ما ذنبنا إذا كان عساكره و أمراؤه هربوا، و أحرقوا الزردخانه، فأيش نعمل نحن؟

قال: و كان فى الذين خنقوا رجل كنانى محتشم، و له ولد من أحسن

الناس صوره، فقال أبوه: بالله اشنقونى قبله، و بلغ الصالح فقال: لا إلّا اشنقوا الابن قبله، ففعلوا و قامت على العسكر القيامه، و دعوا على أيوب، و بلغنى أن مماليكه أرادوا قتله، فقال لهم ابن الشيخ: اصبروا عليه فهو على شفا، فإن مات فقد استرحتم منه، و إلّا فهو بين أيديكم، و قتل نجم الدين ابن شيخ الإسلام، و قال الصالح أيوب لابن الشيخ و العسكر: أما قدرتم تقفوا ساعه بين الأفرنج، و لا قتل من العسكر إلّا هذا الضعيف يعنى ابن شيخ الاسلام، و كان قد قفز من الكرک إلى مصر، و أسرها الصالح فى نفسه، و لو عاش لأهلک ابن الشيخ و غيره، و لما كان هجمها الفرنج من باب، و خرج ابن الشيخ و العسكر من باب، فظنوا أنها مكيده، فتوقفوا، ثم تيقنوا عجز المسلمين، و خرج أهل دمياط حفاه عراه عطاشا جياعا، فقراء حيارى، النساء و الأطفال، و كان قد سلم لهم ما يعيشون فيه، فنهبهم فى طريق القاهره.

و فى ليله النصف من شعبان مات الصالح أيوب بالمنصوره، و كانت أم خليل عنده، و هى مدبره للأمور، فلم تغير شيئا من الدهليز بحاله، و السماط كل يوم يمد و الأمراء فى الخدمه، و هى تقول السلطان مريض ما يصل أحد إليه، و بعثوا إلى الملک المعظم تورانشاه ابن الصالح أيوب إلى حصن كيفا اقطاى مملوک الصالح أيوب، فخرج به من حصن كيفا، و سلک البريه، و خاطر بنفسه، و كاد يهلک من العطش، و وصل إلى دمشق فى آخر رمضان، و خلع على الدماشقه و أعطاهم الأموال، و أحسن إليهم، و ما سئل شيئا، فقال لا، و بلغنى أنه كان فى قلعه دمشق ثلاثمائه ألف دينار، فأخرجها و استدعى من الكرک مالا نفقه.

و فى ذى القعده كانت وقعه عظيمه على المنصوره، و وصل الفرنج إلى الدهليز، و خرج فخر الدين بن الشيخ، فقاتل فقتل، و انهزمت العساكر من بين أيديهم، ثم استحى المسلمون، فعادوا على الفرنج فقتلوا منهم مقتله عظيمه، و صار المعظم تورانشاه إلى مصر بعد أن أقام بدمشق

سبعه و عشرين يوما، و قيل دخلها فى العشرين من رمضان، و خرج منها فى سابع عشر شوال، إلّا أنه ما وصل إلى مصر إلّا فى آخر السنه، و كان فى عزمه الفتک بابن الشيخ، لأنه بلغه أنه يريد الملک، و الناس كلهم يريدونه، فاستشهد و استراح رحمه الله تعالى عليه.

فصل و فيها توفى الملک الصالح أيوب بن محمد الكامل

ولد فى سنه ثلاث و ستمائه بالقاهره و نشأ بها، و لقبه نجم الدين، استخلفه أبوه بها لما نزل إلى الشرق، فأقام مع صواب لا أمر له و لا نهى، ثم أعطاه حصن كيفا، و جرى له ما ذكرناه، و لما ملک مصر اجتهد فى خلاص ولده المغيث فلم يقدر، و كان مهيبا معظما جبارا، أباد الأشرفيه، و غيرهم و قد حكى لى جماعه من أمرائه قالوا: و الله ما نقعد على بابه إلّا و نحن نقول: من هاهنا نحمل إلى الجبان، و كان إذا حبس انسانا نسيه لا يتجاسر أحد أن يخاطبه فيه، و بنى قبابا فى تنيس للحبس، و كان يحلف أنه ما قتل بغير حق، و هذه مكابره ظاهره، فإن خواص أصحابه حكوا أنه لم يكن أحصى من قتل من الأشرفيه و غيرهم، و لو لم يكن إلّا قتل العادل أخيه، و كانت أم خليل عتيقه أيوب تكتب خطا يشبه خطه، فكانت تعلم على التواقيع، و كان فسد مخرجه، و امتد إلى فخذه اليمنى، و رجله، و نحل جسمه، و عملت له محفه يركب فيها، و كان يتجلد، و لا يطلع أحد على حاله، ثم حمل تابوته إلى الجزيره فعلق بسلاسل حتى قبر فى تربته إلى جانب مدرسته بالقاهره، و قد ذكرنا واقعاته فى السنين إلى أن توفى فى ليله النصف من شعبان، و أخفى موته على ما ذكرنا.

فصل و فيها توفى فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ

، كان عاقلا جوادا، مدبرا خليقا بالملک، محبوبا إلى الناس، و لما توفى الصالح ندب إلى الملک

و امتنع، و لو أجاب ما خالفوه، و كان لما قدم دمشق حضر إلى عندى، و سألنى الجلوس، فجلست بجامع دمشق، و كان ساكنا فى دار سامه فدخل عليه العماد بن النحاس و قال له: يا فخر الدين إلى كم، ما بقى بعد هذا اليوم شى ء؟ فقال: يا عماد الدين و الله لأسبقنک إلى الجنه، فكان كما قال استشهد فخر الدين فى سنه سبع و أربعين و ستمائه، و توفى العماد عبد الله بن النحاس فى صفر سنه أربع و خمسين و ستمائه، بينهما ثمانى سنين.

و لما مات أيوب، قام فخر الدين بن الشيخ بأمر الملک، و أحسن إلى الناس، و بعث جماعه إلى الحصن فحضروا تورانشاه، و حسد الجند فخر الدين، و عزموا على قتله، و نهبوا داره فاستدعى الأمراء و الأكابر، و قال:

أنا مالى طمع فى الملک، و إنما أحفظ بيت أستاذى حتى يجى ء ولده، و يتسلم البلاد فحلفوا و اعتذروا، و كان المتهم بذلک الخادم محسن، و جماعه و جهز جماعه من مماليک الصالح إلى دمشق لما وصلها المعظم، يستعجله فى الحضور إلى مصر، فأوهمه بعض المماليک الواصلين إليه أن فخر الدين قد حلف العسكر لنفسه، و متى وصلت قتلک، فتوقف و أنفق أموال دمشق، فى العساكر ليستميل بها عسكر مصر، و قد حلف المماليک الذين بعثهم فخر الدين إليه على قتل فخر الدين.

و اتفق مجى ء الفرنج إلى عسكر المسلمين، و عبورهم الخنادق، و البحر، و اندفاع المسلمين بين أيديهم، و كان اليوم العظيم، فركب فخر الدين وقت السحر ليكشف الخبر، و أنفذ إلى الحلقه، و الأمراء، ليركبوا، و ساق جريده، و معه بعض مماليكه و أجناده، فالتقى طلب الداويه مصادفه، فحملوا عليه، فهرب من كان معه، فطعنوه فى جنبه، فوقع عن فرسه، و ضربوه فى وجهه بالسيف عرضا و طولا ضربتين فقتلوه، و جاء مماليكه إلى داره، فكسروا صناديقه، و نهبوا أكثر ما فيها، و نهبت أمواله و خيله و أخذ الجولانى قدور حمامه، و الدمياطى أخذ أبواب داره، و ما نفعه تربيه مماليكه و إحسانه إليهم، و كان قبل ذلک بأيام قد رأى والدته فى المنام و هى تقول له: قد

أوحشتنى، و حملته على كتفها، فاستشعر فقتل بعد ذلک بأيام، ثم مر به من المعركه بقميص واحد، و جعل فى حراقه إلى القاهره، و خربت داره كأنها لم تكن بالأمس، أخربها الأمراء الذين كانوا يركبون كل يوم إلى خدمته، و يقفون على بابه، و هم أكثر من سبعين أميرا كانوا يتمنون أن ينظر إلى أحد منهم نظره، أخربوا داره بأيديهم، و حمل على الأصابع، و بكى عليه الناس، و عمل له العزاء العظيم، و كان له يوم مات ست و ثلاثون سنه، و لما وصل تورانشاه إلى العسكر أخذ مماليک فخر الدين الصغار، و بعض قماشه بنصف القيمه، و لم يعطهم درهما و لا عوض الورثه شيئا، و كان الثمن خمسه عشر ألف دينار، و كان إذا جلس جعل حسنات فخر الدين سيئات يقول: أطلق الكتان، و السكر، و أنفق الأموال، و أطلق المحابيس، فأيش ترک لى أنا، فكان حفظه للملک و سياسته العسكر، و مقاتلته للأعداء من أكبر ذنوبه ...

السنه الثامنه و الأربعون و ستمائه

فصل و فى أول ليله منها كان المصاف بين الفرنج و المسلمين على المنصوره،

بعد مجى ء الملک تورانشاه إلى الخبيث الأفرنسيس، و قتل من الفرنج مائه ألف، و وصل كتاب المعظم تورانشاه يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ(1) وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ(2) وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(3) وَ أَمَّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ(4) وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللَّهِ لا تُحْصُوها(5) نبشر

1- سوره فاطر- الآيه: 34.
2- سوره آل عمران- الآيه: 126.
3- سوره الروم- الآيتان: 4- 5.
4- سوره الضحى- الآيه: 11.
5- سوره النحل- الآيه: 18.

المجلس السامى الجمالى، بل نبشر الاسلام كافه بما منّ الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه قد كان استفحل أمره، و استحكم شره، و أيس العباد من الأهل و الأولاد فنودوا لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ(1) الآيه و لما كان يوم الأربعاء مستهل السنه المبارکه تمم الله على الإسلام بركتها فتحنا الخزائن، و بذلنا الأموال، و فرقنا السلاح، و جمعنا العربان و المطاوعه، و اجتمع خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله تعالى، و جاؤوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(2) و من كل مكان بعيد سحيق، و لما رأى العدو ذلک أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم و بين الملک الكامل فأبينا، و لما كان فى الليل تركوا خيامهم و أثقالهم و أموالهم، و قصدوا دمياط هاربين، فسرنا فى آثارهم طالبين، و ما زال السيف يعمل فى أدبارهم عامه الليل، و قد حل بهم الخزى و الويل، فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه فى اللج، و أما الأسرى فحدث عن البحر و لا حرج، و التجأ الأفرنسيس إلى المنيه و طلب الأمان فأمناه، و أخذناه، و أكرمناه، و تسلمنا دمياط بعون الله و قوته و جلاله و عظمته». و ذكر كلاما طويلا، و فى ثامن عشرين المحرم قتل المعظم تورانشاه.

و فيها: وصل ابن الملک العزيز صاحب بانياس منهزما من مصر، نفاه تورانشاه، فلما طلع من دمشق طلع إلى عزتا، و اعتقل فيها.

و فى مستهل ربيع الآخر وصل الملک الناصر يوسف بن الملک العزيز صاحب حلب إلى قارا يريد دمشق، فأرسل جمال الدين بن يغمور و القيمريه إلى عزتا، فأنزلوا ابن الملک العزيز إلى دمشق و أسكنوه دار فرخشاه، و جاء عسكر حلب فنزل القصير، و انتقلوا إلى داريا يوم السبت سابع ربيع الآخر، و زحفوا يوم الأحد ثامن ربيع الآخر إلى باب

1- سوره يوسف- الآيه: 87.
2- سوره الحج- الآيه: 27.

الصغير، و كان مسلما إلى ناصر الدين القيمرى، و كان المجاهد إبراهيم فى القلعه، فلما وصلوا إلى البابين كسرت الأقفال من الداخل، و فتحت الأبواب، فدخلوا و نهبوا دار جمال الدين بن يغمور، و سيف الدين المشد، و عسكر مصر، و دمشق، و أخذت خيولهم من اصطبلاتهم، و أموالهم و أثاثهم من دورهم، و دخل ابن يغمور القلعه، ثم نودى بالأمان و انقضت أيام الصالح أيوب بدمشق، و كانت مملكته الأخيره خمس سنين إلّا أياما، ثم دخل الملك الناصر القلعه، و طيب قلوب الناس و لم يغير على أحد شيئا، و كان الملك الناصر داود نازلا بالعقيبه، فجاءه الملك العزيز فبات عنده تلك الليله و هرب ابن العزيز إلى الصبيبه، و كان بها خادم من خدامه قد كاتبه فوصلها ففتح له فدخلها، و تسلم الملك الناصر بعلبک من الحميدى، و بصرى و صرخد و غيرها، و فى ليله الأربعاء ثانى شعبان كان الناصر داود فى قصر القابون، و كان الملک الناصر يوسف نازلا فى المزه، و ضربوا له خيمه و اعتقلوه فيها و اختلفوا فى سبب اعتقاله على أقوال، أحدها أنه طلب الدستور إلى بغداد فأعطوه أربعين ألف درهم، فأنفقها فى الجند و عزم على قصد مصر، و الثانى أن الصالح إسماعيل جاءه كتاب من مصر، فأوقف شمس الدين لؤلؤ عليه، و أخبر حامله أنه أوصل إلى الناصر داود كتابا، فسأله فأنكر، و الثالث أن الصالح أشار إليهم بقضيته، و قال: أنتم ما تعرفوه نحن نعرفه، و أنتم على قصد مصر، و ما هو مصلحه يبقى خلفنا، و لا يكون معنا فقبضوه فأقام بالمزه معتقلا أياما، ثم بعثوا به إلى قلعه حمص، فاعتقل بها و أسكن أهله و والدته و أولاده فى خانكاه الصوفيه التى بناها شبل الدوله عند ثورا.

فصل و فيها مات جمال الدين ابن يغمور بالعباسه

اشاره

، و أحمى الحمام للملک الناصر، و هيأ له الإقامه، هذا و الملک الناصر على طلب كراع، ما عنده

خبر و هو واقف بسناجقه و قرائنه و أصحابه، و لما وقعت الهزيمه على المصريين ساق عز الدين أيبک التركمانى و أقطاى فى ثلاثمائه فارس طالبين الشام هاربين، فعثروا فى طريقهم بالشمس لؤلؤ، و الضياء القيمرى، فساق شمس الدين لؤلؤ إلى بين يدى عز الدين لؤلؤ، فبلغنى أن حسام الدين ابن أبى على قال: لا تقتله لنأخذ به الشام، فقال أقطاى:

هذا الذى نصر بمائتين قناع قد جعلنا مخانيث فضربوا عنقه، و اعترضوا طلب السلطان، فخامر بعض العزيزيه مماليک أبيه عليه، و جاء منهم جماعه إلى عز الدين و أقطاى و قالوا: إلى أين هذا السلطان، و كسروا صناديقه و نهبوا ماله، و رموه بالنشاب، فأخذه نوفل البدوى و جماعه من مماليكه و أصحابه و ساروا به إلى الشام، و قد عطف المصريون على الملک المعظم ابن صلاح الدين فأسروه بعد أن أخرجوه و أخرجوا ولده تاج الملوک، و أخذوا أخاه النصره، و الأشرف ابن صاحب حمص، و الزاهر عمه و الصالح إسماعيل، و أعيان الحلبيين، و مات تاج الملوک بن المعظم من جراحه كانت به، فحمل إلى القدس فمات به، و ضرب الشريف المرتضى فى وجهه بالسيف ضربه هائله عرضا، و أرادوا قتله، فقال: أنا رجل شريف ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم فتركوه.

و فيها توفى تورانشاه بن الملک الصالح أيوب، و يلقب بالمعظم، قد ذكرنا مجيئه إلى الشام و ذهابه إلى مصر، و اتفق كسره الفرنج عند قدومه، و تيمن الناس بطلعته، و استبشروا بمشاهدته غير أنه بدت منه أسباب نفرت القلوب عنه، فاتفقوا على قتله، منها: أنه كان فيه نوع خفه، بلغنى أنه لما دخل دمشق كان يجلس على السماط، فإذا سمع فقيها يذكر مسأله و هو بعيد يصيح هو: لا نسلم، و فيها أنه احتجب عن الناس أكثر من أبيه و ما ألفوا من أبيه ذلک، و كذا سمع مماليكه أبيه منه، و ما ألفوا من أبيه ذلک، و كذا مع حظايا أبيه، و كان إذا سكر يجمع الشموع و يضرب رؤوسها بالسيف فيقطعها، و يقول: كذا أفعل بالبحريه و يسمى مماليک

أبيه بأسمائهم، و قدم الأرذال، و أبعد الأماثل، و أهان مماليک أبيه الكبار، و كان قد وعد أقطاى أنه يؤمره و لم يف له، فاستوحش منه، و كانت أم خليل لما وصل إلى القدس مضت إلى القاهره فبعث يهددها و يطلب المال و الجواهر، فخافت منه و اتفقت معهم على ما قالوا.

ذكر مقتله

لما كان يوم الاثنين سابع عشرين محرم جلس على السماط، فضربه بعض المماليک البحريه بالسيف فالتقاه بيده فقطع بعض أصابعه، و قام فدخل البرج و صاح: من جرحنى؟ فقالوا: الحشيشيه، قال: لا و الله إلا البحريه، و الله لا أبقيت منهم بقيه، و استدعى المزين فخيط يده، و هو يتوعدهم فقال بعضهم لبعض: تمموه و إلّا أبادكم فدخلوا عليه فانهزم إلى أعلى البرج، فأوقدوا النيران حول البرج، و رموه بالنشاب فرمى بنفسه و هرب نحو البحر و هو يقول: ما أريد الملک دعونى أرجع إلى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعنى و يجيرنى، و العساكر كلها واقفه فما أجابه أحد، و النشاب يأخذه و كذا لما صعد إلى البرج رموه بالنشاب، فتعلق بذيل أقطاى فما أجاره فقطعوه قطعا، و بقى على جانب البحر ثلاثه أيام منتفخا ما يتجاسر أحد أن يدفعه حتى شفع فيه رسول الخليفه، فحمل إلى ذاک الجانب فدفن، و لما قتلوه دخلوا على الأفرنسيس الخيمه بالسيوف و قالوا: نريد المال، فقال: نعم فأطلقوه، و سار إلى عكا على ما اتفقوا عليه معه، و كان الذين باشروا قتله أربعه.

قال سعد الدين مسعود ابن تاج الدين شيخ الشيوخ: حكى لى رجل صادق أن أباه الملک الصالح أيوب، قال لمحسن الخادم: اذهب إلى أخى العادل إلى الحبس، و خذ معک من المماليک من يخنقه، فعرض المحسن ذلک على جميع المماليک فامتنعوا بأسرهم إلّا هؤلاء الأربعه، فإنهم مضوا معه و خنقوه، فسلطهم الله على ولده حتى قتلوه أقبح قتله، و مثلوا به أعظم مثله مثلما فعل بأخيه.

و حكى الأمير حسام الدين بن أبى على قال: كان تورانشاه متخلعا لا يصلح للملك، كان يقال للصالح نجم الدين ما تنفذ تحضره إلى هاهنا؟

فيقول: دعونى من هذا، فالححنا عليه يوما فقال: أجيبه إلى هاهنا أقتله.

و حكى العماد بن درباس قال: رأى جماعه من أصحابنا الملك الصالح أيوب فى المنام و هو يقول:

قتلوه شر قتلهصار للعالم مثله

و لم يراعوا فيه إلّالا و لا من كان قبله

ستراهم عن قليل لأقل الناس أكله

كانوا قد جمعوا فى قتله ثلاثه: السيف، و النار، و الماء، فإنهم قتلوه و قد إلتجأ إلى البحر، و خطب لأم خليل على المنابر بالقاهره، و مصر.

فصل و فيها توفى شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله مقدم عسكر حلب

كان أميرا حسنا، صالحا، عابدا، زاهدا مدبرا، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و قد كان يحكى واقعات جرت له، منها قوله عن بركه خان أريد رأسه فكان كما قال، و حكى لى أنه لما كان على حمص، جاء و معه جماعه إلى البحيره، و معهم مقلى وزيت، يصيد سمكا فرموا الشبكه فلم يصعد فيها شى ء، قال: و كنت واقفا على ظهر فرسى، فقلت: نرجع بغير شى ء، و إذا بسمكه كبيره قد خرجت من الماء، و جاءت فوقفت بين يدى فرسى، و بلغنى أنه قال: أنا سجدت سجده فى حلب أخذت دمشق، و أسجد أخرى فى دمشق آخذ مصر، و من هذا الجنس شيئا كثيرا و كان يدعى ذلك كرامات، و إنما كان يخبر عن نفسه و ما به بأس أبدا، قال الله تعالى: وَ أَمَّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ (1) إلا أنه قتل قتله شنيعه، و بقى مده لا يوارى، و كان قد لج فى الدخول إلى مصر لجاجا لا يدارى، فغفر الله تعالى ذنبه فإنه لم يزل غفارا.

و فيها توفى أبو الحسن الطبيب السامرى وزير الصالح أيوب الكورانى، و هو الذى كان سببا لزوال دولته، و إخماد جمرته، و قد ذكرنا فظائعه مفرقه فى السنين، فسبحان من أراح منه المسلمين، و ما كان مسلما و لا سامريا، بل كان يتستر بالإسلام، و يبالغ فى هدم شريعه المصطفى صلى الله عليه و سلم، و بلغنى أن الشيخ إسماعيل الكورانى رحمه الله قال له يوما و قد زاره: لو بقيت على دينک كان أصلح لأنک تتمسک بدين فى الجمله، أما الآن فأنت مذبذب لا إلى هؤلاء، و لا إلى هؤلاء، و قد ذكره محمد بن سعد فى قصيدته التى ذكرناها فى سنه خمسين و ستمائه، و قد ذكرنا أنه شنق و عجل الله بروحه إلى أسفل الدركات، و ما كان شنقه علوا فى الحياه بل خفضا و لعنه فى الممات، و لقد ظهر له من الأموال و الجواهر و اليواقيت و التحف و الذخائر ما لا يوجد فى خزائن الخلفاء، و لا السلاطين، و أقاموا ينقلونه مده سنين، فبلغنى أن قيمه ما ظهر ثلاثه آلاف ألف دينار، غير الودائع التى كانت له عند أصدقائه و التجار، و وجد له عشره آلاف مجلد من الكتب النفيسه، و الخطوط المنسوبه فتمزق الجميع فى زمان يسير، و أذهبه الله تعالى فى أقل زمن، و الحمد لله وحده، و صلى على أشرف خلقه محمد، و على آله و صحبه.

السنه التاسعه و الأربعون و ستمائه

اشاره

و فيها عاد الملک الناصر صلاح الدين من غزه:، و الساحل، و نابلس، و حكم البلاد على قوانين الشريعه، و جهز الملک الناصر عسكره، جاءته النجده، و عاد التركى إلى مصر، و أقام العسكر على غزه مده سنين و شهور و ترددت الرسائل بينهم و خرجت السنه و التى بعدها على هذا.

فصل و فيها أخذ ابن العادل الكرک و الشوبک أعطاه إياهما الخادم

، و قد خرج أقطاى من القاهره فى ألف فارس فنزل غزه.

و فيها نقلوا تابوت الصالح إلى تربته بالقاهره، و لبس الأمراء ثياب العزاء، و ناحوا عليه بين القصرين، و حزنوا و بكوا، و تصدقت أم خليل بمال عظيم.

و فيها أخرب الترک دمياط، و حملوا أبوابها إلى مصر، و أخربوا الجزيره، و قيل أخلوها، و عزلوا العماد بن القطب الحموى عن قضاء مصر و أضافوها إلى القاضى بدر الدين.

و فيها تزوج بدر الدين الصالحى بأم خليل، و تسمى شجر الدر بحضور القاضى بدر الدين، و العدول .....

السنه الخمسون و ستمائه

اشاره

و فيها وصل التتر إلى الجزيره، و نهبوا ديار بكر و ميافارقين و جاؤوا إلى رأس عين، و سروج، و قتلوا زياده على عشرين ألفا صادفوا قافله خرجت من حران تقصد بغداد بين رأس عين و الجداد، فأخذوا منها أموالا عظيمه منها ستمائه ألف حمل سكر، و معمول مصر، و ستمائه ألف دينار، و قتلوا الشيوخ و العجائز، و ساقوا من النساء و الصبيان ما أرادوا، و رجعوا إلى خلاط، و قطع أهل الشرق الفرات، و خاض الناس فى القتلى من دنيسر إلى الفرات، حكى لى شخص من التجار قال: عددت على جسر بين حران و رأس عين فى مكان واحد ثلاثمائه و ثمانين قتيلا.

و حج بالناس من بغداد بعد عشرين سنه بطل الحج فيها منذ مات المستنصر إلى هذه السنه.

فصل و فيها توفى شمس الدين محمد بن سعد الكاتب المقدسى

، نشأ بقاسيون على الخير و الصلاح، و قرأ القرآن و النحو و العربيه، و سمع الحديث الكثير و برع فى علم الأدب و حسن الخط، و كتب للصالح

إسماعيل، و الناصر داود و كان دينا فاضلا شاعرا و أنشدنى قصيده، و كتبها لى بخطه لما تفاقم ظلم السامرى و نوابه، و كتب بها إلى الصالح إسماعيل، و لو كتبت بالذهب على الأحداق لكان ذلک أقل من قليل، و هى هذه الأبيات:

يا مالكا لم أجد لى من نصيحته بدا و فيها دمى أخشاه منسفكا

اسمع نصيحه من أوليته نعمافخاف كفرانها إن كف أو تركا

و الله ما امتد ملک مدّ مالكاعلى رعيته من ظلمه شبكا

ترى الحسود به مستبشرا فرحامستغربا من بوادى أمره ضحكا

وزيره ابن غزال و الرفيع به قاضى القضاه و والى حزبه ابن تكا

و ثعلب و فضيل من هما و هماأهل المشوره فيما ضاق أوضنكا

جماعه بهم الآفات قد نشرت و الشرع قد مات و الإسلام قد هلكا

ما راقبوا الله فى سرّ و فى علن و إنما يرقبون النجم و الفلكا

و إنما قلد الملک الخصيص به من همه عزله عنه و من فركا

و من عداوته أصليه و له من البطانه فيما يبتغى شركا

و الآن قد حكموا و استوثقوا تلفاو صيروک لهم فى صيدهم شركا

إن كان خيرا و رزقا و اسعافهم أو كان شرا و أمرا سيئا فلكا

فقد نصحت فقم و اقبل نصيحه من ما مان فى قوله حرفا و لا أفكا

و استدرک الأمر و استر ما جنوه بهم تلق الرشاد و إن صدوه منهمكا

فعن قريب ترى آثار فعلهم فيهم و فيک إذا ما سترهم هتكا

قلت: رحم الله قائلها فقد كان ينظر من ستر رفيع، و هذا من جمله التوفيق.

و أما ابن غزال فهو السامرى، و ثعلب و فضيل منجمان كانا قد استوليا على الصالح إسماعيل، و حسنا له فعل قبيح شنيع رذيل، فما نفعهم النجوم و أبادهم الحى القيوم، و كانت وفاته فى صفر، و دفن بقاسيون قريبا من الشيخ أبى عمر .....

فصل

السنه الحاديه و الخمسون و ستمائه

و فيها دخل نجم الدين الباذرائى بين العسكرين، و تولى اصلاح الفريقين، و كانت الحرب قد ضرست الجمعين، و خصوصا عسكر الشام، و الله تعالى يؤيد الإسلام، و يجرى أموره على أحسن نظام، و قدم الباذرائى و النظام ابن المولى القاهره، و حلفوا الملک و الأمراء و خلصوا الأمراء: المعظم، و أخاه النصره، و ابن صاحب حمص و غيرهم و بنت الأشرف، و أولاد الصالح إسماعيل .....

السنه الثانيه و الخمسون و ستمائه

و فيها اقطع الملک ايدغدى العزيزى دمياط زياده على خبزه، و نفله ثلاثين ألف دينار.

و فيها وردت الأخبار من مكه بأن نارا ظهرت فى الأرض بعدن، و بعض جبالها بحيث يطير شرارها إلى البحر فى الليل، و يصعد مثل الدخان العظيم فى النهار، فما شكوا أنها التى ذكر النبى صلى الله عليه و سلم أنها تظهر فى آخر الزمان فتاب الناس و اقلعوا عن المعاصى و عما كانوا عليه من المظالم و الفساد، و شرعوا فى فعل الخير و الصدقات ....

و فيها مات أقطاى بمصر قتله شنيعه، و كان قد طغى و بغى، و تكبر و تجبر بحيث أنه كان إذا ركب من داره بالقاهره إلى القلعه يقتل جماعه، و لا يلتفت إلى الله، و هو الذى قتل المعظم و باشره و أكب عليه، و صاهر أصحاب حماه، و احتفلوا فى جهاز العروس، و حملوها إلى دمشق فى محمل عظيم، و عجب الناس من بنت الكامل كيف سمحت لذلک العبد بالمصاهره مع عدم الكفايه فإنها كريمه الطرفين من ناحيه الأب و الأم، و لما لم يغر أحد لها غار الله، فسلط على أقطاى من قتله أقبح قتله، و مثل به أعظم مثله، و كان قد طلب من الملک القلعه ليسكن العروس فيها

فاتفق مع شجر الدر على قتله، و استدعاه فقتله بالقلعه، و هربت البحريه إلى الشام .....

السنه الثالثه و الخمسون و ستمائه

و فيها عاد الملک الناصر داود من الإسار إلى دمشق بعد أن حبسه الملک الناصر يوسف بقلعه حمص ثلاث سنين، و بعث به إلى بغداد ثم عاد فى سنه ثلاث و خمسين و ستمائه، من العراق و حج و عاد فأقام بالحله، و كان قد جرى بين الحج من العراق و أصحابه فتنه، و أصلح بينهم و الحمد لله وحده على كل حال.

السنه الرابعه و الخمسون و ستمائه

و فيها فتح الملک الناصر يوسف بن محمد مدرسته التى أنشأها بدمشق بباب الفراديس، و حضر الناصر و الأمراء و القضاه و الفقهاء، و لم يتخلف أحد غيرى، و بعث إلىّ الملک الناصر، و سألنى الحضور، فامتنعت بسبب تشويش مزاج عرض لى.

و فيها غرقت بغداد الغرق الشنيع لم يعهد مثله بحيث انتقل الخليفه إلى دار المنشاه، و دخل الماء دار الوزير، و دار الخليفه، و خرج خالي محيى الدين من دار الخليفه، و ضرب خيمه على تل عال، و جلس فيها بأهله، و غرقت خزائن الخليفه و المنابر، و جرى شى ء لم يجر مثله، و كان ذلک فى شهر ربيع الأول، و من العجائب أن الصريمى الخارج على صاحب مصر، قدم دمشق فى جمادى الآخره .....

المجلد 2

اشاره

ص: 847

ص: 848

ص: 850

[حوادث] سنه أربع و خمسين و ستمائه

[وصول عساكر هولاكو إلى أذربيجان]

... و فيها تواترت الأخبار بوصول عساكر هولاكو إلى أذربيجان قاصده بلاد الشام، فوردت قصاد الديوان العزيز على الشيخ نجم الدين الباذرائى، و هو إذ ذاک بدمشق تأمره أن يتقدم إلى الملک الناصر بمصالحه الملک المعز صاحب مصر، و أن يثنى عزمه عن قصده، و يتفق معه على قتال التتار، و أجاب إلى ذلک، و أعاد العسكر إلى دمشق بعد أن كان قد وصل إلى غزه، و أقام بها صحبه الملک المعظم توران شاه ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب، فدخل العسكر دمشق فى العشر الأول من شوال، و فى جملتهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، فأقطعه الملک الناصر مثل ما كان له بمصر من الإقطاع.

[توجه كمال الدين عمر بن العديم رسولا الى بغداد:]

و فى شوال توجه كمال الدين عمر بن العديم رسولا من الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله إلى الخليفه المستعصم بالله على البريه بتقدمه كبيره، فوصل بغداد فى الثانى و العشرين من ذى القعده، و طلب من الخليفه: خلعه لمخدومه، و كان قد قدم بغداد الأمير شمس الدين سنقر الأقرع، و هو فى الأصل من غلمان الملک المظفر شهاب الدين غازى ابن العادل، رسولا من الملک المعز صاحب مصر إلى الخليفه بسبب تعطيل الخلعه، فتحير الخليفه فيما يفعل، فأحضر الوزير مؤيد الدين بن العلقمى جمال الدين بن كمال الدين بن العديم و كان سافر مع أبيه، و ناوله سكينه كبيره من نشم، و قال له: خذ هذه علامه على أنه لا بد من الخلعه للملک الناصر فى وقت آخر.

و فيها عزل القاضى بدر الدين السنجارى عن قضاء الديار المصريه و وليها القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز.

ذكر ما تجدد للملک الناصر داود بن الملک المعظم فى السنه

كان له وديعه سنيه عند الخليفه من جواهر و غيرها، فتوقف فى ردها عليه، و شرهت نفسه إليها، و احتج بحجج لا معنى لها، و جرى فى ذلک

خطوب يطول شرحها، و كان الملک الناصر حج فی السنه الخاليه، و عاد إلی العراق بسببها فأنزل بالحله، و أجری عليه راتب لا يليق به، و لا يناسب محله، و كان الخليفه قد عمر ببغداد قصرا فلما تم هنته الشعراء، و هناه الملک الناصر بقصيده تلطف فيها، و عدد خدمه و خدم أسلافه فلم يجد ما يكافيه أن سير إليه من حاسبه علی جميع ما وصل إليه طول المده من النفقات، و ما أوصلوه إليه مفرقا، و ما ضيفوه به فی تردده و إقامته و ظعنه من خبز و لحم و عليق، و قالوا: قد وصل إليک قيمه وديعتک، فاكتب خطک بوصوله و أنه لم يبق لک عند الديوان حق و لا مطالبه، فلم يمكنه إلا الإجابه و المسارعه، فكتب و لم يصله من ثمنها إلا دون العشر، فانصرف ساخطا، و اجتمع عليه جماعه من العرب و أرادوا التوصل به إلی النهب و الفساد، فامتنع و أقام عند العرب و بلغ الملک الناصر صلاح الدين يوسف، فأهمه مقامه عندهم فأحضر الملک الظاهر شاذی أكبر أولاد الملک الناصر داود، و حلف له اليمين المغلظه أنه لا يتعرض له بأذی، فوصل شاذی إلی والده، و عرفه ذلک، فقدم دمشق و وجد الملک الناصر يوسف قد أوغر صدره عليه، فنزل بتربه والده الملک المعظم بسفح قاسيون، و شرط عليه أن لا يركب فرسا، ثم أذن له فی الركوب بشرط أنه لا يدخل البلد، و لا يركب فی موكب فاستمر الحال علی ذلک إلی آخر السنه.

فصل و فيها توفی

إبراهيم بن أنبا بن عبد الله الصوابی

، الأمير مجاهد الدين والی دمشق، وليها بعد الأمير حسام الدين بن أبی علی فی سنه أربع و أربعين و ستمائه، و كان فی بدايه سعادته أمير جاندار الملک الصالح نجم الدين، و كان أميرا جليلا فاضلا عاقلا رئيسا، كثير الصمت، مقتصدا فی إنفاقه، و كان بينه و بين الأمير حسام الدين بن أبی علی مصافاه كثيره، و موده أكيده، و لما مرض مرض موته أسند نظر الخانقاه التی عمرها علی

شرف الميدان القبلى ظاهر دمشق إلى الأمير حسام الدين المذكور، فتوقف فى قبول ذلک، ثم قبله على كره منه، و توفى مجاهد الدين رحمه الله تعالى فى أوائل هذه السنه، و قيل فى أواخر سنه ثلاث و خمسين، و دفن بالخانقاه المذكوره رحمه الله و له نظم فمنه:

اشبهک الغصن فى خصال القد و اللين و التثنى

لكن تجنيک ماحكاه الغصن يجنى و أنت تجنى

و له فى صبى اسمه مالک:

و مليح قلت: ما الاسم حبيبى قال: مالک

قلت: صف لى قدک الزاهى وصف حسن اعتدالک

قال: كالغصن و كالبدروما أشبه ذلک

[وفاه إبراهيم بن أيبک المعظمى:]

إبراهيم بن أيبک بن عبد الله مظفر الدين، كان والده الأمير عز الدين أيبک المعظمى صاحب صرخد قد اشتراه الملک المعظم عيسى بن العادل سنه سبع و ستمائه، و ترقى عنده حتى جعله أستاذ داره، فكان عنده فى المنزله العليا يؤثره على أولاده و أهله، و لم يكن له نظير فى حشمته و رياسته، و كرمه و شجاعته، و سداد رأيه، و علو همته بحيث كان يضاهى الملوک الكبار، و أقطعه الملک المعظم صرخد و قلعتها و أعمالها، و قرى كثيره أمهات غيرها، و لما توفى الملک المعظم بقى فى خدمه ولده الملک الناصر صلاح الدين داود، فلما حضر الملک الكامل كان الأمير عز الدين المذكور هو المدبر للحرب و أمور الحصار، فلما حصل الاتفاق على تسليم دمشق، كان هو المتحدث فى ذلک فاشترط للملک الناصر من البلاد و الأموال و الحواصل فوق ما أرضاه، ثم اشترط لنفسه صرخد و أعمالها و سائر أملاكه بدمشق و غيرها، و أن يسامح بما يؤخذ من المكوس على سائر ما يباع و يبتاع له من سائر الأصناف، و يفسح له فى الممنوعات،

و أن يكون له حبس فى دمشق يحبس فيه نوابه من لهم عليه حق، فأجيب إلى ذلک جميعه بعد توقف، و بقى على ذلک سائر الأيام: الأشرفيه، و الكامليه، و الصالحيه، و العماديه، و إلى أوائل الدوله الصالحيه النجميه، فحصل له وحشه من الملک الصالح نجم الدين، و كان مع الخوارزميه لما كسروا على القصب فى يوم الجمعه مستهل المحرم سنه أربع و أربعين و ستمائه، فمضى إلى صرخد و امتنع بها، ثم أخذت منه صرخد فى أواخر السنه المذكوره، و أخذ إلى الديار المصريه فاعتقل بها بدار صواب، فكان إبراهيم هذا قد مضى إلى الملک الصالح نجم الدين و وشى به، و قال:

أموال أبى قد بعث بها إلى الجبلين و أول ما نزل بها صرخد كانت ثمانين خرجا فأودعها عند الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزى، و بلغ الأمير عز الدين اجتماعه بالملک الصالح فمرض و وقع إلى الأرض، و قال: هذا آخر عهدى بالدنيا، و لم يتكلم بعدها حتى مات، و دفن ظاهر القاهره بباب النصر سنه خمس و أربعين و ستمائه، و قيل سنه سبع و أربعين، ثم نقل بعد ذلک إلى القبه التى بناها برسم دفنه فى المدرسه التى أنشأها على شرف الميدان ظاهر دمشق من جهه الشمال، و وقفها على أصحاب أبى حنيفه رحمه الله عليه، و هى من أحسن المدارس و أنضرها، و له مدرسه أخرى بالكشک داخل مدينه دمشق.

و بالجمله فكان من سادات الأمراء، كثير البر و المعروف، و إنعامه يشمل الأمراء و الأكابر و الفقراء و الصلحاء، و العوام رحمه الله و رضى عنه، فلقد كان من محاسن الدهر، ثم إن ولده هذا سعى بحاشيته مثل البرهان كاتبه، و ابن الموصلى صاحب ديوانه، و البدر الخادم و مسرور و غيره فأمر الملک الصالح نجم الدين بحملهم إلى مصر، فأما البرهان فإنه من خوفه يوم أخرج ليتوجه إلى مصر مات بمسجد النارنج، و الباقون حملوا إلى مصر و لم يظهر عليهم مما قيل درهم واحد، فرجعوا إلى دمشق بعد وفاه الملک الصالح، و قد لاقوا شدائد و أهوالا و ختم للأمير عز الدين بالشهاده رحمه الله تعالى.

و ذكر الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزى رحمه الله ما يدل على أن إبراهيم هذا ولد جاريته، و أنه تبناه و ليس بولده، و هو أخبر بذلک، و يدل عليه ما فعله به و بحاشيته و الله أعلم بذلک.

بشاره بن عبد الله أبو البدر الأرمنى الكاتب مولى شبل الدوله المعظمى، سمع من الشيخ تاج الدين أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى و غيره، و كان يكتب خطا حسنا، و توفى ليله النصف من شهر رمضان بدمشق، و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله و ذريته يدعون النظر على المدرسه و الخانقاه و التربه المنسوب ذلک إلى شبل الدوله رحمه الله تعالى.

[وفاه طغريل بن عبد الله الأمير سيف الدين:]

طغريل بن عبد الله الأمير سيف الدين أستاذ دار الملک المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه، كان من أعيان الأمراء، شجاعا، حسن التدبير و السياسه للأمور، و لما توفى الملک المظفر قام بتدبير أمور ولده الملک المنصور ناصر الدين محمد بمراجعه والدته غازيه خاتون بنت الملک الكامل ناصر الدين ابن أبى المعالى محمد بن الملک العادل، و مشاورتها فى الأمور و أخذ رأى الصاحب شرف الدين عبد العزيز محمد ابن شيخ الشيوخ، و لم يزل على ذلک، و هو أتابكه إلى أن توفى فى ثالث شوال رحمه الله ...

[وفاه يعقوب بن أبى بكر الأيوبى:]

يعقوب بن أبى بكر محمد بن أيوب بن شاذى أبو اسحاق، الملک المعز محيى الدين بن الملک العادل سيف الدين، و كان شقيق الملک المظفر شهاب الدين غازى، و له الحرمه العظيمه فى الدول و كان بخلاط لما أخذها خوارزم شاه من الملک الأشرف رحمه الله تعالى، فأخذه أسيرا، ثم أطلقه بعد ذلک، و أجاز له جماعه من الحفاظ منهم: أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسى و غيره، و حدث و توفى بدمشق فى سادس عشر ذى القعده، و دفن من يومه بقبر والده الملک العادل بمدينه دمشق رحمه الله تعالى.

قال سيف الدين مسعود بن حمويه: أنشدنى الملک المظفر نجم الدين يعقوب المذكور سنه تسع و عشرين و ستمائه:

إذا ما جرى من جفن غيرى أدمع جرت من جفونى أبحر و سيول

و والله ما ضاعت دموعى فيكم و لو أن روحى فى الدموع تسيل

[نسب الأيوبيين:]

إتفق أهل التاريخ على أن نجم الدين أيوب رحمه الله من دوين، و هى فى آخر عمل أذربيجان من جهه أرّان، و بلاد الكرج و أنهم أكراد رواديه، و الرواديه بطن من الهذبانيه، و هى قبيله كبيره، و قيل إن على باب دوين قريه يقال لها أجدا، و جميع أهلها أكراد رواديه، و مولد نجم الدين بها، و كان شاذى أخذ ولديه نجم الدين أيوب و أسد الدين شيركوه و خرج بهما إلى بغداد، و من هناک نزلوا تكريت، و مات شاذى بتكريت، و على قبره قبه داخل البلد.

و قال قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله: لقد تتبعت نسبهم كثيرا فلم أجد أحدا ذكر بعد شاذى أبا آخر، حتى أنى وقفت على كتب كثيره بأوقاف و أملاک باسم شيركوه، و أيوب فلم أر فيها سوى شيركوه بن شاذى، و أيوب بن شاذى لا غير، و رأيت مدرجا رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحوشى، و قد سمعه عليه الملک المعظم عيسى و ولده الملک الناصر داود رحمهما الله تعالى، و هو يتضمن أن أيوب بن شاذى بن مروان ابن أبى على بن عنتره بن الحسن بن على بن أحمد بن أبى على بن عبد العزيز بن هدبه بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مره بن عوف بن أسامه بن بيهس بن الحارث- صاحب الحماله- بن عوف بن أبى حارثه بن مره بن نشبه بن غيظ بن مره بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ثم رفع فى النسب إلى آدم عليه السلام، ثم ذكر أن على بن أحمد بن أبى على بن عبد العزيز يقال إنه ممدوح المتنبى و يعرف بالخراسانى، و فيه يقول من قصيده:

شرق الجو بالغبار إذا سار على بن أحمد القمقام

و أما حارثه بن عوف بن أبى حارثه، صاحب الحماله، فهو الذى حمل الدماء بين عبس و ذبيان و شاركه فى الحماله خارجه بن سنان أخو هرم بن سنان، و فيهما يقول زهير بن أبى سلمى المزنى قصائد منها قوله:

على مكثريهم حق من يعتريهم و عند المقلين السماحه و البذل

و هل ينبت الخطى إلّا و شيجه و تغرس إلا فى منابتها النخل

قلت: و قد كان المعز فتح الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شاذى ملک اليمن، ادعى نسبا فى بنى أميه، و ادعى الخلافه، و بلغ ذلک عمه الملک العادل رحمه الله، فأنكر ذلک، و قال:

ليس لهذا أصل.

و سمعت الملک الأمجد تقى الدين عباس بن العادل رحمه الله، و قد جرى ذكر نسبهم، و قول بعض الناس إنهم من بنى أميه ينكر أن يكون لهم نسب فى بنى أميه، و قال ما معناه لو كان عمى صلاح الدين رحمه الله قرشيا لولى الخلافه فإن شروطها اجتمعت فيه ما عدا النسب، و كان نجم الدين أيوب رحمه الله قد جعله عماد الدين زنكى دوادار ببعلبک لما فتحها، و فى قلعه بعلبک ولد له الملک العادل سيف الدين أبو بكر رحمه الله والد صاحب هذه الترجمه، و الله أعلم.

[وفاه سبط بن الجوزى:]

يوسف بن قز أوغلى بن عبد الله، أبو المظفر شمس الدين البغدادى الواعظ المشهور، سبط أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله، كان والده حسام الدين قز أوغلى من مماليک الوزير عون الدين يحيى بن هبيره رحمه الله، و كان عنده بمنزله الولد، فأعتقه و خطب له ابنه الحافظ جمال الدين، و كانت قد تأيمت بوفاه زوجها، فلم يمكن الشيخ جمال الدين إلا إجابه الوزير إلى ذلک، فزوجها منه فأولدها شمس الدين المذكور، فلما ترعرع اجتذبه جده إليه و أشغله، و تفقه و أسمعه الكثير عليه و على غيره، و كان أوحد زمانه فى الوعظ، حسن الإيراد ترق لرؤيته

القلوب، و تذرف لسماع كلامه العيون، و تفرّد بهذا الفن و حصل له فيه القبول التام، وفاق فيه من عاصره، و كثيرا ممن تقدمه، حتى أنه كان يتكلم فى المجلس الكلمات اليسيره المعدوده، أو ينشد البيت الواحد من الشعر، فيحصل لأهل المجلس من الخشوع و الاضطراب و البكاء مالا مزيد عليه، فيقتصر على ذلک القدر اليسير، و يترک فكانت مجالسه نزهه القلوب و الأبصار، يحضرها الصلحاء و العلماء و الملوک و الأمراء و الوزراء، و غيرهم و لا يخلو المجلس من جماعه يتوبون و يرجعون إلى الله تعالى، و فى كثير من المجالس يحضر من يسلم من أهل الذمه، فانتفع بحضور مجالسه خلق كثير، و كان الناس يبيتون ليله المجلس فى جامع دمشق، و يتسابقون على مواضع يجلسون فيها لكثره من يحضر مجالسه، و كان يجرى فيها من الطرف، و الوقائع المستحسنه، و الملح الغريبه ما لا يجرى فى مجالس غيره ممن عاصره، و تقدم عصره أيضا، و كان له الحرمه الوافره، و الوجاهه العظيمه عند الملوک و غيرهم من الأمراء و الأكابر، و لا ينقطعون عن التردد إليه، و هو يعاملهم بالفراغ منهم، و مما فى أيديهم، و ينكر عليهم فيما يبدو منهم من الأمور التى يتعين فيها الإنكار، و هم يتطفلون عليه و كان فى أول أمره حنبلى المذهب، فلما تكرر اجتماعه بالملک المعظم عيسى ابن الملک العادل رحمهما الله اجتذبه إليه، و نقله إلى مذهب أبى حنيفه رحمه الله عليه، و كان الملک المعظم شديد التغالى فى مذهب أبى حنيفه فغاظ ذلک الشيخ شمس الدين عند كثير من الناس و انتقدوه عليه.

حكى لى أن بعض الفقراء أرباب الأحوال قال له و هو على المنبر: إذا كان الرجل كبيرا ما يرجع عنه إلّا لعيب ظهر له فيه، و أى شى ء ظهر لک فى الإمام أحمد حتى رجعت عنه؟ فقال له: اسكت، فقال: أما أنا، فقد سكت، و أما أنت، فتكلم فرام الكلام فلم يستطعه و لا قدر عليه، فنزل عن المنبر، و مع ذلک كان يعظم الإمام أحمد رحمه الله عليه، و يبالغ

فی المغالاه فیه و توفیته بعض ما یستحق، و عندی أنه لم ینتقل عن مذهبه إلّا فی الصوره الظاهره و الله أعلم.

و مع هذا فکان له القبول التام من الخاص و العام من أهل الدنیا و أهل الآخره، و کان لطیف الشمائل، ظریف الحرکات، حسن المعامله لسائر الناس، محبوبا إلیهم معظما فی صدورهم، و کان عنده فضیله تامه و مشارکه فی العلوم جمه، و لو لم یکن من ذلک إلا التاریخ الذی ألفه و سماه بمرآه الزمان، و هو بخطه فی سبعه و ثلاثین مجلدا، جمع فیه أشیاء ملیحه جدا، و أودعه کثیرا من الأحادیث الشریفه النبویه صلوات الله و سلامه علی قائلها، و جمله من أخبار الصالحین، و قطعه کبیره من الأشعار المستحسنه و سلک فی جمعه مسلکا غریبا، و هو من أول الزمان إلی أوائل سنه أربع و خمسین و ستمائه، هذه السنه التی توفی فیها إلی رحمه الله تعالی، و کنت اختصرته کما ذکرت فی خطبه هذا المذیل، ثم خطر لی أن أذیل علیه، فشرعت فی تعلیق الحوادث و الوفیات حسب ما نمی إلی علمی، لاستقبال هذه السنه، و بالله التوفیق و الله المستعان.

و للشیخ شمس الدین المذکور رحمه الله تصانیف أخر مفیده، فی أنواع من علوم شتی، و مولده سنه إحدی و ثمانین و خمسمائه تقریبا، و ذکر قاضی القضاه شمس الدین أحمد بن خلکان رحمه الله عنه أنه قال:

ذکرت والدتی أن مولدی فی سنه اثنتین و ثمانین و خمسمائه، و قال لی خالی محیی الدین یوسف: أنه فی سنه احدی و ثمانین، قال: و کان مولدی فی رجب، سمع ببغداد من جده الإمام أبی الفرج و عبد المنعم بن عبد الوهاب بن کلیب، و أبی محمد عبد الله بن أحمد بن أبی المجد، و أبی حفص عمر بن محمد بن طبرزد، و الحافظ أبی محمد بن عبد العزیز بن محمود بن الأخضر، و غیرهم، و بالموصل من أبی طاهر أحمد، و أبی القاسم عبد المحسن ابنی عبد الله الطوسی و غیرهما، و بدمشق من شیخ الإسلام موفق الدین أبی محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه

المقدسى، و من العلامه أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى و غيرهما، و سمع بغير هذه البلاد من جماعه من المشايخ، و حدث بدمشق، و بالديار المصريه و غيرها، و كان أحد العلماء المشهورين، محمود الفضائل، و توفى ليله الثلاثاء ثلث الليل العشر من ذى الحجه أو الحادى و العشرين منه بمنزله بجبل الصالحيه، ظاهر دمشق، و دفن هناک، و حضر جنازته الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله سلطان الشام، إذ ذاک و سائر الأمراء و الأكابر، و غيرهم من الناس، و درس بالمدرسه الشبليه مده و بالمدرسه البدريه الحسنيه، و بالمدرسه المعزيه التى على شرف الميدان من جهه الشمال، و كان إماما عالما فاضلا منقطعا عن الناس، و التردد إليهم، متواضعا لين الكلمه لزم فى آخر عمره ركوب الحمار من منزله بالجبل إلى مدرسته، و إلى غيرها مقتصدا فى لباسه، مواظبا على المطالعه و الاشتغال و التصنيف، منصفا لأهل العلم و الفضل مباينا لأهل الزيغ و الجهل، و يأتى الملوک و أرباب الدول إلى بابه زائرين و قاصدين و متأنسين بمحادثته، و الإقتباس من فوائده، و عاش طول عمره فى جاه طويل عريض، و عيش رقيق الحواشى، جعل الله ذلک مواصلا بنعيم الآخره و سعادتها السرمديه، و ولده عز الدين كان عنده فضيله و وعظ بعده، فلم يكن بدانيه فى ذلک، و بقى سنيات يسيره ثم توفى إلى رحمه الله تعالى، و سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، و خلف ولدا صغيرا فلم يكن له من يربيه، و يقوم بأمره، فنشأ على غير طريقه سلفه، و خدم بعض ذريه الملک المعظم عيسى رحمه الله كاتبا و غيرهم، و هو إلى الآن على ذلک.

[أبو الحسن يوسف بن أبى الفوارس بن موسک]

، الأمير سيف الدين القيمرى، واقف المارستان بجبل الصالحيه و مدفنه فى القبه المقابله له من جهه الشمال، بينهما الطريق، كان أكبر الأمراء فى آخر عمره و أعظمهم مكانه، و أعلاهم همه، و جميع أمراء الأكراد من القيمريه و غيرهم يتأدبون

معه، و يقفون فى خدمته و هم بين يديه كالأتباع، مطاعا فيهم، و لم يزل على ذلک إلى أن توفى إلى رحمه الله تعالى فى ليله الإثنين ثالث شعبان من هذه السنه، أعنى سنه أربع و خمسين و ستمائه رحمه الله تعالى، و كان كثير البر و المعروف و الصدقه، و لو لم يكن له من ذلک إلا المارستان الذى ضاهى به مارستان نور الدين رحمه الله تعالى لكفاه.

حكى لى شجاع الدين محمد بن شهرى رحمه الله، ما معناه أن الأمير سيف الدين المذكور رحمه الله كان تزوج ابنه الأمير عز الدين بن المحلى رحمه الله على صداق كبير، و جهزت بجهاز كثير، و استصحبها معه إلى الديار المصريه، فتوفيت هناک من غير ولد، فلما ملک الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد رحمهما الله تعالى دمشق و الشام، حضر الأمير سيف الدين من الديار المصريه إلى خدمته، و أخذ قماش زوجته المتوفاه و جهازها و ما لها من الفضيات و المصاغ، و غير ذلک، و حمله على عشرين بغلا و وزن باقى صداقها و مائتى ألف درهم و جعلها فى صناديق، و حملها على البغال و سير الجميع إلى الأمير نور الدين على بن المحلى بحكم أنه وارثها مع زوجها، فلما وصل ذلک إلى الأمير نور الدين أنكره غايه الإنكار ورده و قال لرسوله: الأكراد ما جرت عادتهم يأخذون صداقا و لا ميراثا، فلما عاد إلى الأمير سيف الدين قال: هذا شى ء خرجت عنه و ما يعود إلى ملكى، و صرفه جميعه فى بناء المارستان، و أوقافه و تصدق به.

[أحداث] سنه خمس و خمسين و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على ما كانوا عليه فى السنه الخاليه، و فى شهر رمضان منها توجه الملک العزيز بن الملک الناصر إلى هولاكو بهديه سنيّه جليله، و كان فى خدمته الأمير سيف الدين إبراهيم الجاكى و الحافظى و غيرهما.

و فيها اشتهر أن الملک المعز صاحب مصر قد عزم على أن يتزوج ابنه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، و أنه قد تردد بينهما الرسائل فى ذلک، و بلغ زوجته شجر الدر، و كانت جاريه الملک الصالح نجم الدين أيوب و أم ولده خليل، فعظم ذلک عليها، و عزمت على الفتک به، و إقامه غيره فى الملک، فطلبت صفى الدين إبراهيم بن مرزوق، و كان مقيما بالديار المصريه، و له تقدم فى الدول، و وجاهه عند الملوک فاستشارته فى ذلک، و وعدته أن يكون الوزير الحاكم فى الدوله، فأنكر عليها ذلک و نهاها عنه، فلم تصغ إلى قوله، و طلبت مملوكها الطواشى محسن الجوجرى الصالحى و عرفته ما عزمت عليه، و وعدته الوعد الجميل إن قتله، و استدعت جماعه من الخدام الصالحيه و أطلعتهم على هذا الأمر، و اتفقت معهم عليه، فلما كان يوم الثلاثاء الثالث و العشرين من ربيع الأول، لعب الملک المعز بالكره فى ميدان اللوق إلى آخر النهار، ثم صعد إلى قلعه الجبل و الأمراء فى خدمته، و وزيره شرف الدين الفائزى، و القاضى بدر الدين السنجارى، فلما دخل القلعه و فارقه الموكب، و صار إلى داره أتى إلى حمام الدار ليغتسل فيه، فلما خلع ثيابه وثب عليه سنجر مملوک الجوجرى و الخدام فرموه إلى الأرض، و خنقوه، و طلبت شجر الدر الصفى بن مرزوق على لسان الملک المعز، فركب حماره و بادر، و كانت عادته يركب الحمار فى الموكب السلطانى و غيره، مع عظم مكانته و كثره أمواله، و دخل القلعه من باب سر فتح له، و أدخل الدار فرأى شجر الدر جالسه و الملک المعز بين يديها ميتا، فأخبرته الخبر، فعظم عليه و خاف خوفا شديدا، و استشارته فيما تفعل، فقال: ما أعرف ما أقول، و قد وقعت فى أمر عظيم، مالک منه مخلص، و كان الأمير جمال الدين إيدغدى العزيزى معتقلا فى بعض الآدر مكرما، فأحضرته فى تلک الليله و طلبت منه أن يقوم بالأمر، فامتنع و سيرت فى تلک الليله اصبع الملک المعز، و خاتمه إلى الأمير عز الدين الحلبى الكبير، و طلبت منه أن يقوم بالأمر، فلم يجسر على ذلک، و انطوت الأخبار عن الناس تلک

الليله، و لما كان سحر يوم الأربعاء الرابع و العشرين منه، ركب الأمراء و الأكابر إلى القلعه على عادتهم، و ليس عندهم خبر مما جرى، و لم يركب الفائزى فى ذلک اليوم، و تحيرت شجر الدر فيما تفعل، فأرسلت إلى الملک المنصور نور الدين على بن الملک المعز تقول له عن أبيه أنه ينزل إلى البحر فى جمع من الأمراء لإصلاح الشوانى التى تجهزت، للمضى إلى دمياط، ففعل و قصدت بذلک أن يقل من على الباب لتتمكن مما تريد، فلم يتم مرادها.

و لما تعالى النهار شاع الخبر بقتل الملک المعز، و اضطربت الناس فى البلد و اختلفت أقاويلهم، و لم يقفوا على حقيقه الأمر، و ركب العسكر إلى جهه القلعه و أحدقوا بها، و دخلها مماليک الملک المعز و الأمير بهاء الدين بغدى الأشرفى مقدم الحلقه، و طمع الأمير عز الدين الحلبى فى التقدم، و ساعده على ذلک جماعه من الأمراء الصالحيه، فلم يتم لهم مرادهم، ثم استحضر الذين فى القلعه الوزير شرف الدين الفائزى، و اتفقوا على تمليک الملک المنصور نور الدين على بن الملک المعز، و عمره يومئذ نحو خمس عشره سنه، فرتبوه فى الملک، و نودى فى البلد بشعاره، و سكن الناس، و تفرقت الأمراء الصالحيه إلى دورهم، و لما كان يوم الخميس خامس و عشرين الشهر، وقع فى البلد خبط عظيم، و ركب العسكر إلى القلعه، و اتفق رأى الذين فى القلعه على نصب الأمير علم الدين سنجر الحلبى المعروف بالمشد أتابكا للملک المنصور، و استحلفوا العسكر له، و حلف له الأمراء الصالجيه على كره من أكثرهم، و امتنع الأمير عز الدين الحلبى، ثم خاف على نفسه فحلف و انتظمت الأمور.

و فى يوم الجمعه سادس و عشرين منه خطب للملک المنصور بمصر و القاهره، و أما شجر الدر فامتنعت بدار السلطنه هى و الذين قتلوا الملک المعز، و طلب مماليک المعز هجوم الدار عليهم فحالت الأمراء الصالحيه بينهم و بين ذلک، فأمنها مماليک المعز، و حلفوا لها أنهم

لا يتعرضون لها بمساءه، و لما كان يوم الإثنين التاسع و العشرين منه خرجت من دار السلطنه إلى البرج الأحمر، و عندها بعض جواريها، و قبض على الخدام و اقتسمت الجوارى، فكان نصر العزيزى الصالحى هو أحد الخدام القتله قد هرب يوم ظهور الواقعه إلى الشام، و احتيط على الدار، و جميع ما فيها و كان يوم ظهور الواقعه أحضر الصفى بن مرزوق من الدار و سئل عن حضوره عند شجر الدر فعرفهم صوره الحال فصدقوه و أطلقوه، و حضر الأمير جمال الدين إيدغدى العزيزى، و كان الناس قد قطعوا بموته فأمر باعتقاله، ثم نقل إلى الإسكندريه فاعتقل بها، و فى يوم الإثنين المذكور صلب الخدام الذين اتفقوا على قتل المعز، سنجر غلام الجوجرى ثم ظفر به و صلب إلى جانب أستاذه محسن فمات سنجر وقت العصر من هذا اليوم على الخشبه، و تأخر موت الباقين إلى تمام يومين.

و فى يوم الخميس ثانى ربيع الآخر ركب و دخل القاهره من باب النصر، و ترجل جميع الأمراء خلا الأتابک علم الدين سنجر الحلبى، و صعد القلعه و مد السماط للأمراء، و تقرر فى الملک، و وزر له وزير أبيه شرف الدين الفائزى، و فى يوم الجمعه ثالث ربيع الآخر خطب للملک المنصور و بعده لأتابکه علم الدين سنجر الحلبى.

و فى مستهل ربيع الآخر فوض القضاء بالقاهره و أعمالها إلى القاضى بدر الدين السنجارى، و عزل عن ذلک تاج الدين ابن بنت الأغر، و أبقى عليه قضاء مصر و عملها.

و فى يوم الجمعه عاشر الشهر قبض الأمير سيف الدين قطز، و علم الدين سنجر الغتمى، و سيف الدين بهادر، و غيرهم من المعزيه على الأتابک علم الدين سنجر الحلبى و أنزلوه إلى الجب بالقلعه لتخيلهم منه الاستيلاء على الملک، فاضطرب الأمراء الصالحيه، و ركب العسكر و خيف على البلد النهب، ثم خاف الصالحيه على أنفسهم فهرب أكثرهم

إلى جهه الشام و تقنطر بالأمير عز الدين أيبک الحلبى الكبير فرسه، و كذلک خاص ترک الصغير فهلكا خارج القاهره، و أدخلا ميتين، و اتبع العسكر المنهزمين، فقبض على أكثرهم و حملوا إلى القلعه، و اعتقلوا بها و قبض على الأمير شرف الدين الفائزى، و اعتقل وفوض أمر الوزاره إلى القاضى بدر الدين يوسف السنجارى مضافا إلى قضاء القاهره و ما معها، و احتيط على موجود الفائزى، و كان له مال كثير، و لكن كان أكثره مودعا، و أخذ خطه الأمير سيف الدين قطز بمائه ألف دينار، و احتيط على بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنّا وزير شجر الدر، و أخذ خطه بستين ألف دينار.

و فى يوم الأربعاء منتصف الشهر المذكور رتب الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب أتابكا للملک المنصور.

و فى رجب رفعت يد القاضى بدر الدين من الوزاره، و أضيف إليه قضاء مصر و أعمالها فكمل له قضاء الاقليم بكماله، و ولى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز الوزاره.

و فى هذه السنه وقعت وحشه فى نفس الملک الناصر صلاح الدين يوسف من البحريه، و أنهى إليه أنهم عزموا على اغتياله و التغلب على الملک، فتقدم إليهم بالانتزاح عن دمشق ففارقوها على صوره العصيان و المشاققه، و نزلوا غزه، ثم انتموا إلى الملک المغيث فتح الدين عمر بن الملک العادل سيف الدين أبى بكر ابن الملک الكامل صاحب الكرک، و فى شعبان كثرت الأراجيف بالقاهره بأن الأمراء و الأجناد اتفقوا على إزاله أمر مماليک الملک المعز عن البلد، و أن الملک المنصور تغير على الأمير سيف الدين قطز، و اجتمع أكثر الأمراء فى دار الأمير بهاء الدين بغدى مقدم الحلقه، ثم رضى الملک المنصور على قطز، و خلع عليه و طيب قلبه.

و فی رابع شهر رمضان قبضوا علی الأمیر بهاء الدین بغدی، و بدر الدین بلغان بعد أن جرح بلغان و انهزم من کان معهما و حملا إلی القلعه و دخل المعزیه القاهره فقبضوا علی الأمیر عز الدین أیبک الأسمر، و أرزن الرومی، و سابق الدین بوزبا الصیرفی و غیرهم من الأشرفیه، و نهبت دورهم، و وقع فی البلد اضطراب عظیم، ثم نودی بالأمان لمن دخل فی الطاعه و سکن الناس.

و فی خامس شهر رمضان رکب الملک المنصور و فی خدمته الأمیر سیف الدین قطز و باقی ممالیک أبیه، و شق القاهره، و فی عید الفطر نزل الملک المنصور و صلی فی المصلی، ثم رکب إلی القلعه و مد السماط و وردت الأخبار إلی الدیار المصریه بمفارقه البحریه للملک الناصر صلاح الدین یوسف، فظن المصریون أن ذلک خدیعه من الملک الناصر و أنه قد عزم علی قصد البلاد، فأخذوا فی التحرز.

و فی ثالث شوال خرج من القاهره جماعه أمراء مقدمهم الدمیاطی و خرج غد هذا الیوم آخرون و نزلت العساکر بالعباسه و ما حولها، ثم وردت الأخبار بأن عساکر الملک الناصر وصلت نابلس لحرب البحریه، و کانوا نازلین غزه، ثم ورد الخبر أن البحریه کبسوا عساکر الملک الناصر، و قتلوا منهم جماعه لیلا، ثم ورد الخبر أن عسکر الملک الناصر کسروا البحریه، و أن البحریه انحازوا إلی ناحیه زغر من الغور.

و فی الثالث عشر منه دخل جماعه من البحریه إلی القاهره منهم:

الأمیر عز الدین أیبک الأفرم، فتلقوا بالإکرام، و أفرج عن أملاک الأفرم و نزل بداره بمصر، و ترادفت الأخبار بالدیار المصریه أن البحریه رحلوا من زغر طالبین بعض الجهات، فاتضح من أمرهم أنهم خرجوا من دمشق علی حمیه، و أنهم قصدوا القدس الشریف، و هو مقطع الأمیر سیف الدین أیبک من جهه الملک الناصر، و طلبوا منه أن یکون معهم، فامتنع فاعتقلوه و خطبوا للملک المغیث، و جاءوا إلی غزه، و قبضوا

و اليها و أخذوا حواصل الملک الناصر بغزه و القدس و غيرهما، و قصدتهم عساکر الملک الناصر فجری ما تقدم ذکره من کبسهم للعسکر الناصری، ثم انتصر عليهم العسکر الناصری فانهزموا إلی البقاء، ثم إلی زغر، و دخلوا فی طاعه الملک المغيث، و أنفق فيهم جمله کثيره من المال، و طمعوا فی أخذ مصر له و أنزل إليهم بعض عسکره و الطواشی بدر الدين الصوابی.

و فی الثانی عشر ذی القعده وردت الأخبار إلی الديار المصريه بأن البحريه عازمون علی قصد البلاد، فخرج الأمير علم الدين الغتمی المعزی و بعض العسکر، و فی غد هذا اليوم وقع الانزعاج الشديد، و خرجت الأمراء و الحلقه، و اجتمع العسکر المصری بالصالحيه، فلما کان سحر ليله السبت منتصف ذی القعده وصلت البحريه و من معهم من عسکر المغيث، و وقعت الحرب بين الفريقين و اشتد القتال، و جرح جماعه من الناس، و المصريون مع ذلک يزدادون کثره، و طلعت الشمس، و رأت البحريه کثره المصريين فانهزموا و أستؤسر منهم سيف الدين بلبان الرشيدی و به جراحات، و هرب الأمير رکن الدين بيبرس البندقداری، و بدر الدين الصوابی إلی الکرک، و بعض البحريه دخل فی العسکر المصری، و دخل العسکر إلی القاهره و زين البلد لهذه الوقعه.

و فيها وصل الشيخ نجم الدين محمد الباذرائی رسول الخليفه المستعصم بالله إلی دمشق المحروسه، و أفاض الخلعه المکمله علی الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و الفرس و الطوق الذهب، و معه التقليد بالسلطنه فرکب بالخلعه الإماميه، و کان يوما مشهودا.

ذکر ما تجدد للملک الناصر داود

کنا ذکرنا وصوله إلی دمشق، و إقامته بتربه والده، فلما رأی إعراض الملک الناصر صلاح الدين يوسف عنه، و بلغه أنه ربما يقبض عليه

مضى إلى الشيخ نجم الدين الباذرائى فاستجار به، و سأله أن يتوجه صحبته إلى العراق، فأجابه فتوجه و معه جماعه من أولاده، فلما وصلوا حلبا، و كان بها الملک العزيز غياث الدين محمد بن الملک الناصر يوسف، و كان أبوه قد أرسله إلى ملک التتر، فورد إلى الملک العزيز و من معه بكتاب الملک الناصر يوسف بأن تشيروا على الشيخ نجم الدين الباذرائى أن لا يستصحب الملک الناصر داود معه، و أنهم يتحيلون فى انقطاعه عنه، و يقبضون عليه، فلما خرج الشيخ نجم الدين متوجها إلى العراق، و معه الملک الناصر داود، خرج الملک العزيز و جماعه من أعيان الدوله لوداعه، و تقدم إليه بعضهم و حدثه فى ذلک و أحس الناصر داود بالقضيه، فتقدم إلى الشيخ نجم الدين، و أخذ بذيله و قال: معاذ الله أن يمنعنى مولانا من قصد الأبواب الشريفه و الاستظلال بظلها، و أنا معى كتاب السلطان الملک الناصر لما كنت المره الأولى بالعراق أنه يقرر لى كل سنه مائه ألف درهم، و يأذن لى فى التوجه إلى حيث شئت، و لم يصل إلىّ منه ذلک، و أخرج خط الملک الناصر يوسف فقال الباذرائى: هذا قد استجار بالديوان، و طلب التوجه إلى الخدمه الشريفه، فما يسعنى منعه، و معه خط الملک الناصر أنه لا يمنع من ذلک فرجعت الجماعه إلى حلب و سافر الملک الناصر داود، فلما وصلوا قرقيسيا خاف الشيخ نجم الدين أن يصل به إلى العراق من غير تقدم، فأشار عليه أن يقيم بقرقيسيا حتى يأخذ له دستورا بالوصول، فأقام بها و أبطأ عليه الأذن، فعدا الفرات إلى جهه الشام متوجها إلى تيه بنى إسرائيل، و اجتمع عليه جماعه من العرب، ثم كان من أمره ما سنذكره إن شاء الله تعالى ...

فصل

[وفاه أيبک بن عبد الله الصالحى:]

و فيها توفى أيبک بن عبد الله الصالحى الملک المعز عز الدين، المعروف بالتركمانى، كان فى بدايه أمره مملوكا للملک الصالح نجم الدين أيوب، اشتراه فى حياه أبيه الملک الكامل، و تنقلت به الأحوال عنده، و لازمه فى

الشرق و غيره، و جعله جاشنكيره، و لهذا لما أمره كان رنكه صوره خوانجا، فلما قتل الملک المعظم توران شاه بن الملک الصالح نجم الدين، و بقيت الديار المصريه بلا ملک تشوف إلى السلطنه أعيان الأمراء فخيف من شرهم، و كان الأمير عز الدين التركمانى معروفا بالسداد و ملازمه الصلاه، و لا يشرب الخمر، و عنده كرم و سعه صدر و لين جانب، و هو من أوسط الأمراء، فاتفقوا عليه و سلطنوه فى أواخر شهر ربيع الآخر سنه ثمان و أربعين و ستمائه، و ركب بالسناجق السلطانيه، و حملت الغاشيه بين يديه، و أول من حملها الأمير حسام الدين ابن أبى على، ثم تداولها أكابر الأمراء، و قالوا: هذا متى أردنا صرفه أمكننا ذلک، لعدم شوكته، و لكونه من أوسط الأمراء، ثم اجتمع الأمراء و البحريه، فاتفقوا على أنه لا بد من إقامته شخص فى الملک من بنى أيوب يجتمع الكل على طاعته، و كان سبب ذلک أن الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار، و الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، و الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، و الأمير شمس الدين سنقر الرومى، وافقوا أن يكون التركمانى سلطانا عليهم و اختاروا أن يقيموا صبيا من بنى أيوب له اسم الملک، و هم يدبرونه و يأكلون الدنيا باسمه، فوقع اتفاقهم على الملک الأشرف مظفر الدين موسى بن الملک الناصر يوسف بن الملک المسعود أقسيس بن الملک الكامل، و كان عند عماته القطبيات و عمره نحو عشر سنين فأحضروه و سلطنوه، و خطبوا له و جعلوا التركمانى أتابكه، و ذلک لخمس مضين من جمادى الأولى بعد سلطنه الملک المعز بخمسه أيام، و كانت التواقيع تخرج و صورتها «رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى الملكى الأشرفى و الملكى المعزى» و استمر الحال على ذلک، و الملک المعز المستولى على التدبير و يعلم على التواقيع، و الملک الأشرف صوره، فلما ملک الملک الناصر صلاح الدين يوسف دمشق فى سنه ثمان و أربعين، خرج الأمير ركن الدين و جماعه من العسكر إلى غزه فلقتهم عساكر الملک الناصر فاندفعوا راجعين و نزلوا بالسائح و به جماعه من الأمراء، فاتفقت كلمه الجميع

على مكاتبه الملک المغيث فتح الدين عمر ابن الملک العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن الملک الكامل صاحب الكرک و الشوبک، و خطبوا له بالصالحيه يوم الجمعه لأربع مضين من جمادى الآخره، فأمر الملک المعز بالنداء بالقاهره، و مصر بأن البلاد للخليفه المستعصم بالله و الملک المعز نائبه بها، و ذلک يوم السبت لخمس مضين من جمادى الآخره سنه ثمان و أربعين، و وقع الحث فى خروج العساكر، و جددت الأيمان للملک الأشرف بالسلطنه، و للملک المعز بالأتابكيه، ثم قصد الملک الناصر صلاح الدين يوسف الديار المصريه بالعساكر، و ضرب مصافا مع العساكر المصريه، و كسروا كسره شنيعه، و لم يبق إلا تملک الملک الناصر البلاد، و خطب له فى قلعه الجبل و مصر و غيرها من الأعمال على ما هو مشهور، و تفرقوا منهزمين لا يلوون على شى ء، و تبعتهم عساكر الملک الناصر منتشرين وراءهم فى طلب النهب و المكاسب، و بقى الملک الناصر فى شرذمه يسيره من أعيان الأمراء و الملوک تحت السناجق و الكوسات تخفق وراءه، و قد تحقق النصر و الظفر، و أما الملک المعز فتحير فى أمره إذ ليس له جهه يلتجى ء إليها، فعزم بمن كان معه من الأمراء على دخول البريه و التوصل إلى مكان يأمنون فيه على أنفسهم، و ظهر لهم بعد ذلک عليهم، فاجتازوا إلى الملک الناصر على بعد و هم فى نفر يسير و هو فى نفر يسير فرموا أنفسهم عليه، و حملوا عليه حمله رجل واحد، فتفرقوا و قتل الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى مدبر الدوله، و أتابک العساكر، و الأمير ضياء الدين القيمرى و غيرهما، و هرب الملک الناصر لا يلوى على شى ء، و كسر الملک الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملک العادل، و الملک الأشرف ابن صاحب حمص، و الملک المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين و غيرهم، و استمرت الكسره على عساكر الشام، و بلغ خبرها الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، و قد قارب بلبيس، و معه قطعه كبيره من الجيش، فقال: ما علينا نحن قد ملكنا البلاد، و السلطان يعود إلينا، و كان بعض الأمراء قد

توهم أن الملک الناصر ربما قتل، فقال الأمير نجم الدين أمير حاجب لابن يغمور: ياخوند جمال الدين حب الوطن من الإيمان، كأنه نسبه إلى أنه إختار دخول الديار المصريه على كل حال، و أنه ربما له باطن مع المصريين، فغضب لذلک و ثنى رأس فرسه، و عاد و لو كان دخل بمن معه لملک البلاد.

و عاد الملک المعز إلى الديار المصريه مظفرا منصورا، و خرج الملک الأشرف من قلعه الجبل للقائه، و رسخ قدم الملک المعز، و عظم شأنه، و استمر الحال على ذلک إلى سنه إحدى و خمسين، فوقع الاتفاق بينه و بين الملک الناصر على أن يكون له و للبحريه الديار المصريه و غزه، و القدس، و ما فى البلاد الشاميه للملک الناصر، و أفرج عن الملک المعظم توران شاه بن صلاح الدين، و أخيه نصره الدين، و الملک الأشرف ابن صاحب حمص و غيرهم من الاعتقال، و توجهوا إلى الشام، و عظم شأن الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار، و التفت عليه البحريه و صار يركب بالشاويش و حدثته نفسه بالملک، و كان أصحابه يسمونه الملک الجواد فيما بينهم، و خطب بنت الملک المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه، و هى أخت الملک المنصور صاحبها، و تحدث مع الملک المعز أنه يريد يسكنها فى قلعه الجبل لكونها من بنات الملوک، و لا يليق سكناها بالبلد، فاستشعر الملک المعز منه بما عزم عليه، و عمل على قتله، و لم يقدم على ذلک، فكاتب الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله و استشاره فى الفتک به فلم يجبه فى ذلک بشى ء، مع كونه يؤثر ذلک، لكنه علم أنه مقتول على كل حال، و سير الأمير فارس الدين ليحضر بنت صاحب حماه إليه فخرجت من حماه، و وصلت دمشق فى تجمل عظيم، وعده محفاه مغشاه بالأطلس و غيره من فاخر القماش و عليها الحلى و الجواهر، ثم خرجت بمن معها من دمشق متوجهه إلى الديار المصريه، و أما الملک المعز فإنه لما أبطأ عليه جواب الملک الناصر، و تحقق أن بنت صاحب حماه فى الطريق

بقى بين خطتى خسف إن منعه من سكنى القلعه حصلت المباينه الكليه و إن سكنه قويت أسبابه بها و لا يعود يتمكن من إخراجه، و يترتب على ذلک استقلال الأمير فارس الدين بالملک، فعمل على معاجلته فدخل إليه على عادته، و قد رتب له الملک المعز جماعه للفتک به منهم: الأمير سيف الدين قطز المعزى، و غيره من مماليکه المعزيه، فقتلوه فى دار السلطنه بقلعه الجبل فى سنه اثنتين و خمسين، ثم خلع بعد قتله الملک الأشرف من السلطنه و أنزله من قلعه الجبل إلى عماته القطبيات، و ركب الملک المعز بالسناجق السلطانيه، و حملت الأمراء الغاشيه بين يديه، و استقل بالملک بمفرده استقلالا تاما، ثم إن العزيزيه عزموا على قبضه فى سنه ثلاث و خمسين فشعر بذلک فقبض على بعضهم، و هرب بعضهم، ثم تقرر الصلح بينه و بين الملک الناصر على أن يكون الشام جميعه للملک الناصر يوسف، و ديار مصر للملک المعز و حد ما بينهما بئر القاضى، و هو فيما بين الوراده و العريش، و ذلک بسفاره الشيخ نجم الدين الباذرائى، و تزوج الملک المعز بشجر الدر فى سنه ثلاث و خمسين، فكان ذاک سببا لقتله، و قد ذكرنا كيفيه قتله، و ماجرى عند ذلک و سلطنه ولده الملک المنصور نور الدين، فأغنى عن إعادته، و كان الملک المعز كثير الكرم و البذل، لا يمنع طالب حاجه إلا فى النادر، و أطلق فى مده سلطنته من الأموال و الخيول و غير ذلک ما لا يحصى كثره، و كان عفيفا طاهر الذيل لا يشرب مسكرا، و لا يرى العسف و الجور، كثير المداراه لخشدا شيته و الاحتمال لتجنبهم و شراسه أخلاقهم، و خلف عده أولاد منهم الملک المنصور نور الدين على، و ناصر الدين قاآن و رأيت له ولدا آخر بالديار المصريه سنه تسع و ثمانين، و هو فى زى الفقراء الحريريه، و كان للملک المعز رحمه الله عده مماليک أمراء نجباء منهم:

الملک المظفر سيف الدين قطز رحمه الله، و سنذكره إن شاء الله تعالى و غيره، و معظمهم كرماء على سجيته، و كان قتل الملک المعز بقلعه الجبل عشيه يوم الثلاثاء الثالث و العشرين من ربيع الأول رحمه الله، و قيل

السادس و عشرين منه، و كان له بر و معروف، و بنى المدرسه المعزيه بمصر على النيل، و هى من أحسن المدارس، و وقف عليها وقفا جيدا، و لها دهليز عظيم متسع طويل مفرط فى السعه و الطول، بلغنى أن بعض الكبراء دخلها فرآها صغيره بالنسبه إلى مجازها، فقال: هذه المدرسه مجاز بلا حقيقه، و كان يلى تدريسها القاضى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى، رحمه الله إلى أن مات، و هو على تدريسها، و ملک الملک المعز الديار المصريه نحو سبع سنين، و توفى و قد ناهز الستين سنه رحمه الله تعالى.

[وفاه أيبک بن عبد الله الأمير عز الدين الحلبى الكبير:]

أيبک بن عبد الله الأمير عز الدين الحلبى الكبير كان من أعيان الأمراء الصالحيه النجميه و قدمائهم، و ممن يضاهى الملک المعز، و له المكانه العظيمه فى الدوله، و المحل الكبير بين الأمراء يعترفون له بالتقدم عليهم و الرياسه، و كان له عده مماليک أعيان نجباء صاروا بعده أمراء أكابر منهم: ركن الدين اتاجى أمير حاجب، و بدر الدين بيليک الجاشنكير، و صارم الدين أزبک الحلبى و غيرهم، و لما قتل الملک المعز على ما قدمنا ذكره حلف الأمراء لولده الملک المنصور، و توقف الأمير عز الدين المذكور، و أراد القيام بالأمر، ثم خاف على نفسه فحلف و وافق الأمراء فى ذلک، فلما كان يوم الجمعه عاشر ربيع الآخر، و قبض الأمير سيف الدين قطز و المعزيه على الأمير علم الدين سنجر الحلبى و اعتقلوه، ركب الأمراء الصالحيه، و منهم الأمير عز الدين المذكور فتقنطر به فرسه، فهلک خارج القاهره، و أدخل إليها ميتا، و كذلک ركن الدين خاص ترک الصغير رحمهما الله تعالى.

[وفاه شجر الدر بنت عبد الله:]

شجر الدر بنت عبد الله جاريه الملک الصالح نجم الدين، و أم ولده خليل، كانت حظيه عنده أثيره لديه، و كانت فى صحبته لما كان بالكرک و ولدت له خليلا، و حمل معها إلى الديار المصريه و بقى مده يسيره يركب مع الخدام، و توفى صغيرا، و لما قتل الملک المعظم توران شاه تملكت

الديار المصريه، و خطب لها على المنابر، و كانت تعلم على المناشير و غيرها «والده خليل»، و بقيت على ذلک مده ثلاثه شهور، ثم استقر الأشرف و المعز على ما ذكرنا، ثم تزوجها الملک المعز حسب ما شرحناه، و كانت مستوليه عليه ليس له معها كلام، و كانت ذكيه ذات شهامه و نفس قويه و سيره حسنه، شديده الغيره، فلما بلغها أن الملک المعز يريد أن يتزوج بنت الملک الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، و قد عمل على ذلک، تخيلت منه أنه ربما عزم على إبعادها، أو إعدامها لأنه سأم من تحجرها عليه و استطالتها، فعاجلته و قتلته على ما ذكرنا، فأخذها مماليكه بعد أن أمنوها و اعتقلوها بالبرج الأحمر بقلعه الجبل، و عندها بعض جواريها، و الملک المنصور و والدته يحرضان المعزيه على قتلها لأنها كانت غير مجمله فى أمرهما، و كان الملک المعز لا يجسر أن يجتمع بوالده الملک المنصور ولده خوفا من شجر الدر.

فلما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر وجدت مقتوله مسلوبه خارج القلعه، فحملت إلى تربه كانت بنتها لنفسها بقرب مشهد السيده نفيسه رحمه الله عليها، فدفنت بها، و كان الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا وزيرها، و وزارته لها أول درجه ترقى إليها من المناصب الجليله، و لما قتلت الملک المعز و أحيط بها و تيقنت أنها مقتوله أودعت جمله من المال فذهب، و أعدمت جواهر نفيسه سحقتها فى الهاون ...

غازيه خاتون بنت الملک الكامل محمد

بن الملک العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب بن شاذى، والده الملک المنصور صاحب حماه، كانت صالحه دينه تحب الخير و أهله، و أقامت منار العدل بحماه، و هى المدبره للأمور منذ توفى زوجها الملک المظفر، و نصب مكانه ولده الملک المنصور، و المرجع إلى ما ترسم به فى الجليل و الحقير، و كانت وصلت إلى حماه فى سنه تسع و عشرين و ستمائه، و ولد لها من الملک المظفر ابنان

و ثلاث بنات، أما الابنان فالملک المنصور ناصر الدین أبو المعالی محمد و مولده فی ربیع الأول سنه اثنتین و ثلاثین و ستمائه، و الأفضل نور الدین أبو الحسن علی و مولده سنه خمس و ثلاثین، و أما البنات فتوفیت الکبری منهن قبل وفاه والدتها بقلیل، فدفنتها بقلعه حماه، و لما توفیت الصاحبه دفنت إلی جانبها، ثم لما توفیت الصاحبه عائشه خاتون بنت الملک العزیز غیاث الدین محمد بن الملک الظاهر زوجه الملک المنصور، و والده ولده الملک المظفر دفنت فی التربه المذکوره، ثم لما توفی الملک المنصور دفن فی تربه عملت له إلی جانب الجامع الأعلی بحماه، و نقل المدفونون بالقلعه إلی التربه المذکوره، و کانت وفاه غازیه خاتون لیله الأحد تاسع عشر ذی القعده، أو ذی الحجه هذه السنه رحمها الله تعالی ...

أبو الحسن المغربی المورقی نور الدین الأمیر

، هو من أقارب المورقی الملک المشهور ببلاد المغرب، توفی نور الدین فی أول ربیع الأول بدمشق و دفن بجبل قاسیون بمقبره الأمیر جمال الدین موسی بن یغمور، رحمه الله تعالی و کان فاضلا فمن المنسوب إلیه من أبیات:

القضب راقصه و الطیر صادحهو الستر مرتفع و الماء منحدر

و قد تجلت من اللذات اوجههالکنها بظلال الدوح تستتر

فکل واد به موسی یفجره و کل روض علی حافاته الخضر

و من المنسوب إلیه أیضا:

و ذی هیف راق العیون انتبازه بقد کریان من البان مورق

کتبت إلیه هل تجود بزورهفوقع: لا، خوف الرقیب المصدق

فأیقنت من «لا» بالعناق تفاؤلاکما اعتنقت «لا» ثم لم تتفرق

[أحداث] سنه ست و خمسین و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بدمشق، و البحريه و من انضم إليهم من الأمراء الصالحيه و على بن الملک

المغيث صاحب الكرک متفقون على قصد الديار المصريه، و وصل إليهم الملک المغيث و نزل بدهليزه بغزه، و أمر البحريه كله راجع إلى الأمير ركن الدين البندقدارى، و وصل الأمير سيف الدين قطز و عساكر مصر، و نزلوا حول العباسه مستعدين لقتالهم.

[استيلاء المغول على بغداد:]

و فيها استولى التتار على بغداد و العراق بمكيده دبرت مع وزير الخليفه قبل ذلک، و آل الأمر إلى هلاک الخليفه، و أرباب دولته و قتل معظم أهل بغداد، و نهبوا و ذلک فى يوم الأربعاء عاشر صفر قصد هولاكو بغداد و ملكها، و قتل الخليفه المستعصم بالله رحمه الله، و ما دهى الاسلام بداهيه أعظم من هذه الداهيه و لا أفظع، و سنذكر خبرها مجملا إن شاء الله تعالى.

قد علم تملک التتر أكثر الممالک الإسلاميه و ما فعلوه من خراب البلاد، و سفک الدماء، و سبى الحريم و الأولاد، و نهب الأموال، و كانوا قبل هذه السنه قد قصدوا الألموت بلد الباطنيه، و معقلهم المشهور، و كان صاحب الألموت و بلادها علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن المنتسب إلى نزار بن المستنصر بالله العلوى صاحب مصر، و توفى و قام مقامه ولده الملقب شمس الشموس، و كان الذى قصد الألموت هولاكو، و هو من ذريه جنكيز خان، الذى قصد بلاد الشام سنه ست عشره و ستمائه و اندفع بين يديه السلطان علاء الدين محمد بن تكش، و فعل تلک الأفاعيل العجيبه المسطوره فى التواريخ، و هو صاحب أمه التتر التى مرجعهم إليها، و كان جنكيز خان عندهم بمنزله النبى لهم، و لما نازل هولاكو الألموت، نزل إليه صاحبها ابن علاء الدين بإشاره نصير الدين الطوسى عليه بذلک، و كان الطوسى عنده، و عند أبيه قبله، فقتل هولاكو ابن علاء الدين، و فتح الألموت و ما معها من البلاد التى فى تلک الناحيه، و كان لهم بالشام معاقل، و لصاحب الألموت فيها أبدا نائب من قبله، و سنذكر ما آل إليه أمرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

و استولى هولاكو على بلاد الروم، و أبقى ركن الدين بن غياث الدين كيخسرو فيها له اسم السلطنه صوره، و ليس له من الأمر شى ء، و فى سنه أربع و خمسين و ستمائه تهيأ هولاكو لقصد العراق، و سبب ذلک أن مؤيد الدين ابن العلقمى وزير الخليفه كان رافضيا، و أهل الكرخ روافض، و فيه جماعه من الأشراف و الفتن لا تزال بينهم و بين أهل باب البصره، فإنه لسبب التعصب فى المذاهب، فاتفق أنه وقع بين الفريقين محاربه فشكا أهل باب البصره، و هم سنيه إلى ركن الدين الدوادار، و الأمير أبى بكر بن الخليفه، فتقدما إلى الجند بنهب الكرخ، فهجموا و نهبوا و قتلوا، و ارتكبوا العظائم، فشكا أهل الكرخ ذلک إلى الوزير، فأمرهم بالكف و التغاضى، و أضمر هذا الأمر فى نفسه، و حصل عنده بسبب ذلک الضغن على الخليفه، و كان المستنصر بالله رحمه الله قد استكثر من الجند، حتى قيل إنه بلغ عده عسكره نحو مائه ألف، و كان منهم أمراء أكابر يطلق على كل منهم لفظ الملک، و كان مع ذلک يصانع التتار و يهاديهم، فلما ولى المستعصم أشير عليه بقطع أكثر الجند، و أن مصانعه التتر و حمل المال إليهم يحصل به المقصود، ففعل ذلک و قلل من الجند، و كاتب الوزير ابن العلقمى التتر و أطمعهم فى البلاد، و أرسل إليهم غلامه و أخاه، و سهل عليهم ملک العراق، و طلب منهم أن يكون نائبهم فى البلاد، فوعدوه بذلک، و أخذوا فى التجهيز لقصد العراق، و كاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى أن يسير إليهم ما يطلبونه من آلات الحرب، فسير إليهم ذلک، و لما تحقق قصدهم علم أنهم إن ملكوا العراق لا يبقون عليه، فكاتب الخليفه سرا فى التحذير منهم، و أنه يعتد لحربهم، فكان الوزير لا يوصل رسله إلى الخليفه، و من وصل إلى الخليفه منهم بغير علم الوزير اطلع الخليفه وزيره على أمره، فكان الشريف تاج الدين ابن موصلايا نائب الخليفه بإربل، فسير إلى الخليفه من يحذره من التتر، و هو غافل لا يجدى فيه التحذير، و لا يوقظه التنبيه لما يريده الله تعالى، فلما تحقق الخليفه حركه التتر نحوه، سير شرف الدين ابن محيى

الدين ابن الجوزى رسولا إليهم يعدهم بأموال يبذلها لهم، ثم سير نحو مائه رجل إلى الدربند الذى يسلكه التتر إلى العراق ليكونوا فيه، و يطالعوه بالأخبار، فتوجهوا، و لم يأت منهم خبر لأن الأكراد الذين كانوا عند الدربند دلوا التتر عليهم على ما قيل، فقتلوهم كلهم و توجه التتر إلى العراق و جاء بايجونوين فى جحفل عظيم، و فيه خلق من الكرج و من عسكر بركه خان ابن عم هولاكو، و مدد من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع ولده الملک الصالح من جهه البر الغربى عن دجله، و خرج معظم العسكر من بغداد للقائهم و مقدمهم ركن الدين الدوادار، فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد، و اقتتلوا قتالا كثيرا، و فتقت فتوق من نهر الملک على البر الذى القتال فيه، و وقعت الكسره على عسكر بغداد، فوقع بعضهم فى الماء الذى خرج من تلک الفتوق، فارتطمت خيلهم و أخذتهم السيوف فهلكوا، و بعضهم رجع إلى بغداد هزيما، و قصد بعضهم جهه الشام، قيل كانوا نحو ألف فارس، ثم توجه بايجونوين و من معه، فنزل القريه مقابل دور الخلافه، و بينه و بينها دجله، و قصد هولاكو بغداد من جهه البر الشرقى عن دجله، و هو البر الذى فيه مدينه بغداد و دور الخلافه، و ضرب سورا على عسكره، و أحاط ببغداد، فحينئذ أشار ابن العلقمى الوزير على الخليفه بمصانعه ملک التتر، و مصالحته و سأله أن يخرج إليه فى تقرير ذلک، فخرج و توثق منه لنفسه، ثم رجع إلى الخليفه و قال له إنه قد رغب أن يزوج ابنته من ابنک الأمير أبى بكر، و يبقيک فى منصب الخلافه كما أبقى سلطان الروم فى سلطنه الروم لا يؤثر إلّا أن تكون الطاعه له كما كان أجدادک مع السلاطين السلجوقيه، و ينصرف بعساكره عنک فنجيبه إلى هذا، فإن فيه حقن دماء المسلمين، و يمكن بعد ذلک أن تفعل ما تريد، و حسن له الخروج إليه، فخرج فى جمع من أكابر أصحابه فأنزل فى خيمه، ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء و الأماثل ليحضروا عقد النكاح فيما أظهره، فخرجوا فقتلوا، و كذلک صار يخرج طائفه بعد طائفه، ثم مد الجسر

و غدا بايجونوين و من معه، و بذل السيف فى بغداد، فقتل كل من ظهر، و لم يسلم إلا من اختفى، و قتل من كان فى دار الخلافه من الأشراف، و لم يسلم منها إلّا من هرب، أو كان صغيرا فإنه أخذ أسيرا، و استمر القتل و النهب نحو أربعين يوما، ثم نودى بالأمان فظهر من كان اختفى، و قتل سائر الذين خرجوا إلى هولاكو من القضاه و الأكابر و المدرسين و أما الوزير ابن العلقمى فلم يتم له ما أراد، و مات بعد مده يسيره، و لقّاه الله تعالى ما فعله بالمسلمين، و رأى قبل موته فى نفسه العبر و الهوان، و الذل ما لا يعبر عنه، ثم ضرب هولاكو عنق بايجونوين لأنه قيل عنه أنه كاتب الخليفه و هو فى الجانب الغربى، و أما الخليفه فقتل، و لكن لم يتحقق كيفيه قتلته، فقيل: إنه خنق، و قيل رفس إلى أن مات، و قيل غرق، و قيل لف فى بساط ففطس، و الله أعلم بحقيقه الحال.

و نعود إلى أخبار الشام و مصر: كنا ذكرنا أن العساكر المصريه نزلوا حول العباسه لما بلغهم اجتماع البحريه، و بعض أمراء مصر مع الملک المغيث، و لما جاءهم الخبر بمحاصره التتر لبغداد، كتبوا بذلک إلى الديار المصريه، و تقدموا بأن بدعى للمسلمين بالنصر، فأمر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله الأئمه و الخطباء أن يقنتوا فى الصلوات الخمس، ثم ورد الخبر أن بغداد ملكت، فاشتد أسف المسلمين، و حزنهم.

ذكر الوقعه بين الملک المغيث و عسكر مصر

لما تكامل العسكر مع الملک المغيث دخل بهم إلى الرمل، و التقى بعسكر المصريين، فكانت الكسره على المغيث و من معه، و قبض يومئذ على عز الدين أيبک الرومى، و عز الدين أيبک الحموى الكبير، و ركن الدين الصرفى، و ابن أطلس خان الخوارزمى، و أحضروا بين يدى الأمير سيف الدين قطز و الأمير الغتمى و الأمير بهادر المعزى، فأمروا بضرب أعناقهم فضربت و حملت رؤوسهم إلى القاهره و علقت بباب زويله، ثم

أنزلت من يومها و دفنت لما أنكر على المعزيه هذا الفعل الشنيع، و هرب الملک المغيث و الصوابى بدر الدين، و الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى و من معهم، و وصلوا الكرک فى أسوأ حال، و نهب ما كان معهم من الثقل و دهليز الملک المغيث، و دخل العسكر القاهره بما حازوه، و زين لذلک البلدان، و كان المصاف يوم الثلاثاء الحادى و العشرين من ربيع الآخر.

ذكر ما تجدد للتتر بعد أخذ بغداد

لما ملكوها نادوا بالأمان لأهل العراق كلهم، و ولوا فيه ولاتهم، و كان الوزير ابن العلقمى قد أطمعته نفسه بأن الأمور تكون مفوضه إليه، و كان قد عزم على أن يحسن لهولاكو أن يقيم ببغداد خليفه فاطميا، فلم يتم له ذلک، و اطرحه التتر، و بقى معهم على صوره بعض الغلمان فمات بعد قرب كمدا، و ندم حيث لا ينفعه الندم، و لقاه الله فعله، و رحل التتر عن بغداد إلى بلاد أذربيجان، ثم رحل إليهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، و الشريف تاج الدين ابن موصلايا صاحب إربل، فأكرم بدر الدين ورده إلى بلاده، و أما ابن موصلايا فقتل، و قد ذكر و الله أعلم، أن بدر الدين لؤلؤ قال لهولاكو: هذا شريف علوى، و ربما تطاول أن يكون خليفه، و يبايعه على ذلک خلق عظيم، فتقدم هولاكو بقتله و لما رجع بدر الدين إلى الموصل لم يطل مقامه بها و توفى.

و فيها قصد التتر ميافارقين فنازلوها و حصروها، و كان المتولى لحصرها أشموط بن هولاكو، و كان صاحبها الملک الكامل ناصر الدين محمد بن الملک المظفر شهاب الدين غازى بن العادل، قد قصد الملک الناصر صلاح الدين يوسف مستنجدا به على التتر، فوعده بذلک، و لم يتمكن من إنجاده.

و فيها وردت رسل التتر إلى الملک الناصر صلاح الدين يوسف، فوصلهم منه جمله كبيره من المال.

و فيها اشتد الوباء بالشام، و فنى من أهل دمشق خلق لا يحصى، و عزت الفراريج و غيرها مما يستعمل المرضى، و بيع الرطل الدمشقى من التمر الهندى بستين درهما، و الحزه من البطيخ الأخضر بدرهم.

ذكر ما تجدد للبحريه بعد كسرتهم بمصر

لما رجعوا مع الملک المغيث مفلولين سير إليهم الملک الناصر جيشا مقدمه الأمير مجير الدين إبراهيم بن أبى بكر زكرى، و الأمير نور الدين على بن الشجاع الأكتع، و التقوا بغزه فكسرتهم البحريه و قبضوا على مجير الدين، و نور الدين و حملوهما إلى الكرک فلم يزالا بها معتقلين إلى أن أخرجهما الملک المغيث، فسيرهما إلى الملک الناصر لما اصطلحا، كما سنذكره إن شاء الله تعالى، فقوى عند هذه الكسره أمر البحريه و امتدو فى البلاد، فعند ذلک برز الملک الناصر للقائهم، و ضرب دهليزه قبلى دمشق، و قرب البحريه من دمشق، و جاء الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى مقدمهم فى بعض الأيام، و قطع أطناب خيمه الملک الناصر المضروبه، و كثر الإرجاف بهم فى دمشق ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

بكتوت بن عبد الله الأمير سيف الدين العزيزى

أستاذ دار الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، كان من أكبر الأمراء بالدوله الناصريه، و له الحرمه الوافره و المكانه العاليه، و المهابه الشديده، و يده مبسوطه، و أمره نافذ فى المملكه، و بيده الاقطاعات العظيمه، و له الأموال الجمه، و الخيول و الجمال، و المواشى الكثيره، و غير ذلک ظاهر التجمل شجاعا، حسن السياسه و التدبير، مليح الصوره بهى الشكل، و كان مجردا فى الجهات التى قبلى دمشق، فتوفى هناک، و دخل غلمانه و حاشيته دمشق بالأعلام المنكسه، و السروج المقلبه على الخيول المهلبه، و مماليكه قد قطعوا شعورهم، و لبسوا المسوح السود، فكانت صوره

مؤلمه مبكيه، و وجد له من الحواصل ما لا يوصف، و سمعت أنه سم، و أن الذى تولى ذلک عز الدين عبد العزيز بن وداعه، و أنه سمه فى بطيخه خضراء، و كان سيف الدين المذكور يحب البطيخ الأخضر، و يجلب إليه حيث كان، فاتفق أننى سألت حسام الدين أتش العزى رحمه الله أستاذ دار ابن وداعه، إذ كان متوليا قلعه بعلبک، عن ذلک، فأنكر أن يكون أستاذه فعله، بل قال: إن الملک الناصر سير أستاذى فى بعض المهمات، فلما اجتاز بالعسكر قصد خدمه الأمير سيف الدين للسلام عليه، فقال له الأمير سيف الدين: معک بطيخ أخضر؟ قال:

فعاد إلى خيمته و جهز له بطيخا أخضر، و غيره من هديه دمشق، فأكل من البطيخ، و أمعن، و اتفق تغير مزاجه و مرضه و وفاته، فقال الناس ما قالوا، و الله أعلم، و بالجمله كان الأمير سيف الدين جليل المقدار من أركان الدوله، و منذ توفى حصل الخلل، و تغيرت أحوال الدوله الناصريه رحمه الله تعالى.

[أحداث]الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمروک

، و هو عمرو ابن محمد بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن علقمه بن نصر بن معاذ بن عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق، رضوان الله عليه، أبو على صدر الدين القرشى التيمى البكرى النيسابورى الأصل، الدمشقى المولد و المنشأ، مولده بدمشق بكره الحادى و العشرين من المحرم سنه أربع و سبعين و خمسمائه، سمع من خلق كثير فى بلاد متعدده، و حصل كثيرا من الكتب و كتب العالى و النازل، و كان حافظا مغرما بهذا الشأن، و خرّج تخاريج عده، و شرع فى جمع ذيل التاريخ الذى بدمشق، و حصل منه أشياء حسنه و لم يتمه و عدم بعده، و كان عنده رياسه و فضيله تامه، و ولى حسبه دمشق و سيّره الملک المعظم عيسى ابن الملک العادل إلى الشرق برساله إلى السلطان جلال الدين خوارزم شاه ملک العجم باطنا، و أظهر أن توجهه ليحضر ماء من عين بتلک البلاد من خاصيه ذلک الماء،

أنه إذا حمل فى قوارير زجاج و حمل على الرماح تبعه نوع من الطير يفنى الجراد. و كان قد حصل بالشام جراد كثير لم يعهد مثله، فتوجه و صحبه جماعه صوفيه، و اجتمع بجلال الدين منكبرتى خوارزم شاه، و قرر معه الاتفاق مع الملک المعظم، و تعاضد به و استحلفه له، و كان سبب ذلک أن الملک الكامل، و الملک الأشرف اتفقا على الملک المعظم، فأراد أن يحصل له من يعتضد به، و كان السلطان جلال الدين مجاورا لخلاط، و بلاد الملک الأشرف فى الشرق، فلما أبرم صدر الدين ما توجه بسببه، أحضر الماء المطلوب على الصوره المقترحه، و عاد إلى دمشق، و كان الجراد قد قل، فلما عاد البكرى كثر، فعمل الناس فى ذلک الأشعار، و ظهر للناس ما توجه بسببه فى الأمر، و علم الملک الكامل، و الملک الأشرف ذلک، و لما عاد البكرى ولاه الملک المعظم مشيخه الشيوخ مضافا إلى الحسبه، و لهذا صدر الدين خانكاه بدمشق تعرف قيساريه الصرف، و كانت وفاته فى ليله الإثنين حادى عشر ذى الحجه بالقاهره، و دفن من الغد بسفح المقطم، رحمه الله تعالى ...

[أحداث]اود بن عيسى بن أبى بكر بن محمد بن أيوب بن شاذى

اشاره

، أبو المظفر و قيل أبو المفاخر، الملک الناصر صلاح الدين ابن الملک المعظم شرف الدين ابن الملک العادل سيف الدين، ولد الملک الناصر المذكور فى جمادى الآخره سنه ثلاث و ستمائه، و لما ولد سماه الملک المعظم إبراهيم و أخبر والده الملک العادل بذلک، فقال: أخوک اسمه إبراهيم يشير إلى الملک الفائز، فقال: ما ترسم أن أسميه؟ فقال: سمه داود، فسماه فلما حج الملک المعظم فى سنه احدى عشره و ستمائه، و اجتاز بالمدينه صلوات الله و سلامه على ساكنها، تلقاه أمير المدينه و خدمه خدمه بالغه، و قال له: ياخوند أريد أن أفتح لک الحجره الشريفه لتزور زياره خاصه لم ينلها غيرک، فقال: معاذ الله أن أتهجم و أقدم على هذا، و الله إننى فى طرف المسجد، و أنا وجل من إساءه الأدب فإنى أخبر بنفسى، و مثلى

لا ينبغى له أن يدانى هذا المقام الشريف إجلالا له و تعظيما، فرأى بعض الصلحاء النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام، و هو يقول له: قل لعيسى: إن الله قد قبل حجه و زيارته، و غفر له و لأم إبراهيم، لتأدبه معى و احترامه لى أو ما هذا معناه، فحضر ذلک الرجل إلى الملک المعظم و قص عليه الرؤيا بمحضر من خواصه، فبكى الملک المعظم لفرط السرور، فلما قام من عنده قال: ما أشک فى صدق هذه الرؤيا إن شاء الله تعالى، فقال له خواصه: لكن ما يعرف لک ولد اسمه إبراهيم، و حكى لهم صوره تسميه الملک الناصر أولا بإبراهيم، و أنه هو الاسم الذى وقع عليه أولا.

و نشأ الملک الناصر فى حياه أبيه ملازما للاشتغال بالعلوم على اختلافها، و شارک فى كثير منها، و حصل منها طرفا جيدا، و سمع بالشام و العراق من جماعه منهم محمد بن أحمد القطيعى و غيره، و كانت له إجازه من أبى الحسن المؤيد بن محمد الطوسى و غيره و حدث، و سأذكر من أحواله و أخباره و أشعاره و ترسله ما يعلم به معظم أمراءه إن شاء الله، كان الملک المعظم عيسى رحمه الله خلف من الولد عده بنات، و ثلاثه بنين الملک الناصر أكبرهم، فملک دمشق و سائر مملكه أبيه فى عشر ذى الحجه سنه أربع و عشرين و ستمائه، و استقل بذلک.

و فى سنه خمس و عشرين وصل عماد الدين بن الشيخ من مصر إلى دمشق، و معه ابن جلدک بالخلع و التغايير على الملک الناصر من الملک الكامل.

و فى سنه ست و عشرين خرج الملک الكامل لقصده، و انتزاع دمشق منه، فسير الملک الناصر فخر القضاه ابن بصاقه إلى الملک الأشرف يستصرخ به، فحضر الملک الأشرف إلى دمشق لنصرته، و نزل فى بستانه بالنيرب، فجرت أمور يطول شرحها، لأن الملک الأشرف تغير عليه، و مال إلى الملک الكامل، و فارق الملک الناصر، و توجه إلى الملک الكامل،

و أوهم الملک الناصر أنه یصلح أمره مع عمه الملک الکامل، و کان الملک الکامل قد وصل بیسان فلما بلغه وصول الملک الأشرف رجع إلی غزه، و قال: أنا ما خرجت علی أن أقاتل أخی الملک الأشرف، فلما بلغ ذلک الملک الأشرف قال للملک الناصر داود: الملک الکامل قد رجع حردان، و المصلحه أننی ألحقه و أسترضیه، و أقرر القواعد معه.

و أما الملک الکامل فإنه نزل غزه، و کان الانبروز قد نزل الساحل بمقتضی مراسله قدیمه کانت من الملک الکامل إلیه فی حیاه الملک المعظم، فلما حضر علی تلک القاعده بجموعه بعد موت المعظم، سیر إلی الملک الکامل و قال له: أنا قد حضرت بقولک، و عرفت أن غرضک قد فات، و معی عساکر عظیمه، و خلق کثیر و ما بقی یمکننی الرجوع علی غیر شی ء، فحدثنی حدیث العقال حتی أرجع إلی بلادی، فقال الملک الکامل: إیش ترید؟ قال: تعطینا القدس، و ترددت المراسلات بینهما أشهرا فاقتضی رأی الملک الکامل تسلیم القدس دون عمله، و حصل الرضا بذلک، فلما تردد الفرنج للزیاره اغتیل منهم فی الطریق من انفرد، فشکوا ذلک إلی الملک الکامل فأعطاهم القرایا التی علی طریقهم من عکا إلی القدس، و وقع الصلح و الاتفاق علی ذلک، و حضر بعد إبرام الصلح مع الفرنج علی هذه القاعده لحصار دمشق، فحصرها و أخذها علی ما سنذکر إن شاء الله تعالی.

و لما اجتمع الملک الأشرف، و الملک الکامل، اتفقا علی انتزاع دمشق من الملک الناصر، و أن یأخذها الملک الأشرف و ینزل علی بلاد فی الشرق عینها الملک الکامل، و وقع الاتفاق علیها، فحضرا لحصاره بعساکرهما، و حصراه مده أربعه شهور، و تسلما دمشق فی غره شعبان سنه ست و عشرین، و أبقی علیه قطعه کثیره من الشام منها: الکرک، و عجلون، و الصلت، و نابلس، و الخلیل، و أعمال القدس، لأن القدس کان سلم إلی الإنبروز قبل ذلک، سوی عشر قری علی الطریق من عکا

إلى القدس فإنها سلمت إلى الفرنج مع مدينه القدس، و أخذ منه الشوبک، فبکی بين يدى الملک الکامل عليها، فقال له الملک الکامل: أنا مالى حصن يحمى رأسى، و افرض أنک و هبتنى إياه فسکت، و خرج الملک الناصر بأمواله و ذخائره جميعها، و توجه إلى الکرک و البلاد التى أبقيت عليه، و عقد على عاشوراء خاتون ابنت الملک الکامل شقيقه العادل بن الکامل سنه تسع و عشرين، و بقى على ذلک مده، ثم تغير عليه الملک الکامل تغيرا مفرطا و أعرض عنه إعراضا کليا، و ألزمه طلاق ابنته، ففارقها قبل الدخول بها فى سنه إحدى و ثلاثين، و کان سبب تغيره عليه أن الملک الکامل قصد دخول الروم، و الاستيلاء على ممالکه، و کان ملک الروم إذ ذاک السلطان علاء الدين کيقباذ بن کيخسرو، فتوجه الملک الکامل و صحبته الملوک بسته عشر دهليزا: الملک الأشرف مظفر الدين موسى، و الملک المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين، و الملک الصالح عماد الدين إسماعيل، و الملک الحافظ نور الدين رسلان شاه صاحب قلعه جعبر، و الملک الناصر داود، و الملک المعظم توران شاه ابن صلاح الدين بعسکر حلب، و الملک الزاهد محيى الدين داود بن صلاح الدين، صاحب البيره، و أخوه الملک المفضل قطب الدين صاحب سميساط، و الملک الصالح صلاح الدين أحمد بن الملک الظاهر غازى صاحب عبن تاب، و الملک المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه، و الملک المجاهد أسد الدين شيرکوه صاحب حمص، و غيرهم، و سير صاحب الروم إلى الملک العزيز صاحب حلب يقول: أنا راض بأن تمده بالرجال، و لا تنزل إليه أبدا، و أعفاه الملک الکامل من النزول، فرضى الملکان بفعله، ثم تقدم الملک الکامل بالعساکر إلى الدربند، فوجد السلطان علاء الدين قد حفظ طرقاته بالرجال، و هى طرق صعبه متوعره يشق سلوکها على العساکر، فنزل الملک الکامل على النهر الأزرق، و هو فى أوائل بلد الروم، و جاءت عساکر صاحب الروم، و صعدت رجالته إلى فم الدربند، و بنوا عليه سورا، و قاتلوا منه، و قلت

الأقوات فى عسكر الملک الکامل جدا، ثم نمى إلى الملک الأشرف و الملک المجاهد صاحب حمص أن الملک الکامل ذکر فى الباطن أنه إن ملک بلاد الروم نقل سائر الملوک من أهل بيته إليها، و انفرد بملک الشام مع الديار المصريه، فاستوحشا من ذلک و أطلعا ملوک البيت الأيوبى، فتغيرت نيات الجميع، و اتفقوا على التخاذل و عدم النصح، فلما أحس الملک الکامل منهم بذلک، مع کثره الغلاء، و امتناع الدربند رحل بالعساکر إلى أطراف بلاد بهسنا، و جهز بعض الأمراء إلى حصن منصور فهدمه، و وصل إلى خدمته صاحب خرتبرت داخلا فى طاعته، و أشار عليه بالدخول إلى بلاد الروم من جهه خرتبرت، فجهز معه الملک المظفر صاحب حماه، و الطواشى شمس الدين صواب العادلى، و کان من أکبر الأمراء، و فخر الدين البانياسى فى ألفين و خمسمائه فارس، فوصلوها جرائد بغير خيم، فعند طلوع الفجر أقبلت عساکر الروم فى اثنى عشر ألف فارس مقدمهم القيمرى، و ضربوا معهم مصافا من أول النهار إلى آخره، و ظهر عسکر الروم، و دخل الملک المظفر و شمس الدين صواب و فخر الدين البانياسى قلعه خرتبرت مع صاحبها، و نزل باقى العسکر فى الربض، فزحف عسکر الروم و ملکوا الربض عنوه و أسروا أکثر من کان فيه من العسکر الکاملى، ثم وصل السلطان علاء الدين فى بقيه عساکره و أحدقوا بالقلعه، و نصبوا عليها تسعه عشر منجنيقا، و حصروها أربعه و عشرين يوما، و قل الماء و الزاد من عندهم، فطلبوا الأمان فأمنهم صاحب الروم، و تسلم القلعه و ما معها من القلاع، و کانت سبعا، و تلقى الملک المظفر و من معه أحسن ملتقى، و نادمهم، و خلع عليهم، و قدم لهم التحف الجليله و کان نزولهم من القلعه يوم الأحد لسبع بقين من ذى القعده سنه إحدى و ثلاثين، فکان ذلک من آکد مقدمات الوحشه بين الملک الکامل و الناصر، و غيره من الملوک، و کثر استشعار الملک الناصر من عمه الملک الکامل، فلما دخلت سنه ثلاث و ثلاثين قوى عزم الملک الناصر على قصد الخليفه، و هو المستنصر

بالله و الاستجاره به، فحصل النجب و الروايا، و ما يحتاج إليه لسفر البريه، ثم توجه و صحبته فخر القضاه نصر الله بن بصاقه، و الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسرو شاهى و الخواص من مماليكه و ألزامه، فلما قرب من بغداد أمر الخليفه بتلقيه و إكرامه، و دخل بغداد، و نزل بها مكرما معظما، و قدم للخليفه ما كان استصحبه معه من الجواهر النفيسه و التحف، و الهدايا الجليله، و أمر الخليفه له بالإقامات الكثيره، و لأصحابه بالعطايا و الخلع، و كان آثر أن يأذن له الخليفه بالحضور بين يديه فيقبل يده، و مشاهده وجهه كما فعل بمظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجک صاحب إربل، فإنه كان قدم بغداد فطلب الاجتماع بالخليفه فأذن له فى ذلک، فحضر و برز له الخليفه، فشاهده فرغب الملک الناصر أن يعامل بتلک المعامله فإنه أكبر بيتا من مظفر الدين، و أعرق منه فى الملک، و سأل ذلک فلم تقع الإجابه رعايه لخاطر الملک الكامل، فعمل الملک الناصر قصيده يعرض فيها بمطلوبه ...

فلما وقف الخليفه المستنصر بالله على هذه القصيده أعجبته إعجابا كثيرا، و قصد الجمع بين المصلحتين، فاستدعاه سرا إجابه لسؤاله و رعايه فى عدم الجهر للملک الكامل، فحكى الملک الناصر قال: و استدعانى الخليفه بعد شطر من الليل، فدخلت من باب السر إلى إيوان فيه ستر مضروب، و الخليفه من ورائه، فقبلت الأرض بين يديه فأمرنى بالجلوس فجلست، ثم أخذ الخليفه يحدثنى من خلف الستر، و يؤنسنى، ثم أمر الخدم فرفعوا الستر، فقبلت الأرض ثانيا، و تقدمت فقبلت يده، فأمرنى بالجلوس، فجلست بين يديه و جارانى فى أنواع من العلوم و أساليب من الشعر، ثم خرجت من عنده و عدت إلى منزلى ليلا، ثم حضر الملک الناصر بعد ذلک بالمدرسه المستنصريه على شاطى ء دجله، و كان الخليفه فى روشن ينظر و يسمع الكلام، و حضر جماعه من الفقهاء المرتبين بالمدرسه، و غيرهم من المذاهب الأربعه، و بحث الملک الناصر و استدل و اعترض،

و ناظر الفقهاء مناظره حسنه، و كان جيد المناظره صحيح الذهن، له فى كل فن مشاركه جيده، فقام يومئذ رجل من الفقهاء يقال له وجيه الدين القيروانى و مدح الخليفه بقصيده يقول فيها مخاطبا للخليفه:

لو كنت فى يوم السقيفه حاضراكنت المقدم و الإمام الأورعا

فغضب الملک الناصر لله تعالى لكون ذلک الفقيه لأجل سحت الدنيا أساء الأدب على أبى بكر الصديق، رضوان الله عليه، و الخلفاء الراشدين، و سادات المهاجرين، و الأنصار رضى الله عنهم الحاضرين يوم السقيفه، و جعل المستنصر بالله مقدما عليهم، فقال لذلک الفقيه:

أخطأت فيما قلت كان ذلک اليوم جد سيدنا و مولانا الإمام المستنصر بالله العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه و سلم حاضرا، فلم يكن مقدما و لا الإمام الأروع إلا أبى بكر الصديق رضى الله عنه، فخرج المرسوم فى ذلک الوقت بنفى ذلک الفقيه فنفى، ثم وصل إلى القاهره و ولى بها تدريس مدرسه الصاحب صفى الدين بن شكر، ثم إن المستنصر بالله خلع على الملک الناصر خلعه سنيه عمامه سوداء و فرجيه سوداء مذهبه، و خلع على أصحابه و مماليكه خلعا سنيه، و أعطاه مالا جليلا، و بعث فى خدمته رسولا من أكبر خواصه إلى الملک الكامل يشفع إليه فى إخلاص نيته له و إبقاء بلاده عليه، فوصل الملک الناصر و الرسول إلى دمشق و بها الملک الكامل، فخرج لتلقيهما إلى القصير، و أقبل على الملک الناصر إقبالا كثيرا، و قبل شفاعه الخليفه، و ألبسه الخلعه هناک، و كان قدم من بغداد، و معه أعلام سود، و كان الخليفه لقبه الولى المهاجر مضافا إلى لقبه، فأمر خطباء بلاده أن يذكروا فى الدعاء له ذلک، ثم خلع على الرسول و أعطاه شيئا كثيرا، و رجع إلى بغداد، و أقام الملک الناصر مطمئنا لانتسابه إلى الخليفه، فلما حصلت المباينه بين الملک الكامل و الملک الأشرف و عزما على المحاربه، و انضم إلى الملک الأشرف جميع ملوک الشام، سير إلى الملک الناصر داود يدعوه

إلى موافقته على أن يحضر إليه ليزوجه ابنته، و يجعله ولى عهده، و يملكه البلاد بعده، و سير الملک الكامل إلى الملک الناصر أيضا رسولا يدعوه إلى الاتفاق معه، و أنه يجدد عقده على ابنته، و يفعل معه كلما اختار، و توافى الرسولان عند الملک الناصر بالكرک فرجح الميل إلى الملک الكامل، و صرح لرسول الملک الأشرف بجواب اقناعى، فسير رسول الملک الكامل إليه يعرفه ميل الملک الناصر إلى جهته، و كان قد حضر عند الملک الكامل بعض الأمراء الأكابر الذين مرت بهم التجارب و مارسوا الحروب، و شهدوا المصافات و الوقائع، فقال له الملک الكامل:

أشتهى أن تعرفنى ما عندک فى أمرى و أمر أخى الملک الأشرف، و من يظهر لک أن ينتصر، و من أقوى منا على لقاء صاحبه، و لا تخفى ما فى ضميرک من ذلک، فقال: أنت الآن و أخوک مثل الميزان لا يرجح عليک، و لا ترجح عليه، و قد بقى بينكما الملک الناصر داود فإلى أى جهه مال ترجحت، و كان قد وصل الملک الكامل كتاب رسوله و هو القاضى الأشرف ابن القاضى الفاضل يخبره بموافقه الملک الناصر له على ما قدمنا ذكره، و لم يطلع عليه أحد، فسر الملک الكامل بذلک، و وقع منه قول ذلک الأمير أجمل موقع، ثم إن الملک الناصر حضر بنفسه إلى الملک الكامل، فتلقاه و بالغ فى إكرامه، و أعطاه الأموال، و قدم له التحف، و اتفق موت الملک الأشرف رحمه الله و استيلاء الملک الصالح عماد الدين إسماعيل على بلاده التى بالشام، و خروج الملک الكامل لانتزاعها منه، فخرج الملک الناصر صحبته، و أخذت دمشق على الصوره المشهوره، و اتفق موت الملک الكامل عقيب ذلک، و الملک الناصر بدمشق نازل فى داره المعروفه بدار سامه فتشوف إلى مملكه دمشق، فوافقه جماعه من المعظميه و غيرهم و جاءه الركن الهيجاوى و الركنى فى الليل و بينا له وجه الصواب، و أرسل إليه الأمير عز الدين أيبک صاحب صرخد يقول: أخرج المال و فرقه فى مماليک أبيک، و العوام معک و تملک البلد، و يبقوا فى القلعه محصورين، فما فعل، ثم إن الأمراء

و الأعيان أرباب الحل و العقد اجتمعوا بالقلعه، و ذكروا الملک الناصر، و الملک الجواد يونس بن داود بن الملک العادل، فرجح عماد الدين بن شيخ الشيوخ الملک الجواد يونس بن داود ابن الملک العادل، و كان منحرفا عن الملک الناصر لأنه كان يجرى بينه و بينه فى مجلس الملک الكامل مباحثات، فيخطئه الملک الناصر فيها، و يستجهله، فبقى فى قلبه من ذلک أثر كثير، كان أقوى الأسباب فى صرف السلطنه عنه، و أما الأمير فخر الدين بن الشيخ فلم يكن له فى ذلک رأى، و كان ميله إلى الملک الناصر أكثر من الجواد، و أرسلوا إلى الملک الناصر الهيجاوى ليخرجه من دمشق، فدخل عليه بدار سامه و قال له: ايش قعودک فى بلد القوم، فقام و ركب و جميع من فى دمشق من باب دار سامه إلى القلعه، و ما شک أحد أن الملک الناصر طالع إلى القلعه، و ساق فلما تعدى مدرسه العماد الكاتب، و خرج من باب الزقاق عرج إلى باب الفرج صاحت العامه: لا، لا، لا و انقلبت دمشق، و نزل الملک الناصر بالقابون و فتح الجواد خزائن الكامل، و فرق المال و الخلع، و استقر قدمه و أقام الملک الناصر أياما بالقابون، فعزم الجواد على مسكه، و سير الأمير عز الدين أيبک الأشرفى ليمسكه، و كان قد علم الأمير عماد بن موسک بذلک فبعث إليه فى السر من عرفه، فسار فى الليل إلى عجلون، فوصل عز الدين أيبک إلى قصر أم حكيم، و عاد إلى دمشق، و أما الملک الناصر فإنه سار إلى الكرک، و جمع و حشد، و نزل إلى السواحل، فاستولى عليها، و خيم بعزمه طالبا للاستيلاء على مملكه والده، فرحل الجواد فيمن بقى من العساكر المصريه مقدمهم عماد الدين بن شيخ الشيوخ، و فى عساكر دمشق و المماليک الأشرفيه، و توجه نحو الملک الناصر، فرحل الملک الناصر إليه ليلقاه، فوقع المصاف على ظهر حمار بين نابلس و جينين، فانكسر الملک الناصر كسره قبيحه، و مضى منهزما، و احتوى الجواد على خزائنه و أثقاله على سبع مائه جمل، فأخذت بأحمالها، و أخذوا فيها من الأموال و الجواهر و الجنائب ما لا يحصى، و استغنوا غنى الأبد، و افتقر

الملک الناصر فقرا لم یفتقره أحد، و وقع عماد الدین بن شیخ الشیوخ بسفط صغیر فیه اثنتی عشره قطعه من الجوهر، و فصوص لیس لها قیمه، فطلبها من الجواد فأعطاه إیاها، و هذه الأموال هی التی کان الملک المعظم جهز بها مرشد ابنته لما زوجها بخوارزم شاه، أخذها الملک الناصر ظنا منه أنه یعوضها إذا فتح البلاد، و نزل الجواد فی دار المعظم بنابلس داخل البلاد، و احتوی علی ما فیها، و ولی فیها و فی أعمال القدس و الأغوار من قبله، و رحل عماد الدین ابن شیخ الشیوخ و من معه من عسکر مصر إلی الدیار المصریه، و لم تعجب هذه الواقعه الملک العادل خوفا من تمکن الجواد و استیلائه علی البلاد، فأرسل إلیه یأمره بالرجوع إلی دمشق ورد بلاد الملک الناصر إلیه ففعل، و رحل عائدا، و فی هذه الواقعه یقول به جمال الدین بن عسل:

یا فقیها قد ضل سبل الرشادلیس یغنی الجدال یوم الجلاد

کیف ینجی ظهر الحمار هزیمامن جواد یکر فوق الجواد

ثم لما ملک الملک الصالح نجم الدین دمشق بعد الجواد، ورد علیه فخر القضاه نصر الله بن بصاقه رسولا من الملک الناصر یعده بمساعدته و معاضدته علی أخذ مصر له من العادل، و یطلب منه تسلیم دمشق و جمیع البلاد التی کانت بید أبیه، فوعده الملک الصالح بذلک إذا ملک مصر فأبی الملک الناصر إلا أن ینجز له ذلک، فلم یتفق بینهما أمر، ثم إن الملک الصالح نجم الدین خرج لقصد الدیار المصریه، فاستولی الملک الصالح إسماعیل علی دمشق، و تفلل عسکر الملک الصالح نجم الدین عنه، و بقی بنابلس، فسیر إلیه الملک الناصر داود من أمسکه، و طلع به إلی قلعه الکرک فاعتقله بها مکرما علی ما هو مشهور، فلا حاجه إلی شرحه.

و کان الملک الکامل سلم القدس إلی الفرنج سنه ست و عشرین علی

أن يكون الحرم الشريف بما فيه من المزارات للمسلمين، و كذا جميع أعمال القدس ما خلا عشر ضياع على طريق الفرنج من عكا إلى القدس، و شرط أن يكون القدس خرابا، و لا يجدد فيه عماره البته، فلما مات الملک الكامل و جرى ما ذكرناه من الاختلاف بين الملوک، عمر الفرنج فى غربيه قلعه جعلوا برج داود عليه السلام من أبراجها، و كان بقى هذا البرج لم يخرب لما خرب الملک المعظم أسوار القدس، و لما اعتقل الملک الناصر داود الملک الصالح نجم الدين بالكرک، توجه الملک الناصر بعسكره و من معه من أصحاب الملک الصالح نجم الدين إلى القدس، و نازل القلعه التى بناها الفرنج، و نصب عليها المجانيق، و لم يزل مصابرا لها حتى سلمت إليه بالأمان، فهدمها و هدم برج داود عليه السلام، و استولى على القدس، و مضى من كان فيه من الفرنج إلى بلادهم، و اتفق وصول محيى الدين يوسف بن الجوزى، و صحبته جمال الدين يحيى بن مطروح فقال جمال الدين المذكور:

المسجد الأقصى له عادهسارت فصارت مثلا سائرا

إذا غدا بالكفر مستوطناأن يبعث الله له ناصرا

فناصر طهره أولاو ناصر طهره آخرا

... و كان فى الملک الناصر داود رحمه الله فضيله، و بقيه فى الآداب و العلوم، و محبه فى العلماء و تقريبه لهم و احسانه إليهم، و إلى كل من تقدم إليه أوحد زمانه جوادا كريما كثير العطاء ممدحا، و شعره فى نهايه الجوده و الفصاحه، و كان فى البيت الأيوبى جماعه ينظمون الشعر، لم يكن فيهم من يتقدمه فيه إلا إن كان الملک الأمجد مجد الدين بهرام شاه صاحب بعلبک، فإنه شاعر مجيد مكثر، و كان قد أدركته حرمه الأدب، كما أدركت عبد الله بن المعتز و غيره من الملوک الفضلاء، و لم يزل منذ توفى والده رحمه الله فى سنه أربع و عشرين و ستمائه و إلى أن أدركته منيته

فى نكد و تعب و نصب، لم يصف له من عمره سنه واحده، و قد أشرنا إلى ذلک فيما تقدم، و لم يكن له رأى حازم فى تدبير المملكه، فإنه مع تقدير الله تعالى لما مات والده لو دارى الملک الكامل، و نزل له عن بعض البلاد كان أبقى عليه دمشق، ثم لما طلبه الملک الأشرف ليزوجه ابنته، و يجعله ولى عهده على ما ذكرنا، لو أجابه و حضر إليه لاستقل بعد الملک الأشرف بالشام، و التفت عليه المماليک الأشرفيه مع المعظميه، و كان قد دنا أجل الملک الكامل فاستقام أمره، ثم لما مات الملک الكامل لو قبل من رأى الأمير عز الدين أيبک صاحب صرخد، و أنفق فى المعظميه و استمالهم، لملک دمشق، و لم يلتفت على من بالقلعه، ثم لما ضرب المصاف مع الجواد لو أحرز خزائنه و أمواله ببعض قلاعه لبقيت له، و كانت عظيمه جليله المقدار يمكنه أن يستخدم بها من العساكر جمله كثيره، ثم لما حصل الملک الصالح نجم الدين فى قبضته لو أراد به أخذ الشام لأخذه و سلمه لأخيه العادل، أو إلى عمه الصالح إسماعيل، ثم لما اعتقله لم يحسن عشرته من كل وجه، و كان يبدو منه فى بعض الأوقات أمور أثرت فى قلب الملک الصالح نجم الدين، و لم يحرج منه، و كان للملک الصالح باطن، و الملک الناصر سليم الصدر، ثم اقتضى رأيه اطلاقه و مساعدته على تملک الديار المصريه، و اشترط عليه أمورا لا يمكنه القيام بها، و لا تسمح بها نفس بشر لو أمكنت، و استحلفه على ذلک فلما تحقق الملک الصالح نجم الدين أنه لا بد له من الحنث ضروره فى البعض، حنث فى المجموع.

قال الملک الصالح: حلفنى على أمور لا يقدر عليها ملوک الأرض منها أننى آخذ له دمشق، و حمص، و حماه، و حلب، و الجزيره، و الموصل، و ديار بكر، و غيرها، و نصف ديار مصر، و ما فى الخزائن من المال و الجواهر و الثياب و الخيول و الآلات و غيرها فحلفت له من تحت السيف، رحمه الله.

ثم معامله الملک الصالح نجم الدین بعد أن تملک بما کان یعامله به و هو عنده معتقل بقلعه الکرک إلی أن حصل من الوحشه و المباینه بینهما ما آل به إلی انتزاع بلاده منه، ثم لما توجه إلی حلب و استنابته لولده المعظم دون إخوته مع تمیزهم علیه حتی أوغر صدورهم، فکان ذلک من أسباب خروج الکرک عنه، ثم لما توجه إلی حلب ترک بالکرک اسحاق المقدم ذکره مع إفراط میله إلیه، و محبته له، فلو استصحبه لأمن مما ترتب علی ترکه من السبب الموجب لأخذ الکرک، و حصول الوحشه و المنافره بینه و بین ولده الملک الأمجد، و کان یتسلی برؤیته و خفف عنه من أثقال همومه، ثم إیداع تلک الجواهر النفیسه عند الخلیفه فآل الأمر إلی کثره تعبه، و نصبه و تبذله و سفره، و لم تعد إلیه إلی غیر ذلک من الأمور التی فارق فیها الحزم، و ذلک تقدیر العزیز العلیم، و کان الملک الناصر داود رحمه الله معتنیا بالکتب النفیسه، حصل منها جمله کثیره ذهبت بعد وفاته، و کان یجیز الشعراء بالجوائز السنیه قدم علیه شرف الدین راجح الحلی شاعر الملک الظاهر غازی ابن السلطان صلاح الدین رحمه الله، و مدحه بعده قصائد، فوصل إلیه منه ما یزید علی أربعین ألف درهم و أجازه علی قصیده واحده امتدحه بها، و هو بنابلس بألف دینار مصریه، و القصیده من غرر القصائد ...

و انقطع إلیه الشیخ شمس الدین عبد الحمید الخسرو شاهی تلمیذ فخر الدین الرازی، فوصل إلیه منه أموال جمه، و کذلک کل من انتمی إلیه استفاد من ماله و من علمه فکانوا معه کما قیل: فأخذ من ماله و من أدبه ...

... و کتب إلی الملک المنصور إبراهیم صاحب حمص یستدعیه إلی مجلس أنس، و ذلک لما کانا نازلین ببیسان، حین کانا متفقین علی حرب الملک الصالح نجم الدین، و هما إذ ذاک معاضدان للملک الصالح عماد الدین و ذلک فی یوم العید فی زمن الربیع ...

و اتفقت له وقعه بالساحل مع الفرنج انتصر فيها، فكتب فى جمله كتاب: كتب هذه الخدمه يعلمه بما منّ الله تعالى به من النصر و الظفر و مهنيئه، باستعلاء الفئه المؤمنه على من حاد و كفر.

و من كتاب آخر كتب حيث أثرت مدادها، بمثار نقع جيادها، و بالمكان الذى صرعت فيه كماه أمجادها، بضرب صفاحها، و طعن صعادها، و كلمتهم ألسن الصفاح بفصيح أقوالها، و أشارت إليهم أنامل الرماح بسلاميات نصالها، فأصبحوا شاره لما أشار إليهم آنفا، و امتطوا أنف الحرب حتى صار أنف الخطى بهم راعفا ...

... و لما ملک الملک الصالح الديار المصريه، و حصل بينه و بين الملک الناصر داود من الوحشه ما ذكرنا، و رجع الملک الناصر إلى بلاده و أقام بالساحل مرابطا للفرنج، و قوى بسبب الخلف بين الملوک شأن العدو، و اهتموا فى عماره عسقلان، و تشييد أسوارها، و شن الغارات على ما حولها، كتب الملک الناصر إلى ابن عمه الملک الصالح نجم الدين يستنجد به عليهم، فلم ينجده و جمعت الفرنج جمعا كثيرا، و قصدوا نابلس فهجموها، و بذلوا السيف فى أهلها و أسروا من وجدوه بها من النساء و الولدان، و أقاموا بها ثلاثه أيام يسفكون و ينهبون، و نصبوا على المساجد صلبانهم، و أعلنوا بكفرهم و من سلم من أهلها تعلق برؤوس الجبال، و بلغ الملک الناصر ذلک فقدم مسرعا فى عسكره، فلما تحققت الفرنج إقباله رجعوا إلى حصونهم، و قد فازوا بما استولوا عليه من القتل و الأسر و النهب، فكتب الملک الناصر إلى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله، و كان الملک الصالح نجم الدين قد قلده بمصر القضاء و الخطابه كتابا مضمونه: أحسن الله عزاء المجلس السامى القضوى العزى فى مصابه بالمسلمين، و صبرنا و إياه على ما دهمت به حوزه الدين، و أثاب الذين استشهدوا بما وعد به الشهداء من رضوانه، و عوضهم عن منازلهم بمنازل الأمن من قصور جنانه، و سامحنا و إياه بما

أهملناه من حميه الدين و حفظ أركانه، و بما اعتدناه من إغفاله، و خذلانه، و لا حول و لا قوه إلا بالله العلى العظيم، قول معترف بتقصيره، عن جهاد أعداء الله، و أعداء دينه، جهرا بلسانه و سرا بيقينه، و ذلک لمصيبه المسلمين بمدينه نابلس التى قتلت فيها المشايخ و الشبان، و سبيت الحلائل و الصبيان، و استولت أيدى الكفار على ما كان فيها من خزائن الأموال، و الغلال، و ما جمعه المسلمون لأزمتهم فى السنين الطوال، فهو يوم ضرب الكفر بجرانه، و تبختر فيه بين أنصاره و أعوانه، و تزهى على الإسلام برونق زمانه، و هو اليوم الذى تقاتلا فيه، فأحجم الاسلام ثم تولى، و اقتسما فيه بالسهمان، فكان سهم الكفر هو السهم المعلى، فيا لها من فجيعه أبكت العيون، و أنكت الجفون، و هجمت على القلوب فودت لو أنها سقت بالمنون، فياليتنى نبذت قبل سماعها مكانا قصيا، أو ليت ربى لم يجعلنى بعباده حفيّا، أو ليتنى مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا:

ألا ليت أمى أيم طول عمرهافلم يقضها ربى لمولى و لا بعل

و يا ليتها لما قضاها لسيدلبيت أريب طيب الفرع و الأصل

و يا ليتها لما غدت بى حاملاأصيب بما اجتنت عليه من الحمل

و يا ليتنى لما ولدت و أصبحت تشد إلىّ الشدقميات بالرحل

لحقت بأسلافى فكنت ضجيعهم و لم أر فى الإسلام ما فيه من خبل

فيا أيها المعز الذى كنا نظن أن الإسلام يتزيد بسعيه عزا، و أن رقى عزائمه تكون عليه من سحر الكفار حرزا، تيقن أن قد عمّ بالشام النفير، و وجبت الغزاه على الحدث الطرير، و الشيخ الكبير، و جاز للحره أن تبرز للقتال بغير أذن بعلها، و للأمه أن تبارز برمحها و نصلها، و وجب على المجاورين الإسعاد، و الإنجاد، و تعين عليهم فى طاعه الله الجهاد، فيا لسان الشريعه أين الجدال فيه و أين الجلاد، و أين مهند لسانک الماضى، إذا كلت المهنده الحداد، أتغمد سيف لسانک فى غمده، و قد هجرت سيوف الكفار جفونها، و أجرت عيون الأنام على الإسلام شؤونها، ألا

و إن الإسلام بدأ غريبا و سيرجع كما بدا، و تقاصرت الهمم عن إسعاده حتى لا يرى له مسعدا، فإنا لله قول من عز عزاؤه فى الإسلام و ذويه، و بذل فى الدفاع عنه ما تملكه يده و تحويه، و صبر فى الله على احتمال الأذى و عدم دونه محاميه، و الله سبحانه و تعالى يتلافى الإسلام بتلافيه، و يحميه بحمايته، و حسن نظره فيه، إنه قريب مجيب ...

ثم إن الملک الناصر أخرج الملک الصالح نجم الدين، و توجه معه إلى الديار المصريه فملكها، و كان حصل الاتفاق بينهما قبل ذلک على أمور اشترطها الملک الناصر، و حلف عليها الملک الصالح و هو عنده معتقل بالكرک، و كانت مشقه يتعذر الوفاء بها لكثرتها من الأموال و البلاد، فلما ملک الملک الصالح الديار المصريه حصل التسويف و المغالطه فيما حصل الاتفاق عليه، فحصلت الوحشه و تأكدت، و عاد الملک الناصر إلى بلاده على غضب، و شرع النفور يتزايد من الجهتين، و تمادى الأمر على ذلک إلى أن حصلت المباينه الكليه، فقصدت عساكر الملک الصالح جمع ما وصلت إليه أيديهم من بلاد الملک الناصر، فاستولوا عليه ثم توفى الأمير سيف الدين قليج سنه أربع و أربعين و هو من أعيان الأمراء الأكابر، و كان الملک الناصر أقطعه قلعه عجلون و عملها، فتسلمها عمه الملک الصالح عماد الدين، و استنزل أولاده من قلعتها، و كان قد سير الأمير فخر الدين بن الشيخ لقصد الملک الناصر داود فقصده و أخذ منه القدس، و نابلس، و بيت جبريل، و الصلت، و البلقاء، و خرب ما حول الكرک، و الملک الناصر بها فى حكم المحصور، ثم نازلها الأمير فخر الدين و حاصرها أياما، ثم رحل عنها و قل ما عند الملک الناصر من المال و الذخائر، و اشتد عليه الأمر فنظم معاتبا الملک الناصر نجم الدين ابن عمه ...

... و فى سنه ست و أربعين ورد الشيخ شمس الدين الخسرو شاهى على الملک الصالح، و هو بدمشق رسولا من الملک الناصر داود، و معه

ولده الملک الأمجد مجد الدین حسن بن الملک الناصر، و مضمون الرساله أن یتسلم الملک الصالح الکرک و یعوضه عنها الشوبک و خبزا بالدیار المصریه، فأجاب الملک الصالح إلی ذلک، ثم رحل إلی الدیار المصریه فی المحفه لمرضه، و سیر تاج الدین بن المهاجر لیتسلم الکرک منه، و یسلم الشوبک عوضها، فتوجه لذلک، فوجد الملک الناصر قد رجع عنه لما بلغه من حرکه الفرنج إلی الدیار المصریه، و مرض الملک الصالح و تربص الدوائر، فلما دخلت سنه سبع و أربعین ضاقت الأمور بالملک الناصر بالکرک، فاستناب بها ولده الملک المعظم شرف الدین عیسی، و أخذ ما یعز علیه من الجواهر، و مضی فی البریه إلی حلب مستجیرا بالملک الناصر صلاح الدین یوسف، کما فعل عمه الملک الصالح عماد الدین إسماعیل، فأنزله صاحب حلب و أکرمه، و سیر الملک الناصر داود ما معه من الجواهر إلی بغداد لتکون ودیعه له عند الخلیفه المستعصم بالله، فلما وصل الجوهر إلی بغداد قبض و سیر إلی الملک الناصر داود خط بقبضه و أراد أن یکون آمنا علیه لکونه مودعا فی دار الخلافه، فلم ینظره بعد ذلک، و کانت قیمته مائه ألف دینار إذا بیع بالهوان، و کان المعظم الذی استنابه والده بالکرک أمه أم ولد ترکیه، و الملک الناصر یمیل إلیها و یحب ولدها أکثر من إخوته الباقین، و کان للملک الناصر من ابنه عمه الملک الأمجد مجد الدین حسن بن الملک العادل أولاد منهم الملک الظاهر شاذی أکبر أولاده، و الملک الأمجد مجد الدین حسن، و کان فاضلا نبیها مشارکا فی علوم شتی، و کان للملک الناصر أیضا أولاد أخر من أمهات أولاد شتی، فلما قدم المعظم علیهم نقموا، خصوصا الظاهر و الأمجد لکبر سنهما و تمیزهما فی أنفسهما، و لما کان الملک الصالح نجم الدین بالکرک کانت أمهما تخدمه، و تقوم بمصالحه، لکونها ابنه عمه، و کان ولداها المذکوران یأنسان به و یلازمانه فی أکثر الأوقات، و اتفق مع ذلک ضیق الوقت و تطاول مده الحصر، فاتفقا مع أمهما علی القبض علی أخیهما المعظم فقبضاه و استولیا علی الکرک، و عزما علی

تسليمها إلى الملک الصالح نجم الدين، و أن يأخذا عوضا عنها، فسار الملک الأمجد إلى العسکر بالمنصوره، فوصل يوم السبت لسبع مضين من جمادى الآخره سنه سبع و أربعين، و اجتمع بالملک الصالح فأکرمه، و أقبل عليه و تحدث مع الملک الصالح فى تسليم الکرک، و توثق منه و لنفسه و لإخوته، و طلب خبزا بالديار المصريه يقوم به، فأجابه إلى ذلک، و سير إلى الکرک الطواشي بدر الدين بدر الصوابى متسلما لها، و نائبا عنه بها، و وصل إلى العسکر أولاد الملک الناصر جميعهم، و أخواه:

الملک القاهر عبد الملک، و الملک المغيث عبد العزيز، و نساؤهم و جواريهم و غلمانهم و أتباعهم، و اقطعوا اقطاعات جليله، و رتب لهم الرواتب الکثيره، و أنزل أولاد الملک الناصر الأکابر و أخواه فى الجانب الغربى قباله المنصوره، و فرح الملک الصالح بأخذ الکرک فرحا عظيما مع ما هو فيه من المرض العظيم الذى لا يرجى برؤه، و زينت القاهره و مصر و ضربت البشائر بالقلعتين، و کان تسلم الکرک يوم الاثنين لاثنتى عشره ليله بقيت من جمادى الآخره سنه سبع و أربعين و ستمائه.

و حکى لى أن آکد الأسباب فى تسليم الکرک، مع ما تقدم ذکره من الأسباب أن الملک الناصر کان يميل إلى شخص من أولاد غلمانه يدعى اسحاق، و کان بارع الجمال، مفرط الحسن، و له فيه أشعار مشهوره، فلما توجه إلى حلب ترکه بالکرک، فمال إليه الملک الأمجد ابن الناصر ميلا مفرطا، و استحوذ عليه، و انصب الشاب إلى الملک الأمجد، و کلاهما جميل الصوره و الأمجد أسن منه بسنين يسيره، و جرى فى ذلک فصول يطول شرحها، فتخيل الأمجد أن والده متى تمکن منه فرق بينهما قطعا، و ربما أعدم الشاب بالکليه، لأنه کان شديد الغيره عليه، و لا يخلو الأمجد من أذيه تناله، و مکروه يوقعه به، فکان هذا آکد الأسباب فى تسليمها، و لو تأخر تسليمها لبقيت لهم مع تقدير الله تعالى، فإن الملک الصالح کان قد اشتغل عنهم و عن غيرهم بنفسه و ما به من الأمراض العظيمه

المهوله، و بما دهمه من قصد الفرنج الديار المصريه و استيلائهم على طرق بلادها، و أعقب ذلک موته، ثم قدوم الملک المعظم ولده، و قتله ثم تفرق المماليک و انفراد الشام عن مصر، و اشتغال الملک الناصر صلاح الدين يوسف بالمصريين و اشتغالهم به، ثم قصد التتر البلاد الشاميه و استيلاؤهم عليها، ثم كسرتهم و قصر مدتهم لله الحمد و المنه، لكن إذا أراد الله أمرا بلغه.

و أما الملک الناصر داود فبقى بحلب عند الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و بلغه ما جرى فعظم عليه جدا فمات الملک الصالح، و تملک البلاد الملک المعظم ولده، و قتل و أخرج الطواشى بدر الدين الصوابى الملک المغيث فتح الدين عمر بن الملک العادل، و ملكه الكرک و الشوبک، و ملک الملک الناصر صلاح الدين يوسف دمشق، و الشام على ما هو مشهور، فلا حاجه إلى شرحه فلما استقر قدم الملک الناصر صلاح الدين يوسف بدمشق فى سنه ثمان و أربعين و مرض بها مرضا يؤس منه فيه.

و كان معه بدمشق فى سنته الملک الصالح عماد الدين إسماعيل، و الملک الناصر داود فقيل إن الملک الناصر داود سعى فى أيام مرض الملک الناصر يوسف و الإرجاف فى أن يتملک دمشق، فلما عوفى الملک الناصر بلغه ذلک، فتقدم بالقبض عليه و سيره تحت الحوطه إلى حمص، فاعتقله فى قلعتها فقال الملک الناصر داود أبياتا أولها ...

... و بقى فى الاعتقال مده ثم أفرج عنه بشفاعه وردت من الديوان، فتوجه إلى العراق فلم يؤذن له فى دخول بغداد مراعاه لخاطر الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و طلب الوديعه فلم تحصل له، و جرى له خطوب يطول شرحها، و آخر الأمر وقعت شفاعه فى حقه على أن يكون فى خدمه الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و يطلق له ما يقوم بكفايته، فحصلت الإجابه إلى ذلک و ورد دمشق، و أقام بها، فلما دخلت سنه

ثلاث و خمسين طلب من الملک الناصر دستورا ليمضى إلى العراق ليأخذ الوديعه، ثم يتوجه إلى مکه شرفها الله تعالى لقضاء فريضه الحج فأذن له، و طلب منه أن يکتب له کتابا إلى الخليفه يشفع له فى رد وديعته إليه، و يخبره بالرضا عنه لينقطع بذلک ما يحتج به عليه من جهته، فأجابه إلى ذلک، و کتب له فسافر إلى العراق، و جعل طريقه على کربلاء مشهد الحسين بن على عليهما السّلام، و أقام به و سير إلى الخليفه المستعصم بالله قصيده يمدحه بها، و يتلطف و يمت بقصده و خدمته ...

فلم يجد شيئا، ثم توجه إلى مکه شرفها الله تعالى، و قضى فرائض الحج و سننه، و وقعت فتنه بمکه بين أهلها و الرکب العراقى، فرکب أمير الحاج العراقى بمن معه من عسکر الخليفه، و کاد تقع بينهم ملحمه عظيمه، فقام الملک الناصر داود فى الإصلاح أحسن قيام، و اجتمع بالشريف قتاده أمير مکه، و أحضر إلى أمير الحاج مذعنا له بالطاعه، و قد جعل عمامته فى عنقه، فرضى عنه أمير الحاج، و خلع عليه و زاده على ما جرت به العاده من الرسم، و قضى الناس مناسکهم و تفرقوا إلى أوطانهم، و هم شاکرون لجميل صنع الملک الناصر، و اصلاحه لذات البين و حفظه بما فعل لأموالهم و أرواحهم و کثر دعاؤهم له و ثناؤهم عليه، ثم توجه مع أمير الحاج العراقى، فلما قدم مدينه سيدنا المصطفى صلى الله عليه و سلم قام بين يدى الحجره الشريفه، و أنشد مادحا للنبى صلى الله عليه و سلم و فرائصه ترتعد و لسانه من هيبه ذلک المقام تتلجلج ...

ثم أحضر شيخ الحرم و خدامه، و وقف بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم متمسکا بأذيال الحجره المقدسه و قال بمشهد: و إن هذا مقامى من رسول الله صلى الله عليه و سلم داخلا عليه مستشفعا به إلى ابن عمه الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين فى أن يرد على وديعتى، فأعظم الناس هذا المقام الشريف، و جرت عبراتهم و کثر بکاؤهم، و کتب فى الحال بصوره ما جرى إلى الخليفه، و حمل المکتوب إلى أمير الحاج، و حدثه

الحاضرون بصوره ما جرى فى تلک الحضره الشريفه المقدسه، و كان ذلک يوم السبت الثامن و العشرين من ذى الحجه سنه ثلاث و خمسين، ثم توجه الركب العراقى و صحبتهم الملک الناصر فلما صاروا ببعض المنازل، خرج عليهم جمع عظيم من العرب يريدون نهبهم و أخذ أموالهم و أشرعوا لهم الأسنه، و أخذوا فى مقاتلتهم و محاربتهم و اشتد القتال بينهم، و كادوا يظفرون بأمير الحاج و من معه، فخرج الملک الناصر فشق الصفوف، و استدعى بأمير السريه و هو أحمد بن حجى بن زيد من آل مرى، و كان أبوه الأمير حجى صاحب الملک الناصر داود، و صاحب والده الملک المعظم، و للناصر عليه آياد عظيمه فدنا أحمد من الملک الناصر فحذره سوء عاقبه فعله و إقدامه على ركب الخليفه، و أخذ فى محادثته تاره بالترهيب، و تاره بالترغيب إلى أن إنقاد له و أجاب إلى الكف، و لما رجع الحاج و صحبتهم الملک الناصر إلى العراق خرج أمر الخليفه بإنزال الملک الناصر بالمحله، فنزل بها و قرر له راتب لا يكفيه، و جرى له ما ذكرنا من محاسبته على ما وصل إليه من الضيافه و غيرها، فعاد إلى الشام، و لم يحصل له المقصود و آخر أمره أنه وصل إلى قرقيسيا، ثم عاد منها إلى تيه بنى إسرائيل كما ذكرنا، و انضم إليه جماعه من العرب، و رام فيما قيل أن يتصل بالبحريه، و ذلک فى أوائل سنه ست و خمسين، و بلغ الملک المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرک، فخاف منه أن يكثر جمعه من العرب، و الترک، فيقصده فراسله مخادعا له بإظهار الموده، ثم أرسل إليه عسكرا فقبضوا عليه و على من معه من أولاده، فلما وصلوا بهم إلى اللاجيه من غور زغر أفردوه منهم، و أذنوا للأولاد أن ينصرفوا حيث شاؤوا، و مضى أصحاب الملک المغيث بالملک الناصر داود إلى بلد الشوبک، و كان تقدم الملک المغيث بأن يهيئ له مطموره يحبس فيها لينقطع خبره، فلما وصلوا به إلى ذلک المكان وجدوا المطموره لم يتم عملها، فأنزلوه فى طور هارون عليه السلام، فلجأ إليه مستشفعا به و بأخيه موسى صلى الله عليهما و سلم، و اتفق أن الخليفه لما قصده

التتر فى هذه السنه- أعنى سنه ست و خمسين- كما ذكرنا اضطر إلى الانتصار بكل أحد، فأرسل إلى الملک الناصر صلاح الدين يوسف يستمده بالرجال، و يطلب منه أن يسير إليه الملک الناصر داود مقدما على من يبعثه من العساكر التى يستخدمهم لنصره الإسلام، فوصل الرسول من الخليفه بذلک إلى دمشق، ثم توجه إلى الكرک لإحضار الملک الناصر داود لهذا المهم، فأتاه الفرج من حيث لا يحتسب، بعد أن أقام فى طور هارون عليه السلام ثلاث ليال فقال فى ذلک ...

... فأفرج الملک المغيث عنه، و توجه إلى دمشق و نزل بالبويضا شرقى دمشق، و أقام بها يتجهز للمسير لنصره الخليفه، و قصر الصلاه مده إقامته بالبويضا، و تواترت الأخبار بمضايقه التتر بغداد، فأشار عليه جماعه من أصحابه بأن يتأنى فى الحركه، فقال: إنى قد بعت نفسى من الله تعالى، و ما توجهى لطلب دنيا، و إنما مقصودى أن أبذل نفسى فى سبيل الله، لعل الله تعالى يجعل على يدى نفعا للمسلمين، أو تحصل لى الشهاده فى سبيله، و بينما هو على هذه النيه وردت الأخبار بأن التتر ملكوا بغداد، و شاع أيضا خبر، لا حقيقه له، و هو أن الخليفه لحق بالعرب، فقال: لا بد لى من اللحاق به فله فى عنقى بيعه، و قد لزمنى الوصول إليه و أخذ بغداد منه لا يسقط وجوب اتباع أمره، و الذى يخشاه الناس القتل، و أنا لا أخشاه، و عرض فى هذه السنه الطاعون عمّ الشام، و ديار مصر، و غيرها، فحكى عبد الله بن فضل أحد من كان فى خدمته قال: لما اشتد الوباء و الطاعون عقيب أخذ التتر بغداد، تسخطنا به، فقال لنا الملک الناصر:

لا تسخطوا به فإن الطاعون لما وقع بعمواس فى خلافه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بعض الناس: هذا وجه هذا الطاعون الذى بعث على بنى إسرائيل، فبلغ ذلک معاذ بن جبل رضى الله عنه، فقام فى الناس خطيبا و قال: أيها الناس لا تجعلوا دعوه نبيكم صلى الله عليه و سلم و رحمه ربكم عذابا، و تزعمون أن الطاعون هو الطاعون الذى بعث على

بنى إسرائيل، إن الطاعون رحمه ربكم رحمكم بها، و دعوه من نبيكم لكم، اللهم ادخل على معاذ منه نصيبه الأوفى، قال: ثم اقتص علينا موت معاذ و ابنه و أهل بيته بالطاعون، ثم ابتهل و قال: اللهم اجعلنا منهم و ارزقنا ما رزقهم، و أصبح من الغد أو بعده مطعونا، فلما سمعت بمرضه جئت إليه و هو يشكو ألما مثل الطعن بالسيف فى جنبه الأيسر بحيث يمنع من الاضطجاع، و حكى ولده شهاب الدين غازى عنه أنه نام بين الصلاتين، ثم انتبه فقال: إنى رأيت جنبى الأيسر يقول لجنبى الأيمن: أنا قد جاءت نوبتى، و الليله نوبتک، فاصبر كما صبرت، فلما كان عشيه النهار شكا ألما خفيفا تحت جنبه الأيمن، و أخذ فى التزايد، و تحققنا أن ذلک الطاعون، فبينما أنا عنده بين الصلاتين، و قد سقطت قواه إذ أخذته سنه، فانتبه و فرائصه ترتعد، فأشار إلى فدنوت منه فقال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم و الخضر عليهما السلام قد جاءا إلى عندى، ثم انصرفا، فلما كان آخر النهار قال: ما فى رجاء فتهيى ء فى تجهيزى، فبكيت و بكى الحاضرون، فقال: لا تكن إلا رجلا و لا تعمل عمل النساء، و لا تغير هيئتک و أوصانى بأهله و أولاده، ثم اشتد به الضعف ليلا، و قمت فى حاجه فحدثنى بعض من كان عنده من أهله أنه أفاق مرعوبا، و قال:

بالله تقدموا إلى جانبى فإنى أجد وحشه، فسئل لم ذلک، فقال: أرى صفا عن يمينى و صورهم جميله و عليهم ثياب حسنه، و صفا عن يسارى و صورهم قبيحه، فيهم أبدان بلا رؤوس، و هؤلاء يطلبونى، و هؤلاء يطلبونى، و أنا أريد أن أروح إلى أهل اليمين، و كلما قال لى أهل الشمال مقالتهم، قلت: ما أجى ء إليكم خلونى من أيديكم، ثم أغفى إغفاءه، ثم استيقظ و قال: الحمد لله خلصت منهم، و كانت وفاته رحمه الله تعالى صباح تلک الليله، و هى ليله السبت السادس و العشرين من جمادى الأولى هذه السنه، و عمره نحو ثلاث و خمسين، و قد استولى عليه الشيب استيلاء كثيرا، و فى صبيحه موته جاء الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله فى أقاربه و عساكره إلى البويضا، و أظهر التأسف و الحزن عليه،

و رأى على بعض أقاربه ملبوسا ملونا، فأنكر عليه ذلک غايه الإنكار، و قال: هذا يوم تلبس فيه هذه الثياب، و قد مات كبيرنا، و شيخنا و أجلنا قدرا، و مكانه ثم حمل إلى الصالحيه فدفن فى تربه والده الملک المعظم رحمهما الله تعالى.

و كانت والده الملک الناصر داود رحمه الله تعالى أم ولد خوارزميه، و عمرت بعد وفاته دهرا، حكى لى عز الدين محمد بن أبى الهيجاء رحمه الله ما معناه أنه قال: خرج الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله إلى البويضا لشهود جنازه الملک الناصر داود رحمه الله، و كنت فيمن خرج فى خدمته، فلما وصل السلطان خرجت والده الملک الناصر داود حاسره، و قالت: اشتفيت بولدى، أو ما هذا معناه من كلام النساء فى حال الحزن و سفههن، فقال الملک الناصر: يا مره مسلمه، و الله إنه عز علىّ فقده، و تألمت لوفاته، و هو ابن عمى، و قطعه من لحمى فكيف تقولين هذا القول، ثم قعد و تأسف عليه، و بكى و لم يتأثر لمقالها و عذرها لما نزل بها، و لم يحضر أحد من أعيان الدمشقيين سوى قاضى القضاه صدر الدين أحمد بن سنى الدوله، و ولده القاضى نجم الدين رحمهما الله تعالى لا غير، فالتفت السلطان إلى القاضى صدر الدين و قال: ما أقل وفاءكم يا دمشقيين يموت مثل الملک الناصر، و هو سلطانكم و أبوه سلطانكم، وجده سلطانكم و ما يخرج أحد إلا أنت و ولدک، و الله كان الواجب على أهل دمشق أن يكونوا من المدينه إلى هنا مكشفى الرؤوس يندبونه، و يبكون عليه، و شرع فى توبيخ الدمشقيين، و لومهم على ذلک بما هذا معناه ...

و خلف الملک الناصر عده أولاد ذكورا و إناثا، و سنذكر أعيان من درج منهم إلى رحمه الله إن شاء الله تعالى.

زهير بن محمد على بن يحيى بن الحسن بن جعفر

بن منصور بن عاصم أبو الفضل، و قيل أبو العلاء بهاء الدين الأزدى المولد، القوصى

المنشأ القاهرى الدار، الكاتب المشهور، و الشاعر المجيد، مولده بوادى نخله بقرب مكه شرفها الله تعالى لخمس مضين من ذى الحجه سنه إحدى و ثمانين و خمسمائه، و ربى بصعيد مصر، و قوص، و قرأ الأدب و سمع و حدث، و له النظم الفائق و النثر الرائق، و كان رئيسا فاضلا كريم الأخلاق حسن العشره جميل الأوصاف، و اتصل بخدمه الملک الصالح نجم الدين بالقاهره فى حياه أبيه الملک الكامل، فلما توجه الملک الصالح إلى الشرق سافر فى خدمته، و أقام معه، فلما مات الملک الكامل، و تسلم الملک الصالح نجم الدين دمشق من الملک الجواد، كان بهاء الدين المذكور صحبته، فلما اعتقل الملک الصالح بالكرک أقام بهاء الدين بنابلس عند الملک الناصر داود، فلما خرج الملک الصالح من الاعتقال و سار إلى الديار المصريه، كان بهاء الدين المذكور فى صحبته، و أقام عنده فى أعلى المنازل، و أجل المراتب، هو المشار إليه فى كتاب الدرج، و المتقدم عليهم، و أكثرهم اختصاصا بالملک الصالح، و اجتماعاته، و سيره رسولا فى سنه خمس و أربعين إلى الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله صاحب حلب، يطلب منه انفاذ الملک الصالح عماد الدين يوسف إسماعيل إليه، فلم يجب الملک الناصر رحمه الله إلى ذلک، و أنكر هذه الرساله غايه الانكار، و أعظمها و استفظعها، و قال: كيف يسعنى أن أسيّر عمه إليه، و هو خال أبى و كبير البيت الأيوبى ليقتله، و قد استجار بى، و الله هذا شى ء لا أفعله أبدا و رجع بهاء الدين إلى الملک الصالح نجم الدين بهذا الجواب، فعظم عليه و سكت على ما فى نفسه من الحنق، و قبل موت الملک الصالح نجم الدين بمده يسيره، و هو نازل بالمنصوره تغير على بهاء الدين و أبعده لأمر لم يطلع على فحواه، حكى لى أن سبب تغيره عليه أنه كتب عن الملک الصالح كتابا إلى الملک الناصر داود، فلما وقف عليه الملک الصالح كتب بخطه بين الأسطر أنت تعرف قله عقل ابن عمى، و أنه يحب من يعظمه و يعطيه يده، فاكتب له ما يعجبه من ذلک، و سير الكتاب إليه و هو مشغول فأعطاه لفخر الدين إبراهيم بن لقمان،

و أمره بختمه فختمه و جهزه، و لم يتأمله و أعطاه للنجاب، فسافر به لوقته، و لما استبطأ الملک الصالح عود الکتاب إليه ليعلّم عليه سأل عنه بهاء الدين و قال: ما وقفت على ما کتبته بخطى بين الأسطر؟ قال: و من يجسر أن يقف على ما کتبه السلطان بخطه إلى ابن عمه و أخبره أنه سيره مع النجاب، فسيروا فى طلبه فلم يدرکوه، و وصل الکتاب إلى الملک الناصر بالکرک فعظم عليه، و تألم له، و کتب إلى الملک الصالح يعتبه العتب المؤلم، و يقول له: و الله ما بى ما يصدر منک فى حقى و إنما بى اطلاع کتابک على مثل ذلک، فعز على الملک الصالح، و غضب على بهاء الدين زهير، و بهاء الدين لکثره مروءته نسب ذلک إلى نفسه، و لم ينسبه إلى فخر الدين إبراهيم بن لقمان رحمه الله تعالى.

و کان الملک الصالح کثير التخيل و الغضب، و المؤاخذه على الذنب الصغير، و المعاتبه على الوهم، لا يقيل عثره، و لا يقبل معذره، و لا يرعى سالف خدمه، و السيئه عنده لا تغفر، و التوسل إليه لا يقبل، و الشفائع لديه لا تؤثر، و لا يزداد بهذه الأمور التى تسل سخائم الصدور إلا حقدا و انتقاما، و کان ملکا جبارا متکبرا، شديد السطوه، کثير التجبر و التعاظم يتکبر على أصحابه و ندمائه و خواصه، ثقيل الوطأه، لا جرم أن الله تعالى قصر مده مملکته و ابتلاه بأمراض عدم فيها صبره، و قتل مماليکه ولده توران شاه من بعده، لکنه کان عنده سياسه حسنه، و مهابه عظيمه وسعه صدر فى إعطاء العساکر، و الإنفاق فى مهمات الدوله، لا يتوقف فيما يخرجه فى هذا الوجه، و کانت همته عاليه جدا، و آماله بعيده، و نفسه تحدثه بالاستيلاء على الدنيا بأسرها، و التغلب عليها، و انتزاعها من يد ملوکها، حتى لقد حدثته نفسه بالاستيلاء على بغداد، و العراق، و کان لا يمکن القوى من الضعيف، و ينصف المشروف من الشريف، و هو أول من استکثر من المماليک من ملوک البيت الأيوبى، ثم اقتدوا به لما آل الملک إليهم، فاقتنى الملک الظاهر رکن الدين بيبرس رحمه الله أکثر منه،

ثم اقتنى الملک المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله منهم أكثر من الملک الظاهر، و لما مات الملک الصالح نجم الدين لم يحزن لموته إلا القليل، مع ما كان الناس فيه من قصد للفرنج الديار المصريه و استيلائهم على قطعه منها، و سر معظم الناس بموته حتى خواصه، فإنهم لم يكونوا يأمنون سطوته، و لا يقدرون على الاحتراز من كل ما ينتقده عليهم و يؤاخذهم به، فإنه كان يؤاخذ على أيسر هفوه بأعظم عقوبه، و لم يكن فى خلقه الميل إلى أحد من أصحابه، و لا أهله و لا أولاده، و لا المحبه لهم، و الحنو عليهم على ما جرت به العاده، و كان يلازم فى خلواته و مجالس أنسه من الناموس ما يلازمه إذا كان جالسا فى دست السلطنه، و كان عفيف الذيل، طاهر اللسان قليل الفحش فى حال غضبه، ينتقم بالفعل لا بالقول، رحمه الله و بالجمله فقد خرجنا عن المقصود، و نعود إليه إن شاء الله تعالى.

و أما بهاء الدين زهير رحمه الله فاتصل بعد موت الملک الصالح بخدمه الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، و له فيه مدائح حسنه يتضمنها ديوانه، ثم فارقه و رجع إلى الديار المصريه، و لزم بيته يبيع كتبه و موجوده و ينفقه، و انكشف حاله بالكليه، و لما عرض بالبلاد الوباء العام عقيب أخذ التتر بغداد، مرض أياما ثم توفى إلى رحمه الله تعالى قبل المغرب من يوم الأحد رابع ذى القعده، و قيل خامسه، هذه السنه عن خمس و سبعين سنه غير شهر واحد، و دفن بالقرافه الصغرى و فضيلته أشهر من أن تحتاج إلى الإطناب فى ذكرها، و أما مروءته و كرم طباعه و عصبيته لكل من يلوذ به و يقصده فذلک أمر مشهور، و كان فى أول أمره كاتبا عند المكرم بن اللمطى متولى قوص و الصعيد فى الأيام الكامليه ...

... و كان بهاء الدين فى خدمه الملک الصالح نجم الدين بالشرق، فأرسله مره إلى الملک الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فلما قدمها حضر عنده شعراؤها و مدحوه، و من جملتهم شرف الدين أبو

الطيب أحمد بن الحلاوى، فلما عاد بهاء الدين إلى مخدومه حضر عنده أصحابه مسلمين عليه، و سألوه عن شعراء الموصل، فأخبرهم بما جرى و أنشدهم البيت، و كان من جمله الحاضرين جمال الدين يحيى بن مطروح رحمه الله، فلما خرجوا من عنده أرسل إلى كل واحد مما استصحبه من الهديه نصيبا ...

... سليمان بن عبد المجيد بن أبى القاسم بهاء الدين

بن أبى على ابن غالب الكرابيسى الأديب الكاتب المعروف بابن العجمى الحلبى الشافعى، ناظر الجيوش فى الأيام الناصريه، مولده بحلب ليله الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنه ست، و قيل سنه خمس و ست مائه، سمع من القاضى بهاء الدين بن أبى المحاسن بن رافع بن تميم، المعروف بابن شداد و غيره، و حدث و تولى بحلب الأوقاف الدينيه، ثم حظى عند الملک الناصر رحمه الله تعالى فقربه و أدناه، و كان رئيسا عالما فاضلا، جليل القدر كريم الأخلاق، حسن العشره، لطيف الشمائل جيد الكتابه، خبيرا بقوانينها متأهلا للوزاره و غيرها من الرتب الجليله، و بيته مشهور بالعلم و الحديث و الرياسه و الكتابه و التقدم، و السنه و الجماعه و توفى عون الدين المذكور بدمشق فى نصف ربيع الأول و دفن من الغد بعد المغرب بسفح قاسيون رحمه الله تعالى، و له نظم جيد ...

عبد الله الإمام المستعصم بالله أبو أحمد أمير المؤمنين

، ابن المستنصر بالله أبى جعفر المنصور، ابن الظاهر بأمر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله، أبى العباس أحمد بن المستضى ء بأمر الله أبى محمد الحسن بن المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتفى بأمر الله، أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله، أبى العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله، أبى القاسم عبد الله ابن الأمير الذخيره أبى العباس محمد بن القائم بأمر الله، أبى جعفر عبد الله بن القادر بالله أبى العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله، أبى الفضل جعفر ابن المعتضد بالله، أبى

العباس أحمد بن الأمير الموفق، أبى أحمد طلحه بن المتوكل على الله، أبى الفضل جعفر بن المعتصم بالله، أبى اسحاق محمد بن الرشيد، أبى محمد هارون بن المهدى بالله، أبى عبد الله محمد بن المنصور، أبى جعفر عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رحمه الله مولده سنه تسع و ستمائه و بويع له بالخلافه لما توفى والده فى العشرين من جمادى الأولى سنه أربع و ستمائه، فكانت الخلافه خمس عشر سنه و ثمانيه أشهر و أياما، و مقدار عمره سبع و أربعون سنه، و استجاز له و لجماعه من أهله أبو عبد الله بن النجار فى رحلته إلى خراسان جماعه كثيره منهم:

أبو روح عبد المعز بن محمد الهروى، و أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسى، و أبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصفار، و أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرى، و غيرهم و حدث فسمع منه: صدر الدين شيخ الشيوخ أبو الحسن على بن محمد، و حدث عنه، و أجاز الإمام محيى الدين أبى المظفر يوسف بن الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، و الشيخ نجم الدين أبى محمد عبد الله بن محمد الباذرائى، و حدثا عنه بهذه الإجازه، و كان المستعصم بالله متدينا متمكنا متمسكا بمذهب أهل السنه و الجماعه على ما كان والده و جده رحمهما الله تعالى، و لم يكن على ما كانا عليه من التيقظ و علو الهمه، فإن والده المستنصر بالله كان ذا همه عاليه، و شجاعه وافره، و نفس أبيه و عنده إقدام عظيم، و استخدم من العساكر ما يزيد على مائه ألف، و قصدت التتر بلاد العراق فى أيامه فلقيهم عسكره، و انتصف منهم، و هزمهم، و كان للمستنصر بالله أخ يعرف بالخفاجى يزيد عليه فى الشهامه و الشجاعه، و كان يقول: إن ملكنى الله تعالى أمر الأمه لأعبرن بالعسكر نهر جيحون، و أنتزع البلاد من يد التتر و أفنيهم قتلا و أسرا و سبيا، فلما توفى المستنصر بالله لم ير الدوادار و الشرابى- و كانا غالبين على الأمر- و لا بقيه أرباب الدوله تقليده الخلافه خوفا منه، و لما يعلمون من استقلاله بالأمر و استبداده بالتدبير دونهم، و آثروا أن يليها المستعصم بالله لما يعلمون من لينه

و انقياده ليكون الأمر إليهم، فاتفق رأى أرباب الدوله على تقليد المستعصم بالله الخلافه بعد أبيه، فتقلدها و استبدوا بالتدبير، ثم ركن إلى وزيره مؤيد الدين بن العلقمى، فأهلک الحرث و النسل، و حسن له جمع الأموال و الاقتصار على بعض العساكر، و قطع الباقين، فوافقه على ذلک، و كان فيه شح و حب لجمع المال، فوافق ما أشار به الوزير و غيره عليه من ذلک ما فى نفسه، فأجابهم، و بذل الوزير جهده فى بوار الإسلام، فبلغ قصده كما ذكرنا، و كان المستعصم بالله قليل المعرفه و التدبير، و التيقظ، نازل الهمه محبا لجمع المال، مهملا للأمور، يتكل فيها على غيره، و يقدم على فعل ما يستقبح، و لا يناسب منصبه، و لو لم يكن من ذلک إلّا ما فعله مع الملک الناصر داود فى أمر الوديعه، لكفاه ذلک عارا و شنارا، حتى لو كان الملک الناصر من بعض الشعراء، و قد قصده و تردد إليه على بعد المسافه و امتدحه بعده قصائد، و كان يتعين عليه أن ينعم عليه بقريب من قيمه وديعته من ماله، فقد كان فى أجداد المستعصم بالله من استفاد منه آحاد الشعراء أكثر من ذلک إلى غير ذلک من الأمور التى كانت تصدر عنه مما لا يناسب منصب الخلافه، و لم تتخلق بها الخلفاء قبله، فكانت هذه الأسباب كلها مقدمات لما أراد الله تعالى بالخليفه و العراق، و أهله، و إذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه.

و من الاتفاقات العجيبه أن أول الخلفاء من آل أبى سفيان اسمه معاويه، و آخرهم معاويه، و أول الخلفاء من آل الحكم ابن أبى العاص اسمه مروان، و آخرهم مروان، و الخلفاء العلويين بالغرب و الديار المصريه اسمه عبد الله، و آخرهم اسمه عبد الله و أول الخلفاء من بنى العباس عبد الله السفاح، و آخرهم عبد الله المستعصم بالله، و عددهم سبعه و ثلاثون خليفه، و مده ملكهم خمسمائه سنه و أربع و عشرون سنه، منذ بويع السفاح بالخلافه إلى هذه السنه، فسبحان من لا يزول ملكه، و لا يحول سلطانه.

و قال القاضى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن واصل رحمه الله:

أخبرنى من أثق بنقله يوم ورود الخبر بتملک التتر بغداد، أنه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته: إن على بن عبد الله بن العباس بلغ بعض خلفاء بنى أميه عنه أنه يقول: إن الخلافه تصير إلى ولده فأمر به فحمل على جمل و طيف به، و ضرب و كان يقال عند ضربه: هذا جزاء من يفترى و يقول إن الخلافه تكون فى ولده، فكان على بن عبد الله رحمه الله يقول: إى و الله لتكون الخلافه فى ولدى و لا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم، فوقع مصداق ذلک، و هو ورود هولاكو ملک التتر من خراسان و إزاله ملک بنى العباس ...

يوسف بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله

بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، رضوان الله عليه أبو المظفر محيى الدين القرشى، التيمى، البكرى، البغدادى، الحنبلى المعروف بابن الجوزى، مولده فى ليله السبت ثانى عشر ذى القعده سنه ثمانين و خمس مائه، تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، و سمع من أبيه الإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن، و من أبى القاسم يحيى بن أسعد بن بوش، و أبى الفرج عبد المنعم بن كليب، و جماعه آخرين و ترسل عن الديوان إلى مصر، و الروم، و الشام، و الشرق، و الموصل و الجزيره، و غير ذلک عده دفوع فى الأيام المستنصريه، و الأيام المستعصميه، و تولى أستاذيه الدار ببغداد مده، و كان إماما عالما فاضلا رئيسا، أحد صدور الاسلام و فضلائهم، و أكابرهم و أجلائهم، و من بيت الفضيله و الروايه و الدرايه، و حدث ببغداد و مصر و غيرهما من البلاد، و والده الإمام جمال الدين أوحد علماء المسلمين، و حفاظ المحدثين صاحب التصانيف المشهوره، و الفضائل المذكوره فى فنون العلم، و شهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره.

و كان وصل محيى الدين المذكور رسولا من المستنصر بالله إلى حلب سنه أربع و ثلاثين، و ملكها يومئذ الملک العزيز فتوفى فى شهر ربيع الأول من السنه، ثم توجه إلى الروم رسولا، فمات الملک علاء الدين سلطان الروم فى شوال من السنه، ثم توجه رسولا إلى الملک الأشرف ابن العادل، و أخيه الملک الكامل، فتوفى الأشرف فى المحرم سنه خمس و ثلاثين، و توفى الكامل فى شهر رجب منها، فعمل الأمير أبو القاسم بن محمود بن الأرشد بن الحسين بن محمود بن إبراهيم السنجارى المولد الحنفى المذهب:

قل للخليفه رفقالک البقاء الطويل

أرسلت فيهم رسولاسفيره عزرئيل

و من رعاه البلادلم يبق إلّا القليل

تلقاه حيث استقلت به الركاب عويل

فليت شعرى هذامغسل أم رسول

سموه باسمين كاناصدّيق فيما يقول

محيى تصدى مميتاو يوسفا و هو غول

و للملک الناصر داود بن المعظم عيسى فى هذه الواقعه:

يا إمام الهدى أبا جعفر المنصور يا من له الفخار الطويل

ما جرى من رسولک الشيخ محيى الدين فى هذه البلاد قليل

جاءو الأرض بالسلاطين تزهوو انثنى و القصور منهم طلول

أقفر الروم و الشآم و مصرأفهذا مغسل أم رسول

كان محيى الدين المذكور قد ولاه الإمام الناصر لدين الله حسبه بغداد، و أنعم عليه إنعاما عظيما، و رزق منه حظا، و لم يزل فى ترق إلى أن ولى

أستاذيه الدار للخليفه، و ترسل عنه إلى ملوک الأقاليم، و حصل له الوجاهه التامه و وعظ، و له علم بالتفسير و الحديث و الفقه، و نظم الشعر، و له المدايح فى الخلفاء خاصه.

قال المبارک بن أبی بکر بن حمدان فی قلائد الفرائد: قدم إربل رسولا من دیوان الخلافه إلی خوارزم شاه منکبرتی بن محمد بن تکش، فاجتمعت به بعد عوده من الرساله بإربل فی أواخر شعبان سنه سبع و عشرین و ست مائه، و ذکر لی أن مولده فی ذی القعده سنه ثمانین و خمس مائه، و أن له عده تصنیفات فی الخلاف و الجدل، و المذهب و الوعظ، و أنه قرأ القرآن الکریم بالقراءات علی أبی بکر الباقلانی، و له کتاب سماه معادن الإبریز فی تفسیر الکتاب العزیز ...

و ذکر ابن المستوفی فی تاریخ إربل أن محیی الدین المذکور تولی حسبه بغداد، و عقد بها مجالس الوعظ، و قیل إنه کان یعمل فی کل اسبوع قصیده یمدح بها الإمام الناصر لدین الله أمیر المؤمنین.

و قال قاضی القضاه شمس الدین أبو العباس أحمد بن خلکان رحمه الله تعالی فی کتابه الموسوم بوفیات الأعیان: حکی لی الوجیه أبو عبد الله محمد بن علی بن أبی طالب المعروف بابن سوید التاجر التکریتی قال: کان الشیخ محیی الدین خال أبو المظفر یوسف بن الجوزی رحمه الله قد توجه رسولا من بغداد إلی الملک العادل بن الکامل بن العادل ابن أیوب سلطان مصر فی ذلک الوقت، و کان أخوه الملک الصالح نجم الدین أیوب بن الملک الکامل محبوسا فی قلعه الکرک یومئذ، فلما عاد محیی الدین راجعا إلی بغداد، و قدم دمشق و کنت بها، فدخلت علیه أنا و الشیخ أصیل الدین أبو الفضل عباس بن عثمان بن شهاب الإربلی، و کان رئیس التجار فی عصره، و جلسنا نتحدث معه، فقال: حلفت الملک الناصر داود صاحب الکرک أن لا یخرج الملک الصالح نجم الدین من الحبس إلّا بأمر أخیه الملک العادل، قال: فقال له الأصیل: یا مولانا هذا بأمر الدیوان العزیز؟ فقال محیی الدین: و هل هذا یحتاج إلی إذن؟

هذا اقتضته المصلحه، لکن أنت تاریخ یا أصیل الدین، فقال: یعنی مولانا أنی قد کبرت، و ما أدری ما أقول، و أنا أحکی لمولانا حکایه فی

هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات! قال: هات، فقال: كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل فى كل شهر حمل واسط و هو ثلاثون ألف دينار لا يمكن أن يتأخر يوما عن العاده، فتعذر فى بعض الأشهر كمال الحمل فضاق صدره لذلک، و ذكره لنوابه فقالوا له: يا مولانا هذا ابن زباده عليه من الحقوق أضعاف ذلک، و متى حاسبته قام بما يتم الحمل و زياده، فاستدعاه و قال له: أنت لم لا تؤدى كما يؤدى الناس؟

فقال: أنا معى خط الامام المستنجد بالمسامحه، قال: فهل معک خط مولانا الإمام الناصر؟ قال: لا، قال: قم و احمل ما يجب عليک، قال: ما التفت إلى أحد و لا أحمل شيئا، و نهض من المجلس فقال النواب لابن رئيس الرؤساء: أنت صاحب الوسادتين و ناظر النظار، و ما على يدک يد، و من هو هذا حتى يقابلک بمثل هذا القول، و لو كبست داره، و أخذت ما فيها ما قال لک أحد شيئا، و حملوه عليه حتى ركب بنفسه و أجناده، و كان ابن زباده يسكن قباله واسط، و قدموا لابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر إليه و إذا بزبزب قد قدم من بغداد فقال: ما قدم هذا إلّا فى مهم ننظر ما هو، ثم نعود إلى ما نحن بسببه، فلما دنا من الزبزب، فإذا فيه خدم من خدام الخليفه فصاحوا به: الأرض الأرض! فقبّل الأرض و ناولوه مطالعه، و فيها: قد بعثنا خلعه و دواه لابن زباده، فتحمل الخلعه على رأسک، و الدواه على صدرک و تمشى راجلا إليه، و تلبسه الخلعه، و تجهزه إلينا وزيرا، فحمل الخلعه على رأسه و الدواه على صدره و مشى إليه راجلا، فلما رآه ابن زباده أنشده ابن رئيس الرؤساء:

إذا المرء حى فهو يرجى و يتّقى و ما يعلم الانسان ما فى المغيب

و أخذ يعتذر إليه، فقال له ابن زباده لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ(1) و ركب فى الزبزب إلى بغداد، و ما علم أن أحدا أرسلت إليه الوزاره

1- سوره يوسف- الآيه: 92.

غيره، فلما وصل إلى بغداد أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن واسط، و قال: هذا ما يصلح لهذا المنصب، ثم قال الأصيل:

المصلحه يا مولانا أن تخرج الملک الصالح، و تملک و تعود إليه و يقع وجهک فى وجهه و تستحى منه فأنشده محيى الدين:

و حتى يؤوب القارظان كلاهماو ينشر فى الموتى كليب لوائل

فما كان إلّا مديده حتى خرج الملک الصالح من حبس الكرک، و ملک مصر، و قبض على العادل، فخرج محيى الدين للقائه، و كان بها رسولا إلى العادل.

قلت: و مولد قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعد بن هبه الله بن على بن زباده الشيبانى يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من صفر سنه اثنتين و عشرين و خمسمائه، و توفى ليله الجمعه السابع و العشرين من ذى الحجه سنه أربع و تسعين و خمسمائه ببغداد، رحمه الله.

و أما جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محيى الدين يوسف المذكور فمولده سنه ست و ستمائه، سمع و وعظ، و ترسل عن الديوان إلى مصر و ولى الحسبه ببغداد، و درس بالمدرسه المستنصريه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى، و كان رئيسا معظما من أعيان الدوله و أماثلها، و له ديوان شعر، حدث بمصر و ببغداد، و قتل ببغداد شهيدا فى صفر سنه ست و خمسين، و كان والده بكّر به فأسمعه من الشيخ أبى محمد عبد العزيز، و غيره من شيوخ بغداد.

و أما أخوه شرف الدين، فهو الذى كان أرسله المستعصم بالله إلى هولاكو، لما قصد بغداد يبذل له الأموال، و كان من الرؤساء الأعيان الفضلاء، و أما أخوه تاج الدين فكان رئيسا فاضلا عالما متدينا من أعيان رؤساء بغداد، فقتل الجميع شهداء على يد التتر ببغداد فى شهر صفر رحمهم الله.

[أحداث] السنه السابعه و الخمسين و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الملک الناصر صاحب الشام و غيره، ففی أوائلها رحل بالعساکر متتبعا آثار البحريه فاندفعوا بين يديه إلی الکرک فنزل برکه زيزاء(1)، ليحاصر الکرک، و صحبته الملک المنصور صاحب حماه، فجاء إلی الملک الناصر رسل المغيث و دار القطبيه ابنه الملک المفضل قطب الدين بن العادل يتضرعون إليه، و يطلبون رضاه عن المغيث، فشرط عليه أن يقبض علی من عنده من البحريه، فأجاب إلی ذلک و قبض عليهم، و جهزهم إلی الملک الناصر علی الجمال، و هو نازل ببرکه زيزاء، فحملوا إلی حلب و اعتقلوا بها، و لما أحس الأمير رکن الدين البندقداری بما وقع عليه الاتفاق هرب من الکرک فی جماعه من البحريه، و وصل إلی خدمه الملک الناصر فتلقاهم و أحسن إليهم، و عفا عنهم، و لما تم الصلح رجع الملک الناصر إلی دمشق و صحبته الأمير رکن الدين البندقداری، و توجه صاحب حماه إليها.

[دخول هولاکو ديار بکر:]

و فيها دخل هولاکو ديار بکر قاصدا حلب، و نزل علی آمد، و بعث رسله إلی الملک السعيد نجم الدين ايلغازی صاحب ماردين يستدعيه، فسير إليه ولده الملک المظفر قرا أرسلان، و قاضی القضاه مهذب الدين محمد بن مجلی، و الأمير سابق الدين بلبان، و کان أکبر أمرائه، و علی أيديهم هديه، و حملهم رساله تتضمن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه الحرکه، و وافق وصولهم إليه أخذه لقلعه اليمانيه، و إنزاله من بها من حريم الملک صاحب ميافارقين رحمه الله و أولاده و أقاربه، و هم ولده الملک الناصر صلاح الدين يوسف جفتای، و الملک السعيد عمر، و ابن أخيه الملک الأشرف أحمد، و ابن تاج الملوک علی بن الملک العادل، و ينعت بالصالح نجم الدين أيوب، فلما رأوهم هلعوا و جزعوا و أدوا

1- بهامش الأصل: زيزاء من قری البلقاء کبيره يطؤها الحاج، و يقام لها سوق و فيها برکه عظيمه.

الرساله فقال: ليس مرضه بصحيح، و إنما هو متمارض مخافه الملک الناصر فإن انتصرت عليه اعتذر إلىّ بزياده المرض، و إن انتصر علىّ كانت له اليد البيضاء عنده إذ لم يجتمع بى، فلو كان للملک الناصر قوه يدفعنى لم يمكنى من دخول بلاده، و قد بلغنى أنه بعث حريمه و حريم أمرائه و كبراء رعيته إلى مصر، و لو نزل صاحبكم إلىّ رعيت له ذلک، ثم أمر برد القاضى وحده، فعاد و أخبر الملک السعيد بصوره الحال، و عرفه أنه رأى عند هولاكو عز الدين، و ركن الدين ملوک الروم، فتألم و ندم على إرسال ولده و بعث رسلا إلى البريه إلى الملک الناصر يستحثه على الحركه إلى حلب، و يعرفه أنه متى وصل إليها رحل إليه برجاله و ماله، و سير الأمير عز الدين يوسف السماع رسولا فى الظاهر إلى هولاكو بهديه، و إلى ولده و إلى ولدى غياث الدين صاحب الروم باطنا يحرض ولده على الهروب، و ينكر على ولدى صاحب الروم فى مجيئهما، فأوسعا الحيله فى الانفصال عنه و الحذر منه، و قال عز الدين: و الله ما خرجت البلاد عن أيدينا إلّا بتخاذل بعضنا عن بعض، فلو كانت الكلمه مجتمعه لم يجر علينا ما جرى ...

[أحداث]بو بكر بن الملک الأشرف

أبى الفتح محمد بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى رحمه الله، مولده بمصر فى النصف الآخر من شهر رمضان سنه سبع و تسعين و خمسمائه، سمع بحلب من ابن طبرزد، و ابن حنبل، و دخل بغداد، و سمع بها من أصحاب أبى الوقت السجزى و حدث بدمشق و غيرها، و كانت وفاته فى الثانى و العشرين من ذى الحجه باليا روقيه بحلب، رحمه الله.

[أحداث] السنه الثامنه و الخمسون و الستمائه

[دخول المغول حلب:]

أولها يوم الخميس، فيها كثر الإرجاف بوصول التتار إلى البلاد، فجفل الناس من بين أيديهم إلى الديار المصريه، و الجبال و الأماكن المتوعره، و فى منتصف صفر ورد الخبر إلى دمشق باستيلاء التتار على

بلاد حلب بالسيف، و كان نزولهم على حلب فى ثانى صفر، و استولوا عليها فى تاسعه، و أمنوا أهلها ثم غدروا بهم فقتلوهم، و لما اتصل ذلک بالملک الناصر رحمه الله سار عن دمشق بأمرائه نحو القبله، و كان رسل التتار بقريه حرستا، فأدخلوا دمشق ليله الاثنين سابع عشر صفر و قرى ء فى يوم الاثنين بعد صلاه الظهر فرمان جاء من عند ملكهم يتضمن الأمان لأهل دمشق، و ما حولها، و شرع أكابر البلد فى تدبير أمرهم معهم، و فى سابع عشر ربيع الأول وصل إلى دمشق نواب التتار، فلقيهم كبراء البلد أحسن ملتقى، و قرى ء ما معهم من الفرمان المتضمن الأمان بالميدان الأخضر، و وصلت عساكرهم من جهه الغوطه مارين وراء الضياع إلى جهه الكسوه، و أهلكوا فى ممرهم جماعه كانوا قد تجمعوا و تحزبوا و عدم بسبب ذلک جماعه من غيرهم.

و فى السادس و العشرين منه جاء منشور من هولاكو للقاضى كمال الدين عمر بن العديم بتفويض قضاء القضاه إليه بمدائن الشام، و الموصل و ماردين، و ميافارقين، و الأكراد و غير ذلک، و تفويض جميع الأوقاف إلى نظره، و وقف الجامع و غيره، و كان القاضى قبله صدر الدين أحمد بن سنّى الدوله من جمادى سنه ثلاث و أربعين، و كان كمال الدين ينوب عنه فى الحكم بدمشق، و فى ربيع الآخر رجعت عساكر التتار التى كانت عبرت على دمشق بعد ما عاثت فى بلاد حوران و أرض نابلس و ما حولها، و كان الأمير محيى الدين إبراهيم بن أبى زكرى بنابلس فقاتلهم قتالا شديدا، و أبلى بلاء حسنا بحيث قتل بيده منهم عشره نفر، ثم قتل رحمه الله، فلما بلغ الملک الناصر رحمه الله ذلک، و هو بغزه توجه نحو الديار المصريه فنزل العريش، ثم قطيا، ثم تفرق عسكره عنه فتوجه معظم العسكر إلى الديار المصريه مع الأثقال، و عاد الملک الناصر فى طائفه من خواصه لشى ء بلغه عن ملک مصر و نزل بوادى موسى، ثم نزل بركه زيزاء فكبسه التتار بها، و تفرق عنه

معظم أصحابه، ثم استأمن له بعض أصحابه، و صار إليهم، فكان معهم فى ذل و هوان إلى أن قتل على ما نذكر إن شاء الله تعالى.

[وصول طلائع المغول إلى غزه:]

و أما العساكر التتريه فبلغت غارتهم أرض غزه، و بلد الخليل صلوات الله عليه، و الصلت و بركه زيزاء و موجب الكرک و نحو ذلک، فقتلوا الرجال، و سبوا النساء و الصبيان، و استاقوا من الأسرى و الأبقار و الأغنام و المواشى شيئا كثيرا، و أخذوا من الأسلاب و الأثاث ما لا يحصى، فلما وصلوا دمشق اشترى من الأسرى شى ء كثير، و أطلقوا و هرب بعضهم، و استصحبوا معهم من بقى، و قد كانت قلعه دمشق امتنع بها الأمير بدر الدين محمد بن فريجار واليها، و جمال الدين ابن الصيرفى نقيبها فى جمع كثير بها، و احتيج إلى حصارها فجاءها من التتر خلق كثير، وصلوا يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى، فما باتوا تلک الليله حتى قطعوا من الأخشاب ما احتاجوا إليه، فكانوا استصحبوا معهم أكثر من عشرين منجنيقا تجرها الخيل، و هم ركاب عليها، و قدموا قبل ذلک بأسلحه تجرها البقر على العجل، و أصبحوا يوم الاثنين يجمعون الحجاره لرمى المناجيق فأخربوا حيطانا كثيره، و أخذوا حجارتها من أساسها و أخربوا طرفا من القنوات بسبب الحجاره، و هيؤوها للرمى و نصبت المجانيق ليله الثلاثاء و أصبحوا يرمون بها رميا متتابعا، فأخربوا كثيرا من القلعه من غربيها، فما أمسوا حتى طلبوا الأمان فأمنوهم، و خرجوا من الغد، و نهب ما فى القلعه و أحرق فيها مواضع كثيره و هدم من أبراجها و أعاليها، ثم ساروا إلى بعلبک، و كان قبل ذلک حضر عند هولاكو تقى الدين الحديثى الحشائشى، و كان هذا تقى الدين أصله من قريه حديثا من بقاع بعلبک، و ربى ببعلبک بين أهلها كأحدهم، ثم سافر إلى الديار المصريه وفاق أهل عصره فى معرفه الحشائش و الأعشاب و خواصها، و منافعها و مضارها، و تقدم عند الملک المعز أيبک التركمانى، و أعطاه إقطاعا جيدا، ثم جهزه إلى الملک الناصر فى بعض مهماته، فاتفق

قتل الملک المعز، و هو بالشام، فأقام بدمشق، فورد کتاب هولاکو علی الملک الناصر رحمه الله یطلب جماعه، التقّی أحدهم، فسیرهم إلیه فحصل له منه إقبال، فلما حصل الاستیلاء علی حلب سأل من هولاکو فرمان لأهل بعلبک و شحنه من التتر، فأجابه إلی ذلک، فوصل المذکور و معه الفرمان و الشحنه، و دخل بعلبک و اجتمع به أهلها، و کلهم معارفه، و معظم أصحابه، و تحدث معهم فی الدخول فی الطاعه، و قبول الأمان و کان سائر أهل البلاد إلا القلیل قد صعدوا إلی القلعه بأموالهم و حریمهم مصممین العصیان، و کان نائب السلطنه بالأعمال البعلبکیه الأمیر ناصر الدین محمد بن البتینی رحمه الله، فعند ما بلغ أهل البلد منازله التتر لحلب سألوه المقام عندهم و الذبّ عنهم و تدبیر أمورهم، فأجابهم و أصعد إلی القلعه شیئا کثیرا، فلما بلغه أخذ حلب، و توجه الملک الناصر من دمشق، رجع عن الصعود إلی القلعه، و سافر إلی جهه بانیاس و الصبیبه، و کانت تحت نظره و ولایته، و سافر معه جماعه من أهل بعلبک، فلما اتفق بعد ذلک قدوم التقی تحللت العزائم، و جنحت إلی قبول الأمان، فقال لهم: ینزل معی جماعه من أعیان البلد إلی دمشق لأحضرهم عند نواب الملک، و أعرفهم بدخولهم فی الطاعه، فتوجه صحبته جماعه من الأعیان قریب خمسه عشر نفرا فلما وصلوا دمشق أنزلوا فی مدرسه الأمیر ناصر الدین القیمری، و رتب لهم راتب متوفر من الطعام و الحلواء و الفاکهه و غیر ذلک و أحسن إلیهم غایه الإحسان، و خلع علیهم خلع سنیه، و هذا لم یجر لغیرهم مع التتر، فرجعوا إلی بعلبک صحبه التقی علی أن یسلموا القلعه و ینزل الناس إلی بیوتهم، فاتفق یوم وصولهم إلی بعلبک وصول بدر الدین یوسف الخوارزمی إلی بعلبک من عند هولاکو، و معه فرمان بولایه بعلبک و أعمالها، و کان هذا بدر الدین رحمه الله قد ولی مدینه بعلبک فی الأیام الناصریه، و رفق بأهلها و عاملهم أجمل معامله، و صادق کثیرا منهم و عاشرهم، ثم عزل و ولی ولایات أخر، ثم عزل عنها و اعتقل بدمشق، و انقضت الدوله

الناصريه و هو بالاعتقال، فخرج من الحبس و قصد هولاكو، و كان عنده شهامه و ترسل، و معرفه بسائر الألسن، و هو مقبول الصوره، و له معرفه بابن كشلو خان، و كان ابن كلشو خان مع التتر، و له صوره عندهم، فلما حضر بدر الدين المذكور عند هولاكو ذكر معرفته ببعلبک و أهلها، و تكفل بتسهيل ما تعسر منها و كان لبعلبک عند التتر صوره كبيره لحصانه قلعتها، و نجده رجالها، فكتب له فرمان بولايتها، و اتفق وصوله على ما تقدم، فتحلل لقدومه معظم العزائم، و دخل البلد و أمر، و نهى، و أنس به الناس لقديم المعرفه و تمسک بالعصيان شجاع الدين إبراهيم والى القلعه، و من عنده من المستخدمين، و قريب نصف أهل البلد، و قد كان كتب شجاع الدين إلى الملک الناصر رحمه الله يعرفه صوره الحال، و استأذنه فيما يفعل و سير الكتاب مع شخص يعرف بالمقرى ء إبراهيم، فوجده ببركه زيزاء فأعطاه المطالعه فقرأها و قال: داروا عن أنفسكم و كتب الجواب بمثل ذلک.

حكى لى المقرى ء إبراهيم المذكور قال: لما قرأ المطالعه، و أمر بكتب الجواب حصل له فى خلال ذلک رعاف يسير، فمسح أنفه بمنديل كان فى يده و رماه، و طلب غيره، فلم يكن عنده غيره فغسل بيده موضع الدم منه و حمله، قال: و لم أجد معه إلّا نفرا يسيرا جدا إن فى ذلک لعبره.

و أما أهل القلعه فتمسكوا بالعصيان، و انتظار ما يرد به جواب الملک الناصر، فعاد كتبغانوين بالعساكر، و كان عند توجهه إلى دمشق اجتاز ببعلبک، و لم يتعرض لقتالها، فلما عاد بعد أخذ قلعه دمشق أحضر معه بدر الدين محمد بن قريجار، و جمال الدين بن الصيرفى ليتحدثا مع أهل القلعه، فتحدثوا فلم يفد، و حضر إبراهيم بجواب الملک الناصر فحلل ما بقى من العزائم، غير أن الوثوق بأمان التتر غير محقق، فلما رأى كتبغا إصرارهم نازل القلعه و نصب عليها عده مجانيق فى يوم الأحد و جميعها تضرب فى برج واحد لعله من أحصن الأبراج بحيث فتحت فيه

المجانيق طاقه كبيره، كالباب الكبير فأذعن أهل القلعه بتسليمها، و طلبوا الأمان فأمنهم كتبغا على أنفسهم، و أن يخرج كل انسان بما يستطيع أن يحمله من ماله، فخرجوا على هذه الصوره بعد عصيان يوم واحد، و وفى لهم بذلک، و لم يرق لأحد محجمه دم، ثم بعد خروج الناس من القلعه دخلها كتبغا فرآها، و صعد قلتها، و نهبها التتر و أخذوا ما وجدوا فيها، و رحلوا و قد بقى فيها من: القمح، و الشعير، و الحبوب، و الدبس، و الملبن و غير ذلک من الطعومات شى ء كثير، فتلطف بدر الدين يوسف الخوارزمى و أحسن السياسه فيه بحيث شاور كتبغا و تلطف به حتى أجاب إلى أن يقرر عن هذا الطعم درهم معلوم، فقرر على ذلک قريب خمسين ألف درهم بحيث ناب غراره القمح عشرين درهما، و غراره الشعير عشره دراهم، و قنطار الدبس الشديد عشرين، و قنطار الملبن ثلاثين درهما، فحصل للناس بذلک رفق كثير.

ثم إن كتبغا أمر باعتقال شجاع الدين إبراهيم والى القلعه ببعلبک و ديوانها، فاعتقلوا خلا شاهد القلعه فإنه كان خرج منها قبل حصرها، و طلع إلى جبل الكسروانيين، فاعتقلوا ثم استدعوا إلى مرج برغوث و ضربت رقابهم، و ضربت رقبه ولد الشجاع و صهره معه، و لذلک ضرب هناک رقبه بدر الدين محمد بن فريجار و ابن الصيرفى نقيب قلعه دمشق، و جرى بألطاف الله تعالى بأهل بعلبک ما لم يكن فى الحساب فلله الحمد على ذلک.

و فى غره شعبان حضر الملک الأشرف موسى ابن صاحب حمص إلى بعلبک، و قد استقر نائب هولاكو فى الشام بأسره، و سلم إليه حمص و الرحبه، و تدمر، و تل باشر بقلاعها، فأقام بظاهر بعلبک يومين و توجه إلى دمشق.

[توجه يحيى بن الزكى و أولاده إلى هولاكو:]

و فيها توجه قاضى القضاه محيى الدين يحيى بن الزكى و أولاده و أخوه لأمه شهاب الدين، و قاضى القضاه صدر الدين أحمد بن سنى الدوله إلى

أردو هولاكو، فأدركوه دون الفرات قبل قطعها، ثم عادوا إلى طريق بعلبک فوصلوها سادس جمادى الآخره أو سابعه بكره الخميس و محيى الدين فى تجمل عظيم، و هو راكب فى محفه، و معه من الحشم و الغلمان و الأولاد و الحاشيه ما لا مزيد عليه، و صلى الجمعه فى شباک قبه المدرسه الأمينيه المجاوره جامع بعلبک، و أحضر منبر إلى صحن الجامع قباله الشباک المشار إليه، و قرى ء عليه تقليده، و هو تقليد عظيم جدا بسط فيه القول و المبالغه فى تفخيم القاضى محيى الدين، بحيث لا يخاطب فيه إلا بمولانا، و هو يتضمن فيه تفويض القضاء إليه بسائر البلاد الشاميه من قنسرين إلى العريش، و نائبه أخوه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن وحيس، و كذلک الأوقاف و غيرها، و أن يشارک النواب فى أمورهم بحيث لا يخرجوا عن رأيه، و لا يستبدون دونه بأمر و كان عليه حال قعوده فى الشباک فرجيه عظيمه سوداء منسوجه بالذهب، قيل إنها الخلعه التى خلعت على الملک الناصر يوسف رحمه الله من جهه الخليفه، أخذت من قلعه حلب، و على رأسه بقيار صوف بغير طيلسان، ثم توجه إلى دمشق، و أقام القاضى صدر الدين ببعلبک فى منزل إلى حين توفى رحمه الله، و سنذكره إن شاء الله تعالى.

[عوده ابن الزكى قاضيا إلى دمشق:]

ثم وصل محيى الدين إلى دمشق و قرى ء الفرمان بتوليته يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخره تحت النسر بجامع دمشق، و حضر قراءته إيل سبان نائب ملک التتر، و كان من المغل، و حضرت زوجته معه، و قعدت على طراحه بسطت لها بين زوجها و القاضى إلى جانب العمود الشرقى فى الباب الكبير الأوسط من أبواب النسر بالجامع، ثم أضاف القاضى محيى الدين إلى نفسه و أولاده و أهله عده مدارس: كالعذراويه، و السلطانيه، و الفلكيه، و الركنيه، و القيمريه، و الكلاسيه، و الصالحيه ولاها عماد الدين بن عزى، و الأمينيه ولاها ولده عماد الدين عيسى، مع مشيخه الشيوخ، و باشر أخوه شهاب الدين عنه نيابه الحكم مع تدريس

الرواحيه، و الشاميه البرانيه، مع أن شرطها أن لا يجمع المدرس بينها و بين غيرها، و بقى الأمر كذلک إلى أن ملک المسلمون فى أواخر شهر رمضان من هذه السنه، فبذل أموالا جليله على أن يستمر على حاله فأجيب إلى ذلک نحو شهر، ثم أمر بالسفر مع السلطان الملک المظفر رحمه الله إلى مصر، فتولى القاضى نجم الدين أبو بكر محمد بن سنى الدوله و قرى ء تقليده بشباک الحكم بالجامع بدمشق يوم الجمعه الحادى و العشرين من ذى القعده.

[استيلاء التتار على عدد من القلاع:]

و فيها لما استولى التتر على القلاع أبقوا بلاطنس على ابن واليها نجم الدين بن قايماز الظاهرى، فلما كسروا استفسد مظفر الدين عثمان بن منكورس صاحب صهيون من كان بها من الأجناد على نجم الدين واليها، فسلموها إليه فى العشر الأول من ذى القعده سنه ثمان و خمسين، و بقيت فى يده إلى أن سلمها لولده عز الدين أحمد، فبقيت فى يده مده حياه أبيه، و بعد وفاته إلى أن سلمها إلى نواب الملک الظاهر فى سنه سبع و ستين، و سنذكر ذلک إن شاء الله تعالى.

و فيها وصل الخبر باستيلاء التتر على عده قلاع منها: الصلت، و عجلون، و صرخد، و بصرى، و الصبيبه، و هدموا الجميع حسب ما أمكنهم.

و فيها وصل الخبر أن طائفه التتار وقعوا على العرب عند زيزاء، و حسبان، فهزموهم و غنموا من أولادهم و نسائهم و أنعامهم شيئا كثيرا، و استاقوا الجميع، و هرب الملک الناصر رحمه الله إلى البرارى، فساقوا خلفه فأخذوه و قد بلغ شربه الماء نحو مائه دينار، و أتوا به إلى كتبغانوين فوقفه بين يديه و أهانه، و قرعه، ثم أتوا به دمشق مع من قدم من الكرک من الدمشقيين الذين كانوا هربوا إليها، و كان كتبغا سير القاضى كمال الدين التفليسى رحمه الله برساله منه إلى الملک المغيث صاحب الكرک، يلتمس منه الدخول فى الطاعه، فأجاب بجواب ظاهره الطاعه، و باطنه

المراوغه، و انتظار ما تجرى به المقادير، فلما عاد القاضى كمال الدين إلى الكرک صحبه جماعه ممن كان التجأ إليها من الدمشقيين بعد مشقه شديده وجدوها، من تتردهم مع التتار، كيف ماداروا نحوا من خمسه و ثلاثين يوما، و كان وصولهم سادس شهر رجب، و سار الملک الناصر رحمه الله مع جماعه من التتار إلى هولاكو فى رابع عشر شهر رجب، و معه ابنه الملک العزيز و أخوه الملک الظاهر على، و الصالح إسماعيل ابن صاحب حمص، و غيرهم.

[الطواف برأس الملک الكامل محمد صاحب ميافارقين:]

و فيها فى يوم الاثنين السابع و العشرين من جمادى الأولى طيف بدمشق برأس مقطوع مرفوع على رمح قصير معلق بشعره، و هو فى قطعه شبكه زعموا أنه رأس الملک الكامل محمد بن الملک المظفر شهاب الدين غازى بن الملک العادل أبى بكر بن أيوب رحمه الله صاحب ميافارقين، و تلک النواحى، و دام فى حصار التتار أكثر من سنه و نصف و لم يظاهر عليهم إلى أن فنى أهل البلد، لفناء زادهم، فوجد مع من بقى من أصحابه موتى، أو مرضى، فقطع رأسه و طيف به البلاد ثم علق على باب الفراديس الخارج فقال قائل فى ذلک:

ابن غاز غزا و جاهد قوماااثخنوا فى العراق و المشرقين

ظاهرا غالبا و مات شهيدابعد صبر عليهم عامين

لم يشنه ان طيف بالرأس منه فله أسوه برأس الحسين

وافق السبط فى الشهاده و الحمل لقد حاز أجره مرتين

جمع الله حسن ذى الشهدين على فتح ذينک القلعتين

ثم واروا فى مشهد الرأس ذلک الرأس فاستعجبوا من الحالين

و ارتجوا أنه يجى ء لدى البعث رفيق الحسين فى الجنتين

ثم وقع من الاتفاق العجيب أن دفن فى مسجد الرأس داخل باب الفراديس فى المحراب فى أصل الجدار، و غربى المحراب فى طاقه يقال أن رأس الحسين رضى الله عنه دفن بها.

و فی نصف شعبان أغارت العرب علی جشارات التتر بتل راهط و ما حوله فاستاقوها، و خرج الملک الأشرف صاحب حمص، و من بدمشق من التتار، ثم رجعوا و لم یقعوا علیها، و کان الملک الأشرف قد وصل قبل ذلک إلی دمشق، و نزل فی داره و قری ء فرمانه بأن تکون البلاد تحت نظره و فی ثانی رمضان وصل الخبر إلی دمشق باستیلاء التتار علی صیدا من بلاد الفرنج، و نهبها و خلاص ثلاث مائه أسیر منها.

[معرکه عین جالوت:]

و فیها خرج الملک المظفر سیف الدین قطز رحمه الله بعساکر الدیار المصریه، و من إنضاف إلیهم من عساکر الشام إلی لقاء التتار و دفعهم عن البلاد الشامیه، و کان کتبغانوین بالبقاع، فبلغه الخبر فاستدعی الملک الأشرف و قاضی القضاه محیی الدین، و استشارهم فی ذلک فمنهم من أشار بعدم الملتقی، و الاندفاع بین یدی الملک المظفر، و من معه من العساکر إلی حیث یجیئه مدد من هولاکو لیقوی علی ملتقی العساکر الاسلامیه، و منهم من أشار بغیر ذلک، و تفرقت الآراء فاقتضی رأی کتبغانوین الملتقی، و توجه من فوره علی کره ممن أشار علیه بالاندفاع، لما أراد الله تعالی من إعزاز الإسلام و أهله، و إذلال الشرک و حزبه فحصل التقاء العساکر علی عین جالوت(1) فی یوم الجمعه خامس و عشرین شهر رمضان، فانکسرت میسره المسلمین کسره شنیعه، فحمل الملک المظفر رحمه الله فی طائفه عظیمه من المسلمین أولی البصائر فکسرهم کسره عظیمه أتت علی معظم أعیانهم، و أصیب کتبغانوین، قیل قتله الأمیر جمال الدین آقوش الشمسی، فولوا الأدبار لا یلوون علی شی ء، و اعتصم منهم طائفه بالتل المجاور لمکان الوقعه، فأحدقت بهم العساکر و صابروهم حتی أفنوهم قتلا و أسرا، و نجا من نجا بحشاشته، و أهل البلاد یتخطفونهم، و فی حال الفراغ من المصاف حضر السعید حسن ابن الملک العزیز عماد الدین بن الملک العادل بین یدی الملک المظفر رحمه الله

1- فی هامش الأصل: بلیده لطیفه بین نیسان و نابلس من أعمال فلسطین.

تعالى، و كان التتار لما ملكوا قلعه البيره وجدوه فيها معتقلا، فأطلقوه و أعطوه بانياس، و قلعه الصبيبه، و بقى معهم و قاتل يوم المصاف المسلمين قتالا شديدا، فلما أيد الله المسلمين بنصره و حضر الملوک عند الملک المظفر، فحضر المذكور، فلم يقبله الملک المظفر رحمه الله، و أمر به فضربت عنقه صبرا، و ورد كتاب المظفر إلى دمشق فى سابع و عشرين شهر رمضان يخبر بالفتح، و كسره العدو، و يعدهم بوصوله إليهم و نشر المعدله فيهم، فثار العوام بدمشق، و قتلوا الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجى فى جامع دمشق، و كان المذكور من أهل العلم، لكنه كان فيه شر و ميل إلى مذهب الشيعه، و خالطه الشمس القمى الذى كان حضر إلى دمشق من جهه هولاكو، و دخل معه فى أخذ أموال الغياب عن دمشق، فقتل و من نظمه فى على رضوان الله عليه:

و كان علىّ أرمد العين يبتغى دواء فلما لم يجد مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلهفبورک مرقيا و بورک راقيا

و قال: سأعطى الرايه اليوم فارساكميّا شجاعا فى الحروب محاميا

يحب الإله و الإله يحبه به يفتح الله الحصون كما هيا

فخص دون البريه كلهاعليّا و سماه الوصى المواخيا

و قتل بدمشق أيضا من أعوان التتار الشمس بن الماكسينى، و ابن البغيل و غيرهما و كان النصارى بدمشق قد شمخوا و تجرأوا على المسلمين و استطالوا بتردد ايل سيان، و غيره من كبار التتار إلى كنائسهم، و ذهب بعضهم إلى هولاكو و جاؤوا من عنده بفرمان يتضمن الوصيه بهم، و الاعتناء بأمرهم، و دخلوا به البلد من باب توما، و صلبانهم مرتفعه، و هم ينادون حولها بارتفاع دينهم، و اتضاع دين الاسلام، و يرشون الخمر على الناس، و فى أبواب المساجد، فحصل عند المسلمين من ذلک هم عظيم فلما هرب نواب التتار حين بلغهم خبر الكسره أصبح للناس إلى دور النصارى ينهبونها و يخربون ما استطاعوا منها،

و أخربوا كنيسه اليعاقبه، و أحرقوا كنيسه مريم حتى بقيت كوما و الحيطان حولها تعمل النيران فى أخشابها، و قتل منهم جماعه، و اختفى الباقون، و لما عبر النصارى من باب توما قاصدين درب الحجر، وقفوا عند رباط الشيخ رسلان رحمه الله، و نادوا بشعارهم و رشوا الخمر فى باب الرباط و فعلوا مثل ذلک على باب مسجدى درب الحجر الكبير، و الصغير و ألزموا الناس فى دكاكينهم بالقيام للصليب، و من لم يقم أخرقوا به و أهانوه و شقوا السوق على هذا الوجه إلى عند القنطره آخر سويقه كنيسه مريم، فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربى بين القناطر و خطب و فضل دين النصارى، و وضع من دين الإسلام، ثم عطفوا من خلف السوق إلى الكنيسه التى خربها الله تعالى، و كان ذلک فى ثانى و عشرين شهر رمضان، و فى الغد صعد المسلمون مع قضاتهم و شهودهم إلى ايل سيان بالقلعه فأهانوهم، و رفعوا قسيس النصارى عليهم، و أخرجوهم من القلعه بالضرب و الإهانه، و فى غده حضر ايل سيان إلى الكنيسه، و فى غده كانت الكسره و لله الحمد و المنّه.

و همّ بعض الناس بنهب اليهود، فنهب شى ء يسير ثم كفوا عنهم، و فى يوم الجمعه ثانى شوال خطب بجامع دمشق الأصيل الأسعردى فبقى متوليا الخطابه و الإمامه بجامع دمشق إلى سلخ شوال من سنه ثمان و خمسين و ستمائه.

و حكى ابن الجزرى فى تاريخه عن والده إبراهيم بن أبى بكر الجزرى رحمه الله قال: خرجت من جامع دمشق بعد صلاه الجمعه، و هى ثانى جمعه مرت من شهر رمضان من تحت الساعات، و دخلت فى الخضراء إلى نحو دكانى بسوق الرماحين، فوجدت جميع دكاكين الخضراء فيها الخمور و النصارى فيها يبيعون الخمر، و بعض المسلمين القليلين الذين معهم، و هم يشربون و يرشون الخمر على من عبر عليهم من المصلين و غيرهم، قال: فما ملكت نفسى إلّا و الدموع تسيل على خدى، و حصل

لى نحيب و بكاء كثير، و مازلت كذلک إلى حيث وصلت إلى دكانى بسوق بالرماحين و أنا على ذلک فى البكاء و النحيب، و إذا قد جاء شخص يقال له الحاج عبد العزيز، من أهل دمشق، و قد جاء من المكان الذى جئت منه، و قد حصل له حال مثل الحال الذى قد حصل لى، فقعد كل واحد منا فى ناحيه، و أخذ المنديل على وجهه يبكى و ينتحب، قال: فبينا نحن نبكى و إذا بالشيخ محمد الخالدى- قدس الله روحه-، قد عبر علينا، و قال لى: يا مليح لأجل أى شى ء تبكى، الذى رأيت يزول الساعه، ابعث إليک محمد العطّار يبشرک، و أنا فما أقدر أقف، ثم مشى و تركنى، و كان الشيخ محمد مده مقام التتر بدمشق ليس للشيخ محمد الخالدى شغل سوى أنه يمشى من باب الجابيه إلى الباب الشرقى، قال: فلما كان بعد ساعه و إذا بالحاج محمد العطار قد جاءنى و قال لى: الشيخ محمد يبشرک و المسلمين، و يخبرک أن فى أول ليله جمعه مرت من هذا الشهر و هو رمضان، اجتمعت أشباح الأنبياء و الأولياء جميعهم، و إبراهيم الخليل، و موسى، و عيسى، و محمد صلى الله عليهم أجمعين على صخره بيت المقدس، و سألوا الله تعالى أن يكشف عن المسلمين ما هم فيه من أمر التتار، فلم يجبهم فلما كان البارحه، و هى ليله الجمعه اجتمعوا ثانيه، و سألوا الله تعالى فأجابهم، و ما يخرج شهر رمضان إلّا و هم مكسورين، و ما تعيّد أنت و المسلمين بدمشق إلا بسلطان جديد مسلم، قال والدى رحمه الله: فكان الواقع كما قال الشيخ محمد قدس الله روحه.

و فيها فارق الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى الملک الناصر من دمشق مهاجرا إلى مصر إلى خدمه الملک المظفر سيف الدين قطز، فلما وصل إلى غزه اتفق هو و الشهرزوريه و تزوج منهم، و بعث الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى إلى الملک المظفر لتحليفه له فأجابه المظفر إلى ما طلبه منه و اقترحه عليه، فسار إليه و دخل القاهره يوم السبت ثانى

و عشرين ربيع الأول سنه ثمان و خمسين، فركب المظفر للقائه و أنزله فى دار الوزاره، و اقطعه قصبه قليوب لخاصته، و أشار عليه بملاقاه التتار، و قوى جأشه، و حرک عزائمه، و حرضه على التوجه للقائهم، و تكفل له بحصول الظفر من تلقائه، فخرج يوم الاثنين خامس عشر شعبان بجميع عساكر مصر مع ما انضاف إليهم من العرب و غيرهم لقصد التتار الذى بالشام، فلما وصل إلى مرج عكا اتصل بكتبغانوين مقدم عسكر التتر بالشام خروج الملک المظفر، و كان فى بلد حمص، فتوجه إلى الغور، و بعث الملک المظفر للأمير ركن الدين البندقدارى فى عسكر ليتجسس خبر التتار، فلما وقعت عينه عليهم، كتب إلى الملک المظفر ليعلمه بوصولهم، ثم انتهز الفرصه فى مناوشتهم ليكون له اليد البيضاء عند الإسلام، فلم يزل يستدرجهم تاره بالإقبال، و تاره بالإحجام حتى وافى بهم إلى الملک المظفر على عين جالوت، فكانت الوقعه التى أيد الله بها المسلمين على التتر، و أخذ بها منهم ثأر أهل الوبر، و المدر، و حاق بهم مكر السيف، و حكم فيهم الحتف بالحيف، و قتلوهم و أخذوهم و معهم ملكهم كتبغانوين فقتل و أخذ رأسه، و أسر ابنه، و كانت الوقعه بين التتر و المسلمين على عين جالوت، يوم الجمعه خامس و عشرين من شهر رمضان المعظم، و وصل الخبر إلى دمشق فى ليله السابع و العشرين من شهر رمضان، فانهزم تلک الليله من كان بدمشق من التتار، و إيل سبان نائب الملک و أتباعه، و تبعهم الناس و أهل الضياع ينهبونهم و يقتلون من ظفروا به، فلله الحمد و الشكر.

و جرّد الملک المظفر خلف التتر الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى فتبعهم إلى حمص، و قتل و أسر منهم خلقا كثيرا، و رجع إلى دمشق، و دخل السلطان الملک المظفر إلى دمشق يوم الأحد رابع شوال، فأقام بها إلى أن خرج منها طالبا للديار المصريه، و وصل إلى دمشق إلى خدمه الملک المظفر الملک الأشرف صاحب حمص، و الملک المنصور صاحب

حماه، فأنعم عليهما و أكرمهما غايه الإكرام، و ممن قتل بعد المعركه الملک السعيد حسن بن الملک العزيز عثمان بن العادل صاحب الصبيبه و بانياس بقى محبوسا بقلاع الشام بعد موت الملک الصالح أيوب، و ابنه المعظم توران شاه و كسره الفرنج بالديار المصريه، سنين كثيره آخرها بقلعه البيره على الفرات، فلما وصل التتر إليها أخربوه، و صار معهم، ثم قدم مع مقدمهم كتبغانوين إلى دمشق، و حضر فتح قلعتها، و تسلم بلاده فلما قدم العسكر المصرى فى هذه الكره قاتل مع التتار، فلما وقعت الكسره عليهم جاء إلى الملک المظفر فلم يقبله، و قال له: لو لا الكسره ما جئت إلىّ و أمر به فقتل، و وصل كتاب السلطان الملک المظفر سيف الدين قطز إلى دمشق من طبريه تاريخه يوم الأحد السابع و العشرين من شهر رمضان، و هو أول كتاب ورد منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسره الميمونه العظيمه و بوصوله إليهم بعدها.

و من العجائب أن التتار كسروا و أهلكوا بأبناء جنسهم من الترک، و عمل الشيخ شهاب الدين أبو شامه فى ذلک شعرا:

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركى يجود بنفسه

بالشام بددهم و فرق شملهم و لكل شى ء آفه من جنسه

لبعض شعراء دمشق أيضا:

هلک الكفر فى الشآم جميعاو استجد الإسلام بعد دحوضه

بالمليک المظفر الملک الأروع سيف الإسلام عند نهوضه

ملک جاءنا بعزم و حزم فاعتززنا بسمره و ببيضه

أوجب الله شكر ذاک علينادائما مثل واجبات فروضه

و مما حكى ابن الجزرى فى تاريخه عن الملک المظفر قطز قال: لما كان فى رق ابن الزعيم بدمشق بالقصاعين، اتفق أن أستاذه بعض الأيام

غضب علیه و لطمه علی وجهه، و لعن والدیه و أبوه، و جده، فقعد یبکی و ینتحب کثیرا، و حضر الطعام فلم یأکل منه شیئا، و بقی ذلک الیوم طول نهاره یبکی، ثم إن استاذه رکب بین الصلاتین إلی الخدمه و أوصی به إلی الفراش و قال له: أطعم قطز و اعتبه، و استرضه.

هذه صوره ما حکی الحاج علی الفراش قال: فجئت إلیه بعد رکوب أستاذه، فقلت له: ما هذا البکاء العظیم من لطمه أو لطشه، تعمل هذا العمل کله، لو ضربت ألف عصاه أو ألف دبوس أو جرحت بالسیف ما عملت هذا کله، و لا بعضه؟ فقال: و الله ما بکائی و غیظی من أجل لطشه، إنما غیظی من لعنته أبوای و جدی، و أبوای خیر منه، و من أبوه وجده، فقلت له: من أنت و من أبیک قطعه مملوک ترکی کافر بن کافرین، فقال: و الله ما أنا إلا مسلم ابن مسلمین، أنا محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم شاه، من أولاد الملوک، قال: فسکت و طایبته و تقلبت به الأحوال إلی أن ملک مصر و الشام، و لما ملک دمشق أحسن إلی الحاج علی الفراش، و أعطاه خمسمائه دینار مصریه.

و حکی المذکور أیضا قال: حکی لی الحاج أبو بکر، المعروف بابن الدریهم الأسعردی، و الحاج زکی الدین إبراهیم الجزری المعروف بالجیلی، أستاذ الفارس أقطای، قال: کنا عند الأمیر سیف الدین قطز لما ملک أستاذه المعز، فقد حضر عنده منجم قد ورد من بلاد الغرب و هو موصوف بالحذاقه، و المعرفه فی علم الرمل، و علم الفلک، فأمر أکثر حاشیته بالإنصراف، فانصرفوا و کنا نحن من أکابر أصحابه و أتباعه، فجئنا حتی نقوم فأمرنا بالقعود، و ما ترک عنده إلّا من یثق إلیه فی خواصه، [ثم إنه] صرف أکثر مماالیکه و قال للمنجم: اضرب فضرب و عمل صناعته، و حدثه بأکثر ما کان فی نفسه، ثم آخر ما قال له:

اضرب و ابصر من یملک بعد أستاذی، و من یکسر التتر، و من یکون هلاکهم علی یدیه؟ قال: فضرب و بقی زمانا یحسب، و هو مفکر یعدّ

على أصابعه فقال له: ياخوند يطلع معى خمس حروف بلا نقط، و أبو هذا أيضا خمس حروف بلا نقط، و اسمک ياخوند ثلاث حروف، و كذلک ولد السلطان على، و فى الضرب خمسه بلا نقط، فقال له: لم لا تقول: محمود بن ممدود فقال له المنجم: ياخوند و لا ينفع غير هذا الاسم، فقال له: أنا محمود بن ممدود، و أنا الذى أكسر التتر، و آخذ بثار خالى خوارزم شاه، قالوا: فتعجبنا من كلامه، و فرحنا و قلنا: إن شاء الله تعالى يكون هذا ياخوند، ثم إننا استكتمنا هذا الأمر و أعطى المنجم ثلاث مائه درهم و صرفه، ثم قدر الله تعالى تملكه و كسره للتر خذلهم الله تعالى.

و فيها توجه الملک المظفر إلى مصر، و ترک الأمير علم الدين سنجر الحلبى نائبا بدمشق، و بحلب الملک المظفر على بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ثم رجع طالبا الديار المصريه فى يوم الثلاثاء سادس و عشرين شوال، و قد نقل الصاحب عز الدين بن شداد فى سيره الملک الظاهر أن الملک المظفر لما ملک دمشق كان عازما على التوجه إلى بلد حلب ليغسل عنها بالتفقد لها و ضر التتر، فوشى إليه واش أن الملک الظاهر تنكر عليه، و أنه عازم على مسكه، فضرب وجه توجهه عن قصده، و عزم للتوجه إلى مصر مضمرا للظاهر سوءا أسره إلى بعض خواصه، فأطلع عليه الأمير ركن الدين البندقدارى، فخرجوا من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشر شوال، و لم تزل الضغائن و الحقود تتراءى فى صفحات العيون و الخدود، و كل منهما يحترس من صاحبه بجنه الخداع، و يترقب فرصه تقف الروح من الجسد بانتهازها على ثنيه الوداع، إلى أن أجمع رأى الظاهر على قتله، و اتفق مع الأمير سيف الدين بهادر المعزى، و الأمير بدر الدين بكتوت الجوكندراى المعزى، و الأمير سيف الدين بيدغان الركنى، و الأمير سيف الدين بلبان الهارونى، و الأمير علاء الدين أنص الأصبهانى.

ذکر سلطنه الملک الظاهر رکن الدین بیبرس البندقداری

لما وصل الملک المظفر إلی القصیر، و بینه و بین الصالحیه مرحله واحده، و رحل العسکر طالبا الصالحیه، و ضرب الدهلیز السلطانی بها، و کان جماعه قد اتفقوا مع الأمیر رکن الدین علی قتله منهم سیف الدین أنص من غلمان الرومی الصالحی، و علم الدین صنغلی و سیف الدین بلبان الهارونی و غیرهم، و کان الأمیر رکن الدین قد طلب من الملک المظفر لما ملک الشام أن یستنیبه بحلب فلم یجبه فأثر ذلک عنده، و اتفق عند القصیر أن ثارت أرنب، فساق الملک المظفر علیها، و ساق هؤلاء المتفقون علی قتله معه، فلما بعدوا و لم یبق معه غیرهم تقدم إلیه الأمیر رکن الدین و شفع إلیه فی انسان فأجابه، فأهوی لیقبل یده و قبض علیها، و حمل أنص علیه، و قد أشغل الأمیر رکن الدین یده، و ضربه أنص بالسیف، و حمل الباقون علیه و رموه عن فرسه و رشقوه بالنشاب فقتلوه، ثم حملوا علی العسکر و هم شاهرون سیوفهم حتی وصلوا إلی الدهلیز السلطانی، فنزلوا و دخلوا و الأتابک علی باب الدهلیز، فأخبروه بما فعلوا، فقال: من قتله منکم؟

فقال الأمیر رکن الدین: أنا، فقال: یاخوند اجلس فی مرتبه السلطنه، فجلس، و استدعیت العساکر للحلف، و کان القاضی برهان الدین قد وصل إلی العسکر ملتقیا للملک المظفر، فاستدعی و حلف العسکر للملک الظاهر رکن الدین، و استقرت قدمه فی السلطنه و أطاعته العساکر، ثم رکب و ساق فی جماعه من أصحابه، و وصل إلی القلعه ففتحت له، و استقر ملکه و أحسن إلی الأمیر جمال الدین ایدغدی العزیزی، و کان البلدان قد زینا لمقدم الملک المظفر، فاستمرت الزینه، و أحسن إلی خشداشیته البحریه، و أمر أعیانهم، و کانت هذه الواقعه فی ذی القعده، و لما استقر فی المملکه نفی الملک المنصور نور الدین علی ابن المعز و أمه و أخاه ناصر الدین قاآن إلی بلد الأشکری، و کانوا معتقلین بالقلعه.

و كان الملک الظاهر لما ملک لقب نفسه الملک القاهر، و كان الوزير بمصر زين الدين بن الزبير و كان فاضلا فى الأدب و الترسل و علم التاريخ، فأشار بتغيير هذا اللقب و قال: ما لقب به أحد فأفلح، لقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل أيامه، و خلع و سمل، و لقب به الملک القاهر ابن صاحب الموصل فسم فلم تزد أيامه فى المملكه على سبع سنين، فأبطل الملک الظاهر اللقب الأول، و لقب نفسه الملک الظاهر.

و أما حوادث الشام ففى العشر الآخر من ذى القعده أمر الأمير علم الدين الحلبى بتجديد عماره قلعه دمشق، و زفت بالمغانى و الطبول و البوقات، و فرح أهل دمشق بذلک، و حضر كبراء الدوله و خلع على الصناع و النقباء، و عمل الناس فى البناء حتى النساء، و كان يوم الشروع فى تجديد عمارتها يوما مشهودا.

و فى العشر الأول من ذى الحجه دعا الأمير علم الدين الحلبى الناس بدمشق إلى الحلف له بالسلطنه، فأجابوه و حضر الجند و الأكابر، و حلفوا له، و لقب بالملک المجاهد، و خطب له على المنابر، و ضربت السكه باسمه، و كاتب الملک المنصور صاحب حماه ليحلف له، فامتنع و قال: أنا مع من يملک الديار المصريه كائنا من كان.

ذكر دخول التتر إلى الشام و اندفاع عسكر حلب و حماه بين أيديهم

و لما صح عند التتر قتل الملک المظفر رحمه الله، و كان النائب بحلب ابن صاحب الموصل، و قد أشرنا إلى سوء سيرته مع الجند و الرعيه، فأجمع رأى الأمراء بحلب على قبضه، و إخراجه من حلب، و تحالفوا على ذلک، و عينوا للقيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى، فبينا هم على ذلک وردت عليهم بطاقه والى البيره يخبر أن التتر قد قاربوا البيره لمحاصرتها، و استصرخ بهم لينجدوه بعسكر، و كان التتر قد هدموا

أبراج البيره و أسوارها، و هى مكشوفه من جميع جهاتها، فجرد الملک السعيد عسکرا إليها، و قدم عليهم الأمير سابق الدين، أمير مجلس الناصرى، فحضر الأمراء عنده، و قالوا له: هذا العسکر الذى جردته لا يمکنه رد العدو، و نخاف أن يحصل النشب بيننا و بين العدو، و عسکرنا قليل فيصل العدو إلى حلب و يکون ذلک سببا لخروجنا منها، فلم يقبل فخرجوا من عنده و هم غضبانون، و سارع العسکر المسير إلى البيره من حلب، فلما وصلوا إلى عمق البيره صادفوا التتر بجموعهم، فوقع النشب معهم فتراءت الفئتان فلم يمکن سابق الدين لقاءهم، فقصد البيره و اتبعه التتر، و قتلوا من أصحابه جماعه کثيره، و ما سلم منهم إلا القليل، و ورد الخبر بذلک إلى حلب فجفل أهل حلب إلى جهه القبله و لم يبق بها إلا القليل من الناس و ندم الملک السعيد على مخالفه الأمراء فيما أشاروا به عليه، و قوى بسبب ذلک غضبهم عليه و قاطعوه و باينوه، و وقعت بطاقه من البيره فيها أن طائفه من التتر توجهوا إلى جهه منبج، و هم على عزم کبس العسکر بحلب، فانثنى عزم الأمراء عن القبض عليه لئلا يطمع العدو فيهم، و أخذ يتذلل للأمراء، و يعتذر إليهم مخالفتهم، و طلب أن يشيروا عليه بما يعتمده، فأشاروا عليه بالخروج إلى جهه التتر، و أن يضرب دهليزه ببابلا و هى شرق حلب، و أن يکون العسکر حوله، و أن يجمع إليه العرب و التررکمان، و يکون على أهبه لقائهم فأجابهم إلى ذلک، و ضرب دهليزه ببابلا، و نزل العسکر حوله، و أخذ فى تجهيز عصّيه، و هو أحد أمراء العرب إلى منبج للکشف، و استطلاع أخبار العدو، فوقع التتر عليه و قاتلوه فقتلوه، و ورد الخبر بذلک إلى حلب، فاشتد خوف الملک السعيد من غائله هذا الأمر، و بعد يومين وصل الأمير بدر الدين أزدمر الدوادار العزيزى.

و کان قطز رحمه الله قد رتبه نائبا باللاذقيه، و جبله، فقصد خشداشيته بحلب، فلما قرب منها رکبت العزيزيه و الناصريه، و التقوه فأخبرهم أن

الملک المظفر قتل، و أن رکن الدین البندقداری ملک الدیار المصریه و تلقب بالملک الظاهر، و أن الأمیر علم الدین الحلبی قد خطب له بالسلطنه فی دمشق، و صار مالکا لها و لبلادها، قال: و نحن نعمل أیضا مثل عمل أولئک و نقیم واحدا من الجماعه مقدما و نقبض علی هذا المدبر- یعنی ابن صاحب الموصل- و نقتصر علی حلب و بلادها مملکه أستاذنا، فأجابوه إلی ذلک و تقرر بینهم أن حال وصولهم إلی المخیم یمضی إلیه الأمراء حسام الدین الجوکندار، و سیف الدین بکتمر الساقی، و بدر الدین ازدمر الدوادار، و کان الملک السعید نازلا ببابلا فی دار القاضی بهاء الدین ابن الأستاذ قاضی حلب، و هو فوق سطحها و العساکر حوله، و کانت الإشاره بین هؤلاء الأمراء و بین باقی الأمراء أنهم متی شاهدوا هؤلاء المذکورین معه علی السطح یشرعون فی نهب و طاقه، و الذین عنده یقبضون علیه، فلما حضر المذکورون بابه، و طلبوا الإذن للدخول علیه أذن لهم، فلما حضروا عنده علی السطح و أعین الباقین من الخشداشیه ممتده إلیهم شرعوا فی نهب و طاقه و خیله، و أصحابه فسمع الضجه فاعتقد أن التتر قد کبست العسکر، ثم شاهد نهب العزیزیه و الناصریه لوطاقه، و وثب الأمراء الذین عنده لیقبضوا علیه، فطلب منهم الأمان علی نفسه فأمنوه، و شرطوا علیه أن یسلم إلیهم جمیع ما حصله من الأموال، ثم نزلوا إلی الدار، و قصدوا الخزانه فما وجدوا فیها طائلا، فتهددوه و قالوا: أین الأموال التی حصلتها؟ و طلبوا قتله أو المال، فقام إلی ساحه بستان فی الدار المذکوره، و حفر تحت أشجار نارنج هناک، و أخرج أموالا کثیره ذکر أنها کانت تزید علی أربعین ألف دینار، ففرقت علی الأمراء علی قدر منازلهم، و رسموا علیه جماعه من الجند و سیروه، إلی شغر و بکاس معتقلا و بقی فی الاعتقال أیاما، ثم أخرجوه بعد أن اندفعوا بین یدی التتر کما سنذکره إن شاء الله.

و بعد أیام دهم العدو حلب فاندفع الأمیر حسام الدین الجوکندار

المقدم بمن معه من العسكر إلى جهه دمشق، فلما اندفعوا دخلت التتر حلب و ملكوها، و أخرجوا من فيها من المسلمين إلى قرنبيا قهرا بعيالاتهم و أولادهم، و أحاط التتر بهم فى ذلک المكان و وضعوا السيف فى بعضهم، فأبادوهم و أطلقوا الباقين، فدخلوا حلب فى أسوأ حال.

و وصل الأمير حسام الدين الجوكندار و من معه من العسكر إلى حماه، و بها صاحبها الملک المنصور، فنزلوا ظاهرها من جهه القبله، و قام بضيافتهم، و هو مستشعر منهم، ثم تقدم التتر إلى جهه حماه، فلما قربوا منها رحل الجوكندار، و الملک المنصور بعسكريهما إلى حمص، و وصلت التتر إلى حماه و نازلوها، فغلقت أبوابها فطلبوا منهم فتح الأبواب، و أنهم يؤمنوهم كالمره الأولى، فلم يجيبوهم، و لم يكن مع التتر خسرو شاه، و لم يكن أهل حماه يثقون إلا إليه و أخرجوا لهم شيئا من المأكول، و اندفعوا عن حماه طالبين لقاء العسكر، و جفل الناس بين أيديهم و خاف أهل دمشق خوفا شديدا.

فصل [فى الوفيات:]

فيها توفى إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد

بن موسى بن أحمد بن محمد بن اسحاق بن محمد أبو اسحاق الشيبانى الوزير مؤيد الدين المعروف بابن القفطى، و مولده بالقدس فى رابع عشر المحرم سنه أربع و تسعين و خمسمائه سمع من أبى هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمى و غيره، و حدث بحلب و دمشق، و وزر بحلب بعد أخيه القاضى الأكرم مده إلى أن انقضت الدوله الناصريه و ملک التتر حلب، فأمروه بالإستمرار فى تنفيذ الأشغال، و هو متمرض فباشر على كره منه، و توفى عقيب ذلک فى أحد الربيعين بحلب، و كان من الصدور الرؤساء الفضلاء الأعيان رحمه الله.

[وفاه إبراهيم بن أبى بكر بن أبى زكرى:]

إبراهيم بن أبى بكر بن أبى زكرى، الأمير مجير الدين، كان من أعيان

الأمراء الأكابر، كثير الخير و الدين و المعروف، عظيم القدر جوادا شجاعا ممدحا من بيت كبير فى الأكراد، خدم الملک الصالح نجم الدين، و هو بالشرق، و قدم معه إلى الشام و اعتقله الملک الصالح عماد الدين إسماعيل، لما أمسک الملک الصالح نجم الدين، و اعتقل بالكرک، ثم أفرج عنه، فكان فى خدمه الملک الصالح نجم الدين بالديار المصريه و غيرها إلى أن توفى، و قتل ولده الملک المعظم، ثم اتصل بخدمه الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، و حج بالناس من دمشق سنه ثلاث و خمسين، و فعل من البر و المعروف و الإنفاق فى سبيل الله تعالى فى تلک الحجه ما هو مشهور و مذكور، و لما ضرب البحريه و عسكر الملک المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرک المصاف، مع بعض عسكر الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله أمسكوه و أمسكوا معه الأمير نور الدين على بن الشجاع الأكتع، فاعتقلا بالكرک مده، ثم أفرج عنهما عند ما تقرر الصلح بين الملک الناصر و الملک المغيث، و جعله الملک الناصر بعد ذلک بنابلس، و أمر تلک الناحيه، و ما حولها من البلاد عائد إليه، ثم جعل عنده قطعه من العسكر بنابلس، منهم: الأمير نور الدين على بن الشجاع الأكتع عندما رحل الملک الناصر رحمه الله عنها إلى غزه فى هذه السنه، فقدم عليه جمع عظيم من التتر، فهجموا نابلس فلقاهم بوجهه و قاتلهم قتالا شديدا، و قتل منهم بيده جماعه كثيره، و أنكى فيهم نكايه عظيمه، و استشهد رحمه الله تعالى مقبلا غير مدبر، و كذلک استشهد معه الأمير نور الدين على بن الشجاع الأكتع، و كان بينهما اشتراک فى الكرديه و الإمره، و خدمه الملک الناصر، و الدين، و الفضيله، و الكرم، و الشجاعه، و أمسكا جميعا و اعتقلا بالكرک، و أفرج عنهما معا، و جردا فى نابلس، و استشهدا فى يوم واحد، و كان بينهما مصافاه و اتحاد، جمع الله بينهما فى الفردوس الأعلى، و تغمدهما برحمته و رضوانه.

و كان الأمير مجير الدين من حسنات الدهر، و على ذهنه جمله كثيره من

الشعر، و عنده فضيله، حسن المحاضره و المذاكره، كريم العشره كثير الأدب يصل بره إلى الفقراء و الأغنياء، قال القاضى جمال الدين ابن واصل: أنشدنى فى الديار المصريه مقطعات حسنه لبعض الشعراء فمنها:

دنف نأى عن من يحب فشاقه اطلاله سحرا على اطلاله

سأل الحمى عنه و أصغى للصدى كيما يجيب فقال مثل مقاله

ناداه أين ترى محط رحاله فأجاب أين ترى محط رحاله

قلت: أنشدنى الفقيه نجم الدين موسى بن إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم الشقراوى للأمير مجير الدين إبراهيم المذكور رحمه الله:

جعل العتاب إلى الصدود سبيلالما رأى سقمى عليه دليلا

و ظللت أورده حديث ما امعى هن شرح جفنى مسندا منقولا

من أبيات، و أنشدنى نجم الدين للأمير مجير الدين المذكور رحمه الله:

قضى البارق النجدى فى حاله اللمح بفيض دموعى إذ تراءى على السفح

و منها:

ذبحت الكرى ما بين جفنى و ناظرى فمحمر دمعى الآن من ذلك الذبح

من أبيات، و كان مقتله رحمه الله فى أحد الربيعين من هذه السنه، بنابلس شهيدا على أيدى التتر.

[أحداث]حمد بن يحيى بن هبه الله بن الحسن بن يحيى بن محمد بن على بن يحيى بن صدقه ابن الخياط

، أبو العباس صدر الدين التغلبى الدمشقى، الشافعى، قاضى القضاه بدمشق، و أعمالها، المعروف بابن سنى الدوله، و سنى الدوله هو الحسن بن يحيى الكاتب، كان كاتب درج لملك دمشق فى ذلك الوقت، و له نعمه

ظاهره، وقف من عرضها أوقافا على ذريته، و هى مشهوره بدمشق و أعمالها بيد أربابها إلى الآن، و تاريخ وقفه

الأوقاف المذكوره فى العشر الأول من شهر ربيع الأول سنه ثمان و عشرين و خمسمائه.

و الشاعر المشهور المعروف بابن الخياط، و هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن على بن يحيى بن صدقه التغلبى، هو عم سنى الدوله، أخو والده، كان كاتبا شاعرا طاف البلاد، و امتدح الناس، و دخل بلاد العجم، و لما اجتمع بأبى الفتيان ابن حيوس الشاعر المشهور بحلب، و عرض عليه شعره قال: قد نعانى هذا الشاب إلى نفسى فقلما نشأ ذو صناعه و مهر فيها إلا و كان دليلا على موت الشيخ من أبناء جنسه، و دخل مره حلب، و هو رقيق الحال، فكتب إلى ابن حيوس المذكور:

لم يبق عندى ما يباع بحبهو كفاک منى منظرى عن مخبرى

إلا بقيه ماء وجه صنتهاعن أن تباع و أين أين المشترى

فلما وقف عليهما ابن حيوس قال: لو قال: «و أنت نعم المشترى»، لكان أحسن، و ديوانه مشهور، و من مشهور شعره قوله:

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

و إياكما ذاک النسيم فإنه إذا هب كان الوجد أيسر خطبه

خليلى لو احببتما لعلمتمامحل الهوى من مغرم القلب صبه

تذكر و الذكرى تشوق و ذو الهوى يتوق و من يعلق به الحب يصبه

غرام على يأس الهوى و رجائه و شوق على بعد المزار و قربه

و فى الركب مطوى الضلوع على جوى متى يدعه داعى الغرام يلبه

إذا خطرت من جانب الرمل نفحهتضمن منها داؤه دون صحبه

و محتجب بين الأسنه معرض و فى القلب من إعراضه مثل حجبه

أغار إذا آنست فى الحى أنهحذارا و خوفا أن تكون لحبّه

و هی طویله و من شعره أیضا:

سلوا سيف ألحاظه الممتشق أعند القلوب دم للحدق

أما من معين و لا عاذرإذا عنف الشوق يوما رفق

تجلى لنا صارم المقلتين مضنى الموشح و المنتطق

من الترک ما سهمه إذ رمى بأفتک من طرفه إذ رمق

و ليله وافيته زائراسمير السهاد ضجيع القلق

دعتنى المخافه من فتکه إليه و كم مقدم من فرق

و قد راضت الكأس أخلاقه و وقر بالسكر منه النزق

و حق العناق فقبلته شهى المقبل و المعتنق

و بت أخالج فكرى به أزور طرا أم خيال طرق

أفكر فى الهجر كيف انقضى و أعجب للوصل كيف اتفق

و للحب ما عزّ منى و هان و للحسن ما جل منه و دق

و قال يعتب على أهله و أصحابه:

يا من بمجتمع الشطين إن عصفت بكم رياحى فقد قدمت أعذارى

لا تنكرن رحيلى عن دياركم ليس الكريم على ضيم بصبار

و له أيضا:

أتظننى لا أستطيع أحيل عنک الدهر ودى

من ظن أن لا بد منه فإن منه ألف بد

و له من جمله قصيده:

و بالجزع حى كلما عن ذكرهم أمات الهوى منى فؤادا و أحياه

تمنيتهم بالرقمتين و دارهم بوادى الغضا يا بعد ما أتمناه

كانت ولادته سنه خمسين و أربعمائه بدمشق، و توفى بها فى حادى عشر

رمضان المعظم سنه سبع عشره و خمسمائه رحمه الله تعالى، و قيل مات سابع عشر شهر رمضان، و مولد القاضى صدر الدين سنه تسع و ثمانين و خمسمائه، و قيل تسعين و خمسمائه، سمع من أبى طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعى، و ابن طبرزد، و حنبل، و أبى المعالى محمد بن على القرشى، و أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى، و أبى الفضل عبد الصمد بن محمد الحرستانى، و غيرهم، و أجاز له جماعه كثيره من بلاد عديده، و حدث و درس فى عده مدارس، و أفتى، و كان فقيها إماما عالما عارفا بالمذهب، مشكور السيره فى ولاياته، لين الجانب دمث الأخلاق كثير المداراه و الصفح و الاحتمال، تنقلت به الأحوال فولى وكاله بيت المال بدمشق ثم ناب فى الحكم بها مده، ثم ولى القضاء بها و بأعمالها إستقلالا لما فتح عماد الدين بن شيخ الشيوخ دمشق للملک الصالح نجم الدين، و لم ينتقد عليه فى حكم من أحكامه فى جميع ولاياته، و لم يزل مستمرا فى الحكم إلى حين انقضت الدوله الناصريه، ففوض هولاكو الحكم بالشام و غيره إلى القاضى كمال الدين التفليسى، رحمه الله و كان ينوب عن قاضى القضاه صدر الدين المذكور بدمشق، فتوجه صدر الدين صحبه القاضى محيى الدين أبى الفضل يحيى بن الزكى إلى هولاكو و اجتمعوا به، ففوض هولاكو القضاء بالشام إلى القاضى محيى الدين، و عاد القاضى صدر الدين صحبته على غير شى ء من الولايات، فلما وصل حماه تمرض فركب فى محفه، و وصل إلى بعلبک و هو مثقل بالمرض، فأنزلته فى منزلى لقرابه كانت بينه و بين والدتى فإنه ابن عمها، و ابن خالتها، و زوج أختها فبقى يومين فى منزلى، و توفى إلى رحمه الله تعالى، و حضر والدى رحمه الله غسله، فغسله الشيخ زكى الدين إبراهيم بن المعرى، و صلى عليه والدى، و دفن بالقرب من ضريح الشيخ عبد الله اليونينى الكبير قدس الله روحه، قبلى مدينه بعلبک، و كانت وفاته يوم الأحد عاشر جمادى الآخره، و كان الملک الناصر صلاح الدين يوسف يحبه و يثنى عليه كثيرا، و كذلک الملک الأشرف مظفر الدين موسى بن الملک العادل يثنى على والده قاضى

القضاه شمس الدين أبى البركات يحيى لما كان متوليا القضاء بالشام فى أيامه، و يقول عنه: ما ولى دمشق مثله، رحمهم الله أجمعين.

توران شاه بن يوسف بن أيوب بن شاذى

، أبو المفاخر، و قيل أبو منصور، فخر الدين الملک المعظم بن السلطان الكبير الملک الناصر صلاح الدين أبى المظفر رحمه الله، و قد تكرر ذكره فى مواضع من هذا الكتاب، و كان قد بقى كبير البيت الأيوبى، و كان الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله يعظمه و يحترمه، و يثق به و يسكن إليه كثيرا، لعلمه بسلامه جانبه، و أنه لا تحدثه نفسه بالتوثب عليه، فكان عنده فى أعلى المنازل يتصرف فى قلاعه و خزائنه و عساكره، و غلمانه، و لما استولى التتر على مدينه حلب اعتصم بقلعتها، ثم نزل منها بالأمان على ما شرحنا، و مولده بالديار المصريه فى شهر ربيع الأول سنه سبع و سبعين و خمسمائه، سمع من أبى عبد الله محمد بن على بن صدقه الحرانى و غيره، و حدث، و خرج له الحافظ أبو محمد التونى مشيخه فى جزء حديثى، و كانت وفاته بحلب فى السابع و العشرين من ربيع الأول، و دفن بدهليز داره رحمه الله تعالى.

[أحداث]الحسن بن عثمان بن أبی بکر محمد بن أیوب بن شاذی

، الملک السعید ابن الملک العزیز بن الملک العادل، کان والده الملک العزیز عماد الدین عثمان قد توفی فی سنه ثلاثین و ستمائه، و ملک بانیاس و الصبیبه و ما معهما مما کان بیده من البلاد ولده الملک الظاهر، فلم تطل مدته و توفی بعد أشهر یسیره، دون السنه، فملک بلاده أخوه الملک السعید حسن المذکور، و لم تزل فی یده إلی أن ملک الملک الصالح نجم الدین الدیار المصریه و الشام، فانتزعها من یده و أعطاه خبزا بالدیار المصریه، و بقی فی خدمته إلی أن مات، و ملک ولده الملک المعظم، و قتل علی ما هو مشهور، فلا حاجه إلی شرحه، فعند ذلک هرب الملک السعید إلی غزه و أخذ ما فیها من المال، و قصد قلعه الصبیبه فسلمها إلیه نواب الملک الصالح نجم الدین، فملکها، و لما وصل الخبر بذلک إلی القاهره احتیط علی داره بها، و ما فیها من الأثاث الذی لم یمکنه استصحابه معه، فلما ملک الملک الناصر صلاح الدین یوسف الشام أخذ منه الصبیبه، و جرت منه أسباب أوجبت اعتقاله فی بعض القلاع، ثم نقله إلی قلعه البیره، فلما ملکها التتر فی هذه السنه أخرجوه من الاعتقال، و حضر عند هولاکو بقیده، فرق له و أفرج عنه، و خلع علیه قباء زربفت(1) و سراقوج(2)، و من عاده التتر أنهم إذا خلعوا سراقوج علی أحد من غیرهم یلبسه یومه، ثم یقلعه و یلبس العمامه، فامتنع الملک السعید من قلعه، و لزم لبسه دائما، و مال إلیهم بظاهره و باطنه و کان یقع فی الملک الناصر صلاح الدین یوسف عندهم، و یحرضهم علیه، و علی استئصال شأفته، فأمر هولاکو لکتبغانوین باستصحابه معه إلی الشام، و تسلیم بلاده إلیه، فاستصحبه معه و سلم إلیه بلاده، و بقی مع کتبغا لا یفارقه، و شهد معه سائر وقائعه، و حصاراته فی هذه السنه، و رأیته معه ظاهر بعلبک، و علیه السراقوج، و حضر معه المصاف بعین جالوت، و قاتل

1- أی منسوج بالذهب.
2- أی قبعه مغولیه.

قتالا شديدا، و كان شجاعا مقداما، فلما من الله تعالى بنصره الإسلام أحضر بين يدى الملک المظفر سيف الدين قطز رحمه الله، فأمر به فضربت رقبته صبرا بين يديه، و لم يقله عثاره، و أخذت بلاده و حواصله، و كان قتله يوم المصاف بعين جالوت، و هو نهار الجمعه خامس عشرى شهر رمضان المعظم، أو ثانى يوم المصاف ...

... رسلان شاه بن داود بن يوسف بن أيوب بن شاذى

، الأمير أسد الدين، كان جميل الأوصاف، حسن الشكل، شجاعا كريما واسع الصدر عالى الهمه، و والده الملک الزاهر مجير الدين داود، كان صاحب البيره، وجده السلطان الملک الناصر صلاح الدين الكبير، رحمه الله، و استشهد الأمير أسد الدين المذكور بأيدى التتر فى ثانى صفر من هذه السنه ببواشير حلب رحمه الله تعالى، و كان والده الملک الزاهر مجير الدين داود يحب الفضلاء، و أهل العلم، و يقصدونه من البلاد، و لما ولد بالقاهره لسبع بقين من ذى القعده أو ذى الحجه سنه ثلاث و سبعين و خمسمائه، كان والده السلطان صلاح الدين رحمه الله بالشام، و كان الثانى عشر من أولاده، فكتب إليه القاضى الفاضل رحمه الله رساله يبشره بولادته من جملتها: و هذا المولود المبارک هو الموفى لإثنى عشر ولدا بل لإثنى عشر نجما متقدا، فقد زاد الله سبحانه فى أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما، و رآهم المولى يقظه و رأى تلک الأنجم حلما، و رآهم المولى ساجدين له، و رأينا الخلق لهم سجودا، و هو تعالى قادر أن يزيد فى جدود المولى إلى أن يراهم آباء و جدودا.

و حكى عن الملک الزاهر جماعه أنه كان يقول من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرنى، فأنا اشبه أولاده به، و كان الزاهر شقيق الملک الظاهر صاحب حلب رحمه الله، و توفى بالبيره فى ليله التاسع من صفر سنه اثنتين و ثلاثين و ستمائه، و لما وصل نعيه إلى حلب توجه الملک العزيز ابن الملک الظاهر إلى قلعه البيره و ملكها ...

، أبو عمرو شرف الدين التميمى الدمشقى الشافعى، مولده بدمشق فى ثامن عشر ذى الحجه سنه إحدى و ثمانين و خمسمائه، كان رئيسا جوادا كبير الهمه مفرط الكرم، يستقل الكثير فى العطاء، و أنفق من الأموال جملا عظيمه طائله، و توفى و هو فقير من فقراء المسلمين لم يخلف إلّا ما قام بمؤونه تجهيزه، و دفنه، و هو مركوبه و ثياب بدنه لا غير، و كانت وفاته فى العشر الأول من صفر هذه السنه، و هو فى عشر الثمانين، و لما حضر نعشه إلى جامع دمشق للصلاه عليه وضع شمالى مقصوره الخطابه، و اتفق فى ذلک الوقت حضور نواب التتر إلى الجامع لقراءه الفرامين الوارده من هولاكو المتضمنه الأمان لأهل دمشق، فقرئت و جنازته موضوعه، ثم صلى عليه، و دفن رحمه الله.

سمع من أبى الفضل محمد بن يوسف الغزنوى و غيره، و أجاز له جماعه من الشيوخ البغداديين، و حدث، و يحكى عنه فى تكرمه و سعه صدره غرائب من جملتها، أنه توجه إلى الديار المصريه مره، و معه هديه جليله نفيسه لأولاد شيخ الشيوخ و لغيرهم، و كان بينه و بين أولاد شيخ الشيوخ قرابه، فإن والدتهم ابنه عمه، فلما سير للأمير فخر الدين نصيبه من الهديه استعظمها، و قال: بما نقابل هذا الرجل؟ و اتفق حضور سكر مكرر غال عمل للأمير فخر الدين بالقصد، من بعض الأماكن الجاريه فى اقطاعه، فسير له منه حملا و قال: هذا يشربه غلمان الشيخ شرف الدين، فلما جاءه السكر عمله جميعه حلوى منوعه، و كان فى خدمته حلاوى من الشام ماهر فى صناعته، و سير الحلوى للأمير فخر الدين، فلما أكل منها أعجبته إعجابا كثيرا، و رأى لها طعما غريبا لم يعهد فى غيرها، فأحضر الحلاوى الذى فى المطبخ نفسه، و أطعمه من تلک الحلوى، و رام منه أن يعمل مثلها، فقال: ما أدرى ما هذه، و لا أعرف كيف عملت، ثم سأل لمن ساعد حلاوى شرف الدين على عملها عن

كيفيتها، فذكر أنها ليست بشيرج، و إنما هى بدهن لوز استخرج، و طبخت به مع كثره الفستق و المسک و غيره، و لعلها أرادت أرادب عده قلب لوز، فأخبر الحلاوى الأمير فخر الدين بذلک فاستهالها، و قال:

هذا جنون.

و حکى لى العماد مظفر بن سنى الدوله رحمه الله ما معناه، قال:

خرجت معه إلى عيون الفاسريا فى زمن البطيخ، و كانت له، فتقدم إلى أصحاب المقاث أن يجمعوها، ثم جمعوها فجاءت شيئا كثيرا، فأمر أن ينقى الفحل الجيد الذى فى المجموع، فجاء قريب أربعمائه حمل، فكتب ورقه بتفرقه ذلک جميعه على الأعيان و المعارف بدمشق، و قال لى: تركب و تروح إلى الدار تستدعى بالغلمان، و تقف ظاهر البلد، و معک الورقه، و تسير لكل انسان ما عين باسمه، فقلت: يا مولانا هذا يساوى أكثر من سبعه آلاف درهم، فقال: و إذا أطعمنا أصحابنا بطيخ بسبعه آلاف درهم، ما هو كثير، ففعلت ما قال، ثم إن شرف الدين المذكور باع عيون الفاسريا، و أنفق ثمنها، و كان يدعى النظر على الأوقاف النوريه بحلب، و حماه، و حمص، و بعلبک، و غيرها، و قد أثبت مال ذلک إليه فقال بعض الناس: من يبيع العيون ما يستحق النظر.

حکى لى الجمال نصر الله رحمه الله، و كان فى خدمته ما معناه قال:

خلف له والده من الأموال و الأثاث، و القماش، و الخيول، و البغال، و الجمال و المماليک و الجوارى و الخدام ما لا يحصى كثره، و من الأملاک كذلک، و خلف له سطل بلور أكبر من المد الشامى، له طوق ذهب و علاقه ذهب، و هو ملآن جواهر نفيسه لو وضع عليها حبه واحده سقطت، فأذهب الجميع بيعا، و هبه، و كان فى آخر عمره قد نفد ما معه من المال و الأملاک و غيرها، و لم يبق له إلا ما يتناوله على سبيل النظر من الأوقاف النوريه، و مع هذا فنفسه وسعه صدره على ما يعهد منه لم يغيره الإقلال، و خلف من الورثه ولدين: أحدهما يقال له كمال الدين محمد،

و يلقب الجنيد، و مولده فى رابع عشر صفر سنه اثنتين و ستمائه، و كان شيخا فى حياه والده، و كان والده كثير الانحراف عنه لا يلم به، و يسميه الولد العاق، و كان الكمال المذكور يسمى والده الشيخ الضال، و بلغ ذلک الصاحب شرف الدين عبد العزيز رحمه الله وزير حماه، فقال على سبيل المداعبه: كلاهما صادق و اتفق ان كمال الدين أثبت بعد وفاه والده أنه أسند النظر إليه فى الأوقاف النوريه، و غيرها و تحدث فى ذلک، ثم إدعى أنه اطلع على مطالب مدفونه بالديار المصريه، و اتصل ذلک بالملک الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله، فطلبه على البريد، فلما وصل ذكر أنها فى أماكن يحتاج فى استخراجها إلى خراب آدر عظيمه، و بنايات عظيمه، فعزم الملک الظاهر على خراب ذلک لما أبداه له الكمال من عظم المال المدفون، و جلاله قدره و شرع فى ذلک فعدم الكمال عند الشروع فيه، و لم يطلع له على خبر فيقال على سبيل الحدس أن بعض أرباب تلک الأملاک عمل على اغتياله و الله أعلم.

و كان فقده و انقطاع خبره فى أواخر سنه ستين و ستمائه، و خلف ابنه واحده كانت زوجه تاج الدين عبد القادر بن السنجارى الحنفى و له منها أولاد، فأثبت أن كمال الدين كان أسند إليه النظر فى الأوقاف النوريه و غيرها، و باشر التناول منها من ذلک الوقت، و أما ولد شرف الدين الصغير كان يلقب شمس الدين، و كان يشهد فى مركز العصرونيه، و توفى إلى رحمه الله تعالى، و خلف ولدا ذكرا، و هو الآن فى حدود العشرين سنه عند كتابه هذه الأسطر، و ذلک فى سنه تسعين و ستمائه ...

قطز بن عبد الله الملک المظفر سيف الدين

رحمه الله، كان أخص مماليک الملک المعز عز الدين أيبک التركمانى رحمه الله به، و أقربهم إليهم و أوثقهم عنده، و هو الذى قتل الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار، و كان الملک المظفر: بطلا، شجاعا مقداما، حازما حسن التدبير، و لم يكن يوصف بكرم و لا شح، بل كان متوسطا فى ذلک، و قد ذكرنا استيلاءه

على السلطنه يوم السبت سابع عشر ذى القعده سنه سبع و خمسين و ستمائه، فملک سنه واحده، و خروجه للقاء التتر و هو أول من اجترأ عليهم بعد علاء الدين خوارزم شاه، و ضرب معهم مصافا، فکسرهم کسره عظيمه مشهوره جبر بها الإسلام، فرحمه الله و رضى عنه.

و مما حکى عنه أنه قتل جواده فى يوم المصاف بعين جالوت، و لم يصادف فى تلک الساعه أحدا من وشاقيته الذين معهم جنائبه، فبقى راجلا ورآه بعض الأمراء الأکابر الشجعان المشهورين، فترجل من حصانه و قدمه له ليرکبه، فامتنع و قال: ما معناه ما کنت لآخذ حصانک فى هذا الوقت، و أمنع المسلمين الانتفاع بک، و أعرضک للقتل، و حلف عليه أن يرکب فرسه فامتثل أمره، و وافاه الوشاقيه بالجنائب، فرکب فلامه بعض خواصه على ذلک و قال: ياخوند لو صادفک، و العياذ بالله بعض المغل، و أنت راجل کنت رحت و راح الإسلام، فقال: أما أنا فکنت أروح إلى الجنه إن شاء الله، و أما الإسلام فما کان الله ليضيعه، فقد مات الملک الصالح، و قتل الملک المعظم، و الأمير فخر الدين ابن الشيخ مقدم العساکر، و نصر الله الإسلام بعد اليأس من نصره، يشير إلى نوبه المنصوره، و القصه معروفه لا تحتاج إلى شرح، و لما قدم دمشق بعد الکسره أجرى الناس کافه على ما کانوا عليه إلى آخر الأيام الناصريه فى رواتبهم و اطلاقاتهم، و جميع أسبابهم، و لم يتعرض لمال أحد، و لا إلى ملکه، ثم توجه بعد تقرير قواعد الشام و ترتيب أحواله على أجمل نظام إلى جهه الديار المصريه کما ذکرنا، فرزقه الله الشهاده، فقتل مظلوما بالقرب من القصير، و هى المنزله التى بقرب الصالحيه من منازل الرمل، و بقى ملقى بالعراء، فدفنه بعض من کان فى خدمته بالقصير المذکور، فکان قبره يقصد للزياره دائما، و اجتزت به و ترحمت عليه و زرته، و کثر الترحم عليه، و الدعاء على من قتله، و کان الملک الظاهر رکن الدين بيبرس رحمه الله قد شارک فى قتله أتم مشارکه، بل کان

مدار ذلک کله علیه، و تملک بعده، فلما بلغه ذلک سیر من نبشه و نقله إلی غیر ذلک المکان، و عفی أثره، و لم یعف خبره رحمه الله و جزاه عن الإسلام خیرا، و لم یخلف ولدا ذکرا له، بل سمعت أنه خلف ابنتین، و کان قتله یوم السبت سادس عشر ذی القعده.

حکی لی المولی علاء الدین علی بن غانم حرسه الله فی غزه شوال سنه إحدی و تسعین و ستمائه ببعلبک قال: حدثنی المولی تاج الدین أحمد ابن الأثیر تغمده الله برحمته و رضوانه ما معناه أن الملک الناصر صلاح الدین یوسف رحمه الله، لما کان علی برزه فی أواخر سنه سبع و خمسین و ستمائه وصله قصاد من الدیار المصریه بکتب یخبرونه فیها أن قطز تسلطن، ملک الدیار المصریه، و قبض علی ابن أستاذه، قال المولی تاج الدین: فطلبنی السلطان، قرأت علیه الکتب، و قال لی خذ هذه الکتب ورح إلی الأمیر ناصر الدین القیمری، و الأمیر جمال الدین بن یغمور، و أوقف کلا منهما علیها، قال: فأخذتها و خرجت، فلما بعدت عن الدهلیز لقینی حسام الدین البرکه خانی، و سلم علی، و قال جاءکم بریدیّ، أو قاصد من الدیار المصریه؟ فوریت و قلت: ما عندی علم بشی ء من هذا، قال: قطز یتسلطن و یملک الدیار المصریه و یکسر التتر، قال المولی تاج الدین: فبقیت متعجبا من حدیثه، و قلت له: إیش هذا القول؟ و من أین لک هذا؟ قال: و الله هذا قطز هو خشداشی، کنت أنا و إیاه عند الهیجاوی من أمراء مصر، و نحن صبیان، و کان علیه قمل کثیر، فکنت أسرح رأسه علی أننی کلما أخذت عنه قمله آخذ منه فلسا، أو صفعه، فلما کان فی بعض الأیام أخذت عنه قمل کثیره، و شرعت أصفعه، ثم قلت فی غضون ذلک: و الله ما أشتهی إلا أن الله یرزقنی إمره خمسین فارسا فقال لی: طیب قلبک أنا أعطیک إمره خمسین فارسا، قال: فصفعته و قلت: و اللک أنت تعطینی إمره خمسین؟ قال: نعم فصفعته، فقال لی: و اللک عله ایش یلزمک لک إلا إمره بخمسین فارسا

أنا و الله أعطيک، قلت: و اللک کیف تعطینی؟ قال: أنا أملک الدیار المصریه، و أکسر التتر، و أعطیک الذی طلبت، قلت: و اللک أنت مجنون، أنت بقملک تملک الدیار المصریه؟ قال: نعم رأیت النبی صلی الله علیه و سلم فی المنام، و قال لی: أنت تملک الدیار المصریه، و تکسر التتر، و قول النبی صلی الله علیه و سلم حق لا شک فیه، قال: فسکت، و کنت أعرف منه الصدق فی حدیثه، و عدم الکذب، و تنقلت به الأحوال و ارتفع شأنه إلی أن صار هو المتحکم فی الدوله و ما أشک أنه یملک الدیار المصریه مستقلا و یکسر التتار کما أخبره النبی صلی الله علیه و سلم.

قال المولی تاج الدین رحمه الله: فلما قال لی هذا، قلت له: و الله قد وردت الأخبار أنه تسلطن فی الدیار المصریه، قال لی: و الله هو یکسر التتر، فما مضی عن هذا إلا مده یسیره حتی خرج و کسر التتر علی ما هو مشهور، قال المولی تاج الدین: فرأیت الأمیر حسام الدین البرکه خانی الحاکی لی ذلک بالدیار المصریه بعد کسره التتر، فسلم علی و قال:

یا مولای تاج الدین تذکر ما قلت لک فی الوقت الفلانی؟ قلت: نعم قال: و الله حال ما عاد الملک الناصر من قطیا، و دخلت أنا إلی الدیار المصریه أعطانی إمره خمسین فارسا کما قال رحمه الله، لا زائد علی ذلک، قال المولی تاج الدین: و شرعنا نتعجب من هذه الصوره.

حکی لی المولی الأمیر عز الدین محمد بن أبی الهیجاء، رحمه الله، ما معناه أن الأمیر سیف الدین بغلاق حدثه أن الأمیر بدر الدین بکتوت الأتابکی حکی له قال: کنت أنا و الملک المظفر قطز، و الملک الظاهر رکن الدین رحمهما الله فی حال الصبی کثیرا ما نکون مجتمعین فی رکوبنا، و غیر ذلک، فاتفق أن رأینا منجما فی بعض الطرق بالدیار المصریه، فقال له الملک المظفر: أبصر نجمی، فضرب بالرمل و حسب، و قال له أنت تملک هذه البلاد، و تکسر التتر، فشرعنا نهزأ به، ثم قال له الملک الظاهر:

فأبصر نجمی فضرب، و حسب و قال: و أنت تملک أیضا الدیار المصریه

و غيرها، فتزايد استهزاؤنا به، ثم قالا لى: لا بد أن تبصر نجمک، فقلت له: أبصر لى، فضرب و حسب و قال لى و أنت تحصل إمره مائه فارس، يعطيک هذا و أشار إلى الملک الظاهر، فاتفق أن وقع الأمر كما قال لم يخرم منه شى ء، و هذا من عجيب الإتفاق! هذا مضمون ما حكاه لى الأمير عز الدين المذكور فى خامس ربيع الآخر سنه اثنتين و تسعين و ستمائه بدمشق.

كتبغانوين مقدم عساكر التتر

، كان عظيما عندهم يعتمدون على رأيه و شجاعته و تدبيره، و كان شجاعا بطلا مقداما مدبرا سائسا خبيرا بالحروب و الحصارات، و افتتاح الحصون و المعاقل، و الاستيلاء على الممالک و هو الذى افتتح معظم بلاد العجم، و العراق، و كان هولاكو ملک التتر يثق به و لا يخالفه فيما يشير إليه، و يتبرک برأيه، و يحكى عنه العجائب فى حروبه و حصاراته، من ذلک أنه نازل عده حصون، فكان إذا فتح حصنا ساق جميع من فيه من الناس إلى الحصن الذى يليه، فإن مكنهم أهله من دخوله ضيقوا عليهم فى المأكول و المشروب، و إن منعوهم من الدخول همّ بضرب أعناقهم فيمكنوهم و إن أصروا على المنع ضرب أعناقهم، فإذا تيسر فتح الحصن الآخر فعل كذلک إلى أن استكمل فتح سائر الحصون المقصوده، و من ذلک أنه نازل حصنا لا يرام و تحقق أن فيه مؤنا كثيره، و عده آبار فيها من الماء قدر كفايتهم، فقال لهم ما معناه: أما حصنكم فمنيع و المؤنه عندكم كثيره، لكن الماء الذى عندكم على فراغ فأنا أصابركم إلى أن يفرغ و آخذكم، فقالوا: المياه عندنا كثيره و الذى بلغک من قلتها باطل لا حقيقه له، و سير من ثقاتک من يبصر ذلک، و يكشف لک حقيقته، و يخبرک، و كان قد هيأ عنده رماحا جوفها و ملأها سما قاتلا، و سدها عليه فسير جماعه من أصحابه و بيد كل واحد رمحا منها فكانوا يأتون إلى البئر فينزلون الرمح فيها كأنهم يخضخضون الماء، و ينفضون الرمح بقوه فتنفتح السداده بحركه دبروها

فينزل جميع ما فى الرمح من السم فى تلک البئر، فسموا بهذا الفعل جميع ما عندهم من المياه، و نزلوا من عندهم إلى كتبغا و أخبروه بانتهائهم إلى ما أمرهم به، و أقام كتبغا و من معه على حالهم أياما، فهلک من شرب من ذلک الماء، و تسلم الحصن، و هو الذى افتتح حصون الشام، و رأيته لما حضر إلى بعلبک لحصار قلعتها، و قد دخل جامع المدينه و صعد منارته ليشرف منها على القلعه، ثم نزل و خرج من الباب الغربى الذى فى صحن الجامع، و دخل حانوتا خرابا فقضى حاجته به و الناس يشاهدونه، و عورته مكشوفه، و معه بعض التتر، فلما فرغ مسحه ذلک الشخص بقطن كان معه مسحه واحده، و ركب و كانت لحيته شعرات يسيره فى حنكه، و هى مضفوره دبوقه لطولها، و ربما جعل طرفها فى حلقه فى أذنه، و ربما أرسلها على صدره فتبلغ سرته، و كان مهيبا مطاعا فى جنده، لا يجسرون على مخالفته، و لا الخروج عن أمره، و كان يردعهم عن كثير من أفعالهم، و كان إذا أمن أحدا و كتب له أمانا كان أقرب إلى الوفاء به من غيره من التتر، و هذا على ما فيه من الغدر، و كان شيخا مسنا أدرک جنكز خان الأخير، جدّ هولاكو، و كان عنده ميل إلى دين النصرانيه، لكنه لا يظهر الميل إلى النصارى لتمسكه بأحكام ياسه جنكز خان و سائر أرباب الأديان عنده سواء، و هذا من أحكام الياسه، و كان إذا كتب عنه كتاب يقول فى أوله: من كلام كيد بوقانوين، و النوين عندهم مقدم عشره آلاف فارس، فما زاد عليها، و لا يقال لمن هو مقدم على من تنقص عدتهم عنها.

و لما بلغه خروج العساكر مع الملک المظفر رحمه الله و كثرتها تلوم و توقف، و استشار فأشار عليه بعض الناس بالتأخر، و أشار عليه بعضهم بالملتقى، فحملته نفسه و شجاعته و ما قد ألفه من النصر فى سائر المواطن على اللقاء فتوجه لذلک، و لقيهم على عين جالوت بالقرب من بيسان، فكانت الوقعه المشهوره التى نصر الله تعالى فيها الإسلام

و حزبه، و أخزى الكفر، و أهله فحمل على الميسره فهزمها هزيمه شنيعه كادت تستمر، لولا تدارک الله الإسلام بنصره و رحمته، فحملوا عليهم فكسروهم كسره لا يرجى بعدها جبر، فولوا على وجوههم و السيوف تأخذهم، و اعتصم منهم طائفه بتل هناک، فأحدقت بهم العساكر، و قتلوا عن آخرهم و أسر من كان صغيرا، أو مراهقا، و أما كتبغا فلم يفر، و لم يكن الفرار من عادته، فثبت و قاتل إلى أن قتل، و عجل الله بروحه إلى النار، و كان الذى تولى قتله على ما قيل، و لم يعرفه، الأمير جمال الدين آقوش الشمسى رحمه الله و أسر ولده، و كان جميل الصوره جدا، و لما تمت الكسره قيل للملک المظفر: إن كتبغا هرب، و كان قد أحضر إليه ولده أسيرا و هو واقف بين يديه، فقال له: أبوک هرب، قال:

لا أبى ما يهرب أبصروه فى القتلى فدوروا عليه فى القتلى، و أحضروا عده رؤوس و عرضوها على ولده و هو يقول: ما هو هذا إلى أن أحضروا رأسه، فقال هذا هو، و بكى ثم قال للملک المظفر ما معناه: نم طيبا ما بقى لک عدو تخاف منه هذا هو كان سعاده التتر، به يهزمون الجيوش، و به يفتحون الحصون، و كذا كان لم يفلحوا بعده، و لله الحمد و المنه، و أما ولده فقد كنت رأيته معه ببعلبک لما حضر لحصار قلعتها، ثم رأيته بالديار المصريه فى سنه تسع و خمسين و قد لبس زى الترک، و كان مقتل كتبغا يوم المصاف، و هو يوم الجمعه خامس و عشرين شهر رمضان المعظم من هذه السنه ...

... محمد بن غازى بن أبى بكر محمد بن أيوب بن شاذى

، أبو المعالى الملک الكامل ناصر الدين، صاحب ميافارقين و تلک البلاد، ملک فى سنه اثنتين و أربعين و ستمائه عقيب وفاه والده الملک المظفر شهاب الدين غازى ابن الملک العادل، و كان أولا يدارى التتر، فلما خبر باطن أمرهم و إن المداراه لا تفيد معهم، انجذب منهم، فلما علم أنهم على عزم قصده، قدم على الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله بدمشق مستغيثا

و مستنجدا على التتر، فوعده بالنجده بعد أن أكرمه غايه الإكرام، و قدم له من التحف و الخيول و غيرها ما يجل مقداره، و عاد الملک الكامل إلى ميافارقين و لم يمكن الملک الناصر انجاده لما رأى من تخاذل أصحابه و ضعف قلوبهم عن مقابله التتر لكثرتهم، و لأنه لم يتفق إلى تلک الغايه من انتصف منهم، و قد ملكوا: العراق، و العجم، و الروم، و غير ذلک من الأقاليم، و البلاد، و سير هولاكو اشموط لمحاصره الملک الكامل فحصره حصرا شديدا، و بقى الملک الكامل رحمه الله مجاهدا للتتر، صابرا لقتالهم حتى فنى أكثر أهل ميافارقين، و عمهم الموت قتلا، و فناء لكثره الغلاء، و عدم الأقوات، و بقى محصورا دون سنتين، فعند ذلک ضعفت القوى عن محاربه العدو، فاستولوا على ميافارقين، و استشهد الملک الكامل قدس الله روحه، و حمل رأسه على رمح، و طيف به فى البلاد، فوصلوا به إلى حلب، ثم إلى حماه، و حمص، و بعلبک، و شاهدته رحمه الله و هو يطاف به بمدينه بعلبک، ثم وصلوا به إلى دمشق يوم الاثنين سابع و عشرين جمادى الأولى، و طافوا به بالمغانى و الطبول، ثم علق الرأس بسور باب الفراديس، فلم يزل معلقا فى شبكه إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الرأس، داخل باب الفراديس، و قد ذكرنا كيفيه دفنه و ما قيل فى ذلک فأغنى عن إعادته.

و كان رحمه الله ملكا جليلا دينا خيرا، عادلا عالما، محسنا إلى رعيته و سائر من فى خدمته، كثير التعبد و الخشوع، لم يكن فى البيت الأيوبى من يضاهيه فى ديانته، و حسن طريقته رحمه الله، و رضى عنه، و كان التتار قد استولوا على جميع بلاده و معاقله، و معظم أولاده و حرمه و أهله و هو محصور بميافارقين، ثم ختم له بالشهاده على هذا الوجه الجميل، بعد أن أفنى فى مده الحصار من التتار ما لا يحصى كثره رحمه الله تعالى.

[أحداث]بو على بن محمد بن أبى على بن باساک، الأمير حسام الدين الهذبانى.

كان أميرا كبيرا، جليل المقدار، قوى النفس حسن التدبير، كثير

الرياسه عنده تعاظم و تغطرس، حكى لى الأمير عز الدين محمد بن أبى الهيجاء رحمه الله ما معناه، أن الأمير حسام الدين لما حضر إلى دمشق فى الأيام الناصريه، طلبه الملک الناصر لحضور مشوره، فظهر عليه كراهيه الحضور، و قال: كنت أود لو عاجلنى الموت فى هذه الساعه، فقلت لم يا خوند؟ فقال: قد طلبنى السلطان إلى مجلسه العام، و عنده ناصر الدين القيمرى عن يساره، و جمال الدين بن يغمور عن يمينه، و هما عنده فى المنزله العليا، فيقتضى الحال القعود دون أحدهما، و هذا أرى الموت دونه، فهونت عليه ذلک، و قلت: ياخوند مكانتک معروفه لا ينقصها ذلک، فقال: لكن على كل حال إذا كان و لا بد أشتهى أن يقعدونى فى جهه الأمير ناصر الدين فهو كردى، ثم أمرنى بالتوجه إلى باب دار السلطان لكشف الخبر، فلما صرت بباب دار السلطان وجدت بعض من كان حاضرا قد خرج فحدثنى أن بعد توجه الرسول لطلبه، تشاوروا أين يقعدونه إذا حضر فقال الأمير ناصر الدين: هذا رجل كبير القدر، و قادم على مولانا السلطان فيقعد بين مولانا السلطان، و بين المملوک، و تقرر أنه يقعد فوق الأمير ناصر الدين القيمرى، فعدت إليه مسرعا فصادفته عند باب القلعه فعرفته ما جرى، فتهلل وجهه، و دخل فاحترمه الملک الناصر احتراما كثيرا، و أقعده إلى جانبه بينه و بين الأمير ناصر الدين القيمرى، فلما خرج قلت له: ياخوند أجلسک السلطان إلى جانبه، فوق الأمير ناصر الدين؟ فقال: نعم ما كان يمكن غير هذا، و هذا التعاظم و المنافسه فى مثل ذلک، و ما يجرى مجراه إنما اقتبسه من مخدومه الملک الصالح نجم الدين، فإنه كان اتصل بخدمته فى حياه الملک الكامل، و لازمه و اختص به اختصاصا كبيرا، و جعله استاذ داره، و كان يعتمد عليه فى مهماته، و يثق به وثوقا عظيما، و يسكن إليه بخلاف وثوقه بسائر من فى خدمته، و لما أمسک الملک الصالح و اعتقل بالكرک أراد الأمير حسام الدين المذكور التوصل إلى آمد بإشاره من الملک الصالح إليه، عندما أمسک، فعمل على ذلک فقبضه الملک الصالح عماد

الدين إسماعيل، و اعتقله فى حبس الخياله بقلعه دمشق، ثم نقله إلى قلعه بعلبک، فحبس فى جب مظلم لا يفرق فيه بين الليل و النهار و هو مضيق عليه، و ينزل إليه فى كل يوم قليل خبز و قليل من الماء، و ربما أنزل إليه مع الخبز جرزه بقل فى بعض الأوقات، قال الأمير حسام الدين: فكنت أحسب فى نفسى أننى ربما أمنع الطعام، و الشراب، لأموت، فكنت أدخر من الخبز المرتب شيئا قليلا، و كذلک من الماء أجمعه فى جره طلبتها، فاجتمع عندى من ذلک شى ء كثير، ثم طين على الجب، و منعت من الطعام و الشراب فارتفقت بذلک الذى جمعته مده إلى أن فتح الجب و أنزل إلى ما كان يجرى على أولا إلى أن فرج الله تعالى عنى، و لما أخرج من الجب سنه احدى و أربعين حمل إلى دمشق، و نزل فى برج كان الملک المغيث بن الملک الصالح نجم الدين معتقلا فيه، ثم أذن له فى الانتقال من القلعه و أن يتجهز للمسير إلى الديار المصريه، فخرج من البرج، و مضى إلى مدرسه الأمير عز الدين أيبک المعظمى، صاحب صرخد التى على شرف الميدان و أطلق له ما كان أخذ له من: القماش، و الخيول، و المماليک، و غير ذلک و خلع عليه و أطلق له مال، فتوجه إلى مخدومه، و حكى لى ناصر الدين على بن قرقين أن الأمير حسام الدين المذكور، لما نقل إلى قلعه بعلبک حبس فى بيت مفرد، و لم يكن يدخل عليه كل أحد، قال ناصر الدين المذكور: و كنت أدخل عليه فى كثير من الأوقات و أطيل الجلوس عنده، و الحديث معه و هو غير مضيق عليه، فاتفق أن الملک الصالح عماد الدين سير أسد الدين الزرزارى بكتاب منه إلى والى القلعه بأن يمكنه من قتل حسام الدين، فعظم ذلک على والى القلعه، و كان رجلا دينا خيرا، فطلبنى و عرفنى ما ورد به المرسوم، فقلت له و للزرزارى: إذا قتلتموه ايش فى عزمكم تفعلون به بعد القتل؟ قالوا:

ندفنه قلت: ادفنوه و هو حى و لا تتلوثوا بدمه، و اجعلوه فى الجب، و شاوروا السلطان، قال: فكتبوا إلى الملک الصالح عماد الدين، و شاوروه على ذلک ففسح فيه، و أمر أن ينزل إليه فى كل اسبوع رغيفا خبز و جره

ماء فامتثل المرسوم، و كان ينزل له رغيفان كبيران، و لم يزل على ذلک إلى أن أفرج عنه، و فى سنه ثلاث و أربعين فوض إليه الملک الصالح نجم الدين النيابه بدمشق، فمضى إليها، و أقام بها، و فى سنه أربع و أربعين توجه إلى بعلبک بمن معه من العسکر، و نازل قلعتها و ضايقها، و کان بها الملک المنصور شهاب الدين محمود بن الملک الصالح عماد الدين إسماعيل و إخوته، فاشتد عليهم الحصار فسلموها إلى الأمير حسام الدين بالأمان، فرتب أمورها، و سار إلى دمشق و أولاد الملک الصالح عماد الدين معه، فاعتقلهم بدمشق ثم بعث بهم إلى ابن عمهم الملک الصالح نجم الدين، قال الأمير حسام الدين: لما کنت فى الجب بقلعه بعلبک لا فرق بين الليل و النهار حدثتنى نفسى يوما و أنا فى تلک الحال التى تشعر باليأس من الحياه بالکليه أننى أخرج من الحبس، و ارجع إلى منزلتى التى کانت لى عند الملک الصالح نجم الدين، و أنه يسيرنى إلى بعلبک و أفتحها، و احتاط على أولاد الملک الصالح إسماعيل، و أحملهم بين يدى إلى دمشق، فقلت لنفسى: هذا من الأمانى الکاذبه التى تبعد فى العقل أن تکون، فما کان إلا مده يسيره و حصل لى ما تمنيته عيانا لم يخرم منه شى ء، و فى سنه أربع و أربعين أيضا اطلق صاحب حمص الأمير بدر الدين محمد بن أبى على والد الأمير حسام الدين، و کان الملک المجاهد حبسه بقلعه حمص، مع الأمير سيف الدين بن أبى على و جماعه الحمويين، فقدم بدر الدين على ولده حسام الدين، و هو يومئذ نائب السلطنه بالديار المصريه فى سنه خمس و أربعين، ثم توفى بعد قدومه بمده يسيره، فدفنه ولده بالرصد و بنى عليه تربه، و فى سنه ست و أربعين تقدم الملک الصالح نجم الدين إلى الأمير حسام الدين المذکور بالمسير إلى الصالحيه مقدما على العساکر المتوجهه إلى الشام، و استناب الملک الصالح بالديار المصريه عوضه الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، فخرج و أقام بالصالحيه أربعه أشهر، ثم رجع إلى القاهره، ثم سار إلى الشام مقدما على الحلقه السلطانيه، و معه الدهليز السلطانى إلى حمص.

و فی المحرم سنه سبع و أربعین دخل الأمیر حسام الدین إلی الدیار المصریه نائبا بها، و توجه الأمیر جمال الدین موسی بن یغمور إلی الشام نائبا بدمشق، فالتقیا فی الرمل، و استمر فی نیابه السلطنه بالدیار المصریه إلی حیث مات الملک الصالح فبلغه أن الأمیر فخر الدین بن الشیخ قد عزم علی استدعاء الملک المغیث فتح الدین عمر بن الملک العادل ابن الملک الکامل من عند عماته القطبیات، و یفوض السلطنه إلیه، و یکون أتابکه، فتقدم الأمیر حسام الدین إلی شمس الدین ابن باخل والی القاهره إذ ذاک أن ینقل المغیث إلی قلعه الجبل، و أمر بالاحتیاط علیه، و سیر قصاده إلی حصن کیفا یستحثوا الملک المعظم توران شاه علی سرعه الوصول و یعرفوه المفاسد المترتبه علی تأخره بخروج الأمر عنه إلی الملک المغیث، فلما وصلت قصاده إلی الملک المعظم، سار مجدا لاحدی عشره لیله مضت من شهر رمضان سنه سبع و أربعین، و ترک بالحصن ولده الملک الموحد عبد الله، و عمره نحو عشر سنین، و عنده من یقوم بتدبیره، و سار یعتسف القفار خوفا من الملوک الذین فی طریقه، فوصل دمشق، و استقر بقلعتها فامتدحه بعض الشعراء بقصیده مطلعها:

قل لنا کیف جئت من حصن کیفاحین أرغمت للأعادی أنوفا

فأجابه الملک المعظم فی الوقت:

الطریق الطریق یا ألف نحس مره آمنا و طورا مخوفا

فاستظرف الناس من ذلک من الملک المعظم، و لما توجه استصحب معه شرف الدین الفائزی، و لما وصل الرمل أسلم علی یده نشو الدوله ابن حشیش کاتب إنشائه، و لقبه معین الدین، و رشحه لأن یکون وزیره، کما کان معین الدین ابن الشیخ وزیر أبیه، فکان الأمیر حسام الدین آکد الأسباب فی حضور الملک المعظم و سلطنته بالدیار المصریه، و العجب منه کیف اجتهد فی ذلک بعد ما سمع من الملک الصالح نجم الدین ما یقتضی

العمل على خلافه، فإنه قال: لما ودعت الملک الصالح حين سفره إلى الشام قال لى: أنا مسافر إلى الشام، و أخاف أن يعرض لى موت، و أخى الملک العادل بقلعه مصر، فيأخذ البلاد و ما يجرى عليكم منه خير، فإن عرض لى فى سفرى هذا مرض، و لو أنه وجع إصبع أو حمى، فأعدمه فإنه لا خير فيه لكم، و ولدى توران شاه لا يصلح للملک، فإن بلغک موتى لا تسلم البلاد لأحد من أهلى بل سلمها إلى الخليفه المستعصم بالله، و قال الأمير حسام الدين: قلت للملک الصالح و هو مريض مشرف: ما يسير مولانا السلطان يطلب ولده الملک المعظم؟ فما أجاب، فلما ألححت عليه، قال: أجيبه إليهم يقتلوه، فكان الأمر كما قال.

و فى جمادى الآخره سنه تسع و أربعين استأذن الأمير حسام الدين الملک المعز فى الحج، فأذن له و أمر له بحراقه يسافر عليها إلى قوص، و بألف دينار، و طلب من الملک المعز الأمير عز الدين أزدمر الجمدار ليحج صحبته فأذن له، و دخلا مكه فى أواخر شعبان، و نزل الأمير حسام الدين بدار الضيافه التى بقرب الصفا، و قضى الحج، و عاد إلى المدينه صلوات الله و سلامه على ساكنها، فزار و توجه إلى ينبع، و أقام بها أياما لأمر بلغه، ثم عاد إلى الديار المصريه على الهجن، و فى سنه احدى و خمسين استأذن الملک المعز فى التوجه إلى الشام، و كان قد ترک الخدمه فأذن له و سافر إلى دمشق، فأقطعه الملک الناصر خبزا جليلا، و احترمه غايه الاحترام، و أقام عنده مكرما معظما، ثم توجه إلى الديار المصريه فتوفى بها، و ورد الخبر إلى دمشق بوفاته فى أواخر شهر شعبان من هذه السنه رحمه الله، و دفن بالرصد عند والده رحمهما الله، و كان الأمير حسام الدين قد عرض له صرع قبل وفاته بسنين، ثم تزايد به و كثر، فكان سبب وفاته، و مولده بحلب سنه اثنتين و تسعين و خمسمائه، و أصله من إربل، و كان فاضلا و له نظم جيد قال الأمير عز الدين محمد بن أبى الهيجاء رحمه الله: أنشدنى الأمير حسام الدين المذكور بالمدينه الشريفه النبويه، صلوات الله على ساكنها و سلامه لنفسه:

بتنا على حاله ما شابها ريبه لم نعد ما سنّه المدفون فى طيبه

حتى بدا الصبح يرفل فى ضيا شيبه و فارق الليل مشكورا على طيبه

و أنشدنى الأمير عز الدين المذكور، للأمير حسام الدين أيضا:

لبيت داعى هواكم حين نادانى و قلت شأن الهوى العذرى من شأنى

حفظى لعهد الهوى دينى و إيمانى و حبكم صاحبى فى طى أكفانى

و أنشدنى الأمير عز الدين للأمير حسام الدين أيضا:

أهوى رشأ من خالص الترک رشيق فى الصحو معربد و فى السكر مفيق

فى فيه لعاشقيه در و عقيق ما أحسنه عندى عدو و صديق

و قد تقدم فى هذه الترجمه أن صاحب حمص أطلق بدر الدين محمد والد حسام الدين، و أن الملک المجاهد كان حبسه بقلعه حمص مع الأمير سيف الدين بن أبى على، و شرح القصه فى ذلک أن الأمير سيف الدين كان هو المشار إليه من بنى أبى على.

و لما ملک الملک المظفر تقى الدين محمود حماه سنه ثمان و عشرين و ستمائه اجتذبه إليه و أقطعه سلميه، و زوجه أخته، و جعله عديل روحه، و المتصرف فى جميع ما تحويه يده، و كان الملک المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص كثير التعدى على صاحب حماه، و بينهما عداوه عظيمه، ثم بعد موت الملک الكامل اتفق معه الملک الصالح عماد الدين على مثل ذلک، فضعف عنهما، فاستنجد بالفرنج، و حضر إليه جماعه من خيالتهم و بنى لهم فى حماه كنيسه، و لبس الغفاره تقربا إليهم ليعتضد بهم على دفع الملک المجاهد، و الملک الصالح، و اتفق حضور الملک الصالح نجم الدين من المشرق، و تسلمه دمشق من الملک الجواد على ما هو مشهور، و عزم على قصد حمص و انتزاعها من صاحبها، فحضر إليه جماعه من الأمراء المصريين، فطلبوه ليملكوه الديار المصريه، و قالوا له:

لا تشتغل بحمص إذا ملكت مصر، كانت حمص و غيرها لک، فتوجه إلى نابلس و أقام بها فى انتظار عمه الملک الصالح، و کان الملک الصالح و الملک المجاهد قد اتفقا على أخذ دمشق، و کان الملک الصالح نجم الدين مصافيا للملک المظفر صاحب حماه، فسير إليه يقول: أنا متوجه إلى الديار المصريه و تبقى دمشق شاغره، و أخاف من الملک الناصر داود، و من غيره من المجاورين، فأحفظها کيف شئت فاقتضى رأيه أن يجهز إليها الأمير سيف الدين، و خشى عليه من صاحب حمص، فأظهرا منافره و قال له سيف الدين فى ملأ من الناس: أنت تواطى ء الفرنج، و تريد تسليم البلاد إليهم، و أنا ما بقيت أقيم عندک، و قام خرج على غضب، و توجه فى قريب أربعمائه فارس، و جماعه کثيره من أعيان الحمويين، و جاؤوا إلى حمص و نزلوا على البحيره، فخرج الملک المجاهد إلى الأمير سيف الدين، و هنأه بالسلامه و سير له الإقامات، و سأله عن سبب حرکته، فأخبره فشرع صاحب حمص يشتم صاحب حماه، و يلعنه بکل لسان، و يشکر سيف الدين على مفارقته، و صار يرکب إليه کل يوم و يسيران و يتحدثان، فعمل صاحب حمص حسابه، و رتب له جماعه کثيره، و رکب معه و سايره و أشغله بالحديث إلى أن قربوا من المدينه، فتوقف سيف الدين، و قال للملک المجاهد: بسم الله يدخل المولى مدينته، فقال لى: بک اجتماع فى المدينه، و أشتهى أتحدث معک فى مهم لى، و أطلعک على ما فى نفسى منه، و هذا ما يمکن إلّا فى المدينه، و لا بد من دخولک على کل حال، فرأى الأمير سيف الدين أنه مقهور معه، فدخل و نزلوا فى دار بالمدينه، و قال له الأمير سيف الدين: ما هو المهم الذى ذکره المولى؟ قال لى: شغل أريد أقضيه، و أشتهى تعيرنى جماعتک يجيئون معى مده ثلاثه أيام أستعين بهم على قضاء شغلى، و أعود بهم إلى خدمتک، خذهم ورح قال: فأنا و هم نجى ء معک، قال: ما يمکن المولى کبير المقدار، و إنما تقيم أنت هنا إلى أن نعود، فما أمکنه مخالفته، و قد صار فى قبضته، فقال له الملک المجاهد: تسير إليهم و تستدعى فلان

و فلان و فلان، جماعه عينهم منهم الأمير بدر الدين محمد، والد الأمير حسام الدين، فاستدعاهم فحضروا، فقال: تكتب إلى بقيه العسكر أن يتوجهوا صحبتى، فكتب إليهم فأخذهم، و توجه بهم و هو و الملک الصالح عماد الدين إلى دمشق فهجموها على الصوره المشهوره، فلما عاد صاحب حمص قال لعسكر الأمير سيف الدين: من أراد أن يخدمنى استخدمته، و من أراد يروح فيروح حيث شاء، فخدم عنده جماعه يسيره و راح الباقون، و نقل الأمير سيف الدين و من معه إلى قلعه حمص، و ضيق عليهم، و لم يزل الأمير سيف الدين فى حبسه إلى أن مات فيه رحمه الله، و مات الملک المجاهد و جميع أصحاب الأمير سيف الدين، و من كان فى صحبته من الحمويين فى الحبس، ثم أفرج عن الأمير بدر الدين كما ذكرنا، و أفرج عن من سلم منهم بعد طول مده، و مشقه عظيمه و مصادره نالت من هو متهم بمال، و كان هذا الفعل من سوء التدبير، و ضعف الرأى فإنهم لو توجهوا على البريه لوصلوا دمشق، و حفظوها بمشيئه الله تعالى، و لو لم يغرر الأمير سيف الدين بنفسه لما قدر صاحب حمص عليه فإنه كان معه عسكر يضاهى عسكر حمص، و يزيد عليه، لكن إذا أراد الله أمرا لا مرد عليه، و كان الشيخ شرف الدين عبد العزيز وزير صاحب حماه إذا جرى عنده ذكر الأمير سيف الدين، و ما تم عليه يقول: دعونا من دم ضيعه أهله.

[أحداث]الملک السعيد نجم الدين ايل غازى بن الملک المنصور ناصر الدين

أبى المظفر أرتق أرسلان بن نجم الدين إيل غازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيل غازى بن أرتق، أبو الفتح صاحب ماردين، كان ملكا جليلا كبير المقدار، شجاعا جوادا، حازما ممدحا، و توفى فى ذى الحجه من هذه السنه، و قيل فى سادس عشر صفر سنه تسع و خمسين، و الأول أصح، و سبب موته وباء وقع فى أهل القلعه، فأهلک أكثرهم و وصل الخبر إلى التتر بموته من رجل يسمى أحمد بن الفارس على الشافصنى رمى بنفسه من القلعه إليهم، فبعثوا إلى ولده الملک المظفر رسولا و طلبوا منه الدخول فى الطاعه، و كان قد قام مقام أبيه، فأجابهم جوابا أرضاهم، و أظهر لهم الدخول فى طاعتهم، و العمل على مداراتهم.

[أحداث]لسنه التاسعه و الخمسون و ستمائه

اشاره

أولها يوم الإثنين لأيام خلون من كانون الأول دخلت هذه السنه، و ليس للمسلمين خليفه، و صاحب مكه حرسها الله تعالى نجم الدين أبو نمى بن أبى سعد بن على بن قتاده الحسنى، و عمه إدريس بن على ابن قتاده، و مكه بينهما بالسويه، و صاحب المدينه الشريفه صلوات الله و سلامه على ساكنها الأمير عز الدين جماز بن شيحه الحسينى، و صاحب دمشق و بعلبک و بانياس و الصبيبه الأمير علم الدين الحلبى، الملقب

بالملک المجاهد، و صاحب الدیار المصریه، و معظم الشام السلطان الملک الظاهر و المستولی علی حلب و أعمالها الأمیر حسام الدین لاجین الجوکندار، و هو فی طاعه الملک الظاهر، و صاحب الموصل الملک الصالح إسماعیل بن بدر الدین لؤلؤ و صاحب جزیره ابن عمر أخوه الملک المجاهد سیف الدین اسحاق، و صاحب ماردین الملک السعید نجم الدین ایلغازی بن أرتق، و صاحب بلاد الروم رکن الدین قلیج أرسلان بن السلطان غیاث الدین کیخسرو بن علاء الدین السلجوقی، و أخوه عز الدین کیکاوس و البلاد بینهما مناصفه، و صاحب صهیون و برزیه مظفر الدین عثمان بن ناصر الدین منکورس، و صاحب الکرک، و الشوبک الملک المغیث فتح الدین عمر بن الملک العادل سیف الدین أبی بکر بن الملک الکامل، و صاحب حماه الملک المنصور ناصر الدین محمد بن الملک المظفر تقی الدین محمود، و صاحب حمص و تدمر و الرحبه الملک الأشرف مظفر الدین موسی بن الملک المنصور إبراهیم ابن الملک المجاهد أسد الدین شیرکوه بن الملک المنصور ناصر الدین محمد بن أسد الدین شیرکوه بن شاذی، و المستولی علی حصون الاسماعیلیه الثمانیه التی بالشام من أعمال حلب رضی الدین أبو المعالی ابن أبی المنصور، و نجم الدین اسماعیل الشعرانی، و صاحب مراکش أبو حفص عمر بن أبی ابراهیم بن یوسف و یلقب بالمرتضی، و صاحب تونس أبو عبد الله محمد بن أبی زکریا یحیی بن أبی محمد بن الشیخ أبی حفص عمر بن یحیی، و صاحب الیمن الملک المظفر شمس الدین یوسف بن الملک المنصور نور الدین، و صاحب ظفار موسی بن إدریس ابن محمود بن محمد الحضرمی، و صاحب دلی ناصر الدین محمود بن شمس الدین ایلمتش، و صاحب کرمان [قتلغ] ترکان خاتون زوجه الحاجب براق، و ولدا قطب الدین تاینکو، و صاحب بلاد فارس أبو بکر بن أتابک سعد بن زنکی بن دکلا.

متجددات الاحوال فى هذه السنه

اشاره

فى المحرم منها جاء الخبر إلى دمشق بجفل أهل حلب، و ما والاها، و سبب ذلک تجمع التتار الذين كانوا بحران و غيرها من بلاد الجزيره و انضم إليهم من سلم من كسره عين جالوت، و ضعفوا لشده الغلاء عندهم، فألجأتهم الضروره إلى الغاره على بلد حلب، فأجفل الناس من بين أيديهم.

[كسره التتار على حمص:]

و فيها فى أوائل المحرم كانت كسره التتار على حمص، و كانوا فى سته آلاف فارس، فلما وصلوا حمص وجدوا عليها الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى، و من معه، و الملک المنصور صاحب حماه، و الملک الأشرف صاحب حمص فى ألف و أربعمائه فارس، فحملوا على التتار حمله رجل واحد فهزموهم، و قتلوا منهم مقتله عظيمه، و هرب بيدره فى نفر يسير، و أتى القتل على معظمهم، و كانت الوقعه عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه، و لما عاد فل التتار إلى حلب أخرجوا من فيها من الرجال و النساء و لم يبق إلا من اختفى خوفا على نفسه، ثم نادوا من كان من أهل حلب فليعتزل، فاختلط على الناس أمرهم، و لم يعلموا المراد فاعتزل بعض الغرباء مع أهل حلب، و بعض أهل حلب مع الغرباء، فلما تميز الفريقان أخذوا الغرباء و ساروا بهم إلى ناحيه بابلى، فضربوا رقابهم و كان فيهم من أهل حلب جماعه من أقارب الملک الناصر، رحمه الله، ثم عدوا من بقى من أهل حلب، و سلموا كل طائفه منهم إلى رجل من الأكابر ضمنوهم له، ثم أذنوا لهم فى العود إلى البلد، و أحاطوا بها و لم يمكنوا أحدا من الخروج منها، و لا من الدخول إليها أربعه أشهر، فغلت الأسعار، و بلغ رطل اللحم سبعه عشر درهما، و رطل الشيرج سبعين درهما، و رطل الأرز عشرين درهما، و رطل حب الرمان ثلاثين درهما، و رطل السكر خمسين درهما، و الحلواء كذلک، و رطل العسل ثلاثين درهما،

و رطل الشراب ستين درهما، و الجدى الرضيع أربعين درهما، و الدجاجه خمسه دراهم، و البيضه درهما و نصف، و البصله نصف درهم، و الخس نصف درهم و باقه البصل درهما، و البطيخه أربعين درهما، و التفاحه خمسه دراهم حتى أكلت الميته من شده الغلاء.

و أما الأمير حسام الدين الجوكندار، و الأمير نور الدين على بن مجلى و من معهما من الناصريه، لما تحققوا عود التتار إلى حلب، ساقوا على حميه و عبروا المرج، و لم يقربوا إلى دمشق، و قصدوا الغور، ثم إلى مصر فأقبل الملک الظاهر عليهم، و كتب لهم المناشير بالأخبار بحلب، و دمشق، و عادوا بعدما استولى الملک الظاهر على دمشق.

و فى يوم الاثنين سابع صفر ركب الملک الظاهر من قلعه الجبل بأبهه الملک، و نزل من وراء القاهره، و دخل من باب النصر، و شق البلد، و خرج من باب زويله عائدا إلى القلعه، و الامراء و أعيان الأجناد مشاه بين يديه، و كان هذا أول ركوبه فى دست السلطنه، ثم استمر بعد ذلک على الركوب للعب بالكره و غيره.

ذكر انتزاع دمشق من يد الأمير علم الدين الحلبى

كان الملک الظاهر قد كتب إلى الأمراء الذين بدمشق يستميلهم إليه، و يحضهم على منابذه علم الدين و القبض عليه، فأجابوه و خرجوا عن دمشق منابذين له، و فيهم الأمير علاء الدين البندقدار، و الأمير بهاء الدين بغدى، فتبعهم الأمير علم الدين الحلبى بمن بقى معه من الأمراء و الجند، فهزموه و ألجأوه إلى القلعه، فأغلقها دونهم، و ذلک يوم السبت حادى عشر صفر، ثم خرج من القلعه تلک الليله، و قصد بعلبک فدخل قلعتها، و معه قريب عشرين نفرا من مماليكه، و دخل علاء الدين البندقدار دمشق، و استولى عليها، و حكم فيها نيابه عن الملک الظاهر، و جهز إلى بعلبک لمحاصره الأمير علم الدين الحلبى بدر الدين محمد بن رحال، و الأمير ... التركمانى، فحال وصولها دخلا المدينه، و نزلا

بالمدرسه النوريه، و كان الأمير علم الدين الحلبى عندما وصل جعل عنده فى القلعه طائفه كبيره من أهل نخله مقدمهم على بن عبود، فسير إليهم بدر الدين بن رحال و أفسدهم فتدلوا من القلعه ليلا، و نزلوا و ترددت المراسلات بين الحلبى، و البندقدار، و استقر الحال على نزوله و توجهه إلى خدمه الملک الظاهر حسبما يختار، فخرج من القلعه راكبا حصانه، و فى وسطه عدته، و فى قربانه قوسان، و هو كالأسد الهصور، فحال ما بعدعن القلعه قدم له بغله فتحول إليها و قلع العده، و وصل إلى دمشق و سار منها إلى الديار المصريه فأدخل على الملک الظاهر ليلا بقلعه الجبل، فقام إليه و اعتنقه، و أدنى مجلسه و عاتبه عتابا لطيفا، ثم خلع عليه، و رسم له بخيل، و بغال، و جمال، و قماش، و غير ذلک.

و فى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول، فوض الملک الظاهر أمر الوزاره، و تدبير الدوله إلى الصاحب بهاء الدين على بن محمد [بن سليم بن حنا] و فى ربيع الآخر حضر عند الملک الظاهر أحد أجناد الأمير عز الدين الصقلبى و أنهى إليه أنه فرق ذهبا فى جماعه من حاشيته، و قرر معهم الوثوب على السلطان، و اتفق معه الأمير علم الدين الغتمى، و بهادر، و الشجاع بكتوت، فقبض الملک الظاهر عليهم.

و فى ربيع الآخر بعث الملک الظاهر عسكرا إلى الشوبک، فتسلمه من نواب الملک المغيث بباطن كان بينهم، و بين الظاهر.

و فيه قبض الملک الظاهر على الأمير بهاء الدين بغدى الأشرفى بدمشق، و حمل إلى قلعه الجبل فلم يزل محبوسا بها إلى أن مات.

ذكر نزوح التتار عن حلب و ما حدث بعد نزوحهم

كان الملک الظاهر جهز الأمير فخر الدين الطنبا الحمصى، و الأمير حسام الدين لاجين العينتابى فى عسكر لترحيل التتار عن حلب، فلما وصلوا غزه كتب الفرنج من عكا إلى التتار يخبرونهم، فرحلوا عنها فى أوائل جمادى الأولى، فتغلب عليها جماعه من أحداثها و شطارها منهم

نجم الدين أبو عبد الله بن المنذر، و على بن الأنصارى، و أبو الفتح، و يوسف بن معالى فقتلوا و نهبوا و نالوا أغراضهم، ثم وصل إليها فخر الدين الحمصى و العينتابى بمن معهما من العسكر، فخرجوا هاربين، و لما دخلها العينتابى صادر أهلها، و عذبهم حتى استخرج منهم ألف ألف و ستمائه ألف درهما بيروتيه، و أقام بها إلى أن وصل إليها الأمير شمس الدين آقوش البرلى فى جمادى الآخره، فخرج لتلقيه ظنا منه أنه جاء نجده له، و كان قد خرج من دمشق هاربا لما استشعر من الملک الظاهر، فلما دخلها تغلب عليها فخافه فخر الدين الحمصى فأعمل الحيله فى الخلاص منه بأن طلب السفر إلى الملک الظاهر ليستميله إليه، فمكنه من الخروج، فلما توجه أخذ البرلى فى مصادره من كان فى صحبه الحمصى، و أبقى على العينتابى، و أمر و أقطع، و وفد عليه زامل بن على بن حذيفه فى أصحابه، ففرق عليهم تسعه آلاف مكوكا مما احتاط عليه من الغلال التى كانت مطموره بحلب، و فرق فى التركمان أربعه آلاف مكوكا أخرى.

و فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى عرض الملک الظاهر ولايه القضاء بالديار المصريه على القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعز أبى القاسم خلف بن القاضى رشيد الدين أبى الثناء محمود بن بدر العلامى، فشرط شروطا أغلظ فيها، فأجابه السلطان إليها، و صلى به الظهر، و حكم بقيه النهار، و عزل القاضى بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن على السنجارى و عوق عشره أيام، ثم أفرج عنه.

و فى الثامن و العشرين منه ولى الامير جمال الدين موسى بن يغمور ولايه البحر، و شد العمائر، و ولى الأمير صارم الدين قايماز المسعودى القاهره، و ولى شجاع الدين جلدک الفائزى شد الدواوين.

ذكر وصول المستنصر بالله إلى القاهره و مبايعته

اشاره

كان هذا و هو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد محبوسا ببغداد مع جماعه من بنى

العباس، فلما ملكت التتار بغداد أطلقوهم، فصار المستنصر إلى عرب العراق، و اختلط بهم، فلما ملک الملک الظاهر، وفد عليه مع جماعه من بنى مهارش و هم عشره أمراء، مقدمهم ابن قبيتا، و الأمير ناصر الدين مهنا، و كان وصوله إلى القاهره فى ثامن رجب فركب السلطان للقائه و معه الوزير بهاء الدين، و قاضى القضاه تاج الدين، و الشهود و الرؤساء، و القراء و المؤذنون، و اليهود بالتواره، و النصارى بالانجيل فى يوم الخميس، فدخل من باب النصر، و شق القاهره، و كان يوما مشهودا، و لما كان يوم الإثنين ثالث عشر الشهر جلس السلطان و الخليفه فى الإيوان بقلعه الجبل، و حضر الصاحب بهاء الدين، و ولده فخر الدين، و قاضى القضاه تاج الدين، و الأمراء و الناس على طبقاتهم، و قرى ء نسب الخليفه على القاضى، و شهد عنده بصحته، فأسجل عليه بذلک، و حكم به و بويع، و ركب من يومه، و شق القاهره فى وجوه الدوله و أعيانها.

باب فى مبايعته

و هو الثامن و الثلاثون من خلفاء بنى العباس رضى الله عنه، و هو الإمام المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الإمام الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الإمام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضى ء بأمر الله أبى محمد الحسن بن أبى المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد أمير المؤمنين، بويع بالخلافه فى قلعه الجبل ظاهر القاهره من الديار المصريه يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب سنه تسع و خمسين و ستمائه، و أول من بايعه قاضى قضاه الديار المصريه تاج الدين عبد الوهاب بن خلف الشافعى، عندما ثبت نسبه عنده، ثم بايعه الملک الظاهر، و الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، و الأمراء و الأعيان من أولى الحل و العقد، و كانت بيعته فى الإيوان الكبير بالقلعه المذكوره، و كان المسلمون بغير خليفه منذ قتل الخليفه ابن أخيه الامام المستعصم بالله أبا

أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد رحمه الله فى أوائل سنه ست و خمسين مده ثلاث سنين و نصف، و كان المستنصر شديد السمره، جسيما وسيما عالى الهمه شديد القوى، عنده شجاعه و إقدام، و هو أخو المستنصر بالله أبى جعفر المنصور و نعت بنعته، و هذا مما لم تجر به العاده فيما تقدم أن خليفه يلقب بلقب خليفه تقدمه من أهل بيته، و قد ولى الخلافه أخوان و ثلاثه إخوه أما أربعه إخوه ولوا الخلافه فأولاد عبد الملک بن مروان لا غير، و ثلاثه إخوه: الأمين، و المأمون، و المعتصم أولاد هارون الرشيد، و المستنصر، و المعتز، و المعتمد أولاد المتوكل، و المكتفى و المقتدر، و القاهر أولاد المعتضد، و الراضى و المتقى، و المطيع أولاد جعفر المقتدر، و أخوان:

فالسفاح و المنصور ولدا محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنه، و الهادى و الرشيد ابنا المهدى، و الواثق و المتوكل ابنا المعتصم، و المسترشد و المقتفى ابنا المستظهر، و المستنصر منصور، و المستنصر هذا ابنا الظاهر، و منه إلى العباس رضى الله عنه أربعه و عشرون نفرا، و ولى الخلافه بعد أخيه، و لم يل أحد بعد أخيه قبله إلا جده المقتفى بن المستظهر فإنه ولى أيضا بعد الراشد بن المستظهر، و أما من ولى الخلافه بعد عمه فالوليد بن يزيد بن عبد الملک من بنى أميه، ولى بعد عمه هشام بن عبد الملک و المعتضد بن الأمير الناصر بن المتوكل ولى بعد عمه المعتمد بن المتوكل، و الراضى بالله بن المقتدر بن المعتضد ولى بعد عمه القاهر بالله بن المعتضد، و مده خلافه المستنصر مند بويع إلى أن فقد خمسه شهور و عشرين يوما، فمده خلافته أقصر المدد من أهل بيته أما من بنى أميه فمعاويه بن يزيد بن معاويه رحمه الله مده خلافته أربعين يوما و يزيد بن الوليد خمسه أشهر، و أخوه ابراهيم بن الوليد سبعين يوما، و من بنى العباس رضى الله عنه لم يستكملوا سنه أولهم المستنصر بن المتوكل بقى فى الخلافه سته أشهر، و المهتدى بن الواثق بقى فيها أحد عشر شهرا و أياما، و الحسن بن على رضى الله عنهما بقى فى الخلافه منذ

بويع بعد قتل أمير المؤمنين رضى الله عنه إلى أن نزع نفسه، و بايع معاويه رضى الله عنه سبعه شهور و أحد عشر يوما، و قيل غير ذلک.

و لما كان يوم الجمعه ركب من البرج الذى كان مقيما به فى القلعه و عليه ثياب سود إلى الجامع بالقلعه للصلاه، فصعد المنبر و خطب خطبه ذكر فيها شرف بنى العباس، ثم استفتح و قرأ سوره الأنعام حتى بلغ قوله تعالى: وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(1) ثم صلى على النبى صلى الله عليه و سلم و سلم و ترضى عن الصحابه رضى الله عنهم، و دعا للسلطان، ثم نزل و صلى بالناس.

و فى مستهل شعبان تقدم الخليفه بتفصيل خلعه سوداء، و بعمل الطوق و قيد من ذهب، و بكتب تقليد السلطنه للملک الظاهر، و نصب خيمه ظاهر القاهره، فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفه و السلطان و الوزير، و وجوه الدوله و الأمراء، و القضاه و الشهود إلى الخيمه، فألبس الخليفه السلطان الخلعه بيده، و طوقه و قيده، و صعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبرا نصب له، فقرأ التقليد، و هو من إنشائه و بخطه، ثم ركب السلطان بالخلعه و الطوق، و القيد، و دخل من باب النصر و شق القاهره، و قد زينت له، و حمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا، و الأمراء يمشون بين يديه و كان يوما يقصر اللسان عن وصفه.

نسخه التقليد

الحمد لله الذى أضفى على الاسلام ملابس الشرف، و أظهر بهجه دره، و كانت خافيه بما استحكم عليها من الصدف، و شيد ما و هى من علائه حتى أنسى ذكر من سلف، و قيض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف، أحمده على نعمه التى رتعت الأعين منها فى الروض الأنف، و ألطافه التى وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف، و أشهد أن

1- سوره آل عمران- الآيه: 102.

لا إله إلا الله وحده لا شريک له، شهاده توجب من المخاوف أمنا، و تسهل من الأمور ما كان حزنا، و أشهد أن سيدنا محمد عبده و رسوله الذى جبر من الدين وهنا، و رسوله الذى أظهر من المكارم فنونا لا فنا، صلى الله عليه و آله الذين أصبحت مناقبهم باقيه لا تفنى، و أصحابه الذين أحسنوا فى الدين، فاستحقوا الزياده من الحسنى.

و بعد: فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، و أحقهم أن يصبح القلم راكعا و ساجدا فى تسطير مناقبه و بره، من سعى فأضحى بسعيه الحميد متقدما، و دعا إلى طاعته فأجابه من كان منجدا و متهما، و ما بدت يد فى المكرمات إلا كان لها زندا و معصما، و لا استباح بسيفه حمى و غى إلا أضرمه نارا و أجراه دما.

و لما كانت هذه المناقب الشريفه مختصه بالمقام العالى المولوى السلطانى الظاهرى الركنى شرفه الله و أعلاه، ذكرها الديوان العزيز النبوى الامامى المستنصرى أعز الله سلطانه، تنويها بشريف قدره، و اعترافا بصنعه الذى تنفد العباره المسهبه، و لا تقوم بشكره، و كيف لا و قد أقام الدوله العباسيه بعد أن أقعدها زمانه الزمان، و أذهب ما كان لها من محاسن و احسان، و عتب دهرها المسى ء لها فأعتب، و أرضى عنها زمنها، و قد كان صال عليها صوله مغضب، فأعاده لها سلما بعد أن كان عليها حربا، و صرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعا رحبا، و منح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا و عطفا، و أظهر من الولاء رغبه فى ثواب الله ما لا يخفى، و أبدى من الاهتمام بأمر البيعه أمرا لو رامه غيره لا متنع عليه، و لو تمسک بحبله لا نقطع به قبل الوصول إليه، لكن الله ادخر هذه الحسنه ليثقل بها ميزان ثوابه، و يخفف بها يوم القيامه حسابه، و السعيد من خفف من حسابه، فهذه منقبه أبى الله إلا أن يخلدها فى صحيفه صنعه، و مكرمه قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه، و أمير المؤمنين يشكر هذه الصنائع،

و يعترف أنه لو لا اهتمامک لإتسع الخرق على الراقع، و قد قلدک الديار المصريه، و البلاد الشاميه، و الديار البكريه، و الحجازيه، و اليمنيه، و الفراتيه، و ما يتجدد من الفتوحات غورا و نجدا و فوض أمر جندها و رعاياها إليک حين أصبحت بالمكارم فردا، و لا جعل منها بلدا من البلاد و لا حصنا من الحصون مستثنى و لا جهه من الجهات تعد فى الأعلى و لا فى الأدنى.

فلاحظ أمور الأمه فقد أصبحت لها حاملا، و خلص نفسک من التبعات اليوم ففى غد تكون مسؤولا عنها لا سائلا، و دع الاغترار بأمر الدنيا فما نال منها طائلا، و ما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا، فالسعيد من قطع منها آماله الموصوله، و قدم لنفسه زاد التقوى، فتقدمه غير التقوى مردوده لا مقبوله، و ابسط يدک بالإحسان و العدل فقد أمر الله بالعدل و الإحسان، و كرر ذكره فى مواضع من القرآن، و كفر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه و آثاما، و جعل يوما واحدا منه كعباده العابد ستين عاما، و ما سلک سبيل العدل إلا و اجتنيت ثماره من أفنان، و رجع الأمن بعد تداعى أركانه مشيد الأركان، و تحصن من حوادث الزمان فكانت أيامه فى الأنام أبهى من الأعياد، و أحسن فى العيون من الغرر فى أوجه الجياد، و أحلى من العقود إذا حلى بها عطل الأجياد، و هذه الأقاليم منوطه بنظرک تحتاج إلى نواب و حكام، و أصحاب رأى من أصحاب السيوف و الأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم فى أمورک فنقب عليه تنقيبا، و اجعل عليه فى تصرفاته رقيبا، و سل عن أحواله ففى يوم القيامه تكون عنه مسؤولا و بما اجترم مطلوبا، و لا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لک لا ذنوبا، و مرهم بالأناه فى الأمور و الرفق و مخالفه الهوى إذا ظهرت لهم أدله الحق، و أن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم، و الوجه الطلق و أن لا يعاملوا أحدا على الإحسان و الإساءه إلا بما يستحق، و أن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعيه إخوانا، و أن

يوسعوهم برا و إحسانا، و أن لا يستحلوا حرماتهم إذا استحل الزمان لهم حرماتا، فالمسلم أخو المسلم، و إن كان أميرا عليه و سلطانا، فالسعيد من نسج ولاته فى الخير على منواله، و استنوا بسنته فى تصرفاته و أحواله، و تحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله، و مما يؤمرون به أن يمحى ما أحدث من سى ء السنن، و جدد من المظالم التى هى على الخلائق من أعظم المحن، و أن يشترى بإبطالها المحامد فإن المحامد رخيصه بأغلى ثمن، و مهما جبى منها من الأموال فإنها باقيه فى الذمم، و إن كانت حاصله، و أجياد الخزائن و إن أضحت بها حاليه، فإنها هى على الحقيقه عاطله، و هل أشقى ممن احتقب إثما، و اكتسب بالمساعى الذميمه ذما، و جعل السواد الأعظم يوم القيامه له خصما، و تحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله و قد خاب من حمل ظلما، و حقيق بالمقام الشريف السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلامات الأنام مردوده بعدله، و عزائمه تخفف عن الخلائق ثقلا لا طاقه لهم بحمله، فقد أضحى على الإحسان قادرا، و صنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من الملوک، و إن جاء آخرا، فأحمد الله على أن وصل إلى جنابک إمام هدى أوجب لک مزيه التعظيم، و نبه الخلائق على ما خصک الله به من هذا الفضل العظيم، و هذه الأمور ينبغى أن تلاحظ و ترعى، و أن يوالى عليها حمد الله، فإن الحمد يجب عليها عقلا و شرعا، و قد تبين أنک صيرت فى الأمور أصلا، و غيرک فرعا، و مما يجب تقديم ذكره الجهاد الذى أضحى على الأمه فرضا، و هو العمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضا، و قد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم و أعد لهم عنده المقام الكريم، و خصهم بالجنه التى لا لغو فيها و لا تأثيم، و قد تقدمت لک فى الجهاد، يد بيضاء أسرعت فى سواد الحساد، و عرفت منک عزمه هى أمضى مما تجنه ضمائر الأغماد، و اشتهرت لک مواقف فى القتال هى أبهى، و أشهى إلى القلوب من الأعياد، و بک صان الله حمى الاسلام من أن يبتذل، و بعزمک حفظ على المسلمين نظام هذه الدول،

و سيفک الذى أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، و بک يرجى أن يرجع مقر الخلافه المعظمه إلى ما كان عليه فى الأيام الاول، فأيقظ لنصره الاسلام جفنا ما كان غافيا و لا هاجعا، و كن فى مجاهده أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا، و أيد كلمه التوحيد، فما تجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا، و لا تخل الثغور، من اهتمام بأمرها تبتسم له الثغور، و احتفال يبدل ما دجا من ظلماتها بالنور، و اجعل أمرها على الأمور مقدما، و شيد منها ما غادره العدو متداعيا متهدما، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، و بها تحسم الاطماع، و هى على العدو داعيه افتراق لا اجتماع، و أولاها بالاهتمام ما كان البحر لها مجاورا، و العدو إليه ملتفتا ناظرا، لا سيما ثغور الديار المصريه، فإن العدو وصل إليها رابحا، و رجع خاسرا، و استأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم عاثرا، و كذلک الاسطول الذى ترى خيله كالأهله، و ركائبه سائره بغير سائق مستقله، و هو أخو الجيش السليمانى، فإن ذاک غدت الرياح له حامله، و هذا تكفلت بحمله المياه السائله، و إذا لحظها الطرف جاريه فى البحر كانت كالأعلام، و إذا شبهها قال: هذه ليال تطلع فى أيام، و قد سنى الله لک من السعاده كل مطلب، و آتاک من أصاله الرأى الذى يريک المغيب، و بسط بعد القبض منک الأمل، و نشط بالسعاده ما كان من كسل، و هداک إلى مناهج الحق، و ما زلت مهتديا إليها، و ألهمک المراشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها، و الله يمدک بأسباب نصره، و يوزعک شكر نعمه، فإن النعم تستتم بشكره.

و لما تمت البيعه أخذ السلطان فى تسييره إلى بغداد، و رتب له الطواشى بهاء الدين صندل الصالحى شرابيا، و الأمير سابق الدين بوزبا أتابكا، و الأمير الشريف نجم الدين جعفر أستاذدار، و الأمير فتح الدين ابن الشهاب أحمد أمير جاندار، و الأمير ناصر الدين محمد بن صرم خازندار، و الأمير سيف الدين بلبان الشمسى و فارس الدين أحمد بن

أزدمر اليغمورى دويداريه، و القاضى كمال الدين بن عز الدين السنجارى وزيرا، و شرف الدين محمد بن على بن أبى جراده كاتبا، و عين له خزانه و سلاح خاناه، و مماليک كبارا و صغارا عدتهم أربعون مملوكا رتب منهم جمداريه، و سلاح داريه و زردكاشيه و رمح داريه، و أمر له بمائه فرس، و عشره قطر بغال، و عشره قطر جمال، و فراش خاناه، و طبل خاناه، و طست خاناه، و شراب خاناه، و حوائج خاناه، و إماما، و مؤذنا، و كتب لمن وفد معه من العراق تواقيع باقطاعات، و استتب هذا الحال إلى أن تجهز الملک الظاهر إلى الشام لسبب يذكر فيما بعد، فبرز فى تاسع عشر شهر رمضان إلى بركه الجب، فأخرجه معه، و رغب إليه فى إلباسه سراويل الفتوه فألبسه ثم سافرا.

ذكر ولايه الأمير علم الدين الحلبى نيابه السلطنه بحلب

لما خرج فخر الدين الحمصى من حلب كما قدمنا ذكره، و بلغ الرمل كتب إليه الملک الظاهر يأمره بالعود، و كان البرلى لما تغلب على حلب خرج منها فى حشد من التركمان، و العربان لشن الغاره على عيسى بن مهنا، و كان على حمص، فلما مر البرلى بحماه طلب من صاحبها موافقته فأبى، و أغلق دونه أبواب البلد، فأحرق غلالا للشعير بالباب الغربى، و عاث فى نواحيها و أفسد، و ذلک فى نصف رجب، و بلغ الملک الظاهر فولى الحلبى نيابه السلطنه بحلب، و أقطعه ما يقوم بوظائف المملكه، و رتب معه علاء الدين بن نصر الله مدبر الأمور، و بعث معه عسكرا لمحاربه البرلى و قدم عليه الأمير جمال الدين آقوش المحمدى، فسار الحلبى و من معه فى شعبان، فلما قرب من حلب و البرلى على تل السلطان رحل بمن معه، و قصد الرقه، و دخل الحلبى حلبا و سار المحمدى يتبع البرلى فأدركه بالرقه، فركب و دخل على المحمدى خيمته، و قال له: أنا مملوک السلطان و ما هربت إلا خوفا منه، و قد رغبت إليک فى أن تستعطفه بحيث يبقى على حران فإنى طردت نواب التتر عنها،

و وليت فيها، و متى لم يسمح بالإبقاء على لم أجد بدا من التجائى إلى التتار، فتكفل له المحمدى بما التمسه، و رحل عائدا، و عبر البرلى إلى حران، و كان ذلک خديعه منه.

ذكر أخذ البرلى البيره و عوده إلى حلب

كان الحلبى قد كاتب الأسد حاجب الجوكندار، و البهاء على أن يسلمها إليه، و كان ولاه بها علاء الدين بن صاحب الموصل، فطلب ذهبا يقرروا عينه، فأجابه الحلبى و سير إليه المال، و لم يسلمها، ثم استدعى البرلى من حران، فسار إليه و تسلمها، ثم قصد حلب، فلما كان بتل باشر خرج عن طاعه الحلبى أكثر من كان معه، و لحقوا بالبرلى، فخرج الحلبى من حلب ليلا، فلما علم البرلى بذلک بعث إليها علم الدين طقصا الناصرى و سيف الدين كيكلدى الحلبى فتسلماها، ثم دخلها فى أوائل شهر رمضان و بعث طائفه ممن كان معه فى أثر الحلبى فلم يدركوه.

ذكر وصول ولدى صاحب الموصل إلى القاهره

فى العشر الآخر من شهر رجب خرج الملک الصالح ركن الدين اسماعيل ابن صاحب الموصل منها، و استخلف فيها زوجته التتريه، و لم يستصحب معه شيئا من المال، و سبب خروجه خوفا من التتار فإنهم كانوا قد أخذوا يختلقون له ذنوبا يريدون بذلک القبض عليه، فاستشعر منهم، فلما وصل قرقيسياء كتب إلى أخيه الملک المجاهد سيف الدين اسحاق و كان بالجزيره يعرفه بحركته، و يشير عليه بقصد الملک الظاهر، ثم ساروا فوصل القاهره فى أواخر شهر رجب، فخرج الملک الظاهر إلى لقائه و أكرمه و احترمه، و أمر له بمال و ثياب، و أنزله فى دار الفائزى خارج باب القنطره بمصر، ثم وصل أخوه الملک المجاهد فى ثانى شهر رمضان فخرج السلطان للقائه، و فعل معه كما فعل مع أخيه، و أنزله

بجواره فى دار أنشأها معين الدين بن الشيخ، و رتب لمن وصل معهما من الحريم راتبا مجرى عليهم فى كل شهر.

ذكر توجه الخليفه و السلطان إلى الشام

لما وردت الأخبار بأخذ البرلى البيره، و عوده إلى حلب، و خروج الحلبى عنها، برز السلطان بالعساكر إلى بركه الجب، و معه الخليفه، و أولاد صاحب الموصل فى تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتب الأمير عز الدين أيدمر الحلبى نائب السلطنه بقلعه حلب، و الصاحب بهاء الدين مدبر الأمور، و خرج مع السلطان الأمير بدر الدين بيليک الخزندار بعد أن فوض إليه أمور الجيش، و أقامه مقام نفسه، و فخر الدين ابن الصاحب بهاء الدين وزير الصحبه، و أقام ببركه الجب إلى عيد الفطر، و خلال هذه الأيام وصل المحمدى فأنكر عليه إبقاءه على البرلى و انخداعه له، و وصل رسول الملک المغيث، صاحب الكرک بكتاب يتضمن الإعتذار، و طلب الصفح عنه و إبقاء الكرک عليه، و كان سبب الغضب عليه أنه كتب إلى يعقوب بن بدل، و إلى جمال الدين أغل، و إلى جماعه من أمراء الشهرزوريه بعد أن تسلطن الملک الظاهر، و هم بالقاهره يستميلهم إليه، فخرجوا عن الطاعه، ثم إن العرب عثروا على قصاد منه إلى التتر، و على أيديهم كتب مضمونها أنه مستمر على طاعتهم، فلما ورد كتابه أجابه بالرضا عنه، فقصر فى حق الشهرزوريه، ففارقوه، ثم رحل السلطان فى ثالث شوال، و فيه ولى قاضى القضاه برهان الدين الخضر السنجارى قضاء مصر، و عزل عنها تاج الدين المعروف بابن بنت الأعز.

ذكر مصاهره الخزندار المواصله

لما وصل الملک الظاهر عزه فى ثالث عشر شوال استدعى صاحب الموصل، و عرفهم مكانه الأمير بدر الدين الخزندار عنده، و محله منه،

و طلب منهم أن يزوجوه بأختهم فأجابوا فعقد عقده، و ملكه بانياس و قلعه الصبيبه بعقد البيع و الشراء.

ذكر وصول الخليفه و السلطان إلى دمشق و خروج الخليفه منها

ثم رحل السلطان من غزه، فدخل دمشق يوم الاثنين سابع ذى القعده و قدم عليه الملک الأشرف صاحب حمص، فخلع عليه، و أعطاه ثمانين ألف درهم، و حملين ثيابا، و زاده من البلاد تل بشر، و كان الملک المظفر رحمه الله قد حلها عنه، و قدم عليه الملک المنصور صاحب حماه، فخلع عليه و أعطاه ثمانين ألف درهم، و حملين ثيابا، و كتب له توقيعا ببلاده التى بيده، ثم جهز الخليفه و أولاد صاحب الموصل صحبته، فكان الذى غرم على تجهيز الخليفه، و أولاد صاحب الموصل فوق الألف ألف دينار عينا، و جهز الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى لنيابه السلطنه بحلب و أعمالها، و بعث معه عسكرا لمحاربه البرلى، و قدم عليه الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، فخرجا من دمشق فى منتصف ذى القعده، فلما وصلا حماه خرج البرلى من حلب و قصد حران، فتبعه الرشيدى و دخل البندقدارى حلب، و لما وصل الرشيدى الفرات رحل البرلى عن حران، و قصد قلعه القرادى، فحاصرها حتى أخذها من نواب التتار عنوه، و نهبها و عاد الرشيدى بعسكره إلى أنطاكيه، فشن الغاره على بلدها و دام ذلک سنه حتى بذلوا له مالا فى طلب المهادنه، فأبى، ثم بلغه أن الملک الظاهر خرج من دمشق قاصدا مصر فى سابع عشر ذى الحجه، فرحل عن أنطاكيه.

ذكر توجه الخليفه إلى العراق و أولاد صاحب الموصل

لما سير الملک الظاهر: البنداقدارى، و الرشيدى كما تقدم أشار على الخليفه بالتوجه إلى العراق، و اعتنى بتجهيزه، فرغب أولاد صاحب الموصل و هم: الملک الصالح، و ولده علاء الملک، و الملک المجاهد سيف

الدين صاحب الجزيره، و الملک المظفر علاء الدين صاحب سنجار، و الملک الکامل ناصر الدين محمد فی العود إلی بلادهم، فخرجوا من دمشق فی الحادی و العشرين من ذی القعده، فلما وصلوا الرحبه وافوا عليها الأمير برید ابن علی بن حذيفه من آل فضل و أخاه الاخرس فی أربعمائه فارس من العرب، و فارق الخليفه أولاد صاحب الموصل من الرحبه، و کان التمس منهم المسير معه فأبوا و قالوا ما معنا مرسوم بذلک، فاستمال من مماليک والدهم نحو ستين نفرا فانضافوا إليه، و لحقهم بالرحبه الأمير عز الدين بن کر من حماه و معه ثلاثون فارسا، ثم رحل الخليفه بمن معه عن الرحبه بعد مقام ثلاثه أيام، فنزلوا مشهد علی رضی الله عنه، ثم رحل إلی زاويه الشيخ برى، ثم إلی قائم عنقه ثم إلی عانه فوافوا الإمام الحاکم بالله علی عانه من ناحيه الشرق، و معه نحو سبعمائه فارس من الترکمان، و کان البرلی قد جهزهم من حلب، فبعث المستنصر بالله إليهم و استمالهم، فلما جاوزوا الفرات، فارقوا الحاکم، فبعث المستنصر بالله يطلبه إليه و يؤمنه علی نفسه و يرغب إليه فی اجتماع الکلمه، فأجاب و رحل إليه فوفی له و أنزله معه فی الدهليز، و کان الحاکم لما نزل علی عانه امتنع أهلها منه، و قالوا: قد بايع الملک الظاهر خليفه، و هو واصل، فما نسلمها إلا إليه، فلما وصل المستنصر بالله نزل إليه واليها، و کريم الدين ناظرها و سلماها إليه، و حملا له إقامه، فأقطعها للأمير ناصر الدين اغليش أخی الأمير علم الدين الحلبی، ثم رحل الخليفه عنها إلی الحديثه، ففتحها أهلها له فجعلها خاصا له، ثم رحل عنها، و نزل علی شط قريه الناووسه، ثم رحل عنها قاصدا هيت، و لما اتصل ذلک بقرابغا مقدم عسکر المغل بالعراق، و بهادر علی الخوارزمی شحنه بغداد، خرج قرابغا بخمسه آلاف من المغل علی الشط الفراتی و قصد الأنبار، فدخلها إغاره، و قتل جميع من فيها، ثم ردفه بهادر بمن بقی ببغداد من العساکر، و کان قد بعث ولده إلی هيت متشوفا لما يرد من أخبار المستنصر بالله، و قرر معه أنه إذا اتصل به قربه،

بعث بالمراكب إلى الشط الآخر، و أحرقها، فلما وصل الخليفه هيت أغلق أهلها الباب دونه، فنزل عليها و حاصرها حتى فتحها و دخلها فى التاسع و العشرين من ذى الحجه، و نهب من فيها من اليهود و النصارى، ثم رحل عنها فنزل الدور، و بعث طليعه من عسكره مقدمها الأمير أسد الدين محمود بن الملک المفضل موسى نائبا عن بوزبا فبات تجاه الأنبار تلک الليله، و هى ليله الأحد ثالث المحرم سنه ستين و ستمائه، و كان ينبغى ذكر تتمه هذه الواقعه فى حوادث سنه ستين و إنما لارتباط الحديث، و سياقته ذكرتها فى هذه السنه، فلما رأى قرابغا الطليعه أمر من معه من العساكر بالعبور إليها فى المخائض و المراكب ليلا، فلما أسفر الصبح أفرد قرابغا من معه من عسكر بغداد مسلما ناحيه، و رتب الخليفه اثنى عشر طلبا، فجعل التركمان و العربان ميمنه و ميسره، و باقى العسكر قلبا، ثم حمل بنفسه مبادرا و حمل من كان معه فى القلب، فانكسر بهادر و وقع معظم عسكره فى الفرات ثم خرج كمين من التتار، فلما رآه التركمان و العرب هربوا و أحاط الكمين بعسكر الخليفه، فصد المسلمون الحمله فأفرج لهم التتر فنجا الحاكم و ناصر الدين بن مهنا، و ناصر الدين ابن صيرم، و بوزبا، و سيف الدين بلبان الشمسى، و أسد الدين محمود، و جماعه من الجند نحو الخمسين نفرا، و قتل الشريف نجم الدين جعفر أستاذ الدار، و فتح الدين بن الشهاب أحمد و فارس الدين أحمد بن أزدمر اليغمورى، و لم يوقع للخليفه على خبر، فقيل قتل فى الوقعه و عفى اثره، و قيل نجا مجروحا فى طائفه من العرب فمات عندهم، و قيل سلم و أضمرته البلاد.

و فيها بعث الملک المظفر صاحب ماردين بعد موت أبيه الملک السعيد- رحمه الله- عز الدين يوسف بن الشماع إلى التتر ليتعرف له ما أضمرته نفوسهم، فلما اجتمع بمقدميهم، و هما قطزنوين، و جرمون قالا له: بين الملک المظفر و بين ايل خان يعنون هولاكو- وعد أن والده متى

مات دخل فی طاعته، فقال لهم عز الدین: هذا صحیح لکن أنتم أخربتم بلاده و قتلتم رعیته فبأی شی ء یدخل فی طاعته حتی یداری عنه؟ فقالا:

نحن نضمن له أن إیل خان یعوضه عما خرب بلادا عامره مما جاوره، فلما عاد عز الدین و أخبره رده إلیهم برساله مضمونها إن أردتم أن أسیر رسلی إلی إیل خان فابعثا لی رهائن من جهتکما تکون عندی إلی أن یرجعوا، و ترددت الرسل إلی أن بعث قطزنوین ولده، و بعث جرمون ابن أخیه، فلما صعدا القلعه بعث الملک المظفر نور الدین محمود ابن کلجار أخا الملک السعید لأمه، و أصحبه قطزنوین من جهه سابق الدین بلبان، فوصلا إلی هولاکو، و هو بمراغه، و أدیا الرساله، فأجاب إلی ما ضمنه قطزنوین و جرمون، و کتب لهم بذلک فرامین، و بعث بها من جهته مع قصاد و أبقی الرسل عنده، و أمر بالرحیل عن ماردین، فرحلوا فی شهر رجب، ثم بعث هولاکو الرسولین و أصحبهما کوهدای، فوصلوا إلی ماردین و انتظم الصلح و الهدنه بین الملک المظفر، و التتر، و أسلم کوهدای علی ید الملک المظفر فأزوجه أخته.

ثم توجه الملک المظفر فی شهر رمضان إلی هولاکو، و استصحب معه هدیه سنیه من تحف ادخرها أبوه و أجداده من جملتها باطیه مجوهره قیمتها أربعه و ثمانون ألف دینار، فاجتمع به بصحراء أدرنه بنهر الباع من أعمال سلماس، فأقبل علیه و أکرمه و قال له؛ بلغنی أن أولاد صاحب الموصل هربوا إلی مصر، و أنا أعلم أن اصحابهم کانوا السبب، فأترک أصحابک الذین وصلوا صحبتک عندی، فإنی لا آمن أن یحرفوک عنی و یرغبوک فی النزوح عن بلادک إلی مصر، و إذا دخلت أنا البلاد استصحبتهم معی، فأجابه إلی ذلک، ثم انفصل عنه عائدا إلی بلده، فلما کان فی أثناء الطریق لحقته رسل تأمره بالعود فعاد وجلا فقال له هولاکو: أخبرنی أصحابک أن لک باطنا مع صاحب مصر، و قد رأیت أن یکون عندک من جهتی من یمنعک التسحب إلیه، ثم عین له أمیرا

يدعى أحمد بغا، ورده إلى ماردين، و زاده نصيبين، و الخابور، و أمره بهدم شراريف القلعه، ثم ضرب بعد مفارقته له رقاب الجماعه، و كانوا سبعين رجلا منهم الملک المنصور ناصر الدين أرتق بن الملک السعيد، و نور الدين محمد و أسد الدين النحتى و حسام الدين عزيز النحتى، و فخر الدين ابن جاجرى و علاء الدين والى القلعه، و علم الدين بن جندر، و لم يكن لأحد منهم ذنب لكن قصد بقتلهم قص جناح الملک المظفر.

و فيها كان المصاف بين الأخوين: ركن الدين، و عز الدين صاحبى الروم على قرب من قونيه فى الخامس و العشرين من شهر رمضان فكسره ركن الدين لأنه كان معه نجده من التتر، و خامر على عز الدين العربان و أحد مقدمى التركمان، و تأخر محمد بک الأوجى عنه، و قتل من أصحاب عز الدين خلق كثير، و أمسک منهم جماعه فشنقوا على الأسوار، و انحاز عز الدين إلى أنطاكيه، و أقام بها و ترک فى بلاده شمس الدين أرتاش نائبا عنه.

و فيها وصل رسول رضى الدين أبى المعالى، و نجم الدين اسماعيل ابن الشعرانى المستوليين على حصون الاسماعيليه إلى الملک الظاهر بدمشق و على يده هديه، و معه رساله مضمونها التهديد و الوعيد، و طلب ما كان لهما من الاقطاعات فى الدوله الناصريه، و الرسوم، فأجابهما إلى ذلک فلما عزم على التوجه إلى مرسليه و حضر لوداع الملک الظاهر قال له: بلغنى أن الرضى قد مات، و قد رأيت أن أوليک مكانه، و لم يكن اتصل به شى ء من ذلک، فكان ذلک سببا لاستنزاله له عن سره، ثم كتب له توقيعا بالولايه، فتوجه المذكور فوجد الرضى فى عافيه، فكتم التوقيع و لم يلبث إلا عشره أيام حتى مرض الرضى أياما قلائل، ثم مات، فولى مكانه فلم ترض به الاسماعيليه و قتلوه، فنقم عليهم الملک الظاهر قتله، و شرع فى إعمال الحيله عليهم إلى أن استأصل شأفتهم، و احتوى على بلادهم، قلت هذا خلاصه ما كان على خاطرى، و ما نقلته من مسودات كانت

عندى من حوادث هذه السنه، و قد ذكر القاضى جمال الدين محمد ابن واصل بعض الحوادث المتقدمه على وجه آخر ربما هو أتم من ذلک فذكرت ما قاله و اثبته هنا و الله اعلم.

قال القاضى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن واصل فى حوادث هذه السنه: لما وصل عسكر حلب، و حماه إلى حمص على ما تقدم شرحه فى حوادث سنه ثمان و خمسين اجتمعوا بالملک الأشرف صاحبها، و عزم عسكر حلب على التوجه إلى دمشق، و قارب التتر حمص، فلام الملک الأشرف الجوكندار على هذا الرأى و قال له: ما يقال عنا فى البلاد و بأى وجه نلقى صاحب مصر، و أخذ فى تثنيته هو و صاحب حماه و حرضاه على لقاء العدو، و كان قد وقع بين الجوكندار و بعض خشداشيته منافره من أجل الأموال التى أخذت من ابن صاحب الموصل فما زال بهم الملک الأشرف، و الملک المنصور حتى أصلحا بينهم، و وصل التتر فحمل عليهم المسلمون يوم الجمعه خامس المحرم و رزقهم الله النصر عليهم، فبددوا شملهم، و أخذتهم سيوف المسلمين، و كان فيهم جماعه من شجعان المغل.

قال مبارز الدين استاذدار صاحب حماه كان من بهادريه المغل فى هذه الوقعه أكثر من الذين كانوا منهم فى وقعه عين جالوت بالغور، و انهزم من سلم من التتر، و المسلمون فى آثارهم ...

و لما بلغ خبر هذه الوقعه إلى حماه، و كان بها جماعه يميلون إلى التتر، و ربما أراد بعضهم أن ينقب من السور إليهم موضعا يدخلون منه إلى البلد، فثار أهل حماه عليهم، فقتلوا بعضهم، منهم رجل من أطراف الناس يقال له ابن دخان فقتلته العامه، و اعتقل بعضهم و وصل الملک المنصور إلى حماه، و بعد هذه الوقعه رجع التتر و نازلوا حماه، و كانت قواهم تضعف لقلتهم، و الرعب الذى داخلهم عن المقام على حصار البلد، فرحلوا و لم يقيموا إلا يوما واحدا، و أراد الملک المنصور السفر إلى دمشق ليستصحب عسكرا يتقوى به على التتر، فمنعه العامه من ذلک

حتى استوثقوا منه بأنه يعود إليهم عن قرب، فمكنوه من السفر بطائفه قليله من خواصه و مماليكه، و ترک عندهم الطواشى شجاع الدين مرشدا، و العسكر و سار إلى دمشق، و توجه الملک الأشرف صاحب حمص إلى دمشق أيضا، و المتولى عليهم علم الدين الحلبى الملقب بالملک المجاهد، و كان حين ورد الخبر إلى دمشق بهذا الفتح زين البلد، و ضربت البشائر، و وصل إلى دمشق رؤوس التتر محموله فى الشرائج فرميت فى الطرق، و وصل الأمير حسام الدين الجوكندار و من معه من العزيزيه، و الناصريه، و نزلوا المرج، و لم يدخل دمشق خوفا من الحلبى، ثم رحل إلى الكسوه، و توجه إلى الديار المصريه بمن معه، و كان يتوهم أن الملک الظاهر يقلده حلب و أعمالها نيابه عنه، فلم يتم له ذلک، و أما التتر فانهم اندفعوا إلى ناحيه أفاميه، و نزلوا فى تلک الأرض، و طمع فيهم المسلمون و دخل عليهم الشتاء، و اشتد البرد، و ورد إلى أفاميه الأمير سيف الدين الدبيلى الأشرفى و معه جماعه، فأقام بها و واتر الإغاره عليهم، و القتل و النهب، ثم رحلوا طالبين الشرق.

ذكر القبض على علم الدين الحلبى

فى أوائل هذه السنه قدم عسكر من الديار المصريه مقدمهم الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى، و هو من أكابر الأمراء الصالحيه، و إليه ينسب الملک الظاهر قبل السلطنه، و كان علاء الدين هذا مملوكا قبل الملک الصالح نجم الدين للأمير جمال الدين بن يغمور، و ورد الأمر من مصر إلى الأمير شمس الدين البرلى، و من معه من العزيزيه، و الناصريه أن يقدموا إلى دمشق فقدم بهم، فلما قدمت العساكر خرج الحلبى بأصحابه و مماليكه و حمل العسكر المصرى فانهزم من مع الحلبى، و جرح و قتل من مماليكه جماعه، و عاد إلى القلعه فأقام بها إلى أن أجنه الليل، و هرب إلى جهه بعلبک فاتبع، و قبض عليه ثم حمل إلى الديار المصريه، و اعتقل بها، ثم اطلق بعد ذلک.

و كان ورود العسكر المصرى إلى دمشق فى ثالث صفر، و استقرت العساكر الظاهريه بدمشق، و أقيمت الخطبه بها و ببلادها و بحماه، و حمص، و حلب للملک الظاهر، و كان قبل ورود العسكر المصرى قد سير الملک المنصور صاحب حماه و هو مقيم بدمشق ابن عمه الأمير ناصر الدين محمد ابن الملک المسعود عثمان ابن الملک المنصور، و كانت منزلته عاليه عنده، رسولا إلى الملک الظاهر، فأنزل باللوق و أكرم إكراما كثيرا و أجيب بما طاب به قلب الملک المنصور، و رجع إلى صاحبه مكرما، و كان ناصر الدين هذا متميزا عنده فضيله، و له نظم جيد منه:

لله در عصابه تغشى الوغى تهوى الخياطه لا إليه تنتمى

ذرعوا الفوارس بالوشيج و فصلوابالمرهفات و خيطوا بالأسهم

ذكر خروج الأمير شمس الدين البرلى و العزيزيه من دمشق على حميه و استيلائهم على حلب

لما استقرت العزيزيه مع مقدمهم الأمير شمس الدين بدمشق، و كان التتر قد نازلوا البيره و ضايقوها من غير محاصره، و الأمير علاء الدين البندقدارى مقيم بدمشق، و قد جرد إلى حلب الأمير فخر الدين الحمصى مقدما، و صحبته جماعه من الأمراء، فوصلوا حلب، و حكم الأمير فخر الدين فيها، و ضم بها شمل الرعيه، و توجه الملک المنصور و الملک الأشرف إلى بلديهما، و اشتدت مضايقه التتر البيره، فكتب فخر الدين الحمصى إلى الملک الظاهر، و طلب إنجاده على التتر، فكتب الملک الظاهر إلى البندقدارى بأن يكون على أهبه السير إلى حلب بجميع من عنده من العسكر، و أن يقبض على شمس الدين البرلى، و بهاء الدين بغدى، و على جماعه من العزيزيه و الناصريه، و بلغ ذلک هؤلاء الأمراء، و اتفق رأيهم على الخروج من دمشق يدا واحده على حميه، و أن يتوجهوا إلى حلب، و يقبضوا على فخر الدين الحمصى، و يقيموا فى تلک الجهات

و تحالفوا على ذلک، فتوجه بهاء الدين بغدى إلى الأمير علاء الدين البندقدارى رجاء أن يسلم بذلک، و يتقدم عنده، فحين دخل إليه قبض عليه و قيده و رسم عليه جماعه، و ورد الخبر بذلک إلى الأمير شمس الدين البرلى و من معه من العزيزيه، و الناصريه، فركبوا، و خرجوا من دمشق ليلا، و وقع بسبب هذه الحركه انزعاج شديد بدمشق، و نزل البرلى بأصحابه فى المرج، فبعث إليه البندقدارى يلومه على ذلک، و حلف له أن الأمر ما ورد إلا بقبض بهاء الدين خاصه، و أرسل إليه مثالا ورد من مصر بما يرضيه، و كان الأمير شمس الدين قد تحقق أن الأمر بخلاف ذلک من جهه من ورد إليه من مصر، فتوجه بأصحابه طالبا حلب، و لما وصل إلى حمص راسل الملک الأشرف بأن يتفق معه، فلم يجبه إلى ذلک، و كان قد كاتب بعض أمراء حماه بأن يفتح له أحد أبواب حماه ليدخل إليها و يستولى عليها فأجابه إلى ذلک، و كان فى معسكر البرلى و هو نازل بظاهر حمص ناصر الدين الجذامى، و هو من أصحاب صاحب حماه، و مختص بخدمته، و إنما كان فى عسكر البرلى ليكشف الأخبار لصاحبه، فحين بلغه ذلک سار مسرعا إلى حماه و أخبر الملک المنصور بذلک، و كان الذين كاتبوا البرلى على الباب الذى واعدوه الدخول منه، فجعل الملک المنصور على الباب غيرهم، و وصل الأمير شمس الدين إلى حماه، فنزل ظاهرها و قد فاته ما طلب و لم يظهر الملک المنصور تغيرا على الذين كان منهم ذلک و لا غير أخبازهم و لا أشعرهم أنه عرف شيئا من أمرهم، و لما نزل الأمير شمس الدين ظاهر حماه أرسل إلى الملک المنصور يدعوه إلى الاتفاق معه، و أنه يقيم الملک المنصور سلطانا و يكون فى خدمته.

قال الملک المنصور رحمه الله: أرسل إلى الأمير شمس الدين يقول ينبغى أن تقوم و تحيى بيتک الكريم، فما بقى فى البيت الأيوبى من يصلح لهذا الأمر سواک، و نكون بين يديک، و نقاتل معک، و نملكک البلاد،

فأرسلت إليه ناصر الدين البدرى أقول له: متى وفيتم أنتم لأحد من بيت استاذكم حتى تفوا لى، و أنا ما لى حاجه بالملک، و إنما أنا قانع بهذه البلده و أكون فيها مطيعا لمن يكون مالكا للديار المصريه، و لما يئس الأمير شمس الدين من إجابه الملک المنصور، غضب و أمر بإحراق بيدر الشعير غربى البلد فاحترق، و أعقب ذلک جدب و غلاء شديد، ثم توجه الأمير شمس الدين و من معه إلى شيزر و نازلوها أياما، ثم ساروا إلى حلب فلما وصلوا الوضيحى جمع الأمير شمس الدين أصحابه و استشارهم فيما يفعل، فأشاروا عليه بأن يكون الدخول فى صبيحه الغد، و أنهم لا يلبسون لأمه الحرب و لا يظهرون إلا طاعه الملک الظاهر، و يقولون إنا خفنا على أنفسنا لما سمعنا تغير خاطره علينا، فالتجأنا إلى أطراف البلاد إلى أن يصلنا أمانه، و نعود إلى خدمته، فوافقهم على ذلک و فى صبيحه الغد رحلوا إلى حلب، و قد خرج فخر الدين الحمصى، و من معه من العسكر لابسين لأمه الحرب مستعدين للقاء، و جاء البرلى و من معه و دخلوا بينهم و اختلطوا جميعا بهم، و دخلوا حلب، و نزل الأمير شمس الدين فى دار الأمير شمس الدين لؤلؤ، و نزل أمراء العزيزيه، و الناصريه حوله، ثم طلبوا من فخر الدين الحمصى أن يتوجه إلى الملک الظاهر، و يطلب لهم الأمان و الرضا بشرط أن يكون الأمير شمس الدين مقدم العساكر بحلب و الأمراء الذين فى صحبته عنده، و تصلهم المناشير من الديار المصريه بما يختاره الملک الظاهر، و يكون الأمير شمس الدين مستقلا بنيابه السلطنه، و لا يكلف الاجتماع بالملک الظاهر، و توجه فخر الدين إلى مصر ليدبر هذه القاعده، فلما وصل إلى الرمل وجد الأمير جمال الدين المحمدى قد جرد عسكرا ليتوجهوا إلى الأمير شمس الدين البرلى حيث كان، و يقاتلوه فكتب فخر الدين إلى الملک الظاهر يخبره بما قدم لأجله، فورد عليه الجواب ينكر عليه غايه الإنكار، و يأمره أن ينضم إلى المحمدى بمن معه من العسكر و يقصدون البرلى، ثم رضى الملک الظاهر عن الأمير علم الدين الحلبى

و جهزه وراءهم فی جمع من العسکر، ثم جهز بعدهم الأمیر عز الدین الدمیاطی فی جمع آخر، و توجهوا کلهم إلی جهه حلب لیقبضوا علی الأمیر شمس الدین البرلی أو یطردوه عن حلب، و کان الأمیر شمس الدین لما توجه فخر الدین الحمصی علم أن الملک الظاهر لا یوافقه علی ما طلب، فأخرج من عنده من العسکر المصری، و استبد بالأمر، و جمع إلیه من العربان و التورکمان، و أخرج ما کان مخبأ فی حلب، و بلادها من الغلال و فرقه علی الجنود، و کان قصده إخلاء حلب من الغلال لئلا تبقی میره لعسکر مصر، و استعد للقاء عسکر مصر، و بلغه توجههم إلی قتاله و انقضت هذه السنه و الأمر علی ذلک.

و فی السابع من جمادی الأولی عقد عزاء بجامع دمشق للملک الناصر صلاح الدین یوسف رحمه الله و ذلک لما ورد الخبر بمقتله.

ذکر بیعه المستنصر بالله أبی القاسم أحمد بمصر

ورد إلی مصر فی رجب من هذه السنه أبو القاسم أحمد، و معه جماعه من العرب، و ذکروا انه ابن الظاهر بأمر الله أبی نصر محمد بن الناصر، و هو أسود اللون، و ذکروا أنه خرج من دار الخلافه لما ملکها التتر، فأراد الملک الظاهر أن یقلده الخلافه، فعقد له مجلس بقلعه الجبل و حضر الأعیان و الأکابر، و الشیخ عز الدین عبد العزیز بن عبد السلام رحمه الله، و القاضی تاج الدین عبد الوهاب بن خلف، و کان الملک الظاهر قد عزل القاضی بدر الدین السنجاری عن قضاء الدیار المصریه فی أوائل هذه السنه، و قلد القضاء لتاج الدین المذکور، فشهد أولئک العربان بأن أبا القاسم هذا هو ابن الظاهر بأمر الله، و عم المستعصم بالله، و أقام القاضی تاج الدین جماعه من الشهود اجتمعوا بأولئک العرب، و سمعوا شهادتهم، ثم حضروا عند القاضی تاج الدین فشهدوا بالنسب بحکم الاستفاضه، فقام القاضی تاج الدین علی قدمیه، و قال: ثبت عندی نسب أبی القاسم هذا، و أنه ابن الامام الظاهر بأمر الله، فبایعه الملک

الظاهر، و الشيخ عز الدين و القاضى تاج الدين و الحاضرون، و نودى بالقاهره، و مصر بخلافته، و لقب المستنصر بالله لقب أخيه، و يوم الجمعه التاليه لهذه البيعه حضر الملک الظاهر و الأكابر، و القضاه، و خطب للخليفه خطبه مختصره، و صلى بالناس صلاه العصر، و نثرت الدارهم، و الدنانير باسمه، و خلع على الملک الظاهر خلعه سوداء و عمامه مذهبه و طوق ذهب و ركب بالخلعه.

ذكر تبريز الملک الظاهر و الخليفه للمسير إلى الشام

فى شهر رمضان برز الملک الظاهر، و ضرب دهليزه خارج باب النصر، و برزت العساكر للتوجه إلى الشام، و كان قد قدم إلى خدمه الملک الظاهر الملک الصالح ابن صاحب الموصل، و أخوه صاحب الجزيره فنزلا فى المخيم السلطانى خارج البلد، و كنا ذكرنا أن الملک المظفر رحمه الله لما كسر التتر و قدم دمشق عزل القاضى محيى الدين يحيى بن الزكى و ولى عوضه القاضى نجم الدين ابن سنى الدوله، إلى أثناء هذه السنه، فتحدث الناس فيه بأمور نسبت إليه، و بلغ الملک الظاهر ذلک، فاستشار الأمير جمال الدين ايدغدى العزيزى، فأشار عليه أن يولى القضاء بدمشق القاضى شمس الدين أحمد ابن خلكان، و كان ينوب عن القاضى بدر الدين السنجارى بالديار المصريه زمن ولايته لها، فأجاب الملک الظاهر إلى ذلک، و تقدم بأن يسافر القاضى شمس الدين صحبته.

و فى هذه الأيام ولى الملک الظاهر القاضى برهان الدين الخضر بن الحسن القضاء بمدينه مصر، و عملها، و هو الوجه القبلى، و بقيت القاهره و عملها، و هو الوجه البحرى فى ولايه القاضى تاج الدين.

و فى هذه الأيام و الملک الظاهر مبرز بالعساكر خارج القاهره، عزم على انفاذ رسول إلى منفريد بن الانبرطور فرديک، و كان الملک الكامل أرسل إلى الأنبرطور الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ يطلب

منه القدوم إلى الشام ليشغل سر أخيه الملک المعظم، و ذلک لما انتمى الملک المعظم إلى السلطان جلال الدين سلطان العجم، فقدم إلى الشام بعد موت الملک المعظم، و ندم الملک الکامل على استقدامه إذ لم يبق له حاجه إليه، و جرت المراسلات بينه و بين الملک الکامل، و اتفقا على أن يتسلم الانبرطور البيت المقدس، فتسلمه ثم رحل إلى بلاده، ثم توفى الملک الکامل، و صارت مصر لابنه الملک العادل، ثم لأخيه الملک الصالح نجم الدين بن الکامل فأرسل إليه الملک الصالح نجم الدين الشيخ سراج الدين الأرموى قريب الشيخ أفضل الدين الخونجى قاضى مصر، و کان إماما فى المعقولات، و کان الانبرطور محبا للفضائل، و العلوم الحکميه، و غيرها فأقبل على سراج الدين، و أقام عنده مده طويله و صار بين الانبرطور، و بين الملک الصالح نجم الدين موده عظيمه کما کانت بينه و بين أبيه الملک الکامل، ثم عاد سراج الدين إلى الديار المصريه، و لما توفى الانبرطور ملک بعده انبوليه و الانبرديه، و جزيره صقليه، ولده کنراد ثم توفى و ملک منفريد أخوه، و کان کنراد و أخوه منفريد يريان رأى أبيهما فى محبه الفضائل العلميه، و بينهما و بين البابا خليفه الأفرنج العداوه الشديده ...

فصل [فى الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى ...

[أحداث]سماعيل بن شيرکوه بن محمد بن شيرکوه الملک الصالح

نور الدين ابن صاحب حمص، کان له اختصاص کبير بالملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، و قرب منه، و کان عنده حزم و عزم و سياسه، و کان من رأيه مداراه التتر و عدم مشاققتهم، و کان يعضد الزين الحافظى عند الملک الناصر، و يثنى عليه، و يشکره، فکان يقال إن الزين الحافظى أحضر له فرمانا من هولاکو، و أن للملک الصالح باطنا مع التتر و أنه لم يدخل الديار المصريه مع العساکر لذلک لا محافظه للملک الناصر،

و توهم أنه إذا وصل إلى هولاكو أبقى عليه، و وفى له بما فى الفرمان، فعاد مع الملک الناصر من قطيا، و حسن له قصد هولاكو، و توجه صحبته إليه فلما أمر هولاكو بقتل الملک الناصر و من معه على ما سيأتى فى ترجمه الملک الناصر رحمه الله، إن شاء الله، أمر بقتل الملک الصالح أيضا فقتل فى أطراف بلاد العجم، و كان يلقب أقسس، و مولده و مرباه حمص، و انما انتقل عنها بعد موت والده الملک المجاهد أسد الدين شيركوه، و كان مقتله فى اوائل هذه السنه، و قيل فى أواخر سنه ثمان و خمسين و ستمائه رحمه الله تعالى، و حكى أنه قال يوما للأمير عماد الدين ابراهيم بن المجبر رحمه الله و هما فى مجلس السلطان الملک الناصر: نريد أن نعمل مشورا و كان عماد الدين رأيه قتال التتر، و عدم مداراتهم، فقال له: لم هذا المفشر، فقال له الملک الصالح: أنت كما قيل طويل، و لحيتک طويله، فقال له عماد الدين إلا أنى ما ربيت فى حمص، أشار الملک الصالح إلى الطويل القامه و اللحيه غالبا يكون قليل العقل، و أشار عماد الدين رحمه الله إلى أن من ربى بحمص يكون أجدر بقله العقل، و هذا إنما هو على ما يقوله العوام لا على الحقيقه ...

[أحداث]يل غازى الملک السعيد نجم الدين صاحب ماردين

، توفى فى سادس عشر صفر هذه السنه، و قيل فى ذى الحجه سنه ثمان و خمسين، و قد ذكرناه هناک ...

عثمان بن منكورس بن خمردكين الأمير مظفر الدين صاحب صهيون،

و برزيه، كان حازما يقظا مهيبا كثير السياسه و النهضه، تملک صهيون، و ما معها بعد وفاه والده الأمير ناصر الدين منكورس فى جمادى الأولى سنه ست و عشرين وجده بدر الدين خمردكين كان عتيق الأمير مجاهد الدين بزان صاحب صرخد، و كانت وفاه مظفر الدين المذكور فى ثانى عشر ربيع الأول بقلعه صهيون، و دفن بها عند والده و قد نيف على تسعين سنه رحمه الله و ولى بعده الأمير سيف الدين محمد مكانه.

حکی لی الصاحب مجد الدین أبو الفداء اسماعیل المعروف بابن کسیرات الموصلی رحمه الله قال: کان مظفر الدین صاحب صهیون یقعد فی کل یوم فی باب قلعته و یأخذ شمعا و یختم علیه بخاتمه، فکل من کان له دعوی علی خصم أو محاکمه جاء و جاب معه من المأکول شیئا فیضعه فی الدرکاه قدام مظفر الدین، و یأخذ من ذلک الشمع ختم و یذهب به إلی خصمه فیقول هذا ختم السلطان، فیأخذ خصمه معه شیئا بحسب حاله، و یحضروا إلی بین یدیه فیحکم بینهم بنفسه، فسألته و قلت له: ایش کان یجیبون له یا مجد الدین؟ قال کل انسان علی مقداره من قلیل و کثیر، و جلیل و حقیر، یحضره و یهادیه به، قال مجد الدین: و لما کنت مباشر نظر نابلس خدم بالدیوان شیخ من أهل صهیون جاندار، فدخل بعض الأیام معی إلی الحمام لیغتسل، فوجدت فی جنبه أثر شربه، و هی مخیطه، و فیها بخش صغیر، فسألته عن ذلک فقال لی: لما کنت شابا سافرت فوقع علی حرامیه فجرحونی، و شقوا جوفی و خیطوه فألحم الجمیع، و بقی هذا البخش علی حاله، ثم بعد ذلک انسد علیّ المخرج المعتاد، و بقیت اتغوط من هذا البخش مده سنین ثم أشده بخرقه و أربط علیه، فإذا اردت أتبرز یتحرک علی جوفی فاحل الرباط، و أشیل الخرقه و أمیل علی جنبی لحظه فیخرج الخبث فإذا فرغت أعود و أشده، و أشد علیه الخرقه، کما کان، فاتفق أن جاء الخمیس الکبیر، و أنا یومئذ فی خدمه الأمیر مظفر الدین صاحب صهیون، و قد جاءه بیض کثیر من جمیع ضیاع صهیون، بحیث اجتمع فی درکاه القلعه فوق عشرین ألف بیضه، فقال مظفر الدین: تری یقدر أحد أن یأکل من هذا البیض مائه بیضه نیه؟ فقال واحد: نعم أنا اشرق مائتین فقال واحد: أنا أشرق ثلاثمائه، فقلت: أنا أشرق أربعمائه بیضه، قال الأمیر مظفر الدین: إن فعلت هذا أعطیک خمسین درهما، ثم إنهم عدوا لی أربعمائه بیضه و سلموها إلی فشرقتها جمیعها، و ازددت فوقها عشرین بیضه أخری، فوهبنی خمسین درهما، و بقیت ذلک الیوم لم أتبرز، فلما کان آخر اللیل تحرک علی جوفی، و قمت حتی أتبرز علی عادتی

فجاءنى الطبع من المخرج المعتاد أولا، و ها أنا على حالى إلى الآن على ذلک، قال مجد الدين: رأيت ذلک المخرج و البخش، و قد ألحم من داخل، و كان البيض له جبار، و قال مجد الدين: و ذكر لى أن فى كل سنه لا بد له أن يشرق مائتى بيضه، قال: و أجد بها راحه كثيره عند استعمالها، رحمهم الله و إيانا أجمعين ...

على بن محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب بن شاذى

، الملک الظاهر سيف الدين، كان جميل الأوصاف، حسن الصوره كريم الأخلاق، شجاعا جوادا ممدحا، و هو شقيق الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، أمهما أم ولد تركيه، و كان الملک الناصر يحبه محبه شديده، و لما كان فى أواخر سنه سبع و خمسين أعطاه الملک الناصر أماكن من جملتها الصلت، و قلعتها و اتفق أن جماعه من الناصريه، و العزيزيه مالوا إليه، و أرادوا تملكه، و القبض على الملک الناصر، فأوجب ذلک وحشه اقتضت أن الملک الظاهر فارق الملک الناصر فى أوائل سنه ثمان و خمسين، و توجه بحريمه إلى قلعه الصلت، تركهم بها، و قصد غزه فاجتمع على طاعته الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى بمن معه من البحريه، و جماعه من الناصريه، و العزيزيه، و الشهرزوريه، و سلطنوه عليهم، ثم لما بلغهم أن التتر قد دهموا البلاد، و ملكوا قلعه حلب، اتفق هو و الأمير ركن الدين أن يرسلا إلى الملک المظفر قطز رحمه الله، و يقررا معه الاتفاق معهما ليكون عضدا لهما فأرسلا رسولين، أما رسول الأمير ركن الدين، فكان الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، و حمله رساله باطنه مضمونها أن يستوثقوا له من الملک المظفر ليقدم عليه، و ظاهرها ما اتفقا عليه، فلما وصلا إلى الملک المظفر أجاب الملک الظاهر سيف الدين بأنه عضده و إن الجأته ضروره إلى دخول الديار المصريه آواه و أحسن إليه، و أجاب الأمير ركن الدين إلى ما طلب، و حلف له، فعندما عاد بالجواب، توجه الأمير ركن الدين إلى الديار المصريه، و قدم فى اثر ذلک

الملک الناصر إلی غزه، فانضاف إلیه أخوه الملک الظاهر، و من معه فصفح عنهم، و صاروا فی خدمته و توجه الملک الظاهر مع أخیه الملک الناصر إلی قطیا، و عاد معه، و لو لا اتسامه بالسلطنه تلک الأیام لدخل الدیار المصریه، لکنه خاف أن یتخیل منه الملک المظفر فیقبضه، و لما توجه الملک الناصر إلی هولاکو کان معه، فلما قتل قتل معه أیضا، کان قتله فی أوائل هذه السنه أو فی أواخر سنه ثمان و خمسین، و خلف الملک الظاهر ولدا ذکرا اسمه زباله، کان مفرط الجمال و أمه تعرف بوجه القمر، کانت من حظایا الملک الناصر، فوهبها لأخیه الملک الظاهر، فلما قتل تزوجها الأمیر جمال الدین ایدغدی العزیزی، فلما مات عنها تزوجها الأمیر بدر الدین بیسری الشمسی، ثم درج الولد زباله المذکور، رحمه الله تعالی بالدیار المصریه .....

یوسف بن محمد بن غازی بن یوسف بن أیوب بن شاذی

أبو المظفر السلطان الملک الناصر صلاح الدین، و مولده فی یوم الأربعاء تاسع شهر رمضان المعظم سنه سبع و عشرین و ستمائه بحلب بقلعتها، و لما ولد زین البلد، و لبس العسکر أحسن زی و أظهر من السرور و الابتهاج بمولده ما جاوز الحد، و توفی والده الملک العزیز غیاث الدین أبی المعالی محمد بن الملک الظاهر فی عنفوان شبابه، و عمره ثلاث و عشرون سنه و شهور، و کان قد توجه إلی حارم للتنزه، و کان له بها جوسق تحته نهر، و إلی جانبه بستان، فنزل به ثم حضر الحلقه لرمی البندق، و اغتسل بماء بارد، فحم و دخل حلب، و هو موعوک، و دامت به الحمی، و قوی مرضه فاستحلف الناس لولده الملک الناصر، و أرسل کمال الدین ابن العدیم إلی أخیه الملک الصالح صلاح الدین أحمد بن الملک الظاهر صاحب عین تاب، فاستحلفه لابنه بعد نفسه، و کان الملک العزیز عادلا رقیق القلب، رحوما، مشفقا علی رعیته، متوددا إلیهم، مائلا إلی أهل الخیر، محبا لأهل العلم و الفضل، و خلف من الولد: الملک الناصر

المذكور، و الملک الظاهر على، و قد تقدم ذكره و أمهما أم ولد تركيه، و شقيقتهما تزوجها الملک الأمجد مجد الدين الحسن بن الملک الناصر داود رحمه الله، فمات عنها بعد أن أولدها الأمير صلاح الدين محمود، ثم ماتت، و خلف ابنتين غيرها إحداهما عائشه خاتون، و أمها فاطمه خاتون بنت الملک الكامل، تزوجها الملک المنصور صاحب حماه، و أولدها الملک المظفر تقى الدين محمود و الأخرى غازيه خاتون أمها أم ولد، فقد عقدها بحلب على السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ ملک الروم فمات، و لم تحمل إليه، ثم تزوجها الملک السعيد فتح الدين عبد الملک بن الملک الصالح عماد الدين اسماعيل فماتت عنده، و كان الملک العزيز عالى الهمه، كريم الأخلاق، واسع الصدر كثير الصفح، و التجاوز حازم الرأى جوادا ممدحا مدحه جماعه من الشعراء، فكان يجزيهم الجوائز السنيه، و لما أخذ شيزر فى سنه ثلاثين و ستمائه من الأمير شهاب الدين يوسف بن عز الدين مسعود بن سابق الدين عثمان ابن الدايه قال شهاب الدين يحيى بن خالد ابن القيسرانى يهنئه:

يا مالكا عم أهل الأرض نائله و خص إحسانه الدانى مع القاصى

لما رأت شيزر رايات نصرک فى أرجائها ألقت العاصى إلى العاصى

فأعطاه جمله عظيمه، و كان عمر الملک الناصر لما أفضى إليه الملک بعد وفاه والده نحو سبع سنين، و قام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى، و الأمير عمر بن مجلى، و وزير الدوله جمال الدين القفطى و يحضر معهم جمال الدوله إقبال الخاتونى فى المشوره، فإذا اتفق رأيهم على شى ء، دخل جمال الدوله إلى الصاحبه ضيفه خاتون بنت الملک العادل والده الملک العزيز، و عرفها ما اتفق الجماعه عليه، فكانت الأمور منوطه بها، و لما تقررت هذه القواعد توجه القاضى زين الدين بن الاستاذ و بدر الدين بدر بن أبى الهيجاء رسولين إلى الملک الكامل، و استصحبا معهما كزاغند الملک العزيز و زرديته، و خوذته و مركوبه، فلما وصلا إلى الديار

المصريه، و اجتمعا بالملک الکامل و أديا الرساله، و أحضرا ما معها أظهر الألم و الحزن، و قصر فی إکرامهما و عطائهما، و حلف للملک الناصر علی الوجه الذی اقترح علیه، و خاطب الرسولين بما يشير به من تقدمه الملک الصالح أحمد بن الملک الظاهر علی العسکر و أن يقوم بتربيه ابن أخيه الملک الناصر، فلما رجع الرسولان إلی حلب و أنهيا إلی الصاحبه ذلک، لم تره صوابا، و کذلک الجماعه القائمون بترتيب الدوله، ثم بعد مده يسيره سير الملک الکامل خلعه للملک الناصر، بغير مرکوب، و سير عده خلع لأمراء الدوله، و سير مع رسول آخر خلعه للملک الصالح أحمد صاحب عينتاب علی أن يمضی بالخلعه إليه فاستشعرت الصاحبه و أرباب الدوله من ذلک، و حصل عند الصاحبه وحشه من أخيها الملک الکامل بسبب ذلک، فاتفق رأی الجماعه علی أن يلبس الملک الناصر خلعه الملک الکامل، و لم يخلع علی أحد من الأمراء شی ء مما سير إليهم، ورد الرسول الوارد إلی الملک الصالح بخلعته، و لم يمکنوه من الوصول إليه و استحکمت الوحشه فی قلوبهم من الملک الکامل، و فی سنه أربعين توفيت الصاحبه ضيفه خاتون بنت الملک العادل صاحبه حلب أم الملک العزيز، فاستقل ابن ابنها الملک الناصر بالسلطنه، و أشهد علی نفسه بالبلوغ و له نحو ثلاث عشره سنه، و أمر و نهی، و قطع و وصل، و جلس فی دار العدل و الإشاره للأمير شمس الدين لؤلؤ، و لجمال الدوله إقبال الخاتونی، و الوزير القاضی الأکرم جمال الدين القفطی، و فی سنه ست و أربعين خرجت عساکر حلب مع الأمير شمس الدين لؤلؤ إلی حمص، فنازلوها و نصبوا عليها المناجيق و ضايقوها شهرين، و رسل الملک الأشرف صاحبها، و وزيره مخلص الدين بن قرناص تتردد إلی الأمير فخر الدين بن الشيخ، و هو بدمشق، و إلی الملک الصالح نجم الدين، و هو بالديار المصريه يطلب النجده، و کان الملک الصالح بأشمون طناح و قد عرض له ورم فی مأبضه ثم فتح و حصل منه ناصور تعسر بربوه، و حصل فی رئته بعد ذلک قرحه تيقن الأطباء أنه لا خلاص له منها،

لكنه لم يشعر بذلک فأشغله ما به عن انجاد صاحب حمص، و لما ضاق الأمر بصاحب حمص راسل الأمير شمس الدين لؤلؤ، و طلب منه العوض فعوضه عن حمص تل باشر مضافا إلى ما بيده من الرحبه و تدمر، و تسلم حمص منه، و اطلع الأمير شمس الدين فى أثناء ذلک على كتاب لمخلص الدين إلى الأمير فخر الدين ابن الشيخ يستعجله ليقدم و يدفع عسكر حلب، و قد بسط القول فى الكتاب، فغضب الأمير شمس الدين و حمل الملک الأشرف على القبض على مخلص الدين، فقبض عليه و عذبه حتى مات بتل باشر، و تسلم الملک الأشرف تل باشر، و لما بلغ ذلک الملک الصالح نجم الدين عظم عليه جدا، و توجه إلى دمشق فى محفه لما به من المرض و تقدم إلى الأمير فخر الدين بالمسير بالعساكر إلى حمص لانتزاعها من يد نواب الملک الناصر، فسارت العساكر، و نازلوها، و ضايقوها و نصبوا عليها المجانيق، و منها منجنيق مغربى حجره مائه و أربعون رطلا بالشامى، وجدوا فى حصارها، لأن الزمان كان شتاء، و خرج الملک الناصر من حلب فى منتصف رمضان، فنزل بأرض كفر طاب، و لم يزل الحصار مستمرا إلى أن ورد الشيخ نجم الدين الباذرائى للاصلاح بين الملک الصالح نجم الدين، و الملک الناصر صاحب حلب، على أن يقر حمص بيد الملک الناصر، فوقع الاتفاق على ذلک، و رحلوا عنها، و كان سبب انتزاع الملک الناصر حمص من الملک الأشرف أنه سلم قلعه شميميس فى سنه خمس و أربعين إلى الملک الصالح نجم الدين، بسفاره مخلص الدين، فعظم ذلک على الملک الناصر، و الأمير شمس الدين لؤلؤ، و كرها مجاوره الملک الصالح لحلب و ما والاها، و خشيا أن تسلم إليه حمص، و لهذا انتصر الملک الصالح للملک الأشرف، و جهز العساكر لنجدته، لكن فات الأمر فأمرهم بمحاصره حمص، و انتزاعها فجرى الأمر على ما ذكرنا.

و فى يوم الاثنين لعشر مضين من ربيع الآخر سنه ثمان و أربعين تسلم

الملک الناصر صلاح الدین یوسف دمشق صفوا عفوا بغیر ممانعه، و لا قتال، ثم تسلم سائر الأعمال و القلاع المضافه إلیها بعد ذلک.

و فی سنه اثنتین و خمسین قدمت ابنه السلطان علاء الدین کیقباذ بن کیخسرو إلی دمشق، و فی خدمتها الشریف عز الدین المرتضی و هی التی عقد علیها الملک الناصر فی بلاد الروم، و کانت فی تجمل عظیم یقصر عنه الوصف، و أمها ابنه الملک العادل سیف الدین أبی بکر محمد ابن أیوب، و فی سنه ثلاث و خمسین أولدها الملک الناصر ولده علاء الدین.

ذکر سیره الملک الناصر رحمه الله

کان ملکا جلیلا، جوادا، کریما کثیر المعروف، غزیر الاحسان حلیما صفوحا، حسن الأخلاق، کامل الأوصاف جمیل العشره، طیب المحادثه و المفاکهه، قریبا من الرعیه، یؤثر العدول و یکره الظلم، و زاد ملکه علی ملک أبیه و جده، فإنه ملک بلاد الجزیره، کحران، و الرها، و الرقه، و رأس عین، و ما معهما من البلاد، و ملک حمص کما ذکرنا، ثم ملک الشام، کما ذکرنا بعد قتل الملک المعظم، فملک: دمشق، و بعلبک، و الأغوار و السواحل، و المعاقل، و الحصون إلی غزه، و صفا له الشام و البلاد الشرقیه، و أطاعه صاحب الموصل، و صاحب ماردین، و عظم شأنه جدا، ثم دخل بعساکره إلی الدیار المصریه سنه ثمان و أربعین، و کسر عساکرها، و خطب له بمصر و قلعه الجبل، و کاد یملک الأقلیم، و یستولی علی الممالک الصالحیه کلها، لولا ما قدره الله من ظهور طائفه من عسکر مصر و إنهزامه إلی الشام، و مقتل مدبر دولته الأمیر شمس الدین لؤلؤ، قد اشرنا إلی ذلک فی ترجمه الملک المعز عز الدین أیبک الترکمانی رحمه الله فیما تقدم، و أقام الملک الناصر بدمشق عشر سنین حاکما علی الشام، و الشرق إلی أن قدر الله تعالی ما قدر من استیلاء التتر علی البلاد، و ذهابه إلیهم، و مقتله رحمه الله، و لم یکن لأحد من الملوک قبله مثل ما کان له من التجمل بکثره الطعام، و غیره فإنه کان یذبح فی

مطبخه كل يوم أربعمائه رأس من الغنم، و أما غير ذلک من الدجاج و فراخ الحمام، و الخراف الرضع، و الأجديه فلا يحصى، فكانت تنزل فضلات السماط و يبيعها الفراشون و الطباخون و أرباب النوالات و الجرايات عند باب قلعه دمشق بأبخس الأثمان، فكانت تعم أهل دمشق، و كان أكثر الناس بدمشق يغنيهم منها عن الطبخ فى بيوتهم.

و قال علاء الدين على بن نصر الله: جاء السلطان الملک الناصر رحمه الله إلى دارى بغته، و معه جماعه كثيره من أصحابه، فمددت له فى الوقت سماطا فيه من الأطعمه الفاخره، و من أنواع الدجاج المحشو بالسكر و القلوبات شى ء كثير، فبقى متعجبا و قال: فى أى وقت تهيأ لک عمل هذا كله؟ فقلت: و الله هذا كله من نعمتک، و من سماطک، ما صنعت لک شيئا منه، و إنما اشتريته من عند باب القلعه، و حكيت له ما يباع من ذلک، و مثل هذا لم يتفق لملک قبله، و كان يصل إلى الرسل، و الوافدين إليه و القاصدين بابه من إحسانه، و عطاياه و بره ما لم يصل من أحد من الملوک إلى من يقصدهم.

و حكى لى بهاء الدين عبد الله بن محبوب رحمه الله و كان متوليا نظر الحوائج خاناه التى له بدمشق، أن نفقه مطابخه و ما يتعلق بها فى كل يوم فوق عشرين ألف درهم، و كان الملک الناصر رحمه الله حليما إلى الغايه، عظيم العفو عن الزلات لا يرى المؤاخذه، و الانتقام بل سجيته الصفح و التجاوز، تجاوز الله عنه و عفا عن سيآته، اعترضه شخص يوما بورقه فأمر بأخذها منه، و قرأها فوجد فيها الوقيعه فيه، و ذمه فقال لبعض غلمانه: قل له يخرج من باب دمشق إلى حيث شاء، فأنا ما أوذيه، و لا أقابله على فعله، و تقرب إليه جماعه من الأدباء و الفضلاء، فكان يحاضرهم أحسن محاضره، و كان على ذهنه شى ء كثير من الأدب، و أشعار العرب، و غيرهم من المتأخرين، و ينظم نظما حسنا، و له نوادر حلوه، و أجوبه مسكته، و لما بنى الشيخ نجم الدين الباذرائى رحمه الله

مدرسته بدمشق، و ذكر فيها الدرس بنفسه، حضر الملک الناصر رحمه الله و الأكابر من الأمراء و الفقهاء و غيرهم، و جرت المناظره بين الفقهاء و كان ممن حضر تاج الدين الاسكندرى المعروف بالشحرور، و كان كثير الصياح قليل الفوائد، فصاح فى ذلک اليوم صياحا كثيرا، و الفقهاء معرضون عن جوابه، فقال: مالى نوبه، و كرر ذلک مرارا، فأشار الملک الناصر بأصابعه الثلاث، يعنى نوبه حمى ربع، و هى المعروفه عند العوام بالمثلثه، و كان رحمه الله حسن المباسطه مع جلسائه، و كان فى خدمته جماعه كثيره من الفضلاء، و العلماء و الأدباء، و الشعراء، و غيرهم، و لهم عليه الرواتب السنيه، و كان حسن العقيده و الظن بالصالحين يكرمهم و يبرهم، و يجرى عليهم الرواتب، و لما توجه والدى رحمه الله إلى دمشق سنه خمس و خمسين قصد زيارته إلى جبل الصالحيه بزاويه الشيخ على القرشى رحمه، و لما دخل عليه بالغ فى التأديب معه، و حسن الاستماع لحديثه، و لم يستند إلى الحائط فى جلوسه، ثم لما عزم والدى رحمه الله على العود إلى بعلبک جهز له محفه، وعده بغال و جماعه من المحفداريه، و غيرهم فركب إلى بعلبک، و أجرى للناس من الفقراء و العلماء و أرباب البيوت من الرواتب ما يجل مقداره، و يعظم مبلغه، هذا أنشأه هو خارجا عما استمر به مما أطلقه الملوک قبله، و كان إذا مات من له من ذلک شى ء لا يخرج به عن ولده و من مات من أرباب المناصب، و له ولد فإن كان كافيا رتبه عوض أبيه، و إن كان صغيرا استناب عنه إلى حيث يتأهل للمباشره، و كان الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصارى رحمه الله يتردد إلى دمشق فى مهمات مخدومه الملک المنصور صاحب حماه، و كان الملک الناصر يكرمه و يعظمه جدا، و كان يقيم فى خدمته المده الطويله و بره الكثير واصل إليه و يحضر عنده فى غالب الأوقات، و يحاضره، و يقع بينهما فى حال الغيبه مكاتبات كثيره و للشيخ شرف الدين فيه مدائح نادره، و كان سافر فى خدمته إلى مصر سنه ثمان و أربعين، و كتب إليه الملک الناصر رحمه الله مره كتابا بخط نظام الدين

ابن المولى، و كتب الملک الناصر بخطه بين أسطر الكتاب من شعره:

إن طال ليلک يا عبد العزيز لقدأسهرت فى وصفک الشبان و الشيبا

و إن رميت لأجلى إن عرضک لم يعرض له دنس يوما و لا شيبا

و صبر يوسف أدناه إلى شرف فاصبر ألست من الأنصار منسوبا

و أكرم به نسبا عز النبى به و صار فى النيرات الزهر محسوبا

و كتب بخطه إلى وزيره مؤيد الدين القفطى رحمه الله.

ايا راكبا يطوى الفلا بشملهعذافره وجناء من نسل شدقم

إذا حلبا وافيتها حىّ أهلهاو قل لهم مشتاقكم لم يهوم

و من شعره رحمه الله:

الاهل يعيد الله وصل الحبائب فقد طال حزنى من دموعى السواكب

كجمر جرت فى حلبه الشوق من دمى و جرت دموعى الشهب مثل الجنائب

يروم اللواحى من سواى تصبراو كم خاب منى عدو و صاحب

قضى الصبر فى توديع بعض ترائبى و أودع نارا فى سويدا ترائبى

جفا النوم عينى حين فاضت مدامعى و خاف هلاكا فى خلال السحائب

و كيف أرجى النوم بعد بعادكم و فى قلبى الأشواق من كل جانب

و قيل إنه إنما قتل بالسيف كما قتل من معه رحمهم الله تعالى، و خلف عده أولاد ذكورا و إناثا، درج أكثرهم بعده إلى رحمه الله تعالى، و تزوج الملک المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه بإحدى بناته، و قيل كان قتله فى الخامس و العشرين من شوال سنه ثمان و خمسين و ستمائه و عمل عزاؤه فى سادس و عشرين ربيع الأول سنه تسع و خمسين و ستمائه

بقلعه الجبل من الديار المصريه رحمه الله، و رثاه غير واحد من شعراء دولته، و غيرهم ...

[أحداث]لسنه الستون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه المستنصر بالله المتوجه إلى العراق، و ملوک الأطراف على القاعده فى السنه الخاليه، و قد استولى الملک الظاهر على دمشق، و بعلبک، و الصبيبه، و حلب و أعمالها، خلا البيره فإنها بيد البرلى مع ما كان مستوليا عليه، و خلا الملک السعيد صاحب ماردين، فإنه توفى و ولى ولده الملک المظفر قرا أرسلان، و خلا مظفر الدين صاحب صهيون فإنه توفى أيضا بعده ولده سيف الدين محمد، و الملک الظاهر على غيثاء من أعمال الشرقيه عائدا من الشام، و وصل يوم السبت ثانى المحرم، و فى الثالث منه خلع على الأمراء و مقدمى الحلقه، و الصاحب بهاء الدين، و قاضى القضاه تاج الدين، و أكثر الحاشيه، و هو اليوم الذى كان فيه المصاف بين الخليفه رحمه الله، و التتار على ما تقدم فى حوادث السنه الخاليه.

و فى الثالث و العشرين منه أعرس الأمير بدر الدين بيليک الخزندار على بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، و أمر السلطان بعمل العرس فى الميدان الأسود تحت القلعه، و احتفل به احتفالا لم ير مثله، و بسط يده بعد أيام فى الجيوش و الاقطاعات، و النظر فى أمر الرعيه.

و فى ثالث شهر صفر استدعى الملک الظاهر القاضى برهان الدين قاضى القضاه بمصر، و أعمالها و طلب منه محاققه بأرباب الودائع المختصه بالصاحب شرف الدين الفائزى، فتوقف عن ذلک فغضب الملک الظاهر لتوقفه و عزله عن القضاء، و أضاف ما كان إليه منه إلى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز.

ذكر عود البرلى إلى حلب و خروجه عنها

كان المشار إليه قد انهزم بين يدى الرشيدى، و عبر الفرات إلى حران، و شن الغارات على البلاد التى كانت فى يد نواب التتر حتى وصل آمد،

فلما عاد الرشيدى إلى مصر عاد البرلى إلى البيره و بعث جماعه من أصحابه إلى حلب، فلما اتصل بالبندقدارى قربهم خرج من حلب و قصد حماه، فأقام فى بلدها، و دخل البرلى مظهرا طاعه الملک الظاهر، و أقام بها إلى أن كتب إليه الملک الصالح صاحب الموصل يعلمه بنزول التتر عليه، و يستنجده، فكتب إلى الملک الظاهر يستأذنه فى التوجه لنصرته، فأجابه و أمره بالتربص بحران إلى ان يصل إليه عسكر من جهته ينجد به صاحب الموصل، فلما وصل حران أقام بها ثم خاف من العسكر الواصل من مصر أن يقبض عليه، فتوجه إلى سنجار، و أما الملک الظاهر فتقدم إلى الأمير شمس الدين سنقر الرومى بالمسير إلى حلب، ثم إلى الموصل، و جهز معه عسكرا، و كتب إلى الأمير علاء الدين طيبرس نائب السلطنه بدمشق و إلى الأمير علاء الدين البندقدارى يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما إذا وصل إليهما حيث توجه فلما وصلت العساكر تل السلطان و اتصل بهم توجه البرلى إلى سنجار بعثوا إلى حلب من تسلمها نيابه عن البندقدارى، ثم عادت العساكر إلى أنطاكيه، فنزلوا عليها و شنوا الغارات على نواحيها، فداراهم بها بإقامه و ضيافه، و سألوهم أن يرحلوا عنهم و أن يحملوا إليهم مالا مصانعه، فوقع الخلف فى تقرير المال بين الأمير علاء الدين طيبرس، و الأمير شمس الدين سنقر، فرحلا بالعسكر و نزلا على تل السلطان، فأتاهم أمر السلطان أن يتوجه البندقدارى إلى حلب، و يعود طيبرس إلى دمشق، و سنقر الرومى إلى مصر، فعاد الرومى فى شهر رمضان، فلما اجتمع بالسلطان أوغر صدره على طيبرس، فكان ذلک أحد الأسباب فى عزله و حبسه بقلعه القاهره، و كان ما قيل عنه اختلاق لا أصل له.

و فى السابع و العشرين من ربيع الآخر وصل إلى القاهره الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ابن الأمير أبى على القبى ابن الأمير على بن الأمير أبى بكر بن الإمام المسترشد بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد

و صحبته زين الدين صالح بن محمد بن أبى الرشيد الأسدى الحاكمى المعروف بابن البناء، و اخوه شمس الدين محمد بن نجم الدين محمد بن المشاء، و احتفل الملک الظاهر بلقائه و أنزل بالبرج الكبير داخل القلعه، و رتب له ما تدعو حاجته إليه، و وصل معه ولده، و فى ربيع الآخر عزل الأمير جمال الدين آقوش النجيبى عن استاذداريه الملک الظاهر، و ولى الأمير عز الدين أيدمر السعدى أحد مماليک الملک الظاهر.

و فى يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب حضر الملک الظاهر فى محاكمه إلى قاضى القضاه تاج الدين بدار العدل، و سبب ذلک أنه كان فى أيام الملک المعز حفر بئرا عند زاويه الشيخ أبى السعود، و بنى بعضها، ثم خرج إلى الشام، فاستولى عليها جمال الدين محمود استاذدار بهادر، و أتمها و بنى حوضا يأتى إليه الماء من البئر، و اتفق موت بعض مماليک الملک الظاهر، فدفنه قريبا من الزاويه، و ذكر أمر البئر فأخبر بقصتها فاستدعى جمال الدين المذكور، و قال له: البئر ملكى، و أنا أنشأتها، فقال: ياخوند إنى اتممتها، و بنيت إلى جانبها حوضا و وقفتها، و لا يمكننى أفعل إلا ما يقتضيه الشرع، فحضر الملک الظاهر دار العدل لمحاكمه المذكور، فقام من فيها و أراد القاضى القيام فقال له: لا تقم فإنى جئت محاكما، و وقف مع الغريم و ادعى بالبئر، فأنكر الغريم، و أحضر الملک الظاهر من شهد له، فتقدم القاضى إلى الغريم بتسليم البئر إليه.

و فى شهر رجب خرج جماعه من الاسماعيليه على الأمير علاء الدين أيديكن البندقدارى، و هو ركاب على جسر العاصى نهر حماه، و جرحوه، و سبب ذلک أنه لما خرج من حلب عند مجى ء البرلى إليها مر على سرمين، و كان بها وال من قبل الدعوه، يدعى شرف الدين ثابت بن مدين، فأخرج له ضيافه على يد نقيب الدعوه، فلما حضر بين يديه قال له: أين سكينک؟ قال سكاكيننا مخبأه لأعداء السلطان الملک الظاهر، فأمر بضربه، فضرب ضربا مبرحا، و أمر به فرمى فى مسيل ماء فجاء

أهله و أخذوه، فمات من ليلته، فاجتمع أقاربه و قصدوا الحصون و طلبوا من الرضى ثأرهم فدافعهم، و قالوا: إن لم تأخذ بثأرنا دخلنا بلاد الفرنج و تنصرنا، فسير من وثب عليه فقبض على جماعه منهم فقتلهم، و حبس جماعه و أخذ أموالهم، وصل الخبر إلى الملک الظاهر فقبض على من بمصر من نوابهم، و رتب له طبرداريه يركبون بين يديه، فوصلت إليه كتب الرضى يستعطفه و يتضرع إليه و يتنصل فرضى عنه.

و فى شوال رتب الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى نائبا عن السلطنه بحلب، و فيها أغار عسكر سيس و رجاله أنطاكيه على الفوعه من بلد حلب، و نهبوا و أفسدوا، فركب إليهم الشهابى و صحبته عسكر فكسرهم و أخذ منهم جماعه فسيرهم إلى مصر، فوسطوا.

و فى شوال سير الملک الظاهر الأمير عز الدين طيبرس الوزيرى، و حمل إلى القاهره، و باشر الركنى النيابه بدمشق إلى أن قدم الأمير جمال الدين النجيبى متوليا.

و فى ذى القعده خرج مرسوم الملک الظاهر إلى قاضى القضاه تاج الدين أن يستنيب من المذاهب الثلاثه، فاستناب صدر الدين سليمان الحنفى و الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد الحنبلى و شرف الدين عمر السبكى المالكى.

و فى يوم الخميس رابع و عشرين ذى الحجه وصلت طائفه من التتر إلى القاهره مستأمنين، و هم أول من وصل إليه منهم، فغير زيهم و أقطعهم أخبازا، و أنفق فيهم، و أضاف كل جماعه منهم إلى مقدم، ثم تواتروا بعد ذلک طائفه بعد أخرى.

ذكر ما آل إليه أمر أولاد صاحب الموصل بعد فراقهم المستنصر بالله

لما فارقوه، وصلوا سنجار، و كاتب الملک الصالح لمن بالموصل يستشيرهم، فأشاروا إليه بالتوجه إليهم، فسار إليهم فى العشرين من ذى

الحجه من السنه الخاليه، و معه نحو ثلاثه مائه فارس، و كان بالموصل أربعمائه فارس، فدخل الموصل و بقى إخوته بسنجار، فلما اتصل بهم قتل الخليفه، و نزول التتر على الموصل لحصار أخيهم الملک الصالح، خرجوا من سنجار، و توجهوا إلى الملک الظاهر، فأحسن إليهم و أقطع الملک المجاهد سيف الدين اسحاق فوق المائه ألف درهم لخاصته و لأولاده، كل منهم على انفراده إقطاعات جزيله، و رتب لأخواته الثلاث راتبا و أقطع لمماليكه الذين معه أيضا، و أضافهم إليه، و كذلک اعتمد مع أخيه الملک المظفر علاء الدين لخاصته و مماليكه أيضا.

ذكر حصار [المغول] الموصل

فى أوائل المحرم قصدت التتر الموصل و مقدمهم صندغون و معهم الملک المظفر صاحب ماردين بعسكره، و شمس الدين بن يونس المشد، و سيف الدين بيبرس أمير شمار البدرى، و نصب عليها التتر أربعه و عشرين منجنيقا و ضايقوها أشد مضايقه، و لم يكن بها سلاح يقاتلون به و لا قوت يمسک رمق من بها، و غلا فيها السعر حتى بلغ المكوک بها، و مقداره ربع اردب مصرى، أربعه و عشرين دينارا، فلما اتصل بالتتر وصوله عزموا على الهرب، و اتفق وصول الزين الحافظى إليهم من عند هولاكو يعرفهم أن الجماعه التى مع البرلى قليله، و المصلحه أن تلاقوهم، فقوى عزمهم الحافظى قاتله الله، فسار صندغون بطائفه ممن كان على حصار الموصل، عدتها عشره آلاف فارس، و قصد سنجار، و بها البرلى، و معه تسع مائه فارس غزى، و أربعمائه من التركمان، و مائه من العرب فخرج إليهم بعد أن تردد فى ملتقاهم يوم الأحد رابع عشر جمادى الآخره، فكانت الكره عليه، فانهزم جريحا فى رجله، و قتل ممن معه جماعه منهم الأمير علم الدين الوباش، و الأمير عز الدين أيبک السليمانى من العزيزيه، و الأمير بهاء الدين يوسف بن طرنطاى أمير جاندار الظاهرى، و سيف الدين كيكلدى الحلبى الناصرى و علم الدين سنجر

الناصرى، و هؤلاء من أعيان الأمراء و شجعانهم و فرسانهم، و قاتلوا فى ذلک اليوم قتالا عظيما، و أبلوا بلاء حسنا و أنكوا فى العدو نكايات عظيمه، ثم تكاثر التتر عليهم، فاستشهدوا إلى رحمه الله تعالى و استشهد معهم من أولى البصائر جماعه يطول ذكرهم، و أسر الأمير علم الدين جلم الأشرفى، و ولده، و الأمير سيف الدين بكتوت الحرانى الناصرى، و غيرهم، و نجا الأمير شمس الدين البرلى فى جماعه يسيره من العزيزيه و الناصريه منهم: الأمير بدر الدين أزدمر الدوادار العزيزى، و علاء الدين آق سنقر الدوادار الناصرى، فوصلوا إلى البيره، ففارقه أكثرهم و دخلوا الديار المصريه، و لما حل بالبيره وصله قونو ابن خاله، و زين الدين قراجا الجمدار الناصرى، و كان أخذ أسيرا من حلب رسلا من هولاكو يطلبونه إليه ليقطعه البلاد، فقال: أنا مملوک السلطان الظاهر، و ما يمكننى مفارقته، و اختيار هولاكو عليه، ثم سير الكتب إلى الملک الظاهر، و كتب يطلب منه أمانا، فسير إليه كتابا بما سأل، و يأمره فيه بالمصير إلى مصر، فتوجه من البيره فى تاسع شهر رمضان و اجتمع بالبندقدارى بعد توثق كلاهما بالأمان، ثم وردت كتب الملک الظاهر إلى جميع نواب الشام أن يخلوا البلاد، و ينضموا إلى دمشق، و دخل البرلى مصر يوم الاثنين غره ذى الحجه، فأنعم عليه الملک الظاهر و عين له سبعين فارسا.

ذكر استيلاء التتر على الموصل و قتل الملک الصالح صاحبها

لما انهزم البرلى من التتر، عاد صندغون إلى الموصل بالأسرى، فأدخلهم من النقوب إلى الملک الصالح ليعرفوه بكسره البرلى و انهزامه و يشيروا عليه بالدخول فى الطاعه، ثم استمر الحصار إلى مستهل شعبان، فطلبوا علاء الملک بن الصالح، و أوهموا أنه وصل إليهم كتاب هولاكو مضمونه أن علاء الملک ما له عندنا ذنب، و قد وهبناه ذنب أبيه، فسيره إلينا لنصلح أمرک معه، و كان الملک الصالح قد ضعف

و غلبت المماليک على رأيه، فأخرج إليهم علاء الملک ولده، فلما وصل بقى عندهم اثنى عشر يوما و والده يظن أنهم سيروه إلى هولاکو، ثم کاتبوه بعد أيام يأمرونه بتسليم البلاد، و إن لم يفعل لا يلوم إلا نفسه إذا دخلنا البلد بالسيف، و قتلنا من فيه، فجمع الملک الصالح أهل البلد و الجند و شاورهم، فأشاروا إليه بالخروج، فقال: تقتلوا لا محاله، و أقتل بعدکم، فصمموا على خروجه، فخرج إليهم يوم الجمعه خامس عشر شعبان بعد الصلاه، و قد ودع الناس، و لبس البياض، فلما وصل إليهم احتاطوا به، و وکلوا عليه، و على من معه، و حملوه إلى الجوسق و أمروا شمس الدين بن يونس الباعشيقى بالدخول إلى البلد، فدخل و معه الفرمان، و نادى بالأمان، فظهر الناس بعد اختفائهم، و شرع التتر فى خراب الأسوار، فلما اطمأن الناس و باعوا و اشتروا، دخلوا البلد و أجالوا السيف على من فيه تسعه أيام، و کان دخولهم فى السادس و العشرين من شعبان، و هدموا السور، و وسطوا علاء الملک، و علق على باب الجسر، ثم رحلوا فى سلخ شوال فقتلوا الملک الصالح فى طريقهم، و هم متوجهون إلى بيوت هولاکو.

و فى شهر ذى الحجه ظهر باب بين القصرين عند الرکن المخلق بالقرب من رحبه العيد بالقاهره و فيه حجر مکتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران، عليه الصلاه و السلام، فجددت عمارته، و هو الآن يعرف بمعبد موسى صلى الله عليه و سلم.

ذکر رسل الملک الظاهر إلى السلطان عز الدين صاحب الروم

لما بلغ الملک الظاهر خلف السلطان عز الدين لأخيه السلطان رکن الدين، و خروجه عن بلاده، و انحيازه إلى أنطاکيه، بعث إليه عماد الدين عبد الرحيم الهاشمى، و الأمير شرف الدين الجاکى، فوافياه بأنطاکيه فأنهيا إليه رساله الملک الظاهر، و مضمونها تثبيت جنانه، و ترغيبه فى انحيازه إليه ليعاضده، و يساعده بخيله، و رجله، و يبذل نفسه لقصد

البلاد الروميه، حتى يستخلصها كلها له، فاعتذر بأعذار ظهر فيها التلوم، و التوقف، و التأنى و التأفف، و وعد أنه متى لم يستتب له حال، و ضايقه التتر لم يكن له إلا حرم السلطان ملجأ، ففارقاه على ذلک، و عادا ثم اختل حاله، و تلاشت أموره، بمضايقه التتر بلاده، و ذلک انه لما خرج عنها، و قصد أنطاكيه، قصد التتر نائبه الأمير شمس الدين أرتاش البكلربكى مع مقدمهم على جق نوين، فهزموا عسكره و قتلوه، و استولوا على ما كان بيده من البلاد، خلا بلاد أوج، فلم ير السلطان عز الدين بدا من قصد الأشكرى، فلما وصل إليه سأله المساعده، فوعده و سوفه، فتقاضاه فقال مبعدا له: إن انتصرت أزوجتک ابنه أخى، و ساعدتک على عدوک، فهم أن يفعل ذلک ليبلغ غرضه من نصرته على أخيه، فأشار عليه من معه أن لا تفعل فإنه متى فعل ذلک، نفرت قلوب من معه من الجند و خذلوه، فأمسک و تغير باطن الأشكرى عليه، فبعث إليه مخادعا له: إنه قد ظهر لى رأى فى معونتک و لا بد من الاجتماع بک، فخرج من قسطنطينيه فمر فى طريقه على قلعه فنزل جانبا منها و قبض عليه بوصيه تقدمت من الأشكرى، فلم يزل محبوسا إلى أن اغارت طائفه من أصحاب بركه على أطراف بلاد الأشكرى و حاصروا القلعه التى فيها السلطان عز الدين فوقع الاتفاق بينهم على أنهم إن سلموه لهم يرحلوا عنها، فسلموه إليهم، فانطلقوا به إلى بركه.

ذكر الخلف الواقع بين هولاكو و بركه

قال عز الدين محمد بن شداد رحمه الله: حكى لى علاء الدين على بن عبد الله البغدادى قال: أخذت أسيرا من بغداد لما أخذتها التتر، و كنت معهم مختلطا بهم مطلعا على أخبارهم، فلما كانت سنه ستين ورد من عند بركه رسولان أحدهما يدعى بلاغا، و الآخر ططر، برساله مضمونها ما جرت به العاده من حمل ما كان يحمل إلى بيت باتو مما يفتح من البلاد، و كانت العاده أن جميع ما يحصل فى البلاد التى يملكونها

و يستولون عليها على نهر جيحون مغربا يقسم خمسه أقسام قسمان للقان و هو الملک الأعظم، و قسمان للعسکر، و قسم لبيت باتو، فلما مات باتو و جلس برکه على التخت بدلا منه لم يوصل إليه هولاکو مما أخذه من العراق، و لا من الشام شيئا مما کان يوصله باتو، و لما بعث برکه رسله بعث معهم سحره ليفسدوا سحره هولاکو، و کان عنده هولاکو ساحر يسمى تکتا، فأعطوه هديه أرسلها برکه إليه معهم، فلما وصلت الرسل بعث إليهم هولاکو من يخدمهم، و ساحره من الحطا تسمى کمشتا، لتطلعه على أحوالهم، فتعرفت أحوالهم و أخبرته، فقبض عليهم، و حبسهم فى قلعه تلا، ثم قتلهم بعد خمسه عشر يوما، و قتل ساحره تکتا معهم، فلما بلغ برکه ذلک أظهر العداوه، و بعث رسله إلى الملک الظاهر يحرضه على اجتماع الکلمه على قتاله، و سيأتى إن شاء الله.

و فى هذه السنه بعث هولاکو إلى مقدم عسکر المغل بالروم يأمره بقتل من إرتاب منه من التر‌کمان، فقصد طائفه منهم، و قتل منهم خلقا کثيرا، و کان هذا سبب انحياز بقيتهم إلى الشام.

و فيها اشتد الغلاء بالشام فبيع الرطل اللحم بالدمشقى بسته دراهم، و بسبعه دراهم، و الغراره القمح بأربع مائه و خمسين درهما، و الشعير بمائتى و خمسين درهما، و المکوک القمح بحماه و بحلب بأربعمائه درهم، و اللحم الرطل بالحلبى بثمانيه دراهم، و رطل الخبز بثلاثه دراهم، ثم بلغ خمسه، ثم اشتد الغلاء فى جميع الأصناف، و مات خلق کثير من الجوع بحلب و حماه و غيرها.

و فيها فى أولها وصل إلى الديار المصريه رسول يدعى جمال الدين حسن بن ثابت من جهه رضى الدين أبى المعالى، و نجم الدين بن اسماعيل بن الشعرانى المستوليين على حصون الاسماعيليه بالبلاد الشاميه برساله تتضمن طلب أملاک الدعوه فى الديار المصريه، و البلاد الشاميه، و طلب الاقطاعات المعروفه بهم، و على يده هديه کجارى العاده،

و أحضر أيضا السكين و الثوب و الأمان إلى بين يدى الملک الظاهر، فأجابه إلى جميع مطلوبه، و قال له: قد ثبت عندى أنک من أكابر أمراء الجبل، و قد بلغنى أن رضى الدين قد مات، و قد اخترت أن أجعلک نائبا عنى فى سائر حصون الدعوه، و تكون فى مقام الرضى، فأجابه إلى ذلک، و كتب له الملک الظاهر تقليدا فأخذه، و عاد إلى الحصون، فوجد رضى الدين مريضا فكتم الحال إلى أن توفى الرضى فى أواخر هذه السنه، فأظهر التقليد و قرأه على أهله و أقاربه بحصن الكهف، و عرف به ابن الشعرانى فما أمكنه إلا موافقته، فحالفه جمال الدين و اتفق معه و فى العين قذى، و سمع صارم الدين مبارک ولد رضى الدين بذلک فعصى عليهما فى قلعه العليقه.

فصل [فى الوفيات:]

[وفاه الإمام المستنصر باللّه:]

و فيها درج إلى رحمه اللّه تعالى الإمام المستنصر باللّه أبو القاسم أحمد أمير المؤمنين ابن الامام الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله ابى العباس أحمد، و بقيه نسبه إلى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مذكور فى ترجمه ابن اخيه المستعصم بالله رحمه الله فى سنه ست و خمسين و ستمائه فلا حاجه إلى اعادته.

و قد ذكرنا قدومه إلى الديار المصريه، و ثبوت نسبه و مبايعته، و تجهيز الملک الظاهر له، و وصوله إلى العراق و ملتقاه عسكر التتار، و كسرهم لعسكره فى حوادث السنه الخاليه، و إن كان المصاف الذى فقد فيه وقع فى هذه السنه، لكن ذكرته هناک لارتباط الحديث، و اتصاله، و كان المستنصر بالله شجاعا بطلا مقداما، جوادا ممدحا حسن الطريقه، محمود السيره، قاتل يوم المصاف قتالا شديدا، و أبلى بلاء حسنا، و فقد فلم يطلع له على خبر و لا ذكر أحد أنه رآه بعد المصاف، و ظاهر أمره

- و الله أعلم- أنه استشهد إلى رحمه الله تعالى فى المصاف، و لحق بربه على الوجه الحسن، رحمه الله، و كان المصاف فى ثالث المحرم من هذه السنه، و قد ذكرناه و مده خلافته خمسه أشهر و عشرون يوما لأنه بويع له فى ثالث عشر رجب سنه تسع و خمسين.

[أحداث]سماعيل بن لؤلؤ بن عبد الله الملک الصالح رکن الدين بن الملک الرحيم

بدر الدين صاحب الموصل، قد ذكرنا و فوده على الملک الظاهر، و عوده صحبه الخليفه المستنصر بالله، و مفارقته له، و توجهه إلى بلاده، و لما فرغ التتر من أمر الخليفه المستنصر بالله، حصروه فى هذه السنه بالموصل و ضيقوا عليه إلى أن ظفروا به، على ما تقدم شرحه، فقتلوا ولده قبله بأيام ثم قتلوه فى ذى القعده، و هم متوجهون إلى اردو هولاكو فى طريقهم رحمه الله، و كان ملكا عادلا لين الجانب لم يكن على طريقه والده فى السفک و القطع و ما كان يسلكه من ذلک، و رزقه الله تعالى الشهاده على أيدى التتر.

بلبان بن عبد الله سيف الدين الزردكاش

، كان من أعيان الأمراء بالشام، و كان الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى رحمه الله نائب السلطنه بالشام إذا غاب عن دمشق فى بعض المهمات استنابه عنه فى دار العدل و نيابه السلطنه لكبر قدره، و لما يعلم من سداده، و حسن طريقته، و كان دينا خيرا يحب العدل و الصلاح، و توفى بدمشق فى ثامن ذى الحجه رحمه الله ...

[أحداث]لخضر بن أبى بكر بن أحمد ابو العباس كمال الدين الكردى

قاضى المقس، كان الملک المعز عز الدين أيبک التركمانى رحمه الله قد قربه و أدناه فى زمن سلطنته، فعلق به حب الرياسه، و التقدم عند الملوک، و كان عنده إقدام و هوج، و قله فكر فى العواقب، فصنع خاتما، و جعل تحت فصه ورقه لطيفه فيها أسماء جماعه ممن قصد أذاهم، و أن عندهم ودائع لشرف الدين الفائزى، و أظهر أن ذلک الخاتم كان لشرف الدين المذكور، و أنه

جعل تلک الورقه فیه تذکره بما له من الودائع، و رام بذلک التقرب إلی السلطان، و ضرر أولئک القوم لإحن قدیمه بینه و بینهم، و أظهر ذلک الخاتم، و جری فی أمره خطوب آخرها أنه اتضح أمره فأهین الکمال و صفع، فقال فیه بعض الأدباء:

ما وفق الکمال فی افعاله کلا و لا سدد فی أقواله

یقول من أبصره یصک تأدیبا علی ما کان من محاله

قد کان مکتوبا علی جبینه فقلت لا بل کان فی قذاله

ثم حبس، و کان فی الحبس شخص یدعی أنه ولد الأمیر الغریب و کان ورد إلی إربل فی أیام الإمام الناصر شخص یسمی الأمیر الغریب، و یزعم أنه ولد الامام الناصر، ثم توفی فی سنه أربع عشره و ستمائه، فادعی هذا الشخص أنه ولده، و کانت الشهرزوریه أرادت مبایعته بغزه، فلما تبدد شملهم للأسباب التی تقدم شرحها من استیلاء التتر علی الشام و غیر ذلک، أمسک هذا الشخص العباسی، و اعتقل، فلما اعتقل الکمال معه و جمعهما الحبس، تحدث الکمال معه علی أن یسعی له فی اتمام ذلک الأمر الذی کان الشهرزوریه راموا فعله، و یکون الکمال وزیره فاتفق موت العباسی، فلما خرج الکمال سعی فی اتمام الأمر لابنه، و تحدث فی ذلک مع جماعه من الأعیان و غیرهم، و کتب مناشیر و تواقیع، و اتخذ بنودا شعار الدوله، فنمی الخبر إلی الملک الظاهر، و کان وزیره الصاحب بهاء الدین، و قاضی قضاه الدیار المصریه تاج الدین عبد الوهاب، و له المکانه العلیه و الوجاهه العظیمه، و الکلمه المسموعه، و کلاهما من أشد الناس عداوه و بغضا للکمال لذاته و توثبه، و لکونه من أصحاب القاضی بدر الدین السنجاری، و المعروفین به، فحصل التحریض علیه فشنق بالدیار، و التواقیع و البنود معلقه فی عنقه، و ذلک فی ثامن عشر جمادی الآخره من هذه السنه رحمه الله.

بن الحسن بن محمد بن المهذب أبو محمد عز الدين السلمى الدمشقى الشافعى، الامام الفقيه العلامه شيخ الإسلام، و مولده سنه سبع أو ثمان و سبعين و خمسمائه، حضر أبا الحسين أحمد بن حمزه بن الموازينى و ابا طاهر الخشوعى، و سمع من الحافظ أبى محمد القاسم بن على الدمشقى و ابن طبرزد، و حنبل، و عبد الصمد بن الحرستانى و غيرهم، و حدث و درس فى عده مدارس بالشام، و الديار المصريه و أفتى سنين متطاوله، و كانت الفتاوى تأتيه من الأقطار، و كان فى آخر عمره لا يتقيد فى فتاويه بما يقتضيه مذهب الإمام الشافعى رحمه الله عليه بل يفتى بما يؤدى إليه اجتهاده و يترجح عنده بالدليل، و صنف التصانيف المفيده النافعه، و تولى الحكم بمصر، و الوجه القبلى مده مع الخطابه بجامعها العتيق، و كان ولى الخطابه بجامع دمشق مده، و كان علم عصره فى العلم جامعا لفنون متعدده، عارفا بالأصول و الفروع، و العربيه و التفسير مع ما جبل عليه من ترک التكلف و الصلابه فى الدين و لما كان مباشرا للخطابه و الامامه بجامع دمشق سلم الملک الصالح عماد الدين رحمه الله إلى الفرنج صفد و الشقيف سنه تسع و ثلاثين و هما من الفتوحات الصلاحيه ليعتضد بهم، فأنكر الشيخ عز الدين هذا الفعل غايه الانكار، و بسط لسانه بالقول، و وافقه على ذلک الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكى رحمه الله، و كان كبير القدر أيضا فى العلم و الدين و بلغ الملک الصالح عماد الدين أنهما ينالان منه بسبب ذلک، فغضب غضبا شديدا ففارقا دمشق، فمضى الشيخ جمال الدين إلى الكرک، فأقام عند الملک الناصر داود رحمه الله مده، فأقبل عليه و أحسن إليه، ثم سافر إلى الديار المصريه، و أقام بها إلى ان مات رحمه الله، و أما الشيخ عز الدين فمضى إلى الديار المصريه، فأقبل عليه الملک الصالح نجم الدين غايه الإقبال لفضيلته، و ديانته و لتشنيعه على عمه الملک الصالح عماد الدين، و اتفقت وفاه القاضى شرف الدين ابن عين الدوله قاضى القاهره، و الوجه البحرى، فنقل

الملک الصالح القاضی بدر الدین إلی القاهره و ما معها، و ولاه قضاءها، و ولی الشیخ عز الدین القضاء لمصر و الوجه القبلی مع الخطابه بجامع مصر، و بقی علی ذلک مده، و اتفق أن بعض غلمان الصاحب معین الدین بن شیخ الشیوخ، وزیر الملک الصالح نجم الدین بنی علی سطح بعض المساجد بمصر بنیانا، و جعل فیه طبلخاناه معین الدین، و بلغ ذلک الشیخ عز الدین فأنکره و مضی بنفسه و أولاده فهدم ذلک البناء، و أمر بنقل ما علی سطح ذلک المسجد و تفریغه مما فیه، و علم الشیخ عز الدین أن ذلک یغضب الملک الصالح، و وزیره، فأحضر شهودا و أشهدهم علی نفسه أنه قد أسقط عداله معین الدین، و أنه قد عزل نفسه عن القضاء بمصر و ما معها، فعظم ذلک علی الملک الصالح و أبقی نواب الشیخ عز الدین فقیل للملک الصالح: إن لم تعزله عن الخطابه فربما یبدو منه تشنیع علی المنبر کما فعل بدمشق لما سلم الملک الصالح عماد الدین صفد، و الشقیف فعزله عن الخطابه، فأقام فی بیته بالقاهره یشغل الناس بالعلم، و قال الأمیر حسام الدین ابن أبی علی رحمه الله:

کان عندی شهاده تتعلق بالملک الصالح نجم الدین، فقال لی السلطان، و الشیخ عز الدین متولی القضاء بمصر: تؤدی الشهاده عنده، فقلت: یا خوند ما یقبل شهادتی، فألح علی فقلت: یاخوند خذ لی منه دستورا، فبعث إلی الشیخ عز الدین فی ذلک، فقال: ما أقبل له شهاده، فتوقفت القضیه إلی أن ولی القاضی بدر الدین السنجاری، فذهبت إلیه فتلقانی إلی الباب فشهدت عنده فقبل الشهاده، و انقضی الشغل فکان الشیخ عز الدین رحمه الله لا یحابی أحدا فی الحق، و لما حضرته الوفاه سیر إلیه الملک الظاهر رحمه الله یفتقده، و یقول له: من تختار أن یتولی مناصبک من أولادک؟ فقال: ما فی أولادی من یصلح لشی ء من ذلک، و هذه المدرسه- یعنی مدرسه الملک الصالح التی بین القصرین- یصلح لتدریسها القاضی تاج الدین عبد الوهاب، یعنی ابن بنت الأعز، ففوضت إلیه بعده، و کان بالدیار المصریه رجل یعرف بالمبارز العارونه،

و هو كثير المال و كان يكثر التردد إلى الشيخ عز الدين، و هو صاحبه فحكى للشيخ عز الدين عقيب كسره المنصوره الأخيره، و كان قد صودر قبل ذلک على قريب خمسين ألف درهم، قال: صودرت على ذلک المبلغ، فما مضى إلا مده يسيره حتى كانت وقعه المنصوره، فحصلت من مكاسبها قريب خمسين ألف دينار، فقال له الشيخ عز الدين: هذا المبلغ فى ذمتک لأن الغنائم لم تخمس و لا قسمت على الوجه الشرعى، فلما مرض الشيخ عز الدين مرض الموت أشهد على نفسه أنه يشهد على إقرار المبارز بما أقربه من ذلک، و اتصل الأمر بالملک الظاهر، فألزم المبارز بغرم ما أقر به، فقال إنما شهد على شاهد واحد، فقال الملک الظاهر: الشاهد الذى شهد أكثر من ألف شاهد، و كان الشيخ عز الدين رحمه الله مع ما هو عليه من هذه الأوصاف عنده رقه حاشيه، و يحضر السماع و يرقص و يتواجد و يستحسن الصور الجميله و يحاضر بالحكايات و النوادر و الأشعار، و يستشهد بها فى مواضعها، مر على دار من دور القصر بالقاهره، و هى خراب و أنقاضها تنقل فأنشد متمثلا:

أهادمها شلت يمينک خلهالمعتبر أو واقف أو مسائل

منازل قوم حدثتنا حديثهم و لم أر أحلى من حديث المنازل

و هذا البيان لعبد الواحد بن الفرج المعرى الشاعر، قالهما من جمله أربعه أبيات فى قصر كان بالمعره فى محله سياث، فأمر صاحب المعره بنقضه، فاجتاز عبد الواحد بالفعله، و هم يخربونه فقال بديها:

مررت بقصر فى سياث فساءنى به زجل الأحجار تحت المعاول

تناولها عبل الذراع كأنماجرى الحرب فيما بينهم حرب وائل

فقلت له شلت يمينک خلها.....

البيتين المتقدمين.

توفى عبد الواحد المذكور فى سنه احدى و ثمانين و أربعمائه، و كانت وفاه الشيخ عز الدين رحمه الله فى العاشر من جمادى الأولى بالقاهره، و دفن من الغد بسفح المقطم، و نزل الملک الظاهر لشهود جنازته، و كذلک سائر أرباب الدوله، و الجند، و العوام، و غيرهم، و لم يتخلف عن شهود جنازته إلا القليل من الناس، و شهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره رحمه الله ...

عمر بن أحمد بن هبه الله بن محمد بن هبه الله

بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر بن أبى جراده بن ربيعه بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل أبى القاسم كمال الدين العقيلى الحلبى الفقيه الحنفى، الكاتب المجيد، المعروف بابن العديم مولده بحلب فى العشر الأول من ذى الحجه سنه ثمان و ثمانين و خمسمائه، سمع من أبيه أبى الحسن، و عمه أبى غانم محمد، و أبى هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمى و عمر بن طبرزد، و أبى اليمن الكندى، و أبى القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانى و جماعه كثيره غيرهم، و حدث بالكثير فى بلاد متعدده و درس، و أفتى، و صنف و كان إماما عالما فاضلا مفننا فى العلوم، جامعا لها، أحد الرؤساء المشهورين، و العلماء المذكورين، و ترسل إلى الخليفه و الملوک مرارا كثيره، و كان له الوجاهه العظيمه، و الحرمه الوافره عند الخلفاء و الملوک و غيرهم، و هو مع ذلک كثير التواضع، و لين الجانب، و حسن الملتقى، و البشر لسائر الناس، مع ما هو منطو عليه من الديانه الوافره، و التحرى فى أقواله و أفعاله، و أما خطه ففى غايه الحسن و الجوده، باع الناس منه شيئا كثيرا على أنه خط على بن هلال البواب الكاتب المشهور، و له معرفه بالحديث و التاريخ، و أيام الناس، و جمع لحلب تاريخا كبيرا أحسن فيه كاشاء، و مات و بعضه مسوده لم يبيضه، و لو تكمل تبييضه كان أكثر من أربعين مجلدا، و كان حسن الظن بالفقراء و الصالحين، كثير البر لهم، و الاحسان إليهم،

و حضر عند الشيخ عبد الله اليونينى الكبير قدس الله روحه، و طلب منه أن يلبسه خرقه، فأعطاه قميصه كأنه تفرس فيه الخير و الصلاح، و كانت وفاته فى العشرين من جمادى الأولى بظاهر مصر، و دفن من يومه بسفح المقطم، رحمه الله ...

[أحداث] السنه الحاديه و الستون و ستمائه

[مقتل الخليفه المستنصر بالله:]

دخلت هذه السنه و الخليفه المستنصر بالله قد قتل، و ملوک الطوائف على حالهم فى السنه الخاليه، و الملک الظاهر بقلعه الجبل من الديار المصريه.

فمن المتجددات فيها مبايعه الحاكم بأمر الله

باب فى مبايعه [الحاكم بأمر الله:]

و هو التاسع و الثلاثون من خلفاء بنى العباس رضى الله عنه، و هو الامام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الأمير أبي على القبى ابن الأمير على بن الأمير أبى بكر ابن الإمام المسترشد بالله، أبى منصور الفضل بن الإمام المستظهر بالله أبى العباس أحمد، بويع بالخلافه فى قلعه الجبل ظاهر القاهره، يوم الخميس تاسع المحرم سنه إحدى و ستين و ستمائه، و كان وصل إلى قلعه الجبل فى السنه الخاليه، على ما تقدم شرحه.

فلما كان فى التاريخ المذكور جلس الملک الظاهر مجلسا عاما فيه أعيان الناس من القضاه و الأمراء، و العلماء، و جماعه من التتار الوافدين، و حضر الإمام الحاكم إلى الإيوان الكبير بقلعه الجبل، راكبا، و بسط له إلى جانب السلطان، و ذلک بعد ثبوت نسبه، و أمر الملک الظاهر بعمل شجره نسب له فعملت، و قرئت على الناس، ثم أقبل الملک الظاهر إليه و بايعه على كتاب الله و سنه رسوله صلى الله عليه و سلم، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الجهاد، و أخذ أموال الله بحقها، و صرفها فى مستحقها، و الوفاء بالعهود و إقامه الحدود، و ما يجب على الأئمه فعله

من أمور الدين، و حراسه المسلمين، فعند ذلک أقبل الخليفه على الملک الظاهر، و قلده أمور البلاد و العباد، ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم فى المبايعه، فلم يبق أحد ممن يشار إليه من أرباب السيوف، و الأقلام و غيرهم إلا و بايعه، و كان المسلمون بغير خليفه منذ استشهد الإمام المستنصر بالله فى أوائل السنه الخاليه، و لم يل الخلافه من والده و جده غير خليفه، بعد السفاح و المنصور، إلا الحاكم هذا، فإن والده و جده، وجد والده لم يلوا الخلافه، أما من ولى الخلافه، و لم يكن والده خليفه بعد السفاح و المنصور من بنى العباس فالمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم، و المعتضد بن طلحه المتوكل، و القادر بن أحمد بن المقتدر، و المقتدى بأمر الله ابن الذخيره ابن القائم، و بقى اسم الخلافه على الإمام الحاكم بأمر الله المذكور، و يخطب له على المنابر، و تضرب السكه باسمه إلى اوائل جمادى الآخره سنه إحدى و سبعمائه درج إلى رحمه الله تعالى بالديار المصريه، و صلى عليه فى جامع دمشق بالغيبه يوم الجمعه عاشر جمادى الآخره.

و كانت وفاته رحمه الله فى أواخر جمادى الأولى رحمه الله تعالى، فكان مده وقوع اسم الخلافه عليه أربعين سنه و أشهر، و بويع ولده أبو الربيع سليمان، و لقب بالمستكفى و حصل الحديث من الإمام الحاكم فى إنفاذ رسل إلى بركه، فوافق على ذلک، و انفصل المجلس، و لما كان يوم الجمعه ثانى يوم المبايعه اجتمع الناس، و حضر الرسل إلى الملک بركه و خطب الخليفه بالناس فقال:

الحمد لله الذى أقام لآل العباس ركنا و ظهيرا، و جعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا، أحمده على السراء و الضراء، و أستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء، و استنصره على دفع الأعداء، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، و أن محمدا عبده و رسوله صلى الله عليه و على آله و صحبه نجوم الاهتداء، و أئمه الاقتداء الأربعه الخلفاء، و على العباس عمه،

و كاشف غمه أبى الساده الخلفاء الراشدين، و الأئمه المهديين و على بقيه الصحابه و التابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الناس اعلموا أن الإمامه فرض من فروض الإسلام، و الجهاد محتوم على جميع الأنام، و لا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمه العباد، و لا سبيت الحرم إلا بانتهاک المحارم، و لا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم، فلو شهدتم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام، و استباحوا الدماء، و الأموال، و قتلوا الرجال و الأطفال، و هتكوا حرم الخلافه و الحريم، و أذاقوا من استبقوا العذاب الاليم، فارتفعت الأصوات بالبكاء، و علت الضجات من هول ذلک اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، و كم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه، فشمروا عن ساق الاجتهاد فى إحياء فرض الجهاد: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(1) فلم تبق معذره فى القعود عن أعداء الدين، و المحاماه عن المسلمين.

و هذا السلطان الملک الظاهر السيد الأجل، العالم العادل، المجاهد المؤيد ركن الدنيا و الدين، قد قام بنصر الامامه عند قله الأنصار، و شرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار، فأصبحت البيعه باهتمامه منتظمه العقود، و الدوله العباسيه به متكاثره الجنود، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمه، و اخلصوا نياتكم تنصروا، و قاتلوا أولياء الشيطان تظفروا، و لا يروعنكم ما جرى، فالحرب سجال وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ(2) و الدهر يومان، و الآخر للمؤمنين جمع الله على التقوى أمركم، و أعز بالإيمان نصركم و استغفر الله العظيم لى و لكم و لسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبه الثانيه: الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعمائه و أشهد أن لا إله إلا

1- سوره التغابن- الآيه: 16
2- سوره الأعراف- الآيه: 128

الله وحده لا شریک له عده عند لقائه، و أشهد أن محمدا سید رسله و أنبیائه صلی الله علیه، و علی آله، و صحبه عدد ما خلق فی أرضه و سمائه، أوصیکم عباد الله بتقوی الله إن احسن ما وعظ به الانسان کلام الملک الدیان: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلًا(1) نفعنا الله و إیاکم بکتابه و أجزل لنا، و لکم ثوابه، و غفر لی و لکم و للمسلمین أجمیعن.

و کتب بدعوته إلی الآفاق و تعلل بذکرها الرفاق، و کتب الله للسلطان هذه الحسنه التی یجدها یوم ینفذ کل شی ء، و ما عند الله باق، و کتب السلطان إلی الملک برکه یعلمه بذلک.

و فی لیله الأربعاء ثالث شهر رمضان سأل السلطان الخلیفه هل لبس الفتوه من أحد من أهل بیته الطاهرین، أو من أولیائهم المتقین فقال: بلا و التمس من السلطان أن یصل سببه بهذا المقصود، ن

و صح هذا الامر الذی من بیته بدا و إلیه یعود، فلم یمکن السلطان إلا طاعته المفروضه و أن یمنحه ما کان ابن عمه أقرضه، و أن یحلی بالجواهر منضده، و أن یقلد بالسیف مجرده، و أن یعطی القوس لباریها، و یسلم الصهوه لراقیها، یوکون فی ذلک کمحبب الحله للابسها، و یقتدح بالجذوه لقابسها، و لبس فی اللیله المذکوره بحضور من یعتبر حضوره فی مثل ذلک، و باشر ذلک الأتابک فارس الدین أقطای بطریق الوکاله المعتبره عن السلطان، و قال السلطان الملک الظاهر: أنا للامام المستنصر بالله امیر المؤمنین ولد الامام الظاهر و أبوه لجده الناصر، لعبد الجبار، لعلی بن دغیم، لعبید بن المغیره، لعمر بن الرهاص، لأبی بکر بن الجحیش، لحسن بن الریان لبقاء بن الطباخ، لنفیس العلوی، لأبی القاسم بن أبی حبه، لمعمر بن النز، لأبی علی الصوفی، لمهنا العلوی،

1- سوره النساء- الآیه: 59

للقائد عيسى للأمير و هران، لروزبه الفارسى للملک أبى كاليجار. لأبى الحسن النجار، للفضل الرقاشى، للقائد شبل بن المكرم، لأبى الفضل القرشى، للأمير حسان، لجوشن الفزارى للأمير هلال النبهانى، لأبى مسلم الخراسانى، لأبى العز النقيب، لعوف القنانى، للحافظ الكندى، لأبى على النوبى، لسلمان الفارسى رضى الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى قال له صلى الله عليه و سلم: «سلمان منا أهل البيت» للامام الظاهر التقى النقى على سلام الله عليه، و حمل إليه السلطان من الملابس لأجل ذلک ما يليق بجلاله(1).

و فى الليله الثانيه حضر رسل الملک بركه إلى القلعه و ألبسهم الخليفه تفويض الوكاله للأتابک، و حمل إليهم من الملابس ما يليق بمثلهم.

و لما كان يوم الجمعه ثامن عشرى شعبان، خطب الخليفه بحضور رسل الملک بركه، و دعا للسلطان و للملک بركه، و صلى بالناس و اجتمع بالسلطان، و بالرسل و تحدثوا فى مهمات الاسلام.

و فى يوم المبايعه أفرج الملک الظاهر عن الأمير علاء الدين طيبرس، ثم قبض عليه لما نزل من الطور، و حبسه بقلعه القاهره ثانيه.

و فيها فى العشر الأول من صفر جمع تكفور صاحب سيس جمعا كبيرا و رجلا، و خرج من سيس، و أغار على بلد الجومه، إلى بلد العمق، و جبل ليلون، و معره مصرين، و سرمين، و الفوعه، و كان دليله رجل من أهل الفوعه، يعرف بابن ماجد، فأخذ من الفوعه، ثلاثمائه و ثمانين نفرا، و كبس سرمين، و كان بها من الأمراء المجردين: بهاء الدين الخضر الحميدى، و ركن الدين عيسى السروى، و علم الدين قيصر الظاهرى، فانحازوا إلى دار الدعوه بسرمين، و اجتمع عليهم خلق كثير،

1- تختلف هذه السلسله عن التى قدمها ابن المعمار الحنبلى فى كتاب الفتوه- ط. بغداد 1958 ص 148. و كان الخليفه المستنصر المبايع قبل هذا قد ألبس الملک الظاهر لباس الفتوه سنه 659 ه.

و حاصروهم بها، ثم إن ركن الدين عيسى السروى ركب و أركب الأمراء المذكورين، و فتح باب دار الدعوه، و خرج ثم حمل فيهم فصادف فى حملته صاحب سيس، و لم يعرفه فرماه من جواده، فتفللت لأجله عزائم أصحابه، فولوا هزيمه لا يلوى أحد منهم على صاحبه، و تخلص ممن كان معهم من الاسراء جماعه كبيره.

ذكر توجه الملک الظاهر إلى الشام و قبضه على الملک المغيث صاحب الكرک

برز الملک الظاهر يوم السبت سابع ربيع الآخر إلى مسجد التبر، و أقام به إلى عاشر الشهر، و رحل يوم الخميس حادى عشره، و لما وصل إلى غزه وفد عليه فى السابع و العشرين من الشهر والده صاحب الكرک شافعه فى ولدها، فأقبل عليها و أكرمها، و أذن لها فى العود فعادت، ثم رحل إلى الطور يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى، و جاء من الأمطار ما منع السابله، فغلت الأسعار، و لحق العسكر مشقه عظيمه و الملک الظاهر يرسل الرسل إلى صاحب الكرک يطلبه و هو يسوف خوفا من القبض لما أسلفه من الأفعال الذميمه منها رساله سيرها على لسان الأمجد رسوله أساء فيها الأدب، و منها كتبه إلى التتر يحرضهم على قصد البلاد، و مما ثبطه كتب وصلت إليه من أمراء كانوا مع الملک الظاهر يحذرونه الوصول إليه، و يعرفونه أنه عازم على قبضه، فوقف عليها و سيرها إلى الملک الظاهر، فسير إليه فى الجواب: إنى أنا أمرتهم بذلک لأتحقق ما فى نفسک، فخرج من الكرک خائفا، و لما وصل بالقرب من العسكر ركب الملک الظاهر لتلقيه، فأراد أن يترجل فمنعه الملک الظاهر و سايره إلى باب الدهليز، فدخل الملک الظاهر، و عدل بالملک المغيث إلى خركاه و احتيط عليه، و بعث به إلى قلعه القاهره صحبه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى السلحدار يومئذ فوصل به ليله الأحد خامس عشر جمادى الآخره، فكان آخر العهد به.

و لما قبض عليه ظهر فى وجوه بعض الأمراء كراهيه ذلک، فأحضر الملک الظاهر الأمراء، و الملک الأشرف صاحب حمص، و كان قد وفد عليه، و قاضى القضاه بدمشق، و كان قد استدعاه، و الشهود و رسل الفرنج، و أخرج إليهم كتب الملک المغيث إلى التتر يحرضهم على قصد البلاد، و كتب التتر إليه أجوبه منها مضمونه شكر هولاكو منه، و اعتزاؤه إليه، و يعده بوعود حسنه و يقول له: قد أقطعتک من بصرى إلى غزه، و قد عرفت ما أشرت إليه من طلب عشرين ألف فارس نسيرها تفتح بها مصر، و يعده بإرسالها إليه، و يوصيه بأمور جمه، ثم أخرج فتوى الفقهاء بأنه لا يحل ابقاؤه على هذا الوجه، فعذروه حينئذ، و كان أوكد الأسباب فى القبض عليه أن رسولا ورد عليه من التتر، فاتصل ذلک بالملک الظاهر، فبعث إليه بدر الدين لؤلؤ السعدى أحد المماليک البحريه، و طلبه فأنكره فتوعده و تهدده فأظهره، و حمل إلى الملک الظاهر، و أخذ يعده و يمنيه حتى أخبره بما جاء فيه، و هو أن هولاكو سيره إليه ليكشف حاله، و كتب الجواب و أخرجه، فلما وقف عليه الملک الظاهر أخذ خطوط الفقهاء بوجوب قتله، ثم توجه إلى الكرک، و كاتب من فيه بتسليمه فوقع الاتفاق على ان يؤمر الملک العزيز عثمان بن الملک المغيث على مائه فارس، و تسلم الكرک يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الآخره، و دخله ثالثه نهار الجمعه، ثم قصد الديار المصريه، و استصحب أولاد الملک المغيث، و حريمه، فلما حل بمصر أمر ولده كما تقرر، و أنزله فى دار القطبيه بين القصرين، و كان وصوله إلى الديار المصريه يوم السبت سادس عشر شهر رجب.

و فى يوم الاثنين الثامن و العشرين منه قبض الملک الظاهر على الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، و الأمير عز الدين أيبک الدمياطى، و الأمير شمس الدين آقوش البرلى و حبسهم بقلعه الجبل.

و فى حادى عشر شهر رجب وصل إلى الديار المصريه رسولان من

عند الملک برکه و هما جلال الدین ابن قاضی دوقات، و الشیخ علی الترکمانی، و کان وصولهما من الاسکندریه، وصلاها من بلاد الأشکری، و ذلک أنهما خرجا من سقسین مدینه برکه فی نهر أتل إلی بحر سوداق، و رکبوا فیه إلی خلیج القسطنطینیه إلی البحر الکبیر، فسلکاه إلی الإسکندریه، و مضمون الرساله: أنت تعلم أنی محب لهذا الدین، و هولاکو قد تعدی علی المسلمین، و استولی علی بلادهم، و قد رأیت أن تقصده من جهتک، و أقصده من جهتی، و نصدمه صدمه واحده، فنقتله أو نطرده عن البلاد، و متی کانت واحده من هاتین أعطیتک ما کان فی یده من البلاد التی استولی علیها، فشکر له الملک الظاهر ذلک، و بعث إلیه هدیه سنیه مع رسول یستصوب هذا الرأی.

و فی أواخر شهر رجب، وصلت طائفه کبیره من التتر مستأمنین، و هی الطائفه الثانیه، ثم وصلت طائفه أخری کبیره منهم، و مقدمها کرمون، فخرج الملک الظاهر لتلقیهم و أنعم علیهم بالإقطاعات و غیرها.

و فی شعبان خلع الملک الظاهر علی الأمیر جمال الدین موسی بن یغمور، و فوض إلیه الأستاذداریه.

و فی سادس عشر شهر رمضان جهز الملک الظاهر من الدیار المصریه لعماره مسجد رسول الله صلی الله علیه و سلم: صناعا، و آلات، و أخشابا فطیف بها مصر و القاهره، و سوفر بها فی العشر الأوسط من شوال.

و فی رمضان زلزلت الموصل زلزله عظیمه بحیث انشق الشط الذی یمر بضیعه دار بتیا نصفین، و خربت أکثر دورها.

و فی سادس شوال توجه الملک الظاهر إلی الاسکندریه، و عاد إلی مصر فی ثامن عشر ذی القعده، و بعد ذلک تقدم بعزل ناصر الدین أحمد ابن المنیر قاضی الاسکندریه و خطیبها، فولی عوضه فی القضاء برهان الدین إبراهیم بن محمد علی البوشی المالکی، و کان خاملا بمصر، متواضعا فقیرا، فخلع علیه، و أعطی بغله فتوجه إلیها.

[أحداث]رب جرت بين بركه و هولاكو

لما قتل هولاكو رسل بركه و سحرته، جمع عسكرا من سائر الآفاق التى استولى عليها، و رحل من علا دار، و وصل إلى دمر قانو، و قطر نهر كوثا، فصادف عسكرا لبركه فأوقع به و أقام خمسه عشر يوما، فجمع بركه عساكره و قصده فالتقى به، و تقاتلا فكانت الدائره على هولاكو، و قتل من أصحابه خلق كثير، و غرق منهم فى النهر المذكور أكثر مما قتل، و نجا هولاكو بنفسه فى شرذمه قليله، فلما رأى بركه كثره القتلى بكى، و قال: يعز على أن أرى المغل تقتل بسيوف بعضهم بعضا، لكن كيف الحيله فى من غير ياسه جنكيز خان، و لما عاد هولاكو مهزوما مر ببلاد أران، فوجد طائفه من أصحاب بركه بنواحى شروان و شماخى، فأوقع بهم، و لما وصل أردوه استشار كبراء دولته فى جمع عسكر ليقصد به بركه فثبطوه.

و فى شهر رمضان جهز الملك الظاهر رسل بركه، و بعث معهم عماد الدين عبد الرحيم العباسى، و الأمير فارس الدين آقوش المسعودى، و جهز معهما هديه سنيه جليله المقدار و فيها من الحيوان الغريب وجوده فى تلك البلاد: خدام حبش، و جوارى طبلخانات، و زرافه، و قرود، و هجن، و خيل عربيه، و حمير مصريه، و حمير وحشيه، و غير ذلک، و مشاعل فضه، و شمعدانات فضه، و حصر عبدانيه، و أمتعه اسكندرانى، و ثياب من عمل دار الطراز، و سكر نبات، و بياض، و غير ذلک مما لا يحصى كثره، و ضمن الرساله الدخول فى الإيليه، و الطاعه و طلب المعاضده على هولاكو، على أن يكون له من البلاد التى تؤخذ من يده مما يلى الشام نصيب، فلما وصلوا القسطنطينيه وجدوا الباسلوس كرميخائيل صاحبها غائبا فى حرب كانت بينه و بين الفرنج، فلما بلغه وصولهم طلبهم فساروا إليه عشرين يوما فى عماره متصله، و اجتمعوا به فى قلعه أكشاشا، فأقبل عليهم، و وعدهم بالمساعده، و وافوا عنده رسلا من هولاكو، فاعتذر عن تأخير توجههم لخوفه من اطلاع هولاكو على

ما وصلوا بسببه، ثم أمرهم بالرجوع إلى القسطنطينيه، و المقام بها حتى يعود، و يجهزهم و لم يزل يمطلهم سنه و ثلاثه أشهر، فبعثوا إليه: و لم يمكنک المساعده على توجهنا فلتأذن فى الرجوع، فأذن للسيد عماد الدين بمفرده و اعتذر من منعهم من التوجه لكونه بعيدا عن بلاده المجاوره لمملكه السلطان ركن الدين، و أنه متى سمع أنى مكنت صاحب مصر من التوجه إلى بركه توهم انتقاض الصلح بينى و بين هولاكو، فيسارع إلى نهب ما جاوره من بلادى و ما أنا قريب منها حتى أذب عنها، فعاد عماد الدين، و تأخر الفارس مده سنتين حتى هلک أكثر ما كان من الحيوانات و فسد غيرها.

و فى أثناء هذه المده قصدت عساكر بركه القسطنطينيه، و أغارت على أطرافها، و هرب الباسلوس من القلعه التى كان فيها إلى القسطنطينيه، و بعث بالفارس إلى مقدم عسكر بركه يعلمه أن البلاد فى عهد الملک الظاهر و صلحه، و أن بركه فى صلح من صالحه، و عهد من عاهده، فطلب منه أن يكتب له خطه بذلک فكتب و كتب أيضا أنه يقيم باختياره بمنع التوجه لأنه أنكر عليه طول المقام، فرحل العسكر، و استصحب معه السلطان عز الدين، و كان محبوسا فى قلعه من قلاع قسطنطينيه، فأخرجوه منها كما تقدم، ثم إن الباسلوس جهز الفارس إلى بركه، و بعث معه رسولا من جهته برساله ضمنها أن يقرر على نفسه مما يحمله كل سنه ثلاثمائه ثوب أطلس على أن يكون معاهدا و مصالحا له، و مدافعا عن بلاده صاحب زعوراء، فتوجه الفارس إلى بركه، فلما اجتمع به سأله عن تأخره حتى هلک أكثر ما كان معه فاعتذر أن صاحب القسطنطينيه منعه، فأخرج له خطه بما كتب لمقدم عسكره، ثم قال: أنا ما أواخذک لأجل الملک الظاهر، و هو أولى من واخذک على كذبک و إفساد ما بعثه معک.

و كتب السلطان عز الدين إلى الملک الظاهر يعرفه بما صدر عن الفارس

من التقصير، و كونه رحل عسكر بركه عن صاحب القسطنطينيه بما أوهمه من كون البلاد فى عهد الملک الظاهر، و كان قادرا على أن يأخذ منه فى مقابله ترحيله عنه قيمه ما فسد من الهديه لإضطراره إلى ذلک، فلما قفل الفارس والى مصر، و اجتمع بالسلطان نقم عليه ما فعله، و قبض عليه و أخذ منه ما كان وصل معه من البضائع و قيمتها أربعون ألف دينار، و كان وصوله فى جمادى الآخره سنه خمس و ستين.

و فيها خلّق المقياس، و كسر الخليج يوم الاثنين ثالث عشر شوال سنه إحدى و ستين، و انتهت الزياده إلى ثلاث عشره إصبعا من ثمان عشر ذراعا، و كان الملک الظاهر بالاسكندريه، فخلف عنه الأمير عز الدين أيدمر الحلبى نائب السلطنه بالقاهره.

فصل [فى الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى

رید افرنس و اسمه لویس [التاسع]

و هو من أجل ملوک الفرنج و أعظمهم قدرا، و أوسعهم مملكه، و أكثرهم عساكر و أموالا، و بلادا، و كان قصد الديار المصريه، و استولى على طرف منها، و ملک دمياط فى سنه سبع و أربعين، و اتفق موت الملک الصالح نجم الدين، فقام بتدبير الأمور و تقدمه العساكر الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فاستشهد، ثم حضر الملک المعظم توران شاه ابن الملک الصالح، فقتل على ما هو مشهور، و قدر الله تعالى مع هذه الأسباب التى يوجب بعضها استيلاء الفرنج على الديار المصريه بجملتها، بل على البلاد بأسرها، ثم إن الله تعالى خذل الفرنج و أهلكهم، و رزق المسلمين النصر من حيث لم يحتسبوا، فأسر رید إفرنس، و بقى أياما كثيره بيد المسلمين، ثم أطلق بعد تسلم دمياط من الفرنج، و توجه إلى بلاده، و فى قلبه ما فيه مما جرى عليه من ذهاب أمواله و رجاله و أسره، فبقى فى بلاده، و نفسه تحدثه

بالعود إلى الديار المصريه و أخذ ثأره، فجمع جموعا عظيمه، و اهتم اهتماما كثيرا لذلک فى مده سنين إلى سنه ستين و ستمائه، عزم على التوجه إليها فقيل له: إنک إن قصدت ديار مصر ربما يجرى لک مثل ما جرى فى المره الأولى، و الأولى أن تقصد تونس من بلاد إفريقيه، و كان ملكها يومئذ محمد بن يحيى بن عبد الواحد و يلقب المستنصر بالله، و يدعى له على منابر إفريقيه بالخلافه، فإنک إن ظهرت عليه، و ملكت إفريقيه، تمكنت من قصد الديار المصريه فى البر، و البحر، فأصغى إلى هذا الرأى، و قصد تونس فى عالم عظيم و نازلها، و كاد أن يستولى عليها، و كان معه جماعه من الملوک، فأوقع الله تعالى فى عسكره وباء عظيما، فهلک ريد افرنس و جماعه من الملوک الذين معه بظاهر تونس فى هذه السنه، و رجع من بقى منهم إلى بلادهم بالخيبه، و وصلت البشرى بذلک إلى الملک الظاهر ركن الدين رحمه الله، فكتب إلى سائر بلاده بها.

و كانت نوبه المنصوره المشار إليها من أعظم الوقائع، و أجلها، نصر الله فيها الاسلام، و تداركه بلطفه و رحمته، فلا بأس بشرح الحال فيها على وجه الإجمال، فقد يقف على هذه الترجمه من لم يطلع على تفصيل الحال فى ذلک فتتوق نفسه إلى الإطلاع عليه، و كانت الفرنج جمعوا و حشدوا و قصدوا دمياط فى عدد عظيم، و جماعه من ملوكهم فى سنه ثمانى عشره و ستمائه، و نزلوا دمياط، و نازلوها و ضايقوها قريب سنه، ففنيت أزواد أهلها و مات أكثرهم فى الحصار من وباء حصل لهم، فتسلموها و الملک الكامل نازل بالمنصوره و ما حولها، و لا يمكنه مهاجمتهم لكثرتهم و شده بأسهم، و كان نزول الفرنج قباله دمياط يوم الثلاثاء ثانى شهر ربيع الأول سنه خمس عشره و ستمائه، ثم نزلوا البر الشرقى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعده من السنه المذكوره، و أخذ الثغر المذكور يوم الثلاثاء السادس و العشرين من شعبان سنه ست عشره و ستمائه، و استعيد منهم ثغر دمياط المذكور يوم الأربعاء تاسع

عشر شهر رجب سنه ثمانى عشره و ستمائه، و مده نزولهم على دمياط و تملكهم لها و إلى أن انفصلوا عنها ثلاث سنين، و ثلاثه أشهر و سبعه عشر يوما.

و من الاتفاق العجيب نزولهم عليها يوم الثلاثاء و إحاطتهم بها يوم الثلاثاء، و ملكهم لها يوم الثلاثاء، و قد جاء فى الآثار: «إن الله تعالى خلق المكروه يوم الثلاثاء»، و لما ملک الفرنج دمياط قالوا: هذه البلاد ليس لنا بها خبره، و لا نعرف طرقها و مسالكها لا فى البر، و لا فى البحر يعنون النيل، و ما ينبغى لنا أن نغرر بأنفسنا، و نخرج إلا على بصيره، فاتفق رأيهم على أن جهزوا بعض ملوكهم الأكابر رسولا، و كان خبيرا بالحروب فطنا مجربا، و سيروا جميع من معه من الخدم و الحاشيه، و الغلمان و غيرهم خياله من أعيان فرسانهم، و أولى البصائر منهم، و قد غيروا زى الجميع و كان مقصودهم أن يكشفوا البلاد، و يسلكوها و يخبروا طرقها، ليبقى لهم بذلک أنسه، فجاء الرسول إلى الملک الكامل و قال له: الملوک و المقدمون يسلموا عليک، و قالوا: مقصودهم القدس، و إنما قصدوا هذه البلاد ليأخذوها، و يتوصلوا بها إلى القدس، فأنت تسلم إليهم القدس، و تأخذ دمياط فأجابهم إلى ذلک، و عادوا بالجواب بعد أن أقاموا عنده أياما، و ليس قصدهم إلا كشف البلاد لا غير، ثم جاء رسول آخر بالشرح فى تقرير هذه القواعد، و اشتراطات تقتضى المراجعه، و تكرر ترداد الرسل، و لم يزالوا على هذا المنوال، و كل رسول يحضر لا يعود بنفسه و لا أحد ممن معه إلى أن لم يبق من أعيانهم من لا حضر، و رأى البلاد، و خبرها حسبما أمكن، فلما بلغوا مقصودهم من ذلک حضر رسول يطلب تسلم ما تقرر، فقال الملک الكامل: سيروا نوابكم يتسلموا القدس و سلموا لنا دمياط، فقال الرسول: و الكرک، قال الملک الكامل و الله هذا ما سمعته إلى الآن، و بعد فالكرک ليست لى و لا بحكمى، الكرک لأخى الملک المعظم، و لو رمت أن أراها بعينى ما

مكننى منها، و القدس له أيضا و لكنى استطلقه منه، فانفصلوا على غير شى ء، و قد حصل مقصود الفرنج من رؤيه البلاد و كشفها بهذه الحيله.

و قال الشيخ شمس الدين أبو المظفر: لما أخذت دمياط كان الملک المعظم عند الملک الكامل، فبكيا بكاء شديدا، و تأخرت العساكر عن تلک المنزله ثم قال الكامل للمعظم: قد فات ما ذبح، و جرى المقدور بما هو كائن، ما فى مقامک هاهنا فائده، و المصلحه أن تنزل إلى الشام تشغل خواطر الفرنج، و تستجلب العساكر من الشرق، فعاد إلى الشام، و نازل قيساريه، و فتحها عنوه، و فتح غيرها من حصون الفرنج، و هدمه و عاد إلى دمشق بعد أن أخرب بلاد الفرنج، و كان الملک الكامل كثير الحزم و التثبت و التأنى لا يرى المخاطره و المغافصه ما لم يكن على ثقه من قوته، و يغلب على ظنه الظفر غلبه تقرب من اليقين، فسير إلى إخوته: الملک الأشرف، و الملک المعظم يستنجد بهم فجاؤوه بالعساكر، فلما بلغ الفرنج ذلک ضعفت أنفسهم، و قالوا: نحن جئنا نقاتل الملک الكامل و فينا له و لعسكره أما إذا اجتمع هو و إخوته، فلا و اتفق أن الفرنج أرادوا مناجزته قبل وصول النجد، فخرجوا بفارسهم و راجلهم و أرسوا إلى بعض الترع، و كان النيل زائدا جدا، ففتح المسلمون عليهم الترع من كل مكان، و احدقت بهم عساكر الملک الكامل، و هم فى الوحل لا يقدرون على السلوک، و لم يبق لهم وصول إلى دمياط، و جاء اسطول المسلمين فأخذوا مراكبهم، و منعهم من أن تصل إليهم ميره من دمياط، و كانوا خلقا عظيما، و انقطعت اخبارهم عن دمياط، و كان فيهم مائه كند و ثمانى مائه من الخياله المعروفين، و ملک عكا، و نائب البابا و جماعه من الملوک، و من التركبليه، و الرجاله ملا يحصى، فلما عاينوا الهلاک أرسلوا إلى الملک الكامل يطلبون منه الصلح و الرهائن، و يسلمون دمياط فقال الملک الكامل للرسول: ما أفعل أصالحهم، و هم فى قبضتى و آخذهم برقابهم، فقال له الرسول و كان من ملوكهم: ما كأنک تدرى ما تقول

هؤلاء ملوک الفرنج، و فرسانهم و شجعانهم يسلمون أنفسهم إليک الا بعد أن يقتل کل واحد منهم واحدا من عسکرک أو کل اثنين واحد، أو کل ثلاثه واحدا، أو کل أربعه واحدا، أو کل خمسه واحدا، فإذا قتلوا من عساکرک بمقدار خمسهم من يبقى معک؟ فعلم الملک الکامل أن الصواب معه، مع ما کان يراه من المسالمه، و عدم المغافصه و المخاطره، فأجابهم إلى الصلح، و وصل الملک الأشرف، و الملک المعظم فى ذلک الوقت جرائد ليسلموا دمياط، و يحضر عنده ملوکهم، و نصوا على الملک الأشرف فى الرهينه، فقال الملک الکامل: الملک الأشرف أکبر منى قدرا و أکثر بلادا و قلاعا و عساکر، و قد ترک مملکته و جاء بنفسه لنصرتى، کيف يسعنى أن أخاطبه فى مثل ذلک، و لکن أنا أسير لکم ولدى و ابن أختى، فسير لهم الملک الصالح نجم الدين، و ابن اخته شمس الملوک، و جاء سائر ملوکهم إلى الملک الکامل فالتقاهم و أنعم عليهم، و ضرب لهم الخيام، و جلس لهم مجلسا عظيما فى خيمه عاليه، و دهليز هائل، و أعد سماطا عظيما، و أحضر ملوک الفرنج و کنودهم و أعيانهم، و وقف الملک الأشرف و الملک المعظم فى خدمته، و قام شرف الدين راجح الحلى الشاعر فأنشد قصيده امتدحه بها من جملتها:

هنيئا فإن السعد راح مخلداو قد أنجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا إله الخلق فتحا بدا لنامبينا و إنعاما و عزا مؤبدا

تهلل وجه الدهر بعد قطوبه و أصبح وجه الشرک بالظلم أسودا

و لما طغا البحر الخضم بأهله الطغاه و أضحى بالمراکب مزبدا

أقام هذا لهذا الدين من سل عزمه صقيلا کما سل الحسام مجردا

فلم ينج إلا کل شلو مجدل ثوى منهم أمن تراه مقيدا

و نادى لسان الکون فى الارض رافعاعقيرته فى الخافقين و منشدا

أعباد عيسى إن عسى و حزبه و موسى جميعا يخدمون محمدا

من أبيات،

و وقع الصلح بين الملک الکامل و الفرنج يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب، و سار بعض الفرنج فی البر، و بعضهم فی البحر إلی عکا، و تسلم الملک الکامل دمياط، و وصلت العساکر الشرقيه و الشاميه بعد تسلم دمياط، فهذه خلاصه نوبه دمياط الأولی.

و ذکر القاضی جمال الدين محمد بن واصل أن الفرنج نازلوها سنه خمس عشره، و ملکوها سنه ست عشره و ستمائه، و الأصح أن الواقعه سنه ثمانی عشره و ستمائه و الله أعلم.

و أما عن نوبه دمياط الآخره فإن ريد افرنس مقدم الأفرنسيسيه من الفرنج و هو المشار إليه فی أول هذه الترجمه خرج من بلاده فی جموع عظيمه طامعا فی الديار المصريه، و تملکها و شتا بجزيره قبرص سنه ست و أربعين، و کان أعظم ملوک الفرنج و اشدهم بأسا، متدينا بدين النصرانيه، مرتبطا به، فحدثته نفسه أن يستعيد البيت المقدس، و علم أن ذلک لا يتم له إلا بتملک الديار المصريه، فقصدها سنه سبع و أربعين، و کان جمعه يزيد علی خمسين ألف، و قيل کان يزيد علی مائه ألف بکثير، و بلغ الملک الصالح نجم الدين ما عزم عليه من قصد الديار المصريه، فأخذ فی جمع الذخائر و الأقوات و الزردخاناه، و آلات الحرب بدمياط، و استکثر من ذلک، و هيأ الشوانی بالصناعه و عمرها بالرجال و العدد، و أمر الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أن ينزل علی جيزه دمياط فی العساکر، مقدما عليها، فنزل بها و بينه و بين دمياط بحر النيل، و أقام الملک الصالح بأشمون طناح، فلما کان ثانی ساعه من نهار الجمعه لتسع بقين من صفر سنه سبع و أربعين، وصلت مراکب الفرنج، و فيها جموعهم العظيمه، و قد انضم إليهم فرنج الساحل فأرسوا بازاء المسلمين.

و فی يوم الجمعه ثانی يوم نزولهم شرعوا فی الخروج إلی البر الذی فيه المسلمون، و ضربت خيمه عظيمه حمراء لريد افرنس، و ناوشهم بعض المسلمين، فاستشهد فی ذلک اليوم الوزيری، و هو من أمراء الديار

المصريه، و الأمير نجم الدين بن شيخ الاسلام، و كان رجلا صالحا رحمهما الله، فلما أمسى المسلمون رحل بهم الأمير فخر الدين، و قطع بهم الجسر إلى البر الشرقى الذى فيه دمياط، و خلا البر الغربى للفرنج، ثم رحل بالعساكر طالبا أشمون طناح، و خلا البر الشرقى و الغربى من عساكر المسلمين، فخاف أهل دمياط على أنفسهم، و كان بها جماعه شجعان من الكنانيه، فألقى الله فى قلوبهم الرعب، فخرجوا و أهل دمياط على وجوههم طول الليل، و لم يبق بدمياط أحد البته، و رحلوا تحت الليل مع العسكر هاربين إلى أشمون طناح، و لو غلقوا أبوابها و أقاموا بها مع مشيئه الله لم يقدر العدو عليها، و لما كان صباح الأحد جاء الفرنج إلى دمياط فوجدوها صفرا من الناس و أبوابها مفتحه، فملكوها صفوا عفوا، و احتووا على ما فيها من العدد و الأسلحه و الذخائر و الأقوات و المجانيق فلما وصلت العساكر و أهل دمياط إلى الملک الصالح حنق على الكنانيين، فشنقهم جميعهم، و كان فيهم شيخ له ابن فسأل أن يشنق قبل ولده لئلا يراه فحمل الملک الصالح ما عنده من الجبروت، و قله الرحمه و الحنق على أن شنق الولد قبل والده و عينه تراه، ثم شنق والده بعده، و عظم على الناس شنق الكنانيين و أطلقوا ألسنتهم بسب الملک الصالح، و كونه تزود بدمائهم و هو فى آخر رمق، و قد يئس من نفسه و لم يمكنه أن يقول للأمير فخر الدين، و بقيه العسكر شيئا لقوه مرضه و عجزه، ثم رحل الملک الصالح بالعساكر إلى المنصوره و هى شرقى النيل، فنزل بقصرها الذى أنشأه الملک الكامل بها، و ضرب دهليزه إلى جانبه و كان استقراره بالمنصوره يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر، و شرعت العساكر فى تجديد الأبنيه، و قامت بها الأسواق و أصلح السور الذى كان على البحر، و ستر بالستائر، و جاءت الشوانى و الحراريق بالعدد الكامله و المقاتله، فأرسوا قدام السور، و حضر من الرجاله و الغزاه المطوعه و العربان من سائر النواحى خلق لا يحصون، و شرع العربان فى الاغاره على الفرنج، و حصن الفرنج أسوار دمياط، و شحنوها بالمقاتله و فى كل وقت يحضر المسلمون

جماعه أسرى من الفرنج، و اتفقت وفاه الملک الصالح فی حدود منتصف شعبان سنه سبع و أربعین، فلما تحقق الفرنج موته رحلوا بجملتهم من دمیاط و شوانیهم تحاذیهم فی البحر، و نزلوا علی فارس کور، ثم تقدموا منها مرحله، و ذلک یوم الخمیس لخمس بقین من شعبان، و لما کان یوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان وقع بین المسلمین و الفرنج وقعه استشهد فیها جماعه من الجند و غیرهم، و فی یوم الأحد عشر شهر رمضان وصلت الفرنج طرف جزیره دمیاط و هی المنزله التی نزلوها فی أیام الملک الکامل، و انتصر المسلمون علیهم فیها، و المسلمون قباله الفرنج، و بینهم النیل و خندق الفرنج علی أنفسهم، و أداروا علیهم سورا و ستروه بالستائر، و نصبوا المجانیق یرمون بها المسلمین، و أرست شوانیهم بإزائهم فی النیل و شوانی المسلمین بإزاء المنصوره، و نشب القتال بین الفریقین برا و بحرا، و کل یوم یقتل من الفرنج و یؤسر جماعه، و فی یوم الأربعاء لسبع مضین من شوال أخذ المسلمون من الفرنج شینیا فیه مائتا رجل و کند کبیر، و فی یوم الخمیس منتصف شوال رکبت الفرنج و المسلمون، و دخل المسلمون إلی برهم و اقتتلوا قتالا شدیدا، فقتل من الفرنج أربعون فارسا، و فی یوم الخمیس لثمان بقین من شوال أحرق المسلمون للفرنج مرمه عظیمه فی البحر، و استظهر علیهم المسلمون استظهارا بینا.

و من غریب ما حکی أن شخصا من المسلمین دخل عسکرهم، و معه فرس یقصد بیعه علیهم، فمر بشخص فی خیمه و بین یدیه جماعه غلمان، فطلبه إلیه و قال له بلسان ترجمانه: تبیع هذا الفرس؟ قال: نعم فقال لغلامه خذه منه فأخذه و أحضر جرابین ملأنه دراهم ففرغها بین یدیه و قال له: خذ ثمن فرسک، قال: ما الذی آخذ؟ قال: خذ ما تختار إلی أن ترضی، فأخذت قریب خمسه الآف درهم، و لعل فرسه لا یساوی ثمانی مائه درهم فقال: رضیت؟ قال: نعم، قال: اذهب بمالک، فلما أبعد رده، و قال له: نحن قد خرجنا من هذا البحر و معنا دراهم کثیره، و ذهب

كثير، ما لنا به حاجه، و ما معنا خيل، و نحن محتاجون إلى الخيل، فمن أحضر إلينا فرسا حكمناه فى الثمن كما رأيت، فخرج ذلک الرجل من عندهم، و أشهر هذا الأمر بين العربان و التركمان، و غيرهم، فجلب إليهم من الخيول بهذه الطريق فوق حاجتهم، و اشتروها بما اختاروا من الثمن فإن الخروج من عسكرهم بفرس خطر جدا و الدخول أسهل فما يبقى بعد الدخول بالفرس إلى عسكرهم إلا بيعه و لو بأقل الأثمان، و لما كان بكره الثلاثاء خامس ذى القعده ركب الفرنج و نزلوا بخيولهم فى مخاضه سلمون ببحر أشمون، دلهم عليها بعض المفسدين، و كبسوا عسكر المسلمين، فلم يشعر بهم المسلمون إلا و قد خلطوهم، و كان الأمير فخر الدين فى الحمام، فأتاه الصريخ فركب دهشا غير معتد و لا متحفظ، فصادفه جماعه من الفرنج فاستشهد إلى رحمه الله تعالى، و دخل ريد افرنس المنصوره، و وصل إلى قصر السلطان الذى على البحر، و تفرقت الفرنج فى أزقه المنصوره، و هرب كل من فيها من الجند و العامه و السوق يمينا و شمالا، و كادت شأفه الإسلام تستأصل، و أيقن الفرنج بالظفر، و اشتد الأمر و أعضل الخطب، فانتدب لهم جماعه من فرسان المسلمين و أولى البصائر، و حملوا عليهم حمله رجل واحد فزعزعوا أركانهم، و أخذتهم السيوف، فقتل منهم خلق كثير قريب ألفى و خمس مائه من فرسانهم، و صناديدهم، و شجعانهم، و لو لا ضيق مجال القتال لاستؤصلوا، و مضى من سلم إلى مكان يقال له جديله، و اجتمعوا به، و دخل الليل فضربوا عليهم سورا و خندقا، و أقامت طائفه بالبر الشرقى، و كانت هذه الواقعه مقدمه النصر، و ورد المنهزمون من المسلمين آخر النهار من ذلک اليوم إلى القاهره، و لا علم لهم بما تجدد من النصر و أخبروا بما شاهدوا من هجوم الفرنج المنصوره، فانزعج الناس، فلما طلعت الشمس من يوم الأربعاء وردت البشرى بالنصر، و زين البلدان و عظم السرور.

و لما استقر الفرنج بمنزلتهم كانت الميره تأتيهم من دمياط فى النيل، فعمد المسلمون إلى مراكب شحنوها بالمقاتله، و كانوا قد حملوها على الجمال إلى بحر المحله، و ألقوها فيه، و فيه ماء من أيام زياده النيل واقف، لكنه متصل بالنيل، فلما حاذت مراكب الفرنج و هى مقلعه من دمياط بحر المحله و فيه المراكب المكمنه بالمسلمين، خرجت عليها المراكب من بحر المحله، و وقع القتال بين الفريقين، و جاءت أساطيل المسلمين منحدره من جهه المنصوره، و التقى الاسطول و المراكب المكمنه و أحاطوا بهم و قبضوهم أخذا باليد، و كانت عده المراكب المأخوذه من الفرنج اثنين و خمسين مركبا، و قتل و أسر ممن فيها نحو ألف رجل، و أخذ ما فيها من الميره، ثم حملت الأسرى على الجمال، و قدم بهم العسكر، و انقطعت الميره بسبب ذلک عن الفرنج، و وهنوا وهنا عظيما، هذا و حجاره مجانيقهم تقع إلى جهه أساطيل المسلمين، و كان يوما مشهودا أعز الله فيه الإسلام و أوهى قوى أهل الشرک، و اشتد من يومئذ عندهم الغلاء، و عدمت الأقوات و بقوا محصورين لا يستطيعون المقام، و لا الذهاب، و طمع فيهم المسلمون.

و فى مستهل شهر ذى الحجه أخذ الفرنج من مراكب المسلمين التى فى بحر الحله سبع حراريق، و هرب من بها من المسلمين.

و فى يوم عرفه تاسع ذى الحجه خرجت شوانى المسلمين على مراكب وصلت للفرنج تحمل الميره، فالتقوا عند مسجد النصر، فأخذت شوانى المسلمين من مراكب الفرنج اثنين و ثلاثين مركبا، منها تسع شوانى فازداد عند ذلک ضعف الفرنج و وهنهم، و قوى الغلاء عندهم، و شرعوا فى مراسله المسلمين، و طلب الهدنه و أن يسلموا ثغر دمياط على أن يأخذوا عوضه بيت المقدس، و بعض الساحل، فلم تقع الإجابه إلى ذلک.

و فى يوم الجمعه لثلاث بقين من ذى الحجه أحرقت الفرنج أخشابهم كلها و أفنوا مراكبهم، و عزموا على الهرب إلى دمياط، و دخلت سنه ثمان

و أربعين، و هم على ذلک فلما كانت ليله الأربعاء لثلاث مضين من المحرم رحلوا بفارسهم و راجلهم إلى دمياط ليمتنعوا بها، و أخذت مراكبهم فى الانحدار فى النيل قبالتهم، فعدا المسلمون إلى برهم و ركبوا أكتافهم و اتبعوهم، و طلع الصباح من يوم الأربعاء المذكور و قد أحاط بهم المسلمون و أخذتهم سيوفهم، و استولوا عليهم قتلا و أسرا، و لم يسلم منهم إلا الشاذ، فبلغت عده القتلى يومئذ ثلاثين ألفا، و انحاز الملک ريد افرنس و الأكابر من أصحابه و الملوک إلى تل هناک، فوقفوا مستسلمين طالبين الأمان فأتاهم الطواشى محسن الصالحى فأمنهم، فنزلوا على أمانه، و احتيط عليهم و مضى بريد افرنس و بهم إلى المنصوره و ضرب فى رجل ريدافرنس القيد، و اعتقل فى الدار التى كان نازلا بها فخر الدين إبراهيم ابن لقمان كاتب الإنشاء، و وكل به الطواشى جمال الدين صبيح المعظمى و فى هذه الواقعه يقول جمال الدين يحيى بن مطروح رحمه الله:

قل للفرنسيس إذا جئته مقال حق عن قؤول فصيح

آجرک الله على ما جرى من قتل عباد يشوع المسيح

أتيت مصرا تبتغى ملكهاتحسب أن الزمر يا طبل ريح

فساقک الحين إلى أدهم ضاق به عن ناظريک الفسيح

و كل أصحابک أوردتهم بحسن تدبيرک بطن الضريح

خمسون ألفا لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير جريح

وفقک الله لأمثالهالعل عيسى منكم يستريح

إن كان باباكم بذا راضيافرب غش قداتى من نصيح

و قل لهم إن أضمروا عودهلأخذ ثأر أو لقصد صحيح

دار ابن لقمان على حالهاو القيد باق و الطواشى صبيح

و لما جرى ذلک رحل الملک المعظم توران شاه و العساكر إلى جهه دمياط، و نزل بفارس كور، و هو متراخ عن قصد دمياط و انتزاعها، و سير البشائر

إلى سائر البلاد بما تسنى من هذا النصر العظيم.

و اتفق قتل المعظم على الصوره المشهوره، فلا حاجه إلى شرحه، و الأمر على ذلک و استقر فى الأتابکیه و تقدمه العساکر الامیر عز الدین أیبک الترکمانى کما تقدم فى ترجمته، و السلطنه لشجر الدر، و شرعوا فى الحدیث مع رید افرنس فى تسلم دمیاط إلى المسلمین و کان المتحدث معه الامیر حسام الدین بن أبى على باتفاق الأتابک و الأمراء علیه، فجرى بینه و بین رید افرنس محاورات و مراجعات حتى وقع الاتفاق على تسلیم دمیاط، و أن یذهب بنفسه و من معه من الملوک و الأکابر سالمین.

و حکى الأمیر حسام الدین عنه أنه کان فظا عاقلا حازما، قال حسام الدین: قلت له فى بعض محاورتى له: کیف خطر للملک مع ما أرى من عقله و فضله و صحه ذهنه أن یقدم على خشب، و یرکب متن هذا البحر و یأتى إلى هذه البلاد المملوءه من عساکر الإسلام، و یعتقد أنه یحصل له تملکها، و فیما فعل غایه التغریر بنفسه و أهل ملته؟ فضحک و لم یحر جوابا، فقلت له: قد ذهب بعض فقهاء شریعتنا أن من رکب البحر مره بعد أخرى مغررا بنفسه و ماله إنه لا تقبل شهادته إذا شهد، لأنه یستدل بذلک على ضعف عقله، و من کان ضعیف العقل لا تقبل شهادته، فضحک و قال: لقد صدق هذا القائل و ما قصر فیما حکم به.

و لما وقع الاتفاق على تسلیم دمیاط أرسل رید افرنس إلى من بها من افرنج یأمرهم بتسلیمها إلى المسلمین، فأجابوا بعد امتناع و مراجعات بینه و بینهم، و دخل السنجق السلطانى دمیاط یوم الجمعه لثلاث مضین من صفر سنه ثمان و أربعین، و رفع على سورها و أعلن بها بکلمه الإسلام، و أفرج عن رید افرنس، و انتقل هو و أصحابه إلى الجانب الغربى، ثم رکب البحر غد هذا الیوم و أقلع هو و أصحابه إلى عکا، و أقام بالساحل مده، و عمر قیساریه، ثم رجع إلى بلاده، و کانت هذه النصره أعظم من النصره الأولى التى کانت فى الأیام الکاملیه، لکثره من قتل منهم، و أسر فى هذه المره، لله الحمد و المنه.

و إذ قد جرى ذكر الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فلا بأس بالتنبيه عليه كان رحمه الله أميرا كبيرا جليل المقدار، عالى الهمه فاضلا عالما، متأدبا جوادا، سمحا، ممدحا، خليقا بالملک، لما فيه من الأوصاف الجميله التى قل مشاركه فيها، و كان كريما إلى الغايه، كبير النفس، شجاعا، حسن التدبير و السياسه، محبوبا إلى الخاص و العام، مطاعا فى الجند و غيرهم، تعلوه الهيبه و الوقار، و أمه و أم إخوته ابنه شهاب الدين المطهر ابن الشيخ شرف الدين أبى سعد عبد الله بن أبى عصرون، و كانت أرضعت الملک الكامل، فكان أولادها الأربعه إخوته من الرضاعه، و كان يحبهم و يعظمهم و يرعى جانبهم و يقدمهم كثيرا، خصوصا الأمير فخر الدين، فإنه لم يكن عنده أحد فى مكانته لا يطوى عنه سرا، و يعتمد عليه فى سائر أموره، و يثق به وثوقا عظيما، و يسكن إليه ظاهرا و باطنا، و نال الأمير فخر الدين و إخوته من السعاده ما لا ناله غيرهم، و لما ملک الملک الصالح نجم الدين البلاد أعرض عن الأمير فخر ادلين و اطرحه و اعتقله، ثم أفرج عنه و أمره بلزوم بيته ثم ألجأته الضروره إلى ندبه فى المهمات، لما لم يجد من يقوم مقامه فجهزه إلى بلاد الملک الناصر داود رحمه الله، فأخذها على ما تقدم، و لم يترک بيده سوى مسور الكرک، ثم جهزه لحصار حمص، ثم ندبه لمقاتله الفرنج فاستشهد على ما ذكرناه، و كان الأمير فخر الدين معمها فى أول أمره، فألزمه الملک الكامل أن يلبس الشربوش و زى الجند، فأجابه إلى ذلک، فأقطعه منيه السودان بالديار المصريه، ثم طلب منه أن ينادمه، فأجابه إلى ذلک، فأقطعه شبرا، فقال ابن البطريق الشاعر:

على منيه السودان صار مشربشاو أعطوه شبرا عندما شرب الخمرا

فلو ملک الفرنج مصر و انعمواعليه ببيوس تنصر للأخرى

و قال فيه عماد الدين أخيه، كان يذكر الدرس بالمدرسه التى إلى جانب ضريح الشافعى رضى الله عنه:

ولد الشيخ فى العلوم و فى الإمره بالمال وحده و الجاه-

فأمير و الاقبال عليه و فقيه و العلم عند الله

و قال فى عماد الدين:

جاءنى الشافعى عند رقادى و هو يبكى بحرقه و ينادى

عمر قبتى لعمرى و لكن هدموا مذهبى بفقه العماد

و قال فيهم ابن عنين:

أولاد شيخ الشيوخ قالواألقابنا كلها محال

لا فخر فينا و لا عمادو لا معين و لا كمال

و لقد قالا غير الحق فإن أولاد الشيخ رحمهم الله كانوا سادات زمانهم، و كان لهم مع الاقطاعات مناصب دينيه منها: المدرسه التى بالقرافه إلى جانب قبه الشافعى رحمه الله عليه، و منها المدرسه التى إلى جانب مشهد الحسين رضى الله عنه بالقاهره، و منها خانقاه سعيد السعداء بالقاهره، و لم تزل هذه المناصب بأيديهم إلى أن ماتوا كلهم، و كانت بعد ذلک لولدى عماد الدين، و كمال الدين مده، ثم انتزعت منهما و لم يكن للأمير فخر الدين إلا بنت واحده، و كان الأمير فخر الدين ينظم و من شعره:

عصيت هوى نفسى صغيرا فعندمارمتنى الليالى بالمشيب و بالكبر

أطعت الهوى عكس القضيه ليتنى خلقت كبيرا و انتقلت إلى الصغر

و له:

إذا تحققتم ما عند صاحبكم من الغرام فذاک القدر يكفيه

أنتم سلبتم فؤادى و هو منزلكم و صاحب البيت أدرى بالذى فيه

و قال فى مملوک له توفى:

لا رغبه فى الحياه من بعدک لى يا من ببعاده تدانى أجلى

إن مت و لم أمت أسى و اخجلى من عتبک لى فى يوم عرض العمل

و كان قد قدم دمشق فنزل فى دار سامه، و كان يعانى الشراب، فدخل عليه الشيخ عماد الدين ابن النحاس، و كان يدل عليه، و له عنده مكانه كبيره، و قال له: يا فخر الدين إلى كم يشير إلى تناول الشراب، فقال له:

يا عماد الدين و الله لأسبقنک إلى الجنه إن شاء الله تعالى، فكان- و الله أعلم- كما قال، استشهد فخر الدين فى سنه سبع و أربعين، و توفى عماد الدين فى سنه أربع و خمسين، و قد ذكرناه هناک، و كان للأمير فخر الدين يوم استشهد ست و ستون سنه رحمه الله، و كان قد رأى قبل مقتله بأيام والدته فى المنام و هى تقول له: قد أوحشتنى و حملته على كتفها، فاستشعر من ذلک فقتل، ثم حمل من المعركه بقميص واحد، و جعل فى حراقه إلى القاهره و حمل من المقياس إلى الشافعى رضى الله عنه، فدفن عند والدته، و بكى عليه الناس، و كان يوما مشهودا، و عمل له العزاء العظيم فى غالب الأوقات، و مات و هو فى عشر الستين رحمه الله تعالى ...

[أحداث]بو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الأمير مجير الدين الازكشى الكردى الأموى

، كان من أعيان الأمراء و أكابرهم و شجعانهم، و كان له فى مصاف التتار فى عين جالوت اليد البيضاء، و الأثر العظيم، و لما قدم الملک المظفر قطز رحمه الله دمشق بعد الوقعه رتب الأمير علم الدين سنجر الحلبى نائبا عنه، و جعل الأمير مجير الدين المذكور مشاركا له فى الرأى و التدبير، و يجلس معه فى دار العدل، و أقطعه بالشام خبزا جليلا، فبقى مقيما بالشام إلى أن درج إلى رحمه الله تعالى فى تاسع عشرى شعبان بدمشق، و دفن بجبل قاسيون رحمه الله.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامه رحمه الله: و والده مات فى حبس

الملک الأشرف ابن الملک العادل ببلاد الشرق، هو و عماد الدین أحمد المشطوب رحمهما الله.

و إذ قد جری ذکرهما فلا بأس بشرح شی ء من خبرهما، کان الأمیر حسام الدین خشترین من أعظم أمراء الملک الظاهر بحلب، فلما توفی الملک الظاهر، و ترک ولده الملک العزیز صغیرا حصل الطمع فی بلاده لصغر سنه، فسیرت والدته الصاحبه، بنت الملک العادل باتفاق الأتابک شهاب الدین طغریل إلی الملک الأشرف، و استدعته فحضر إلی حلب، و اجتمع بأخته، و الأتابک شهاب الدین، فقررا معه القیام بنصره الملک العزیز، فأجاب إلی ذلک و أقام بحلب مده، و صار الحاکم المتصرف، فخاف الأمراء الظاهریه من إستیلائه و استقلاله، و قالوا: کیف العمل؟

فقال حسام الدین: دعونی و إیاه، فرکب یوما، و هم فی خدمته علی العاده، فلما عادوا إلی ظاهر البلد ترجل حسام الدین خشترین و وقف بین یدیه و قال: یاخوند هذا الیتیم، قد ضیقت علیه بمقامک فی حلب، و نشتهی أن تتوجه إلی بلادک، فما تحملک هذه البلاد، و منعه من دخول حلب، و ظهر للملک الأشرف أن ذلک باتفاق من سائر الأمراء، فلم یسعه إلا التروح عن حلب، و بقی فی قلبه من حسام الدین کونه تجاسر علیه بهذه المخاطبه و أوجهه بها، و اتفق أنه ظفر به بعد ذلک بمده فحسبه و ضیق علیه، فمات فی حبسه رحمه الله.

و أما عماد الدین أبو العباس أحمد بن الأمیر سیف الدین أبی الحسن علی بن أحمد ابن أبی الهیجاء بن عبد الله بن أبی الخلیل بن مرزبان الهکاری

، فکان أمیرا کبیرا جلیلا، شجاعا جوادا، واسع العطاء عالی الهمه یضاهی کبار الملوک فی کثره الحشم، و الغلمان، و الاتباع، تهابه الملوک، و له وقائع مشهوره فی الخروج علیهم، و کان؟؟؟

بالامیر الکبیر، ذلک علما علیه لا یشارکه فیه غیره، وجده أبو الهیجاء صاحب العمادیه و عده قلاع من بلاده الهکاریه، و کان سیف الدین کبیر

القدر عند السلطان صلاح الدين رحمه الله، و كتب إليه يخبره بولاده عماد الدين، و أن عنده امرأه أخرى حامل، فكتب القاضى الفاضل عن السلطان جوابه: وصل كتاب الأمير الأعلى الخبر بالولد الحال على التوفيق، و السائر كتب الله سلامته فى الطريق، فسررنا بالغره الطالعه من لثامها، و توقعنا المسره بالثمره الباقيه فى كمامها.

و كان سيف الدين فى عكا لما حاصرها الفرنج، فلما أخذوها و خلص وصل إلى صلاح الدين، و هو بالقدس يوم الخميس مستهل جمادى الآخره سنه ثمان و ثمانين و خمسمائه، فدخل عليه بغته، و عنده الملک العادل، فنهض إليه صلاح الدين، و اعتنقه و سر به سرورا عظيما، و أخلى المكان و تحدث معه طويلا.

و قال قاضى القضاه شمس الدين ابن خلكان رحمه الله: رأيت بخط القاضى الفاضل: ورد الخبر بوفاه الأمير سيف الدين المشطوب أمير الاكراد، و كبيرهم، و كانت وفاته يوم الأحد الثانى و العشرين من شوال سنه ثمان و ثمانين و خمسمائه بالقدس، و خبزه يوم وفاته نابلس و عبرتها:

ثلاثمائه ألف دينار، و كان بين خلاصه من أسره و حضور أجله دون مائه يوم، فسبحان الحى الذى لا يموت، و تهدم به بنيان قوم، و الدهر قاض ما عليه لوم.

قوله تهدم به بنيان قوم حل به بيت عبده بن الطيب فى مرثيه قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر من ثلاثه أبيات و هو الآخر منها:

عليک سلام الله قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن يترحما

تحيه من غادرته غرض الردى إذا زار عن شحط بلادک سلما

فما كان قيس هلكه هلک واحدو لكنه بنيان قوم تهدما

و أما الأمير عماد الدين فكان السلطان صلاح الدين أقطعه معظم خبز

والده بعد وفاته، و بقى إلى سنه ست عشره و ستمائه، فاتفق مع الملک الفائز سابق الدين إبراهيم ابن الملک العادل على الملک الكامل، و استحلف جماعه من العسكر، و كان مطاعا فيهم، و عرف الملک الكامل فرحل إلى اشمون، و عزم على التوجه إلى اليمن، و يئس من البلاد، و اطلع على ذلک الملک المعظم فقال له: لا بأس عليک، و ركب آخر النهار، و جاء إلى خيمه ابن المشطوب، و قال: قولوا لعماد الدين يركب حتى نسير، فأخبروه، فخرج من الخيمه بغير صباغات، و ركب و لحق الملک المعظم، فأبعد به عن العسكر، و قال له: الملک الأشرف قد طلبک، و هو محتاج إليک فتسير إليه الساعه، فقال: ما فى رجلى صباغات، فقلع الملک المعظم صباغاته و أعطاه إياها، و وكل به جماعه، و أعطاه خمس مائه دينار، و قال كل مالک يلحقک، و الله ما يضيع لک خيط واحد، و سار به الموكلون، و رجع الملک المعظم إلى خيمته، فوقف حتى جهز خيله و غلمانه و ثقله، و لم يبق له خيطا واحدا، و ساروا خلفه، و عاد الملک المعظم إلى دهليزه فحضر إليه الملک الكامل و قبّل رجله و شكره على ما فعل، و أما عماد الدين فوصل إلى حماه فأقام بها، فبعث له الملک الأشرف منشورا بأرجيش و غيرها، و سير إليه الخلع و الانعام، فسار إليه فأكرمه و أحسن إليه، فصار يركب بالشبابه، و يعمل فى السلطنه أعظم مما يعمل الملک الأشرف، ثم خامر على الملک الأشرف، و عاث فى بلاده، و ساعده صاحب ماردين ثم اتفق الملک الأشرف، و صاحب ماردين و اصطلحا.

فدخل عماد الدين تل أعفر، فسار إليه فارس الدين بن صبره من نصيبين، و بدر الدين لؤلؤ من الموصل فحضراه، و أنزله بدر الدين لؤلؤ بالأمان، و حمله إلى الموصل ثم بعده مده قريبه قيده و حمله إلى الملک الأشرف فألقاه فى الجب و بقى فيه إلى أن مات رحمه الله فى شهر ربيع الآخر سنه تسع عشره و ستمائه بحران، و بنت له ابنته قبه على باب مدينه رأس عين، و نقلته من حران إليها و دفنته بها رحمه الله، و كانت ولادته

فی سنه خمس و سبعین و خمسمائه تقدیرا، و لما کان فی السجن کتب بعض من کان متعلقا بخدمته إلی الملک الأشرف دو بیت و هو:

یا من بدوام سعده دار الفلک ما أنت من الملوک بل أنت ملک

مملوکک ابن المشطوب فی السجن هلک أطلقه فإن الأمر لله و لک

و لما کان فی السجن کتب إلیه بعض الأدباء:

یا أحمد مازلت عماد الدین یا أشجع من أمسک رمحا بیمین

لا تیأسن إن جعلت فی سجنهم ها یوسف قد أقام فی السجن بضع سنین

و هذا مأخوذ من قول البحتری من جمله أبیات:

أما فی رسول الله یوسف أسوهلمثلک محبوسا علی الظلم و الإفک

أقام جمیل الصبر فی السجن برههفآل به الصبر الجمیل إلی الملک

و قد رثی الأمیر جمال الدین أبو الطیب خشترین بن تلیل الحکمی الأمیرین المشار إلیهما عماد الدین، و حسام الدین رحمهما الله بقصیده طویله مطلعها:

نعی الناعی فأعلن فی النحیب ففت کبود شبان و شیب

نعی عیسی و أحمد فاستهلت غریبات الدموع من الغروب

[أحداث]لسنه الثانیه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه، و الخلیفه الحاکم بأمر الله، و ملوک الطوائف علی القاعده المستقره فی السنه الخالیه، خلا الملک الصالح رکن الدین اسماعیل صاحب الموصل، فإن التتر قتلوه، و استولوا علی الموصل.

متجددات السنه

فى أولها انتهت عماره المدرسه الظاهريه التى بين القصرين بالقاهره،

و رتب فى تدريس الإيوان القبلى القاضى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى، و فى تدريس الإيوان الذى يواجهه القاضى مجد الدين عبد الرحمن بن العديم و الشيخ شرف الدين الدمياطى لتدريس الحديث فى الايوان الشرقى، و المقرى ء كمال الدين المحلى فى الايوان الذى يقابله لاقراء القرآن بالروايات، و الطرق و رتب جماعه يقرؤون السبع بهذا الايوان أيضا بعد صلاه الصبح، و وقف بها خزانه كتب، و بنى إلى جانبها مكتبا لتعليم الأيتام، و أجرى عليهم الخبز فى كل يوم و كسوه الفصلين، و سقايه تعين على الطهاره و جلس للتدريس بهذه المدرسه يوم الأحد سادس عشر صفر، و حضر الصاحب بهاء الدين ابن حنا، و الأمير جمال الدين بن يغمور، و الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى، و غيرهم.

[تسلم الأمير بدر الدين بيليک العلائى حمص]

و فى صفر لما توفى الملک الأشرف صاحب حمص تسلم الأمير بدر الدين بيليک العلائى حمص عشيه الإثنين رابع عشره، ثم وصل بعد يومين بدر الدين يونس بن دلدرم الياروقى متوليا لها، و معه كمال الدين إبراهيم بن شيث، و للرحبه، و كان بها علاء الدين على الكرجاوى، و تدمر سلمت بعد شهرين من وفاه الملک الأشرف.

و فى صفر فوض الملک الظاهر قضاء القضاه بحلب و أعمالها إلى القاضى كمال الدين ابن الاستاذ على ما كان عليه، فتوجه من القاهره يوم الجمعه السابع و العشرين منه، و لم يطل مقامه بحلب، و توفى رحمه الله.

و فيها ظهرت قتلى فى الخليج، و فقد جماعه من الناس اتهم بهم معارفهم، و التبس أمرهم، و دام ذلک مده أشهر حتى علم أن امرأه حسناء و ضيئه تسمى غازيه، كانت تتبهرج فى زينه فاخره، و تطمع من يراها من الأحداث المتجملين فيها، و معها امرأه عجوز، فإذا رأت أحدا قد مال إليها بالنظر، و تبعها تعرضت له، و خاطبته فى أمرها و قالت له إنه لا يمكنها أن تجتمع بأحد إلا فى منزلها خوفا على نفسها، فمنهم من يحمله الغرض على موافقتها، فينطلق معها، فإذا حصل عندها خرج إليه

رجلان غليظان فيقتلانه، و يأخذان لباسه، و ما معه فكانوا ينتقلون من مكان إلى مكان خوف الشعور بهم إلى أن سكنوا خارج باب الشعريه على الخليج، فاتفق أن كان بالقاهره ماشطه مشهوره فجاءتها العجوز، و قالت لها: عندنا امرأه قد زوجناها و نريد منک أن تدبرى أمرها و تزينيها أحسن زينه، و تجمليها بما تقدرين عليه من الثياب و الحلى، و نحن نعطيک مهما أحببت، و واعدتها على أن تسير إليها ليلا، فحملت الماشطه ما تيسر عندها من الحلى و الثياب مع جاريه لها و خرجت إليهم فدخلت عندهم و انصرفت الجاريه، فلما دخلت قتلت و أبطأ خبرها على الجاريه فجاءت إلى الدار و طلبتها فأنكروها، فوشت بهم إلى الوالى بالقاهره، فركب إلى الدار و هجمها، فوجد فيها الصبيه و العجوز فأخذهما و توعدهما، فأقرا على أنفسهما، و على رجلين آخرين فحبسهما فسمع بهما أحد الرجلين فأتى إلى الحبس يتفقد أمرهما، فشعر به، فقبض عليه و عوقب كثيرا حتى أقر، و دل على رفيقه، و كان أحد رفيقيه رجلا فى جوارهم له قمين يحرق فيه الطوب، فكان يلقى فيه من يقتلوه فيحترق و لا يشعر به أحد، و أظهروا من الدار حفيره مملوءه قتلى منهم من اضمحل و اختلط برفيقه، و منهم من هو حديث العهد بالقتل، فأخذوا فطالعوا السلطان على أمرهم فأمر بتسميرهم تحت القلعه، فسمروا الخمسه فى يوم واحد، و شفع عند السلطان فى المرأه بعد تسميرها بيومين بعض الأمراء ممن لا يمكن رده، فأمر بإطلاقها ففكت مساميرها و أطلقت فلم تقم إلا أياما و ماتت.

و من عجيب النوادر المستظرفه أنهم كانوا قد أخذوا طبيبا مشهورا بالقاهره ليبصر لهم مريضا، فلما دخل إليهم قتلوه، فلما سمر أحدهم قال للنجار: ارفق بى فإنى مريض فقال له: فآتيک بطبيب آخر، و لما سمروا عمد بعض عوام البلد إلى دارهم التى فيها القتلى فهدمها، و بنى مكانها مسجدا حسنا له صومعه.

و فيها فى يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر جاءت زلزله عظيمه جدا أزعجت و هدمت دورا.

و فيها استدعى الملک الظاهر لنائبه من حلب الامير علاء الدين أيدكين الشهابى إليه و أمره أن يستنيب عنه الأمير نور الدين على بن مجلى، فلما وصل علاء الدين إلى القاهره عزله عن حلب، و أقر الأمير نور الدين فى نيابه السلطنه بها، فأحسن السيره، و عمر البلاد، و أعاد الفلاحين إلى مواطنهم، و أفرد الخاص على ما كان عليه فى الأيام الناصريه،

و فيها أمر السلطان الملک الظاهر بإنشاء خان القدس الشريف لابن السبيل، و فوض بناءه و نظره للأمير جمال الدين محمد بن نهار، و نقل إليه من القاهره بابا كان على دهليز بعض قصور الخلفاء بمصر، و لما تم وقف عليه قيراطا نصنا بالطره من أعمال دمشق، و ثلث و ربع قريه المشيرفه، من بلد بصرى، و نصف قريه ليفا من أعمال القدس يصرف ريع ذلک فى خبز، و فلوس و إصلاح نعال من يرد إليه من المسافرين المشاه، و بنى بالخان طاحونا و فرنا، و جعل النظر فيه للأمير جمال الدين بن نهار.

[اشتداد الغلاء بمصر]

و فيها اشتد الغلاء بمصر، و أعمالها فبلغ الأردب القمح بمصر مائه و خمسه دراهم نقره، و الشعير سبعين درهما و ثلاثه أرطال خبز بدرهم نقره، و رطل اللحم بالمصرى، و هو مائه و أربعه و أربعون درهما بدرهم و ثلث نقره، و اشتد الحال بالناس إلى أن أكلوا ورق اللفت، و ورق الكرنب، و خرجوا إلى البر فأكلوا عروق الفول الأخضر، فأحسن الملک الظاهر السياسه، بأن فرق الصعاليک على الأغنياء و الأمراء و ألزمهم بإطعامهم، و فرق من شونه القمح على أرباب الزوايا، و رسم أن يفرق فى كل يوم فى الفقراء مائه أردب مخبوزه بجامع ابن طولون، و دام ذلک إلى أن دخل شهر رمضان المعظم، و دخلت الغلال الجديده، و بيع بالإسكندريه القمح الأردب بثلاثمائه و عشرين درهم ورقا عن سته

دنانير و سدس مصرى، و من أعجب ما يحكى أن السعر انحط فى يوم واحد من الثمن المذكور إلى أربعين درهما ورقا.

و فيها نقل الصاحب عز الدين ابن شداد و محيى الدين بن عبد الظاهر كلاهما فى سيرتهما أنه أحضر إلى بين يدى السلطان الملك الظاهر طفل صغير ميت، و له رأسان و أربع أعين، و أربع أيدى، و أربع أرجل ذكر أنه وجد فى ساحل المقس، بديار مصر فأمر بدفنه.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها مات:

سليمان بن المؤيد بن عامر زين الدين العقربانى المعروف بالحافظى

، قد ذكرنا فيما تقدم طرفا يسيرا من خبره، و توجهه إلى التتر و إقامته عندهم، فلما كان فى أواخر هذه السنه أحضره هولاكو إلى بين يديه و قال له ما معناه: أنت قد ثبت عندى خيانتك و تلاعبك بالدول، فإنک خدمت صاحب بعلبک طبيبا فخنته، و اتفقت مع غلمانه على قتله حتى قتل، ثم انتقلت إلى خدمه الملک الحافظ الذى عرفت به، فلم تلبث أن خنته و باطنت عليه الملک الناصر حتى أخرجت قلعه جعبر من يده، ثم انتقلت إلى خدمه الملک الناصر، ففعل معک من الخير ما فعل فخنته معى حتى جرى عليه ما جرى، ثم انتقلت إلى فأحسنت إليک إحسانا لم يخطر ببالک، فأخذت تكافينى بالأفعال الرديه، و تعاملنى بما كنت تعامل به الملک الناصر و شرعت فى مكاتبه صاحب مصر فأنت معى فى الظاهر خارجا عنى فى الباطن و عدد له ذنوبا كثيره من خيانته فى الأموال التى كان سيرها لاستجبائها من البلاد ثم أمر بقتله، و قتل إخوته و أولاده و أقاربه، و من يلوذ به، فكان جموعهم نحو الخمسين نفرا ضربت أعناقهم صبرا، و لم ينج منهم إلا ولده مجير الدين محمد، و ولد لأخيه شهاب الدين اختفيا فى السوق.

فمن الاسباب المؤكده لقتله أن الملک الظاهر استدعى أخاه العماد

أحمد المعروف بالاشتر من دمشق إلى الديار المصريه و عوقه أياما، ثم أفرج عنه و أنعم عليه، و قرر له فى الشهر خمسمائه درهم و رتب له خبزا و لحما، و غير ذلک و أمره أن يكتب إلى أخيه المذكور كتابا يعرفه فيه نيه الملک الظاهر له و شكره منه، و أنه يعرفه أن ما له ذنب و أنه برى ء مما نسب إليه، و أن الملک الظاهر عالم بأن مقامه عند التتر على غير اختيار منه بل خوفا لما شاع عنه، و يضمن له عنه أنه متى وافق الملک الظاهر على ما فى نفسه من المواطأه على التتر فله ما يقترحه من الاقطاع، و يكون بعد ذلک على حسب اختياره فى التوجه إلينا و الإقامه عند هولاكو، فكتب إليه، فلما وصلته الكتب حملها إلى هولاكو، و قال له: إن صاحب مصر إنما يكتب إلى بمثل هذا ليقع فى يدک فيكون سببا لقتلى، و قد عزمت أن أكاتب أعيان دولته، و رعيته بمثل ما كاتبنى لأكيده، كما كادنى، فلم ير هولاكو ذلک صوابا فعاوده مرارا فأذن له، فكتب كتبا لجماعه فوقعت فى يد الملک الظاهر، فعلم أنها مكيده، فكتب إليه يشكره على عرض الكتب على هولاكو، و استصوب رأيه فى ذلک لتزول التهمه عنه، و بعث هذه الكتب مع قصاد و قرر معهم إذا وصلوا شاطى ء جزيره ابن عمر، يتجردون من ثيابهم على أنهم يسبحون و يحتالون فى إخفاء أنفسهم ليظن أنهم غرقوا، و تكون الكتب فى ثيابهم، ففعلوا ذلک و رأى نواب التتر الثياب فأخذوها فوجدوا فيها الكتب، فحملت إلى هولاكو فوقف عليها و أسرها فى نفسه و أضمر قتله.

و السبب الآخر أن هولاكو كان سيره لكشف الموصل و أعمالها، و ماردين و الجزيره، و كان نائب هولاكو بالموصل شمس الدين الباعشيقى، فدفع للحافظى سته عشره آلاف دينار رشوه لترک محاققته، و الكشف عنه، و كذلک اعتمد نواب الجزيره، و ماردين، و ديار بكر كلها، و كان الزكى الإربلى مقيما بالموصل، و علم بما أخذه من الرشا، فتوجه إلى هولاكو و رفع إليه، و على الباعشيقى فعقد لهم مجلسا فظهر

صدق الإربلى، فقتل الباعشيقى، و زادت هذه الحاله هولاكو الإغراء بقتل الحافظى، فقتله و من معه كما تقدم، و مخازى الحافظى و خياناته على الاسلام أكثر من أن تحصر منها إغراء التتر بالمسلمين، و تطميعهم فى بلادهم و ممالكهم بحيث أن كل دم سفكوه فى الشام هو شريكهم فيه، و لما توجه الملک العزيز ابن الملک الناصر إلى هولاكو فى أواخر سنه خمس و خمسين انفرد الحافظى بهولاكو، و قال له من جمله ما قال بعد أن أخذت بغداد: بغداد قد أخذتها، و الشام بلا ملک، و متى قصدته أخذته، و أنا المساعد فيه فإن أكثر من بدمشق أهلى و أقاربى، فأعطاه هولاكو سكاكينا و قال متى جاءنى أحد، و معه سكين من هذه أعلم أنه من أقاربک، و أخذ الحافظى مما سير معه من الهديه لهولاكو شيئا كثيرا، و أخذ يغلغا للصالح اسماعيل ابن صاحب حمص بحمص، و كذلک لأمير حاجب و للوجيه ابن سويد غيرهم.

و قرر مع الملک الناصر أن هولاكو قال له: إن وصل الملک الصالح إلى أبقيت عليه بلاده، و إن تعذر وصوله خوفا من عسكره فليهرب بين يدى إلى أن يتفرق عسكره و يعود، فإنى أبقى عليه بلاده، فلما أخذت حلب، و خرج الملک الناصر من دمشق لم يصحبه الحافظى، فبعث إليه يطلبه فلم يجده، فسير وراءه الأمير سابق الدين بيبرس أمير مجلس، و معه عسكر لإخراجه، فغلق أبواب البلد و عصى فيه، و رحل الملک الناصر على ما تقدم شرحه، و تفرقت جموعه، فكتب إليه الحافظى إن الذى قررته معک أنا باق عليه، و متى عدت عادت البلاد إليک، و قصده بذلک ايقاعه فى يد التتر فلما عاد الملک الناصر إلى دمشق سير إليه من استدعاه، فقال لرسوله: قل له ما أقدر أحضر عندک فإنى كنت بالأمس غلامک و أنا اليوم غلام هولاكو و أنت عدوه.

و لما خرج الملک الناصر من دمشق أولا، و استولى عليها الحافظى، قصد القلعه فامتنع واليها بدر الدين محمد بن قريجا و نقيبها جمال الدين محمد بن

الصيرفى من تسليمها إليه، و كذلک امتنع الشجاع إبراهيم والى قلعه بعلبک من تسليمها إليه، و لم يزالوا كذلک إلى أن وصل كتبغا بالعساكر فتحققوا العجز بعد أن قاتلوه، فضمن لهم كتبغا سلامتهم و سلامه من بالقلعتين من المسلمين و أموالهم إن سلموا، فسلموا و أمنهم و وفى لهم بالأمان، فحملت الحافظى نفسه الكافره كونهم لم يسلموا القلعتين إليه على أن كتب إلى هولاكو يغريه بهم، فوصله الجواب بقتلهم فحضر مجلس كتبغا بالمرج، و أوقفه على الكتاب فاستدعى بدر الدين محمد بن قريجا، و جمال الدين محمد بن الصيرفى، و شجاع الدين إبراهيم و ولده و نسيبا له، فلما حضروا قال كتبغا للحافظى: كيف أقدمت على أن تكاتب فى حق من أمنتهم، و مع هذا فلا يسعنى مخالفه مرسوم هولاكو، فقم أنت اقتلهم و إلا صار لک عندنا ذنب نقتلک به، فقام إليهم و ضرب رقابهم، و لم يزل الحافظى بدمشق إلى أن كسر التتر على عين جالوت، فهرب و توجه إلى حلب، و استصحب معه إخوته و أولاد أخيه، و تحدث معهم فى الطريق فكان من جمله الكلام أن قال: ما كنت أظن أن الاسلام بقى تقوم له قائمه، فقال له أخوه شرف الدين: أما تعلم أن الله غار على الاسلام، و قد أصبحت و إن أحماک من الملوک، و كان عند الحافظى فضيله و مشاركه، و لم تكن الإمره لائقه به، و قتل و هو فى عشر السبعين، و قدم على ما قدم، وَ ما رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(1) ...

و فى هذه السنه اتفق ثانى عشر ربيع الأول ليله الاثنين موافقا لمولد النبى صلى الله عليه و سلم بقول الأكثرين أن كان مولده ليله الاثنين ثانى عشر ربيع الأول، فاتفق فى هذه السنه كذلک.

و فيها فى أواخر شهر رمضان ظهر بالمشرق كوكب له ذؤابه فى الأفق نحو المغرب، و بقى يطلع كل يوم قبيل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب الصبح، ثم صار يتقدم كل يوم قليلا إلى أن صار مرتفعا عن

1- سوره فصّلت- الآيه: 46.

كوكب الصبح، و يبقى ضوء ذنبه ظاهرا، و لم يتغير موضعه من منزله الهنعه بعده منها إلى جهه المشرق نحو رمح طويل، و يبقى ظاهرا ثم صار يرتفع بارتفاعها و يسير بسيرها ثم يقرب من منزله الهنعه ثم بقى إلى أوائل ذى القعده إلى أن يغلب عليه ضوء الصباح، فيغيب و كان يظهر له قبل بروزه شعاع كبير فى جو السماء، و ظهر أيضا من قبل المغرب بالشمال بعد العشاء الآخره ليالى عده فى أواخر شهر رمضان، و أوائل شوال خطوط مضيئه كهيئه الأصابع مرتفعه فى جو السماء، و احمرت الشمس فى أواخر الرابع من شوال قبيل المغرب، و ذهب ضوء الشمس بحيث توهم كثير من الناس أنها كسفت و غربت هى كذلک، و لما كان عند العشاء الآخره أصاب القمر مثل ذلک ليله الخامس من شوال بحيث توهم أنه خسف.

و فيها ذكر محيى الدين بن عبد الظاهر فى الفضل الباهر من سيره السلطان الملک الظاهر أن فى شهر رمضان أحضرت إلى قلعه الجبل بالقاهره فلوس كثيره من جهه قوص، وجدت مدفونه فى بعض الجهات فأخذ منها فلس فإذا عليه صوره ملک واقف فى يده اليمنى ميزان، و فى يده الشمال سيف و فى الوجه الآخر رأس مصور بآذان كبيره مصوره مفتوحه، و بدائر الفلس سطور، و اتفق حضور جماعه من الرهبان، و من جملتهم راهب فيلسوف يونانى عالم بلسان الروم لا يحسن العربيه، فقرأ هذا الراهب ما على الفلس فكان تاريخه إلى هذا الوقت ألفين و ثلاث مائه سنه، و فيه مكتوب أنا غلياث الملک ميزان العدل و الكرم فى يمينى لمن أطاع، و السيف فى يسارى لمن عصى، و فى الوجه الآخر أنا غلياث الملک أذنى مفتوحه لسماع كلمه المظلوم، و عينى مفتوحه أنظر بها مصالح ملكى ...

عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن أيوب بن شاذى

، الملک المغيث فتح الدين أبو الفتح صاحب الكرک، و قد ذكرنا فى حوادث السنه الخاليه

حضوره إلى الملک الظاهر، و قبضه علیه و أخذ الکرک منه، و إنفاذه إلى الدیار المصریه، و کان والده الملک العادل سیف الدین أبو بکر محمد بن الملک الکامل، قد ملک الدیار المصریه بعد وفاه أبیه، و صار الشام أیضا فی حکمه، و ابنه الجواد نائبا عنه، و اتفق حضور الملک الصالح نجم الدین و أخذه دمشق من الجواد، و أنه قصد التوجه إلى الدیار المصریه لیملکها، و جرى ما قدمنا ذکره من خروج دمشق عنه، و امساکه و اعتقاله بالکرک، ثم خروجه و تملکه الدیار المصریه، و کل هذا مشهور و بقی الملک العادل معتقلا بقلعه الجبل، فلما عزم الملک الصالح على السفر إلى الشام فی أواخر سنه خمس و أربعین، تقدم بتسییره إلى الشوبک لیعتقل بقلعتها فضربت له خیمه ظاهر القاهره لیخرج إلیها، ثم یمضی به إلى الشوبک فامتنع من ذلک و قال: ما أروح أصلا، و مهما أردتم فعله فافعلوه هنا، فغضب الملک الصالح لما أخبر بذلک، و حنق و أمر بخنقه، فدخل علیه الطواشی محسن الصالحی و معه نفر یسیر من مماالیک الملک الصالح، و تقدم إلیهم بخنقه فخنقوه بقلعه الجبل، و جهز و أخرج إلى مقبره شمس الدوله ابن صلاح الدین، خارج باب النصر، فدفن بها رحمه الله، و ذلک فی شوال سنه خمس و أربعین فکانت مده اعتقاله بعد القبض علیه قریبا من ثمان سنین، و عمره نحو ثلاثین سنه لأنه ولد سنه خمس عشره عقیب وفاه جده الملک العادل سیف الدین أبی بکر محمد بن أیوب، و کان جوادا کثیر البذل، أنفق الخزائن التی جمعها والده فی السنین المتطاوله فی مده یسیره، و کانت ایامه زاهیه زاهره، و الأسعار فی غایه الرخص، لکنه لم یکن فیه سیاسه یضبط بها الجند، و لا معرفه یدبر بها المملکه، و قدم الأراذل، و أخر الأکابر، و لما مات کان الملک المغیث صاحب هذه الترجمه صغیرا، فأنزل إلى القاهره، و جعل عند عمات أبیه القطبیات بنات الملک العادل الکبیر، و إنما عرفن بالقطبیات لأنهن أشقاء الملک المفضل قطب الدین بن الملک العادل، فبقی عندهن إلى أن مات الملک الصالح، فقیل إن الأمیر فخر الدین یوسف بن شیخ الشیوخ أراد أن یسلطن الملک المغیث، و یکون هو

أتابكه، و عزم على ذلک، و الأمير فخر الدين يومئذ بالمنصوره قباله الفرنج و بلغ ذلک الأمير حسام الدين ابن أبى على و هو إذ ذاک نائب السلطنه بالقاهره فتقدم بأخذ الملک المغيث من عند عمات أبيه و اعتقاله بقلعه الجبل، و الاحتراز عليه فبقى فى القلعه معتقلا فلما وصل الملک المعظم إلى المنصوره أمر بنقل الملک المغيث من قلعه الجبل إلى قلعه الشوبک و اعتقاله بها، فنقل إليها، و كان الملک الصالح نجم الدين لما تسلم الكرک من أولاد الملک الناصر داود رحمه الله سير إليها الطواشى بدر الدين بدر الصوابى نائبا بها، و بالشوبک، فلما وصل إليه الملک المغيث اعتقله بالشوبک كما رسم، فلما قتل الملک المعظم و بلغ الصوابى أخرج الملک المغيث، و ملكه الكرک و الشوبک، و أعمالهما و تولى تدبير أموره و قد ذكرنا من تفاصيل أحواله نبذه فيما مضى، و كان ملكا كريما، حليما، شجاعا، عادلا، محسنا إلى رعيته، غير أنه لم يكن عنده حزم، و لا حسن تدبير فإنه أنفق جميع ما كان عنده من المال على البحريه و الشهرزوريه فى طمع تملک الديار المصريه، و لم يحصل له ذلک و ذهب ذلک المال العظيم فى غير فائده، و كان جملا عظيمه، فإن الملک الصالح نجم الدين لما تسلم الكرک حمل إليها مائه ألف دينار عينا غير الدراهم و الأقمشه و غيرها، و ألجأت الضروره للملک المغيث بذهاب ذلک إلى النزول من الكرک و خروجها من يده و ذهاب روحه.

و كان الملک المغيث على مذهب أبيه فى تقريب الأراذل و الإصغاء إليهم، و قد ذكرنا فى السنه الماضيه كيفيه إمساكه، و ما نسب إليه، و الله أعلم بحقيقه ذلک، و قيل إن جميع ما نسب إليه لم يكن له أصل بل مجرد شناعه ليقوم عذر الملک الظاهر عند الأمراء، و الناس فيما فعله، فإن سائر الأمراء فى ذلک الوقت إلا القليل منهم كانوا غلمان بيته.

و حكى لى أن الملک الظاهر قال للأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنه بالديار المصريه فى ذلک الوقت: دع من يقتل المغيث صاحب

الكرک ممن تثق به غايه الوثوق، و تؤكد عليه فى كتمان ذلک و طيه عن جميع الناس، و ادفع إليه ألف دينار، فأحضر الأمير عز الدين المذكور لأستاذداره، و كان رجلا دينا فيه خير، و عنده تقوى، و قال له: أريد أن اندبک فى أمر مهم تفعله و تكتمه عن جميع الناس، و لا تطلع عليه أحد من خلق الله فقال السمع و الطاعه، قال: هذه ألف دينار مصريه تأخذها لک، و تدخل إلى الملک المغيث صاحب الكرک تقتله فقال: و الله لو أعطيتنى مل ء هذه الديار دنانير ما فعلت هذا، و لو ضربت رقبتى، بل يأمرنى الأمير بغير هذا، و يبصر ما أفعل، فانتهره و حاوله بكل طريق فلم يجبه إلى ذلک، فأعرض عنه، و طلب شخصا آخر من أصحابه فيه شر و عنده شهامه، و إقدام، و قال له ذلک فبادر إليه، و دخل على الملک المغيث فقتله خنقا، و أخذ الألف دينار، و شرع يشرب فى دار له على بركه الفيل، و يخرج من الذهب فقال له ندماؤه فى حال سكره: من أين لک هذا الذهب؟ فأخبرهم أنه قتل صاحب الكرک، و أعطى ألف دينار، فشاع ذلک، و اتصل بالملک الظاهر، و كان حريصا على كتمانه و يظهر للأمراء أن المغيث فى قيد الحياه موسعا عليه، فعظم ذلک على الملک الظاهر، و أنكر على الامير عز الدين الحلى، و طلب الشخص القاتل منه فأحضره إليه فأمر باستعاده الألف دينار منه، و قتله.

و كان قتل الملک المغيث فى أوائل هذه السنه، و قيل فى أواخر سنه إحدى و ستين رحمه الله.

لاجين بن عبد الله الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى

، كان من أكبر الأمراء، و أعظمهم مكانه فى وقته و أعلاهم قدرا، و أوسعهم صدرا و أكثرهم تجملا، و كان شجاعا بطلا جوادا، حازما و له فى الحروب المواقف المشهوره، و اليد البيضاء، و الآثار الجميله خصوصا فى وقعه التتر ظاهر حمص فى أول سنه تسع و خمسين، فإنه فاز بأجرها و شكرها، و قد أشرنا إلى شى ء من أحواله فيما تقدم من هذا الكتاب.

و كان له فى الفقراء و الصالحين عقيده حسنه، و يكثر من الاحسان إليهم و البر بهم، و افتقادهم بالنفقه، و الكسوه و غير ذلک، و كان يعمل لهم السماعات، و يحضر فيها من المآكل و المشارب و الأراييح الطيبه و الشموع ما يبهر العقل، و يتجاوز الحد فكان يقدر ما غرمه على السماع الواحد تقريب ثمانيه الآف درهم، و كنت أسمع باحتفاله فى أمر السماع، و علو همته، فأحمل الأمر على المجازفه فى القول من الحاكى، فاتفق أنه طلبنى ليله لحضور ذلک فحضرت عنده، فكان الأمر على ما بلغنى و أكثر فاننى لما دخلت داره التى بالعقيبه، رأيت من الشموع الكافورى الكبار فى الأتوار الفضه، و المطعمه ما يقصر عنه الوصف، ثم مد بعد صلاه المغرب سماطا عظيما يشتمل على قريب مائه زبديه عادليه كبار، فى كل زبديه منها خروف صحيح رضعى، و قريب ثلاثمائه زبديه دون تلک فى كل زبديه ثلاثه طيور دجاج، و غير ذلک من أنواع الأطعمه، فلما فرغ الناس من الأكل صلوا العشاء الآخره و شرع المغانى فى الغناء، و رقص هو بنفسه بين الفقراء كأحدهم، و كان يسلک من الأدب معهم و التواضع لهم ما لا يزيد عليه.

فلما فرغ المغانى من النوبه الأولى مد سماطا عظيما يشتمل على عده أطباق و صحون خزافيه حلوى سكب، و قطائف رطبه، و مقلوه و مشبک و غير ذلک مما جميعه بالسكر المكرر المصرى، و الفستق، و المسک، فأكل الناس من ذلک ما أمكنهم، و حملوا بحيث شيل معظم ذلک فى خرق الحاضرين، فلما فرغوا من ذلک شرع المغانى فى الغناء من النوبه الثانيه، فرقص هو و غلمانه، و من حضر من الفقراء و المشايخ و غيرهم، فلما فرغ المغانى من النوبه الثانيه مد سماطا عظيما من الفواكه النادره، من:

السفرجل، و التفاح الفتحى، و الكمثرى الرحبى، و الرمان اللفان، و الحلو و العنب النادر، و البطيخ الأخضر، و كانت هذه الفاكهه التى حضرت معدومه فى مثل ذلک الوقت، يتعذر وجودها على غيره، لأن ذلک كان

فی أواخر فصل الشتاء، و إنما کان یدخر له ذلک بالقصد، فإن قریه کفر بطنا، و زبدین و عده قری من الغوطه کانت جاریه فی إقطاعه، و بها الفواکه النادره، فأکل الناس من ذلک ما أمکنهم، ثم غنی المغانی النوبه الثالثه، و رقص الجمیع، فلما فرغوا مد لهم سماطا من المکسرات علی اختلاف أنواعها من: القصب العراقی، و الفستق، و البندق، و الزبیب الجوزانی، و الفستق المملح، و الخشکنان، و الکعک المحشو، و البقسماط المعمول بالسکر و السمن، و غیر ذلک، فأکل الناس من ذلک و حملوا و جمیع ما یمد علی کثرته لا یرفع منه بقیه البته، بل یؤکل منه ما یمکن، و یتفارق الحاضرون ما بقی، و ینهب، و جمیع ما شرب فی تلک اللیله من أولها إلی آخرها من الماء المصنوع بالثلج و السکر، و ماء الخلاف، و الورد و المسک، و السقاه یملأون الکیزان من ذلک علی الدوام، و یسقون الناس و المباخر تعمل بالند، و العنبر، و العود الهندی النادر المعلی من أول اللیل إلی آخره.

فلما کان وقت السحر اغلی حمام ابن السرهنک المجاوره لداره، و دخل إلیه و معه معظم الجمع و لم أدخل أنا.

فحکی الشیخ عبد الرحمن ابن الشیخ محمد الیونینی رحمه الله و کان حاضرا قال: بعد خروجک دخلنا الحمام، فجعل الأمیر یخدم الفقراء بنفسه و غلمانه، فلما خرجوا کان منهم جماعه خلعوا قمصانهم و دلوقهم، فأحضر لهم قمصا جددا و ثیابا جددا فی نهایه الحسن، و المناسبه لما یلیق بهم، ثم خرج و استدعاهم إلی داره و سقاهم من الأشربه ما یناسب الحمام، و یلائمه و مد لهم سماطا عظیما من الططماج و أحضر لهم حلوی سخنه، فأکلوا و انصرفوا، و أما هو فإنه خلع علی المغانی من ملبوسه عده بغالطیق(1) تساوی جمله کبیره، و کذلک غلمانه، و کان هذا السماع فی آخر سنه تسع و خمسین، و الغراره القمح بدمشق فوق ثلثمائه درهم

1- جمع بغلطاق: فرجیه قصیره.

و الرطل اللحم بالدمشقى بمبلغ سبعه دراهم، و الدجاجه بمبلغ ثلاثه دراهم، و جميع الأشياء غاليه جدا، و كانت وفاته رحمه الله فى رابع عشر المحرم، و دفن بسفح قاسيون مجاورا لقبر الشيخ عبد الله البطائحى رحمه الله عليه، و قد ناهز خمسين سنه من العمر، و قيل إنه سم، و أن مملوكه جمال الدين كيدغدى واطأ عليه و قابل إحسانه العظيم المفرط بذلک، فإنه كان قد خوله و موله و هو عنده أعز من الولد، فباعه بأبخس الأثمان، و الله أعلم بحقيقه ذلک، و خلف الأمير حسام الدين تركه جليله المقدار من: الخيول، و العده و الأموال، و غير ذلک رحمه الله ...

موسى بن ابراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذى أبو الفتح

، الملک الأشرف مظفر الدين، ملک بعد وفاه أبيه الملک المنصور ناصر الدين إبراهيم فى سنه أربع و أربعين: حمص، و تدمر، و الرحبه، و زلوبيه و هو صغير السن، و قام بتدبير دولته وزيره مخلص إبراهيم بن إسماعيل بن قرناص، فسلم قلعه شميميس إلى الملک الصالح نجم الدين ليعتضد به بإشاره وزيره مخلص الدين، فعظم ذلک على الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و جهز إليه العساكر مع الأمير شمس الدين لؤلؤ و أخذ حمص، و عوضه عنها تل باشر، و قد أشرنا إلى ذلک، و لما قصد الملک الناصر رحمه الله التوجه إلى الديار المصريه فى سنه ثمان و أربعين كان فى خدمته، فلما كسر العسكر بالسائح كان الملک الأشرف فيمن أسر، و حمل إلى قلعه الجبل بالقاهره، فحبس بها إلى وقع الصلح بين الملک الناصر و الملک المعز فى المحرم سنه إحدى و خمسين بسفاره الشيخ نجم الدين الباذرائى، فأطلق مع من أطلق من أصحاب الملک الناصر، و قدم عليه طامعا فى أن يعيد عليه حمص، فلما يئس من ذلک توجه إلى تل باشر، و كتب إلى الملک الناصر يستأذنه فى مراسله صاحب الموصل، و صاحب ماردين، و قال: إنهما كتبا إلى يهنيانى بخلاصى، و ذكر أن صاحب الموصل يضايقه فى الرحبه، و يلزمه بعمل جسر قرقيسيا، فأذن

له فراسلهما، و جعل ذلک وسیله إلی إرساله قصاده إلی التتر، ثم طلب إذنا ثانیا أن یبعث إلی بلاد الروم جواسیس یکشفون له أخبار التتر، و یطالعونه بها لیکون المسلمون علی یقظه منهم، فأجابه إلی ذلک و کل ذلک وسیله إلی مراسلتهم لحقد کامن فی صدره للملک الناصر، بسبب أخذه حمص منه، و لم تزل کتبه وارده علی الملک الناصر بما یحدث له الرهبه، و کتب التتر تصل إلیه بما یعتمده من تثبیط عزم الملک الناصر، و لما استولت التتر علی حلب، خرج مع الملک الناصر من دمشق یوم الجمعه خامس عشر صفر سنه ثمان و خمسین إلی الصنمین، ثم فارقه منها و توجه إلی تدمر و قصد هولاکو، و هو علی قلعه حلب یحاصرها، فأقبل علیه هولاکو و أمره بالحدیث مع أهل قلعه حلب، فتوسط بینه و بینهم حتی سلموها فی تاسع ربیع الأول سنه ثمان و خمسین، و بقی عنده یسفر بینه و بین من فی القلاع حتی سلمها له، فلما أراد هولاکو العود إلی بلاده ولاه الشام بأسره نیابه عنه، و أعاد إلیه حمص مع تدمر، و الرحبه، و غیرها مما کان فی یده، و لما توجه الملک الناصر إلی هولاکو نزل علیه فی طریقه، فلم یلتفت إلیه و لا احتفل به، و أغلظ له فی التوبیخ و التقریع، و لما عزم الملک المظفر قطز رحمه الله علی لقاء التتر کتب إلیه کتابا یسفه رأیه فیه علی ما اعتمده من میله إلی التتر، و انحیازه إلیهم و اختیاره لهم علی المسلمین، و یعده أنه متی خرج عنهم و مال إلیه بشرط أن یقاتل معهم إذا کان بینه و بینهم مصافا أبقی علیه ما فی یده من البلاد، فأجابه إلی ذلک، و لما عزم کتبغا علی لقاء الملک المظفر رحمه الله طلبه إلیه، فاعتذر و تمارض، و بعث ابن عمه الملک المعظم، و صارم الدین أزبک الحمصی مقدم عسکره، فلما منّ الله تعالی بکسره التتر و هرب من کان من أتباعهم کان الملک الأشرف بدمشق، فهرب مع الزین الحافظی و نواب التتر بدمشق، فلما وصلوا قارا فارقهم و توجه إلی تدمر، و راسل الملک المظفر، فحلف له علی ما کان بیده من البلاد خلا تل باشر، ثم وصل دمشق وافدا علی الملک المظفر رحمه الله فأکرمه، و تقدم إلیه

بالمسير إلى حمص، و التصرف فى بلاده التى حلف له عليها، فلما قتل الملک المظفر، و ولى الملک الظاهر، و استولى الأمير علم الدين الحلبى على دمشق حلف للملک الظاهر باطنا، و للأمير علم الدين الحلبى ظاهرا، و لما قصدت التتر حلب فى أواخر سنه ثمان و خمسين و خرج منها بها من العزيزيه، و الناصريه قصدوا حمص فآواهم و أحسن إليهم و قام لهم بالضيافات و الإقامات، و خرج التتر من حلب فى طلبهم، فلما وصلوا حمص فى اوائل شهر المحرم سنه تسع و خمسين خرج إليهم و حاربهم مع العزيزيه و الناصريه، و صاحب حماه، فكسروهم، و قتلوا منهم مقتله عظيمه، و كان التتر زهاء سته آلاف فارس و هرب من سلم منهم و لم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد، و كان للملک الأشرف فى هذه الوقعه أعظم غناء، فرأى له الملک الظاهر ذلک، و نبل قدره عنده و أعاد إليه تل باشر، لما خرج إلى الشام فى شوال سنه تسع و خمسين، مع ما فى يده، و لم يزل ملحوظا منه بعين الرعايه إلى أن حصل عنده تخيل عن الملک الظاهر عند عوده إلى حمص من خدمته، لما كان على الكرک، و قبض على صاحبها، فتواتر الأخبار عنه بإظهار أمور كامنه كانت فى نفسه، فعزم الملک الظاهر على الوثوب به و استئصاله بالكليه فعالجه المرض، و توفى فى حادى عشر صفر أو عاشره، من هذه السنه بحمص قبل صلاه الجمعه و دفن ليلا على جده الملک المجاهد أسد الدين شيركوه بالمدرسه التى أنشأها بباطن حمص رحمه الله، و كان ملكا جليلا حازما خبيرا مدبرا، متيقظا شجاعا ساوسا، على الهمه، كبير النفس أبيها له باطن و غور و تحيل و دهاء، و تأتى فى بلوغ مقاصده و أغراضه، وافر العقل قليل البسط و الحديث مقيدا لألفاظه، ملازما للناموس فى سائر أوقاته حتى فى خلوته مع غلمانه و خواصه، يحذو فى ذلک حذو الملک الصالح نجم الدين، و لما توفى إلى رحمه الله، وجد له من الصين المصرى، و الدراهم، و الجواهر، و الذخائر ما يعظم خطره، و يكثر بعضه على مثله، و لم يخلف ولدا، و تسلم الملک الظاهر سائر بلاده، و حواصله

عقيب موته خلا قلعه تدمر، فإن تسليمها تأخر إلى بعد شهرين من وفاته، ثم سلمت و هو آخر الملوک من بيت شيرکوه، رحمه الله و مولده فى أواخر سنه سبع و عشرين و ستمائه ...

[أحداث]لسنه الثالثه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره فى السنه الخاليه خلا الملک الأشرف صاحب حمص فإنه توفى و انتقل ما كان بيده إلى الملک الظاهر و كان الملک الظاهر بقلعه القاهره.

متجددات هذه السنه

اشاره

فى العشر الآخر من المحرم بلغ الملک الظاهر أن جماعه من الأمراء و الأجناد اجتمعوا على أكل طعام فى دار فزادوا فى الكلام بما معناه القدح فى الدوله، و غالى فى ذلک ثلاثه نفر، فسمر أحدهم، و كحل الآخر، و قطعت رجل الثالث، فانحسمت ماده الاجتماعات بعد ذلک.

و فى تاسع عشرى ربيع الأول قطعت أيدى جماعه من نواب بهاء الدين يعقوب بن حاتم والى القاهره و الخفراء، و أصحاب الأرباع و المقدمين، و كانوا ثلاثه و أربعين رجلا، و سبب ذلک ظهور شلوح و مناسر بالقاهره، و ضواحيها فنهبوا و قتلوا، و انتهى بهم الفساد إلى التعرض بالعربان النازلين تحت القلعه ليلا، فكثر اللغط و الصياح، و سمعهما لملک الظاهر فسأل، فأخبر بصوره الحال فقال: تنتهک الحرمه إلى هذا الحد؟ فلما أصبح حمل الوالى رقع الصباح، و لم يذكر فيها ما فعله المنسر بالعربان، فوبخه و انتهره و أخبره بما اتفق، فقال: ما لى ذنب فإن النواب و الخفراء لم يطلعونى على ذلک، فأمر السلطان بما ذكرناه آنفا فمات بعضهم و بقى بعضهم.

و فيها وردت الأخبار بنزول التتر على البيره

، و حصارهم لها، فجهز الملک الظاهر فی شهر ربیع الآخر عسکرا قدم علیه الأمیر عز الدین

يغان الركنى، المعروف بسم الموت، و الأمير جمال الدين آقوش المحمدى، و تقدم إلى صاحب حماه بالتوجه معهم بعسكره، و كذلک إلى عسكر حلب فسارت العساكر، و عبرت الفرات، و كان الملک الظاهر قد أمر عيسى بن مهنا بعد أن بعث إليه أجنادا بسلوک البريه إلى حران، و الغاره عليها، فلما بلغ التتار عبور العساكر، و غاره ابن مهنا رحلوا عن البيره، و عادت العساكر إلى الديار المصريه.

[فتح قيساريه:]

و فى يوم السبت رابع ربيع الآخر توجه الملک الظاهر بعساكره قاصدا قيساريه، فنزل عليها، و حاصرها إلى أن فتحها عنوه فى ثامن جمادى الأولى، و عصت عليه قلعتها بعد فتحها عشره أيام، ثم فتحها و هرب من كان بها إلى عكا، فأخرب الملک الظاهر المدينه، و القلعه و تركهما دمنه، و ملک لأعيان الأمراء الذين كانوا معه و الغائبين عنه بالبيره لكل واحد منهم نصف قريه، و ملک ولدى صاحب الموصل سيف الدين و علاء الدين، و ملک الأمير ناصر الدين القيمرى و قدمه على العسكر و رتبه بحسى و أعطاه خبزا، و ملک الأمير شرف الدين بن أبى القاسم- و هو بطال- نصف قريه، ثم رحل إلى أرسوف و نزل عليها، و نصب المجانيق و رمى أبراجها فعبثت بها، و عاثت فيها، و أخذتها النقوب من جهاتها، و تكرر عليها الزحف إلى أن تداعى برج من أبراجها تجاه الأمير بدر الدين الخزندار، فهجم البلد منه بمن معه من العسكر على غفله من أهلها فوقع القتل فيهم و الأسر، و اقتسم العسكر ما كان بها من الحواصل، و ذلک يوم الخميس ثانى عشر شهر رجب، ثم خربت أيضا و اصدرت كتب البشائر من السلطان بالفتوح فمن ذلک مكاتبه إلى قاضى القضاه شمس الدين ابن خلكان رحمه الله، من انشاء فتح الدين عبد الله بن القيسرانى من مضمونها:

جدد الله البشائر الوارده على المجلس السامى القضائى، و أسره بما اسمعه، و أبطل ببركته العدو و دفعه، و جاء بها سبب الخير و جمعه،

و لا زالت التهانى إليه وارده، و المسرات عليه وافده، و نعم الله و بركاته لديه متزايده و هذه المكاتبه تبشر بنصر من الله و فتح قريب، و هناء يأخذ له المجلس منه أوفر نصيب، و توضح لعلمه الكريم أنه لما كان يوم الاثنين التاسع من شهر رجب المبارک قدمنا خيره الله تعالى، زحفنا على مدينه أرسوف بعساكرنا المنصوره، و أدرنا بها الأطلاب للزحف، و كانت مرتبه على أحسن صوره، و تناولناها مناوله القادم إذا ضم ضمه المشتاق، و استولينا على جميع أهلها، فأضحى كل منهم من القيد فى وثاق، و أضرمنا بها النيران، فعجل الله لهم بها فى الدنيا قبل الآخره الإحراق، و جرعناهم غصص الموت فتجرعوها مره المذاق، و كانت مده القتال ثلاثه أيام آخرها يوم الخميس ثانى عشر رجب المبارک، فلم يفلت منهم أحد، و عاجلناهم فى هذه المده القريبه فلم يغنهم ما فعلوه فى تحصن البلد، و لم يمس أحد منهم فى ليله الجمعه، و قد نجا من القتل إلا و هو أسير، و احتطنا بها فما نجا منهم بحمد الله صغير و لا كبير، و عجلنا للمجلس بهذه البشاره ليأخذ منها حظا وافرا، و يقرأ آيات نصر الله على أصحابه من الفقهاء، و العدول، و يحدث بها، فيكون تاليا لها بين الأنام و ذاكرا، و يكتب بمضمون ذلک إلى نوابه من الحكام، و ليشهر هذا الخبر السعيد بين الأنام، و يواصلنا بدعائه فإننا نرجو به الزياده، و الله تعالى يجزينا و يجزيه من ألطافه على أجمل عاده، بمنه و كرمه إن شاء الله تعالى: كتب ثانى عشر شهر رجب المبارک، و بين الأسطر و عده الأسرى ألف أسير و أما القتلى فكثير لأن القلعه أخذت بالسيف.

و عاد الملک الظاهر إلى القاهره و زينت لدخوله فدخلها فى ثانى عشر شعبان من باب النصر، و خرج من باب زويله، و عبر بالأسرى على الجمال و كان يوما مشهودا.

و فى جمادى الآخره وقعت نار بحاره الباطليه بالقاهره، فأحرقت ثلاثه و ستين دارا جامعه، ثم كثر الحريق بعد ذلک بمصر حتى أحرق ربع

فرج، و كان وقفا على أشراف المدينه النبويه صلوات الله على ساكنها و سلامه بحيث لم يبق فيه مسكن، و الوجه المطل على النيل من ريع العادل، و كان وقفا على تربه الإمام الشافعى رحمه الله عليه، و كانت توجد لفائف مشاق فيها النار و الكبريت على أسطحه الآدر، و عظم هذا الأمر على المسلمين، و رتب بالشوارع و الأزقه دنان الماء، و اتهم بذلک النصارى الكركيين و الملكيين، فلما قدم الملک الظاهر الديار المصريه عزم على استئصال النصارى، و اليهود بسبب الحريق، فأمر بوضع الأحطاب و الحلفاء فى حفره كانت فى وسط القلعه، و أن تضرم فيها النار، و يطرح فيها النصارى و اليهود، فجمعوا على اختلاف طبقاتهم حتى لم يبق إلا من هرب، و ذلک يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان و كتفوا ليرموا فى الحفره فشفع فيهم الأمراء، فأمر أن يشتروا أنفسهم فقرر عليهم خمسمائه ألف دينار، يقومون منها فى كل سنه بخمسين ألف دينار يؤخذ منهم بحسب قدره كل واحد منهم، و ضمنهم راهب يعرف بالحبيس، كان مبدأ أمره كاتبا فى صناعه الإنشاء، ثم ترهب و انقطع فى جبل حلوان، فيقال أنه وجد فى مغاره منه مالا للحاكم أحد الخلفاء المصريين، و لما وجد المال واسى به الفقراء و الصعاليک من كل مله، و اتصل خبره بالملک الظاهر فطلبه إليه و طلب منه المال فقال: أما أنى أعطيک من يدى إلى يدک فلا، و لكنه يصل إليک من جهه من تصادره، و هو لا يقدر على ما تطلبه منه فلا تعجل، و شفع فيه فلما كانت هذه الواقعه ضمنهم و حضر موضع الجبايه منهم، فمن قرر عليه شى ء و عجز من أدائه ساعده، و من لم يكن معه شى ء أدى عنه سواء كان نصرانيا أو يهوديا، و كان يدخل الحبوس و يطلق منها من عليه دين و من وجده ذا هيئه رثه واساه، و من شكا إليه ضروره أزاحها عنه فانتفعت به سائر الطوائف، و لما طلب من أهل الصعيد المقرر على الذمه الذين بها سافر إليهم و أدى عنهم، و كذلک سافر إلى الاسكندريه و غيرها.

و فی یوم السبت ثانی شوال خرج الملک الظاهر من القاهره لحفر بحر أشموم، و فرقه علی الأمراء و حفر فیه بنفسه.

و فی ثامنه طلع من الشرق نجم له ذؤابه، و بقی إلی نصف ذی القعده و غاب و هو کوکب الذنب.

[وصول الخبر بهلاک هولاکو:]

و وصل رسول صاحب سیس یبشر الملک الظاهر بهلاک هولاکو، ثم ورد الخبر بأن عساکره اجتمعت علی ولده أبغا، و أن برکه قصده فکسره، فعزم الملک الظاهر علی التوجه إلی العراق لیغتنم الفرصه، فلم یتمکن لتفرق العساکر فی الاقطاعات، و لما فرغ من حفر الخلیج رکب فی الحراقه، و أخذ معه زاد أیام قلائل، و أدلاء البلاد، و مضی لیسد فم جسر علی بحیره تنیس انفتح منه مکان خرج منه الماء فغرق الطریق بین الوراده و العریش، و أقام هناک یومین، و حصل له توعک فعاد إلی مصر فی حادی عشر شوال.

و فی ثانی عشر شوال یوم الخمیس سلطن الملک الظاهر ولده الملک السعید ناصر الدین محمد برکه قاآن و أرکبه بأبهه الملک فی القلعه، و حمل الغاشیه بین یدیه بنفسه من باب السر إلی السلسله، ثم عاد و سیر الملک السعید علی ظاهر القاهره، و دخل من باب النصر، و شق البلد، و خرج من باب زویله، و سائر الأمراء مشاه بین یدیه، و الأمیر عز الدین الحلبی راکب إلی جانبه، و الوزیر بهاء الدین، و القاضی تاج الدین راکبان أمامه، و علیهم الخلع، و الأمیر بدر الدین بیسری حامل الجتر علی رأسه.

و فی یوم الخمیس خامس ذی القعده ختن الملک السعید باکرا، و ختن معه جماعه من أولاد الأمراء و الخواص، و حضر الملک الظاهر ذلک بنفسه، و حصل للحکماء خلع کثیره و أموال جمه.

و فی هذه الشهور ورد عا؟؟؟ الملک الظاهر عز الدین ایبک الأغاجری من الاسکندریه، و کان قد سیر إلیها لشنق الشریف حصن الدین بن

ثعلب، و سبب ذلک أن الشريف السرسنائى أحد عدول الثغر، كان يتردد إلى ابن ثعلب لتأنيسه، و قضاء حوائجه، فذكر عنه أنه أعمل الحيله فى هروبه، و سفر له عنه من يعينه و يساعده، و كان السرسنائى بمصر فى بعض حوائجه، فأخذ من جامعها، و أحضر إلى القلعه و سئل عما ذكر عنه فأنكر، فأرى الخطوط الوارده من الاسكندريه بالشهاده عليه، فأمر بشنقه تحت القلعه، و بشنق ابن ثعلب فى الاسكندريه فشنقا.

ذكر قبض الملک الظاهر على سنقر الاقرع

و سبب ذلک أن رسولا ورد من بركه على الملک الظاهر فى ذى القعده، و معه رجل ادعى أنه الملک الأشرف بن الملک المظفر شهاب الدين غازى، فشهد له سنقر الاقرع، و غيره فاستكشف الملک الظاهر عن أمره فظهر له أن سنقر الاقرع بعث إليه، و استدعاه لغرض له، فأمر الملک الظاهر بالقبض عليه، و حبسه و حبس من شهد له فى خزانه البنود فى ذى الحجه ...

و فى ذى الحجه كتب توقيع، و خلد فى بيت المال بالديار المصريه يتضمن اسقاط بواقى تعذر استخراجها، و المسامحه بها.

و فى رابع و عشرين منه قبض الملک الظاهر على الأمير شمس الدين سنقر الرومى، و سببه أنه غضب على مملوكين له، فشفع الملک الظاهر فيهما عنده فأجاب، فلما كان تلک الليله قتل أحدهما فهرب الآخر، و أعلم الملک الظاهر، فأمر بالقبض على سنقر الرومى، و لم يتعرض إلى ماله و أجرى على أولاده و حريمه و أتباعه رواتب.

و فيها ولى من كل مذهب قاضى قضاه مستقل بالديار المصريه، و سبب ذلک كثره توقف قاضى القضاه تاج الدين فى تنفيذ الأحكام، و كثره الشكاوى منه فى يوم الاثنين ثانى عشرى ذى الحجه، و الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى فى المجلس و كان يكره القاضى تاج الدين، فقال الأمير جمال الدين: نترک مذهب الشافعى لک، و نولى معک من كل

مذهب قاضيا، فمال الملک الظاهر إلى قوله، و كان له منه محل عظيم، فولى الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد الحنبلى و الشيخ صدر الدين سليمان الحنفى و القاضى شرف الدين عمر السبكى المالكى و فوض إلى كل منهم أن يستنيب فى الأعمال، و أبقى على تاج الدين النظر فى مال الأيتام، و الأمور المختصه ببيت المال، و كتب لهم تقاليد، و خلع عليهم، ثم فعل ذلک فى الشام.

و فى هذه السنه أحضر بين يدي الملک الظاهر نعجه قد ولدت خروفا على صوره فيل له خرطوم طويل، و أنياب.

و فيها قوى اهتمام الملک الظاهر بتمام عماره الحرم الشريف النبوى، و جهز الأخشاب و الحديد و الرصاص، و من الصناع ثلاثه و خمسين رجلا و ما يمونهم، و أنفق فيهم قبل سفرهم، و بعث معهم جمال الدين محسن الصالحى، و شهاب الدين غازى بن فضل اليغمورى مشدا، و الرضى ناظرا، و مجير الدين أحمد بن أبى الحسين بن تمام طبيبا، و معه أدويه و أشربه، و كان سفرهم فى سابع عشر شهر رجب، فوصلوا المدينه فى ثانى عشر شوال، و أخذوا فى العماره، و كلما عازهم شى ء من الآلات و النفقات سير إليهم من الديار المصريه، و دامت العماره إلى سنه سبع و ستين ...

[الوفيات:]

موسى بن يغمور بن جلدک بن بليمان بن عبد الله

، أبو الفتح جمال الدين مولده فى جمادى الآخره سنه تسع و تسعين و خمسمائه بالقريه قريه بالقرب من سمنهود من أعمال قوص، و هو ياروقى الأصل، سمع من جماعه، و حدث و توفى فى مستهل شعبان بالقصير من أعمال الفاقوسيه بين الغرابى و الصالحيه، و حمل إلى تربه والده بسفح المقطم فدفن بها فى رابع الشهر المذكور، و كان أميرا كبيرا عظيما رئيسا، عالما فاضلا، جليل المقدار خبيرا حازما ساوسا، مدبرا، جوادا، ممدحا تنقلت به الأحوال، و هذبته الأيام، و أحكمته التجارب، و ناب بالديار المصريه فى الأيام الصالحيه النجميه مده، ثم نقله إلى الشام و جعله نائب السلطنه به فأقام

بدمشق إلى أن توفى الملک الصالح نجم الدين، و قدم الملک المعظم توران شاه ولده دمشق، و توجه منها إلى الديار المصريه، و قتل على ما هو مشهور، و تقرر الملک المعز بالديار المصريه، فراسله فى موافقته، فلم يجبه و بقى بدمشق إلى أن قدمها الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، و ملكها، فاعتمد عليه فى سائر أموره، و كان هو أمير الدوله و مشيرها، و له عند الملک الناصر المكانه العاليه، و المرتبه الرفيعه، و لم يكن فى أمراء الدوله من يضاهيه فى منزلته، و مكانته و قربه و محله إلا الأمير ناصر الدين القيمرى رحمه الله، و كان الأمير جمال الدين من رجال الدهر عقلا و حزما، و سدادا و حشمه، و له الآراء الثاقبه و الفراسه الصائبه، و إنعامه واصل إلى الأمراء، و الفقراء، و الرؤساء، و كان بينه و بين والدى رحمه الله موده كبيره، و مكاتبات فى حال الغيبه، و كان فى الدوله الناصريه، كثير البر و الاحسان إلى الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، فلما أفضت السلطنه إليه أعرض عنه بعض الإعراض، ثم أقبل عليه ورعى له سالف خدمته و عظم قدره، و جعله أستاذداره، و فوض إليه أمورا كثيره لعلمه بكفايته، و عظم غنائه، و لم يزل على ذلک إلى أن درج إلى رحمه الله تعالى كما ذكرنا.

يوسف بن الحسن على أبو المحاسن بدر الدين السنجارى الزرزارى،

كان رئيسا جليلا جوادا ممدحا، موصوفا بالكرم، و الرئاسه، لا ينازع فى ذلک و تنقلت به الأحوال، فكان فى أول أمره بسنجار، و تلک البلاد المشرقيه، و كان له عند الملک الأشرف مظفر الدين أبى الفتح موسى بن الملک العادل رحمه الله مكانه و وجاهه، فلما وصل ملک دمشق و ما معها ولاه القضاء ببعلبک و مضافاتها، و هى البقاع البعلبكى، و البقاع العزيزى، و الزبدانى، و الجبال، فكان القضاه فى هذه النواحى نوابه، و من قبله و يكتب له فى اسجالاته قاضى القضاه، و وقفت على كثير من اسجالاته لما كان متوليا ببعلبک، و كنيته فيها أبو العز، و كان مع صغر

ولايته بالنسبه إليه يسلک من التجمل و کثره المماليک و الحاشيه و الدواب، و حسن الزی ما لا يسلکه وزير الممالک الکبار، فضلا عن قضاتها، ثم عاد إلی سنجار.

فلما مات الملک الکامل خرجت الخوارزميه عن طاعه ولده الملک الصالح، فتوجه إلی سنجار فطمع فيه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و حصره فيها، و لم يبق إلا أن يتسلمها و يأخذ الملک الصالح أسيرا، و يتملک البلاد الشرقيه بأسرها، و کان بدر الدين قاضی سنجار إذ ذاک [هناک] فأرسله الملک الصالح و هو محصور بها إلی الخوارزميه ليصلح بينه و بينهم، و يستميلهم إليه و يستدعيهم لنصرته، فخرج من سنجار سرا بحيث لا يشعر به المحاصرون للبلد، و خاطر بنفسه، و رکب الأهوال فی ذلک، و مضی إلی الخوارزميه، فاستمالهم و طيب قلوبهم، و وعدهم الوعود الجميله بعد أن کانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردين، و قصدوا بلاد الملک الصالح، و استولوا علی الأعمال، و نازلوا حران فأجفل أهلها.

و کان بقلعه حران الملک المغيث ابن الملک الصالح نجم الدين، فخاف منهم، فسار مختفيا نحو قلعه جعبر، و طلبه الخوارزميه و نهبوه، و من معه، و أفلت من شرذمه من أصحابه، و وصل إلی منبج، ثم عاد إلی حران و وصله کتاب أبيه يأمره بموافقه الخوارزميه و إرضائهم، فاجتمع بهم أيضا القاضی بدر الدين، و التزم لهم القاضی بدر الدين أن يقطعوا حران و الرها و غيرهما من البلاد الجزريه، و حلفهم القاضی بدر الدين للملک الصالح نجم الدين، و اشتملوا علی خدمه ولده الملک المغيث.

و لما اتفق الحال مع الخوارزميه ساروا معه، و مع الملک المغيث قاصدين سنجار، و مقدمهم الأمير حسام الدين برکه خان، فلما سمع صاحب الموصل و من معه قربهم أفرجوا عن سنجار، و أدرکتهم الخوارزميه، فأوقعوا بهم، و هرب صاحب الموصل، و احتوت الخوارزميه علی خيمه و أثقاله، و نهبوا من ذلک ما لا يحصی، و کان الملک المعظم توران شاه ابن

الملک الصالح بآمد معه الأمیر حسام الدین بن أبی علی الهذبانی، و علی آمد عسکر السلطان غیاث الدین صاحب الروم، و قد أخذ بعض قلاعها، فقصدهم الخوارزمیه، و واقعوا بعض عسکر الروم، فانهزم الباقون عن آمد، و لم ینالوا منها غرضا، فقلد القاضی بدر الدین بفعلته هذه للملک الصالح نجم الدین منه عظیمه، و أوجب علیه حقوقا رعاها له، ثم إن الملک الصالح عماد الدین سیر القاضی بدر الدین، و کان قدم الشام، فجهزه فی رساله عنه إلی صاحب الروم، فلما عاد بلغه خروج الملک الصالح نجم الدین من الاعتقال بقلعه الکرک، و تملکه الدیار المصریه فخاف علی نفسه من تخیل الملک الصالح عماد الدین منه لما یتحققه من میله إلی جهه الملک الصالح نجم الدین، فجهز إلیه جواب الرساله، و أقام بحماه لکون صاحبها الملک المظفر مع الملک الصالح نجم الدین، و مباینا للملک الصالح عماد الدین، ثم توجه فی سنه ثمان و ثلاثین من حماه إلی طرابلس و رکب فی البحر إلی الطینه، و حصل له مرض یئس منه، ثم ابل و دخل الدیار المصریه، فسر به الملک الصالح نجم الدین و أکرمه غایه الإکرام و جازاه علی یده من عنده، و کان القاضی شرف الدین ابن عین الدوله قاضی الاقلیم بکماله، فأفرد عنه مصر، و الوجه القبلی و فوضه إلی القاضی بدر الدین، و أبقی القاهره، و الوجه البحری بعد وفاه القاضی شرف الدین، و کان الأمیر فخر الدین یوسف بن الشیخ رحمه الله یکره القاضی بدر الدین، فکتب مره إلی الملک الصالح نجم الدین کتابا یغض من القاضی بدر الدین فیه، و ینسبه إلی أنه یأخذ من نوابه بالأطراف أموالا یحملونها إلیه، و أنه إذا عدل شاهدا أخذ منه مالا، و اشباه ذلک، فلما وقف الملک الصالح علی کتاب الأمیر فخر الدین، کتب إلیه بخطه علی رأس کتابه ما معناه: یا أخی فخر الدین، للقاضی بدر الدین علی حقوق عظیمه لا أقوم بشکرها، و الذی قد تولاه قلیل من حقه، و ما قمت له بما یجب علی من مکافأته، فلما وقف الأمیر فخر الدین علی ذلک لم یعاوده فی قضیته و ترک الورقه فی جمله من أوراق عنده، فلما استشهد بالمنصوره

و خلف بنتا صغيره احتيط على ما فى داره، فوجدت الورقه فى أوراقه، فحملها نواب الأيتام إلى القاضى بدر الدين، فكان يوقف عليها بعض من يدخل إليه من الأعيان.

و بالجمله فلم يزل فى المناصب، فإنه ولى سنجار، و تلك النواحى، ثم ولى بعلبک و أعمالها، ثم عاد إلى سنجار، ثم قدم الديار المصريه فولى مصر و الوجه القبلى مره و القاهره و الوجه البحرى تاره، و جمع له الاقليم بكماله، و ولى تدريس المدرسه الصالحيه النجميه التى بين القصرين للطائفه الشافعيه مده، و باشر وزاره الديار المصريه مده، و كان فى حال توليه الحكم يشارک فى الأمور المتعلقه بالدوله، و يشاور فيها و يرجع فى معظمها إلى رأيه، و لم يزل ينتقل فى المناصب الجليله، و الولايات الخطيره إلى اوائل الدوله الظاهريه، صرف عن ذلک، فلزم منزله و الناس يترددون إلى خدمته و الأعيان يعترفون بتقدمه، و رئاسته و حرمته وافره عند أرباب الدوله، و محله عظيم عند الخاص و العام، و مكارمه مشهوره عند سائر الأنام، و كان كثير الإحسان وافر العطاء، جميل الصفح عن الزلات و إقاله العثرات، و رعايه الحقوق، و المودات، مقصدا لمن يرد إليه من الفقهاء و الفضلاء و ذوى البيوتات، و حج سنه اثنتين و خمسين سافر على البحر و صام بمكه شهر رمضان، و أقام إلى الموسم، و عاد فى اوائل سنه ثلاث و خمسين، و كان بينه و بين والدى رحمه الله موده أكيده، فكان من يتوجه إلى الديار المصريه يتوسل إليه بكتب والدى، فيبالغ فى إكرامه و الإحسان إليه، و كانت وفاته فى رابع عشر شهر رجب بالقاهره و دفن بتربته بالقرافه رحمه الله ...

[أحداث]لسنه الرابعه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه، و الخليفه و ملوک الطوائف على الصوره المستقره، خلا صاحب مراكش الملقب بالمرتضى، فإنه قتل، و ولى بعده أبو العلاء ادريس الملقب بالواثق، و الملک الظاهر بقلعه الجبل.

متجددات الأحوال

اشاره

خرج الملک الظاهر من القلعه إلی الصید فی رابع ربیع الأول و عاد فی رابع عشر ربیع الآخر، فأقام بالقلعه یومین، ثم توجه إلی تروجه فأقام بها إلی تاسع عشری جمادی الأولی، و فی رابع عشر جمادی الآخره توجه لحفر خلیج الاسکندریه فی شهر رجب.

و فی العشرین من جمادی الآخره سمر علی الجبال أحد و عشرین نفرا من مقدمی العربان بالشرقیه، و حملوا علیها إلی بلادهم فماتوا فی الطریق.

و فی هذه السنه ظهر کتاب وقف المدرسه النوریه رحم الله واقفها ببعلبک، و فیه اشتراک بین الشافعیه و غیرهم من المشتغلین بالعلم من أهل السنه و کان بنی عصرون الذین یدعون النظر علی الأوقاف النوریه یخفون لذلک فلما ظهر أمره جدد إثباته و أخذ به نسخه، و تنجز علیها فتاوی العلماء و مراسیم نواب السلطنه، و نزل بالمدرسه المذکوره من أراد الاشتغال من الحنابله و غیرهم، و استمر الحال علی ذلک بعد فصول یطول شرحها.

[توجه الملک الظاهر نحو صفد]

اشاره

و فی یوم السبت مستهل شعبان برز الملک الظاهر إلی برکه الجب قاصدا صفد، و ترک نائبا عنه بالدیار المصریه الملک السعید و الحلی فی خدمته، و الوزیر بهاء الدین، و سار حتی نزل عین جالوت، و بعث عسکرا مقدمه الأمیر جمال الدین ایدغدی العزیزی، و عسکرا آخر مقدمه سیف الدین قلاوون الألفی للغاره علی بلاد الساحل، فأغاروا علی عکا، و صور و عرقه، و طرابلس و حلبا، و حصن الأکراد فی یوم واحد، و هو سلخ شعبان علی مواعده کانت بینهم، فغنموا و سبوا ما لا یحصر، ثم نزل الملک الظاهر علی صفد فی ثامن شهر رمضان و نصب علیها المجانیق، و دام الاهتمام بعمل الآلات الحربیه إلی مستهل شوال، فی الزحف و الحصار و القتال، و أخذت النقوب علی الباشوره من جمیع الجهات إلی أن ملکت

بكره الثلاثاء خامس عشر شوال، و استمر الزحف و القتال، و نصبت السلالم على القلعه، و سلطت عليها النقوب، و الملک الظاهر يباشر ذلک بنفسه، فبذل أهل الحصن التسليم على أن يؤمنوا على أنفسهم، و طلبوا اليمين على ذلک، فأجلس الملک الظاهر الأمير سيف الدين كرمون من التتر فى دست السلطنه، و حضرت رسلهم فاستحلفوه، فحلف و هم يظنونه الملک الظاهر، و كان فى قلب الملک الظاهر منهم لما انكوا، و لما فعلوا بالمسلمين، ثم شرط عليهم أن لا يأخذوا معهم من أموالهم شيئا، فلما كان يوم الجمعه ثامن عشر شوال طلعت السناجق على القلعه، و وقف السلطان بنفسه على بابها و أخرج من كان فيها من الداويه و الاسبتار و الفلاحين و غيرهم، و دخل الأمير بدر الدين الخازندار و تسلمها، و اطلع على أنهم أخذوا شيئا كثيرا من التحف له قيمه، فأمر الملک الظاهر بضرب رقابهم فضربت على تل هناک.

[فتح صفد]

و انشئت كتب البشائر، فمنها ما كتبه كمال الدين أحمد بن العجمى عن الملک الظاهر إلى قاضى قضاه الشام شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله و مضمونه: سر الله خاطر المجلسى السامى، و اطلع عليه وجوه البشائر سوافر، و أمتع نواظره باستجلاء محاسنها النواضر، و واصلها إليه متواليه تواجهه كل يوم بمراتبها الزواهى الزواهر، و أماثلها لديه متضاهيه الجمال متناسبه فى حسن المبادى، و الأواخر، و لم تزل وجوه البشائر أحسن وجوه تستجلى، و ألفاظه أعذب الفاظ تستعاد و تستحلى و إذا كررت على المسامع أحاديث كتبها لا تمل بل تستملى، لا سيما إذا كانت بإعزاز الدين، و تأييد المسلمين، و نبأ فتح نرجو أن يكون طليعه فتوحات كل فتح منها هو الفتح المبين، فإن أنباءها تجل وقعا، و تعظم فى الدنيا و الآخره نفعا، و تود كل جارحه عند حديثه أن تكون سمعا، لحديث هذا الفتح الذى كرم خبرا، و خبرا و حسن أثره فى الاسلام وردا و صدرا، و طابت أخبار ذكره، فشغل به السارون حداء،

و السامرون سمرا، و هو فتح صفد و استنفاذه من أسره، و استرجاعه إلى الاسلام و قد طالت عليه فى النصرانيه مده من عمره و إقرار عين الدين بفتحه، و كان قذى فى عينه و شجى فى صدره، و قد كنا لما وصلنا الشام بالعزم الذى نفرته دواعى الجهاد، و انفذته عوالى الصعاد، و قربته أيدى الجياد، ملنا على سواحل العدو المخذول، فغرقناها ببحار عساكرنا الزاخره، و شنينا بها من الغارات ما ألبسها ذلا، رفل به الاسلام فى ملابس عزه الفاخره و هى إن كانت غاره عظيمه، شنت فى يوم واحد على جميع سواحله، و استولى بها النهب و التخريب على أمواله و منازله، و استبيح من حرمه و حرمه مصونات معاقله، و عقائله، إلا أنها كانت بين يدى عزائمنا المنصوره نشيطه نشطنا بها الغازين و استرهفنا بها همم المجاهدين و قدمناها لهم كاللهنه قبل الطعام للساغبين، و أعقبنا بما رأيناه أولى بالتقديم و أحرى، و تبيناه أشد وطأه على الاسلام و أعظم ضرا، و هى صفد التى باء باثمها حاملها على النصرانيه، و مسلطها بالنكايه، على البلاد الاسلاميه، حتى جعلها للشرک مأسده آساده، و مراد مراده، و مجر رماحه، و مجرى جياده، كم استبيح بسببها للاسلام من حمى، و كم استرق الكفار بواسطتها مسلمه من الأحرار و مسلما، و كم تسرب منها جيش الفرنج إلى بلاد المسلمين فحازوا مغنما و قوضوا معلما، فنازلناها منازله الليل بانعقاد القساطل، و طالعناها مطالعه الشمس ببريق المرهفات، و أسنه الذوابل، و قصدناها بجحفل لم يزحم بلدا إلا هدمه و لا قصد جيشا إلا هزمه، و لا ام ممتنعا طغى جباره إلا سهله و قصمه، فلما طالعتها أوائل طلائعنا منازله، و قابلتها وجوه كماتنا المقاتله اغتر كافرها، فبرز للمبارزه و القتال، و وقف دون المنازله داعيا نزال، فتقدم إليه من فرساننا كل حديد الشبا جديد الشباب يهوى إلى الحرب فيرى منه، و من طرفه أسد فوق عقاب، و يخف نحوها مسرعا، فيقال: إذا لقاء أعداء أم لقاء أحباب، فهم فوارس كمناصلهم رونقا و ضياء، تجرى بهم جياد كذوابلهم علائا و مضاء، إذا مشوا إلى الحرب مزجوا المرح بالتيه،

فيظن فى أعطافهم كسل، و هزوا قاماتهم مع الذوابل فجهلت الحرب من منهم الأسل، فحين شاهد أعداء الله آساد الله تصول من رماحها بأساودها، و تبدى ظمأ لا ينفعه إلا أن ترد من دماء الاعداء محمر مواردها، و أنها أقبلت نحوهم بجحافل تضيق رحب الفضاء، و تحقق بنزولها و نزالها كيف نزول القضاء، و إنه جيش بعثه الله بإعزاز الجمعه و إذلال الأحد، و عقد برايته مذ عقدها إن لا قبل بها لأحد، و إن الفرار ملازم أعدائه، و لا قرار على زائر الأسد، و لوا مدبرين، و أدبروا على أعقابهم ناكصين، و لجأوا إلى معقلهم معتقلين لا معتقلين، فعند ذلک زحفنا إليه من كل جانب حتى صرنا كالنطاق بخصره، و درنا به حتى عدنا كاللثام بثغره، و أمطرنا عليه من السهام وابلا سحبت ذيول سحبه المتراكمه، و أجرينا حولها من الحديد بحرا غرقه أمواجه المتلاطمه، و ضايقناها حتى لو قصد وفد النسيم وصولا إليه لما تخلص، أو رام ظل الشمس أن يعود عليه فيئا لعجز لأخذنا عليه أن يتقلص، ثم وكلنا به من المجانيق كل عالى الغوارب عارى المناكب، عبل الشوى، سامى الذرى، له و ثبات تحمل إلى الحصون البوائق، و ثبات تزول دونه و لا يزول الشواهق، ترفع لمرورها الستائر فتدخل أحجاره بغير استيذان، و ترضخ لنزوله رؤوس الحصون فتخر خاضعه للأذقان، فلم يزل يصدع بثبات أركانه حتى هدمها، و تقبل ثنيات ثغره حتى أبدى ثرمها، و فى ضمن ذلک لصق الحجارون بجداره، و تعلقوا بأذيال أسواره، ففتحوها أسرابا، و أججوها جحيما يستعر جمرها إلتهابا، فصلى أهل النار بنارين من الحريق و القتال، و منوا بعذابين من حر الضرام، و حد النصال، هذه تستعر عليهم وقودا، و هذه تجعل هامهم للسيف غمودا.

فعند ذلک جاءهم الموت من فوقهم و من أسفل منهم، و أصبح ثغرهم ظنوه عاصما لا يغنى عنهم، و مع ذلک فقاتلوا قتال مستقتل لا يرى من الموت بدا، و ثبتوا متحابين يقدون ببيضهم البيض و الأبدان

قدا، فصبر أولياء الله على ما عاهدوا الله عليه، و قدموا نفوسهم قبل أقدامهم رغبه إليه، و رأوا الجنه تحت ظلال السيوف فلم يروا دونها مقيلا، و تحققوا ما أعده الله لأهل الشهاده، فاستحلوا وجه الموت على جهامته جميلا، فعند ذلک خاب ظن أعداء الله، و سقط فى أيديهم، و صار رجاء السلامه برؤوسهم أقصى تمنيهم، فعدلوا عن القتال إلى السؤال، و جنحوا إلى السلم، و طلب النزول بعد النزال، و تداعوا بالأمان صارخين، و جاؤوا بدعاء التضرع لاجين، فأغمد الصفح عنهم بيض الصفاح، و قاتلوا من التوسل بأحد سلاح، و استدعوا راياتنا المنصوره، فشربوا بها الشرفات و نزلوا على حكمنا فأقالت القدره لهم العثرات، و تسلم الحصن المبارک وقت صلاه الجمعه ثامن عشر شوال، و تحكم نوابنا على ما بها من الذخائر و الأموال، و نودى فى أرجائها بالواحد الأحد، و استديل للجمعه يوم الجمعه من يوم الأحد، و نحن نحمد الله على هذا الفتح الذى أعاد وجه الاسلام جميلا، و أنام عين الدين فى ظل من الأمن مده ظليلا، و ألان من جانب هذا الثغر ما لا ظن أن سيلين، و ذلل من صعبه ما شرح به صدر الملک و الدين، فإنه حصن مر عليه دهر لم يدر فتحه بالأوهام، و لا تطاولت إليه يد الخطب، و لا همه الأيام، و ربما كانت تجد منفسا فتدعو الملوک إلى نفسها فيتصاموا، و تخطبهم و ممرها أدنى حرب، فيرغبوا فى العزله و المسالمه فيسالموا، ألهاهم عن فخر فتحها الرغبه فى رفاهيه عيشه ظنوها راضيه، و وقف بهم دون السعى فيه همه لنزول الدنايا متغاضيه، و جنح بهم مراد السلم و إراده السلم، كانت عليهم القاضيه، و المجلس أيده الله يأخذ حظه من هذه البشرى، و يقر بها عينا، و يشرح بها صدرا، و يحلى وجوه بشائرها من هذه المكاتبه على عيون الناس من كل حاضر و باد، و يستنطق بها ألسن المحدثين، فى كل محفل و ناد، و الله يحرس المجلس، و يسهل بهمته كل مراد، إن شاء الله تعالى فى التاريخ المذكور من وقت الفتح.

ثم أمر بعمارتها و تحصينها و نقل الذخائر و الأسلحه إليها، و أقطع بلدها لمن رتبه لحفظها من الأجناد، و جعل مقدمهم الأمير علاء الدين الكبكى، و جعل فى نيابه السلطنه بالقلعه عز الدين العلائى، و ولايه القلعه للأمير مجد الدين الطورى، ثم رحل إلى دمشق فى تاسع عشر شوال.

و لما كان الملک الظاهر منازلا صفد وصل إليه فى خامس عشر شهر رمضان رسول صاحب صهيون بهديه جليله و رساله مضمونها الاعتذار من تأخره عن الحضور، فقبل الهديه و العذر، و وصلت رسل صاحب سيس أيضا بهديه، فلم يقبلها، و لا سمع رسالتهم، و وصلت الهديه من متولى قوص يخبر أنه استولى على جزيره سواكن، و هرب صاحبها، و بعث يطلب من السلطان الدخول فى الطاعه و إبقاءها عليه فكتب له بذلک.

[مشكله أهل قارا:]

و فى يوم الخميس مستهل ذى القعده حل الملک الظاهر بدمشق، ثم تقدم إلى العساكر بالمسير إلى بلد سيس للغاره، فخرجوا من دمشق يوم السبت ثالث الشهر، و قدم عليهم الملک المنصور صاحب حماه، و تدبير الأمور إلى الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى، فوصلوا الدربند الذى يدخل منه إليها، و كان صاحبها قد بنى عليه أبرجه، و جعل فيها المقاتله، فلما رأوا العساكر تركوها، و مضوا فملكها المسلمون، و هدموها و دخلوا إلى بلد سيس فأسروا، و قتلوا و سبوا، و كان فيمن أسر ابن صاحب سيس، و ابن أخته و جماعه من أكابرهم، و دخلوا المدينه يوم السبت ثانى و عشرين من ذى القعده، فنهبوها و أخذوا منها ما لا يحصيه إلا الله تعالى، و لما عادوا خرج الملک الظاهر من دمشق، لتلقيهم فى ثانى ذى الحجه و جاز بقارا فى سادسه، فأمر بنهبها، و قتل من فيها، و سبب ذلک أن بعض ركابيه الديار المصريه خدم مع الطواشى مرشد، و خرج معه عند عوده من مصر إلى حماه، فحصل له مرض، فانقطع بالعيون قريبا من قارا و أمسى عليه المساء فأتاه نفران من أهل قارا و حادثاه و حملاه إلى قارا ليمرضاه فبقى عندهما ثلاثه أيام فعوفى، فأخذاه تحت الليل و وصلا به إلى حصن

الاكراد، و باعاه بأربعين دينارا صوريه، و اتفق توجه بعض تجار دمشق إلى حصن الأكراد لمشترى اسراء، فاشتراه فى الجمله و اتفق انه خدم بعض الأجناد، و خرج صحبته، فلما حل ركاب الملک الظاهر بقارا حضر الركابى مجلس الأتابک، و أنهى إليه صوره حاله فسير معه جانداريه، فطوق عليهما فصادف أحدهما بباب الخان فحمل إلى الأتابک فدخل الاتابک على الملک الظاهر، و قص عليه القصه، فأمر بإحضارهما فحضرا، و تقابلا فأنكر القارى، فقال الركابى أعرف داره و ما فيها، فلما سمع اعترف و قال: ما أنا وحدى أفعل هذا، بل جميع من بقارا يفعله، و اتفق حضور رهبان من أهل قارا إلى باب الدهليز بضيافه فقبض الملک الظاهر عليهم، و ركب بنفسه و قصد الديار التى خارج قارا فقتل من بها، ثم أمر العسكر بالركوب، و قصد التل الذى ظاهر قارا من الشمال، و استدعى أبا العز رئيسها، و قال نحن قاصدون الصيد فمر أهل قارا بالخروج بأجمعهم، فخرج منهم جماعه إلى ظاهر القريه فلما بعدوا أمر العسكر فضرب رقابهم، و لم يسلم إلا من هرب و اختفى بالمغائر، و عصى بالأبرجه جماعه، فآمنوا، و أخذوا أسرى، و كانوا ألفا و سبعين نفرا ما بين رجل و امرأه و صبى، و انتمى جماعه إلى أبى العز رئيسها فأطلقوا له لأنه كان خدم السلطان، و ضيفه فى الأيام المظفريه عند عوده من خلف منهزمى التتر، فرعى ذلک له، ثم أمر بالرهبان الذين كانوا قبضوا فوسطوا عن آخرهم، و تقدم إلى العسكر بنهب قارا فنهبت و جعلت كنيستها جامعا، و رتب بها خطيبا، و قاضيا، و نقل إليها الرعيه من التركمان قناه الأغنام و غيرهم، ثم رحل للقاء العسكر الراجع من سيس، فالتقى بهم على أفاميه و عاد معهم فدخل دمشق و الغنائم و الاسرى بين يديه يوم الاثنين خامس عشرى ذى الحجه، و خرج منها طالبا للكرک مستهل المحرم سنه خمس و ستين.

و فى ذى الحجه دخل رجل إلى دار العدل بالقاهره، و بيده قصه و سأل إيصالها إلى الأمير عز الدين الحلى، فأذن له، فلما دخل جرد سكينا و وثب

علیه فجرحه، فقام إلیه الصارم قیماز المسعودی متولی القاهره لیدفعه عنه، فضربه بالسکین فقتله، فنهض الحلی و الوزیر و تاج الدین ابن بنت الأعز، و هربوا، و وثب الجاندریه علی الرجل فقتلوه، و زعم قوم انه من جهه زین الدین بن الزبیر و بحث عن ذاک فلم یعرف له خبر.

و فی هذه السنه أمر الملک الظاهر بعماره جسر بالغور علی الشریعه ما بین دامیه و قراوی(1) فشرع فیه، و کان المتولی لعماره جمال الدین محمد بن نهار، و محمد بن رحال والی نابلس و الأغوار، و لما تکاملت عمارته اضطرب بعض أرکانه، فقلق الملک الظاهر لذلک و أعاد الناس لا صلاحه فتعذر ذلک لزیاده الماء، فاتفق وقوف الماء عن جریانه بحیث أمکن اصلاح ما یحتاج إلی اصلاحه، فلما تم اصلاحه عاد الماء إلی حاله، قیل وقع فی النهر قطعه کبیره مما یجاوره من الأماکن العالیه، فسکر به و هذا من عجیب الاتفاق.

و فیها سیر الملک الظاهر سبیلا إلی مکه شرفها الله تعالی، و کسوه للکعبه الشریفه علی العاده صحبه جمال الدین یوسف نائب دار العدل، أمیر الحجاج، و عادوا إلی مصر فی العشرین من صفر سنه خمس و ستین.

و فی هذه السنه هلک هولاکو بن قاآن بن جنکز خان فی کوکر جلک و سنذکره إن شاء الله تعالی، و جلس ولده أبغا علی التخت مکان أبیه، و کتب إلی ممالکه یعرفهم بجلوسه و سیر یغلغا(2) إلی الروم ینظم الدعاء له، و طلب السلطان رکن الدین و البرواناه، فتوجها بهدیه سنیه و هنئوه بالملک، و طلبوا منه یغلغا بالبلاد التی کانت فی أیدی آبائه، و أن البلاد التی خرجت عن أیدیهم فی أیام السلطان عز الدین و آبائه

1- دامیه: تل یقع فی وادی الأردن علی بعد حوالی نصف کیلومتر من سیل الزرقاء و هو یشرف علی طریق وادی الفارعه المؤدیه إلی نابلس، و قراوی قریه فی غور الفارعه المتصل بنابلس، معجم بلدان فلسطین لمحمد شراب- ط. دمشق 1987.
2- أی کتاب أمان.

يسترجعها و كانت سنوب فى ذلک التاريخ فى يد كمناقوس ملک جانت تغلب عليها فى الأيام التى وقع فيها الخلف بين عز الدين، و ركن الدين فى سنه سبع و خمسين، فعاد ركن الدين و بقى معين الدين سلمان البرواناه مقيما لقضاء الأشغال، فتحدث معه أبغا سرا، فقال البرواناه:

هؤلاء بنو سلجوق ما يؤمنوا و ربما لركن الدين باطن مع صاحب مصر، فقال أبغا: قد وليتک نيابه السلطنه بالروم، فإن تحققت أحدا يخالف طاعتى اقتله، ثم استأذنه فى محاصره سنوب، فأذن له و عاد إلى الروم، و اجتمع بركن الدين، و عرفه خدمته، فشكره على ذلک، ثم جمع و حشد ما أمكنه، و قصد سنوب و هى قلعه حصينه يحفها البحر من جوانبها، و كان مقدم العسكر بها إذ ذاک غضراس الكافر، و كان قد عمد إلى المساجد فجعلها كنائس، فلما وصل البرواناه بالعساكر إلى سنوب سير اليغلغ إلى غضراس، و طلب تسليم البلد فأبى، فرتب البرواناه حوله مراكب فيها المجانيق و المقاتله، و زحف عليها و كان من أمراء الروم تاج الدين قليج، و بينه و بين البرواناه شنآن فاتفق أنه ركب فى مركب، و زحف على القلعه فأرسى به مركبه على طرف النهر، فانقلب بمن فيه، و غرق الرجاله، و خرج الركاب من البحر، و كان باب القلعه مفتوحا، فخرج غضراس راكبا و قصدهم، و حمل على تاج الدين ليطعنه فتقنطر به فرسه فقتله تاج الدين، و هجم القلعه فأخذها، فلما استولى البرواناه عليها ادعى أنها فتوحه، و كتب إلى أبغا و إلى مخدومه، و جميع المجاورين بالفتح و نسبه إلى نفسه، فعظم قدره فاستشعر منه ركن الدين و استشعر هو أيضا منه، و حصل بينهما باطن أوجب أنه أوسع الحيله فى قتل ركن الدين، على ما يأتى إن شاء الله فى سنه ست و ستين .....

[استيلاء شارل دى آنجو على صقليه:]

و فيها جمع أرى جرل(1) أخو ريد افرنس، و قصد جزيره صقيليه و حارب الانبروز ملكها على مدينه سرقوسه فهزم عسكره، و قتله فى المصاف و استولى على جزيره صقليه ....

1- أى الملک شارل.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]يدغدى بن عبد الله الأمير جمال الدين العزيزى

، سمع و حدث و كان أميرا كبيرا، عظيم القدر مشهورا بالشجاعه و الكرم، و الديانه و الحشمه، و سعه الصدر و كبر النفس، و علو الهمه، كثير الصدقات و البر و المعروف للفقراء و المشايخ أصحاب الزوايا، و أرباب البيوتات عليه من الرواتب فى كل سنه ما يزيد على مائه ألف درهم، و ألوف كثيره أرادب قمح، هذا غير ما يتصدق به و يطلقه فى وسط السنه مما هو فى غير حكم الراتب المستقر، و كان مقتصدا فى ملبسه لا يتعدى لبس ثياب القطن من القماش الهندى، و البعلبكى، و غيره مما يباح و لا يكره لبسه، و حكى لى بعض الناصريه قال: لما دخلنا الديار المصريه اتفق أن بعض الأمراء الأكابر عمل سماعا، و حضر بنفسه إلى الأمير جمال الدين رحمه الله و دعاه، فوعده بالمضى إليه، و الحضور عنده، فلما كان العشاء الآخره مشى و نحن معه جماعه من خواصه و مماليكه إلى دار ذلك الأمير، فلما دخل وجد فى الدار جماعه من الأمراء جلوسا فى إيوان الدار، و جماعه من الفقراء جلوسا فى وسط الدار، فوقف و لم يدخل و قال لصاحب الدار و للأمراء: أخطأتم فيما فعلتم، كان ينبغى أن يقعد الفقراء فوق و أنتم فى أرض الدار، و لم يجلس حتى تحول الفقراء إلى مكان الأمراء و الأمراء إلى مكان الفقراء، و قعد هو و نحن بين الأمراء، فلما غنى المغانى قام أحدهم و الدف بيده و دار على الجماعه لينقطوه و هذه كانت عاده المغانى فى سماعات الديار المصريه، فلما رآه الأمير جمال الدين انتهره، و قال: و لا أنت فى الخلق، و أشار إلى خازنداره، فوضع فى الدف كيسا فيه ألف درهم، فلما رقص الجمع بينهم و رمى على المغنى بغلطاقه و هو أبيض قطن بعلبكى، ما يساوى عشرين درهما، فرمى سائر مماليكه بغالطيقهم موافقه لهم، و قيمتها فوق ثلاثه آلاف درهم، ثم دار فى النوبه الثانيه، و رمى على المغنى منديله،

و هو أبيض كتان يساوى درهمين، فرمى سائر أصحابه مناديلهم، و فيها ما هو بالذهب و غيره، و لعل قيمتها فوق ألف و خمسمائه درهم، فحسبت أن المغانى حصل له منه و من غلمانه فى تلك الليله قريب سته آلاف درهم، و لما عزم العزيزيه على قبض الملک المعز أطلعوا الأمير جمال الدين، فلم يوافقهم و نهاهم عن ذلک و عرفهم ما يترتب عليه من المفاسد، و أن ضرر هذا العزم يلحقهم دون الملک المعز، و لم ير الأمير جمال الدين أن يشى بهم إلى الملک المعز، و بلغ المعز ما عزموا عليه، و علم العزيزيه أنه علم و هو وهم فى الميدان للعب الكره فى العشر الأوسط من شهر رمضان سنه ثلاث و خمسين، فهربوا على حميه و المشار إليه فيهم، الأمير شمس الدين آقش البرلى، و أما الأمير جمال الدين، فخرج إليه فأمر بقبضه و سيره إلى قلعه الجبل فاعتقل بها مضيقا عليه، فلما تحقق براءه ساحته وسع عليه و تركه فى الاعتقال مكرما مرفها، و كان ذنبه عنده كونه لم يطلعه على ما عزم عليه أصحابه و أذن لأهل الأمير جمال الدين أن يحملوا إليه الطعام و الشراب و الملابس و كل ما يحتاج إليه، ثم أظهر موته و أخفى خبره بالكليه، فلما وقع الصلح بين الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و بين الملک المعز بسفاره الشيخ نجم الدين الباذرائى و توجه الشيخ نجم الدين المذكور إلى الديار المصريه، طلب من الملک المعز الإفراج عن الأمير جمال الدين، فقال له الملک المعز: ما بقى المولى يراه إلا فى عرصات القيامه، إشاره إلى أنه قد مات، و لم يكن مات بل كان فى قاعه بقلعه الجبل، و عليه الملبوس الفاخر، و الملک المعز يدخل إليه فى بعض الأوقات و يلعب معه بالشطرنج، و لم يزل الأمير على ذلک حتى قتل الملک المعز، و جرى ما أشرنا إليه عند قتله، و استمر فى الاعتقال إلى خرج الملک المظفر سيف الدين قطز رحمه الله لقتال التتار فى سنه ثمان و خمسين، فلما منّ الله سبحانه و تعالى و كسرهم كتب إلى النواب بالديار المصريه بالإفراج عنه، و تجهيزه إليه فأفرج عنه، و سير إليه فلقيه فى الطريق، و قد خرج من

دمشق، فعاد معه و اجتمع به الأمير ركن الدين البندقدارى، و أطلعه على شى ء مما عزم عليه، فأغلظ له فى الجواب و نهاه عن ذلک و صده بکل طريق، و قال له: لو کان للملک المظفر فى عنقى يمين لأخبرته بذلک و أطلعته عليه، فإياک إياک أن تقع فى ذلک فأظهر له الاصغاء إلى قوله، و فعل ما کان عزم عليه من قتل الملک المظفر رحمه الله، و لما استقل بالسلطنه عظم الأمير جمال الدين فى عينه و وثق به و سکن إليه، و کان عنده فى أعلى المراتب، و أعطاه إقطاعا عظيما، و کان يرجع إلى رأيه، و مشورته فى الأمور الدينيه، و ما يتعلق بالقضاه و العلماء و المشايخ، و أرباب الخرق فإنه لم يکن يعدل عن رأيه فى ذلک البته، و جهزه فى هذه السنه إلى بلاد سيس و الساحل مقدما على طائفه من الجيش، و الأمير سيف الدين قلاوون الألفى مقدما على طائفه أخرى، فأغاروا و غنموا، و قتلوا و سبوا، و أسروا و فتحوا حصونا کثيره، و عادوا فى شهر رمضان، و اجتازوا ببعلبک، و کان بيننا و بين الأمير جمال الدين رحمه الله صحبه و معرفه و موده، فحضر إلى مسجد الحنابله، و أشار إلى بأنه يريد الدخول إلى الحمام، فأدخلته إليه، فلما خرج دفع إلى الحمامى جمله کثيره من الدراهم، و جمع بيننا و بين الأمير سيف الدين قلاوون رحمه الله فى تلک الدفعه، فحصلت المعرفه به من ذلک التاريخ، ثم توجه إلى صفد و باشر الحصار بنفسه، و کان فى غزوات الکفار يبذل جهده و يتعرض للشهاده، فجرح عليها و بقى مده و ألم الجراحه يتزايد، و حمل إلى دمشق فتمرض بها إلى أن درج إلى رحمه الله تعالى، و ختم أعماله الصالحه بالشهاده، و توفاه إلى رضوانه ليله عرفه، و دفن فى مقبره رباط الملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، بسفح قاسيون، و کان فى محبه الصلحاء و الفقراء، و الاعتقاد فيهم و البر بهم و التواضع لديهم أوحد عصره، رحمه الله.

جدک بن عبد الله أبو الجود الرومى الفائزى

، کان أميرا جليلا فاضلا،

خبيرا بالسياسه، و له نظم جيد، و تولى عده ولايات، و كان مشكور السيره، و توفى بالقاهره فى سابع عشر شوال، و دفن بالقرافه رحمه الله ...

هولاكو بن قاآن بن جنكيز خان ملك التتار

، كان أعظم ملوک التتار، حازما شجاعا مدبرا، ذا همه عاليه و سطو عظيمه، و مهابه شديده، و نهضه تامه و كفايه بالغه، و استقلال بتدبير الممالک و الأقاليم، و خبره بالحروب و افتتاح المعاقل و الحصون، و محبه فى العلوم العقليه من غير أن يتعقل منها شيئا البته، و استدعى إليه من العلماء كالمؤيد العرضى، و التقى على الحديثى و ابن طليب، و غيرهم و جمع حكماء مملكته، و أمرهم أن يرصدوا الكواكب، و يحققوا أمرها، و لم يكن فى ملوک التتر من يضاهيه فى ذلک، و لا يدانيه و كان واسع الصدر يطلق الكثير من الأموال، و البلاد مما يشح التتر بمثله، فإن الغالب عليهم الشح، و كان على قاعده المغل فى عدم تقيد بدين أو ميل إليه، إنما كانت زوجته طقز خاتون قد تنصرت، فكانت تعضد النصارى، و تقيم شعارهم بتلک البلاد التى استولى عليها، و كان سعيدا فى حروبه و حصاراته، لم يرم أمرا إلا و يسهل عليه، و لم يتعذر و حصل فى قلوب الناس كافه من الرعب منه ما أوجب انقيادهم إليه أو هربهم بين يديه، فطوى البلاد، و استولى على الممالک و الأقاليم فى أيسر مده، ففتح: بلاد خراسان، و أذربيجان، و فارس، و عراق العجم، و عراق العرب و الشام و الجزيره و الموصل، و ديار بكر، و الروم و الشرق، و غير ذلک من البلاد، و هزم جيوشها و أباد ملوكها، و كانت وفاته فى هذه السنه بكوكر جلک، و قيل إن وفاته كانت فى سابع ربيع الآخر سنه ثلاث و ستين و ستمائه، ببلاد مراغه، و نقل إلى قلعه تلا، فدفن بها و بنى عليه قبه، و وكل به ولد ايلكانوين و كان هلاكه بعله الصرع، فإنه كان حصل له منذ قتل الملک الكامل صاحب ميافارقين رحمه الله الصرع فى كل وقت، فكان يعتريه فى اليوم الواحد المره، و المرتين، و الثلاث، و لما عاد من كسره بركه فى المحرم أقام يجمع

العساكر، و عزم على العود، فزاد به الصرع فمرض، و لم يزل ضعيفا نحو شهرين، و هلک فأخفوا موته و صبروه، و جعلوه فی تابوت من خشب و قيل أنهم لم يدفنوه بل علقوا تابوته بسلاسل فی قلعه تلا من أعمال سلماس، ثم أظهروا موته، و كان ولده أبغا فی بلد بادغيس فی مقابله برق، فسير أكابر المقدمين فی طلبه، فلما حضر أجلسوه على التخت مكان أبيه، و كتب إلى ممالكه يعرفهم بجلوسه و استقامه الأمر له، و خلف هولاكو من الأولاد سبعه عشر ذكرا غير البنات، و هم أبغا المذكور، ملک الأمر بعده و اشموط و هو الذی كان تولى حصار الملک الكامل رحمه الله بميافارقين و تبشين و تكشى، و هو سفاک للدماء جبار كثير القتل، و أجای، و تستر و منكوتمر و هو الذی قدم بالعساكر و الجحافل إلى الشام سنه ثمانين و ستمائه، و منّ الله تعالى بالنصره عليه ظاهر حمص، و لله الحمد و باكودر، و أرغون و تغای تمر، و أحمد، و هو الذی ملک البلاد بعد أبغا، و كان مسلما حسن السيره، و الباقون صغار لم تحقق أسماؤهم، و كان تقدير عمر هولاكو وقت وفاته فوق الستين سنه، أفنى فيها من الأمم ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

حكى القاضی سراج الدين الأرموی رحمه الله أنه توجه إلى هولاكو رسولا من جهه صاحب الروم بعد أخذه بغداد، قال سراج الدين: فلما دخلت عليه، وجدت حوله صبيا صغيرا يلعب، فلما وقعت عينی على الصغير أخذ بمجامع قلبی، و لم استطع كف بصری عنه، فلما رأى ذلک منی هولاكو قال للترجمان: قل له: تعرف هذا الصبی من هو؟ قال سراج الدين: فلما قال لی الترجمان ذلک قلت: لا، قال فلم تديم النظر إليه، فقلت أجد فی نفسی الميل إليه من غير اختيار منی، فقال: هذا ولد الخليفه، قال سراج الدين: فقمت قائما و قبلت قدمی ذلک الصغير، فقال هولاكو للترجمان: عرفه أننا قد أقمنا له من يؤدبه بآداب المسلمين، و يعلمه دين الاسلام، و لم ندخله فی دين المغل، قال سراج الدين: فقلت ما ناسب من الشكر له على ذلک، و تحققت رجحان عقله.

[أحداث]لسنه الخامسه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره فى السنه الخاليه.

متجددات الأحوال

[عوده بيبرس إلى مصر]

فى غره السنه خرج الملک الظاهر من دمشق متوجها إلى الديار المصريه، فلما وصل الفوار عرج منه إلى الكرک، و سار العسكر و الثقل إلى غزه مع الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانى، و نزل الملک الظاهر بركه زيزاء فى الثامن منه، و ركب ليتصيد، فكبا به الفرس فانكسر فخذه، فأقام بالبركه يعالج نفسه حتى قارب الصحه، و تماثل، فركب فى محفه و سار إلى غزه فوصلها غره صفر، ثم سار فنزل مسجد التبر، فأقام به يعالج فخذه حتى أمكنه الركوب، و دخل القاهره من باب النصر، و قد زينت فشقها، و خرج من باب زويله، و صعد القلعه يوم السبت سادس ربيع الأول.

[إقامه الجمعه بالجامع الأزهر:]

و فى ثامن عشره أقيمت الجمعه، و الخطبه بالجامع الأزهر بالقاهره، و هذا الجامع بنى لما بنيت القاهره لإقامه الجمعه، فلما بنى الحاكم الجامع الأنور، نقل الخطبه إليه، و بقى الجامع الأزهر تقام فيه الصلوات الخمس فقط، فلما عمر الحلى داره إلى جانبه رمه و بيضه و عمل فيه منبرا و مقصوره، فتنازع الناس فى جواز الجمعه فيه، و كتب فى ذلک فتاوى فممن منع الجواز القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز، و جماعه، و ممن أجازها الشيخ شمس الدين الحنبلى و جماعه، فعمل بقول من جوز ذلک، و حضر الصلاه الصاحب، و جماعه كثيره من العلماء و الأمراء.

و فيها ورد الملک المنصور صاحب حماه إلى القاهره، فخرج الملک الظاهر لتلقيه و احتفل به، فسأل التوجه إلى الإسكندريه فأجيب و سير معه الأمير شمس الدين الفارقانى، و تقدم إلى شمس الدين بن باخل

متولى الثغر أن يحمل إليه فى كل يوم من بيت المال مائه دينار، و أن ينسج له فى دار الطراز ما يقترحه، و ينفق عليه من بيت المال أيضا.

و فيها شرع فى بناء جامع الحسينيه فى ميدان قراقوش، فى منتصف جمادى الآخره، و المتولى لذلک الصاحب بهاء الدين، و علم الدين سنجر المنصورى متولى القاهره إذ ذاک فبنى أحسن بناء، و زخرفت جهه القبله، و عمل على جهه المحراب قبه عظيمه، و تمت عمارته فى شوال سنه سبع و ستين، و رتب به إمام حنفى، و وقف عليه حكر ما بقى من الميدان.

و فى يوم السبت العشرين من جمادى الآخره، توجه الملک الظاهر إلى الشام، و صحبته صاحب حماه عازما على عماره صفد، و استصحب معه البنائين و النجارين، فأقام عليها مده، و وصله الخبر بأن طائفه من التتار قصدت البيره، فسار مبادرا إلى دمشق، فبلغه عودهم، فعاد إلى صفد و عمر الباشوره، و جدد فى القلعه أبراجا، ثم رحل عنها و قصد الكرک.

و فى تاريخ خروجه من الديار المصريه إلى الشام وصل فارس الدين آقوش عائدا من الرساله التى كان توجه فيها سنه إحدى و ستين إلى بركه، فاستولى عليه و على من معه، و أعاقه مده، ثم أفرج عنه بعد أن أخذ جميع موجوده.

و فى شعبان ولى الخطابه بمصر عز الدين بن الشهاب، بحكم وفاه خطيبها شرف الدين عبد القادر الطوخى، و ولى قضاء القضاه بالقاهره و الوجه الشرقى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين فى التاسع من شعبان، و ولى القضاء بمصر و الوجه القبلى محيى الدين أبو محمد عبد القادر بن قاضى القضاه شرف الدين محمد المعروف بابن عين الدوله الاسكندرى، و ولى النظر فى ديوان الأحباس تاج الدين على بن القسطلانى و ولى تدريس الشافعيه فى المدرسه الصالحيه صدر الدين ابن

قاضى القضاه تاج الدين، و ولى النظر فى الخانكاه الشيخ شمس الدين الحنبلى، و فوض النظر فى مدرسه الشافعى رضى الله عنه بالقرافه لبهاء الدين على بن عيسى نيابه عن الصاحب فخر الدين بن الوزير بهاء الدين، و هذه المناصب جميعها كانت بيد تاج الدين خلا الخطابه.

و فى ثامن ذى القعده توجه الأمير عز الدين الحلى إلى الحجاز، و باشر نيابه السلطنه بالديار المصريه الخازندار.

و فى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجه، وصل الملک الظاهر من الشام إلى القاهره، و فى العشرين منه أمر بتسمير جماعه كانوا محبوسين بخزانه البنود، منهم الملک الأشرف بن شهاب الدين غازى، و الناصح ضامن بلاد الواحات و غيرهما.

[الوفيات:]

و فيها توفى بركه ملک التتار

، و قام مكانه منكوتمر بن طغان بن صرطق بن تولى بن جنكيز خان، فجمع عساكره، و قدم عليها مقدما و سيره إلى بلاد أبغا، فجمع أبغا عساكره، و ساق إلى أن نزل على نهر كور، و أحضر المراكب و السلاسل، و عمل جسرين على النهر، و عدا إلى جهه منكوتمر، و ما زال سائرا حتى نزل على النهر الأبيض، فعدا منكوتمر بعساكره من شماخى، و شروان، و هما جبلان، و ما زال إلى أن وصل إلى النهر الأبيض، و نزل من الجانب الشرقى، و عسكر أبغا فى الغرب، و لبسوا آله الحرب، و تراسلوا، و بعد ثلاث ساعات من النهار حرک أبغا كوساته، و قطع النهر الأبيض، و حمل على منكوتمر و كسره، و لم يزل فى طلبه و السيف يعمل إلى جبلى تماخى و شروان، فرد عسكر منكوتمر إلى عسكر أبغا فلم يتحرک أبغا و ثبت لهم، و لم يزالوا كذلک إلى العشاء الآخره، و هرب منكوتمر إلى بلاده، و رجع أبغا بعد أن كسب كسبا عظيما، و عدا من الجسور المنصوبه، و نزل على نهر كور، و جمع كبراء دولته، و شاورهم على عمل سور من خشب على نهر كور، فقالوا:

مصلحه، فقام و قاس البحر من حد تفليس إلى حد كسيسى فكان جزء

كل مقدم مائه فارس عشرين ذراعا بالعمل، فقام السور فى سبعه أيام، و رحل و نزل حاجى وعان، و بلغان فشتى تلک السنه هناک .....

برکه بن تولى بن جنکيز خان، ملک التتار، و هو ابن عم هولاکو المقدم ذکره، و بلاده متسعه جدا، و هى بعيده عنا، و له عساکر عظيمه وافره العدد، و مملکته تفوق مملکه هولاکو بکثره البلاد، و العساکر و الأموال، لکن جند هولاکو استغنوا بما نهبوه من الأقاليم التى استولوا عليها، و کان برکه يميل إلى المسلمين کثيرا، و يعظم أهل العلم، و يعتقد فى الصلحاء من المسلمين، و يتبرک بمشايخهم، و يرجع إلى أقوالهم، و کلمتهم عنده مسموعه و حرمتهم فى ممالکه وافره، و کان أعظم أسباب لوقوع الحرب بينه و بين هولاکو، کون هولاکو قتل الخليفه المستعصم بالله، و کان يميل إلى موده الملک الظاهر رکن الدين، و يعظم رسله، و کان جماعه من أهل الحجاز يتوجهون إليه فيبرهم، و يعطيهم المال الکثير، و يبالغ فى إحترامهم و الإحسان إليهم، و کان قد أسلم هو و کثير من جنده، و المساجد الخيام المحموله معه، و لها الأئمه و المؤذنون، و متى نزل فى مکان ضربها و أقيمت فيها الصلوات الخمس، و کان شجاعا جوادا حازما عادلا، حسن السيره فى رعاياه، يکره الإکثار من سفک الدماء و الإفراط فى خراب البلاد، و عنده رأفه و حلم و صفح، و توفى ببلاده فى هذه السنه و هو فى عشر الستين، و قام مکانه منکوتمر بن طغان ابن صرطق بن باتوبن تولى بن جنکيز خان، و عندما استقل بالملک جمع عساکره و قدم عليها مقدما سيره إلى بلاد أبغا بن هولاکو ...

[أحداث]الجنيد بن عيسى بن ابراهيم بن أبى بکر بن خلکان أبو القاسم ظهير الدين الزرزارى

الإربلى الشافعى، مولده سنه ثلاث و تسعين و خمسمائه باربل فى شهر صفر سمع من ابن طبرزد و حنبل و غيرهما و حدث و ولى عده جهات و کان مشکور السيره فيما يتولاه عدلا أمينا ضابطا و عنده رياسه و مکارم أخلاق و لين الجانب و حسن عشره و محاضره حسنه

و عنده فضيله و ادب و توفى فى الرابع و العشرين من شوال بدمشق و دفن من الغد بسفح قاسيون رحمه الله.

[أحداث]لحسين بن عزيز بن أبى الفوارس أبو المعالى، الأمير ناصر الدين القيمرى

، كان من أعظم الأمراء و أجلهم قدرا، و أكبرهم شأنا، و له المكانه المكينه، و الوجاهه التامه، و الكلمه النافذه، و الإقطاعات الجليله، و كان شجاعا كريما عادلا حازما، رئيسا كثير البر و الصدقه، و هو الذى سلم دمشق و الشام إلى الملک الناصر صلاح الدين يوسف بعد قتل الملک المعظم توران شاه، و كان هو و أقاربه معظم عسكر الشام فى الأيام الناصريه، و كان الملک الظاهر ركن الدين قد أقطعه إقطاعا جيدا، و جعله مقدم العساكر بالساحل قباله الفرنج، فتوفى به مرابطا فى الأحد ثالث عشر ربيع الأول، و عمل عزاؤه بجامع دمشق يوم الجمعه ثامن عشر الشهر المذكور، و هو الذى عمر المدرسه المعروفه بناحيه مأذنه فيروز، و هى من أجل مدارس دمشق و أحسنها، و عمل على بابها ساعات لم يسبق إلى مثلها، قيل إنه غرم عليها ما يزيد على أربعين ألف درهم، و كان عالى الهمه يضاهى الملوک فى موكبه و تجمله، و كثره غلمانه، و حاشيته و خيوله، و بيوتاته، و ما يجرى هذا المجرى رحمه الله تعالى.

و والده الامير شمس الدين عزيز كان جليل القدر، و كان الأمير ناصر الدين كثير العقل و المداراه، و الاحتمال، سمع مره بعض الأمراء الأكراد يقع فى البحريه، و ينتقصهم فسبه و انتهره، فقال: ياخوند هم أعداؤنا، فقال: بئس ما قلت ليس بيننا عداوه، و كلمه الاسلام تجمعنا و نحن و هم شى ء واحد، و إنما القوم فى خدمه ملک، و نحن فى خدمه ملک آخر، و بين الملكين وحشه، كما جرت العاده أن تكون بين بعض الملوک، فلو زالت الوحشه من بين الملكين صرنا نحن و هم كالنفس الواحده، و هذا الكلام يدل على عقل كثير، و سداد رأى و حسن تأنى رحمه الله.

[أبو شامه المقدسى:]

عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن عباس ابن محمد أبو القاسم شهاب الدين المقدسى الأصل الدمشقى المولد و الدار و الوفاه، الفقيه الشافعى المعروف بأبى شامه، مولده ليله الجمعه الثالث و العشرين من ربيع الآخر بدمشق سنه تسع و تسعين، قرأ القرآن و العربيه و تفقه، و سمع و حدث، و اختصر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر، و صنف فنون كثيره، و كان عالما فاضلا متقنا متفننا، عنده مشاركه فى كثير من العلوم، و استقلال ببعضها، لكنه كان كثير الغض من العلماء و الأكابر و الصلحاء، و الطعن عليهم و التنقص لهم، و ذكر مساوى ء الناس، و ثلب أعراضهم، و لم يكن بمثابه من لا يقال فيه، فقدح الناس فيه، و تكلموا فى حقه، و كان عند نفسه عظيما، فسقط بذلک من أعين الناس، مع ما كان عليه من ثلب العلماء و الأعيان و ذكر ما يشينهم به، و له نظم متوسط، و فيه كثره، و كانت وفاته فى التاسع عشر من شهر رمضان سحرا، و دفن من يومه بمقابر باب الفراديس، رحمه الله، و كان ولى فى آخر عمره مشيخه دار الحديث الأشرفيه رحم الله واقفها بدمشق، بعد القاضى عماد الدين عبد الكريم بن الحرستانى رحمه الله، و درس و أفتى، و من شعره:

قلت لمن قال ألا تشتكى ما قد جرى فهو عظيم جليل

يقيض الله تعالى لنامن يأخذ الحق و يشفى الغليل

إذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله و نعم الوكيل

و كان قد وقف معظم كتبه و شرط شروطا ضيق فيها، فأوجب ذلک إلغاء شروطه بالكليه، و عدم التقيد بشى ء منها، و بالجمله فكان غير موفق فى معظم حركاته رحمه الله تعالى و إيانا، و سامحه بما نال من أعراض المسلمين، و تجاوز عنا و عنه، و من تواليفه شرح مدائح النبى صلى الله عليه و سلم مجلد، شرح قصيده الشاطبى مجلدين، مختصر تاريخ دمشق الأكبر خمسه عشر مجلدا، المختصر الأصغر خمس مجلدات،

الروضتين مجلدين، شرح حديث المبعث، تفسير آيه الإسراء، ضوء السارى إلى معرفه رؤيه البارى، المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول، كتاب البسمله، مختصر، الروضتين، الباعث على إنكار البدع و الحوادث، كشف حال بنى عبيد، الواضح الجلى فى الرد على الحنبلى، مقدمه فى النحو، نظم مفصل الزمخشرى، القصيده الدامغه للفرقه الزائغه، قصيدتان فى وصف أفعال الحاج، و ذكر منازل الطريق من جهه الشام، و غير ذلک.

عبد العزيز بن ابراهيم بن على بن على بن أبى حرب

أبو الفضل مهاجر أبو محمد تاج الدين، و يعرف بابن الوالى الموصلى، و كان أصلهم أجنادا، و كان شرف الدين إبراهيم والد تاج الدين المذكور قد وزر لمظفر الدين صاحب إربل رحمه الله، ثم قبض عليه سنه ثمان و عشرين و ستمائه.

و استوزر بعده شرف الدين المبارک بن المستوفى رحمه الله، و كان تاج الدين عبد العزيز المذكور رئيسا عالى الهمه، عنده مكارم، و عفه، و هو مشكور السيره فى ولاياته، حسن التأتى فى تصرفاته، تنقل فى المناصب الجليله، و آخر ما ولى وزاره الشام بعد أن صرف عنها عز الدين عبد العزيز بن وداعه الآتى ذكره، فقدم دمشق و باشر ما عذق به من ذلک، و قد نيف على الستين سنه من العمر، و ناب تاج الدين عن أبيه أيام تقلده وزاره إربل، و سير رسولا غير مره إلى الديوان ببغداد، فأكرم و أنعم عليه، و كان متجملا فى زيه و متنعما يتأنق فى مأكوله، و ملبوسه، و مولده ليله الأربعاء سابع عشر شهر رمضان سنه اثنتين و تسعين و خمسمائه، قال المبارک بن أبى بكر بن حمدان: أنشدنى لنفسه:

إذا أمت الآمال كعبه رفدكم فلا عجب أن تنتحى بالرغائب

و من عذبت منه الموارد أجمعت عليه رجال الوفد من كل جانب

عبد الوهاب بن خلف بن محمود

أبو محمد تاج الدين العلامى الفقيه الشافعى المعروف بابن بنت الأعز، قاضى القضاه بالديار المصريه، كان

إماما عالما فاضلا متبحرا، انتقلت به الأحوال و ولى المناصب الجليله، كنظر الدواوين، و الوزاره، و قضاء القضاه، و درس بالمدرسه الصالحيه النجميه للطائفه الشافعيه، و بالمدرسه المجاوره لضريح الامام الشافعى رحمه الله عليه و بغيرها، و تقدم عند الملوک تقدما عظيما، و كانت له الحرمه الوافره و المكانه العظيمه عند الملک الظاهر ركن الدين، و هو أحد العلماء المشهورين و الرؤساء المذكورين، ذا ذهن ثاقب و حدس صائب، و جد و عزم و حزم، و رأى سديد، مع النزاهه المفرطه، و حسن الطريقه، و جميل السيره، و الصلابه فى الدين، و التثبت فى الأحكام، و تخير الأكفاء لولايه المناصب لا تأخذه فى الله لومه لائم، و لا يعدل عما يوجبه الشرع الشريف من الأحكام، و الناس كلهم عنده فى ذلک سواء لا يراعى أحدا، و لا يداهنه، و لا يقبل شهاده من يوجب الشرع الشريف التوقف فى قبول شهادته، و ما ارتاب منه أسقطه، و كان قوى النفس عالى الهمه، و مولده فى مستهل شهر رجب سنه أربع عشره و ستمائه، و تفقه و سمع من أبى الفضل جعفر بن أبى الحسن الهمذانى و غيره، و حدث و أفتى و كانت وفاته فى ليله السابع و العشرين من شهر رجب، و دفن من الغد بسفح المقطم رحمه الله، و كان لقوه نفسه، و عظم محله يترفع فى قعوده على الصاحب بهاء الدين وزير الملک الظاهر، و لا يحتفل بأمره، فكان ذلک يعظم على الوزير، و يقصد نكايته فلا يقدر على ذلک، و لا يستطيعه، و لا يجد عليه مطعنا، فكان يوهم الملک الظاهر أن للقاضى أموالا، و متاجر كبيره، و يقصد تقرير ذلک فى ذهن الملک الظاهر، و اتفق أن بعض التجار ورد الاسكندريه و ذكر لأرباب الزكاه ما معه من المتجر، و المال، و قام بما جرت به العاده ثم وجد معه ألف دينار غير ما اعترف به، فأنكر عليه ذلک فقال ما هى لى، و إنما هى معى وديعه للقاضى تاج الدين، فكتب بذلک إلى الوزير، فقال للملک الظاهر ليحقق ما قرره عنده، فسأال الملک الظاهر القاضى تاج الدين عن ذلک فما رأى أن يعترف ليحصل غرض الوزير، و لا أمكنه أن ينكر لكونها له

فقال الناس: يقصدون التجوه بالناس ليراعوا، و إن كانت هذه الألف دينار لى، فقد خرجت عنها لبيت المال فأخذت، و سهل عليه ذهابها مع كثره شحه و لا يبلغ الوزير مقصوده منه، و حكى أن الوزير بهاء الدين، كان يختار أن يحضر القاضى تاج الدين إلى داره و لو عائدا له، فاتفق أن مزاجه تغير، و انقطع عن القلعه أياما و تردد إليه الناس لعيادته، و لم يفتقده القاضى تاج الدين، فقال له أصحاب الوزير المختصون به، لما يعلمون من إيثار الوزير لحضور القاضى لعيادته: يا مولانا الصاحب بهاء الدين فى شده عظيمه، و هو منقطع، فلو عاده مولانا ما كان من بأس، فقال: إلى يوم الأربعاء، و كان من عادته أن يتوجه إلى مصر فى كل يوم أربعاء للحكم فيها بنفسه، فلما كان يوم الأربعاء و أراد التوجه إلى مصر سلك الطريق الذى يمر فيها على دار الوزير، فلما قرب من الباب أخبر الوزير بحضوره، فقام من فراشه و نزل من الإيوان متلقيا له، فلما دخل وجده فى أرض الدار قائما، قال: بلغنا أنک فى شده عظيمه، و أنت تقوم، سلام عليكم، و عطف راجعا، و لم يزد على ذلک ...

[أحداث]لسنه السادسه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه، و الخليفه و الملوک على ما كانوا عليه فى السنه الخاليه، و الملک الظاهر بقلعه الجبل.

و فى ثالث صفر قدم الأمير عز الدين الحلى من الحج، فخرج الملک الظاهر لتلقيه إلى البركه، ثم توجه الحلى لزياره القدس و الخليل عليه السلام، و عاد فى سادس عشر ربيع الآخر، فأعيدت إليه نيابه السلطنه بالديار المصريه.

و فى عاشر صفر عقد مجلس بين يدى الملک الظاهر للضياء بن الفقاعى بحضور الصاحب بهاء الدين، و جرى فيه ما اقتضى صرف الضياء و الحوطه عليه، و أخذ خطه بجمله من المال، و لم يزل يضرب إلى

أن مات و أحصيت السياط التى ضربها فى نوب متفرقه، فكانت سبعه عشر الفا و نيف و سبعمائه سوط.

و فيها وصل رسول المظفر شمس الدين يوسف صاحب اليمن إلى مصر، و معه فيل، و حمار وحش معمد بأبيض و أسود، و خيول، و صينى، و مسک و عنبر، و غير ذلک من التحف، و طلب معاضده الملک الظاهر له، و شرط أنه يخطب له فى بلاده، فجلس الملک الظاهر بقلعه الجبل يوم الأربعاء حادى عشر ربيع الأول، و استدعى الرسول، و قبل الهديه و بعث فى جواب الرساله الأمير فخر الدين إياز المقرى، و على يده خلع و سنجق و تقليد بالسلطنه.

[خروج الملک الظاهر على نيه قصد الشام و فتح يافا و هدمها:]

و فى يوم السبت ثانى جمادى الآخره، خرج الملک الظاهر إلى بركه الجب عازما على قصد الشام، و ترک نائبا عنه للسلطنه الأمير بدر الدين الخازندار، و رحل فى رابع الشهر، فوردت عليه رسل صاحب يافا بضيافه فاعتقلهم، و أمر العسكر بلبس العده ليلا، و سار فصبح يافا فأحاط بها من كل جانب، فهرب من كان بها إلى القلعه فملكت المدينه و طلب أهل القلعه الأمان، فأمنهم و عوضهم عما نهب لهم أربعين ألف درهم، فركبوا فى المراكب إلى عكا، و ملكت القلعه فى الثانى و العشرين منه، و هدمت المدينه، و كانتا من بناء ريد افرنس لما نزل الساحل بعد كسرته، و خلاصه من الأسر سنه ثمان و أربعين و ستمائه، و أصدرت كتب البشائر عن السلطان بفتحها، فمن ذلک مكاتبه إلى قاضى القضاه شمس الدين بن خلكان رحمه الله من إنشاء القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر مضمونها: هذه المكاتبه إلى المجلس السامى اسمعه الله من البشائر أجملها، و من التهانى أشملها، و من تحيات النصر أفضلها، و من سور الاتحاف بالظفر منزلها، تعلن البشائر بفتح حسن استفتاحه، و تساوى فى الجلاله غرره و أوضاحه، و أتى بسمله لهذه الغزاه المباركه التى بها تتبرک المهارق، و مفتاحا لمغلق الحصون التى إن فتحها الله فلا

مغلق، و إن سهلها فلا عائق، و ذاک یافا کانت قد کثر عدوان من فیها، و حصل من أضرارهم ما لا یقدر أحد علی تدارک تحیفاتها و لا تلافیها، و صارت لعکا یسر الله فتحها طلیعه مکر، و ماده کفر، منها یمتارون من کل ممنوع، و ربما یأمنون من خوف و یشبعون من جوع، و یتطلعون إلی دار الاسلام منها وراء زجاجه و یجعلونها بابا یتوصلون منه عند الاجاجه إلی ما فی نفوسهم من حاجه، فلما توجهنا هذه الوجهه المبارکه، و تعوضنا فیها عن إنجاد الملوک بالملائکه صرفنا إلیها العنان یسیرا، و عرجنا علیها تعرج مستروح، ثم یستأنف مسیرا، و طرقناها بکره یوم الأربعاء العشرین من جمادی الآخره، فما مضی إلا بقدر ما جردت السیوف من الأغماد أخذت المعاول فی العویل علی أهل الالحاد، و نطقت ألسن الأعلام بالنصر المبین، و تلقی النصر رایتنا بالیمین، و طفنا بها طواف المناطق بالخصور، و الشفاه بالثغور، و إذا بأهلها یطلبون الأمان علی النفوس خاصه و أنهم یبذلون لنا کل ما لهم من مال و غلال و سلاح و غیر ذلک، فأجبناهم إلی ذلک و ما فتحوا الأبواب إلا و الرجال قد فتحت النقوب، و لا جیبوا الأطواق إلا و السیوف قد فتقت الجیوب، و لا خرجوا من قلتها إلا و الأبطال علیها قد علت، و لا طلعوا منها إلا و الأولیاء إلیها [وصلت] و ما حصلوا خارجها إلا و المقاتله بها قد حصلت و تسملناها و قلعتها فتحا قریبا و تسنمناها مرتعا مریعا، و مربعا خصیبا، و سطرناها فی الساعه التی قام لسان العلم قبل لسان القلم علی منبرها خطیبا، فیأخذ حظه من بشری جاءت طلیعه لما بعدها من البشائر، و أقبلت مفهمه بأن لا بد بعدها من فتوحات تتبع الأوائل منها الأواخر و الله تعالی یوفقه فی الموارد و المصادر، إن شاء الله تعالی.

[التوجه نحو الشقیف:]

فلما فرغ من هدم یافا، رحل یوم الأربعاء ثانی عشر شهر رجب طالبا للشقیف، فنزل علیه یوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر، و ظفر بکتاب من الفرنج الذین بعکا یتضمن إعلام النواب بالبشقیف أن المسلمین لا

يقدرون على أخذ الحصن إن احتفظوا به وجدوا فى تحصينه و ينبهونهم على أماكن يخاف على الحصن منها إن أهملت، فاستدعى ببعض من يكتب بالفرنجى و أمره أن يكتب كتابا يذكر فيه أمارات بينهم و بين أهل عكا استفادها من الكتاب، و يحذر الكمندور المقيم بالشقيف من الوزير المقيم عنده، و من جماعه كانت أسماؤهم فى الكتاب، و كتابا آخر إلى الوزير يحذره من الكمندور، و يأمره إن احتاج إلى مال يأخذه من فلان، و سمى شخصا كان اسمه فى الكتاب، و تحيل فى وصول الكتابين إليهم، فلما وقفوا عليهما اختلفوا مع شده الحصار بالزحف و المنجنيقات، فألجأهم الخلف إلى أن ارسلوا إلى الملک الظاهر، و قرروا تسليم الحصن، و أن لا يقتل من فيه، فتسلمه يوم الأحد تاسع عشرين شهر رجب، و كان ملک الباشوره بالسيف فى سادس و عشرين منه، و اصطنع الكمندور، و كانت عده من كان فيه أربعمائه و ثمانين رجلا، و اثنين و عشرين أخا فأركبهم الجمال إلى صور، و سير من معهم يحفظهم ممن يؤذيهم، و أنشئت كتب البشائر إلى الأطراف، فمنها كتاب إلى قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله، من إنشاء كمال الدين أحمد بن العجمى رحمه الله مضمونه: صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى القضائى، لا زالت البشائر تحل به ربعا، و تصنع لديه فى الابلاغ حسنا، و تحسن صنعا، و تسر بالافهام و الالمام و الاعلام له قلبا و بصرا و سمعا، تعلمه بفتح أمست وجوه البشائر ببشره متهلله، و أسماع المنابر لوعيه متبتله و فروض الجهاد به مؤداه و لكنها مشفوعه بالسيوف المسنونه و الغزوات المنتفله و هو فتح الشقيف الذى جاء بتناوب الإتحاف إلى القلوب، و تتناسب أنباؤه كالرمح أنبوب على أنبوب، و تتعاقب مسراته إلى الإسلام كما تتعاقب الأنواء لنفع الثرى المكروب، و أقبل بعد فتح يافا كما تقبل البكر التى لا بد لها بعد سهوله الهداء من الامتناع عند الافتراع، و تهادى تهادى الغيث الذى لا بد له عند نزوله من الرعد المزعج و البرق اللماع، و كان نزولنا عليها فى تاسع عشر شهر رجب

المبارک سنه ست و ستین و ستمائه، بعد أن سلکنا إلیها فی أوعار تتعثر بها ذیول الریاح، و هبطنا فی أودیه لا یأنس فیها إلا بمجاوبه الصدی لقعاقع السلاح، و صعدنا فی جبال لا یری الأشباح، منها إلا کالذر، و الذری إلا کالأشباح، و هذه القلعه من وجه هذه الشواهق بمکان الغره، و من کتابها بمنزله الطره، کأنها سمع تناجیه النجوم بأسرارها، أو راحه بما بسطته من أصابع شرفاتها و تلک البواشیر منها بمنزله سوارها، یکاد الطرف ینقلب عنها خاسئا و هو حسیر، و کل ذی جناح یغدو دون منالها یطیر، قد أحکم فلا أیدی المعاول لأطراف أسوارها مجاذبه، و حصن فناؤها فلا غیر الغمائم لها مجاوره، و لا غیر الرعود لها مجاوبه، قد تحصن بها من الکفر کل مستقل، و توطنها منهم کل جاهل یرجع فی التحصن بها إلی منعتها، و کیف لا و هو لها مستعقل، و قد انتخبهم الفرنج من بینهم انتخاب المناضل، بسریع سهامه، و المفاضل لبدیع کلامه و حلوا منه ذروه بعیده المنازل، و توقلوا صهوه لا تتخطی إلیها الآمال، و کنا کما قد علم المجلس السامی أعزه الله قد سیرنا إلیها العساکر الشامیه تمسک منها الخناق، و تأخذ منها بمجامع الأطواق، فحفت بها کما حفت الخواتم بالخناصر، أو کما حفت بالعیون الأهداب و دارت حولها سورا ما له غیر الخوذ من شرفات، و غیر نواهد الخیل من أبراج، و غیر حنایا السیوف من أبواب، و أحدقت بثغرها کما تحدق الشفاه بالثغور، و أطافت بها قبل إطافتنا کما یطوف البند قبل المنطقه بالخصور، و أقامت السمهریه ترمقهم بزرق عیونها و المشرفیه، تتناعس لاستنامهم بتغمیض جفونها، و بقیت ألسنه الصناجق فی أفواه غلفها صامته لسماع الزحافات مصغیه، و کواسر الآساد فی آجامها من الرماح السمهریه مقعیه، و صارت السهام فی کنائنها تقلق، و أخشاب المجانیق لتفرق أجزائها تفرق، إلی أن بعثنا الله من فتحها إلی المقام المحمود، و انقضت مده إرجائها فی ید الکفر و ما کان تأخیره إلا لأجل معدود، و نزلنا ربعها بالعساکر التی سیوفها مفاتیح الحصون، و رماحها أرشیه

المنون، فما نزلنا من ظهر جوادنا إلا على ظهر جبلها الذى جرته عن يمينها جنيبا، و لا ألقينا عصى التسيار حتى حملنا أعواد المجانيق على عاتقنا لنقدمها إلى الله تقربا و إليهم تقريبا، و للوقت نفخ أمرنا فى صور الإيعاز بالمضايقه، و نشر العالم فى صعيد و أخذ للمسابقه إلى صعودها و المساوقه، و فى الوقت الحاضر اجتمعت أعضاء المجانيق المنفصله، و تخطت فى الهواء كفالها المنتعله، و اعتزلت كل فرقه من أوليائنا بمنجنيق تقيمه و أعجب شى ء أنها الظاهريه و أصبحت المعتزله، و عن قريب أهوت إلى الأعداء محلقه صقور الصخور، و تتابعت حجارتها إليهم عندما حصلت من المجانيق فى الصدور، فبعثرت من أجسادهم المرسومه بالقلعه ما فى القبور، و كانت هذه القلعه المذكوره قد قسمها العدو قسمين، و خاصم الإسلام منها بخصمين، و جعلها قلعه دون قلعه، و صيرها ملكا مقسوما حتى لا تكون فيه شفعه، و جعل أحديهما مهبط قتاله و محط نزاله، و مأوى رجاله، و الأخرى مستودع نفسه و ماله، فلما أحسوا بأسنا و رأوه شديدا، و شاهدوا حزمنا عتيدا، و عزمنا مبيدا اقتحموا الأسوار بتسورها الرجال، و المجانيق تحف بهم عن اليمين و عن الشمال، و ضعفوا عن أن يحموا من تلك القلل جهتين، أو أن يقتسموا بهما فئتين، أو يجمعوا مع كفرهم إلا ما قد سلف بين الإختين، أو أن يغدو نجس شركهم إلا و هو فيما دون القلتين، حرقوا ما بالقلعه من مصون، و أضرموا بها نيرانا أعجب شى ء كونها لم تطف بما أجروه من الجفون، و غالبتهم اليد الإسلاميه قبل تركها، و دخلتها عليهم قبل الخروج عن ملكها، و ذلک يوم الأربعاء سادس و عشرين شهر رجب المذكور، و كانت المجانيق ترمى عليها، فصارت ترمى منها، و تصدر حجارتها إليها فصارت تصدر عنها، و تملكناها معقلا شيده لنا العدو و بناه، و حصنا منيعا دافع عنه حتى تعب، فلما تعب أخلاه و خلاه، و أصبح بحمد الله شک فتوحها لنا يقينا، و ما كان من خنادقها و أسوارها يقى الكفار، غدا يقى عساكرنا و يقينا و صارتا جارتين

تتحاسدان على قربنا، و ما زال يغرى بين الجيره الحسد، و رأسا و جسدا فرق بينهما النصر، و لا بقاء للرأس بعد زوال الجسد، و لما أمكن الله من القلعه الواحده لم نر أن نبشر بالأولى، حتى نبشر بالأخرى، و لا أن نقصر الأعلام على الإعلان بالبطشه الصغرى، حتى نجمع إليه الإعلام بالبطشه الكبرى، و لما جاز القصر و الجمع فى الفروض المؤداه فى هذه السفره المباركه قصرنا و جمعنا فى أداء هذه البشرى، و كتابنا هذا و قد منّ الله بهما علينا، و قال الاسلام: هذه بضاعتنا ردت إلينا، ذلک فى سابعه يوم الأحد سلخ شهر رجب المبارک، و بحمد الله قد أصبحت تلک الضاله التى فقدها الاسلام منشوده، و تلک العاريه التى استولت عليها يد الكفر مردوده فشكر لسيف رد الضاله واردى الضلاله، و مضى لا يكل حتى استفتى فى الكلاله، و أحاله فرض الجهاد على الكفر بحق، فاستخلص بحول الله و قوته تلک الحواله، فليأخذ المجلس السامى حظه من هذه البشرى بما جعله الله للمتقين من عقبى الدار، و بما قدره من انقياد الكافرين صاغرين فى قبضه الإسار، و بما سهله من عتق من كان فيها من الحرم و الأطفال و الصغار، و ليملأ بحسن هذا الخبر المسامع، و ليعمر بذكره المجامع، و الجوامع، فطالما اشتاقت إليه أعواد المنابر، و انتظرت ايداعه فى سرائر السر ألسنه الأقلام و أفواه المحابر، و الله تعالى يوفق المجلس فيما يحاول و يحاور إن شاء الله تعالى.

[غاره على طرابلس:]

ثم رحل بعد أن رتب بها عسكرا فى عاشر شهر شعبان منها و بعث أكثر الأثقال إلى دمشق، و سار إلى طرابلس فشن عليها الغاره و أخرب قراها، و قطع أشجارها و غور أنهارها، و ذلک فى رابع عشر الشهر، و رحل إلى حصن الأكراد، و نزل المرج الذى تحته، فحضر إليه رسول من فيه باقامه و ضيافه، فأعادها عليهم و طلب منهم ديه رجل من أجناده كانوا قتلوه مائه ألف دينار، ثم رحل إلى حمص، ثم إلى حماه، ثم إلى أفاميه، ثم سار و نزل منزله أخرى، ثم رحل ليلا و تقدم إلى العسكر بلبس العده،

[فتح أنطاكيه:]

فنزل أنطاكيه فى غره شهر رمضان فخرج إليه جماعه من أهلها يطلبون الأمان، و شرطوا شروطا لم يجب إليها، و زحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر، و رتب على أبوابها من الأمراء جماعه لئلا يخرج أحد من الحرافشه بشى ء من النهب، و من وجد معه شى ء أخذ منه، فجمع منه ما أمكن، و فرق على الأمراء، و الأجناد بحسب مراتبهم، و حصر من قتل فيها فكانوا فوق الأربعين ألفا، و أطلق جماعه من المسلمين كانوا فيها أسراء من حلب، و بلدها، و كان الأبرنس صاحبها و صاحب طرابلس، و أنشئت كتب البشائر، فمن ذلک مكاتبه إلى قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله من إنشاء القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر مضمونها: أدام الله سعاده المجلس السامى القضائى، و لا برح يؤثر البشائر، حشايا المنابر، و يجرى من السرور الهاجم عيون المحابر، و يسجد لها قلم الناظم و الناثر، و يتلقاها ببشر اذا تأمل قارئه قال: كم ترک الأول للآخر، هذه المكاتبه تتحدث بنعمه الله التى تهلل بها وجه الايمان، و هلل بها من أهله كل لسان، و جاءت بحمد الله حلوه المجتبى، حافه بالنصر من هنا و من هنا، و ذاک بفتح أنطاكيه التى لم تتطرق إليها الحوادث و الخطوب، و لا طرق حديث فتحها الأسماع و لا هجس فى القلوب، و ادخرها الله لنا ليخصنا بفتحها الوجيز، و يجعلها بابا لما يليها من بلاد الكفر نلج منه بمشيئه الله و ما ذلک على الله بعزيز، و هو أنا لما فرغنا من فتوحاتنا التى سبق بها الإعلام، و إشاراتنا التى خصت و حصت طرابلس الشام، ثنينا العنان إلى هذه الجهه فشاهدنا منها ما يروق النواظر، و رأينا مدينه يجتمع داخل سورها الإنس و الوحش و الطائر، للاستيطان و البادى و الحاضر، تحف بها أسوار لا يقطعها الطائف فى يوم مسيرا، و لا يدرک الناظر من أولها لها أخيرا، و بها رجال غدوا إليها من كل حدب ينسلون، و من كل هضبه ينزلون، و فى ظلال كل مطهم يتقيلون، و كان نزولنا عليها فى يوم الأربعاء غره شهر رمضان المعظم، فلم يكن إلا بقدر ما نزلنا إلا و رسلهم قد حضروا ليمسحوا أطراف الرضا، و يتقاضوا من العفو أحسن

ما يقتضى، فما ألوى عليهم حلمنا و لا عرج، و لا نفس عنهم كربه و لا فرج، فزحفنا عليها فى يوم السبت بكره و هو رابع الشهر، فلم يلبثوا إلا ساعه من نهار، و قد دخلت عليهم من أقطارها، و تسور العسكر المنصور من أسوارها، و امتدت ألسنه الصوارم و أسنه الرماح، و شهرت البيض الصفاح، و أريقت الدماء و استحيت النساء، و غنمت الأموال، و جدلت الابطال، و وجد العالم من التحف و النعم ما لا كان يمر فى خلد و لا يخطر فى بال، و كتابنا هذا واليد الاسلاميه لها متسلمه، و فيها متحكمه، فالمجلس يأخذ حظه من هذه البشرى، و يرى منها هذه الآيه الكبرى، و ما نريهم من آيه إلا هى أكبر من الأخرى، و يتلقاها ببشر فقد بعثنا بها إليه فى أحسن رونق النصره، و اقبلت بحمد الله كما بدأت أول مره، فليشعها المجلس فى كل باد و حاضر، و لينشر خبرها على أكباد المنابر، و الله بكرمه يجعل سعادته من أتم الذخائر، إن شاء الله تعالى.

كتب رابع شهر رمضان المعظم سنه ست و ستين و ستمائه.

و أنطاكيه مدينه عظيمه مشهوره، مسافه سورها اثنا عشر ميلا، و عدد أبراجها مائه و سته و ثلاثون برجا، و عدد شرفاتها أربعه و عشرون ألفا، و لما ملك الملك الظاهر أنطاكيه وصل إليه قصاد من بغراس يطلبون تسليمها إليه، فسير شمس الدين الفارقانى بالعساكر فوصل إليها فصادف أكثر أهلها قد نزح، فتسلمها فى ثالث عشر شهر رمضان، و كان قد تسلم دركوش بوساطه فخر لادين الجناحى فى تاسع رمضان، و صالح أهل القصير على مناصفته، و مناصفه القلاع المجاوره له، و عاد إلى دمشق فدخلها سابع عشرى شهر رمضان وعيد بقلعه دمشق.

ذكر خلاص الأمير شمس الدين سنقر الأشقر

كان الملك الظاهر لما اسر ليفون ابن صاحب سيس، بعث إليه أبوه يطلب منه الفداء، و بذل له مالا جزيلا، فلم يقبله و طلب منه فى الفداء

أن يخرج الأمير شمس الدين من بلاد التتر، فبعث إليهم متوسلا بموات طاعته لهم، و بذل لهم مالا كثيرا فلم يجيبوه، فلما استولى الملک الظاهر على أنطاكيه بعث إليه هيتوم صاحب سيس رسولا يبذل القلاع التى كان أخذها من التتر عند استيلائهم على حلب، و هى: دربساک و بهسنا، و رعبان، فأبى قبول ذلک إلا أن يحتال فى إخراج سنقر الأشقر، فسار إليهم بحيله الاستغاثه بهم على الملک الظاهر، و استصحب معه علم الدين سلطان، أحد البحريه فكان يجتمع بسنقر الأشقر سرا، و عليه زى الأرمن و الاشقر يخاف أن تكون دسيسه عليه، فلا يصغى إلى قوله و يقول:

ما أعرف صاحب مصر، و لا أخرج من عند هؤلاء القوم فإنهم محسنون إلىّ، و لم يزل سلطان يذكر له أمارات و علامات اهتدى بها إلى صحه مرامه، فأذعن للهرب، فلما خرج صاحب سيس لبس زيهم و خرج معهم، فلما وصل به بلده سار علم الدين سلطان إلى الملک الظاهر، و عرفه فبعث إلى القاهره، و أحضر ليفون فوصل إليه و هو على أنطاكيه، فسار به إلى دمشق فدخلها يوم السبت سابع عشر شهر رمضان.

ثم سيره مع جماعه فى سابع شوال، فوصلوا به إلى سيس، و وقفوا به على النهر بالقرب من دربساک، و وصل الأمير شمس الدين مع جماعه من سيس، و وقفوا به على جانب النهر، ثم أطلق كل واحد منهما، و تسلم نواب الملک الظاهر دربساک و رعبان و لم يبق إلا بهسنا، و كان صاحب سيس سأل الأمير شمس الدين أن يشفع له عند الملک الظاهر فى ابقائها عليه على سبيل الإقطاع، فوعده بذاک، و لما اتصل بالملک الظاهر قدوم الأشقر، خرج من دمشق تاسع عشر شوال و نزل القطيفه و بلغه أن الاشقر على خان المناخ، فساق إليه وحده سرا، فما أحس به إلا و هو على رأسه، فقام إليه فترجل و اعتنقا طويلا و سارا حتى نزلا فى الدهليز ليلا، فلما أصبحا خرجا منه معا، فعجب العسكر كيف اجتمعا، و لم يشعر بهما، و عاد إلى دمشق فى ثانى ذى القعده و سأله الأمير شمس

الدين فى أمر بهسنا، فتمنع فقال: ياخوند قد رهنت لسانى و وعدته ببلوغ قصده، و قد أحسن إلىّ لما كنت عند التتر بما لا أقدر على مكافأته، فأجابه الملک الظاهر إلى ما سأل.

ذكر قطيعه قررت على بساتين دمشق

كان الملک الظاهر قد احتاط عليها و على القرى الملک و الوقوف على أربابها، و هو نازل على الشقيف، و تحدث بذلک فى السنه الخاليه بحضور العلماء، فقال القاضى شمس الدين عبد الله بن عطاء الحنفى هذا لا يحل، و لا يجوز لأحد أن يتحدث فيه، و قام مغضبا، و توقف الحال، و لما وقعت الحوطه على البساتين صقعت بحيث عدمت الثمار بالكليه، و ظن الناس أنه يرق لهم، فلما أراد التوجه إلى مصر عقد مجلسا بدار العدل، و أحضر العلماء، و أخرج فتاوى الحنفيه باستحقاقها بحكم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتح دمشق عنوه، ثم قال: من كان معه كتابا عتيقا أجريناه، و إلا فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا، ثم قرر عليهم ألف ألف درهم، فسألوه أن يقسطها فأبى، و تمادى الحال إلى أن خرج متوجها إلى مصر يوم الثلاثاء ثامن عشرى ذى القعده، فلما وصل اللجون عاوده الأتابک، و فخر الدين بن حنا وزير الصحبه فاستقر الحال أن يعجلوا منها أربعمائه ألف درهم، و يعاد إليهم ما كان قبضه الديوان من المغل، و يقسط ما بقى كل سنه مائتى ألف درهم، و كتب بذلک توقيع قرى ء على المنبر، و دخل القاهره آخر نهار الأربعاء حادى عشر ذى الحجه.

و فى ثانى عشر شوال، خرج الركب المصرى متوجها إلى الحجاز، و سافر فيه الصاحب محيى الدين أحمد بن الصاحب بهاء الدين، و عاد الركب خامس عشر صفر سنه سبع.

ذكر أخذ مالک بن منيف المدينه الشريفه

كان مالک بن منيف بن شيحه الحسينى، قد قصد الملک الظاهر سنه خمس و ستين بهديه جليله، لعلمه ما بين الملک الظاهر، و بين عمه عز

الدين جماز من الوحشه، فقبلها و كتب له توقيعا بالمدينه، و بعث معه سليمان بن حجى، فلما عاد وجد جماز بالفلاه فهجمها فى هذه السنه، و استولى عليها و حلف له أهلها، و خرب دار جماز، و استنجد جماز بأهل مكه و ينبع، و سار إليها فحصرها أياما، و وقع بينهما قتال أجلى عن قتلى كثير، ثم اختلف جماز و أصحابه.

و فيها قتل السلطان ركن الدين صاحب الروم، و جلس ولده السلطان غياث الدين كيخسرو على التخت، و عمره مناهز العشر سنين، و البرواناه فى نيابه السلطنه عن أبغا، و جعل ابنه مهذب على متكفلا بأمر غياث الدين، و استولى البرواناه على جميع البلاد، و نفذ حكمه فيها لا يشاركه فى ذلک غيره، ثم توجه البرواناه إلى أبغا، و أخذ معه فرس ركن الدين و سلاحه و هدايا جليله لأبغا، و وجوه دولته و وافى عنده صاحب سيس، فجرت بينهما محاوره كل منهما يدعى على صاحبه أنه يكاتب صاحب مصر، ثم عاد البرواناه و معه أجاى أخو أبغا و صمغرا ليكونا معه فى البلاد فلم تطل غيبته، فلما بلغ السلطان غياث الدين قدومهم، خرج من قونيه لتلقيهم فاجتمع بهم على سيواس ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]حمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم

أبو يوسف كمال الدين الحلى، المعروف بابن العجمى، كان رئيسا عالما فاضلا، حسن الخط و الانشاء كتب للملک الناصر صلاح الدين يوسف رحمه الله، ثم كتب للملک الظاهر ركن الدين، و كان من أعيان الكتاب، و أماثلهم واسطه خير، غزير المروءه، حسن العشره، كريم الأخلاق، و كانت وفاته ظاهر صور من بلاد الساحل فى العشر الأول من شهر ذى الحجه، و حمل إلى ظاهر دمشق فدفن بمقابر الصوفيه رحمه الله.

بولص الراهب المعروف بالحبيس

، قد ذكرنا طرفا من خبره فى

حوادث سنه ثلاث و ستين، و أنه كان كاتبا، ثم ترهب و انقطع فى جبل حلوان بالديار المصريه، فيقال إنه ظفر بمال مدفون فى مغاره، فواسى به الفقراء من كل مله، و قام عن المصادرين بجمل عظيمه، و لم يزل على ذلک إلى هذه السنه، فأحضره الملک الظاهر، و طلب منه المال و أن يعرفه من أين حصل له، فلم يعرفه و جعل يغالطه و يدافعه، و لا يفصح له بشى ء البته، و هو عنده داخل الدور فلما يئس منه و أعياه أمره حنق عليه، فعذبه حتى مات فى العذاب، و لم يقر بشى ء، فأخرج من قلعه الجبل و رمى ظاهرها على باب القرافه، و كانت وصلت فتاوى فقهاء الاسكندريه إلى الملک الظاهر بقتله، و عللوا ذلک بخوف الفتنه على ضعفاء النفوس من المسلمين، فقتله كما ذكرنا، و قيل إن مبلغ ما وصل إلى بيت المال منه و ما واسى به فى مده سنتين ستمائه ألف دينار محصيا بقلم الصيارف الذين كان يجعل عندهم المال، و يكتب إليهم أوراقه، و ذلک خارج عما كان يعطيه سرا بيده، و مع هذا كان لا يأكل من هذا المال شيئا، و لا يلبس منه، و كان النصارى يتصدقون عليه بما يمونه و يلبسه، فإنظر إلى هذه النفس الأبيه معما هى عليه من الضلال، و لم يظهر بعد موته من تلک الأموال الدينار الواحد، فما يعلم هل نفدت مع نفاد أجله و خفى أمر ما بقى منها، و لم يطلع عليه أحد، و قيل كان اسمه ميخائيل، و لم يشتهر إلا بالحبيس الراهب و الله أعلم.

عبد الخالق بن على بن محمد بن الحسن، أبو محمد تاج الدين

، كان كاتبا مجيدا عارفا بصناعه الحساب، و ولى عده جهات، و مناصب ببعلبک و أعمالها، و كان من عدول بعلبک، و أكابرها، و كان ينبز بأحمر عينه لحمره كانت فى عينه و والده القاضى مهذب الدين أبو الحسن على ابن محمد الأسعرى ولى الحكم ببعلبک مده فى الأيام الصلاحيه، و غيرها، و كان مشكور السيره مشهورا بوفور العلم و الدين و السداد فى الأحكام رحمه الله، و كانت وفاه تاج الدين المذكور فى يوم السبت تاسع

ذی القعده من هذه السنه، و هو فی عشر الثمانین، و دفن بالقرب من دیر الیاس علیه السّلام ظاهر بعلبک رحمه الله تعالی.

عبد العزیز منصور بن محمد بن محمد بن وداعه

، أبو محمد عز الدین المعروف بابن وداعه الحلبی، و قیل إنه کان فی بدایه أمره خطیبا بجبله من أعمال الساحل، ثم اتصل بالملک الناصر صلاح الدین یوسف، و صار من خواصه، و لما ملک ولاه شد الدواوین بدمشق و أعمالها، و کان یعتمد علیه و یثق به، و کان عز الدین یظهر التنسک و الدین، و یقتصد فی ملبسه، و سائر أحواله، و کانت حرمته فی الدوله الناصریه وافره، و لما انقضت الدوله الناصریه، و أفضت المملکه إلی الملک الظاهر رکن الدین ولاه وزاره الشام، فلما ولی الأمیر جمال الدین آقوش النجیبی رحمه الله نیابه السلطنه بالشام، حصل بینهما وحشه باطنه، و کان الأمیر جمال الدین یکرهه لتشیعه، فإن الأمیر جمال الدین المذکور کان غالیا فی السنه، و کان عند عز الدین تشیع، فکان الأمیر جمال الدین یسمعه فی کل وقت من الکلام ما یؤلمه و یهینه، فکتب إلی الملک الظاهر یذکر أن الأموال تنکسر و تنساق إلی الباقی، و یحتاج الشام إلی مشد ترکی شدید المهابه مبسوط الید، و تکون أمور الأموال و الولایات و العزل راجعه إلیه لا یعارض فی ذلک، و الدرک فی سائر هذه الأمور علیه، لیلتزم بتثمیر الأموال و استخراجها، و زیاده ارتفاعاتها، و کان قصده بذلک رفع ید الأمیر جمال الدین عن ذلک، و توهم أن المشد الذی یتولی یکون بحکمه یصرفه کیف شاء و یبلغ مقاصده، و کان فی الشد ... المسعودی و هو شیخ عاقل ساکن لیس فیه عسف و لا شر، فرتب الملک الظاهر فی الشد الأمیر علاء الدین کشتغدی الشقیری، و بسط یده حسبما اقترح عز الدین، فلم یلبث أن وقع بینهما، و کان الشقیری یهینه بأنواع الهوان فیشکو ما یلقی منه إلی الأمیر جمال الدین النجیبی فلا یشکیه، و یقول:

أنت طلبت مشدا ترکیا، و قد جاءک الذی طلبت، ثم إن الشقیری کاتب

الملک الظاهر فی حقه و أوغر صدره علیه، فورد علیه الجواب بمصادرته، فأخذ خطه بجمله عظیمه یقصر عنها ماله، و أفضی به الحال إلی أن ضربه و عصره و علقه فی قاعه الشد بدار السعاده، و جری علیه من المکاره مالا یوصف، فکان کالباحث عن حتفه بظلفه، و باع موجوده و أماکن کان وقفها، و قام بثمنها فی المصادره، ثم طلب إلی الدیار المصریه فتوجه و حدثته نفسه بالعود إلی رتبته فأدرکته منیته فی الدیار المصریه عقیب وصوله إلیها، فإنه تمرض فی الطریق و دخلها، و هو مثقل فتوفی و دفن بالقرافه الصغری قریبا من قبه الشافعی رضی الله عنه، و قد نیف علی خمس و سبعین سنه رحمه الله، و مات فی آخر ذی الحجه من هذه السنه، و قیل إنه دفن فی مستهل سنه سبع و ستین و ستمائه، و هو فی عشر السبعین، و له وقف علی وجوه البر، و بنی بجبل قاسیون تربه و مسجدا، و عماره حسنه، و لم یخلف ولدا و لا رزقه فی عمره کله، و لا تزوج إلا امرأه واحده فی صباه، و بقیت فی صحبته أیاما قلائل، ثم فارقها کذا أخبرنی علاء الدین ولد أخیه بدر الدین ...

قلیج أرسلان بن السلطان غیاث الدین کیخسرو

بن السلطان علاء الدین کیقباذ ابن کیخسرو بن قلیج أرسلان بن مسعود بن قلیج أرسلان بن سلیمان بن قطلمش بن أتسز بن اسرائیل بن سلجوق بن دقاق، السلطان رکن الدین السلجوقی صاحب الروم، کان ملکا جلیلا شجاعا کریما لکنه لم یکن أحکمته التجارب، فترک الحزم و فوض الأمور إلی معین الدین سلیمان البرواناه، و اشتغل بلهوه فاستقل البرواناه بالتدبیر و استفحل أمره، ثم رام رکن الدین قتله و الراحه منه، و استشعر البرواناه ذلک فعمل علی قتله حتی قتل فی هذه السنه، و شرح الحال فی ذلک أن البرواناه لما عظم شأنه، و استولی علی الممالک، و لم یبق للسلطان رکن الدین معه کلمه، استشعر البرواناه منه، فرتب ضیاء الدین محمود ابن الخطیر معه حریفا و ندیما لیطلعه علی سره فی حال السکر، و یکون

عينا للبرواناه عليه، فحمل السلطان ركن الدين السكر على أن قال لضياء الدين بن الخطير: قد اتخذت سكينا لقتل البرواناه، و كانا بقونيه فكتب ضياء الدين إلى أخيه شرف الدين بن الخطير يعرفه، فأخبر شرف الدين البرواناه بذلک، فكتب البرواناه إلى أبغا يذكر أن نيه ركن الدين قد تغيرت فيک، و ربما كاتب صاحب مصر ليسلم إليه البلاد، فعاد الجواب إذا ثبت ذلک عند نوابى المغل فافعل ما تختار، ثم إن ركن الدين بعث يستدعى البرواناه فكتب إليه خواجا على الوزير يحذره من الوصول إليه فقصد البرواناه أمراء المغل، و هم نابشى و يينال، و كداى، و برد، و ابكان، و نوغاتمر و غيرهم بهديه سنيه ففرقها فيهم، و عرفهم أن السلطان ركن الدين استدعاه ليقتله، و ينتمى إلى صاحب الديار المصريه و يقتلكم عن آخركم، فرحلوا معه، و قصدوا أقصرا، فلما وصلوها كتبوا إلى السلطان ركن الدين كتابا يطلبون الحضور ليجتمع معهم على مصلحه أمرهم بها ابغا، فلما وقف على الكتاب خرج من قونيه و أشار عليه خواصه أن لا يفعل، فلم يصغ إلى رأيهم، فلما بلغ البرواناه قدومه ركب و معه المغل، فلما التقوا ترجل البرواناه على عادته، و قبل الأرض، فقال له السلطان: كيف أنت يا أبى؟ فقال ياخوند: تقصد قتلى و تسأل عنى، فقال له: حاشاک ثم نزل إلى الدار و شرب مع المغل فدس عليه البرواناه سما فأدرک ذلک، فخرج و قاء ما شربه و ركب فرسه و انصرف لينجو بنفسه، فتبعه الصاحب فخر الدين خواجا و تاج الدين مبشر و غيرهما و أشاروا عليه بالرجوع ليقرأ عليه يغلغا فقال لهم: إنى أخاف من القتل فحلفوا له، فرجع معهم و أنزلوه بخركاه نابشى بمفرده، و لم يصحبه غير مملوک واحد، و جميع من كان معه من الجند و المماليک وقوف على بعد، ثم دخل عليه المغل و فاوضوه فى الكلام و قالوا له: لم عزمت على قتل البرواناه؟ فقال لم يكن ذلک، و إن كنت قلته ففى حال السكر، فقالوا: إن أردت أن تنجو فقل لنا من كان اتفق معک على قتله؟ فذكر لهم جماعه، فلما سماهم لهم قام أحد المغل و وضع فى حلقه وترا و خنقه به

حتى مات، و كان حول الخركاه جماعه من المغل يصفقون و يلغطون لكى لا يسمع صوته، و ضربه شرف الدين بن الخطير فكسر يده، ثم جعلوه فى محفه و كتموا موته، و أذاعوا أنه ضعيف و لم يزالوا يدخلون عليه فى سيره بالمأكول و المشروب إلى أن وصلوا قونيه فأظهروا موته، و أنه وقع من على الفرس فمات، و كان عمره يومئذ ثمانى و عشرين سنه، و أجلسوا ولده غياث الدين كيخسرو على التخت.

[أحداث]لسنه السابعه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه خلا السلطان قليج أرسلان صاحب الروم، فإنه قتل و ولى بعده ولده السلطان غياث الدين كيخسرو و كما تقدم.

متجددات هذه السنه

اشاره

استهلت و الملک الظاهر بقلعه الجبل، و فى يوم الخميس تاسع صفر جلس فى الإيوان بالقلعه، و أحضر القضاه و الشهود، و تقدم بتحليف الأمراء و مقدمى الحلقه لولده الملک السعيد، فحلفوا ثم ركب الملک السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبهه الملک فى القلعه، و مشى والده أمامه فى القلعه، و كتب له تقليد و قرى ء على الناس بين يدى الملک الظاهر بحضور الصاحب بهاء الدين، و أعيان الأمراء و المقدمين.

[خروج الملک الظاهر إلى الشام:]

و فى يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخره خرج الملک الظاهر من قلعه الجبل متوجها إلى الشام، و معه الأمراء بأسرهم جرائد، و استناب بالديار المصريه فى خدمه ولده الأمير بدر الدين الخازندار، و من ذلک التاريخ علّم الملک السعيد على التواقيع و المناشير و غيرها، و وردت إليه كتب والده، و كتب نواب بسائر المملكه.

و لما استقر الملک الظاهر بدمشق وصل إليه رسل من التتر مجد الدين دوله خان بن جاقر، و سيف الدين سعيد ترجمان، و آخر من المغل، و معهم

جماعه من من أصحاب سيس، فأنزلهم بالقلعه، و أحضرهم من الغد و أدوا الرساله و مضمونها: إن الملک أبغا لما خرج من الشرق تملک جميع العالم، و من خالفه قتل فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلص منا، فالمصلحه أن تجعل بيننا صلحا، و أنت مملوک أبعت فى سيواس، فكيف تشاقق ملوک الأرض، فأجابهم من وقته بانه فى طلب جميع ما استولوا عليه من: العراق، و الجزيره، و الروم، و الشام، و سفرهم.

و وصل إليه الأمير سيف الدين محمد ابن الأمير مظفر الدين عثمان ابن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون، باستدعاء، و قدم مفاتيح صهيون فخلع عليه، و أبقاه على ما فى يده.

و فى آخر رجب خرج الملک الظاهر من دمشق فنزل خربه اللصوص، فأقام بها أياما، ثم ركب ليله الاثنين ثامن عشر شعبان، و لم يشعر به أحد، و توجه إلى القاهره على البريد بعد أن عرف الفارقانى أنه يغيب أياما معلومه، و قرر معه أن يحضر الأطباء كل يوم، و يستوصف منهم ما يعالج به متوعک يشكو تغير مزاجه ليوهم أن الملک الظاهر هو المتوعک، فكان يعمل ما يصفونه، و يدخل به إلى الدهليز ليوهم العسكر صحه ذلک، و وصل إلى قلعه الجبل ليله الخميس حادى عشرى شعبان و أقام بها أربعه أيام، ثم توجه ليله الاثنين خامس عشرى الشهر على البريد، فوصل إلى العسكر تاسع عشرينه، و كان غرضه كشف حال ولده و غيره.

[تسليم قلعه بلاطنس و قلعه بكسرائيل إلى نواب الظاهر:]

و فى يوم الاحد سادس عشر شهر رمضان، تسلم نواب الملک الظاهر قلعه بلاطنس و قلعه بكسرائيل من عز الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان ابن منكورس بن جيردكين صاحب صهيون، و عوضه عنهما قريه تعرف بالجمله من أعمال شيزر كانت إقطاعا لمظفر الدين فى الدوله الناصريه و بعث إليهما نوابا، و أموالا و ذخائر و سلاحا.

[غاره على صور:]

و فى يوم الخميس العشرين من رمضان، توجه الملک الظاهر إلى صفد فأقام بها يومين، ثم شن الغاره على بلد صور، و أخذ شيئا كثيرا، و سبب ذلک أنه لما كان نازلا على خربه اللصوص، رفعت إليه قصه من امرأه تذكر أن ولدها دخل صور فقبض عليه و قتل.

و فيها عيّد الملک الظاهر عيد الفطر بالجابيه، و صلى به الشريف شمش الدين سنان بن عبد الوهاب الحسين، خطيب المدينه النبويه صلوات الله على ساكنها و سلامه، و كان قد وصل رسولا من جماز فى السنه الخاليه، فحبسه الملک الظاهر بقلعه دمشق، ثم أطلقه فى شهر رمضان هذه السنه لرؤيا رآها، و كتب له تواقيع بإجرائه على عادته فى خطابته و قضائه و إدراء مالمتولى المدينه بديار مصر و الشام من الوقوف و الرواتب، ثم جهزه و جهز معه الطواشى جمال الدين محسن، و بعث معه خمسمائه غراره من الكرک يفرقها فيمن بالمدينه من الضعفاء و المجاورين، ثم رحل إلى الفوار و أقام به إلى خامس عشرى شوال، ثم توجه إلى الكرک فوصله فى أوائل ذى القعده، ثم توجه فى سادسه إلى الحجاز و صحبته بدر الدين الخازندار، و صدر الدين سليمان الحنفى، و فخر الدين بن لقمان و تاج الدين بن الاثير، و نحو ثلاثمائه مملوک و جماعه من أعيان الحلقه، فوصل المدينه الشريفه فى العشر الآخر من الشهر فأقام بها ثلاثه أيام، و كان جماز قد طرد مالكا عن المدينه، و استقل بإمارتها، فلما قدم الملک الظاهر هرب من بين يديه، فقال الملک الظاهر: لو كان جماز يستحق القتل ما قتلته لأنه فى حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم تصدق فى المدينه بصدقات كثيره،

[حج الملک الظاهر:]

و خرج منها متوجها إلى مكه، فوصلها ثامن ذى الحجه فخرج إليه أبو نمى و عمه ادريس صاحبا مكه، و بذلا له الطاعه، فخلع عليهما و سارا بين يديه إلى عرفات، فوقف بها يوم الجمعه، ثم سارا إلى منى، ثم دخل مكه و طاف الإفاضه و صعد الكعبه و غسلها بماء الورد، و طيبها بيده ثم أقام يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجه، ثم توجه إلى

المدينه الشريفه فزار بها قبر النبى صلى الله عليه و سلم مره ثانيه، ثم توجه إلى الكرک فوصله يوم الخميس تاسع عشرى منه، فصلى به الجمعه ثم توجه إلى دمشق فوصل يوم الأحد ثانى المحرم سنه ثمان و ستين و ستمائه سحرا فخرج الأمير جمال الدين النجيبى فصادفه فى سوق الخيل، فاجتمع به، ثم سار إلى حلب فوصلها فى سادس المحرم، ثم خرج منها فى عاشره، و سار إلى حماه، ثم إلى دمشق، ثم إلى مصر فوصلها يوم الثلاثاء ثالث صفر، و كان الركب قد خرج من مصر صحبه الأمير عز الدين الأفرم، و فيه والده الملک السعيد، و والده الخزندار، و الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين، و الصاحب تاج الدين أخوه، و اتفق وصول الركب إلى البركه و وصول الملک الظاهر، فدخلا يوم الأربعاء رابع صفر.

و فى هذه السنه تقدم الملک الظاهر بالحوطه على أملاک حلب بأسرها، و أن لا يفرج عن شى ء منها إلا بكتاب عتيق من الأيام الناصريه أو ما قبلها.

و فى سابع عشرى ذى الحجه هبت ريح شديده عاصف بالديار المصريه، غرقت مراكب فى النيل نحوا من مائتى مركب، فهلک فيها خلق كثير، و أمطرت قليوب مطرا غزيرا، و كان بالشام من هذه الريح صعقه أحرقت الأشجار.

ذكر ما تجدد فى هذه السنه من حوادث بلاد الشمال و العجم

منه عصيان باكودر ابن عم برق، و قيل أخوه على أبغا و سبب ذلک أن برق بعث إلى عمه سرا يشير عليه أن يخرج من طاعه أبغا، و ينضم إلى منكوتمر، فاطلع أبغا على ذلک فاستدعى المذكور، فامتنع من الحضور و كان بقربه طائفه من عسكر أبغا، فبعث طلبهم، فأجابوه خوفا منه فرحل بهم نحو بلاد منكوتمر، فلما بلغوا أعمال تفليس أظهروا

الخلف عليه، و كانوا ثلاثه آلاف فارس، و بعثوا إلى أبغا يعرفونه فجمع أكابر دولته و استشارهم، فأشاروا بارسال عسكر يقفوا أثره، فبعث أباطى و معه ثلاثه آلاف فارس، و استدعى البرواناه، و صمغرا، و من معهما من العساكر، فلما حضروا أردف بهم أباطى، فلحقوه فكانت عدتهم ثلاثين ألفا، و دخلوا بلاد باباسركيس ملک الكرج، و عضدهم بألفى فارس، فلما التقى الجمعان كانت الكسره على باكودر، و نجا بنفسه فى ثلاثمائه فارس، و انحاز باقى عسكره إلى عسكر أبغا، و أخذ باكودر نحو جبال الكرج، و كان بها نبات مسموم فرعته دوابه فهلكت، فلم يبق معه غير أربعه عشر فرسا فقصد ابغا مستسلما فعفا عنه، ثم قصد أبغا بلاد باباسركيس، و استولى منها على قلاع كان قد تغلب عليها الكرج، و أخذوها من الملک الأشرف بن العادل رحمه الله و هى موكرى، و قلعه مامرون، و قلعه أولبى، و كان بها بعض الكرج و طائفه من المسلمين فجلا الكرج عنها، و أبقى المسلمين، و عاد عسكر أبغا إلى أردوه، و صمغرا و البرواناه إلى بلادهم، و لما بلغ برق ما جرى على ابن عمه باكودر جمع و حشد و قصد تيشين أخا أبغا، فكسره و استأصل رجاله، و نهب حريمه فبعث تيشين إلى أخيه يستصرخه و يحرضه، فعزم على قصده و بعث إلى أطراف بلاده لطلب عساكره، و سيأتى ذكره فى سنه ثمان و ستين إن شاء الله تعالى.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]يدمر بن عبد الله الأمير عز الدين الحلى الصالحى النجمى

، كان من أكابر أمراء الدوله و أعظمهم محلا عند الملک الظاهر، و كان نائب السلطنه عنه بالديار المصريه فى حال غيبته عنها لوثوقه به و اعتماده عليه، و سكونه إليه، و كان قليل الخبره لكن رزق من السعاده ما مشى أموره، و كان محظوظا فى الدنيا له الأموال الجمه، و المتاجر الكثيره، و الأملاک الوافره، و أما ما خلف من الخيول، و الجمال، و البرک و العده فيقصر

الوصف عنه، و كانت وفاته بقلعه دمشق فى يوم الخميس سابع شعبان، و دفن بتربته بسفح قاسيون جوار مسجد الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، رحمه الله و قد نيف على الستين من العمر رحمه الله.

[أحداث]الحسن بن على بن أبى نصر ابن النحاس

، أبو البركات شهاب الدين الحلبى، و المعروف بابن عمرون، منسوب إلى جهه الأم، التاجر المشهور، و كانت له نعمه ضخمه، و متاجر كثيره، و أموال عظيمه، و حرمته وافره و مكانته عند الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و سلفه و أكابر أمراء الدوله عظيمه و منزلته لديهم رفيعه، و لما ملک الملک الناصر دمشق، كان المذكور إذا قدم عليه بالغ فى إكرامه و تلقيه و إقامه حرمته، و إنزاله فى أجل الأماكن، و ترتيب الإقامه له مده مقامه، و سائر أرباب الدوله يعاملونه بما يناسب ذلک، و لما استولى التتار على حلب سنه ثمان و خمسين لم يتعرضوا لداره و ما يجاورها من الدرب جمله كافيه، كأنه ضمن لهم مبلغا كبيرا على أن يحموها من النهب ففعلوا و آوى إليها و إلى دربه من أهل حلب و غيرهم، و من الأموال ما لا يحصى كثره، فشملت السلامه لذلک جميعه، و قام لهم بما كان التزمه من صلب ماله و لم يستعن على ذلک بما لأحد ممن آوى إليه، فكانت هذه مكرمه له، و تمزق معظم أمواله و خربت أملاكه و بقى معه اليسير بالنسبه إلى أصل ماله، فتوجه به إلى الديار المصريه فى أوائل الدوله الظاهريه، فلزمه مغرم عظيم للسلطان اتى على قطعه وافره مما تبقى معه، و استوطن ثغر الاسكندريه إلى أن توفى إلى رحمه الله تعالى بالاسكندريه فى يوم الجمعه ثالث و عشرين شعبان، و دفن هناک رحمه الله، و قد نيف على الثمانين سنه بقريب ثلاث سنين، و كان عنده رياسه و سعه صدر، و كرم طباع، يسمح ما تشح أنفس التجار ببعضه إطلاقا و قرضا، و أكابر الحلبيين يعرفون رئاسته و تقدمه لا ينكرون ذلک، و أبو نصر المذكور هو فيما أظن محمد ابن الحسين بن على ابن النحاس الحلبى كاتب تاج الملوک محمود بن

[نصر بن] صالح بن مرداس، و هو صاحب المكاتبه إلى سديد الملک ابن منقذ صاحب شيزر.

و شرح الحال فى ذلک أن سديد الملک أبا الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر، و صاحب حلب يومئذ محمود المذكور، فجرى أمر خاف سديد الملک على نفسه منه، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام و صاحبها يوم ذاک جلال الملک ابن عمار فأقام عنده، فتقدم محمود بن [نصر بن] صالح إلى كاتبه أبى نصر محمد المذكور أن يكتب إلى سديد الملک كتابا يشوقه و يستعطفه، و يستدعيه إليه ففهم الكاتب أنه يقصد له شرا، و كان صديقا لسديد الملک، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى إن شاء الله تعالى فشدد النون، و فتحها، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملک عرضه على ابن عمار، و من بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عباره الكتاب، و استعظموا ما فيه من رغبه محمود فيه و ايثاره لقربه، فقال سديد الملک إنى أرى فى الكتاب ما لا ترون، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال، و كتب فى جمله الكتاب: أنا الخادم المقر بالإنعام و كسر الهمزه من أنا و شدد النون، فلما وصل الكتاب إلى محمود و وقف عليه الكاتب سرّ بما فيه، و قال لأصدقائه: قد علمت أن الذى كتبته لا يخفى على سديد الملک، و قد أجاب بما طيب نفسى، و كان الكاتب قد قصد قوله تعالى: إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِکَ لِيَقْتُلُوکَ(1) فأجاب سديد الملک بقوله تعالى: إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها(2) فكانت هذه معدوده من تيقظ الكاتب و فهمه، و تيقظ سديد الملک ابن منقذ أيضا و إفراط ذكائه، و فطنته و كلاهما غايه فى ذلک، و ابن منقذ أشد فطنه فى هذا الموطن، و الله أعلم.

سليمان بن داود بن موسک أبو الربيع الروادى الهذبانى

، أسد الدين ابن

1- سوره القصص- الآيه: 20.
2- سوره المائده- الآيه: 24.

الأمير عماد الدين ابن الأمير عز الدين، من بيت الإمره و التقدم و الاختصاص بالملوک، کان والده عماد الدين أخص الناس بالملک الأشرف بن العادل، و أظن بينهما قرابه من جهه النساء، و جده الأمير عز الدين موسک کان من أکابر أمراء صلاح الدين و ذوی المکانه عنده، و له به اختصاص عظيم، و قرب کثير، موصوف بالکرم و الفطنه، أما کرمه فمشهور لم يخيب مؤمله، بل ينوله مقصوده بما له وجاهه، و أما فطنته فحکی لی عنه أن رکن الدين محمد الوهرانی المشهور کان قدم الديار المصريه فی الأيام الصلاحيه، و تعرض للأمير عز الدين مسترفدا له، فأمر له بشی ء لم يرضه، فحضر مجلس الأمير عز الدين أحفل ما يکون و قال:

يا مولانا قد احتجت أن أحلق رأسی فی هذه الساعه، و اشتهی أن تأمر بعض الطشت داريه أن يحلقه بحضرتک، فأمر بذلک، فلما حضر الحلاق فهم الأمير عز الدين ما أراد بذلک، فقال لبعض مماليکه أعطه مائه دينار، قال له: يا رکن الدين احلق بها رأسک غير هنا، فأخذها و انصرف، و هو شاکر، فقال بعض الحاضرين للأمير عز الدين فی ذلک؟

فقال: أراد أن الحلاق إذا حلق يقول له: يا مهتار موسک نجس، فيشتمنا فی وجوهنا بحضورکم، فافتدينا منه بهذه الدنانير، فعرف بذکائه مراد الوهرانی، و کان أسد الدين صاحب هذه الترجمه عنده فضيله، و له يد جيده فی النظم، و ترک الخدم، و تزهد و لازم مجلس العلماء، و لبس الخشن من الثياب، و کان له نعمه عظيمه ورثها من أبيه، فأذهب معظمها، و لم يبق له إلا صبابه يسيره تقوم بکفايته، يقتنع بذلک إلی حيث توفی إلی رحمه الله تعالی بدمشق فی يوم الثلاثاء مستهل جمادی الأولی من هذه السنه، و دفن بسفح قاسيون، و مولده بالقدس الشريف فی حدود سنه احدی و ستمائه تقريبا رحمه الله ...

و لم يشب رأسه و لحيته إلا شعرات يسيره جدا مع کونه نيف علی سبعين سنه.

[أحداث]لسنه الثامنه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت و الخليفه و الملوک على ما كانوا عليه، و الملک الظاهر بالصنمين عائدا من الحجاز الشريف.

متجددات هذه السنه

اشاره

قد ذكرنا عود الملک الظاهر من الحجاز فى السنه الخاليه لسياق الحديث بعضه بعضا فأغنى عن إعادته.

و فى يوم الجمعه ثالث عشر صفر توجه الملک الظاهر إلى الاسكندريه، و معه ولده الملک السعيد، و سائر الأمراء فتصيدوا أياما، و عاد إلى القلعه يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول، و خلع فى هذه السفره على الأمراء و فرق فيهم: الخيل، و الحوائص، و السيوف، و الذهب، و الدراهم، و القماش.

[غاره على عكا:]

و فى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الأول توجه إلى الشام فى طائفه يسيره من أمرائه و خواصه و رتب لهم الاقامات و العليق لدوابهم، فوصل إلى دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر، و لقى الناس فى الطريق مشقه شديده من البرد، و خيم على الزنبقيه و بلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا فى عسكر ليقصد فرقه منهم المقيمين بجينين و فرقه منهم المقيمين بصفد من عسكر المسلمين، فبعث الملک الظاهر إلى العسكرين عرفهما، ثم سار فالتقى بهما فى مكان عيّنه يوم الثلاثاء حادى عشر الشهر، و سار إلى عكا فصادف ابن اخت زيتون قد خرج فالتقى به فكسره و استأسره و جماعه من أصحابه و قتل منهم خلقا و ذلک فى يوم الأربعاء ثانى و عشرين الشهر.

ثم قصد الغاره على المرقب فوجد من الأمطار و الثلوج ما منعه فرجع إلى حمص و أقام بها نحو عشرين يوما، ثم خرج إلى تحت حصن الأكراد، و أقام

يركب كل يوم و يعود من غير قتال إلى الثامن و العشرين من شهر رجب، فبلغه أن مراكب الفرنج دخلت ميناء الاسكندريه،

و أخذت منه مركبين للمسلمين فرحل من فوره إلى الديار المصريه فوصلها ثانى عشر شعبان.

[قدوم مقدم الاسماعيليه على الملک الظاهر:]

و فيها قدم على الملک الظاهر صارم الدين مبارک بن الرضى مقدم الاسماعيليه بهديه، و شفع فيه صاحب حماه، فکتب له منشورا بالحصون کلها ليکون نائبا عنه و کتب له بأملاکه التى بالشام جميعها على أن تکون مصيات و بلدها خاصا للملک الظاهر، و بعث معه نائبا فيها عز الدين العديمى، فلما وصلا إليها عصا أهلها و قالوا: لا نسلمها فإنه کاتب الاسبتار، و نحن نسلمها لنائب الملک الظاهر، فقال لهم عز الدين: أنا نائب السلطان فقالوا له تأتينا من جهه الباب الشرقى فلما جاءهم و فتحوه هجمه الصارم و قتل منهم خلقا و تسلم هو و عز الدين القلعه، ثم غلب الصارم أن ورد عليه نجم الدين حسن الشعرانى، و هو نازل على حصن الأکراد و معه هديه سنيه فقبلها و کتب له منشورا بالقلاع التى کتب بها لصارم الدين و هى: الکهف، و الخوابى، و العليقه، و الرصافه، و القدموس و المنيقه، و القليعه، و نصف أملاک الشام من جبل السماق، و قرر عليه يحمل کل سنه مائه و عشرين ألف درهم، و لما عاد الملک الظاهر إلى مصر و تحقق صارم الدين إقباله على نجم الدين أخرج عز الدين من مصيات، فوصل إلى دمشق، فسير الملک الظاهر الجمال معالى بن قدوس على خيل البريد، و معه نجم الدين الکنجى إلى حماه، فأخرجا صاحبها فى عسکره و معهم عز الدين العديمى، و توجهوا إلى مصيات، فخرج منها الصارم و قصد العليقه، فتسلموا مصيات فى شهر رجب، و حکم بها عز الدين، و استخدم أجنادا و رجاله، و لما اتصل بالملک الظاهر سلامه الصارم کتب إلى صاحب حماه يلومه، و ألزمه باحضاره، فتحيل عليه حتى نزل من العليقه، فقبض عليه و حمله إلى الملک الظاهر، فحسبه فى برج من أبراج سور القاهره فى ذى القعده.

و فيها عمرت القناطر على بحر أبى منجا، و فى يوم الخميس رابع

عشرى شعبان فوض إلى الصاحب تاج الدين وزاره الصحبه، على ما كان عليه والده فخر الدين.

و فى شعبان لعبت الشوانى فى نيل مصر، و حضرها الملک السعيد فى الحراقه، و لما دخلت البر إزدحم الناس فى مركب منها فغرق، ثم سافروا فى الشهر إلى دمياط، و وافاهم من الاسكندريه أربعه أخرى، و خرجوا إلى الغزاه جميعا، فوجدوا بطسه هائله و بها شجعان حموها، و علقوا من مراكب المسلمين فقاسوا الجهد، فأطلقوه و قتل منهم خمس و عشرون رجلا، ثم عادوا و لم يظفروا بطائل.

و فى العشرين من شوال ورد البريد من الشام مخبرا أن الفرنج قاصدون البلاد، و المقدم عليهم شارل أخو ريدافرنس، و ربما كان محطهم عكا، فتقدم إلى العسكر بالتجهز إلى الشام، و ورد الخبر من الاسكندريه بأن اثنى عشر مركبا للفرنج عبروا على الاسكندريه، و دخلوا ميناءها، و أخذوا مركبا للتجار، و استأصلوا ما فيه و أحرقوه و لم يجسر الوالى أن يخرج الشوانى من الصناعه لغيبه رئيسها فى مهم استدعاه الملک الظاهر بسببه، و لما بلغ الملک الظاهر ذلک بعث فأمر الملک الظاهر بقتل الكلاب فى الاسكندريه، و أن لا يفتح أحد حانوتا بعد المغرب و لا توقد نار فى البلد ليلا، ثم تجهز و خرج نحو دمياط، يوم الخميس خامس ذى القعده فى البحر.

و فى ذى الحجه أمر بعمل جسرين أحدهما من مصر إلى الجزيره، و الآخر من الجزيره إلى الجيزه على مراكب لتجوز العساكر عليها إلى الاسكندريه إن دهمها عدو، و بقى منصوبا إلى أن تواترت الأخبار بقصدهم تونس، و نزولهم عليها.

و فى المحرم قتل أبو العلاء ادريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف صاحب مراكش فى حرب كانت بينه و بين ابن مرين على مراكش و الذى

يرجعون إليه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامه، و انقرضت دوله بنى عبد المؤمن.

و فيها سير الدرابزين للحجره الشريفه صلوات الله على ساكنها من الديار المصريه، صحبه الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الخليلى، فمرض و حصل له طرف فالج، فتعلق بالحجره الشريفه بعد أن تصدق بجميع ما معه، و تشفع بالنبى صلى الله عليه و سلم فعوفى فى المدينه، و صحب الركب إلى مكه على ناقته.

ذكر كسره أبغا لبرق

قد تقدم القول بتسيير رسل تيشين إلى أبغا يستصرخ به من برق فلما وصلت الرسل جمع أبغا أمراء دولته، و اتفقوا أن يقصدوا برق، فجمع عساكره، و نزل بموغان فأكلت خيولهم الزرع خمسه عشر يوما، ثم ساروا فوصلوا أردول فأمر عساكره باخفائه، و كل من ذكر ذلک قتل، و رحلوا و ساروا مده خمس و خمسين يوما و خيولهم ترعى الزراعات، و نزلوا جوقجران بينهم و بين برق خمسه أيام فحملوا زادهم مطبوخا لأن لا يشعلوا نارا، و عينوا من كل عشره فارس، يتقدموهم بنصف نهار، يتحفظوا لهم الأخبار فكانت عدتهم خمسه آلاف فارس، فساروا فى واد بين جبلين و قتلوا من وجدوه فى طريقهم إلى أن أشرفوا على يزک برق فكبسوه سحرا و استأصلوهم عن آخرهم، فلما وصل إليهم أبغا فرح بذلک، و عرفوه أنه بقى لهم يوم و نصف و يصلون إلى عسكر برق، فساروا ليلا فلما أصبحوا لم يشعروا إلا و عسكر برق قدامهم، و كان فى طرفه مرغول مقدم ثلاثه آلاف فارس، فكسر و هرب ناجيا بنفسه، و اتصل ببرق فأخبره، و سار أبغا فنزل على مدينه هراه فأقاموا اثنى عشر يوما يطعمون خيولهم الزرع، و هرب شخص من عسكر برق و وصل إلى أبغا و عرفه ان سبب هروبه أنه رأى فى لوح الغنم أن أبغا يضرب مصافا مع برق و يكسره، فقال أبغا: إن صح ذلک ملكتک قريه تعيش فيها أنت و عقبک و أقبل عليه إقبالا عظيما، و لما كسر برق و فى له.

ذكر المصاف

لما بلغ برق رجوع أبغا طمع فى لقائه و عبر النهر الأسود على الجسر، و التقيا فخرج مرغول من عسكر برق بألف فارس، و حمل فى عسكر أبغا فكسر منه تقدير ثلاثه آلاف فارس، و كان مقدمهم شكتو بن ألكانوين، و أرغون بن جرماغون، و عبد الله النصرانى، و كان يصحب العساكر، و معه الكنائس و النواقيس، فوقع فيه سهم قتله، و جاء إلى أبغا من عسكره أباطى و تيشين بن هولاكو، و قالا: نحن نلقى عسكر برق، فأذن لهما فالتقياه و كسراه كسره عظيمه، و ما زالا فى عسكره بالسيف إلى الجسر، و عجزوا عن العبور لكثره الزحام، فرموا أنفسهم فى البحر ففاض الماء لكثره عددهم، و كان كل من تخلص ينزل عن فرسه و يعرقبه على البر، و يقصد الجبل هاربا، و لحقهم عسكر أبغا بعد أن بعدوا عن الحسر بيوم، فأما أبغا فنزل على جوقجران و أمر أن تكتب ورقه بعده من عدم من عسكره فكانوا ثلاثمائه و سبعين فارسا، و رجع عائدا إلى بلاده، و كان يموت من عسكره فى كل منزله جماعه كثيره و تدعق خيول كثيره، فعدم من الرجال و الخيول ما لا يحصى كثره ...

و فيها توفى:

أيبک بن عبد الله الصالحى الأمير عز الدين المعروف بالزراد، كان متولى قلعه دمشق، و كان المذكور من المماليک الصالحيه النجميه، و حرمته وافره فى الدوله الظاهريه، و سيرته جميله، و له مهابه، و كانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ذى القعده بقلعه دمشق المحروسه رحمه الله.

أيبک بن عبد الله الأمير عز الدين الظاهرى، النائب بحمص، كانت عنده نهضه كبيره، و صرامه مفرطه، موصوف بالعسف و الظلم، و كان من آحاد المماليک الظاهريه فأمره الملک الظاهر، و ولاه حمص، و أعمالها فضبط عمله و ساسه، و لم يزل على ذلک إلى أن توفى بحمص فى صفر

من هذه السنه، و كان عنده تشيع و جور على الرعيه، فسر أهل ولايته بموته و الراحه منه ...

[أحداث]لسنه التاسعه و الستون و ستمائه

اشاره

دخلت و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه، خلا أبى حفص عمر بن أبى إبراهيم يوسف صاحب مراكش، فإنه قتل فى حرب بينه و بين أبى العلاء إدريس بن أبى عبد الله محمد بن يوسف ملک بنى مرين، و انقرضت دوله بنى عبد المؤمن.

متجددات الأحوال

[هدم أسوار عسقلان]

كان الملک الظاهر بالديار المصريه، و توجه يوم السبت غره صفر فى جماعه يسيره من الأمراء و الأجناد إلى عسقلان، فوصل إليها و هدم سورها ما كان أهمل هدمه فى أيام الملک الصالح، و وجد فيما هدم كوزان مملوءان ذهبا بقدره ألفى دينار، ففرقها على من فى صحبته، و ورد عليه و هو بعسقلان البشير بأن عسكر ابن أخى بركه كسر عسكر أبغا، و عاد إلى القاهره يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول.

و فى أوائل هذه السنه انتهى الجسر الذى عمل على بحر أبى منجا و وقف عليه الملک الظاهر وقفا يعمر ما دثر منه.

و فى أواخر ربيع الأول اتصل بالملک الظاهر أن الفرنج بعكا ضربوا رقاب جماعه من المسلمين الذين فى أسرهم ظاهر عكا صبرا، فأخذ من أعيان من عنده من أسراهم نحو مائه نفر فغرقهم فى النيل ليلا.

و فيها بنى جامع المنشيه، و أقيمت فيه الخطبه يوم الجمعه ثامن عشرى ربيع الآخر.

و فيها قبض الملک الظاهر على العزيز ابن الملک المغيث صاحب الكرک، و على يعقوب ابن نور الدين بدل مقدم الشهرزوريه، و على جمال

الدين أغل مقدمهم أيضا، و سببه أنه بلغه و هو على عسقلان أن الشهرزوريه عازمون على أن يثبوا على الملک و يسلطنوا ابن المغيث.

و فى أواخر جمادى الأولى وصل النجابون إلى مصر من عند نجم الدين أبى نمى محمد بن أبى سعد بن على بن قتاده بن الحسن الحسينى صاحب مكه، و أخبروا أن الخلف وقع بينه و بين عمه ادريس بن على بن قتاده، و كان شريكه فى الإمره، فاستظهر ادريس عليه، فخرج فارا من بين يديه، و قصد ينبع، فاستنجد بصاحبها و جمع و حشد و قصد مكه فالتقيا و تحاربا فطعن أبو نمى ادريس ألقاه من جواده، و نزل إليه و حز رأسه و استبد بمكه.

[فتح حصن الأكراد]

و فى ثانى عشر جمادى الآخره توجه الملک الظاهر من الديار المصريه لقصد حصن الأكراد، و فى صحبته ولده الملک السعيد، و الصاحب بهاء الدين، و استخلف بالديار المصريه الأمير شمس الدين الفارقانى، و فى الوزاره الصاحب تاج الدين، و دخل السلطان دمشق يوم الخميس ثامن رجب، ثم خرج منها يوم السبت عاشره، و توجه بطائفه من العسكر إلى جهه، و ولده و الخازندار بطائفه أخرى إلى جهه، و تواعدوا الاجتماع فى يوم الأحد بمكان معين ليشنوا الغاره على جبله، و اللاذقيه، و المرقب، و عرقه، و مرقيه، و القليعات و حلبا، و صافيتا و المجدل، و أنطرطوس، فلما اجتمعوا و شنوا الغاره فتحوا صافيتا، و المجدل، ثم ساروا و نزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب، و أخذوا فى نصب المجانيق و عمل الستاير، و لهذا الحصن ثلاثه أسوار، فاشتد عليه الزحف و القتال، و فتحت الأولى يوم الخميس حادى و عشرين الشهر، و فتحت الثانيه يوم السبت سابع شعبان، و فتحت الثالثه الملاصقه للقلعه يوم الأحد خامس عشره، و كان المحاصر لها الملک السعيد، و الخازندار و بيسرى، و دخلت العساكر البلد بالسيف، و أسروا من فيه من الجبليه و الفلاحين، ثم أطلقهم الملک الظاهر، ثم أذعن أهل القلعه بالتسليم

و طلبوا الأمان، فأمنهم الملک الظاهر، و تسلم القلعه یوم الإثنین خامس عشری شعبان، و أطلق من کان فیها، فرحلوا إلی طرابلس، ثم رحل عنه بعد أن رتب الأفرم لعمارته، و جعلت کنیسته جامعا، و أقیمت فیه الجمعه و رتب فیه نواب و قاضی.

و أنشئت کتب البشائر بفتوحه، فمن ذلک ما کتب عن الملک السعید رحمه الله إلی قاضی القضاه شمس الدین ابن خلکان رحمه الله بخط محیی الدین عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله، و هو: هذه البشری إلی المجلس السامی القضائی، لا زالت التهانی عنده وثیقه الأواخی حسنه التواخی، عجله لإرضاء أهل الإیمان فلا یرخی له أعنه التراخی، تعلمه بفتوحات شملت بشائرها، و تعرفت بالنصر أمائرها، و استطعم الإیمان حلاوتها، من أطراف المران، و استنطق الاسلام عبارتها من ألسنه الخرصان، و ذلک بفتح حصن الأکراد الذی کان فی حلق البلاد الشامیه غصه، لم تسغ بمیاه السیوف المجرده، و شجا فی صدورها لم تقاومه أدویه العزائم المفرده. طالما اکسبت البلاد رعبا، و رهبا، و طالما استمری من أخلاف الاسبتار حلبا، و کم صان کفرا فی بلاد الاسلام و حماه، و کم ابتنی منها ببکر أساء صحبتها فما خشی معره و لا خاف حماه، قد سما فی السماء فلا أمل إلیه یمتد، و علا فی الهواء، فلا بصر یلمحه إلا و ینقلب خاسئا عنه و یرتد، ما کان بأکثر مما قد منا الاستخاره، و شننا علی البلاد إلا غاره، و عللنا بالمکاسره عنه نفسه الأماره، و أبحنا العساکر من الغنائم کل ما أربح لهم من التجاره، فکم أحضروا من باد، و أبادوا من حاضر، و تخولوا ما یعقد علی حسابه أصابع الیدین التی تدخل فی جملتها عقد الخناصر، و لساعه نزولنا بساحته، و مصافحتنا بالصفاح مبسوط راحته، و إذا صافیتا بذلت نفسها فی فدائه، و تعلقت بذیول العسکر المنصور بأخذ الحسب من أمرائه، فقبل فداؤها و لکن بشرط فتوحه و تملکه، و تکفل نصر الله علی من فیه فوجدت أرباضه جمیعها من الذعر خاویه

على عروشها، صائله سخالها على وحوشها، مرخصه للمساوم، مرخصه فى اغتنام الغنائم، فملكت العساكر محمى تلك الأموال، و حمى تلك القلل العوال، و تفيؤوا من هذه ما يصلح الأحوال، و تبوؤوا من هذه ما يغدو مقاعد للقتال، و أخذنا عليها من النقوب كل سارى الجراحه فى ذلک الجثمان سارب فى ضمائرها كما يسرب الميل بين الأجفان، و نصبنا عليه من المجانيق كل مثبته فى مستنقع الموت رجلها، حاطّه فى الهواء رحلها، جاثمه جثوم الهرم هاديه هدايه العلم، تحلق تحليق الصقور، و تحنى الصخور بالصخور، و ما زالت بها حتى هدمت منها الأركان، و ما برح النقابون حتى سروا فى ضمائرها سريان الدم فى مفاصل الانسان، و فصدوا بمباضع اقطاعاتهم عروق تلک الأبدان، و استكنوا بها داء معضلا لا يجد العدو إليه من فتكاته دواء موصلا، تنموا بتنقيص المواد أخلاطه، و لا يرجى ببحارين الأمطار المرسله انحطاطه، حتى تحللت من الحصن المذكور قواه، و احترقت حماه من النيران الموقده بأحشاء حماه، فحينئذ بلغت روحه التراقى، و عجلت عليه المجانيق المذكوره التى أصابته بعين ما لها من راقى، من كل ذات أعضاء و أعضاد، و أعصاب من السرياقات و عروق تتخلل تلک الأجساد، و ذات زمانه كم لها خطوه فى الهواء بعيده المنال، و أمانه كم ردت إلى الحبال، ما عجزت عن حمله الجبال، لها كف متسمحه، و أعطاف لا تبرح حين تجود مترنحه، ما زالا هذا بعويل معاوله، و هذا بأنين سهامه ينعيان الكفر مساء صباح و يترنمان بما يظنه المسلم له غناء، و تحسبه للكفر عليه نواحا، حتى تسلمناه فى يوم الثلاثاء الخامس و العشرين من شعبان المبارک، فيأخذ حظه من هذه البشاره الحسنه، و يجعل الأصوات بها على الأدعيه الصالحه مؤمنه، و الله يمتع الشريعه بمساعيه المستحسنه بمنه و كرمه.

كتب فى التاريخ اعلاه.

[تسليم نصف طرطوس]

و لما حصل الاستيلاء على حصن الأكراد كتب صاحب انطرطوس

إلى الملک الظاهر، و هی للداویه یطلب منه المهادنه، و بعث إلیه مفاتیحها، فصالحه علی نصف ما یتحصل من غلال بلاده، و جعل عندهم نائبا له، و وصل رسل الاسبتار من المرقب، فصالحهم مناصفه أیضا، و ذلک یوم الاثنین مستهل شهر رمضان، و قررت الهدنه عشر سنین، و عشره أشهر و عشره أیام، و لما رحل نزل مرج صافیتا، ثم سار یوم الأحد رابع عشر رمضان فأشرف علی حصن ابن عکار، ثم عاد إلی المرج فأقام به إلی أن سار و نزل علی الحصن المذکور یوم الاثنین الثانی و العشرین من الشهر، و نصب المجانیق علیه یوم الثلاثاء ثالث عشریه، و ووصل الصاحب بهاء الدین من دمشق یوم الأربعاء رابع عشریه، و فی یوم الأحد ثامن عشریه رمی المنجنیق الذی قباله الباب الشرقی رمیا کبیرا فخسف خسفا کبیرا إلی جانب البدنه، و دامت علیها حجاره المنجنیق إلی اللیل، فطلبوا الأمان علی أنفسهم من القتل، و أن یمکنهم من التوجه إلی طرابلس، فأجابهم و خرجوا یوم الثلاثاء سلخ الشهر، و بعث صحبتهم الأمیر بدر الدین بیسری فأوصلهم إلی طرابلس.

[فتح حصن ابن عکار]

و انشئت کتب البشائر بأخذه، فمن ذلک مکاتبه عن الملک السعید إلی قاضی القضاه شمس الدین ابن خلکان بخط فتح الدین محمد بن عبد الظاهر و مضمونها: هذه المکاتبه إلی المجلس السامی القضائی، لا زالت البرکات مخیمه بفنائه، و التوفیق منوطا بجمع آرائه، و قلوب الناس متفقه علی محبته و ولائه، و لا زالت البشائر إلیه تتهادی، و ترد علی محله مثنی و فرادی، تنظم ما منّ الله به علینا و علی المسلمین من المواهب العظیمه الموقع الجلیله المطلع، و هو أنه لما کان بتاریخ یوم الاثنین تاسع و عشرین من شهر رمضان المعظم، سنه تسع و ستین و ستمائه، تسلمنا حصن ابن عکار بعد أن رتبنا علیه المجانیق من کل جانب، و أذقنا من فیه العذاب الواصب، و لم یزل الجالیش بسهامه یرشقهم و المجانیق تشدخهم، و المنایا تتخطفهم، و عفروا جماجمهم بالذل متضرعین، فعند ما شاهدناهم علی

هذه الصوره رحمناهم و أمناهم على أنفسهم خاصه، و تسلمنا الحصن المذكور بحواصله، و جميع ما فيه، و انتظم فى سلک ممالكنا، و دخل فى جمله حصوننا و قلاعنا، فليأخذ المجلس بحظه من البشرى، بأوفر نصيب، و يذيعها بين القضاه و العلماء و الفضلاء بين كل بعيد و قريب، فإنها من النعم التى يجب على كل مسلم شكرها، و يتعين بثها بين الأنام و ذكرها، فيحيط علمه الكريم ذلک، و الله يؤيده و يعضده و يحرسه فى سائر التصرفات و المسالک إن شاء الله تعالى.

كتب فى التاريخ المذكور اعلاه.

ثم دخل الملک الظاهر الحصن، و رتب به نوابا، و أمر بحمل بعض المجانيق إلى حصن الأكراد، فحملها الأجناد، و عيد و رحل إلى برج صافيتا، و كان هذا الحصن كثير الضر على المسلمين، و لم يكن له كبير ذكر، و إنما لما دخل ريد افرنس إلى الساحل بعد فكاكه من الأسر رآه حصينا صغيرا، فأشار على صاحبه الابرنس أن يزيد فيه و هو يساعده، فزاد فيه زياده كبيره من ناحيه الجنوب، و هو فى واد بين جبال تحيط به من سائر جهاته.

[نزول الظاهر على طرابلس]

و فى يوم السبت رابع شوال خيم الملک الظاهر بعساكره على طرابلس، فسير صاحبها إليه يسأل عن سبب قصده، فقال: لأرعى زرعكم و أخرب بلادكم، و أعود فى السنه الآتيه لحصاركم، فبعث إليه يستعطفه، فبعث إليه الملک الظاهر الأتابک، و سيف الدين الرومى بمقترحات، و هى: أن يكون له من مكان عينه من أعمال طرابلس نصفا بالسويه، و أن يكون له دار وكاله فيها، و أن يعطى جبله، و اللاذقيه بخراجهما من يوم خروجهما عن الملک الناصر إلى يوم تاريخه، و أن يعطى نفقات العساكر من يوم خروجه، فلما علم الرساله عزم على القتال، و نصب المجانيق، ثم ترددت الرسائل، و تقررت القاعده أن تكون عرقه و جبله و أعمالهما للبرنس، و أن يكون ساحل انطرطوس

و المرقب و بلیناس و بلاد هذه النواحی بینه و بین الدوایه و الاسبتار و التی کانت خاصا لهم، و هی: بارین، و حمص القدیمه تعود خاصا للملک الظاهر، و شرط أن تکون عرقه و أعمالها و هی ست و خمسون قریه صدقه من الملک الظاهر علیه فتوقف، و أنف فلما بلغ الملک الظاهر امتناعه صمم علی ما شرط علیه، فأجاب و عقد الصلح بینهما مده عشر سنین، و عشره أشهر و عشره أیام، أوله یوم الأربعاء ثامن شوال.

و لما کان الملک الظاهر نازلا علی طرابلس بعث إلیه أولاد الصارم مبارک بن الرضی ابن المعالی یستعطفونه علیهم و علی أبیهم، فاتفق الحال علی أن ینزلوا من العلیقه، و یسلموها لنوابه، و یخرج و الدهم من الحبس و یقطع بمصر خبز مائه فارس، و یکونوا عنده، فلما نزلوا خلع علیهم، و بعث بهم إلی مصر فحبسوا و ولی الحصن علم الدین سلطان، ثم طلب صارم الدین مبارک فی محبسه بعد أیام من وصولهم، فلم یعلم له خبر، فأمر الملک الظاهر بحبس علم الدین المسروری والی القاهره بسببه، ثم شفع فیه فأطلق.

[سیل کبیر فی دمشق]

و فی یوم الأحد ثانی عشر شوال وصل إلی دمشق سیل عظیم خرب کثیرا من العمائر، و أخذ کثیرا من الناس منهم معظم الحجاج الروميين و جمالهم و أزوادهم، فإنهم کانوا نزلوا بین النهرین، و بلغ السور فغلقت الأبواب دونه و طما حتی دخل من المرامی، و ارتفع حتی بلغ أحد عشر ذراعا وردم الأنهار بطین أصفر، و دخل البلد من باب الفرادیس، و أخرب خان ابن المقدم، و أماکن کثیره، و کان ذلک فی زمن الصیف، فکأن عز الدین أحمد بن معقل رحمه الله أشار إلیه بأبیاته فی سیل مثله و هی:

لله أی حیا حنت روائمه و همهمت أسده و الشمس فی الأسد

فصب فی أغرب الأوقات صیبه غروب محتشک الأخلاق محتشد

و راحت الأرض بحرا فالوهاد إذاتعلو الهضاب بمد دائم المدد

و أقبل السیل بالأمواج مرتمیامثل القروم إذا تهتاج بالزبد

فاعجب له من سحاب جاء يسحب من أذياله فوق نار الصحصح الجرد

يمده كل واد مزبد لجب فيه حطام من الينبوت و الحضد

أرخى عزاليه ملآن محتفلافطال شم الربى فى أقصر المدد

و حين أهدى إلينا الصخر يقذفهامن الشناخيب أهدى الضر للبلد

فيا لها قدره من قادر عجزت فيها البريه عن حصر و عن عدد

و فى يوم السبت حادى عشر شوال رحل الملک الظاهر عن مرج صافيتا، و أذن لصاحب حماه و لصاحب صهيون، و لرسل أولاد الصارم مبارک فى العود إلى أماكنهم، و دخل دمشق يوم الأربعاء خامس عشر شوال، و عزل قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان عن قضاء دمشق، و كان قد وليها عشر سنين محرره، و ولى القاضى عز الدين محمد ابن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بابن الصائغ، و خلع عليه و كان تقليده قد كتب ظاهر طرابلس.

[فتح حصن القرين]

و فى يوم الجمعه خامس عشرى شوال خرج الملک الظاهر من دمشق قاصدا القرين، فنزل عليه يوم الاثنين ثامن عشرى الشهر و نصب عليه المجانيق، و لم يكن به نساء و لا أطفال بل مقاتله من اللمان(1) فقاتلوا قتالا شديدا، و أخذت النقوب الحصن من كل جانب، فطلب من فيه الأمان، فأمنوا يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعده، و بعث بهم على الجمال مأمنهم مع بيسرى، و تسلم الحصن بما فيه من السلاح، ثم هدمه و كان بناؤه من الحجر الصلد، و بين كل حجرين عمود حديد ملزوم بالرصاص، فأقاموا فى هدمه اثنى عشر يوما، و فى حصاره خمسه عشر يوما.

و فى يوم الاثنين سادس عشرى الشهر نزل الملک الظاهر على كردانه، قريه قريبه من عكا، و لبس العسكر و سار إلى عكا، و أشرف عليها ثم عاد إلى منزله، ثم رحل يوم الثلاثاء قاصدا مصر، فدخلها يوم الخميس

1- أى الفرسان التيوتون الألمان.

ثالث عشر ذى الحجه، و جمله ما صرفه الملک الظاهر فى هذه السفره من حين خروجه إلى عوده ينيف عن ثمانمائه ألف دينار عينا.

و فى اليوم الثانى من وصوله إلى قلعه الجبل قبض على جماعه من الأمراء، منهم: الأمير علم الدين الحلبى الكبير، و الأمير جمال الدين آقوش المحمدى، و الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى الناصرى، و الأمير شمس الدين سنقر المساح، و الأمير سيف الدين بيدغان الركبى، و الأمير علم الدين سنجر طرطج و غيرهم و حبسوا بقلعه الجبل، و سبب ذلک أنه بلغه أنهم تآمروا على قبضه لما كان بالشقيف، فأسرها فى نفسه.

[إخفاق حمله بحريه لمهاجمه قبرص]

و فيها بلغ الملک الظاهر و هو على حصن الأكراد أن صاحب قبرس خرج منها فى مراكبه إلى عكا، فأراد الملک الظاهر اغتنام خلوها فجهز سبعه عشر شينيا فيها الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور بن سليمان ابن سلامه بن إسحاق رئيس مصر، و شهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام الهوارى رئيس الاسكندريه، و شرف الدين علوى بن أبى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط، و جمال الدين مكى بن حسون مقدما على الجميع، فوصلوا الجزيره ليلا، فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى، و ألقت بعض الشوانى على بعض فتحطم منها أحد عشر شينيا و أخذ من فيها من الرجال و الصناع أسراء، و كانوا زهاء ألف و ثمانمائه نفر، و سلم الرئيس ناصر الدين و ابن حسون فى الشوانى السالمه، و عادت إلى مراكزها.

و فى يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجه تقدم الملک الظاهر بإراقه الخمور فى سائر بلاده، و الوعيد لمن يعصرها بالقتل فأريق على الأجناد و العوام منها ما لا يحصى قيمه، و كان ضمان ذلک فى ديار مصر خاصه ألف دينار فى كل يوم، و كتب بذلک توقيع قرى ء على منبرى مصر و القاهره.

و فی الآخر من ذی الحجه اهتم الملک الظاهر بانشاء شوانی عوضا عما ذهب علی قبرس، و فیها نزل الفرنج علی تونس، و سبب ذلک أن تجارا منهم قصدوها فألزموا علی تجارتهم حقوقا، فضربوا دراهم مغشوشه علی سکه صاحب تونس، و أخرجوها فی الحقوق الموجبه علیهم، و ظن العمال أن الأمیر تقدم بضربها فأخذوها، ثم فحصوها فوجدوها ضرب خارج الدار فسأل عن أکثر الفرنج مالا فقیل له: أهل جنوه فأمر باستیصال أموالهم فی سائر بلاده، و حبسهم، فاستصرخ أهل جنوه برید افرنس، و أمدوه بالاموال، فجمع و حشد و قصد تونس فی أربعمائه ألف رجل منها سته و عشرون ألف فارس، و معه من الملوک صاحب نابره، و ابن الفنش، و زوجه صاحب صقلیه وعده مراکبهم أربعمائه مرکب، فأمر صاحب تونس أن یخلی لهم الساحل، و لا یقاتلهم أحد فنزلوا فی البر فی ثامن عشر ذی الحجه سنه ثمان، و بعث صاحب تونس إلی قبائل العرب الذین فی بلاده، و جمع مشایخهم و کبراء دولته من الأجناد و الکتاب لیشاورهم فکل أشار برأی، و رأت الجماعه الأندلسیون أن یفسح لهم فی البر فإن المکان الذی نزلوا به لا یتسع لقتال، فنزلت زوجه صاحب صقلیه فی البرج الذی علی طرف المرسی، و أخرج صاحب تونس العدد، و فرقها فی الجند و المطوعه، فحملوا من غیر إمره و کان معهم جماعه من الفرنج فی طاعتهم، فأشاروا علی من معها أن تنزل من البرج إلی البحر و یلحقوها بالمراکب لئلا تؤخذ ففعلوا، ففهم الأندلسیون کلامهم، فلما فاتهم مقصودهم منها عادوا إلی البلد، و حکموا فی نسائهم و أولادهم السیف، و نهبوا أموالهم، و أمر صاحب تونس الرعیه بعدم القتال، فاشتد طمع الفرنج، و قصدوا المعلقه و قتلوا من أهلها سبعین رجلا و أخذوا منبرها و بعثوا به إلی بلادهم.

[نزول الفرنج علی تونس]

و ذلک فی ثامن عشر ذی الحجه سنه ثمان، ثم بعثوا إلی صاحب تونس یطلبونه لمبارزتهم، فقال: لیس فیکم ملک متوج حتی أخرج إلیه و إنما

الذين معكم كنود، فأنا أبعث إليهم أكفائهم، ثم أنفق فى العربان، و أمرهم بالاحتياط بهم فخافت الفرنج، و خندقوا على أنفسهم جميع شهر ذى الحجه، فلما هل المحرم سنه تسع و مضت منه أيام خرج الفرنج، و قاتلوا قتالا شديدا، و لم يكن فى المسلمين من الجند أحد إنما هم عربان، و بربر، و عوام، فاستظهر المسلمون عليهم، و أخذوا لهم فوق المائتى فرس، و قتلوا ابن ريد افرنس، و صاحب نابره، و ابن صاحب قشتاله ابن الفنش.

و علم ذلک المسلمون فى العشرين من ربيع الأول و أخبروا أيضا أن ريدافرنس مات فى الليله التى خرجوا فى صبيحتها، و لم يبق عند الفرنج ملک غير أخيه شارل، و طلب الفرنج الصلح، فتوقف صاحب تونس فقيل له: المصلحه الصلح فإن العرب لهم باطن مع الفرنج، و لهم عليهم فى كل يوم أربعون ألف دينار حتى لا يقاتلونهم، فأجاب فى ذلک فتمنع الفرنج حينئذ، و قالوا: كيف نصالح و قد حلفنا أن نموت بعضنا على بعض إلى أن ترد أموال الجنويين عليهم، و قال شارل لصاحب تونس:

تعطينى الذى كان أبوک يعطيه لأنبراطور من حين قطعه، و ذلک عشرون سنه، فقال: إن كنت قويا فاجلس، و بينى و بينک و إن كنت ضعيفا مهزوما فلا تشترط، فوقع الصلح على رد مال الجنويين، و اتفقوا فى رابع و عشرين ربيع الآخر، و رحلوا بعد ذلک بسبعه عشر يوما.

ذكر دخول أجاى بن هولاكو و صمغرا صحبته إلى بلاد الروم

قد تقدم القول برجوع أبغا إلى أذربيجان بعد كسر برق، و وصل إلى ظاهر توريز، ثم رحل إلى مدينه رومى، و ضرب مشوره بسبب صاحب مصر و غيره، فاتفقوا أنهم يسيروا أجاى بن هولاكو فى ثلاثه آلاف فارس، و قال له: تأخذ فى طريقک: غول بألف فارس و ابن بايجونوين بألف فارس، و دربای بألف فارس، و جمغل بألف فارس و بايجى بثلاثه آلاف فارس، و عسكر الروم و البروناه، فوصلوا إلى الروم و اجتمعوا و سيأتى ذكر ذلک فى حوادث سنه سبعين إن شاء الله ...

[الوفيات]

اشاره

و فيها توفى:

عباس بن محمد بن أيوب بن شاذى

، أبو الفضل الملک الأمجد تقى الدين، ابن الملک العادل الكبير، كان محترما عند الملوک من أهل بيته، و عند الملک الظاهر لا يترفع عليه أحد فى المجلس، و لا فى الموكب، و هو آخر من مات من أولاد الملک العادل لصلبه، و هو كبير البيت الأيوبى غير مدافع، و كان دمث الأخلاق حسن العشره لا تمل مجالسته، و كانت وفاته يوم الجمعه ثانى و عشرين جمادى الآخره، و دفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله ...

[أحداث]لسنه السبعون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره، و الملک الظاهر بقلعه الجبل بالقاهره.

متجددات هذه السنه

اشاره

فى يوم الاحد رابع عشر المحرم ركب الملک الظاهر إلى الصناعه لإلقاء الشوانى فى البحر، و ركب فى شينى منها، و معه الأمير بدر الدين الخازندار فلما صار الشينى فى الماء مال بمن فيه، فوقع الخازندار منه إلى البحر فنهض بعض رجال الشينى و رمى نفسه خلفه فأدركه، و أخذ بشعره و خلصه و قد كاد يغرق فخلع عليه و أحسن إليه.

[خروج الملک الظاهر بيبرس إلى دمشق:]

و فى ليله السبت السابع و العشرين منه خرج الملک الظاهر إلى الشام فى نفر يسير من خواصه و أمرائه، و دخل حصن الكرک ثم خرج منه، و قد أخذ معه الأمير عز الدين أيدمر النائب كان فيه، و سار إلى دمشق، فوصلها يوم الجمعه ثانى عشر صفر، فعزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النجمى، و ولى مكانه الأمير عز الدين أيدمر، ثم خرج منها إلى حماه فى السادس عشر منه ثم عاد منها فى السادس و العشرين منه.

ذكر توجه الملک الظاهر إلی حلب

و سببه أن صمغرا و معين الدين سليمان البرواناه، و عساكر المغل و الروم لما عادوا من عند أبغا فی السنه الخاليه، وردت عليهم أوامر أبغا بقصد الشام فی هذه السنه، فحشد و خرج صمغرا، و البرواناه بعسكر عدته عشره آلاف فارس، فوصلوا إلی ألبلستين، ثم إلی مرعش، و بلغهم أن الملک الظاهر بدمشق، فبعثوا ألفا و خمسمائه فارسا من المغل ليتجسسوا الأخبار، و يغيروا علی أطراف بلاد حلب، و كان مقدمهم اقبال بن بايجونوين، فوصلت غارتهم إلی عين تاب ثم إلی قسطون، و وقعوا علی جماعه تركمان نازلين بين حارم و أنطاكيه فاستأصلوهم، فتقدم الملک الظاهر بتجفيل البلاد، و أهل دمشق ليحمل التتر الطمع فيدخلوا فيتمكن منهم، و بعث إلی مصر فخرجت العساكر و مقدمها الأمير بدر الدين بيسری، فوصلوا إليه فی خامس ربيع الآخر، و خرج بهم فی السابع منه فسبق إلی التتر خبره فولوا علی أعقابهم، و لما مر الملک الظاهر بحماه استصحب معه الملک المنصور صاحبها، و كذلک الأمير نور الدين بن مجلی بمن عنده من عسكر حلب، و سار حتی نزل حلب يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور، فخيم بالميدان الأخضر، ثم جهز الأمير شمس الدين الفارقانی فی عسكر و أمره أن يدوخ بلاد حلب الشماليه، و لا يتعرض لبلاد صاحب سيس، و جهز الأمير علاء الدين طيبرس الوزيری فی عسكر و أمره بالتوجه إلی حران فأما شمس الدين، فإنه سار خلف التتر إلی مرعش، فلم يجد منهم أحدا، ثم عاد إلی حلب، فوجد الملک الظاهر مقيما بها، و قد أمر بإنشاء دار شمالی القلعه كانت تعرف بالأمير سيف الدين بكتوت استاذدار الملک الناصر، و أضاف إليها دارا تعرف بالملک الرشيد شرف الدين هارون بن الملک المفضل موسی بن الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، و وكل بعمارتها الأمير عز الدين الأفرم.

و لما عاد الفارقانى إلى حلب رحل الملک الظاهر منها قاصدا الديار المصريه فى ثامن و عشرين ربيع الآخر، و دخل مصر فى الثالث و العشرين من جمادى الأولى، و لما كان بحلب خرجت طائفه من الفرنج من عثليت و أغارت على قاقون و أخذت التركمان على غفله منهم، فلحقهم الأمير جمال الدين آقوش الشمسى ببعض العسكر، و استرد بعض الغنيمه، ثم أغاروا ثانيه على القرين فلحقهم و اقتلع منهم عشرين فارسا، و عند وصول الملک الظاهر إلى مصر قبض على الأمراء الذين كانوا مجردين على قاقون غير الشمسى فشفع فيهم فأطلقهم.

و أما الأمير علاء الدين طيبرس فإنه سار و معه عيسى بن مهنا فى جماعه من العرب، فخاض الفرات، و سار إلى حران فخرج إليه من بها من نواب التتر، فالتقاهم عيسى، و طاردهم و طاردوه، فخرج عليهم العسكر فلما رأوه نزلوا عن خيولهم و قبلوا الأرض و ألقوا سلاحهم، فقبضوا عن آخرهم، و كانوا ستين رجلا، و سار الأمير علاء الدين إلى حران فأغلقوا أبوابها و تركوا بابا واحدا، فخرج منه الشيخ محاسن بن القوال أحد أصحاب الشيخ حياه و معه جماعه كثيره، و ذلک يوم الثلاثاء سادس عشرى ربيع الآخر، و أخرج له طعاما تبركا فتلقاه الأمير علاء الدين و ترجل له، فأخرج له مفاتيح حران، و قال له: البلد للسلطان، ثم عاد علاء الدين، و لم يدخل حران فعبر الفرات سباحه و عاد إلى مصر.

و فى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخره عبر الملک الظاهر إلى بر الجيزه فأخبر أن ببوصير السدر مغاره بها مطلب فجمع لها خلقا، فحفروا أمدا بعيدا فوجدوا قطاطا ميته، و كلاب صيد، و طيور، و غير ذلک من الحيوان ملفوفا فى عصائب، و خرق فإذا حلت اللفائف و لاقى الهواء ما كان فيها صار هباء، و أقام الناس ينقلون ذلک مده، و لم ينفد ما فيها فأمر الملک الظاهر بتركها، و عاد من الجيزه يوم الثلاثاء ثالث و عشرين منه.

و فى يوم السبت سابع عشر جمادى الآخره ركب الملک الظاهر إلى الصناعه ليرى الشوانى التى عملت و هى أربعون شينيا فسر بها.

و فى الشهر المذكور ولدت زرافه بقلعه الجبل، و هذا أمر لم يعهد، و أرضع ولدها لبن بقره.

و فى ثالث شهر رجب أمّر الملک الظاهر جماعه منهم الأمير شرف الدين مختص، و بهاء الدين أيوب أمير آخور، و ركن الدين منكورس الزاهدى، و أسد الدين قراصقل، و أسد الدين منكورس الحموى، و ناصر الدين نصر اللالا، و توجه الأمير فخر الدين الطنبا الحمصى إلى الساحل فى جماعه من الأمراء و الأجناد يوم الاثنين سادس شهر رجب.

و فى يوم الجمعه ثانى شعبان أمر الملک الظاهر بالحوطه على بيت الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ العماد المقدسى الحنبلى، و حمل ما فيه من الودائع، فحملت إلى قلعه الجبل، و سبب ذلک أنه وقع بينه و بين التقى شبيب الحرانى الكحال شنآن، كان أصله أن المذكور كان له أخ ينوب عن الشيخ قاضى القضاه فى المحله فعزله لأمر أوجب عزله، فحمل شبيب المذكور تعصبه لأخيه أن كتب رقعه إلى الملک الظاهر ذكر فيها أن عند الشيخ شمس الدين ودائع للتجار من أهل: بغداد، و حران، و الشام، و ذكر جمله كبيره قد مات بعض أهلها، و استولى عليها، فلما وصلت إليه استدعى الشيخ شمس الدين، و سأله فأنكر فحلفه فتأول و حلف، فأمر بهجم بيته، فوجد فيه كثيرا مما ادعاه شبيب بعضه قد مات أهله، و لهم وارث، و بعضه أهله أحياء و الغبار عليه عاكف لم تمسه يد، فأخذ من ذلک زكاته عده سنين، و سلم لأصحابه و حنق الملک الظاهر على الشيخ و حبسه، فتسلط عليه شبيب حينئذ و ادعى أنه حشوى و أنه يقدح فى الدوله، و كتب بذلک محضرا، فعقد له مجلس يوم الاثنين حادى عشر شعبان بعد سفر الملک الظاهر إلى الشام، و كان المجلس بحضره الأمير بدر الدين الخازندار، فاستدعى بالشهود

الذين شهدوا فى المحضر فنكل بعضهم عن الشهاده، فأطلقوا، و شهد الباقون فأخرق بهم و جرصوا، و تبين للأمير بدر الدين تحامل شبيب، فأمر بحبسه و الحوطه على موجوده و أعيد الشيخ شمس الدين إلى الحبس، فأقام به إلى أن أفرج عنه فى نصف شعبان سنه اثنتين و سبعين.

و فى الثالث من شعبان توجه الملک الظاهر فى جماعه من الأمراء و الخواص إلى الشام، و خيم بين قيساريه و أرسوف، و كان مركزا بها الأمير شمس الدين الفارقانى، فرحل عنها إلى مصر، و دخلها يوم الاثنين تاسع عشر شعبان، و تلقاه الملک السعيد، و الأمير بدر الدين الخازندار، ثم أن الملک الظاهر شن الغارات على بلد عكا، فخرجت إليه الرسل يطلبون منه الموادعه و الصلح، و ترددوا فى ذلک حتى تقررت الهدنه مده عشر سنين، و عشره أشهر، و عشره أيام، و عشر ساعات أولها ثانى عشرى شهر رمضان، ثم رحل بالعساكر التى بالساحل، و نزل بهم خربه اللصوص ثم سار إلى دمشق، فدخلها فى الثامن من شوال.

و فى الخامس و العشرين من شهر رمضان وصل جماعه كثيره من التتر إلى حران فأخربوا سورها، و كثير من أسواقها و دورها، و نقضوا جامعها، و أخذوا أخشاب سقوفه، و استصحبوا معهم من فيها فخربت و دثرت.

ذكر وصول رسل التتر إلى الملک الظاهر

كان قد وصل رسل صمغرا نوين المقيم بالروم فى السابع من شوال و هم مجد الدين دولات خان، و سعد الدين سعيد الترجمان من جهه صمغرا، و من جهه معين الدين سليمان بن مهذب الدين بن محمد نائب السلطنه ببلاد الروم، فأحضرهم و سألهم عما جاؤوا فيه فقالوا: صمغرا نوين يسلم عليک، و يقول لک مذ جاورته فى البلاد لم يصله من جهتک رسول فى أمر تختاره، و قد رأى من المصلحه أن تبعث إلى أبغا رسولا بما تحب حتى يساعدک على بلوغ غرضک، و يتوسط عنده، فأكرم الملک

الظاهر الرسل، و ركبهم معه فى الميدان مرارا، ثم عين الأمير فخر الدين إياز المقرى، و الأمير مبارز الدين الطورى رسولين إلى أبغا، و بعث معهما جوشنا له، و لصمغرا قوسا، فسارا مع رسل صمغرا، فلما وصلا قونيه حضرا جامعها يوم الجمعه فسمعا الرعيه يبتهلون بالدعاء للملک الظاهر، فأديا الرساله إلى صمغرا و مضمونها شكره.

ثم أخذهما البرواناه و سار بهما إلى أبغا، فلما اجتمعا به قال لهما: ما الذى جئتما فيه؟ فقالا: إن صمغرا بعث إلى السلطان و أخبره أنک أحببت أن يأتى إليک من جهته رسول، فأرسلنا نقول لک: إن أردت أن أكون مطاوعا لک فرد ما فى يدک من بلاد المسلمين، فقال: هذا لا يمكن، و أقرب ما فى هذا أن يبقى كل واحد منا على ما فى يده فحصلت بينهما مفاوضات أغلظ لهما فيها، و انفصلا عنه من غير اتفاق فوصلا دمشق فى خامس عشر صفر سنه احدى و سبعين.

و فى ذى القعده وصل إلى دمشق رسل من بيت بركه من عند منكوتمر بن طغان بن سرتق بن باتو فى البحر، و كانوا لما خرجوا من بلاد الأشكرى صادفهم مركب من البيسانيين(1) فأخذهم و دخلوا بهم عكا فقبح عليهم من بها ما فعلوه، ثم جهزوهم إلى دمشق و لم يرد البيسانيون ما أخذوا لهم، و كان معهم هديه، فلما اجتمعوا بالملک الظاهر عرفوه ما كان معهم، فبعث إلى الاسكندريه و منع من فيها من التجار البيسانيين من السفر، حتى يعوضوا ما أخذ أصحابهم، و كان مضمون رسالتهم أنهم أحضروا كتابا للملک الظاهر بجميع ما كان فى أيدى المسلمين من البلاد التى استولى عليها هولاكو، و طلبوا منه أن ينجدهم و يعينهم على استئصال شأفته.

و فى ذى الحجه توجه الملک الظاهر من دمشق إلى حصن الأكراد لنقل

1- أى البيازنه.

حجاره المجانيق إلى القلعه، و رؤيه ما عمر فيها، ثم سار إلى حصن عكار فأشرف عليه، ثم عاد إلى دمشق فدخلها فى خامس المحرم سنه احدى و سبعين.

[استلام قلعه الخوابى:]

و فى هذه السنه و هى سنه سبعين تسلم نواب الملک الظاهر قلعه الخوابى و القليعه من بلد الاسماعيليه، و لم يبق خارجا عن مملكته من جميع حصونهم سوى الكهف، و القدموس، و المنيقه، لأن أهلها لما قبض الملک الظاهر على نجم الدين بن الشعرانى و ولده، عصوا بالقلاع المذكوره و قدموا عليهم مقدما ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]الحسن بن داود بن عيسى بن محمد بن أيوب بن شاذى

، أبو محمد الملک الأمجد مجد الدين ابن الملک الناصر صلاح الدين ابن الملک المعظم شرف الدين ابن الملک العادل سيف الدين أبى بكر رحمهم الله تعالى، و قد تقدم ذكر نسبهم فى ترجمه مجير الدين يعقوب ابن العادل، فأغنى عن إعادته، كان الملک الأمجد من الفضلاء، عنده مشاركه جيده فى كثير من العلوم و له معرفه تامه بالأدب، غير أنه لم يكن له طبع فى نظم الشعر، ثم وقفت بعد ذلک على سفينه بخط عز الدين محمود النورمدى رحمه الله و فيها أنشدنى نجيب الدين الحجازى للملک الأمجد ابن الملک الناصر داود رحمها الله تعالى:

من حاكم بينى و بين عذولى الشجو شجوى و الغليل غليلى

عجبا لقوم لم تكن أكبادهم لجوى و لا أجسادهم لنحول

دقت معانى الحب عن أفهامهم فتأولوها أقبح التأويل

فى أى جارحه أصون معذبى سلمت من التنكيد و التنكيل

إن قلت فى عينى فثم مدامعى أو قلت فى قلبى فثم غليلى

لكن رأيت مسامعى مثوى له و حجبتها عن عذل كل عذول

و محاسنه كثيره، و مكارمه غزيره، و تنقلت به الأحوال فى عمره فتزهد، و صحب المشايخ، و انتفع بهم و أخذ عنهم، و اشتغل على العلماء و حصل، و كان كثير البر بمن يصحبه من المشايخ، لا يدخر عنهم شيئا، و كانت همته عاليه، و نفسه ملوكيه، و عنده شجاعه و اقدام، و صبر على المكاره.

حكى لى أنه لما عاد العسكر من أنطاكيه مع الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى رحمه الله فى سنه ستين و ستمائه، كان المذكور فى جملتهم، و قد غرق أخوه شقيقه الملک الأفضل نور الدين على رحمه الله، فى تلک السفره فبينا هو يساير بعض الأمراء، و يحدثه مر به إلى جانبه رجل يجر جنيبا فضربه ذلک الجنيب كسر رجله، فلم يتأوه و لا قطع حديثه، و لا ما كان فيه، فلما امتلأ الخف بالدم أمر بعض من كان معه أن ينزل و يشق اسفل الخف ليذهب منه الدم، و كان يتلقى جميع ما يرد عليه من الأمور المؤلمه بالرضا و التسليم، و كان له عقيده عظيمه فى الفقراء و المشايخ، و كان جميع أهل بيته يعظمونه و يعترفون بتقدمه عليهم، حتى عم أبيه الملک الأمجد تقى الدين ابن العادل، و كذلک سائر الأمراء و أرباب الدوله، و له اليد الطولى فى الترسل مع حسن الحظ، و أنفق فى عمره أموالا جمه معظمها فى طاعه الله تعالى، و كان مقتصدا فى ملبوسه و مركوبه، و ما يتعلق بنفسه مسرفا فى فعل الخير و بر الإخوان رحمه الله تزوج ابنه عم أبيه الملک العزيز عثمان ابن العادل، ثم تزوج ابنه الملک العزيز غياث الدين محمد بن الملک الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمهم الله، و هى أخت الملک الناصر و أولدها ولدا سماه صلاح الدين محمود، و هو باق، و كان عنده من الكتب النفيسه ما لا يوجد عند غيره، فوهب معظمها لأصحابه و إخوانه، و سمع الكثير، و حصل الفوائد، و كان مقصدا لمن يقصده، يقوم معه بنفسه و ماله و جاهه، لا يستحيل على أصحابه، و لا يتغير عن مودتهم، و إن تغيروا، واسطه عقد بيتهم رحمه الله تعالى، و كانت وفاته

بدمشق ليله الاثنين سادس عشر جمادى الاولى، و دفن من الغد بسفح قاسيون فى تربه جده الملک المعظم.

و كانت والده الملک الأمجد المذكور ابنه الملک الأمجد مجد الدين حسن بن الملک العادل الكبير، فسمى صاحب هذه الترجمه باسمه، و إلى جده المذكور ينسب الغور الأمجدى، و تلقاه أولاد الملک الناصر داود بالارث عنها، و توفى الملک الأمجد صاحب هذه الترجمه، و هو فى عشر الخمسين و قد نيف عليها، و رثاه غير واحد من الفضلاء بعده قصائد و مقاطيع ...

سنقر بن عبد الله الأمير شمس الدين المعروف بالأقرع

، هو من مماليک الملک المظفر شهاب الدين غازى بن العادل، و كان من أعيان الأمراء بالديار المصريه و أكابرهم، و تقدم فى الدول، و كان الملک الظاهر رحمه الله نقم عليه لأمر بلغه عنه فاعتقله، و توفى فى الثامن و العشرين من ربيع الأول هذه السنه رحمه الله، و قد نيف على الستين سنه من العمر ...

[أحداث]لسنه الحاديه و السبعون و ستمائه

اشاره

دخلت و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره، و الملک الظاهر بالشام

متجددات الأحوال فى هذه السنه

اشاره

فى ثامن عشر المحرم أفرج عن الأمير عز الدين أيبک النجيبى، و عز الدين أيدمر الغورى، و كانا محبوسين بالقاهره.

[عوده الملک الظاهر إلى مصر:]

و فى يوم الأحد سابع عشر المحرم، توجه الملک الظاهر على البريد إلى الديار المصريه، و فى صحبته الأمير بدر الدين بيسرى، و جمال الدين آقوش الرومى، و سيف الدين جرمک الناصرى، فوصل إلى قلعه الجبل يوم السبت

ثالث و عشرين منه، فأقام إلى ليله التاسع و العشرين منه، ثم توجه إلى قلعه دمشق، فدخل قلعتها ليله الثلاثاء رابع صفر.

و فى الحادى و العشرين من المحرم وصلت جماعه من النوبه،

و صاحبها فهجموا ثغر عيذاب و نهبوا ما كان وصل من تجار جاؤوا من عدن و مصر، و قتلوا منهم خلقا كثيرا، و قتلوا واليها، و قاضيها، و أسروا ابن حلى، و كان مشارفا على ما يرد به التجار، ثم ورد كتاب علاء الدين ايدغدى الخزندار متولى قوص يخبر بأنه رحل من قوص إلى أسوان، فوصلها سادس عشر صفر و أقام سته أيام، ثم رحل طالبا بلاد النوبه، فوصل إلى بلد يقال له الجون حادى و عشرين صفر، فقتل من به و أحرقه، ثم رحل إلى بلد أبريم، فوصله فى الثالث و العشرين منه- و هو حصن حصين- فهجم عليه و قتل من فيه و أحرق ما فيه و هدمه، ثم رحل منه إلى بلد ارمنا، فوصله فى الخامس و العشرين منه فقتل من به و أحرقه، ثم رحل منه إلى اطميث فوصله فى السابع و العشرين منه فقتل من فيه و أحرقه و دوخ بلادهم و أخذ بثأر من قتلوا.

و فيها خرجت العساكر من الديار المصريه إلى الشام.

و فى خامس جمادى الأولى اتصل بالملک الظاهر و هو بدمشق أن فرقه من التتر قصدت الرحبه، فبرز إلى القصير بالعساكر، فبلغه أنهم عادوا عن الرحبه، و نزلوا على البيره، فسار إلى حمص، و أخذ مراكب الصيادين بالبحيره على الجمال للجسور، ثم سار حتى وصل إلى الباب من أعمال حلب، و بعث جماعه من المماليک و العربان لكشف أخبارهم، و سار إلى منبج، فعادوا و أخبروا أن طائفه من التتر مقدارها ثلاثه آلاف فارس على شط الفرات مما يلى الجزيره، فرحل من منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى و وصل شط الفرات، و تقدم إلى العسكر بخوضها، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون، و الأمير بدر الدين بيسرى فى أول الناس، ثم تبعهما بنفسه، و تبعته العساكر، فوقعوا على التتر، فقتلوا منهم مقتله عظيمه و أسروا تقدير مائتى نفس، و لم ينج منهم إلا القليل، و تبعهم الأمير بدر الدين بيسرى إلى قريب سروج، ثم عادوا للذين كانوا على البيره شرف الدين بن الخطير، و أتابک رسلان دغمش، و أمين

الدين ميكايل، النائب بقونيه، و أمراء الروم تقدير ثلاثه آلاف فارس و مقدم المغل درباى، و لما اتصل بهم خبر الوقعه رحلوا عن البيره بعد أن أشرفوا على أخذها، و تركوا ما لهم من الأسلحه و العدد و المجانيق و الأمتعه و الجشارات، و نجوا بأنفسهم، فسار الملک الظاهر إلى البيره و وصلها فى الثانى و العشرين من الشهر و صعدها و خلع مستحفظها و فرق فى أهلها مائه ألف درهم، و أنعم عليهم ببعض ما تركه التتر عند هربهم، ثم رحل قاصدا دمشق، و قد ذكر خوض الفرات المولى شهاب الدين محمود الكاتب- أيده الله- فى قصيده أولها:

سر حيث شئت لک المهيمن جارو احكم فطوع مرادک الأقدار

منها

لم يبق للدين الذى أظهرته يا ركنه عند الاعادى ثار

لما تراقصت الرؤوس و حرّكت من مطربات قسيّک الأوتار

خضت الفرات بسابح أقصى منى هوج الصبا من نعله الآثار

حملت أمواج الفرات، و من رأى بحرا سواک تقله الأنهاء؟

و تقطعت فرقا و لم يک طودهاإذ ذاک إلّا جيشک الجرار

منها:

رشت دماؤهم الصعيد فلم يطرمنهم على الجيش السعيد غبار

شكرت مساعيک المعاقل و الورى و الترب و الآساد و الأطيار

هذى منعت و هؤلاء حميتهم و سقيت تلک و عمّ ذا الإيثار

فلأملأن الدهر فيک مدائحاتبقى بقيت و تذهب الأعصار

و قال ناصر الدين حسن بن النقيب الكنانى رحمه الله فى واقعه الفرات، و أظنه حضرها:

و لما ترامينا الفرات بخيلناسكرناه منا بالقوى و القوادم

فأوقفت التيار عن جريانه إلى حيث عدنا بالغنى و الغنائم

و عمل صاحبنا موفق الدين عبد الله بن عمر رحمه الله، الآتى ذكره ان شاء الله تعالى فى ذلک:

الملک الظاهر سلطاننانفديه بالأموال و الأهل

اقتحم الماء ليطفى به حراره القلب من المغل

[عماره الدور التى فى قلعه حمص:]

و عند اجتياز السلطان بحمص تقدم بعماره الدور التى بالقلعه، فعمرت و جدد له طارمه، و سماط، و توجه إلى مصر، و خرج ولده الملک السعيد من قلعه الجبل لتلقيه يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخره، فاجتمع به بين القصير و الصالحيه يوم الجمعه الحادى و العشرين منه، مترجلا و اعتنقا طويلا، ثم ركبا و سارا إلى القلعه، و أدخل أسراء التتر ركابا على الخيل.

و فى سابع هذا الشهر أفرج عن الأمير عز الدين أيبک الدمياطى، و كانت مده اعتقاله تسع سنين و عشره أيام، و فى يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب خلع على جميع الأمراء و مقدمى الحلقه، و أرباب الدوله، و أعطى كل واحد منهم ما يليق به من الخيل و الذهب و الحوائص، و الثياب و السيوف، و كان ما صرف فيهم فوق الثلاث مائه ألف دينار.

و فى سادس عشر من شعبان أفرج الملک الظاهر عن الأمير علم الدين سنجر الغتمى المعزى، و أثبت موالى أيبک الأسمر أنه باق على ملكهم فاشتراه منهم.

و فى العشر الآخر من الشهر سفر الملک الظاهر رسل منكوتمر ابن أخى بركه، و بعث معهم هديه سنيه من حوائص، و سيوف محلاه، و جواهر، و ثيابا منوعه، و صحبتهم بدر الدين عزيز الكردى و غيره.

و فى يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان اشترى الملک الظاهر عز الدين أيبک النجيبى من مولاه الأمير جمال الدين آقوش النجيبى.

و فى يوم الاثنين ثانى عشر شوال استدعى الملک الظاهر الشيخ خضر إلى القلعه و أحضره بين يديه مع جماعه حاققوه على أشياء كثيره، كثر بينه و بينهم فيها القيل و القال، و رموه بفواحش كثيره، فتقدم باعتقاله، و هذا المذكور كانت له عند الملک الظاهر منزله لم يظفر بها أحد منه، بحيث كان ينزل إلى عنده كل جمعه المره و المرتين و يباسطه و يمازحه، و يقبل شفاعاته، و يقف عند ما يرسم به، و يستصحبه فى سائر سفراته، و متى فتح مكانا فرض له منه أوفر نصيب، فامتدت يده فى سائر المملكه يفعل ما يختار و لا يمنعه أحد من النواب، و دخل إلى كنيسه قمامه و ذبح قسيسها بيده، و أنهب ما كان فيها تلامذته، و هجم كنيسه اليهود بدمشق و نهبها، و كان فيها ما لا يعبر عنه من الآلات و الفرش، و صيرها مسجدا، و عمل بها سماعا، و مد بها سماطا، و دخل كنيسه الاسكندريه- و هى عظيمه عند النصارى- فنهبها و صيرها مسجدا، و سماها المدرسه الخضراء، و أنفق فى تغييرها مالا كثيرا من بيت المال، و بنى له الملک الظاهر زاويه بالحسينيه ظاهر القاهره و وقفها عليه و حبس عليها أرضا تجاورها تحكر لمن ينبنى فيها يستغلها فى كل سنه جمله كبيره، و بنى لأجله الجامع بالحسينيه.

ذكر استيلاء الملک الظاهر على ما بقى من قلاع الاسماعيليه

كانت طائفه منهم عصوا بقلعه القدموس على واليها، و قتلوه و على من بقلعه المنيقه، و قلعه الكهف، و كاتبوا الملک الظاهر و سلموها له، فبعث إليها نائبا و كتب إلى من بالقلعتين فى تسليمها على أن يعوضهم اقطاعا بمصر، فأجابوا، و كان المتوسط بينهم الملک المنصور صاحب حماه، فلما أجابوا بعث سيف الدين دواداره و معه رسلهم، فوصلوا قلعه الجبل يوم الجمعه سابع عشر ذى القعده فخلع عليه، و كتب للرسل أمانا و أعطاهم مناشير بما وعدهم من الإقطاع، و عادوا يوم الأحد تاسع ذى القعده.

ذكر هرب عمرو بن مخلول من آل فضل

كان الملک الظاهر قد حبسه، و حامدا قريبه فی برج من أبراج قلعه عجلون، فحفرا حفيره قريبه من السور و أداما فيها و قيد النار حتی تكلس حجر السور، فنقباه و خرجا منه، و كانا قد أعد لهما خيلا فهربا عليها، و قصدا التتر، ثم ندما فكتبا إلی الملک الظاهر يستعطفانه، فحلف أنه لا يرضی عنهما حتی يعودا بأنفسهما إلی قلعه عجلون، و يجعلا القيود بأرجلهما، ففعلا ذلک، فعفا عنهما.

ذكر عزل الصاحب خواجا فخر الدين وزير الروم

و سبب ذلک أن معين الدين البرواناه بلغه أن فخر الدين سيّر كتابا إلی السلطان عز الدين كيكاوس- و هو نازل بصوادق- و ذهبا، فسير:

أحضر الوزير إلی مجلس أجای، و صمغرا و وجوه الدوله، و ذلک فی شهر رمضان من هذه السنه، و قال له: أنت سيرت ذهبا إلی السلطان عز الدين و كاتبته؟ قال: نعم! بالأمس كان عز الدين سلطاننا، و صاحب البلاد، و هو الذی أنشأک و أنشأنی، و الآن فقد كتب إلی كتابا يشكو ضرره، و أنا أقل مملوكا له، فلا أقل من مراعاه بعض نعمتهم بالقدر اليسير الذی سيرته له، هذا ما اعتمدته و لم اعتمد غيره مما يوجب الإنكار علی، فقبض عليه و علی ولده تاج الدين محمد و اعتقلهما فی قلعه يقال لها عمان جق، و احتاط علی موجوده و أملاكه و كانت عظيمه جدا، و الذی قبض عليه ضياء الدين بن الخطير فی داره و حمله إلی البرواناه، و أما ولده الصغير نصير الدين محمود فإنه نجا بنفسه و قصد أبغا، و صار من خواصه، و ولی البرواناه مكان فخر الدين مجد الدين الحسين ختنه، و أما نصير الدين فأحسن التوصل و استنجز يغلغا بالإفراج عن أبيه فخر الدين، و عن أملاكه و الوقوف التی عليه، و التی وقفها لوجوه البر فأفرج عنه، و أقام ملازما بيت ولده بغير خبز.

و فى هذه السنه أمر الملک الظاهر بإنشاء جسوره فى الساحل غرم عليها مبلغا عظيما، و حصل للمسافرين بها الرفق الكثير.

و فى هذه السنه هلک إفرير أرناط مقدم الداويه، و كان أخذ أسيرا فى كسره الداويه مع عسكر حلب على بغراس سنه أربع و أربعين و ستمائه، ثم خلص من الأسر بسبب كسر الخوارزميه لعسكر حلب على بزاعا أطلق مع مائه فارس، و تسع من الدوايه و الاسبتار.

و فيها قبض سالم بن إدريس بن محمود الحضرمى على أخيه موسى صاحب ظفار و استبد بها .....

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

محمد بن عثمان بن منكورس بن جردكين

أبو عبد الله الأمير سيف الدين ابن الأمير مظفر الدين ابن الأمير ناصر الدين ابن الأمير بدر الدين صاحب صهيون، كان تملک صهيون بعد وفاه أبيه الأمير مظفر الدين فى سنه تسع و خمسين و ست مائه فى ثانى ربيع الأول منها، و لم يزل مستقلا بذلک إلى أن توفى فى شهر ربيع الأول من هذه السنه، فكانت مده مملكته لها اثنتى عشره سنه، و دفن بتربه أبيه بصهيون، و تسلم صهيون و برزيه ولده الأمير سابق الدين، و كان الملک الظاهر بدمشق، فطلب سابق الدين منه دستورا ليحضر، فأذن له، فلما حضر أقطعه خبز أربعين فارس، و أقطع عمه جلال الدين مسعود خبز عشره طواشيه، و عمه الآخر مجاهد الدين إبراهيم عشر طواشيه، و تسلم صهيون و برزيه و استناب فيهما، و كان سيف الدين عند وفاته قد نيف على الستين، رحمه الله تعالى ...

[أحداث]لسنه الثانيه و السبعون و ست مائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه، خلا سيف الدين صاحب صهيون و برزيه فإنه توفى و انتقلت صهيون

و حصن برزيه إلى الملک الظاهر، و خلا موسى بن إدريس صاحب ظفار، فإن أخاه سالم بن إدريس قبض عليه و جلس مكانه، و الملک الظاهر بالديار المصريه.

متجددات الأحوال

اشاره

فى يوم الاثنين سابع المحرم جلس الملک الظاهر فى دار العدل، و حضر إليه الأكراد الواصلون من الشرق و خلع على مقدمهم.

و فى العاشر هدمت غرفه على باب قصر من قصور المصريين بالقاهره، و يعرف هذا الباب قديما بباب البحر، و هو من بناء الخليفه الحاكم، فوجد فيها صوره امرأه فى صندوق منقوش، عليها كتابه ترجمت، فكانت اسم الملک الظاهر، و صفته و بقى منها ما لم يمكن قراءته.

ذكر أخذ بلبوش أمير عرب برقه

كان الملک الظاهر قد جرد عسكرا مع ابن عزاز و تقدم إليه بالدخول إلى برقه لأخذ العداد، فوصل إلى طلميثه، و هى مدينه يسكنها اليهود، و لهم بها أموال كثيره، فحماها منه بلبوش فقاتله، و وقع بين العسكرين وقعه، و أسر فيها بلبوش، و هو شيخ قد نيف على المائه سنه، و قد حمل إلى القلعه فاعتقل بها فى ثامن المحرم و بقى إلى أن خلص بعد شروط شرطها على نفسه فى غره شهر رمضان.

و فى ليله السبت سادس عشر المحرم توجه الملک الظاهر إلى الشام، و صحبته الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، و الأمير بدر الدين بيسرى، و الأمير سيف الدين أتامش السعدى، و جماعه يسيره، فلما وصل عسقلان بلغه أن أبغا بن هولاكو وصل إلى بغداد، و خرج إلى الزاب متصيدا، فكتب إلى القاهره، و استدعى عسكرا، فخرج منها يوم السبت حادى عشر صفر أربعه آلاف فارس مع أربعه مقدمين، و فيهم الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، و جمال الدين آقوش الرومى، و شمس

الدين آقوش المعروف بقطليجا و علم الدين طرطج، و رحلوا قاصدين الشام، ثم برز الأمير بدر الدين الخزندار يوم السبت ثامن عشر صفر إلى مسجد التبر، و أقام الملک السعيد بقلعه الجبل، و فى خدمته الأمير شمس الدين الفارقانى، و رحل الأمير بدر الدين الخزندار و صحبته الصاحب بهاء الدين، فوصل الدهليز إلى غزه يوم الاثنين رابع ربيع الأول فنزل بيافا يوم السبت تاسعه، فوجد الملک الظاهر قد سبق إليها فى جماعه من الأمراء، و من الغد رتب العساكر ثم توجه إلى دمشق، فوصلها يوم السبت سادس عشره، و رحل الأمير بدر الدين الخزندار يافا يوم الجمعه خامس جمادى الأولى، فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشره ورد عليه سيف الدين أتامش السعدى على البريد بكتاب السلطان يأمره بعود العسكر إلى مصر، فرحل يوم الأحد الحادى و العشرين و دخل القاهره يوم الخميس تاسع جمادى الآخره.

و فى جمادى الأولى كمل بناء جامع دير الطين و صلى فيه.

ذكر قبض ملک الكرج

كان قد خرج من بلاده قاصدا زياره القدس الشريف فى زى الرهبان و معه جماعه يسيره من خواصه فسلک بلاد الروم إلى سيس، و ركب فى البحر إلى عكا، ثم خرج منها إلى بيت المقدس فاطلع الأمير بدر الدين الخزندار- و هو على يافا- على أمره، فبعث إليه من قبض عليه، فلما حضر بين يديه بعث به إلى الأمير ركن الدين منكورس إلى السلطان، فوصل دمشق فى رابع عشر جمادى الأولى، فأقبل عليه السلطان و سأله و استنزله حتى اعترف، فحبسه فى برج من أبراج قلعه دمشق، و أمره أن يبعث من جهته إلى بلاده من يعرفهم بأسره، فبعث نفرين، و خرج الملک الظاهر من دمشق ثالث عشرين جمادى الآخره، و قدم إلى القاهره يوم الخميس سابع شهر رجب.

و فی یوم الخمیس خامس عشرین شهر رمضان أمر الملک الظاهر العسکر أن یرکب بالزینه الفاخره، و یلعب فی المیدان تحت القلعه بالقاهره فاستمر ذلک إلی یوم عید الفطر، و ختن السلطان الملک الظاهر ولده خضرا و معه جماعه من أولاد الأمراء و غیرهم.

و فی یوم الأربعاء ثالث شهر رمضان توجه الملک السعید- و صحبته الأمیر شمس الدین الفاقارنی و اربعون نفرا من خواصه- إلی دمشق علی خیل البرید و عاد إلی القاهره فی یوم الخمیس الرابع و العشرین من شوال.

و فی یوم السبت عاشر ذی القعده حضر متولی القرافه إلی الأمیر سیف الدین متولی مصر، و أخبره أن شخصا دخل إلی تربه الملک المعز و جلس عند القبر باکیا، فسأله عن بکائه من بالمکان، فأخبرهم أنه قال:

أنا ابن الملک المعز، و قد کان قطز نفاه مع أخیه الملک المنصور إلی بلاد الأشکری لما ملک فأحضر و قید، و طولع به إلی الملک الظاهر، فأحضره و سأله عن أمره فذکر له أن له فی البلاد نحو ست سنین یتوکل الأجناد فحبس بحبس اللصوص بمصر، و حنا علیه بعض مماالیک أبیه فأجری علیه نفقه.

ذکر مراسله دارت بین الملک الظاهر و معین الدین البرواناه

لما توجه البرواناه مع رسل الملک الظاهر- کما تقدم- و اجتمع بأبغا فی أمر الرساله خلا به سرا و قال له الملک: عقیم! و إن أخاک أجای عازم علی قتلی، و الاستیلاء علی ملک الروم، و الانتماء إلی صاحب مصر، و حمل البرواناه علی ذلک بحیله من أجای، فإنه کان یکلفه ما یعجز عنه و یتوعده، فأمره أبغا أن یخفی ذلک، و وعده ان یستدعی أجای و صمغرا و سرتوقو نوین بدلا منهما، فلما عاد البرواناه إلی الروم رأی أجای أعرض إعراضا مفرطا، إلی أن کاتب الملک الظاهر سرا و بعث إلیه قاصدا، و طلب منه أن یحلف له، و لغیاث الدین بن رکن الدین علی ملک الروم و شرط أن

يكون له عسكر فى البلاد مقيما يستعين به على قتال أجاى و صمغرا، و من معهما من التتر، فوافى القاصد الملک الظاهر بمصر قد عاد من دمشق، فبلغه الرساله فقال: إذا حلفنا له على ما أراد، و سيرنا عسكرا يقيم عنده، فلا بد للعسكر من شى ء فيعين لى بلادا أرصدها لذلک، أو يستخرج من الأوقاف و الصدقات و الأملاک التى له، فإذا كسرت التتر أفرجت عن ذلک و فى العام القابل نحن عنده إن شاء الله، فلما عاد القاصد وجد أبغا قد استدعى أجاى و صمغرا و حاله البرواناه قد صلحت فتلكأ فى إجابه الملک الظاهر إلى ملتمسه و نكل عنه ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]قطاى بن عبد الله الأمير فارس الدين الأتابک المعروف بالمستعرب

الصالحى النجمى، كان مملوكا لنجم الدين محمد بن يمن، ثم انتقل إلى ملكيه الملک الصالح نجم الدين أيوب- رحمه الله- و أمّره، ثم ترقى بعد وفاته إلى أن عد من الأعيان الأمراء أكابرهم، ثم لما تملک الملک المظفر سيف الدين قطز- رحمه الله- رفع من شأنه، و جعله أتابک العساكر و علق أمور المملكه جميعها به، فكان مدار الدوله بأسرها عليه و هو المتحكم فيها لا يضاهيه أحد و لا يعارضه فيما يفعل، ثم لما قتل الملک المظفر- رحمه الله- على الصوره المشهوره تشوف إلى السلطنه أكابر الأمراء، فقدم الأمير فارس الدين الملک الظاهر ركن الدين و سلطنه، و حلف له فى الوقت فلم يسع بقيه الأمراء إلا الموافقه، فتم أمره و رأى له ذلک و استمر على حاله عنده فى علو المنزله، و نفاذ الأمر، و كثره الاقطاع و الرواتب، و بقى على ذلک مده سنتين، لكن كان الملک الظاهر يختار الراحه منه فى الباطن و لا يسعه ذلک لافتقاره إليه و لعدم وجود من يقوم مقامه، فإنه كان من رجال الدهر، حزما، و عزما، و رأيا، و تدبيرا، و خبره و معرفه و رئاسه و مهابه، فلما نشأ الملک الظاهر الأمير بدر الدين بيليک الخزندار- رحمه الله- أمره بملازمته، و الاقتباس منه، و التخلق

بأخلاقه، فلازمه مده، فلما علم الملک الظاهر منه الاستقلال بذلک، جعله مشارکا له فی أمر الجیش، و قطع الرواتب التی کانت للأتابک، و اقتصر به علی ماله من الإقطاعات، فجمع نفسه و تبع مراد الملک الظاهر، ثم قبل وفاته بمده- لعل قریب السنه أو ما حولها- أمره أن یتداوی، و قیل له أنه ربما ابتدأ به طرف جذام، و لم یکن به شی ء من ذلک، فلزم منزله و حصل له من الغبن ما کان سببا لوفاته، ثم إن الملک الظاهر عاده قبل وفاته غیر مره، فعاتبه الأتابک بلطف و مت بخدمته، و بکی بین یدیه فبکی الملک الظاهر لبکائه، و لم یزل متمرضا إلی أن توفی إلی رحمه الله بالقاهره فی جمادی الأولی- اظن فی الثانی و العشرین- و قد نیف علی السبعین سنه من العمر رحمه الله تعالی.

لما کان عند ابن یمن بدمشق کان یعاشره أحد بنی بردویل ثلاثه نفر إخوه جیرانه بالقصاعین، لکن کان أحدهم کثیر الاختصاص به یعاشره، و لا یکاد یفارقه، فلما انتقل إلی الملک الصالح نجم الدین کان الأتابک من جمله من کان بدمشق من مماالیکه حین أخذها الملک الصالح إسماعیل، فاعتقله و تمرض بالحبس فنقل إلی البیمارستان النوری، فلما أبل أفرج عنه، و فسح له بالتوجه إلی الدیار المصریه، و هو فی عافیه فی رقه الحال، فسیر غلامه بورقه إلی ابن بردویل صاحبه یطلب منه ما یستعین به علی سفره قرضا، فلما قرأ الورقه قال للغلام صاحبها: ما أعرفه فبقی الغلام کلما عرفه به و یقول: هو صاحبک و عشیرک، یقول: ما أعرفه فرجع الغلام إلیه و عرفه ذلک، فتحیل و سافر و تنقلت به الأحوال، فلما جفل الناس فی سنه ثمان و خمسین کان أولاد بردویل من جمله من توجه إلی الدیار المصریه، فقصدوا باب الأتابک، فدخل الحاجب و أخبره بهم، فقال: من هم؟ قال: فلان، و فلان، و فلان، قال: أما فلان و فلان فأدخلهم، و أما فلان فما أعرفه، فدخل أخواه فسلم علیهما و رحب بهما، فقالا: یاخوند! مملوکک فلان، قال: ما أعرفه، و هم یقولون: یاخوند!

مملوکک الذی کان لا یزال فی خدمتک و بین یدیک و هو یقول: ما أعرفه و لا أعرف أولاد بردویل إلا أنتما لا غیرکما، ثم بعد جهد أذن له بالدخول فحکی لهم الحکایه، فخجلوا و اعتذروا بما ناسب الوقت، و مع هذا أحسن إلیهم کلهم إحسانا کثیرا غمرهم به- رحمه الله تعالی.

[أحداث]قوش بن عبد الله مبارز الدین المنصوری استاذدار

الملک المنصور صاحب حماه، کان متحکما فی دولته، متمکنا منه، لا یخالفه فیما یشیر به، و له الإقطاعات الوافره، و الکلمه النافذه فی مملکه مخدومه، و لم یزل علی ذلک إلی أن توفی فی یوم الخمیس رابع ذی الحجه من هذه السنه، و قد نیف علی الأربعین سنه من العمر- رحمه الله- و حزن علیه مخدومه حزنا کثیرا و أقر خبزه بید أولاده، و لم یتعرض إلی شی ء من ترکته، و کان المبارز موصوفا بشجاعه، و کرم طباع، و لین جانب- رحمه الله ...

سلیمان بن الخضر بن بحتر شهاب الدین

، کان والده الأمیر سعد الدین الخضر من الأمراء الجبلیین، و أمره الملک الصالح عماد الدین- رحمه الله- و استمر علی إمریته إلی حین وفاته فی الأیام الناصریه الصلاحیه، فأعطی خبزه لولدیه شهاب الدین المذکور، و أخیه شجاع الدین بحتر، و کان شهاب الدین هو الرئیس الکبیر السن، فلما قصد التتر حلب فی سنه سبع و خمسین، و رجعوا منها جهز الملک الناصر- رحمه الله- إلیها جماعه کان شهاب الدین من جملتهم، و کان ممن اعتصم بقلعه حلب، فلما فتحت علی الصوره المشهوره فاستحضره هولاکو فی جمله من استحضر ممن کان فی القلعه، فقیل له: هذا له صوره فی بعلبک و بلادها، و ربما یحصل به مقصود من تسلیم القلعه، و استنزال من فی الجبال فإنهم أقاربه و یصغون إلی قوله، فخلع علیه و سیره إلی بعلبک صحبه بدر الدین یوسف الخوارزمی- رحمه الله- المتولی لها من جهته، و وعد من جهتهم بأقطاع فلما لم یکن لهم اثر فی حصولهم مقصودهم إطرحوه، و بقی فی بیته إلی أن فتح الملک المظفر

سيف الدين قطز- رحمه الله- الشام، فلم يحصل فى أيامه على طائل، و كذلک فى الأيام الظاهريه إلى حين وفاته، و كان توجه إلى الديار المصريه فأدركته منيته هناک فى سابع ذى القعده، و قد نيف على الخمسين سنه من العمر- رحمه الله تعالى ...

عيسى بن موفق بن المزهر مبارک سيف الدين التنوخى

، كان من أعيان الأمراء الجبليين، و والده الأمير ناصر الدين كان خصيصا بالملک الصالح عماد الدين- رحمه الله تعالى- و كان هذا سيف الدين كثير الخير و المروءه، صادق اللهجه لا يذكر أحدا بسوء، كثير البر بمعارفه و أصحابه و المكارمه لهم، توفى ببعلبک ليله الأحد خامس صفر، و حمل إلى قريه بحوشيه من قرى البقاع البعلبكيه، و هى شمالى كرک نوح عليه السلام، فدفن بها عند أهله، و قد نيف على الستين سنه من العمر- رحمه الله تعالى ...

كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو

بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن قتلمش بن أتسز بن إسرائيل بن سلجوق ابن دقاق السلطان عز الدين بن السلطان غياث الدين بن السلطان علاء الدين السلجوقى قد ذكرنا أن والده لما مات اقتسم هذا عز الدين، و أخوه ركن الدين بلاد الروم بينهما مناصفه، و أن أخاه ركن الدين تغلب على مملكه الروم، فلما تغلب هرب عز الدين بجماعه من خواصه و أهله، و استصحب معه مالا و ذخائر، و قصد القسطنطينيه، فلما حل بها خافه ملكها فقبض عليه و حبسه فى بعض قلاعه، فلم يزل محبوسا بها إلى أن بعث بركه ملک التتر عشرين ألف فارس إلى بلاد صاحب القسطنطينيه، فأغاروا عليها من سائر نواحيها، فراسلهم فى طلب الهدنه، فأجابوه على أن يسلم لهم السلطان عز الدين و ما أخذ معه، فسلمه إليهم و ما كان معه، و ذلک فى سنه ستين و ست مائه، و ساروا به إلى بركه، فأكرمه و قدمه على عسكره، و أمره بقصد صاحب قسطنطينيه،

فلما نزل على بلاده كان عنده فارس الدين أقوش المسعودى رسولا من جهه الملک الظاهر، فخرج إليه و أمره بالرحيل و قال له: هذا قد صار من أصحاب السلطان الملک الظاهر، و لا سبيل لک عليه، فرحل و لم يزل عند برکه إلى أن مات، و انتقل الملک إلى ابن أخيه منکوتمر، فأقام عنده إلى أن توفى فى هذه السنه، و خلف من الأولاد ثلاثه ذکورا، و هم:

الملک المسعود، مقيم فى سوداق فى خدمه منکوتمر، و الآخران عند بالعوش ملک الأشکرى فى اسطنبول فى کتاب الروم، لا يعرفان الاسلام، و کانت وفاه السلطان عز الدين بسوداق من بلاد الترک، و مولده سنه ست و ثلاثين و ست مائه- رحمه الله تعالى.

لاجين بن عبد الله الأمير حسام الدين الأيدمرى الدوادار المعروف بالدرفيل

، کان مفرط الذکاء، کثير المعرفه و الخبره بالأمور، محبا للعلماء و الفقراء، حسن الظن بهم، يقبل عليهم و يقضى حوائجهم، و يبالغ فى إکرامهم و تعظيمهم، و عنده مشارکه و إلمام بالفضيله، و يکتب خطا جيدا حسنا، و له همه عاليه، و صدر واسع، و تجمل تام، و کان الملک الظاهر يحبه و يؤثره کثيرا و يعتمد عليه و يثق به، و حرمته وافره و أوامره عند سائر ولاه الأطراف و نواب السلطنه ممتثله، و هو محبوب إلى الخاص و العام، و أمر المکاتبات و جميع ما يتعلق بذلک معزوق به، و بالأمير سيف الدين بلبان الرومى، لکنه کان أکثر تنفيذا للأشغال من الرومى، و لم يزل على ذلک إلى أن تمرض فى هذه السنه، و توفى إلى رحمه الله تعالى فى رابع عشر شهر رمضان منها ببستان الخشاب ظاهر القاهره، و دفن من يومه بسفح المقطم- رحمه الله تعالى- سمع من أبى القاسم عبد الرحمن بن مکى السبط، و جماعه غيره، و توفى و هو فى عشر الأربعين رحمه الله تعالى.

[أحداث]لسنه الثالثه و السبعون و ست مائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره، و الملک الظاهر بالديار المصريه.

متجددات الأحوال

اشاره

فى خامس عشر المحرم يوم السبت جهزت الشوانى من دار الصناعه إلى دمياط.

[وصول الملک المنصور صاحب حماه إلى القاهره:]

و فى يوم الأحد سادس عشره وصل الملک المنصور من حماه إلى القاهره، و صحبته أخوه الأفضل، و ولده المظفر محمود، فنزل بالكبش و بعث إليه الملک الظاهر السماط بكماله، صحبه الأمير شمس الدين الفارقانى أستاذالدار فوقف فى وسطه لما مد، فلم يتركه الملک المنصور و سأله حتى جلس ثم وصلت الخلع و غيرها، و أباح له ما لم يبحه لأحد من خواصه من شرب الخمر، و سماع الغناء و سائر الملاهى مبالغه فى إكرامه و احترامه.

و فى سادس صفر ولدت امرأه نصرانيه بقصر الشمع، محله مصر، ثلاث بنات فى بطن واحد لكل واحده منهن مشيمه و متن لوقتهن.

و فى يوم الأحد سابع صفر توجه الملک الظاهر إلى الكرک على الهجن، و فى صحبته الأمير بدر الدين بيسرى و سيف الدين أتامش السعدى، و سبب توجهه أنه وقع بالكرک برج فأحب أن يكون اصلاحه بحضوره، و كان بالكرک بساتين محكره بشى ء يسير، فأمسكها جميعها، ثم عاد إلى مصر، فدخلها يوم الثلاثاء ثانى و عشرين ربيع الأول، و لقيه صاحب حماه على الغرابى ليلا، فودعه و سار إلى حماه، و قبل توجه الملک الظاهر إلى الكرک أعطى الأمير شهاب الدين يوسف بن الأمير حسام الدين الحسن ابن أبى الفارس القيمرى خبز أربعين طواشيا بدمشق، و كان من أعيان الأمراء فى الدوله الصالحيه النجميه، و الدوله الناصريه، و كان بطالا قد أطلق له من بيت المال فى كل يوم عشرين درهما لنفقته و كلفته.

ذكر هرب رئيس الاسكندريه و من معه من عكا

قد تقدم القول بكسر الشوانى و أسر من كان فيها، و لما أسروا بعث بهم إلى عكا طلبا للفداء، فامتنع الملک الظاهر من فدائهم، و قال: إنى قد

استغنيت عنهم، و كتب إليهم ألا يسعوا فى فداء أنفسهم، و من فدى نفسه شنقته و دام الحال على ذلک، فمات من مات و هرب من هرب، فكتب الملک الظاهر إلى الأمير عز الدين العلائى نائب السلطنه بقلعه صفد بأن يوسع الحيله فى خلاصهم، فكتب إلى ابن جفرين من الفرنج بعكا و وعده بألف دينار إن سعى فى خلاصهم، فدس المذكور إليهم مبارد قطعوا بها شباكا فى البرج الذى هم فيه، ثم أخرجوا من الباب ليلا، و عليهم زى الفرنج إلى مركب قد أعد لهم، فركبوه إلى ساحل عين لهم، فوجدوا خيل البريد معده لهم، فركبوا و غيروا زيهم و تلثموا و دخلوا صفد سرا لم يشعر بهم أحد، و بعث بهم العلائى ملثمين بحيث لا يعرفون، فوصلوا إلى القاهره فى ربيع الأول، و هم الرئيس شهاب الدين أبو العباس المغربى، و شهاب الدين محمد بن الموفق رئيس الاسكندريه و زين الدين أخوه، و الرئيس سيف الدين أبو بكر بن اسحاق، و كان توفى من المأسورين بعكا، و قبرس سيف الدين محمد بن المجاهد، و سيف الدين بن أبى سلامه رئيسا الاسكندريه، و شرف الدين علوى رئيس دمياط، و من رؤساء مصر نجم الدين نجم بن سيف الدوله الجبلى، و سيف الدين أبو بكر بن المخلص إبراهيم بن إسحاق، و جمال الدوله يوسف بن المخلص، و سيف الدين محمد بن نور الدوله على بن المخلص و غيرهم، و الباقون منهم من تحيل و هرب و منهم من توفى، و منهم من بقى فى الأسر بجزيره قبرس، و لما وصل الرؤساء الذين سلموا كان الملک الظاهر بالكرک، فلما عاد أحضرهم و وبخهم على تفريطهم، فقال له شهاب الدين رئيس الاسكندريه: قضاء الله لا يرد بحيله، فاستحسن منه ذلک و خلع عليهم.

و فى سابع عشر ربيع الآخر عاد ابن عراب، و صارم الدين أزبک و جماعه من الأجناد و العرب و المماليک من برقه، و معهم منصور صاحب قلعه طلميثه و مفاتيحها معه.

و فی سادس و عشرین ربیع الآخر خرج الملک الظاهر لرمی البندق، و ترک فی القلعه نائبا عنه الأمیر بدر الدین أیدمر الوزیری، فأقام خمسه أیام ثم عاد إلی القلعه، و سبب عوده أن بعض العرب اطلع علی أن جماعه من التتر یکاتبون، ثم ردف ذلک أن کتب ورقه و ألقیت فی موضع جلوسه، و عقیب ذلک أن والی غزه أمسک ثلاثه نفر، و معهم بدوی فی خان حماق قد خرجوا من القاهره لقصد التتر، فأنکر الخانی کلامهم، فعرف الوالی بهم فأخذهم و وجد معهم کتبا، فسیرها إلی القاهره، و وقف الملک الظاهر علی الکتب، فوجدها من عند قجقار الحموی، و موغان بن منکورس و سربغا، و طنغریبرمش، و أنوک، و برمش و بلبان محلی و العلائی المرتد و بلاغا، و طعبنی و أیبک، و سنجر الحواشی الترکی، فقبض علیهم و قابلهم بما فعلوا، فأقروا فکان آخر العهد بهم.

و فی یوم الاثنین حادی عشر جمادی الأولی توجه الملک الظاهر، و ولده الملک السعید إلی جهه البحریه للصید فی الخراریق، و دخل الاسکندریه فشکی إلیه والیها شمس الدین بن باخل، فضربه و أخذ خطه بخمسین ألف دینار، و هدم له بستانا کبیرا وقف علیه بنفسه حتی هدمته العامه، و أقره علی الولایه فقط، و فوض أمر الجیش و الدیوان إلی الطواشی بهاء الدین صندل، فشید دار الطراز، و عاد نهار الخمیس خامس جمادی الآخره.

و فی رابع شعبان رحل الملک الظاهر بالعساکر نحو الشام، فوصل دمشق یوم الخمیس تاسع عشرین منه، ثم خرج قاصدا بلد سیس و عبر إلیها الدربند، فملکها و ملک إیاس، و المصیصه، و أذنه، و کان دخول العساکر إلی سیس یوم الاثنین حادی عشرین شهر رمضان، و خروجهم منها فی العشرین من شوال بعد أن قتلوا من الأرمن و أسروا خلقا کثیرا لا یحصی، و غنموا من البقر و الغنم ما بیع بالمجان، و أقام الملک الظاهر

بجسر الحديد إلى أن انقضى شوال و ذو القعده، و رحل فى العشر الأول من ذى الحجه، فدخل دمشق يوم الثلاثاء خامسه، و أقام بدمشق إلى أن دخلت سنه أربع و سبعين.

اعجوبه: فى السابع و العشرين من شعبان وقع رمل بمدينه الموصل ظهر من القبله و انتشر يمينا و شمالا حتى ملأ الأفق، و عميت الطرق، فخرج العالم إلى ظاهر البلد بتلعها و بمشهد يحيى بن قاسم، و لم يزالوا يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى أن كشف الله ذلک عنهم.

و فى هذه السنه بعث أبغا إلى الروم تقونوين عوضا عن أجاى و معه أربعين رجلا من خواصه، و أمره أن يكتب جميع أموال الروم و يضبطها، و لا يحكم البرواناه و لا غيره من أمراء الروم إلا بحضوره، و لا يصدرون إلا عن رأيه، فلما حضر مجلسه جميع أمراء الروم، و قدموا له الهدايا و التحف خصوصا البرواناه، و طاف تقونوين جميع بلاد الروم و حصل منها أموالا جسيمه، و حملها إلى أبغا، و لما رأى البرواناه تمكن تقونوين ذل له و استكان و بذل له الطاعه ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

إبراهيم بن شروه بن على بن مرزبان بن كلول جكو أبو اسحاق،

الأمير سيف الدين الزهيرى الجاكى، توفى ببعلبک قبل طلوع الشمس من يوم الخميس رابع عشرين شهر رجب، و دفن من يومه بظاهر باب حمص من مدينه بعلبک، و قد نيف على السبعين سنه من العمر- رحمه الله تعالى- و كان من الأمانه و الحشمه، و شرف النفس، و صدق اللهجه على طريقه لا يدانيه فيها غيره، حكى لى غانم بن العشيره أنه كان متولى حلب عند قصد التتار لها، و لما هجمت المدينه صعد إلى القلعه و أحضر غلمانه صناديق من داره رموها فى خندق القلعه لضيق الوقت عن ادخالها إلى القلعه و كذلک غيره، ثم سير غلمانه ليحضروا له شيئا من

تلک الصناديق، فخرجوا و القتال يعمل، فقاتلوا و لا زالوا حتى أحضروا صندوقا، فلما فتحه وجد فيه ذهبا، و دراهم و حوائص و أشياء فاخره و ما هوله، فقال له غلمانه: أنت محتاج خذ منه شيئا و لو على سبيل القرض، فأبى و لا زال ينبشه حتى وجد فيه شطفه رنک بعض الأمراء، فسير إليه عرفه فحضر و تسلمه، و كان ولى حران فى الأيام الناصريه، و أمير جندار الملک العزيز بن الملک الناصر، و توجه معه إلى هولاكو، و بعد أخذه قلعه حلب جعله هولاكو أمير شكار، و سلم إليه الجوارح و غيرها، و كان عنده محترما [بدون] خلاف، و كان الملک الظاهر يحترمه و يثنى عليه، و يصفه بالعفه، و الأمانه و الحشمه- رحمه الله تعالى، و خلف أولادا منهم الأمير علاء الدين أحمد أخذ خبزه و ولى بعده مكانه، و سيأتى ذكره ان شاء الله تعالى.

[أحداث]حمد بن موسى بن يغمور بن جلدک، أبو العباس

، الأمير شهاب الدين بن الأمير جمال الدين، كان معروفا بالشهامه و الصرامه، ولاه الملک الظاهر- رحمه الله تعالى- المحله و أعمالها من الغربيه، فهذبها و مهد قواعدها، و أباد من بها من المفسدين و الذعار، و قطع من الأيدى و الأرجل ما لا يحصى كثره، و شنق، و وسط و أباد بحيث أفرط فى ذلک، فخافه البرى ء و السقيم و تمكنت مهابته فى صدور أهل عمله و من جاورهم، توفى بالمحله فى رابع عشرين جمادى الأولى، و حمل إلى القرافه، فدفن بتربتهم فى الثامن و العشرين منه، و كان عنده كرم، و رياسه و حشمه، و سعه صدر و بر بمن يقصده، و له نظم و عنده إلمام بالفضيله- رحمه الله- و تجاوز عنه ...

بيمند بن بيمند بن بيمند متملک طرابلس

توفى بها فى العشر الأول من شهر رمضان المعظم، و دفن فى كنيستها، و تملک ولده بعده كان حسن الشكل مليح الصوره، رأيته ببعلبک فى سنه ثمان و خمسين و ست مائه، و قد حضر إلى خدمه كتبغانوين، و صعد إلى قلعه بعلبک، و دارها و حدثته نفسه

أنه يطلبها من هولاكو و يبذل له ما يرضيه، و شاع ذلک عنه ببعلبک، فشق على أهلها و عظم لديهم، فحصل بحمد الله و منته من كسره التتار فى آخر الشهر المذكور ما أمنهم من ذلک، ثم لما ملک الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- طرابلس و فتحها فى سنه ثمان و ثمانين و ست مائه نبش الناس عظام بيمند المذكور من الكنيسه و ألقوها فى الطرقات و طرابلس فى الحقيقه عند الفرنج إنما هى لامرأه من أولاد صنجيل الذى افتتحها أولا، و أخذها من بنى عمار، و هى فى الجزائر فى قلعه لها هناک، و استنابت هى أو جدها جد هذا، فاستولى لبعدها عنه، و كان من شياطين الفرنج و دهاتهم و تداولها أولاده من بعده، و كان ابن صنجيل خرج من قلاعها لأمر أوجب ذلک، و ركب البحر، فتوقفت عليه الريح و نفذ زاده، و كاد يهلک هو و من معه و قرب طرابلس فسير إلى صاحبها إذ ذاک، و سأله ان يأذن له فى النزول فى أرضه و الاقامه فى البر بمقدار ما يستريح و يتزود فأذن له، فنزل بمكان الحصن المعروف به الآن و هو حيث بنيت طرابلس الجديده، و باع و اشترى فنزل إليه أهل جيه بشرى، و سائر تلک النواحى، و جميعهم نصارى، و أطمعوه فى البلد، و عرفوه ضعف صاحبه و عجزه عن دفعه، فأقام و بنى الحصن المعروف به، و تكثر بأهل بلاد طرابلس، و اتفق اشتغال ملوک الشام و نواب الدوله المصريه به فغنم و تم مراده، و صابر طرابلس مده زمانيه فتوجه ابن عمار إلى السلطان [محمد بن] ملک شاه السلجوقى يستنجد منه، فلم يحصل له مقصود فأخذت منه طرابلس، و انتقل بأمواله و ذخائره إلى عرقه، و استفحل أمر الفرنج بالساحل، فلم يمكنه مجاورتهم فانتقل إلى حصن الخوابى، و كان له فأخذ عرقه متملک طرابلس و الله أعلم ...

[أحداث]لسنه الرابعه و السبعون و ستمائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه، و الملک الظاهر بدمشق.

مجددات الأحوال

اشاره

فى رابع عشر المحرم بعث الملک الظاهر الأمير بدر الدين الخزندار على البريد إلى القاهره لإحضار الملک السعيد فعاد به إلى دمشق فى يوم الأربعاء سادس شهر صفر.

[فتح حصن القصير:]

و فى الثالث و العشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير، و هو بين حارم و أنطاكيه، و كان فيه قسيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرک به، و كان الملک الظاهر قلد أمراء التركمان، و بعض عسكر حلب بمحاصرته و ذلک فى ذى الحجه سنه ثلاث و سبعين، ثم بعث إليه الأمير سيف الدين الرومى الدوادار، فحصل بينه و بين القسيس مراسلات فيها ضروب من الخداع ألجأه الجمالى فيها النزول إليه، فلما اجتمع به أكرمه سيف الدين و جعل عليه عيونا تمنعه من التصرف، و العود إلى الحصن من حيث لا يشعر، و لم يزل يلاطفه بالمواعيد إلى أن سلمه و أطلعه و وفى له بما وعده.

ذكر ما ورد من أخبار بلاد الروم

فمن ذلک أن أبغا طلب تقونوين، و السلطان غياث الدين و البرواناه، فخرجوا من الروم فى ذى الحجه من السنه فصادفوا آجاى فى أرزن الروم عائدا من عند أبغا إلى الروم، فخافوا منه، و قدموا له هدايا كثيره، ثم فارقوه و كان فى صحبتهم مرحسيا سركيس، و هو قسيس يؤثره أبغا و يكرمه، فوصلوا إلى أبغا فى أوائل المحرم، و هو بأرموا من بلاد أذربيجان نازلا فى الدار التى أنشأها هولاكو، و أنشأ إلى جانبها كنيسه عظيمه لزوجته طقز خاتون، و بواطن جدرانها مصفحه بالذهب بأنواع الجواهر، فلما مثلوا بين يديه اتحفوه بما معهم من الهدايا، فكان أول ما قبل هديه مرحسيا، و كان من جملتها جواشن مبدعه الصفه فأعجبته، و فرقها على خواصه، ثم سأل السلطان غياث الدين عن أبيه، فقال له:

أبوک مات أو قتل، و کان قصده أن یأخذ به من قتله، فقال: مات؟ و ردد القول علیه مرارا، و هو لا یغیر الجواب الأول، و کان قد تقدمهم خواجا علی، فاجتمع بهم عند أبغا، فتوسط لهم تقونوین فی عوده إلی الوزاره، و لولدیه تاج الدین، و نصیر الدین فی أن یرد علیهما أقطاعا علی أن یبذل فی کل سنه ألفی بالش و سبع مائه فرس یستظهر بها علی ما کان یحمل إلیه من بلاد الروم، فأجاب إلی ذلک، و خلع علیه و علی ولدیه و عادوا، فلما جلسوا بسیواس بلغهم أن آجای ضرب نواب البرواناه، و ضیاء الدین ابن الخطیر، و استأصل أموالهم، و تعرض لمن سواهم من الأعیان، و عسفهم فکتبوا إلی أبغا بذلک فبعث إلیه یطلبه.

ذکر ما دبر البرواناه فی إخراج آجای علی ما کاتب به البرواناه

اتفقا علی أکل مال الروم، و انهما یشنآن بی لیخرجانی و یستبدان بها، فکتب إلیه: من هو البرواناه حتی نسمع کلامه فیک، أمره إلیک إن شئت أن تقتله و إن شئت أن تبقیه، و کان البرواناه لما بلغه أن آجای بعث رسولا فی أمره جعل علیه عینا عن عوده بالجواب، فلما قدم الرسول أخذ إلی دار البرواناه و أنزل و أکرم و حمل إلیه الخمر و أعطی بعض غلمانه دراهم، و أمره ان یسرق الکتاب، و یحمله إلیه لیقف علیه و یعیده إلیه ففعل ذلک، فلما وقف علی الکتاب سارع فی تجهیز هدیه سنیه بعث بها إلی آجای و لاطفه بأعذار قبلها منه، ثم إن البرواناه أخذ خطوط وجوه أهل الروم بأن آجای قد عزم علی قتله و قتل تقونوین، و تسلیم البلاد لصاحب مصر، فعاد الجواب باستدعاء آجای و تقونوین و البرواناه، و مرحسیا القسیس، و الأمیر سیف الدین طغان البکربکی، فخاف البرواناه من استصحاب سیف الدین فأقطعه أرزنکان، و ولاه کفاله السلطان غیاث الدین، ثم خرج فیمن بقی معه و استصحب معه کل من کان آجای ظلمه، و عسفه، لیستصرخوا علیه عند أبغا، فوصلوا فی ربیع الأول، فلما مثلوا بین یدیه و سمع شکوی المتظلمین أمر آجای

أن يقيم عنده، و قتل من أصحابه سبعه أنفس، و أنهى مرحسيا إلى أبغا أن البرواناه أقطع سيف الدين أرزنجان لكى لا أسكنها، و أنى إن اقتطعتها حملت كل سنه خمس مائه فرس عليها خمس مائه فارس نجده، فقال له تقونوين: أنت تلبس البرنس و لا يليق الاقطاع إلّا لمن يلبس السراقوج، و إن كنت ترغب فى الاقطاع فاخلع البرنس.

و قال للبرواناه: هذا يضيع كل سنه أموال الروم شيئا كثيرا لأنه يحمى من الفلاحين خلقا يلبسهم البرانس، فلا يؤدون الخراج و لا الجزيه، فأمر أبغا أن لا يحمى أحد فى سائر البلاد لمرحسيا إلا فى أرزنجان لا غير، لكونه ساكنا بها، ثم عاد إلى الروم فى ربيع الآخر، و لما عاد البرواناه و تقونوين و من معهما إلى بلاد الروم، و رد عليهم أمر أبغا بخروجهم و نزولهم على قلعه البيره، فرحلوا قاصدين البيره فنزلوا عليها يوم الخميس ثامن جمادى الآخره وعدتهم ثلاثون ألفا، منهم خمسه عشر ألفا من المغل مقدمهم تابشى، و أقتاى نوين، و مقدم عسكر الروم البرواناه، و مقدم عسكر ماردين و ميافارقين شرف الدين عبد الله اللاوى، و معهم من عساكر الموصل و شهرزور و العراق طوائف، فوصلوا إليها و نصبوا ثلاثه و عشرين منجنيقا أفرنجيا و الرامى به مسلم و نصبوا من القلعه عليه منجنيقا فلم يصبه حجره، و كان يقع زائدا عنه فقال له الرامى المسلم: لو قطع الله من ساعدک ذراعا كان أهل البيره يشكرون منک لقله معرفتک، ففهم إشارته و قطع ذراعا من ساعد المنجنيق، و رمى به فأصاب المنجنيق فكسره، و خرج أهل البيره فى الليل و كبسوا العسكر فقتلوا الكثير، و نهبوا و أحرقوا المنجنيقات و عادوا.

و كان البرواناه لما نزل على البيره بعث أربعمائه فارس يتجسسون أخبار الملک الظاهر ليقتلهم، و يعمل السير إلى البيره، فإذا سمع بقدومه كبس عسكر المغل بمن معه من عسكر الروم، و توجه إلى الملک الظاهر، فلما عبرت الأربعمائه الفرات إلى الشام، وجدوا ثلاثه قصاد و كتب معهم من

الملک الظاهر، کتب إلی البرواناه تتضمن: أننا وقفنا علی ما کتبت به إلینا، و ها نحن علی أثر رسلک، فکن علی أهبه فیما عزمت علیه من اجتماع الکلمه علی العدو المخذول، فاحضروا القصاد عند أقتای نوین فعزم علی قتل من فی العسکر من المسلمین، فأشار سمعان علیه أن لا یفعل فإنهم یلجأون إلی أهل البیره، فیقووا بهم علی قتالنا فتترکهم إلی أن ننفصل و نرحل، و نقتلهم فی بعض الأماکن، و نقتل معهم البرواناه، فأمر بحملهم إلی البرواناه فأنکرهم، و قال: هذا مکیده من صاحب سیس، فقبلوا ذلک منه فی الظاهر، و قالوا: شأنک و القصاد فقتلهم و طاف برؤوسهم فی العسکر، ثم سیرت الکتب إلی أبغا من غیر علم البرواناه، و لما امتد حصار القلعه و عصیانها أرسل أقتای نوین إلی سیف الدین بکلربکی، و حسام الدین بیجار یستشیرهما فأجاباه: هذه القلعه حصینه، و عساکر صاحبها قریبه و فیها ذخائر کثیره، و عساکرنا قد ضعفت من الغلاء و الوباء، و الرأی الرحیل فرحلوا یوم السبت سابع عشر جمادی الآخره بعد أن أحرقوا مجانیقهم و نهبوا أسواقهم بأیدیهم.

و لما بلغ الملک الظاهر، و هو بدمشق نزول التتر علی البیره أنفق علی العساکر فوق ستمائه ألف دینار، و خرج یوم السبت سابع عشر جمادی الآخره، و هو یوم رحیل التتر عن البیره، فاتصل به خبر رحیلهم بالقطیفه فتم إلی حمص، و ترادفت الأخبار علیه بتفریق شملهم فعاد إلی دمشق و دخلها یوم الخمیس سلخه، ثم خرج منها یوم السبت ثانی شهر رجب و معه جمیع العساکر، و وصل القاهره یوم الثلاثاء ثامن عشره، و کان قد اجتمع بالقاهره رسل الملک المظفر صاحب الیمن، و رسل الانبروز، و رسل الجنویین، و رسل منکوتمر بن تولی خان بن جنکز خان ملک المسلمین من التتر، و رسل اللان، و رسل الأشکری و عدتهم خمسه و عشرون رسولا، فرکبوا و تلقوا الملک الظاهر علی برکه الجب، و رجلوا و قبلوا الأرض فسلم علیهم، و أمرهم بالرکوب و دخل القلعه.

و أما البرواناه و عساكر الروم فإنهم استشعروا من أقتاى، بسبب القصاد، فلما رحلوا عن البيره فارقوهم و عبروا الفرات قاصدين ملطيه، و بلاد الروم، فلما وصلوا أوطانهم تيقنوا أن لا مقام لهم فى الروم مع التتر، فأجمعوا رأيهم مع البرواناه على منابذتهم، فاستحلف البرواناه حسام الدين بيجار النابترى و ولده بهاء الدين مقطع ديار بكر، و شرف الدين الخطير، و ضياء الدين محمود أخاه، و أمين الدين ميكائيل على أن يكونوا مع الملک الظاهر يعادون من عاداه، و يوالون من والاه، فلما بلغ ذلک مجد الدين أتابک، و جلال الدين المستوفى أنكر على البرواناه، و لما اطلع الأمير سيف الدين بكلربكى على ذلک لزم بيته، ثم سير البرواناه رسولا بنسخه اليمين بدعاء نور الدين بريز، و يطلب من الملک الظاهر عسكرا يستعين به و أن يكون السلطان غياث الدين على ما هو عليه من الجلوس على التخت، على أن يحمل له ما كان يحمله إلى التتر، فأجابه الملک الظاهر بالشكر و الاعتذار بأن العسكر لا يمكنه الدخول إلى هذه البلاد إلا بعد انقضاء الربيع، و يقع العزم على التوجه إليک إن شاء الله تعالى.

ذكر استئصال شأفه النوبه

كان داود ملک النوبه أغار على سرح عيذاب سنه إحدى و سبعين، و قتل من فيها من التجار، و وفد على الملک الظاهر شكنده ابن عم داود متظلما منه، و زعم أن الملک كان له، و أنه تغلب عليه فلما استقر الملک الظاهر بقلعه الجبل، بعد عوده من الشام تقدم إلى الأميرين: عز الدين الأفرم، و شمس الدين الفارقانى بالمسير إلى النوبه و أصحبهما ثلاثمائه فارس و شكنده، و أمرهما بتسليم البلاد إليه على أن يكون ربعها للملک الظاهر، فخرجوا يوم الاثنين مستهل شعبان فوصلوا دنقله فى ثالث شوال، فخرج إليهم ملكها داود، و أخوه جنكو، و من عندهما على النجب الصهب بأيديهم الحراب، و ليس عليهم ما يقى من السهام، غير أكسيه سود تسمى الدكاديک، فانهزموا و قتل منهم ما لا يحصى، و أسر

أكثر مما قتل، و بيع الرؤوس من السبى بثلاثه دراهم، و عزلوا منهم ألف نفر للسلطان، و انهزم داود، و قطع النيل بأمه، و أخته إلى البر الغربى، ثم هرب فى أثناء الليل إلى بعض الحصون، فركب الأفرم و الفارقانى بمن معهما و سارا فى طلبه ثلاثه أيام مجدين، فلما أحس بهم ترک أمه و أخته و ابنه أخيه جنكو، و نجا بنفسه و ابنه، و أخذوا حريمه و رجعوا إلى دنقله، و ملكوا شكنده و رتبوا على كل بالغ فى البلاد دينارا فى السنه جزيه و أن يحمل إلى السلطان فى كل سنه عده كثيره من الهجن و البقر و العبيد، و قرروا مع صاحب بلاد الجبل و كان مباينا لداود و أن يكون دو، و بريم، و هما قلعتان حصينتان بغرب أسوان بينهما سبعه أيام خاصا للملک الظاهر، و فوضوا إليه نيابه السلطنه فيهما و متى قصده عدو نجدته العساكر، ثم عاد الأميران و من معهما إلى القاهره فى خامس ذى الحجه، و معهما أخو الملک داود فحبس فى برج بقلعه الجبل، ثم وصل بعد أيام أم داود، و أخته و ابنه أخيه فحبسوا، ثم وصل السبى فبيع بمائه و عشرين ألف درهم، و أمر الملک الظاهر أن لا يباع منهم شى ء على يهودى، و لا على نصرانى، و أن لا يفرق بين المرأه و أولادها، و لما هرب الملک داود قصد صاحب الأنواب، و هو ملک من ملوک النوبه فقبض عليه، و سيره إلى الملک الظاهر، فوصل يوم الثلاثاء ثانى المحرم سنه خمس و سبعين فحبس فى بعض أبراج القلعه، و تقدم السلطان إلى الصاحب بهاء الدين باستخدام عمال على ما يستخرج من الجزيه و الخراج بدنقله، و أعمالها و أن يحمل إليها من قوص الصناع و الفلاحين و البياعين.

و فى العشر الآخر من شهر رجب شنق الطواشى شجاع الدين عنبر، المعروف بصدر الباز، و سبب ذلک أنه كان من خواص الخدم المباشرين لدور الملک الظاهر، فبلغه عنه أنه يشرب الخمر بالبلغه مع جماعه من الخدام فأحضره ليلا، و قام إليه بنفسه و لكمه، و أمر بعض الفراشين بشد كتفه بطنب، و شنقه بالميدان الأسود، و شنق تلک الليله خمسه من

الأجناد كانوا تخلفوا عن العرض بحمص، و شفع فی جماعه أخری تخلفوا فحبسوا فی خزانه البنود، و أمر بمن کان یحضر معه فی الشراب من الخدام فقطعت أیدیهم و أرجلهم من خلاف، و سملت أعینهم، و کانوا أربعه عشر نفرا فمنهم من مات، و منهم من سلم.

[عقد نکاح برکه بن بیبرس (نسخه الصداق)]

اشاره

و فی یوم الخمیس ثانی عشر ذی الحجه عقد نکاح الملک السعید ناصر الدین محمد برکه بن الملک الظاهر علی ابنه الأمیر سیف الدین قلاوون الألفی الصالحی بالإیوان فی القلعه، علی صداق خمسه آلاف دینار المعجل منها ألف دینار معامله، و توکل فی قبول النکاح عن الملک السعید الأمیر بدر الدین الخزندار، و توکل عن الأمیر سیف الدین قلاوون فی العقد الأمیر شمس الدین الفارقانی، و جری العقد بحضور الملک الظاهر، و الوزراء و القضاه و أعیان الشهود و الأمراء، و أعیان الأجناد، و کتب الصداق محیی الدین عبد الله بن عبد الظاهر، و قرأه فی المجلس فخلع علیه و أعطی مائه دینار.

مضمون الصداق و صورته

الحمد لله موفق الأملاک لأسعد حرکه، و مصدق الفأل لمن جعل عنده أعظم برکه، و محقق الاقبال لمن أصبح نسیبه سلطانه، و صهره ملکه، الذی جعل للأولیاء من لدنه سُلْطاناً نَصِیراً(1)، و میز أقدارهم باصطفاء تأهیله حتی حازوا نَعِیماً وَ مُلْکاً کَبِیراً(2) و أقر فخارهم بتقریبه حتی أفاد شمس آمالهم ضیاء، و زاد قمرها نورا، و سر به وصلتهم حتی أصبح فضل الله علیهم بهاء عظیما و أفضاله کثیرا، فهی أسباب التوفیق الآجله و العاجله، و جاعل ربوع کل إملاک من الأملاک بالشموس البدور و الأهله آهله، جامع أطراف الفخار لذوی الإیثار، حتی حصلت لهم النعمه الشامله، و حلت عندهم البرکه الکامله.

1- سوره الإسراء- الآيه: 80.
2- سوره الانسان- الآيه: 20.

نحمده على أن أحسن عند الأولياء بالنعمه الاستيداع، و أجمل لتأملهم الاستطاع، و كمل لاختيارهم الأجناس من العز و الانقطاع و آتى آمالهم ما لم يكن فى حساب من الابتداء بالتحويل و الابتداع، و نشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريک له، شهاده حسنه الأوضاع، مليه بتشريف الألسنه و تشنيف الأسماع، و نصلى على سيدنا محمد الذى أعلى الله به الأقدار، و شرف به الموالى و الأصهار، و جعل كرمه دارا لهم فى كل دار، و فخره على من استطلعه من المهاجرين و الأنصار مشرف الأنوار، صلى الله عليهم صلاه زاهيه الأزهار يانعه الثمار.

و بعد فلو كان اتصال كل شى ء بحسب المتصل به فى تفضيله لما استصلح البدر شيئا من المنازل لنزوله، و لا الغيث شيئا من الرياض لهطوله، و لا الذكر الحكيم لسانا لترتيله، و لا الجوهر الثمين شيئا من التيجان لحلوله، لكن ليشرف بيت يحل به القمر، و نبت يزوره المطر، و لسان يتعوذ بالآيات و السور، و نضار يتجمل باللآلى و الدرر، و كذلک تجملت برسول الله صلى الله عليه و سلم أصهاره من أصحابه، و تشرفت أنسابهم بأنسابه، و تزوج صلى الله عليه و سلم و تمت لهم قربه الفخار، حتى رضوا عن الله و رضى عنهم.

و المترتب على هذه القاعده إفاضه نور يستمده الوجود، و تقرير أمر يقارن الأخبيه منه سعد السعود، و إظهار خطبه تقول الثريا لإنتظام عقودها، كيف و إبرام وصله يتجمل بترصيع جوهرها متن السيف، الذى يغبطه فى إيداع هذه الجوهره كل سيف، و نسيج صهاره يتم بها إن شاء الله كل أمر شديد، و يتفق بها كل توفيق تخلق الأيام و هو جديد، و يختار لها أبرک طالع، و كيف لا تكون البركه فى ذلک الطالع و هو سعيد، و ذاک بأن المراسيم الشريفه السلطانيه أرادت أن تخص المجلس السامى الأميرى الكبير السيفى بالاحسان المبتكر، و تفرده بالموهبه التى يرهف بها منه الحد المنتضى و يعظم الجد المنتظر، و أن يرفع من قدره

بالصهاره مثل ما رفعه النبى صلى الله عليه و سلم من قدر صاحبيه صهريه أبى بكر و عمر، فخطب إليه أسعد البريه، و أمنع من تحميها السيوف، و أعز من تسبل عليها ستور الصون الخفيه، و تضرب دونها خدور الجلاله الرضيه، و يتجمل بنعوتها العقود و كيف لا، و هى الدره الألفيه، فقال والدها و هو الأمير المذكور: هكذا ترفع الأقدار و تزان، و كذا يكون قران السعد و سعد القران، و ما أسعد أرضا أصبحت هذه المراحم الشريفه السلطانيه له خميله، و أشرف سيفا غدت منطقه بروج سمائها حميله، و ما أعظمها موهبه أتت للأولياء من لدنها سلطانا، و زادتهم مع إيمانهم إيمانا، و ما أفخرها صهاره يقول التوفيق لسرعه إبرامها ليت، و لشرفها عبوديه كرمت سلمانها بأن جعلته من أهل البيت.

و إذ قد حصلت الإستخاره فى رفع قدر الملوک، و خصصته بهذه المرتبه التى يتقاصر عنها آمال أكابر الملوک، فالأمر لمليک البسيطه فى رفع درجات عبيده كيف شاء، و التصدق بما يتفوه به هذا الانشاء، و هو:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب مبارک تحاسدت رماح الخط، و أقلام الخط على تحريره، و تنافست مطالع النوار و مشارق الأنوار على إبداء سطوره، فأضاء نوره بالجلاله و أشرق، و هطل نوره بالاحسان فأغدق، تناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل، فقال الاعتراف: هذا ما تصدق، و قال العرف هذا ما أصدق مولانا السلطان أصدقها بما يملأ خزائن الاحسان فخارا، و شجره الانساب ثمارا، و مشكاه الجلاله أنوارا، فبذل لها من العين المصرى ما هو اقاليم و مدائن أنوارا، و أضاف إلى ذلک ما لو لا أدب الشرع لكان باسم والده قد تشرف، و بنعوته قد تعرف، و بين يدى هباته و تصدقاته قد تصرف.

و كان العاقد قاضى القضاه صدر الدين الحنفى، و انفصل ذلک اليوم عن سرور تام، فبشر بما بعده من التهانى و الأفراح و الأمور التى تزيد على الافراح.

[مؤامره للاستيلاء على حصن الكرک:]

و فى العشر الأول من ذى الحجه بلغ الملک الظاهر أن جماعه من الذين استخدمهم بحصن الکرک من الجرخيه، و الجنداريه و الخراسانيه و الاسباسلاريه و غيرهم سولت لهم أنفسهم ان يثبوا فى الحصن، و يقتلون من به من النواب، و يسلمونه لأخ کان للملک القاهر ابن الملک المعظم من أمه لکونه ينتسب إلى الملک الناصر داود، و کان يقيم معهم بالکرک لا يؤبه به، فخرج الملک الظاهر من القاهره يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجه و دخل حصن الکرک بغته يوم السبت ثانى و عشرين منه، ثم استدعاهم و کانوا زهاء ستمائه نفر و هو على سطح و أمرهم بشنقهم فشفع فيهم من کان فى خدمته من الأمراء، فعفا عنهم و أخرجهم من الحصن خلا سته نفر، فإنه قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف، ثم قال للجميع: ما لکم فى بلادى مقام، فسألوه أن يعادلهم ما کان ارتجع من أموالهم، فأمر لهم بذلک و نفاهم إلى مصر، و استدعى شمس الدين صواب السهيلى والى صناعه الانشاء بمصر، و سلم إليه حصن الکرک، و فوض إليه النظر فى حواصله و ذخائره، و استدعى من مصر رجالا رتبهم فى الحصن عوض الذين نفاهم منه، ثم خرج متوجها إلى دمشق يوم الجمعه ثامن و عشرين ذى الحجه.

[زلازل بأخلاط و أرجيش:]

و فى هذه السنه کان بخلاط زلزله عظيمه، أخربت الدور و الخانات، و الأسواق، و مات الناس تحت الردم، و لم ينج من أهلها إلا النفر القليل، و اتصلت بأرجيش فأخربتها، و خسفت مواضع و وصلت إلى ديار بکر فشعثت ميافارقين و ماردين.

و کسر الخليج يوم الخميس ثامن و عشرين صفر و انتهت الزياده إلى ثلاثه أصابع من ثمانيه عشر ذراعا.

[تجهيز کسوه الکعبه:]

و فى خامس عشر شوال جهز الملک الظاهر کسوه الکعبه صحبه الأمير عز الدين يوسف بن أبى زکرى، و خرج معه جماعه من الحجاج و وصل مکه شرفها الله تعالى، و کانت الوقفه يوم الاثنين، و أقاموا ثمانيه

عشر يوما، بالمدينه عشره أيام، فذهب أكثر زاد الناس، و حصل لهم من أيله إلى مصر مشقه عظيمه، و مات منهم خلق كثير.

و فى ثالث شهر رمضان، ظهر بالموصل بحاره تعرف بسويقه ابن خليفه ضريح شخص من ولد الحسين بن على عليهما السّلام، و سبب ظهوره أن شخصا يقال له محمدون بن الأقفاصى رأى فى منامه شخصا من ولد الحسين بن على عليهما السلام و هو يقول: يا محمدون أنا متأذ من تنور الخبز، و مجرى الحمام الصغير، فلما أصبح قص المنام على بعض الأكابر، و استشاره فى نبشه فأشار عليه أن لا يفعل، فأمسک الرجل.

فلما كان فى الليله الآتيه رأى الرؤيا بعينها، و هو يقول له: إحفر ضريحى و لا تهمله، و انتبه لما أقول لک: إن تراب ضريحى يشفى من جميع الآلام و الأسقام، فلما أصبح الصباح حفر المكان، و ظهر الضريح، فأقبل الناس ينكرون عليه، و إذا برجل أعمى قد أخذ من تراب الضريح شيئا تركه على عينيه فأبصر فكبر الله و حمده، و رأى الناس تأثير الضريح فتهافتوا عليه، و حظى محمدون بسببه، و تكاثر على الضريح أصحاب الآلام و العاهات، و كل من جعل على ألمه شيئا من ترابه برى ء لوقته.

و سمع بذلک شخص من التتر يعتريه الصرع، فأتى و طلب معالجته، فشرط عليه من بالمكان أن يترک شرب الخمر، و لحم الخنزير، و قتل المسلمين، فالتزم ذلک، و أخذ من تراب الضريح فبرى ء لوقته، فسر بذلک، و خرج مسافرا فمر بتل زيار، و به دير النصارى، فنزل عندهم و حكى لهم صوره حاله، فقال له النصارى: أنت إنما برئت بما عولجت به و تداويت لا بهذا القبر، فأثر هذا القول فى نفسه، فعاوده الصرع، فجاء إلى الضريح، و طلب من ترابه، فقيل له: ألم تک قد أخذت منه و عوفيت؟ فقال: بلى، و لكننى مررت بدير فيه نصارى فحكيت لهم فذكروا لى كيت و كيت، فأثر ذلک عندى، فعاودنى ما كان بى، فقيل له:

تلک المره بطل حكمها، و الآن فما ينفعک شى ء من هذا الضريح إلا أن

تسلم و تشهد أن جد هذا السيد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأبى ذلک، و بقى أياما على ما به من الصرع، و زاد به حتى أجاب إلى الاسلام، فأتى المشهد و أسلم، و تناول شيئا من ترابه فبرى ء، و لم يعتاده بعد، و حسن اسلامه، و أسلمت جماعات كثيره من التتر، و نصارى البلاد بسبب ذلک.

قال عز الدين محمد ابن استاذداره رحمه الله: هذا حكاه لى ناصر الدين محمود بن عشائر بن حسين بن عبيد، يعرف بابن الليالى الموصلى، و العهده عليه فيما حكاه.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

إبراهيم بن عبد الرحيم بن على بن اسحق بن على بن شيث

، أبو اسحق كمال الدين القرشى الأموى، كانت وفاته آخر نهار الخميس رابع عشر صفر بالقرب من حلبا من بلاد الساحل، و نقل إلى ظاهر بعلبک، فدفن بتربه سيدنا الشيخ عبد الله اليونينى، رحمه الله عليه، و قد نيف على الستين، و كان من أعيان الناس و أماثلهم، خدم الملک الناصر صلاح الدين داود ابن الملک المعظم، و هو من أجل أصحابه و أخصهم به، و ترسل عنه، ثم اتصل بخدمه الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد رحمه الله، فأعطاه خبزا جيدا، و قربه و أدناه، و اعتمد عليه فى مهماته.

و فى الأيام الظاهريه ولى الرحبه و بلادها عقيب موت الملک الأشرف صاحب حمص مده يسيره، ثم نقل منها إلى بعلبک فولى مدينتها و قلعتها، و بقى بها مده سنين، و طلبه الملک الظاهر منها مع استمراره على ولايته فاستناب، و توجه إليه فسيره رسولا إلى عكا، و كان عنده خبره تامه بالدعاوى على الفرنج و مواصفاتهم، و تفاصيل أحوالهم، فكان يندب فى المهمات المتعلقه بهم و يستشار بهم فى ذلک، و حرمته وافره فى الدوله، و مكانته مكينه، و سيرته حسنه، و عنده مكارم و حسن عشره.

و توفى رحمه الله، و لم يخلف ما يقوم بنصف ما عليه من الديون رحمه الله تعالى، و كان عنده فضيله و أهليه، و معرفه بالأدب و النحو، يحفظ القرآن العظيم، و يتلوه فى كثير أوقاته، و على ذهنه من الأحاديث النبويه صلوات الله و سلامه على قائلها جمله وافره، و لعله يستحضر معظم موطأ مالک بن أنس رحمه الله، و كان يميل إلى مذهبه، و له عقيده عظيمه فى الفقراء و الصالحين، و مسارعه إلى قضاء حوائجهم رحمه الله ...

[أحداث]يبک بن عبد الله أبو محمد الأمير عز الدين الاسكندرى الصالحى،

كان من مماليک الملک الصالح نجم الدين و عتقائه، و كان الملک الصالح يثق به و يعتمد عليه، ولاه الشوبک: قلعتها و بلدها، و جعل عنده جماعه كثيره من خواص مماليكه منهم: الأمير عز الدين أيدمر الحلى، و الأمير علم الدين سنجر الحصنى، و الأمير عز الدين أيبک الزراد و غيرهم، و كان عنده كفايه و خبره تامه، و صرامه شديده، و مهابه عظيمه، يقيم الحدود على ما يجب، لا يحابى فى ذلک، و لما ملک الملک المعز عز الدين أيبک التركمانى الديار المصريه، كان الأمير عز الدين المذكور من خواصه، و لم يزل على ذلک إلى أول الأيام الظاهريه، فلما استولى الأمير علم الدين سنجر الحلبى الكبير- رحمه الله- على قطعه من الشام كما تقدم شرحه، ثم تحلل أمره و خرج من دمشق، و قصد قلعه بعلبک، و حضر بحضره بدر الدين محمد بن رحال و غيره، و جرت المراسلات بينه و بين الأمير علاء الدين البندقدار- رحمه الله- فى تسليم قلعه بعلبک و التوجه إلى باب الملک الظاهر بالديار المصريه، أنه لا يسلم القلعه إلى بدر الدين ابن رحال، و أنه لا يسلمها إلا إلى أحد نفرين من خشداشيته سماهما: أحدهما الأمير عز الدين صاحب هذه الترجمه، فجهز إليه، و تسلم القلعه منه، و كان متوليا قلعه شميميس، فطلب منها لهذا المهم، و استناب بقلعه شميميس، و لما طولع الملک الظاهر بذلک رسم باستمراره فى قلعه بعلبک، و مدينتها، و استمر نائبه بشميميس، و بقى

على ذلک مده إلى أن سأل الإعفاء من شميميس، فأجيب، و حضر نائبه إليه و بقى الأمير عز الدين متوليا بعلبک، و قلعتها مده أربع سنين كوامل، ثم طلب إلى الديار المصريه، و ولى قلعه الرحبه، و أعمالها و ما قاربها فتوجه إليها على كره، و زاد الملک الظاهر اقطاعه، و لما وصل إلى الرحبه تجرد لكشف الأخبار و أخذ ما جاوره من بلاد العدو، فقام فى ذلک المقام المحمود، و فعل ما لا تسمو إليه همه من أخذ بلاد العدو، فقام فى ذلک مما يطول شرحه من شن الغارات عليهم، و نهب جشاراتهم، و قطع الطريق على سفارتهم، و لم يزل على ذلک إلى حين وفاته، و كان عنده معرفه بالنجوم، و إلمام بالفضيله، و محبه لها و لأهلها، و ديانه كثيره، و غيره مفرطه، و كرم طباع، و سعه صدر، و شده حياء، لا يخيب من قصده فى حاجه، و لا يطلب أحد رفده إلا و يبره بأكثر ما فى نفسه، و إن أهدى أحد له هديه كافأه بأكثر منها، و كان له عقيده فى الفقراء و الصلحاء، و إيمان بكراماتهم لا ينكر من ذلک من يخرق العادات، و كانت وفاته فى رابع عشرين رمضان المعظم بقلعه الرحبه و دفن بظاهرها- رحمه الله تعالى- و هو فى عشر الستين.

و لما كان ببعلبک تزوج كريمتى، و اتفق توجهها إليه و معها والدتى و أنا إذ ذاک فى الحجاز الشريف، و هى تتشوق إلى، فتوجهت فى شهر رجب و أقمت، فتوفى المذكور و أنا هناک، فاستصحبت الأهل و وولد الأمير عز الدين المذكور- رحمه الله تعالى- و غلمانه، و عدت بهم إلى دمشق فورد على كتاب صاحبنا الموفق عمر بن عبد الله الآتى ذكره من بعلبک إلى دمشق يتضمن الشوق و التهنئه بالسلامه ...

خاص ترک الكبير ركن الدين

المشهور بالشجاعه و الاقدام و التقدم عند الملوک، و هو من غلمان الملک الصالح نجم الدين أيوب بن الملک الكامل، و كانت وفاته بكره الأحد ثانى عشر ربيع الأول برحبه خالد بدمشق، و دفن عند حمام النحاس بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى ...

[أحداث]لسنه الخامسه و السبعون و ست مائه

اشاره

دخلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه و الملک الظاهر بالشام عائدا من الكرک.

متجددات الأحوال

[دخول السلطان بيبرس إلى دمشق:]

فى ثالث المحرم دخل الملک الظاهر دمشق، وافق يوم دخوله إليها وفد عليه من أعيان المغل: سكتاى، و أخوه جاروجى، و أخبراه أن الأمير حسام الدين بيجار التاتيرى قد قطع خرت برت، و ولده بهادر عازمان على الحضور، و كان سبب وصول سكتاى و أخيه أن بهادر كان متزوجا بأختهما، و كان لهما أخ كافر، فوصل إليهما و معه جماعه من أقاربهم، و طلبوا منهما مالا و قالوا لهما: أنتما فى راحه بسكنى المدن، و نحن فى التعب بملازمه البيكار(1) فأعطونا شيئا نستعين به، و إلا إحضروا معنا إلى أبغا ليفصل بيننا، فشاروا البرواناه فأشار أن يدفعا لهم ما التمسوه، فأخذوه و توجهوا فقال البرواناه لبهادر: ما أنا ممن يدعو علينا عند أبغا أننا باغيه فنتضرر، فلحقهم بهادر و صهراه فقتلوهم و أخذوا ما معهم.

و كانت رسل أبغا ترد على البرواناه تحثه على المصير إليه، و هو يسوفهم منتظرا لعسكر الملک الظاهر، فلما يئس منه توجه إلى أبغا فى حادى عشر ذى الحجه من السنه الخاليه، و صحبته أخت السلطان غياث الدين ليدخل بها إلى أبغا، و معه من الأموال و التحف ما لا يوصف كثره، و توجه خواجا على الوزير، و لما عزم على التوجه حض بهادر على التوجه إلى الملک الظاهر مع أبيه لأن أبغا ينقم عليه قتل من قتله من التتر، فتقدم بهادر إلى سكتاى، و أخيه بالمسير إلى بين يديه إلى الملک الظاهر ليعرفاه بعزمه، و عزم أبيه على الوصول و يذكراه بما تقدم

1- أى الحرب.

لبيجار من اليمين، فلما وصلا أحسن إليهما و بعث بهما إلى القاهره ليجتمعا بولده الملک السعيد، فوصلاها يوم الجمعه ثانى عشر المحرم، فأحسن إليهما الملک السعيد ورد بهما إلى أبيه بعد ثلاث.

و فى أواخر المحرم سير الملک الظاهر الأمير بدر الدين بكتوت الأتابكى و معه ألف فارس، و أمره إذا وصل حلب يستصحب عسكرا منها و يتوجه إلى بلاد الروم، و كتب على يده كتبا إلى أمراء الروم يحرضهم فيها على طاعته، و كان سبب هذه المكاتبه أن شرف الدين مسعود بن الخطير بعد سفر البرواناه فى السنه الخاليه إلى أبغا كتب إلى الملک الظاهر يحثه على الوصول إلى الروم بعساكره لينضم إليه و السلطان غياث الدين و من فى بلاد الروم من العساكر، و بعث كتابه إلى سيف الدين جندر مقطع ألبلستين، ليبعثه إلى الملک الظاهر، فدفعه إلى ولده بدر الدين آقوش و أمره أن لا يبعثه فخالفه و بعثه.

و أما شرف الدين فداخله الندم، و خاف إن هو خرج من الروم لا يعود إليه، فكتب إلى سيف الدين جندر أن لا يبعث الكتاب، فاستدعى بولده و طلبه منه فأخبره أنه بعثه، و لما وصل بدر الدين الأتابكى إلى ألبلستين صادف من عسكر الروم جماعه منهم: الأمير مبارز الدين شورى الجاشنكير، و سيف الدين جندر، و بدر الدين لؤلؤ، و بدر الدين ميكائيل، و عند وقوع نظره عليهم لم ينزل، و لا من معه من على ظهور الخيل و بعثوا إليهم بإقامه جليله، و ركبوا إليه، و سألوه الإبقاء عليهم على أن يقتلوا من بألبلستين من التتر، و يصيروا معه إلى باب الملک الظاهر فأجابهم، فلما وفوا بذلک قفل بهم، فوافوا الملک الظاهر بحارم فأقبل عليهم.

ذكر وفود بيجار و ولده بهادر

لما تواترت الأخبار بقربهما تقدم إلى الأمير نور الدين نائبه بحلب بالاهتمام بالإقامه له، ثم الخروج إلى لقائه إذا شارف البلاد، و لما قارب

أرض دمشق سير جمال الدين محمد نهار لتلقيه، و وصل بيجار إلى دمشق يوم الأربعاء تاسع عشر المحرم، فتلقاه السلطان و بالغ فى إكرامه، و أنزله فى النيرب، ثم وصل ولده بهادر إلى دمشق يوم السبت التاسع و العشرين من الشهر، و كان تأخر بسبب جمع أمواله من البلاد، و كان مهذب الدين على بن البروناه نائبا عن أبيه فى البلاد يومئذ، فلما بلغه رحيلهم جهز خلفهم عسكرا من التتر، و قدم عليهم نيجى فسار إلى خرت برت، فلم يلحق أحدا منهم غير أنه عثر على خمس مائه فرس عربيه عريقه الأنساب، كان بهادر قدمها بين يديه فضلت عن الطريق، لما قضى الملک من الاجتماع بهما بعث بهادر إلى القاهره مع بيسرى و خطليجا، فخرجوا من دمشق يوم الخميس تاسع صفر، و وصلوا يوم السبت ثالث ربيع الأول، ثم بعث أباه بيجار مع شرف الدين الحاكى، فوصلاها يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر فخرج الملک السعيد لتلقيه، و احتفل به و حمل إليه أموالا و خلعا.

و فى الرابع و العشرين من صفر علق ماء القسان و كسر الخليج بكره السبت الخامس و العشرين منه، و ركب الملک السعيد و باشر ذلک بنفسه و انتهت الزياده إلى أربع عشره اصبعا من تسع عشره ذراعا.

و فى الخميس تاسع صفر توجه الملک الظاهر من دمشق إلى حلب، فوصل حمص ثالث عشر صفر فوافاه عليها ضياء الدين محمود بن الخطير، و سنان الدين ابن الأمير سيف الدين طرنطاى بكلربكى، و سبب وصولهما أن شرف الدين بن الخطير كان لما وردت كتب الملک الظاهر على أمراء الروم شرع فى تفريق العسكر الرومى، و أذن لهم فى نهب من يجدونه من التتر و قتله، و انحاز الأمير محمد بن قرمان و إخوته و أولاده بمن معه من التركمان إلى السواحل، و أغاروا على من جاورهم، ثم كاتب السلطان الملک الظاهر يعرفه مباينته التتر و إخراج السواحل من أيديهم، و بلغ السلطان غياث الدين و مهذب الدين ما اعتمده شرف الدين فبعثا فى

طلبه، فلما وصل إليهما أمر مهذب الدين أن يحضر بجمع رسل التتر و نوابهم و من كان من المغل ممن كان مع ينجى على أسوأ حال، فأحضروا مكشفين الرؤوس و بسطت الرعيه أيديهم فيهم، و حبس من قبض عليه منهم، و بعث بمهذب الدين إلى شرف الدين مسعود، و كان ظاهر المدينه ليحضر فأبى، فخرج إليه تاج الدين كيوى، ثم تبعه سيف الدين طرنطاى، و سبق تاج الدين، فلما اجتمع بشرف الدين عنفه، و أغلظ له فأمر به فقتل، و قتل معه سنان الدين بن أرسلان طغمش، زوباشى قونيه، و لما قتلهما خاف من مهذب الدين فتوجه قاصدا الملک الظاهر، و ذلک يوم الجمعه ثالث عشر صفر و أدركه سيف الدين طرنطاى.

فلما رأى السيوف مجرده أنكر عليه، فقال شرف الدين: فات ما فات فاستر على بالمصلحه، فقال: الرأى أن أرجع إلى بيتى فرجع و تركه، و لما بلغ مهذب الدين ذلک، بعث إلى سيف الدين يستدعيه فأتى، فتخيل أنه مع شرف الدين، ثم بعث شرف الدين إليه، فلما اجتمع به سأله أن يوفق بينه و بين مهذب الدين، فعاد سيف الدين و سأله فى ذلک و أجاب، و خرج السلطان غياث الدين إلى ظاهر قيصاريه، فنزل بجمال طاسى فى عشيه النهار المذكور، فلما رآه شرف الدين و ضياء، الدين و من معهما ترجلوا و قبلوا الأرض و نادوا فى البلد بشعار الملک الظاهر، و اتفقوا أن السلطان غياث الدين، و العسكر يتوجهون إلى مدينه بكيده يقيمون بها و يبعثون قصادا إلى الملک الظاهر يستوثقون باليمين لغياث الدين، و لأنفسهم فاستأذنهم مهذب الدين فى أن يدخل إلى قيصاريه ليخرج أثقاله، فأذنوا له، فدخل و حمل منها أثقاله و خزينته، و خرج منها ليلا و قصد دوقات، فلما تحققوا ذلک، بعث شرف الدين ابن الخطير أخاه ضياء الدين و معه سبعه و ثلاثون نفرا من أصحابه، و بعث الأمير سيف الدين طرنطاى بكلربكى ولده سنان الدين و معه عشرون نفرا إلى الملک الظاهر ليستوثقوا منه باليمين لغياث الدين، و لأنفسهم، فاستأذنهم

مهذب الدين فى أن يدخل قيصاريه ليخرج أثقاله فأذنوا له فدخل و حمل أثقاله و خزينته و خرج منها ليلا و سار سيف الدين و شرف الدين و السلطان غياث الدين إلى بكيده و قرروا مع رسلهم أن يحثوا الملک على المسير إليهم بعد أن يستحلفوه على ما تقرر، فلما وصلوا إلى الملک الظاهر، و اجتمعوا به فى حمص و أخبروه بما جرى و حثوه على المسير، قال: أنتم استعجلتم فى المباينه فإنى كنت قد وعدت معين الدين قبل توجهه إلى الأردو فى أواخر هذه السنه أطأ البلاد بعساكرى، فإنها بمصر، و ما يمكننى أن ادخل البلاد بمن معى الآن لقلتهم، و أما انفصال مهذب الدين إلى دوقات فنعم ما فعل، فإنه كان مطلعا على ما بينى و بين والده.

ثم أنزلهم و أكرمهم و طلب ضياء الدين أن يجتمع بالسلطان خلوه فأجابه، فلما اجتمع به قال: ليتنى لم أتقصد البلاد فى هذا الوقت، لم آمن على أخى أن يقتل، و من معه من الأمراء الذين خلفوا، و إن كان لابد من تصبرک فابعث إلى البلاد من فيه قوه من عسکرک حتى يكونوا ردءا للسلطان غياث الدين و لأخى فيتمكنوا من الخروج من البلاد، فقال:

أرى من المصلحه أن ترجعوا إلى بلادكم، و تحصنوا قلاعكم و تحتموا بها على أن أرجع إلى مصر و أربع خيلى، و أعود فى زمن الشتاء، فإن آبار الشام فى هذا الوقت قد غارت، ثم استصحبهم معه إلى حلب فى العشرين من صفر، و لما مر بحماه استصحب صاحبها، و وصل إلى حلب فى الخامس و العشرين من صفر، و جهز الأمير سيف الدين بلبان الزينى فى عسكره، و بعث به إلى الروم ليحضر السلطان غياث الدين، و شرف الدين ابن الخطير، و سيف الدين طرنطاى، و بقيه من حلف من الأمراء، فلما وصل كينوک- و هى الحدث الحمراء- وردت القصاد إليه بعود البرواناه إلى الروم فى خدمه منكوتمر، و إخوته فى ثلاثين ألف فارس و الأمراء، راجعا إلى تتاوون، فكتب إلى الملک الظاهر يعرفه بذلک، فظن

أن التتر إذا سمعوا به فى عسكر قليل قصدوه، فرحل من حلب إلى دمشق، ثم إلى مصر، ثم عاد الأمير سيف الدين، و لما ترک الملک الظاهر حمص، قدم عليه رسل صاحب سيس و معهم هديه، فقبل الهديه، و لم يجتمع بالرسل، و كان دخوله مصر يوم الخميس ثانى عشر ربيع الأول.

ذكر هروب شرف الدين ابن الخطير

قد تقدم القول بوصول البرواناه و منكوتمر، و من معهم من العساكر إلى الروم فى أوائل ربيع الآخر، فلما قدموا أظهر لهم شرف الدين المباينه و عزم أن يلتقيهم فسفه من كان معه رأيه و قالوا: كيف تلتقى بأربعه آلاف ثلاثين ألفا، فعلم أنه مقتول لا محاله فقصد قلعه لؤلؤه ليتحصن بها، فلم يمكنه واليها من دخولها بجماعته بل بمفرده، فدخلها و معه أمير علمه، و كان قد آذاه من مده تزيد على ست عشره سنه، فقال لوالى القلعه: احتفظ بشرف الدين حتى تسلمه إلى أبغا لتكون لک عنده اليد البيضاء، فقبض عليه، و بعثه إلى البرواناه، فلما وقع نظره عليه سبه و بصق فى وجهه، و أمر بالاحتياط به.

ذكر ما حدث ببلاد الروم عند وصول التتر إليها

لما عاد البرواناه- كما قلنا- بمن معه من العساكر التتريه جلس و تتاوون مقدم العساكر و كراى و تقو، و البرواناه فى الايوان مجلسا عاما، و أحضروا السلطان غياث الدين، و من وافقه على الانقياد إلى الملک الظاهر و قالوا له: ما حملک على ما فعلت من خلع طاعه أبغا و ركونک إلى صاحب مصر؟ فقال: أنا صبى، و ما علمت الصواب، و لما رأيت أكابر دولتى قد فعلوا ذلک، خفت أن يسلمونى إذا لم أوافقهم، فنهض البرواناه إلى شجاع الدين قاسا الخصى اللالا فقتله بيده، ثم احضروا سيف الدين طرنطاى، و مجد الدين أتابک، و جلال الدين المستوفى، و سألوهم عن سبب إنفاذهم إلى صاحب مصر، فقالوا: شرف الدين ابن

الخطير أمرنا بذلک، و خفنا إن لم نجبه فعل بنا کما فعل بتاج الدين، فأحضروا شرف الدين و سألوه، فقال للبرواناه: أنت حرضتنى على ذلک، و ذکر له المکاتبات التى کاتب بها المظفر، و اتفاقه معه إلى التاريخ الذى عزم شرف الدين على قصد الملک الظاهر فيه، فأنکر ما ادعاه عليه، فکتبوا ما قاله شرف الدين، و انکار البرواناه، ثم سألوا شرف الدين عن الأمير سيف الدين طرنطاى، و مجد الدين الجتابک- ختن البرواناه- هل کانوا موافقين بذلک؟ فأنکر و قال: أنا کلفتهم، و ألزمتهم بإرسال الرسل إلى الملک الظاهر فأمر تتاوون بضربه بالسياط ليقر بمن کان معه، فأقر على نور الدين جيجا، و سيف الدين بن قلاوون، و علم الدين سنجر الجمدار و غيرهم، فلما تحقق البرواناه أنه يقتل بإقرار شرف الدين عليه بعث إليه يقول له: متى قتلونى لم يبقوک بعدى، فاعمل على خلاص نفسک و خلاصى بحيث متى حضرت مره ثانيه و ضربت و سئلت عن الحال، فارجع عما قلت و اعتذر بأن اعترافک کان من ألم الضرب، ففعل ما أمره البرواناه و طولع أبغا بصوره الحال، ثم رسم أن يضرب کل يوم مائه سوط إلى أن يعود عن الجواب، فعاد عن الجواب، فأمر بقتله فى آخر ربيع الآخر، فقتل و بعث برأسه إلى قونيه، و إحدى يديه إلى انکوريه، و الأخرى إلى أرزنجان، و فرقوا أعضاءه فى سائر بلاد الروم، و قتل معه سيف الدين بن قلاوون، و علم الدين سنجر الجمدار، و شرف الدين محمد قاتل شمس الدين الأصبهانى، نائب الروم، و جماعه کثيره من التر کمان، و أثبتوا دينا على طرنطاى ففدى نفسه بمائتى فرس، و أربع مائه ألف درهم، و على أن يقيم بألف من المغل فى زمن الشتاء، و صانع جماعه من أمراء المغل حتى أبقوا عليه نفسه، ثم خرج البرواناه إلى البلاد فطافها بعسکره، و قتل من وجد فى ضواحيها من المفسدين.

و لما اتصل خبر شرف الدين ابن الخطير بأخيه ضياء الدين و هو

بالقاهره، دخل على الملک الظاهر فی ثوب غیار، فسأله عن سبب ذلک فذکر له أن أخاه قتل، و کان سبب قتله أنه شهد علیه بمتابعه السلطان و منابذه أبغا: سیف الدین طرنطای، و مجد الدین الأتابک، و جلال الدین المستوفی و أصحابهم، و أمر الملک الظاهر بالقبض علی سنان الدین موسی بن طرنطای و نظام الدین یوسف أخی مجد الدین الأتابک، و الحاجی جلال الدین المستوفی، و حبسهم فی برج من قلعه الجبل، و حبس أتباعهم فی خزانه البنود، و ذلک یوم الثلاثاء سابع عشر جمادی الأولی، و لم یزالوا محبوسین إلی شهر ربیع الآخر سنه سبع و سبعین، فافرج عنهم الملک السعید.

[واقعه بین أمیری مکه و المدینه:]

و فی تاسع ربیع الآخر کانت وقعه بین نجم الدین أبی نمی أمیر مکه، و بین عز الدین جماز أمیر المدینه، علی ساکنها أفضل الصلاه و السلام، و سببها أن ادریس بن حسن بن قتاده صاحب الینبع اتفق هو و جماز و قصدا أبا نمی، فخرج إلیهما و التقی بهما علی مر الظهران، فکسرهما و اسر ادریس و هرب جماز، فالتحق بالمدینه، و کان مع أبی نمی مائتا فارس و ثمانون راجلا، و مع ادریس و جماز مائتان و خمس عشره فارسا و ست مائه راجل.

ذکر عرس الملک السعید:

لما عاد الملک الظاهر من الشام و دخل القاهره یوم الاثنین ثالث ربیع الآخر أمر بالاهتمام بعرس ولده، فلما کان یوم الخمیس خامس جمادی الأولی أمر العسکر بالرکوب إلی المیدان الأسود تحت القلعه، فی أحسن زی، و أقاموا یرکبون کل یوم کذلک، و یتراکضون فی المیدان خمسه أیام، و فی الیوم السادس أفرق الجیش فرقتان، و حملت کل فرقه علی الأخری، و جری من اللعب و الزینه ما لا یوصف، و فی الیوم السابع خلع الملک الظاهر علی سائر الأمراء، و الوزراء، و القضاه و الکتاب و خواص الحاشیه مقدار ألف و ثلاثمائه خلعه، و بعث إلی دمشق الخلع ففرقت کذلک، ثم فی

اليوم الذى يلى ذلک، و هو يوم الخميس مد الخوان فى الميدان المذكور فى أربعه دهاليز، و حضر السماط من علا و من دنا، و رسل التتر، و رسل الفرنج، و عليهم الخلع أيضا، و جلس السلطان يومئذ فى صدر الخيمه على تخت أبنوس و عاج مصفح بالذهب مسمر بالفضه غرم عليه ألف دينار، و لما انقضى السماط قدم الأمراء الهدايا، و التحف من الخيل و السلاح و المتاع، و سائر الملابس، و غير ذلک، فلم يقبل السلطان لأحد منهم ماله قيمه سوى ثوب واحد جبرا له، فلما كان وقت العصر ركب إلى القلعه و أخذ فى تجهيز ما يليق بالزفاف، و الدخول، و لم يمكن أحد من نساء الأمراء على الاطلاق من الدخول إلى البيوت، و دخل الملک السعيد الحمام ثم دخل إلى بيته الذى هيى ء لدخوله فيه بأهله، و حملت الجاريه إليه، فدخل عليها، و لما بلغ الملک المنصور صاحب حماه ذلک توجه إلى القاهره مهنئا، و معه هديه سنيه، فوصل القاهره فى ثامن عشر جمادى الآخره، فركب الملک السعيد لتلقيه، و نزل فى الكبش و أقام مده يسيره بحيث ما استراح ثم عاد إلى بلده.

ذكر توجه الملک الظاهر إلى الروم

خرج من قلعه الجبل بالقاهره يوم الخميس العشرين من شهر رمضان، بعد أن رتب الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى نائبا عنه فى خدمه الملک السعيد، و ترک معه من العسكر بالديار المصريه لحفظ البلاد خمسه آلاف فارس، و رحل من المنزله يوم السبت ثانى و عشرين الشهر، و سار إلى دمشق فدخلها يوم الأربعاء سابع عشر شوال، و خرج منها متوجها إلى حلب يوم السبت العشرين منه، و دخل حلب يوم الأربعاء مستهل ذى القعده، و خرج منها يوم الخميس إلى حيلان، فترک بها بعض الثقل، و تقدم إلى الأمير سيف الدين على بن مجلى النائب بحلب أن يتوجه إلى الساجور، و يقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب لحفظ معابر الفرات لئلا يعبر منها أحد من التتر قاصدا الشام، و وصل

إلى نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، فبلغ نواب التتر بالعراق نزولهم على الفرات، فجهزوا إليهم جماعه من عرب خفاجه لكبسهم، فحشدوا و توجهوا نحوهم، فاتصل بالأمير نور الدين الخبر، فركب إليهم و التقى بهم فكسرهم و أخذ منهم ألفا و مائتى جمل.

و ركب الملک الظاهر من حيلان يوم الجمعه ثالث عشر إلى عين تاب ثم إلى دلوک، ثم إلى مرج الديباج، ثم إلى كينوک ثم إلى صو، و معناه النهر الأزرق، ثم رحل عنه إلى أنحاء دربند، فوصله يوم الثلاثاء من ذى القعده قطعه فى نصف النهار، فلما خرجت عساكره و ملكت المغاور قدم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر على جماعه من العسكر، و أمره بالمسير بين يديه، فوقع على كتيبه من التتر عدتهم ثلاثه آلاف فارس، مقدمهم كراى، فهزمهم و أسر منهم طائفه، و ذلک يوم الخميس تاسع الشهر، ثم وردت الأخبار على الملک الظاهر بأن عسكر المغل و الروم مع تتاوون، و البروناه على نهر جيحان، فلما صعد العسكر الجبال المشرفه على صحراء ألبلستين فشاهد التتر قد رتبوا عساكرهم أحد عشر طلبا، فى كل طلب ألف فارس، و عزلوا عسكر الكرج طلبا واحدا، فلما رأى الجمعان حملت ميسره التتر حمله واحده فصدفوا سنجقه الملک الظاهر، و دخلت منهم طائفه بينهم و شقوها، و ساقت إلى الميمنه، فلما رآهم الملک الظاهر ردفهم بنفسه، ثم لاحت منه التفاته، فرأى الميسره قد أنحت عليها ميمنه التتر، فكادت أن تثقل، فأمر جماعه من حماه أصحابه بإردافها، ثم حمل، فحملت العساكر برمتها حمله واحده، فترجل التتر عن خيولهم، و قاتلوا أشد قتال، فلم يغن عنهم شيئا، و أنزل الله بأسه بهم، فقتلوا وفر من نجا منهم، فاعتصموا بالجبال، فقصدوا و أحاطت بهم العساكر، فترجلوا عن خيولهم، و قاتلوا و قتلوا حينئذ ممن قاتلهم الأمير ضياء الدين بن الخطير، و استشهد الأمير سيف الدين قيران العلائى، و الأمير عز الدين أخو المجدى، و سيف الدين قلعق الجاشنكير، و عز الدين أيبک

الشقيقى- رحمهم الله تعالى- و أسر من كبراء الروميين: مهذب الدين ابن معين الدين البرواناه، و ابن بنت معين الدين، و الأمير تقى الدين جبريل بن جاجا، و الأمير قطب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابک، و الأمير سراج الدين اسماعيل بن جاجا، و الأمير سيف الدين سنقرجا الزوباشى، و الأمير نصره الدين بهمن أخو تاج الدين كيوى صاحب سيواس، و الأمير كمال الدين اسماعيل عارض الجيش، و الأمير حسام الدين كاول، و الأمير سيف الدين الجاويش، و الأمير شهاب الدين غازى ابن على شير التركمانى، و من مقدمى التتر على الألف و المئين: زيرک صهر أبغا، و سرطق، و جيرلد، و سركده، و تماديه.

و لما أسر من أسر و قتل من قتل نجا البرواناه، فدخل قيصريه سحر يوم الأحد ثانى عشر ذى الحجه، و اجتمع بالسلطان غياث الدين، و الصاحب فخر الدين، و الأتابک مجد الدين، و الأمير جلال الدين المستوفى، و الأمير بدر الدين ميكائيل النائب، فأخبرهم بالكسره، و أوحى إليهم أن المغل المنهزمين متى دخلوا قيصريه فتكوا بمن فيها حنقا على المسلمين، و أشار عليهم بالخروج منها، فخرج السلطان غياث الدين بأهله و ماله إلى الدوقات، و بينها و بين قيصريه مسيره أربعه أيام.

و نظم الشعراء فى هذه الواقعه عده قصائد، فممن قال فى ذلک المولى شهاب الدين محمود كاتب الدرج بالشام:

كذا فلتكن فى الله عز العزائم و إلا فلا تجفوا الجفون الصوارم

عزائم حازتها الرياح فأصبحت مخلفه تبكى عليها الغمائم

سرت من حمى مصر إلى الروم فاحتوت عليه سورات الظبا و اللهاذم

بجيش تظل الأرض منه كأنهاعلى سعه الأرجاء فى الضيق خاتم

كتائب كالبحر الخضم جيادهاإذا ما تهادت موجه المتلاطم

تحيط بمنصور اللواء مظفرله النصر و التأييد عبد و خادم

مليک يلوذ الدين من عزماته بركن له الفتح المبين دعائم

ص: 1194

مليک لأبکار الأقاليم نحوه حنين کذا تهوی الکرام الکرائم

فلو قطبت طوعا و کرها جياده معاقل قرطاها السها و النعائم

مليک له بالدين فی کل ساعهبشائر و للکفار منها مآتم

حلا حين اقدی الکفر منه إلی الهدی ثغورا بکی الشيطان و هی بواسم

إذا رام شيئا لم يعقه لبعدهاو شقتها عنه الأکام الطواسم

فلو نازع النسرين أنزلنا له و ذا واقع عجزا و ذا بعد حائم

و لما رمی الروم المنيع بخيله و من دونه سد من الصخر عاصم

يروم عقاب الجو قطع عقابه إليه فلا تقوی عليها القوادم

غدا و هو من وقع السنابک دائرتطاه فتستوطی ثراه المناسم

و لما امتطت أعلاه أعلام جيشه و قد لاح فيها للفلاح علائم

تراءت عيون الکافرين خلالهابروق سيوف صوبهن الجماجم

فلم يثن عنها الطرف خوفا و حيرهو مالت علی کره إليها الغلاصم

و أبرزت الأرض الکمين و قد علت عليه طيور للحمام حوائم

فأهوی إليهم کل أجرد طائرتطير به نحو الهياج القوائم

يخوض الوغی لم تثنه اللجم راقصادلالا و يغدو و هو فی الدم عائم

و سالت عليهم أرضهم بمواکب لها النصر طوع و الزمان مسالم

أدارت بهم سورا منيعا مشرفابسمر العوالی ما له الدهر هادم

من الترک أما فی المعروف فإنهم شموس و أما فی الوغی فضراغم

غدا ظاهرا بالظاهر النصر فيهم تبيد الليالى و العدى و هو دائم
فأهووا إلى لثم الأسنه فى الوغى كأنهم العشاق و هى المناسم
و صافحت البيض الصفاح رقابهم و عانقت السمر القدود النواعم
فكم حاكم منهم على ألف دارع غدا حاسرا و الرمح فى فيه حاكم
و كم ملک منهم رأى و هو موثق خزائن ما تحويه و هى غنائم
توسوست السمر الدقاق فأصبحت لها من رؤوس الدارعين تمائم

فيا ملک الإسلام يا من بنصره علی الکفر أيام الزمان مواسم

بهن بفتح سار فی الأرض ذکره سری الغيث تحدوه الصبا و النعائم

بذلت له فی الله نفسا نفيسهفوافاک لا يثنيه عنک اللوائم

و لما هزمت القوم ألقت زمامهاإليک الحصون العاصيات العواصم

ممالک حاطتها الرماح فکم سرت علی رجل فيها الرياح النواسم

تبيت ملوک الأرض و هی مناهم و ليس بها منهم مع الشوق حالم

و لولاک ما أومی إلی برق ثغرهالعزه مثواه من الشام شائم

أقمت لها بالخيل سورا کأنهاأساور أضحت و هی فيها معاصم

فلا زلت منصور اللواء مؤيداعلی الکفر ما ناحت و أبکت حمائم

و حضر بعد الوقعه الأمير سيف الدين جالس بن إسحاق، و الأمير ظهير الدين متوج، و شرف الملک الأمير نظام الدين بن شرف بن الخطير، و ولد الأمير ضياء الدين، و أخوه الأمير سيف الدين بلبان المعروف بکجکنا، و الأمير سيف الدين شاهنشاه، و الأمير مظفر الدين حجافی، و الأمير نصره الدين جالش عارض ملطيه.

ثم جرد الملک الظاهر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فی جماعه لإدراک من فات من المغل و التوجه إلی قيصريه، و کتب معه کتابا بتأمين أهلها و إخراج الأسواق و التعامل بالدراهم الظاهريه، ثم رحل بکره السبت حادی عشر ذی القعده قاصدا قيصريه، فمر فی طريقه بقريه أهل الکهف، ثم علی قلعه سمندو، فنزل إليه واليها مذعنا لطاعته، ثم علی قلعه درندا و قلعه ذالوا، فولفعل متيها کذلک، و نزل ليله الأربعاء خامس عشر الشهر بقريه قريبه من قيصريه، فلما بات بها و أصبح رتب عساکره، و خرج أهل قيصريه بجملتهم مستبشرين بلقائه، و کانوا عدوا لنزوله الخيام بوطأه تعرف بکيخسرو، فلما قرب منها ترجل وجوه الناس علی طبقاتهم، و مشوا بين يديه إلی أن وصلها.

فلما كان يوم الجمعه سابع عشر الشهر ركب لصلاه الجمعه، فدخل قيصريه، و نزل دار السلطنه، و جلس على التخت، و حضر بين يديه القضاه و الفقهاء و الصوفيه و القراء، و جلسوا فى مراتبهم على عاده ملوک السلجوقيه، فأقبل عليهم و مد لهم سماطا فأكلوا و انصرفوا، ثم حضر الجمعه بالجامع، و خطب له، و حضر بين يديه الدراهم التى ضربت باسمه، و حمل إليه ما كان لزوجه البرواناه كرجى خاتون تركيه، من الأموال التى لم تستطع استصحابها حين خروجها، و ما خلفه سواها ممن نزح معها، و بعث إليه البرواناه ليهنئه بالجلوس على التخت، فكتب إليه يأمره بالوفود عليه ليوليه مكانه، فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسه عشر يوما، و كان مراده أن يصل إلى أبغا و يحثه المسير ليدرک الملک الظاهر بالبلاد، فاجتمع تتارون بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر، و عرفه مكر البرواناه فى ذلک، فكان ذلک سببا لرحيل الملک الظاهر عن قيصريه، مع ما انضاف إلى ذلک من قله العساكر، فرحل يوم الاثنين، و كان يومئذ على اليزک علاء الدين أيبک الشيخى و كان قد ضربه الملک الظاهر بسبب سبقه الناس، فتسحب يومئذ إلى التتر و كان أولاد قرمان قد رهنوا أخاهم الصغير على بک بقيصريه، فخرج إلى الملک الظاهر فأنعم عليه و سأله تواقيع و سناجق له و لإخوته، فأعطاه فتوجه نحو إخوته و كانوا مقيمين بجبل لارندا إلى أرمناک إلى السواحل، و نزل الملک الظاهر بقيرلو، فورد عليه رسول من جهه البرواناه، و معه رجل يسمى ظهير الدين الترجمان يستوقف السلطان عن الحركه، و ما كانوا يعلمون أين يريد، و كان الخبر شائعا أن الحركه إلى سيواس. فكان جواب السلطان عن الرساله أن معين الدين و ما كانت تأتينى كتبهم شرطوا شروطا لم يفوا بها، و قد عرفت الروم و طرقه، و ما كان جلوسنا على التخت رغبه فيه إلا لنعلمكم أنه لا عائق لنا عن شى ء نريده بحول الله و قوته، و يكفينا أخذنا أمه و ابنه و ابن ابنته، ثم رحل و نزل خان كيقباذ، و بعث الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى فى عسكر إلى الرمانه فحرقها

و قتل من بها من الأرمن، و سبى حريمهم لأنهم كانوا أخفوا جماعه من المغل لما اجتاز السلطان عليهم، ثم رحل و أعمل السير فى جبال و أوديه، و خوض أنهار حتى نزول ليله السبت السادس و العشرين منه عند قرا حصار قريبا من بازار، و هو السوق الذى يجتمع إليه الناس من سائر الأقطار، ثم رحل يوم السبت فعبر بالمعركه، فرأى القتلى فسأل عن عدتهم فأخبر أن المغل خاصه سته آلاف و سبع مائه و سبعون نفسا، فلما بلغ إلى دربند بعث الخزائن و الدهليز و السناجق صحبه الأمير بدر الدين الخزندار ليعبر بها الدربند، و أقام فى ساقه العسكر بقيه اليوم و يوم الأحد، و رحل يوم الاثنين فدخل الدربند، و أقام فى ساقه العسكر بقيه اليوم، و لما خلص منه عبر النهر الأزرق، ثم رحل فنزل قريبا من كينوک، ثم رحل و أعمل السير حتى نزل يوم الثلاثاء سادس ذى الحجه قريبا من حارم فوردت عليه قصاد الأمير شمس الدين محمد بن قرمان، و لما نزل حارم ركب و ارتاد منزله يرتضيها و عيد هناک، و وافاه جماعه من أمراء التركمان المقيمين بالروم، و معهم خلق كثير، فخلع عليهم و رحل إلى دمشق، فوصلها فى سابع المحرم سنه سبع و سبعين.

ذكر ما اعتمد عليه الأمير شمس الدين محمد بک بن قرمان

قد ذكرنا أنه انحاز معه إلى السواحل منابذا لما خلع شرف الدين بن الخطير طاعه التتر، فلما بلغه كسره الملک الظاهر للمغل فى عاشر ذى القعده حشد و جمع و قصد أقصرا، فلم ينل منها طائلا، فرحل عنها و قصد قونيه فى ثلاثه آلاف فارس و نازلها، فغلق أهلها أبوابها فى وجهه، فرفع على رأسه سناجق الملک الظاهر التى سيرها مع أخيه على بک من قيصريه، و بعث إليهم يعرفهم أن الملک الظاهر كسر التتر، و دخل قيصريه و ملكها، و خطب له فيها، و ضربت الدراهم باسمه و أنه من قبله، فلم يركنوا إلى قوله، فأحرق باب الفاخرانى، و باب سوق الخيل، و دخل قونيه يوم عرفه الظهر و هو يوم الخميس، و كان النائب

بها أمين الدين ميخايل، فقصد من معه داره و دار غيره من الأمراء و الأسواق و الخانات، فنهبوها ثم أنهم ظفروا بأمين الدين، فأخرجوه ظاهر البلد و عذبوه إلى أن استأصلوا ماله، ثم قتلوه و علقوا رأسه داخل البلد، و لما لم يسلم أهل البلد القلعه رتب أن يلقى رجلا شابا عنوه فى الطريق، فإذا رآه رمى نفسه عليه و قبل رجليه، فإذا قال له الشاب: من أين تعرفنى؟ يقول له: ما أنت علاء الدين كيخسرو بن السلطان عز الدين كيقباذ، أنسيت تربيتى و حملى لک على كتفى، و ليكن ذلک بمشهد من القلعه؟ فلما فعل ذلک ازدحم العامه عليهما، و إذا الجماعه من التركمان كانوا رتب معهم أنهم إذا رأوا العامه قد أحدقوا به يأخذونه من بين أيديهم و يحملونه إلى شمس الدين، فلما فعلوا ذلک أقبل عليه و ضمه إليه و عقد له لواء السلطنه، و حمل السناجق على رأسه، و ذلک فى رابع عشر ذى الحجه.

فحملت أهل قونيه المحبه فى آل سلجوق على المتابعه، ثم نازلوا القلعه فامتنع من فيها من تسليمها، فحاصروها حتى تقرر بينهم الصلح على تسليمها، و يعطى من فيها سبعون ألف درهم فدخلوها و أجلسوا علاء الدين على التخت.

ثم بلغ شمس الدين بن قرمان و التركمان أن تاج الدين محمد و نصره الدين محمود ابنى الصاحب فخر الدين خواجا على أن قد حشدا و قصداهم فساروا إليهما و علاء الدين معه فالتقى بهما على آق شهر فكسرهما و قتلهما، و قتل خواجا سعد الدين يونس ابن المستوفى صاحب أنطاكيه، و هو خال البرواناه، و قتلوا جلال الدين خسرو بک بن شمس الدين بوتاش بكلاربكى، و أخذوا رؤوسهم و عادوا إلى قونيه فى آخر ذى الحجه، و استمروا بها إلى أن دخلت سنه سبع و سبعين، فبلغهم أن أبغا وصل إلى مكان الوقعه، فرحلوا عن قونيه و طلبوا الجبال، و كان مقامهم بقونيه سبعه و ثلاثون يوما.

ذكر قصد أبغا الروم لأخذ الثأر

كان البرواناه لما رأى الدائره على التتر كتب إلى أبغا يعرفه و يستحثه على المبادره ليدرک البلاد قبل أن يستولى عليها الملک الظاهر، ثم كان من دخوله قيصريه و خروجه إلى دوقات ما ذكرناه، فلما قضى غرضه من حفظ ما كان معه من الذخائر و الأموال، و ترتيب أمر السلطنه، بلغه توجه أبغا طالبا بلاد الشام، فخرج إليه فوافاه فى الطريق، و سار معه بمن بقى من العساكر إلى أن وصل ألبلستين، فلما شارف المعركه و رأى القتلى بكى ثم قصد منزله الملک الظاهر فقاسها بعصا الدبوس فعلم عده من كان فيها من العساكر.

فأنكر على البرواناه كونه لم يعرفه بجليه أمرهم، فأنكر أن يكون عنده علم منهم، و أنه ما أحس بهم إلا عند دخولهم، فلم يقبل منه هذا العذر، و حنق عليه، و قال بحق ما قالوا: إن لک باطنا مع صاحب مصر، ثم بعث إلى عسكره إلى الشام، و كان عز الدين أيبک السنجى قد عاد فى خدمته فقال: أرنى مكان الميمنه و القلب و الميسره فأوقف له فى كل منزله رمحا، فلما رأى بعد ما بين الرماح قال: ما هذا عسكر يكفيهم هذه الثلاثين ألف الذين جاؤوا معى، ثم سير إلى العسكر الذى توجه إلى كينوک و طلبه، ثم بلغه أن الملک الظاهر بالشام مهتم بلقائه، و كان قد نفق أكثر خيل أبغا و خيل عسكره، فرأى من نفسه الضعف فرد إلى قيصريه، و سأل أهلها: هل كان مع صاحب مصر جمال؟ فقالوا: لم يكن معه إلا خيل و بغال، فقال: هل نهب منكم شيئا؟ قالوا: لا، فقال: كم لهم عندكم يوم؟ فقالوا: خمسه و عشرون يوما، فقال: هم الآن عند جمالهم و أموالهم.

ثم عزم على قتل من فى قيصريه من المسلمين، فاجتمع إليه القضاه و الفقهاء و قالوا: هؤلاء رعيه لا طاقه لهم بدفع عسكرهم، من الزمان فى طاعه من ملكهم، فلم يقبل و أمر بقتل جماعه من أهل البلد و قاضى

القضاه جلال الدين، و أمر عسكره فانبسط فى البلد، و قتل عالما عظيما من الرعيه ما ينيف على مائتى ألف، و قيل خمس مائه ألف من فلاح، إلى عامى، إلى جندى من قيصريه إلى أرزن الروم و ما بينهما.

و فى أوائل هذه السنه تقدم فخر الدين طغاى البحرى على جماعه من الغياره و كبس دنيسر، و نهب من بها، و قتل نحوا من ثلاثين نفرا و أسر جماعه من النصارى، و فى رجوعه حصل بين مقدمى العسكر مشاجره على المكاسب، و لم يظهر سوى القليل، و غضب صاحب ماردين لكونه حصلت الغاره على بلده.

و فى يوم الخميس حادى عشر شوال انتهت الكسوه برسم الكعبه الشريفه، و طيف بالمحمل بالقاهره، فتوجه بها الطواشى محسن مشد الخزانه أمير الركب.

و فى سابع عشر شوال وجد إلى جانب دير البغل ظاهر مصر مكان فيه آثار محاريب المسلمين فوقف عليه العدول و المهندسون، و أثبتوا أنه كان مسجدا و شرع فى عمارته ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى ...

محمد بن أيبک بن عبد الله ناصر الدين بن الاسكندرى

، كان ممن جمع حسن الصوره، و حسن الأوصاف و وفور العقل و الرئاسه و الحشمه و مكارم الأخلاق و حسن العشره، و لما توفى والده- رحمهما الله تعالى- فى السنه الخاليه على ما تقدم فى شهر رمضان أراد غلمانه أن يجزوا شعورهم، و يهلبوا أذيال الخيول على ما جرت به العاده، فمنع من ذلک و قال: والدى عليه ديون، و لا نأمن أن يخرج عليه ديوان الجيش تفاوتا فإذا فعلنا ذلک نقصت قيمه المماليک و الخيول، ثم إن هذا فساد لا معنى له و لا يجوز فعله، ثم تقدم إلى الطباخ أن يذبح و يطبخ على العاده، فلامه بعض الجماعه و قبحوا فعله، فقال: هذا شهر رمضان

و عندنا جماعه كثيره من غلمان و غيرهم، فإذا لم يطبخ بقوا بلا عشاء، قيل: له الناس يحملون، قال: الذى كان يحمل من أجله مات، فلما اذن المغرب عمل السكر و الليمون على العاده و أسقى الناس على ما كان يعمل والده، و مد السماط فأكل جميع الغلمان و الحاشيه و غيرهم، و شكره من كان لامه لأن أحدا لم يحمل شيئا، ثم إنه باع موجود والده و وفى جميع أرباب الديون مالهم، و من ادعى بشى ء و لم يكن له بينه و استحلفه و أعطاه، و سافر و جميع من بالرحبه داعون له، فلما وصل دمشق أقام بها و جمع أطرافه، و تاب عن أمور كان يعانيها، و لازم الصلاه و الصوم فى كثير من الأيام، فلما كان يوم الخميس ركب للصيد و هو صائم و خرج إلى أراضى الحرجله، فمر بحصانه على جسر حجر على نهر قد غمر فنزل و نزل به الحصان فى النهر، و خرج الحصان سباحه فساق مملوكه إلى البلد و رمى الصوت، فركب نائب السلطنه بنفسه و أخذ معه من يسبح و وقفوا على المكان الذى غرق فيه و دوروا ما جاوره فلم يجدوا له أثرا، و بقوا على ذلک يومين ثم وجدوه على بعد من ذلک المكان، و قد علق فرده مهمازه بسياجه، فاستخرجوه غريقا و غسلوه و دفنوه بسفح جبل قاسيون، و تأسف الناس عليه لشبابه و موته على هذه الصوره.

مرخسيا النصرانى

، لعنه الله، كان أثيرا عند أبغا ملک التتار، و له عليه داله كبيره، و هو متمكن منه، فكان يحمله على المسلمين بما يسى ء بهم عنده، و يرغبه بهم، و يرغبه فى الإيقاع بهم، حتى ضاقوا به ذرعا، خصوصا أهل الروم، و معين الدين البرواناه، فلما قوى جأش معين الدين كتب إلى قطب الدين محمود أخى أتابک ختن البرواناه، و كان نائبا عن أخيه بأرزنجان، يأمره بقتل مرخسيا القسيس فقتله و ولده، و سبعه من أهله، و اثنين و ثلاثين نفرا من حاشيته، و كان هذا مرخسيا كثير العصبيه على المسلمين، عضدا لأهل ملته، محرضا لملوک النصرانيه المتاخمين لبلاد الروم، و المجاورين لها على موافقه التتر فى قصد بلاد

المسلمين، و اجتماع الكلمه عليهم، فتقدم البرواناه بقتله مخاطرا، فقتل فى الخامس و العشرين من شهر رمضان المعظم (675 ه) و كان قتله حسنه للبرواناه، و فعله جميله.

نوفل الزبيدى الملقب ناصر الدين

، أحد أمراء العرب المشهورين بالشام، و هو الذى أخذ الملک الناصر صلاح الدين يوسف- رحمه الله تعالى- يوم المصاف مع المصريين فى سنه ثمان و أربعين و ستمائه، و نجا به إلى دمشق فعرف له ذلک، و كان يتولى التحجب للعرب، و لم يزل وجيها فى الدول، و له حرمه و مكانه إلى حين وفاته، و صلى عليه يوم السبت ثالث عشرين شعبان، و قد نيف على ستين سنه- رحمه الله تعالى ...

[أحداث]لأمير عز الدين إيغان الركنى المعروف بسم الموت

، كان من أعيان الأمراء و أكابرهم و مقدميهم و شجعانهم، و له المكانه العظيمه و الحرمه الوافره و الكلمه النافذه فى الدوله الظاهريه، يندبه فى المهمات و يعتمد عليه من تقدمه العساكر و قود الجيوش إلى أن نقم عليه، فحبسه مضيقا عليه، و بقى فى السجن مده إلى أن أدركته منيته فى محبسه بقلعه الجبل ظاهر القاهره، فتوفى إلى رحمه الله تعالى، و سلم إلى أهله ميتا يوم الخميس ثامن عشر جمادى الآخره، فغسل و كفن و صلى عليه، و دفن من يومه بمقابر باب النصر ظاهر القاهره، و هو فى عشر الخمسين، و كان من أبطال المسلمين و مشاهير فرسانهم- رحمه الله تعالى ...

محمد بن أبى الحسن بن البعلبكى

، ليث الدوله مقدم بعلبک، كان رجلا شجاعا مقداما خبيرا بالحروب و تقدمه الرجال صبورا فيها، صادق اللهجه كثير الصوم، كان صومه أكثر من فطره، عنده ديانه و تعبد و تشيع، توفى ببعلبک ليله الأربعاء مستهل صفر، و دفن يوم الأربعاء ظاهر باب حمص من مدينه بعلبک، و هو فى عشر الثمانين- رحمه الله- و كان أمير عشرين فارسا، و إذا حضر فى حرب ترجل

و قاتل راجلا، لم يكن فى وقته من يضاهيه فى الرجله، و الشجاعه، و كرم الطباع، و قوه النفس و الصبر على المكاره.

[أحداث]لسنه السادسه و السبعون و ست مائه

اشاره

دخلت هذه السنه يوم الجمعه و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه خلا صاحب تونس فإنه توفى، و قد ذكرناه، و ولى بعده ولده أبو زكريا يحيى.

متجددات الأحوال

[دخول السلطان بيبرس إلى دمشق:]

فى يوم الخميس سابع المحرم دخل الملک الظاهر دمشق بعساكره، و نزل بالجوسق المعروف بالقصر الأبلق جوار الميدان الأخضر، و تواترت عليه الأخبار بوصول أبغا إلى مكان الوقعه فجمع الأمراء، و ضرب مشوره فوقع الاتفاق على الخروج من دمشق بالعساكر و بلقائه حيث كان، فتقدم بضرب الدهليز على القصير، و أثناء هذا العزم وصل رجل من التركمان و أخبر أن أبغا عاد إلى بلاده هاربا خائفا، ثم وصل الأمير سابق الدين بيسرى أمير مجلس الملک الناصر، و أخبر بمثل ذلک فتقدم الملک الظاهر برد الدهليز.

[وفاه الملک الظاهر:]

و فى يوم الجمعه منتصف شهر المحرم ابتدأ المرض بالملک الظاهر، و توفى و سنذكره- إن شاء الله تعالى.

و فى سادس عشر صفر وصل إلى القاهره رسول من جهه ألفنش من بلاد المغرب إلى الملک الظاهر، و معه تقدمه من بلاد المغرب حسنه و شق بها القاهره.

[عوده الجيوش إلى مصر و تحليف العساكر للملک السعيد بركه:]

و فى يوم الخميس سادس عشر منه وصل إلى القاهره جميع العساكر من الشام، و مقدمهم الأمير بدر الدين الخزندار، و هم يخفون موت الملک الظاهر فى الصوره الظاهره، و فى صدر الموكب مكان يسير

السلطان تحت العصائب محفه وراءها السلحداريه و الجمداريه و غيرهم من أرباب وظائف الخدمه على العاده توهم أن السلطان بها مريض، فلما وصلوا قلعه الجبل ترجل الأمراء و العسكر بين يدى المحفه كما جرت العاده، و كانوا يعتمدون ذلک فى طريقهم من حين خروجهم من دمشق، و صعدوا بالمحفه إلى القلعه من باب السر، و عند دخولها اجتمع الأمير بدر الدين الخزندار بالملک السعيد، و كان لم يركب لتلقيهم، و قبل الأرض، و رمى عمامته و صرخ و قام العزاء فى جميع القلعه، و لوقتهم جمع الأمراء و المقدمين و الجند، و حلفوهم بالإيوان المجاور بجامع القلعه للملک السعيد ناصر الدين أبى المعالى محمد بركه خان و استتب له الأمر على هذه الصوره.

و فى يوم الجمعه التاليه لذلک، خطب فى جميع الجوامع بالديار المصريه للملک السعيد، و صلى على والده صلاه الغائب.

و فى ليله الأحد سادس ربيع الأول توفى الأمير بدر الدين بيليک الخزندار- رحمه الله، و سنذكره، إن شاء الله تعالى- و باشر نيابه السلطنه عوضه الأمير آق سنقر الفارقانى.

و فى يوم الثلاثاء ثامنه كسر الخليج الكبير بالقاهره، و قد غلق ماء السلطان على العاده و هو سته عشر ذراعا بالقاسمى.

و فى يوم الأربعاء سادس عشره ركب الملک السعيد بالعصائب على عاده والده، و سار إلى تحت الجبل الأحمر، و هو أول ركوبه بعد قدوم العساكر و تحليفهم، و لم يشق المدينه، و بين يديه الأمراء و المقدمون و الأعيان بالخلع و سر الناس به سرورا كثيرا، و عمره يومئذ تسع عشره سنه فإن مولده سنه سبع و خمسين و ست مائه ببلبيس.

و فى يوم الجمعه خامس و عشرين منه قبض الملک السعيد على الأمير شمس الدين سنقر و بدر الدين بيسرى، و حبسا بقلعه الجبل.

و فی یوم الخمیس سادس عشر ربیع الآخر وصل رسل أولاد برکه و أنزلوا بمیدان اللوق، و کان قدومهم من الاسکندریه، فإنهم جعلوا طریقهم البحر من مقر ملکهم و هو بر القفجاق.

و فی یوم السبت ثامن عشره قبض الملک السعید علی الأمیر شمس الدین آق سنقر الفارقانی، و معه جماعه من الأمراء، و حبسوا بقلعه الجبل، و رتب عوضه فی نیابه السلطنه الأمیر شمس الدین سنقر الألفی الصغیر.

و فی یوم الأحد تاسع عشره أفرج الملک السعید عن الأمیر شمس الدین سنقر الأشقر، و بدر الدین بیسری، و خلع علیهما، و أعادهما إلی مکانتهما من الدوله.

و فی یوم السبت ثانی جمادی الأولی انتهت زیاده النیل إلی ثمان أصابع من الذراع التاسع عشر.

و فی یوم الاثنین رابعه فتحت المدرسه التی أنشأها الأمیر شمس الدین آق سنقر الفارقانی بالقاهره بحاره الوزیریه علی مذهب أبی حنیفه- رحمه الله علیه، و علی شیخ یسمع الحدیث، و ذکر الدرس بها فی ذلک النهار.

و فی یوم الثلاثاء خامسه عقد بقلعه الجبل بجامعها عقد الأمیر المستمسک بالله أبی المعالی محمد بن الإمام الحاکم بأمر الله أبی العباس أحمد أمیر المؤمنین علی ابنه الخلیفه المنتصر بالله أبی العباس أحمد بن الإمام الظاهر ابن الإمام الناصر، و حضر والده و الملک السعید و القضاه و وجوه المملکه و أعیان الدوله.

و فی یوم الجمعه رابع عشر جمادی الآخره، قبض الملک السعید علی خاله بدر الدین محمد بن حسام الدین برکه خان، و حبسه بقلعه الجبل لأمر نقمه علیه.

و فى ليله الثلاثاء خامس و عشرين منه أفرج عنه و خلع عليه و أعاده إلى منزلته المعروفه.

[نقل تابوت الملک الظاهر من قلعه دمشق إلى تربته:]

و فى ليله الجمعه خامس شهر رجب نقل تابوت الملک الظاهر من قلعه دمشق إلى التربه التى أنشأها ولده الملک السعيد بدمشق داخل باب الفرج قباله المدرسه العادليه الكبيره، و هى دار الشريف العقيقى كانت انتقلت إلى ملک الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب الأتابک- رحمه الله- فاشتريت من ورثته و هدمت و بنى موضع بابها قبه الدفن لها شبابيک إلى الطريق، و إلى داخل المدرسه و جعل بقيه الدار مدرسه على فريقين: شافعيه، و حنفيه، و كان دفنه بها فى النصف من الليل، و لم يحضره سوى الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب السلطنه بدمشق، و من الخواص دون العشره.

و فى يوم الخميس سادس عشر رمضان طيف بكسوه الكعبه الشريفه بالقاهره و مصر و أمامها القضاه و الولاه و غيرهم.

و فى هذا الشهر طلعت سحابه عظيمه بصفد لمع منها برق عظيم خارق للعاده، و سطع منها لسان كالنار و سمع صوت رعدها على مناره جامعها صاعقه شقها من رأسها إلى أسفلها شقا تدخل فيه الكف.

و فى يوم السبت سابع ذى القعده برز الملک السعيد بالعسكر إلى مسجد التبر ظاهر القاهره.

و فى يوم السبت حادى و عشرين منه انتقل بخواصه إلى الميدان الذى أنشأه بين مصر و القاهره، و دخلت العساكر إلى منازلهم و بطلت الحركه.

و فى يوم الأربعاء ثامن عشره رفعت يد القاضى محيى الدين عبد الله ابن قاضى القضاه شرف الدين محمد، عرف بابن عين الدوله عن الحكم و القضاء بمدينه مصر و الوجه القبلى، و باشر ذلک القاضى تقى الدين محمد بن زين الدين مضافا إلى القاهره و الوجه البحرى.

و فى ذى الحجه كتب تقليد قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان- رحمه الله- من الملک السعيد- رحمه الله- بقضاء دمشق و أعمالها من العريش إلى سلميه على ما كان عليه، ثم حضر عند السلطان الملک السعيد لابسا الخلعه و قبل يده و شافهه الملک السعيد بالولايه، و خرج فى سابع و عشرين ذى الحجه متوجها إلى الشام المحروس ..

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى ...

[أحداث]قوش بن عبد الله

، الأمير جمال الدين المحمدى الصالحى النجمى، كان من أعيان الأمراء و أكابرهم، و ذوى الحرمه الوافره منهم، و كان الملک الظاهر حبسه لأمر نقمه عليه، و بقى فى الاعتقال مده ثم أفرج عنه و أعاده إلى مكانته، و كان عديم الشر، و توفى بالقاهره ليله الخميس ثالث ربيع الأول، و دفن من الغد بتربته بالقرافه الصغرى، و قد ناهز سبعين سنه من العمر، و هو أول من قدم دمشق بعد كسره التتار بعين جالوت فى سنه ثمان و خمسين، و هو الذى كان الملک الظاهر أرسله إلى الأمير علم الدين سنجر الحلبى لما استولى على دمشق عندما تملک الملک الظاهر الديار المصريه- رحمه الله تعالى.

[أحداث]يبک بن عبد الله الأمير عز الدين الموصلى الظاهرى

، كان نائب السلطنه بحمص، ثم نقله الملک الظاهر إلى حصن الأكراد و ما جمع إليه، و جعله نائب السلطنه هناک، و كان له نهضه و كفايه و صرامه و ذكاء و معرفه، و كان عنده تشيع، قتل بحصن الأكراد فى داره بالربض غيله فى ليله الأربعاء سابع عشر شهر رجب- رحمه الله- و اختلف فى سبب قتله، فقيل: إن السلطان جهز عليه من قتله، و قيل: قفز عليه بعض الاسماعيليه، و قيل غير ذلک، و طل دمه و هو فى عشر الخمسين لم يستكملها.

[أحداث]يبک بن عبد الله الأمير عز الدين الدمياطى الصالحى النجمى

، أحد الأمراء الأكابر المقدمين على الجيوش، قديم الهجره بينهم فى علو المنزله و سمو المكانه، و كان الملک الظاهر حبسه مده زمانيه ثم أفرج عنه

و أعاده إلى إمريته، و توفى بالقاهره ليله الأربعاء تاسع شعبان، و دفن بتربته التى أنشأها بين القاهره و مصر بالقبه المجاوره بحوض السبيل المعروف به، و كان قد نيف على السبعين سنه- رحمه الله.

[أحداث]يدمر بن عبد الله الأمير عز الدين العلائى

، كان نائب السلطنه بقلعه صفد، و كان الملک الظاهر يحترمه و يثق به، و يسكن إليه و إذا قلق من المقام بصفد لا يقبله، فلما توفى الملک الظاهر- رحمه الله- فى أول هذه السنه جرى بينه و بين النواب من صفد مقاوله أوجبت أنه طلب دستورا للحضور إلى الباب السلطانى لمصالح ينهيها شفاها، ففسح له، فتوجه إلى الديار المصريه و أقام بها مده يسيره، و أدركته منيته هناک ليله الأربعاء سابع عشر شهر رجب، و دفن يوم الأربعاء بالقرافه الصغرى مع الفقراء، و هو أخو الأمير علاء الدين أيدكين الصالحى العمادى و سيأتى ذكره- إن شاء الله تعالى.

بهادر الأمير شمس الدين المعروف بابن صاحب شميساط

، و كان هو صاحبها، قدم مهاجرا إلى الملک الظاهر- رحمه الله- قبل وفاته بثلاث سنين فأكرمه و أمره و أقام فى خدمته إلى أن أدركته منيته بالقاهره ليله الأحد العشرين من شعبان، و دفن من الغد خارج باب النصر بتربته التى أنشأها و كان قد نيف على أربعين سنه- رحمه الله تعالى.

بيبرس بن عبد الله أبو الفتح ركن الدين السلطان الملک الظاهر

اشاره

الصالحى، قال عز الدين أبو عبد الله محمد بن على بن إبراهيم بن شداد- رحمه الله-: أخبرنى الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى- رحمه الله- أن مولد الملک الظاهر بأرض القبجاق سنه خمس و عشرين و ست مائه تقريبا، و سبب انتقاله من وطنه إلى البلاد أن التتار لما أزمعوا على قصد بلادهم سنه تسع و ثلاثين و ست مائه بلغهم ذلک كاتبوا أنر قان ملک أولاق أن يعبروا بحر سوداق إليه ليجيرهم من التتار، فأجابهم إلى ذلک، و أنزلهم

واديا بين جبلين له فوهه إلى البحر، و أخرى إلى البر، و كان عبورهم إليه سنه أربعين و ست مائه، فلما اطمأن بهم

المقام غدر بهم، و شن الغاره عليهم، و قتل و سبى، و كنت أنا و الملک الظاهر فيمن أسر، و عمره إذ ذاک أربع عشره سنه تقديرا فبيع فى حلب بخان ابن فليح، ثم افترقنا فاتفق أن حمل إلى القاهره فبيع إلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، و بقى فى يده إلى أن انتقل عنه بالقبض عليه فى جمله ما استرجعه الملک الصالح نجم الدين أيوب منه، و ذلک فى شوال سنه أربع و أربعين و ست مائه، فقدمه على طائفه من الجمداريه، فلما مات الملک الصالح نجم الدين، و ملک بعده ولده الملک المعظم، و قتل، و أجمعوا على عز الدين التركمانى و ولوه الأتابكيه، ثم استقل و قتل فارس الدين أقطاى الجمدار، فركب الملک الظاهر و البحريه و قصدوا قلعه الجبل، فلما لم ينالوا مقصودهم خرجوا من القاهره مجاهرين بالعداوه للتركمانى، مهاجرين إلى الملک الناصر صلاح الدين يوسف، و هم: الملک الظاهر ركن الدين، و سيف الدين بلبان الرشيدى، و عز الدين أيدمر السيفى، و شمس الدين سنقر الرومى، و شمس الدين سنقر الأشقر، و بدر الدين بيسرى الشمسى، و سيف الدين قلاوون الألفى، و سيف الدين بلبان المستعرب و غيرهم، فلما شارفوا دمشق سير إليهم الملک الناصر طيب قلوبهم فبعثوا فخر الدين إياز المقرى ء يستحلفه لهم فحلف و دخلوا دمشق فى العشر الآخر من شهر رمضان فأكرمهم الملک الناصر، و أطلق للملک الظاهر ثلاثين ألف درهم، و ثلاث قطر بغال، و ثلاث قطر جمال، و خيلا و ملبوسا، و فرق فى بقيه الجماعه الأموال و الخلع على قدر مراتبهم، و كتب إليه الملک المعز يحذره منهم و يغريه بهم، فلم يصغ إليه، و كان عين للملک الظاهر إقطاعا بحلب فالتمس منه الملک الظاهر أن يعوضه عن بعض ما كان له بحلب من الإقطاع بجينين و زرعين فأجابه إلى ذلک فتوجه إليهما، ثم استشعر من الملک الناصر و توجه بمن معه و من تبعه من خشداشيته و أصحابه إلى الكرک، فجهز صاحبها الملک المغيث عسكره مع الملک الظاهر نحو مصر، و عده من معه ست مائه فارس، و خرج من عسكر

مصر لملتقاه، فأراد كبسهم، فوجدهم على أهبه، و التف عليه و على من معه عسكر مصر، فلم ينج منهم إلا الملک الظاهر، و الأمير بدر الدين أيبک الخزندار، و أسر سيف الدين بلبان الرشيدى.

و عاد الملک الظاهر إلى الكرک فتواترت عليه كتب المصريين يحرضونه على قصد الديار المصريه، و جاءه جماعه كثيره من عسكر الملک الناصر، و خرج عسكر مصر مع الأمير سيف الدين قطز و الأمير فارس الدين أقطاى المستعرب، فلما وصل المغيث و الظاهر إلى غزه انعزل إليهم من عسكر مصر عز الدين أيبک الرومى، و سيف الدين بلبان الكافرى، و شمس الدين سنقر شاه العزيزى، و عز الدين أيبک الجواشى، و بدر الدين ابن خان بغدى، و عز الدين أيبک الحموى، و جمال الدين هارون القيمرى، و اجتمعوا بالظاهر و المغيث بغزه، فقويت شوكتهم و توجها إلى الصالحيه، و لقوا عسكر مصر يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الآخر سنه ست و خمسين، فاستظهر عسكرهما أولا، ثم عادت الكسره عليه، فانكسر، و هرب الملک المغيث و لحقه الملک الظاهر، و أسر عز الدين أيبک الرومى، و ركن الدين منكورس الصيرفى، و سيف الدين بلبان الكافرى، و عز الدين أيبک الحموى، و بدر الدين بلغان الأشرفى، و جمال الدين هارون القيمرى، و شمس الدين سنقر شاه العزيزى، و علاء الدين أيدغدى الاسكندرانى، و بدر الدين ابن خان بغدى، و بدر الدين بيليک الخزندار الظاهرى، فضرب أعناقهم صبرا خلا الخزندار الجوكندار شفع فيه، و خيره بين المقام و الذهاب، فاختار الذهاب إلى أستاذه فأطلق، ثم إن المغيث حصل بينه و بين الملک الظاهر وحشه أوجبت مفارقته له و عوده إلى الملک الناصر، بعد أن استحلفه على أن يقطعه خبز مائه فارس من جملتها قصبه نابلس و جينين و زرعين فأجاب إلى نابلس لا غير، و كان قدومه على الملک الناصر فى العشر الأول من شهر رجب سنه سبع و خمسين و معه الجماعه الذين حلف لهم الملک

الناصر، و هم: بيسرى الشمسى، و التامش السعدى، و طيبرس الوزيرى، و أقوش الرومى الدوادار، و كشتغدى الشمسى، و لاجين الدرفيل، و أيدغمش الحلبى، و كتشغدى المشرقى، و أيبک الشيخى، و بيبرس خاص ترک الصغير، و بلبان المهرانى، و سنجر الأسعردى، و سنجر البهمانى، و ألبلان الناصرى، و بلتى الخوارزمى، و سيف الدين طمان، و أيبک العلائى، و لاجين الشقيرى، و بلبان الأقسيشى، و علم الدين سلطان الألدكزى فأكرمهم و وفى لهم.

فلما قبض الملک المظفر قطز على ابن أستاذه، حرض الملک الظاهر للملک الناصر على التوجه إلى الديار المصريه ليملكها فلم يجبه، فرغب إليه أن يقدمه على أربعه آلاف فارس أو يقدم غيره ليتوجه بها إلى شط الفرات يمنع التتر من العبور إلى الشام، فلم يمكن الظاهر لباطن كان له مع التتر، و فى سنه ثمان و خمسين فارق الملک الظاهر الملک الناصر، و قصد الشهرزوريه و تزوج منهم، ثم أرسل إلى الملک المظفر قطز من استحلفه له، و دخل القاهره يوم السبت الثانى و العشرين من ربيع الأول سنه ثمان و خمسين، فركب الملک المظفر للقائه، و أنزله فى دار الوزاره و أقطعه قصبه قليوب بخاصته.

و لما خرج الملک المظفر للقاء التتر سير الملک الظاهر فى عسكر ليتجسس أخبارهم، فكان أول من وقعت عينه عليهم، و ناوشهم القتال.

فلما انقضت الوقعه بعين جالوت تبعهم يقتص آثارهم، و يقتل من وجد منهم إلى حمص، ثم عاد فوافى الملک المظفر بدمشق، فلما توجه الملک المظفر إلى جهه الديار المصريه، اتفق الملک الظاهر مع سيف الدين الرشيدى، و سيف الدين بهادر المعزى، و بدر الدين بكتوت الجوكندارى المعزى، و سيف الدين بيدغان الركنى، و سيف الدين بلبان الهارونى، و علاء الدين آنص الأصبهانى على قتل الملک المظفر- رحمه الله-

فقتلوه على الصوره المشهوره، ثم ساروا إلى الدهليز، فتقدم الأمير فارس الدين الأتابک، فبايع الملک الظاهر، و حلف له، ثم الرشيدى ثم الأمراء على طبقاتهم، و ركب و معه الأتابک، و بيسرى، و قلاوون، و الخزندار، و جماعه من خواصه فدخل قلعه الجبل.

و فى يوم الأحد سابع عشر ذى القعده جلس فى إيوان القلعه و كتب إلى جميع الولاه بالديار المصريه يعرفهم بذلک، و كتب إلى الملک الأشرف صاحب حمص، و إلى الملک المنصور صاحب حماه، و إلى الأمير مظفر الدين صاحب صهيون، و إلى الاسماعيليه، و إلى علاء الدين، و صاحب الموصل، و نائب السلطنه بحلب، و إلى من فى بلاد الشام من الأعيان يعرفهم بما جرى.

ثم أفرج عمن فى الحبوس من أصحاب الجرائم، و أقر الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير على الوزاره، و تقدم بالإفراج عن الأجناد و زياده من رأى استحقاقه من الأمراء، و خلع عليهم، و سير الأمير جمال الدين أقوش المحمدى بتواقيع الأمير علم الدين الحلبى، فوجدوه قد تسلطن بدمشق، فشرع الملک الظاهر فى استفساد من عنده، فخرجوا عليه و نزعوه عن السلطنه، و توجه إلى بعلبک فسيروا من حضره و توجه به إلى الديار المصريه، و صفا الشام للملک الظاهر بأسره فى سنه تسع و خمسين و قد ذكرنا فى سياق السنين مما تقدم جملا من أخباره و أحواله و فتوحاته و غير ذلک فأغنى عن إعادته.

و لما كان يوم الخميس رابع عشر المحرم من هذه السنه جلس الملک الظاهر بالجوسق الأبلق بميدان دمشق يشرب القمز و بات على هذه الحال، فلما كان يوم الجمعه خامس عشره وجد فى نفسه فتورا و توعكا، فشكا ذلک إلى الأمير شمس الدين سنقر الألفى السلحدار، فأشار عليه بالقى ء فاستدعاه فاستعصى، فلما كان بعد صلاه الجمعه ركب من الجوسق، فلما أصبح اشتكى حراره فى باطنه، فصنع له بعض خواصه

دواء، و لم يكن عن رأى الطبيب، فلم ينجع و تضاعف ألمه، فأحضر الأطباء، فأنكروا استعماله الدواء، و أجمعوا على استعمال دواء مسهل، فسقوه فلم ينجع، فحركوه بدواء آخر كان سبب الإفراط فى الإسهال، و دفع دما محتقنا، و ضعفت قواه، فتخيل خواصه أن كبده تقطع، و أن ذلک عن سم سقيه، و عولج بالجوهر، و ذلک يوم عاشره، ثم جهده المرض إلى أن قضى نحبه يوم الخميس بعد صلاه الظهر الثامن و العشرين من المحرم، فاتفق رأى الأمراء على إخفائه و حمله إلى القلعه لئلا يشعر العامه بوفاته، و منعوا من هو داخل من المماليک من الخروج، و من هو خارج من الدخول، فلما كان آخر الليل حمله من كبراء الأمراء سيف الدين قلاوون الألفى، و شمس الدين سنقر الأشقر، و بدر الدين بيسرى، و بدر الدين الخزندار، و عز الدين الأفرم، و عز الدين الحموى، و شمس الدين سنقر الألفى المظفرى، و علم الدين سنجر الحموى، و أبو خرص، و أكابر خواصه، و تولى غسله و تحنيطه و تصبيره و تلقينه مهتاره الشجاع عنبر، و الفقيه كمال الدين الاسكندرى المعروف بابن المنبجى، و الأمير عز الدين الأفرم، ثم جعل فى تابوت، و غلق فى بيت من بيوت البحريه بقلعه دمشق إلى أن حصل الاتفاق على موضع دفنه، ثم كتب الأمير بدر الدين الخزندار إلى ولده الملک السعيد مطالعه بيده، و سيرها على يد بدر الدين بكتوت الجوكندارى الحموى، و علاء الدين أيدغمش الحكيمى الجاشنكير، فلما وصلا، و أوصلا المطالعه، خلع عليهما و أعطى كل واحد منهما خمسين ألف درهم، على أن ذلک بشاره بعود السلطان إلى الديار المصريه.

و لما كان يوم السبت ركب الأمراء إلى سوق الخيل بدمشق على عادتهم و لم يظهروا شيئا من زى الحزن، و كان أوصى أن يدفن على الطريق السابله قريبا من داريا، و أن يبنى عليه هناک، فرأى ولده الملک السعيد أن يدفنه داخل السور، فابتاع دار العقيقى بثمانيه و أربعين ألف

درهم نقره و أن يغير معالمها، و تبنى مدرسه للشافعيه و الحنفيه و يبنى بها قبه شاهقه يكون بها الضريح، و يعمل دار الحديث أيضا، فلما تم بناء القبه و معظم المدرسه و دار الحديث، جهز الملک السعيد الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خرص، و الطواشى صفى الدين جوهر الهندى إلى دمشق لدفن والده، فلما وصلاها اجتمعا مع الأمير عز الدين أيدمر نائب السلطنه بدمشق، و عرفاه المرسوم فبادر إليه و حمل الملک الظاهر- رحمه الله تعالى- من القلعه إلى التربه ليلا على أعناق الرجال، و دفن بها ليله الجمعه خامس شهر رجب الفرد من هذه السنه.

و فى سادس عشر ذى القعده وقف الملک السعيد هو و عز الدين محمد ابن شداد بإذنه و توكيله و حضوره المدرسه المذكوره و القبه مدفنا و باقيها مسجدا لله تعالى برسم الصلوات، و قراءه القرآن العزيز، و الاعتكاف، و باقى الدار مدرستين إحداهما شرقى الدار هى للشافعيه، و الأخرى قبلى الدار إلى جانب القبه و هى للحنفيه، و دار حديث قبلى الإيوان المختص بالشافعيه و وقف على ذلک جميع قريه الضرمان من شعراء بانياس، و جميع قريه أم نزع من الجيدور، و بهمين من بيت رامه من الغور، و مزرعيتها الذراعه و شويهه، و تسعه عشر قيراطا و نصف قيراط من قريه الأشرفيه من الغوطه، و بساتين ابن سلام الثلاثه و بستان الستسه و طاحونه و الحمام على الشرف الأعلى الشمالى، و كرم طاعه من بلد بانياس، و خان بنت جز، و خان بحكر الفهادين، و رتب فى التربه إماما شافعيا، و جعل له فى كل شهر ستين درهما و زمامين من عتقاء الملک الظاهر ناظرين فى مصالح التربه، و حفظ ما بها من الآلات لكل واحد منهما فى الشهر ستين درهما، و مؤذنا له فى الشهر عشرون درهما و سته عشر مقرئا لكل واحد منهم خمسه و عشرون درهما، منهم نفسان يزاد كل واحد منهما عشره دراهم، و يشترى فى كل شهر شمع و زيت، و ما تحتاج إليه التربه من الفرش و القناديل و آلات الوقيد بمبلغ ثمانين

درهما، و يرتب فى كل مدرسا له فى الشهر مائه و خمسون درهما، و معيدان لكل واحد منهما أربعون درهما، و ثلاثين فقيها لأعلاهم عشرين درهما، و لأدناهم عشره دراهم و أن يصرف فيما تدعو الحاجه إليه من أجره ساقى و إصلاح قنى و غير ذلک، و ثمن زيت و مسارج، و قناديل، و آله الوقيد بالمدرستين فى الشهر أربعون درهما، و شاهدا و مشارفا و غلاما، و جابيا و غيرهم لكل منهم ما يراه الناظر و النظر للملک السعيد مده حياته ثم لولده و ولد ولده.

و فى جمادى الآخره من سنه سبع و سبعين و ست مائه، سير الملک السعيد برسم تتمه العماره، و مصالح الوقف إثنى عشر ألف دينار، و فى يوم السبت ثالث ذى القعده سنه سبع و سبعين وقف عماد الدين محمد ابن الشيرازى بطريق الوكاله عن الملک السعيد جميع أحد عشر سهما و ربع سهم، و ثمن سهم من قريه الطره من ضياع الجبيل من إقليم أذرعات من عمل دمشق إلى المدرستين و التربه، بعد أن انتقلت الحصه إلى ملک الملک السعيد على ثمانى قرى مضافين إلى القرى الست عشره، و يقر لكل منهم خمس و عشرون و يزاد لكل مدرس رطلان خبزا مثلثا بالدمشقى، و لكل خادم من الخادمين، و لكل نفر بالتربه و الفقهاء و المؤذنين و الفراشين و البوابين فى كل يوم ثلثى رطل خبزا أسوه بفراشى التربه، و يصرف إلى مباشر الأوقاف و الشاهد و المشارف لكل واحد رطلا خبز، و أشهد الحكام على نفوسهم و سجلوا بثبوت ذلک.

فى يوم الاثنين سادس عشر ذى القعده سنه سبع و سبعين شرع فى عمل أعزيه الملک الظاهر بالديار المصريه، و تقرر أن يكون أحد عشر يوما فى أحد عشر موضعا نصبت فيها الخيمه العظيمه السلطانيه، و فرشت بالبسط الجليله، و صنعت الأطعمه الفاخره، و اجتمع عليها الخواص و العوام، و حمل منها إلى الربط و الزوايا، فإذا كانت ليله اليوم الذى عمل فيه المهم حضر القراء، و الوعاظ، فانقضى الليل بين قراءه

و وصل إلى صلاه الفجر، و أول هذا الجمع بالبقعه المعروفه بالبقعه بجوار مسجد يعرف بالأندلسى، و الثانى بالحوش الظاهرى، و الثالث بالمدرسه المجاوره لقبه الشافعى- رحمه الله تعالى، و الرابع بجامع مصر، و الخامس بجامع ابن طولون، و السادس الجامع الظاهرى بالحسينيه، و السابع بالمدرسه الظاهريه بالقاهره، و الثامن بمدرسه الملک الصالح، و التاسع بدار الحديث الكامليه، و العاشر بالخانكاه برحبه العيد، و الحادى عشر بجامع الحاكم و هو يوم الأحد، و الثانى من شهر ربيع الأول، و أنشد الشعراء المراثى، و خلع على جماعه من الوعاظ و غيرهم و من لم يخلع عليه أعطاه جائزه حسنه.

و له أولاد و أزواج: كان له من الأولاد: الملک السعيد ناصر الدوله محمد بركه، كان مولده بالعشر من ضواحى مصر فى صفر سنه ثمان و خمسين و سته مائه، و أمه بنت حسام الدين بركه خان بن دوله خان الخوارزمى، و الملک نجم الدين خضر أمه أم ولد، و الملک بدر الدين سلامش، و ولد له من البنات سبع من بنت سيف الدين دماجى التترى، و أما زوجاته فأم الملک السعيد، و هى بنت بركه خان، و بنت الأمير سيف الدين نوكاى التترى، و بنت الأمير سيف الدين كراى التترى، و بنت الأمير سيف الدين دماجى التترى، و شهرزوريه تزوجها لما قدم غزه و حالف الشهرزوريه، فلما ملک الديار المصريه طلقها.

و أما وزراؤه: تولى السلطنه و استمر زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع ابن الزبير، ثم صرفه و استوزر بهاء الدين على بن محمد بن سليم، و فى وزاره الصحبه ولده فخر الدين أبا عبد الله محمد إلى أن توفى فى شعبان سنه ثمان و ستين، فرتب مكانه ولده الصاحب تاج الدين محمد، وزر له فى الصحبه أيضا أخوه الصاحب زين الدين أحمد، و وزر له الصاحب عز الدين محمد ابن الصاحب محيى الدين أحمد ابن الصاحب بهاء الدين نيابه عن جده، و كان له أربعه آلاف مملوک منهم أمراء

أسفهسلاريه، و مقادمه، و خاصكيه داخل الدور، و خاصكيه خارجها، و جمداريه، و سلاح داريه و كتابيه.

و من عفته و شرف نفسه و عدله أن الملک الأشرف صاحب حمص كتب إليه يستأذنه فى الحج، و فى ضمن الكتاب شهاده عليه أن جميع ما يملكه انتقل عنه إلى الملک الظاهر، فلم يأذن له فى تلک السنه، و اتفق أنه مات بعد ذلک، فتسلم الحصون التى كانت بيده، و مكن ورثته من جميع ما تركه من الأثاث، و الملک، و لم يعرج على ما أشهد به على نفسه.

و منها أن شعراء بانياس و هى إقليم يشتمل على قرى كثيره عاطله بحكم استيلاء الفرنج على صفد، فلما فتحها أفتاه بعض فقهاء الحنفيه باستحقاق الشعراء فلم يرجع إلى الفتيا، و تقدم أمره أن من كان له فيها ملک يتسلمه، و لم يكلفهم بينه فعادت إلى أربابها و عمرت.

و منها أن بستان سيف الإسلام بين مصر و القاهره، و كان ملكا لشمس الملوک أحمد ابن الملک الأعز شرف الدين يعقوب بن الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب- رحمهم الله تعالى- فتوفى المذكور بآمد، و بقى البستان فى يد ولده شهاب الدين غازى، فلما ملک الملک الصالح نجم الدين الديار المصريه أخرج المذكور من مصر، و احتاط على البستان، فلم يزل تحت الحوطه، فلما ملک الملک الظاهر رفع ولد شهاب الدين غازى قصه أنهى فيها الحال، فأمر بحملها على الشرع فثبت ملک المتوفى بشهاده الأمير جمال الدين موسى بن يغمور و بهاء الدين بن ملكشوا و الطواشى صفى الدين جوهر النوبى، و ثبتت الوفاه، و حضر الورثه بشهاده كمال الدين عمر بن العديم، و عز الدين محمد بن شداد فسلم لهما البستان، ثم ابتاعه منهما بمائه و ثلاثين درهم.

و منها أن بنت الملک المعز صاحب حلب كان عقد عليها الملک السعيد نجم الدين إيل غازى، صاحب ماردين على صداق مبلغه

ثلاثون ألف دينار مصريه، فمات عنها و لم يدخل بها، و كان الملک المظفر قطز- رحمه الله تعالى- قد احتاط على أملاک الملک السعيد بدمشق لما تملکها، و بقيت تحت الحوطه.

فلما ملک الملک الظاهر رفعت قصه تذکر الحال و سألت حملها على الشرع، و أن يفرج عن الأملاک لتباع فى مبلغ صداقها، فتقدم أن يثبت ما ادعته فثبت بشهاده کمال الدين ابن العديم، و محمد بن شداد، و لم يکن بقى فى الصداق غيرها فأفرج لها عن الأملاک فبيعت و قبضت ثمنها.

و من حکمه أنه کان له رکابى و هو بدمشق يسمى مظفرا، کان يأخذ الجعل من الأمراء الناصريه على نقل أخباره إليهم، و تحقق ذلک منه، و بقى معه إلى أن ملک و استمر به، فدخل يوما إلى الرکاب خانه، فوجدها مختله، و فقد منها سروجا محلاه، فالتفت إليه، فقال له: نحسن فى دمشق و نحسن فى القاهره، متى عدت قربت الأسطبل شنقتک فقال:

ياخوند إذا لم أقرب الأسطبل من أين آکل أنا و عيالى؟ فرق له، و أمر أن يقطع فى الحلقه بحيث لا يراه فأقطع، و بقى إلى أن توفى السلطان.

و کان يفرق فى کل سنه أربعه آلاف إردب حنطه فى الفقراء، و المساکين، و أصحاب الزوايا و أرباب البيوت، و کان موصفا عليه لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على کثرتهم، و وقف وقفا على تکفين أموات الغرباء بالقاهره و مصر، و وقفا يشترى به خبز، و يفرق فى فقراء المسلمين، و أصلح قبر خالد رضى الله عنه بحمص، و وقف وقفا على من هو راتب فيه من إمام و مؤذن و قيم، و على من ينتابه من البلاد للزياره، و وقف على قبر أبى عبيده ابن الجراح رضى الله عنه، وقفا لتنويره و بسطه و إمامه و مؤذنه، و أجرى على أهل الحرمين بالحجاز الشريف، و أهل بدر و غيرهم ما کان قطع فى أيام غيره من الملوک الذين تقدموه، و کان يسفر رکب الحجاز کل سنه تاره عاما، و تاره صحبه الکسوه، و يخرج کل سنه جمله مستکثره يستفک بها من حبسه القاضى من المقلين،

و رتب فى أول ليله من شهر رمضان المعظم بمصر و القاهره و أعمالها مطابخ لأنواع الأطعمه، و تفرق على الفقراء و المساكين.

و أما مهابته و منزلته من القلوب أن يهوديا دفن بقلعه جعبر عند قصد التتر لها مصاغا و ذهبا، و هرب بأهله إلى الشام و استوطن حماه، فلما نفد ما كان بيده كتب إلى صاحب حماه قصه يذكر أمر الدفين، و يسأله أن يسير معه من يحفره ليأخذه، و يدفع لبيت المال نصفه، فلم يتمكن من إجابه سؤاله، و طالع الملک الظاهر بذلک فورد عليه الجواب أن يوجهه مع رجلين لقضاء غرضه، فلما توجهوا و وصلوا الفرات امتنع من كان معه من العبور فعبر هو و ابنه، فلما وصل أخذ فى الحفر هو و ابنه و إذا بطائفه من العرب على رأسه، فسألوه عن حاله فأخبرهم، فأرادوا قتله، فأخرج لهم كتاب الملک الظاهر مطلقا إلى من عساه يقف عليه فكفوا عنه، و ساعدوه حتى استخلص ماله ثم توجهوا به إلى حماه و سلموه إلى الملک المنصور، و أخذوا خطه أنهم سلموا اليهودى إليه سالما و ما تبعه.

و منها: أن جماعه من التجار خرجوا من بلاد العجم قاصدين أبواب الملک الظاهر، فلما مروا بسيس منعهم صاحبها من العبور و كتب فيهم إلى أبغا، فكتب إليه يأمره بالحوطه عليهم و إرسالهم إليه، و اتفق أن هرب مملوک إلى حلب، و اجتمع بالأمير نور الدين على بن مجلى، و أخبره بحالهم، فكتب للملک الظاهر بذلک على البريد، فعاد الجواب يأمره أن يكتب إلى صاحب سيس إن هو تعرض لهم فى شى ء يساوى درهما واحدا أخذتک عوضه، فكتب إليه بذلک، فأطلقهم و صانع أبغا بأموال جليله.

و منها: أن تواقيعه التى فى أيدى التجار المترددين إلى بلاد القفجاق بإعفائهم من الصادر و الوارد، و يعمل بها حيث حلوا من مملكه بيت بركه و منكوتمر، و بلاد فارس و كرمان.

و منها: أنه أعطى بعض التجار مالا ليشرى به مماليک، و جوارى من

الترک، فشرهت نفسه إلی المال فدخل به قراقرم و استوطنها، فبحث الملک الظاهر حتی وقع علی خبره، فبعث إلی بیت منکوتمر فی أمره فأحضروه إلیه تحت الحوطه.

و منها: أنه کان بجزیره صقلیه فی زمان الأنبرتور مقدار خمسه عشر ألف فارس مسلمین، و هم مهادنین لهم، و هم فی خدمته، لهم الإقطاعات. فلما مات أشار من بها من الفرنج علی من ملکها بعده بقتلهم، فقتل منهم مفرقا نحو ثلاثه آلاف فارس، و اتصل بالملک الظاهر قتلهم و العزم علی قتل الباقین، فکتب إلیهم: إن هؤلاء المسلمین أقرهم الملک الذی کان قبلکم علی بلادهم و أموالهم، فإما أن تقروهم علی ما أقرهم من الهدنه، و أما أن تؤمنوهم و توصلوهم بأموالهم إلی بلاد المسلمین لیبلغوا مأمنهم، فإن لم یقدروا علی التوجه و اختاروا الإقامه و جری علی أحد منهم أذی، قتلت علی کل من تحت یدی من أسری الفرنج، و من فی بلادی من تجارهم، و قتلت ما اشتملت علیه مملکتی من طوائف النصاری، فلما تحققوا ذلک اجتمع رأیهم علی إبقائهم علی عادتهم، و کان أخذ نفسه بالاطلاع علی أحوال أمرائه و أعیان دولته حتی لم یخف علیه من حالهم شی ء، و کثیرا ما کانت ترد علیه الأخبار و هو بالقاهره بحرکه العدو، فیأمر العسکر و هم زهاء ثلاثین ألف فارس فلا یثبت منهم فارس فی بیته، و إذا خرج لا یمکن من العود.

و منها: ما أحدثه من البرید فی سائر مملکته بحیث تتصل به أخبار أطراف بلاده علی اتساعها فی أقرب وقت، و الذی فتحه من الحصون عنوه من أیدی الفرنج، خذلهم الله: قیساریه، أرسوف، صفد، طبریه، یافا، الشقیف، أنطاکیه، بغراس، القصیر، حصن الأکراد، حصن عکار، القرین، صافیثا، مرقیه، حلبا، و ناصفهم علی المرقب، و بانیاس، و بلاد انطرسوس، و علی سائر ما بقی بأیدیهم من البلاد و الحصون، و ولی فی نصیبه الولاه و العمال، و استعاد من صاحب سیس درب ساک، و دیر

كوش، و بلمش، و كفر دبين، و رعبان و المرزبان. و الذى صار إليه من أيدى المسلمين: دمشق، و بعلبک، و عجلون، و بصرى، و صرخد، و الصلت- و كانت هذه البلاد قد تغلب عليها الأمير علم الدين سنجر الحلبى بعد قتل الملک المظفر- رحمه الله تعالى- و حمص، و تدمر، و الرحبه، و زلوبيا، و تل باشر، و هذه منتقله إليه عن الملک الأشرف صاحب حمص فى سنه اثنتين و ستين و ست مائه، و صهيون، و بلاطنس، و برزيه، و هذه منتقله إليه عن سابق الدين سليمان بن سيف الدين و عمه عز الدين، و حصون الاسماعيليه و هى: الكهف، و القدموس، و المنيقه، و العليقه، و الخوابى، و الرصافه، و مصيات، و القليعه، و انتقل إليه عن الملک المغيث فتح الدين عمر بن العادل: الشوبک، و الكرک، و انتقل إليه عن التتر: بلاد حلب الشماليه، و شيزر و البيره، و فتح الله على يديه بلاد النوبه، و فيها من البلاد مما يلى أسوان جزيره بلاق، و يلى هذه البلاد بلاد العلى، و جزيره ميكائيل، و فيها بلاد و جزائر الجنادل و انكوا، و هى فى جزيره و إقليم مكس، و دنقله، و إقليم أشوا، و هى جزائر عامره بالمدائن، فلما فتحها أنهم بها على ابن عم المأخوذه منه، ثم ناصفه عليها و وظف عليه عبيدا و جوارى و هجنا، و بقرا، و عن كل بالغ دينارا فى كل سنه، و كانت حدود مملكته من أقصى بلاد النوبه إلى قاطع الفرات، و وفد عليه من التتر زهاء ثلاثه آلاف فارس، فمنهم من أمره بطبلخاناه، و منهم من جعله أمير عشره إلى عشرين، و منهم من جعله من السقاه، و جعل منهم سلحداريه و جمداريه، و منهم من أضافه إلى الأمراء.

و أما مبانيه فمشهوره: منها ما هدمه التتر من المعاقل و الحصون، و عمر بقلعه الجبل دار الذهب، و برحبه الجامع قبه محموله على اثنى عشر عمودا من الرخام الملون، و صور فيها سائر حاشيته و أمرائه على هيئتهم، و عمر طبقتين مطلتين على رحبه الجامع، و غشى لبرج الزاويه المجاور لباب السر، و أخرج منه رواشن، و بنى عليه قبه، و زخرف

سقفها، و أنشأ جواره طباقا للماليک، و أنشأ برحبه القلعه دارا کبيره لولده الملک السعيد، و کان فی موضعها حفير، فعقد عليه سته عشر عقدا، و أنشأ دورا کثيره برسم الأمراء ظاهر القاهره مما يلی القلعه أسطبلات جماعه، و أنشأ حماما بسوق الخيل لولده، و أنشأ الجسر الأعظم و القنطره التی علی الخليج، و أنشأ الميدان بالبورجی، و نقل إليه النخيل من الديار المصريه، فکانت إجره نقله سته عشر ألف دينار، و أنشأ به المناظر، و القاعات، و البيوتات، و جدد الجامع الأنور و الجامع الأزهر، و بنی جامع العافيه بالحسينيه، و أنفق عليه فوق ألف ألف درهم، و أنشأ قريبا منه زاويه الشيخ خضر، و حماما، و طاحونا، و فرنا، و عمر علی المقياس قبه رفيعه مزخرفه، و أنشأ عده جوامع فی أعمال الديار المصريه، و جدد قلعه الجزيره، و قلعه العامودين ببرقه، و قلعه السويس، و عمر جسر سهم الدين بالقليوبيه، و جدد الجسر الأعظم علی برکه الفيل، و أنشأ قنطرته و بنی علی جانبيه حائطا يمنع الماشی السقوط فيه، و قنطره علی بحر ابن منجا، لها سبعه أبواب، و قنطره بمنيه الشيرج، و قنطرتين عند القصير علی بحر أبراس بسبعه أبواب أوسطها تعبر فيه المراکب، و أنشأ فی الجسر الذی يسلک فيه إلی دمياط سته عشر قنطره، و بنی قنطره علی خليج القاهره يمر عليها إلی ميدان البورجی، و بنی علی خليج الاسکندريه قريبا من قنطرتها القديمه قنطره عظيمه بعقد واحد، و حفر خليج الاسکندريه و کان قد ارتدم بالطين، و حفر بحر أشموم و کان قد غمر، و حفر ترعه الصلاح و خورسرخشا، و حفر المجايری، و الکافوری، و ترعه کنساد و زاد فيها مائه قصبه عما کانت فی الأول، و حفر فی ترعه أبی الفضل ألف قصبه، و حفر بحر الصمصام بالقليوبيه، و حفر بحر السردوس، و تمم عماره حرم رسول الله صلی الله عليه و سلم، و عمل منبره، و أحاط بالضريح درابزينا، و ذهب سقوفه و جددها و بيض جدرانه. و جدد البيمارستان بالمدينه النبويه و نقل إليها سائر المعاجين و الأکحال و الأشربه، و بعث إليه طبيبا من الديار المصريه،

و جدد قبر الخليل عليه السلام، و رم شعثه، و أصلح أبوابه و ميضأته و بيضه و زاد فى راتبه المجرى على قوامه و مؤذنيه و إمامه، و رتب له من مال البلد ما يجرى على المقيمين به و الواردين عليه، و جدد بالقدس الشريف ما كان قد تداعى من قبه الصخره، و جدد قبه السلسله و زخرفها، و أنشأ خانا للسبيل، نقل بابه من دهليز كان للخلفاء المصريين بالقاهره و بنى به مسجدا و طاحونا و فرنا و بستانا، و بنى على قبر موسى عليه السلام قبه و مسجدا، و هو عند الكثيب الأحمر قبلى أريحا و وقف عليه وقفا، و بنى على قبر أبى عبيده ابن الجراح رضى الله عنه مشهدا و مكانه من الغور بعمواس و وقف عليه وقفا، و جدد بالكرک برجين كانا صغيرين فهدمهما و كبرهما و علاهما. و وسع مسجد جعفر الطيار رضى الله عنه، و وقف عليه وقفا زياده على وقفه على الزائرين له و الوافدين عليه، و عمر جسرا بقريه داميه بالغور على الشريعه، و وقف عليه وقفا برسم ما عساه يتهدم منه، و أنشأ جسوره كثيره بالغور و الساحل، و أنشأ قلعه قاقون و بنى بها جامعا و وقف عليه وقفا، و بنى على طريقها حوضا للسبيل، و جدد جامع مدينه الرمله و أصلح مصانعها، و أصلح جامعا لبنى أميه و وقف عليه وقفا، و أصلح جامع زرعين و ماعداه من جوامع البلاد الساحليه التى كانت فى أيدى الفرنج، و جدد باشوره القلعه بصفد و أنشأها بالحجر الهرقلى و عمر لها أبراجا و بدنات و صنع له بغلات مسفحه دائر بالباشوره بالحجر المنحوت، و عمل لأبراجها طلاقات، و أنشأ بالقلعه صهريجا كبيرا مدرجا من أربع جهاته و بنى عليه برجا زائدا للارتفاع، قيل: إن ارتفاعه مائه ذراع بحيث أن الواقف عليه يرى الماشى على يرى الماشى على الخندق دائر القلعه، و بنى تحت البرج الذى للقلعه حماما، و صنع الكنيسه جامعا، و أنشأ ربضا ثانيا قبله بغرب، و كان الشقيف قطعتين متجاورتين فجمع بينهما، و بنى به جامعا و حماما، و دارا لنائب السلطنه، و كانت قلعه الصبيبه قد اختربها التتر، و لم يبقوا منها إلا الآثار، فجددها، و أنشأ لجامعها مناره و بنى بها دارا لنائب

السلطنه، و عمل جسرا يمشى عليه إلى القلعه و كانت التتر هدموا شراريف قلعه دمشق، و رؤوس أبراجها فجدد ذلک جميعه، و بنى فوق الزاويه المطله على الميادين، و سوق الخيل طارمه كبيره، و جدد منظره على قاعده مستجده على البرج المجاور لباب النصر، و بيض البحره و جدد دهان سقوفها و جعل بها درابزينا يمنع الوصول إليها، و بنى حماما خارج باب النصر، و جدد ثلاث اسطبلات على الشرف الأعلى، و بنى القصر الأبلق بالميدان و ما حوله من العمائر، و جدد مشهد زين العابدين رضى الله عنه بجامع دمشق، و أمر بغسل الأساطين و تدهين رؤوسها، و أمر بترخيم الحائط الشمالى، و تجديد باب البريد، و فرشه بالبلاط، ورم شعث قبه الدم و بيضها، و بنى دور ضيافه للرسل و الواردين و الوافدين مجاوره للحمام، و سوق الخيل، و جدد البنيان لما هدموه من قلعه صرخد، و أصلح جامعها و مساجدها، و كذلک فعل ببصرى، و عجلون و الصلت، و جدد ما كان التتر هدموه من قلعه بعلبک، و جدد بابها و الدركاه، و جدد قبر نوح عليه السلام بقريه الكرک، و عمل حول الضريح درابزينا، و جدد أسوار حصن الأكراد و عمر قلعتها، و كانت قد تهدمت من المجانيق، و عقدها حنايا و حال بينها و بين المدينه بخندق، و بنى عليها أبرجه شاهقه بطلاقات، و بنى بها جامعا و كذلک بربضه و مساجد أيضا، و جدد خان المحدثه و جدد فيه خفرا و حماما لنقل ما يتجدد من أخبار المسافرين، و بنى من قصير القفول شرقى دمشق إلى المناخ إلى قارا، إلى حمص عده أبرجه رتب فيها الحمام و الخفراء، و كذلک من دمشق إلى تدمر، و الرحبه إلى الفرات، و جدد سفح قلعه حمص، و الدور السلطانيه بها و بالبلد، و أنشأ قلعه شميميس بجملتها، و أصلح قلعه شيزر، و قلعتى الشغر و بكاس، و قلعه بلاطنس، و أنشأ بها جامعا، و بنى فى قلاع الاسماعيليه الثمان جوامع، و بنى ما هدمه التتر من قلعه عين تاب، و الراوندان، و بنى بأنطاكيه جامعا موضع الكنيسه، و كذلک ببغراس، و أنشأ القلعه بالبيره، و بنى بها أبرجه و وسع خندقها و جدد جامعها،

و أتقن بناءها و شيدها، و أنشأ بالميدان الأخضر شمالى حلب مسطبه كبيره مرخمه، و أنشأ دارا لخبز القلعه، و بنى فى أيامه ما لم يبن فى أيام الخلفاء المصريين، و لا الملوک من بنى أيوب و غيرهم، من الأبنيه، و الرباع، و غيرها و الخانات، و القواسير، و الدور، و الأساطبل، و المساجد، و الحمامات، و حياض السبيل من قريب مسجد التبر إلى أسوار القاهره إلى الخليج و أرض الطباله، و اتصلت العمائر إلى باب المقسم إلى اللوق إلى البورجى، و من الشارع إلى الكبش، و حوض قميحه إلى تحت القلعه و مشهد الست نفيسه- رحمه الله عليها- إلى السور القراقوشى.

ذكر ما كان ينوب دولته من الكلف المصريه خاصه:

كانت عده العساكر بالديار المصريه فى الأيام الكامليه و الصالحيه عشره آلاف فارس فضاعفها أربعه أضعاف، و كان أولئک مقتصدين فى الملبوس و النفقات و العدد، و هو كان بالضد من ذلک، و كانت كلف من يلوذ بهم من إقطاعه، و هؤلاء كلفهم على الملک الظاهر، و كذلک تضاعفت الكلف، فإنه كان يصرف فى كلف المطبخ الصالحى النجمى ألف رطل لحم بالمصرى كل يوم، و المصروف فى مطبخ الملک الظاهر عشره آلاف رطل فى كل يوم عنها و عن توابلها عشرون ألف درهم نقره، و يصرف فى خزانه الكسوه فى كل يوم عشرون ألف درهم، و يصرف فى الكلف الطارئه المتعلقه بالرسل و الوفود فى كل يوم عشرون ألف درهم، و يصرف فى ثمن قرط دوابه، و دواب من يلوذ به فى كل سنه ثمانى مائه ألف درهم، و يقوم بكلف الخيل و البغال و الجمال و الحمير من العلوفات خمس عشر ألف عليقه فى اليوم منها ست مائه أردب، و ما كان يقوم به لمن أوجب عليه نفقته و ألزمها عليه بطنجير، و تحمل إلى المخابز المعده لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أرباب الرواتب فى كل شهر عشرون ألف أردبا، و ذلک بمصر خاصه، و ذلک الحال فى العلوفات و كلف الرسل و الوفود و الاستعمالات فى الخزائن، و الذخائر

و أما الطوارى ء التى كانت تطرأ عليه فلا يمكن حصرها، و كذلک ما كان عليه من الجامكيات، و الجرايات لأرباب الخدم- رحمه الله تعالى.

بيليک بن عبد الله الأمير بدر الدين الخزندار الظاهرى

نائب السلطنه بالممالک كلها و مقدم جيوشها، كان أميرا عظيما، جليل المقدار، عالى الهمه، واسع الصدر، كثير البر و المعروف و الصدقه، لين الكلمه، حسن المعامله للناس، محبا للفقراء و الصلحاء و العلماء، حسن الظن بهم كثير الإحسان إليهم، يتفقد أرباب البيوت و يسد خلتهم، و عنده ديانه كثيره و فهم و إدراک و تيقظ و ذكاء، سمع الحديث النبوى و طالع التواريخ و أيام الناس، و كان يكتب خطا حسنا، و أوقف على الزاويه بالجامع الأزهر بالقاهره وقفا جيدا على من يذكر بها الدرس، و على من يشتغل بالعلم بها على مذهب الإمام الشافعى- رحمه الله- و له أوقاف على جهات بر، و كان له الإقطاعات العظيمه بالديار المصريه و بالشام، و له قلعه الصبيبه و بانياس، و أعمالها و بيت جن و الشعراء و غير ذلک، و لما مات الملک الظاهر ساس الأمور أحسن سياسه، و سار بالجيوش إلى الديار المصريه على أجمل نظام بحيث لم يظهر لموت السلطان أثر لوجوده، فلما وصل إلى الديار المصريه من الشام تمرض عقيب وصوله و لم يطل مرضه، و توفى إلى رحمه الله تعالى ليله الأحد سادس ربيع الأول بقلعه الجبل، و دفن يوم الأحد بتربته التى أنشأها بالقرافه الصغرى، و وجد الناس عليه وجدا شديدا، و حزنوا لفقده و شمل مصابه الخاص و العام، و كانت له جنازه مشهوده، و أقيم عليه النوح بالقاهره ليلا بالشموع فى القاهره و القلعه ثلاث ليال متواليه، و الخواتين و نساء الأمراء يدرن فى شوارع القاهره ليلا بالشموع و النوائح بالملاهى، و صدع موته القلوب، و أبكى العيون، و قيل: إنه مات مسموما و هو الظاهر، و منذ مات اضطربت أحوال الملک السعيد، و ظهرت أمارات الإدبار على الدوله الظاهريه و أخذت فى النقص و التلاشى، و إذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه، و كان عمره خمسا و أربعين سنه أو ما حولها، و خلف تركه

عظيمه تجاوز الحصر و من الوراث اثنين و زوجه هى أم الملک السعيد و إخوته نجم الدين خضر و بدر الدين سلامش أولاد معتقه- رحمه الله تعالى- فلقد كان من حسنات الدهر و محاسن الدوله الظاهريه- سقى الله عهد واقفها.

[أحداث]الحسن بن اسماعيل بن عبد الملک بن درباس

أبو محمد ناصر الدين الهذبانى المهرانى، مولده بالقاهره سنه ثمانى عشره و ست مائه، و كان عنده فضيله و مشاركه فى الأدب و النظم، و فيه مكارم أخلاق، و حسن المحاضره، و جده صدر الدين عبد الملک قاضى قضاه الديار المصريه فى أيام السلطان صلاح الدين- رحمه الله تعالى- مشهور. و كان مدرس مدرسه سيف الإسلام بالبندقانيين بالقاهره، و توفى ليله الاثنين ثامن شهر رجب، و دفن من الغد بالقرافه الصغرى بتربتهم المعروفه بهم- رحمه الله تعالى.

خضر بن أبى بر بن موسى أبو العباس المهرانى العدوى.

كان يقول:

إنه من قريه المحمديه من أعمال جزيره ابن عمر، و هو شيخ الملک الظاهر المشهور أمره، و سبب معرفه الملک الظاهر به و اعتقاده فيه أن الأمير سيف الدين قشتمر العجمى أخبره عنه قبل أن يتسلطن أنه قال:

إن ركن الدين بيبرس البندقدارى لا يمكن إلا أن يملک، فلما ملک صار له فيه عقيده عظيمه، و قربه و أدناه، و كان ينزل إلى زيارته فى الأسبوع مره أو مرتين أو ثلاثا على قدر ما يتفق، لكنه لم يكن يغب زيارته و الاجتماع به و يطلعه على غوامض أسراره، و يستشيره فى أموره، و لا يخرج عن رأيه، و يستصحبه فى سائر أسفاره و غزواته، و فى ذلک يقول الشريف شرف الدين محمد بن رضوان الناسخ:

ما الظاهر السلطان إلا مالک الدنيا بذاک لنا الملاحم تخبر

و لنا دليل واضح كالشمس فى وسط السماء بكل عين تنظر

لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبدا علمنا أنه الاسكندر

و كان يخبر الملک الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يخبر به، و لما حاصر الملک الظاهر أرسوف و هى من أوائل فتوحاته سأله متى تؤخذ، فعين له اليوم الذى تؤخذ فيه فوافق، و كذلک فى قيساريه و صفد، و لما عاد الملک الظاهر- رحمه الله تعالى- من دمشق إلى جهه الكرک سنه خمس و ستين استشاره فى قصده، فأشار عليه أن لا يقصده، و أن يتوجه إلى الديار المصريه، فلم يوافق قوله غرضه، فخالفه و قصده، فلما كان ببركه زيزاء تقنطر فانكسرت فخذه و أقام مكانه أياما كثيره، ثم حمل فى محفه إلى غزه ثم أتى الديار المصريه على أعناق الرجال، و لما قصد الملک الظاهر منازله حصن الأكراد و محاصرته اجتاز الشيخ خضر ببعلبک و نزل بالزاويه التى عمرت له بظاهرها، و خرج نواب السلطنه و بعض أهل البلد إلى خدمته، و كنت فيمن خرج، فسمعت كمال الدين ابراهيم ابن شيث- رحمه الله تعالى- يسأله عن أخذ حصن الأكراد، فقال:

ما معناه: يأخذه فى مده أربعين يوما.

و قال عز الدين محمد بن شداد: سمعت الأمير سيف الدين قشتمر العجمى- رحمه الله تعالى- يقول: إن الملک الظاهر لما تغير عليه و أحضر من أصحابه من دمشق من يحاققه على أمور نقلت إليه عنه، و يقابله عليها، قعد الملک الظاهر فى داره بقلعه الجبل و عنده من أكابر الأمراء: الأمير فارس الدين الأتابک، و الأمير سيف الدين قلاوون، و الأمير بدر الدين بيسرى، و سير الأمير سيف الدين قشتمر العجمى لإحضاره، فلما طلبه إلى الحضور إلى القلعه أنكر ذلک، لأنه لم يكن له به عاده، فعرف بشى ء مما هم فيه، فقام و حضر معه، فلما دخل لم يجد ما يعهده، فقعد عندهم منتبذا منهم، فأحضر السلطان الذين أحضرهم من أصحابه من دمشق، فشرعوا و نسبوه إلى أمور عظيمه، و قبائح لا تكاد تصدر من مسلم: فقال: ما أعرف ما يقولونه و مع هذا، فإنى ما قلت لكم: إنى رجل صالح، و أنتم قلتم هذا، فإن كان الذى يقولونه هؤلاء

صحيح فأنتم كذبتم، فقام الملک الظاهر و من معه من عنده، و قال:

قوموا بنا لا نحترق بمجاورته و تحولوا إلى طرف الإيوان بعيدا منه، فقال الملک الظاهر للجماعه: أى شى ء رأيكم فى أمره؟ فقال الأتابک:

هذا مطلع على الأسرار، و أسرار الدوله، و بواطن أحوالها و ما ينبغى إبقاؤه فى الوجود، فإنه لا يؤمن أن يصدر منه ما لا يمكن تلافيه، و وافقه الحاضرون على ذلک، و قالوا ببعض ما قد قيل عنه يباح دمه، ففهم ما هم فيه، فقال للملک الظاهر: اسمع ما أقول لک إذا، أجلى قريب من أجلک، و بينى و بينک مده أيام يسيره، من مات منا لحقه صاحبه عن قريب، فلما سمع الملک الظاهر ذلک و جم، و قال للأمراء:

ما ترون فى هذا؟ فلم يمكن أحدا أن يقول شيئا، فقال السلطان: هذا يحبس فى مكان لا يسمع له فيه حديث فيكون مثل من قد قبر و هو حى. فقالوا الذى يراه مولانا السلطان و يختاره، فحبسه فى مكان مفرد بقلعه الجبل، و لم يمكن أحدا من الدخول إليه إلا من يثق به السلطان غايه الوثوق، و يدخل إليه بالأطعمه الفاخره، و الأشربه، و الفواكه و الملابس تغير عليه فى كل وقت، و كان حبسه فى ثانى عشر شوال سنه إحدى و سبعين و ست مائه، و توفى يوم الخميس سادس المحرم أو ليله الجمعه سابعه، و أخرج يوم الجمعه من سجنه بقلعه الجبل ميتا، فسلم إلى أهله، فحملوه إلى زاويته المعروفه به بخط جامع الظاهر بالحسينيه، فغسل بها، و حمل إلى الجامع المذكور و صلى عليه بعد صلاه الجمعه، و أعيد إلى زاويته، و دفن بالتربه التى أنشأها بها، و كان قد نيف على خمسين سنه، و كان الملک الظاهر لما دخل دمشق بعد عوده من الروم قد كتب على البريد بالإفراج عنه، فوصل البريد بعد موته- رحمه الله تعالى- و كان الملک الظاهر- رحمه الله تعالى- قد بنى له زاويه بالحسينيه على الخليج محاذيه لأرض الطباله، و وقف عليها أحكار الجبى فى السنه منها ثلاثين ألف درهم نقره، و بنى له بالقدس زاويه، و بجبل المزه ظاهر دمشق زاويه، و بظاهر بعلبک زاويه، و بحماه زاويه، و بحمص

زاویه، و فی جمیعها فقراء، و علیهم الأوقاف، و صرفه فی المملکه یحکم و لا یحکم علیه، و لا یخالف أمره فی جلیل و لا حقیر، و یتقی جانبه الخاص و العام حتی الأمیر بدر الدین الخزندار، و الصاحب بهاء الدین و من دونهما، و ملوک الأطراف، و ملوک الفرنج و غیرهم، و لقد هدم بدمشق کنیسه الیهود العظمی، و بنی بها المحاریب، و کذلک هدم بالقدس کنیسه النصاری تعرف بالمصلبه جلیله عندهم، و قتل قسیسها بیده، و عملها زاویه، و هدم بالاسکندریه کنیسه الروم، و کانت کرسیا من کراسیهم، و یعتقدون فیها البرکه، و یزعمون أن رأس یحیی بن زکریا علیه السلام فیها، و هو عندهم یحیی المعمدانی و صیرها مسجدا، و سماها المدرسه الخضراء، و کان واسع الصدر یعطی و یفرق الدراهم و الذهب، و یعمل الأطعمه فی قدور مفرطه الکبر، یحمل القدره الواحده جماعه من العتالین، و کانت أحواله عجیبه لا تکیف و هی غیر متناسبه و لا منتظمه، الأحوال فیها مختلفه، فمن الناس من یثبت صلاحه، و منهم من یرمیه بالعظائم، و التوسط فی معناه أنسب،- رحمه الله.

سلیمان بن علی بن حسن بن محمد بن حسن

، معین الدین البرواناه.

قد تقدم لمع من أخباره فی هذا الکتاب، فأغنت عن الإعاده، کان والده مهذب الدین علی بن محمد الکاری، أصله من کار من عراق العجم، قد حفظ القرآن العزیز و أتقنه، و اشتغل بالعربیه، فلما استولی التتر علی عراق العجم خرج منها، و قصد الروم، فرتب مقرئا ببعض الترب، فطلب معین الدین مستوفی الروم فی أیام السلطان علاء الدین من یعلم أولاده، فتوسط له شخص کان یعرفه، فاتصل بخدمته، و کان یحضر مجلسه فی بعض الأوقات، فرآه معین الدین بارعا فی علم العربیه، فقال له: لو تعلمت الحساب لکان أنفع لک فی المکانه و الرزق، فاشتغل بالحساب علی معین الدین المستوفی، فلما رأی أنه قد برع فیه، و کان معین الدین یطلب الإقاله فی کل وقت من السلطان علاء الدین فلا یجیبه،

فاستناب لمهذب الدين المذكور، و أظهر أنه قد أضر، و لم يزل معين الدين إلى أن رتبه مستوفيا، فرأى منه السلطان علاء الدين الكفايه، فاستوزره و عظم شأنه، و تقدم عنده، و توفى السلطان علاء الدين و ولى ولده غياث الدين كيخسرو، فاستمر فى الوزاره و تمكن إلى أن توفى فى سنه اثنتين و أربعين و ست مائه، و رتب ولده معين الدين مكانه، و تدرج و استفحل أمره بحيث استولى على ممالک الروم بأسرها، و صانع ممالک التتر و ملوكها، و داراهم بحيث صاروا بأمره و طوعه، و كذلک ملوک الروم، و كان الخوف يحمله على مكاتبه الملک الظاهر ليكون سندا له و عونا على بلوغ مقاصده، و كان من رجال الدهر حزما و رأيا و شجاعه، و قوه قلب و إقدام على الأهوال، و الأمور العظام، و كان يبذل فى بلوغ مقاصده من الأموال العظيمه ما لا تسمح به نفس ملک، و لم يزل على ذلک إلى أن قتل فى العشر الأوسط من المحرم هذه السنه، و سبب قتله أن أبغا بعد وقعه ألبلستين التى كانت فى عاشر ذى القعده سنه خمس و سبعين و ست مائه، فرق عساكره فى الروم و طافها فى النهب و القتل، و معه البرواناه، فمر فى طريقه على قلعه تسمى كوغرينا، و كانت خاصه للبرواناه، و فيها أكثر ذخائره و أمواله، و بها وال من جهته يسمى سيف الدين باريساره، و طلب أيضا من البرواناه تسليم القلعه إليه، فأجابه و بعث إلى واليها يأمره بتسليمها لنواب أبغا، و يحمل ما فيها من الأموال إلى البرواناه، فلم يجبه و عصى عليه، فظن أبغا أن ذلک بباطن من البرواناه، فقال للبرواناه: أنت باغى، فسأل أن يسيره إليها ليتسلمها من سيف الدين و يسلمها إلى نوابه، فأذن له، و وكل به جماعه من المغل يمنعونه من الوصول إلى القلعه، فلما قرب منها و طلبها من سيف الدين امتنع، فقال له: لهذا الوقت خبأتک سلم إلى القلعه و ما فيها لأدرأ عن نفسى القتل بها، فإنى مقتول لا محاله إن لم تسلمها إلى أبغا، فقال: إنما أسلمها إلى من سلمها إلى، فقال: أنا سلمتها إليک، فقال: إنما سلمها إلى معين الدين البرواناه، فقال: أنا هو، فقال: أنت أسير معهم و مالک حكم فى شى ء،

و ما أسلمها إلا بأولادى الذين فى مصر أسراء، و أنت كنت السبب فى أسرهم و أسر غيرهم، فعاد البرواناه، و أخبر أبغا بذلک: فضاعف الموکلين عليه، فلما رأى من كان معه من المماليک و الأتباع ذلک تحققوا أنه مقتول، فتفرقوا عنه.

ثم سار أبغا إلى أردوئه، فاجتمع الخواتين و بكوا و صرخوا و شققوا الجيوب بين يديه، و قالوا: هذا الذى أعان على قتل رجالنا، و لا بد من قتله، فوقفهم أياما و هم يحرضونه، فلما أعياه دفاعهم أمر بعض خواصه بقتله، و قال له: خذه إلى مكان كذا فاقتله به، فلما اجتمع به قال له: إن أبغا يريد الاجتماع بک لكى يصطنعک و يعيدک إلى البلاد، فقال: لو يريدنى لخبر بعض معارفى، و لكنه يريد قتلى مخادعه فى القول حتى انصرف معه فى جماعه من أصحابه عينوا للقتل، و هم ثلاثون نفرا، فلما بلغ به الجهه التى عين له قتله فيها قتله و من استصحبه معه منهم:

الأمير سيف الدين بلاكوش الجاويش، و منكورس الجاشنكير، و سيف الدين ابن اكمشى، و جرى لسيف الدين المذكور أعجوبه و هى: أنه لم يحک فيه السيف ضاربه و توهم أنه قتله، فلما انفصل عنه و اتصل بأبغا قتلهم وجد سيف الدين فى نفسه قوه، فنهض قائما عريانا، و قصد سوق العسكر و هو مجروح، و سأل منهم ثوبا يستتر به، فأخذه السوقى لما عرفوه و حملوه إلى أردو إلى قدام أبغا، فسأله أبغا عن قاتله هل يعرفه، فقال: نعم، فأمر بإحضار جميع من باشر قتل البرواناه و أصحابه، فحضروا، فلما رأى سيف الدين المباشر لقتله عرفه، فأشار إليه فسأله أبغا، فأقر، فأمر أبغا لسيف الدين فقتله و كان من أمراء المغل، فقام إليه و قتله. ثم أمره بجميع موجوده و ما ملكته يده يتسلمه، و كتب له كتابا بإقطاعه الذى كان له فى بلاد الروم و أضعفه، و قتل البرواناه، و هو فى عشر الستين- رحمه الله.

سنقر بن عبد الله الأمير عز الدين الرومى

، كان من أعيان الأمراء

و شجعانهم و ذوى المكانه منهم، له الحرمه العظيمه فى الدوله و التحكم فى أول الأيام الظاهريه إلى حين قبض عليه و اعتقله بقلعه الجبل، فبقى مده سنين. فلما كان فى جمادى الأولى من هذه السنه شاع بالقاهره وفاته، و عمل عزاؤه بداره بالقاهره، و قد نيف على خمسين سنه- رحمه الله تعالى ...

على بن درباس بن يوسف أبو الحسن

الأمير جمال الدين الحميرى، كان عالى الهمه، كثير الكرم و المروءه، واسع الصدر، وافر الصدقه و البر، و مكارمه على الإخوان و الأصحاب، نفسه نفس الملوک، و له خبره تامه بالولايات و التصرف، و مهابه شديده و سطوه ظاهره. ولى عده ولايات جليله، منها: المرج، و الغوطه، و ما معها و البقاع العزيزى، و بلد مشغرا، و جبل صيدا، و بيروت، و وادى التيم، و تولى غير ذلک: و لم تزل حرمته وافره عاليه إلى أن توفى الملک الظاهر- رحمه الله، فقصده الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب السلطنه بالشام لأمر كان فى نفسه منه، فأحضره إلى دمشق و اعتقله و غرمه جمله طائله، و بقى فى منزله بجبل الصالحيه بطالا من الولايه، و خبزه إلى أن أدركته منيته فى سلخ شهر رجب أو مستهل شعبان، و كان صرفه من الولايه لطفا من الله تعالى، فإنه لما صرف أقلع عن المظالم و تنصل منها، و تاب إلى الله تعالى من العود إليها، و كان يقوم الثلث الأخير من الليل دائما، يصلى و يدعو و يبكى و يتضرع، و كانت طويته حسنه جميله، و عنده فضيله، و على ذهنه جمله من الأشعار و الوقائع و التاريخ، و مولده سنه أربع و ست مائه، و كان عنده حسن عشره و مباسطه و مداعبه، رحمه الله.

و لما كان متولى البقاع العزيزى و ما هو مضاف إليه، ولى نظر تلک الصفقه أو مشارفتها محيى الدين بن الكويس، و كان قبل ذلک قد جنى لديوان العسكر جنايه كبيره، اتصل خبرها بالأمير جمال الدين أقوش النجيبى- رحمه الله تعالى- نائب السلطنه بالشام، فقام فيها حد

القيام و سمر أحد من كان له فيها دخول على جمل و طاف به البلدان، فسميت تلک الوقعه وقعه الجمل لتسمير ذلک الشخص على جمل، و بقى ذلک على ألسن الناس، و كان ابن الكويس المشار إليه ممن له دخول على ذلک، فتخلص بعد شدائد و غرامات، و ولى هذه الجهه و كتب على يده بدر الدين جعفر بن محمد الآمدى ناظر النظار بالشام، كتابا إلى الأمير جمال الدين المذكور يوصيه به، و لم يكن الأمير جمال الدين يختار مرافقته، و كان يكتب له إذ ذاک صاحبنا الموفق عبد الله بن عمر الأنصارى الآتى ذكره فى هذا الكتاب- إن شاء الله تعالى- فقال له: تكتب جواب الصاحب بدر الدين المذكور متسع، و هو مشهور بذلک، فكتب الجواب و صدره بيتين و هما:

شكايه يا وزير العصر أرفعهاما كان يرضى بها من ولاک على

لم يبق فى الأرض مختار يرافقه إلا فتى قد بقى من وقعه الجمل

[أحداث]لسنه السابعه و السبعون و ستمائه

اشاره

استهلت يوم الأربعاء وافق ذلک الخامس و العشرين من حزيران من شهور الروم، و الخليفه الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد، و هو بقلعه الجبل من الديار المصريه، و ملک الديار المصريه و الشام الملک السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركه قان ابن الملک الظاهر بيبرس و هو بالديار المصريه.

[دخول أحمد بن خلكان دمشق قاضيا:]

ففى يوم الخميس بكره النهار ثالث و عشرون المحرم دخل قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان- رحمه الله تعالى- مدينه دمشق، و خرج نائب السلطنه الأمير عز الدين أيدمر بجميع الموكب و الأمراء لتلقيه إلى آخر الجسوره، و خرج أهل البلد إلى مسجد القدم، و أما رؤساء البلد و عدوله فتلقوه عده مراحل بحيث أن وصل منهم جماعه رفح، و لم يزالوا متواصلين إليه فى كل مرحله، و سر الناس بولايته

سرورا مفرطا، و مدحه الشعراء و هنوه بقدومه، و لم يبق من الأدباء من لا مدحه بغرر القصائد و هى مذكوره فى دواوينهم. و أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن اسماعيل الفارقى من لفظه لنفسه:

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصرو عندى إن الكرام جناس

و لكل سبع شداد بعد السبع عام فيه يغاث الناس

و عمل الفقيه شمس الدين محمد بن جعوان النحوى- رحمه الله تعالى- فى المعنى يقول:

لما تولى قضاء الشام حاكمه قاضى القضاه أبو العباس ذو الكرم

من بعد سبع شداد قال خادمه ذا العام فيه يغاث الناس بالنعم

و قال سعيد الدين سعد الله بن مروان الفارقى- رحمه الله تعالى- فى المعنى و هو قوله:

أذقت الناس سبع سنين جدباغداه هجرته هجرا جميلا

فرزقه الإله بأرض مصرمددت عليه من كفيک نيلا

و عمل نور الدين أحمد بن مصعب فى ولايته و عزل القاضى عز الدين:

رأيت أهل الشام طراما فيهم قط غير راضى

نالهم الخير بعد شرفالوقت بسط بلا انقباض

و عوضوا فرحه بحزن قد أنصف الدهر فى التقاضى

و سرهم بعد طول غم قدوم قاض و عزل قاض

فكلهم شاكر و شاک بحال مستقبل و ماضى

و فی یوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذکر الدرس بالمدرسه الظاهریه بدمشق قباله العادلیه الکبیره، و هی علی فرقتین: شافعیه و حنفیه،

و حضر الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب السلطنه هو و العلماء و الأعيان، و كان مدرس الشافعيه الشيخ رشيد الدين عمر بن اسماعيل الفارقى، و مدرس الحنفيه صدر الدين سليمان الحنفى، و لم تكن عماره المدرسه تكملت إلى ذاک التاريخ.

و فى يوم الاثنين الرابع و العشرين من ربيع الأول كسر الخليج الكبير بالقاهره، و قد غلق ماء السلطنه على ما جرت به العاده- لله الحمد.

و فى يوم الخميس عاشر جمادى الأولى باشر الحكم بدمشق عوضا عن القاضى مجد الدين عبد الرحمن بن العديم، رحمه الله تعالى، قاضى القضاه صدر الدين رسلان- رحمه الله- بمقتضى تقليد سلطانى ورد عليه فى ذلک النهار من الديار المصريه.

و فى عشيه الاثنين تاسع و عشرين من شهر رمضان المعظم باشر الأحكام الشرعيه بدمشق عوضا عن الشيخ صدر الدين سليمان بحكم وفاه قاضى القضاه حسام الدين أبى الفضائل الحسن بن القاضى تاج الدين أحمد بن القاضى جلال الدين الحسن بن أنوشروان الرازى الحنفى قاضى ملطيه، و ما جاورها من بلاد الروم بمقتضى تقليد سلطانى سعيدى ورد عليه من الديار المصريه فى هذا التاريخ، و كان خروجه من بلاد الروم إلى دمشق فى سنه خمس و سبعين عندما عاد الملک الظاهر من قيصريه بعد كسره التتر على ألبلستين، و مولده بأقصرا من بلاد الروم فى ثالث عشر المحرم سنه إحدى و ثلاثين و ست مائه.

و فى العشر الأول من ذى القعده تقدم قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان- رحمه الله- بفتح المدرسه التى أوقفها الأمير جمال الدين أقوش النجيبى- رحمه الله- جوار المدرسه النوريه بدمشق، و بفتح الخانكاه التى أوقفها بالشرف القبلى المطله على الميدان الأخضر بما إليه من الولايه الخاصه و العامه، و ذكر الدرس بالمدرسه بنفسه مده يسيره، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى، و كان سبب تأخر فتح

المكانين عن تاريخ وفاه الواقف شمول الحوطه للتركه و الأوقاف فحين تهيأ الإفراج عن المكانين فتحا.

[خروج الملک السعيد إلى دمشق:]

و فى العشر الأوسط منه خرج الملک السعيد من الديار المصريه بجميع العساكر قاصدا دمشق، و كان دخوله إلى قلعتها فى خامس ذى الحجه، و خرج أهل دمشق كافه إلا القليل لملتقاه، و زينوا ظاهر البلد و باطنها و سروا بمقدمه سرورا عظيما، و عمل عيد النحر بقلعه دمشق، و صلى العيد بالميدان الأخضر.

و فى يوم الثلاثاء خامس ذى الحجه وقعت الحوطه على الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم، بدمشق لورود البريد مخبرا بموت جده الصاحب بهاء الدين، و كان تاج الدين وصل دمشق يوم الاثنين رابع ذى الحجه، و نزل بدار بنى الزكى بباب البريد، و كانت وفاه جده ليله الخميس سلخ ذى القعده، فقال:

بنينا و علينا و رحنا كما ترى و أعمالنا مكتوبه سوف تعرض

فيا معشر الناس الذين تمولوابأموالنا بالله لله أقرضوا

[مباشره الخضر بن الحسن الزرارى الوزاره فى القاهره:]

و فى يوم عرفه منه باشر الوزاره عن الملک السعيد بالديار المصريه الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن الزرارى السنجارى، بحكم وفاه الصاحب بهاء الدين- رحمه الله- بمقتضى تقليد سلطانى ورد عليه من دمشق، و مولد برهان الدين فى سنه أربع عشره و ست مائه فى جبال بلد إربل- رحمه الله.

[تقليد الصاحب عبد الله بن القيسرانى وزاره الشام:]

و فى الشهر المذكور قلد وزاره الشام الصاحب فتح الدين عبد الله ابن القيسرانى، و بسط يده و أمر القضاه و غيرهم بالركوب معه أول مباشرته.

و فى العشر الآخر من الشهر المذكور جهز الملک السعيد العساكر إلى بلاد سيس للنهب و الإغاره، و مقدمهم الأمير سيف الدين قلاوون

الألفى، و أقام الملک السعید بدمشق فی نفر یسیر من الأمراء و الخواص، و کان فی مده غیبه العسکر یکثر التردد إلی الزیبقیه، من قری المرج یقیم بها أیاما و یعود.

و فی یوم الثلاثاء سادس و عشرین منه جلس الملک السعید بدار العدل، داخل باب النصر بدمشق، و أسقط فی المجلس المذکور عن أهل دمشق ما کان قرره والده الملک الظاهر علیهم فی کل سنه قطیعه علی البساتین بجمیع الغوطه، فسر الناس بذلک، و تضاعفت أدعیتهم له و محبتهم فیه، لأن ذلک کان أجحف بأرباب الأموال و الأملاک بحیث ود کثیر منهم لو أخذ ملکه و أعفی من الطلب، فبادر الملک السعید- رحمه الله- إلی اغتنام هذه الحسبه، و حاز أجرها و شکرها و برد مضجع والده، و تعفیه أثرها ...

[الوفیات:]

اشاره

و فیها توفی: .....

آقسنقر بن عبد الله الأمیر شمس الدین الفارقانی

، کان قدیما مملوک الأمیر نجم الدین أمیر حاجب الملک الناصر صلاح الدین یوسف بن محمد بن خلیل- رحمه الله- ثم انتقل بعد مده إلی الملک الظاهر، و تقدم عنده و جعله أستاذدار الکبیر، فإن الملک الظاهر کان له عده أستاذداریه، لکن لم یکن فیهم عنده أکبر من المذکور، و کان أکثر الاعتماد علیه و الوثوق به یستنیبه فی غیبته، و یقدمه علی عساکره، و لم یزل عنده فی أعلی المراتب إلی أن توفی الملک الظاهر، و هو علی ذلک الحال، ثم إن الملک السعید- رحمه الله- بعد وفاه الأمیر بدر الدین الخزندار- رحمه الله- جعله نائب السلطنه فی سائر الممالک علی ما کان علیه الخزندار، فلم ترض حاشیه الملک السعید و خاصکیته ذلک، فوثبوا علیه و أمسکوه و اعتقلوه، و لم یسع الملک السعید إلا موافقتهم علی قصدهم، و کان مسکه فی السنه الخالیه کما تقدم شرحه، فقیل إنه قتل عقیب مسکه، و قیل إن وفاته تأخرت إلی هذه السنه، و أنه مات حتف أنفه فی مجلسه بقلعه الجبل من

الديار المصريه- رحمه الله- و عمل عزاؤه تحت النسر بدمشق بجامعها فى يوم الخميس ثالث جمادى الأولى من هذه السنه، و هو فى عشر الخمسين، كان وسيما جسيما، شجاعا مقداما كريما، كثير البر و الصدقه، خبيرا بالتصرف، حسن التدبير، عليه مهابه شديده مع لين كلمه، و هو الذى توجه إلى الديار المصريه مبشرا بكسره كتبغا نوين و التتر على عين جالوت، فى شهور سنه ست و خمسين و ست مائه.

حكى لى أن سبب ترقيه عند الملک الظاهر- رحمه الله- أنه سير عشره هو مقدمهم لكشف بلاد الجزيره و تلک النواحى، فلما شارفوا الفرات وجدوها زائده جدا لا يمكن عبورها، فرجعوا إلا هو، امتنع من الرجوع و قال لهم: قد ندبنى السلطان فى مهم فإما قمت به أو مت دونه، ثم جعل ثيابه و عدته مشدوده و حملها على رأسه و سبح بفرسه حتى قطع الفرات وحده، و كشف الجزيره و ظفر بجاسوس معه كتب فأخذها منه، و اجتمع بقوم هناک عيون للمسلمين، و استعلم منهم الأخبار، و عاد بعد إقامته هناک أياما، و خاض الفرات ثانيا كما خاضها أولا، و رجع إلى الملک الظاهر فأخبره بالخبر فعظم محله عنده، و ارتفعت منزلته لديه، و كان أمير عشره، فاتفق فى الحال الراهنه وفاه أمير بطبلخاناه بالديار المصريه، و أخبر الملک الظاهر بوفاته و الفارقانى بين يديه يحدثه، فأعطاه خبزه، و ظهرت منه الكفايه، فضاعف الإحسان إليه و زيادته، و ترقيه إلى أن بلغ أعلى المراتب.

[أحداث]قطوان بن عبد الله الأمير علاء الدين المهمندار

، أحد أمراء الشام، كان شابا حسنا، عنده شجاعه و معرفه و ديانه، توفى بدمشق ليله الأحد ثامن شعبان، و دفن من الغد بسفح قاسيون، و قد نيف على أربعين سنه.

و لما حضرته الوفاه أوصى بثلث ماله يصرف فى وجوه البر حيثما يراه الوصى، و كان من غلمان نجم الدين أمير حاجب الملک الناصر، رحمه الله تعالى.

آقوش بن عبد الله أبو سعيد جمال الدين النجيبى

الأمير الكبير، هو من عتقاء الملک الصالح نجم الدين أيوب، و ذوى المكانه عنده، أمره و جعله أستاذ داره، و كان معتمدا عليه، و يثق به، و يسكن إليه، مولده سنه تسع أو عشر و ست مائه، و جعله الملک الظاهر أستاذ داره فى أول الدوله، ثم جعله نائب السلطنه عنه بالشام مده تسع سنين، و عزل عن ذلک قبل وفاته بسبع سنين، و انتقل إلى القاهره، و أقام بداره بطالا إلى حين وفاته، و حرمته فى الدوله كبيره، و مكانته عاليه، و لما تمرض عاده الملک السعيد، و توفى ليله الجمعه خامس شهر ربيع الآخر بالقاهره المعزيه بداره بدرب ملوخيا، و دفن يوم الجمعه قبل الصلاه بتربته التى أنشأها بالقرافه الصغرى، و كان لحقه فالج قبل موته بأربع سنين، و استمر به ثم عرض له قبل وفاته بأحد عشر يوما احتباس الإذاقه، و كان كثير الصدقه، محبا فى العلماء و الفقراء، حسن الاعتقاد، شافعى المذهب، متغاليا فى السنه، و حب الصحابه، رضى الله عنهم، و عنده تحامل كثير على الشيعه لا يملک نفسه فى ذلک، و أوقف أوقافا منها بمدرسته التى بدمشق جوار مدرسه الملک العادل نور الدين محمود بن زنكى- رحمه الله- و بنى بها تربه حسنه، و فتح لها شباكين إلى الطريق، و لم يقدر دفنه بها، و وقف خانكاه ظاهر دمشق بالشرف القبلى غربى خانكاه المجاهد إبراهيم، رحمه الله.

و وقف خانا، و دارا للسبيل على طريق الجسوره، و وقف على ذلک أوقافا صالحه، و جعل النظر فى ذلک لقاضى القضاه شمس الدين أحمد ابن خلكان- رحمه الله- و كان من أعيان الأمراء و كبرائهم، و ذوى الرأى و الخبره و المعرفه و الدرايه، متقدما فى الدول، رحمه الله.

[أحداث]يدكين بن عبد الله علاء الدين الشهابى.

أحد أمراء دمشق الأعيان، مشهورا بالشجاعه، تولى نيابه السلطنه بحلب، و شد دواوينها مده أخرى، و كان عنده معرفه و خبره، و محبه للفقراء و حسن ظن بهم

و إحسان إليهم، فتوفى بدمشق ليله الاثنين خامس عشر ربيع الأول، و دفن من الغد بسفع قاسيون بتربه الشيخ عثمان الرومى- رحمه الله- و هو فى عشر الخمسين- رحمه الله. و وقف خانقاته داخل باب الفرج بدمشق ففتحت، و رتب بها الصوفيه، و فتح بها شباكا مطلا على الطريق، و عمل عليه نصيبه مكتوب عليها اسم الواقف- رحمه الله- و تاريخه، و الشهابى نسبه إلى الطواشى شهاب الدين الرشيد الكبير الصالحى النجمى- رحمه الله.

بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين الزينى الصالحى النجمى

، أحد أمراء دمشق الأعيان، كان فى أول دوله الترک بالديار المصريه، مقدم البحريه، ثم حبس مده سنين، و أفرج عنه و أعطى أمريه بدمشق، فأقام بها إلى أن توفى ليله الثلاثاء تاسع شهر رمضان المعظم بجبل الصالحيه، و دفن من الغد بالقرب من تربه الملک المعظم- رحمه الله، و كان عنده نهضه و كفايه و شجاعه.

و الشهابى نسبه إلى الأمير شهاب الدين أحمد، أمير جندار الملک الصالح نجم الدين أيوب ...

سنجر بن عبد الله الأمير علم الدين التركمانى

، كان من أعيان الأمراء بالشام و أماثلهم، له حرمه وافره، و عنده شجاعه و إقدام و تجمل فى إمريته.

توفى بدمشق يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى، و دفن بسفح قاسيون و قد نيف على خمسين سنه من العمر- رحمه الله تعالى- و هو أخو الأمير عز الدين أيبک الاسكندرى المقدم ذكره- رحمه الله- لأبويه، و أخوه كندغدى الحسامى الجوكندارى لأبيه- و الله أعلم ...

على بن محمد بن سليم أبو الحسن

بهاء الدين الصاحب الوزير المعروف بابن حنا وزير الملک الظاهر ركن الدين، و ولده بعده إلى حين

وفاته، مولده بمصر فى سنه ثلاث و ست مائه، و توفى بها وقت العصر نهار الخميس سلخ ذى القعده، و صلى عليه يوم الجمعه قبل الصلاه، و دفن بتربته بالقرافه الصغرى- رحمه الله- و مات و هو وزير، كان من رجاله الدهر حزما و عزما و رأيا و تدبيرا، تنقلت به الأحوال، و تنقل فى المناصب الجليله، و ظهرت كفايته و درايته و حسن تأتيه، فاستوزره الملك الظاهر- رحمه الله- فى أوائل دولته، و فوض إليه أمور مملكته مما يتعلق بالأموال، و الولايات و العدل لا يعارض فى ذلک، و لا يشارک بل هو المتصل بأعباء ذلک، و المرجع إليه فيه، و لم يزل مستمرا على ذلک إلى حين وفاه الملک الظاهر- رحمه الله- فدبر الأمور أحسن تدبير، و ساس الأحوال فى سائر المملكه، و أخمل خلقا كثيرا ممن ناوءه و كان عنده حسن ظن بالفقراء و المشايخ، يحسن إليهم- نفع الله بهم- و يقضى حوائجهم، و يبالغ فى إكرامهم، و كان أرباب الحوائج يتوسلون بهم إليه فلا يرد لهم شفاعه، حكى لى أن بعض الصلحاء المتورعين قدم القاهره فى أواخر شعبان فكلف الاجتماع به لسبب شخص مصادر، فاجتمع به و حدثه فى ذلک فأجابه، ثم قال له: هذا شهر رمضان قد أقبل، و اشتهى أن تصومه هنا و تفطر عندى و أقضى لک فى كل ليله عشر حوائج كائنه ما كانت، فنظر ذلک الرجل على ما يترتب فى إجابته من المصالح فصام عنده شهر رمضان، و أفطر عنده، فوفى له بوعده، و كان كل ليله يقضى له عشر حوائج من إطلاق محبوس، و ولايه بطال و مسامحه من عليه ماله و هو عاجز عنه إلى غير ذلک، و كان واسع الصدر لا يدرى مقدار ما يلزمه من الكلف للأمراء و الرؤساء و من يلوذ بخدمته، و أما عفته عن الأموال فإليها المنتهى لا يقبل لأحد هديه إلا أن يكون من المشائخ الصلحاء، و يهدى له ما لا قيمه له يقبله تبركا و يبر الذى سيره إليه، و قصده جماعه من أكابر الأمراء و غيرهم من أرباب الدوله، فلم يبلغوا منه مقصودهم، و لم يجدوا ما يتعلقوا عليه به، و لما توفى الملک الظاهر استمر به ولده الملک السعيد- رحمه الله- و بالغ فى إكرامه و إعظامه

و لم تزل حرمته وافره تامه و مكانته عاليه، و كلمته نافذه، و أوامره مطاعه إلى حين وفاته، و له بر، و أوقاف و كان يتصدق بالجمل الكثيره سرا و جهرا، و له متاجر تعود نفقتها إليه فمنها معظم نفقاته و صدقاته، و لما ابتلاه الله تعالى بفقد ولديه: الصاحب فخر الدين، و الصاحب محيى الدين- رحمهما الله تعالى- و قد تقدم ذكرهما، و حاز لأجر فقدهما، عوضه الله من ذريتهما بأولاد نجباء صدور رؤساء تقربهم عينه، و بهم فى المعروف و فعل الخير طرائق لم يسبقوا إليها، و فيهم الأهليه التامه و الوزاره و غيرها، غير أنهم كانوا يختارون العزله، و كان الصاحب بهاء الدين- رحمه الله- ممدحا مدحه جماعه كثيره من الشعراء بغرر القصائد، و كان يهش لذلک، و يجزيهم الجوائز السنيه، عمل فيه الحاج رشيد الدين الفارقى الآتى ذكره فى هذا الكتاب إن شاء الله ...

[أحداث]لسنه الثامنه و السبعون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه يوم الأحد، و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره فى السنه الخاليه و الملک السعيد بدمشق

ففى شهر المحرم منها ترتب بدمشق حاكم مالكى المذهب بعد خلوها منه مده، فإن الشيخ زين الدين الزواوى-- رحمه الله- كان يباشر الأحكام بها ثم استعفى فأعفى.

[اضطراب أمور الملک السعيد:]

و فى العشر الأوسط من ربيع الأول وقع بين المماليک الخاصكيه الملازمين بخدمه الملک السعيد [ما عجز] عن تلافى ذلک، و خرج عن طاعته سيف الدين كوكندک الظاهرى نائب السلطنه بالممالک، و مقدم العساكر مغاضبا له، و معه أربعمائه من الظاهريه، منهم جماعه كثيره أمراء مشهورين بالشجاعه، و نزلوا بمنزله القطيفه، فى نظره العساكر التى ببلاد سيس.

ففى العشر الآخر منه عادت العساكر إلى جهه دمشق من بلاد

سيس، فنزلوا بمرج عذراء إلى القصير، و كان قد اتصل بهم سيف الدين كوكندک و من معه و لم يدخل العسكر دمشق، و أرسلوا إلى الملک السعيد فى معنى الخلف الذى حصل، و كان كوكندک مائلا إلى البيسرى، و لما اجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفى، و الأمير بدر الدين بيسرى، و الأمراء الكبار، و أوحى إليهم ما غلت صدورهم، و خوفهم من الخاصكيه، و عرفهم أن نيتهم لهم غير جميله، و أن الملک السعيد موافق لهم على ذلک، و كثر من القول المختلق بما يغريهم و ينفرهم، و كان من جمله ما اقترح الأمراء الكبار على الملک السعيد إبعاد الخاصكيه عنه و تفرقهم، و أن لا يكون لهم فى الدوله و التدبير حديث، بل يكون على ذلک أخبازهم و وظائفهم مقيمين، فلم يجب الملک السعيد إلى ذلک، و لا أقدر عليه، لقوه شوكتهم، و اجتماع كلمتهم.

فرحل العسكر من مرج عذراء إلى ذيل عقبه سحوراء بأسرهم، و لم يعبروا على المدينه، بل جعلوا طريقهم من المرج، و أقاموا بهذه المنزله ثلاثه أيام، و الرسل تتردد إليهم، و بينهم و بين الملک السعيد، ثم رحلوا من هناک، و نزلوا بمرج الصفر، و عند رحيلهم رجع الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب السلطنه بالشام، و أكثر عسكر دمشق، و دخلوا البلد من وقتهم فى طاعه الملک السعيد، و فى رحيلهم إلى مرج الصفر سير الملک السعيد والدته ابنه بركه خان فى محفه، و فى خدمتها الأمير شمس الدين قراسنقر الأشقر، فإنه كان مقيما عند الملک السعيد بدمشق، لم يتوجه إلى بلاد سيس، و لحقوا العسكر، فلما سمعوا بوصولها، خرج الأمراء الأكابر المقدمون لملتقاها، و قبلوا الأرض أمام المحفه، و بسطوا العتابى و غيره تحت حوافر البغال كما جرت العاده، فلما استقرت بالمنزله تحدثت معهم فى الصلح، و الانقياد، و اجتماع الكلمه فذكروا ما بلغهم من تغريه الملک السعيد فيهم، و موافقته الخاصكيه على ما يرومونه من إبعادهم، و إمساكهم و غير ذاک، فحلفت لهم على بطلان

ما نقل إليهم من ذلک، و عدم صحته، فاشتروا شروطا كثيره ألزمت لهم بها، و عادت إلى ولدها، و عرفته الصوره، فمنعه من حوله من الخاصكيه من الدخول تحت تلک الشروط، و قالوا له: ما القصد إلا إبعادنا عنک ليتمكنوا منک، و ينزعوک من الملک، فأبى قبول تلک الشروط، فرحل العسكر من مرج الصفر قاصدا إلى الديار المصريه، فخرج الملک السعيد بنفسه جريده، و ساق فى طلب اللحاق بهم، و تلافى الأمر فى معناهم إلى أن بلغ رأس الماء، فوجدهم قد عبروه و بعدوا، فعاد من يومه، و دخل قلعه دمشق فى الليل، و ذلک ليله الخميس سلخ ربيع الأول.

و فى يوم الجمعه بعد الصلاه مستهل ربيع الآخر، خرج الملک السعيد بجميع من تخلف عنده من العساكر المصريين و الشاميين إلى جهه الديار المصريه فى طلب العساكر المتقدمه، و جهز والدته و خزانته إلى الكرک، و وصل الملک السعيد بلبيس يوم الجمعه خامس عشره، فوجد العسكر المتقدم ذكره قد سبقه إلى القاهره، فلما رحل من بلبيس بعد العصر من النهار المذكور فارقه الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب السلطنه بدمشق، و صحبته أكثر أمراء دمشق.

[خلاف بين صاحب طرابلس و صاحب جبيل و الداويه:]

و فى ربيع الأول، و ربيع الآخر من هذه السنه جرى بين صاحب طرابلس و صاحب جبيل و الداويه اختلاف، و أغار بعضهم على بلد بعض، و قتل بينهم جماعه كثيره، و كذلک التتار اختلفوا، و قتل بينهم ما لا يحصى عدده إلا الله.

و فى داخل البحر اختلفت الفرنج و قتل بينهم خلق كثير، و اختلفوا فى عكا، و الكرج، و فى سائر الأطراف، و اختلفوا فى العراق و اختلف العرب، و القبائل و الفلاحون و قتل بين هذه الطوائف خلق كثير.

[عوده الملک السعيد إلى القاهره ثم خلعه من السلطنه و توليه سلامش بن بيبرس السلطنه:]

و أما الملک السعيد فوصل بمن معه إلى ظاهر قلعه الجبل، و نائبه بها و بالديار المصريه الأمير عز الدين أيبک الأفرم. و هو بالقلعه فوجد

العساكر محدقه بها فحصل بينهم مقاتله يسيره، و كان الذين مع الملک السعيد جماعه قليله بالنسبه إلى من فى مقابلته، فحمل الأمير علم الدين سنجر الحلبى، و شق الأطلاب، و دخل إلى قلعه الجبل بعد أن قتل من الفريقين نفر يسير.

فلما استقر بها، و رفع علمه عليها انضاف جميع من بقى ظاهر القلعه ممن كان معه إليهم، و أما الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بقى فى الطريق و لم يدخل معه إلى القلعه، و لا انضاف إلى العسكر المباين له، و أحاطت العساكر بالقلعه، و ضايقوها، و قطعوا الماء الذى يطلع إليها فى المرارات عنها و رجعوا إليها، وجدوا فى ذلک السعيد تخلى من كان يرجو نصره عنه، و تخاذل من بقى معه من الخاصكيه، و أنه لا طاقه له بهم، و كان المشار إليه فى هذه الأمور و المخاطب إنما هو الأمير سيف الدين قلاوون، فجرت المراسلات بأنهم ينصبوا فى السلطنه أخاه بدر الدين سلامش، و يعطون للملک السعيد و أخيه نجم الدين خضر الكرک، و الشوبک، و أعمالها فسير الأمير علم الدين سنجر الحلبى، و المولى تاج الدين أحمد ابن الأثير- رحمهما الله تعالى- إلى الأمير سيف الدين قلاوون، و أعيان الأمراء ليستوثق منهم، فحلفوا له على الوفاء بما التزموه، و نزل من قلعه الجبل يوم الأحد سابع عشر الشهر المذكور إلى دار العدل التى على باب القلعه، و كانت مركز الأمير سيف الدين قلاوون حال المضايقه للقلعه فلما نزل حضر أعيان الأمراء و القضاه و المفتيين و خلعوه من السلطنه، و رتبوا مكانه أخاه لأبيه بدر الدين سلامش و نعتوه بالملک العادل، و تقدير عمره يوم ذاک سبع سنين، و جعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى، و هو حمو الملک السعيد، و حلف الأمراء، و العسكر له، و لأتابكه بعده فى اليمين، و ضربت السكه أحد الوجهين باسم العادل، و الآخر باسم أتابكه، و ذكر الأتابک فى الخطبه، و دعى له على المنابر، و استقر الأمر على هذه

الصوره، و تصرف الأتابک فی المملکه و العساکر، و الخزائن، و عامله الأمراء، و جمیع الجیش بما یعاملون به السلطان، و عمل بخلع الملک السعید مکتوب شرعی متصل باستفتاء، و وضع الأمراء خطوطهم، و شهادتهم فیه، و کتب فیه المفتیون، و القضاه، و جعلوا نسخا عده و عوضوا الملک السعید الکرک، و عملها، و أعطوا أخاه نجم الدین خضر الشوبک و عملها.

[خروج الملک السعید إلی قلعه الکرک:]

و فی لیله الاثنین ثامن عشره خرج الملک السعید إلی برکه الحجاج و نزل بها متوجها إلی الکرک، و معه جماعه من العسکر، صوره ترسیم، مقدمهم سیف الدین بیدغان الرکنی ثم أعید إلی القلعه نهار الاثنین لأمر أرادوه و قدروه، ثم توجه لیله الثلاثاء إلی الکرک بمن معه فوصلوها یوم الاثنین خامس عشرین منه، و دخلوها، و تسلم أخوه الأمیر نجم الدین خضر الشوبک و کان بیدغان، و من معه قد فارقه من غزه، و رجع إلی الدیار المصریه.

و أما الأمیر شمس الدین سنقر الأشقر فإنه اجتمع بخشداشیه الأتابک سیف الدین قلاوون و صار فی جملته، و أما الأمیر عز الدین أیدمر فإنه وصل بمن معه إلی ظاهر دمشق یوم الأحد مستهل جمادی الأولی فخرج لملتقاهم من کان تخلف بدمشق من الأمراء و الجند، و المقدم علیهم، و المشار إلیه فیهم الأمیر جمال الدین أقوش الشمسی، فلما وصلوا إلی مصلی العید بقصر حجاج، احتاط بالأمیر عز الدین أیدمر الأمیر جمال الدین الشمسی، و الأمراء الذین معه، و أخذوه بینهم، و فصلوه عن العسکر الذی حضروا معه، و دخلوا به من باب الجابیه، و حملوه إلی الدار المعروفه بأستاذ دار الملک الناصر صلاح الدین یوسف- رحمه الله- بقرب مأذنه فیروز، و استمروا علیه بها إلی آخر النهار ثم نقلوه إلی قلعه دمشق تحت الحوطه، و اعتقلوه بها، و کان الملک السعید لما خرج من قلعه دمشق متوجا إلی الدیار المصریه، سلمها إلی الأمیر علم الدین سنجر الدوادار، و جعله

النائب عنه بالبلد و بها، فاستمر الحال على هذه الغايه، و لما اعتقلوه طلبوا التضييق عليه، فلم يوافق الأمير علم الدين على ذلک، ثم طلبوه منه فلم يسلمه إليهم، و قال: أنتم إنما حبستموه بيد الأتابک و هو فى حبسه، لا أسلمه إلا بأمره و دفعهم بذلک.

و فى العشر الأوسط منه وصل إلى دمشق من الديار المصريه جمال الدين أقوش الباخلى، و شمس الدين سنقرجا الكنجى، و على أيديهما نسخه الأيمان بالصوره التى استقر الحال عليها بمصر، و أحضروا الأمراء و الجند و القضاه و العلماء و أكابر البلد للحلف، و كان مع القادمين من الديار المصريه نسخه بالمكتوب المتضمن خلع الملک السعيد و كتبه إلى الأمراء و غيرهم من الأتابک بصوره الحال فقرى ء ذلک على الناس، و حلفوا و استمر التحليف أياما.

و فى هذا الشهر عزل قضاه الديار المصريه الثلاثه دفعه واحده، و هم:

تقى الدين محمد بن رزين، و نفيس الدين بن شكر المالكى، و معز الدين الحنفى، و باشر الأحكام عوض تقى الدين القاضى صدر الدين عمر ابن القاضى تاج الدين عبد الوهاب المعروف بابن بنت الأعز.

[تولى سنقر الأشقر نيابه دمشق:]

و فى يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخره صار الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى دمشق نائب السلطنه بها و بأعمالها و ما أضيف إليها من البلاد، و معه جماعه من الأمراء و العسكر و خرجوا فى خدمته من القاهره، فخرج الناس من الشام لتلقيه احتفالا عظيما و عاملوه قريبا من معامله الملوک، و نزل بدار السعاده، و كانت له بسطه عظيمه فى الخزائن، و القلاع و العساكر و الأموال خلاف من تقدمه، و تقدم عند وصوله إلى الأمير علم الدين الدوادارى بالنزول من القلعه فنزل إلى داره، و أقام بها مباشرا لتنفيذ الأشغال، و تدبير الأحوال، و شد الدواوين و بدار المملكه بأسرها عليه، و قرأ تقليد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بمقصوره الخطابه عقيب الفراغ من الجمعه، و حضر أعيان الدوله، و لم يحضر هو قراءته.

[خلع سلامش بن بيبرس و سلطنه قلاوون الألفى:]

و فى يوم الثلاثاء الحادى و العشرين من شهر رجب اجتمع الأمراء و الأعيان بقلعه الجبل من الديار المصريه، و خلعوا الملک العادل بدر الدين سلامش ابن الملک الظاهر من السلطنه و رتب عوضه أتابکه سيف الدين قلاوون الصالحى، و نعت بالملک المنصور، و حلفوا له بأسرهم، و لم يكن لسلامش فى مده سلطنته غير الاسم، و كان السبب فى توليته أولا تسكين ثوره الظاهريه، فإنهم كانوا معظم عسكر الديار المصريه، و أيضا فكانت بعض القلاع فى أيدى نواب الملک السعيد، فأرادوا استنزالهم منها، فلما تم معظم المقصود خلعوه و استقل الملک المنصور بالسلطنه، و وصلت البرد إلى دمشق يوم الأحد سادس و عشرين منه، و معهم نسخه يمين لتحليف الأمراء و الجند و أرباب الدوله، و أعيان الرعايا، فأحضروا إلى دار السعاده بدمشق، و حلفوا، و قيل إن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر لم يحلف، و لم يرضه ما جرى.

و فى يوم الجمعه ثانى شعبان خطب للملک سيف الدين قلاوون بجامع دمشق، و جوامع الشام بأسرها، خلا مواضع يسيره جدا، توقفوا ثم خطبوا بعد ذلک، و كان الكتاب الوارد من الملک المنصور على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بخط المولى تاج الدين أحمد بن الأثير- رحمه الله- و فيه: «لا زالت أيامه عجابها، تهتنى و ترى من النصر ما كانت تتمنى، و يتأمل آثارها، فيملأها حسنا، و يشاهد من أمائر الظفر ما يوسع العباد أمنا، و يستزيد الحمد على ما وهب من الملک الذى أولى كلا منا منا، المملوک يهدى من لطيف أنبائه، و وظائف دعائه، و ما استقر من عوارف الله لديه، و ما جناه من النعم التى ملأت يديه ما يستروح به، و يستفتح لسان الحمد بتقديمه، و يزداد به مسره نفسه ابتهاجا، و تزدان به عقود السعود، و إنما تزين انسلاک فى العقود ازدواجها، و يقوى به قوى العزائم، و بمثله الأعداء فى أوكارها، فيكاد يتجرد ذيول الهزائم، و تبعث الآمال على تمسكها بالنصر، و يظهر منه المحاب التى لو قصدت الأقلام

بحصرها، لعجزت عن الحصر، و هو أن العلم الكريم قد أحاط بالصوره التى استقرت من دخول الناس فى طاعه المملوک، و اجتماع الكلمه عليه، و استقلاله بأمر السلطنه المعظمه.

و لما كان يوم السبت الثالث من شعبان المبارک سنه ثمان و سبعين و ستمائه ركب المملوک بشعار السلطنه و أبهه المملكه، و سلک المجالس العاليه و الأمراء الأكابر، و المقدمون، و المفارده و العساكر المنصوره من آداب الخدمه، و إخلاص النيه، و حسن الطاعه كل ما دل على انتظام الأمر و اتساق عقد النصر، و لما قضينا من أمر الركوب وطرا و أنجزنا من الأولياء وعدا من السعاده منتظرا، عدنا إلى قلعه الجبل المحروسه و الأيدى بالأدعيه الصالحه لنا مرتفعه، و القلوب على محبه أيامنا مجتمعه، و الآمال قد توسعت بالعدل و استمراره، و الأبصار قد استشرقت من التأييد مطلع أنواره، و شرعنا من الآن فى أسباب الجهاد، و أخذنا فى كل ما يؤذن إن شاء الله تعالى بفتح ما فى أيدى العدو من البلاد، و لم يبق إلا أن نثنى الأعنه و نسدد الأسنه، و نظهر ما فى النفوس من مضمرات المقاصد المسكنه، و المولى- أدام الله نصرته- يأخذ بحظه من هذه المسره، و هذه المواهب التى ظهرت منها خفايا الإقبال المستسره، و يتقدم بأن يزين دمشق المحروسه، و يضرب البشائر فى البلاد. و أن يسمعها كل حاضر و باد، و الله يجعل أوقاته التهانى مفتتحه، و بشكر مساعيه التى ما زالت فى كل موقف ممتدحه، إن شاء الله تعالى».

و فى السادس و العشرين من شهر رمضان عزل الصاحب برهان الدين السنجارى عن الوزاره بالديار المصريه، و لزم مدرسه أخيه قاضى القضاه بدر الدين بالقرافه الصغرى، و رتب مكانه فى الوزاره الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف.

[وفاه الملک السعيد بالكرک:]

و فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعده توفى بالكرک الملک السعيد- رحمه الله- و سنذكره إن شاء الله تعالى.

و فى يوم الثلاثاء سادس عشره حمل الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى من قلعه دمشق فى محفه إلى الديار المصريه لمرض لحقه فى أطرافه منعه من الركوب بمرسوم ورد من هناک، و عند وصوله إلى اديار المصريه اعتقل بقلعه الجبل بالديار المصريه، و حضره الملک المنصور سيف الدين قلاوون، و هو لابس البياض، و حضرت القضاه و العلماء و أرباب الدوله و الوعاظ و المقربون على ما جرت العاده.

[تسلطن سنقر الأشقر فى دمشق:]

و فى يوم الجمعه الرابع و العشرين ركب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من دار السعاده بدمشق بعد صلاه العصر، و معه جماعه من الأمراء و الجند، و هم رجاله و هو راكب وحده، و قصد القلعه من الباب الذى يلى المدينه فهجمها بمن كان معه راكبا، و جلس بها من ساعته، فحلف الأمراء و الجند و من حضر، و تسلطن، و لقب بالملک الكامل، و فى آخر النهار المذكور نادت المناديه بالمدينه بسلطنته و استقلاله، و فى بكره السبت خامس و عشرين منه طلب القضاه و العلماء و رؤساء البلد و أكابره و أعيانه إلى مسجد أبى الدرداء- رضى الله عنه- بقلعه دمشق، و حلفهم و حلف بقيه الأمراء و العسكر.

و فى يوم الأربعاء سبع و عشرين منه توجهت العساكر إلى غزه لحفظ البلاد و منعها، و دفع من يتطرق إليها من الديار المصريه.

و فى هذه السنه جدد فى قبه النسر بجامع دمشق خمسه أضلاع من الجهه الغربيه بشمال.

[تهديم قلعه الشوبک:]

و فيها تسلم نواب الملک المنصور سيف الدين قلاوون قلعه الشوبک من أربابها بالأمان، و هدموها، و ذلک بعد أن حاصروها مده، و كان انتقل منها الأمير نجم الدين خضر إلى عند أخيه الملک السعيد إلى حصن الكرک قبل منازله الملک المنصور لها من حين أحس بقصدهم بها و لم يحصن نفسه فيها ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى ...

[أحداث]قوش بن عبد الله جمال الدين الركنى المعروف بالبطاح

، أحد أمراء دمشق، كان جرد مع العساكر إلى بلاد سيس، فتوجه صحبتهم، فلما عاد تمرض و توفى بحلب يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول، و نقل إلى حمص، فدفن بظاهرها بالقرب من قبر خالد بن الوليد- رضى الله عنه- و هو فى عشر الخمسين سنه من العمر- رحمه الله عليه- و الركنى نسبه إلى الأمير الكبير الذى لقى الفرنج بأرض غزه، و كسرهم الكسره المشهوره، و كان من أعيان الأمراء، و له عده مماليک يعرفون به، منهم الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت، و علاء الدين الركنى الذى أضر فى آخر عمره صاحب العمائر المشهوره بالقدس و الخليل، و الحجاز الشريف و غيره- رحمه الله تعالى.

[أحداث]قوش بن عبد الله جمال الدين الشهابى السلحدار.

أحد أمراء دمشق الأعيان، كان صحبه العسكر بسيس، فتمرض و انقطع بحماه، فتوفى بها فى تاسع و عشرين ربيع الآخر، و نقل إلى دمشق، و دفن عند خشداشه علاء الدين أيدكين الشهابى، نسبه إلى الطواشى شهاب الدين رشيد الخادم الكبير الصالحى النجمى.

بلبان بن عبد الله الأمير ناصر الدين النوفلى العزيزى

، أحد أمراء دمشق، كان من أعيان العزيزيه، وافر الديانه، كثير البر و الخير، عنده حشمه و رياسه، و لين جانب، و حسن عشره، و تواضع، و محبه فى الفقراء و العلماء، و كان صحبه العساكر بسيس، فلما عاد إلى حلب، تمرض، و توفى إلى رحمه الله تعالى بها يوم الجمعه رابع و عشرين ربيع الأول و عمره خمس و ستون سنه- رحمه الله- و العزيزى نسبه إلى الملک العزيز ابن الملک الظاهر غازى بن صلاح الدين الكبير- رحمهم الله تعالى.

جبق بن صون بن إيل

، الأمير جمال الدين، أحد أمراء دمشق، و توفى

بها ليله الأحد سادس جمادى الآخره، و دفن من الغد، و عمره مقدار خمسين سنه- رحمه الله- و يقال إنه من أولاد صول التركى ملک جرجان، الذى أسلم على يد يزيد من المهلب بن أبى صفره لما حاصره بها، و أخذها منه، و الله أعلم ...

على بن عمر بن محمد أبو محمد بن مجلى أبو الحسن

الأمير نور الدين الهكارى، ولى نيابه السلطنه بحلب، و أعمالها فى سنه تسع و خمسين و سته مائه إلى سنه ثمان و سبعين و ست مائه، و كان حسن السيره، عالى الهمه، لين الكلمه، كريم الأخلاق، كثير التواضع للعلماء و الفقراء، و الأصحاب محسنا إليهم، و عزل عنها قبل موته بالأمير علاء الدين أيدغدى الكبكى، و كانت وفاته بحلب بعد عزله بقليل يوم الأربعاء السابع و العشرين من ربيع الآخر، و دفن بها، و قد نيف على سبعين سنه من العمر، و كان والده الأمير عز الدين من أكابر الأمراء بحلب و أعيانهم، و شهرته تغنى عن الإطناب فى وصفه، رحمه الله تعالى.

قالاجا بن عبد الله الركنى الأمير سيف الدين

أحد أمراء دمشق، كان توجه صحبه العساكر إلى سيس، و توفى بحلب عند عود العساكر فى الرابع و العشرين من ربيع الأول، و دفن بالأنصارى، و قد نيف على أربعين سنه من العمر- رحمه الله تعالى- و الركنى نسبه إلى الأمير ركن الدين بيبرس العلائى، و قد تقدم البينه عليه.

لؤلؤ بن عبد الله حسام الدين

، أحد كتاب الجيوش بالشام، و هو عتيق بدر الدين جعفر بن محمد الآمدى، أو عتيق أخيه موفق الدين على ابن محمد، و هو ممن استفاد صناعه الكتابه و التصرف و برع فى ذلک، و خدم الملک الأشرف مظفر الدين موسى بن الملک المنصور إبراهيم صاحب حمص، و ترقى عنده حتى كانت مداراه أموره عليه، و هو فى رتبه وزير صغير، فلما توفى الملک الأشرف انتقل من حمص إلى دمشق، و استوطنها، و استخدم فى مشارفه ديوان الجيش بها، و كان الديوان بأسره

عباره عنه و الرفقه تبعا له، و كان غزير المروءه طاهر اللسان، متفضلا على معارفه و أصحابه، كثير البر لمن يقصده فى حاجه، و المسارعه إليها حسبما يمكنه و كان شيعيا متغاليا فى التشيع داعيه إليه، ركنا لأهل مذهبه، يلجأون إليه فى أمورهم، و لم يسمع منه ملاعنه كلمه يؤخذ عليها فيما بلغنى عنه، و كنت أسمعه إذا ذكر أحدا من الصحابه رضى الله عنهم يترضى عنه، و يذكره بأجمل ذكر، و أما أهل البيت عليهم السلام فيوفيهم حقهم من الموالاه و المبالغه فى ذلک، و توفى بدمشق يوم الأحد سادس و عشرين ربيع الأول، و دفن بسفح قاسيون- رحمه الله- و هو فى عشر الستين.

محمد بن بركه خان بن دوله خان الأمير بدر الدين

، هو خال الملک السعيد و من أعيان الأمراء بالديار المصريه، و حصل له عندما أوصى الملک السعيد إلى ابن أخته تقدم كثير فى الدوله، و مكانه عاليه، و قدم معه إلى دمشق، فتمرض بها، و كان نزوله فى دار صاحب حماه داخل باب الفراديس المجاوره لمدرسه ابن المقدم، و بها توفى فى ليله الخميس تاسع ربيع الأول، و صلى عليه يوم الخميس الثالثه من النهار بالمصلى خارج باب الفرج، و دفن بسفح قاسيون بالتربه المجاوره لرباط الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد- رحمه الله- بعد أن جعل فى تابوت لينقل و مقدار عمره يومئذ خمسون سنه، و عمل له فى هذا الشهر عده أعزيه و قرى ء بالتربه التى دفن بها عده ختمات حضر إحداها الملک السعيد- رحمه الله- و مد خوان فيه من عظيم فاخر الأطعمه و الحلاوات، فأكل من حضر و تناهبه الفقراء و غيرهم، و خلع السلطان على والدته و مماليكه و خواصه، و هو فى العزاء، فلبسوا الخلع و قبلوا الأرض، ثم نقل تابوته إلى القدس الشريف فى العشر الأول سنه تسع و سبعين، فدفن عند قبر والده- رحمهما الله تعالى.

محمد بن بيبرس بن عبد الله أبو المعالى الملک السعيد

ناصر الدين

محمد بركه ابن الملک الظاهر رکن الدین- رحمهما الله تعالی- قد تقدم فی هذا الکتاب نبذه من أخباره، و ما جری له و آل أمره إلیه، و لما استقر بالکرک قصده أجناد من الناس، و کان ینعم علی من یقصده و یعطیه و یستخدمه، فتکاثروا علیه، بحیث نفد کثیرا مما کان عنده، و لما بلغ ذلک الملک المنصور سیف الدین قلاوون- رحمه الله- تأثر منه، فقیل إنه سم، و قیل غیر ذلک، و توفی إلی رحمه الله تعالی و رضوانه یوم الجمعه حادی عشر ذی القعده بقلعه الکرک، و دفن من یومه بأرض مؤته عند قبر جعفر بن أبی طالب- رضی الله عنه، ثم نقل بعد ذلک إلی دمشق فی سنه ثمانین و ست مائه، فدفن إلی جانب والده بالتربه التی أنشأها قباله المدرسه العادلیه السیفیه، و ألحده قاضی القضاه عز الدین محمد بن الصائغ- رحمه الله تعالی-، و لما توفی ترتب مکانه فی مملکه الکرک أخوه لأبیه نجم الدین خضر و لقب بالملک المسعود، و مولد الملک السعید رحمه الله بالعز من ضواحی القاهره سنه ثمان و خمسین و سته مائه، و کان ملکا جلیلا کریما، سخی الکف، کثیر العدل، محسنا إلی الخاص و العام، لا یرد سائلا، و لا یخیب آملا، و لا فی خلقه عسف و لا ظلم، کثیر الشفقه و الرحمه للرعیه، لین الکلمه، محبا لفعل الخیر- رحمه الله تعالی- و قیل إنه ولد له مولود ذکر یوم دخوله قلعه الجبل علی الصوره المذکوره فی شهر ربیع الآخر من هذه السنه، و ابن أم ولد، و کانت ابنه المنصور سیف الدین قلاوون زوجته، فوجدت لفقده و لما تم علیه وجدا شدیدا، و لم تزل باکیه حزینه إلی أن توفیت إلی رحمه الله تعالی بعده بمده فی مستهل شهر رجب سنه سبع و ثمانین و ست مائه، و کانت شقیقه الملک الأشرف صلاح الدین خلیل، و دفنت فی تربه معروفه بوالدها بین مصر و القاهره، و لما مات الملک السعید بالکرک، صلی علیه بجامع دمشق یوم الجمعه رابع و عشرین ذی الحجه سنه ثمان و سبعین- رحمه الله تعالی ...

[أحداث]لسنه التاسعه و سبعون و ستمائه

[أحوال السلطنه و ما جاورها:]

استهلت يوم الخميس وافق ذلک ثالث أيار، و الخليفه الإمام الحاكم بأمر الله، و هو بقلعه الجبل من الديار المصريه، و صاحب الديار المصريه و بعض الشام الملک المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى، و دمشق و ما والاها بيد الملک الكامل شمس الدين سنقر الأشقر، و صاحب الكرک الملک المسعود نجم الدين الخضر ابن الملک الظاهر، و صاحب اليمن الملک المظفر شمس الدين يوسف بن عمر، و صاحب مكه- شرفها الله تعالى- الشريف نجم الدين أبو نمى الحسنى، و صاحب المدينه الشريفه- صلوات الله و سلامه على ساكنها- الأمير عز الدين جماز بن شيحه الحسينى، و صاحب حماه و المعره الملک المنصور ناصر الدين محمد بن الملک المظفر تقى الدين محمود، و العراق و الجزيره و الموصل و إربل و أذربيجان، و ديار بكر، و خلاط، و خراسان، و العجم و ما وراء ذلک بيد التتر، و الروم بيدهم أيضا و به غياث الدين ابن السلطان ركن الدين و لا حكم له.

[أخبار سنقر الأشقر:]

و فى يوم الخميس مستهل السنه فى الساعه السادسه منه ركب الملک الكامل شمس الدين سنقر الأشقر نائب السلطنه من قلعه دمشق، و دخل الميدان الأخضر و بين يديه الأمراء و مقدمى الحلقه رجاله بالخلع يحملون الغاشيه، و القضاه و الأعيان ركاب بالخلع، و سير فى الميدان لحظه يسيره، و عاد إلى القلعه، و قد ذكرنا فى أواخر حوادث السنه الخاليه تجريده بعض عسكر دمشق إلى غزه، و كان بها طائفه من عسكر الديار المصريه مقيمين بها لمطابقه الكرک، و عند وصول العسكر الشامى إليها فى أوائل شهر المحرم من هذه السنه اندفع عسكر الديار المصريه من بين أيديهم، و دخلوا الرمل، فنزل الشاميون غزه، و اطمأنوا بها ساعه من النهار، و كان فيهم قله، فكر عليهم عسكر الديار المصريه و كبسوهم و نالوا منهم منالا كثيرا، و رجع عسكر الشام منهزما إلى مدينه الرمله.

و فی یوم الاثنین خامسه وصل إلی خدمته فی طاعه الأمیر شرف الدین عیسی بن مهنا ملک العرب بالبلاد الشرقیه و الشمالیه، و دخل علیه و هو علی السماط، فقام له الملک الکامل، فقبل الأرض و جلس علی یمینه فوق الحاضرین.

و فی یوم السبت عاشره وصل الأمیر شهاب الدین أحمد بن حجی بن یزید ملک العرب بالبلاد الحجازیه إلی طاعه الملک الکامل، فأکرمه غایه الإکرام، و کان وصوله من جهه العراق، و ذکر أنه کان انتهی فی نقضته هذه إلی بلاد البصره و أغار و انتهب.

[إعطاء أحمد بن خلکان تدریس المدرسه الأمینیه بدمشق:]

و فی العشر الآخر منه تقدم الملک الکامل بإضافه الأعمال الحلبیه إلی قاضی القضاه شمس الدین أحمد بن خلکان، و أن یعطی تدریس المدرسه الأمینیه بدمشق، و کان ذلک بید قاضی القضاه نجم الدین محمد ابن سنی الدوله، و کتب له بالمدرسه الأمینیه تقلید من إنشاء کمال الدین أحمد بن العطار، نسخه مضمونه:

«الحمد لله الذی أطلع فی فلک سمائنا شمس الدین [شمسا] بازغه الأنوار، و أقام بنا بناء الحق، مشید الأرکان علی المنابر، و جعل روض الفضل فی أیامنا زاهرا، تصبو إلیه الأبصار، و قلوب و نفوس فیما یخف منه نجم إلا نشف من بعده سناء نجوم و أقمار، و شموس، و لا یذوی منه عود إلا یروی بماء الرعایه منه أصول و فروع و غروس، یبر بها لأیامنا أن یبذل فیها الحسنات، أو یتعطل فیها مدارس آیات، و الصلاه علی سیدنا محمد ذی الحسب الصمیم، و الدین القویم، و الشرع الهادی إلی الصراط المستقیم، صلاه یحلی اللسان تکرارها، و یملأ سواد القلب أنوارها، و بعد فإن أحق من عمرت به ربوع العلوم الدارسه، و طلعت شموس فضله، فتجلت بها کلمات الجهل الدایسه، من کانت آیه فضله شمسیه، إذا طلعت حجب النجم سناها، و إذا تناهی فی إشاده علیائه أعربها بمساعیه، و حسن بناها، و إذا تسابقت جیاد الأفکار فی حلبه جدال عطف أعنتها إلی

الصواب و ثناها، طالما حل الرتب العاليه بجليل مقداره، و دقيق أفكاره، و جلا الرتب العاليه بخفى تدبيره و جلى أنواره، و ماست على معاطف مناقبه ذوائب فخاره، و هامت الأفكار فى أوديه محامده، و ما بلغت وصف محله و مقداره، و افتخر قلم الفتيا براحته، و تباعد السيف عن قربه خوفا من مهابه، و سدد الحق سهام أحكامه، فأصابت الأغراض، و شيد الصدق نظام كلامه، فشفى صحيحه الأمراض، فإن شرع فى علم الشرع شفى إنسان عين الجهل الإرمداء، و روى الأحاديث النبويه بأسناده، فيما يصل أحد إلى مسند أحمد، و إن صال فى الأصول فإليه منتهى فخار الفخر الرازى، أو حكم فى الحكمه، فابن سينا غير مساو له و لا موازى له، و إن نطق فى المنطق، فهو أنير زمانه و سراجه المنير، أو تحدث فى علم العربيه، فهو أبو العباس تحقيقا غير تقدير، أو تكلم فى علم الخلاف، فهو الأوحد على الحقيقه، و كم له إلى الحق من طريق و طريقه، و إن قص أنباء السلف و الخلف، كان الخطيب يثنى عليه، و ابن عساكر لا تنجده عساكر معلوماته لو كان بين يديه.

و لما كان المجلس العالى، القضائى، الأجلى، الصدرى، الكبيرى، الأوحدى، الرئيسى، الأفضلى، العالمى، العاملى، الكاملى، الناسكى، العارفى، الأثرى، الحافظى الشيخى الإمامى الحاكمى الشمسى، شرف الإسلام فخر الأنام زين العلماء، أوحد الفضلاء، وارث الأنبياء، نخبه العرب العرباء، بقيه السلف، مفتى الفرق، صدر الحفاظ شمس الشريعه، قاضى القضاه سيد الحكام، صفى الملوک و السلاطين، ولى أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى الشافعى- ضاعف الله جلاله، و حقق فى الدارين آماله، نظام هذا العقد المليح، و معنى هذا اللفظ الفصيح، و ثمره هذه الدوحه النضره، و نشر هذه الروضه الخضره، رسم الأمر العالى، المولوى، السلطانى، الملكى الكاملى، الشمسى، لا زال يقر

الحق فى يد مستحقه، و يوضح لسالكه فى سبله، و طرقه، أن يفوض إليه تدريس المدرسه الأمينيه، و يجرى باسمه العلوم الشاهد به كتاب وقفها المبرور، و ذلک لما تعين شرف مباشرها عند تبين إخلاله بشروط واقفها، فيتقدم على خيره الله تعالى، و يذكر بها دروس فضله التى لا تدرس للأنام آثارها، و يغرس فى قلوب طلبتها حب فرائده، ليجتنى ساعه غرسها ثمارها، و يجلو وجوه معارفه على خطابها، ليبلى بمحاسنها، و يتمتع، و يغذى أطفال الأذهان الرضع بلبان فضله إلى أن يتسنى بين يديه، و يترعرع، و يعمر معناها بالعلم الذى تنكرت فيها معالمه، و خفى سناه، حتى لا يدركه شائمه، ليجنى بها فضله الحسن السهل خالدا، و يغذو كل ظام من جعفره المعروف، و معروف جعفره واردا، و تصبح هذه المدرسه كنيفا ملى ء علما، و قليبا حشى فهما، و فلكا يبدى شمسا، و يخفى نجما، و كنانه يخرج من طلبتها فى كل حين سهما يراه متأمله شهما، و الله تعالى يحيى ببقاء علمه ما أماته الجهل، و يؤنس بأنفاسه ما استوحش من معاهد الخير و الفضل إن شاء الله تعالى، كتب فى ثالث عشرين المحرم سنه تسع و سبعين و ست مائه»، و ذكر الدرس بها فى هذا الوقت و كان القاضى نجم الدين مدرسها بحلب، و قد استناب ولده بها، و لم يكن تام الأهليه لمباشره مثلها.

[إرسال جيش من القاهره ضد سنقر الأشقر:]

و فى أواخر شهر المحرم وردت الأخبار أن الملک المنصور أرسل جيشا كثيفا إلى دمشق، و مقدمه الأمير علم الدين سنجر الحلبى، و لما اتصل ذلک العسكر بعسكر الملک الكامل الذين بالرمله تأخروا قليلا، و لما تقدم المصرى تأخر الشامى لقتله إلى أن وصل أوائلهم دمشق فى أوائل صفر.

و فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر خرج الملک الكامل بنفسه و بجميع من عنده من العساكر، و ضرب دهليزه بالجسوره و خيم هناک بجميع الجيش، و استخدم و أنفق، و جمع خلقا عظيما، و حضر عنده عرب الأميرين شرف الدين عيسى بن مهنا، و شهاب الدين أحمد بن حجى،

و نجده حلب، و نجده حماه، مقدمها الملک الأفضل نور الدین علی أخو صاحب حماه، و رجاله کثیره من جبال بعلبک.

[فرار سنقر الأشقر إلی الرحبه:]

و فی یوم الأحد سادس عشره وقت طلوع الشمس، التقی الجیشان فی المکان المذکور و تقاتلا أشد قتال، و ثبت الملک الکامل، و قاتل قتالا کثیرا، و استمر المصاف إلی الرابعه من النهار، و لم یقتل من الفریقین إلا نفر یسیر جدا، و خامر أکثر عسکر دمشق، و انهزموا مع من انضاف إلی العسکر المصری و عندما وقعت العین فی العین قبل أن یلتحم القتال انهزم الحمویون، و تخاذل عسکر الشام و تفرقوا، فمنهم من دخل بساتین دمشق و اختفی بها، و منهم من دخل حوائر دمشق، و منهم من ذهب إلی بعلبک، و منهم من سلک طریق المرج و القطیفه و عذراء، و الدرب الکبیر إلی القطیفه، و اجتمع جمیع العسکر علی القصب من عمل حمص، ثم عاد أکثر الأمراء إلی دمشق، و طلبوا الأمان من الأمیر علم الدین الحلبی، فأمنهم و دخلوا فی أیام متفرقه، ثم حضر الأمیر شهاب الدین أحمد بن حجی إلی دمشق بالأمان، و دخل فی طاعه الملک المنصور، و أما الأمیر شرف الدین عیسی بن مهنا فإنه توجه صحبه سنقر الأشقر، و لازم خدمته و نزل به و بمن معه من الأمراء و العسکر فی بریه رحبه مالک بن طوق، و نصب لهم بیوت شعر و أقام بهم، و بدوابهم مده مقامهم عنده، و أما الجیش المصری، فإنه ساق من ساعته إلی المدینه و أحاط بها، و نزلوا فی الخیم و لم یتعرضوا إلی زحف، و راسلوا من بالقلعه إلی العصر من ذلک النهار، ففتح من المدینه باب الفرج، و دخل منه بعض مقدمی الجیش، و فتحت القلعه فدخلوا إلیها من الباب الذی داخل المدینه، و کان التسلیم بالأمان و أفرج عن جماعه کان اعتقلهم سنقر الأشقر، منهم الأمیر رکن الدین بیبرس العجمی المعروف بالجالق، و تقی الدین توبه التکریتی، و الأمیر حسام الدین لاجین المنصوری و غیرهم، و کتبت المطالعات إلی الملک المنصور بصوره ما جری، و سیرت علی البرید.

و فى بكره يوم الاثنين سابع عشره جهز الأمير علم الدين الحلبى قطعه جيده من الجيش المصرى تقارب ثلاثه آلاف فارس فى طلب شمس الدين سنقر الأشقر، و من معه من الأمراء و الجند.

[اعتقال ابن خلكان:]

و فى هذا اليوم ركب قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان للسلام على الأمير علم الدين الحلبى، فقبض عليه و اعتقله بعلو الخانكاه النجيبيه، و فى يوم الخميس العشرين منه صرفه عن قضاء الشام كله، و تقدم إلى القاضى نجم الدين محمد بن سنى الدوله، و كان قدم من حلب بمباشره الحكم بدمشق فباشره.

و فى يوم الخميس سابع عشرين منه عادت الأجوبه من الملك المنصور فجلس الأمير علم الدين الحلبى فى دهليز ضرب له بالميدان الأخضر الصغير، و حضر عنده الأمراء، و الأعيان من عسكر الشام و مصر، و أعيان الناس، و قرى ء عليهم كتاب الملك المنصور، و مضمونه: «التهنئه للإسلام بدفع هذا الضرر، و العتب على كل طائفه بما يليق بهم»، و فى آخره: «و إنا قد عفونا عن جميع الناس الخاص و العام، أرباب السيف و القلم، و لم نؤاخذ أحدا منهم، و أمناهم على أنفسهم و أهلهم و أموالهم، و رسمنا أن لا نغير على أحد منهم وظيفته إلا إن ورد فى حقه تخصيص». فارتفعت الأصوات بالدعاء و انصرف الناس مسرورين.

[إسناد نيابه الشام إلى لاجين السلحدارى:]

و فى أوائل ربيع الأول ترتب فى نيابه السلطنه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى، و دخل دار السعاده و دخل معه الأمير علم الدين الحلبى و رتبه بها، و فى خدمته سائر أمراء مصر، و الشام، و هذا الأمير حسام الدين كان الملك المنصور سيره إلى دمشق أميرا، و نائبا لقلعتها فى أواخر السنه الخاليه، فبقى بالقلعه مده يسيره، و جرى ما جرى من سلطنه شمس الدين سنقر الأشقر و اعتقله، و بقى فى الاعتقال إلى أن حضر الأمير علم الدين الحلبى، و استولى على المدينه و القلعه، فأفرج عنه و بقى فى خدمته إلى أن ورد المرسوم بمباشرته نيابه

السلطنه فباشرها، و هو شاب له خير كثير، و الدين و الكرم و الشجاعه، محب للعلماء و الصلحاء، مؤثر للعدل فى الرعيه.

[الإفراج عن ابن خلكان:]

و فى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول أفرج عن قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان و صرف إلى منزله، ثم تقدم إليه الأمير علم الدين الحلبى و بعد أيام بالانتقال من المدرسه العادليه الكبيره، و تسليمها إلى قاضى القضاه نجم الدين، فشق عليه ذلک و تكرر عليه القول بسرعه النقله فبينا هو فى ذلک قد أحضر جمالا لنقل قماشه إلى جبل الصالحيه، و إذا بكتاب الملک المنصور قد ورد على الأمير علم الدين الحلبى، و من مضمونه: «إن عفونا قد شمل الخاص و العام، و ما يليق أن تخصص بسخطنا أحدا على انفراده، و غير خاف مما يتعين من حق المجلس السامى القضائى شمس الدين أحمد بن خلكان- أعزه الله تعالى- و قديم صحبته بها وحدته عليها، و إنه من بقايا الدوله الصالحيه- سقى الله عهدها- و قد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه بقضاء القضاه بالشام، و بسطنا يديه فى القبض و الإبرام»، و ما هذا معناه، فركب القاضى شمس الدين من ساعته، و طلع إلى الأمراء و سلم عليهم، و نزل وقت الظهر باشر الأحكام، و أحضر له تشريفه لبسه، و صلى به الجمعه، و كتب مطالعه إلى الملک المنصور يدعو له و يتنصل بما نسب إليه و يعتذر، فورد عليه الجواب بالشكر و قبول العذر.

[ذهاب سنقر الأشقر إلى صهيون:]

و فى أوائل ربيع الآخر خرج من دمشق عسكر من الجيش المصرى، مقدمهم الأمير عز الدين الأفرم، و لحق بالذين كانوا توجهوا قبل ذلک فى طلب سنقر الأشقر، فأدركوهم على حمص، و رحلوا بأسرهم طالبين المذكور و من معه، فلما بلغه ذلک فارق الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، و توجه بمن معه فى البريه إلى الحصون التى كانت بقيت بيد نوابه فتحصن هو و من معه بها فى أواخر الشهر المذكور و هى: صهيون، و كان بها أولاده و خزائنه، و دخلها هو أيضا، و بلاطنس، و حصن برزيه،

و حصن عكار، و جبله، و اللاذقيه، و الشغر، و بكاس و شيزر. و كان يوم المصاف قد انهزم الأمير عز الدين أزدمر إلى جبل الجردیين، و أقام عندهم هذه المده كلها تحصن بهم و حموه، فلما بلغه وصول سنقر الأشقر إلى القلاع المذكوره وصل إليه بجماعه من الجبليين، و أقام بقلعه شيزر يحفظها، و لما بلغ العسكر دخولهم القلاع، و اعتصامهم بها، نازلوا شيزر مضايقه لبقيه العسكر المنازلين لشيزر مصممين على حصرها، و ترددت الرسل بينهم و بين شمس الدين سنقر الأشقر فى تسليمها،

[حمله مغوليه كبيره ضد بلاد الشام:]

فبيناهم فى ذلک، وردت الأخبار فى أوائل جمادى الآخره أن التتار- خذلهم الله تعالى- قد قصدوا بلاد الشام، فخرج من كان بدمشق من العسكر المصرى و الشامى، و مقدمهم الأمير ركن الدين أباجى، و لحق بقيه العساكر التى على شيزر و كانوا قد تأخروا عنها، و نزلوا بظاهر حماه، و وصل من الديار المصريه عسكر مقدمه الأمير بدر الدين بكتاش النجمى فلحق بهم، و اجتمع الجميع على حماه و أرسلوا كشافه إلى بلاد التتر فى العشر الأوسط منه، و وصل إلى دمشق و بعلبک خلق عظيم من الجفال من حلب و بلادها، و حماه و حمص و البلاد الشماليه جافلين من التتر، و لم يتخلف فى تلک البلاد إلا من عجز عن السفر، و أخليت حلب من العساكر التى لها و التجؤوا إلى حماه، و عزم كثير من أهل دمشق و البلاد الشاميه أن يتوجهوا إلى الديار المصريه، و اضطرب الناس بذلک اضطرابا شديدا، و كان سبب حركه التتر لما بلغهم من اختلاف الكلمه، و ظنوا أن سنقر الأشقر و من معه يتفقون معهم و أن يكونوا جميعا على العسكر المصرى، فأرسل أمراء العسكر المصرى إلى سنقر الأشقر يقولون: هذا العدو قد دهمنا، و ما سببه إلا الخلف بيننا، و ما ينبغى أن نهلک الإسلام فى الوسط، و المصلحه أننا نجتمع على دفعه، فنزل عسكر شمس الدين سنقر الأشقر من صهيون، و الحاج أزدمر من شيزر، و خيمت كل طائفه تحت قلعتها، و لم يجتمعوا بالمصريين، و اتفقوا على اجتماع الكلمه و دفع العدو عن الشام.

[اجتياح المغول لمدينه حلب:]

و فى يوم الجمعه حادى و عشرين منه وصلت طائفه عظيمه من عساكر التتار، و أحرقوا الجامع و المدارس المعتبره و دار السلطنه و دور الأمراء الكبار، و أفسدوا فسادا كثيرا، و كان أكثر من تخلف بها قد استتر فى المغائر و غيرها، و أقاموا بحلب يومين على هذه الصوره.

و فى يوم الأحد ثالث و عشرين منه رحلوا منها راجعين إلى بلادهم بعد أن تقدمتهم الغنائم التى كسبوها، و نقلوا من الغلال شيئا كثيرا إلى أماكنهم، و كان سبب رجوعهم إلى بلادهم لما بلغهم من اتفاق الطائفتين على دفعهم، و حكى أن سبب خروجهم من حلب أن بعض من كان استتر بها يئس من الحياه، فطلع مناره الجامع و كبر بأعلى صوته على التتر، و قال: جاء النصر من عند الله، و أشار بمنديل كان معه إلى ظاهر البلد، و أوهم أن إشارته إلى عسكر المسلمين، و جعل يقول فى خلال ذلک: اقبضوهم من بين البيوت مثل النساء، فتوهم التتر من ذلک و خرجوا من البلد على وجوههم، و سلم الذى فعل ذلک، و لما رجعوا عن حلب ظهر من كان مستترا بها، و رجع من كان يجفل عنها، و حصلت الطمأنينه للناس، و فى هذه الأيام هرب من عند شمس الدين سنقر الأشقر جماعه من الأمراء، و دخلوا فى طاعه الملک المنصور، و توجهوا إلى خدمته.

[تعيين قلاوون ابنه عليا وليا لعهده و منشور التعيين]

و فى أواخر هذا الشهر خرج الملک المنصور بجميع العساكر لنصره الإسلام، و دفع العدو عن البلاد، و فى يوم الجمعه الثامن و العشرين منه قرى ء على المنبر بجامع دمشق بعد صلاه الجمعه مثال سلطانى ورد على الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه بدمشق، مضمونه: أن الملک المنصور جعل ولده علاء الدين عليا ولى عهده، و لقبه الملک الصالح، و خطب له على المنبر، و عقيب الفراغ من قراءه هذا المثال وردت البشائر برجوع التتر من حلب، و خلو البلاد منهم، فاستبشر الناس بعزه ولى العهد، و لما وصل الخبر برجوع التتر تفرقت العساكر فى طلبهم، فمنهم

من توجه إلى عين تاب و تلک النواحى، و منهم من توجه إلى جهه الفرات و البيره، و جاسوا خلال الديار فى تلک الجهات، ثم رجعوا، و كان الملک المنصور لما جعل ولده ولى عهده، كتب له تقليد بخط محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر من إنشائه، مضمونه:

«الحمد لله الذى شرف سور الملک بعليه، و حاطه منه بوصيه، و عضد منصوره بولايه عهد مهديه، و أسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديه، و أبهج خير الآباء من خير الأبناء بمن يسمو أبيه منه، و مسارعه وليه بحمده على نعمه التى جمعت إلى الزهر الثمر، و أضافت إلى نور الشمس هدايه القمر، و داركت بالبحر، و باركت فى النهر، و أجملت المبتدأ و أحسنت الخبر، و جمعت فى لذاذه الأوقات و طيها بين رونق الأصائل، ورقه البكر، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له شهاده تلبس الألسنه منها كل ساعه جديدا، و تتفيأ ظلا مديدا، و يستقرب من الآمال ما يراه سوانا بعيدا، و نصلى على سيدنا محمد الذى طهر الله به هذه الأمه من الأدناس، و جعلها بهدايته زاكيه الغراس، صلى الله عليه و على آله و صحبه الذين منهم من فهم حسن استخلافه بالأمر له بالصلاه بالناس، و منهم من بنى الله به قواعد الدين، و جعله موطد الأساس.

و منهم من جهز جيش العسره، و واسى بما له حين الضراء و الباس، و منهم من قال عنه صلى الله عليه و سلم: «لأعطين الرايه غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله»، فحسن الالتماس بذلک الاقتباس، و زاد فى شرفه بأن طهر أهل بيته، و أذهب عنهم الأرجاس، صلاه لا تزال تتردد تردد الأنفاس، و لا تبرح فى الآناء حسنه الإيناس.

و بعد فإن خير من شرفت مراتب السلطنه بحلوله، و فوقت ملابس التحكيم لقبوله، و من تزهى مطالع الملک بإشراقه، و تبادر الممالک مذعنه لاستحقاقه، و من يزدهى به ملک منصوره، نصره الله، موطده و ولى عهده

مكنه الله بأبيه، و من يتشرف إيوان عظمه أن غاب والده فى مصلحه الإسلام فهو صدره، و إن حضر فهو ثانيه، و من يتحمل غاب الإياله منه بخير شبل كفل ليثا، و يتكمل غوث الأمه بخير وابل خلف غيثا، و من ألهم الأخلاق الملوكيه و أوتى حكمها صبيا، و من خصصته أدعيه الأبوه الشريفه بصالحها، و لم يكن بدعائها شقيا، و من رفعت به هضبه الملک حتى أمسى مكانها عليا، و من هو أحق بأن ينجب الأمل فيه و ينجح، و أولى بأن يتلى له اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَ أَصْلِحْ و من هو بكل خير ملى، و من هذا إذا فوضت أمور المسلمين كان أشرف من لأمورهم يلى، و من يتحقق من والده الماضى الغرار، و من اسمه عالى المنار، أن:

لا سيف إلا ذو الفقارو لا فتى إلا على

و لما كان المقام العالى، الولدى، السلطانى، الملكى، الصالحى، العلائى عضد الله به الدين، و جمع إذعان كل مؤمن على إيجاب طاعته لمباشره أمور المسلمين حتى يصبح و هو صالح المؤمنين، هو المرجو لتدبير الأمور، و المأمول لمصالح البلاد و الثغور، و المدخر من النصر لشفاء ما فى الصدور، و الذى تشهد الفراسه لأبيه، و له بالتحكم أليس الحاكم أبو على هو المنصور، فلذلک أفيضت الرحمه و الشفقه على الأمه أن ينصب لهم ولى عهد يتمسكون من الفضل بعروه كرمه، و يسعون بعد الطواف بكعبه أبيه لحرمه، و يقطفون أزهار العدل و ثمار الجود من علمه و قلمه، و تستسعد الأمه منه بالملک الصالح الذى يقسم الأنوار بجبينه، و تقسم المبار بكراماته و كرمه.

فذلک خرج الأمر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى، أخدمه الله القدر، و لا زالت الممالک تتباهى منه، و من ولى عهده بالشمس و القمر، أن يفوض إليه ولايه العهد، و كفاله السلطنه الشريفه ولايه تامه عامه شامله، كافله، جامعه، وازعه، قاطعه، ساطعه، شريفه منيفه، عطوفه رؤوفه، لطيفه، عفيفه، فى سائر أقاليم الممالک الشريفه،

و عساکرها، و جندها، و عربها، و ترکمانها، و أکرادها، و نوابها، و ولاتها، و أکابرها، و أصاغرها، و رعایتها، و حکامها، و قضاتها، و سارحها، و سائحها بالدیار المصریه، و ثغورها، و أقالیمها، و بلادها و ما احتوت علیه، و المملکه الحجازیه، و ما احتوت علیه، و مملکه النوبه، و ما احتوت علیه، و الفتوحات الصفدیه، و الفتوحات الإسلامیه الساحلیه، و ما احتوت علیه، و الممالک الشامیه، و حصونها، و قلاعها، و مدنها، و أقالیمها، و بلادها، و المملکه الحمصیه، و المملکه الحصنیه الأکرادیه، و الجبلیه و فتوحاتها، و المملکه الحلبیه و ثغورها، و بلادها و ما احتوت علیه، و سائر القلاع الإسلامیه برا و بحرا، سهلا و وعرا، شاما، و مصرا، و یمنا و حجازا، شرقا و غربا بعدا و قربا، و أن تلقی إلیه مقالید الأمور فی هذه الممالک الشریفه.

و أن تستخلفه سلطنه والده- خلد الله دولته- لیشاهد الأمر منه فی وقت واحد سلطانا و خلیفه و ولایه و استخلافا، یسندها الرواه، و یترنم بها الحداه و تفهمها الأسماع، و تنطق بها الأفواه، و تفویضها یعلن لکافه الأمم، و لکل رب سیف و قلم، و لکل ذی علم و عمل بما قاله صلی الله علیه و سلم لسمیه- رضی الله عنه- حین أولاه من الفخار ما أولاه:

«من کنت مولاه فعلی مولاه». فلا ملک إقلیم إلا و هذا الخطاب یصله، و یوصله، و لا زعیم جیش إلا و هذا التفویض یسعه و یشمله، و لا إقلیم إلا و کل من به یقبله و یقبله، و یتمثل بین یدیه و یمثله، و لا منبر إلا و خطیبه یتلو فرقان هذا التقدم و یرتله.

و أما الوصایا فقد لقنا ولدنا، و ولی عهدنا منها، ما انطبع فی صفاء ذهنه، و سرت تغذیته فی نماء غصنه، و لا بد من لوامع الوصایا للتبرک بها فی هذا التقلید الشریف تنیر، و جوامع یصر الخیر بها حیث یصیر، و ودائع ننبئک بها یا ولدنا- أعزنا الله ببقائک، «وَ لا یُنَبِّئُکَ مِثْلُ خَبِیرٍ»(1).

1- سوره فاطر- الآیه: 14.

«فاتق الله كأنک تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراک»، و انصر الشرع فإنک إذا نصرته، نصرک الله على أعداء الدين و عداک، و أفض العدل مخاطبا و كاتبا حتى تستبق إلى الإيعاز به لسانک و يمناک، و أمر بالمعروف و أنه عن المنكر، عالما أنه ليس يخاطب غدا بين يدى الله تعالى عن ذلک سوانا و سواک، و انه نفسک عن نيل الهوى حتى لا يراک حيث نهاک، و حط الرعيه، و مر النواب تحملهم على القضايا المرعيه، و أقم الحدود، و جند الجنود، و ابعثها برا و بحرا من الغزو إلى كل مقام محمود، و احفظ الثغور، و لاحظ الأمور، و ازدد باسترشاد بأرائنا نورا على نور، و أمراء الإسلام الأكابر و زعماؤه فهم بالجهاد، و الذب عن العباد، أصفياء الله و أحباؤه، فضاعف لهم الحرمه و الإحسان، و اعلم أن الله قد اصطفانا على العالمين و إلا فالقوم إخوان، لا سيما أولى السعى الناجح و الرأى الراجح و من إذا فخروا بنسبه صالحه قيل لهم: نعم السلف الصالح، فشاورهم فى الأمر و حاورهم فى مهمات البلاد كل سر و جهر، و كذلک غيرهم من أكابر الأمراء الذين هم بقايا الدول، و ذخائر الملوک الأول، أجرهم هذا المجرى، و اشرح لهم بالإحسان صدرا، و جيوش الإسلام هم البنان و البنيان فوال إليهم الامتنان، و اجعل محبتک فى قلوبهم بإحسانک إليهم حسنه المدى و طاعتک فى عقائدهم و قد شغفتها حبا، ليصبحوا لک بحسن نظرک إليهم طوعا، و ليخصک كل جنس منهم من التقرب إليک بالمناصحه نوعا، و البلاد و أهلها فهى و هم عندک الوديعه، فاجعل أوامرک بها بصيره، و منهم سميعه، و أما غير ذلک من الوصايا فسينحلک منها ما نشأ معک توأما، و يلقنک من آياتها محكما فمحكما و الله تعالى ينهى هلالک حتى يوصله إلى درجه الإبدار، و يغذى غصنک حتى تراه قد أينع بأحسن الأزهار و أطيب الثمار، و يرزقک سعاده سلطاننا الذى نعت بنعته تبركا، و يلهمک الاعتضاد بشيعته، و الاستنان بسنته حتى تصبح كتمسكنا بذلک متمسكا، و يجعل الرعيه بک فى أمن و أمان، و عدل و إحسان، حتى لا تخشى سوءا، و لا تخاف دركا- إن شاء الله تعالى».

[إعاده بهاء الدين السنجارى إلى الوزاره فى مصر]

و فى أواخر هذا الشهر أعيد الصاحب برهان الدين السنجارى إلى الوزاره بالديار المصريه على عادته الأولى، و رجع فخر الدين إبراهيم بن لقمان إلى ديوان الإنشاء على عادته.

و فى العشر الأوسط من شهر رجب وصلت العساكر المصريه و الشاميه من حلب، و البلاد الشماليه من تطلب التتر و السير فى آثارهم، و توجه الجيش المصرى إلى خدمه الملک المنصور بغزه، و أقام عسكر الشام بدمشق، و فى حدود منتصف الشهر وصل الملک المنصور غزه، و كان بلغه رجوع العدو و هو بالرمل فأقام بها، و توقف عن الوصول إلى دمشق لعدم الحاجه إلى ذلک و قصد تخفيف الوطأه عن بلاد الشام.

و فى يوم الخميس عاشر شعبان رحل الملک المنصور عن غزه راجعا إلى الديار المصريه.

و فى أواخر شهر رمضان المعظم أعيد القاضى تقى الدين محمد بن رزين الشافعى إلى القضاء بالديار المصريه، و صرف القاضى صدر الدين عمر ابن بنت الأعز عن ذلک، و كان قبل ذلک قد أعيد القاضى نفيس الدين ابن شكر المالكى، و معز الدين الحنفى، و رتب معهما حاكم حنبلى و هو عز الدين المقدسى، فاستمر البلد مع القاضى تقى الدين كل منهم يباشر الحكم استقلالا على مذهبه.

[اشتباک مع فرنجه المرقب]

و فى شهر ذى القعده كانت طائفه من عسكر الشام نازلين بمرج المرقب الحصن المعروف مضايقين لمن فيه، و داخلهم طمع فيه، فركبوا من الليل و صبحوا المرقب صباحا للغاره إليه، فأحس الفرنج المقيمون به بهم، و كان قد وصلتهم نجده فى البحر المالح، فخرجوا بأجمعهم، و كروا على عسكر المسلمين فانهزموا بين أيديهم فى أوديه و عره لا خبره لهم بها، فنالوا منهم منالا عظيما، و أسروا خلقا كثيرا، و غنموا غنائم عظيمه، و عندما انبرم الصلح بين الملک المنصور و بين الفرنج فى شهر المحرم سنه ثمانين و ست

مائه، استنقذ أكثر من حصل بالمرقب من أسرى المسلمين فى هذه الوقعه، و أخفوا من أمكنهم إخفاءه، و سفروهم إلى الجزائر.

و فى يوم الأحد مستهل ذى الحجه خرج الملک المنصور من الديار المصريه بالعساكر كلها قاصد الشام، و ترک ولده الملک الصالح يباشر الأمور عنه بالديار المصريه.

و فى يوم الأحد ثامنه أضيف إلى قاضى القضاه شمس الدين ابن خلكان- رحمه الله- الحكم بمدينه حلب و أعمالها معها كلها، و أذن له أن يستنيب عنه فى ذلک.

[تجديد الهدنه مع عكا]

و فى يوم عرفه منه وقع بالديار المصريه برد من كبار الحجم فأهلک من الغلال و الزراعات ما لا يحصى، و كان معظم ذلک بالوجه البحرى، و وقع بظاهر القاهره تحت الجبل الأحمر صاعقه على حجر فأحرقته، فأخذ من ذلک الحجر قطعه و سبكت فاستخرج منها قطعه حديد بلغت زنتها أربع أواقى من المصرى، و وقع فى ذلک اليوم بعينه صاعقه بثغر الاسكندريه، و فى يوم الثلاثاء سابع عشره نزل الملک المنصور بجميع عساكره على منزله الروحاء من عمل الساحل، قباله عكا فى معنى تجديد الهدنه، فراسله الفرنج من عكا فى معنى تجديد الهدنه، فإنها كانت قد انقضت مدتها، و أقام بهذه المنزله حتى استهلت سنه ثمانين و ست مائه.

و فى هذا الشهر قدم من جهه العراق الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ملک العرب بالبلاد الشماليه و بريه العراق، داخلا فى الطاعه و وصل إلى خدمه الملک بمنزله الروحاء، فركب السلطان فى موكبه و تلقاه على بعد، و بالغ فى إكرامه و احترامه، و عامله بالصفح و الإحسان.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]حمد بن عبد الواحد بن السابق أبو العباس محيى الدين الحلبى

العدل. من أكابر بيوت حلب، كان رجلا كثير التحرى فى شهاداته،

و عنده ديانه و عقل و سداد، و كتب لحكام حلب مده، و لحكام دمشق أيضا مده أخرى، و مولده بدمشق سنه ثمان و تسعين و خمس مائه، و توفى بها يوم الأربعاء بعد العصر ثامن ذى الحجه، و دفن من الغد بجبل قاسيون، و كان صلى العصر من يوم الأربعاء، و لحقه قولنج فمات من ساعته، رحمه الله.

[أحداث]زبک بن عبد الله صارم الدين الحلبى

، كان من أعيان أمراء دمشق، و هو منسوب إلى الأمير عز الدين الحلبى الكبير، و قد ذكرناه فى سنه ست و خمسين و خمس مائه، و كان جرد هذا صارم الدين إلى بعلبک، فتمرض بها، و حمل منها فى محفه على بغال إلى دمشق، فوصلها، و أقام بها أياما، و توفى فى تاريخ ليله الأحد الرابع و العشرين من شوال، و دفن يوم الأحد بسفح قاسيون، و قد نيف على خمسين سنه من العمر، رحمه الله تعالى.

[أحداث]قوش بن عبد الله الأمير جمال الدين الشمسى

، كان من أعيان الأمراء و أماثلهم و شجعانهم، و هو الذى أمسک الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى و هو الذى باشر قتل كتبغانوين مقدم عساكر التتر بعين جالوت، و قد تقدم ذكر ذلک كله، و ولى نيابه السلطنه بحلب فى السنه الخاليه، فأدركته وفاته يوم الاثنين خامس شهر المحرم من هذه السنه، و دفن هناک، و هو فى عشر الخمسين- رحمه الله تعالى- و الشمسى نسبه إلى الأمير بدر الدين بيسرى و غيره من الشمسيه- رحمهم الله.

على بن عمر أبو الحسن الأمير نور الدين الطورى

، كان من أبطال المسلمين و شجعانهم المشهورين و فرسانهم المعدودين، و له صيت عظيم عند الفرنج، و له فيهم بالبلاد الساحليه نكايات كثيره، و آثار جميله، و مواقف محموده، جمع الله له بين قوه البدن و القلب، كان لته(1) من حديد، ثقيل الوزن، عظيم القدر، يعجز كثير من الشبان عن حمله، و كان

1- أى عموده.

يقاتل به بلا كلفه، و ما برح هو و عشيرته مرابطين ببلاد الساحل فى وجه العدو سنين كثيره، و كان من كرماء الناس، و نقل فى الولايات الجليله فى عده جهات من بلاد الشام، و نيف على تسعين سنه، و لم يزل محترما فى الدول، مكرما عند الملوک يعرفون مقداره، و حضر المصاف الذى بين سنقر الأشقر، و عسكر مصر، فجرح فى المصاف المذكور و وقع بين حوافر الخيل، و بقى إلى أواخر صفر أو أوائل شهر ربيع الأول، فتوفى بجبل الصالحيه، ظاهر دمشق، و دفن بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

عمر بن موسى بن عمر بن محمد بن جعفر أبو حفص محيى الدين قاضى غزه

و ما جمع إليها، مولده سنه ثمان و ست مائه، توفى بغزه ليله الثلاثاء ثالث ذى الحجه، و نقل إلى القدس، و دفن به يوم الخميس خامسه بالمقبره المعروفه بساهره الشمالى بالقدس، رحمه الله تعالى، كان والده حاكما بغزه مده سنين، و تولاها محيى الدين، و أضيف إليه عده أماكن يستنيب فيها من جهته، و هى: لد، و الرمله، و قاقون، و بيت جبرين و غيرها، سمع و حدث و درس بالمدرسه الصلاحيه بالقدس، و كان وافر الديانه، كثير الكرم، لا يكاد يمر بغزه أحد يعرفه إلا و يكارمه، و يضيفه حسبما يمكن، و هو مشهور بالشجاعه و الإقدام، و قوه النفس، و له حرمه وافره فى الدوله و كلمه مسموعه، و كان نزها عفيفا حسن السيره، و عنده تورع كثير، فمن ذلک أنى سافرت مع أخى- رحمه الله- إلى الديار المصريه و اجتزنا بالقدس فى شهر رمضان المعظم سنه تسع و خمسين و ست مائه و هو بالقدس الشريف إذ ذاک، فنزلنا عنده، فلما كان وقت الفطر أحضر شيئا كثيرا من أنواع المأكول، و لم يكن فيه لحم، و اعتذر عن ذلک بما معناه أن الشهرزوريه لما مروا فى هذه البلاد فى السنه الخاليه نهبوا أغنام الناس و مواشيهم، ثم باعوا لأهل البلاد فاختلطت، و تعذر تمييز الحلال من الحرام فى ذلک، فتركت اللحم لهذا السبب، و هذا غايه الورع، فقلت له: المولى قد قارب بفعله ما يروى عن أمير المؤمنين، لم يعهد بى بخيلا،

فقال: ما أفعل هذا بخلا، لكننى منذ قتل عثمان رضى الله عنه و نهبت داره و ما فيها لا آكل شيئا إلا أتحقق حله، و أعلم أصله أو ما هذا معناه، و كان القاضى محيى الدين المشار إليه من أصحاب والدى- رحمه الله، سمع عليه الكثير و لازمه لما نزل دمشق فى أواخر سنه خمس و خمسين، و كان والدى يكرمه و يحبه و يثنى عليه، و كان أهلا لذلک، و حضر عده مصافات مع الفرنج و حصارات لبلادهم، و له المواقف المشهوره و الآثار المذكوره فى ذلک- رحمه الله تعالى- حكى لى أخى- رحمه الله- عنه ما معناه، قال: لما قصد الفرنج غزه، جهز إليهم الملک الصالح نجم الدين عسكرا، مقدمه ركن الدين بيبرس الصالحى، و هو من أكابر الأمراء و أعيانهم، ثم بلغه أنهم فى كثره لا يقاومهم العسكر المسير إليهم، فكتب بطاقه إلى ركن الدين مقدم العسكر يأمره بالتأخر، و أنه لا يلقاهم بمن معه إلى حين يصله مدد يقوى به عليهم، و حضر الفرنج، و ركب الأمير ركن الدين و من معه لملتقاهم، و وقعت العين فى العين، و بقى بين العسكرين مقدار شوط فرس، فحضرت البطاقه إلى ركن الدين فى ذلک الوقت، و أنا إلى جانبه فقال لى: تقف على هذه البطاقه، و تعرفنى مضمونها، فلما وقفت عليها، قلت فى نفسى: متى عرفته اندفع، و طمعوا فيه و فيمن معه، و الكذب فى مثل هذا الموطن فيه مصالح، فقلت له:

مضمونها أنک تجتهد و تفعل ما تصل قدرتک إليه، و لا تهولک كثرتهم، و قله من معک، و أنتم بين الظفر و الجنه، و قلت ما أمكننى فى هذا المعنى، فقوى قلبه و التقاهم، و كسرهم الكسره المشهوره، بحيث أتى على معظمهم قتلا و أسرا، فقتلوا عن آخرهم، و كانوا ألوفا كثيره، فلما انقضى المصاف، هنأته بالنصر، و قلت: لو كان فى البطاقه أنک تأخرت عنهم بعد وقوع العين؟ قال: كنت أتأخر، فأخرجت البطاقه، و قرأتها عليه، فوجم و قال: ما كان يؤمنک و العياذ بالله إن هم كسرونا أين كنت تروح من السلطان؟ قلت: و الله و العياذ بالله لو كسرنا ما كان يرنى السلطان و لا غيره، يعنى أننى كنت أقتل، و هذا ركن الدين هو أستاذ الأمير عز الدين

سم الموت، و علاء الدين أيدغدى الأعمى، و بيدغان، و قلاجا، و عده أمراء أكابر- رحمهم الله تعالى ...

[أحداث]بو بكر بن سيف الدين المعروف بابن اسباسلار

، ولى مصر مده سنين ثم ولى القاهره فى آخر عمره، و كان عنده فتوه، و مروءه، و تعصب، و كرم مفرط، و محبه للفقراء، و اعتقاد فى المشايخ، و بر لهذه الطائفه، و له فى تكرمه غرائب تفرد بها فى وقته، و كان حصل له سمن مفرط جدا، و عانى شده، و أشار عليه الأطباء بعدم النساء متى استعزف النساء ولى عليه التلف فبقى مده لم يقربها، و توفى فى شهر ربيع الأول بمصر، و دفن بإحدى القرافتين، و هو فى عشر الستين- رحمه الله تعالى.

[أحداث]لسنه الثمانون و ستمائه

اشاره

استهلت يوم الثلاثاء الثانى و العشرين من نيسان، و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره فى السنه الخاليه، و الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- نازل على منزله الروحاء من عمل الساحل بعساكره.

[عقد الهدنه مع فرنجه عكا]

و فى يوم الخميس عاشر المحرم رحل منها و نزل اللجون، و عاد رسوله من عكا صحبه من صحبه من رسل الفرنج من عكا و المرقب، فاستحضرهم يوم الجمعه حادى عشره بمنزله اللجون بحضور الأمراء، و سمع رسالتهم، و حصل الاتفاق، و حلف الملک المنصور على الصوره التى وقع الاختيار عليها، و اقتضتها المصلحه، و انبرم الصلح، و انعقدت الهدنه.

و فى يوم الأحد ثالث عشره قبض الملک المنصور على سيف الدين كوندک الظاهرى و على جماعه من الأمراء الظاهريه لمصلحه اقتضاها بمنزله حمراء بيسان وقت الظهر بالدهليز، و عند قبضهم هرب الأمير سيف الدين بلبان الهارونى، و معه جماعه، و قصدوا صهيون، و ركبت الخيل فى طلبهم فلم يدركوهم.

و فى ليله الأربعاء سادس عشره هرب الأمير سيف الدين أيتمش السعدى، و معه جماعه إلى صهيون من منزله خربه اللصوص، و ركبت فى طلبهم جماعه من الأمراء، منهم الأمير ركن الدين بيبرس الناصرى المعروف بطقصو، فأدركه، و جرح طقصو، و لم يقدر على رده فعاد عنه.

[دخول قلاوون إلى دمشق]

و فى يوم السبت تاسع عشره دخل الملک المنصور سيف الدين قلاوون دمشق و نزل بقلعتها، و خرج الناس كافه إلا من قل لتلقيه.

[عزل ابن خلكان عن القضاء]

و فى عشيه يوم الاثنين تاسع و عشرين منه صرف قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان- رحمه الله- عما كان يباشره من الحكم بالبلاد الشاميه، و ولى القضاء عز الدين محمد بن عبد القادر المعروف بابن الصائغ عوضه.

و فى العشر الأول من صفر ترتب بدمشق حاكم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عليه بعد خلوها منه مده، و الذى ولى القضاء نجم الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر المقدسى.

و فيه خرجت قطعه جيده من العسكر، مقدمهم الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى، و أعقبهم مجانيق عده جهزت على العجل لحصار شيزر.

و فى العشر المذكور من صفر أيضا ولى بحلب و أعمالها القاضى تاج الدين يحيى بن محمد الشافعى مستقلا من جهه الملک المنصور.

[المصالحه بين سنقر الأشقر و قلاوون]

و فى هذا الشهر جاء الملک المنصور صاحب حماه إلى دمشق لخدمه السلطان الملک المنصور و السلام عليه، فخرج لتلقيه فى موكبه، و نزل بداره المعروفه بابن المقدم داخل باب الفراديس، و ترددت الرسائل بين الملک المنصور و شمس الدين سنقر الأشقر فى تقرير قواعد الصلح، فلما كان يوم الأحد رابع ربيع الأول، وصل من جهه سنقر الأشقر الأمير

علم الدين الدويدارى، و معه خزندار سنقر الأشقر فى معنى إبرام الصلح و الوقوف على اليمين، فحلف الملک المنصور يوم الاثنين خامسه، و نادت المناديه فى دمشق بانتظام الصلح و اجتماع الكلمه، فرجع الذين حضروا من جهه سنقر الأشقر، و صحبتهم الأمير فخر الدين إياز المقرى ليحضر يمين شمس الدين سنقر الأشقر، فحلفه، و عاد إلى دمشق يوم الاثنين ثانى عشره فضربت البشائر بالقلعه، و سر الناس بذلک غايه السرور، و صوره ما انتظم عليه الصلح: أن سنقر الأشقر يرفع يده عن شيزر، و يسلمها إلى نواب الملک المنصور و عوضه عنها فاميه، و كفرطاب، و أنطاكيه، و السويديه، و الشغر، و بكاس، و دركوش بأعمالها كلها، و عده ضياع معروفه، و أن يقيم على ذلک، و على ما كان استقر بيده عند الصلح، و هو: صهيون و بلاطنس، و حصن برزيه، و جبله، و اللاذقيه، و ست مائه فارس، و خوطب بالمقر العالى المولوى السيدى العادلى الشمسى، و لم يصرح فى مخاطباته بالملک و لا بالأمير، و كان يخاطب قبل ذلک فى مكاتباته من الملک المنصور: بالجناب العالى الأميرى الشمسى.

و فى العشر الأوسط منه دارت الجهه المفرده بدمشق و أعمالها، و ضمنت، و أقيم لها ديوان، و مشد، و كانت أبطلت من الشام فى الأيام الظاهريه من مده تزيد على خمس عشره سنه، و أعيدت هذه الحاله فى الديار المصريه قبل هذا التاريخ بمده، فلما كان يوم الأحد الخامس و العشرين منه، خرج مرسوم السلطان بإبطال الجهه المفرده من دمشق، و البلاد الشاميه، و بإراقه الخمور، و إقامه الحدود على مرتكب ذلک، و بتعظيم الإنكار فى ذلک، فركب الولاه، و طافوا على مظان ذلک بدمشق و ظاهرها، و أراقوا الخمور، و أزالوا ما يناسب ذلک، و شددوا غايه التشديد فى ذلک، و تضاعفت الأدعيه للسلطان على ذلک.

[الصلح بين قلاوون و خضر بن بيبرس]

و فى بكره يوم الأحد تاسع و عشرين منه عادت العساكر الشاميه

بكمالها، و يسير من العساكر المصريه من جهه شيزر إلى دمشق للاستغناء عنهم بالصلح، و فى اليوم المذكور انبرم الصلح بين الملک المنصور سيف الدين قلاوون و الملک المسعود نجم الدين خضر ابن الملک الظاهر صاحب الكرک، و حلف الملک المنصور على الصلح بما استقر عليه الحال، و نادت المناديه بذلک، ففرح الناس باجتماع الكلمه، و لله الحمد.

[صرف برهان الدين السنجارى عن الوزاره فى مصر]

و فى الشهر المذكور قبض بالديار المصريه على وزيرها برهان الدين السنجارى، و صرف عن الوزاره، و اعتقل بقلعه الجبل، و كان قد تقدم بأيام قلائل، قبض ولده و حاشيته، و خواصه، و أتباعه، و غلمانه، و حبسوا عن آخرهم، و طولب برهان الدين بمال كثير.

و فى العشر الوسط منه عاد الملک المنصور ناصر الدين صاحب حماه إلى حماه، و خرج السلطان لوداعه إلى القابون.

[وصول تابوت الملک السعيد ابن بيبرس إلى دمشق]

و فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الآخر وصل إلى ظاهر دمشق زوجه الملک الظاهر ابنه بركه خان الخوارزمى من الكرک، و صحبتها تابوت ولدها الملک السعيد ناصر الدين محمد- رحمه الله- نقل من مشهد جعفر الطيار رضى الله عنه، فلما كان ثلث الليل من ليله الخميس العشرين منه استلقى تابوته بالحبال من السور الذى لباب الفرج، و حمل إلى تربه أبيه الملک الظاهر، و أنزلوه من ساعته على ضريح والده بالتربه المذكوره- رحمهما الله تعالى، و نزلت والدته بدار صاحب حمص تجاه المدرسه العزيزيه، و أكرمت غايه الإكرام، و أجرى لها الإقامات الوافره.

و فى بكره الجمعه حادى و عشرين منه عقد عزاءه بالتربه المذكوره، و حضر الملک المنصور سيف الدين قلاوون، و أعيان الأمراء و أرباب الدوله، و الوعاظ و القراء.

[حشد الجيوش لصد المغول]

و فى يوم الخميس العشرين من جمادى الأولى أحضر إلى الملک المنصور سيف الدين، و هو بالميدان الأخضر أمير لمنكوتمر بن هولاكو أسيرا تحت

الحوطه، و أخبر أن التتر على عزم الحركه و الركوب، فخرج أمر السلطان من ساعته بعرض الجيوش و الاهتمام بأمر الجهاد، و ملتقاهم، و كان المذكور أسره الكشافه الذى للسلطان من كينوک.

و فى يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخره وصل إلى دمشق خلق عظيم من العربان صحبه الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى ملک العرب ببريه الشام و الحجاز، و عبر معهم نجده الملک المسعود صاحب الكرک فى تجمل عظيم، و كان الملک المنصور قد تقدم إلى جميع الأطراف بالحضور إلى دمشق بسبب قرب العدو من أطراف البلاد، و حضر فى هذا الشهر أيضا من تأخر من العساكر بالديار المصريه، و لم يتأخر أحد من العربان، و التركمان، و سائر الطوائف، و كثرت الأراجيف بقرب العدو، و خرجت العساكر فى هذا الشهر كل يوم طائفه بالعدد.

و فى العشر الوسط منه تقدم العدو إلى أطراف حلب، فخلت حلب من أهلها و جندها، و نزحوا إلى جهه حماه و حمص، و تركوا الغلال، و الحواصل، و الأمتعه، و خرجوا جرائد على وجوههم، و ترادف لذلک خروج العساكر من دمشق.

و فى العشر الآخر منه وصل منكوتمر بن هولاكو إلى عين تاب و ما جاورها من المرج، و نازلت طائفه منهم قلعه الرحبه يوم الأحد سادس و عشرين منه نحو ثلاثه آلاف فارس، و كان أبغا ملک التتر معهم مستخفيا بنواحى الرحبه على شاطى ء الفرات ينتظر ما يكون من الملتقى.

و فى يوم الأحد سادس و عشرين منه خرج الملک المنصور سيف الدين قلاوون بنفسه من دمشق، و خيم بالمرج، و لم يتخلف أحد من العساكر و الجموع بدمشق، و وصل العدو إلى بغراس، وقت الخطيب بجامع دمشق، و سائر الأئمه فى الصلوات.

و فی یوم الخمیس سابعه رحل السلطان من المرج لاحقا بالعساکر المتقدمه إلی ظاهر حمص.

و فی هذا الشهر و هو جمادی الآخره خرج مرسوم الملک المنصور سیف الدین قلاوون بأن یعرض علی أهل الذمه من المستوفیین و الدواوین الإسلام، فإن أبو صلبوا، فجمع جماعه من دیوان الجیش و المستوفیین نصاری و سامره، و عرض علیهم الإسلام فأبوا، فأخرجوا إلی سوق الخیل ظاهر دمشق، و نصبت لهم المشانق، و جعلت الحبال فی أعناقهم فأسلموا، و أحضروا إلی الحاکم بدمشق، فجددوا إسلامهم علی یده.

[معرکه حمص ضد المغول]

و فی یوم الأحد ثالث شهر رجب نزل السلطان و جمیع العساکر و الجموع علی حمص، و راسل سنقر الأشقر بالحضور إلیه بمن عنده من الأمراء و العسکر، و کذلک الأمیر سیف الدین أیتمش السعدی، و من معه، فوصل سنقر الأشقر أولا و اجتمع بالسلطان، و استحلفه لسیف الدین أیتمش یمینا ثانیه لیزداد طمأنینه، ثم أحضره، و تکامل حضورهم یوم الجمعه ثامن رجب، و حصل الاجتماع و الاتفاق علی العدو المخذول، و عومل سنقر الأشقر و من معه بالاحترام التام، و الخدمه البالغه، و الإقامات العظیمه و الرواتب.

و فی بکره الأربعاء ثالث عشره فزع الناس کافه إلی جامع دمشق بالضعفاء و الصغار، و الشیوخ متضرعین إلی الله تعالی فی نصره الإسلام و هلاک عدوهم، و أخرج المصحف الکریم العثمانی و غیره من المصاحف العظیمه علی رؤوس الناس، و صحبتها الخطیب و القراء و المؤذنون إلی المصلی بقصر حجاج یسألون الله تعالی النصر و الظفر، و کذلک فعل أهل بعلبک و صعدوا إلی ضریح الشیخ عبد الله الیونینی- رحمه الله.

و فی هذه الأیام ما برحت التتار تتقدم قلیلا قلیلا علی خلاف عادتهم، فلما وصلوا حماه أفسدوا فی ضواحیها، و شعثوا و أحرقوا بستان الملک

المنصور صاحبها، و جوسقه، و ما به من الأبنيه، و عسكر المسلمين بظاهر حمص على حاله، فلما كان يوم الخميس رابع عشره التقى الجمعان عند طلوع الشمس، و كان عدد التتار على ما قيل مائه ألف فارس أو يزيدون، و عسكر المسلمين على مقدار النصف من ذلک أو أقل، و تواقعوا من ضحوه النهار إلى آخره، و كانت وقعه عظيمه لم يشهد مثلها فى هذه الأزمان، و لا من سنين كثيره، و كان الملتقى ما بين مشهد خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى الرستن و العاصى، و اضطربت ميمنه المسلمين، و حمل التتار على ميسره المسلمين، فكسروها و انهزم من بها، و كذلک جناح القلب الأيسر، و ثبت الملک المنصور سيف الدين قلاوون فى جمع قليل بالقلب ثباتا عظيما، و وصل جماعه كثيره من التتر خلف المنكسرين من المسلمين إلى بحيره حمص، و أحدق جماعه من التتر بحمص، و هى مغلقه الأبواب، و بذلوا نفوسهم و سيوفهم فى من وجدوه من العوام، و السوقه، و الغلمان، و الرجاله المجاهدين ظاهرها، فقتلوا منهم جماعه كثيره، و أشرف الإسلام على خطه صعبه، ثم إن أعيان الأمراء و مشاهيرهم و شجعانهم، مثل شمس الدين سنقر الأشقر، و بدر الدين بيسرى، و علم الدين الدويدارى، و علاء الدين طيبرس الوزيرى، و بدر الدين أمير سلاح، و سيف الدين أيتمش السعدى، و حسام الدين لاجين المنصورى، و الأمير حسام الدين طرنطاى و أمثالهم لما رأوا ثبات السلطان ردوا على التتار و حملوا فيهم عده حملات فكسروهم كسره عظيمه، و جرح منكوتمر مقدمهم، و جاءهم شرف الدين عيسى بن مهنا فى عربه عرضا، فتمت هزيمتهم، و قتلوا مقتله عظيمه تجاوز الوصف، و اتفق أن ميسره المسلمين انكسرت كما ذكرنا و الميمنه ساقت على العدو، و لم يبق مع السلطان إلا النفر اليسير، و الأمير حسام الدين طرنطاى قدامه بالسنجقيه، فعادت الميمنه، الذين كسروا الميسره فى خلق عظيم، و مروا به و هو فى ذلک النفر اليسير تحت السناجق، و الكوسات تضرب، و لقد مررت به فى ذلک الوقت،

و ما حوله من المقاتله ألف فارس إلا دون ذلک، فلما مروا به ثبت لهم ثباتا عظیما، فلما تعدوا قلیلا ساق علیهم، فانهزموا لا یلوون علی شی ء، و کان ذلک تمام النصر، و کان انهزامهم عن آخرهم قبل الغروب، و افترقوا فرقتین، ففرقه أخذت جهه سلمیه و البریه، و فرقه جهه حلب و الفرات، فلما انقضت الحرب فی ذلک النهار عاد السلطان إلی منزلته.

و فی بکره یوم الجمعه خامس عشره جهز السلطان وراءهم جماعه کثیره من العسکر و العربان، مقدمهم الأمیر بیلیک الأیدمری، و لما ماج الناس نهب المسلمون من الأقمشه، و الأمتعه، و الخزائن، و السلاح ما لا یحصی کثره، و ذهب ذلک کله، أخذه الحرافشه و الغلمان و غیرهم.

و بعد صلاه الجمعه خامس عشره جاءت بطاقه إلی دمشق من الفریقین تتضمن الظفر و النصر و انهزام العدو، فضربت البشائر علی قلعه دمشق و سر الناس، و زینت القلعه و المدینه، و أوقدت الشموع، فلما کان لیله السبت سادس عشره بعد نصف اللیل وصل إلی ظاهر دمشق جماعه کثیره من جیش المسلمین منهم جماعه من الأمراء الأعیان، و أخبروا بما شاهدوه فی أول الأمر و أن الکسره کانت علیهم، و لم یعلموا ما تجدد بعدهم، فحصل لأهل البلد قلق عظیم و خوف شدید، و تجهز منهم خلق للهزیمه، و فتح بعض أبواب المدینه، و لم یبق إلا الشروع فی الانزاح، فوصل فی تلک الساعه بریدی من جهه السلطان یخبر بالنصر، و کان وصوله عند أذان الصبح، فقرئ کتاب السلطان المتضمن البشاره فی تلک الساعه بالجامع، فطابت قلوب الناس، ثم ورد بریدی آخر مؤکدا لما جاء به الأول فتکامل السرور، و تم الأمن، و عاد الناس إلی ما کانوا علیه من الزینه، و مضمون بعض الکتب الوارده: نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِیبٌ، وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ(1)، صدرت هذه المکاتبه إلی المجلس، نعلمه أننا ضربنا

1- سوره الصف- الآیه: 13.

مصافا مع العدو المخذول على ظاهر حمص فى يوم الخميس رابع عشر رجب الفرد سنه ثمانين و ست مائه، و كان العدو المخذول على ظاهر حمص فى مائه ألف فارس أو يزيدون، و التحم القتال من ضحوه النهار إلى غروب الشمس، ففتح الله و نصر، و ساعدنا بمساعفه القدر، و نصرنا، و الحمد لله على أن أذل الأعداء و كسرهم، و ظفر المسلمون و نصرهم، و كتابنا هذا و النصر قد ضربت بشائره، و حلق طائره و امتلأت القلوب سرورا، و أولى الله الإسلام من تفضله علينا و عليهم خيرا كثيرا، و المجلس فليأخذ حظه من هذه البشرى العظيمه، و يتقلد عقودها النظيمه، و الله تعالى يخصه بنعمه العميمه- إن شاء الله تعالى- و أجلت هذه الوقعه عن قتل جم غفير من التتر لا يحصون كثره، و استشهد من عسكر المسلمين دون المائتين على ما قيل، منهم: الحاج أزدمر، و سيف الدين الرومى، و بهاء الدين بويل الشهرزورى، و عز الدين بن النضر، من بيت أتابک صاحب الموصل المشهور بالسيره المفرطه، و البأس الشديد و الصرامه، و كان يسكن جبل الصالحيه، و غيرهم- رحمهم الله أجمعين- و سنذكر أعيانهم إن شاء الله تعالى.

ثم إن السلطان انتقل من منزلته بظاهر حمص إلى البحيره التى لها ليبعد عن الجيف ثم توجه عائدا إلى دمشق، فدخلها يوم الجمعه الثانى و العشرين منه قبل الصلاه، و خرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه، و دخل بين يديه جماعه من أسرى التتار، و بأيديهم رماح، عليها شعف رؤوس القتلى منهم، و كان يوما مشهودا، و دخل فى خدمته جماعه، منهم: سنقر الأشقر، و الأمير سيف الدين أيتمش السعدى، و الأمير علم الدين سنجر الدوادارى، و سيف الدين بلبان الهارونى و غيرهم، و دخل قلعه دمشق، و كان سنقر الأشقر قد ودعه من حمص، و عاد إلى صهيون، و لما استقر الملک المنصور بدمشق. جرد عسكرا عظيما إلى الرحبه لدفع من عليها من التتر، فلما كان يوم الاثنين خامس و عشرين منه وصل قصاد

الرحبه، و أخبروا برحيلهم عنها فى يوم الجمعه ثانى و عشرين منه، و وصل الأمير بدر الدين الأيدمرى دمشق بمن معه من العسكر عائدا من تتبع التتار، و قد أنكى فيها نكايه عظيمه، و وصل إلى حلب و أقام بها و سير أكثر من معه، فتتبعوهم إلى الفرات، فهلک منهم خلق عظيم، غرقوا بها عند عبورهم، و أنكوا فيهم نكايه عظيمه، و تفرق شملهم، و ما برحت الأسرى فى هذه الأيام متواصله إلى دمشق، و الأخبار مترادفه بما نالهم من الضعف و المشقه، و هلاک خيولهم، و تخطف أهل البلاد لهم، و أنهم تمزقوا فى البرارى و الجبال و هلكوا جوعا و عطشا.

و فى يوم الأحد ثانى شعبان خرج الملک المنصور من دمشق متوجها إلى الديار المصريه، و خرج الناس لوداعه مبتهلين بالدعاء له، و دخل الديار المصريه يوم السبت ثانى و عشرين منه، و عقيب وصوله اعتقل الأمير ركن الدين أباجى الحاجب، و بهاء الدين يعقوب مقدم الشهرزوريه بقلعه الجبل.

و فى سلخه باشر الأحكام بالقاهره و مصر و أعمال الديار المصريه القاضى وجيه الدين البهنسى الفقيه الشافعى.

و فى هذا الشهر بعد سفر السلطان ترتب الأمير علم الدين سنجر الدوادارى مشدا على الدواوين بالشام منطلق فى المهام، و المصالح، و الأموال، و الاستخدام و العزل، و له مشاركه فى الجيش، و كان خرج مع السلطان، و وصل معه إلى قريب غزه، ثم عاد من خدمته على هذه الصوره، و عين له خبز سبعين فارسا.

و فى يوم الأحد سابع شهر رمضان المعظم فتحت المدرسه الجوهريه، و ذكر بها الدرس قاضى القضاه حسام الدين الحنفى، و ذلک فى حياه منشئها و واقفها نجم الدين محمد بن عباس بن مكارم التميمى الجوهرى و هى بقرب المدرسه الريحانيه بدمشق.

و فی سحر یوم الأربعاء عاشره وقع بدمشق ثلج کثیر بهواء عاصف، و بقی إلی ضحی یوم الخمیس مستمرا بحیث بقی علی الأرض منه فی بعض الأماکن قریب نصف ذراع، و کان قارنه برد مفرط یابس، و جلید، و طالت مده بقائه علی الأرض و ضعفت الخضراوات، و فسدت الفواکه من الجلید فی المخازن، و أما بعلبک فجمد فیها کیزان الفقاع، و ذلک غیر منکر بها، و أما دمشق فقل أن یقع بها الثلج علی هذه الصوره.

و فی شوال وصل إلی دمشق صاحب سنجار مقفزا من جهه التتر فی طاعه الملک المنصور سیف الدین قلاوون، و کان وصوله بأهله و حریمه و أمواله، فخرج نائب السلطنه لتلقیه، و احترمه، ثم جهزه إلی الدیار المصریه.

و فی شوال أیضا استفتی أهل الکتاب الذین أسلموا علی ما تقدم شرحه بأنهم أسلموا مکرهین، و عقد لهم مجلس، و رسم القاضی جمال الدین المالکی أن یسمع کلامهم، و یحکم فیهم بما یوافق مذهبه، فکتب لهم محضر، و شهد فیه جماعه من المسلمین بأنهم کانوا مکرهین، و أثبت المحضر، و عاد أکثرهم إلی دینه، و ضربت علی من عاد الجزیه، و قیل إنهم غرموا جمله کثیره حتی تم مقصودهم من ذلک.

و فی یوم الاثنین خامس ذی القعده قبض السلطان الملک المنصور علی سیف الدین أیتمش السعدی بقلعه الجبل و حبسه.

و فی یوم السبت عاشره قبض نائب السلطنه بدمشق علی سیف الدین بلبان الهارونی بمرسوم ورد علیه بذلک، و کان فی الصید مع نائب السلطنه بمرج دمشق فقیده، و حمله إلی قلعه دمشق.

و فی بکره یوم الخمیس ثامن و عشرین منه خرج أهل دمشق إلی المصلی، و نائب السلطنه، و الأمراء و الجند، رجاله جمیعهم، و صلوا صلاه الاستسقاء و حضروا الخطبه، و ابتهلوا إلی الله تعالی بالدعاء، و طلب

الغيث، و ذلک بعد أن صام کثير من الناس ثلاثه أيام عملا بالسنه، و کان هذا اليوم الثانى عشر من آذار، و سبب ذلک انقطاع الغيث، و عوزان المياه و استمرار الصحو.

و فى شهر ذى القعده أخرج السلطان الملک المنصور لبدر الدين سلامش مملوک الظاهر، و جميع العتره الظاهريه من النساء، و الأتباع لهم من الخدام و غيرهم من الديار المصريه، و جهزهم إلى عند الملک المسعود نجم الدين الخضر بالکرک.

و فى يوم السبت ثانى ذى القعده وقع الغيث بدمشق- لله الحمد.

و فى عشيه عرفه أفرج عن برهان الدين السنجارى من الاعتقال، و لزم بيته بعد مکابده مشاق کثيره.

و فى هذه السنه تربت جزيره کبيره ببحر النيل تجاه قريه بولاق و اللوق، و انقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعه المقس، و ساحل باب البحر، و الرمله، و بين جزيره الفيل الوقف على الشافعى- رحمه الله تعالى- و هو المار تحت منيه الشيرج، و انسد و نشف بالکليه، و اتصل ما بين المقس و جزيره الفيل، و لم يعهد هذا فيما تقدم، و حصل لأهل القاهره مشقه يسيره من نقل الماء الحلو لبعد البحر عنهم ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]بغا بن هولاکو

، کان ملکا عظيما، جليل المقدار، عالى الهمه، شجاعا، مقداما، خبيرا بالحروب، لم يکن بعد والده مثله، و هو على مذهب التتار، و اعتقادهم، و مملکته متسعه جدا، و عساکره جمه، و أمواله غزيره، و کلمته فى جنده- مع کثرتهم- مسموعه، و له رأى و حزم و تدبير، و لما توجه أخوه منکوتمر إلى الشام بالعساکر، لم يکن ذلک عن رأيه بل أشير عليه به، فوافق و نزل فى

ذلک الوقت بالقرب من الرحبه فی جماعه من خواصه المغل ینتظر ما یکون، فلما تحقق الکسره رجع علی عقبه إلی همذان، فمات

غما و كمدا بين العيدين، و وصل الخبر إلى دمشق بموته فى أوائل سنه إحدى و ثمانين، و له من العمر نحو من خمسين سنه، و كان سبب موته أنه دخل الحمام، و خرج منه فسمع أصوات جمله من الغربان، و هى تنعق، فقال: هذه الغربان تقول مات أبغا، و ركب من الحمام، فإذا كلاب صيد قد صادفها فى طريقه، فعوت كلها فى وجهه فتشاءم بذلک، و بلغه أن خزانته و خزانه أبيه و كانتا فى برج على البحر، و أنه قد خسف بالبرج، و غار فى الأرض بجميع ما فيه، فلم يسلم سوى قطعه منه، فمات فى نصف ذى الحجه سنه ثمانين و ستمائه فى قريه من قرى همذان اسمها بابل، و قيل: فى بلده اسمها كرمانشهان من بلاد همذان، و دفن فى قلعه تلا عند أبيه، و مات بعده بيومين أخوه أجاى ...

[أحداث]حمد بن على بن المظفر

أبو العباس نجم الدين المعروف بابن الحلى التاجر، كان ذا نعمه ضخمه، و ثروه ظاهره و متاجر متسعه و معاملات كثيره و أموال جمه، و له التقدم فى الدول، و الوجاهه عند الملوک، و يكثر من خدمتهم، و معاملتهم، و كانت ولادته فى أواخر شهر رمضان بالقاهره سنه ثلاث و ست مائه، و خلف تركه عظيمه، حمل منها جمله كثيره إلى بيت المال، و كان شيخا لطيف الشمائل، حسن العشره، كثير الموادده، و عنده تشيع، و إليه، أو إلى والده ينسب الأمير عز الدين أيدمر الحلى- رحمه الله تعالى- و كان الصاحب بهاء الدين- رحمه الله تعالى- يتمعض منه لعدم تمكنه من الوصول إليه مع وجود الأمير عز الدين الحلى، فلما توفى الأمير عز الدين تمكن منه، فحدث الملک الظاهر فى معناه، و عرفه كثره أمواله و متاجره و أنه لم يكن يقوم بما جرت العاده من الحقوق الديوانيه و المكوس بطريق الأمير عز الدين، فأطلق يده فيه فغرمه مائه ألف دينار، فلما مرض الصاحب بهاء الدين بمرض الموت طلبه، فلما حضر قال: سيدى، و أخى، و صاحبى، و اعتنقه و قبل ما بين عينيه، و قال له: يا سيدى نجم الدين! قد ترى ما أنا فيه، و أشتهى أن

تحاللنى، فربما توهمت أن ما أخذ منک الملک الظاهر کان بإشارتى فتحاللنى ليطيب قلبى، فقال: أعيذک بالله يا مولانا من هذا القول، أنا رجل على تبعات کثيره، ولى غريم على مولانا فإذا طولبت بما على أحلت عليک، فلو أبريتک کنت تقول لهم أبرانى، و ما بقى له عندى حق فيعودون إلى مطالبتى، و الله! هذا لا فعلته أبدا، و خرج من عنده فعظم ذلک على الصاحب، و حصل له کمد کبير، و فکر عظيم إلى حيث فارق الدنيا، و الله يعفو عنا و عنهم و عن جميع المسلمين بکرمه و رحمته.

[أحداث]حمد بن النعمان بن أحمد أبو العباس

فخر الدين المعروف بابن المنذر الحلبى ناظر الجيوش بالشام. کان رئيسا، عنده مکارم، و حسن عشره، و هو من أعيان الحلبيين، ولى المناصب الجليله، و له الوجاهه التامه مشکور السيره بين الناس، لا يصدر منه فى حق أحد إلا الخير، و کان عنده تشيع، و لم يسمع منه ما يؤخذ عليه، و کان ظاهر حمص وقت المصاف، و اتفق وقوفه فى الميسره، فلما کسرت على ما تقدم شرحه، کان فى جمله المنهزمين، و وصل إلى بعلبک و قد خامره الرعب، و التاث مزاجه من السوق، و شده الحرکه مع الخوف، فتوفى بدمشق ليله الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان المعظم، و دفن يوم الثلاثاء بسفح قاسيون، و قد ناهز ستين سنه من العمر- رحمه الله ...

[أحداث]لحاج أزدمر بن عبد الله الجمدار

الأمير عز الدين، و هو من أعيان الأمراء و أماثلهم، و عنده فضيله و معرفه و حسن تدبير، و فيه مکارم کثيره، و مراعاه لمعارفه، و تفقد لأحوالهم، و بر لهم، و لم يزل محترما فى الدول، و لما تملک الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- زاد إقطاعه، فلما قدم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى دمشق لازمه و اختص به، و کان لا يصدر إلا عن رأيه، فلما تسلطن بدمشق، جعله نائب السلطنه عنه، و لما ضرب المصاف مع المصريين و حصلت الکسره، قصد الأمير عز الدين الجبل، و أقام به مده، ثم اتصل بسنقر

الأشقر، و أقام بقلعه شيزر و قد أشرنا إلى ذلک فيما تقدم من هذا الكتاب، و بقى عند سنقر الأشقر وفيا و حضر مصاف التتار، و قاتل قتالا شديدا، و أبلى بلاء حسنا، و قتل مقبلا غير مدبر شهيدا يوم المصاف، و هو رابع عشر رجب من هذه السنه بظاهر حمص، و دفن فى جوار مشهد خالد بن الوليد رضى الله عنه، و عمره نحو ستين سنه، و كانت نفسه تحدثه عن أمور قصر عنها أجله، و كان يزعم أنه شريف النسب- و الله أعلم- رحمه الله.

[أحداث]يبک بن عبد الله الأمير عز الدين الشجاعى الصالحى العمادى

، والى الولاه بالجهات القبليه، كان دينا خيرا أمينا صارما عفيفا، حسن السيره لين الجانب، شديدا على أهل الريب، وجيها عند الملوک، ولى فى حال شبابه أستاذ داريه الملک الصالح عماد الدين اسماعيل- رحمه الله تعالى- و تنقلت به الأحوال، و كان الملک الظاهر ركن الدين- رحمه الله تعالى- يعتمد عليه و يتحقق أمانته و هو مسموع الكلمه عنده، و عزل و قطع خبزه بسؤاله اختيارا منه فى أول هذه السنه، فلزم بيته إلى أن أدركته منيته بدمشق فى يوم الخميس ثانى جمادى الآخره من هذه السنه، و دفن من الغد بسفح قاسيون، و قد بلغ من العمر خمسا و ثمانين سنه- رحمه الله.

بكتوت بن عبد الله الخزندارى

الأمير بدر الدين، كان نائب الأمير بدر الدين الخزندار الظاهرى- رحمه الله تعالى- بالشام، و تقدم الطلب الذى له بدمشق، و استولى على إقطاعاته، و أملاكه، و سائر تعلقاته بالشام، و أمره على قلعه الصبيبه، و بانياس، و تلک الأعمال، و كان مشكور السيره، حسن المعامله، لين الكلمه، كثير البر و الصدقه، كريم الأخلاق، حسن الشكل، و قاتل يوم المصاف الذى ضربه المسلمون مع التتر، و أبلى بلاء حسنا، و قاتل، و فقد، و لم يقع له أحد على خبر و الظاهر: أنه استشهد- و الله أعلم- و هو فى عشر الخمسين- رحمه الله.

بلبان بن عبد الله الرومى

الأمير سيف الدين الدوادار، كان من أعيان الأمراء و أجلائهم، عنده معرفه، و حزم، و رياسه، و مكارم أخلاق، و إحسان لمن خدمه و يتصل به، و كان الملک الظاهر ركن الدين- رحمه الله تعالى- يعتمد عليه، و يثق به، و يسكن إليه، و هو المطلع على أسراره، و تدبير أمور القصاد، و الجواسيس، و المكاتبات، و غير ذلک، لا يشاركه فى ذلک وزير و لا نائب سلطنه بل كان هو و الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل، فلما توفى حسام الدين فى التاريخ المقدم ذكره انفرد الأمير سيف الدين بذلک، و أضيف إليه عز الدين أيدمر الدوادارى الظاهرى تبعا له، و لم يزل على ذلک إلى أن انقضت الدوله الظاهريه، و لم يؤمر فيه بطبلخاناه، فلما أفضى الملک إلى الملک السعيد- رحمه الله تعالى- أمره و أعطاه خمسين أو ستين فارسا بالشام، و هو ملازم خدمته، فلما انقضت الأيام السعيديه، بقى على خبزه و حرمته إلى أن حصل المصاف بين المسلمين و التتار فى هذه السنه ظاهر حمص، حضر المذكور، و قاتل فيه قتالا كبيرا، و استشهد إلى رحمه الله تعالى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب، و دفن ظاهر حمص جوار مشهد خالد بن الوليد رضى الله عنه، و قد نيف على خمسين سنه من العمر- رحمه الله تعالى.

بهادر بن بيجار بن بختيار

الأمير بهاء الدين، كان من أعيان الأمراء و أكابرهم مشهورا بالشجاعه و النجده، و له مواقف معروفه، و هو الذى كان سبب حضور والده الأمير حسام الدين بيجار و من معه إلى بلاد المسلمين، و قد أشرنا إلى ذلک فيما تقدم، توفى بهادر المذكور بغزه، و هو متوجه صحبه العساكر إلى الديار المصريه فى يوم الجمعه رابع عشر شعبان، و دفن من يومه بها، و هو فى عشر السبعين تقريبا- رحمه الله تعالى. و والده الأمير حسام الدين بيجار فى قيد الحياه يومئذ، و هو مقيم بالقاهره، و قد كف بصره.

بويل بن الأمير بهاء الدين الشهرزورى.

من أمراء دمشق، كان من الأبطال الشجعان و الفرسان المعدودين، استشهد يوم المصاف ظاهر حمص، و هو يوم الخميس رابع عشر شهر رجب من هذه السنه بعد أن قاتل قتالا شديدا، و أنكى فى العدو نكايات كثيره، و قتل منهم عده وافره بيده- رحمه الله تعالى- و قد نيف على ستين سنه من العمر.

خضر بن محاسن موفق الدين الرحبى

، كان من رجال الدهر شجاعه و إقداما، و حزما و تدبيرا، و مكرا و حيلا، و مداراه و سياسه، و تيقظا و فطنه و ذكاء، و كان فى بدايته جماسا بالرحبه لشخص من أهلها فاتفقت وفاه ذلک الشخص، فتزوج زوجته، و كفل ولده منها، فحاز موجوده، فصلح حاله يسيرا، فتوصل إلى أن صار قزل غلام بالرحبه فى حياه الملک الأشرف صاحبها، فلما توفى و انتقلت إلى الملک الظاهر ركن الدين، خدم نوابه فقربوه و وجدوا عنده كفايه تامه، و خبره بالبلاد و أهلها، فزادوا معلومه، و ترقى عندهم، و تعرف بالأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، و اعتضد به، فلما ولى النيابه بتلک الناحيه الأمير عز الدين أيبک الاسكندرى- رحمه الله تعالى- زاد فى معلومه، و أكرمه و رأى أنه مفتقر إلى مثله لما هو بصدده، فلما أخذ الأمير عز الدين قرقيسيا من نواب التتر، و أخربها، و كانت كثيره الأذيه و الضرر لبلاد المسلمين، فسير التتر إلى الملک الظاهر- رحمه الله تعالى- لأخذها و عرف أن الموفق سعى فى ذلک، و طلب خبزا فأعطى له خبزا جيدا بلا تعيين و عظم شأنه، و انبسطت يده، و كثر أتباعه، و زاد تمكنه، فلما توفى الأمير عز الدين- رحمه الله- و تولى عز الدين أيبک الموصلى من البحريه الصالحيه، أصله قبجاقا تضاعف تمكنه، فلم تطل مده المتولى، و توفى فرتب الموفق مكانه مستقلا، و أعطى خبزه فدبر الأمور، و جهز القصاد إلى بلاد العدو، و تضاعف اجتهاده، و ظهرت ثمره ولايته، فلما تملک الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله، أقره على ذلک،

و طيب قلبه، فلما كان المصاف بين سنقر الأشقر و الأمير علم الدين الحلبى، و انكسر سنقر الأشقر لحق بالرحبه، و معه جماعه كبيره من أعيان الأمراء و الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، فطلب منه تسليم القلعه، فجعل يخادعه، و يماطله، و يرسل فى كل وقت الإقامات و ما يطلبه مما هو عنده، و هو فى غضون ذلک يطالع الملک المنصور بأحواله، و أموره، و يرد عليه الأجوبه بما يعتمده، و أنه يسعى فى إفساد من عنده من الأمراء، و إيصالهم ملاطفات ترد عليهم من الملک المنصور و أمانات، و هو يسعى فى ذلک بتأنى إلى أن حصل المقصود، و فارق سنقر الأشقر معظم من عنده من الأمراء، و وردت كتب الملک المنصور إلى الموفق يشكر سعيه، و يعده مواعيد جميله، و أمره بطبلخاناه و غير ذلک، فلما حضر الملک المنصور إلى دمشق فى هذه السنه سير الموفق يطلب الإذن فى الحضور، فأذن له فحضر بتقدمه سنيه و آماله تحدثه بنيل نهايه مناه، فلما وصل أقبل عليه الملک المنصور، و اتفق حضور تجار أخذوا فى ذلک البر و وجدوا بعض قماشهم عنده، فشكوه، و عضدهم الأمير علم الدين الحلبى، فرسم عليه، و كان غايه الإنعام عليه خلاصه من تبعتهم، فحصل له غم شديد، و تمرض بدمشق، و مات بها كمدا، و دفن بمقابر باب الصغير، و قد قارب سبعين سنه من العمر لم يستكملها، و كانت وفاته فى أحد الربيعين من هذه السنه- رحمه الله تعالى ...

سنقر بن عبد الله الأمير شمس الدين الألفى

، كان من أعيان الأمراء الظاهريه، و ممن له عنده مكانه مكينه، و محل لطيف، و هو من ارتجع عن الملک المظفر سيف الدين قطز- رحمه الله، و كان فى بدايه أمره أول دخوله البلاد قد اشتراه الشمس العذار، ثم باعه فتنقل عنه إلى أن اتصل بالملک المظفر قطز- رحمه الله- و هو صغير السن، و كان الملک الظاهر يوليه الولايات الكبار، لكنه لم يكن يؤثر مفارقته، و لما أفضت السلطنه إلى الملک السعيد- رحمه الله- و مات الأمير بدر الدين

الخزندار- رحمه الله تعالى- و أمسک الأمير شمس الدين الفارقانى- رحمه الله تعالى- على ما تقدم شرحه، رتب المذكور فى نيابه السلطنه بالديار المصريه، و سائر الممالک، و بقى على ذلک مده، و كان حسن السيره فى مباشرته لذلک محبوبا إلى الجند و الرعيه، ثم استعفى فأعفى، و رتب عوضه الأمير سيف الدين كوندک، فكان ذهاب الدوله على يده، و كان شمس الدين هذا دينا، عنده فضيله و معرفه بالأدب و الكتابه، و توفى معتقلا بالاسكندريه، و قيل: بقلعه الجبل فى هذه السنه، و له من العمر نحو من أربعين سنه- رحمه الله تعالى ...

موسى بن داود بن شيركوه بن شاذى

، أبو الفتح الملک الأشرف مظفر الدين ابن الملک الزاهر محيى الدين بن الملک المجاهد أسد الدين، كان شابا حسنا بهيا، جميل الصوره، واسع الصدر، كريم الأخلاق، حسن العشره، لين الجانب، شديد الحب للفقراء، كثير الإحسان إليهم بنفسه و ماله، و كان عنده رياسه و حشمه، و أخلاق ملوكيه، و أمه بنت الملک المعظم شرف الدين عيسى بن الملک العادل، و اقتبس هذه الصفات الجميله منها، و لما توفى حزن عليه والده حزنا مفرطا، و كانت وفاته يوم السبت العشرين من ذى القعده، و دفن بتربتهم بسفح قاسيون- رحمه الله- و خلف ولدا ذكرا ...

[أحداث]لسنه الحاديه و الثمانون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه يوم السبت و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره فى السنه الخاليه، و الملک المنصور سيف الدين قلاوون مقيم بالديار المصريه.

[ولايه أحمد بن هولاكو بعد أبغا]

و فى أوائل هذه السنه ترتب فى مملكه التتار مكان أبغا أخوه لأبيه أحمد ابن هولاكو، و هو مسلم، حسن إسلامه على ما يقال عنه، و عمره يومئذ مقدار ثلاثين سنه، و وردت الأخبار إلى الشام بأن كتبه و أوامره وصلت

إلى بغداد تتضمن إظهار شعائر الإسلام، و إقامه مناره، و إعلاء كلمه الدين، و بنيان الجوامع، و المساجد، و الأوقاف، و تنفيذ الأحكام الشرعيه، و الوقوف معها، و تشييد قواعدها، و إلزام أهل الذمه لبس الغيار و ضرب الجزيه عليهم، و يقال: إن إسلامه كان فى حياه والده هولاكو.

و فى عشيه يوم الأحد مستهل صفر قبض الملک المنصور سيف الدين قلاوون على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، و علاء الدين كشتغدى الشمسى، و اعتقلهما بقلعه الجبل.

[تفويض التدريس بالأمينيه إلى ابن خلكان]

و فى يوم الأربعاء عاشره فوض إلى قاضى القضاه شمس الدين أحمد ابن خلكان- رحمه الله تعالى- التدريس بالمدرسه الأمينيه بدمشق، و ذكر الدرس بها يوم الأربعاء ثامن عشره، و كان قد درس بها مده، ثم انتزعت منه، و أعيدت إليه، و كتب له بها تقليد من إنشاء المولى القاضى شرف الدين بن فضل الله من ديوان الإنشاء، و مضمونه:

«الحمد لله الذى أقر الحق فى نصابه و أعاد الأمر إلى من هو أولى به، ورد الفضل إلى وطنه بعد معاناه اغترابه. و رفع منار العلم للمسترشدين من طلابه. نحمده حمدا نستزيد به النعم، و نستفيد و نسترد به فائت الشكر و نستعيد، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له شهاده من تيقن شهادته فأداها و أجرى الله المشيئه بتزكيه نفسه فآتاها هداها، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله خاتم رسله، و نبيه الذى أرسله بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ(1)، صلى الله عليه و على آله و صحبه الكرام، أئمه الدين و خلفاء الإسلام، الذين سبقوا و نصروا و عليوا بالإسلام، و صابروا فى الله و صبروا. و طلقوا الدنيا و هجروا، ما توج مفرق الصبح من الشمس بتاج، و أمسى لذهب الأصيل الأفق امتزاج.

و بعد: فأما الأمور الدينيه أولى ما كانت عيون العنايه بها متأمله،

1- سوره التوبه- الآيه: 33.

و ركائب الأفكار نحوها متحمله، ليوضع الأشياء فى مواضعها، و يقع الأمور فى أحسن مواقعها، فلا يقع الاشتباه مع غير الأنظار و الأشباه، و لا توضع غير التيجان بمكانها من المفارق و الجباه، و إذا رقدت لحظه الخط أو سهت. و تخطت خطوه الخطأ فما وقفت حيث انتهت أيقظت، تلک العنايه الخط من هجوعه، و صدت الخطأ عن قصده، و حكمت عليه برجوعه، فيمسى النجم له استقامه بعد الرجوع، و يصبح و للشمس من بعد الغروب طلوع، و لذلک رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى- زاده الله شرفا، و ملأ بمحامده من الأيام صحفا- أن يفوض تدريس المدرسه الأمينيه بدمشق المحروسه إلى الجناب العالى المولوى القضائى الإمامى الأوحدى الأفضلى الأرشدى الزاهدى العابدى الورعى الناسكى العلوى العلامى الشمسى ضياء الإسلام صدر الأنام بقيه الكرام، علامه العلماء بمصر و العراق و الشام، كهف المله ركن الشريعه شيخ المذاهب، مفتى الفرق، قدوه العالمين ظهير الملوک و السلاطين، خالصه أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ الإمام العالم العلامه بهاء الدين بن خلكان- ضاعف الله جلاله- إذ كان المعنى بهذا المعنى، و الأوحد الذى لا نظير له فما يجمع، و لا يتثنى، و هو الأولى بأن ينعت بواحد الزمان.

و المراد به مفهوم هذا الخطاب و غيره هو الذى أردناه بقولنا مضى هذا من هذا الباب، لتزين سماء العلوم منها بشمسه المنيره، و يحتوى صدرها من تصدره بها على حاوى العلوم الذى لا يغادر صغيره و لا كبيره، و ليفوض نظرها إليه فقد حكم له بها الاستحقاق، و أصبحت نظاميه الشام لما درس بها، و قد أربت على نظاميه العراق، و قد درس بها الشيخ أبو اسحاق، و شهاده فضله الآن مغنيه عن فضل أمسه، و الأخبار عن القاضى من الأمر لا يفتقر إليه، و العيان شاهد لنفسه، و متى احتاج النهار إلى دليل مع طلوع فجره.

و شروق شمسه، و الواصف لمناقبه ما عساه أن يورد بين يدى فضائله و سماعه لدرسه. و يوجز و يطنب فلا يخلى و لا يملى، و كيف يمل و توفيق مفيد العقول عليه يملى. فليقصر فى هذا المقام على إفادته، و تحصيل الاكتفاء بابانته، عن تكرر المقال و إعادته، و ليباشر ذلک على قاعدته فيه و عادته، و الاعتماد على الخط الكريم- أعلاه إن شاء الله تعالى».

كتب فى ثالث عشر صفر سنه إحدى و ثمانين و سته مائه، و هذا التقليد من نائب السلطنه بالشام الأمير حسام الدين لاجين- رحمه الله.

و فى يوم الأحد سابع صفر دخل الحجاج دمشق فى تامه.

[توليه نجم الدين الأصفونى الوزاره فى مصر]

و فى يوم الأحد حادى عشر ربيع الآخر ترتب بالديار المصريه نجم الدين المعروف بابن الأصفونى وزيرا عوض برهان الدين السنجارى، و باشر الوزاره فى التاريخ المذكور، و هو من أهل صعيد مصر من بليده يقال لها أصفون من أعمال قوص، و لم يزل متنقلا فى الخدم و الأقطار الكبار، ثم ترقى إلى الوزاره فى هذا التاريخ، و رفعت يد الأمير علم الدين الشجاعى أحد المماليک الكبار المنصوريه عن شد الدواوين بالديار المصريه و استمر على إمرته.

و فى أواخر جمادى الآخره ترتب بالقاهره و الوجه البحرى القاضى شهاب الدين محمد ابن القاضى شمس الدين الخوئى عوضا عن القاضى وجيه الدين البهنسى، و انفرد وجيه الدين بقضاء مدينه مصر و الوجه القبلى على عاده من تقدمه، و كان شهاب الدين قاضيا بالغربيه نيابه عن الحاكم بالقاهره مده، ثم أعفى عنها و توجه إلى حلب حاكما بها مستقلا، و أقام بها مده، ثم أعفى عنها، و توجه إلى الديار المصريه فأعيد إلى الغربيه، و أقام بها إلى حين استقلاله بالقاهره على ما ذكرنا.

[وصول رسل أحمد بن هولاكو إلى دمشق]

و فى ليله الاثنين حادى و عشرين شهر رجب وصل إلى دمشق رسل من جهه الملک أحمد بن هولاكو ملک التتر قاصدين السلطان، فأنزلوا

بدار رضوان بقلعه دمشق، و اهتم بأمرهم غايه الاهتمام، و تلقاهم سيف الدين كبک أمير حاجب بجماعه من العسكر إلى حلب فتوجهوا إلى الديار المصريه ليله الخميس رابع عشرين منه، و معهم سيف الدين كبک المذكور، و كانت طريقهم على القدس و الخليل لقصد الزياره، و مسيرهم فى الليل دون النهار فى جميع بلاد المسلمين فى المجى ء و العود، و هم بهاء الدين أتابک الروم، و شمس الدين بن شرف الدين التبتى وزير صاحب ماردين، و قطب الدين قاضى شيراز، و كانت لديه فضيله تامه فى الهيئه و علوم الأوائل من المعقولات.

و فى ليله الجمعه حادى عشره دخل الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه بالشام على زوجته ابنه الأمير ركن الدين بيبرس الناصرى المعروف بطقصو، حملت إليه من الديار المصريه، و كان دخولها عليه بدار السعاده، و عمل عرس عظيم حضره نائب السلطنه المذكور، و سائر الأمراء، و الجند، و كثير من العوام، و أحضر فيه المطربون، و عند الفراغ منه أحضر الأمراء و مقدمو الحلقه تقادم جليله من الخيول و الثياب، الأطلس، و النسيج، و العتابى و غير ذلک فى البقج، و المماليک لابسين عدد الحرب على الخيول المثمنه و غير ذلک، و استمر عرض التقادم من بعد السماط إلى الظهر، و لم يقبل من ذلک إلا اليسير، و بعد الفراغ من عرضها، ركب إلى دار السعاده.

و فى يوم الأربعاء ثانى عشرين شعبان طافوا بالكسوه الشريفه التى عملت برسم الكعبه- عظمها الله تعالى- بمصر و القاهره على العاده.

[حريق اللبادين و أماكن أخرى بدمشق]

و فى ليله الأحد عاشر رمضان المعظم احترقت اللبادين بدمشق الشماليه بكمالها، و جسر الكتبيين بأسره، و أكثر اللبادين القبليه العلو و السفل من ذلک جميعه، و الفواره و السوق الذى يليها للقماش المعروف بسوق عسا الله، و سقايه جيرون، و وصلت النار إلى الربع الملاصق لحمام الصحن من قبليه، فاحترق بعضه إلى باب درب العجم بوسط جيرون،

و إلى حد المسجد العمرى الذى على درج باب الجامع الملاصق لسجن زين العابدين- رحمه الله عليه- إلى داخل مشهد على- رضوان الله عليه- و إلى حد دار الخشب و خزائن السلاح و إلى الربع المستجد بجيرون قباله درب العجم، و احترق أكثره، و احترق من الكتب ما يزيد على سته آلاف مجلد، و من عجيب الاتفاق أنه وجد و ريقه عتيقه من كتاب و قد احترق أكثرها و بقى فيها مكتوب:

فوض الأمر راضياجف بالكائن القلم

ليس فى الرزق حيلهإنما الرزق بالقسم

ذل رزق الضعيف و هو لحم على وضم

و افتقار الغنى إذيرهب الأسد فى الأجم

أن للخلق خالقالا مرد لما حكم

و بالجمله فكان حريقا عظيما لم يشهد مثله، و خيف على الجامع منه و كان بدايه الحريق بين المغرب و العشاء، و الناس على الفطر، و استمرت النار تعمل إلى الثلث الأخير من الليل، و هى فى قوه و تزيد، ثم تناقصت و خمد لهبها قبل طلوع الشمس، و كان السبب فى إخمادها الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه- رحمه الله- فإنه لما بلغه خبرها، بطل الفطر و حضر بنفسه و خواصه و مماليكه مسرعا، و حضر إليه جميع الأمراء و مماليكهم و كثير من الجند، و ظهر من اهتمامه فى إخمادها ما تضاعفت الأدعيه له بسببها، و أقام الدخان يصعد من خلال الأبنيه و الردوم نحو أسبوع، و تقدم من غد يومه إلى الصاحب محيى الدين محمد بن النحاس بعماره ما احترق، و إعادته إلى ما كان عليه، و ندب من جهته مشدا بين يدى الصاحب محيى الدين لذلك، و قطعت رواتب الناس كافه على المصالح، و حصل الاهتمام التام من الصاحب محيى الدين، فبنى أحسن مما كان، و أتم بالانقاش فى مده قريبه.

و فى ليله الخميس حادى و عشرين منه وصل إلى دمشق رسل الملك

أحمد بن هولاكو من مصر عائدين إلى مخدومهم، و نزلوا بدار رضوان بالقلعه، و سافروا ليله الأحد رابع عشرين منه إلى بلادهم، و لم يتوجه معهم رسول من جهه الملک المنصور.

و فى يوم عيد النحر و هو يوم الخميس قدم الملک المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماه إلى دمشق متوجها إلى الديار المصريه، إلى خدمه السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون، و نزل بداره داخل باب الفراديس، و سافر بعد يومين من مقدمه.

و فى يوم عرفه قبض بدمشق على زين الدين من ذريه الشيخ عيسى ابن أبى البركات، و أبو البركات هو أخو سيدنا عدى بن مسافر- رحمه الله عليه- و سير إلى الديار المصريه، و صحبته أميران من أمراء دمشق مقبوض عليهما أيضا حسبما ورد به مرسوم الملک المنصور سيف الدين قلاوون من الديار المصريه ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

بيجار بن بختيار الأمير حسام الدين اللاوى الرومى

، قد ذكرنا قدومه إلى الشام، و تروحه عن بلاد التتار، و كان له بتلک النواحى قلاع، و بلاد، و أموال جمه، فجرى لولده بهاء الدين بهادر المقدم ذكره ما اقتضى تروحه مع رغبته فى الحضور إلى بلاد الإسلام، و مكاتبه الملک الظاهر له، و لما حضر وصل مع خلق كثير من أمراء الروم، و أعيانه، و طائفه كثيره من غلمانه، و أتباعه، و ذريته، و لما استقر بالديار المصريه قصد الحج فتوجه، و أدى فريضه الحج، و تصدق فى الطريق، و بالحرمين الشريفين بصدقات كثيره، و أنفق فى حجته أموالا جمه، و عاد و لزم بيته، و ترک الإمره و كف بصره قبل موته بدون ثلاث سنين، و كان قد عمر عمرا طويلا، و تعدى المائه سنه بسنين كثيره، و توفى بالقاهره فى أوائل شهر شعبان من هذه السنه- رحمه الله تعالى ...

شیرکی صاحب جبیل

، کان من الفرسان المشهورین عند الفرنج، محبوبا إلیهم لشجاعته و کرمه، و کان من معظم الخیاله بطرابلس، قد مالوا إلیه و تغیروا علی صاحبها، فکاتبهم شیرکی و کاتبوه و تقرر بینهم أنه متی حضر سلموا إلیه البلد، و کان بینه و بین صاحب طرابلس عداوه شدیده، و کان شیرکی قد انتهی إلی الملک المنصور سیف الدین قلاوون- رحمه الله- بواسطه الأمیر سیف الدین بلبان الصالحی، و شرط علی نفسه أنه متی ملک طرابلس تکون مناصفه بینه و بین الملک المنصور، و طلب أن یعتضد بجماعه من المسلمین الجبلیین لقربهم منه، فسمح لهم النواب بذلک، و ترددوا إلیه، و أخذوا خلعه، فلما کان فی أواخر شوال، أو أوائل ذی القعده من هذه السنه، رکب شیرکی فی أصحابه و جماعه من الجبلیین فی البحر، و دخلوا میناء طرابلس لیلا، و خرجوا من المراکب، و دخلوا البلد، و طرقوا أبواب من کان کاتبهم، فلم یخرجوا إلیهم، لأن صاحب طرابلس قد نمی إلیه الخبر، و احترز فجاء شیرکی إلی قصر صاحب طرابلس فقیل له: قد علم صاحب طرابلس بباطن الحال، فارجعوا، فلم یفعل شیرکی، فلما أحس صاحب طرابلس بدخولهم البلد، أخرج غلمانه و أصحابه و خیالته فی طلبهم، فأمسکوا من ظفروا به، و أما شیرکی فقصد دار الداویه لیحتمی بها، فجاء صاحب طرابلس فقبضه منها بعد فصول یطول شرحها، و سیرهم لوقته إلی أنفه، و حبسهم بها، و أما شیرکی و أصحابه الخصیصون به فیقال إنه غرقهم فی البحر بعد إمساکهم بثلاثه أیام، و سیر غلمانه تسلموا جبیل فصارت له مع طرابلس و ما معها، و أما الجبلیون فبقوا فی القیود إلی حیث نازل الملک المنصور المرقب، و حضر إلیه رسول صاحب طرابلس فطلبهم منه، و لم یسمع له رساله، فعاد إلی صاحبه، و أخبره ما رسم به السلطان فکساهم جمیعهم و جهزهم إلی عند السلطان بظاهر المرقب فأطلقهم.

شاذی بن داود بن عیسی

بن أبی بکر محمد بن أیوب بن شاذی الملک

الظاهر غياث الدين ابن الملک الناصر صلاح الدين ابن الملک المعظم شرف الدين ابن الملک العادل سيف الدين- رحمه الله تعالى- مولده فى الخامس و العشرين من ذى الحجه سنه خمس و عشرين و ست مائه بقلعه دمشق، و والده إذ ذاک صاحبها، و أظنه أكبر ولد أبيه و أمه ابنه الملک الأمجد مجد الدين حسن بن الملک العادل، و هو شقيق الملک الأمجد مجد الدين المقدم ذكره فى سنه سبعين و ست مائه، و توفى الظاهر شاذى ليله الخميس حادى و عشرين شهر رمضان المعظم من هذه السنه بقريه الناعمه من الغور، و حمل إلى القدس الشريف، فدفن بعد الصلاه عليه بالأقصى عقيب صلاه الجمعه ثانى و عشرين شهر رمضان المعظم- رحمه الله تعالى- كان دينا خيرا عاملا شجاعا، صادق اللهجه، كريم الأخلاق، كثير التواضع، لين الكلمه، يعانى ملابس العرب و مراكبهم كعمه الملک القاهر- رحمه الله تعالى- و كان شريف النفس، غير مبتذل إلى أحد من أرباب الدوله، و يسكن بسفح قاسيون ظاهر دمشق، و خلف أولادا صغارا- رحمه الله تعالى ...

على بن عيسى بن أبى الحسن بن أبى الفوارس

أبو الحسن الأمير عز الدين ابن الأمير ناصر الدين بن الأمير سيف الدين الأمير أسد الدين القيمرى، كان هو صاحب قلعه قيمر المشهوره انتقلت إليه عن سلفه، و كانت بيده إلى أن أخذها منه التتر و هى بالقرب من مدينه إسعرد، و انتقل إلى الديار المصريه و خدم بها ثم بطل الخدمه قبل وفاته بمده، و لزم السكن جوار البيمارستان الذى أنشأه جده الأمير سيف الدين أبو الحسن بسفح قاسيون، و كانت وفاته ليله الأحد ثالث عشر شهر رجب من هذه السنه بالنيرب ظاهر دمشق، و دفن يوم الأحد بعد صلاه الظهر بتربه جده الأمير سيف الدين المذكور معه فى الضريح و التربه تجاه المارستان المذكور، و عمره مقدار أربعين سنه، رحمه الله.

لاجين بن عبد الله الأمير حسام الدين العينتابى

، كان له مشاركه فى

نيابه السلطنه بحلب، و تقدم للعسكر بها، و كان شجاعا بطلا جوادا خيرا، حسن السياسه، جميل الصوره، تام الخلق، عنده رياسه و عقل و معرفه، و كان قبل وفاته بمده يسيره ثبت أنه باق على الرق، فاشتراه الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله، و أعتقه و زاد فى حرمته، و بسط يده و إقطاعه، و كانت وفاته بحلب ليله السبت ثانى عشر ذى الحجه، و دفن يوم السبت ظاهرها، و هو فى عشر الخمسين سنه من العمر، رحمه الله تعالى.

منكوتمر بن هولاكو بن تولى بن جنكز خان ملک التتار

، و هو من بيت الملک، و هو مقدم الجيش الذى ضرب المصاف مع المسلمين فى السنه الخاليه ظاهر حمص، فكان عنده شجاعه و إقدام، و بطش و سفک للدماء، و هو نصرانى الدين، و كان جرح يوم المصاف، و الذى جرحه الأمير علم الدين الدويدار- رحمه الله- و حصل له غم شديد على ما جرى عليه، و على عساكره، و كمد زائد، و حدثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالک بيت هولاكو، و قصد الشام، و أخذ بثأره، فقدر الله تعالى موت أخيه أبغا، ففت ذلک فى عضده، و تملک بعد أخيه أخوه الملک أحمد، و هو مسلم لا يرى محاربه المسلمين، فانكسرت همته، و اعتراه صرع متدارک، فتوفى فى العشر الأول من المحرم ببلد الجزيره العمريه يقال لها:

تل خنزير، و قيل: كانت وفاته فى أواخر سنه ثمانين، و الله أعلم، و قيل:

إنه لم يمت حتى أكل لسانه بأسنانه، و أتى على أكثر من نصفه، و كفن فى أربعه أثواب نسيج، و جعل فى تابوت، و سير إلى تلا، فدفن بها، و قد نيف على ثلاثين سنه من العمر- و الله أعلم.

هبه الله الملقب بالسديد النصرانى القبطى المنبوز بالمعاز

، مستوفى الديار المصريه و قوانينها و أحوال المملكه، لا يشاركه فى ذلک مشارک، و كان مدار الوزاره عليه، و الوزير يستضى ء به فى سائر الأحوال، و كان رجلا جيدا، كبير المروءه، و الخدمه للمسلمين، و التودد إليهم، و الترصد

لقضاء حوائجهم، و عنده رياسه و بداهه، و عفه، و ستر على عورات الكتاب، و عدم مؤاخذه لمن يقصده بضرر، متمسكا بدينه و شريعته، كثير الصدقه على فقراء النصارى، و يتصدق على فقراء المسلمين أيضا، و لم يكن فى أهل ملته من يضاهيه فى وقته، و كانت وفاته بالقاهره يوم الاثنين عاشر المحرم و هو فى عشر السبعين، و رتب ولد الأسعد جرجس مكانه، و تضاعفت منزلته، و فعله للخير، و منافسته فى المعروف، و فعل الجميل مع المسلمين بحيث أطلقت الألسن بشكره، و الثناء عليه، ثم أسلم فيما بعد.

يعقوب بن غنائم الموفق الساوى

، كان حكيما فاضلا حاذقا فى الصناعه الطبيه، جامعا للعلوم الحكميه، أتقن صناعه الطب علما و عملا، و احتوى على جملتها، لم يكن فى زمانه أعرف منه بقوانين الطب و معرفته، له اليد الطولى فيه، و له تأييد فى اجتلاب الصحه، و تحرز فى استقراء الأعراض، و معرفه تامه بالبحث فى علم الطب، و التفرد فيه، و له حلقه اشتغال فيه لكل من قصده، و له تصانيف جليله، منها: شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا، و حل شكوك نجم الدين أحمد ابن المفتاح على الكليات، و كتاب المدخل إلى علم المنطق و الطبيعى و الإلهى و غير ذلک، و كانت وفاته يوم السبت فى شهر رمضان سنه إحدى و ثمانين، و هو دمشقى المولد و الوفاه.

[أحداث]لسنه الثانيه و الثمانون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه يوم الخميس، و الخليفه الإمام الحاكم بأمر الله أحمد العباس أمير المؤمنين، و سلطان الديار المصريه، و البلاد الشاميه الملک المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى، مقيما بقلعه الجبل من الديار المصريه.

[وصول الملک المنصور ملک حماه إلى دمشق]

و فى يوم الأحد سابع و عشرين شهر صفر وصل إلى دمشق الملک

المنصور صاحب حماه، و خرج نائب السلطنه، و الموكب للقائه، و نزل بداره داخل باب الفراديس، و عزمه التوجه إلى الديار المصريه.

و فى يوم الاثنين عاشر ربيع الأول فوض إلى الصاحب برهان الدين السنجارى التدريس، و النظر بمدرسه الإمام الشافعى- رحمه الله- بالقرافه الصغرى، وقف السلطان الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب- قدس الله روحه- بالجامكيه، و الجرايه، و الرسوم، الشاهد بها كتاب الوقف على التمام و الكمال، و هى فى كل شهر من الجامكيه أربعون دينارا معامله على التدريس، و عشره دنانير على النظر، و الرسوم فى كل يوم من الخبز ستون رطلا بالمصرى، و من الماء الحلو راويتان، و هذه المدرسه خلت من مدرس بالكليه من مده تزيد على ثلاثين سنه، و الفقهاء يلازمون الاشتغال بها، و حضور حلق معيديها، فإن بها عشره معيدين، و استمر الحال على ذلک إلى سنه ثمان و سبعين، فرتب التدريس بها فى نصف المعلوم المذكور القاضى تقى الدين محمد بن رزين الحموى عند صرفه من القضاء بالديار المصريه، و انتقلت بعد وفاته إلى غيره بالربع من أصل المعلوم، و بقى الأمر كذلک إلى يوم تاريخه، ففوضت إلى الصاحب برهان الدين المذكور بالمعلوم بكماله.

و فى يوم الجمعه حادى عشرين رجب ولى الخطابه بدمشق جمال الدين عبد الكافى و اعتقل قاضى القضاه عز الدين ابن الصائغ- رحمه الله تعالى- فى القلعه، و منع من صلاه الجمعه بعد أن حضر الجامع لصلاه الجمعه، فأمسک و رسم لقضيه- برأه الله تعالى منها- ادعى عليه أنه أودع حياصه مجوهره، و أمور اتفقت عليه، و أثبتت بالزور و البهتان، و تعصب عليه و صرف عن الحكم بسببها، و ولى القضاء القضاه بهاء الدين بن الزكى عوضه، و فى يوم الأحد ثالث عشرين رجب شافهه السلطان بالولايه و قعد للحكم، و تطاول أمر القاضى عز الدين، و عقد له مجالس كثيره إلى العشرين من شهر رمضان أحضر ابن

الحموى، و الشهاب غازى الأمينى، و العز التبان، فأمر نائب السلطنه أن يركبوا حميرا و يجرصوا، ففعل بهم ذلک بدمشق، و حبس ابن الحموى بعد ذلک فى حبس باب الصغير، بقى فيه يومين، و شفع فيه، فأطلق و ظهر عند بهاء الدين البرزالى إشهاد مثبوت على الحكام ببراءه القاضى عز الدين مما ادعى عليه به، و لم يجسر على إخراجه.

و فى بكره الأحد حادى عشر شوال ذكر الشيخ شمس الدين الأيكى الدرس بالغزاليه، و ذكر قاضى القضاه بهاء الدين بن الزكى بالمدرسه العادليه الكبيره بكره الاثنين ثانى عشره، و حضر عنده أعيان البلد من القضاه و العلماء و الفضلاء على اختلاف المذاهب، و ذكر الدروس الفائقه، و تصدى لإيراد الأجوبه عليها و بحث بحثه الفائق إلى أن أطرب المسامع بعلومه التى فاق بها الأواخر و الأوائل، و أتى بما عجز به الحاضرون.

[خروج محمل الحاج من دمشق]

و فى يوم الخميس منتصف شوال خرج محمل الحاج من دمشق، و أميرهم صارم الدين المطروحى، و دخل الملک المنصور صاحب حماه دمشق من القاهره يوم الأحد رابع عشر صفر، و توجه إلى حماه يوم الجمعه ثانى عشر منه، و دخل الحاج دمشق فى خامس صفر، و أميرهم الطواشى بدر الدين الصوابى.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]حمد بن حجى بن يزيد البرمكى

الأمير شهاب الدين أمير آل مرى، و هو من الفرسان المشهورين، و الشجعان المذكورين، كانت سراياه تغار إلى أقصى نجد، و بلاد الحجاز، و يؤدون له الخفر، و كذلک صاحب المدينه الشريفه النبويه يؤدى له القطيعه، و له المنزله العاليه عند الملک الظاهر و الملک المنصور و غيرهما من

الملوک یدارونه، و یتقون شره، و یزعم أنه من نسل جعفر بن یحیی البرمکی المشهور، و کان کتب إلی

عیسی بن مهنا کتابا، و أغلظ له فیه، و کان عنده المولی شهاب الدین أحمد بن غانم، فسأله المجاوبه عنه، فکتب عنه إلیه یقول:

زعموا أنا هجونا جمعهم کذبوافیما ادعوه و افتروا بالأدعیاء

إنما قلنا مقالا لا کقول السفهاءآل فضل آل فضل أنتم آل مراء

فوقع ذلک عنده بموقع شدید و غضب ...

[أحداث]بو بکر بن داود بن عیسی

بن أبی بکر محمد بن أیوب بن شاذی، سیف الدین الملقب بالملک العادل، کان قد جمع بین حسن الصوره، و الأوصاف، و مکارم الأخلاق، و سعه الصدر، و حسن العشره، و کثره الأفضال، و احتمال الأذی، و بذل المعروف، لا یضاهیه فی ذلک أحد من أبناء جنسه، و کان له میل إلی الانشغال بالعلم، و الأدب، و عنده ذکاء مفرط، وحده ذهن، و عباره حلوه، و آداب حسنه ملوکیه، لم یر أکثر عقلا منه فی زمانه، و لا أکثر حشمه و وقارا و سکونا، و لا ألطف کلاما، و لا أحسن بیانا، علیه هیبه و حشمه، و کان له میل کثیر إلی أصحاب القلوب، و أرباب الإشارات، یلازمهم، و یقتدی بهم، و یتأدب بآدابهم، و یتسلک بما یأمرونه به، یزور الصلحاء حیث سمع بهم، و کانت وفاته- رحمه الله- یوم الخمیس عاشر شهر رمضان المعظم هذه السنه، و صلی علیه یوم الجمعه بالجامع الأموی، و حمل إلی تربه جده الملک المعظم عیسی بسفح قاسیون، فدفن بها، و هو فی عشر الأربعین لم یبلغها- رحمه الله تعالی.

[أحداث]لسنه الثالثه و الثمانون و ستمائه

[قدوم السلطان قلاوون إلی دمشق]

استهلت هذه السنه و الخلیفه و الملوک علی القاعده المستقره، و الملک المنصور سیف الدین قلاوون بالدیار المصریه، و فی أثنائها خرج إلی الشام، و وصل إلی دمشق مع جماعه من عسکره، و خواصه یوم السبت ثانی عشر جمادی الآخره.

[وفاه أحمد بن هولاكو]

و فيها توفى الملک أحمد بن هولاكو ملک التتار، و سنذكره- إن شاء الله تعالى.

[وفاه الملک المنصور ملک حماه و ولايه ولده المظفر محمود]

و فى عاشر شوال توفى الملک المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماه و المعره، و سنذكره- إن شاء الله تعالى- و لما اتصلت وفاته بالأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه بالشام، طالع بذلک الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- و استمطر صدقاته فى إقرار ولده الملک المظفر محمود عوضه، فورد عليه الجواب بذلک، فكتب إلى الملک المظفر المذكور كتابا بخط المولى شهاب الدين محمود من إنشائه، مضمونه:

«أعز الله أنصار المقام العالى الملكى المظفرى التقوى، و أطلع شمس ملكه مشرقه الأنوار، و ألبس الدنيا من شعار سلطانه حلل الافتخار، و قلد الممالک من تقاليده ما يود ذهب الأصيل لورقه على صفحات النهار، و حلى أعطاف الملک من نعوته الشريفه بما هو أحسن من انتظام عقود الكواكب على هاله الأقمار، و شرف به التشاريف التى هو فى لبسها كالحرم لا تكسى الأستار إلا ليشرف الأستار، و هنأه من حسن النظر الشريف بما بلغ به أول رتبه لا تطاول إليها زهر الكواكب إلا و هى شاخصه الأبصار، حتى يستقر الملک فى مقامه المحمود، و ينتظم عقد السلطنه لديه بين ذوائب الألويه و عصائب البنود، و يشرق من لألاء ملكه ما تضى ء الآفاق بنوره، و يشق بحد سطواته نحور الأعداء حتى يعجب السفاح ورث الملک من منصوره، المملوک يقبل الأرض تقبيل تخلص تضاعف لديه النعم، و وجب عليه أن يستعين على الشكر بكل لسان ناطق حتى لسان القلم، و تعبد ولى نذر الرجاء لديه و اكتمل، و نال بإقبال ملک مولانا كل ما يؤمله، فأصبح يصحب الدنيا بلا أمل، و ينهى أنه سطرها، و وفود التهانى تزدحم على قلمه، و عقود البشائر تتحدر من بين كلمه، و سماء الممالک قد أشرقت بالسعد كواكبها، و حدقت لتحدق ببدر ملكه مواكبها، و قلائد الجوزاء قد ترصعت لديه

مناطقها، و الفراقد قد توطأت لوطى ء أجناده مفارقها، و البروق قد مرجت لتغالب الحاد على العلو بركابه سوابقها، و المنابر قد كادت تحضر للشرف باسمه أعوادها، و الصوارم و قد أنفت إذ جرت أن تكون سوى أعناق ملوک الأعداء أغمادها».

و كان ورد كتاب السلطان بسببه من القاهره إلى دمشق يوم الخميس الخامس و العشرين من شوال، و صحبه تقليد الملک المظفر من السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون باستقراره بحماه على قاعده والده.

و فى يوم الأربعاء ثامن صفر دخل الحجاج دمشق، و أميرهم المطروحى.

و فى يوم الجمعه عاشر صفر جلس الشيخ تقى الدين أحمد بن تيميه على المنبر برواق الحنابله بجامع دمشق مكان والده يفسر القرآن الكريم و غير ذلک.

[وفاه الخاتون بنت بركه خان أم الملک السعيد]

و فى هذه السنه توفيت الخاتون بنت بركه خان، والده الملک السعيد بمصر، و كانت من سادات النساء، كثيره المعروف، و الإحسان، و الصدقات، وقفت جميع الكتب التى بالخزانه الظاهريه، و جميع الربعات، و الختم التى بالتربه الظاهريه، و شرطت أن لا يخرج شى ء من ذلک من المدرسه، بل من أراد الانتفاع به ينتفع بالمدرسه، و كان وقفها كذلک فى سنه إحدى و ثمانين.

و فى جمادى الآخره توفى بدمشق الأمير علم الدين سنجر بن زريق الخولانى، و الأمير شمس الدين قراسقر المعزى ببستانه ببيت لهيا، و دفن بالجبل، رحمه الله تعالى.

و فى يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان سافر الأمير حسام الدين طرنطاى من دمشق إلى القاهره متمرضا، و فى ثامنه ليله الأحد توفى بدر الدين بيليک الجاشنكير، و دفن يوم الاثنين بتربه سليمان الرقى بالجبل الغربى.

[أمطار و فيضانات بدمشق]

و فى ليه الأربعاء العشرين مطرت السماء من نصف الليل، و توالى المطر الشديد مع الرعد القاصف، و البرق الخاطف، إلى أول النهار، و جاءت الزياده، و ارتفع الماء على الأرض قامه، و فى بعض الأماكن أكثر، و كانت طائفه من العساكر المصريه نازلين ظاهر دمشق، فعمهم ذلک، و غرق خلق من الناس، و أما الجمال، و الدواب، و الغنم فما لا يحصى، و وقعت عده بيوت على من فيها، و كانت آيه عظيمه، و أصبحت يوم الأربعاء الشمس طالعه، و جفت المياه.

و فى شعبان أقبل الأمير علم الدين الدويدارى- رحمه الله- من مباشره المشد، و كان كثير القلق، و طلب الانفصال منه، و السعى فى ذلک باطنا، فأجيب، و باشر الأمير شمس الدين سنقر الأعسر.

[توجه ركب الشام إلى الحجاز]

و فى يوم الاثنين منتصف شوال توجه ركب الشام إلى الحجاز، و كان ركبا كبيرا، و أميرهم عز الدين القيمرى.

و فى العشرين من جمادى الأولى و فى النيل و وردت البشرى بذلک إلى دمشق.

و فى ليله السبت ثلث الليل الآخر ثالث و عشرين شعبان سافر من دمشق الملک المنصور سيف الدين قلاوون إلى الديار المصريه من جهه ولد المنصور صاحب حماه، و توجه الأمير علم الدين الدوادارى إلى القاهره يوم السبت حادى عشر ذى القعده بطلب سلطانى.

[قدوم قلاوون إلى دمشق]

و فى ثامن جمادى الأولى من سنه ثلاث و ثمانين و ست مائه ركب السلطان الملک المنصور من قلعه الجبل متوجها إلى الشام بسبب ما ورد عليه من جهه مصالحه الملک أحمد بن هولاكو، فلما وصل غزه وردت الأخبار عليه بأن الملک أحمد قد مات، و قيل أسر ثم أعدم، و أن أرغون اتفق مع جماعه من المغل على إمساكه، و خلعه من الملک، و أن فرقه منهم تقدير أربعه آلاف فارس حضرت مقفزه طالبين الشام، فجد الملک

المنصور فى السير، فدخل دمشق يوم السبت ثانى جمادى الآخره، فأحضر رسل الملک أحمد، و هم: الشيخ عبد الرحمن، و سمداغو، و من معهم، و كانوا منذ وصلوا أطراف البلاد، استعجمت عليهم الأخبار، و بقى كل من يحضر إليهم يمسک، و تؤخذ كتبه، فجلس الملک المنصور فى الليل، و أوقدت شموع كثيره، و لم يكن حوله سوى خواص مماليكه، و هم فى أحسن زى، و أكمل صوره، فدخل الشيخ عبد الرحمن بزى الفقراء، فرسم له بتقبيل الأرض، فأبى فأهوى به إلى الأرض غصبا، و فعل برفاقه كذلک، و سمع كلامهم، و أخذ الكتاب الوارد من الملک أحمد على يد الشيخ عبد الرحمن فقرأه، و قاموا بين يديه، فسير لهم الخلع الفاخره، و تفقدهم، ثم أعلمهم بموت الملک أحمد، ثم أحضرهم مره أخرى، و كان الشيخ عبد الرحمن قد أحضر هديه حسنه، فقبلت، و استقروا على حالهم، و كان قدوه الملک أحمد و مشيره، و تحكم فى دولته تحكما كبيرا، و تحدث فى البلاد و الأوقاف جميعها فى العجم، و بلاد العراق، و الشرق، و الروم، و ظهر للمغل من كراماته ما أخذ عقولهم، و وصل إلى ماردين فى رابع ربيع الآخر، ثم وصل البيره، و صحبه جماعه مغل و غيرهم يخدمونه و يحملون الجتر على رأسه، و السلحداريه، و غيرهم وراءه، فتلقاهم جمال الدين أقوش الفارسى أحد الأمراء بحلب، فمنعهم من الجتر و السلاح، و ركبهم فى الليل، و منعهم من الحديث مع أحد، و ساق بهم منكبا على الطريق، فعز عليهم ذلک، و وصل بهم حلب فى سادس عشرين شوال، و أخفى أمرهم، ثم أخرجهم ليلا، و وصل بهم دمشق خفيه ليلا، و أنزلوا بدار رضوان بقلعه دمشق، و فصل عنهم غلمانهم إلى أن حضر السلطان من مصر، و جرى ما ذكرناه ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]حمد بن هلاكو بن قاآن بن جنكز خان ملک التتار

، كان ملكا شهما خبيرا بأمور الرعايا، سالكا أحسن المسالک، متبعا دين الإسلام، لا يصدر

عنه إلا ما يوافق الشريعه النبويه- صلوات الله و سلامه على صاحبها- و انقياده إليها، و اعتماده عليها فى جميع حركاته بطريق الشيخ عبد الرحمن فإنه كان قد أقبل عليه، و انقاد إليه، و امتثل ما يأمره به، فكان يأمره بمصالحه المسلمين و الدخول فى طاعتهم، و العمل على مراضيهم، و أن يكونوا كلهم شيئا واحدا، و لم يزل به على ذلک إلى أن أجاب إلى مصالحه الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- فكتب على يد الشيخ عبد الرحمن كتبا بديعه داله على دخوله فى الإسلام، و اتباعه أوامر الله تعالى فى الحلال و الحرام، و توجه بها الشيخ عبد الرحمن، فلما وصل الشام بلغه خبر وفاه الملک أحمد، فبطل ما كان جاء بسببه و ما كان أسسه، لكن وقع أجرهما على الله تعالى، و بقى الشيخ عبد الرحمن- رحمه الله تعالى- مده يسيره و توفى إلى رحمه الله تعالى.

و لما مات أبغا، وقع الاختلاف فيمن يقعد فى التخت، فتعصب جماعه لأحمد المشار إليه، و اسمه الحقيقى تكدار، و اسم أمه قنقو خاتون نصرانيه، و اتفقوا على إقعاده فى تخت الملک، و ما هان على بعض المغل قعود أحمد لأنه ادعى أنه مسلم، فحضر أخوه قنقرطاى، و قال لأرغون: إن أبغا شرط فى الياسه أنه إذا مات ملک ما يقعد عوضه إلا الأكبر من أولاده، و قد رتبنا أحمد، و من خالف يموت، فأطاعوه و سيروا إلى الألجيه لإحضار الملوک ليكتبوا خطوطهم بالارتضاء بملک أحمد، و لما جرى ذلک تحدثوا فيما بينهم فى أن قدرتهم قد ضعفت، و رجالهم قتلت، و أن المسلمين كلما راحوا هزموهم و أنه لا حيله فى هذا الوقت أتم من إظهار الإسلام، و التقرب إلى مراضى مولانا السلطان، و اكتفاء بأسه بذلک، و سير فى سبب ذلک رسلا إلى الملک المنصور سيف الدين قلاوون يلتمس الصلح، و كان بين الملک- رحمه الله- و بين أرغون بن أبغا عداوه شديده، فسير أحمد عسكرا نحو أرغون مقدار أحد عشر ألف فارس، و قدم عليهم على نياق أحد خواصه، فقصدوا

أرغون، و نزلوا قريبا منه، فركب أرغون، و كبسهم، فقتل منهم ألفى فارس، و بلغ الملک أحمد، فركب فى أربعين ألف فارس، و قصد جهه خراسان، فالتقى هو و أرغون، فقتل من عسكر أرغون أكثر من النصف، و ضربت البشائر فى بلاد العجم، و أمسک خمسه من الأمراء من المصاف و قررهم، فاعترفوا أن أرغون طلب العبور إلى إيلخان، فمنعه جماعه من أصحاب الملک أحمد، و منعوه من الدخول فى طاعه أحمد، فأمسک اثنى عشر أميرا من كبراء المغل، و قيدهم، فعند ذلک قام المغل عليه، و جاهروه، فهرب، ثم أخذ، و أحضر إلى أرغون، فقتله، و استبد أرغون بالملک، و قيل فى كيفيه قتله غير ذلک- و الله أعلم ...

عبد الرحمن بن عبد الله رسول الملک أحمد بن هولاكو

، حدثنى الشيخ عبد الله الموصلى المتصوف، و كان ممن قدم معه، و له خبره بحاله، أن المذكور كان من مماليک الخليفه المستعصم بالله، رحمه الله، و كان يسمى قراجا، فلما ملک التتر بغداد و تلک البلاد تزهد، و تسمى بعبد الرحمن، و اتصل بالملک أحمد بن هولاكو، و عظم شأنه لديه، و حصل له من المكانه عنده ما يقصر عنه الوصف بحيث كان الملک يحضر إلى زيارته، و إذا شاهده من بعد ترجل، فإذا وصل إليه قبل يده، و قعد بين يديه، و امتثل جميع ما يشير به، و كان معظم ما يصدر من الملک أحمد من الأفعال الجميله، و المبالغه فى الميل إلى المسلمين بطريقه، و أشار إليه أن يتفق مع الملک المنصور سيف الدين قلاوون، رحمه الله، و يجمع كلمتهم، فندبه لذلک، و سير فى خدمته جماعه كثيره من المغل و الأعيان من أهل الموصل، و ماردين و غيرهما، من صدور تلک البلاد، فحضر إلى دمشق فى العشر الأوسط من ذى الحجه سنه اثنتين و ثمانين و ست مائه، و أقام هو و من معه فى دار رضوان بقلعه دمشق، و رتب لهم من الإقامات ما لا مزيد عليه، و بولغ فى إكرامهم، و خدمتهم بكل طريق، و قدم السلطان الملک المنصور إلى الشام فى هذه السنه، أعنى ثلاث

و ثمانين و ست مائه، و من أعظم أسباب قدومه الاجتماع به، و إبرام ما قدم بسببه، فبلغ الملک المنصور عند وصوله إلى الشام أن الملک أحمد قتل، و تملک بعده أرغون بن أبغا بن هولاکو، فاستحضر الشيخ عبد الرحمن بقلعه دمشق ليلا، و اجتمع به، و سمع رسالته، و وعاها ثم أخبره بما اتصل به من قتل الملک أحمد مرسله، و عرفه أن رسالته انتقض حکمها بوفاه صاحبها، ثم أن الملک المنصور قضى أربه من سفرته تلک، و عاد إلى الديار المصريه، و الشيخ عبد الرحمن و من معه بقلعه دمشق فى مکانهم، لکن اختصر شى ء کثير مما کان يحضر إليهم، و رتب لهم قدر الکفايه التامه، فلما کان يوم الجمعه ثامن عشرين شهر رمضان المعظم من هذه السنه أعنى سنه ثلاث و ثمانين، توفى الشيخ عبد الرحمن المذکور- رحمه الله تعالى- بقلعه دمشق، فجهز و غسل بعد أن وقف عليه الأمير حسام الدين نائب السلطنه و غيره من الأعيان، و دفن بعد العصر بمقابر الصوفيه، و قد نيف على الستين سنه من العمر، و بقى من معه على حالهم، و تطاول بهم الاعتقال، و أهمل جانبهم بالکليه، و ضاق بهم الحال فى المطعم و الملبس، و کان معظمهم من أهل الموصل ...

عبد الملک بن اسماعيل بن أبى بکر بن شاذى

، أبو محمد الملک السعيد فتح الدين بن الملک الصالح عماد الدين بن الملک العادل سيف الدين، کان من أعيان أولاد الملوک و أماثلهم، له الحرمه الوافره، و المکانه الرفيعه، و کان حسن العشره، دمث الأخلاق، وافر الحشمه، عنده رياسه، و قعدد، و مکارم أخلاق، و تأنق فيما يعانيه من المآکل و الملابس و غير ذلک، و توفى ليله الاثنين ثالث شهر رمضان المعظم سنه ثلاث و ثمانين و ست مائه، و دفن عند جدته أم والده بتربتها داخل مدينه دمشق، و هو فى عشر الخمسين. روى عن ابن اللتى، و مکرم بن أبى الصقر، و غيرهما، و حدث- رحمه الله تعالى- بموطأ يحيى ابن بکير عن مالک و غيره، و مولده تقريبا سنه ثلاثين و ست مائه، و صنف کتابا فى المآکل و ألوانها- رحمه الله تعالى.

عطاء ملک بن محمد علاء الدین الجوینی

، صاحب الدیوان ببغداد و البلاد الشرقیه، کان إماما عالما فاضلا، فقیها حنفیا، متبحرا فی العلوم، نقالا لمذهب أبی حنیفه- رحمه الله- یعرف العربیه، و اللغه، و المعانی، و له استقلال بفن الأدب مع الریاسه العظیمه و الوجاهه التامه، و له الأمر و النهی علی سائر المملکه، یتصرف فی الأموال و الإقطاعات و غیر ذلک، و الناس یترددون إلی بابه و خدمته، و یحضر مجلسه سائر فضلاء بغداد و غیرها، و یجاریهم فی العلوم، و یبالغ فی الإحسان إلیهم، و یمد لهم السماطات الهائله، و له أموال کثیره، و آلات نفیسه، و کتب عظیمه، و کان مسکنه آخر وقت فی دار الدوادار الصغیر علی الجسر الجدید، و له ید فی النظم و النثر، و کان بین یدیه من أمکنات الفضلاء جماعه کثیره، و تفضلات علی سائر الناس، و مکارم أخلاق، و طلاقه وجه، لا یعسف أحدا و لا یظلمه، و الناس فی أیامه کأیام الخلفاء، و أهل بغداد و غیرها عاکفون علی محبته و الدعاء له، و عمل فی جامع الکوفه برکه عظیمه، ینزل إلیها بدرج، و عمل فی مشهد علی- رضوان الله علیه- رباطا مزخرفا، و ساق إلیه المیاه العظیمه من النهر الذی حفره من الفرات مبدأه من الأنبار، و أوصله إلی المشهد، و عمر علیه نحو مائه و خمسین قریه، و غرم علیه من الأموال ما لا یحصی، و حصل بذلک للناس رفق عظیم، فإنهم کانوا یردون الماء قبل عمله من مسافه بعیده کالصالحیه من دمشق، و أبعد، و زرع علی هذه المیاه النخیل العظیمه، و البساتین، و الکروم، و البقول، و کانت أولا کأرض الحجاز، و کانت سیرته من أحسن السیر و أجملها، و أعدلها بالرعیه، و أنصفها للمظلوم. عمر البلاد جمیعها، و أسقط عن المزارعین مغارم کثیره کانت من زمن الخلفاء. و کان أخوه الصاحب شمس الدین وزیر البلاد فی خدمه الملک حیث کان، و کان من صدور الإسلام، و له الکلمه النافذه و الأمر المطاع، إماما عالما فقیها فی مذهب الشافعی- رحمه الله علیه- و کانت جوائزهما للعلماء المائه دینار فما فوقها إلی الألف.

و كان قد عيد أبغا بن هولاكو بالعراق، و حضر علاء الدين، و شمس الدين أخوه إلى بغداد، فأحصيت الجوائز، و الإنعامات، و الوظائف للعلماء و الشعراء، و أرباب البيوت، فكانت فوق الألف جائزه، و كان كل فاضل يصنف كتابا، و ينسبه إليهما تكون جائزته ألف دينار، و أجازوا للشيخ شمس الدين بن الصيقل الجزرى ألف دينار على تصنيفه خمسين مقامه فضلوها على مقامات الحريرى، و كان لهما حسن الظن فى الفقراء و الصالحين، و كذلک الأشراف، و كانت لهما عنايه عظيمه بأوامر الشريعه، مدح بعض الشعراء لعلاء الدين صاحب الديوان بقصيده أحسن نظمها، و أكثر فيها المعانى، و الجناس اللفظى، و الخطى، ثم شرع يمت بقصيدته، و يقول: لم يمدح فى هذه المله الإسلاميه أحد بمثلها، ثم قال: أليس هذا أحسن من قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ؟ فلما سمع علاء الدين منه ذلک، أمر بعض غلمانه أن يأخذه بصوره أن يخلع عليه، فإذا خرج به ضرب عنقه، و أحضر رأسه إلى السماط، ففعل ذلک، ثم أنه شرع يعظم النبى صلى الله عليه و سلم و ما جاء به، و قال: ما لكل مبتدع عندى إلا قتله، و كان فى زمن هولاكو، فما برح الصاحب علاء الدين أخو شمس الدين يعمل عليه حتى قتله، و كان قد قدم مجد الملک من ناحيه العجم إلى بغداد قبل توجه العسكر المخذول صحبه منكوتمر بن هولاكو إلى الشام سنه ثمانين و ست مائه بنحو من شهرين، فأخذ صاحب الديوان علاء الدين عطاء ملک ابن الصاحب بهاء الدين الجوينى، و عزله و غله و عاقبه، فقال صاحب الديوان فى ذلک:

لا تيأسن لما جرى فالخير فيه لعله قد كان عبدا آبقا يعصى الإله فغله

فلما عاد العسكر مكسورا، حمل صاحب الديوان فى صحبتهم إلى همذان، و هناک مات أبغا بن هولاكو، و أخوه منكوتمر، فولى الأمر الملک أحمد باتفاق من صاحب الديوان علاء الدين، و أخيه الصاحب شمس الدين محمد بن محمد الجوينى، فبعد أشهر يسيره دون السنه هلک أحمد،

و ولى أرغون بن أبغا، و طلب صاحبى الديوان، فاختفيا عنه، و توفى علاء الدين بعد أشهر من ذلک مختفيا، و طلب شمس الدين، فأخذ له أمانا من أرغون و أحضر عنده فغدر به، و قتله بعد موت أخيه بمده يسيره، و كان لهذا شمس الدين ولدان رؤساء، لهم مكارم، و احتفال بالوظائف التى يعملوها، و الناس على أبوابهم و هم فى سعه صدورهم و الإحسان الوافر، و إذا عملوا دعوه غرموا عليها الألوف، و دعوا إليها كل فقير و غنى، و لم يكن مثلهم فى رياستهم، فلما قتل أبوهم، فوض أمر العراق إلى جماعه مشتركين، و هم: سعد الدين العجمى، و مجد الدين ابن الأثير، و الأمير المعروف بشكسان.

فتعلق أحد أولاد شمس الدين المذكور- الذى قتل و هو الأمير هارون- على أرق وزير أرغون، و صاحب حساب العراق، فلما كان بعد سنه، حضر الجماعه عند الوزير أرق فى منزلهم من تبريز، و عمل حسابهم، و أوجب عليهم القتل، و فعل ذلک بهم، و طلب كى خاتو أخو أرغون، و هو الذى كان قاتل مجد الدين ابن الأثير، لأنه كان متعلقا به، فاعتذر أرق إليه بأن هارون هو الذى فعل ذلک بالجماعه، و قتلهم، فأوجب الحال قتل هارون و أولاده مع صغارهم، و من كان عمره دون التمييز فقتلوا كلهم.

و اتفق لعلاء الدين صاحب الديوان سعادات عظيمه، و نزلت به أمور عظيمه سلمه الله منها، فمن ذلک أنه كان معه ببغداد شحنه من تحت يده يعمل ما يأمره به، يقال له الطرغيا، و حديث الأموال، و المناصب، و الأمر، و النهى فى البلاد كلها راجع إلى علاء الدين، و الشحنه ليس له من الأمر إلا إذا حضر بخدمه علاء الدين فى دار العدل، و وجب قتل أحد شرعا أمره بقتله فامتثل، أو بتأديبه فأدبه، لا أمر له سوى ذلک، فحسد علاء الدين على ما هو فيه من إنفاذ الكلمه، و الاستقلال بالمملكه، و رام أخذ موضعه بمكيده يعملها فى حقه، فكتب على لسان

علاء الدين كتابا إلى الملک المنصور قلاوون يذكر فيه ذلک مناصحه له، و أنه ليحضر هو أو أحد عسكره ليملكه البلاد، و ما يناسب هذا الكلام ليدل على مواطأته، و سير الكتاب مع شخص يتوجه به إلى الشام، و يعبر به فى طريقه على جماعه من المغل ليأخذوه إذا رأوه، فلما توجه إلى ذلک المكان، وجده القراغون، فأمسكوه و قالوا له: أيش معک؟ و قرروه، فقر أنه رسول صاحب الديوان إلى ملک مصر، فأحضروه إلى بغداد إلى الشحنه الذى كان أرسله، فأعطاه ألف دينار على توجهه به، فقرروه، و أخذ الكتاب منه، و جهزه مع القراغون إلى الملک أبغا، فطلب علاء الدين مقيدا مغلغلا، و كان أخوه شمس الدين عند أبغا وزيره، فعندما بلغه الخبر، أرسل غلمانه من طريق أقرب من طريق الرسل الواصلين بإحضار أخيه بكتاب يقول فيه: يا أخى! يدک فى الكتاب، و رجلک فى الركاب، و تطوى المنازل، و كان لم يبرح عنده فى الدهليز فرس مشدود، فمجرد ما وصله الكتاب، ركب و دخل البريديه الواصلين بسببه فلم يجدوه، و ساق الليل و النهار إلى أن وصل إلى أبغا، و سأل المحاقه على ما قيل عنه، و طلب الرسول بالكتاب، و حاقه و سأله من غير ضرب، فقر على الشحنه، و أنه أعطاه ألف دينار على تأديه الكتاب إلى ذلک المكان الذى أمسكوه فيه، فرسم له بالبلاد على عادته، و تضاعف شكره، و خلع عليه، و تسليم الشحنه إليه، و حكموه فى البلاد أكثر مما كان، و أما الذى حمل الكتاب المزور، فأخذه، و عاد به إلى بغداد، و تنوع فى عذابه و صلبه و سمله، و دور به البلد، ثم أرمى بعد ذلک فى الدجله، و كتب إلى أهل بغداد كتابا يقول فيه بعد البسمله: «إن لله تعالى ألطافا خفيه، يرى صورتها حسنه، يحسبها الجاهل بجهله نقمه، فإذا انتهت و نمت، عرف أنها نعمه»، و ما هذا معناه، و عاد إلى بغداد، فاحتفلوا بدخوله احتفالا عظيما، و زين البلد، و عملت المغانى فى الشوارع، و القباب المزينه، و كان يوم دخوله يوما مشهودا ...

عيسى بن مهنا أبو مهنا

الأمير شرف الدين أمير آل فضل، ملک العرب فى وقته، و المشار إليه منهم، کان له منزله عظيمه عند الملک الظاهر، ثم تضاعفت عند الملک المنصور سيف الدين قلاوون بحيث ضاعف حرمته و إقطاعه، و ملکه مدينه تدمر بعقد البيع و الشراء، و أورد عنه لبيت المال ليأمن غائله ذلک فيما بعد، و کان المشار إليه کريم الأخلاق، حسن الجوار، مکفوف الشر، مبذول الخير، لم يکن فى العرب و ملوکها من يضاهيه، و عنده ديانه، و صدق لهجه، لا يسلک مسالک العرب فى النهب و غيره، و لما توفى أقر الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- ولده الأمير حسام الدين مهنا على إمرته و إقطاعه و زاده، و ضاعف حرمته، و بسطته، و کان بين وفاته و وفاه الأمير أحمد بن حجى دون السنه، و کان بينهما من المنافسه ما يکون بين النظراء، فکان أجلهما متقارب، و صلى على عيسى- رحمه الله- بجامع دمشق بالنيه يوم الجمعه تاسع ربيع الأول سنه ثلاث و ثمانين- رحمه الله تعالى ...

محمد بن محمود بن محمد

بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذى أبو المعالى الملک المنصور ناصر الدين ابن الملک المظفر تقى الدين ابن الملک المنصور صاحب حماه و المعره، تملک حماه و ما معها عند وفاه والده فى يوم السبت لثمان مضين من جمادى الأولى سنه اثنتين و أربعين و ست مائه، و والدته الصاحبه غازيه خاتون ابنه الملک الکامل ابن العادل، و مولده فى الساعه الخامسه من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنه اثنتين و ثلاثين و ست مائه بقلعه حماه، و عملت عقيقه عظيمه بقلعه حماه فى اليوم السابع من مولده، و تقلد الملک بعد وفاه والده، و عمره عشر سنين و شهر واحد و ثلاثه عشر يوما، و قام بتدبير ملکه الأمير سيف الدين طغريل أستاذدار والده، و المشير فى الدوله الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى، و الطواشى مرشد، و الوزير بهاء الدين ابن تاج الدين، و الجميع يرجعون إلى ما تأمر به الصاحبه غازيه خاتون والدته ...

نصر الله بن محمد بن نصر الله صفى الدين وزير حماه

، وليها بعد وفاه أخيه علاء الدين سنه أربع و سبعين و ست مائه، و كان حسن المعامله للناس، لين الكلمه، توفى بحماه سلخ رجب- رحمه الله و إيانا ...

[أحداث]لسنه الرابعه و الثمانون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه، و الخليفه و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه سوى الملک أحمد بن هولاکو، فإنه قتل، و ترتب مکانه أرغون بن أبغا، و سوى الملک المنصور صاحب حماه، فإنه توفى فى السنه الخاليه على ما تقدم، و استقر عوضه ولده الملک المظفر تقى الدين محمود،

[توجه السلطان قلاوون ضد المرقب و فتحه له]

و الملک سيف الدين قلاوون قد خرج من الديار المصريه إلى الشام، و دخل دمشق يوم السبت ثانى و عشرين من المحرم بالعساکر المصريه، و عرض العسکر الشامى مده أيام، و خرجوا جميعا يوم الاثنين ثانى صفر قاصدين المرقب، و کان قد بقى فى يد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر قطعه من البلاد، منها: صهيون و بلاطنس و برزيه و غير ذلک، و العمل فى الباطن على انتزاع ما يمکن انتزاعه من يده، و إفساد نوابه، فاتفق الحال بين من ببلاطنس من النواب و بين نواب الملک المنصور على تسليم بلاطنس، فسلمت فى أول صفر، و وافى الملک المنصور البشرى بتسليمها، و هو على عيون القصب متوجه إلى حصار المرقب، فسر بذلک و استبشر بنيل مقصوده من المرقب، و قد تقدم ذکر ما فعله أهل المرقب بالعسکر النازل لهم، فأثر ذلک فى نفس السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- و حضر بنيه قصدهم، فلما کان فى مستهل صفر، خرج من دمشق بالعساکر المنصوره لقصده، و تقدمته المجانيق، و نازل الحصن المذکور يوم الأربعاء العاشر منه، و شرع العسکر فى عمل الستائر للمجانيق، فلما انتهت الستاره للمجانيق المقابل لباب الحصن، سقطت إلى برکه کبيره فيها ماء مجتمع، و کان عليها جماعه کبيره من أصحاب الأمير

علم الدين الدوادارى، منهم: شمس الدين سنقر أستاذداره، و عده من مماليكه، فاستشهدوا- رحمهم الله تعالى.

و فی یوم الأحد رابع عشره، راسل الفرنج من بیت الاسبتار، و سألوا السلطان الأمان لأهل المرقب علی أنفسهم و أموالهم، و یسلمون الحصن المذکور، فلم یجبهم السلطان فی ذلک، و کمل نصب المجانیق، و رمی بها، و شعث الحصن، و هدم معظم أحد أبراجه، و استمر الحال إلی سادس عشر ربیع الأول، زحف السلطان علی الحصن، فأذعن من فیه بالتسلیم، و حصلت المراسله فی معنی ذلک، فلما کان یوم الجمعه ثامن عشر الشهر المذکور سلم و رفعت علیه الأعلام الإسلامیه، و نزل من به بالأمان علی أرواحهم، فرکبوا، و جهز معهم من أوصلهم إلی أنطرسوس، و بالقرب من هذا الحصن مرقیه، و هی بلده صغیره علی البحر، و کان صاحبها قد بنی فی البحر برجا عظیما لا یرام، و لا یصله النشاب، و لا حجر المنجنیق، و حصنه، و اتفق حضور رسل صاحب طرابلس إلی السلطان یطلب مراضیه، فاقترح علیه خراب هذا البرج و إحضار من کان فیه أسیرا من الجبلیین الذین کانوا مع صاحب جبیل، فأحضر من بقی فی قید الحیاه منهم، و اعتذر عن البرج أنه لیس له، فلم یقبل اعتذاره عن ذلک، و صمم علی طلبه منه، فقیل: إنه اشتراه من صاحبه بعده قری و ذهب کثیر، و هدمه، و حصل الاستیلاء فی هذه الغزوه علی المرقب، و أعماله، و من فیه، و بلنیاس، و هذا المرقب هو من الحصون المشهوره بالمنعه و الحصانه، و هو کبیر جدا، و لم یفتحه السلطان الشهید صلاح الدین- رحمه الله- بل ادخره الله تعالی للملک المنصور- رحمه الله- فحاز أجره و شکره، و لو لم یکن من ضروره إلا ما فعل أهله بالمسلمین فی شهور هذه السنه لکفی، و ضرره لا یحد، و أبقاه الملک المنصور، ورم ما تشعث منه، و استناب فیه، و رتب أحواله، و هو لبیت الاسبتار، و أنشئت الکتب بالبشائر بفتحه، فمن ذلک کتاب من السلطان إلی ولده الملک الأشرف صلاح الدین خلیل بخط المولی تاج الدین أحمد بن الأثیر- تغمده الله برحمته- و من إنشائه و هو:

«أعز الله نصره الجناب العالی الملکی الأشرفی الصلاحی، و لا زالت جیوشه تفتتح من الممالک حصونها، و تبتذل مضمونها، و تستثمر من العاده غصونها، و تطوی لهم الأرض، فلا یبعد علیهم مرمی، یعملون العزائم المهمه و یصینونها، و تحدث ألسنه العالم بنعم الله التی یرونها فی أیامه و یروونها، و یقصون أجنحتها بالشکر و یقصونها، تهدی له کل ساعه خبر عن جنوده و ما ملکت، و خیوله و ما سلکت، و سیوفه و ما قتلت، و مهابتها و ما أخذت، و مواهبها و ما ترکت، هذه البشری تقص علیه من غزوتنا أحسن القصص، و تمثل صوره الفتح التی انتهزنا فرصته، و قلما تنتهز الفرص، و نبدی لعلمه الکریم، أن الهمم بها تنال الممالک، و ترتقی المسالک، و تجتنی ثمرات النصر، و تطفی ء جمرات الغدر، و قلما ظفر بالمراد و أودع، و کل أنف لا یأنف المساءه فهو أحق الأعضاء أن یجدع، و لم نزل نمثل فی أفکارنا الصوره التی أقدم علیها أهل حصن المرقب فی مبدأ الأمر عند اضطراب النیات و ضعف البینات، و غرور الآمال الکاذبه، و اشتمالات الخیالات الجاذبه، حتی نالوا من عسکرنا بحصن الأکراد ما نالوه، و تخیلوا أن عزمنا قد صرفوه عن قصدهم، أو أمالوه بأخذ أمرهم فی الظاهر بالرخصه دون العزیمه، و یعمل علی ما لو تمثل لهم صوره لجروا منه ذیل الهزیمه، و یغضون من نوامیس المجاوزه، و یغضی و یمضون بما یبدو منهم، و تنزل المحاوره و تمضی، و یستر ما یسدده إلی نحورهم من سهم، و یریهم أنا ندفع فی صدر الحقیقه بالوهم، و نعرض عن مناقشتهم فی الحساب، و نمسک عنهم، وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَهً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ(1)، و من لم یؤاخذ المسی ء بفعله، و یعرف مقدار حمله، استدام طمعه، و استقام طلقه، و حرکته دواعی الشره للشره، و الحیل السلامه فی کل مره، فلم یزل یتربص لهم ریب المنون، و ینزل ما کان منهم فی جنب ما یکون، و یرتقب فیهم الوقت

1- سوره النمل- الآیه: 88.

المنتظر، و يدب لهم الضراء، و تمشى لهم الحمر إلى أن آن مكان الفرصه، جمعنا لهم بين الشرقه و الغصه، فأبعدنا إليهم المدنى، و اعتدنا مسعانا فى طاعه الله عما إذا كانت مساعى الملوک عزما، و وصلنا المسير بالسرى، و طرقناهم كما يطرق الطيف الكرى، و أوطأنا بهم حوافر الخيل، و جئناهم مجى ء السيل، و ظللنا عليهم ظلل الغم، و غشيهم منا ما غشى فرعون و جنوده من اليم، مع كون مكانهم قد جمع له منعه البر و البحر، و حل منهم بين السحر و النحر، تحامت قصده الملوک، و حتمه الإعاده، فلم تبق الأمانى إليه طريق مسلوک، و لم يظفر به ملک من الملوک فى الإسلام، و لا طرقته خيلهم فى اليقظه، و لا خيالهم فى المنام، يصد الرياح الهوج عنه مخافه، و يرجع عنه الطرف حسيرا لبعد المسافه بأسرع من أن فاجأناه، و حللنا بعرصته، و هاجمناه، و أحاطت به رجال الحرب، و شافهته بخطاب بالخطب، و عسكرنا بحمد الله تعالى مثل البحر إذا طما، و الغيث إذا هما، و الطود إذا سما، و الليث إذا حمى.

قد ملأ الفجاج، و استعذب الأجاج، و قاسمهم الرياح، فأعطاهم الأسنه، و أبقى له الزجاج، يتعرض أبطاله المنايا، و لو كانت عرضا، و يقول كل منهم: وَ عَجِلْتُ إِلَيْکَ رَبِّ لِتَرْضى(1)، فلم يزل القتال ينوبهم، و سهام المنون تصيبهم، و سحابهم يصوبهم، و السيوف تغمد فى الطلى، و الرماح توكف فى الكلى، و المجانيق تدلک سورتهم، و تسلک فورتهم بنجومها. و تصميهم برجومها، و نقذفهم من كل جانب دحورا، و نعيد كلا منهم مذموما مدحورا، و تشير إليهم أصابعها بالتسليم لا بالتسلم، و ببنانهم فما تذر من شى ء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، إلى أن فتحناها، و لله الحمد عنوه، و حللنا مكايدهم فيها عقده عقده، و نقضنا عروه عروه، و سطرنا هذه البشرى، و أعلام النصر قد خفقت بنودها، و ذلت لها علوج الكفر و كنودها، و السيف من دمائهم يقطر، و الصليب

1- سوره طه- الآيه: 84.

خزيان ينظر، و الأذان مكان الناقوس، و القراء موضع القسوس، و الكنيسه قد عادت محرابا، و الجنه قد فتحت للمجاهدين، فكانت أبوابا، و كنا نود أن الولد معنا فى هذه المشاهد، و أن ينظرها بعين المشاهد، و نرجو أن يكون ممن يستكين المرقد، و إن لم يحضر هذه الغزوه فيتأهب للأخرى، فكان قذفا لهمم تجعل ثمار النصر دانيه القطوف، و السعيد من لا يستظل إلا بسيفه، فإن «الجنه تحت ظلال السيوف».

و كتب المولى تاج الدين- رحمه الله- عن السلطان- رحمه الله- فى المعنى إلى الأمير علم الدين الشجاعى يقول:

«إذ أمر الله بهائى المجلس العلمى، و أحل البشائر بساحته، و سره باستيلائنا على كل ثغر و استباحته، و أسمعه من أنبائنا الجميله ما يعجز عن التعبير عنه لسان القلم على فصاحته، و لا زال مهنأ بأيامنا التى تؤرخ بالفتوح، و تنجد فى مواقف الحرب بالملائكه و الروح، و تختص بالمدح دون كل ممدوح، و ترى ما يطوى بجيوشنا من الأرض، و لا يبعد عليها مكان به طروح، قد علم المجلس حركتنا إلى الشام، و إنا أنشأناها عجالا، و جئنا بها على البديهه، فلو كانت قصيده لأنشدناها ارتجالا، و كانت مباديها توجد بأطراف الأنامل، و مناديها يعود بخيبه الأمل، و مهامها متلقاه بالهمم القاصره، و عزائمنا فيها كلها توقدت جمراتها، صادفت نيات إن لم تكن بارده فهى قاره، و إذا مر ذكرها بمن له غرض أو فى قلبه مرض، ظن الظنون، و خيل له أن أمرها لا يتم، و سرعتها لا تكون، و نحن نوسع للجهال حلما، و نزداد بعواقب التدبير علما، و كان الباعث عليها أمور مهمه، و مرأى تستفرغ قوى الأفكار المستجمه، و كل وقت نصعد النظر و نصوبه، و نتصفح وجه الرأى و نقبله، و نرتاد جهات القصد التى كان منها منشأ المفاسد، و بها لشياطين النفاق نفاق، و كل سوق كاسد، فلما أخذت الأناه مآخذها و نفذت الآراء منها منافذها، و تمحضت زبده الحلب، و أسفر وجه الطلب، و لم يبق إلا أن تزم

الركائب، و تسرى الكتائب، و تشرع الأسنه، و تبدو ضمائر النفوس المستكنه، أخلصنا النيه لله عز و جل فى نصره الإسلام، و تقاضينا ديونه على الأنام، و جعلنا منهم مقدما على ما عداه، و صممنا على جهاد من نازعه رداء ملكه و عاداه، تركنا حظ النفس بمعزل. و كان فى عزمنا أن نرتاد منزلا، فعرجنا عن ذلک المنزل، و قلنا: يا خيل الله اركبى، و يا ملائكه النصر اصحبى، و يا أقلام البشرى اكتبى، وصلنا إلى الشام فى جنود تقبل مثل قطع الليل، و تندفع اندفاع السيل، و كلما مررنا بمملكه سالت بجموعنا أوديتها، و غصت بعساكرنا أنديتها، و انضم إلينا جنودها، و خفقت علينا بنودها، و لم نزل نطوى المراحل، و نتجاوز الخصب و الماحل، إلى أن نزلنا بعيون القصب من عمل حمص، فوافاها البشير بما كان من أمر بلاطنس التى تقدمت بها البشرى، و فتت فى عضد من كان بها قد استطار شرر طمعه و استسرى، و لم تزل بعد السير، و تود لو استعرنا أجنحه الطير، إلى أن وافينا المرقب، و هى المقصد و مناخ ركائب العزم الذى هو لها مرصد، فكانت محط رحلنا، و إليها مطارح آمالنا، و أصحابها الذين بدأوا بالسنان، و قعقعوا لنا بالشنان، و امتدت لهم الأيدى و الألسنه، و جعلوا السيئه مكان الحسنه، و طمعوا بالبلاد و ارتجاعها، و ارتادوا موارد الحرب على بعد أشجاعها، و استلانوا من عسكر حصن الأكراد جانبا ظنوا به الغلب، و فعلوا أمرا عادوا منه بسوء منقلب، و صاروا يتكلمون من رؤوس ملأى من الجهل، و يأخذون فى الحزن إذا أخذتهم إلى السهل، و نحن نعمل على الأمر الذى يلف العماء، و يعيرهم أذنا سميعه، لا أذنا صماء، و نرتاد منهم أمكنه الفرص، و نوحى لهم جماله القنص، فلما رجمتهم الظنون، و تمحضت لهم المنون. و ثبنا لهم و ثبه الليث المغضب، و أوردناهم بأسيافنا ماء لا ينزح قليبه و لا ينضب، و ما وردنا حتى قامت جيوش الجو على ساق، و جاءت بعوث الغمائم من الآفاق، و رشقت سهام السحائب، و تغلغت ريح الصبا و الحبائب، و رجفت الرعود بجنودها، و جردت البروق

بیضها من غمودها، و القطر یرسل الحجاره إلا أنها من برد البحر إذا مرت به الریح صار کأنه درع موضونه الزرد، فنزلناها و نازلناها، و أمطنا حجب المهابه و أزلناها، و أحدقنا بها إحداق السوار و أحطنا بها، کما یحیط بالید السوار، و کانوا یغترون بمنعهم، و یعتزون بما یجری من سیل قلعتهم، و یعتقدون أن المعتصم بمکانهم واثق بأن یمس السماء بکفه، و یری النجم دونه إذا لمحه بطرفه، فلم تزل تغادیهم الفتک و تراوحهم، و تماسیهم الحرب و تصابحهم، و ترسل إلیهم رسل المنایا، و توقر سهامهم إلا أنها من الحبایا، و نرمیهم بعذاب واصب، و نکلهم إلی هم ناصب، و المنجنیقات تفوق إلیهم سهامها و قسیها و تخیل لهم أنها تسعی إلیهم حبالها و عصیها، و هی للحصون من ألد الخصوم، و إذا أمت معصما، حکم أنه لیس بإمام معصوم، و متی افتری خلق فی آلات الفتوح لم یکن فیها أحد من الممترین، و إذا نزلت بساحه قوم فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِینَ(1) تدعی إلی الوغی، فتکلم، و ما أقیمت صلاه حرب عند حصن إلا کان ذلک الحصن من یسجد لها، و یسلم إلی أن أقوت ربوعهم، و صبت علی مثل جمر الغضا ضلوعهم، و أخذناهم أخذا وبیلا، و أوردناهم مهاوی المهالک، و ساءت سبیلا، و خسرت صفقه غدوهم و تراوحهم، و تحللت أعقد أجسامهم من أرواحهم، و وجدوا من أنفسهم حدا کلیلا، وجدا عثورا، و قدمنا إلی ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا، و ملکناها بالأمان و هو فی المعنی بالسیف، و هجمناها هجوم الطیف، و کانت هی التی قد بقیت للاسبتار رحله شتائهم و صیفهم، فلم یبق لهم رحله شتاء و لا صیف، و سطرنا هذه البشری و الحرب قد وضعت أوزارها، و النفوس قد قضت منهم أوطارها، و البلاء قد دهم بلادهم و أقطارها، و العلم یبنی علی العلم، و السیف یملی علی القلم، و الثغر قد جدد علی أیدینا إسلامه، و أبدلنا بعد قطوبه ابتسامه، و الدهر

1- سوره الصافات- الآیه: 177.

لمن عادانا عادى، و لمن ولانا وال، و سيوفنا قد أصبحت مفاتح المعاقل، فإذا ملكناها عادت لها أقفالا، و البشائر مخترقه الأمصار، و العساكر التى هجرت أوطانها، و نصره الله قد كتبت من المهاجرين و الأنصار».

و كتب الأمير حسام الدين لاجين- رحمه الله- نائب السلطنه بالشام إذ ذاک كتابا إلى الملک الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملک المنصور- رحمهما الله تعالى- يهنئه بفتح المرقب، و هو من إنشاء المولى شهاب الدين محمود كاتب الدرج- رحمهما الله تعالى، من مضمونه:

«لا زالت آيات النصر تتلى على سمعه من صحف البشائر، و نفائس الظفر تجلى على سره فى أسعد طالع، و أيمن طائر، و فواتح الفتح تملى لديه بما تزهى به الأسره، و تزهر بنوره المنابر، و محكمات التأييد تنهى إليه بما تجد مثل الدجى عليه سواد المحابر، و ينهى أنه سطرها و النصر قد لمعت بوارقه، و نصب بعد النصب على فرق الفرقد سرادقه، و الظفر قد أسفر عن الفتح المبين صباحه، و التأييد و قد طار به محلق البشائر، فخفق فى الخافقين جناحه، و الإسلام و قد وطى ء هام الكفر بقدمه، و الدين و قد عز بفتكات سيفه، فأنف أن يكون الشرک من خدمه، و الأفلاک و قد علم أنه لهذا الفتح افترقت كواكبها، و الأملاک و قد نزلت لتشهد أخت النصره البدريه فى صفوفها و مواكبها، و حصن المرقب و قد ألفت عليه المله الإسلاميه أشعر سعدها، و أنجزت الأقدار التى ذللته للإسلام أن تتطاول إليه يد الحوادث من بعدها، و قد أحاطت العلوم الشريفه بأن هذا الحصن طالما شحت الأحلام أن تخيل فتحه لمن سلف فى المنام، فما حدثت الملوک أنفسها بقصده إلا و تناهى بها الخجل، و لا خطبته ببذل النفس و النفائس إلا و كانت من روعه الحرمان على وجل، و حوله من الجبال كل شامخ يهيب عقاب الجو قطع عقابه، و لفف الرياح حسرى دون التوقل فى هضابه، و من الأولى به خنادق لا تعلم منها الشهور إلا بأنصافها، و لا تعرف فيها الأهله إلا بأوصافها، و هو مع ذلک قد تقرط

بالنجوم، و تقرطف بالغيوم، و سما فرعه إلى السماء و رسا أصله فى النجوم، تخال الشمس إذا علت أنها تنتقل فى أبراجه، و يظن من سها إلى السها أنه ذباله فى سراجه، فكم ذى جيوش قد أمات بعضه، و ذى سطوات أعمل الحيل على رؤيته، فلم يفز من نظره على البعيد بغرضه، لا يعلوه من الطير سوى نسر الفلک و مرزمه، و لا يرمق متبرجات أبراجه غير عين شمسه، و المقل التى تطرق من أنجمه، و قد نصبت عليه من المجانيق ما سهامه أقتل من سهام الجفون، و خطراته أسرع من لحظات العيون، لا يخاطب إلا بواسطه رسله الصم الصلاب، و لا يرى لسان سهمه إلا كما يرى خطفات البرق إذا تألق فى علو السحاب، فنزلت عليه الجيوش المنصوره نزول القضاء، و صدمته بهممها التى تستعير فيها الصوارم سرعه المضاء و روعه الانتضاء، فنظرت منه حصنا قد رد عليه الجو جيب عمامه، و افتر بعزه، كلما حذر عليه البرق، فاضل لثامه، فذللت صعابه، و سهلت عقابه، و ركزت الخبويات فى سفحه، و طالما رامت الطير أدناه، فلم يقومها القوادم، و كم همت العواصف أن تبتسم رباه، فأصبحت محلقه تبكى عليها الغمائم، فعاد مصفحا بصفاحها، مشرفا بما علا من أسنه رماحها، و أرسلت إلى أرجائها ما أربى على الغمائم، و زاد فى لفحه على السمائم، و كان بها مثل الجنوب فأصبحت، و من حيث القتلى عليها تمائم، و نصبت أمامه المجانيق المنصوره، فلم ترع حق حبسها، و سطت على نظرائها، فأصبح غدها فى التحامل أبعد من أمسها، و استنهضها العدى، و أعلمتهم أنها لا تطيق الدفاع عن غيرها، بعد أن عجزت عن نفسها، و بسطت أكفها أماره على الإذعان، و رفعت أصابعها، إما إجابه إلى بذل التشهد، و إما إنابه إلى طلب الأمان، فخوفوا من ظهور هذا الاستظهار، و علموا أن المجانيق المنصوره فحول لا تثبت لها الإناث التى عريت من النفع بأيديهم، و استعانوا عليهن مع العرى بطول الحذار، فعند ذلک غدت تكمن كمون الأساود، و وثبت و ثبات الأسود، و تبارى بها الحصن السماء،

فكلما قذفت هذه بكواكبها الزهر، قذف هذا بكواكبه السود، و لم يكسر لهم منجنيق إلا نصبوا عشرا مكانه، و لا قطعت لأحدها أصبع إلا و مد الآخر بنانه، فتطلب بتجارب مثل الكماه، و تتحايل تحايل الرماه، حتى فتحت و فسحت الرجال مجالا، و نالت و نيل منها، و كذلک الحرب تكون سجالا، هذا، و النقوب قد دبت فى بواطنه دبيب السقام، و تمشت فى مفاصله كما يتمشى فى مفاصل شاربها المدام، و حشت أضالعه نارا تشبه نار الهوى، تحرق الأحشاء، و لا يبدو لها ضرام، فقد أحل من حله الوجل، و تحققوا حلول الأجل، و أيقن الحصن بالانتظام فى سلک ممالک الإسلام، و كاد يرقصه ممن فيه فرط الجدل، و زاد شوقه إلى التشريف بوسمها، و ما صابه مشتاق على أمل من اللقاء كمشتاق بلا أمل، لكنهم أظهروا الجلد، و أحفظوا إضرام نار الكمد، و كيف يخفى و قد انحلوا فى أشرک إشراكهم، لعلمهم أنه لا مقاض من يد أهل التوحيد لأهل الأحد، و تدفقت إليهم الجيوش المنصوره، فملأت الأفق، و أحاطت بهم إحاطه الطوق بالعنق، و نهضت إليهم مسنده من عزمات سلطانها، مستعده لانتزاح أرواح العدى على يدها من أوطانها فانقطعت بهم الظنون، و دارت عليهم رحى المنون، و أمطرت عليهم المجانيق أحجارها، فوقع الحق و بطل ما كانوا يعملون، لمن بها من اللهب تلک الأحجار، فهدمت العمائر و الأعمار، و أجرت فى نواحيها أنهار الدماء، فهلكوا بالسيف و السيل و النار، و لما ركب مولانا السلطان- خلد الله ملكه و سلطانه- لأول الزحف فى جيوشه التى كاثرت البحر بأمواجه، و سقت العدى على ريها بالخوف كؤوسا أمر من أجاجه، تزلزل الحصن لشده ركضه، و تضعضع من خوف غضبه، فلحقت سماؤه بأرضه، و تحللت قواعد ما شيد من أركانه، فانحلت و انشقت سماؤه من الجزع، فألقت الأرض ما فيها و تخلت، و مشت النار من تحتهم و هم لا يشعرون، و نفخ فى الصور بل فى السور فإذا هم قيام ينظرون، و ما كان إلا أن قابل مولانا السلطان- خلد الله سلطانه- ما شمخ من أبراجه

حتى أهوى يلثم بين يديه التراب، و تأدب بآداب الطاعه حين نظرت إليه، فخر راكعا و أناب، فهاجمتهم الجيوش المنصوره مهاجمه الحتوف، و أسرعت المصاف الإنتضاء. فلم يدر العدو أهم أم الذى فى أيديهم السيوف، فحل بهم الذل و نزل، و خافوا فتكات تلک السيوف التى تسبق العذل، و ثبت من لم يجد وراءه مجالا، و هو يقول: مكره أخاک لا بطل. فلجأوا إلى الأمان، و تمسک ذل كفرهم بعد الإيمان، تشبثوا بساحل العفو حين ظنوا أنهم أحيط بهم، و جاءهم الموج من كل مكان، فسألوا أن يكون العفو عن مولانا السلطان من بعض الصنائع، و تضرعوا فى أن يجعل أرواحهم لسيوفه من جمله الودائع، فتصدق عليهم بنفوسهم كرما، و ظلوا على معنى الخبر المأثور يرون الموت يقظه، و الحياه حلما، و أطلقتهم اليد التى لا يخيب لديها الأمل، و أعتقتهم اليمنى التى فجاج الأرض قبضتها، فمتى تشاء تجمع عليهم الأنامل، و خرجوا بنفوس قد تجردت حتى من الأجسام، و مقل طلقت الكرى خوفا من سيوفه التى تسلها عليهم الأحلام، و سطرت و النصر قد يتسنم أعلاها، و شعار الإيمان قد جردها من وحشه لباس الكفر و أغرارها، و الأعلام المنصوره قد سلكت إلى ذلک المرقب أعلى مرتقى، و السعاده قد بدلت بيعه مساجد، و محاريبه قبله، و كان شرقا فأصبح يرفل فى حلل الإيمان، و أذعن بالطاعه، فأجرس جرس الحرس به صوت الأذان، و عاد سهما مسددا فى كنانه الإسلام، و درا منضدا فى عقد المملكه فحسن به فتم النظام، لا يسلک البحر طاغ إلا و يقذفه الموج إليه، لا يختلس أكبر باغ إلا و توقعه ضيق مسالكه فى يديه، فهو أحسن من إرم، و أوضح من علم، و أنكى فى الإصابه على البعد من السهم الذى أصاب و راميه بذى سلم، فيأخذ مولانا حظه من هذا النصر الذى هو إليه، و ان بعد منسوب، و الفتح الذى عددت الفتوح على كثرتها فهو بجميعها محسوب».

و كتب المولى كمال الدين أحمد بن العطار عن الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه إذ ذاک بالشام إلى الأمير علم الدين الشجاعى يهنئه بالفتح المذكور، يقول:

«نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ يسره الله بعزائم الجناب العالى، لا زالت عزائمه تسهل من النصر مرادا، و هممه تفسح من الفتح مرادا، و سطوته تستأصل من الأعداء مرادا، و مسامعه الكريمه تستعذب معادا من حديث البشائر إذا كان معادا معاذا، قد أحاط العلم الكريم بالحركه المباركه، و النزول على المرقب الذى كم تحته من مربأ زاد علوه على علو الرصد، و ما حل أحد بواديه، و رام رؤيه الهلال فى مغربه، و الشمس فى مشرقه إلا و صده عما قصد، فما ترى الهلال منه إلا بدار، و لا تشاهد الشمس المنيره إلا ظهرا، و نازلنا منه القلعه التى مسامته السماء، فزاحمت البروج منها البروج، و حلت الجوزاء لسوارها المحكمه، متى اتصلت بدناءتها بمنازل الكوكب، و ما لها من خروج، و إذا رام القطر سقى أهلها، عرج عن قصد النزول، و أخذ فى تعاريج العروج، و لربما حاول منازلتها من تقدم من الملوک، فصده عنها قسى الرعود، و نبل الوبل، و أسوار الثلوج، و أرخت السماء عزاليها على جيشه، و حال بينهما الموج فكان من المغرقين، و التفت عليه أشجارها فبات من المدبقين، و أصبح من الموبقين، و أعادت كل من قصد الصعود إليها يمشى على أربع بعد أن كان يمشى على رجلين، وردته عقابه ناكصا على عقبيه، و كان يحجل فى حجلين، فاستدارت عليها جنوباتنا، فشاهدنا منها منطقه البروج، و استجنت بها الجيوش من سهام الجروخ، فأبقت كل سريع الخروج عن بدناتها إلى الأبدان سريع الولوج، و قامت المجانيق بسفراء من الحجاره عن السهام، و أشارت إليها بأصابع كفوفها بالانتقال عن ذل الكفر إلى عز الإسلام، و فى أول الحال عجل منجنيق الواحد كسر مناجيقهم الثلاثه، و نقل من صوره الحال بسرعه، نصر الواحد على من يدين

بالثلاثه، و لم تزل مناجيقنا ترقى القلعه بحجاره تطير محلقه نحوها كالطيور، و تعلو نسور أحجارها طالبه قبه قلتها، و الجبال الشاهقه، و كور النسور، فما رمت حجرا إلا أثر بها أثرا، و لا راجعتها ضربا إلا أسمع و أرى بظاهرها و باطنها ندبا، لكنها على مراجعه الحرب، و معاوده الضرب، كأنها تضرب من حجاره أسوارها فى حديد بارد، و هى و إن لم تكن حديدا، فإنها حجاره حديده لا تعمل فيها المعاول، و لا تؤثر فيها المبارد، إلا أن نوازلها مصيبه فيها نازله، و ما أشبه سهامها بسهام العيون تقضى بالمنون، و لا تفارق الجفون، أو بالنجوم فى الرجوم تصيب و هى بمكانها المعلوم، و دامت ذمه حسناتها مطالبه المحاصره بما فى يدها للمله الإسلاميه من الاعتصاب و الفرض، و النقابه تعمل من خوارجها فى داخل بنيانها عمل الخلد فى الأرض حتى أخلد الله الأرض، و تقضت النقوب نظام أساساتها فانحلت، و ألقيت النار فى أحشائها، فألقت ما فيها و تخلت، هذا، و المجانيق منا و منهم تاره و تاره، و أكفها ترمى من النفط أصابعها بشرر كالقصر، وقودها الناس و الحجاره، إلى أن تمكن الهد من أحد أبراجها، فهدم بناءه المنظم، و لما أراد جداره ينقض، سارع إلى تقبيل الأرض، و بادر إلى الخدمه فسلم، و زحفت عليها الجيوش المنصوره من جوانبها، و أحاطت بها إحاطه الأغماد بقواضبها، و ضمتها ضم الأطواق للأعناق، و أطبقت بها أطباق الجفون على الأحداق، إلا أن الله سبحانه و تعالى سهل أمرها، و أذل للإسلام كفرها، و سلط المجانيق المسلمه على المجانيق الكافره، فكفى المؤمنين شرها، فلم يزل كل منها يرميهم بأحجاره، حتى استنزلهم على اختياره، و سألوا الإجاره من الحجاره، و طلبوا الأمان من الإيمان.

و أذعنوا بالاستسلام إلى الإسلام، و كتابنا هذا، و قد علت على قلعتها أعلام الإيمان، و صرح بها إعلان الأذان، و رمى بالخرس جرس الحرس، و أذهب ظهر الإيمان منها رجس النجس، و افترت عن فتحها ثغور

الأيام، و غدت مغلقه بمسک المداد أصداغ الأقلام، فليأخذ حظه من هذه البشرى التى شرحت للإسلام صدرا، و جددت لكل صباح من تباشيره بشرا، و خلدت لأيام هذه الدوله فخرا، يبدو فى صبيحه كل نهار فجرا، و هذا الفتح المبين و إن لم يكن الجناب من حضار حصارها، و لا تضمخ درعه بردعه، و لا تمسک ذيله بعثاره، فإنه مجهز جيش كتائبه التى فتح الله على يدها، و أجراها من النصره على جميل عوائدها، فله أجر الغازى و هو المقيم، و السهم إذا أصاب الغرض فراميه المصيب و هو بمكانه لا يريم» ...

[ولاده الملک الناصر محمد بن قلاوون]

و لما كان السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- على حصار المرقب، وردت عليه البشرى بولاده ولده السلطان الملک الناصر ناصر الدين محمد، فمولده فى تلک السنه- أيده الله تعالى، و دخل الملک المنصور عائدا من المرقب يوم الأحد ثالث جمادى الأولى، و طلب محيى الدين محمد ابن النحاس، و قلده الوزاره بدمشق و الشام، و خلع عليه خلعه كامله يوم الخميس سادسه، و صرف شرف الدين توبه من الوزاره موقرا، و سافر الملک المنصور إلى الديار المصريه بكره الاثنين ثامن عشر جمادى الأولى، و سافر تقى الدين توبه إلى القاهره يوم الأحد حادى عشر رجب، و توجه شمس الدين الدمشقى إلى حلب حاكما يوم الخميس حادى عشر شوال، و خرج ركب الحجاز من دمشق يوم السبت تاسع شوال، و أميرهم بدر الدين بن أبى القاسم ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى:

[أحداث]يدكين بن عبد الله الأمير علاء الدين البندقدار الصالحى النجمى،

كان فى بدايه أمره مملوكا للأمير جمال الدين موسى بن يغمور، ثم انتقل عنه إلى الملک الصالح نجم الدين، فجعله بندقداره، و أمره، و كان من أكابر الأمراء و أعيانهم، و كان الملک الظاهر مملوكه، و عنه انتقل إلى الملک الصالح لما حبسه، و احتاط على موجوده، و لم يكن الملک الظاهر يعرف

قبل السلطنه إلا بالبندقدارى، و كان الملک الظاهر يعظمه، و يحترمه، و يرى له حق التربيه، و كان هو يبالغ فى خدمه الملک الظاهر، و النصح له، و هو الذى انتزع دمشق و قطعه من الشام من يد الأمير علم الدين الحلبى، و كان عنده حشمه، و حسن ترتيب ما لا مزيد عليه، توفى بالقاهره فى ربيع الآخر سنه أربع و ثمانين، و دفن بتربته قريب بركه الفيل، و قد ناهز السبعين سنه من العمر، و صلى عليه بالنيه بجامع دمشق يوم الجمعه مستهل جمادى الأولى- رحمه الله- و سبب انتقال الملک الظاهر إلى الملک الصالح أنه لما ملک قلعه عجلون فى أواخر سنه ثلاث و أربعين، و ترتب فيها الأمير علاء الدين البندقدار بعسكر، فلما استقر بها، تزوج سريه الأمير سيف الدين على بن قليج النورى من غير مشاوره الملک الصالح فنقم عليه، و أمره أن يخرج من عجلون، و يذهب حيث شاء مالكا لأمره، فخرج متوجها إلى العراق على البريه، فلما بلغ الملک الصالح خبره، ندم، و كتب إلى سعيد بن يزيد أمير آل مرى إذ ذاک يأمره بإدراكه، ورده تحت الحوطه، فلما رده وافى الملک الصالح بعمتا، قد خرج من مصر متوجها إلى دمشق فى شوال سنه أربع و أربعين، فأمر بالقبض عليه، و أخذ ما كان معه من المماليک و غيرهم، و حبسه بعجلون، و كان فيمن أخذ منه الملک الظاهر، فقدمه على طائفه من الجمداريه، فلما مات الملک الصالح سنه سبع و أربعين، و ملک بعده ولده الملک المعظم، و قتل، و أجمعوا على الأمير عز الدين أيبک التركمانى، فولوه الأتابكيه لأمر جليل، ثم ملكوا الملک الأشرف ابن الملک الناصر ابن الملک المسعود أقسيس ابن الملک الكامل، و كان صغيرا، و أقروا التركمانى على الأتابكيه، ثم خطب الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار بنت صاحب حماه، و أجيب، فخشى التركمانى إن هو دخل بها عظمت نفسه، و تاقت إلى الملک لقوه شكوته بالبحريه، فقتله يوم الاثنين سادس عشر شعبان سنه اثنتين و خمسين و سته مائه.

[أحداث]الحسن بن محمد بن على بن محمد أبو محمد نجم الدين الأنصارى

الدمشقى.

خدم الأمير عز الدين أيبک المعظمى- رحمه الله- صاحب صرخد، ثم الطواشى شهاب الدين رشيد، و تنقل فى مباشره سد الجهات و الولايات، و آخر ما ولى قلعه بعلبک و مدينتها بعد وفاه كمال الدين إبراهيم بن شيث- رحمه الله- و قدمها مستهل شهر ربيع الآخر سنه أربع و سبعين، و استمر بها إلى أن استولى على دمشق و ما معها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائبا عن الملک المنصور- رحمه الله- فصرفه، و ولى عوضه سعد الدين عمر بن قليج، فلما اتصل ذلک بالملک المنصور أنكره، و أمر بإعادته فأعاده، و استمر إلى شهر رجب سنه اثنتين و ثمانين، و طلب إلى دمشق، و صرف عن الولايه، و رسم عليه أياما، ثم أفرج عنه، و لزم منزله بدرب الفراش بدمشق إلى أن خرج الملک المنصور- رحمه الله- لحصار المرقب، فخرج فى جمله العساكر، و بعد فتوح المرقب حصل له مرض، و أدركته منيته فى أرض القصب من أعمال حمص، و دفن هناک و هو فى عشر الثمانين، و كان عنده أمانه و خبره بالولايه و التصرف، و هو من كبراء رماه البندق، و يحاضر بالحكايات و الأشعار و التواريخ، و له حده، و كان يزعم أن بدر الدين بن نقاده الشاعر المشهور نسيبه من جهه والدته- و الله أعلم- و كانت وفاته يوم الأحد ثالث جمادى الأولى، و كان يتهم بمال كثير فلم يظهر له منه شى ء، و الظاهر أنه خفى- و الله أعلم، ثم بلغنى بعد موته بقريب خمس و عشرين سنه و قد خربت داره أنه كان صبيان يحفرون فى الدار فوجدوا شيئا، و اتصل ذلک بالدوله، فسيروا من استقصى فى الحفر، فوجدوا مقدارا صالحا من الذهب و الدراهم، حكى لى نجم الدين حسن المذكور ما معناه أن الملک المعظم عيسى- رحمه الله- رسم للأمير عز الدين أيبک صاحب صرخد أن يسير جماعه مع حجى بن يزيد أمير آل مرى،

فسير جماعه، و كان نجم الدين منهم، قال: فسيرنا فى البريه، و مع حجى قداحه، إذا قدحها ينهر منها النار، و مع غيره من العرب و غيرهم قداحات، و هم يقدحون، و الناس يتبعونهم، فبينا نحن نسير فى أرض محجر، سقطت القداحه من يد حجى فتركها، و رحنا فى المهم الذى نحن قاصدوه، و قضينا الشغل، و عدنا، و مررنا بتلك الأرض بالليل، فلما صرنا بالمكان الذى سقطت فيه القداحه، قال حجى: فى هذا المطرح سقطت قداحتى، و ضرب الأرض برمحه، فطنت القداحه، فأسرجنا ضوءا، و وجدناها، و هذا من غريب الاتفاق ...

عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن أيوب بن شاذى

بن محمد جلال الدين الملک المسعود ابن الملک الصالح عماد الدين أبى الفداء ابن الملک العادل سيف الدين أبى بكر، كان من أجمل الناس صوره مع مكارم الأخلاق، جمع بين حسن الصوره و المعنى، و توفى إلى رحمه الله بقريه بالمرج، و حمل إلى جبل قاسيون، فدفن بتربه عمه الملک الأمجد تقى الدين عباس- رحمه الله- يوم الأحد خامس و عشرين جمادى الآخره، و قد نيف على الخمسين من العمر- رحمه الله ...

كافور بن عبد الله أبو المسک شبل الدوله الصوابى الخادم

، توفى بقلعه دمشق ليله الخميس مستهل شهر رمضان، و دفن يوم الخميس، و قد نيف على الثمانين- رحمه الله، كان من عقلاء الدينه الأخيار. سمع الحديث، و أسمعه، و تولى عده ولايات، و كان فى آخر عمره قد رتب خزندار بقلعه دمشق، و الصوابى نسبه إلى الأمير شمس الدين صواب العادلى الأمير الكبير المشهور- رحمه الله تعالى.

محمد بن إبراهيم بن على بن شداد

أبو عبد الله عز الدين الحلبى.

مولده بحلب فى سادس ذى الحجه سنه ثلاث عشره و ست مائه، و توفى بمصر فى سابع عشر صفر هذه السنه، و دفن بسفح المقطم، كان رئيسا، حسن المحاضره، و صنف تاريخا لحلب، و سيره الملک الظاهر ركن

الدين، و كان من خواص الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد، و ترسل عنه إلى هولاکو و غيره من الملوک، و استوطن الديار المصريه بعد أخذ التتار حلب فى سنه ثمان و خمسين، و كان له مكانه عند الملک الظاهر ركن الدين، و الملک المنصور سيف الدين- رحمهما الله تعالى- و حرمته وافره، و له توصل و مداخله، و عنده بشر كثير، و مسارعه إلى قضاء حاجه من يقصده- رحمه الله تعالى ...

[أحداث]لسنه الخامسه و الثمانون و ستمائه

[أخذ الكرک من خضر بن السلطان بيبرس]

استهلت هذه السنه و الخليفه، و الملک المنصور سيف الدين قلاوون، و الملوک على القاعده فى السنه الخاليه، و الملک المنصور بالديار المصريه، أخذت الكرک من الملک المسعود نجم الدين خضر ابن الملک الظاهر ركن الدين بيبرس، و دقت البشائر بدمشق ثلاثه أيام، أولها يوم الجمعه سابع صفر، و حصل فى شهر صفر من الرعود و البروق ما خرج عن العاده خصوصا فى الأطراف، و ورد كتاب الأمير بدر الدين بكتوت العلائى إلى الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه بالشام، و من مضمونه أنه لما كان يوم الاثنين رابع عشر صفر سنه خمس و ثمانين و ست مائه وقت العصر حصل بالغسوله إلى عيون القصب غمامه سوداء إلى الغايه، و أرعدت رعدا كثيرا زائدا، و ظهر من الغمامه شبه دخان أسود من السماء و متصل بالأرض، و صور من الدخان صوره أصلها حيه هائله فى مقدار العمد الكبير الذى لا يحضنه جماعه من الرجال، و هى متصله بعنان السماء تلعب بذنبها، فتتصل بالأرض شبه الزوبعه الهائله، و صارت تحمل الحجاره الكبار المقادير، و ترفعها فى الهواء كرميه سهم نشاب و أكثر، و ما صادفت شيئا من الأشياء من السيوف، و الجواشن، و العدد، و التراكيش، و الغشى، و القماش، و الشاشات، و النحاس، و الأسطال إلا صار طائرا فى الهواء كشبه الطيور، و من جمله ذلک أنه كان فى أسطبل بعض الناس خرج أدم ملآن تطابيق نعال بيطاريه حملته فى الهواء و الجو كرميه نشاب، و رفعت فى

جمله ما رفعته عده من الجمال بأحمالها قدر رمح، و حملت جماعه من الجند، و الغلمان، و أهلكت شيئا كثيرا من السروج التى صدفتها فى الرياح، و طحنت ذلک إلى أن بقى لا ينتفع به، و أتلفت شيئا كثيرا مما صادفته فى طريقها، و أضاعت شيئا كثيرا من العدد، و القماش لمقدار ما يفى نفر من الجند و أصحاب الأمر، إلى أن صاروا بغير عده، و لا قماش، و غابت تلک الحيه عن العين فى عنان السماء، فتوجهت فى البريه صوب الشرق، و الذى عدم من قماش الجند منه ما راح فى الغمامه السوداء، و منه ما أخذه بعض الجند مع أن المملوک ركب بنفسه، و دار فى العسكر المنصور، و استعاد كثيرا مما عدم، و بعد هذا عدم ما تقدم ذكره، و هذه الواقعه ما سمع بمثلها أبدا، ثم وقع بعد هذا يسير من مطر، ثم أن اللواحيق الكبار حملها الهواء، و هى منصوبه، و صارت مرتفعه فى الجو- و حسبنا الله و نعم الوكيل.

و فيها وصل تقى الدين توبه إلى دمشق من الديار المصريه متوليا الوزاره بالشام يوم الثلاثاء سلخ ربيع الآخر .....

[أحداث]لسنه السادسه و الثمانون و ستمائه

[تجهيز الجيوش من مصر لحصار صهيون و برزيه]

استهلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره، و الملک المنصور سيف الدين قلاوون- رحمه الله- بالديار المصريه، و قد جهز طائفه من العساكر صحبه الأمير حسام الدين طرنطاى إلى الشام لحصار صهيون، و برزيه، و انتزاعهما من يد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، فوصل الأمير حسام الدين بمن معه من العسكر المصرى دمشق فى أثناء المحرم أو أواخره، و استصحب معه الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنه بالشام، و عسكر الشام، و توجه إلى صهيون بالمجانيق، و قاسوا من الأوحال شده فوصلوها، و شرعوا فى حصارها، فكان الأمير شمس الدين قد استعد لهم، و جمع إلى القلعه خلقا كثيرا من رعيه بلده، و بعد منازلته بأيام، توجه الأمير حسام الدين إلى حصن برزيه، و حصره، و استولى عليه، و هو مما يضرب المثل بحصانته، ففتحه، و وجد فيه خيولا

منسوبه للأمير شمس الدين و غير ذلک، فلما فتح لانت عريکه الأمير شمس الدين، و أجاب إلى تسليم صهيون على شروط اشترطها، فأجابه الأمير حسام الدين طرنطاى إليها، و حلف له بما وثق به من الأيمان، و نزل من قلعه صهيون بعد حصرها شهرا واحدا، و أعين على نقل أثقاله بجمال كثيره، و ظهر، و حضر بنفسه، و أولاده، و عياله، و أتباعه، و أشياعه إلى دمشق، ثم توجه إلى الديار المصريه صحبه الأمير حسام الدين طرنطاى، و وفى له بجميع ما حلف عليه، و لم يزل يذب عنه أيام حياته أشد ذب، و أعطى بالديار المصريه خبز مائه فارس، و بقى وافر الحرمه إلى آخر الأيام المنصوريه، و انتظمت صهيون و برزيه فى سلک الممالک المنصوريه، و هما من أحصن القلاع و أشدهما منعه.

و فى خامس عشر المحرم ولى قاضى القضاه شهاب الدين محمد بن الخوئى قضاء القضاه بالشام عوضا عن قضاء القاهره، و سافر إلى دمشق من القاهره فى ثالث عشر صفر، و كان وصوله دمشق يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول، و حكم ليومه بالمدرسه العادليه، و استمر بنيابته الشيخ شرف الدين أحمد بن المقدسى، و قرى ء تقليده يوم الجمعه بالجامع.

و فى سابع و عشرين شهر رجب سافر الملک المنصور سيف الدين قلاوون من القاهره قاصدا الشام، فلما وصل غزه، أقام بتل العجول إلى شوال، ثم رجع إلى القاهره، و دخل القلعه يوم الاثنين ثالث عشر شوال، و كان استناب الأمير علم الدين سنجر الشجاعى.

و فى شهر رمضان وصل إلى دمشق بريدى من الديار المصريه بمرسوم يتضمن طلب سيف الدين أحمد السامرى بسبب مرافعه ناصر الدين محمد بن المقدسى له، فإنه كان توجه لمرافعه قاضى القضاه بهاء الدين يوسف ابن الزكى- رحمه الله- فلما وصل الديار المصريه بلغه وفاته، فتوصل بشمس الدين الأتابكى، و دخل على الشجاعى، و حدثه فى معنى ابنه الملک الأشرف موسى بن العادل- رحمه الله- و أنها باعت أملاكا

جليله بأيسر ثمن، و عمل بسفهها محضرا شهد فيه أراذل، و ثبت عند ابن مخلوف المالكى، و لم يوافق على ذلک غيره، ثم إن الملک المنصور سيف الدين قلاوون شهد عنده أن الملک الصالح نجم الدين أيوب حجر عليها، و أثبتوا ذلک فى وجه السامرى، و أبطلوا جميع ما باعته، و أخذوا من السامرى حزرما، و ادعوا عليه بمغلها عشرين سنه، و أخذوا منه بسبب المغل سبعه عشر سهما بقريه الزنبقيه، بمبلغ قيمته تسعين ألف درهم، و أخذوا منه مائه ألف درهم تكمله مائتى ألف درهم ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى: ...

على بن يوسف بن محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب

، علاء الدين ابن الملک الناصر، كان شابا حسنا، توفى فى تاسع عشرين المحرم يوم الخميس، و أخرج ميتا من قلعه الجبل بالقاهره، و دفن بالقرافه، و كان محبوسا بها، رحمه الله ...

[أحداث]لسنه السابعه و الثمانون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره، و قد صفا السلام بأسره للملک المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله، و الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى خدمته بالديار المصريه من بعض الأمراء و النواب فى الممالک الشاميه و الحلبيه و الساحليه و غيرها على عادتهم.

و فى شهر رمضان أمسک شخص من النصارى بدمشق، و عنده امرأه مستحسنه، جميله الصوره مسلمه، و هم يشربون الخمر فى نهار شهر رمضان، فانتهت الصوره إلى الأمير حسام الدين نائب السلطنه أمده الله، و عرف أن هذا النصرانى كثير التعرض لحرم المسلمين، فأمر بحرقه، فبذل فى فداء نفسه جمله كثيره، و دخل مخدومه الأمير سيف الدين كجک على

ملک الأمراء فی معناه، فإن النصرانی کان کاتبه و لعلمه بمکانه مخدومه من نائب السلطنه و قربه منه حصل الإقدام و التجری، فصمم علی حریقه

فأضرمت له نار عظيمه ظاهر دمشق أظن فى سوق الخيل، فألقى فيها و المرأه قطع شى ء من أنفها و حصل له فيها شفائع، و كان قلب الأمير حسام الدين قد برد بحرق النصرانى و الانتقام منه، فأطلقها ...

[سلطنه الأشرف خليل]

و فى يوم الأحد سابع عشر شوال وصل البريد إلى دمشق من الديار المصريه، و أخبر بسلطنه الملک الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون على ما كان عليه أخوه الصالح، فدقت البشائر سبعه أيام، و حلف الناس له، و خلع على العسكر الشامى، و ركبوا بالخلع يوم الاثنين خامس عشر الشهر، و خطب له بولايه العهد يوم الجمعه ثانى عشريه و سافر الحجاج و أميرهم منكورس الظاهرى يوم الاثنين رابع شوال، و فى ليله الجمعه سابع عشر ذى الحجه توفى الأمير جمال الدين الباخلى، و دخل الحاج دمشق، و أميرهم منكورس الظاهرى يوم السبت حادى عشر صفر .....

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى: .....

على بن قلاوون بن عبد الله

، الملک الصالح علاء الدين ابن السلطان الملک المنصور سيف الدين، كان والده رحمه الله قد سلطنه فى يوم الخميس العشرين من جمادى الآخره سنه تسع و سبعين و ستمائه، و ركب فى موكب عظيم، و ترجل الأمراء فى خدمته من باب النصر، و دخل القاهره إلى باب زويله، و طلع القلعه، و قد تقدم نسخه تقليده من إنشاء محيى الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر، و كانت وفاته من رابع شعبان من هذه السنه بقلعه الجبل من الديار المصريه، و كان شهما خليقا بالملک رحمه الله تعالى .....

غازيه خاتون بنت قلاوون

، زوجه الملک السعید ابن الملک الظاهر، توفیت بقلعه الجبل، و دفنت بتربه والد والدتها ما بین مصر و القاهره، کانت رحمها الله أحد الأسباب فی ترقی والدها الملک المنصور إلی ما صار إلیه، و کانت کثیره المحبه فی زوجها الملک السعید لا تستطیع

الصبر على فراقه، و لما توفى لم تزل باكيه حزينه إلى حيث توفيت بعد أنها أنهكت بدنها بالحزن و البكاء الدائم رحمهما الله تعالى.

[أحداث]لسنه الثامنه و الثمانون و ستمائه:

[فتح طرابلس]

استهلت هذه السنه و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره و فيها فتحت طرابلس و ما أضيف إليها، و شرح الحال فى ذلک أن سيربيمند صلان(1) أسر کى صاحب جبيل و الدامه، و هو من أعيان فرسان الفرنج، فلما فعل صاحب طرابلس بصاحب جبيل ما فعل امتعض من ذلک و حصلت الوحشه و المباينه بينه و بين صاحب طرابلس و بعد موت صاحبها فسأل سير بيمند من السلطان الملک المنصور المساعده، فأرسل الأمير سيف الدين بلبان السلحدار الطباخى لمساعدته على تملک طرابلس على أن تکون مناصفه، و بذل بذولا کثيره فسوعد إلى أن تم له مراده، و رأى أن ما بذله للسلطان لا يوافقه الفرنج عليه و بحث فى أمره، فشرع فى باب المداجاه و المغالطه، و مدافعه الأوقات فلما اطلع السلطان على باطن أمره رأى معاجلته قبل استحکام أموره، فخرج من الديار المصريه يرى حصار طرابلس، و دخل دمشق، و أقام بها ريثما تهيأ، و خرج منها متوجها إلى طرابلس و نازلها فى ربيع الأول، و نصب عليها المجانيق و ضايقها مضايقه شديده إلى أن فتحها عنوه فى الرابعه من نهار الثلاثاء رابع ربيع الآخر من هذه السنه و شمل القتل لسائر من بها، و غرق منهم فى الميناء جماعه کثيره، و نهب منها من الأموال و الذخائر و المتاجر و غير ذلک ما لا يوصف، ثم أحرقت و خرب سورها، و هو من أقوى الأسوار و أمنعها، ثم تسلم السلطان [حصنها] لنفسه، و هو حصن بديع لصاحبها، و أبقى على أخت البرنس صاحب طرابلس کان قريتين من قراها، و حضر إلى ظاهر طرابلس ولد شيرکى صاحب جبيل الذى کان قتله بيمند صاحب طرابلس سنه إحدى و ثمانين و ستمائه، فخلع عليه و أقره على جبيل على سبيل الإقطاع،

1- أى بوهيموند لوزنان، و هناک ماده جيده عنه فى الجزء الثالث من أعمال القبارصه.

و أخذ منه معظم أعمالها، و تسلم السلطان البترون و جميع ما فى تلک الخطه من الحصون و المعاقل(1).

و أنشئت کتب البشائر بالفتح .....

و بعد خراب طرابلس أمر السلطان الملک المنصور بتجديد مدينه عند حصن ابن صنجيل، و هو على ميل من طرابلس فبنيت المدينه هناک، و سکنها الناس، و حصل فيها عقب ذلک و خم شديد، ثم تناقص و زال.

و ذکر شرف الدين محمد بن موسى بن محمد المقدسى الکاتب فى السيره المنصوريه ما معناه أن طرابلس فتحت- على ما ذکر أحمد بن يحيى البلاذرى- صدر زمان بنى أميه، و تداول تملکها أيدى ملوک الإسلام، و قال طرابلس عباره عن ثلاثه حصون مجتمعه باللسان الرومى، و کان فتحها على يد سفيان بن نجيب الأزدى بعثه لحصارها معاويه بن أبى سفيان، و هو إذ ذاک بالشام عامل عثمان بن عفان رضى الله عنه، فبنى فى المرج عن أميال منها حصنا سمى به و قطع الواصل عنها برا و بحرا بسببه، فکان يجلب على العدو المخذول فى النهار رجلا و خيلا ثم يعود إلى حصنه المذکور فيتحصن به ليلا، فاجتمعوا بأحد الحصون الثلاثه و هو الذى فيه المينا، و کتبوا إلى ملک الروم يطلبون منه نجده فإن تعذر فمراکب ينهزمون فيها، فبعث إليهم المراکب فرکبوا ليلا، و هربوا، فلما أصبح سفيان وجد الحصن خاليا، فکتب إلى معاويه، فأسکنه جماعه من اليهود، فنقضوا العهد أيام عبد الملک بن مروان، هکذا حکاه على ابن أحمد المدائنى عن عباد بن إبراهيم، فلما کان زمن الوليد بن عبد الملک بن مروان فتحه و جدد بنيانه.

و ذکر أسامه بن منقذ أنه انتقل إلى ملوک دمشق إلى أن ملک الخلفاء

1- تعذرت قراءه کثير من کلمات هذه الصفحه لأنها مطموسه، و ما سجل قائم على الترجيح، و من الممکن مراجعه ما جاء من معلومات على مواد الجزء الثالث من أعمال القبارصه، مع ترجمه صاحب جبيل« شيرکى» المتقدمه.

المصريون الشام، فدخلوا فيه و ملكوه، ثم تغلب عليه جلال الملک على ابن محمد بن عمار القاضى، و أخرج عامل المصريين منه، فلما توفى استقل بملكه الملک أخوه ...

ثم إن الفرنج قصدوها فى أخريات سنه اثنتين و خمسمائه، و أخذوها بعد مطاوله سبعه أحوال، و كان المنازل لها ابن صنجيل، فقصد فخر الملک بغداد فى البر مستنجدا بالسلطان محمد بن ملكشاه، و استخلف فى الحصن ابن عم له فأضاع الحزم و تشاغل عن القتال، فسأل أهل الحصن الأمان على أموالهم و أنفسهم فأجيبوا إلى ذلک.

و لم يزل بيد الفرنج إلى أن قصدها الملک المنصور فى يوم عاشوراء من المحرم سنه ثمان و ثمانين و ستمائه، و كان النزول عليها فى مستهل ربيع الأول، و ملكت بالسيف فى الرابعه من نهار الثلاثاء رابع ربيع الآخر، ثم قال: و كسرنا صليب قلوبهم بكسر الصليب، و أتينا على كنائسهم إتيان اليم على الصليب، و سحبنا على تثليثهم حله التربيع، و مزجنا ماء العموديه بالنجيع، فلا هيكل إلا فيه مذبح، و لا راهب و لا أسير إلا فى الحداد كما أصبح، فكم من طفل يبكى بكاء الدمع إذا اشتعل فما يدرى أدمعته من حرقه النار أم من فرقه القتل، و أما البرير فأبر فى حفرته ليستقر له عما فعل فى بلده بعد سفرته و ليشارک أهلها فيما نالوه من ألم الكلام، و لكن ما لجرح بميت إيلام، إلا أنه أجلى عنه كمن علق الأجره و الإجاره، و أحرق فى كنيسته أو شهد نارا وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَهُ(1) و استجد محجه أخته الخنساء بأخيها صخر، فإن بكت مع قساوتها فقد نبع الماء من الصخر، لما رأت أيدى سعتها الطوال عن عدوها، فصار ألم يجعل لها المعره عن الجروح عن ملكها و ملكها نصارى و حاق طيبها فى أن المسلمين قد ينصرونها على النصارى، فعادت إلى طرابلس و الجيوش الإسلاميه بها محدقه، و عيون الموت المباح من أجفان الصفاح الدماء محرقه، و كانت ليله

1- سوره البقره- الآيه: 24.

دخولها و هی الدهماء غیر المحجله، و کیف لا و قد جمعت النیران عن عروشها کلها، و حجله تصبرت علی أمر أمرّ من الصبر، و هو حضر الحصار، و استنصرت بقومها لتنتفع فلم یضرها سوی الاستنصار، إن فی ذلک لعبره، فاعتبروا یا أولی الأبصار(1).

و لما سقط خبر طرابلس علی أختها أنفه جبن حماتها، فسقط فی أیدیهم و هم أولو حمیه و أنفه، و کذلک أهل جبیل و البترون استقلوا أنفسهم و هم الأکثرون، و ما منهم إلا من سالم و سلم، و نال الأمان قبل أن یکالم و یکلم، هذا مع حصانه هذه الحصون و استعاذهم أن بذاک لها مضمون، و إنما هلال الخوف أظلهم غمامه، و حام حول حماهم حمامه، فشملتهم المراحم الشریفه شمول المطر، و بلغتهم من سکنی الوطن کل الوطر، لکن طرابلس لما دعت بالویل و الحرب، کان الخراب لإخوتها أعدی من الجرب، فهدم سور هذه، و شرفات تلک، و خلصت فی ید مولانا السلطان والید ملک، و صار ملوکها رعیه من الرعایا، و سار حدیثهم مثلا تجری به المطایا. انتهی ما نقلته من کلام شرف الدین القدسی مختصرا فی هذا المعنی، و شاهدت هذا الحصار منذ رمت المجانیق إلی حین فتحت طرابلس.

و حکی لی أن سبب أخذ الفرنج لها بعد الخمسمائه أن ابن صنجیل کان من ملوک البحر و له به بلاد، فجری له أمر أوجب خروجه عن بلاده، فرکب البحر و لجج فیه، و توقفت علیه الریح بحیث یکاد یهلک و من معه، و تاه ثم رماه الموج إلی ساحل طرابلس، فسیر إلیه ابن عمار یسأله عن سبب نزوله، فعرفه أنه قد هلک من طول المقام فی البحر، و أنه نزل یستریح و یتزود و یرحل، و سأل أن یخرج إلیه من یبیع علیه ما یحتاجه و یشتری منه ما یبیعه، و أنهم لا یعدمون فی ذلک فائده جیده، فخرج إلیه جماعه من أهل البلد و بایعوه و شاروه و کسبوا علیه، ثم نزل

1- النص بالأصل مشوّه تماما، و لذلک القراءه ترجیحیه.

إليه أهل جيه بشرى، و هم نصارى فبايعوه و عرفوه أمر البلد، و أن رعيته نصارى، و أن متملكه متغلب ليس من بيت الملک، و حسنوا له المقام، و وعدوه المساعده على تملكه، فأقام، و حضر إليه خلق كثير من نصارى البلاد، و عجز ابن عمار عن ترحيله فبنى الحصن المشهور المعروف به ظاهر طرابلس، و أقام به و استولى على بر طرابلس، و لا يزال مصابرا لها، و كلما مر وقت قوى، و كثر جمعه و ضعف من بطرابلس، و ابن عمار يطلب النجده فلا ينجده أحد، فحصل الاتفاق بعد المطاوله على أنه يخرج منها بجميع ماله إلى عرقه، فخرج بأموال جمه يقصر عنها الوصف، و أقام بعرقه مده ثم ضعفت ففارقها، و قوى شأن الفرنج بالساحل فاستولوا عليها، ثم صلح أمر ابن صنجيل فى بلاده التى بالبحر، و توجه إليها و استناب بطرابلس بيمند جد صاحبها، و مات فى تلک البلاد و ترک ابنه واحده، فكان بيمند يحمل إليها الأموال مصانعه إلى حيث مات، و تملک بعده بيمند الأعور، فاستقل بمملكه طرابلس و ما حولها، و كان شهما شجاعا مقداما، و طالت مدته فيها إلى حيث توفى فى التاريخ المقدم ذكره فى هذا الكتاب، و كان جميل الصوره جاء إلى بعلبک فى زمان التتار فى شهور سنه ثمان و خمسين يطمع فى أن هولاكو يعطيه بعلبک، و طلع إلى قلعتها و دارها، و نازل الملک الظاهر رحمه الله بلده مرتين، و كان صاحب أنطاكيه أيضا، و غيرها و هو ابن بنت صاحب سيس، و بعد هلاكه ملک ولده، و لم تطل مدته و هلک و تملک بعده سير بيمند صلان على ما تقدم شرحه، و عندما أخذت طرابلس قصد الميناء، فقيل إنه غرق و قيل إنه سلم و هرب، و الظاهر أنه غرق و الله أعلم.

و نقلت من خط قاضى القضاه شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله ما صورته: فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجه سنه اثنتين و خمسمائه أخذت الفرنج طرابلس الشام و كان صاحبها فخر الدين الملک أبو على

ابن عمار قد صبر على قتال الفرنج و محاصرتهم إياه سبع سنين، و اشتد الغلاء، و خرج منها و قصد بغداد طالبا للإنجاد و استناب بعض أهله بها.

و لما كان الملک المنصور رحمه الله ينازل طرابلس، قدم عليه رسل صاحب سيس و طلبوا مراضى السلطان، و أنهوا أن صاحبهم داخل فى جميع ما يرسم به، فخلع عليهم و عرفهم أن يسلم مرعش و بهسنا، و يقوم بالقطيعه على العاده مع اقتراحات أخر، و توجهوا ثم بعد الفراغ من أمر طرابلس، و رحل السلطان إلى حمص و أقام بها أياما فعادت رسل سيس بهديه سنيه و اعتذارات عن تسليم مرعش و بهسنا، و أنه لا يمكنه ذلک بسبب التتار، و بذل عن ذلک جمله من المال فى كل سنه.

و حضر السلطان إلى دمشق بكره الاثنين منتصف جمادى الأولى و أقام بها أياما، و تحدث الأمير علم الدين الشجاعى- رحمه الله- فى الأموال، و حصل منها جمله طائله معظمها مصادرات، و وفر من الأموال الديوانيه جمله أخرى، و توجه إلى الديار المصريه، و بعد توجهه إلى الديار المصريه جمع بيغرا نائب السلطنه بملطيه جمعا كثيرا و أغار على بلد كركر، فجهز إليهم الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى نائب السلطنه بحلب و أعمالها قطعه من العسكر، و جهز جماعه من الأمراء إلى بلاد الروم، فلما وصلوا قلعه قراسار، و هى من أحصن القلاع، فحاولها فيسر الله فتحها عليهم و أخذوا غرس الدين النائب بها أسيرا، و كان خربندا من أعيان أمراء المغل قد جمع جماعه كثيره، فجهز الأمراء الذين فتحوا قراسار رسلا من جهه الفرس إلى خربندا يخبره أن المسلمين قليلين لئلا ينهزم، فثبت مكانه إلى أن وافاه العسكر فهزموه بإذن الله تعالى فى شوال و قتل أشغرا، و كشكل المقدمان و اختلف القول فى قتل خربندا، ثم قصد العسكر قلعه بطر ففتحوها عنوه، و قتلوا من فيها من المقاتله، و من العجائب أن من سلم من الوقعه من أعيان المغل، و هرب نجا إلى ملطيه، فنزلوا بدار كبيره، فسقطت عليهم فماتوا تحت الردم.

و فى هذه السنه بعد عود السلطان من طرابلس إلى دمشق ولى الأمير شمس الدين سنقر شد الشام مع الأستاذ داريه بالشام، و تدبير الأحوال.

و فيها توجه شمس الدين محمد بن السلعوس إلى الديار المصريه، و باشر نظر ما يتعلق بالملک الأشرف بالديار المصريه و الشام أيضا، و ترقت حاله عنده، و واصله بالخلع الفاخره و الأموال، و أقبل عليه، و رفع من قدره ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى: ...

[أحداث]يبک بن عبد الله السيفى الأمير عز الدين معين أمير شكار

، كان رجلا خيرا دينا واسطه خير، و له حرمه وافره عند الملک المنصور رحمه الله تعالى، و مكانه، و استشهد على طرابلس فى شهر ربيع الأول جاءه سهم فى عينه و خالط دماغه، فكان فيه منيته، و دفن ظاهر طرابلس عند قبور الشهداء رحمه الله تعالى و هو فى عشر السبعين.

[أحداث]يدغدى بن عبد الله الأمير علاء الدين الكبكى

، كان من أعيان الأمراء و شجعانهم و مقدميهم، و ولى الولايات العظيمه فى الأيام الظاهريه و السعيديه كصفد و أعمالها، و ما هو مضاف إليها، ثم ولى نيابه السلطنه بحلب و أعمالها، و كان فى بدايه أمره مملوكا لجمال الدين ابن الدايه أمير حاجب الناصرى، فلما كان المصاف بين الملک الناصر و بين الملک المعز، و حصلت الكسره على الملک الناصر أخذ هذا المملوک و هو صبى فى سنه أربعه و ستمائه، و استولى عليه كبک، فعرف به و ترقى بعده إلى الرتبه العاليه، و كان يراعى أولاد أستاذه جمال الدين و يحسن إليهم، و يشمل عليهم و توفى بالقدس الشريف، و صلى عليه بالنيه بجامع دمشق يوم الجمعه ثالث عشر رمضان المعظم سنه ثمان و ثمانين و ستمائه، و قد نيف على الخمسين رحمه الله تعالى.

محمود بن اسماعيل بن أبى بكر بن أبى بكر بن أيوب

، أبو الثناء شهاب

الدين الملک المنصور ابن الملک الصالح ابن الملک العادل، ولد بقلعه بصری عندما کان أبوه ملکها فی سنه تسع عشره و ستمائه، و بقی مع والده فیها إلی أن ملک والده دمشق بعد أخیه الملک الأشرف فانتقل معه إلی دمشق، و اتخذها دار إقامه مده مقام أبیه فی السلطنه فی المرتبه الأولی بعد الأشرف، و الثانیه بعد ابن أخیه الجواد، و کان قد سلطنه أبوه فی دمشق، و خطب له علی المنابر و ضرب الدینار و الدرهم باسمه، ثم جری لوالده ما هو مشهور، فخمد أمره، و انقطع فی بیته علی ما کان بیده من الإقطاع، ورق حاله کثیرا إلی أن بقی یطلب من الناس بالأسواق و یعطی الدرهم فما فوقه، و تغیر تغیرا کثیرا، و کان والده قد زوجه الست ملکه خاتون بنت عم الملک الأشرف مظفر الدین موسی، بعد أن فسخ عقدها من الملک الجواد، و کان الملک الجواد تزوجها عندما ملک دمشق، فلما ملک دمشق الملک الصالح اسماعیل فی المره الأولی فسخ عقدها و نکاحها من الملک الجواد، و أثبت عند الحاکم بدمشق أنه کان حلف بطلاقها فی أمر لا یفعله و فعله، ثم زوجها لابنه الملک المنصور و رزق منها أولاد ذکورا، و هم فی غایه الانحراف و التقتیر بمصر، لأن لیس لهم سوی أخباز ضعیفه و کانت وفاته بمنزله بتربه أم الصالح یوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان قبل الظهر فدفن فیها رحمه الله تعالی، حدث عن ابن الزبیدی و ابن اللتی، و مکرم و غیرهم، و کان قد اعتقل هو و أخوه الملک السعید بالدیار المصریه فی أیام الملک الصالح أیوب بسبب ما کان بینه و بین والدهما من العداوه، و استمر إلی أن ملک الترکمانی، فلما وصل الملک الناصر صاحب حلب مصر أخرجهما الملک المعز و خلع علیهما، و ذلک یوم الاثنین تاسع عشر من شوال سنه ثمان و أربعین و ستمائه، و إنما فعل ذلک بهما لأن الملک الصالح أباهما خرج مع الناصر لحربه لتقع بسبب ذلک النفره فی قلب الملک الناصر منه، فلم یؤثر ذلک عند الملک الناصر، و جری ما هو مشهور و کان الملک الصالح عماد الدین ملکا شهما متیقظا محسنا إلی جنده و حاشیته و غلمانه، کثیر التحمل حکی لی أسد الدین بن الصعلوک فی

العشر الآخر من المحرم سنه إحدى و تسعين و ستمائه بقلعه بعلبک ما معناه أن الملک الصالح عماد الدين اسماعيل رحمه الله کان عنده حلم کثير و مداراه و صفح، و کرم فمن ذلک أنه کان فی حلقه دمشق رجل معبر يعرف بالفخر سرکيس، و کان ممن خدم الملک المعظم عيسی، و بقی إلی أن ملک الملک الصالح دمشق، و کان يطلق لسانه فی حقه عند من يثق به من أصحابه و يقول: بلينا بعد خدمه الملک المعظم بخدمه هذا المنيکيح اسماعيل، و تکرر هذا القول منه، فبلغ الملک الصالح فلما حضر سرکيس السماط طلبه الملک الصالح و أقعده إلی جانبه، و ناوله الزبديه بيده و وانسه فی الحديث ثم قال: يا فخر الدين کيف أنت مع المنيکيح اسماعيل؟ فقام و قال: ياخوند العفو قتلتنی قطعت ظهری، قال: لا تخف و الله ما عليک بأس و لا أثر کلامک فی خاطری شيئا، و أنا لک علی ما تحب، فشرع فی الحلف و الاعتذار فقال: و الله يا فخر الدين إن طلبت منی أننی أکون مثل المولی الملک المعظم رحمه الله، أو مثل بعض مماليکه و الله تظلمنی، و الله ما أنا عند نفسی مثل أحد مماليکه الکبار إلا دون ذلک، و أما منيکيح فوالله ما نکحنی أحد، فشرع سرکيس يلطم علی وجهه، و هو يسکته، ثم خلع عليه فرجيته التی کانت علی أکتافه فهی تساوی فوق ألفی درهم، فقام و هو طائر العقل، و بقی مع ذلک مده يلطم وجهه و يلعن نفسه، و يدعو للملک الصالح رحمه الله تعالی و لما دخل القاهره و صحبته الملک الناصر صاحب حلب، و جری ما هو مشهور أخذ و طلع الملک المعز القلعه و الملک الصالح معه و اعتقل بدار بالقلعه، فلما کان ليله الأحد السابع و العشرين من ذی القعده سنه ثمان و أربعين و ستمائه أتی عز الدين أيبک الرومی الصالحی فی جماعه من الترک ليلا إلی الدار التی فيها الملک الصالح، و أمره أن يرکب معهم، و کان مع غلمانه يمص قصب السکر، فرکب معهم و معهم مشعل، و مضوا به إلی باب القلعه التی تلی القرافه، و أطفوا المشعل، و خرجوا من الباب فکان آخر العهد به، فقيل و الله أعلم أنه خنق و دفن مکانه، و قيل إنهم خنقوه ثم فارقوه و هم يظنون أنه قد مات و لم

يكن مات، و رأته هناک امرأه فمضت إليهم و أخبرتهم أنه حى، فعادوا إليه و خنقوه، و هكذا فعل بابن أخيه الملک الجواد سير إليه من خنقه و فارقه ثم أقام فأمر بخنقه فجوزى بذلک، و كان خنقه فى سنه إحدى و أربعين و ستمائه بدار عمه الملک الصالح بدرب الشعارين داخل باب الجابيه و عمره مقدار سبعين سنه رحمه الله تعالى.

منكورس بن عبد الله الفارقانى

، الأمير ركن الدين كان رجلا خيرا مشكور السيره مجتهدا فى الغزاه، و حضر حصار طرابلس و هو متسلم منجنيق فطلع على الستاره يحذر من عنده فأصابه حجر منجنيق من طرابلس فقتله، رحمه الله تعالى، و استشهد فى ربيع الأول و دفن ظاهر طرابلس عند قبور الشهداء، و أظنه منسوبا إلى الأمير شمس الدين سنقر الفارقانى الظاهرى رحمه الله تعالى ...

سنان بن سلمان بن محمد أبو الحسن البصرى مقدمهم

، و قد ذكره الصاحب كمال الدين عمر بن العديم رحمه الله فى تاريخ حلب فقال:

سنان بن سلمان بن محمد بن أبى الحسن البصرى صاحب الدعوه النزاريه و متولى حصون الإسماعيليه، قدم حلب عند اجتيازه إلى الحصون، و انقادت له الطائفه الاسماعيليه ما لم ينقادوا إلى غيره، و تمكن ما لم يتمكن غيره، و له شعر حسن و كلام منثور جيد، من شعره:

قال: أنشدنى بهاء الدين الحسن بن إبراهيم بن الخشاب، قال: أنشدنى شيخ من الاسماعيليه، قال: أنشدنى سنان لنفسه و سمعتها من لفظه:

ما أكثر الناس و ما أقلهم و ما أقل فى القليل النجبا

ليتهم إذا لم يكونوا خلقوامهذبين صحبوا مهذبا

قال كمال الدين عمر بن العديم رحمه الله: و قرأت على ظهر كتاب لسنان صاحب الدعوه:

ألجأنى الدهر إلى معشرما فيهم للخير مستمع

إن حدثوا لم يفهموا سامعاأو حدثوا مجوا و لم يسمعوا

تقدمى أخرنى فيهم من دينه الإحسان ما يصنع

و قال رحمه الله: أنشدنى عبد العزيز بن سالم بن محمد الحرانى، قال:

أنشدت لسنان صاحب الدعوه النزاريه:

لو كنت تعلم ما علم الورى طرا لكنت صديق كل العالم

لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواک ليس بعالم

فاستحى إن الحق أصبح ظاهراعما تقول و أنت شبه النائم

حكى سعد الدين عبد الكريم رسول الاسماعيليه قال: حكى سنان صاحب الدعوه قال: لما قدمت الشام اجتزت بحلب فجئت إلى المسجد الخارج برا باب الجنان، يعرف بمشهد على فصليت العصر، و ثم رجل شيخ مسن، فسألته من يكون الشيخ، فقال من صبيان حلب، فلما قال لى ذلک لم أتكلم معه بكلمه واحده بعد ذلک.

قال: و أخبرنى علم ابن أبى الهوارى أن الملک الناصر سير إليه رسولا و فى رسالته تهديد له، فقال للرسول سأريک الرجال الذين ألقاه بهم، و أشار إلى جماعه من أصحابه بأن يلقوا أنفسهم من أعلى الحصن فألقوا نفوسهم واحدا بعد واحد فهلكوا. قال: و بلغنى أنه أحل لهم و طى ء أمهاتهم و أخواتهم و بناتهم، و أسقط عنهم صوم شهر رمضان، و سموا أنفسهم الصفاه.

قال: و أخبرنى شيخ من أهل الجزر ممن أدرک سنانا أن سنانا كان من أهل البصره و كان معلما يعلم الصبيان، و أنه مر و هو صاعد إلى الحصون على حمار أبيض حين ولاه إياها صاحب ألموت، فمر بأقساس فأراد أهلها أخذ حماره فبعد جهد تركوه، و بلغ من أمره ما بلغ، و كان يظهر لهم التنسک حتى انقادوا إليه، فأحضرهم يوما و أوصاهم و قال لهم:

عليكم بالصفاء بعضكم لبعض، و لا يمنعن أحدكم أخاه شيئا هو له، فنزلوا إلى جبل السماق، و قالوا قد أمرنا بالصفاء و أن لا يمنع أحدنا صاحبه شيئا هو له، يأخذ هذا زوجه هذا، و هذا بنت هذا سفاحا، و سموا أنفسهم الصفاه، فاستدعاهم سنان إلى الحصون و قتل منهم مقتله عظيمه.

و قال الصاحب كمال الدين: قرأت بخط أبى غالب بن الحصين فى تاريخه: و فيه لعشرين محرم سنه تسع و ثمانين و خمسمائه هلک سنان بن سلمان صاحب الدعوه النزاريه بالشام، و كانت وفاته فى حصن الكهف، و كان رجلا عظيما خفى الكيد، بعيد الهمه، عظيم المخاريق، ذا قدره على الإغراء، و خديعه القلوب، و كتمان السر، و اتقاء الأعداء و استخدام الطغام، و الغفله فى أغراضه الفاسده، و أصله من قريه من قرى البصره تعرف بعقر السدن، و خدم رؤساء الإسماعيليه بألموت، و راض نفسه بعلوم الفلاسفه، و قرأ كثيرا من كتب الجدل و المغالطه، و من رسائل إخوان الصفاء و ما شاكلها من الفلسفه الإقناعيه المسوقه غير المبرهنه، و بنى بالشام حصونا لهذه الطائفه، بعضها مستجده و بعضها كانت قديمه، فاحتال فى تحصيلها و تحصينها، و توعير مسالكها، و سالمته الأيام، و حاذر الملوک التعرض لما فى يده خوفا من هجوم أصحابه عليهم بالقتل، و دام له الأمر بالشام نيفا و ثلاثين سنه، و سير إليه داعى دعاتهم من ألموت جماعه فى عده مرار ليقتلوه خوفا من استبداده عليه بالرئاسه، و كان سنان يقتلهم، و منهم من يخدعه فيثنيه عما سير لأجله، و ولى مكانه الاسماعيليه رئاستهم رجلا من دعاتهم يعرف بأبى منصور بن محمد.

و قال الصاحب كمال الدين: قرأت بخط الحسين بن على بن الفضل الدارى فى تاريخه: حدثنى الحاجب معين الدين مودود أنه حضر عند الاسماعيليه فى سنه اثنتين و خمسين و خمسمائه، و أنه خلا بسنان و سأله عن سبب كونه فى هذا المكان أصله مع وجود الخلوه منه؟ فقال: إننى

نشأت بالبصره، و كان والدى من مقدميها، فوقع هذا الحديث فى قلبى فجرى لى مع إخوتى أمر أحوجنى إلى الانصراف عنه، فخرجت بغير زاد و لا مركوب، فتوصلت حتى بلغت إلى الألموت فدخلتها و بها الكيا محمد متحكم، و كان له ولدان اسماهما: الحسن، و الحسين، فأقعدنى معهما فى المكتب، و كان يبرنى ببرهما و يساوينى بهما بما يجب من بر الأولاد و تعليمهم، و كسوتهم، و بقيت حتى مات الكيا محمد و تولى بعده الحسن ولده، فتقدم إلى بأن أنفذنى إلى الشام، فخرجت مثل خروجى من البصره فلم أقارب بلدا إلا فى القليل، و كان قد أمرنى بأوامر و حملنى رسائل، فدخلت الموصل و نزلت مسجد النجارين، و بت به و سرت من هناک لم أدخل بلدا إلى الرقه، و كان معى رساله إلى بعض الرفاق بها فأديت الرساله و زودنى و اكترى لى بهيمه و أنفذنى إلى الكهف، و كان الأمر أن أقيم بهذا الحصن، فأقمت حتى توفى الشيخ أبو محمد فى الجبل، و كان صاحب الأمر، فتولى بعده الاخواجه على بن مسعود بغير نص إلا باتفاق بعض الجماعه، ثم اتفق الرئيس أبو منصور ابن أخت الشيخ أبى محمد و الرئيس فهد فأنفذوا من قتله و أودعوا السجن، و وصل الأمر من ألموت بقتل قاتله، و إطلاق الرئيس فهد و معه وصيه و أمر أن يقرأها على الجماعه، و هذه نسخه المكتوب:

هذا عهد عهدناه إلى الرئيس ناصر الدين سنان، و أمرناه بقراءته على سائر الرفاق و الإخوان: أعاذكم الله جميع الإخوان من اختلاف الآراء و اتباع الأهواء، إذ ذاک فتنه الأولين، و بلاء الآخرين، و فيه عبره للمعتبرين، من تبرأ من أعداء الله و أعداء وليه و دينه عليه موالاه أولياء الله، و الائتمار بالوحده سنه، جوامع الكلم كلمه الله و التوحيد و الإخلاص، لا إله إلا الله عروته الوثقى و حبله المتين، ألا فتمسكوا به و اعتصموا عباد الله الصالحين فيه صلاح الأولين و فلاح الآخرين الذين

نجا بهم السَّابِقُونَ* أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ(1)، الآخرون الأولون، وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُکُمْ(2).

أجمعوا آرائکم لتعلم شخص معين بنص من الله و وليه، و أهواءکم بطاعته، و تلقوا ما يلقيه إليکم من أوامره و نواهيه بقبول حسن، فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَکِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً(3) فذلک الائتمار به الوحده التی هی آيه الحق المنجيه من المهالک، المؤديه إلى السعاده السرمديه، إذ الكثره علامه الباطل المؤديه إلى الشقاوه المخزيه، و العياذ بالله من زواله، و بالواحد من آلهه شتى، و بالوحده من الكثره، و بالنص و التعليم من الآراء و الأهواء المختلفه، و بالحق من الباطل، و بالآخره الباقيه من الدنيا الملعونه، الملعون ما فيها إلا ما أريد به وجه الله، ليكون علمكم و عملكم خالصا لوجهه الكريم، طوبى لمن توجه إليه بقلب عن الشبهات و المشاغلات يرتقى، و رمى فى النور القديم و السرور العظيم إلى الملكوت الأعلى، و على مقعد الصدق، عند ذى العرش المتين استوى. هنا كل جوار الرحمن و جَنَّهُ الْمَأْوى(4) لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا(5) يا قوم إنما دنياكم ملغيه لأهلها، وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى(6)، و الحياه الدنيا لهو و لعب، فلا يغرنكم موبقات زخارفها، و لا يهولنكم معظمات تصاريفها، فعما قليل لتقدمنها، عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ(7).

فكيف إذا راحت الأباطيل، و زالت التعاليل، وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ

1- سوره الواقعه- الآيتان: 10- 11.
2- سوره الأنفال- الآيه: 46.
3- سوره النساء- الآيه: 65.
4- سوره النجم- الآيه: 15.
5- سوره الكهف- الآيه: 15.
6- سوره البقره- الآيه: 197.
7- سوره المؤمنون- الآيه: 40.

الْحَناجِرَ(1)، و ترقرقت المناظر، و قامت عليها القيامه بالحسره و الندامه، إذ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ(2)، و لا ينفعها مالٌ وَ لا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(3) يا قوم تأهبوا للرحيل قبل يوم الرحيل، إذ العمر قصير، و العمل قليل، و الأمل طويل، و لا ينفع الجزع و كثره العويل، يوم تقوم الداهيه على ساق، و ينادى منادى الحق و الميثاق، و يدعو أدعيات الفراق، إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ(4)، ليوم الفصل و ميعاد الملاق، إنما نحن بالله و إليه مرجعنا و مآبنا عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ(5)، أطيعوا رحمكم الله أميركم، و لو كان عبدا حبشيا فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ(6) إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَهٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي(7)، وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ(8).

و قال كمال الدين رحمه الله: كتب إلى الثقه يوسف بن لؤلؤ يذكر أنه وقعت إليه أوراق من أخبار بنى منقذ، رأى فيها كتاب سنان إلى سابق الدين عمار ابن الدايه صاحب شيزر يعزيه عن أخيه شمس الدين صاحب قلعه جعبر منها:

إن المنايا لا يطأن بمنسم إلا على أكتاف أهل السؤدد

فلئن صبرت فأنت سيد معشرصبروا و إن تجزع فغير مفند

هذا التناصر باللسان و لو أتى غير الحمام أتاك نصرى باليد

1- سوره الأحزاب- الآيه: 10.
2- سوره الأنعام- الآيه: 158.
3- سوره الشعراء- الآيتان: 88- 89.
4- سوره القيامه- الآيه: 30.
5- سوره هود- الآيه: 88.
6- سوره النجم- الآيه: 32.
7- سوره يوسف- الآيه: 53.
8- سوره النور- الآيه: 21.

و هذه الأبيات تمثل بها سنان فى كتابه و هى لأبى تمام الطائى(1).

و قال كمال الدين رحمه الله: وقعت لى رساله ذكر أن سنانا كتبها إلى نور الدين محمود بن زنكى، و الصحيح أنها إلى صلاح الدين:

يا ذا الذى بقراع السيف هددنالا قام مصرع جنبى حين تصرعه

قام الحمام إلى البازى يهدده و استيقظت لأسود البر أضبعه

أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله و جمله، و علمنا ما هددنا به من قوله و عمله، و بالله التعجب من ذبابه تطن فى أذن فيل، و بعوضه تعض فى التماثيل، و لقد قالها من قبلک قوم آخرون فدمرنا عليهم و ما كان لهم ناصرون، أو للحق تدحضون و الباطل تنصرون وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(2). و لئن صدر قولک فى قطع رأسى و قلعک لقلاعى من الجبال الرواسى، فتلک آمال كاذبه و خيالات غير صائبه، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، و إذا عدنا إلى الظواهر و المحسوسات و عدلنا عن البواطن و المقولات فلنا فى رسول الله أسوه حسنه لقوله: «ما أوذى نبى ما أوذيت»(3)، و قد علمتم ما جرى على عترته، و أهل بيته و شيعته، و الحال ما حال و الأمر ما زال و لله الحمد فى الآخره و الأولى، إذ نحن مظلومون لا ظالمون و مغصوبون و لا غاصبون و إذا جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً(4). و قد علمتم ظاهر حالنا و كيفيه رجالنا و ما يتمونه فى الفوت و يتقربون إلى حياض الموت قل فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

1- انظر ديوان أبى تمام- ط. دار المعارف، القاهره ج 4 ص 62- 63 مع فوارق.
2- سوره الشعراء- الآيه: 227.
3- انظر كنز العمال، الأحاديث: 3261، 5817- 5818.
4- سوره الإسراء- الآيه: 81.

صادِقِينَ(1). و فى أمثال العامه السائره: «أو للبط تهددون بالشط»، فهى ء للبلايا أسبابا و تدرع للرزايا جلبابا. فلأظهرن عليک منک، و لأنتقمن منک عندک، و تکون کالباحث عن حتفه بظلفه، وَ ما ذلِکَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ(2). فإذا وقفت على کتابنا هذا فکن لأمرنا بالمرصاد، و من حالک على اقتصاد، و اقرأ أول النحل و آخر صاد و السلام.

قال الصاحب کمال الدين رحمه الله: و أنشدنى شرف الدين ابن الحنفى البيت الأول و هو:

يا للرجال لأمر هال مفظعه ما مر قط على سمعى توقعه

قام الحمام إلى البازى يروعه و شمرت فى طلاب الأسد أضبعه

يا ذا الذى بقراع السيف هددنى لا قام مصرع جنبى حين تصرعه

و من يسد فم الأفعى بأصبعه فهو الخبير بما تلقاه أصبعه

و قال الصاحب کمال الدين: أخبرنى النجم محمد بن إسرائيل قال:

أخبرنى المنتجب ابن دفتر خوان صلاح الدين، و کان أبوه دفتر خوان نور الدين قال: أرسلنى صلاح الدين إلى سنان زعيم الاسماعيليه حين وثبوا على صلاح الدين المره الثالثه بدمشق، و معى القطب النيسابورى و أرسل معى تهديدا و تخويفا حاصله: إنى أقتلک بسيفى، أو قال بيدى، و کتب کتابا إليه، قال: فلم يجبه عن الکتاب بل کتب من شعره أبياتا على طره الکتاب الوارد إليه و قال لنا: هذا جوابکم، و الأبيات:

جاء الغراب إلى البازى يهدده و نبهت لصراع الأسد أضبعه

يا من يهددنى بالسيف خذه و قم لا قام مصرع جنبى حين تصرعه

يا من يسد فم الأفعى بإصبعه يکفيک ما لقيت من ذاک إصبعه

ثم قال: إن صاحبک، يحکم على ظواهر جنده، و أنا أحکم على

1- سوره البقره- الآيه: 94.
2- سوره إبراهيم- الآيه: 20.

بواطن جندى و قلوبهم، و دليلى ما تشاهده الآن، ثم استدعى عشره من صبيان القاعه و كان على حصنه المنيف المسمى الكهف، فيه باب ريح إلى الخندق، و استخرج سكينا من تحت مصلاه و ألقاها فى الباب ثم أشار إليهم و قال: من أراد هذه فليلق نفسه خلفها، فتبادروا جميعا وثبوا خلفها فتقطعوا على الصخر قطعا، قال: فعدنا إلى الملک الناصر و عرفناه ما جرى فصالحه عند ذلک.

و حدثنى أخى رحمه الله أنه سير رسولا إلى صلاح الدين رحمه الله و أمره أن لا يؤدى رسالته إلا فى خلوه، ففتشه فلم يجد معه ما يخافه، فأخلى له المجلس و لم يبق إلا نفر يسير و طلب منه أداء الرساله. فقال:

أمرنى مخدومى أن لا تؤدى رسالته إلا فى خلوه.

فأخلى المجلس و لم يبق سوى مملوكين فقال: قل رسالتک، فقال:

أمرت أن لا أقولها إلا فى خلوه، فقال: هؤلاء ما يخرجوا من عندى، فإن أردت أن تذكر رسالتک، و إلا ارجع، فقال: لم لا تخرج هؤلاء كما أخرجت غيرهم؟ قال: لأن هؤلاء عندى مثل أولادى، و أنا و هم شى ء واحد، فالتفت الرسول إليهما و قال لهما: إذا أمرتكما عن مخدومى بقتل هذا السلطان تقتلوه؟ قالا: نعم و جذبا سيفيهما و قالا: مرنا بما شئت، فبهت السلطان صلاح الدين رحمه الله و خرج الرسول و أخذهما معه.

فعند ذلک جنح صلاح الدين رحمه الله إلى صلحه و الدخول فى مرضاته و الله سبحانه أعلم.

[أحداث]لسنه التاسعه و الثمانون و ستمائه

[إرسال طرنطاى إلى الصعيد]

استهلت هذه السنه يوم الأحد و الخليفه و الملوک على القاعده المستقره: الملک المنصور سيف الدين رحمه الله بقلعه الجبل من الديار المصريه إلى أوائل هذه السنه جهز الملک المنصور رحمه الله الأمير سيف الدين طرنطاى كافل المملكه إلى الصعيد و مع الأمير جنده من الأمراء

فسكن تلک الناحيه، و أخذ خلقا و جماعه من أعيانهم رهائن و أخذ جميع أسلحتهم و خيولهم و معظم سلاحهم السيوف و الجواشن و الرماح، و أحضر من ذلک إلى قلعه الجبل عده أحمال جمال و فرق الخيول فيمن معه من العساكر، و أودع الرهائن الحبوس، و جعل السلاح فى الزردخاناه، و فيها عاد الأمير عز الدين أيبک الأفرم من بلاد السودان بمغانم كثيره، و رقيق كثير من النساء و الرجال، و قتل صعبر.

و فى سلخ المحرم وصل ركب الحجاج إلى دمشق سالمين، و أخبروا بكثره الماء و رخص الزاد، و مرت الجمال و وقفوا فى حجهم حائرين، لأن القاضى جلال الدين ابن القاضى حسام الدين حاكم الركب حدد أن أول ذى الحجه الخميس، و لم يوافقه الشيخ محمد الطبرى شيخ مكه و فقيه الحجاز على ذلک، و قال أول الشهر الجمعه.

[دروس لعلماء دمشق فى مدارسها]

و فى سادس و عشرين المحرم ذكر القاضى علاء الدين ابن قاضى القضاه تاج الدين ابن بنت الأعز الدرس بالمدرسه الظاهريه عوض رشيد الدين الفارقى رحمه الله، و فى ربيع الآخر ذكر الشيخ صفى الدين الهندى- رحمه الله تعالى- الدرس بالمدرسه الرواحيه، و فى يوم الأربعاء ثامن و عشرين منه ذكر تقى الدين ابن القاضى محيى الدين ابن الزكى الدرس بالمدرسه التقويه و عليه الخلعه بالطيلسان.

و فى ثانى جمادى الآخره ذكر بدر الدين ولد القاضى عز الدين محمد بن الصايغ الدرس بالمدرسه الظاهريه عوض رشيد الدين الفارقى، رحمه الله.

و فى ثانى جمادى الآخره ذكر بدر الدين ولد القاضى عز الدين محمد ابن الصايغ الدرس بالمدرسه العماديه بحضره قاضى القضاه و الأعيان.

و فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى عاد الأمير شمس الدين المشد من الديار المصريه إلى دمشق، و تلقاه الناس، و قيل أنه أضيف إليه شد الفتوحات.

و فى مستهل جمادى الآخره، يوم الأحد كتب توقيع قاضى القضاه شرف الدين حسن الحنبلى بالقضاء بدمشق من نائب السلطنه، بعد مشاوره السلطان، و قرى ء بجامع الجبل يوم الاثنين ثانى الشهر، و لبس الخلعه البيضاء، و دخل البلد و حكم، و درس بدار الحديث الأشرفيه.

و فى جمادى رتب زين الدين عمر بن مكى، المعروف بابن المرحل إماما بجامع دمشق، و خطيبا عوض جمال الدين عبد الكافى- رحمه الله- و صلى بالناس يوم الأحد مستهل جمادى الآخره، فكرهه بعض الناس، و قيل عنه أنه يلحن فى الفاتحه، و لا يحفظ القرآن العزيز، و استفتى عليه، و جرى فى ذلک فصول كثيره، و استمر.

و فى جمادى الآخره المذكور نزلت الأسعار، و رخصت الغلال، و فى الشهر المذكور وصل الأمير سيف الدين التقوى من الديار المصريه إلى دمشق، و معه جماعه استخدموا و أقطعوا من الأعمال الطرابلسيه، و أملاک الجبليين، قيل إنهم ستمائه فارس.

و فى جمادى الأولى بلغ السلطان الملک المنصور عن الأمير سيف الدين جرمک الناصرى ما أوجب مسكه و مسک شمس الدين ابن السلعوس، و حبسهما و عقوبتهما، أما جرمک فاستمر فى الاعتقال إلى حين وفاه الملک المنصور، و أما شمس الدين ابن السلعوس فأفرج عنه بعد مده يسيره، و لزم بيته إلى حين خروج الناس إلى الحجار الشريف، فتوجه من الديار المصريه.

و فى ثالث و عشرين من جمادى باشر وجيه الدين محمد بن المنجا نظر الجامع بدمشق.

و فى السادس و العشرين منه رسم على ناصر الدين محمد بن المقدسى، و سنذكره إن شاء الله تعالى.

و فى رابع شهر رجب توجه الأمير عز الدين الموصلى من دمشق إلى غزه، و الأعمال الساحليه، نائبا هناک عوضا عن الأمير سيف الدين كرتيه.

[حریق کبیر فی حماه]

و فی الرابع و العشرین منه وقع حریق عظیم ناحیه درب اللبان، و درب الوزیر، و احترق فیه دور کثیره، و ذهب للناس أموال جمه، و لم یزل الحریق یعمل طوال تلک اللیله، و طول النهار إلی آخره.

و فی شعبان اشتد الحر بحماه، حتی شوی اللحم علی بلاط الجامع، و هذا لم یعهد مثله، و وقع فی دار صاحب حماه نار فاحترقت، و کان صاحب حماه فی الصید، و أرسل الله الریاح، فاشتد عملها، و لم یتجاسر أحد علی دخولها، فاحترقت و جمیع ما فیها، و أقامت النار تعمل یومین و شی ء، و لا یقدر أحد أن یتقدم إلیها خوفا من صاحبها، فاحترق فیها من الأقمشه، و الأمتعه، و الذخائر، و السلاح، و الکتب، و غیر ذلک ما لا یحصی کثره.

[قتل جماعه من المسلمین فی عکا]

و ورد کتاب السلطان من الدیار المصریه أن لا یستخدم فی دواوینه أحد من الیهود و النصاری فلم یعمل به، و وصل کتابه فی التاریخ أیضا بإطلاق المحبسین فأطلقوا، و فی سادس و عشرین شعبان ذکر إمام الدین قاضی قونیه الدرس بمدرسه أم الملک الصالح اسماعیل رحمه الله تعالی، و فی شعبان ثار جماعه من الفرنج بعکا و قتلوا خلقا کثیرا من المسلمین کانوا قدموا للمتجر، و قیل إن ذلک إنما فعله أقوام غرب غتم قدموا عکا و أن فعلهم لم یکن یرضی أهل عکا. و فی یوم الاثنین سادس عشر من شهر رمضان ذکر بدر الدین أحمد بن ناصر الدین المقدسی الدرس بالمدرسه الرواحیه. و فی شوال توجه الأمیر شمس الدین المشد إلی وادی هونین لقطع أخشاب المجانیق، فقطع منها ما یقصر الوصف عن عظمه، و جرها إلی دمشق و وجد الناس من ذلک مشقه عظیمه و کلفه کثیره بحیث قال لی بعض من کان فی خدمته من الولاه، و قد استحسنت عودا منه فقال: و الله غرم علیه فوق الخمسین ألف درهم.

و فی ثامن شوال خرج المحمل من دمشق متوجها إلی الحجاز الشریف، و کان الملک المنصور سیف الدین رحمه الله قد عزم الحج فی

هذه السنه، فلما بلغه ما فعل أهل عكا بمن كان بها من المسلمين غضب لذلک غضبا شديدا، و رأى أن يقدم غزوهم و الانتقام منهم على الحج، و أخذ فى تجهيز العساكر و البعوث لمضايقتها و ضرب الدهليز ظاهر القاهره و بابه إلى جهه عكا، و خرج إلى الدهليز و هو متوعک لأيام خلت من شوال، و توفى فى ذى القعده، و سنذكره إن شاء الله تعالى.

و فى يوم الأربعاء ثانى عشر شوال ذكر شمس الدين محمد بن قاضى القضاه بهاء الدين الدرس بالمدرسه العزيزيه بحكم مشاركته لأعمامه، و فى شوال أيضا وصل الأمير عز الدين الأفرم من الديار المصريه إلى دمشق، و دخل القلعه لوقته و أخرج المجانيق إلى الميدان.

[وفاه السلطان قلاوون]

و فى تاسع عشر ذى الحجه وصلت الأخشاب التى من وادى هونين إلى سطح المزه، و سخر الناس لجرها إلى الميدان، فورد الخبر عند ذلک بوفاه السلطان الملک المنصور سيف الدين رحمه الله تعالى، و للوقت أمسک الأمير بدر الدين المسعودى، و احتيط على ما يتعلق بالأمير حسام الدين طرنطاى رحمه الله تعالى.

[قتل طرنطاى لاتهامه بموت قلاوون و تولى الأشرف خليل السلطنه]

و فى أواخر ذى القعده أمسک الملک الأشرف الأمير حسام الدين طرنطاى و الأمير ركن الدين كتبغا و اعتقلهما، أما الأمير حسام الدين فعاقبه إلى أن مات، و أما الأمير زين الدين فاعتقل مكرما، و بقى مده ثم أفرج عنه ورد إلى مكانته، ثم أعقب ذلک وصول الأمير سيف الدين بهادر رأس النوبه لتحليف الأمراء و الخلع عليهم و خطب الملک الأشرف صلاح الدين خليل على منبر دمشق يوم الجمعه تاسع عشر ذى القعده.

و فى ثامن عشر ذى الحجه وصل الأمير شمس الدين قرا سنقر الحسامى و على يده تقليد لمخدومه بنيابه السلطنه على ما هو عليه و زياده على خبزه حرستا، و أعطى لسنقر خبزه عشره أرماح، و ورد المرسوم بإبطال ما كان جدد على جبل الصالحيه من المكوس، و ورد المرسوم لتاج

الدين أحمد ابن الشيرازى بوكاله بيت المال و خلع عليه، و ذلک مضافا إلى حسبه دمشق و نظر الخاص.

و فى ذى الحجه حضر الأمير بدر الدين بكتوت العلائى من حمص إلى دمشق، و توجه إلى الديار المصريه حسبما رسم له، و فى خامس و عشرين منه وصل الملک المظفر صاحب حماه إلى دمشق، و نزل بداره داخل باب الفراديس، و سافر يوم الأحد سابع عشر منه إلى الديار المصريه ...

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى: ...

طرنطاى بن عبد الله أبو سعيد حسام الدين المنصورى

الأمير الكبير أوحد أهل عصره و فريد دهره، لم يكن له نظير فى معرفته و ذكائه و فطنته و شجاعته، و إقدامه، و حسن تدبيره و سياسته للأمور و خبرته بها، مع السطوه المفرطه، و المهابه الشديده، و تنقلت به الأحوال كان فى أول أمره مملوكا لأحد أولاد الموصلى، كاتب الدرج بالديار المصريه، ثم اشتراه الملک المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله من سيده، فلما رأى منه مخايل النجابه ترقى عنده، و جعله أستاذداره، فرأى منه ما أرضاه من الكفايه، فصار هو المستولى عليه لا يخرج عن رأيه فى جليل الأمور و حقيرها، و هو عنده فى أعلى المراتب، فلما أفضت السلطنه إلى الملک المنصور رحمه الله، كان هو المدبر للدوله و نائب السلطنه فى سائر الممالک، و أمره نافذ فى الأقطار، و كان له فى مصاف التتار فى حمص سنه ثمانين و ستمائه أمر عظيم، كان أحد أسباب النصر، و لم يكن الملک المنصور رحمه الله يفارقه إلا لضروره يعلم أن غيره لا يقوم مقامه، فسيره إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر رحمه الله تعالى انتزع منه صهيون و برزيه، و أحضره إلى الديار المصريه، و سيره إلى الصعيد فى أواخر السنه الخاليه فدوخه و أصلح أحواله، و عاد فى أوائل هذه السنه و استفاد أموالا عظيمه و أملاكا جليله، و بنى مدرسه حسنه بقرب داره بخط البندقانئين بالقاهره، و قبه برسم الدفن، و وقف على الأسرى

و غیرهم، و لما أفضت السلطنه إلی الملک الأشرف رحمه الله، بعد موت والده کان استبقاه أیاما إلی أن رتب أموره و دبر أحواله و استقل فی السلطنه، و رسخ قدمه فیها، فأمسکه و کان فی نفسه منه، فبسط علیه العذاب إلی أن مات شهیدا رحمه الله تعالی.

و حکی أنه صبر صبرا لم یعهد مثله بحیث عصر إلی أن هلک، لم یسمع منه کلمه کما جرت العاده لمن یبتلی بمثل هذا، و کان بینه و بین الأمیر علم الدین سنجر الشجاعی من العداوه، و المنافسه علی الرتبه علی هو مشهور، فقیل إن الملک الأشرف سلمه إلی الشجاعی أن یعذبه، فتنوع فی عذابه إلی أن مات رحمه الله تعالی و حمل إلی زاویه الشیخ عمر المسعودی فغسلوه و کفنوه و دفنوه ظاهر الزاویه، و حکی لی نفر من أهل الزاویه المذکوره ما معناه أنه لما حملوه إلیهم کان له رائحه منکره لا یستطیع أحد الدنو منه إلا بمشقه، و أنهم لما غسلوه وجدوه قد تهرأ و تزایلت أعضاؤه، و أن جوفه کان مشقوقا فرحمه الله و عفا عنه، فلقد کان معدوم النظیر و لو لا شحه و بذاءه لسانه لکان أوحد أهل زمانه، و خلف أموالا جمه قیل أنه خلف من العین المصری ألف ألف دینار و ستمائه ألف ألف دینار، و من الحوائص الذهب و الکلوتات المزرکشه و الأوانی الذهبیه و الفضیه و الأسلحه، و الأقمشه و المتاجر، و الخیول المسومه و الجمال و البغال و الممالیک، و الجواری و الجواهر و الأملاک ما لا یحصی.

قال الشیخ تاج الدین الفزاری: حدثنی تاج الدین ابن الشیرازی المحتسب أنهم وجدوا فی خزانه طرنطای ألف ألف دینار، و أربعمائه ألف دینار، و ألفی حیاصه ذهب، و ألف و سبعمائه کلوته مزرکشه، و من الدراهم ما لا یحصی، فاستولی الملک الأشرف علی مجموع ذلک و فرقه و أذهبه فی أیسر مده إسرافا و تبذیرا، و أفضی الحال بأولاده و من بقی من حرمه إلی أنهم بقوا لا قوت لهم إلا ما یسیره لهم بعض الناس علی سبیل البر و الصله، إن فی ذلک لعبره. و توفی إلی رحمه الله تعالی و لم یبلغ الخمسین سنه من العمر و الله أعلم.

طيبرس بن عبد الله الأمير علاء الدين الصالحى، المعروف بالوزيرى،

أحد الأمراء المشهورين و الكبراء المذكورين، و الشجعان له التقدم فى الدول و الوجاهه التامه، و لم يزل على ذلک إلى أن توفى هذه السنه رحمه الله تعالى ...

قلاوون بن عبد الله أبو المعالى

الملک المنصور سيف الدين، كان من مماليک الملک الصالح نجم الدين أيوب، و كان من صغره شهما مقداما حازما خبيرا بالأمور و التجارب، و لم يزل الدهر ينتقل من حيز إلى حيز إلى أن تقدم إلى الدوله الظاهريه، و لما أن رأى السلطان الظاهر منه من الكفايه و الخيره و التقدم جوز ولده الملک السعيد بنته غازيه خاتون، و عمل لها عقد لم يعمل لغيرها بناء على استمرار مودته لولده من بعده، فلم يؤثر حزم الملک الظاهر فى ذلک، فلما توفى الملک الظاهر استقر السعيد مده يسيره ثم صرفه [بعد ما] حصره فى قلعه الجبل، ثم قرر أخاه الملک العادل سلامش و بقى فى الأتابكيه مده يسيره، ثم صرفه عن السلطنه و وقع الاتفاق على سلطنته يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب سنه ثمان و سبعين و ستمائه، فأمر و نهى و قطع و أبر، و طاعته العباد، و كان ثابتا لا يتكلم فيما لا يعنيه، و كان قد استولى عليه الأمير حسام الدين طرنطاى و المولى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر، لا يخرج عن رأيهما، و خرج إلى الشام عده مرار، منها الحركه خروجه من القاهره و نزوله بظاهر حمص جوار قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه فى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب سنه ثمانين و ستمائه للقاء التتار المخذولين، و كانوا على ما تواترت به الأخبار عنهم فى نحو تسعين ألفا، بعد أن هربت جماعه من المسلمين فى ابتداء الحال، و أرجفوا أهل دمشق و غيرها، ثم وردت أخبار النصر فى صبيحه يوم السبت سادس عشر عندما قوى الإرجاف، و كاد الناس يهلكون، و لطف الله تعالى، و زينت دمشق فى ذلک اليوم.

قال المولى شهاب الدين محمود الكاتب: أخبرنى من لا أتهم ممن كان

مع السلطان فى ذلک اليوم أنه ربما بقى فى دون المائه فارس من المسلمين، و هو ثابت لا يتحرک، و أخبرنى أن المائه فارس من المسلمين كانت تحمل على الألف من التتار فتأخذهم و تطردهم، و أن المصاف كان من الثالثه من اليوم المذكور إلى قريب الغروب.

و أخبرنى غير واحد أن العرب أخذوا فى ذلک اليوم فوق الثلاثين ألف فرس و أنهم فعلوا فى مقاتله العدو ما لم يسمع مثله، و تواترت الأخبار بأن الذى قتل منهم فوق الأربعين ألف، و كان دخول المنصور دمشق يوم الجمعه ثانى عشر رجب من السنه المذكوره، تلقاه أهل البلد بالشموع.

و لما توجه إلى حصار عكا فى ذى القعده فما نزل عن فرسه بالدهليز المنصوب له بمسجد التبر إلا و هو محموم، فبقى أياما ثم مات، فنقل إلى قلعه الجبل، و جعل فى قاعه تعرف بقاعه الفضه، و حلف الناس لولده الأشرف.

قال الشرف القدسى: فلما مهد من الشؤون ما احتاج إلى التمهيد ظهر حينئذ أنه مات مطعونا، و المبطون شهيد فمن تأوه أظهر تحرقه، و كانت مده ملكه على المشهور تقدير إحدى عشره سنه و شهور، و ذلک أنه ملک فى رجب سنه ثمان و سبعين و استمر له من الله خير ناصر و معين ...

محمد بن كشتغدى بن عبد الله شمس الدين بن الأمير علاء الدين القشيرى

، كان حج ثم شرب الخمر، و حضر إلى بعلبک، ثم توجه إلى دمشق و استصحب معه من الزبدانى حمل خمر، فرأى فى النوم شخصين يقولان: كذبت، فقال: أتوب، فقال أحدهما: تب و إلا ضربتک بهذه الحربه، فقال: تبت توبه نصوحا، فقال له غلامه: توبتک أن تبدد الخمر عندک، فقال: نعم، فلما أفاق من النوم وجد فى نفسه تغيرا، فقال لأصحابه: ما أنا طيب النفس، فمرض أياما يسيره و مات رحمه الله تعالى ...

[أحداث]لسنه التسعون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه و الخليفه الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى، و سلطان الديار المصريه و البلاد الشاميه و ما أضيف إلى ذلک السلطان الملک الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملک المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله، و هو مقيم بالديار المصريه و نائب السلطنه عنه و كافل المملكه الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى و وزيره و مدبر دولته شمس الدين محمد بن السلعوس الدمشقى، فوض إليه الوزاره و هو فى الحجاز الشريف، و نائب السلطنه بالمملكه الحلبيه و ما أضيف إليها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، و نائب السلطنه بالفتوحات الساحليه و الأعمال الطرابلسيه، و الجبليه و القلاع الاسماعيليه، الأمير سيف الدين بلبان السلحدار المعروف بالطباخى، و نائب السلطنه بالكرک و الشويک و ما أضيف إلى ذلک الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى، و صاحب حماه و المعره الملک المظفر تقى الدين محمود ابن الملک الصالح محمد، و صاحب اليمن الملک المظفر شمس الدين يوسف بن عمر، و صاحب مكه شرفها الله تعالى الأمير نجم الدين محمد بن شيحه الحسنى.

و فيها الحوادث: فى بكره الاثنين خامس المحرم دخل تقى الدين توبه دمشق، و ولى الشد الأمير سيف الدين طوغان، و خلع عليه، و باشر يوم الأربعاء رابع عشر المحرم، و دخل الحاج يوم السبت مستهل صفر و أميرهم الزوباشى، و درس قاضى القضاه شهاب الدين النحوى رحمه الله عليه بالناصريه، عوضا عن زين الدين الفارقى بحكم محضر مثبوت يتضمن أن واقفها لما وقفها جعل التدريس للحاكم بدمشق، و حضر درسه جماعه من الأعيان، و كتب توقيعه ابن الشيخ علاء الدين ابن غانم و جاء سبعه و عشره أوصال بالحموى، و أتى فيه بالغرائب، و أعجب القاضى شهاب الدين كثيرا، و لم يكتب مثله، و صلى بجامع

دمشق فى رابع عشر صفر بالنيه على الشيخ شمس الدين الخابورى خطيب حلب توفى بها.

[الاستعدادات لفتح عكاو وقائع فتحها]

و دخل صاحب حماه دمشق عائدا من الديار المصريه، لبكره الأحد سادس عشر صفر، و وصل الأمير عز الدين الأفرم من القاهره دمشق يوم السبت سلخ صفر، لتجهيز المناجيق و الآلات إلى عكا لحصارها، و نودى بجامع دمشق قبل صلاه الجمعه بالغزاه إلى عكا، و أخرجت المناجيق فى أول ربيع الأول، و خرج الأمير حسام الدين نائب السلطنه إلى عكا يوم الجمعه العشرين من ربيع الأول، و وصل صاحب حماه إلى دمشق يوم الاثنين ثالث عشرينه بعسكره و رجاله، ثم وصل عسكر حمص، و عسكر حصن الأكراد و الطباخى فى تجمل عظيم ليتوجهوا إلى عكا، و ولى عز الدين الفاروقى مشيخه دار الحديث الظاهريه، عوضا عن فخر الدين الكرخى و باشرها يوم الأحد سادس عشر ربيع الأول، و اجتمعت القلوب، و عملت الختم بسبب عكا، فلما انصرف الناس من صلاه الجمعه ضربت البشائر على القلعه، و أوقدت الشموع و نودى بالمدينه، و دخلت الخزانه السلطانيه يوم السبت عاشر جمادى الأول، و دخل الملک الأشرف يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخر و كان يوما عظيما، و فى أوائل هذه السنه حصل الاهتمام بحصار عكا، فخرج الملک الأشرف من الديار المصريه بالعساكر فى ثالث ربيع الأول، و فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر، و هو خامس نيسان طلب و نازلها، بعد أن استدعى عساكر دمشق و الفتوحات الطرابلسيه و غيرها، و اجتمع عليها من الأمم ما لا يحصى كثره، و لم يتخلف عن شهود حصارها إلا القليل، و كان المطوعه أكثر من الجند، و من فى الخدمه، و نصب عليها من المجانيق الكبار الأفرنجيه خمسه عشر منجنيقا فيها ما يرمى بقنطار دمشقى و أكثر، و منها ما هو دون ذلک، و أما المجانيق الشيطانيه و اللعب و القرابغاشى كثير، و ثقب عده ثقوب و أنجد أهل عكا بوكر بن سيروک

صاحب قبرس بنفسه، و فى ليله قدومه عليهم أشعلوا نيرانا عظيمه لم ير مثلها، فرحا به، و أقام عندهم قريب ثلاثه أيام، ثم عاد عندما شاهد انحلال أمرهم، و عظم ما دهمهم، و لم يزل الحصار عليها، و الجد فى أمرها إلى أن تحللت عزائم من بها، و ضعف أمرهم، و اختلفت كلمتهم، و أخذت الثقوب مأخذها، و هدمت المجانيق أعالى الأبراج و الأسوار، و استشهد عليها جماعه من المسلمين رحمهم الله تعالى، و سنذكر أعيانهم إن شاء الله تعالى، فلما كان يوم الجمعه سابع عشر جمادى الأول، ركب السلطان و العساكر، و زحفوا عليها قبل طلوع الشمس، و ضربوا الكوسات، فكان لها أصوات مهوله، و حس عظيم مزعج، فحال ملازقه العساكر للأسوار هرب الفرنج، و ملكت المدينه بالسيف، و لم يمض ثلاث ساعات من النهار المذكور ألا و قد استولى المسلمون عليها و دخلوها من أقطارها، و طلب الفرنج البحر، و قتل من أدرک منهم، و لم ينج إلا نفر يسير، و نهب ما وجد من الأموال و الذخائر، و اشتمل الأسر و القتل على جميع أهلها، و عصى الديويه و الاسبتار، و استتر الأرمن فى أربعه أبراج شواهق فى وسط البلد فحصروا فيها، فلما كان يوم السبت تاسع عشر الشهر المذكور، و هو غد فتح المدينه قصد جماعه من الجند و غيرهم البرج و الدار الذى فيه الديويه، فطلبوا الأمان فأمنهم السلطان و سير لهم سنجقا فأخذوه و رفعوه على برجهم، و فتحوا الباب فصعد إليهم جماعه كبيره من الجند و غيرهم، فلما صاروا عندهم تعرض بعض الجند و العوام للنهب، و مدوا أيديهم إلى ما عندهم من النساء و الأصاغر، فغلق الإفرنج الأبواب، و وضعوا فيهم السيف فقتلوا جماعه من المسلمين و رموا السنجق، و تمسكوا بالعصيان و عاد الحصر لهم، و فى اليوم المذكور نزل من كان ببرج الاسبتار و الأرمن بالأمان على أنفسهم على يد الأمير زين الدين كتبغا المنصورى، و فى نهار العشرين من جمادى الأول طلب الديويه و من بقى فى الأبراج الأمان، فأمنهم السلطان على أنفسهم و حريمهم على أن يتوجهوا حيث شاءوا، فلما خرجوا على هذه

الجمله قتلوا منهم فوق الألفين، و أسروا مثلهم، و ساقوا إلى باب الدهليز من النساء و الصبيان و الأثاث، و كان من جمله أسباب الحنق عليهم مع ما صدر منهم بالأمس أن الأمير سيف الدين أقبغا المنصورى، أحد أمراء الشام، كان طلع إليهم فى جمله من طلع فأمسكوه، و قتلوه و عرقبوا ما عندهم من الخيول و أذهبوا ما أمكنهم إذهابه، فتزايد الحنق عليهم، و تمسک فى قتلهم و أسرهم بالشبه و المساءلات، و أخذ الجند و غيرهم من السبى و المكاسب ما لا يحصى، و لما علم من بقى منهم ما جرى على إخوانهم تمسكوا بالعصيان، و امتنعوا من قبول الأمان و قاتلوا أشد قتال، و اختطفوا خمسه نفر من المسلمين، و رموهم من أعلى البرج فسلم منهم نفر واحد، و مات الأربعه.

و فى يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى المذكور أخذ البرج الذى كان تأخر فتوحه، و هو آخر ما تبقى فى عكا، و أنزل من فيه بالأمان، و كان قد علق من سائره، فلما نزلوا منه، و حول معظم ما فيه، سقط على جماعه من المسلمين متفرجين، و من قصده للنهب فهلكوا، ثم بعد ذلک عزل النساء و الصبيان ناحيه و ضربت رقاب الرجال، و هذا عندى أنه مكافأه لفعلهم، حين أخذوا عكا من السلطان الشهيد صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، فإنهم أمنوا من بها من المسلمين فلما استولوا عليهم غدروا بهم و قتلوهم عن آخرهم، إلا نفر يسير من أعيان الأمراء استبقوهم و باعوهم بأموال عظيمه، بحيث كان الأسير منهم يباع بخمسين ألف درهم و ما فوق ذلک، فانتقم الله تعالى من هؤلاء كما فعله أولئک بالمسلمين، و لقد أدل الله تعالى المسلمين، و أذل الكافرين، و انتقم منهم و عاقبهم لما اعتمدوه فى فتح عكا مع المسلمين، و قدر الله تعالى أن المسلمين أخذوا عكا فى مثل اليوم الذى أخذها الأفرنج منهم، و فى مثل الساعه التى أخذوها فيها، فإن الأفرنج استولوا على عكا فى يوم الجمعه سابع عشر من شهر جمادى الآخره، فى الساعه الثالثه من النهار، و أمنوا من بها ثم قتلوهم غدرا،

و قدر الله أن المسلمين انتقذوها منهم فى يوم الجمعه، فى الساعه الثالثه منها، و وافق السابع عشر من جمادى الأول سنه خمس و ثمانين و خمسمائه، و أمنوا من بها ثم قتلوهم بعد ذلک.

و كان الملک الأشرف عند منازله عكا قد جهز جماعه من الجند مقدمهم الأمير علم الدين سنجر الصوابى الجاشنكير والى بر صفد إذ ذاک إلى جهه صور، يحفظ الطرق، و يعرف الأخبار، و مضايقه صور، فلما فتحت عكا و أحرقت، و طلع دخانها من قرنى البحر علم أهل صور بقرينه الحال فتوح عكا، فهربوا، و أخلوا صور فدخلها الصوابى بمن معه، و طالع السلطان الصوره، فجرد إليه طائفه من العسكر مع الأمير سيف الدين قطز المنصورى، و جماعه كبيره من الحجارين و الزراقين و النجارين و غيرهم لخراب صور و خراب حيفا، و كان توجه سيف الدين قطز بهم من ظاهر عكا بكره نهار الأحد العشرين من جمادى الأولى و صوره ما ورد كتاب الصوابى أنه كان نزل على صور يحصد زراعاتها، فلم يشعر إلا بمراكب المنهزمين من عكا قد وافت الميناء الذي لصور، فحال بينها و بين الميناء، فطلب أهل صور الأمان على أنفسهم و أموالهم، و يسلموا صور، فأجيبوا إلى ذلک، و هذه صور من أحصن الأماكن، و أكثر الحصون منعه لا ترام، و لم يفتحها السلطان الملک الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فيما فتح من السواحل، بل كان كلما فتح مكانا و أمن أهله و أوصلهم إلى صور لحصانتها و منعتها، و عدم الطمع فى تملكها، فألقى الله تعالى فى قلوب أهلها الرعب فسلموها من غير قتال و لا منازله، و لا كان الملک الأشرف فى نفسه شى ء من أمرها البته، و لا تعلقت أطماعه فى فتحها، فيسر الله تعالى أمرها، و عندما تسلمها جرد إليها من أخربها، و هدم أسوارها، و أبنيتها و نقل من رخامها و أنقاضها شيئا كثيرا، و لما تيسر أمر صور على هذه الصوره، قوى عزم الملک الأشرف على أخذ ما سواها.

و لما كان الملک الأشرف محاصرا عکا استدعی الأمیر حسام الدین لاجین المنصوری، نائب السلطنه بالشام، و الأمیر رکن الدین بیبرس الناصری المعروف بطقصو فی لیله الاثنین ثالث عشر جمادی الأول إلی الدهلیز، و أمسکهما و قیدهما، و جهزهما فی بکره نهار الاثنین إلی قلعه صفد، و منها إلی قلعه الجبل و کان تقدم قبل ذلک بسته أیام لمسک علم الدین سنجر الحموی المعروف بأبی خرص، و جهز إلی الدیار المصریه محتاطا علیه، و لما جهز الأمیر حسام الدین المذکور إلی الدیار المصریه فوض الملک الأشرف النیابه، نیابه السلطنه بالشام إلی الأمیر علم الدین سنجر المنصوری، المعروف بالشجاعی و أقطعه خبزه بالشام، و عندما أمسک هذین الأمیرین الکبیرین حصل للناس قلق شدید، و خشوا من حدوث أمر یکون سببا لتنفیس الخناق عن أهل عکا، فکفی الله تعالی ذلک، و أمسک الملک الأشرف الأمیر علاء الدین الألدکزی نائب السلطنه الشریفه بصفد و ما معهما من الأعمال لأمر نقمه علیه و اعتقله و صادره، و رتب مکانه الأمیر علاء الدین أیدکین الصالحی العمادی، و أضاف إلیه مع ولایه صفد عکا و ما استجد من الفتوحات الأشرفیه، ثم بعد الفراغ من مصادره الألدکزی ولاه بر صفد عوضا عن علم الدین سنجر الصوابی و أعطاه خبزه و استدعی الأمیر رکن الدین بیبرس الدوادار المنصوری الخطائی نائب الکرک، و ولی عوضه الأمیر جمال الدین أقوش الأشرفی.

[وصول الأشرف خلیل إلی دمشق]

و فی أوائل جمادی الآخره فی بکره نهار الاثنین الخامس منه رحل الملک الأشرف عن عکا، و دخل دمشق ضحی یوم الاثنین ثالث عشره، بعد أن زینت غایه الزینه، و عملت القباب من قریب المصلی إلی باب الحدید، و حصل من الاحتفال ما لا یوصف، و دخل و بین یدیه الأسری تحتهم الخیول، و فی أرجلهم القیود، و منهم من حمل سنجقا من سناجق الفرنج منکسا، و منهم من حمل سنجقا و رمحا و فیه عده شعف من

رؤوس القتلى، و أقام بدمشق إلى فجر نهار الأربعاء تاسع عشر رجب، و توجه إلى الديار المصريه، و دخل قلعه الجبل من الديار المصريه يوم الاثنين تاسع شعبان، و أطلق رسل عكا الذين كانوا معوقين بالقاهره، و أطلق لرسول الأشكرى أسرى بيروت و هم إذ ذاک ستمائه و ثلاثين نفرا بعد أن عين من أعيان أسرى المرابطه على عشرين، و أطلق من كان فى سجنه و سجن أبيه من الأمراء، و أخرج الخليفه يخطب، و صلى بالناس الجمعه الرابع و العشرين من شوال، و صار يركب فى موكب الملک الأشرف، ورآه الناس و على رأسه العصائب السود، و كان ترک الأمير علم الدين الشجاعى بعسكر الشام منازلا لصيدا و جهز إليه حيث هو خلعا و نفقه صحبه الأمير زين الدين كتبغا المنصورى الكبير، و عندما عزم الملک الأشرف على السفر إلى الديار المصريه حضر الأمير علم الدين الشجاعى إلى دمشق، فودعه وقت سفره، و عاد من الغد إلى حيث كان، و كان الأمير علم الدين الشجاعى استولى على صيدا، و تحصن من كان فيها من الفرنج فى البرج، و هو فى البحر لا يصله حجر المنجنيق و لا أثر، و هو فى غايه المنعه و المتانه لا يرام، فنازله الأمير علم الدين المذكور ثامن شهر رجب، و فتحه يوم السبت خامس عشره، بحكم أن من فيه أخلوه، و انتقلوا إلى الجزيره المجاوره لصيدا، ثم أنهم أحرقوا الجزيره بجملتها ليله الثلاثاء ثامن عشر رجب، و ركبوا المراكب و أقلعوا إلى جزيره قبرص، و أحرق المسلمون قلعه صيدا بعد أن علقوا أبراجها و هدموها و عفوا أثرها، و من الغرائب أن الشوانى الإسلاميه كانت حضرت من ميناء اللاذقيه، فأخذها الأمير سيف الدين بلبان التقوى، فلما وصلت ميناء البترون مر بها أهل صيدا الهاربين فى مراكبهم، فظنوها للفرنج، ثم تبين لهم أنها للمسلمين فهربوا، فتبعهم التقوى بالشوانى الإسلاميه، و استولى عليهم، و قتل و سبى و استعاد من أسرى المسلمين جماعه كبيره و حملوا بحارتهم إلى باب السلطان.

و أما أهل بيروت فكانوا متمسكين بالهدنه، لكنهم جنوا ذنوبا منها:

أنهم آووا من هرب من الفرنج، و أمرهم الأمير علم الدين الشجاعى بضم مراكبهم إلى مراكب المسلمين، فأبوا، فتقدم الأمير علم الدين الشجاعى إلى سيف الدين التقوى بحفظ الميناء و ضبطه من المراكب، و جاء الأمير علم الدين بالجيش من جانب البر، و دخل المدينه، و أخرجهم منها و استولى على القلعه و ما فيها، و ذلک بكره الأحد الثالث و العشرين من شهر رجب، و كانت القلعه امتنعت قليلا فوقع الحديث مع كليام النائب بها فأجاب، و أسر كل من كان بالبلد، و القلعه من الخياله، و غيرهم، و هذه القلعه من أحصن القلاع، و أمنعها، فخربها الأمير علم الدين و هدمها.

و أما صاحب جبيل فكان حضر عند الملک المنصور ظاهر طرابلس على ما تقدم، و بقى بجبيل، فلما كان فى هذه السنه و أخذت عكا و غيرها من البلاد الساحليه، رسم له أن يخرب قلعه جبيل و أسوارها بحيث يلحقها بالأرض، و كان قد شعثها فى سنه ثمان و ثمانين، فندب الأمير علم الدين سنجر الدوادار لهذه المهمه، فتوجه إليها و أخرب أسوارها بحيث لم تبق لها منعه أصلا البته.

و أما عثليت فهو الحصن المشهور، الذى سار بحصانته المثل لمكانه بنيانه و إحكامه، و لكون البحر مكتنفه من سائر جهاته، و لم يحدث الملوک أنفسهم بقصده، و كان الملک الأشرف عند منازلته عكا، جرد بدر الدين رمتاش التركمانى بجماعه من التركمان للنزول حوله على بعد ليؤمن جانبه ممن يخرج منه يتخطف سفار العسكر، و من يتفرد من العسكر، و أخذت عكا و غيرها و بدر الدين مكانه، فلما بلغ أهل عثليت فتح صيدا و بيروت بعد عكا و صور أحرقوا ما قدروا على إحراقه و قتلوا خيلهم و مراكبهم و هربوا ليله الأحد غره شعبان، و هذا مما لم يخطر بالبال، و أما أهل أنطرسوس لما بلغهم ذلک عزموا على الهرب فجرد الأمير سيف

الدين بلبان الطباخى إليها فلما أحاط بها ليله الخميس خامس شعبان، ركبوا البحر و هربوا إلى جزيره أرواد، و هى بالقرب منها فندب إليها التقوى بما كان أحضره من المراكب و الشوانى، فاحتلوها و كان فتح هذه المدن السته فى سته شهور، و فى يوم الخميس رابع شهر رجب توجه الأمير عز الدين الموصلى إلى غزه و أعمالها نائبا عن كرتيه، و فى غضون ذلک استحضر الأمير علم الدين الشجاعى مقدمى الجرديين و الكسروانيين، فلما حضروا بين يديه أخذ سلاحهم و دركهم خفر بلادهم، فلما التزموا بذلک، أعاد عليهم سلاحهم و خلع على أعيانهم، و أخذ منهم رهائن جعلوا فى أطواق الحديد، ثم إن الأمير علم الدين الشجاعى وصل بمن معه إلى بعلبک فى خامس و عشرين شعبان و طلع إلى قلعتها، و زار مقام إبراهيم صلى الله عليه و سلم و على آله الطيبين الطاهرين بقلعه بعلبک، و من غرائب الاتفاق أنه كان وجد ظاهر بعلبک فى الحفر صنمين من الرخام فى نهايه الحسن و جوده الصنعه و الإتقان، فنقلا إلى قلعه بعلبک و جعلا بها، فكان إذا حضر أحد من الأكابر أحضروهما- أى الصنمين- عنده يتفرج على صنعتهما و إتقانهما، و يتعجب من ذلک، فلما حضر الأمير علم الدين الشجاعى، و زار مقام الخليل صلى الله عليه و سلم، أحضر المتولى لذلک الصنمين ليتفرج عليهما كغيره، فلما خرج وجدهما على باب المقام و أخبر بخبرهما فأمر بتكسيرهما بحيث لا يبقى لهم أثر، فكسروا فى الحال فكان ذلک من كرامه الخليل صلوات الله عليه، فإنه كسر الأصنام بيده على ما هو مشهور و نطق به الكتاب العزيز، و استدل بذلک على وفور عقل الأمير علم الدين، و أقام بميدان بعلبک يومين، و توجه إلى دمشق فى سادس عشر شعبان، و وصلها فى سابع عشرين منه،

[وفاه أرغون ملک التتار]

و فى هذه السنه هلک أرغون ملک التتار و جلس كيخاتو، و سنذكره إن شاء الله.

[عوده السلطان الأشرف إلى مصر]

و فيها انتهت عماره قلعه حلب، و فى يوم الخميس السادس و العشرين

من شعبان و فى النيل بالديار المصريه على العاده و كسر الخليج، و حصلت البشاره بذلک من کتاب ورد من السلطان إلى النائب بدمشق يبشره بوفاء النيل المبارک: «الذى طلع طلوع البدر بعد غيابه، و أعاد عهد السرور جديدا بعد اعتابه، و أقبل بالوفاء معتذرا من التقصير مما مضى، معوضا ما فات، ملتزما بالقضاء، و ذلک أن ملائکه الرحمن شفعت فى الأرض، و لا يشفعون إلا لمن ارتضى، و اطمأنت نفوس العباد بحصول قوتها، و أحيا الله الأرض بعد موتها، و أشرف جيشه فکسر جيش المحل، و طبق البلاد فلا و کر، و لا و کن إلا ما اتخذ من الجبال بالوحى من النحل، و مد أصابعه فصافحنا باليمن و اليمن، و قلد أجياد الثرى بجوهره النفيس، و دره الثمين، و کان يوم وفائه يوم الخميس السادس و العشرين من شعبان المعظم، و أضحى خبر العالم بکسر الخليج فى الزينه، و اختلط العالم بخليطه، فکانت کل نفس بما کسبت رهينه، و کان من وراء السد قوما لا يکادون يفقهون قولا، و رفعت الأصوات بالدعاء لمن هو نعم النصير و نعم المولى، فليأخذ حظه من هذه البشرى التى جرى فى الأرض ينبوعها و أخصبت بالمسرات منارها و ربوعها».

[وزاره محمد بن السلعوس]

و فيها بعد عود الملک الأشرف إلى الديار المصريه ذکر البريد الواصل منها أنه خلع على وزيره شمس الدين محمد بن السلعوس جميع ملبوسه، و أرکبه فرسه التى کانت تحته بالرقبه، و أعطاه ثلاثه آلاف دينار عينا، و ورد توقيع إلى دمشق أن يحمل إليه من مال الخزانه مائه و سبعين ألف درهم يشترى بها من وکيل بيت المال قرحتا و غير ذلک مما يختاره من الأملاک.

و فى ليله الخميس حادى عشر شهر رمضان المعظم أمسک الأمير علم الدين سنجر الدوادار رحمه الله فى دار السعاده بدمشق، و جهز إلى الديار المصريه محتاطا عليه، و احتيط على جميع موجوداته، و تواترت الأخبار أن الملک الأشرف أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين المنصورى، و رکن الدين بيبرس طقصو الناصرى، و الأمير شمس الدين

الأشقر، و الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، و شمس الدين سنقر الطويل المنصورى، و بدر الدين القيمرى و غيرهم.

و فى شهر رمضان المعظم، أمر الأمير علم الدين الشجاعى، أن لا تخرج امرأه و عليها عمامه، بل مقنعه العاده القديمه، و لا تلبس النساء صباغات بل خفاف نسائيه، و لا يخرجن إلى المقابر و لا يركبن مع الرجال و لا يتحدثن، و أن لا يشرب أحد الخمر، و لا يأكل الحشيشه و توعد على ذلک بأليم العقوبه، و هذه حسنه عظيمه أثابه الله عليها، و وفق أولى الأمر الاقتداء به فيها، و أمر أيضا بعدم عمل السماعات و الاجتماع عليها.

[الشروع بإعاده بناء قلعه دمشق]

و فى شوال شرع فى عماره القلعه بدمشق و بناء آدر و أبنيه عظيمه هائله اقترحها الملک الأشرف، و سير فى طلب الرخام من سائر الجهات، و اقتلع من مدينه دمشق عمد كبار روميه، و عزم على خراب ما على نهر بانياس من الأبنيه من ظاهر باب الحديد، قريب مقابر الصوفيه، و شرع فى ذلک فذهب للناس أملاک عظيمه و أموال كثيره.

و فى شهر رمضان أعطى علم الدين سنجر المنصورى المعروف بأرجواش خبزا و خلع عليه، و أعيد إليه ولايه قلعه دمشق، و كان الملک الأشرف بعد عوده من جهه عكا قد غضب عليه، و اعتقله و قطع خبزه، ثم أفرج عنه، و لزم بيته، ثم أعاده إلى الولايه و أعطاه خبزا عوض خبزه، و رتب الأمير سيف الدين سندمر المنصورى مركزا بقلعه دمشق، و أنزل الباسطى إلى المدينه.

و فى شوال بلغنا أن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعه قاضى القدس الشريف طلب على البريد إلى الديار المصريه، و أنه حال وصوله ولى قضاء الإقليم بكماله: مصر، و القاهره، و ما أضيف إليهما من الأعمال و الولايات، و تدريس الشافعى رحمه الله عليه، و تدريس المدرسه

الصالحيه التى بين القصرين، و خطابه جامع الأزهر، و جميع ما كان من المناصب مع قاضى القضاه تقى الدين ابن بنت الأعز، سوى الشريفيه فإنها أبقيت على القاضى تقى الدين ابن بنت الأعز، فسبحان المعطى و المانع لا إله سواه.

و فى العشر الأواخر من ذى الحجه أمسک الأمير علم الدين الشجاعى سيف الدين الرجيحى من ذريه الشيخ يونس المشهور رحمه الله، و جهزه إلى الديار المصريه، و فى هذه السنه ولى نيابه السلطنه بالشام، الأمير علم الدين الشجاعى عوضا عن الأمير حسام الدين لاجين، و دخل طلبه يوم دخول الملک الأشرف من عكا فى غايه التجمل، و نزل بدار السعاده.

و فى يوم الجمعه ثالث عشر من جمادى الآخره صلى السلطان بمقصوره الخطابه، و معه الأمراء، و أوقدت الشموع من باب القلعه إلى باب البريد، و توجه صاحب حماه إلى حماه من دمشق يوم السبت رابع عشرين منه، و توجهت العساكر إلى الديار المصريه يتلو بعضها بعضا، و غيرت السباع الظاهريه من الأبراج، و الأبواب الجدران و من ظاهر قصر الميدان، و فى ثالث عشر رجب طيف بالمحمل، و نودى بدمشق فى التشديد فى الخمر، و ولى نظر الجامع شهاب الدين أحمد بن السلعوس، و خلع عليه بطرحه و ولى نظر المارستان جمال الدين أخوه، و شرع فى خراب الحمام المنسوب إلى الملک السعيد على باب النصر يوم الأحد ثانى عشر من رمضان.

[توجه ركب الحجاز]

و توجه ركب من الحجاز من دمشق يوم الخميس سادس عشر شوال و أميرهم الطواشى الصوابى، و خرج لوداعه نائب السلطنه، و فى هذه السنه قلعت ثمانيه أعمده عظيمه من طرف سوق الرماحين، و كانت نازله فى الأرض كثيرا، فعمل لها دواليب و أخرجت بها، لبناء الجملون بالقلعه، و قاسوا مشقه كبيره بالقلعه فى نصبها، و بها عملت الطارمه،

و القبه الزرقاء وقاعه الذهب و الرواق، و دخل فى ذلک من الذهب الزخرفه خاصه أربعه آلاف دينار و فرغت فى سبعه أشهر.

[الوفيات:]

اشاره

و فيها توفى: .....

[أحداث]رغون بن أبغا بن هولاكو ملک التتار

قيل أنه سقى، و قيل إنه مات حتف أنفه، و اتهم المغول اليهود بقتله، و نصوا على سعد الدوله وزيره، و المستولى عليه، و كان قد استحوذ على عقله يصرفه كيف شاء، و يحكم فى دولته تحكما عظيما، فلما قضى أرغون نحبه، و اتهم به اليهود مال المغول عليهم فقتلوهم، و نهبوا لهم أموالا عظيمه يقصر عنها الوصف، و اختلفت كلمه التتار فيمن يقيموه مكانه فى الملک، فمالت طائفه إلى بيدو و لم يوافقوا على كيخاتو فرحل كيخاتو إلى الروم، و كان جلوسه على التخت مده ثلاثه أيام، و كان ورود الخبر للملک الأشرف بموت أرغون و هو محاصر لعكا، و كان قد عظم شأنه عند المغول مذ قتل عمه الملک أحمد، على ما تقدم، و رسخ قدمه فى الملک، و كان شهما شجاعا مقدما، حسن الصوره، سفاكا للدماء، شديد السطوه.

[أحداث]قوش بن عبد الله جمال الدين الغتمى

أحد أمراء الديار المصريه، كان شجاعا مقداما، استشهد على عكا رحمه الله.

[أحداث]يدكين بن عبد الله علاء الدين الصالحى العمادى

، كان من أكابر الأمراء و أعيانهم عنده ديانه و رياسه و شجاعه، و كان الملک المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله أسره نوبه الصوه، لما كسر الملک الناصر و أمسک أستاذه الملک الصالح فصار له به عنايه لذلک، و لما تسلطن سنقر الأشقر جعله أمير جنداره.

حکی رحمه الله قال: طلبنی السلطان الملک المنصور علی البرید إلی الدیار المصریه، و استحضرنی و شرع یوبخنی و یقول أمیر جندار؟ قلت أمیر جندار و قاتلنا عسکرک، و ها أنا بین یدیک أفعل ما تختار، فقال ما

أفعل معک إلا کل خير، و أنعم على غايه الإنعام، و بعد وفاه الملک المنصور، و أخذ ولده الأشرف عکا و ما معها، استنابه بصفد و ما معها، و أضاف تلک الفتوحات إليها، فتوجه إليها و باشر النيابه بها إلى حين وفاته، و کان عنده کفايه و مکارم، و حسن تدبير، و لين جانب و حسن ظن بالفقراء، و محافظه على أصحابه و معارفه، يبذل المجهود فى مصالحهم، و ما يعود نفعه عليهم، دمث الأخلاق، و له فى الحروب مواقف مشهوده، قوى النفس، شديد القوى، و کان الملک الظاهر يحبه و يحترمه و يقدمه على کثير من نظرائه، و توفى بصفد فى العشر الأول من شهر رمضان رحمه الله، و صلى عليه بجامع دمشق بالنيه يوم الجمعه ثانى عشر رمضان المعظم ...

سلامش بن بيبرس، الملک العادل بدر الدين ابن الملک الظاهر

، کان شابا مليحا، کامل الهيئه، وافر الحسن، تولى المملکه الإسلاميه، و خطب له على منابر دمشق و غيرها من البلاد الإسلاميه، و ضربت السکه باسمه شهرا بعد خلع أخيه الملک السعيد، و کان الملک الأشرف خليل بن قلاوون عندما تملک أرسله و أهله إلى مدينه اسطنبول من بلاد الأشکرى، فتوفى بها هذه السنه، رحمه الله تعالى، و کان خطب له بالملک يوم الجمعه سادس جمادى الأولى سنه ثمان و سبعين و ستمائه.

بيليک بن عبد الله بدر الدين المسعودى

، من أمراء الديار المصريه، کان رجلا حسنا، شجاعا مشهورا بالخير، و مکارم الأخلاق، استشهد على عکا أيام حصرها، رحمه الله تعالى.

[أحداث]لسنه الحاديه و التسعون و ستمائه

اشاره

استهلت هذه السنه و خليفه المسلمين يومئذ الإمام الحاکم بأمر الله أبو العباس أحمد أمير المؤمنين العباسى، و سلطان الديار المصريه، و البلاد الشاميه و أعمالها السلطان الملک الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى، و الملوک على

القاعده خلا أرغون فقام مقامه بيدوا عمه، و وزير المملكه الإسلاميه شمس الدين محمد بن السلعوس، و نائب السلطنه بدمشق الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، و هو يومئذ بنفسه و العسكر معه يخرب العمايز التى من باب الميدان إلى تحت القلعه، و فى جمله ما أخرب حمام الملك السعيد الذى ما فى مثله و جميع المسايح، و ضيق على الناس كثيرا.

ذكر الحوادث

[حريق فى قلعه القاهره]

ففيها فى يوم الجمعه رابع عشرين صفر ظهر بقلعه الجبل ظاهر القاهره حريق عظيم فى بعض خزائن الخاص، و أتلف شيئا عظيما من الذخائر و النفائس، و الكتب و غيره.

و فيها فى يوم الخميس حادى و عشرين ربيع الأول عمل بالقاهره بالقبه المنصوريه ختمه عظيمه، و أنفق فيها أموال كثيره، و نزل السلطان الملك الأشرف من الغد لزياره قبر والده، و شق البلد و لم ير له يوم أحسن منه.

و فيها فى يوم الجمعه تاسع عشر من ربيع الأول خطب الخليفه الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد خطبه عظيمه، حض فيها على الجهاد، و أمر بالنفير، و أم الناس فى الجمعه و جهر فى قراءته بالبسمله.

[توجه السلطان الأشرف إلى الشام]

و فيها فى يوم السبت ثامن ربيع الآخره، فى الساعه الثامنه من النهار توجه السلطان الملك الأشرف إلى الشام، بجميع العساكر، فدخل دمشق يوم السبت سادس جمادى الأول، و فى صحبته وزيره الصاحب شمس الدين ابن السلعوس، و فى ثامن جمادى الأول أحضروا الأموال، و أنفقوا فى جميع العساكر المنصوره المصريه، و الشاميه، و وصل السلطان المظفر صاحب حماه ليلقى السلطان، فالتقاه و زاد فى إكرامه، ثم إن السلطان استعرض جيش الشام عليه و أمر بتسفيرهم قدامه، ثم توجه الملك الأشرف بجميع العساكر المنصوره الشاميه و المصريه من دمشق، و بلغنا

أنه دخل إلى حلب ثامن عشرين جمادى، و أنه سافر منها رابع جمادى الآخره،

[النزول على قلعه الروم و فتحها]

و نزل على قلعه الروم بجميع العساكر المنصوره نصرهم الله تعالى، يوم الثلاثاء ثامن جمادى الآخره محاصرين لها إلى أن اقتحمها بالسيف قهرا يوم السبت حادى عشر رجب، و وقعت بدمشق بطاقه بالفتح يوم الاثنين ثالث عشر رجب، فأمروا بالحال بدق البشائر، و زينت دمشق، فبقيت تدق البشائر [بالمدينه] و القلعه و دور الأمراء و الشموع توقد بالليل سبعه أيام، و وصل يوم الأربعاء خامس عشر رجب البريد إلى دمشق، و على يده الكتب بالفتح إلى النائب يومئذ الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، و إلى قاضى القضاه شهاب الدين ابن الخوئى، و قرى ء الكتابين بالجامع المعمور يوم الأربعاء، و نسخه الكتاب السلطانى و الوارد إلى قاضى القضاه شهاب الدين الخوئى بفتح قلعه الروم.

بسم الله الرحمن الرحيم أخوه خليل بن قلاوون

صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى القاضى الأجل الكبير، الإمام العالم الفاضل الأثير الأكمل الأوحد، الرئيس الزاهد، شهاب الدين، جمال الإسلام، فخر الأنام شرف العلماء جلال الرؤساء، فخر الأكابر، شمس الشريعه صفوه الملوک و السلاطين، خصه الله تعالى بأنواع التهانى، و أتحفه بالمسرات التى تعود بالسبع المثانى، و أورد على سمعه ما سطرت به الأقلام إلى الأقاليم أعظم من بشائره، و لا سرت برد المسرات بأعظم من شاراته و أشايره، و لا تفوهت ألسنه الخطباء فى هذا العصر على المنابر بأفصح من معانيه، فى سالف الدهر و غابره، و هو البشر بفتح قلعه الروم، و الهناء لكل من رام الإسلام نصرا ببلوغ ما رام و ما يروم، و من أحسن قصص هذا الفتح المبين و المنح الذى تباشر به سائر المؤمنين، و تساوى فى الإعلان و الإعلام به كل من الأبعدين و الأقربين. و يخص بمسرى مسراته الحكام ليعموا ببشراها عامه الناس، و بعد لكل ذى مرتبه عليه منه نصيب بجمع من الابتهاج الأنواع و الأجناس.

و ذلک أنا رکبنا من مصر لغزوها، و قد کان من قبلنا من الملوک یستبعد مداها، و ینادیها فلا یجیب إلا بالصد و الإعراض صداها، و یسائل النسیم عن جبالها، فتحیل فی الجواب علی النسور المهمومه، و یستشیر أولی الرأی فی حصرها فلا یسمع إلا الأقوال المتلونه، و الآراء المتلومه، و ما زلنا نصل السری بالسیر و نرسل الأعنه إلی نحوها فتمیل الجیاد أعناقها إلیها مدا تنقطع بین قوتها و قوته السیر، و استقبلنا من جبالها کل صعب المرتقی، و عر المنتقی شاهق لا یلقی به مسلک و لا یلتقی، فما زالت العزائم الشریفه تسهل حزونه، و الشکایم تفجر بوقع السنابک علی حجارته عیونه، و الجیاد المطهمه، ترتقی مع امتطاء متونها بدروع الحدید متونه، فلما أشرف علیها منا أشرف سلطان، جعل جبلها دکا، و حاصرناها حصارا ألحقها بعکا، و نصبنا علیها عده مجانیق تنقض حجارتها انقضاض النسور، و تقتنص الأرواح من الأجسام، و إن ضرب بینها و بینهم بسور، هذا و النقوب تسری فی بدناتها سریان الخیال، و إن کانت جفونها المسهده، و عمدها الممدوده، و حفظها المجنده، و رواسیها علی جبل الفرات موطده، و قد خندقوا علیها خندقا جرت فیه الفرات من جانب و النهر المسمی بزریان من جانب، و وضعها واضعها علی رأس جبل یزاحم الجوزاء بالمناکب، و سفح صرحها الممرد فکأنه عرش لها علی الماء، و إذا رمقها طرف رآها اشتبهت علیه بأنجم السماء، و ما زالت المضایقه تقص من جبلها أطرافه، و تستدر بحلیها أحلافه، و تقطع بمسائل جلاد معاولها و جدالها خلافه، و تورد علیها من سهامها کل إیراد لا یجاوب إلا بالتسلیم، و یقضی علیها بکل حکم لا یقابل ثبوته إلا بالتحکیم، و لما أذن الله بالفتح الذی أغلق علی الأرمن و التتار أبواب الصواب، و المنح الذی أضفی علی أهل الإیمان من المجاهدین أثواب الثواب، فتحت هذه القلعه بقوه الله و نصره، فی یوم السبت حادی عشر رجب الفرد، فسبحان من سهل صعبها، و عجل کسبها و أمکن منها، و من أهلها، و جمع شمل الممالک الإسلامیه بشملها،

فالمجلس السامى يأخذ حظه من هذه البشرى، التى بشرت بها ملائكه السماء ملک البسيطه، و سلطان الأرض و يكاثر على شكرها كل من أرضى الله طاعته، و أغضب من لم يرض من ذوى الإلحاد و ممن حاد الله و ممن ينتظر من هذا الإبعاد إنجاز الإيعاد فلا ينجيه إلا تظاهرنا و الإبعاد، فإنه بفتح هذه القلعه و توقلها، و حيازه ثغرها و معقلها تحقق من بسيحون و جيحون أنهم بعد فتح باب الفرات بكسر أقفال هذه القلعه لا يرجون أنهم ينجون، و ما يكون بعد هذا الفتح، إن شاء الله، إلا فتح المشرق و الروم و ملک البلاد من مغرب الشمس إلى مطلع الإشراق، و الله تعالى يمدنا من دعواته الصالحه بما تغدوا به عقود الإيمان حسنه الاتساق إن شاء الله تعالى.

و كتب يوم الفتح المبارک سنه إحدى و تسعين و ستمائه، حسب المرسوم الشريف، و الحمد لله وحده.

و نسخه كتاب الأمير علم الدين سنجر الشجاعى نائب السلطنه يومئذ بالشام، إلى قاضى القضاه شهاب الدين الخوئى أيضا:

بسم الله الرحمن الرحيم

ضاعف الله تعالى مسار الجناب العالى المولوى، القضائى الإمامى العالمى، العلامى الزاهدى العابدى الورعى، القدوى الشهابى، ضياء الإسلام، شمس الشريعه قاضى القضاه، حجه الأئمه سيد الحكام، قدوه العلماء، ولى أمير المؤمنين، و لا زالت وفود البشائر إليه تترى، و عقود التهانى لديه نظما و نثرا، و فواتح الفتح تتلى عليه بكل آيه نصر يسجد لها القلم فى الطرس شكرا، و يشمل على أسرار الظفر فيأتى فى الإسماع من غرابتها بما لم تحط به خبرا، و يتحفه بظهور المساهمه بالهمه فيهتدى إليه سرورا و أجرا.

المملوک يستفتح بحمد الله على ما منح من آلائه، و فتح على أوليائه

و رهب من الأعداء على أعدائه، و يسر من الظفر الذى أيد بنصره، و أمد بملائكه سمائه ليستديم به الإنجاد بحوله، و يستزيد به الإمداد من فضله و طوله، و توالى من الصلاه على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ما يشتد به أحلاف الفتوح، و يسترهف بيمينه الصوارم التى هى على من كفر بالله و رسوله دعوه نوح، و يهدى من البشائر ما تختال به أعطاف المنابر سرورا، و تتعطر بذكره أفواه المحابر جواره، و ترتشف الأسماع موارد وارده، فيستحيل فى قلوب الأعداء نارا، و فى قلوب الأولياء نورا، و تبادر إلى مساهمه الحاضر فى إسماعه كل باد فينقلب إلى أهله مسرورا، و ينهى أنه أصدرها و النصر قد خفقت بنوده، و صدقت و عوده، و سار بمخلقات البشائر فى كل قطر بريده و الأعلام الشريفه السلطانيه، قد امتطت من قلعه الروم صهوه، لم تذل لراكب، و حلت من قببها و قلتها بين الذروه و الغارب، و أراقت أسنتها من دمائهم و ذمائهم ما ترک الفرات لا تحل لشارب، و مد الإيمان بها أطنابه، و أعجلت السيوف المنصوره الشرک أن يضم للرحله أثوابه، و استقرت بها قدم الإسلام ثابته إلى الأبد، و سطت بأرجائها سيوف أهل الجمعه، حتى رق أهل السبت لأهل الأحد، و أذهب الله عنها رسوم الثلثيث حتى كاد حكم الثلاثه أن يسقط من العدد، و تبرأ منهم من كان يغرهم بإمداده حتى الفرات لمجاورتهم، و دب النقص خوفا أن يطلق على زيادتها اسم المدد، و نطق بها الأذان فخرس الجرس، و علت كلمه الإيمان فأضحت لها بعد الابتداء آيه الجرس، و أسمعت دعوه الحق ما حولها من الجبال فسمعت و هى صم، و لبت الداعى بلسان الصدى الناطق عن شموخها الشم، و كانت هذه القلعه المذكوره للثغور الإسلاميه بمنزله الشجا فى الحلق، و التشويه فى الخلق، و الخله فى الصدر، و الخسوف الطارى ء على طلعه البدر، لا يجلو من على تضمره، فى لين تظهره، و غدر تستره، فى عذر تورده و تصدره، و قد سكن أهلها إلى مخادعه الجار، و موادعه التتار، و موالاتهم على الإسلام بالنفس و المال، و مساواتهم لهم حتى فى السرى

و الحال، يمدونهم بالهدايا و الألطاف، و يدلونهم على عورات الأطراف، و هم يتقون بمسالمه الأيام، و يدعون قلعتهم لم تزل من الحوادث فى ذمام، و يغترون بها، و لو لا السطوات الشريفه لحق لمثلها أن تغتر، و يسكنون إلى حصانتها كلما أومض فى خلل السحب برق ثغرها المغتر، و هو حصن صاعد منحدر بارز مستتر، لا يطال إليه السالک إلا على المحاجر، و لا تنظره العيون حتى تبلغ القلوب الحناجر، كأنه فى ضمائر الجبال حب يقتل، و هو كامن، و بحرف الظاهر، و هو باطن، قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوائبها، و مدت عليه الغمائم أطنابها، و مضاربها، و قد تنافست فيه الرواسى الرواسخ فأخفاه بعضها عن بعض، و تقاسمته العناصر فهو للنكايه و الرفعه و الثبات، و مجاوره الفرات مشترک بين النار و الهواء، و الماء و الأرض، و قد امتدت الفرات من شرقها كالسيف فى يد طالب ثأر، و أكتنفها من جهه الغرب نهرا آخر استدار و نحوها كالسور، و انعطف معها كالسوار و فى قبله قلتها جبل يرد الطرف و هو كليل و يظل النظر فى تخيل هضابه، فلا يهتدى إلى تصورها بغير دليل، و كذلک من شرقها و غربها، فلا تنظرها الشمس وقت الشروق و لا تشاهدها وقت الأصيل، و حولها من الأوديه خنادق لا يعرف فيها الهلال إلا بوصفه، و لا الشهر إلا بنصفه و أما الطريق إليها فيزل الزرد عن منتهاه، و يكل طرف عن سلوک سهلها فضلا عن حزنها، و بها من الأرمن عصب جمعهم للتكسير، و من التتار فرق زيادتهم قد بذلوا دونها النفوس، و تدرعوا للذب عنها البؤس، و أقدموا على شرب كأس الحمام خوفا أن يكفرهم التكفور، أو يحرمهم خليفتهم الحاكم بها كيثا غنكوس، و إذ زين لهم الشيطان أعمالهم و فسح فى ميدان الضلاله آمالهم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه، و ترک كلامهم، يعض من الندم يديه، و حين أمر مولانا السلطان خلد الله ملكه الجيوش المنصوره بالنزول عليها، و الهجوم من خلفها و من بين يديها، ذللت مواطى ء جياده صهوات تلک الجبال، و أحاطت بها من كل جانب كإحاطه الهاله

بالهلال، و سلكوا إليها تلک المخارم، و قد تقدمهم الرعب هاديا، و أقدموا على قطع تلک المسالک و المهالک بالأموال و الأنفس ثقه بأنهم لا ينفقون نفقه صغيره و لا كبيره، و لا يقطعون واديا، فلم يكن بأسرع من أن طار إليهم الحمام فى أجنحه السهام، و خضبت الأحجار تلک الغاده العذراء بالدماء للضروره، و للضرورات أحكام، و أزالت النقابه عنها نقاب احتشامها، و دبت فى مفاصلها دبيب السقم فى عظامها، مع أنها مسفره مشرفه على الصخر الذى لا مجال فيه للحديد و لكن الله أعز بالنصر سلطانا، فجاءت أسباب الفتح على ما يريد، و أقيمت المجانيق المنصوره أمامها، فأيقنوا بالعذاب الأليم، و ساموا بروق الموت من عواصف أحجارها التى ما تذر من شى ء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، و ساهموها صلاه الخوف فلسهامها الركوع، و لبروجهم السجود و لقلعتهم التسليم، و لم نزل نشن عليهم غاره بعد غاره، و نسقيهم على الظمأ صوب أحجارها، و ان من الحجاره، مع ذلک تطهر الجلد و الجد و تغضب غضب الأسير على القد، و تخفى ما تكابد من الألم، و تشكو بلسان الحال شكوى الجريح إلى الغربان و الرخم، إلى أن جاءت من الأنجاد ما كانوا يأملون، و سطت مجانيقنا على مجانيقهم، فوقع الحق و بطل ما كانوا يعملون، و كلما سقطت أسوارها و تحصلت بيد النقوب أستارها، و توهم الناظر أنها هانت، و رآها المباشر فى تلک الحاله أشد ما كانت، و ثبتت على الرمى و الارتماء، و عدت على من اتخذ نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء، و استغنت فكأن السور عن السور، و انقضت أحجارها على أسود الحرب انقضاض النسور، و كان الفتح المبارک فى صباح يوم السبت المبارک حادى عشر رجب الفرد، سنه إحدى و تسعين و ستمائه، بالسيف عنوه، فشفت الصوارم من أرجاس الكفر الغلل بقمع العدا، و كبتها، و سطا خميس الأمه يوم السبت على أهل الأحد، فبارک الله لخميس الأمه فى سبتها، فليأخذ حظه من هذه البشرى التى أصبح الدين بها على الأنام بادى الأنوار، ضاربا مضارب دعوته على الأقطار،

ذاكرا موالاه الفتوح أيام الصدر الأول من المهاجرين و الأنصار، و ليشعها على رؤوس الأشهاد، و يجعلها فى صحف الفتوح السالفه بمنزله المعنى القريب، و المثل فى الاستشهاد و يمد الجيش بسمته التى ترهب الهمم، و أدعيته التى تساعد الساعد، و تؤيد السيد، و تقدم القدم، و تشارک بذلک فى الجهاد حتى تكون نكايه الأعداء على البعد كسهم أصاب، و راميه بذى سلم، و يستقبل البشائر بعدها ما يكون له هذه بمنزله العنوان فى الكتاب، و الآحاد فى الحساب، و ركعه النافله بالنسبه إلى الخمس، و الفجر الأول قبل طلوع الشمس، فالله تعالى يجعل شهاب فضله لامعا، و نور علمه فى الآفاق ساطعا، و يتحفه من مفرقات التهانى بكل ما يغدو الشمل بالمسرات جامعا، إن شاء الله تعالى.

كتب فى يوم الفتح المذكور و الحمد لله وحده.

و حكى الأمير شمس الدين أبو البيان نبأ المعروف بابن المحفدار، أمير جاندار، و ولده الأمير سيف الدين قالوا جميعا: إن مده المقام على حصار قلعه الروم ثلاثه و ثلاثين يوما، و الذى نصب عليها من المجانيق خمسه عشر منجنيقا شيطانيه و خمسه مجانيق أفرنجيه و قرا بغا، و نصب صاحب حماه منجنيقا واحدا، و الأمير عز الدين الأفرم من الجهه البحريه اثنين، و فى رأس الجبل واحد، و السلطان واحد من الجهه الشرقيه على جانب الفرده، و الأمير بدر الدين بيسرى واحد من الجهه الغربيه جهه قرابغا و شيطانيه فى الواحد خمسه عشر منجنيقا، قالوا:

تسلمنا فى الزردخاناه ألف و مائتى أسير، قالوا و الذى استشهد على قلعه الروم الأمير شرف الدين ابن الخطير، و شهاب الدين أحمد بن ركن الدين أمير جاندار، و من البرد داريه عمر المصرى، و خليل بن الرفعه، و تحت الردم رأس النوبه.

قال: و حكى الأمير سيف الدين بن المحفدار أيضا، قال: و مما جرى لنا من العجائب على قلعه الروم فى شهر تموز، و العسكر نازل عليها،

قال: فبينما نحن عليها، و إذا قد هبت رياح مزعجه، قويه جدا و شرارا وسعت إلى أن رمت سائر الخيام، و بات الناس على وجل، و أصبح من الغد رعدت السماء رعدا قويا إلى أن ظنوا أن السماء تقع على الأرض، و نزلت صاعقه أحرقت ثلاثه أنفس، أحدهم مات، و الآخر احترق نصفه، و الآخر انقطع قلبه من الخوف، و مات، و كان فى وطاق الأمير بدر الدين نائب السلطنه يومئذ بالديار المصريه.

[عوده السلطان الأشرف إلى دمشق]

و توجه السلطان من قلعه الروم إلى دمشق و ترک بها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، و عساكر الشام مجردين على قلعه الروم ليعمروا ما انهدم من بنيانها بسبب المناجيق، و النقوب، و يصلحونها و يعودون، فلما كان سابع عشر شعبان وصل الصاحب شمس الدين ابن السلعوس إلى دمشق، لأجل دخول السلطان، فلما كان بكره يوم الثلاثاء تاسع عشر شعبان دخل السلطان الملک الأشرف إلى دمشق و احتفل أهلها لدخوله احتفالا عظيما، و بسطوا له على جارى العاده، و لم يكن لأهل دمشق عاده إذا قدم السلطان من جهه الشرق بسطوا له شيئا، إلا عند دخوله من مصر لا غير، حتى إن والده السلطان الملک المنصور، عند عوده من حمص من بعدما كسر التتار بها فى سنه ثمانين و ستمائه، لم يبسط له، و كذلک الملک الظاهر فى سنه خمس و سبعين و ستمائه، و كان قد تملک الروم و كسر التتار على ألبلستين، هم أيضا لم يبسطوا له شيئا، و إنما الوزير شمس الدين فعل ذلک، و كان دخوله سادس ساعه من النهار، و بين يديه الأسرى، و خليفه الأرمن كيثاغنكوس صاحب قلعه الروم أسيرا، فالحمد لله الذى أعز الله تعالى الإسلام، و أذل الكفر و العناد، و نزل السلطان بقلعه دمشق، و سافر الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى إلى بعلبک بمعظم العساكر المصريه، و معه من أعيان الأمراء شمس الدين قرا سنقر، و بكتوت الأتابكى، و بدر الدين بكتوت العلائى و غيرهم، و قصدوا جبل الجرديين و الكسروانيين، و لقيه من جهه

الساحل الأمير ركن الدين طقصو، و عز الدين أيبک الحموی، و غيرهما من الأمراء، و تلاقوا إلى الجبل، و قد حضر إلى الأمير بدر الدين بيدرا من كسر حدته، و أثنى عزمه عنهم، فحصل الفتور فى التقحم عليهم، و كان بعض العسكر قد طلع إلى الجبل، و لم يلحقهم بقيه الجيش فأخذهم الجبليون، و عاد الباقى مكسورين، و آخر الأمر أنهم اتفقوا على إخراج جماعه منهم من الحبوس و أصلح قضيتهم الأمراء، و عاد بدر الدين بيدرا إلى دمشق، فتلقاه الملک الأشرف و أقبل عليه، و ترجل له عند السلام، فلما دخلا دمشق نبه الوزير عليه السلطان أنه إرتشى من أهل الجبل، فعاتبه السلطان على ما عمل فانزعج لذلک، و مرض مرضا شديدا، و أشيع أنهم سقوه، ثم عوفى فى العشر الأول من شهر رمضان، فلما كان ليله العاشر من رمضان عمل بجامع دمشق ختمه عظيمه، و حضرها القضاه و العلماء، و أرباب الدول و القراء، و أكثر أهل دمشق، و اشتعل الجامع مثل ليله النصف من شعبان، و ذلک بسبب عافيه الأمير بدر الدين بيدرا، و تصدق السلطان عنه بصدقه كبيره قبل ذلک، و سامح السلطان بالبواقى التى على ضمان جهات دمشق لأجل عافيته، و كذلک أطلق أهل السجون، و تصدق أيضا بيدرا من ماله، و نزل عن كثير مما كان قد اغتصبه من الضمانات، و ما يجرى مجراها.

و بعد سفر السلطان من دمشق إلى قلعه الروم بأيام يسيره تسور عبد أسود أسطحه دور الحريم بقلعه دمشق، فأمسک و قرر فذكر أن مؤذن جامع القلعه نصب له سلما و أصعده إلى هناک، فطولع بذلک، فورد المرسوم بقطع أطرافهما و تسميرهما ففعل بهما ذلک.

و بعد توجيه الملک الأشرف إلى حلب بعد فتح قلعه الروم، عزل الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى عن نيابه السلطنه بحلب و ولى عوضه الطباخى فى الفتوحات و ما معها الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، و ولى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى نيابه حلب،

و ولى فى قلعه الروم و ما أضيف إليها الأمير عز الدين الموصلى، فامتنع فغضب عليه السلطان، و قبض عليه الأمير جمال الدين أقوش الفارسى، فلم تطل مدته و توفى سريعا فأعيد إليها الأمير عز الدين الموصلى.

و فيها فى رابع عشر شهر رمضان عمل عسكر مصر بدمشق النيروز كعادتهم بالديار المصريه، و تأذى جماعه من أهل دمشق منهم، فإن أهل دمشق ما لهم عاده بذلک.

[اعتقال سنقر الأشقر مع عدد من الأمراء]

و فى أثناء هذا النهار قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، و على الأمير ركن الدين طقصو، و هرب الأمير حسام الدين لاجين فنادى عليه المناديه بدمشق أن من مسک الأمير حسام الدين لاجين أو أحضره، أو أعلم به أين هو، كان له ألف دينار، و من أخفاه شنق، ثم إن السلطان ركب هو و مماليكه، و أكثر الأمراء فى طلب حسام الدين، و أصبح يوم العيد و السلطان مهجج فى البريه، و كانوا قد عملوا السماط كجارى العاده فى الأعياد، و قد اطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر، و طلع الخطيب موفق الدين فصلى فى الميدان بالعوام، و السلطان و العساكر مهججين فى طلب الأمير حسام الدين لاجين، و لم يقعوا له على خبر، و عاد السلطان بعد صلاه العصر إلى دمشق و العسكر و هم فى أسوأ حال، فعمل بعض الفضلاء فى الخطيب موفق الدين المذكور هذه البيتين:

خطب الموفق إذ تولى خطبهشق العصا بين الملوک و فرقا

و أظنه إن قال ثانيه غدادين الأنام و شملهم متمزقا

ثم إنهم سيروا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، و ركن الدين طقصو تحت الحوطه إلى مصر رابع شوال، و أما الأمير حسام الدين لاجين فإن العرب مسكوه و أحضروه إلى السلطان، فرسم بتسفيره تحت الحوطه مقيدا، و ذلک سادس شوال، و فى يوم الجمعه سادس شوال ولى السلطان الملک الأشرف الأمير عز الدين الحموى نيابه السلطنه بدمشق،

عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، و دخل الأمير علم الدين سنجر الشجاعى و عسكر الشام إلى دمشق يوم السبت سابع شوال، و هو منفصلا عن النيابه معزولا، و طلع إلى لقائه الشيخ عز الدين الفاروثى فسلم عليه، و قال قد عزلنا من الخطابه فقال له الشجاعى و نحن من النيابه، فقال الشيخ عز الدين: عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِکَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الْأَرْض(1) الآيه. فبلغ ذلک ابن السلعوس فزاده غيظا و حنقا عليه، و كان قد عين له مدرسه الأمير ناصر الدين القيمرى عوضا عن الخطابه، فأهمل الكلام و سافر و لم يقض شغله و شغلته الخزانه و الزردخاناه و سفروا الأسارى من دمشق يوم الاثنين تاسع شوال، و كان قد سافر الضعفاء من عسكر المصريين فى العشرين من شهر رمضان، و سافر السلطان الملک الأشرف من دمشق قاصدا الديار المصريه ليله الثلاثاء عاشر شوال، و كان قد رسم لأهل الأسواق بدمشق و ظاهرها أن كل صاحب حانوت يأخذ بيده شمعه، و يخرج إلى ظاهر البلد، و عند ركوب السلطان يشعلها، و خرج أهل كل سوق مع عريفهم، و بات أكثر أهل البلد ظاهر دمشق لأجل الوقيد و الفرجه، و هذا شى ء لم يعمل لملک قبله مثله، فلما كان الثلث الأخير من الليل ركب السلطان، و أشعلت الناس الشموع، فكان أول الشمع من باب النصر، و آخر الوقيد عند مسجد القدم، لأن والى مدينه دمشق قد رتبهم من أول الليل ناس بعد ناس و لم يسمع مثلها لأحد من الملوک غيره، و دخل القاهره يوم الأربعاء ثانى ذى القعده من باب النصر، و شق البلد، و خرج من باب زويله و صعد إلى القلعه، و كان يوما مشهودا، احتفل لدخوله أهل مصر و القاهره احتفالا عظيما، و أعطى عند وصوله للأمير شمس الدين قرا سنقر إقطاعا مائه فارس بمصر.

و فيها فى العشر الأخير من ربيع صقعت أكثر الصحراء بدمشق،

1- سوره الأعراف- الآيه: 129.

و أتلفت أشياء كثيره من الثمار، و امتدت إلى بعلبک و الزبدانى، و غيرهم، و كان فى هذه السنه نقص كبير فى الفواكه بالشام.

و فى هذه السنه اشترى الأمير سيف الدين طغجى الأشرفى قيساريه القطن بدمشق المعروفه بإنشاء الملک المعظم بن العادل من بيت المال بمرسوم سلطانى أشرفى، و كان حظيا عند السلطان إلى غايه، و حسن له وكيله شمس الدين محمد بن جراده، و هو يومئذ مشد الزكاه و العشر حتى يأخذ له مرسوم السلطان بنقل الحريريين الذى بدمشق إلى القيساريه ففعل ذلک، و نقلوا جميع الحريريين إلى القيساريه المذكوره، و بقى سوق الحيريرين بطالا كأنه بطن حمار، و ذلک فى خامس رجب الفرد.

و فيها أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الدوادارى عقيب فتح قلعه الروم، و أخرج من الحبس بالديار المصريه و أحضر إلى دمشق، و خلع عليه، و عاد إليه ما أخذ منه، و توجه صحبه السلطان إلى مصر و ولى شد الدواوين بمصر مكرها، و أعطى إقطاع مائه فارس.

[انتهاء العمل فى بناء قلعه دمشق]

و فى ربيع الآخر انتهت العماره المستجده بقلعه دمشق، و عمل القبه التى على البحره، و الطارمه و غيرهما.

و فى ربيع الآخر ورد الخبر إلى دمشق مع البريد بأن التتار أغاروا على ظاهر الرحبه، و نهبوا أشياء كثيره من المواشى و غيرها، فجردوا جماعه من عسكر دمشق و توجهوا من دمشق ثامن عشرين منه.

و فيها فى شعبان طلق الملک المظفر صاحب حماه صلاح الدين يوسف ابن الملک العزيز زوجته، و هى ابنه خاله الملک الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملک العزيز محمد ابن الظاهر ابن الشهيد صلاح الدين، فعاب الناس عليه ذلک و استقبحوا منه ذلک غايه القبح، و بلغ السلطان فنقصت مرتبته عنده و توجهت إلى الديار المصريه، فتوفيت عند وصولها إليها رحمها الله تعالى.

و بعد سفر السلطان من دمشق استعفى الصاحب محيى الدين ابن النحاس، و طلب الإقاله من مباشره نظر الدواوين بالشام، فأعفى من ذلک، و رتب فى نظر الخزانه بدمشق عوضا عن ابن النحاس، و تولى أمين الدين سالم بن صصرى فى نظر الخاص، و هى الأملاک التى كان قد احتاط عليها ناصر الدين ابن المقدسى، و غيرها، مع وكاله الخاص، و أفردوه عن تاج الدين ابن الشيرازى.

[خنق سنقر الأشقر مع عدد من الأمراء]

و فى يوم الأربعاء ثالث عشرين ذى القعده أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين بالديار المصريه، و أعطى خبز مائه فارس، و السبب فى ذلک أن السلطان الملک الأشرف عاقب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر و ركن الدين صقصو فاعترفوا أنهم كانوا يريدون قتله و أن لاجين لم يكن معهم، و لا كان له اطلاع على الباطن فخنقهم و أفرج عن لاجين بعد ما كان قد وضع الوتر فى حلقه، فعند ذلک ضمنه خشداشيته، الأمير بدر الدين بيدرا، و الأمير علم الدين الشجاعى، و غيرها، و أخرجوا الأمراء المخنقين فسلموهم إلى أهاليهم و كان معهما:

جرمق، و سعدان، و الهارونى، و غيرهم، ثم غرقوا جماعه أخرى رحمهم الله، و قيل إنما كان ذلک فى مستهل المحرم سنه اثنتين و تسعين و ستمائه، كان هلاک سنقر الأشقر، و الأمراء المذكورين.

و فيها فى ذى الحجه وصل إلى دمشق جماعه من التتر مقفزين من ناحيه الرحبه فوق ثلاثمائه فارس، وصلوا إلى دمشق، و توجهوا منها إلى الديار المصريه، فأخبروا بوفاه أرغون، و وفاه الملک المظفر صاحب ماردين، و استقرار ولده عوضه على قاعدته بماردين.

و فى ليله الخميس رابع عشر ربيع الأول كان عرس الصدر جمال الدين ابن الصدر شرف الدين ابن القلانسى على بنت القاضى أمين الدين ابن صصرى، و فى صبيحه هذا اليوم عقد الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين نفع الله به على بنت قاضى القضاه شهاب الدين الخوئى بالمدرسه الباذرائيه، و كان عقدا حفلا حضره أكابر الناس و العلماء.

[صلاه استسقاء فى دمشق]

و فى ثالث ربيع الآخر خرج الناس إلى صلاه استسقاء إلى الصحراء، و خطب الشيخ عز الدين الفاروثى، و حضر الأمير علم الدين الشجاعى ماشيا، و الجيش و الخاصه و العامه، و خرج أيضا جماعه إلى مغاره الدم، و أقاموا بها ليالى و أيام يبكون و يقرأون، و يتضرعون فما برحوا حتى سقى الله العباد، و أنزل الغيث بمنه و كرمه.

و فى مستهل جمادى الآخره دخل الأمير شمس الدين الأعسر على بنت الصاحب شمس الدين ابن السلعوس، و كان من قبل بأيام قد عقد العقد على صداق ألف دينار، المعجل منه خمسمائه دينار.

و فيها فى منتصف شهر رمضان و هو يوم السبت خرج بجنازه الصاحب فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر من قلعه دمشق، و صلى عليه بسوق الخيل، و دفن بسفح قاسيون، حدث عن بهاء الدين ابن الحميرى، و كان قد انفرد بكتابه الأسرار السلطانيه المنصوريه، و حظى عند السلطان الملك المنصور دون جميع الموقعين، و كان سبب ذلک أن فخر الدين ابن لقمان، لما توزر للملک المنصور، كان هو رئيس الموقعين، و هو كاتب الأسرار فقال له السلطان:

من يكون عوضک فى كتابه السر فى الجماعه؟ فقال: ياخوند يكون فتح الدين بن عبد الظاهر، قال: أحضره فأحضره و رتبه، و اشتغل فخر الدين بأمور الوزاره فاتفق أن فتح الدين تمكن من السلطان و حظى عنده، حتى أن بعض الأيام ورد كتاب من بعض الجهات، و ما كان فتح الدين حاضر، و فخر الدين قد دخل فأعطاه السلطان الكتاب حتى يقرأه عليه، فلما قرأ بعض الكتاب، و فتح الدين دخل، فأخذ الكتاب من يد فخر الدين و دفعه بيده، و قال له: تأخر و أعطى الكتاب لفتح الدين، و ألقى إليه أذنه، و قال له: ما يكتب جوابه، و من ذلک اليوم تأدب معه رفاقه و خضعوا له، و لما ترک فخر الدين ابن لقمان الوزاره، و عاد إلى كتابه الإنشاء لزم الأدب أيضا معه، و ما قدر يعود إلى ما كان عليه أولا، و بقى

على مرتبته إلى حيث توفى، و لما تولى الملک الأشرف بعد أبيه، و رتب الوزير شمس الدين بن السلعوس فى الوزاره، و فوض إليه جميع الأمور، قال شمس الدين لفتح الدين: كل ما تكتبه تعرضه على، فقال له: لا سبيل إلى ذلک، و لا يطلع على الأسرار إلا مولانا السلطان، فإن اخترتم و إلا عينوا عوضى، فلما قالوا للملک الأشرف ذلک، قال: صدق هو يكون على ما كان عليه زمن الشهيد رحمه الله، و لما توفى وجدوا فى أوراقه قصيده قد عملها مرثيه فى المولى تاج الدين ابن الأثير رفيقه فى كتابه الإنشاء، و كان تاج الدين له مده طويله مريض، و قد أشرف على الموت فعوفى قبل وفاه فتح الدين بأيام قلائل، و ولى تاج الدين ابن الأثير مكانه، فعاد تاج الدين ابن الأثير رثاه، و ما أشبه هذه الواقعه بالأبيات المقدم ذكرها للشيخ عز الدين الإربلى رحمه الله:

لا تجزعى يا نفس إن عبثت بناأيدى الخطوب و خانت الأيام

و تضايقت أوقاتنا و لربما الدنياانكشفت شدائدنا و نحن نيام

كم رأينا من مريض فصلواأثوابه للعيد و هو همام

و الدهر يرفع للفتى و يحطه و العمر فيه صحه و سقام

و البدر يكمل بعد نقصان به و يحل فيه النقص و هو تمام

و العمر يفنى بعد ذاک و تذهب الدنيا و يذهب بعدها الأقوام

و كان عنده تواضع، و حسن تلقى و بشاشه، و جد و كيس، قال ابن الجزرى: اتفق أننى كنت يوما بقلعه دمشق عند الأمير سيف الدين ابن المحفدار أمير جاندار بباب السلطان، و معى لوائس(1) حتى يأخذ له منها واحده، و فتح قد طلع من عند السلطان و بيده كتب فسلم على سيف الدين و قلب معه اللوائس، فسألنى عن أثمانهن فعرفته الثمن،

1- لم أهتد إلى المقصود، و لم ترد هذه الحكايه فى تاريخ ابن الجزرى- ط. بيروت 1998- ج 1 ص 134- 136.

فأعجبه منهن واحده فأخذها، و راح و إلى بعد ثلاثه أيام سير طلبنى من الأمير سيف الدين، فحضرت عنده فأعطانى الثمن، و طلب أن يترک فائده عشره دراهم، فلم أفعل و حلفت أننى ما أكسب شى ء و أن مولانا لو لم يطلبنى من الأمير سيف الدين ما كنت جئت، و لا طلبت لها ثمن، فأعجبه ذلک و زاد فى إكرامى و بقيت بعد ذلک لا أراه و إلا و يتلقانى أحسن تلقى، و تنقضى حوائجى، فأدعو له و أنصرف، و كان من محاسن الزمان و كان ناهضا فى اشتغاله و كافيا فى أمور مرتبته، و ملازم شغله ليلا و نهارا، بحيث لم يقدر أحد بعده يقوم وحده بالوظيفه بل من يساعده على القيام بها ...

[أحداث]لسنه الثانيه و التسعون و ستمائه:

اشاره

دخلت هذه و خليفه المسلمين يومئذ الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد أمير المؤمنين، و سلطان الديار المصريه و البلاد الشاميه من دنقله إلى ساحل البحر إلى قاطع الفرات السلطان الملک الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى، و الملوک على حالهم خلا صاحب ماردين فإنه توفى، و استقر مكانه ولده الملک المسعود شمس الدين داود، و نائب السلطنه بدمشق الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، و متولى البر الأمير سيف الدين طوغان، و القضاه على حالهم و هم: قاضى القضاه شهاب الدين ابن الخوئى الشافعى، و نائبه شمس الدين الملطى، و قاضى القضاه جمال الدين الزواوى، و قاضى القضاه شرف الدين الحسن الحنبلى، و ليس له نائب، و وكيل بيت المال تاج الدين ابن الشيرازى، و المحتسب شرف الدين بن الشيرجى، و الخطيب بجامع دمشق موفق الدين الحموى، و ناظر الخزانه الصاحب محيى الدين محمد بن النحاس الحلبى الحنفى، و ناظر الجامع شهاب الدين أحمد ابن السلعوس أخو الوزير.

ذكر الحوادث

[وصول السلطان الأشرف إلى دمشق و عقد هدنه مع صاحب سيس]

فيها توجه السلطان الملک الأشرف من الديار المصريه قاصد الشام، فوصل إلى دمشق، و دخلها بكره يوم الأحد تاسع جمادى الآخره و نزل بالقصر الأبلق من الميدان الأخضر، و كان قبل دخوله بثلاثه أيام قد طلع القضاه و أعيان الدوله و الرؤساء و المتولون يتلقون الوزير شمس الدين ابن السلعوس، و كان دخوله إلى دمشق هو و نائب السلطنه بالديار المصريه الأمير بدر الدين بيدرا، و فى صحبتهم الخزانه يوم الخميس سادس جمادى الآخره، و ذلک بسبب ترتيب الأمور، و بسبب دخول السلطان، فلما استعد ركابه بالقصر شرع فى تجهيز العساكر إلى بلاد سيس، و الغاره عليها، فعند ذلک وصل رسل صاحب سيس و هم يطلبون الصلح، و رضا السلطان عليهم، و مهما طلب منهم من القلاع و المال أعطوه، فاستشار الأمراء فى ذلک، و شفع الأمراء فى صاحب سيس، و اتفق الحال على أن يتسلم نواب السلطان من صاحب سيس ثلاث قلاع و هى: بهسنا، و مرعش و تل حمدون، و هذه مرعش و بهسنا من أحصن قلاعهم، و أعظمها لا سيما بهسنا فإنها حصينه و بها ضياع كثيره تزرع و هم فم الدربند، و باب حلب، و كانت فى زمان الملک الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب فى يد نوابه، و هى من أعمال بلاده، فلما جاء التتر إلى حلب و ملكوها كان فيها متولى الأمير سيف الدين العقرب فباعها لصاحب سيس بمائه ألف درهم، فأعطاه ستين ألف درهم و تسلمها منه، و بقيت فى يدهم إلى الآن، و كان منها على المسلمين أذى عظيم، فلما كان فى السنه الخاليه، و فتح السلطان قلعه الروم و أخذ خليفه خليفه الأرمن، حصل للأرمن خوف و ذل عظيم، فما كان لهم شيئا يدفعوا عنهم به إلا هذا، بسبب نهب بلادهم إلا بتسليم بهسنا، و أضعفوا الحمل الذى كانوا يحملونه فى كل سنه فلله الحمد و المنه على ذلک، ثم سفروا رسل صاحب سيس و صحبتهم الأمير

سيف الدين طوغان والى بر دمشق حتى يتسلم بهسنا و ما استقر عليه الصلح.

[توجه السلطان الأشرف لاعتقال الأمير مهنا و عودته إلى مصر]

و أقام السلطان الملک الأشرف بدمشق إلى مستهل رجب الفرد، ثم توجه منها و صحبته عسکر الشام و الأمراء، و بعض عسکر مصر، و أما الضعفاء من عسکر مصر أعطاهم دستورا بعودهم إلى ديار مصر، و أما السلطان فوصل إلى حمص، ثم توجه منها إلى سلميه مظهرا أنه رايح إلى ضيافه الأمير حسام الدين مهنا ابن الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا، أمير العرب من بنى طى ء و غيرهم، و كان سفره من دمشق يوم الثلاثاء ثانى رجب، فلما كان بكره يوم الأحد سابع رجب وصل الأمير حسام الدين لاجين، و صحبته الأمير حسام الدين مهنا، و هو مقبوض عليه، و قد مسکه السلطان لما انقضت الضيافه قبض عليه، و ولى عوضه [واحد من] أولاد عمه، و هو الأمير محمد بن على بن حذيفه، فترکوه بقلعه دمشق و فى بقيه النهار وصل السلطان إلى دمشق و رسم للأمير بدر الدين بيدرا بأن يأخذ بقيه العساکر المصريه، و يتوجه بهم إلى ديار مصر، و أن يرکب هو تحت الصناجق عوضا عن السلطان، فکان قصد السلطان أن يتخلى هو و خاصکيته، فسافر الأمير بدر الدين بيدرا من دمشق يوم الخميس حادى عشر رجب، و فى صحبته شمس الدين ابن السلعوس، و سافر بعدهم السلطان الملک الأشرف من دمشق إلى الديار المصريه يوم السبت ثالث عشر رجب، فوصل إلى غزه يوم الأربعاء سابع عشر رجب أول النهار، و سافر منها آخر النهار، و کان من قبل سفره بثلاثه أيام قد وصل البريد يخبر بتسليم بهسنا و أن نواب السلطان قد تسلموها، و قعدوا بها، و حکموا فيها، فدقت البشائر بذلک فى دمشق، و کان فتحا عظيما للمسلمين، فعين السلطان أن يکون نائب السلطنه بها الأمير بدر الدين بکتاش الزردکاش المنصورى الذى کان نائبا بقلعه الصبيبه و بانياس، و عين لها قاضيا، و يکون خطيبا بها،

و استخدموا لها رجال يحفظونها من كل نوع، كما جرت به عاده القلاع، و لما كان يوم الاثنين ثامن عشرين رجب وصل إلى دمشق الأمير سيف الدين طوغان، و صحبته رسل صاحب سيس، و معهم الحمل و الهدايا و التحف، و من جهه الطباخى نائب السلطنه بحلب أستاذ داره يخبر بتسلمهم حصن بهسنا و بلادها، فتوجهوا إلى مصر إلى عند السلطان من دمشق مستهل شعبان.

[أمطار و رياح بالشام]

و فيها حصل للركب الشامى مشقه عظيمه بمعان، فى العشر الأخير من المحرم رياح عظيمه، و برد و مطر، و هلک الناس، و تطايرت العمائم، و حملت الريح بعض الجمال الواقفه، و اشتغل كل امرى ء بنفسه، و هلكت الأمتعه و الثياب، و حصل لهم مشقه عظيمه، و حصل فى دمشق أيضا مطر و ثلج، و برد عظيم، و كذلک فى سائر بلاد الشام بحيث بيع بدمشق رطل الفحم بدرهم و اللحم بأربعه دراهم، و هلک جماعه كثيره بالغور، و كذلک من البقر، و الغنم، و الجواميس شيئا كثيرا، و أخبرت جماعه كثيره قدموا من مصر إلى دمشق أنه وقع أيضا بديار مصر أمطار كثيره على خلاف العاده، و خربت منه أماكن كثيره، لأن أسطحتهم ليس هى مطينه، و لا مستعدين للمطر مثل بلاد الشام.

و فيها فى شهر رجب وصل كتاب من نائب بعلبک، يخبر فيه أن وقع بمدينه بعلبک أمطار و ثلوج، و أن المطر كان كأنه مجبول بطين كثير، إلى غايه، و حتى أن الماء وصل إلى شراريف السور، ثم أنه انحدر بعد ذلک، و أخذ فى طريقه كروم كثيره جدا، اقتلعها بشرورشها، و ساق معه صخر و طم أكثر الطرقات و أنهم أحصوا جمله ما خرب و أتلف من بلاد بعلبک فكان قيمته فوق مائه و خمسين ألف دينار.

و فيها فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين المحرم حكم قاضى القضاه حسام الدين الحسن الزواوى الحنفى بدار العدل للأغياكيين بأن الدباغه وقف على ولدى الإمامين على بن أبى طالب و جعفر عليهما السلام، و لم يوافق

قاضى القضاه شهاب الدين الخوئى الشافعى على ذلک، و هى قضيه مزمنه كان النزاع فيها فى مائتى سنه، و كل ما قام دوله يقوموا و القضاه لم يحكموا لهم بشى ء، نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير.

و فيها تولى الأمير سيف الدين طوغان نيابه سلطنه قلعه الروم، عوض الأمير عز الدين الموصلى، و تولى الأمير سيف الدين أسندمر ولايه بر دمشق، عوض عن الأمير سيف الدين طوغان، و كانت الولايه لهما فى رجب.

و فيها رسم السلطان الملک الأشرف للأمير عز الدين أيبک الحموى الأفرم أمير جاندار، أن يسافر إلى بلد الشوبک، و أن يخرب قلعتها، فعادوه فى بقائها، فانتهره فسافر و أخربها غير القلعه، و كان ذلک فى غايه ما يكون من الخطأ، و سوء التدبير، لكن درجه السلطان كانت تقتضى الخراب، لأنه فى قلعه القاهره أخرب أكثر بنيانها، و كذلک فى قلعه دمشق أخرب قاعات كثيره، و بظاهر قلعه دمشق إلى باب الميدان ما تقدم ذكره، و خراب السواحل جميعها و عدم الأجلاب البحريه، و أما ثغر الاسكندريه فانقطعت عنها المراكب و بلغ قيمه كل ما يجلب من البحر الدينار عشره أمثاله.

و فيها فى يوم الأحد عاشر جمادى الأول درس بالظاهريه، التى ظاهر دمشق القاضى إمام الدين الزوينى، و حضر القضاه و العلماء و جماعه من الفقهاء و غيرهم.

و فى أول شعبان باشر الصدر الرئيس أمين الدين ابن هلال نظر ديوان الجامع بدمشق، لما تركه المولى شهاب الدين ابن السلعوس.

[لعب السلطان بالقبق و احتفاله بختان أخيه الناصر محمد]

و فى العشرين من شهر ذى الحجه لعب السلطان الملک الأشرف ظاهر القاهره خارج باب النصر عند قبه النصر القبق، و صفه ذلک بأن ينصب صارى عالى، و يعمل على رأسه قرعه، و يترک فى القرعه طير

حمام، ثم يأتى الرامى و هو سائق فرسه و يرمى النشاب، فمن أصاب القرعه و الطير الحمام رمى عليه خلعه تليق به على مقداره، و كان ذلک بسبب طهور السلطان الملک الناصر ابن السلطان الملک المنصور، و عمل مهم عظيم، و كان الطهور يوم الاثنين ثانى و عشرين ذى الحجه، فعندما طهروهم رمى الأمراء الذهب لأجل النقوط، و ذلک كل أمير معه مائه فارس مائه دينار، و كل أمير معه خمسين فارس، خمسين، و أربعين أربعين، و كل واحد على مقدار ما معه من الأجناد يرمى فى الطشت، و كذلک المقدمين، و باقى الحاشيه، و المماليک السلطانيه، و كان وقتا عظيما، ذكروا أنهم أملوا جماعه طشوتا ذهبا عينا، و كان ذلک آخر فرح عمله الملک الأشرف، كأنه كان يتودع الدنيا رحمه الله تعالى.

و كان فى صفر قد ورد المرسوم منه إلى دمشق بعمل مائه شمعدان مطعمه، و مائه و خمسين سرج مسقطه، و تخت كبير مصفح بالذهب و الفضه، و ألف ثوب مروزى، و غير ذلک من الأوانى و الأقمشه بسبب هذا الختان المذكور.

و فى عاشر ربيع الأول سافر من دمشق إلى مصر الأمير شمس الدين سنقر البكتوتى المعروف بالمساح، بمرسوم سلطانى أشرفى، ورد يطلبه، فلما كان عشرين ربيع الآخر وصل إلى دمشق الأمير سيف الدين بلبان الخزندار الحلبى من مصر على إقطاع المساح، و هو مائه فارس، و زياده عليه جمله كثيره من عين و غله.

و فى سابع و عشرين محرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين الحموى الخزندار المنصورى متولى الفتوحات الساحليه الطرابلسيه، عوضا عن الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى و صحبتهم الأمير علم الدين الدوادار و معهم جماعه الأمراء.

[زلازل فى الشام و خاصه بالكرک]

و فى شهر صفر حصل ببلاد غزه و الرمله ولد، و قاقون، و الكرک

زلزله، و كان معظم الزلازل تأثيرها بالكرک، بحيث انهدم ثلاثه أبراج من قلعتها، و بنيان كبير من دورها، و كانت الزلزله فى شهر صفر، و وصل الخبر إلى دمشق و مرسوم السلطان فى ربيع الأول البريد بتجريد الأمير علم الدين الشجاعى أحد أمراء الشام، و فى صحبته جماعه من الصناع و المهندسين، و الحجارين، و الآلات الكبيره لعماره ما تهدم من قلعه الكرک، و قبض الأمير عز الدين أزدمر العلائى أحد أمراء دمشق، و سيروه إلى الديار المصريه، فى مستهل ربيع الآخر، و فى جمادى الآخره وصل الخبر إلى دمشق أن الأمير مجد الدين محمود بن قرمان تسلم قلعه العلايا من بلاد الروم و أنه خطب بها للملک الأشرف، و أن نائب قلعه الروم تسلم حصن نكازر من أعمال قلعه الروم، و أن نواب حلب تسلموا أيضا حصنين من حصون الأرمن أحدهما يقال له كدير يرب و الآخر وابوما.

و فى شوال ورد البريد إلى دمشق من مصر بالحوطه على موجود الأمير عز الدين أيبک الأفرم، و أخبر أن السلطان قبض عليه، و أخذ منه أموالا كثيره، و أعطى إقطاعه للأمير حسام الدين لاجين.

[قدوم التاجر الحاج عبد الله بن محمد من القسطنطينيه]

و فيها قدم إلى دمشق الحاج عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن السنجارى التاجر السفار من القسطنطينيه، و كان بينه و بين والدى معرفه قديمه فسأله الوالد عن حاله، و أين كان مقيما، فقال: فارقت بلادى خوفا من التتر، و سكنت حلب فجاؤوا خلفى، فسافرت إلى مصر فما طابت لى من حيث الزكاويه، فسافرت إلى الاسكندريه، و نزلت البحر و سافرت إلى بر القفجاق، و عند رجوعى استوطنت القسطنطينيه اثنتى عشر سنه، فقال له الوالد: يا حاج عبد الله بعد الحج و المسلمين تقيم عند الفرنج؟ قال: يا أخى أحسن أصف لک صفتها، و عن قله الاعتراض على الساكن بها، و مهما أراد أن يعمل عمله، و لا ينكر عليه أحد مع قله الكلفه، و كثره الخير، فقلت له: يا عمى صف لى صفتها،

فقال: هی کبیره شبه الاسکندریه علی جانب البحر، مسیرتها من بکره إلی الظهر، و فیها مکان قدر ثلث دمشق علیه سور، و علیه باب یغلق و یفتح مختص بسکنی المسلمین، و کذلک مکان آخر لسکنی الیهود، و کل لیله یغلق البابین مع أبواب البلد، و فیها مائه ألف کنیسه إلا کنیسه، و الکنیسه العظمی تکمله مائه ألف ملک، إلا ملک، فکان لکل ملک کنیسه و بنی کنیسه سماها العظمی، قال: و هی من أعظم البنیان، و الذی یقفون علیه عند صلواتهم جمیعهم شبابیک مخرمه، و تنزل الشمامسه من أسفل بالمباخر فیبخرون فیصعدون البخور إلی أعبابهم، و فی حیطانها مصور فیها کل مدینه فی الدنیا، و کذلک جمیع الصنائع، فإذا أراد أحدهم تعلیم ولده صنعه یأخذه ثلاثه أیام و یروح به إلی الکنیسه و یوریه جمیع الصنائع، فکل صنعه أعجبت الصبی ترکه فیها، قال و قد وضعوا جمیع الصنائع، و جعلوا ماده کل صنعه من أین هی، قد جعلوا فوق الجمیع صنعه الحداد، و قد أخذ الحداد ذکره بیده و هو یبول علی جمیع الصنائع، قال: فسألتهم عن ذلک فقالوا: ماذیه جمیع الصنائع من الحداد، قال:

و رأیت علی باب الکنیسه صوره منارتین علیات تقارب بنیانهم مناره الاسکندریه، و علی رأس الواحده فرس نحاس أکبر ما یکون مخوف، و علیها صفه راکب شخص من نحاس علی صوره بنی آدم مجوف، و فی یده کره من نحاس مجوف قائم علی رکبتیه و بیده کره و علی رأسه صینیه فیها خریزات و حصا و غیره، قال: فسألت القسیس الکبیر عن المنارتین، فقال: أما الراکب فکان قد ملک الدنیا جمیعها و هی صفه کره، و قد أشار أنه لما جاءه الموت، طلب من رب السماء أن یفدیه بجمیع ما یقبل منه، فهو یقول: من صار إلیه ملکی فلیعتبر، و قد أشار الملک الذی جاء بعده أنه ملک جمیع ما ملکه الملک الراکب الفرس، و أنه استخرج جمیع ما فی الکنوز، و جمیع جواهر البحار و غرائبها أضعافا مضاعفه، فلما جاءه الموت طلب أن یفدی نفسه بملکه، فلم یقبل، فزادهم جمیع ما خزائنه من الأموال، و اللؤلؤ، و الجواهر، و غیره، فلم یقبل منه ذلک، فهو یقول

بلسان حاله: من صار إليه هذا الأمر فليعتبر، قال: و فى الكنيسه خزائن كبيره، فيها من جميع العلوم، و فيها خزائن تسمى خزائن البلدان، كل خزانه مذكور فيها فى الكتب اسم المدينه، و ما فيها من الأنهار و الأعين، و ماديه البلد من أين هى، و من أين يدخل عليه الضرر، و يحصل له النفع حتى ما فيه من الكنوز و الدفائن، و أين هى مدفونه، لأن لما غلب المسلمون على بلادهم لم يلحقوا يستصحبوا جميع ما ملكوه، فدفنوه و كتبوا به كتبا وضعوها فى خزائن، و تركوها فى كنيسه القسطنطينيه لأجل ذريتهم، لزعمهم أن البلاد تعود إليهم، فمن أجل ذلک أن المغاربه قد اختصوا بعلم الكنوز دون غيرهم، و سبب ذلک أن المغاربه و الإفرنج لا تزال الحرب بينهم، فإذا أسر الفرنج من المغاربه جعلوا أكثرهم خدام الكنيسه، و يكون بعضهم يحسن الخط، و يكون عنده خدمه، فيبالغ فى خدمه القسيس المتسلم للخزائن، فربما بعض القساوسه اشتهى أن ينفع ذلک الأسير لأجل خدمته له فى المده الطويله، فيكتب له صفه كنز أو دفينه، ثم يتوصل ذلک المغربى إلى ذلک البلد فيجده، و قد تغير بنيانه و صفات الموضع، و ربما بعضهم أدركه أجله، فيعطى الورقه لأسير آخر، فما يدرى كيف قال له القسيس، فمن أجل ذلک يحصل لكثير منهم التخبط و التخليط، و مثل هذا النوع كثير.

و مما حكى لى الشيخ الفاضل شمس الدين أبو اسحاق إبراهيم بن أبى بكر الجزرى قال: أسر الفرنج لشخص من قريه باغيثا و هى ظاهر الجزيره العمريه، و بعث به صاحبه لخدمه كنيسه القسطنطينيه فتعلق الأسير بخدمه البطرک و نفذ إلى قلبه مده عشر سنين، فلما كان فى بعض الأيام هو و إياه قاعدين، و قد خلت الكنيسه، و لم يبق فيها غيرهما، قال له البطرک: إيش قولک فى ثلاثه آلاف دينار مصريه أعجل لک منها ألف دينار، و الباقى بعد عودک من قضاء الشغل، و إن شئت تذهب بعد ذلک؟ فقال له: و من لى بذلک، فحلفه البطرک، و حلف له البطرک على

أنه متى قضى شغله أعطاه تمام ثلاثه ألف دينار، و حيث شاء يسافر، ثم إنه وزن له ألف دينار، و كتب له إلى جميع البلاد بالوصيه عليه، و أن يمكنه الفرنج من السفر حيث شاء فسافر و توصل إلى قريته باغيثا و اجتمع بأهله و أقام مده، ثم بعد ذلک قال لأخيه: أريد أن تمشى إلى خلف الجبل الذى لنا، و جاؤوا إلى ورائه فرأوا فى جنبه بئرا كما وصفه له البطرک، فأراد الأسير النزول، فقال له أخوه: أنت يا أخى تعبان، و أنا أنزل عوضک، فقال له: إذا نزلت تجد فى جنب البئر عامود و هو مدفون فى التراب و رأسه يبين، فنحى عنه التراب، و افتح ذلک السرب، فتجد فى أسفل العامود رصاص فإذا وصلت إلى الرصاص تحيل فى قلع العامود منه، فنزل أخوه، و حفر و وجد العامود، فما برح حتى قلعه فعند قلعه إياه طفر عليه من تحت ماء عظيم غرقه، و امتلى ء الجب إلى قريب ثلثيه، فقام الأسير من عند البئر، و لم يعد إلى أهله خوفا لا يتهموه بقتله، و سافر من ساعته و توصل إلى القسطنطينيه بعد سنتين، فلما رآه البطرک ضحک و بهت، و قال له: من فداک بنفسه؟ قال: فحكى له ما جرى على أخيه، فوفى له بما وعده، و أعطاه الألفى دينار، قال ذلک الأسير، فكان فى القسطنطينيه أراضى كثيره خراب لم تزرع، فلما قدمت رأيت جميعها قد زرعت، و غرس فيها الأشجار، فسألت البطرک و قلت له: بسبب هذه الأراضى كان سفرى؟ فضحک، و عاد الأسير تاجرا إلى بلد الجزيره.

و حج بالناس فى هذه السنه من الشام الأمير بدر الدين بكتاش المعروف بالطيار الملكى المنصورى، و سافر هو و المحمل السلطانى من دمشق حادى عشر شوال.

و فيها فى مستهل المحرم هلک الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بن عبد الله الصالحى العلائى، كان من الأمراء الأكابر، و ممن ملک، و لقب بالملک الكامل، و خطب له على منابر الشام و ضرب الدرهم و الدينار باسمه، و كان يكتب على التواقيع سنقر الأشقر، كان أشقر، عبل البدن،

جهورى الصوت، شجاعا مقداما حسن السيره مهيبا، حسن السياسه رحمه الله، و هلک معه الأمير ركن الدين طقصو الناصرى و كذلک الأمير سيف الدين جرمک الناصرى، و الأمير سيف الدين الهارونى و غيرهم، و كان معهم الأمير حسام الدين لاجين فلما خنقوا قيل أنهم وضعوا الوتر فى حلقه، فانقطع، و كان السلطان حاضرا فقال ياخوند إيش ذنبى ما لى ذنب إلا حموى طقصو، و قد هلک، و أنا أطلق ابنته فرق له خشداشيته و قبلوا الأرض و سألوا السلطان فيه و ضمنوه فأطلقه، و خلع عليه، و أعطاه إقطاع مائه فارس و تركه سلحداره كما كان فى حياه والده و هو صغيرا، ليقضى الله أمرا كان مفعولا، رحمهم الله و إيانا.

[وفاه أبو البيان نبأ بن نبأ]

و فيها توفى الأمير شمس الدين أبو البيان نبأ بن نبأ بن الأمير نور الدين، أبو الحسن على بن الأمير شجاع الدين هاشم بن الحسن بن الحسين المعروف بابن المحفد المصرى مولدا، و دارا، و وفاه توفى بداره بالروضه ملاصق قلعه الجيزه ليله الثلاثاء حادى عشر صفر، صلى العشاء الآخره بسوره هل أتى على الإنسان، و بعد فراغه من الصلاه وجدوه ساجدا، و هو ميت، و كان له عاده يسجد عقيب الصلوات دائما و يدعو الله تعالى، و دفن من الغد بتربته بالقرب من تربه الإمام الشافعى، رضى الله عنه، كان دينا صالحا كثير المروءه و العصبيه لمن يعرفه، و لمن لا يعرفه واسطه خير، و له صدقات كثيره، و معروف و بر إلى المشايخ و الفقراء و حسن العقيده فى الصالحين، و عمره ما شرب خمر، و لا تعدا مكروه، خدم السلطان الملک الظاهر، و ولده الملک السعيد، فلما تولى السلطان الملک المنصور سيف الدين قلاوون أعطاه العصاه، و جعله أمير جاندار، و حظى عنده، و ارتفعت منزلته، و كان بينهما موده قديمه، رعاها له، فلما سلطن السلطان لولده الملک الصالح علاء الدين على، و جعله ولى عهده، سلمه إلى الأمير شمس الدين، و قال له: هذا ولدک مثل ما هو ولدى ربيه كما تعرف، و رتب ولده الأمير سيف الدين

عوضه أمير جاندار و أعطاه العصاه أيضا، و أمرهما إذا كانا بالديار المصريه مقيمين يكونا متحدين بالباب، و فى السفر يبقى الأمير شمس الدين فى خدمه الملک الصالح و الأشرف مقيما بالقلعه لا يفارقها ليلا و لا نهارا، و ولده الأمير سيف الدين صحبه السلطان، فلما توفى السلطان الملک المنصور استمر فى خدمه الملک الأشرف إلى أن توفى، و هو فى عشر السبعين سنه من العمر، رحمه الله و إيانا.

ص: 1408

ص: 1409

[أحداث]المحتوى

ص: 1410

ص: 1411

الصفحه الموضوع 7 توطئه

13 تقديم

36 حوادث سنه 360 ه- وصول القرامطه إلى دمشق

38 حمله القرامطه على مصر تحت قياده الحسن الأعصم

40 تعامل الخلافه الفاطميه مع حسان بن المفرج ليتخلى عن القرامطه

41 انهزام القرامطه

42 ولايه ظالم بن موهوب على دمشق

44 خروج أهل دمشق على الفاطميين

46 إحراق أجزاء كبيره من المدينه

50 دور منظمه الأحداث فى دمشق

52 ولايه ريان الخادم على دمشق

53 ولايه ألفتكين التركى على دمشق

55 وفاه المعز الدين الله الفاطمى و ولايه ابنه العزيز

55 قدوم الامبراطور البيزنطى ابن الشمقيق إلى ظاهر دمشق

60 قدوم القرامطه إلى دمشق و تحالفهم مع ألفتكين

62 خروج جيش فاطمى كبير بقياده جوهر الصقلبى يريد دمشق

63 انهزام الجيش الفاطمى و حصاره فى عسقلان

ص: 1412

65 خروج العزيز الفاطمى لحرب ألفتكين

67 أسر ألفتكين

68 الصلح بين الفاطميين و القرامطه

69 استيلاء قسام التراب على دمشق

72 سنه 369- وصول جيش فاطمى إلى دمشق

73 ظهور بكجور غلام قرعويه

74 وفاه عضد الدوله البويهى

75 سنه 371 و محاولات الفاطميين السيطره على دمشق

78 سنه 373 ولايه بكجور على دمشق

82 إرسال جيش فاطمى إلى دمشق بإمره منير القائد

88 سنه 381- نهايه بكجور

95 وفاه أبى الفضائل الحمدانى

97 ولايه منير القائد دمشق سنه 378

99 محاولات الفاطميين الاستيلاء على حلب و تدخل امبراطور الروم بسيل

103 وفاه العزيز بالله الفاطمى و ولايه ابنه الحاكم

106 إرسال سلمان بن جعفر بن فلاح على رأس جيش فاطمى إلى دمشق

109 الصراعات على السلطه فى القاهره

111 سنه 387- ولايه سلمان بن فلاح على دمشق

ص: 1413

116 ولایه بشاره الأخشیدی لدمشق سنه 388

117 ولایه جیش بن الصمصامه لدمشق و فتکه بالأحداث

118 وفاه جیش بن الصمصامه

120 قتل الحاکم لبرجوان الخادم

122 سنه 390 ولایه تمیم بن اسماعیل لدمشق ثم علی بن جعفر ابن فلاح

123 ولایه ختکین الداعی سنه 392

124 ولایه القائد طزملت سنه 392

125 من أخبار الحاکم الفاطمی

130 سنه 394- ولایه مفلح اللحیانی

131 التجاء الوزیر ابن المغربی إلی حسان بن المفرج

132 القضاء علی ثوره أبی رکوه ضد الحاکم سنه 397

135 ولایه حامد بن ملهم علی دمشق سنه 399، ثم عزله و تعاقب الولاه

135 من أخبار الحاکم بأمر الله

139 ولایه وجیه الدوله ابن حمدان

139 ولایه شهم الدوله شاتکین سنه 407

142 ولایه أنوشتکین الدزبری سنه 419 حتی وفاته

158 ولایه ناصر الدوله ابن حمدان سنه 433

161 ولایه طارق الصقلبی سنه 440

ص: 1414

163 ولایه رفق المستنصری سنه 441

164 ولایه حیدره بن حسین بن مفلج سنه 441

165 سنه 448- بدایه عمل ابن القلانسی التأریخی

165 زواج الخلیفه من ابنه جغری بک السلجوقی

165 سنه 449- تسلم الحسن بن علی بن ملهم قلعه حلب

166 سنه 450- ظهور البساسیری و ثورته

168 وصول السلطان طغر لبک إلی بغداد

169 ثوره ابراهیم ینال ضد طغر لبک

170 سقوط بغداد للبساسیری و إلغاء الخلافه العباسیه

172 عوده الخلیفه العباسی القائم إلی بغداد

172 سنه 451- مقتل البساسیری

173 سنه 452- دخول محمود بن نصر بن صالح بن مرداس إلی 174 حلب و هزیمه ناصر الدوله ابن حمدان

ولایه ابن البجناکی علی دمشق سنه 453

175 سنه 454- وفاه السلطان طغرلبک و ولایه ألب أرسلان

176 ولایه بدر الجمالی دمشق سنه 455

177 سنه 456- ولایه حیدره بن منزو

178 استیلاء محمود بن نصر علی حلب بمساعده ابن خان الترکی

179 ولایه بدر الجمالی الثانیه سنه 458

ص: 1415

179 سنه 459- الاضطرابات فی القاهره

180 سنه 460- ولایه بارز طغان لدمشق

181 تمرد ابن حمدان علی الخلیفه المستنصر الفاطمی

182 ولایه معلی بن حیدره بن منزو

183 احتراق مسجد بنی أمیه بدمشق

184 المجاعه فی مصر

185 سنه 462- ظهور الأتراک الناوکیه فی الشام

186 سنه 463 ظهور أتسز بن أوق و نشاطه للسیطره علی دمشق

187 معرکه مناز کرد

188 سنه 464- وفاه الخطیب البغدادی

189 سنه 465- استیلاء آل منقذ علی کفرطاب و وفاه ألب أرسلان

190 سنه 466- سلطنه ملکشاه

190 وفاه الخلیفه القائم العباسی

192 وفاه محمود بن نصر بن صالح

193 ولایه رزین الدوله انتصار بن یحیی سنه 468

193 استیلاء أتسز بن أوق علی دمشق

195 سنه 469- حمله أتسز بن أوق علی مصر و إخفاقه

198 وصول تتش بن ألب أرسلان إلی الشام سنه 470

199 محاصره جیش فاطمی لدمشق و استنجاد أتسز بتتش سنه 471

ص: 1416

200 مقتل أتسز بن أوق

200 مقتل أحمد شاه التركى فى حلب

201 سنه 472- نهايه حكم الدوله المرداسيه و استلام مسلم بن قريش لحلب

201 سنه 474- استيلاء آل منقذ على شيزر

202 475- محاوله تتش الاستيلاء على حلب

203 محاوله مسلم بن قريش الاستيلاء على دمشق

205 ثوره حران ضد مسلم بن قريش سنه 476

206 سنه 477- استيلاء سليمان بن قتلمش على أنطاكيه

207 سنه 478- مقتل مسلم بن قريش

208 بناء قلعه الشريف بحلب

209 سنه 479- استيلاء النورمان على المهديه

210 وصول السلطان ملكشاه إلى حلب

211 سنه 480- ولايه آق سنقر قسيم الدوله على حلب

212 سنه 482- استيلاء ملكشاه على سمرقند

213 سنه 483- انتزاع حمص من خلف بن ملاعب

213 سنه 484- زلازل بالشام

214 سنه 485- اغتيال نظام الملک ثم وفاه ملكشاه

216 سنه 486- الحروب بين السلاجقه من أجل عرش السلطنه

ص: 1417

219 استیلاء جیش فاطمی علی صور

220 سنه 487- وفاه الخلیفه المقتدی العباسی

221 مقتل قسیم الدوله من قبل تتش و استیلاء تتش علی حلب

223 زلازل کبیره

224 وفاه بدر الجمالی ثم وفاه المستنصر الفاطمی

225 ولایه المستعلی الخلافه فی القاهره

226 مقتل تتش بن ألب أرسلان

226 سنه 488- استیلاء رضوان بن تتش علی حلب

227 استیلاء دقاق بن تتش علی دمشق

228 وصول طغتکین إلی دمشق و محاوله رضوان بن تتش الاستیلاء علی دمشق

230 ذهاب خلف بن ملاعب إلی مصر سنه 489

230 سنه 490- استیلاء جناح الدوله حسین علی حمص

231 محاولات الفاطمیین العوده إلی الشام

232 وصول الحمله الصلیبیه الأولی إلی مشارف الشام

233 عصیان المجن الفوعی علی رضوان بن تتش

234 سقوط أنطاکیه للصلیبیین سنه 491

235 نزول الفرنجه علی معره النعمان سنه 492 و احتلالها و قتل أهلها

236 احتلال القدس

ص: 1418

237 سنه 493- أسر الأمير بوهيموند

238 سنه 494- حمله سكمان بن أرتق على الرها

238 وفاه غودفرى ملک القدس

238 استيلاء الفرنجه على حيفا

239 تسليم جبله إلى طغتكين

240 معركه عسقلان بين الفرنجه و المصريين

241 سنه 495- محاولات الفرنجه الاستيلاء على طرابلس

242 وفاه الخليفه المستعلى الفاطمى

243 سنه 496- اغتيال جناح الدوله حسين

245 سنه 497- استيلاء الفرنجه على جبله

246 استيلاء الفرنجه على عكا

246 وفاه دقاق بن تتش و ولايه أرتاش بن تتش

248 مغادره أرتاش دمشق و مراسله الفرنجه للتعاون

249 مداومه الفرنجه حصار طرابلس

249 سنه 498- مرض ظهير الدين طغتكين

250 وفاه ريموند صنجيل

251 وفاه السلطان بركياروق

252 معركه أرتاح و هزيمه رضوان بن تتش

253 محاوله الفرنجه احتلال بصرى

ص: 1419

254 سنه 499- مقتل خلف بن ملاعب

256 سنه 500- نشاط الفرنجه فی سواد حوران

257 محاصره السلطان محمد بن ملکشاه قلعه شاه دز قرب أصفهان

263 الأوضاع فی الجزیره و الموصل

267 سنه 501- حصار صور

267 إعلان صدقه بن مزید الأسدی العصیان علی السلطان محمد ابن ملکشاه

269 اشتداد حصار طرابلس

272 سنه 502- إخفاق طغتکین فی انجاد عرقه

273 سقوط طرابلس

275 عوده بوهیموند من أوربا لغزو بیزنطه

275 المهادنه بین طغتکین و الفرنجه

276 سنه 503- محاوله الفرنجه احتلال رفنیه

277 سفر طغتکین إلی بغداد ثم عودته قبل الوصول إلیها

280 استیلاء تانکرد علی طرسوس

280 استیلاء الفرنجه علی بیروت

281 ظهور کافر ترک فی بلاد ما وراء النهر

282 حصار الرها من قبل المسلمین

285 سقوط صیدا للفرنجه

ص: 1420

286 سنه 504- محاولات الاستيلاء على عسقلان

289 اتفاق جديد بين طغتكين و فرنجه القدس

290 محاوله السلطنه إغاثه أهل الشام و قدوم مودود

295 سنه 505- حصار صور

301 سنه 506- أوضاع صور

303 وفاه تانكرد أمير أنطاكيه

303 حمله مودود لإنجاد أهل الشام

308 سنه 507 اغتيال مودود فى جامع دمشق

311 وفاه رضوان بن تتش

312 ذهاب طغتكين إلى حلب

313 تجديد الهدنه بين طغتكين و مملكه القدس

313 محاوله للاستيلاء على شيزر

314 سنه 508- مقتل لؤلؤ اليايا فى حلب

315 وفاه بلدوين الأول ملک القدس

316 سنه 509- استرداد طغتكين لبلده رفنيه

318 وصول منشور سلطانى إلى طغتكين بتثبيت ولايته لدمشق

323 سنه 510- محاوله مخفقه لفرنجه طرابلس الإغاره على البقاع

325 سنه 511- وفاه السلطان محمد بن ملكشاه

327 وفاه الامبراطور ألكسيوس كومينوس

ص: 1421

327 سنه 512- اجتماع إيلغازى بن أرتق مع طغتكين لقتال الفرنجه

327 وفاه الخليفه المستظهر العباسى

328 سنه 513- معركه ساحه الدم

330 ظهور قبور الخليل و ولديه

331 سنه 514- المهادنه بين إيلغازى و الفرنجه

332 سنه 515- مقتل الأفضل فى القاهره

335 استيلاء الكرج على تفليس

336 سنه 516- مهاجمه دبيس بن صدقه بغداد

337 وصول أسطول مصرى إلى صور

338 وفاه إيلغازى بن أرتق

339 سنه 517 حمله ضد دبيس بن صدقه

340 وقوع بلدوين ملک القدس بأسر المسلمين

341 عصيان بلدوين فى قلعه خرت برت

342 هزيمه المسلمين أمام أعزاز

343 سنه 518- استيلاء الفرنجه على صور- حصار حلب

345 سنه 519- إلقاء القبض على المأمون البطائحى

346 إغاره ملک القدس على حوران

347 سنه 520- اغتيال آق سنقر البرسقى

349 من أخبار بهرام داعى دعاه الباطنيه و الاستيلاء على بانياس

ص: 1422

350 الخلافات بين الخليفه المسترشد و السلطان محمود بن محمد

351 سنه 521- أحوال مسعود بن آق سنقر البرسقى

353 استيلاء ختلغ آبه على حلب ثم استيلاء زنكى عليها

354 سنه 522- وفاه طغتكين و ولايه ابنه بورى

357 ذكر تاج الملوک بورى

358 مشكله الباطنيه فى دمشق

363 سنه 523- ولايه فولک أوف آنجو ولايه عهد مملكه القدس

366 سنه 524- ولايه زنكى الموصل ثم وصوله إلى حلب

368 استيلاء زنكى على حماه

368 مقتل الخليفه الآمر الفاطمى

370 سنه 525- مشاكل بورى مع آل الصوفى فى دمشق

372 وصول دبيس بن صدقه إلى صلخد

373 سنه 526 وفاه بلدوين الثانى

374 وفاه بورى بن طغتكين فى دمشق

378 ولايه اسماعيل بن بورى لدمشق

380 سنه 527- استرداد اسماعيل بانياس

384 استرداد اسماعيل حماه

386 إغاره التركمان على طرابلس

387 إيقاع جند حلب بقوه فرنجيه

ص: 1423

388 سنه 528- محاوله اغتيال اسماعيل بن بورى

389 الصراعات على السلطه فى القاهره

390 حمله للفرنجه ضد حوران

392 سنه 529- فرار الحاجب يوسف بن فيروز إلى تدمر

393 سوء سيره اسماعيل بن بورى و التخلص منه بقتله

396 إخفاق زنكى فى الاستيلاء على دمشق

398 الصراع بين الخليفه المسترشد و السلطان مسعود بن محمد و اغتيال الخليفه

401 مقتل دبيس بن صدقه فى سنه 530

402 الصراعات فى دمشق

408 حصار السلطان مسعود بن محمد بغداد

409 مقتل المفرج بن الحسن الصوفى

410 سنه 531- حمله الامبراطور يوحنا كومينوس على الشام

411 محاوله زنكى احتلال حمص

412 استرداد زنكى بعرين

414 عوده آل الصوفى إلى دمشق

417 سنه 532- زلزله بالجزيره

419 تولى معين الدين أنر السلطنه الفعليه فى دمشق

420 استيلاء الامبراطور البيزنطى على بزاعه

ص: 1424

422 زواج زنكى من صفوه الملک أم محمود بن بورى

423 سنه 533- زلزله بدمشق

425 اغتيال محمود بن بورى

426 استيلاء زنكى على بعلبک

427 سنه 534- محاوله زنكى الاستيلاء على دمشق

429 استنجاد حكام دمشق بالفرنجه

431 سنه 535- استيلاء الباطنيه على مصياف

432 سنه 536- إغاره لجه التركى على الفرنجه

433 هزيمه سنجر أمام كافر ترک

434 سنه 537- قدوم الامبراطور البيزنطى ثانيه إلى منطقه الثغور

435 سنه 538- هلاک ملک كافر ترک

436 سنه 539- عوده آل الصوفى إلى صلخد

438 فتح الرها من قبل زنكى

440 اغتيال جقر بن يعقوب نائب زنكى بالموصل

442 سنه 540- وصول الأخبار عن نيه زنكى مهاجمه دمشق

443 ابن القلانسى يتحدث عن عمله فى الكتاب

446 سنه 541- اغتيال زنكى

447 توجه نور الدين محمود إلى حلب

451 استرداد الفرنجه الرها، و مسير نور الدين إليها و إعاده فتحها

ص: 1425

452 زواج نور الدين من ابنه أنر

452 محاوله الفرنجه الاستيلاء على بصرى

455 أخبار المهدى بن تومرت

458 استخلاف عبد المؤمن بن على دوله الموحدين

459 سنه 542- وصول خلع من بغداد إلى أنر

461 فرار رضوان بن ولخشى من السجن

462 أخبار الحمله الصليبيه الثانيه

463 سنه 543- مهاجمه الحمله الثانيه لدمشق و إخفاقها

469 اضطراب الأحوال ببغداد

471 مقتل برق بن جندل على أيدى الباطنيه

472 سنه 544- انتصار نور الدين على فرنجه أنطاكيه

476 وفاه سيف الدين غازى بن زنكى بالموصل

478 وفاه الحافظ الفاطمى

479 وصول نور الدين للدفاع عن حوران و محاولته الاستيلاء على دمشق

480 سنه 545- تهادن نور الدين مع حكام دمشق

481 أسر جوسلين الثانى

482 استرداد نور الدين أعزاز

482 الصراعات على السلطه فى القاهره

ص: 1426

484 سنه 546- محاوله نور الدين أخذ دمشق و تدخل الفرنجه

488 وصول أسطول مصرى إلى الساحل

490 مقتل على بن مالک العقيلى صاحب جعبر

491 إغاره الفرنجه على البقاع

492 سنه 547- انتصار لأهل عسقلان على الصليبيين

494 مرض السعال فى دمشق

494 سنه 548- اغتيال العادل بن السلار فى القاهره

495 عزم نور الدين على إنجاد أهل عسقلان

497 وفاه ابن منير الشاعر

499 وفاه برهان الدين البلخى

501 سوء أوضاع سنجر بن ملكشاه

504 سنه 549- دخول نور الدين إلى دمشق

506 اغتيال الظافر الفاطمى

508 إغاره مراكب للفرنجه على تنيس

509 سنه 550- تجديد الهدنه بين نور الدين و بين ملک القدس

511 سنه 551- توجه نور الدين إلى حلب

514 خبر الزلازل

517 سنه 552

518 خلاص سنجر من الأسر

ص: 1427

519 إلحاق هزيمه كبيره بالفرنجه فى حوران

521 حصار بانياس من قبل نور الدين و نشاطات أخرى

524 زلزله كبيره

526 زلزله عظيمه فى دمشق و خراب حماه و شيزر

527 وفاه السلطان سنجر بن ملكشاه

528 زلزله كبيره فى دمشق

531 ورود عالم من بلخ إلى دمشق

533 مرض نور الدين فى حلب ثم تعافيه

535 سنه 553- قدوم نور الدين إلى دمشق

537 زلزله كبيره

538 تحريض نور الدين على إعاده بعض الضرائب

540 خروج الامبراطور البيزنطى نحو بلاد الشام

541 سنه 554- مرض نور الدين

545 هدنه نور الدين مع البيزنطيين

546 سنه 555- وفاه بزان بن ماجين

548 نهايه الكتاب

549 مسرح الحروب الصليبيه (خريطه)

551 دمشق و محيطها (خريطه)

552 دمشق فى عصر ابن القلانسى (خريطه)

ص: 1428

557 تکمله سبط ابن الجوزی

561 سنه 555

561 بیعه المستنجد بالله

561 وفاه قیماز الأرجوانی

561 المقتفی بالله

562 سنه 556

562 مقتل طلائع بن رزیک

563 سنه 557

563 حصار حصن حارم من قبل نور الدین

563 وفاه زمرد خاتون بنت جاولی

564 هزیمه نور الدین قرب البقیعه

566 سنه 559

566 فتح حارم

567 سنه 560

567 فتح نور الدین بانیاس

568 وفاه أمیر میران بن زنکی

568 سنه 561

568 فتح نور الدین العریمه و صافیتا

568 سنه 562

ص: 1429

568 عوده شيركوه إلى مصر للمره الثانيه

569 معركه البابين

570 سنه 563

570 سنه 564

570 احتلال قلعه جعبر من قبل نور الدين

570 حصار الفرنج القاهره

571 توجه شيركوه إلى مصر للمره الثالثه

571 مقتل شاور السعدى

571 استيزار شيركوه ثم وفاته

572 ترجمه شاور السعدى

573 وفاه أسد الدين شيركوه و وزاره صلاح الدين

574 سنه 565

574 نزول الفرنج على دمياط

574 زلازل بالشام

575 وفاه مودود بن زنكى

575 وفاه أبى بكر بن الدايه

576 سنه 566

576 بناء المدرسه الصلاحيه فى القاهره

577 غاره لصلاح الدين على فرنجه الشام

ص: 1430

577 سنه 567

577 إلغاء الخلافه الفاطميه

577 استخدام الحمام الهوادى من قبل نور الدين

577 وفاه العاضد الفاطمى

579 سنه 568

579 هديه من صلاح الدين إلى نور الدين

579 ذهاب نور الدين إلى الموصل

580 قدوم القطب النيسابورى إلى دمشق

580 إرسال قوات أيوبيه إلى المغرب

580 وفاه نجم الدين أيوب

581 سنه 569

581 إرسال جيش أيوبى إلى اليمن

582 إلقاء القبض على عماره اليمنى

582 وفاه عبد النبى بن مهدى فى اليمن

583 وفاه نور الدين محمود بن زنكى

600 ما جرى بعد وفاه نور الدين

601 سنه 570

602 وصول صلاح الدين إلى دمشق

603 حروب صلاح الدين ضد الأتابكه

ص: 1431

604 وصول النبويه من العراق

604 استخدام العماد الأصفهانى من قبل صلاح الدين

604 سنه 671

605 تجدد الحرب بين صلاح الدين و حلب

607 محاوله اغتيال صلاح الدين

608 سنه 672

608 زواج صلاح الدين من عصمت الدين بنت أنر

608 ذهاب صلاح الدين إلى مصر

609 سنه 673

609 وقعه الرمله و هزيمه صلاح الدين

609 مهاجمه أرناط مدينه حماه

610 وفاه كمشتكين خادم نور الدين

611 مسير صلاح الدين إلى حصن يعقوب

613 وفاه سيف الدين صاحب الموصل

613 وفاه توران شاه أخو صلاح الدين

614 ترجمه سيف الدين غازى

616 عوده صلاح الدين من دمشق إلى القاهره

616 وفاه اسماعيل بن نور الدين

618 سنه 578

ص: 1432

618 عوده صلاح الدين إلى دمشق

618 وقعه الحاجب لؤلؤ مع الفرنجه الذين أرادوا الاستيلاء على مكه

619 سنه 579

619 تسلم صلاح الدين آمد

620 استيلاء صلاح الدين على حلب

621 غزاه بيسان

622 وصول عبد الرحيم شيخ الشيوخ إلى صلاح الدين

622 سنه 580

624 مهاجمه نابلس من قبل صلاح الدين

624 وفاه إيلغازى بن ألبى الأرتقى

625 سنه 581

625 إخفاق صلاح الدين فى احتلال الموصل

626 وفاه عصمت الدين بنت أنر

627 سنه 582

627 وصول صلاح الدين إلى حمص

628 استيلاء أرناط على قافله إسلاميه كبيره

628 سنه 583

628 معركه حطين و فتح القدس

630 فتح عكا

ص: 1433

632 فتح طبريه

633 فتوح القدس

635 محاصره صور

636 سنه 586

636 تسلم حصن شقيف أرنون

636 حصار عكا من قبل الحمله الثالثه

638 حديث ملک الألمان

640 تسلم صلاح الدين الشوبک

641 سنه 587

642 سقوط عكا

643 معركه أرسوف

643 خراب عسقلان

644 وفاه الطبيب أسعد بن المطران

646 وفاه الحسين بن حمزه قاضى حماه

646 وفاه سليمان بن جندر

646 وفاه حسام الدين بن لاجين

647 نهب رتشارد قلب الأسد القافله القادمه من مصر

648 حمله رتشارد ضد القدس

650 صلح الرمله

ص: 1434

651 وفاه راشد الدين سنان

651 وفاه سيف الدين المشطوب

652 سنه 589

652 وفاه بكتمر بن عبد الله مملوک شاه أرمن

653 وفاه صلاح الدين و أخباره

662 ذكر ما تجدد بعد وفاته

663 سنه 590

663 الخلاف بين الأخوين العزيز و الأفضل

665 سنه 591

665 معركه الأرک فى الأندلس

668 سنه 692

668 معركه أخرى فى الأندلس و حصار طليطله

668 سنه 693

668 ذهاب أبو الهيجاء السمين إلى بغداد

669 وفاه طغتكين أخو صلاح الدين

670 سنه 594

670 نزول الفرنجه على تبنين

670 وفاه جرديک بن عبد الله النورى

671 وفاه عماد الدين زنكى الثانى

ص: 1435

671 وفاه قيماز بن عبد الله الرومى

672 وفاه أبى الهيجاء السمين

672 سنه 595

672 وفاه الملک العزيز بن صلاح الدين

673 ما جرى بعد وفاه العزيز

674 حصار دمشق من قبل الأفضل على

675 وفاه يعقوب المنصور الموحدى

680 سنه 596

680 استمرار حصار دمشق

681 عوده الأفضل إلى مصر

681 دخول العادل الأيوبى القاهره

682 توليه العادل ابنه الكامل على مصر

682 وفاه خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه

683 وفاه القاضى الفاضل

684 وفاه قيماز النجمى

684 سنه 597

685 هبوط النيل و مجاعه فى مصر

685 زلازل فى بلاد الشام

687 وفاه عز الدين ابن المقدم

ص: 1436

688 وفاه العماد الكاتب

689 سنه 600

690 من أخبار سبط ابن الجوزى

691 كسره المواصله أمام الأشرف بن العادل الأيوبى

691 وثوب ناصر الدين بن أرتق على عمه زوج أمه و قتله له

692 سنه 601

693 مهاجمه الفرنجه حماه

693 وفاه ابن بكتمر صاحب خلاط

694 سنه 602

694 إغاره ابن لاون الأرمنى على حلب

695 وفاه طاشتكين بن عبد الله التسترى

696 وفاه مسعود و مودود ابنا الحاجب مبارک

696 سنه 603

697 من أخبار سبط ابن الجوزى

698 سنه 604

698 حج سبط ابن الجوزى

699 وفاه قراجا الصلاحى

699 سنه 605

699 زلزله فی نیسابور

ص: 1437

700 سنه 606

700 نزول الكرج على خلاط

700 نزول العادل الأيوبى على سنجار

701 عصيان سنجر الناصرى بتستر

701 خروج سبط ابن الجوزى إلى الغزاه حتى نابلس

702 وفاه صاحب الموصل أرسلان بن عز الدين

703 سنه 608

703 وصول رسول من جلال الدين حسن صاحب ألموت

703 الاضطراب فى مكه أيام الحج

705 سنه 609

705 نوبه سامه الجبلى

706 وفاه الملک الأوحد صاحب خلاط

707 سنه 610

707 مشكله حج الملک الظاهر ابن صلاح الدين

708 وفاه سنجر بن عبد الله الناصرى

708 سنه 611

708 ملک أقسيس بن الكامل اليمن

709 حج الملک المعظم ابن العادل الأيوبى

709 سنه 612

ص: 1438

710 استيلاء ابن لاون الأرمنى على أنطاكيه

711 وفاه منكلى بن عبد الله بهمذان

711 نزول الملک الأشرف الأيوبى إلى حران

712 وفاه الملک الظاهر صاحب حلب

714 قدوم محمد خوارزم شاه إلى همذان بقصد بغداد

715 انهزام العادل الأيوبى أمام طلائع الحمله الصليبيه الخامسه و حصار قلعه الطور

717 وصول الفرنجه إلى جزين

717 وفاه الأمير أبى عبد الله الهكارى

718 حصار الحمله الصليبيه الخامسه دمياط

719 وفاه الملک العادل الأيوبى- ترجمته

722 وصول ابن شكر وزير العادل من الشرق

722 وفاه كيكاوس صاحب الروم

723 وفاه محمد بن تكش- خوارزم شاه

724 وفاه القاهر صاحب الموصل

724 سنه 616

724 تهديم دفاعات القدس

725 نفى ابن المشطوب من مصر

726 الملک المعظم یطلب من سبط ابن الجوزی تحریض الناس علی الجهاد

ص: 1439

727 إهانه الملک المعظم للقاضی زکی الدین

728 وفاه ست الشام بنت أیوب

729 وفاه الملک محمد ابن عماد الدین صاحب سنجار

729 سنه 617

729 اعتقال ابن المشطوب

730 أول ظهور التتر و عبورهم جیحون

731 وفاه الشیخ عبد الله الیونینی

736 اجتماع الملک المعظم بأخیه الملک الأشرف علی حران

737 تحریض سبط ابن الجوزی لهما علی الذهاب إلی مصر

739 إخفاق الحمله الصلیبیه الخامسه

739 حج أقسیس ابن الکامل

740 سنه 620

740 وفاه مبارز الدین سنقر الحلبی

742 سنه 621

743 قدوم أقسیس علی أبیه

743 سنه 622

743 وصول خوازم شاه إلی العراق

744 أخذ الملک المعظم دمشق

744 وفاه الخليفه الناصر العباسى

ص: 1440

745 بیعه الخلیفه الظاهر

747 سنه 623

747 وفاه المبارز المعتمد ابراهیم بن موسی

750 وفاه البدر الجعفری

750 وفاه کافور الحسامی

750 وفاه الخلیفه الظاهر

751 خلافه المستنصر بالله

751 سنه 624

752 وفاه الملک المعظم الأیوبی

758 سنه 625

758 نزول جلال الدین الخوارزمی علی خلاط

759 سنه 626

759 الحمله الصلیبیه السادسه و تسلیم الکامل القدس

759 ردات الفعل علی تسلیم القدس

760 دخول فردریک الثانی إلی القدس

762 حصار دمشق و انتزاعها من الناصر داود

763 وفاه أقسیس بن الکامل

764 سنه 727

764 استیلاء خوارزم شاه علی خلاط

ص: 1441

765 هزیمه جلال الدین منکبرتی أمام التحالف الأیوبی الجزری

769 سنه 628

769 مطارده التتر لمنکبرتی

770 وفاه بهرام شاه صاحب بعلبک

772 وفاه جلال الدین منکبرتی

774 سنه 629

774 عوده التتار إلی الجزیره

774 سنه 630

774 استیلاء الملک الکامل علی آمد

776 وفاه الوزیر ابن شکر

776 وفاه الملک العزیز عثمان بن العادل

777 وفاه مظفر الدین کوکبری

780 سنه 631

780 محاوله الکامل الاستیلاء علی مملکه سلاجقه الروم

781 وفاه الأتابک طغریل مملوک الملک الظاهر صاحب حلب

781 وفاه منکورس أخو الملک العادل الأیوبی لأمه

782 سنه 632

782 بناء الأشرف خان الزنجاری مسجدا

782 وفاه صواب مقدم عسكر العادل

ص: 1442

782 سنه 633

782 قطع الأشرف و الكامل الفرات

783 سنه 634

783 نزول التتر إلى إربل

783 بدايه الوحشه بين الأشرف و الكامل

784 وفاه الملک العزيز محمد صاحب حلب

785 سنه 635

785 وفاه الأشرف و الكامل

785 تحالف الصالح أيوب مع الخوارزميه

786 وفاه خطلبا بن عبد الله التبنينى

789 ما جرى بين الناصر و الجواد

790 وفاه الملک الأشرف

795 ذكر ما جرى بعد وفاه خاصه فى دمشق

796 سنه 736

796 مقايضه دمشق بسنجار

798 وفاه عماد الدين ابن شيخ الشيوخ

801 سنه 637

802 استيلاء الصالح اسماعيل على دمشق

803 اعتقال الصالح أيوب و سجنه فى الكرک

ص: 1443

804 استيلاء الصالح أيوب على القاهره

805 استيلاء بدر ادين لؤلؤ على سنجار

805 وفاه ناصر الدين صاحب ماردين

806 وفاه أسد الدين شيركوه الثانى

807 سنه 638

807 تسليم الشقيف إلى الفرنجه

807 وصول رسول خاقان التتر إلى ميافارقين

808 هزيمه الخوارزميه قرب حران

809 هزيمه الخوارزميه عند بزاعه

809 سنه 639

809 من أخبار الملک الجواد

810 سنه 640

810 معركه كبيره بين الحلبيه و الخوارزميه

811 وفاه الخليفه المستنصر

813 سنه 641

813 محاولات التصالح بين الصالح أيوب و الصالح اسماعيل

814 وفاه الصالح صاحب الروم

814 وفاه الملک الجواد

815 سنه 642

ص: 1444

815 عزل القاضى الرفيع

816 معركه الحربيه

817 وفاه عمر بن شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين

818 سنه 643

818 محاصره دمشق من قبل الخوارزميه

820 بعث الصالح أيوب لإحضار ابن توران شاه

820 وفاه معين الدين ابن شيخ الشيوخ

821 وفاه ربيعه خاتون بنت أيوب

822 سنه 644

822 معركه عيون القصب ضد الخوارزميه

824 وصول سبط ابن الجوزى إلى بغداد

824 الخلاف بين البابا و الامبراطور فردريک الثانى

825 القبض على ابن موسک من قبل الناصر داود

826 وفاه الملک المنصور صاحب حمص

826 وفاه برکه خان الخوارزمى

827 وفاه عماد الدين ابن موسک

827 وفاه الرکن الهيجاوى

827 سنه 645

827 تسلم نواب الصالح أيوب قلعه الصبيبه

ص: 1445

828 اعتقال عز الدين أيبک

829 وفاه شهاب الدين غازى

830 استيلاء الأشرف على تل باشر

831 وفاه العادل بن الكامل

832 احتلال الفرنجه دمياط (الحمله السابعه)

834 وفاه الصالح أيوب

834 بقيه أخبار الحمله السابعه

836 سنه 648

836 معركه المنصوره

838 وفاه جمال الدين ابن يغمور

839 وفاه توران شاه

841 وفاه لؤلؤ بن عبد الله مقدم عسكر حلب

842 وفاه الطبيب السامرى وزير الصالح أيوب

842 سنه 649

843 إخراب دمياط

843 وصول التتار إلى الجزيره

843 وفاه محمد بن سعد الكاتب

845 سنه 651

845 الوساطه بين المماليک و الأيوبيين

ص: 1446

845 سنه 652

845 ظهور نار عظيمه فى أرض عدن

845 مقتل أقطاى

846 سنه 653

846 عوده الناصر داود من الإسار

846 غرق بغداد

849 تكمله ذيل مرآه الزمان

851 سنه 654

851 وصول عساكر هولاكو إلى أذربيجان

851 توجه الصاحب كمال الدين ابن العديم رسولا إلى بغداد

851 ما تجدد للناصر داود

852 وفاه ابراهيم بن أنبا

853 وفاه ابراهيم بن أيبک المعظمى

855 وفاه طغريل بن عبد الله

855 وفاه يعقوب بن أبى بكر الأيوبى

856 نسب الأيوبيين

857 وفاه سبط ابن الجوزى

860 يوسف بن أبى الفوارس بن موسک

861 سنه 655

ص: 1447

862 قتل عز الدين أيبک

863 سلطنه المنصور بن عز الدين أيبک

864 القبض على الأتابک سنجر الحلبى

865 تخلى المماليک عن يوسف الثانى

866 الخلافات بين المماليک

867 ما تجدد للناصر داود

768 ترجمه أيبک الصالحى

873 وفاه أيبک بن عبد الله الحلبى

873 وفاه شجر الدر

874 غازيه خاتون بنت الملک الكامل محمد

874 أبو الحسن المغربى المورقى

875 سنه 656

876 استيلاء المغول على بغداد

879 الوقعه بين الملک المغيث و عسكر مصر

880 ما تجدد للتتار بعد أخذ بغداد

881 الوفيات

881 بكتوت بن عبد الله العزيزى

882 الحسن بن محمد بن عمروک

883 الملک الناصر داود

ص: 1448

906 زهير بن محمد على (البهاء زهير)

910 سليمان بن عبد المجيد الكرابيسى

913 يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزى

918 سنه 657

918 دخول هولاكو ديار بكر

919 أبو بكر بن الملک الأشرف

919 سنه 658

920 دخول المغول حلب

920 وصول نواب المغول إلى دمشق

920 وصول منشور هولاكو بتعيين كمال الدين ابن العديم قاضيا على الشام و الجزيره

921 وصول طلائع المغول إلى غزه

922 احتلال المغول بعلبک

924 توجه يحيى بن الزكى و أولاده إلى عند هولاكو

925 عوده ابن الزكى قاضيا إلى دمشق

926 استيلاء التتار على عدد من القلاع

927 الطواف برأس الملک الكامل محمد صاحب ميافارقين

928 معركه عين جالوت

929 أوضاع دمشق بعد عين جالوت

ص: 1449

936 مقتل قطز و سلطنه بيبرس

937 دخول التتار إلى الشام

940 الوفيات

940 ابراهيم بن يوسف (الوزير ابن القفطى)

940 ابراهيم بن أبى بكر بن أبى زكرى

942 أحمد بن يحيى بن هبه الله ابن الخياط الشاعر

946 الملک السعيد نجم الدين إيل غازى صاحب ماردين

946 توران شاه بن يوسف بن أيوب

947 الحسن بن عثمان- الملک السعيد

948 رسلان شاه بن داود الأيوبى

949 عثمان بن محمد بن أبى عصرون

951 المظفر قطز

955 كتبغانوين مقدم عساكر التتر

957 محمد بن غازى- الملک الكامل صاحب ميافارقين

958 حسام الدين الهذبانى

966 سنه 659

968 كسره التتار على حمص

969 انتزاع دمشق من يد الأمير علم الدين الحلبى

970 نزوح التتار عن حلب

ص: 1450

971 وصول المستنصر بالله إلى القاهره و مبايعته

972 مبايعه المستنصر خليفه

974 نسخه تقليد بيبرس

979 ولايه علم الدين الحلبى نيابه حلب

980 أخذ البرلى البيره

980 وصول ولدى صاحب الموصل إلى القاهره

981 توجه الخليفه و السلطان إلى الشام

981 مصاهره الخزندار المواصله

982 وصول الخليفه و السلطان إلى دمشق

982 توجه الخليفه إلى العراق

988 ذكر القبض على علم الدين الحلبى

989 خروج الأمير البرلى من دمشق

992 بيعه المستنصر بالله مصر

993 تبريز الملک الظاهر و الخليفه للمسير إلى الشام

994 الوفيات:

994 اسماعيل بن شيركوه بن محمد

995 إيل غازى الملک السعيد صاحب ماردين

995 عثمان بن منكورس

997 على بن محمد بن غازى الأيوبى

ص: 1451

998 يوسف (الثانى) بن محمد بن غازى

1002 ذكر سيره الملک الناصر

1006 سنه 660

1006 عود البرلى إلى حلب

1009 ذكر ما آل إليه أمر أولاد صاحب الموصل

1010 حصار المغول الموصل

1011 استيلاء التتر على الموصل

1012 رسل الملک الظاهر إلى السلطان عز الدين صاحب الروم

1013 الخلاف بين هولاكو و بركه

1015 وفاه الخليفه المستنصر

1016 اسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل

1016 بلبان بن عبد الله الزردكاس

1016 الخضر بن أبى بكر قاضى المقس

1018 عبد العزيز بن عبد السلام السلمى

1021 عمر بن أحمد ابن العديم

1022 سنه 661

1022 مبايعه الخليفه الحاكم

1027 توجه السلطان بيبرس إلى الشام و قبضه على صاحب الكرک

1030 حرب بين بركه و هولاكو

ص: 1452

1032 الوفيات

1032 لويس التاسع

1046 أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترين

1047 أحمد بن سيف الدين الهكارى

1050 سنه 662

1050 الفراغ من عماره المدرسه الظاهريه بالقاهره

1051 تسلم بيليک العلائى حمص

1053 اشتداد الغلاء بمصر

1054 الوفيات

1054 سليمان بن المؤيد العقربانى

1058 عمر بن محمد بن محمد- الملک المغيث

1061 لاجين بن عبد الله العزيزى

1064 موسى بن ابراهيم بن شيركوه

1067 سنه 366

1067 ورود الأخبار بنزول التتار على البيره

1068 فتح قيساريه

1071 وصول الخبر بهلاک هولاکو

1072 القبض على سنقر الأقرع

1073 الوفيات

ص: 1453

1073 موسى بن يغمور

1074 يوسف بن الحسن الزرزارى

1077 سنه 664

1078 توجه الملک الظاهر نحو صفد

1079 فتح صفد

1083 مشکله أهل قارا

1086 استيلاء شارل دى آنجو على صقليه

1087 الوفيات

1087 إيدغدى بن عبد الله العزيزى

1089 جالدک بن عبد الله الرومى

1090 هولاکو

1092 سنه 665

1092 عوده بيبرس إلى مصر

1092 إقامه الجمعه بالجامع الأزهر

1094 الوفيات

1094 برکه ملک التتار

1095 الجنيد بن عيسى الزرزارى

1096 الحسين بن عزيز القيمرى

1097 أبو شامه المقدسى

ص: 1454

1098 عبد العزيز بن ابراهيم بن على

1098 عبد الوهاب بن خلف- ابن بنت الأعز

1100 سنه 666

1101 خروج الملک الظاهر على نيه قصد الشام

1101 فتح يافا و هدمها

1102 التوجه نحو الشقيف

1106 غاره على طرابلس

1107 فتح أنطاكيه

1108 خلاص شمس الدين سنقر الأشقر

1110 ذكر قطيعه قررت على بساتين دمشق

1110 أخذ مالک بن منيف المدينه الشريفه

1111 مقتل السلطان ركن الدين صاحب الروم

1111 الوفيات

1111 أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن العجمى

1111 بولص الراهب المعروف بالحبيس

1112 عبد الخالق بن على بن محمد

1113 عبد العزيز بن منصور بن محمد- ابن وداعه الحلبى

1114 قليج أرسلان بن كيخسرو

1116 سنه 667

ص: 1455
1116 خروج الملک الظاهر إلی الشام
1117 تسلیم قلعه بلاطنس و قلعه بکسرائیل إلی نواب الظاهر
1118 غاره علی صور
1118 حج الملک الظاهر
1119 حوادث بلاد الشمال و العجم
1120 الوفیات:
1120 أیدمر بن عبد الله الحلبی
1121 الحسن بن علی ابن النحاس
1122 سلیمان بن داود بن موسک
1124 سنه 668
1124 غاره علی عکا
1125 قدوم مقدم الاسماعیلیه علی الملک الظاهر
1127 کسر أبغا لبرق
1128 الوفیات
1128 أیبک بن عبد الله الصالحی
1128 أیبک بن عبد الله الظاهری
1129 سنه 669
1129 هدم أسوار عسقلان

1130 فتح حصن الأكراد

ص: 1456

1132 تسليم نصف طرطوس

1133 فتح حصن ابن عكار

1134 نزول الظاهر على طرابلس

1135 سيل كبير فى دمشق

1135 تسليم حصن العليقه إلى نواب بيبرس

1136 فتح حصن القرين

1137 إخفاق حمله بحريه لمهاجمه قبرص

1138 نزول الفرنج على تونس

1139 دخول أجاى بن هولاكو إلى بلاد الروم

1140 الوفيات

1140 عباس بن محمد بن أيوب بن شاذى

1140 سنه 670

1140 خروج الملک الظاهر بيبرس إلى دمشق

1141 توجه الملک الظاهر إلى حلب

1144 وصول رسل التتار إلى الملک الظاهر

1146 استلام قلعه الخوابى

1146 الوفيات

1146 الحسن بن داود بن عيسى الأيوبى

1148 سنقر بن عبد الله الأقرع

ص: 1457

1148 سنه 671

1148 عوده الملک الظاهر إلی مصر

1149 خروج الملک الظاهر إلی الشام للتصدی للتتار

1151 عماره الدور التی فی قلعه حمص

1152 استیلاء الملک الظاهر علی ما بقی من قلاع الاسماعیلیه

1152 اعتقال الشیخ خضر

1153 هرب عمرو بن مخلول من آل فضل

1153 عزل الصاحب خواجا فخر الدین وزیر الروم

1154 الوفیات

1154 محمد بن عثمان بن منکورس

1154 سنه 672

1155 أخذ بلبوش أمیر عرب برقه

1156 اعتقال ملک الکرج فی القدس

1157 مراسله بین الملک الظاهر و البرواناه

1158 الوفیات

1158 أقطای المستعرب

1160 أقوش بن عبد الله المنصوری

1160 سلیمان بن الخضر بن بحتر

1161 عيسى بن موفق التنوخى

ص: 1458

1161 كيكاوس بن كيخسرو

1162 لاجين بن عبد الله الأيدمرى

1162 سنه 673

1163 وصول الملک المنصور صاحب حماه إلى القاهره

1163 هرب رئيس الاسكندريه من عكا

1165 وصول الملک الظاهر إلى الشام

1166 الوفيات

1166 ابراهيم بن شروه بن على

1166 أحمد بن موسى بن يغمور

1167 بيمند بن بيمند صاحب طرابلس

1168 سنه 674

1169 فتح حصن القصير

1169 ما ورد من أخبار بلاد الروم

1170 ذكر ما دبر البرواناه فى إخراج أجاى على ما كاتب به البرواناه

1173 ذكر استئصال شأفه النوبه

1175 عقد نكاح بركه بن بيبرس (نسخه الصداق)

1178 مؤامره للاستيلاء على حصن الكرک

1178 زلازل بأخلاط و أرجيش

1178 تجهيز كسوه الكعبه

ص: 1459

1180 الوفيات

1180 ابراهيم بن عبد الرحيم بن على

1181 أيبک بن عبد الله الصالحى

1182 خاص ترک الكبير

1183 سنه 675- متجددات الأحوال

1183 دخول السلطان بيبرس إلى دمشق

1184 وفود بيجار و ولده بهادر و هما من أمراء المغول على بيبرس.

1188 ذكر هروب شرف الدين ابن الخطير

1188 ذكر ما حدث ببلاد الروم عند وصول التتر إليها

1190 واقعه بين أميرى مكه و المدينه

1190 ذكر عرس الملک السعيد

1191 ذكر توجه الملک الظاهر إلى الروم

1197 ذكر ما اعتمد عليه الأمير شمس الدين محمد بک بن قرمان

1199 ذكر قصد أبغا الروم لأخذ الثأر

1200 الوفيات

1200 محمد بن أيبک ابن الاسكندرى

1201 مرخسيا النصرانى

1202 نوفل الزبيدى

1202 عز الدين إيغان الركنى (سم الموت)

ص: 1460

1202 محمد بن أبى الحسن بن البعلبكى

1203 سنه 676

1203 متجددات الأحوال

1203 دخول السلطان بيبرس إلى دمشق

1203 وفاه الملک الظاهر

1204 عوده الجيوش إلى مصر

1204 تحليف العساكر للملک السعيد برکه

1206 نقل تابوت الملک الظاهر من قلعه دمشق إلى تربته

1207 الوفيات

1207 أقوش بن عبد الله المحمدى

1207 أيبک بن عبد الله الموصلى

1207 أيبک بن عبد الله الدمياطى

1208 أيدمر بن عبد الله العلائى

1208 بهادر الأمير شمس الدين

1208 بيبرس البندقدارى

1225 نفقات دوله بيبرس

1226 بيليک بن عبد الله الخزندار

1127 الحسن بن اسماعيل بن درباس

1227 خضر بن أبى بكر

ص: 1461

1230 سليمان بن على البرواناه

1232 سنقر بن عبد الله الرومى

1233 على بن درباس

1234 سنه 677

1234 دخول أحمد بن خلكان دمشق قاضيا

1237 خروج الملک السعيد إلى دمشق

1237 مباشره الخضر بن الحسن الزرارى الوزاره فى القاهره

1237 تقليد الصاحب عبد الله بن القيسرانى وزاره الشام

1238 الوفيات

1238 آقسنقر الفارقى

1239 أقطوان بن عبد الله المهمندار

1240 آقوش بن عبد الله النجيبى

1240 أيديكن بن عبد الله الشهابى

1241 بلبان بن عبد الله الزينى

1241 سنجر بن عبد الله التركمانى

1241 على بن محمد (الوزير ابن حنا)

1243 سنه 678

1243 اضطراب أمور الملک السعيد

1245 خلاف بين صاحب طرابلس و صاحب جبيل و الداويه

ص: 1462

1246 عوده الملک السعید إلی القاهره ثم خلعه من السلطنه

1246 تولیه سلامش بن بیبرس السلطنه

1247 خروج الملک السعید إلی قلعه الکرک

1248 تولی سنقر الأشقر نیابه دمشق

1249 خلع سلامش بن بیبرس و سلطنه قلاوون الألفی

1250 وفاه الملک السعید بالکرک

1251 تسلطن سنقر الأشقر فی دمشق

1251 تهدیم قلعه الشوبک

1252 الوفیات

1252 أقوش بن عبد الله الرکنی البطاح

1252 أقوش بن عبد الله السلحدار

1252 بلبان بن عبد الله العزیزی

1252 جبق بن صول

1253 علی بن عمر الهکاری

1253 قالاجا بن عبد الله الرکنی

1253 لؤلؤ بن عبد الله حسام الدین

1254 محمد بن برکه خان

1254 محمد بن بیبرس (الملک السعید)

1256 سنه 679

ص: 1463

1256 أحوال السلطنه و ما جاورها

1256 أخبار سنقر الأشقر

1257 إعطاء أحمد بن خلكان تدريس المدرسه الأمينيه بدمشق

1259 إرسال جيش من القاهره ضد سنقر الأشقر

1260 فرار سنقر الأشقر إلى الرحبه

1261 اعتقال ابن خلكان

1261 إسناد نيابه الشام إلى لاجين السلحدارى

1262 الإفراج عن ابن خلكان

1262 ذهاب سنقر الأشقر إلى صهيون

1263 حمله مغوليه كبيره ضد بلاد الشام

1264 اجتياح المغول لمدينه حلب

1264 تعيين قلاوون ابنه عليا وليا لعهده و منشور التعيين

1269 إعاده بهاء الدين السنجارى إلى الوزاره فى مصر

1269 اشتباک مع فرنجه المرقب

1270 تجديد الهدنه مع عكا

1270 الوفيات

1270 أحمد بن عبد الواحد الحلبى

1271 أزبک بن عبد الله الحلبى

1271 أقوش بن عبد الله الشمسى

ص: 1464

1271 على بن عمر الطورى

1272 عمر بن موسى- قاضى غزه

1274 أبو بكر بن سيف الدين- ابن اسباسلار

1274 سنه 680

1274 عقد الهدنه مع فرنجه عكا

1275 دخول قلاوون إلى دمشق

1275 عزل ابن خلكان عن القضاء

1275 المصالحه بين سنقر الأشقر و قلاوون

1277 الصلح بين قلاوون و خضر بن بيبرس

1277 صرف برهان الدين السنجارى عن الوزاره فى مصر

1277 وصول تابوت الملک السعيد ابن بيبرس إلى دمشق

1278 حشد الجيوش لصد المغول

1279 معركه حمص ضد المغول

1285 الوفيات

1285 أبغا بن هولاكو

1286 أحمد بن على الحلبى التاجر

1287 أحمد بن النعمان الحلبى

1287 أزدمر بن عبد الله الجمدار

1288 أيبک بن عبد الله الشجاعى

ص: 1465

1288 بكتوت بن عبد الله الخزندارى

1289 بلبان بن عبد الله الرومى

1289 بهادر بن بيجار بن بختيار

1290 بويل الشهرزورى

1290 خضر بن محاسن الرحبى

1291 سنقر بن عبد الله الألفى

1292 موسى بن داود بن شيركوه

1292 سنه 681

1292 ولايه أحمد بن هولاكو بعد أبغا

1293 تفويض التدريس بالأمينيه إلى ابن خلكان

1295 توليه نجم الدين الأصفونى الوزاره فى مصر

1295 وصول رسل أحمد بن هولاكو إلى دمشق

1296 حريق اللبادين و أماكن أخرى بدمشق

1298 الوفيات

1298 بيجار بن بختيار

1299 شيركى صاحب جبيل

1299 شاذى بن داود بن عيسى

1300 على بن عيسى القيمرى

1300 لاجين بن عبد الله العينتابى

ص: 1466

1301 منكوتمر بن هولاكو

1301 هبه الله السديد النصرانى

1302 يعقوب بن غنائم الموفق الساوى

1302 سنه 682

1302 وصول الملک المنصور ملک حماه إلى دمشق

1304 خروج محمل الحاج من دمشق

1304 الوفيات

1304 أحمد بن حجى البرمكى

1305 أبو بكر بن داود الأيوبى

1305 سنه 683

1305 قدوم السلطان قلاوون إلى دمشق

1306 وفاه أحمد بن هولاكو

1306 وفاه الملک المنصور ملک حماه و ولايه ولده المظفر محمود

1307 وفاه الخاتون بنت بركه خان أم الملک السعيد

1308 أمطار و فيضانات بدمشق

1308 توجه ركب الشام إلى الحجاز

1308 قدوم قلاوون إلى دمشق

1309 الوفيات

1309 أحمد بن هولاكو (تكدار)

ص: 1467

1311 عبد الرحمن بن عبد الله رسول تكدار

1312 عبد الملک بن اسماعیل الأیوبی

1313 عطاء ملک الجوینی

1317 عیسی بن مهنا أمیر آل فضل

1317 محمد بن محمود الملک المنصور صاحب حماه

1318 نصر الله بن محمد وزیر حماه

1318 سنه 684

1318 توجه السلطان قلاوون ضد المرقب و فتحه له

1331 ولاده الملک الناصر محمد بن قلاوون

1331 الوفیات

1331 أیدکین بن عبد الله البندقدار

1333 الحسن بن محمد الأنصاری

1334 عبد الله بن اسماعیل الأیوبی

1334 کافور بن عبد الله الصوابی

1334 محمد بن ابراهیم ابن شداد الحلبی

1335 سنه 685

1335 أخذ الکرک من خضر بن السلطان بیبرس

1336 سنه 686

1336 تجهيز الجيوش من مصر لحصار صهيون و برزيه

ص: 1468

1338 الوفيات

1338 على بن يوسف الأيوبى

1338 سنه 687

1339 سلطنه الأشرف خليل

1339 الوفيات

1339 على بن قلاوون

1339 غازيه بن قلاوون

1340 سنه 688

1340 فتح طرابلس

1346 الوفيات

1346 أيبک بن عبد الله السيفى

1346 أيدغدى بن عبد الله الكبكى

1346 محمود بن اسماعيل الأيوبى

1349 منكورس بن عبد الله الفارقانى

1349 سنان بن سلمان شيخ الجبل

1357 سنه 689

1357 إرسال طرنطاى إلى الصعيد

1358 دروس لعلماء دمشق فى مدارسها

1360 حریق کبیر فی حماه

ص: 1469

1360 قتل جماعه من المسلمين فى عكا

1361 وفاه السلطان قلاوون

1361 قتل طرنطاى لاتهامه بموت قلاوون

1361 سلطنه الأشرف خليل

1362 الوفيات

1362 طرنطاى بن عبد الله المنصورى

1364 طيبرس بن عبد الله الصالحى

1364 قلاوون بن عبد الله الألفى

1365 محمد بن كشتغدى

1366 سنه 690

1367 الاستعدادات لفتح عكا

1368 وقائع فتح عكا

1371 وصول الأشرف خليل إلى دمشق

1374 وفاه أرغون ملک التتار

1375 عوده السلطان الأشرف إلى مصر

1375 وزاره محمد بن السلعوس

1376 الشروع بإعاده بناء قلعه دمشق

1377 توجه ركب الحجاز

1378 الوفيات

1378 أرغون بن أبغا بن هولاكو

1378 أقوش بن عبد الله الغتمى

1378 أيدكين بن عبد الله الصالحى

1379 سلامش بن بيبرس

1379 بيليک بن عبد الله المسعودى

1379 سنه 691

1380 إكمال بناء قلعه دمشق

1380 حريق فى قلعه القاهره

1380 توجه السلطان الأشرف إلى الشام

1381 النزول على قلعه الروم و فتحها

1388 عوده السلطان الأشرف إلى دمشق

1390 اعتقال سنقر الأشقر مع عدد من الأمراء

1392 انتهاء العمل فى بناء قلعه دمشق

1393 خنق سنقر الأشقر مع عدد من الأمراء

1394 صلاه استسقاء فى دمشق

1396 سنه 692

1397 وصول السلطان الأشرف إلى دمشق

1397 عقد هدنه مع صاحب سيس

1398 توجه السلطان الأشرف لاعتقال الأمير مهنا

ص: 1471

1398 عوده السلطان الأشرف إلى مصر

1399 أمطار و رياح بالشام

1400 لعب السلطان بالقبق

1401 احتفال السلطان بختان أخيه الناصر محمد

1402 زلازل فى الشام و خاصه بالكرک

1402 قدوم التاجر الحاج عبد الله بن محمد من القسطنطينيه

1406 وفاه أبو البيان نبأ بن نبأ

1473 الفهارس العامه

1475 فهرس أعلام الأماكن

1555 فهرس أعلام الجماعات

1575 فهرس أعلام الأفراد

1725 الشعر

1737 الآيات الكريمه

ص: 1472

ص: 1473

[أحداث]الفهارس

اشاره

ص: 1474

ص: 1475

[أحداث]الأماكن

أنبوس 710

الأثارب 284- 288- 339

الإحساء: 33- 35

أخلاط 622- 696

أدرنه 983

أذربيجان 251- 383- 460- 622- 683- 727- 739- 849- 755- 849- 854- 871- 878- 1088- 1137- 1167- 1171- 1201- 1256

أذرعات 35

أذنه 410- 1163

إربل 603- 622- 637- 638- 687- 697- 739- 765- 744- 775- 776- 780- 819- 875- 878- 886- 913- 961- 1015- 1093- 1096- 1237- 1256

أردن 281- 659- 756

الأراذن 1057- 1058

أرزنجان 762

أرسوف 238- 640- 1066- 1067- 1142- 1228

أرض صلدع 421

ص: 1476

أرض القصب 1333

أرمناز 234

أرمناک 1196

أرمينيه 251- 282- 290- 683

أرواد 1374

أريحا 754- 1223

اسطنبول 1379

أسعرد 767- 1300

الاسكندريه 225- 411- 434- 455- 470- 566- 610- 613- 652- 760- 795- 796- 862- 1026- 1030- 1051- 1068- 1069- 1070- 1076- 1090- 1097- 1119- 1121- 1122- 1124- 1135- 1143- 1150- 1161- 1162- 1163- 1205- 1230- 1270- 1292- 1405

الاسماعيليه 2122

أسوان 670- 1147- 1131- 1174

الأشرفيه 772

أشموط 1089

أشموم 1069

أشمون طناح 722- 998- 1036- 1038

أصبهان 685- 686- 711- 743

ص: 1477

أصفهان: 214- 223- 224- 226- 230- 237- 239- 257- 259- 268- 271- 279- 288- 304- 307- 330- 337- 423- 444- 459- 460- 685

اعزاز 188- 342- 481- 482- 581- 604- 618- 805

الأعوج 487

الأغوار 890- 1000- 1083

أفاميه 94- 96- 106- 107- 108- 109- 254- 255- 294- 313- 342- 474- 518- 252- 1104

إفريقيه 33- 577- 657- 1031

الأقحوانه 139- 305- 626

أقساس 1350

الأقصى 721

أقصرا- 511

ألبستين 1139- 1199

ألموت 362- 874- 1352

آمد 207- 217- 265- 279- 391- 434- 616- 621- 622- 653- 657- 688- 780- 784- 807- 916- 957- 1004- 1217

الأنبار 163- 981- 982

أنبوليه 992

ص: 1478

اندكان: 331

الأندلس 208- 209- 662- 663- 665- 676

أنطاكيه: 52- 53- 69- 74- 93- 94- 95- 109- 188- 204- 206- 210- 213- 215- 219- 230- 231- 232- 233- 234- 235- 237- 238- 244- 245- 249- 255- 264- 273- 275- 279- 280- 282- 290- 300- 303- 305- 311- 326- 328- 329- 345- 363- 387- 410- 411- 412- 416- 418- 419- 420- 421- 430- 434- 435- 440- 470- 472- 473- 474- 475- 481- 525- 532- 540- 541- 544- 563- 564- 572- 581- 635- 707- 710- 974- 980- 984- 1005- 1007- 1010- 1011- 1105- 1106- 1107- 1139- 1145- 1147- 1167- 9811- 1220- 276- 1344

أنوک 1163

انطرسوس 204- 241- 300- 492- 1128- 1130- 1132- 1220- 1373

أنكرا 1221

أولاق 1208

الأهواز 161

إياس 1163

إيله 574- 615

الإيوان الشرقى 1049

ص: 1479

باب الأربعين 778

باب أرجيش 697

باب البدريه 707- 811

باب البريد 1377

باب بزاعه 601- 807

باب البصره 875

باب توما 505- 784- 792- 928

باب الجابيه 38- 44- 64- 425- 587- 753- 929- 1348

باب الجنان 1348

باب الجديد 753- 793

باب الحديد 38- 39- 40- 41- 70- 101- 179- 269- 308- 361- 1376

باب دمشق 713

باب دوين 854

باب الذهب 128

باب الزقاق 747- 889

باب زويله 560- 681- 877- 967- 1067- 1069- 1090- 1339

ص: 1480

باب الزهومه 119

باب الساعات 698

باب السلامه 671

باب الصغير 38- 42- 43- 44- 46- 229- 316- 438- 499- 514- 745- 736 -777

باب شرقى 109- 112- 129- 662- 929- 1123

باب الشعريه 1050

باب صور 755

باب الطاق 164

باب الغور 713

باب الفراديس: 309- 363- 442- 671- 672- 677- 678- 684- 799- 925- 956- 1095- 1133- 1362

باب القدس 756

باب القنطره 978

باب الفرج 685- 698- 745- 792- 799- 885- 889

باب كيسان 46- 504

باب المشهد 698

بابل 1286

بابلى 936- 937- 966

ص: 1481

باب الميدان 1380- 1400

باب نابلس 750

باب النصر 578- 623- 680- 792- 794- 827- 852- 862- 967- 970- 991- 1057- 1067- 1069- 1090- 1339- 1377- 1400

البابين 566

باديه الشام 34

باذغيس 1089

الباره 233- 341

بارين 608- 1133

الباشوره 314- 1077- 1091- 1092- 1101- 1165

باقيلا 623

بالس 82- 203- 818

بالعوش 1160

باكودر 1089

بانياس: 54- 181- 182- 274- 295- 301- 305- 344- 349- 358- 359- 362- 364- 381- 382- 417- 424- 430- 431- 479- 491- 496- 517- 519- 521- 522- 564- 565- 581- 597- 608- 620- 623- 657- 671- 683- 684- 702- 714- 719- 773- 774- 799- 835- 964- 980- 1376- 1398

ص: 1482

بئر القاضى 870

البترون 1343- 1372

البثنيه 73- 254- 289- 303

بجايه 456

بحر أبى منجى 1123

بحر خلاط 696

بحر زم 688

بحر سوداق 1026

بحيره تنيس 1069

بحيره حمص 820- 821

بحيره طبريه 306

بخارى 136- 716- 727

بختل 136

البدريه 742

بدليس 423

براق 365- 965

البرج الأحمر 862

برج داود 235- 891

برج دمياط 717

برج الذبان 636

برج السلسله 715

ص: 1483

بردی 39- 484- 493- 537- 702- 792

برزه 686- 784- 792- 951

برزیه 993- 1152- 1153- 1220- 1262- 1336- 1337- 1362

برکه الجب 979- 1076

برکه الخیزران 59

برکه زیزاء 916- 918- 919- 921- 1090

برقه 113- 1153- 1162

بزاعه 434- 589- 601- 1152

بستان الأشرف 824

بستان سامه 821- 824

بستان العلاء بن القلانسی 772

بستان النیرب 792

بستان الوزیر 66

بصری: 248- 253- 256- 302- 349- 403- 452- 453- 482- 487- 490- 491- 493- 494- 529- 603- 615- 625- 661- 1026- 1051

البصره: 52- 572- 648- 1220- 1257- 1350- 1351- 1352

بعرین 386- 412- 417- 422

بعلبک 50- 74- 92- 137- 248- 252- 278- 279- 285- 379- 381-
425- 426- 427- 428- 430- 437- 443- 450- 477- 482- 492-
509- 519- 520- 570- 573- 581- 600- 608- 610- 657- 660-
681- 694- 696- 728- 729- 730- 761- 767- 768- 773- 774-
784- 793- 794- 798- 799- 812- 816- 817- 821- 822- 823-
836- 855- 891- 919- 920- 921- 922- 923- 943- 948- 951-
954- 955- 956- 958- 959- 967- 986- 1000- 1002- 1004-
1076- 1110- 1158- 1159- 1164- 1165- 1166- 1212- 1121-
1228- 1260- 1271- 1279- 1284- 1287- 1344- 1365- 1374-
1392

بغداد- مدینه السلام: 47- 48- 63- 78- 79- 91- 118- 136- 159- 161-
162- 163- 164- 188- 190- 214- 215- 219- 221- 224- 226-
237- 239- 241- 251- 263- 267- 269- 270- 271- 277- 278-
279- 288- 290- 300- 310- 317- 336- 337- 339- 350- 362-
373- 382- 383- 391- 399- 400- 408- 409- 418- 432- 435-
443- 459- 468- 469- 471- 498- 501- 525- 544- 559- 561-
569- 572- 574- 576- 609- 619- 623- 628- 631- 633- 637-
641- 643- 648- 655- 659- 662- 665- 666- 667- 669- 679-
680- 681- 686- 687- 690- 691- 692- 693- 695- 696- 698-
699- 700- 701- 705-

ص: 1485

-774 -769 -740 -739 -733 -728 -718 -716 -711 -709 -707
-844 -841 -822 -817 -815 -811 -810 -807 -791 -782 -780
-902 -899 -897 -887 -886 -878 -877 -876 -874 -857 -850
-981 -976 -970 -969 -915 -914 -913 -912 -911 -907 -906
-1313 -1311 -1292 -1153 -1141 -1096 -1089 -1054 -982
1345 -1342 -1316 -1315 -1314

بغراس 232- 1106- 1152- 1220

-487 -484 -465 -428 -417 -379 -324 -323 -305 -285 البقاع
1233 -1159 -1072 -926 -608 -541 -537 -492 -491 -488

البقيع 561

البقيعه 74- 561- 563

بكاس 657- 1263

بلاد الروم 1345

بلاد العجم 215

بلاد النوبه 574

بلاطنس 657- 1221- 1262- 1318

البلانه 232

بلبيس 97- 495- 567- 644- 660- 703- 802- 803- 868- 1204

ص: 1486

بلخ 433- 710

البلغر 93- 95

البلقاء 265- 571- 621- 821- 896

بوازيج 623- 657

بوصير 665

بوصير الدر 1140

بوليه 823

بويضا 902- 903- 904

بهسنا 1107- 1108

بهنسا 577- 581- 885

بيت الآبار 504- 790- 826

بيت باتو 1011- 1012

بيت جبرين 629

بيت جبريل 896

البيت الحرام 579

بيت لهيا 109- 112- 129- 471

بيت فوريک 807

بيت القمامه 129- 130- 131

بيت المقدس 129- 130- 131- 139- 146- 147-

ص: 1487

181- 187- 229- 234- 235- 236- 238- 242- 245- 273- 281-
285- 286- 239- 302- 304- 307- 327- 330- 331- 346- 353-
375- 387- 436- 463- 588- 625- 629- 631- 687- 823- 929-
1038- 1046- 1154

بيت النوبه 558- 645

بيروت 52- 238- 241- 275- 280- 285- 381- 388- 488- 626-
629- 636- 657- 666- 1233- 1372- 1373

البيره 200- 441- 884- 926- 931- 935- 936- 945- 946- 978-
979- 987- 1005- 1009- 1066- 1091- 1047- 1048- 1173-
1221- 1309

بيسان 308- 618- 680- 754- 799- 883- 893- 954

بيعه اليهود 587

البيمارستان العتيق 39

البيمارستان النورى 1157

التاج 743

تبريز 1215

تبنين 305- 629- 667- 683- 702- 773

التبنيه 68

ص: 1488

تبوک 709- 753

تدمر 348- 392- 394- 402- 404- 571- 624- 922- 965- 999- 1049- 1062- 1063- 1217- 1221- 1224

تربه أم صالح 1347

تربه الخلاطیه 743

تربه الداروم 703

تربه سرکس 573

تربه عون 743

التربه الفخریه 315

تربه المعظم 774

تربه یعقوب 772

تسیل 626

تفلیس 335- 769- 741- 766- 1092- 1117

تکتا 1012

تکریت 650- 685- 743

تل ابن معشر 290- 294

تل اعرت 82

تل اعفر 688- 727

تل باشر 264- 280- 290- 291- 294- 300-

ص: 1489

304- 380- 481- 482- 483- 489- 581- 667- 1062- 1063- 1064- 1221

تل بيسان 712- 778- 820- 828- 922- 978- 980- 999

تل حمدون 411

تل خالد 483- 581

تل الخروبه 654

تل خنزير 1301

تل راهط 405- 926

تل السلطان 600- 602- 624- 1005

تل الصافيه 606- 644- 645- 657

تل العجول 756- 1337

تل الفرس 712

تلفيتا 710

تل القاضى 608

تل قراد 290

تل كيسان 634- 639

تل المعشوقه 267

توزير 767- 1137

تونس 965- 1031- 1036- 1126- 1202

ص: 1490

تيماء 613

تينيس 286- 508- 832

ثورا 792

الجابيه 1116

جاده الباطليه 1067

الجاروخه 577

جامع الأزهر 1090- 1378

جامع الاسكندريه 682

جامع التوبه 787- 790

جامع جبيل 1359

جامع حران 708

جامع الحسينيه 1091

جامع دمشق 268- 308- 316- 577- 592- 642- 698- 778- 803- 810- 819- 826- 830- 1346- 1359- 1367- 1379

جامع دير الطين 1154

جامع الرصافه 164

جامع ابن طولون 1051

جامع القصر 705

جامع المجاهدى 668

ص: 1491

جامع المنشيه 1127

جامع المنصور 163- 164

جامع نابلس 699

الجامع النورى 573- 585

جبل أبو قبيس 579- 625

جبل بهراء 252

جبل تماض 1092

جبل الثلج 716

جبل جور 622- 678- 689

جبل حلوان 1068

جبل السماق 312- 601- 1123- 1351

جبل سنير- القلمون الحالى 68- 71- 133- 672

جبل السوس 455

جبل شروان 1092

جبل الصالحيه 858- 1002- 1233- 1282- 1361

جبل صيدا 1233

جبل طى ء 107

جبل عامله 295- 304- 519

جبل عرفات 729

ص: 1492

جبل عوف 256- 289

جبل قاسيون 561- 873- 1205- 1284- 1288- 1292- 1300- 1334

جبل الكسروانيين 922

جبل لبنان 733- 768

جبل المضيق 108

جبله 239- 240- 270- 526- 572- 936- 1128- 1263

جبيل 52- 212- 245- 246- 247- 257- 526- 609- 626- 629- 657- 1245- 1318- 1340- 1343- 1373

جده 605- 616

جرمون 982- 983

الجزائر 723- 1166

الجزر 312- 1350

الجزيره 211- 217- 218- 241- 251- 263- 407- 417- 581- 594- 597- 598- 602- 612- 619- 622- 623- 636- 659- 666- 683- 688- 697- 716- 762- 771- 772- 802- 808- 832- 841- 892- 911- 966- 978- 981- 991- 1000- 1053- 1088- 1115- 1124- 1147- 1405

ص: 1493

جزيره بلاق 1221

جزيره سواكن 1081

جزيره صقليه 1084

جزيره ابن عمر 573

جزيره الفيل 1240

جزيره قبرص 411- 686

جزيره بنى نمير 282

جزين 714

الجسر الأبيض 804

جسر باناس 39

جسر بدايا 771

جسر الحديد 93- 1164

جسر الخشب 488

جسر الصنبره 305

جسر قرقيس 1062

جسر المصلى 42

جسر منبج 589

جعبر 446- 451- 484- 490

جملين 657

ص: 1494

جنين 609- 799- 886- 889- 1122- 1210

الجولان 712

الجومه 1024

جيحون 727- 1012- 1383

جيرود 779

جيرون 572- 671- 1251- 1297

الجيزه 565- 566- 1124- 1140

جبه بشرى 1344

حارم 535- 537- 563- 570- 581- 590- 591- 606- 607- 691- 1139- 1167- 1197

الحاضر 194

الحانوته 221

حبس الخياله 958

حبس المعونه 573

الحبشه 647

الحجاز 118- 227- 657- 658- 682- 701- 716- 753- 974- 1092- 1108- 1116- 1121- 1252- 1278- 1359- 1360- 1366- 1377

حجر الذهب 40- 41- 101- 623

حجيرا 485

ص: 1495

حران 205- 223- 225- 283- 284- 290- 340- 534- 546- 565-
572- 589- 594- 597- 613- 622- 623- 624- 638- 650- 657-
658- 659- 677- 688- 704- 708- 737- 749- 762- 771- 772-
774- 779- 782- 787- 791- 806- 807- 814- 966- 978- 980-
996- 1000- 1004- 1005- 1047- 1139

الحرجله 37- 1201

حرستا 918- 1361

حديثه 191- 440- 743- 918- 981

حسبان 924

الحسى 615- 644- 657

الحسينيه 1150- 1222- 1229

حصن ارتاح 252

حصن أسفونا 185

حصن الاسماعيليه 1349

حصن أعزاز 93

حصن أفاميا 213- 214- 237

حصن الأكراد 276- 280- 300- 561- 571- 686- 1076- 1081- 1082-
1104- 1122- 1123- 1128- 1129- 1130- 1132- 1135- 1143-
1220- 1228- 1320- 1323- 1367

ص: 1496

حصن الأكمه 272- 273

حصن ألموت 648

حصن برزويه 72- 657- 1337

حصن بزاعه 200- 332- 420- 421- 604

حصن بعلبک 247

حصن البيره 439

حصن تبنين 256- 304

حصن جلدل 615

حصن الرأس 378- 379

حصن الرافعه 88

حصن رعبان 609

حصن حارم 560- 564

حصن الحبس 295- 304

حصن حوارين 77

حصن الخربه 410

حصن الخوابى 269- 1144- 1166

حصن شيزر 201

حصن صرخد 279- 394

حصن الصنجيل 1341

ص: 1497

حصن الطوبان 276

حصن ابن عكار 276- 1131- 1144

حصن علعال 254

حصن القصير 1167

حصن الكركر 340

حصن الكهف 1012- 1342

حصن كيفا 565- 610- 831- 832- 960

حصن المجدل 417

حصن المرقب 1299- 1320- 1323- 1328- 1331

حصن مصياف 276- 432

حصن المنيطره 276

حصن اللبوه 378- 379

حصن هونين 304

حضرموت 580- 657- 667- 716- 734

حطين 606- 625- 628- 774

حلب 67- 72- 73- 74- 75- 78- 82- 83- 86- 88- 89- 90- 91- 92- 93- 94- 95- 96- 137- 140- 142- 157- 159- 160- 145- 146- 175- 176- 177- 178- 186- 187- 188- 189- 192- 194- 200- 201- 204- 205- 208- 210-

-226 -224 -223 -222 -221 -219 -218 -214 -213 -212 -211
-254 -253 -252 -244 -234 -233 -231 -230 -229 -228 -227
-307 -303 -301 -291 -288 -285 -284 -273 -265 -264 -255
-332 -331 -329 -328 -327 -326 -325 -314 -313 -312 -311
-367 -364 -353 -349 -345 -344 -342 -340 -339 -337 -325
-422 -421 -420 -417 -416 -414 -407 -403 -387 -380 -368
-481 -472 -470 -468 -467 -454 -452 -451 -438 -437 -424
-512 -511 -510 -509 -508 -504 -502 -498 -497 -494 -491
-534 -533 -530 -529 -528 -526 -525 -518 -515 -514 -513
-571 -564 -563 -562 -561 -560 -545 -544 -542 -536 -535
-600 -598 -590 -589 -588 -581 -577 -576 -575 -573 -572
-621 -619 -618 -617 -616 -614 -613 -607 -606 -604 -602
-668 -660 -657 -656 -643 -638 -635 -633 -631 -626 -624
-707 -702 -699 -697 -694 -691 -687 -686 -683 -677 -671
-754 -747 -744 -743 -737 -718 -717 -716 -710 -709 -708
-820 -809 -808 -807 -806 -805 -802 -792 -781 -778 -762
-884 -866 -839 -836 -835 -830 -828 -826 -825 -822 -821
-920 -919 -918 -917 -916 -912 -908 -905 -987 -893 -892
-948 -946 -944 -941 -938 -937 -936 -935 -933 -923

ص: 1499

956- 961- 965- 966- 967- 968- 969- 977- 978- 980- 981-
985- 986- 987- 988- 989- 990- 996- 997- 998- 1004- 1005-
1006- 1007- 1009- 1012- 1019- 1045- 1049- 1051- 1054-
1055- 1063- 1064- 1066- 1105- 1107- 1117- 1119- 1120-
1139- 1140- 1147- 1152- 1158- 1164- 1167- 1191- 1209-
1212- 1252- 1253- 1259- 1260- 1261- 1263- 1264- 1269-
1270- 1271- 1278- 1281- 1295- 1296- 1301- 1331- 1334-
1335- 1338- 1346- 1347- 1348- 1349- 1350- 1367- 1381

حلبا 1076- 1128

حلقبلتين 486

حلوان 6119- 1110

الحله 372- 850

حمام أركش 623

حمام ضحاک 40

حمام ابن السرهنک 1061

حمام العجمی 40

حمام قاسم 39

حماه 72- 140- 291- 294- 301- 303- 305- 326- 342- 368- 398-
402- 403- 411- 417-

ص: 1500

-532 -529 -525 -519 -518 -514 -450 -447 -422 -421 -418
-657 -643 -607 -606 -604 -602 -600 -586 -571 -544 -540
-802 -794 -793 -781 -777 -759 -722 -690 -683 -671 -660
-935 -930 -916 -892 -885 -884 -873 -872 -869 -853 -743
-1005 -1003 -1002 -997 -988 -985 -956 -949 -948 -743 -938
-1117 -1104 -1091 -1081 -1074 -1066 -1064 -1009 -1006
-1219 -1212 -1191 -1161 -1158 -1150 -1139 -1134 -1123
-1279 -1278 -1275 -1263 -1260 -1256 -1254 -1252 -1229
-1332 -1318 -1317 -1308 -1307 -1306 -1304 -1303 -1288
1380 -1377 -1367 -1366 -1362 -1360

حمص 48- 50- 67- 69- 72- 73- 74- 75- 78- 83- 89- 96- 107-
-252 -244 -243 -242 -238 -232 -230 -213 -205 -204 -203
-402 -393 -368 -346 -340 -315 -303 -300 -291 -276 -273
-450 -443 -428 -423 -422 -420 -418 -414 -411 -404 -403
-561 -544 -532 -530 -529 -526 -525 -519 -505 -496 -467
-667 -660 -657 -633 -624 -601 -600 -583 -577 -571 -562
-793 -792 -777 -767 -734 -731 -725 -694 -686 -683 -671
-808 -807 -805 -804 -802 -799 -798 -797 -796 -795 -794
-824 -821 -820 -819 -816 -815 -814

ص: 1501

826- 828- 836- 837- 839- 843- 844- 868- 884- 885- 892-
893- 962- 963- 964- 965- 966- 977- 980- 985- 986- 987-
988- 998- 999- 1000- 1026- 1049- 1054- 1059- 1062- 1063-
1064- 1089- 1104- 1122- 1126- 1133- 1147- 1149-
1172- 1175- 1202- 1207- 1212- 1220- 1224- 1225- 1229-
1252- 1253- 1260- 1262- 1263- 1277- 1278- 1279- 1280-
1282- 1289- 1290- 1333- 1345- 1362- 1364- 1367- 1387-
1388

حوران 37- 64- 73- 229- 248- 256- 266- 267- 289- 346- 364-
365- 390- 409- 429- 431- 472- 473- 475- 479- 480- 482-
483- 484- 487- 488- 491- 529- 534- 535- 750- 760- 820-
.918

الحيانيه 290

حيفا 238- 1370

حيلان 807- 1191- 1209- 1212

الخابور 264- 265- 613- 617- 807- 809- 824- 984

خان الزنجارى 779

خان المناخ 1107

خانكاه السميساطى 642

ص: 1502

خانكاه الصوفيه 561- 836

خراسان 186- 209- 218- 241- 251- 281- 282- 330- 343- 351- 399- 444- 445- 468- 469- 481- 483- 527- 531- 679- 720- 909- 911- 1088- 1247- 1311

خربه اللصوص 712- 794- 1115- 1116

خرتبرت 341- 344- 885

الخربيه 810- 811

الخزر 95

الخروبه 633- 637

خسفين 681- 998- 1006- 1083

خلاط 653- 683- 690- 697- 704- 709- 726- 763- 771- 787- 788- 809- 815- 817- 818- 827- 841- 853- 881- 1047

خليج الاسكندريه 1222

الخليل 629- 759- 883- 1252- 1296

الخوابى 1221

خوارزم: 680- 715- 740- 766- 890

الخوانيق 798

خوزستان 588- 692- 743

دار البطيخ 581

ص: 1503

الدار البيضاء 743

دار الحديث الأشرفيه 1095- 1359

دار الحديث الظاهريه 1369

دار حيوس 137

دار الخلافه- الدار العزيزه 262- 689

دار سامه: 816- 830- 833- 885- 888- 889- 1044

الدار السلطانيه 578

دار السعاده 1112

دار ابن سلام 799

دار سليمان بن عبد الملک 595

دار شبل 738

دار صواب 826

دار طاشتکين 700

دار الطراز 1163

دار العافيه 623

دار العدل 574- 584- 677- 707- 710- 1153

دار العز 810

دار العقيقى 180- 599- 642- 661- 737- 819

ص: 1504

دار عمر بن عبد العزيز 595

دار العميد 666

دار فرخشاه 792- 793- 826- 835

دار الفضه 784

دار فلوس 817

دار الكشف- دار العدل دار مرشد 769- 786

دار المسره 796

دار المضيف 696

دار ابن مقاتل 40

دار المعظم العتيقه 753

دار المنشأه 844

الداروم 572- 629- 657- 703

داريا 77- 124- 428- 429- 486- 488- 535- 572- 605- 644- 817- 835- 1213

الدامه 1340

داميا 1083

دانيث البقل 329

دبوريه 615

ص: 1505

دجله 164- 190- 585- 622- 668- 760- 876

الدجيل 810

درب السماقى 40

درب العشاريين 592- 773- 799

درب الفحامين 40

درب القصارين 40

درب اللبان 1360

دربند 884- 885- 1197

دربندا 1081

درب الوزير 1360

دربساک 691- 1107

دركوش 1106

درن 455- 457

الدكه 11- 129

دلى 965

الدلهميه 488

الدمانه 1196

دمر 799

دمشق 30- 35- 36- 37- 39- 45- 46- 47-

-71 -70 -69 -68 -67 -66 -65 -64 -63 -56 -55 -54 -51 -50 -48
-101 -99 -98 -96 -94 -92 -91 -79 -78 -77 -76 -75 -74 -73 -72
-118 -117 -116 -112 -111 -110 -109 -107 -106 -105 -104
-141 -140 -138 -137 -136 -135 -134 -133 -129 -124 -120
-179 -177 -176 -175 -160 -158 -157 -155 -153 -146 -142
-200 -199 -198 -195 -194 -193 -190 -187 -183 -182 -180
-231 -229 -228 -224 -221 -220 -219 -215 -204 -203 -202
-248 -247 -246 -244 -243 -242 -240 -239 -237 -235 -232
-277 -276 -275 -274 -270 -265 -264 -257 -254 -253 -250
-303 -302 -301 -300 -299 -295 -293 -286 -284 -283 -279
-324 -323 -317 -316 -315 -313 -312 -311 -309 -308 -304
-349 -347 -346 -344 -343 -340 -339 -329 -328 -327 -325
-368 -367 -365 -364 -363 -362 -361 -358 -357 -355 -350
-394 -393 -391 -390 -385 -380 -379 -378 -373 -372 -371
-410 -409 -407 -406 -405 -404 -403 -402 -397 -396 -395
-429 -428 -426 -425 -424 -423 -422 -419 -418 -417 -416
-453 -452 -451 -445 -438 -437 -436 -434 -432 -431 -430
-479 -478 -475 -473 -472 -468 -467 -464 -461 -460 -454
-490 -488 -487 -485 -484 -481 -480

-506 -504 -502 -500 -499 -498 -497 -496 -495 -494 -491
-528 -526 -516 -515 -513 -512 -511 -510 -509 -508 -507
-543 -542 -539 -538 -537 -536 -535 -534 -533 -532 -529
-581 -577 -572 -571 -570 -569 -565 -562 -561 -546 -544
-597 -596 -595 -593 -591 -588 -587 -586 -584 -583 -582
-612 -611 -610 -608 -607 -605 -603 -602 -600 -599 -598
-633 -631 -627 -624 -623 -621 -620 -619 -618 -615 -613
-655 -653 -651 -648 -647 -645 -644 -643 -642 -641 -638
-677 -672 -671 -670 -667 -662 -661 -660 -659 -658 -657
-696 -695 -694 -693 -687 -685 -684 -683 -682 -681 -678
-718 -717 -716 -715 -714 -709 -708 -702 -700 -699 -698
-740 -737 -736 -735 -731 -730 -727 -725 -724 -722 -719
-754 -753 -752 -750 -749 -748 -747 -746 -745 -744 -741
-772 -771 -768 -767 -766 -765 -764 -761 -759 -757 -756
-790 -784 -782 -781 -780 -779 -778 -777 -776 -774 -773
-804 -803 -802 -799 -798 -797 -796 -795 -794 -793 -792
-824 -823 -821 -817 -815 -814 -812 -811 -808 -807 -805
-843 -839 -837 -836 -833 -831 -830 -829 -828 -827 -825
-865 -864 -863 -858 -853 -852 -851 -850 -849 -844

-888 -887 -885 -883 -882 -881 -880 -879 -873 -869 -867
-916 -913 -908 -905 -904 -902 -899 -896 -892 -890 -889
-943 -942 -940 -939 -938 -937 -935 -933 -932 -931 -928
-961 -960 -959 -958 -957 -956 -955 -950 -948 -947 -944
-986 -984 -981 -980 -969 -968 -967 -966 -964 -963 -962
-1005 -1004 -1002 -1001 -1000 -999 -998 -991 -988 -987
-1051 -1044 -1033 -1026 -1021 -1016 -1014 -1009 -1007
-1082 -1081 -1072 -1063 -1061 -1057 -1055 -1054 -1053
-1107 -1106 -1104 -1096 -1095 -1094 -1091 -1090 -1087
-1121 -1119 -1117 -1116 -1115 -1114 -1111 -1109 -1108
-1143 -1142 -1139 -1138 -1134 -1133 -1131 -1128 -1126
-1155 -1154 -1152 -1150 -1148 -1147 -1146 -1145 -1144
-1209 -1206 -1204 -1203 -1202 -1201 -1197 -1190 -1172
-1235 -1233 -1230 -1229 -1228 -1218 -1214 -1212 -1211
-1245 -1244 -1243 -1241 -1240 -1239 -1238 -1237 -1236
-1254 -1253 -1225 -1252 -1251 -1250 -1249 -1248 -1247
-1269 -1264 -1263 -1261 -1260 -1259 -1257 -1256 -1255
-1281 -1279 -1278 -1277 -1276 -1275 -1273 -1272 -1271
-1296 -1295 -1294 -1292 -1288 -1287 -1286 -1284 -1283
-1307 -1304 -1303 -1302 -1300 -1298 -1297

ص: 1509

1308- 1311- 1312- 1313- 1317- 1318- 1327- 1331- 1332-
1333- 1334- 1335- 1336- 1337- 1338- 1339- 1340- 1341-
1345- 1346- 1347- 1348- 1358- 1359- 1361- 1362- 1364-
1365- 1366- 1367- 1371- 1372- 1374- 1375- 1377- 1379-
1380- 1381

دمیاط 286- 490- 570- 591- 634- 702- 703- 715- 719- 720-
721- 722- 723- 733- 734- 735- 766- 783- 784- 830- 831-
835- 841- 843- 1030- 1031- 1032- 1033- 1034- 1035- 1036-
1037- 1038- 1040- 1124- 1135- 1161- 1162- 1222

دنقله 1173- 1174

دنیسر 691- 727- 841

الدوک 735

دوما 485- 504

دوین 854

دیار بکر 126- 200- 207- 211- 217- 218- 223- 227- 228- 237-
239- 251- 290- 338- 407- 581- 594- 602- 621- 622- 657-
658- 659- 678- 688- 697- 766- 802- 815- 841- 892- 916-
974- 1053- 1088- 1256

دیار ربیعه 78

ص: 1510

ديار بنى عقيل 211

ديار مضر 802

ديار الياس 1101

دير الحنابله 772

دير ربيعه 78

دير الزبيب 83

دير شير 782

دير كرتين 1220

رأس أوسان 455

رأس السويقتين 334

رأس العين 245- 657- 809- 841- 1000- 1047

رأس الماء- نبع السريا 289- 519- 712

راويه- السيده زينب 485

الرباط 743

الربض 667- 694- 821

ربض اعزاز 200

الرحبه 128- 162- 189- 215- 219- 221- 224- 237- 243- 248-
263- 264- 265- 269- 326- 345- 352- 527- 621- 624- 820-
922- 965- 981- 999- 1062- 1063- 1147- 1221- 1290- 1291

ص: 1511

رحبه السماكين 40

الرستن 244

الرصافه 559- 742- 811- 1123- 1221

رعبان 581- 1107- 1221

رفنيه 72- 96- 252- 276- 283- 291- 305- 316- 350- 386.

الرقه 77- 78- 82- 83- 84- 86- 88- 188- 283- 421- 490- 565- 572- 604- 613- 614- 657- 659- 708- 709- 727- 761- 772- 777- 779- 780- 798- 977- 1000- 1352

الرمل 877

الرمله 32- 47- 54- 56- 57- 59- 62- 64- 65- 66- 67- 69- 79- 89- 91- 92- 100- 101- 106- 107- 120- 121- 122- 131- 139- 147- 177- 180- 187- 197- 236- 424- 574- 606- 609- 629- 641- 645- 646- 653- 807- 1285- 1401.

الرها 210- 211- 216- 218- 221- 223- 238- 241- 245- 255- 280- 282- 283- 284- 300- 304- 327- 338- 363- 438- 440- 443- 451- 572- 581- 594- 613- 638- 657- 659- 677- 772- 779- 787- 788- 791- 827- 1000- 1073

الروج 233

ص: 1512

الروضه 1404

روميه 823

الرى 159- 161- 162- 175- 225- 226- 228- 444- 711- 727-

الزاب 1153

زاويه الشيخ برى 914

الزبدانى 276- 487- 1072- 1365- 1392

زبيد 578- 581- 615- 657- 667

زرا 256

زردنا 380

زرع 760

زرعين 1210

زعفرانى 331

زغر 864- 865

الزرقاء 703

زقاق الرمان 66- 816

زقاق سبته 664

زقاق عطاف 137

زقاق المشاطين 40

ص: 1513

زلاقه 662- 664

زلوبيا 1062

زملكا 699

الزنبقيه 1122

زويله 560

زيزاء 924

سبأ 682

سبسطيه 621- 800- 801

سرقويه 1084

سرمدا 329

سرمين 312- 313- 601- 1006- 1024

سروج 218- 223- 238- 300- 338- 439- 567- 657- 686- 841

سقيفه جناح 46

سقسين 1026

سلميه 203- 283- 304- 421- 527- 624- 962- 1207- 1398

سلماس 983- 1088

سمرقند 211- 212- 214- 720- 727

سمهود 1071

ص: 1514

سميساط 659- 884

سنجار 162- 217- 251- 572- 573- 602- 614- 617- 635- 636- 657- 659- 668- 697- 722- 726- 727- 728- 765- 777- 780- 781- 782- 793- 796- 981- 1005- 1007- 1008- 1073- 1075- 1284

سنوب 1084

السواد 254- 256- 275- 289- 295- 304- 324- 396- 615

السوداق 1160

السودان 579- 605- 1042

السوس 457- 458

سوق البز 122

سوق البقل 43

سوق الجعفرى 41

سوق الحريرين 1392

سوق الخيل 581- 1117

سوق الدواب 44

سوق الرماحين 928- 929- 1377

سوق السلطان 743

ص: 1515

سوق العسكر 294

سوق على 505

سوق الغنم 42- 229- 581

سوق النحاسين 764

السويداء 777- 779

السويديه 1276

السهم 485

سياث 1018

سيس 1024- 1025- 1069- 1081- 1082- 1087- 1092- 1106- 1107- 1109- 1115- 1139- 1163- 1154- 1238- 1242- 1244- 1252- 1344- 1345- 1394

سيواس 577- 1109- 1115

شارع دار الرفيق 163

الشاغور 70- 346- 792

الشام 30- 32- 33- 57- 59- 79- 80- 81- 91- 92- 93- 96- 100- 106- 110- 112- 119- 120- 128- 130- 137- 138- 158- 159- 179- 181- 185- 186- 198- 199- 200- 201- 202- 203- 204- 210- 211- 213- 219- 221- 223- 224- 225- 234- 235- 241- 244- 249- 251-

-305 -304 -293 -290 -289 -288 -283 -277 -265 -263 -252
-382 -376 -351 -349 -345 -328 -318 -317 -315 -312 -308
-529 -528 -515 -512 -495 -445 -444 -427 -426 -419 -407
-577 -574 -573 -572 -571 -566 -565 -535 -534 -532 -530
-613 -607 -605 -602 -601 -598 -594 -592 -587 -586 -581
-658 -657 -648 -643 -633 -626 -625 -624 -620 -615 -614
-683 -682 -679 -671 -670 -669 -667 -666 -665 -661 -659
-702 -701 -700 -697 -696 -693 -692 -690 -687 -686 -685
-721 -716 -715 -714 -713 -712 -709 -706 -705 -704 -703
-741 -740 -739 -738 -737 -736 -734 -731 -729 -728 -723
-766 -765 -762 -760 -757 -756 -752 -750 -749 -748 -744
-821 -813 -810 -808 -806 -802 -793 -787 -779 -778 -775
-869 -868 -866 -863 -858 -849 -844 -843 -837 -828 -822
-887 -886 -885 -883 -882 -881 -879 -877 -876 -874 -870
-922 -920 -918 -916 -911 -902 -901 -899 -895 -892 -888
-945 -944 -943 -939 -935 -934 -932 -931 -930 -926 -923
-991 -979 -977 -965 -961 -960 -959 -954 -950 -947 -946
-1033 -1025 -1016 -1015 -1014 -1009 -1004 -1000 -992
-1078 -1077 -1074 -1071 -1064 -1063 -1057 -1045 -1044

ص: 1517

1088- 1089- 1091- 1092- 1094- 1096- 1099- 1105- 1111-
1114- 1115- 1116- 1117- 1121- 1123- 1124- 1138- 1139-
1141- 1142- 1146- 1147- 1153- 1154- 1159- 1163- 1166-
1171- 1173- 1182- 1190- 1193- 1195- 1199- 1207- 1211-
1219- 1233- 1234- 1235- 1237- 1239- 1240- 1241- 1244-
1248- 1249- 1253- 1256- 1258- 1263- 1285- 1287- 1288-
1292- 1294- 1296- 1298- 1301- 1305- 1306- 1311- 1312-
1314- 1316- 1322- 1325- 1329- 1335- 1336- 1338- 1341-
1342- 1344- 1346- 1350- 1351- 1352- 1364- 1366- 1369-
1371- 1372- 1377- 1380- 1392- 1393- 1396- 1397

شاش 815

شبختان 290

شراه 265

شرخوب 346- 347

الشرق 911

شريفيه 1377

ششتر 743

شط الغراب 1211

الشعراء 517

ص: 1518

الشغر 657- 704- 1263

شقيف 615- 702- 805- 814- 1016- 1017- 1100- 1101- 1108- 1135- 1220

شقيف أرنون 633

شقيف تيرون 388

الشماسيه 36- 40- 54- 56- 117- 129

الشوبک 576- 626- 237- 657- 659- 716- 751- 829- 840- 868- 884- 897- 899- 901- 965- 968- 1057- 1058- 1301

الشونيزيه 558- 708

شهرزور 623- 657- 689

شيراز 1327

شيزر 96- 211- 231- 233- 255- 275- 280- 290- 294- 313- 314- 407- 419- 421- 518- 526- 529- 532- 533- 544- 560- 598- 634- 655- 807- 989- 997- 1115- 1120- 1221- 1263

صافيتا 300- 565- 1128- 1131- 1132- 1134

الصالحيه 865- 868- 904- 923- 934- 950- 959- 1149- 1210-

الصبيبه 920- 924- 927- 931- 964- 1004

صرخد 373- 403- 406- 414- 427- 430- 436-

ص: 1519

-669 -662 -661 -506 -500 -497 -461 -454 -453 -452 -437
-836 -826 -824 -821 -798 -792 -705 -696 -694 -692 -670
1333 -1221 -993 -958 -924 -890 -888 -852 -851

الصعيد 179- 416- 566- 605- 665- 669- 904- 907

الصفا 961

-1081 -1078 -1076 -1017 -1006 -814 -693 -671 -657 صفد
-1228 -1220 -1217 -1208 -1206 -1122 -1116 -1091 -1087
1371 -1370 -1346

صفوريه 618- 626

صفين 332- 422

صقليه 758- 823- 998- 1136- 1220

الصلت 759- 821- 883- 896- 924- 995- 1221- 1224

صنعاء 561- 578- 580- 637

الصنمين 289- 1122

-219 -212 -200 -185 -183 -182 -110 -107 -106 -105 -55 صور
-300 -299 -297 -296 -295 -286 -285 -275 -267 -256 -231
-631 -628 -510 -488 -472 -344 -343 -337 -311 -310 -301
-1116 -1109 -1101 -1076 -755 -682 -667 -657 -649 -633
1370

ص: 1520

صهيون 607- 655- 657- 703- 924- 993- 994- 965- 1004- 1081- 1115- 1152- 1212- 1221- 1262- 1318- 1336- 1337- 1362

صيدا 52- 54- 106- 139- 185- 212- 272- 275- 285- 286- 288- 296- 388- 488- 626- 629- 657- 714- 805- 926- 1372- 1373

صيديانا 68- 388

الصين 433- 435- 679

الضمير 737

الطارمه 753

طبريه 57- 62- 65- 69- 90- 91- 92- 101- 120- 175- 254- 256- 257- 271- 289- 304- 305- 306- 308- 346- 390- 499- 522- 609- 615- 626- 627- 629- 639- 657- 796- 825- 931- 1220

طرابلس 46- 52- 74- 77- 82- 91- 94- 96- 102- 106- 107- 108- 113- 118- 177- 183- 200- 204- 240- 241- 245- 249- 250- 251- 252- 262- 263- 269- 270- 273- 274- 275- 276- 277- 282- 289- 293- 296- 299- 305- 310- 323- 363- 385- 386- 411- 417- 467- 488- 561- 563- 627- 632- 636- 707- 734- 751- 1074- 1076- 1104- 1105- 1120- 1129- 1131-

ص: 1521

1132- 1133- 1134- 1165- 1166- 1319- 1340- 1341- 1342- 1343- 1344- 1345- 1346- 1349- 1359- 1367- 1373

طرسوس 50- 280- 635

طليطله 208- 662- 664- 665

الطواحين 792

الطور 699- 713- 714- 820- 1024- 1025

طيلسان 711

الطينه 1074

ظفار 965- 1152- 1153

العادليه 813

عازب- صحراء النقب 302

العاصى 586- 690- 804

عان 1093

عانه 226- 440- 793- 803- 981

العباسيه 836- 864- 877

عثليت 1140- 1373

عجلون 703- 712- 715- 759- 718- 883- 885- 886- 889- 896- 924- 1221- 1224- 1332

العجم 1256

ص: 1522

عدن 615- 843- 1006- 1147

عذراء 200- 396- 397- 430- 485

العذراويه 813

العراق 68- 82- 126- 153- 160- 162- 175- 178- 190- 209- 215- 219- 220- 224- 241- 251- 277- 300- 325- 328- 343- 351- 353- 372- 382- 391- 397- 398- 401- 408- 423- 432- 433- 435- 436- 444- 455- 481- 531- 561- 572- 613- 621- 690- 679- 687- 690- 692- 696- 700- 701- 703- 705- 709- 720- 728- 729- 737- 739- 741- 744- 749- 810- 817- 827- 844- 850- 856- 866- 874- 875- 876- 878- 882- 953- 956- 970- 980- 981- 1004- 1012- 1013- 1069- 1088- 1115- 1192- 1220- 1245- 1256- 1257- 1270- 1271- 1294- 1309- 1314- 1315- 1332

عرفه 624- 685- 706- 776- 787- 790- 1116

عرقه 272- 273- 280- 1076- 1128- 1166

العريش 137- 814- 870- 918- 927- 1069- 1207

عريمه 467- 565

عزتا 766- 808- 812- 835

العزيزيه 986- 987- 988- 995- 1064

ص: 1523

عسال 388

عسقلان 57- 58- 100- 138- 179- 236- 237- 240- 242- 253- 286- 287- 302- 341- 462- 479- 480- 492- 494- 496- 497- 507- 536- 567- 574- 606- 629- 640- 643- 647- 657- 825- 1128- 1153- 1211

العصرونيه 949

العقبه 346- 405- 408

عقبه شحورا 347- 677

عقبه فيق 637- 699

عقبه الكرسى 712

عقيبه 779- 792- 836- 1060

عكا 55- 90- 154- 175- 212- 238- 245- 257- 297- 302- 308- 375- 390- 472- 488- 615- 618- 625- 627- 628- 629- 634- 636- 637- 638- 639- 640- 645- 646- 648- 651- 653- 657- 682- 699- 712- 713- 735- 736- 750- 838- 883- 930- 968- 1041- 1061- 1062- 1066- 1076- 1099- 1100- 110- 1122- 1124- 1127- 1134- 1135- 1142- 1143- 1154- 1245- 1270- 1274- 1338- 1360- 1361- 1367- 1369- 1370- 1371- 1372- 1373- 1374- 1377- 1378- 1379

ص: 1524

عكار 1263

العلت- قريه من الدجيل 810

العليقه 1123- 1133- 1221

عمان 753

عمتا 1332

العمق 1024

عنقه 981

العواصم 581

العونيه 611- 624- 725

العياضيه 639

العين 748

عينتاب 617- 884- 996- 998- 1139- 1192

عين جالوت 618- 712- 926- 930- 945- 946- 950- 954- 966- 985- 1044- 1055- 1076- 1211

عين الجر 305- 487- 608

عين زربه 410- 411

عين سيلم 210

عين شمس 100

عين شواقه 453

ص: 1525

عين الفراش 932

عين الكتيبه 267

عين الكرش 747

عين المباركه 602

عيون الفاسريا 485- 504

عيون القصب 1335

غباغب 643

غزه 479- 492- 536- 574- 657- 705- 786- 802- 807- 809- 812- 814- 821- 840- 849- 863- 864- 865- 867- 869- 874- 879- 883- 886- 918- 919- 929- 951- 968- 980- 995- 996- 1000- 1025- 1026- 1090- 1163- 1154- 1210- 1228- 1337- 1359- 1401

الغسوله 1335

الغور 621- 626- 712- 754- 755- 799- 864- 967- 985- 1083- 1214

غور زعر 901

الغوطه 64- 66- 68- 111- 182- 194- 346- 393- 424- 428- 429- 430- 431- 479- 485- 486- 488- 493- 504- 812- 918- 1061- 1233

الفاخوره 39

ص: 1526

فارس 780- 965- 1088- 1219

فاس 673- 674

فاميه 685

الفحول 338

فدايا 486

الفرات 128- 162- 200- 217- 219- 223- 226- 250- 263- 264- 283- 284- 288- 290- 291- 292- 304- 332- 337- 396- 411- 421- 510- 527- 572- 576- 589- 590- 598- 602- 613- 614- 616- 619- 622- 624- 657- 734- 739- 748- 762- 765- 771- 777- 780- 782- 812- 828- 841- 866- 924- 931- 939- 945- 974- 980- 982- 1004- 1066- 1140- 1147- 1148- 1219- 1282- 1284- 1285- 1383- 1384- 1385

الفراديس 39- 40- 45- 428- 484

الفسقار 41

فلسطين 67- 137- 146- 180- 187- 199- 200- 271

الفنيدق 337

الفوار 64- 618- 1116

الفوعه 1007- 1024

ص: 1527

الفوله 618

القابون 792- 836- 885- 889

قارا 68- 795- 835

قاسيون 573- 623- 642- 643- 668- 686- 687- 694- 696- 702- 714- 716- 738- 744- 746- 752- 753- 755- 765- 766- 772- 774- 779- 782- 783- 804- 812- 819- 822- 841- 842- 850- 1044- 1062- 1087- 1112- 1119- 1138- 1146- 1394- 1400

قاقون 1140- 1400

القاهره 62- 80- 97- 103- 114- 119- 121- 127- 128- 148- 332- 334- 368- 495- 567- 569- 570- 573- 574- 577- 605- 613- 616- 660- 670- 678- 680- 681- 709- 740- 749- 774- 781- 783- 796- 800- 801- 802- 803- 813- 815- 826- 830- 831- 832- 834- 838- 840- 841- 852- 861- 862- 863- 864- 865- 871- 877- 878- 887- 898- 904- 905- 929- 945- 946- 959- 960- 967- 969- 970- 972- 978- 991- 1005- 1007- 1010- 1016- 1017- 1019- 1020- 1024- 1025- 1026- 1029- 1043- 1044- 1048- 1049- 1050- 1051- 1062- 1065- 1067- 1074- 1075- 1081- 1082- 1083- 1069- 1088- 1091- 1092- 1107- 1108- 1115- 1126-

ص: 1528

-1157 -1155 -1154 -1153 -1150 -1146 -1138 -1133 -1127
-1200 -1191 -1190 -1172 -1167 -1163 -1162 -1161 -1160
-1217 -1216 -1211 -1209 -1208 -1207 -1204 -1203 -1202
-1248 -1242 -1240 -1236 -1226 -1223 -1220 -1219 -1218
-1337 -1332 -1308 -1307 -1302 -1296 -1295 -1274 -1255
-1376 -1372 -1367 -1364 -1362 -1361 -1341 -1339 -1338
1400

قبر حمزه 582

قبر الخليل عليه السلام 687

قبر النبى (ص) 690

قبرص 683- 1135- 1136- 1162- 1368- 1372

قبه زمزم 737

قبه الصخره 810

قبه النسر 683

قبه الورد 361- 419

القبيبه 645

القدس 308- 588- 618- 630- 631- 633- 635- 638- 640- 641-
-696 -671 -668 -662 -658 -657 -649 -648 -646 -645 -643
-759 -758 -757 -755 -754 -753 -721 -715 -712 -704 -700
-837 -824 -823 -807 -790 -787 -774

ص: 1529

838- 864- 865- 869- 883- 884- 890- 891- 896- 938- 992- 1032- 1033- 1051- 1098- 1121- 1154- 1223- 1226- 1252- 1272- 1296- 1300- 1346

قدس- عين التنور الحاليه 305

قدم 435- 485- 662- 671

القدموس 1144- 1150- 1123

قرافه 560- 673- 676- 681- 1075- 1088- 1226- 1227- 1303- 1338

القرافه الصغرى 907- 1112

قرطبه 665

قرقيسيا 824- 866- 931- 978

قرنه برج الغنم 421

قريه أحد 854

قريه أم نزع 854

قريه البلسم- البيلسان- عين شمس 32- 33

قريه الجمله 1115

قريه حوشيه 1159

قريه الزنبقيه 1338

قريه كيفا 1051

ص: 1530

قريه لبنى 60

قريه الناووسه 981

القريتين 250

القرين 1134- 1220

قزوين 727

القسطنطينيه 53- 69- 181- 189- 232- 263- 265- 326- 380- 409- 410- 462- 463- 540- 575- 635- 636- 1011- 1026- 1028- 1029- 1030- 1159- 1402- 1405

قشتاله 1137

القصاعين 1157

القصب 504

قصر الثقفيين 45

قصر حجاج 41- 346

قصر أم حكيم 885- 889

قصر زبيد 578

قصر ابن السرح 59

قصر عاتكه 41

قصر الميدان 1377

قصر يعقوب 608- 609

ص: 1531

القصرين 1048- 1075- 1377

القصير 396- 930- 950- 1071- 1116- 1149- 1220

قطنا 592- 799- 835

قطيا 918- 993- 996

القطيفه 489- 1107- 1172

القفجاق 1219

القلعه 697- 752- 780- 799

قلعه الأثارب 421- 427

قلعه أشب 435

قلعه ألموت 271

قلعه أنس 190

قلعه أولى 1018

قلعه بارين 685

قلعه الباطنيه- شاه درز 257

قلعه بانياس 1288

قلعه بصرى 1347

قلعه بطر 1345

قلعه بعلبک 683- 773- 1052- 1055- 1333- 1348- 1374

ص: 1532

قلعه بکسرائیل 1115

قلعه بلاطنس 1115

قلعه بهسنا 1397

قلعه البیره 1171

قلعه تدمر 1065

قلعه تسلا 1286

قلعه تکریت 650

قلعه تلا 1012- 1088- 1089

قلعه الجبل 868- 869- 870- 872- 967- 958- 970- 990- 1000- 1020- 1026- 1056- 1062- 1075- 1086- 1099- 1110- 1114- 1115- 1135- 1138- 1141- 1146- 1149- 1150- 1151- 1212- 1229- 1283- 1284- 1292- 1293- 1302- 1308- 1338- 1339- 1357- 1358- 1364- 1365- 1371- 1372- 1380

قلعه الجردین 1388

قلعه جعبر 283- 332- 337- 561- 567- 589- 597- 659- 726- 805- 884- 1052- 1073- 1354

قلعه الجزیره 808

قلعه جیبر 1212- 1229

قلعه جیزان 435

ص: 1533

قلعه الجيزه 1406

قلعه الحديثه 633

قلعه أبو الحسن 702

قلعه حلب 223- 589- 598- 617- 710- 1374

قلعه حمص 805

قلعه خرتبرت 340- 341

قلعه دمشق 361- 587- 594- 599- 605- 655- 690- 693- 735- 772- 819- 1213- 1284- 1296- 1300- 1309- 1311- 1334- 1376- 1381

قلعه دوسر 188- 446

قلعه دوندا 1195

قلعه الرها 779

قلعه الروم 1318- 1384- 1387- 1388- 1390- 1392- 1402

قلعه زالو 1195

قلعه السريان 331

قلعه السن 263

قلعه سندو 1195

قلعه السرمين 1222

قلعه الشريف 208- 223

ص: 1534

قلعه شميميس 999- 1062

قلعه الصبيبه 825- 980- 1288- 1398

قلعه صفد 1162- 1371

قلعه الصور 391

قلعه طلميثه 1162

قلعه عجلون 1151- 1332

قلعه عزتا 792

قلعه العليقه 1031

قلعه عمان جق 1151

قلعه الفضه 1365

قلعه القرادى 980

قلعه قيمر 1300

قلعه الكراوين 1388

قلعه الكهف 1150

قلعه كوكب 703

قلعه مامرون 1118

قلعه نجم 686

قلعه الهتاخ 417

القليعه 1123

ص: 1535

القليعات 1128

قنسرين 86- 96- 387- 923

القنطره 681

قنطره سنجه 340

القنوات 38- 40- 407

قوص 904- 907- 961- 1056- 1071- 1147- 1285

قونيه 511- 984- 1109- 1113- 1143- 1148- 1197- 1198- 1360

القيروان 97- 118

قيساريه 90- 137- 138- 657- 724- 1033- 1041- 1066- 1142- 1220- 1228- 1392

قيساريه الصراف 881

القيصريه 1155- 1193- 1196- 1197- 1999- 1200- 1276

قينيه 38- 40- 64

كاشغر 136

الكبش 1161

كربلاء 748- 900

الكرج 716- 741- 854- 875

ص: 1536

الکرخ 875

الکرک 571- 576- 578- 613- 615- 618- 619- 621- 625- 626- 657- 659- 703- 704- 706- 715- 716- 726- 741- 759- 786- 790- 801- 810- 820- 821- 823- 825- 830- 831- 840- 863- 865- 868- 871- 874- 878- 879- 883- 884- 888- 893- 865- 896- 897- 898- 899- 902- 905- 913- 915- 916- 919- 924- 925- 939- 957- 965- 979- 989- 1025- 1026- 1032- 1042- 1056- 1058- 1059- 1064- 1074- 1082- 1090- 1091- 1116- 1117- 1127- 1138- 1161- 1162- 1209- 1210- 1221- 1223- 1228- 1285- 1335- 1401- 1402

کرک البقاع 729

کرک نوح 1159

کرکر 1345

کرمان 965- 1220

کرمان شامان 733

الکرمل 750

الکسوه 798- 918- 986

کسیون 581

الکعبه 579- 580- 729- 1116

ص: 1537

الكفر 702

كفر حمار 221

كفردس 1221

كفر رمان 622

كفر زمار 688

كفرطاب 189- 236- 421- 518- 525- 532- 608- 999- 1276

الكلاسه 655- 662- 682- 683- 756- 793

كمناقوس 1084

كنجه 281

كنيسه السيده 213

كنيسه الاسكندريه- المدرسه الخضراء 1150

كنيسه مريم 928

كنيسه مريوحنا 39

كنيسه اليعاقبه 928

كنيسه اليهود 71- 1150

الكوسان 702

الكوفه 30- 748- 776- 1315

كوكب 657

ص: 1538

كوكبا 488

كوكر جلک 1088

الكهف 1123- 1226- 1354

كينوک 1192- 1197- 1199

اللاذقيه 245- 572- 657- 936- 1128- 1263- 1372

لبنان 620

اللجون 1147

اللد 1401

لوبيه 626

اللوق 987

لؤلؤه 38- 40

لؤلؤه الكبرى- محله الحلبونى حاليا 400

ليلون 1024

ليون 610

مآب 265

مأجوج 771- 706

المارستان النورى 582- 586- 587- 682- 859

ماردين 284- 327- 331- 506- 563- 572- 621- 667- 669- 670- 671- 672- 677- 679- 688-

ص: 1539

689- 691- 697- 722- 726- 727- 737- 738- 772- 780- 803-
804- 808- 809- 818- 916- 918- 944- 965- 982- 983- 984-
993- 1000- 1004- 1008- 1047- 1053- 1062- 1073- 1296-
1309- 1310-

مأذنه فيروز 1094

مازندران 806

ماوراء النهر 433- 531- 679

ماكسين 265

المجدل 799- 809- 824- 1128

مجدل يابا 628

المحله 1165

المحمديه 1227

المدرسه الأمينيه 577- 923

المدرسه البدريه الحسينيه 858

المدرسه التقويه 1358

مدرسه الحنابله 672

مدرسه خاتون 521- 623

المدرسه الركنيه 923

المدرسه الرواحيه 924

ص: 1540

المدرسه الرومانيه 1358- 1360

المدرسه السلطانيه 923

مدرسه الشافعيه 577

المدرسه الشاميه البرانيه 924

المدرسه الشبليه 858

مدرسه الشيخ عبد القادر 644

مدرسه الصاحب صفى الدين بن شكر 887

المدرسه الصالحيه 1091- 1097- 1376

المدرسه الصالحيه النجميه 1075

المدرسه الصلاحيه 573

المدرسه الظاهريه 1048- 1358

المدرسه العادليه 1337

المدرسه العذراويه 923

المدرسه العزيزيه 662- 1361

المدرسه العماديه 1358

المدرسه الفلكيه 923

المدرسه القيمريه 923

المدرسه القداسيه 923

المدرسه المالكيه 573

ص: 1541

المدرسه المستنصريه 810- 886- 915

المدرسه المصريه 1358

المدرسه المعزيه 858- 871

المدرسه النوريه 968- 1076

المدينه 308- 561- 570- 578- 582- 590- 615- 616- 657- 716- 734- 736- 749- 961- 964- 1068- 1108- 1109- 1116- 1117- 1125- 1256- 1268- 1290- 1302- 1308

مدينه البلاط 420

مدينه رومى 1137

مدينه الشمس 32

مدينه النحاس 665

مراغه 241- 399- 413- 983- 1088

مراكش 673- 674- 965- 1075- 1124- 1127

المرج 39- 194- 405- 424- 430- 431- 479- 486- 488- 504- 639- 686- 762- 967- 988- 1055- 1131- 1233- 1341-

مرج الأشعرين 129

مرج دابق 82- 691

مرج الديباج 418- 540- 1192

ص: 1542

مرج الصفر 203- 229- 346- 660- 677- 715- 820- 830

مرج عذراء 91- 92

مرج عيون 608- 609

مرزبان 577- 581- 1221

مرسليه 984

مرعش 244- 577- 581- 1139- 1345- 1397

مرغول 1125- 1126

المرقب 1122- 1128- 1131- 1133- 1220- 1274- 1333

مرقيه 300- 1128

مرو 711

المزه 64- 69- 133- 134- 175- 176- 464- 613- 790- 792- 836- 1361

المزدلفه 729

مسجد ابراهيم 39- 70

مسجد أبى الدرداء 591

المسجد الأقصى 130- 145- 649

مسجد التبر 1025- 1090- 1154- 1365

مسجد خاتون 561- 661

ص: 1543

مسجد الخضر 44

مسجد الخيف 729

مسجد دار البطيخ 587

مسجد الرأس 925- 956

مسجد الرياحين 587

مسجد زيدان 128

مسجد سوق الصياغه 587

مسجد العاصى 39

مسجد العباسى 587

مسجد عطيه 587

مسجد الكشک 587

مسجد معاويه 40

مسجد النارنج 827- 852

مسجد النجارين 1352

مسجد النصر 1038

مسكنه 708

مشغره 1233

مشهد الحسين 810- 1043

مشهد السيده نفيسه 872

ص: 1544

مشهد القدم 892

مشهد على 1350

المشيرفه 1051

المصانع 706

مصر 32- 33- 35- 54- 56- 58- 62- 64- 66- 67- 71- 73- 75- 77-
79- 88- 91- 94- 95- 97- 98- 100- 101- 102- 103- 105- 106-
109- 110- 112- 116- 118- 119- 122- 123- 127- 130- 132-
133- 134- 135- 137- 141- 153- 154- 155- 156- 157- 159-
160- 162- 164- 175- 183- 184- 194- 195- 199- 212- 213-
214- 219- 224- 225- 230- 231- 234- 235- 236- 237- 240-
242- 244- 246- 253- 270- 277- 281- 286- 287- 295-
300- 301- 302- 310- 332- 333- 334- 335- 336- 338- 340-
341- 343- 344- 345- 349- 360- 368- 385- 389- 416- 423-
424- 427- 430- 434- 443- 455- 460- 462- 469- 470- 478-
482- 484- 490- 494- 496- 506- 508- 509- 516- 536- 539-
543- 559- 560- 565- 566- 567- 599- 600- 602- 604- 605-
606- 607- 614- 615- 618- 619- 620- 625- 626- 628- 638-
644- 645- 648- 651- 658- 673- 676- 677- 679- 681- 682-
684- 697- 704- 709-

-735 -734 -728 -726 -722 -721 -718 -717 -716 -715 -712
-771 -766 -763 -762 -760 -756 -754 -746 -744 -743 -736
-807 -801 -800 -799 -795 -794 -793 -792 -787 -781 -773
-826 -825 -824 -822 -819 -818 -817 -815 -813 -812 -811
-839 -837 -836 -835 -833 -832 -831 -830 -829 -828 -827
-898 -868 -865 -864 -861 -860 -852 -849 -843 -841 -840
-932 -930 -929 -924 -918 -917 -915 -913 -911 -902 -899
-971 -970 -969 -968 -967 -963 -961 -952 -951 -935 -933
-990 -989 -988 -985 -983 -980 -979 -978 -976 -975 -974
-1009 -1007 -1005 -1004 -1003 -1000 -996 -995 -992 -991
-1026 -1021 -1021 -1020 -1017 -1016 -1015 -1013 -1012
-1057 -1053 -1053 -1051 -1042 -1035 -1031 -1030 -1029
-1072 -1071 -1070 -1069 -1068 -1067 -1066 -1062 -1058
-1098 -1096 -1092 -1091 -1090 -1086 -1085 -1084 -1074
-1117 -1116 -1115 -1114 -1113 -1112 -1110 -1108 -1099
-1128 -1127 -1125 -1124 -1123 -1122 -1121 -1119 -1118
-1147 -1146 -1141 -1140 -1139 -1137 -1135 -1134 -1133
-1160 -1159 -1157 -1156 -1155 -1154 -1153 -1150 -1149
-1206 -1200 -1199 -1193 -1182 -1170 -1166 -1162 -1161
-1219 -1218 -1214 -1210 -1208

ص: 1546

1232- 1234- 1235- 1239- 1242- 1247- 1248- 1255- 1261-
1263- 1272- 1274- 1295- 1296- 1309- 1316- 1332- 1334-
1335- 1336- 1337- 1338- 1339- 1340- 1345- 1346- 1357-
1359- 1360- 1361- 1362- 1366- 1367- 1372- 1375- 1377-
1378- 1379- 1388- 1390- 1392- 1393- 1396- 1398- 1399-
1400- 1402

مصيات 601- 604- 1123

المصيصه 410- 1163

معان 1299

المعره 68- 421- 1018- 1306- 1317

معره مصرين 234- 313- 601- 1024

معره النعمان 72- 189- 230- 235- 236- 293- 313

معلولا 68

معين 743

مغاره الجوع 704- 779

المغرب 79- 208- 209- 444- 455- 458- 577- 657- 658- 672-
673- 682- 873- 1203

مقابر الصوفيه 789- 1376

مقابر قريش 337

مقابر الكهف 494

ص: 1547

المقس 114- 1014- 1052

المقطم 620- 1019- 1071- 1097- 1160

مکه 191- 220- 227- 579- 580- 590- 605- 615- 616- 625- 657- 690- 701- 704- 706- 716- 728- 734- 736- 737- 749- 753- 760- 761- 764- 776- 743- 900- 904- 961- 964- 1083- 1109- 1116- 1125- 1128- 1190- 1200- 1217- 1256- 1366

ملطیه 237- 244- 255- 263- 577- 1173- 1236- 1345

منی 700- 701- 706- 729- 1116

مناز کرد 186- 187

منبج 186- 542- 565- 600- 604- 685- 807- 936- 1073- 1147

المنزله 1191

المنیبع 798

المنیحه- ملیحه 393

المنیه 835

المنیطره 567

المنیقه 1123- 1144- 1150- 1221

مؤته 801

ص: 1548

موزر 657

الموصل 78- 162- 216- 217- 221- 223- 225- 241- 245- 249-
251- 263- 265- 269- 270- 282- 290- 300- 303- 309- 323-
345- 347- 351- 367- 368- 372- 397- 408- 409- 410- 411-
417- 418- 423- 436- 440- 441- 447- 451- 468- 476- 516-
517- 525- 541- 542- 563- 571- 572- 573- 576- 581- 582-
585- 587- 594- 597- 600- 601- 604- 605- 607- 610- 611-
612- 613- 614- 622- 623- 640- 650- 659- 666- 668- 687-
688- 689- 697- 699- 721- 727- 728- 739- 762- 781- 802-
813- 857- 860- 872- 875- 876- 878- 881- 892- 907- 908-
911- 918- 933- 935- 937- 965- 978- 979- 980- 981- 983-
985- 991- 1000- 1004- 1005- 1007- 1008- 1009- 1013-
1014- 1027- 1048- 1053- 1062- 1066- 1073- 1081- 1164-
1171- 1212- 1256- 1311- 1352

مهد عیسی 49- 53- 209- 455- 456

میافارقین 78- 217- 228- 237- 265- 275- 282- 338- 622- 657-
659- 678- 686- 688- 689- 696- 737- 764- 770- 805- 808-
809- 815- 818- 841- 878- 884- 916- 918- 925- 955- 956-
1088- 1089

ص: 1549

ميماس حمص 74

الميادين 683- 752

الميدان 39- 41- 308- 330- 578- 583- 752- 1361

الميدان الأخضر 617- 671- 1139

ميدان اللوق 860

المنصوره 1036- 1037- 1038- 1040- 1067- 1074

نابلس 308- 621- 632- 643- 648- 657- 682- 684- 686- 698- 699- 715- 717- 724- 735- 740- 757- 758- 759- 790- 794- 798- 799- 800- 801- 802- 812- 814- 821- 864- 883- 886- 889- 890- 893- 895- 896- 905- 918- 939- 940- 963- 1083- 1211

الناصره 390- 669

الناصريه 1218- 1366

الناعوره 82- 221- 420

نصيبين 162- 216- 217- 263- 572- 613- 617- 623- 657- 659- 727- 809

النظاميه 559- 569- 666

النقره 82- 387

نواز 387

ص: 1550

النوبه 1173- 1174- 1221- 1361

نهاوند 251

النهر الأبيض 1092

نهر أتل 1026

النهر الأزرق 884

النهر الأسود 1126

نهر بانياس 408

نهر تورا 836

نهر جيحون 189- 281

نهر سبعين 222

نهر الطواحين 57

نهر القصب 639

نهر قويق 420

نهر كوثا 1028

نهر كور 1092

النهر المقلوب- العاصى 93- 107- 108- 221- 293- 294

نهر النيل 620

نهر يزيد 66- 408- 588- 623

النهروان 469

ص: 1551

نوی 626- 681- 712

النیرب 83- 485- 756- 772- 824

نیربین 620

نیقیه 233- 410

نیسابور 696- 711

النیل 32- 159- 516- 679- 682- 871- 1032- 1035- 1036- 1038- 1040- 1059- 1068- 1117- 1127

هتاخ 622- 815

هرماس 217

هراه 1125

الهکاریه 648

همذان 163- 214- 224- 288- 290- 331- 343- 353- 383- 384- 399- 459- 460- 469- 574- 614- 622- 657- 666- 669- 700- 702- 711- 716- 720- 727- 743- 769- 1285- 1286- 1314

الهند 657- 681- 679- 720- 760- 769

هونین 667- 683- 702- 731- 773- 1360- 1361

هیت 981- 982

وادی بزاعه 222

وادی بنی حصین 203

ص: 1552

وادی التیم 305- 358- 359- 430- 741

وادی المقتول 307

وادی منین 799

وادی نخله 904

وادی موسی 265- 353- 615- 988

الوراده 1069

واسط 572- 914- 915

وهران 1024

یافا 32- 45- 238- 240- 242- 244- 253- 307- 488- 628- 640- 646- 653- 656- 657- 756- 759- 1099- 1100- 1101- 1220

یبرود 68

یبوس 479

یعفور 479- 592

یمن 203- 578- 579- 580- 581- 605- 610- 613- 614- 615- 629- 647- 657- 658- 663- 682- 704- 705- 716- 722- 726- 736- 738- 740- 760- 781- 828- 855- 965- 974- 1099- 1256- 1366

بع 961- 1109- 1128

یونین 728

ص: 1553

ص: 1554

ص: 1555

[أحداث]الجماعات

الأتابكيه: 309- 394- 403- 419- 454- 476- 505- 540- 614- 668- 710- 868- 1040- 1041

الأتراک: 47- 48- 54- 70- 83- 91- 98- 103- 114- 139- 140- 153- 161- 181- 185- 186- 187- 189- 193- 194- 200- 201- 203- 207- 216- 217- 219- 225- 235- 237- 240- 243- 263- 268- 271- 275- 282- 294- 295- 296- 297- 301- 302- 303- 304- 305- 306- 307- 308- 316- 324- 348- 352- 364- 365- 366- 371- 381- 383- 386- 387- 399- 405- 412- 426- 430- 444- 482- 495- 519- 522- 570- 808- 840- 841- 931- 955- 1160- 1220

الأحداث 37- 39- 40- 44- 46- 48- 71- 91- 105- 107- 109- 111- 112- 177- 178- 179- 187- 193- 222- 229- 237- 252- 278- 308- 312- 319- 346- 357- 361- 371- 421- 428- 489- 486- 533- 968

الإخشيديه: 32- 42

إخوان الصفا: 1349

الأرمن 83- 252- 283- 287- 303- 328- 416- 419- 439- 443- 496- 540- 1163- 1197- 1368

ص: 1556

الاسبتاريه: 519- 609- 626- 627- 814- 1077- 1123- 1129- 1131- 1133- 1152- 1368

الأسديه: 660- 661- 670- 671

بنو إسرائيل: 877- 901- 903

الأسرى: 60- 109- 187- 217- 255- 316- 324- 341- 382- 387- 407- 421- 438- 485- 492- 510- 520- 523- 537- 564- 610- 616- 621- 626- 627- 628- 631- 639- 664- 776- 815- 825- 828- 835- 919- 1009

الأسفهلاريه: 92- 100- 161- 228- 290- 318- 323- 326- 403- 419- 445- 504- 546.

الإسماعيليه: 312- 389- 468- 471- 508- 533- 539- 543- 600- 601- 604- 607- 614- 649- 681- 682- 690- 694- 699- 700- 707- 712- 713- 714- 715- 717- 719- 720- 721- 722- 724- 734- 735- 736- 750- 754- 755- 756- 758- 800- 962- 963- 965- 984- 992- 1006- 1012- 1144- 1150- 1349- 1350- 1351- 1360

الأشراف: 41- 42- 48- 50- 55- 81- 101- 103- 104- 109- 112- 131- 216- 227- 288- 468- 701- 877

الأشرفيه: 786- 832- 852- 864- 886

الأشعريه: 38

الأفرنج: 208- 209- 231- 232- 233- 235- 236- 237- 238- 240-
241- 242- 243- 244- 245- 249- 250- 252- 253- 254- 256-
262- 263- 265- 266- 267- 269- 271- 272- 273- 274- 275-
276- 277- 278- 280- 281- 282- 283- 284- 285- 286- 288-
289- 290- 291- 293- 294- 295- 296- 297- 298- 299- 300-
301- 302- 303- 304- 305- 306- 307- 308- 310- 312- 313-
315- 316- 323- 324- 326- 327- 328- 329- 331- 332- 337-
338- 339- 340- 341- 342- 343- 344- 345- 346- 347- 350-
351- 353- 357- 363- 367- 375- 381- 385- 386- 387- 390-
407- 412- 417- 418- 424- 429- 430- 431- 432- 436- 437-
438- 439- 440- 451- 452- 453- 454- 462- 463- 467- 468-
470- 472- 473- 474- 475- 478- 479- 480- 483- 486- 487-
488- 490- 491- 492- 494- 495- 496- 497- 505- 507- 508-
509- 510- 512- 515- 517- 519- 520- 522- 525- 532- 533-
535- 536- 537- 538- 543- 544- 454- 546- 560- 561- 562-
563- 564- 565- 566- 567- 568- 569- 570- 571- 573- 574-
579- 587- 590- 591- 594- 597- 599- 605- 606- 607- 608-
609- 614- 615- 616- 618- 621- 625- 626- 629- 630- 631-
632- 633- 634- 636- 637- 638- 639- 640- 641-

ص: 1558

644- 645- 646- 647- 648- 649- 651- 653- 654- 658- 664-
666- 667- 673- 719- 775- 783- 801- 808- 812- 815- 820-
830- 831- 833- 834- 837- 890- 894- 897- 898- 899- 907-
926- 931- 1007- 1016- 1026- 1028- 1030- 1031- 1032-
1033- 1034- 1035- 1041- 1062- 1094- 1100- 1102- 1122-
1124- 1127- 113- 1137- 1140- 1166- 1167- 1191- 1217-
1220- 1230- 1240- 1242- 1343- 1344- 1345- 1360- 1367-
1368- 1369- 1371- 1372- 1373- 1405

أقباط مصر: 8- 105

الأكراد: 202- 216- 304- 442- 547- 566- 570- 646- 854- 859-
876- 918- 939- 1153

أكراد رواديه: 854

ألمان: 462

أمراء الأجناد: 190

الأمراء الحنبليون: 1158- 1159

الأمراء الصالحيه: 778- 852- 861- 862- 871- 873

بنو أسامه: 546

بنو أميه: 55- 575- 650- 742- 777- 855- 911- 971- 1341

الأنبروريه: 998

ص: 1559

الأندلسيون: 208- 1136

الأنصار: 887

أوباش: 361- 477- 481- 485- 486- 505

بنو أيوب: 650- 804- 867

الباطنيه: 189- 214- 243- 244- 254- 257- 258- 259- 261- 268- 271- 291- 312- 313- 314- 325- 332- 333- 346- 347- 349- 351- 357- 358- 361- 362- 371- 399- 432- 454- 874

البحريه: 865- 873- 874

البربر: 458- 663- 1137

بنو بردويل: 1157- 1158

البطارقه: 130- 630

البغداديون: 947

البنادقه: 341

البيسانيون: 1143

التتر: 721- 727- 728- 769- 770- 771- 772- 780- 792- 805- 812- 815- 841- 849- 866- 874- 875- 876- 877- 878- 899- 902- 909- 911- 915- 917- 918- 919- 920- 921- 922- 923- 924- 925- 926- 927- 929- 930- 931- 932- 933- 935- 936- 937- 938- 939- 940-

ص: 1560

-941 -944 -945 -946 -947 -951 -952 -953 -954 -956 -966
-967 -968 -970 -978 -979 -980 -982 -983 -984 -985 -986
-987 -990 -991 -992 -993 -1004 -1005 -1007 -1008 -1009
-1010 -1011 -1013 -1014 -1015 -1020 -1025 -1026 -1042
-1044 -1048 -1052 -1053 -1054 -1055 -1059 -1063 -1064
-1065 -1066 -1082 -1088 -1091 -1092 -1093 -1107 -1108
-1114 -1119 -1139 -1140 -1142 -1149 -1151 -1156 -1158
-1159 -1163 -1164 -1165 -1172 -1173 -1191 -1192 -1193
-1196 -1197 -1199 -1201 -1207 -1208 -1211 -1221 -1223
-1224 -1245 -1263 -1265 -1335 -1344 -1362 -1364 -1365
1378

التركبليه: 1033

التركمانيه: 227- 232- 238- 256- 264- 265- 275- 282- 327- 328-
329- 332- 335- 346- 347- 363- 364- 366- 380- 385- 386-
387- 390- 406- 407- 411- 416- 421- 430- 438- 440- 448-
451- 465- 468- 472- 473- 481- 482- 486- 491- 495- 506-
517- 518- 520- 521- 532- 537- 540- 546- 602- 672- 677-
809- 820- 977- 981- 982- 984- 990- 1008- 1038- 1082-
1139- 1140- 1167- 1197- 1203- 1373

ص: 1561

الجانداریه 1082- 1083

الجاوشیه: 375

آل جراح: 290

الجردیون 1374

الجندریه 348- 1332

الجنویون: 245- 273- 274

الحارثیون: 71

الحجریه: 495

بنو حذیفه: 39

الحشیشیه: 838

الحلبیون: 291- 353- 439- 601- 602- 603- 614- 617- 781- 805- 806- 807- 808- 818- 820- 821- 826- 828- 837

بنو حماد 179- 456

بنو حمدان: 64- 80- 154

الحمویون: 963- 964

الحنابله: 559- 671- 677- 819- 1076- 1087

الحنیفیه 663

الخراسانیه: 308- 348- 371- 375- 381- 439- 501

ص: 1562

بنو الخشاب: 709

بنو خفاجه: 342- 306- 1192

الخلفاء الراشدون 887

الخوارج 662- 667

الخوارزميه: 780- 782- 805- 806- 807- 808- 809- 812- 814- 816- 817- 815- 819- 820- 821- 822- 824- 852- 1073- 1074- 1152

الداويه: 519- 609- 626- 627- 628- 814- 1077- 1131- 1133- 1152

بنو الدايه: 601

الدركبوليه: 523

الدمشقيون: 50- 101- 381- 417- 666- 823- 824- 826- 828- 831- 924- 925

الدوله البويهيه: 153- 444

الدوله العباسيه: 262

الديلم: 47- 48- 64- 82- 83- 98- 101- 103- 108- 308- 348- 371

ذبيان: 855

الذعار: 1165

أهل الذمه 856

ص: 1563

بنو ربيعه: 302

الرعاع: 486- 505

الركبداريه: 784

الروم: 32- 36- 49- 50- 55- 72- 74- 75- 80- 82- 83- 93- 94- 95- 96- 98- 106- 107- 108- 110- 112- 131- 179- 181- 185- 186- 187- 188- 201- 202- 204- 211- 232- 233- 244- 263- 264- 265- 275- 280- 289- 326- 380- 409- 414- 417- 418- 419- 420- 421- 423- 434- 435- 462- 510- 540- 543- 544- 545- 546- 565- 576- 610- 612- 636- 649- 772- 777- 779- 780- 781- 782- 787- 803- 805- 806- 807- 809- 812- 875- 876- 884- 885- 911- 917- 959- 965- 984- 997- 1000- 1010- 1011- 1012- 1056- 1063- 1074- 1083- 1084- 1088- 1089- 1112- 1114- 1115- 1137- 1139- 1140- 1151- 1154- 1155- 1159- 1160- 1164- 1167- 1173- 1192- 1193- 1194- 1196- 1200- 1201- 1230- 1341- 1378

الرهبان: 1154

الريحانيه: 495

الزراديون 234

الزراقون 792

ص: 1564

الزريقيون 302

الزط 481

الزهاد المتصوفه 189- 288

سبأ 293- 447

السرجنديه 324- 519- 523

السلاحيه 308- 348- 375

السلاطين السلجوقيه 876

بنو سلجوق: 679- 769- 1084- 1198

بنو سليم: 175

الشافعيه: 1075

الشرطه: 42

الشطار 968

شطار الأحداث 43

الشعراء: 560- 609- 615- 627- 655- 850- 910- 1002

الشمسيه: 419

الشهرزوريه 929- 979- 995- 1015- 1127- 1128

بنو شيبان 202

الشيوخ 653

ص: 1565

بنو صخر 753

بنو صصرى 826

الصعاليک 1051

الصلاحيه 669- 670

صنهاجه 456

الصوفيه: 127- 348- 642- 738- 881- 1109

الطائيون: 65- 306

طراخين- كبار الغلمان 48

الطرسوسيون: 5- 51

ملوک الطوائف: 1020

بنو طى ء 66

الظاهريه 1075

بنو العادل 774

العباد 755

بنو العباس 574- 575- 711- 742- 969- 970- 971- 972- 910- 911- 1020- 1021

بنو عبس 855

بنو عبد المؤمن 1125- 1127

العبيد 179- 332- 701

ص: 1566

بنو عبيد 1096

العتابيون 576

بنو العجمى 709

العجم 54- 64- 69- 161- 243- 445- 531- 532- 583- 601- 619- 728- 806- 880- 941- 953- 956- 992- 993- 1088- 1117

العرب: 32- 33- 48- 50- 56- 59- 60- 64- 67- 68- 71- 73- 75- 76- 77- 83- 84- 86- 92- 96- 100- 101- 108- 109- 112- 124- 138- 139- 142- 156- 160- 161- 179- 188- 195- 196- 198- 202- 216- 217- 219- 220- 224- 236- 268- 290- 302- 306- 332- 364- 365- 445- 473- 487- 513- 517- 521- 522- 531- 532- 546- 576- 582- 654- 663- 804- 807- 820- 850- 866- 901- 902- 924- 926- 930- 936- 979- 981- 1001- 1008- 1136- 1137- 1140- 1162- 1163- 1165

عرب اليمن 203

العربان 481- 576- 977- 982- 984- 990- 1038

العزيزيه 837- 870- 936- 937- 989- 1008- 1009- 1086

بنو عساكر 687- 780

بنو عصرون 1076

ص: 1567

بنو عقيل 65- 67- 126- 202- 216- 217- 218- 219- 225

بنو عليم 181- 312

بنو عمار 1166

العلماء 805

العلويون 468- 634- 810- 910

الغز 163- 579

غلمان: 56- 85- 86- 87- 89- 91- 94- 103- 104- 108- 109- 136- 138- 139- 141- 161- 226- 269- 288- 332- 348- 352- 372- 373- 375- 388- 389- 392- 394- 395- 396- 403- 404- 405- 406- 441- 502- 569- 599- 600- 675- 878- 948- 1032

الغلمان الجيوشيه 225

غوغاء: 361- 496- 500- 502

الفجار 77

فرس 513

فرسان الأفرنجيه 256

بنو فزاره 175

آل فضل 1151

الفقهاء 677- 805- 886- 887

ص: 1568

الفلاسفه 652

القراغنديه 375

القرامطه 30- 32- 33- 54- 580

بنو قره 113- 156

القسيميه- أتراک حلب 224

القضاه 131

القطبيات 960

قيس 69- 203

القيمريه 835

کافر ترک 420

الکافوريه 32

بنو کامل 219

الکامليه 852

کتامه 97- 98- 99- 102- 103- 105- 287- 469

الکرج 281- 335- 697- 769- 876- 1118

الکرديه 939

کلاب 72- 73- 83- 84- 93- 107- 108- 198- 203- 206- 567

کلب 77

ص: 1569

الكنانيه 1036

اللاجيه 901

لواته 340

بنو مالک 567

المرابطون 457- 458

المرزبانيه 743

آل مرى 1337

المسلمون: 80- 81- 93- 99- 106- 107- 108- 109- 110- 131-
132- 134- 187- 209- 235- 237- 240- 241- 245- 249- 252-
253- 256- 258- 259- 263- 277- 280- 282- 283- 285- 289-
294- 296- 299- 300- 305- 306- 316- 321- 329- 335- 343-
347- 350- 365- 375- 387- 418- 419- 432- 437- 438- 445-
451- 453- 457- 464- 465- 467- 468- 473- 479- 480- 485-
486- 487- 489- 492- 507- 508- 512- 518- 519- 520- 524-
533- 541- 542- 545- 546- 561- 563- 564- 566- 568- 572-
576- 583- 584- 586- 595- 606- 607- 608- 609- 612- 613-
614- 615- 616- 625- 626- 628- 630- 631- 634- 635- 636-
638- 639- 640- 641- 642- 643- 645- 646- 647- 653- 662-
664- 667- 669- 676- 712- 770- 771-

ص: 1570

-838 -835 -834 -833 -831 -828 -825 -823 -815 -813 -783
-924 -922 -911 -908 -902 -895 -894 -891 -877 -876 -840
-976 -970 -964 -956 -950 -947 -938 -929 -928 -927 -926
-1037 -1036 -1035 -1033 -1030 -1026 -1021 -986 -985 -982
-1063 -1055 -1054 -1046 -1042 -1041 -1040 -1039 -1038
-1104 -1100 -1095 -1093 -1089 -1078 -1077 -1068 -1064
-1128 -1127 -1124 -1123 -1121 -1118 -1110 -1109 -1105
-1338 -1344 -1220 -1201 -1199 -1172 -1137 -1132 -1131
-1370 -1369 -1368 -1365 -1364 -1361 -1360 -1342 -1340
1372

المشارقه 99- 101- 103- 104- 105- 112- 114- 115- 117- 659-
782

مشايخ البلد 42- 44- 48- 50- 51- 52- 55- 67- 70- 71- 99

المشركون: 253- 306- 453- 468- 480- 485- 489- 519- 520-
526- 537- 631

المصامده: 187- 193- 455- 456- 458

المصريون: 203- 274- 315- 568- 570- 578- 579- 671- 837- 864-
865- 869- 899- 962- 1068- 1342

المعتزله: 1103

ص: 1571

المعزیه 862- 864- 878

المغاربه 32- 35- 36- 37- 38- 39- 40- 41- 42- 43- 45- 53- 54- 55- 56- 57- 60- 65- 66- 68- 69- 73- 74- 75- 78- 92- 93- 95- 96- 101- 102- 106- 111- 114- 115- 117- 455- 469- 675

المغول: 923- 981- 985- 1012- 1028- 1088- 1089- 1108- 1113- 1114- 1139- 1148- 1192- 1193- 1195- 1197- 1378

المقادسه 772

الملثمون 209- 457- 458

المماليک 792- 818- 833- 899- 906- 949- 958- 1009- 1057- 1147- 1162- 1200- 1213- 1322- 1344

المماليک الصالحیه النجمیه 1126

المنجمون 623- 630

بنو منقذ 314- 1354

المواصله 672- 787

الموحدون 458- 632

المولده 202

المهاجریون 887

ص: 1572

بنو مهارش 970

الناصريه 936- 937- 967- 987- 988- 989- 995- 1009- 1064- 1085

نزار 469- 470

النصارى: 80- 81- 130- 131- 232- 313- 314- 324- 451- 627- 630- 636- 663- 795- 927- 928- 954- 970- 982- 1035- 1068- 1078- 1088- 1150- 1200- 1220- 1230- 1338- 1341- 1342- 1344- 1360- 1361- 1364- 1365- 1368- 1369- 1370

النفاطون: 91- 101

بنو نمير 179- 202- 225

النوريه 618

بنو هوبر 302

الياروقيه 917

اليهود 81- 928- 982- 1068- 1153- 1341- 1360

ص: 1573

ص: 1574

ابراهيم الخليل 163- 627- 685- 698- 718- 728- 822- 836- 827- 852- 853- 881- 882- 893- 921- 929- 1055- 1374

ابراهيم أبو بكر بن أبى الجزرى 928- 938

ابراهيم بن اسماعيل بن قرناص 1062

ابراهيم بن أنبا بن عبد الله الصوابى 850

ابراهيم بن أيبک بن عبد الله مظفر الدين 851

ابراهيم بن جعفر- أبو محمود 35- 36- 37- 38- 41- 42- 43- 44- 45- 46- 47- 54

ابراهيم بن شروه بن على بن مرزبان 1164

ابراهيم بن شيركوه 807- 808- 824

ابراهيم بن طرغت 417- 430

ابراهيم بن قريش 216- 217

ابراهيم بن أحمد بن عبد الملک 684

ابراهيم بن مرزوق 808

ابراهيم بن الوليد 971

ص: 1576

ابراهيم ينال 162- 279

ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم 9380

أبغا 1069- 1083- 1084- 1089- 1092- 1093- 1109- 1113- 1115- 1117- 1118- 1125- 1170- 1171- 1126- 1127- 1137- 1139- 1142- 1143- 1151- 1153- 1155- 1156- 1164- 1167- 1172- 1193- 1190- 1193- 1196- 1199- 1201- 1285- 1293- 1310- 1314- 1315- 1316

ابن أبى حصين القاضى 88

ابن أبى شيبه- تاج المعالى محمد بن جعفر 220- 227

ابن أبى عقيل 182- 185

ابن أبى العود الصغير 75- 91

ابن أبى فراس 700- 701- 705- 707- 709- 736- 737- 739- 741- 744

ابن أبى هشام 91

أتابک طغتكين 250- 289- 293- 294- 301- 304- 305- 306- 307- 308- 309- 312- 313- 314- 409- 412- 418- 429- 511- 589- 669- 670- 1282

أتابک رسلان شاه الموصلى 677

أتابک رسلان دغمش 1147

ص: 1577

أتابک نرسی 698

أتسز بن أوق 186- 193- 194- 195- 196- 199- 200- 250

ابن الأثیر 586- 596- 611- 613- 659

اثیر الدوله بن الکوفی 147

أجای بن هولاکو 1109- 1137- 1151- 1155- 1156- 1164- 1250

أحمد الأشتر 1053

احمد بن الأفضل 369

أحمد بن أفلح 105

أحمد بن الملک الظاهر 998

أحمد بن بغا 984

أحمد بن حنبل 188- 614- 677- 1275

أحمد بن خلکان 857- 991- 1293

أحمد بن زهره 689

أحمد بن حجی البرمکی 1304- 1317

أحمد بن خلیل بن سعاده 744

أحمد بن الشیخ الإمام 1294

أحمد بن الضحاک بن السلیل أبو الحجر 108

أحمد بن العباس 1302

ص: 1578

أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم ... العجمى 1109

أحمد بن عبد الواحد السابق أبو العباس محيى الدين الحلبى 1270

أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن عثمان ..... السلمى 198

أحمد بن العطار 1329

أحمد بن على بن ثابت البغدادى الخطيب أبو بكر 188

أحمد بن على المظفر أبو العباس 1286

أحمد بن غانم 1305

أحمد بن الفارس على الشافصتى 944

أحمد بن محمد بن أفلح أبو الفتح 122

أحمد بن محمد القشورى 92

أحمد بن ملكشاه 214

أحمد بن موسى بن يغمور 1165

أحمد بن نظام الملک خواجه بزرک 271

أحمد بن النعمان 1286

أحمد بن نقاذه الدمشقى- النشو 609

أحمد بن هولاكو 1292

أحمد بن يحيى البلاذرى 1341

أحمد بن يحيى بن هبه الله ..... بن الخياط 940- 941

أحمد بن يعقوب الداعى 131

ص: 1579

أحمد يل الكردى 290- 291- 293- 382

أخواجه على بن مسعود 1352

ابن أخى الكويس العطار 76

ادريس بن حسن بن قتاده 964- 1116- 1190- 1128

آدم عليه السلام 854

ارتاش بن السلطان تاج الدوله 247- 253- 264

ابن أرتق- نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن سكمان بن ارتق

أرتق بن عبد الرزاق 269- 275- 803

ارزن الرومى 864

ارسلان بن عز الدين مسعود 668- 699- 718

ارسلان الفساسيرى 161- 191

أرغون بن أبغا بن هولاكو 1089- 1378- 1380- 1393

أرقوش بن عبد الله جمال الدين صالحى 1378

ارناط 606- 633

ازبک بن عبد الله صارم الدين الحلبى 1271

اسامه بن المبارک 381

اسامه بن مرشد بن على 436- 437- 560- 1341

أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عقيل ..... الواعظ 238

أبو اسحاق الشيرازى 310

ص: 1580

اسد الدين اكز 415- 419- 436

اسد الدين الزرزارى 958

اسد الدين سراسنقر 670

اسد الدين شيركوه 489- 504- 509- 516- 520- 533- 534- 537- 540- 542- 543- 565- 568- 569- 570- 571- 578- 584- 599- 624- 633- 648- 651- 685- 694- 731- 781- 792- 795- 796- 797- 798- 804- 805- 808- 884- 946- 962- 992- 993- 1064- 1120- 1121

اسد الدين بن صعلوک 1347

اسد الدين قراصقل 1141

اسد الدين محمود 982

اسد الدين منكورس الحموى 1141

اسد الدين النحتى 984

الاسعد جرسى 1322

اسعد بن المطران الطبيب- الموفق 641

اسماعيل الصالح: 594- 613- 677- 678- 688- 691- 699- 703- 704- 706- 708- 709- 710- 711- 718- 721- 722- 724- 727- 733- 736- 737- 739- 741- 748- 756- 757- 759- 760- 761- 763- 765- 766- 770- 771- 774- 777- 778- 779- 780- 782- 784- 785- 792- 794-

ص: 1581

798- 799- 802- 803- 804- 805- 808- 811- 812- 813- 814-
817- 818- 819- 820- 821- 822- 824- 836- 837- 841- 842-
843- 890- 892- 893- 925- 959

اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ 965

اسماعيل بن بورى 560

اسماعيل بن ثعلب الجعفرى 665

اسماعيل الداعى 312- 362

اسماعيل الشعار 611

اسماعيل بن شيركوه بن محمد 992

اسماعيل بن صلاح الدين 658

اسماعيل بن العادل 726- 776

اسماعيل بن العجمى 360

اسماعيل بن العرباص 643

اسماعيل الكورانى 840

اسماعيل بن لؤلؤ 1014

الأشرف الأيوبى (بن العادل) 591- 668- 688- 706- 709- 720- 721-
722- 724- 726- 727- 733- 736- 737- 739- 748- 756- 757-
759- 760- 761- 763- 765- 766- 770- 771- 772- 774- 777-
778- 779- 780- 782- 784- 785- 793-

ص: 1582

-802 -803 -804 -805 -808 -811 -812 -813 -814 -817 -818
-819 -820 -821 -822 -828 -922 -926 -869 -870 -872 -881
-883 -885 -887 -892 -912 -930 -943 -980 -987 -988 -998
-999 -1033 -1034 -1045 -1047 -1048 -1049 -1062 -1063
-1064 -1118 -1212 -1121 -1292 -1332 -1347 -1361 -1362
-1363 -1365 -1367 -1370 -1371 -1372 -1375 -1376 -1378

الأشرف الجوكندار 985

الأشرف بن شهاب الدين غازى 1070- 1071- 1092

الاشكرى 934- 1026- 1072- 1143- 1155- 1160- 1170

اشموط بن هولاكو 878

اصفهبذ التركمانى 227- 265

الأصمعى 410

اصيل الدين أبو الفضل عباس بن عثمان بن شهاب الإربلى 913

الأصيل الاسعردى 915- 928

الأصيل السعرنى الخطيب 811

ابن اطلس خان 877

الافتخار الهاشمى 709

الافرنسيس 649- 834- 835- 838

ص: 1583

الافضل 659- 660- 661- 662- 668- 669- 670- 671- 672- 677- 678- 684- 726

الأفضل أمير الجيوش بدر 195- 219- 224- 225- 231- 234- 235- 236- 237- 242- 269- 271- 287- 295- 301- 310- 311- 332- 340- 345- 346

الأفضل رضوان ولخشى 427- 430

الافضل بن نور الدين على 745

افضل الدين الخوئى 992

اقباش الناصر 697- 728

اقبال بن بايجونوين 1139

اقبال الخاتونى 997- 998

اق سنقر البرسقى 326- 339- 345- 383- 1238

اق سنقر الفارقانى 1203

اقسيس بن الكامل 705- 726- 736- 737- 740- 760- 993

اقطاى المستعرب 831- 837- 838- 840- 843- 932- 1156

اقوش بن عبد الله 1207- 1240- 1252

الأكرم جمال الدين القفطى 998

الب ارسلان 175- 187- 189- 190- 311- 312- 314- 325- 387- 633

ص: 1584

الب قرا 665

التوناش 452- 454

الفتكين أبو منصور المغربى 47- 48- 49- 51- 52- 54- 55- 56- 57- 58- 59- 60- 62- 63- 74- 97- 100

الفنش 467- 662- 664- 665- 672- 673- 674

إمام الدين الزوينى 1330- 1400

الأمجد تقى الدين عباس 1334

الأمجد مجد الدين بن بهرام شاه 667- 694- 718- 726- 729- 732- 767- 768- 769- 772- 891- 893

الأمجد بن الناصر 898

الآمر- الخليفه الفاطمى 154- 242- 332- 333- 338- 349- 344- 349

أمه اللطيف العالمه بنت الناصح بن الحنبلى 819

أمير الجيوش الدزبرى الختلى الأمير المظفر 35- 136

الأمير الخانى 219- 220

أمير ميران (أخو نور الدين) 563- 564- 565

الأمير نوح 223

الأمين أبو عبد الله محمد بن أسد بن على بن محمد التميمى 438

أمين الدوله أبو محمد بن الصوفى 229- 240

ص: 1585

أمين الدوله كمشتكين الأتابكى 403- 406- 414- 427- 452

أمين الدين الحلبى الكاتب 820

أمين الدين زين الحاج أبى القاسم 542

أمين الدين ميخائيل 1198

أمين الدين ميكائيل 1148- 1173

الأمين مخلص الدين أبو البركات عبد القاهر بن على بن أبى جراده 528

أمين الدين بن هلال 1400

ابن الانبارى أبو على الحسن بن على الانبارى 155

الانبروز: 751- 756- 757- 758- 759- 777- 823- 883- 1084- 208

الانكلتار 639- 640- 641- 644- 645- 646- 647- 649

انوشتكين الأفضلى 301

انوشتكين الدانشمند 237- 244- 234- 511

انوشتكين الدزبرى 141- 142- 153

انوشروان 163- 764

الأوحد بن العادل خلاط 688- 696- 697- 726

اياز 251- 639

اياز شركس 702

ايبک الأسمر 1149

ص: 1586

ايبک الأشرفی 885

ايبک التركمانی 919

ايبک الشيخی 1211

ايبک بن عبد الله 866- 871- 1118- 1288

ايبک بن عبد الله السيفی 1207- 1346

ايبک بن عبد الله الصالحی الزراد 1126

ايبک بن عبد الله الظاهری 1126

ايبک العلائی 1211

ايبک الفارسی 655

ايبک فطيس 655- 665- 691

ايتكين الحلبی 248- 253

ايدغدی بن عبد الله 1346

ايدكين بن عبد الله علاء الدين الشهابی 1240

ايدمر بن عبد الله 1118- 1208

ايدنش الحلبی 1211

أيوب بن شادی 651- 693- 718- 726- 735- 777- 793- 794- 795- 798- 799- 800- 801- 807- 808- 811- 812- 813- 814- 815- 817- 818- 819- 821- 822- 823- 824- 825- 826- 828- 829- 830- 831- 832- 833- 834- 835- 836- 838- 854- 931

ص: 1587

أيوب بن أبى بكر 703

أيوب الجزم 799

أيوب الخوارزميه 780

أيوب بن الكامل 782- 776- 780

أيوب بن كنعان 651

أيوب الكورانى 840

ايلبا 388- 403- 667

ايل خان- هولاكو 982- 983

ايلدكز 460

ايل سبان 923- 927- 928

ايل غازى بن ارتق 234- 621- 993

ايلكانوين 1088

بابا سركيس 1118

بادكين 780

باذ الكردى 78

بارجتكين 103

باردیس 69- 73

بارز صغان 180

الباسطی 1376

ص: 1588

الباسلوس 1029

الباهرى العلوى 111

بايتكين الخادم التاجى 278

بايجونوين 876- 877- 1137

باكودر 1117- 1118

بيغرا 1345

بدر بن أبى الطيب الدمشقى 310

البحترى 1048

بدر الدوله سليمان بن عبد الجبار بن أرتق 339- 340

بدر الدين أيبک 693- 699- 782- 863- 964- 1017- 1074- 1075- 1112- 1210- 1250- 1280

بدر الدين بن أبى القاسم 713

بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن على السنجارى 969

بدر الدين ازدمر الدوادار العزيزى 936- 1009

بدر الدين الأيدمرى 1283

بدر الدين ايدمر الوزيرى 1163

بدر الدين أحمد بن ناصر الدين المقدسى 1360

بدر الدين الأشرفى 1210

بدر الدين بن أبى القاسم 713- 1331

بدر الدين بدر بن أبى الهيجاء 997

ص: 1589

بدر الدين بدر الصوابى 865- 898- 899- 1058

بدر الدين بكتاش 1263- 1398- 1405

بدر الدين بكتوت الأتابكى 933- 952

بدر الدين بكتوت العلائى 1211- 1335- 1362

بدر الدين يلغان 864

بدر الدين بيدار المنصورى 1366- 1386- 1389- 1393- 1396- 1398

بدر الدين بيسرى 996- 1069- 1131- 1139- 1146- 1147- 1153- 1161- 1204- 1205- 1208- 1209- 1228- 1244- 1271- 1280- 1293- 1376

بدر الدين بيليک الجاشنكير 871- 1307

بدر الدين بيليک الخزندار 979- 1004- 1066- 1087- 1099- 1114- 1116- 1138- 1141- 1142- 1154- 1156- 1167

بدر الدين بيليک العلائى 1049

بدر الدين جعفر بن محمد بن محمد الآمدى 1234

بدر الدين حسن 718

بدر الدين ابن خان البغدادى 1205

بدر الدين الخزندار 1178- 1197- 1203- 1204- 1210- 1213- 1238- 1230- 1291

بدر الدين بدر الدين خمرتكين 993

ص: 1590

بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق 618- 626

بدر الدين سلامش 1227- 1246- 1249

بدر الدين السنجارى 849- 860- 862- 990- 991- 1016- 1017

بدر الدين الشحنه 744- 746

بدر الدين الصالحى 841

بدر الدين عز الدين محمد بن الصائغ 1358

بدر الدين لؤلؤ 721- 727- 739- 774- 780- 782- 813- 818- 872- 876- 878- 907- 1004- 1047

بدر الدين لؤلؤ السعدى 1026- 1073

بدر الدين محمد 959- 962- 964

بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعه 1376

بدر الدين محمد بن أبى القاسم 713- 714

بدر الدين محمد بن حسام الدين 1205

بدر الدين محمد بن رحال 967

بدر الدين محد بن قريجا 921- 919- 1054- 1055

بدر الدين المسعودى 1361

بدر الدين مكناش التركمانى 1373

بدر الدين مودود 655- 693

بدر الدين ميكائيل 1193

ص: 1591

بدر الدين يوسف الخوارزمى 920- 921- 922- 1158

بدر الدين يونس بن دلدرم الياروقى 1049

بدر الجعبرى 747

بدر الخادم 827- 852

بدر بن ربيعه 107

بدر العطار 108- 129- 133- 134

بدر المستنصرى 185

بدران بن الصنجيل 229- 323- 324- 393- 395

بدران الكافر 393- 395

البدليسى 432

ابن بديع 312

برجوان الخادم 97- 98- 100- 102- 103- 104- 105- 106- 110- 112- 113- 114- 115- 119

البرجى 53- 82

برسق بن برسق 290- 293

ابن البرعونى الحلبى 210

برغش العادى 690

برق بن جندل 358- 471

أبو البركات بن أحمد الجرجرائى 156

ص: 1592

بركه خان 807- 816- 820- 821- 824- 825- 839- 876- 1011- 1012- 1024- 1027- 1028- 1029- 1244- 1277

بركيارق 215- 218- 219- 221- 223- 224- 226- 237- 239- 241- 251

البرلى شمس الدين 977- 978- 979- 980- 981- 1004- 1005- 1008

البرنس- أرناط 563- 581- 613- 615- 625- 626- 627- 236- 707- 728- 1340

برهان الدين 934- 1004

برهان الدين ابراهيم بن محمد على البوشى المالكى 1027

برهان الدين الخضر بن الحسن 871- 979- 991- 1237- 1239- 1250- 1269- 1277

البريدى 951

البرواناه 1083- 1109- 1118- 1137- 1139- 1143- 1151- 1156- 1164- 1167

بزان 221- 222- 223

بزواج 404- 405- 406- 409- 411- 415- 416- 418

البساسيرى 575- 690

بسيل 52- 93- 95- 96- 112- 113

ص: 1593

بشاره الاخشیدی 69- 70- 77- 90- 91- 108- 110- 671- 684

بشاره بن عبد الله أبو البدر الأرمنی 853

بشر بن سور 131

بشر بن کریم بن بشر 397

ابن بصاقه 882

البطریق 53- 1042

ابن البطی 687

بغدوین القمص 238- 242- 245- 248- 256- 267- 271- 272- 273- 274- 275- 280- 282- 283- 284- 285- 286- 287- 289- 294- 295- 301- 302- 303- 304- 305- 306- 311- 313- 315- 327- 339- 341- 346- 353- 363- 375

البغش 425

ن بغیل 927

بقاء بن البطاح 1023

ابن بکتمر الهزار دیناری 690- 696- 788

بکتوت بن عبد الله الخزنداری 968- 1289

بکجور 67- 68- 69- 72- 74- 75- 76- 77- 78- 79- 82- 83- 84- 85- 86- 87- 88

أبو بکر الملک الأشرف أبو الفتح محمد بن صلاح الدین یوسف 917

ص: 1594

أبو بكر الباقلانى 913

أبو بكر الحجيش 1023

أبو بكر بن الدايه 572

أبو بكر الديهم الاسعردى 932

أبو بكر الزيات- الدمشقى 50- 51- 52

أبو بكر بن سعد بن زنكى دكلا 965

أبو بكر الصديق 875- 887

أبو بكر العادل 578- 658- 726- 739- 876

أبو بكر القاسم بن عبد الله الصفار 909

أبو بكر القديمى 611- 612

أبو بكر القرطبى 561

أبو بكر العجزر 1404

أبو بكر محمد بن أحمد الشاشى 310

أبو بكر النابلسى 36

أبو بكر النصيبى 710

بلبان الدقشيس 1211

بلبان بن عبد الله الأمير الرومى 1014- 1211- 1229

بلبان بن عبد الله سيف الدين الصالحى النجمى 1241

بلبان بن عبد الله ناصر الدين النوفلى العزايزى 1252

ص: 1595

بلبان محلى 1163

بلبوش 1153

بلتى الخوارزمى 1211

بلتكين التركى 69- 70- 71- 74- 75

بلک بن أرتق- نور الدوله 284- 331- 338- 339- 340- 341- 342

البندقدارى 1005- 1332

ابن البوشنجى- الرشيد 633

ابن البواب 810

بولص الراهب- الحبيس 1109

بوزان 213- 216

بوزبا 982

بوزبه 459- 460- 469

بومانوين 654

بهاء الدين بهاء الأمه فخر الوزراء أبو المعالى هبه الله بن محمد بن المطلب 257- 937- 970- 972- 979- 1004- 1015- 1069- 1076- 1091- 1097- 1098- 1108- 1114- 1128- 1131- 1154- 1173- 1230- 1322

بهاء الدين بن أبى المحاسن- ابن شداد 709- 908

بهاء الدين بن أبى اليسر 736- 756- 771

ص: 1596

بهاء الدين أيوب 1141

بهاء الدين البرزالى 1304

بهاء الدين بغدى الأشرفى 861- 864- 967- 968- 987- 988

بهاء الدين حنا 1049

بهاء الدين الحسن بن ابراهيم بن الخشاب 1349

بهاء الدين أبو الحسن الهادى بن المهدى بن محمد الحسين- الموسوى 512- 513

بهاء الدين الخضر الحميدى 1024

بهاء الدين بن خلكان 1294

بهاء الدين الزكى 1303- 1304

بهاء الدين زهير 905- 906- 907- 908

بهاء الدين بن الشهرزورى 397- 422- 1282

بهاء الدين صندل الصالحى 976- 1163

البهاء الكاتب 768

بهاء الدين عبد الله بن محبوب 1001

بهاء الدين عبد الملک بن الفقيه عبد الوهاب الحنبلى 483

بهاء الدين على بن عيسى 1092

بهاء الدين على بن محمد بن سليم- ابن حنا 863- 872- 968

بهاء الدين قراقوش 660- 661

ص: 1597

بهاء الدين ملكشوف 1217

بهاء الدين يعقوب بن حاتم 1065- 1283

بهاء الدين يوسف بن زكى 1337

بهاء الدين يوسف بن طرنطاى 1008

بهادر على الخوارزمى 968- 981- 982- 1006

بهادر المغربى 877

أم بهجه 732

بهجه الملک أبو طالب على بن عبد الرحمن بن أبى عقيل 434

ابن بهرام 818

بهرام داعى الباطنيه 349- 358- 359

بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب 312- 360- 471- 767

بهروز 650

البهلوان 622

بوكر بن سيروک 1367

بويل بن الأمير بهاء الدين الشهرزورى 1290

بيبرس بن عبد الله أبو الفتح 1208- 1211

بيدوا 1378

ابن بيرزان 566- 609- 653

ص: 1598

بیرنقس 446

بیسری 1205- 1212- 1213

بیمند بن بیمند 1165- 1166- 1344

تابشی 1171

تاج الدوله 199- 200- 202- 203- 205- 210- 213- 215- 216- 217- 218- 219- 220- 221- 223- 224- 225- 226- 227- 228- 246- 248- 250- 270- 273- 312

تاج الدین ابن الأثیر 915- 951- 952- 970- 990- 991- 1004- 1006- 1069- 1070- 1071- 1110- 1113- 1116- 1117- 1124- 1128- 1170- 1246- 1395

تاج الدین أبو بکر حامد 633

تاج الدین الاسکندرانی- الشحرور 826- 1002

تاج الدین بن الأغر 862- 863- 979- 1004- 1083- 1090

تاج الدین بن موصلایا 875- 878

تاج الدین ابن حمویه 711

تاج الدین بن شیرازی 1362- 1363- 1393- 1396

تاج الدین عبد العزیز بن وداعه 1096- 1097- 1098

تاج الدین عبد القادر بن السنجاری 949

ص: 1599

تاج الدين عبد الوهاب 849- 969- 970- 990- 1015- 1017

تاج الدين على القسطلانى 1091

تاج الدين الغزاوى 1363

تاج الدين قليج 1084

تاج الدين الكندى 594- 694- 747- 749

تاج الدين كيوى 1193

تاج الدين محمد 1151- 1198- 1216

تاج الدين محمد بن على بن محمد بن سليم 1237

تاج الدين بن مهاجر 826- 897

تاج الدين يحيى بن محمد الشافعى 1275

تاج الملوک بورى 239- 240- 270- 277- 278- 279- 300- 301- 354- 357- 358- 360- 361- 363- 364- 367- 368- 369- 371- 372- 375- 376- 378- 526- 617- 619- 837- 619

تاج الملوک بهرام شاه بن تاج الملوک 397

تتش بن ألب أرسلان 210

تتش بن دقاق بن تاج الدوله 246- 249

ابن تركان 691

تركان خاتون 965

التركمانى 704- 967- 1332- 1347

ص: 1600

تزبر بن أونيم الديلمى 136

تغاى تمر 1089

تقونوين 1164- 1167- 1170- 1171

ابن تقى الدين 571- 606- 637- 653- 684- 690- 742- 763- 792- 799- 1366

تقى الدين بن بنت الأغر 1377

تقى الدين توبه 1260- 1336- 1366

تقى الدين جبريل بن جاجا 1193

تقى الدين الحديثى الحشائشى 919

التقى الحموى 813

تقى الدين بن العادل 761

تقى الدين عباس 718

تقى الدين عمر 577- 603- 608- 609- 610- 621- 622- 653

تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى 1049- 1091- 1229- 1248

تقى الدين محمد بن زين الدين 1206

تقى الدين محمد محيى الدين بن زكى 1358

تقى الدين محمود 853- 869- 684- 962- 997- 1003- 1366

ص: 1601

تكتوت بن عبد الله- سيف الدين العزيزى 879

تكش بن ألب أرسلان 302- 311

تكش بن أرسلان شاه بن أتسز 679- 769- 1089

ابن تمرتاش 704

تمرتاش بن نجم الدين 338

ابن تميرک 696

تميراک بن أرسلان تاش 305

تميم بن اسماعيل المغربى- فحل دمشق 116

التميمى الجوهرى 1283

توران شاه 578- 610- 931- 944- 1030- 1032- 1033- 1034- 1072- 1094

توران شاه بن الملک الصالح 818- 831- 833- 834- 835- 837- 839- 849- 864- 867- 868- 869- 871- 960- 961- 1073- 1074

تيشين 1089- 1118- 1125- 1126

ابن ثعلب 1070

الثناء شهاب الدين 1346

جاشنكير 867

الجاموس 714- 764

ابن الجاولى 598

ص: 1602

جاولى الأسدى 618

جاولى سقاوه 263- 264- 265- 269- 270- 271- 422

جبق بن صوت بن ايل 1252

الجبلى 688

ابن الجراح 65- 66- 67- 69- 74- 76- 77

الجرخى 706- 722

جرديک 569- 570- 607

جرفاس الفرنجى 271

ابن جرير 793- 798

ابن الجزرى 582- 594- 660- 661- 928- 931- 1395

ابن الجسطار 71

جعبر بن سابق 188

جعفر بن أبى الحسن الهمذانى 1097

جعفر بن أبى طالب 753- 665- 825- 1255- 1277

جعفر الصقلبى 124

جعفر بن فلاح 30

جعفر المقتدر 971

جعفر بن يحيى البرمكى 1304

ص: 1603

جعفر بن يعقوب 440

جغرى بک 626

ابن جفرين 762

جکرمش 245- 249- 251- 255- 263

أم جلال الدين حسن 700

جلال الدين أبو الحسن على بن جلال الدين بن الوزير الاصفهانى 601

جلال الدين حسن 700- 701- 702- 766- 769- 780- 992- 1200

جلال الدين خسروبک 1198

جلال الدين خوارزم شاه 739- 755- 880- 881

جلال الدين أبو على الحسن بن على بن صدقه 350- 362- 409

جلال الدين قاضى دومان 1026

جلال الدين المغوفى 1173- 1190- 1193

جلال الدين محمد 716

جلال الدين المحمدى 1207

جلال الدين مسعود 1152

جلال الدين منکبرتى 881

جلال الملک بن عمار 183- 1120

جلندى 764

ص: 1604

جماز (الشريف) 1116

جمال 379

جمال الاسلام أبو الحسن على بن محمد بن الفتح السلمى الشافعى 427

جمال الأمناء أبو محمد هبه الله بن أحمد الأكفانى 366

الجمال التفليسى 813

الجمال بن سيده 813

الجمال المصرى 597- 724- 725- 736- 744- 748- 597- 855- 1072- 1085- 1086- 1087- 1127- 1128- 1232- 1252- 1377

جمال الدين أبو الطيب خشترين 1048

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محيى الدين يوسف 915

جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن واصل 911

جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب 1016

جمال الدين أغل 979

جمال الدين أقوش الشمسى 926- 955- 1140- 1146- 1153- 1212- 1247- 1371

جمال الدين أقوش الفارسى 1309- 139

جمال الدين أقوش النجيبى 1006- 1007- 1111- 1117- 1138- 1149- 1236

جمال الدين أكوش المحمدى 977- 1066- 1135

ص: 1605

جمال الدين ايدغدى العزيزى بن عبد الله 860- 862- 934- 996- 1049- 1070- 1085- 1135

جمال الدين الباخلى 1339

جمال الدين البانياسى 592

جمال الدين بن جرير 790- 794- 798

جمال الدين بن حسام الدين 1358

جمال الدين حسن بن ثابت 1012- 1013

جمال الدين الحصيرى 737

جمال الدوله الخادم 822

جمال الدين بن شيخ الشيوخ 807

جمال الدين صبيح المعظمى 1040

جمال الدين الصدر شرف الدين ابن صصرى 1393

جمال الدين الصيرفى 919- 921

جمال الدين بن عبد الله بن عمر 629

جمال الدين بن عسل 890

جمال الدين القفطى 997

جمال الدين بن الكافى 1359

جمال الدين بن كمال الدين 849

جمال الدين كيدغدى 1062

ص: 1606

جمال الدين المالكى 1284

جمال الدين محسن الصالحى 1071- 1116

جمال الدين محمد بن ارتكز 637

جمال الدين محمد تاج الملوک 425- 428- 476

جمال الدين محمد بن الصيرفى 1055

جمال الدين محمد بن نهار 1051

جمال الدين محمد بن واصل 940- 985- 1035

جمال الدين محمود 1006

جمال الدين مكى بن حسون 1135

جمال الدين موسى بن يغمور 1119- 1217

جمال الدين هارون 816- 821

جمال الدين يحيى مطروح 891- 908- 1040

جمال الدين بن يعقوب 729

جمال الدين يغمور 830- 835- 836- 868- 869- 873- 951- 957- 959- 960- 969- 1026- 1049

جمال الدوله يوسف بن المخلص 1083- 1162

الجمال نصر الله 948

جناح الدوله حسين أتابک 320- 238- 243- 244

جنكيز خان 874- 954- 1028

ص: 1607

الجنيد بن عيسى بن ابراهيم 1093

الجواد (الملک) 782- 784- 793- 794- 795- 796- 797- 807- 808- 809- 886- 905- 962- 1057- 1347- 1349

أبو الجود الرومى الفائزى 1087

جوشن الفزارى 1024

جوسلين 264- 280- 291- 300- 304- 305- 332- 338- 340- 341- 418- 420- 451- 481- 482- 563- 564

جوهر الصقلبى 32- 33- 53- 56- 57- 58- 59- 60- 61

جهاركس بن محمد 684- 702- 737

جهركس- فخر الدين جهركس

ابن جهير 217

جيرلد 1193

جيش بن الصمصامه 45- 69- 70- 102- 106- 107- 108- 109- 110- 116- 182

حاتم طى ء 704

حاجب الناصرى 1346

حاجى (الملک) 1093

حارثه بن عوف بن أبى حارثه 855

ص: 1608

حارق بن كمشتكين العراقى 330

حازم بن على بن جراح 79

الحافظ السلفى 652

الحافظ الكندى 1024

الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد 416- 427- 443- 727- 805- 1052

الحافظى 1053- 1054- 1055

الحاكم بأمر الله (الفاطمى) 105- 117- 118- 136- 147- 981- 1005

الحاكم بأمر الله أبو العباس 1020- 1048- 1379- 1380

حامد بن محمد 685

حامد بن ملهم 124- 129

ابن حديده 691

الحديثى 1088

ابن الحرستانى 826

حسام الدوله البجناكى 146

حسام الدين ايلغازى 506- 616- 684- 688- 689- 1298- 1337- 1338- 1339

حسام الدين بن أبى على 818- 837- 838- 839- 850- 867- 1017- 1041- 1058- 1074

ص: 1609

حسام الدين بن أبى فراس 703- 766- 851- 962- 964- 1048- 1062

حسام الدين أبو الهيجاء 665- 666

حسام الدين أتش العزى 880

حسام الدين بن أمير تركمان 691

حسام الدين بركه خان 951- 952- 1073- 1216

حسام الدين بشاره 655

حسام الدين بلاق 476

حسام الدين بهرام بن الخضر 818

حسام الدين بيجار 1172- 1173- 1289

حسام الدين ترمتاش بن ايل غازى بن ارتق 391- 417

حسام الدين الحسن الزواوى 1399

حسام الدين خشترين 1045

حسام الدين طرفاوى 1336- 1337- 1361- 1364

حسام الدين طرنطاوى 1280

حسام الدين طمان 617

حسام الدين عزيز النحتى 984

حسام الدين بن أبى الفضائل الحسن بن القاضى تاج الدين .....

الرازى الحنفى 1236

حسام الدين قزا أوغلى 855

ص: 1610

حسام الدين قيماز 696

حسام الدين كارل 1193

حسام الدين لاجين 611- 1260- 1261- 1264- 1280- 1335- 1336- 1371- 1375- 1377- 1390- 1393- 1402- 1404

حسام الدين لاجين الجوكندار 935- 937- 938- 965- 966- 967- 986

حسام الدين لاجين العينتابى 725- 968

حسام الدين محمد بن عمرو بن لاجين 643

حسام الدين مهنا 1318

حسام الدين الهذبانى 956- 957- 958- 960- 961

الحسامى 696- 738

حسان البعلبكى 387- 769- 1024

حسان بن جراح الطائى 34- 35- 114- 126- 137- 138- 139

حسان بن مفرج 114- 137- 138- 139

حسان المنبجى 489

الحسن بن أحمد 30- 33- 57- 58- 62

الحسن بن اسماعيل 1227

الحسن بن بهرام القرمطى أبو عبد الله ناصر الدوله 32- 106- 107

ص: 1611

الحسن بن تاج الملوک 815

الحسن بن جوهره 11- 21- 121- 122- 127

الحسن بن داود بن عیسی 1144

حسن بن الریان 1023

الحسن بن صالح 138

الحسن بن صدر الدین محمد بن عمر ... 819

أبو الحسن الطبیب السامری 840

الحسن بن عثمان بن أبی بکر 945

الحسن بن علی 971

الحسن بن علی بن أبی نصر- ابن عمرون 1119

الحسن بن عماد الدین بن الملک العادل 926

الحسن بن عمار أبو محمد 61- 97- 98- 99- 102- 103- 104- 105- 114

الحسن بن غریب بن عمران الحوشی 854

الحسن القرمطی 58- 59- 60- 62

أبو الحسن بن قفل 723

الحسن بن محمد بن محمد 880

أبو الحسن المغربی المورقی نور الدین الأمیر 873

أبو الحسن المؤید بن محمد الطوسی 853- 882- 909

ص: 1612

حسن بن ناصر 830

أبو الحسن النجار 1024

أبو الحسن يوسف بن أبى الفوارس بن موسک 858

أبو الحسين أحمد بن حمزه 1016- 1352

الحسين بن حمزه بن الحسين أبو القاسم 643

الحسين بن سعيد بن محمد سعيد العطار 190

الحسين بن على 900

الحسين بن على بن فضل الدارى 1951

الحسين بن على المغربى أبو القاسم 123- 124- 126

الحسين بن أحمد بن طلاب الخطيب أبو نصر 199

ابن حشيش- معين الدين 960

حصن الدين بن ثعلب 1069- 1070

ابن الحصيرى 826

أبو حفص عمر بن أبى ابراهيم يوسف- المرتضى 965- 1127

حفص بن محمد بن طبرزد 857

الحكيم المنجم الباطنى 244- 254- 312

ابن حلى 1147

ابن حمدان 175

ص: 1613

ابن الحمصى 662

حميد بن محمود بن جراح 179

الحميدى 836

ابن حمويه 678

ابن حيوس 727

ابن حنا 1241

حنبل 943- 1016- 1093

أبو حنيفه 706- 743- 749- 750- 852- 856- 1205

حيدره بن الأمير عضب الدوله حسين بن مفلح 158- 175

حيدره بن مستحض الدوله أبو الحسين 180

حيدره بن منزو 177

خاتون (صفوه الملک): 65- 163- 211- 223- 224- 228- 246- 248- 288- 330- 363- 396- 405- 422- 423- 425- 561- 622- 624- 660- 701- 718- 853- 1315- 1347

الخاتون بنت برکه خان 1307- 1310

خاتون بنت السلطان محمد بن داود 218- 223- 224

الخاتون بنت معین الدین 583- 604

خارجه بن سنا 855

ص: 1614

خاصبک یلنکری 460

خاقان 805- 806- 818

خالد بن القیسرانی 566- 599

خالد بن الولید 966- 1252- 1280- 1288- 1289- 1364

ابن خان الترکی 177- 178- 579

ختکین الداعی- الضیف 117- 127- 128- 130

ختلغ آبه السلطانی 353

أبو خرص 1213

خرم شاه- علاء الدین 640

خسرو شاه 738

خضر- الظافر 658- 704- 903

الخضر بن أبی بکر بن أحمد 1014

الخضر بن أبی بری موسی 1227

خضر بن محاسن موفق الدین الرحبی 1290

خضر بن الملک الظاهر 1150- 1155- 1228

ابن الخطابی 76

خطلبا بن عبد الله التبنینی 783

خطلج خاتون بنت سودکین 454- 643

ص: 1615

ابن الخطيب العقربانى 826

الخفاجى 84- 87- 909

الخلادى 76

خلف بن ملاعب 203- 213- 214- 254- 255

خليل (الأشرف) 709- 715- 718- 727- 752- 799- 831- 832- 1374

الخليل عليه السلام 236- 330- 703- 714- 1098- 1379

خليل بن الرمغه 1387

خليل بن الصالح نجم الدين أيوب 860

خليل قاضى العسكر الحنفى 695

ابن الخمار 56- 57

خمارتاش 402

الخنساء 1342

خواجه بزرک نظام الملک أبى على الحسن بن اسحق الطوسى 214- 230

خوارزم شاه 679- 712- 720- 727- 762- 770- 913

الخوارزمى 669- 716- 739- 751- 759- 761- 762- 763- 765- 766- 770- 771- 782- 786- 787- 817

ص: 1616

خير خان بن قراجه 301- 315- 340- 368- 402

أبو الخير القزوينى 559

ابن الخياط- أبو عبد الله أحمد بن محمد 941

ابن الدامغانى 705

الدانشمند- أنوشتكين الدانشمند

ابن الدانشمند 380- 577

داود الناصر 733- 739- 751- 755- 756- 773- 784- 792- 800- 801- 807- 809- 814- 817- 823- 828- 830- 836- 841- 844- 849- 850- 854- 866- 883- 884- 887- 888- 890- 893- 894- 896- 897- 899- 900- 901- 902- 904- 905- 910- 912- 913- 914- 963

داود بن سكمان بن أرتق 391- 421

داود بن عيسى بن أبى بكر 881- 1292

أبو داود بن محاسن 686

داود بن محمود 372- 383- 413- 414- 436

داود بن مسقلان 604

ابن داود المغربى 134

داود بن ملاعب 687

داود المؤذن 732

داود بن وداعه 880

ص: 1617

ابن الدايه 655

دبيس بن صدقه بن مزيد 332- 335- 336- 339- 342- 372- 373- 401

ابن درباس 839

درباس الكردى 627- 648

أبو الدرداء 1231

دزبر بن أونيم الديلمى 137- 141- 142 (انظر تزبر)

دقاق بن تاج الدوله تتش بن ألب أرسلان 231- 232- 560

دلدرم التركمانى 667- 671

دمر قانو 1028

دمستق الروم 74

الدمياطى 864

الدوادار 909

الدوقس 106- 107- 108- 109

دولات بن الملک مسعود بن سليمان بن قتلمش 511

دهيقين (من زعماء الأحداث) 111

ذو الكفايتين أبو محمد الحسين بن حسن المنشكى 158

ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان 160

ذو النون بن الملک مسعود بن سليمان بن قتلمش 511

ص: 1618

الراشد بالله أبو جعفر المنصور بن المسترشد بالله 400- 408- 409- 410- 412- 413- 971

الراضى بالله بن المقتدر 971

أبو الربيع سليمان- المستكفى 1021

ربيعه خاتون بنت أيوب 578- 624- 700- 701- 725- 766- 767- 819

رزيک بن طلائع 560

ابن رزين الحموى 1303

رزين الدوله- النصار بن يحيى 193

رسلان شاه 928- 946

الرشيد 816

رشيد الدين عمر بن اسماعيل الفارقانى 1235- 1236- 1358

الرشيد بن المهدى 971

الرشيدى 1004- 1005

رشيق الخادم 83- 742

أبو الرضا ابن صدقه 435- 436

رضوان بن تتش 231- 255- 273- 303- 312- 313- 314- 337

رضوان بن ولخشى- الأفضل 461

رضى الدين أبى المجد مرشد بن على بن عبد اللطيف المعرى 540- 502

ص: 1619

رضى الدين أبو المعالى بن أبى منصور 965- 984

رفق المستنصرى 157- 158

رقتاش التركى 72

ركن الدنيا و الدين طغرلبک محمد بن ميكال بن سلجق 277- 444

ركن الدوله أبو على 444

ركن الدين أبجاى الحاجب 1283

ركن الدين أتاجى 871- 1263

ركن الدين اسماعيل 978- 1048

ركن الدين بيبرس البندقدارى 849- 865- 867- 874- 878- 879- 906- 907- 916- 917- 929- 930- 933- 934- 937- 950- 952- 953- 984- 995- 1010- 1029- 1031- 1072- 1083- 1084- 1086- 1109- 1159- 1227- 1241- 1349

ركن الدين بيبرس طقصو الناصرى 1371- 1378- 1389- 1390- 1393- 1406

ركن الدين بيبرس العجمى 1253- 1260- 1273- 1275

ركن الدين الدوادار 875- 876

ركن الدين السلجوقى 1112- 1113

ركن الدين الصيرفى 877

ركن الدين عيسى السروى 1024- 1025

ص: 1620

ركن الدين غياث الدين كيخسرو 875

ركن الدين قلج أرسلان 965

ركن الدين كتبغا 1361

ركن الدين محمد الوهرانى 1121

ركن الدين مسعود 469

ركن الدين منكورس الزاهدى 1141- 1154

ركن الدين منكورس الصيرفى 1210

الركن الهيجاوى 825- 885- 889

أبو ركوه 127- 128

ابن الرمامه 676- محمد بن جعفر الحرسى الحافظ

روجير 328- 329

أبو روح عبد المعز بن محمد الهروى 909

الروزبارى 45

روزبه الفارسى 1024

رومانوس دوجانس 186

ريان الخادم 46- 47

ريحان 597- 599

ريد افرنس 1030- 1031- 1035- 1040- 1084- 1124- 1132- 1136- 1137

ص: 1621

ریمند بن صنجیل 273- 274

ابن رئیس الرؤساء 914- 915

زامل بن علی بن حذیفه 969

الزاهر 701- 726- 837- 946

الزبیدی 139- 1347

زرعه بن نطورس- الشاقی 126

ابن زریک (طلائع) 509

ابن الزعفرانی- فخر الدین- مسعود 600

ابن الزعیم 931

زکریا بن یحیی 1203

ابن زکی الدین 630- 631- 717- 724- 748

زکی الدین ابراهیم الجزری- الجبلی 932

زکی الدین ابراهیم بن المعری 943

زکی الدین أبو الحسن علی بن محمد بن یحیی بن علی 548

الزکی الإربلی 1053- 1054

ابن زکی الدین محمد بن علی القرشی 618

زمرد خاتون بنت جاولی 422- 560

الزنجاری 705

ابن الزنجيلى عثمان 787

ص: 1622

زنکی 581- 699

الزوباشی 1366

زهر الدوله نبأ الجیوشی 246

زهیر بن أبی سلمی المزنی 855

زهیر الحمدانی 73

زهیر الدمشقی 653

زهیر بن محمد بن علی بن یحیی 904

ابن زیاده 914

ابن أخت زیتون 1122

زیدان الصقلبی 113- 114

زیرک 1193

زین الإسلام 343

الزین الحافظی 1008

زین الدوله 187- 229

زین الدوله حیدره 476

زین الدین 497- 546- 603- 637- 659- 690- 696- 708- 737- 739- 769- 774- 1162- 1361

زین الدین أحمد 1216

زین الدین أحمد بن الصاحب فخر الدین 1117

ص: 1623

زين الدين بن الإسعاد 997

زين الدين بن الحموى 813

زين الدين دلدرم 696 (انظر دلدرم)

زين الدين بن ذرنه 1298

زين الدين بن الزبير 935- 1083

زين الدين الزواوى 1216

زين الدين صالح بن محمد- ابن البناء 1006

زين العابدين 476- 1981- 9297

زين الدين على كوجک 517- 563

زين الدين عمر بن المكى 1216

زين الدين الفارقانى 1366

زين الدين قراجا الجمدار الناصرى 667- 670- 1009

زين الدين كتبغا المنصورى 1361- 1370

ابن زين الدين مظفر الدين 686

زين الدين بن نجيه الواعظ 579- 619- 620- 621

زين الدين بن يعقوب 1212

سابق الدين ابراهيم 1047

سابق الدين بلبان 983

سابق الدين بوزبا 864- 936- 976- 1152

ص: 1624

سابق الدين بيبرس 1054

سابق الدين بيسرى 1203

سابق الدين سليمان 1221

سابق الدين عثمان بن الدايه 573- 598- 634- 655

سابق الدين عمار بن الدايه 1317

سابق بن محمود بن صالح 194

ابن الساعاتى 617

سالم بن أدريس بن محمود 1152- 1153

سالم بن مالک 204- 706- 822

سالم المقدسى 813

أبو سالم همام الحلبى 515

السامرى 798- 811- 812- 813- 816- 817- 1318

سامه الجبلى 655- 666- 679- 702

سبط ابن الجوزى 855

سبكتكين المغربى 47

ست الشام بنت أيوب 611- 624- 625- 643- 661- 724- 725- 726- 738- 747- 819- 875

ست الملک بنت العزيز 81- 97- 120- 122- 147

ست المنى 574

ص: 1625

سديد الدوله بن الأنبارى 373- 399

سديد الدوله ذو الكفايتين منتجب الدوله 133- 134- 137- 138

سديد الملک بن منقذ 1120

سراج الدين اسماعيل 1193

سراج الدين الأموى 992- 1089

سرتوقونوين 1155

سرخاک 482- 488

السردانى ابن أخت صنجيل 273- 274

سرطق 1193

سركده 1193

سركيس 1348

سعد الدوله 434- 1378

سعد الدوله أبى الحسن على بن طاهر الوزير المزدقانى 503

سعد الدوله أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الملحى 494

سعد الدوله أبو المعالى بن سيف الدوله بن حمدان 67- 72- 73- 74- 75- 78- 79- 82- 83- 84- 85- 86- 87- 88- 89- 93- 414- 219

سعد الدوله المعروف بالعواسى 240

سعد الدين الخضر 1158

ص: 1626

سعد الدين الحكيم 798

سعد الدين الرزاز 689

سعد الدين سعيد الترجمان 1142

سعد الدين عبد الكريم 1350

سعد الدين العجمى 1314

أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى 343

سعد الدين مسعود 623- 624- 655- 671- 751

سعد الدين مسعود بن تاج الدين 693- 795- 796- 797- 799- 809- 827- 828- 829- 838

سعد الدين مسعود بن معين الدين 819

سعد الدين يونس 1198

سعد السعداء 138- 1043

الملک السعيد حسن 799- 931- 939- 937- 945- 982- 983- 1004- 1069- 1076- 1114- 1117- 1121- 1124- 1128- 1129- 1131- 1142- 1149- 1154- 1173- 1188- 1189- 1202- 1203- 1204- 1205- 1211- 1213- 1337- 1345- 1362- 1375- 1378

أبو سعيد آبق بن محمد بن بورى أتابک 445

أبو سعيد تتش بن السلطان العادل آلب أرسلان 198

السعيد عمر 916

ص: 1627

السعيد نجم الدين إيلغازى 916- 917

سعيد بن غياث 210

سعيد بن يزيد 1332

السفاح 971

سفرى خاتون 624

أبو سفيان 910

سفيان بن نجيب الأزدى 1341

سكمان بن أرتق 229- 231- 232- 234- 235- 238- 245- 249- 250- 275

سكمان القطبى 282- 284- 290- 291- 293

ابن رسلان 494- 507- 701

السلار بختيار 227- 229- 325

السلار زين الدين اسماعيل الشحنه 477- 478

السلار عمر 325

سلامش بن بيبرس 1379

سلامه بن بريک 84

سلامه الرشيقى 88

سلطان شاه 726

سلطان بن على بن المقلد بن مقلد الكنانى 275- 290- 294

ص: 1628

سلمان الفارسى 1024

سلمان بن جعفر بن فلاح 66- 67- 75- 100- 101- 102- 103- 104- 105- 106- 110

سليمان النبى 811

سليمان بن جندر 643

سليمان حجى 1109

سليمان بن الخضر بن بحتر شهاب الدين 1158

سليمان بن داود بن موسک 1120

أبو سليمان الزرفى 572

سليمان الرقى 1309

سليمان شاه بن السلطان محمد 516

سليمان بن عبد المجيد بن أبى القاسم- ابن العجمى الحلبى 908

سليمان بن على 1172

سليمان بن على بن حسن 1230

سليمان بن قتلمش 206- 207- 210

سليمان بن المؤيد بن عامر زين الدين العقربانى الحافظى 1052

سنان بن سليمان بن محمد أبو الحسن البصرى (شيخ الجبل) 648- 1349- 1354- 1355- 1356- 1360- 1361

سنان بن صلحان 1354

سنان بن عليان 100

ص: 1629

سنان بن محمد 604

سنان الدين موسى 1190

سنجر الأسعرى 1211

سنجر البهائى 1211

سنجر الحواشى التركى 1163

سنجر شاه 688

سنجر بن عبد الله الناصرى 705

سنجر غلام الجوجرى 862

سنجر بن ملک شاه 330- 343- 351- 399- 433- 435- 445- 516- 612- 622- 636- 659- 700

سنجر الناصرى 665

سنقر الأشقر 1287- 1288- 1290- 1318- 1378

سنقر الأقرع 1070

سنقر الخلاطى 623- 653- 654

سنقر الحلبى 654- 669- 709- 800

سنقر السلحدار 695

سنقر بن عبد الله 1146

سنقر الكبير 662

ابن سيف الدوله الحسن بن يحيى الكاتب 940- 941

ص: 1630

سوار: سيف الدين سوار 380- 387- 434

سونج البورى 373- 389- 403- 416- 447- 451

السهروردى 652- 695- 711

سياروخ 700- 701

السيد العلوى 633

السيرافى 749

سير رجال- روجار 303

سيبويه 749

سيف الدوله بن حمدان 72- 74- 75- 78

سيف الدوله صدقه بن مزيد الأسدى 251- 263- 267

سيف الدوله مبارک بن منقذ أبو الميمون 578

سيف الدوله مسعود 301- 343- 364

سيف الدين ابن أيوب 610- 611- 613- 616- 628- 637- 639- 716- 773- 859- 880- 955- 963- 964- 981- 995- 1000- 1045- 1046- 1057- 1066- 1289

سيف الدين ابراهيم الجاکى 859

سيف الدين أبو بكر بن اسحاق 1162

سيف الدين أبو بكر محمد بن الملک الكامل 1057

سيف الدين أبو بكر بن المخلص ابراهيم بن اسحاق 1162

ص: 1631

سيف الدين بن أبى سلامه 1162

سيف الدين بن أبو على 959- 962

سيف الدين أتامش السعدى 1153- 1154- 1155- 1161

سيف الدين أحمد السامرى 1337

سيف الدين بن أرزنجان 1171

سيف الدين اقبتا المنصورى 1369

سيف الدين أيبک 864- 784

سيف الدين أيوب 650- 864- 784

سيف الدين البرسقى 323- 324- 342- 345- 347- 351

سيف الدين بغلاق 952

سيف الدين بكتمر 622

سيف الدين بكتوت الحرانى الناصرى 1009- 1139

سيف الدين بلاكوس الحاويس 1232

سيف الدين بلبان 916- 933- 934- 1160- 1195- 1372

سيف الدين بلبان الرشيدى 865- 867- 980- 1209- 1210- 1211

سيف الدين بلبان السحور الطباخى 1340- 1373

سيف الدين بلبان الشمسى 977

ص: 1632

سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى 1389

سيف الدين بلبان الهارونى 1389- 1393

سيف الدين بلكربكى 1172- 1173

سيف الدين بهادر المعزى 862- 933- 1211- 1336

سيف الدين البهائى 1210

سيف الدين بيبرس 1008

سيف الدين بيدغان الركبى 933- 1135- 1211

سيف الدين بن بيرک 694

سيف الدين التقوى 1359

سيف الدين التميش السعدى 1282

سيف الدين تيران العلائى 1192

سيف الدين جاويش 1193

سيف الدين جالس بن اسحاق 1195

سيف الدين جرمک الناصرى 1146- 1359- 1406

سيف الدين الخززارى 1401

سيف الدين الدبيلى الأشرفى 986

سيف الدين دماجى 1216

سيف الدين الرجيحى 1377

سيف الدين الرومى 1132- 1150- 1167- 1289

ص: 1633

سيف الدين سعيد ترجمان 1114

سيف الدين سفترجا الزوباشى 1193

سيف الدين شاهنشاه 1195

سيف الدين طخان 1211

سيف الدين طرناوى 1357

سيف الدين طرنطلى 1190

سيف الدين طعجى 1392

سيف الدين طغانه البكريكى 1170

سيف الدين طغتكين 615

سيف الدين طغريک الإيغانى 1389- 1401

سيف الدين طغريل 600- 1317

سيف الدين طوغان 1398

سيف الدين العادل 618

سيف الدين العقرب 1397

سيف الدين علم الدين 743

سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب 570

سيف الدين على بن قليج الثورى 1332

سيف الدين على النائب 1191

سيف الدين عوضه 1407

سيف الدين غازى بن عماد أتابک 447- 467- 468- 476-

ص: 1634

-573 -577 -597 -598 -600 -601 -602 -603 -604 -605 -611 -719 -766

سيف الدين قشتمر 1227- 1228

سيف الدين قطز 862- 863- 864- 870- 871- 874- 877- 929- 931- 932- 946- 1156- 1158- 1159- 1210- 1291- 1340

سيف الدين قلاوون 907- 916- 1076- 1087- 1147- 1166- 1175- 1209- 1213- 1228- 1362- 1406

سيف الدين بن قليج 784- 817- 885- 896

سيف الدين الكافرى 1216

سيف الدين كبک 1296

سيف الدين كجک 1338

سيف الدين كراى 1216

سيف الدين كرتيه 1359

سيف الدين كرمون 1077

سيف الدين كوزن 1292

سيف الدين كيكلدى الحلبى الناصرى 978- 1008

سيف الدين الجمدار 1187- 1366

سيف الدين محمد 493- 1004- 1066

سيف الدين محمد بن الأمير مظفر الدين عثمان 1115

ص: 1635

سیف الدین محمد بن تمیرک 666

سیف الدین محمد بن نور الدوله 1162

سیف الدین محمد بن المجاهد 1162

سیف الدین بن المرزبان 713

سیف الدین مسعود بن حمویه 853

سیف الدین المشد 836

سیف الدین المشطوب- علی بن أحمد الهکاری 606- 648

سیف الدین بن منقذ 651

سیف الدین نوکای 1216

سیف الدین الهاری 1211

سیف الدین یازکش 670- 671- 678

سیف الدین یازکیج 618- 619

ابن سینا 1302

شاذبخت الخادم 598

شاذی الخادم 292- 650

شارل 1124- 1137

الشاطبی 1095

الشافعی: 569- 614- 670- 685- 1016- 1042- 1043- 1044- 1068- 1070- 1097- 1112- 1303- 1376

ص: 1636

أبو الشامات 826

الشاماتى مملوک اسماعیل 822

شاور 565- 566- 567- 568- 569- 570- 571- 667

شاه أرمن 622- 787- 788- 789

شاه جلال الدین 740

شاهنشاه مسعود 454

شاهنشاه المعظم معز الدنیا و الدین أبی الحارث 433- 578- 693

شبل الدوله 747- 836

شبل الدوله نصر بن صالح 140

شبل بن معروف 65

شبل بن المکرم 1024

شبیب الحرانی 1141- 1142

أبو شجاع الدهان البغدادی 612

ابن شجاع الدوله 398

شجاع الدین ابراهیم 921- 922- 986

شجاع الدین جلدک الفائزی 969

شجاع الدین محارب 703

شجاع الدین محمد بن شهری 859

ص: 1637

الشجاع على السلار 692- 700- 748

الشجاعى 1335

شجر الدر 839- 841- 844- 860- 861- 862- 870- 871- 872- 1041

ابن شداد 710- أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلى.

الشرابى 909

شرف الدوله العقيلى (مسلم بن قريش): 202- 203- 204- 205- 206- 207- 216

شرف الدوله بن أبى الطيب 270

شرف الدين ابراهيم 1096

شرف الدين أبو الطيب أحمد بن الخلاوى 907- 908

شرف الدين بن أبى عصرون 573- 574- 597- 605- 627- 659

شرف الدين بن أبى القاسم 1066

شرف الدين أبو القاسم على بن طراد 363- 389- 431

شرف الدين أحمد بن المقدسى 1337

شرف الدين أمين الموصلى 687

شرف الدين أنوشروان بن خالد 382- 389

شرف الدين التبنينى 811

شرف الدين التميمى 947

ص: 1638

شرف الدين ثابت بن مدين 1006

شرف الدين الحاكى 1010

شرف الدين حسن الحنبلى 1359- 1396

شرف الدين الحنفى 1356

شرف الدين بن الخطيب 1147

شرف الدين بن الخطير 1113- 1114- 1387

شرف الدين الدمياطى 1049

شرف الدين راجح الحلى الشاعر 1034

شرف الدين بن الشيرجى 1396

شرف الدين الصغير- شمس الدين 949

شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصارى 947- 948- 949- 964- 1002

شرف الدين عبد العزيز محمد بن شيخ الشيوخ 853

شرف الدين عبد القادر الطوخى 1091

شرف الدين عبد الله الداوى 1171

شرف الدين العلوى 1162

شرف الدين عمر السبكى المالكى 1007- 1071

شرف الدين عيسى بن مهنا 897- 1192- 1257- 1259- 1260- 1398

شرف الدين بن عين الدوله 1016- 1074- 1091

ص: 1639

شرف الدين الفائزى 860- 861- 863- 960- 1004- 1014

شرف الدين بن فضل الله محمد 1293

شرف الدين القدسى 1342- 1363

شرف الدين قطز 1173- 1197

شرف الدين المبارک بن المستوفى 1096

شرف الدين محمد بن على بن أبى جراده 977

شرف الدين محمد بن موسى بن محمد المقدسى 1321

شرف الدين محى الدين بن الجوزى 875- 876

شرف الدين المختص 1141

شرف الدين بن المعتمد 826

شرف الدين مودود 650

شرف الدين البخارى 702

شرف الدين هارون بن الملک الأفضل 1139

شرف الدين يعقوب 588

شرف المعالى أبو منصور أنوشتكين 136

شرف المعالى بن الأفضل شاهنشاه 244- 253

شركس بن عبد الله الصلاحى 702- 783

الشريف السرسنائى 1070

الشريف شرف الدين محمد 1206- 1227

ص: 1640

الشريف فخر الدوله نقيب الطالبين أبو يعلى حمزه بن الحسين بن العباس 153

الشريف نجم الدين 1256

شتو بن الكانوين 1126

ابن شكر (الوزير) 680- 719

شكر العضدى 98- 100- 103- 114

شكنده 1173- 1174

شماخى 1028- 1092

شمار البدرى 1008

شمس الخلافه 286- 287

شمس الخواص 283- 368- 398

شمس الدوله محمد بن تاج الملوک 378- 406- 578- 579- 580- 605- 607- 608- 610- 624- 725- 726- 738- 1057

شمس الدوله الأكبر 578

شمس الدوله سليمان بن نجم الدين 338

شمس الدوله بن العميد 823

شمس الدين الأتابكى 1338

شمس الدين أرتاش البكلربكى 1011

شمس الدين أبو اسحاق ابراهيم 1404

ص: 1641

شمس الدين أصته 666

شمس الدين الأغش 1394- 1396

شمس الدين أق سنقر 1025- 1081

شمس الدين أقوش البرلى 1006- 1008- 1009- 1026- 1086

شمس الدين أقوش- قطليجا 1154

شمس الدين ايكى 1304

شمس الدين بن باخل 1096- 1091- 1163

شمس الدين الباعشيقى 1053- 1054

شمس الدين أبو البركات يحيى 944

شمس الدين البرلى 969- 987- 988- 989- 990

شمس الدين بيرکک 694

شمس الدين أبو البيان 1384- 1388- 1406

شمس الدين الحنبلى 677- 1090- 1092

شمس الدين الخابورى 1367

شمس الدين الخسروشاهى 896

شمس الدين أحمد بن خلكان 677- 686- 704- 718- 758- 809- 855- 854- 857- 913- 1046- 1066- 1077- 1099- 1101- 1105- 1129- 1131- 1134- 1207- 1236- 1240- 1270- 1272- 1296- 1337- 1354- 1358- 1360

ص: 1642

شمس الدين داود 1396

شمس الدين بن الدايه 598- 599- 607

شمس الدين الدمشقى 1931

شمس الدين سبط ابن الجوزى 852- 853

شمس الدين ابن السلعوس 1388- 1394

شمس الدين سنقر الأشقر 1005- 1106- 1107- 1153- 1195- 1196- 1204- 1205- 1209- 1212- 1215- 1244- 1246- 1247- 1248- 1257- 1261- 1262- 1275- 1362- 1375

شمس الدين سنقر الأقرع 849

شمس الدين سنقر الرومى 867- 1005- 1070

شمس الدين سنقر الطويل المنصورى 1376

شمس الدين سنقر الفاروقى الظاهرى 1349

شمس الدين سنقر الكتونى 1401

شمس الدين سنقر المساح 1135

شمس الدين بن الشيرازى 687

شمس الدين صواب العادلى 762- 885- 1234

شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهى 886- 893

شمس الدين عبد الله بن العطاء الحنفى 1108

شمس الدين عبد الوهاب الحسين 1116

ص: 1643

شمس الدين عزيز 1094

شمس الدين الفارقانى 1091- 1106- 1107- 1128- 1139- 1140- 1142- 1154- 1155- 1161

شمس الدين الفاروقى 1173- 1175- 1191- 1931

شمس الدين قراسنقر المنصورى 1361- 1366- 1389- 1391

شمس الدين لؤلؤ 820- 821- 822- 824- 836- 837- 839- 868- 989- 997- 998- 999- 1000- 1062

شمس الدين الماكسينى 927

شمس الدين محمد بن بهاء الدين 1361

شمس الدين محمد بن جراده 1392

شمس الدين محمد بن جعوان النحوى 1235

شمس الدين محمد بن سعد الكاتب المقدسى 841

شمس الدين محمد بن السلعوس الدمشقى 1375- 1379- 1380

شمس الدين محمد بن الشيخ العماد المقدسى الحنبلى 1007- 1071- 1141- 1142

شمس الدين محمد الملطى 1396

شمس الدين محمد بن نجم الدين 1006

شمس الدين أبو المظفر 1033

شمس الدين بن المقدم 597- 598- 599- 608- 671

شمس الدين بن منقذ 637- 675- 676

ص: 1644

شمس الدين بن أبى يعلى الموصلى 711

شمس الدين يوسف بن عمر 1099- 1256- 1366

شمس الدين يوسف بن الملک المنصور نور الدين 965

شمس الدين يونس الباعسيقى 1010

شمس الدين يونس المشد 1008

الشمس القمى 927

شمس الملوک أبو الفتح اسماعيل بن تاج الملوک بورى بن ظهير الدين أتابک 378- 380- 381- 384- 385- 386- 388- 389- 390- 392- 393- 396- 403- 561- 637- 735- 1034

شمس الملوک دقاق بن السلطان تاج الدوله 227- 228- 229- 230- 237- 238- 239- 240- 243- 244- 246- 247- 248- 264- 300- 313- 330

ابن الشمشقيق 49- 50- 51

شهاب الدوله شاتكين 133

شهاب الدين أبو شامه 1044

شهاب الدين أحمد 1241- 1259- 1260- 1278

شهاب الدين أحمد بن ركن الدين 1387

شهاب الدين أحمد بن السلعوس 1377

شهاب الدين اسماعيل بن أسعد بن وحيش 923

ص: 1645

شهاب الدين بن جمال الدين 1165

الشهاب الحنبلى 671- 677

شهاب الدين الخوئى 1377- 1393- 1396- 1400

شهاب الدين رشيد الخادم الكبير الصالحى النجمى 1252

شهاب الدين بن السلعوس 1388- 1394- 1400

شهاب الدين طغريل 709- 710- 778- 1042

شهاب الدين أبو العباس المغربى 1162

شهاب الدين غازى بن العادل 718- 737- 748- 764- 769- 770- 827- 849- 884- 903- 955- 1146- 1193- 1217

شهاب الدين غازى بن فضل اليغمورى 726- 762- 805- 806- 808- 818- 853- 1071

شهاب الدين مالک بن سالم بن مالک 332

شهاب الدين محمد بن ابراهيم 1135

شهاب الدين محمد بن الموفق 1162

شهاب الدين محمود بن تاج الملوک بورى بن ظهير الدين أتابک 349- 392- 397- 402- 403- 404- 405- 406- 409- 410- 411- 415- 417- 418- 419- 422- 423- 424- 425- 428- 560- 570- 571- 600- 603- 604- 606

شهاب الدين محمود الكاتب 959- 1148- 1193- 1364

ص: 1646

شهاب الدين المطهر بن الشيخ شرف الدين بن سعد 1042

شهاب الدين النابلسى 592

شهاب الدين النحوى 1366

شهاب الدين يوسف بن عز الدين مسعود بن سلق 997

ابن الشهرزورى كمال 599- 681- 685

ابن الشيخ 54- 106- 793- 795- 796- 797- 822

شيخ الشيوخ 783- 813- 947

شيركوه 854- 660- 667

شيركى 1299

صارم الدين أزبک 681- 690- 702- 719- 755- 871- 1162- 1063- 1271

صارم الدين اسماعيل 1332- 1339- 1347- 1349

الصارم التبنينى 719

صارم الدوله ذو الفضيلتين 146

صارم الدين قايماز المسعودى 969

صارم الدين قيماز النجمى 626

صارم الدين مبارک بن الرضى 1013- 1122- 1123- 1133- 1134

صارم الدين المطروحى 1304- 1307

الملک الصالح اسماعيل: 606- 688- 727- 784- 800-

ص: 1647

802- 803- 805- 812- 820- 824- 876- 905- 906- 907- 950- 960- 980- 991- 1005- 1007- 1009- 1010- 1017- 1036- 1037- 1054- 1073- 1127

الصالح أيوب 1345

ابن الصالح أيوب تورانشاه 726

الصالح حسن 507

الصالح بن صلاح الدين 597- 598- 604- 606- 607

الصالح علاء الدين على 1406

أبو صالح العجمى 597- 606- 607

صالح بن على الروذبارى 94

الصالح عماد الدين 1347- 1348

صالح بن مرداس 139- 141

الصالح نجم الدين أيوب 1062- 1338- 1364

الصالح نور الدين 601- 602

الصالحى 1231

صبحى قداحه 1334

صبحى بن يزيد 1333

صدر الدين أحمد بن سيف الدوله 696- 715- 816- 881- 904- 918- 922- 923- 943

صدر الدين الحنفى 1177

ص: 1648

صدر الدين الخوجندى 460

صدر الدين رسلان 1236

صدر الدين سليمان الحنفى 1007- 1070- 1116

صدر الدين شيخ الشيوخ أبو الحسن على بن محمد 909

صدر الدين بن قاضى القضاه تاج الدين 1091- 1092

صدر الدين عبد الملک بن درباس الكردى 574- 678- 1227

صدر الدين عمر ابن بنت عبد الملک 1269

صدر الدين عمر بن القاضى تاج الدين عبد الوهاب 1248

صدقه بن مزيد بن دبيس 251- 267- 268

صدقه بن يوسف الفلاحى 138- 155

الصريمى 844

ابن صصرى 687

صفى الدين جوهر الهندى 1214- 1217- 1358

صفى الدين عبد الله بن على 678

الصفى بن شكر 704- 773- 592

الصفى بن القابض- نصر الله 627- 644- 659

الصفى بن مرزوق 792- 860- 862

ابن الصلاح 411- 766- 772- 813

صلاح الدين اليغسيانى 411- 447- 450- 474- 530- 561- 564- 565-
566- 568- 569- 570- 571-

ص: 1649

-574 -575 -576 -577 -578 -579 -588 -594 -595 -596 -598
-599 -600 -601 -602 -603 -604 -605 -606 -607 -608 -610
-611 -612 -613 -615 -616 -617 -619 -622 -623 -624 -631
-633 -637 -640 -643 -644 -650 -656 -658 -666 -667 -668
675

صلاح الدين أحمد بن الملک الظاهر 884- 996

صلاح الدين الإربلى 828

صلاح الدين الأيوبى- صلاح الدين يوسف 679- 681- 685- 692- 693-
700- 702- 704- 716- 725- 726- 738- 743- 746- 758- 767-
804- 814- 819- 828- 837- 840- 850- 855- 858- 859- 860-
864- 865- 867- 868- 873- 874- 878- 879- 881- 897- 902-
903- 904- 905- 907- 916- 939- 943- 944- 945- 946- 951-
955- 990- 992- 996- 999- 1000- 1057- 1062- 1072- 1086-
1087- 1094- 1109- 1111- 1119- 1121- 1202- 1209- 1217-
1303- 1355- 1356- 1357- 1367- 1369- 1370

صلاح الدين خليل 1255- 1321

صلاح الدين داود 851

صلاح الدين بن قلاوون 339- 1361- 1366

صلاح الدين محمود 797- 1145

ص: 1650

صلاح الدين يوسف جغتای 916

صلاح الدين يوسف بن محمد بن خليل 1238- 1254

ابن صليحه 239

ابن الصمصامه 45

صمغرانوين 1109- 1118- 1137- 1139- 1142- 1143- 1151- 1155- 1156

صنجيل 241- 245- 249- 250- 251- 280- 282- 289- 294- 306- 1166- 1342- 1343- 1344

صندغون 1008- 1009

صندل المقتفوی 574

صواب 832

الصوابی بدر الدين 878

صوداق 1151

صول التركی 1253

ابن الضحاک 697

الضحاک بن جندل 359- 388- 471

ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثی 391- 433- 468

ضياء الدين بن الخطيب 1170- 1192

ضياء بن الفقاعی 1098

الضياء القيمرى 837- 868

ص: 1651

ضياء الدين محمد 1119

ضياء الدين محمود بن الخطير 1112- 1113- 1151

ضياء الدين ابن الشهرزورى 659

ضيفه خاتون بنت العادل 997- 998

طارق الصقلبى المستنصرى 155

طاش بورک بن خان 821

طاشتكين 613- 621- 637- 641- 644- 665- 684- 689- 692- 698- 705- 869

الطائع لله 48

أبو طالب شيخ الصوفيه 513

أبو طالب عقيل بن حيدره 425

أبو طاهر أحمد 857

أبو طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد 613- 687

أبو طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى 943- 1006

طاهر بن الحسين 679- 769

أبو طاهر الصائغ العجمى 254- 255- 312- 362

طاووس 558

ابن الطباح 687

ابن طبرذد 749- 917- 943- 1016- 1093

طرخان خان الخوارزمی 769

ص: 1652

طرخان بن محمود الشيبانى 350

طرشوشى 613

الطرنای بن عبد الله 1362

طريف بن فزاره 139

طزملت بن بكار 117- 118- 124

طغان أرسلان بن حسام الدوله 423

طغتكين بن سيف الإسلام 578- 599- 666

ابن طغج بن جف 30- 40- 41

الطغرائى أبو اسماعيل الأصفهانى 318

طغرلبک بن محمد بن ميكائيل 153- 159- 161- 162- 163- 175- 187- 189- 325- 342- 372- 383- 391- 443

طغريل 633- 711

طقز خاتون 1088- 1167

طلائع بن رزيک 559- 560

طلولا بن بدران الصنجيلى 386

طنكرى 238- 245- 252- 255- 264- 273- 274- 280- 282- 284- 285- 290- 294- 300- 303- 306

طنغر يبرمش 1163

ص: 1653

الطواشى بدر الدين الصوابى 1304- 1377

الطواشى شجاع الدين عنبر 1174

الطواشى شهاب الدين رشيد 1333

الطواشى مبشر 1081

الطواشى محسن الصالحى 1040

الطواشى مرشد 1317

طيبرس بن عبد الله الأمير 1362

طيبرس الوزير 1211

الظافر بالله 506- 507- 661- 704

ظالم بن موهوب العقيلى 36- 37- 38- 39- 40- 45- 54- 55

الظاهر بأمر الله: 656- 660- 671- 672- 677- 684- 685- 686- 702- 707- 708- 709- 726- 742- 747- 752- 778- 797- 933- 934- 935- 945- 965- 967- 968- 979- 970- 972- 977- 978- 980- 981- 984- 986- 987- 989- 990- 996- 1004- 1005- 1006- 1007- 1008- 1009- 1010- 1012- 1013- 1014- 1015- 1018- 1024- 1025- 1026- 1029- 1030- 1045- 1049- 1051- 1052- 1053- 1054- 1056- 1058- 1059- 1064- 1065- 1066- 1067- 1068- 1069- 1070- 1071- 1075- 1076- 1077- 1081- 1082- 1083- 1090-

-1091 -1092 -1097 -1098 -1099 -1101 -1106 -1107 -1108
-1110 -1111 -1112 -1114 -1115 -1116 -1117 -1118 -1121
-1122 -1123 -1124 -1126 -1127 -1128 -1129 -1131 -1132
-1133 -1134 -1135 -1136 -1138 -1139 -1140 -1141 -1142
-1143 -1144 -1146 -1147 -1148 -1149 -1150 -1151 -1152
-1153 -1154 -1155 -1156 -1158 -1159 -1163 -1164 -1165
-1166 -1167 -1172 -1173 -1174 -1175 -1190 -1192 -1195
-1196 -1197 -1199 -1203 -1206 -1207 -1208 -1209 -1210
-1212 -1219 -1236 -1238 -1239 -1240 -1242 -1249 -1256
1339- 1344- 1364- 1379- 1388

الظاهر ركن الدين بيبرس 1093- 1094- 1287- 1334- 1335

الظاهر شادى 850- 1289- 1298- 1300- 1304- 1331

الظاهر غازى 619

الظاهر لإعزاز دين الله 139

ظهير الدين الترجمان 1196

الظهير بن سنقر الحلبى 706- 739- 801- 802- 815

ظهير الدين طغتكين أتابک 227- 228- 239- 243- 244- 246- 247-
248- 249- 252- 253- 256- 257-

ص: 1655

262- 265- 267- 269- 270- 271- 272- 273- 275- 276- 277-
278- 279- 283- 284- 285- 289- 291- 293- 295- 296- 299-
301- 303- 304- 307- 310- 311- 312- 313- 315- 316- 318-
323- 324- 325- 327- 328- 329- 338- 340- 342- 343- 344-
346- 347- 348- 349- 351- 352- 354- 357- 388- 459- 460-
600

ظهير الدين فتوح 1195

عاتكه بنت يزيد بن معاويه 726

عائشه أم المؤمنين 825

عائشه خاتون بنت الملک العزيز غياث الدين 873- 997

العادل الأيوبى 577- 602- 607- 621- 624- 625- 677- 678- 679-
680- 681- 684- 686- 693- 695- 699- 700- 702- 703- 706-
712- 715- 716- 717- 718- 722- 724- 725- 726- 729- 737-
744- 745- 746- 748- 754- 773- 774- 777- 778- 779- 783-
786- 793- 794- 796- 802- 803- 819- 832- 838- 853- 855-
881- 961- 992- 1045- 1046- 1057- 1068- 1138

العادل بدر الدين 1346- 1364- 1379

العادل بن سلار 484

العادل سيف الدين 628- 659- 660- 661- 662- 667- 668- 669-
671- 672- 677

ص: 1656

العادل بن الكامل 829- 884- 913- 915

العاضد 565- 567- 568- 569- 570- 571- 574

عباس الوزير 454- 459- 460- 495- 507- 676- 744- 768- 971- 1201- 1235- 1245- 1258

أبو العباس أحمد العباسى 1366

عباس بن أخى الشريف 768

أبو العباس أحمد بن الإمام المستضى ء بالله 221- 741

أبو العباس صدر الدين التغلبى الدمشقى 940

أبو العباس عبد السلام بن أبى عصرون 708

عباس بن عبد المطلب 1013

أبو العباس بن سيف المغربى اللواتى 673- 674- 675

عباس بن محمد بن أيوب بن شاذى 1138

عبد الجبار بن أرتق 340

عبد الرحمن بن اسماعيل- أبو شامه 1095- 1305- 1309- 1310

عبد الرحمن بن الأستاذ 687

عبد الرحمن بن الياس 134

عبد الرحمن الحلحولى 464

عبد الرحمن بن الشيخ محمد اليونينى 1061

عبد الرحمن بن عبد الله 1311- 1312

ص: 1657

عبد الرحيم شيخ الشيوخ 619

عبد الرحيم بن على بن حسن البيانى الكاتب 680

عبد السلام بن عبد الوهاب 693

عبد العزيز ابراهيم بن على 1096

عبد العزيز بن عبد السلام 755- 803- 805- 898- 929- 1016

عبد العزيز بن منصور بن محمد 1111

عبد العزيز الناسخ 810

عبد الصمد الحرستانى 1016

عبد الظاهر بن الظاهر 1394- 1395

عبد القادر الرهاوى 687

عبد اللطيف بن أبى النجيب الشهرزورى 628

أبو عبد الله بن أبى فرج الأصبهانى 685

عبد الله بن اسماعيل بن أيوب 1334

عبد الله الإمام المستعصم بالله 908- 909

أبو عبد الله البسطامى 476

عبد الله البطائحى 1062

عبد الله الحسين 707

عبد الله السفاح 910

ص: 1658

عبد الله بن محمد عبد الرحمن السنجارى 1402

عبد الله بن على 685- 773

عبد الله بن فضل 902

أبو عبد الله محمد بن البطائحى 333- 334- 676

أبو عبد الله محمد بن تومرت 455

أبو عبد الله محمد بن الخياط الشاعر الدمشقى 376

أبو عبد الله محمد بن زكريا نجيب بن أبى محمد 965

أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الصقلى 457

أبو عبد الله محمد بن على بن أبى طالب- ابن سويد التاجر 913- 944

أبو عبد الله محمد بن مالک بن وهيب الأندلسى 456

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسينى النقيب 468

أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغونى التركى 302- 408

أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسرانى الشاعر 498

أبو عبد الله محمد بن النعمان 81

عبد الله المستنصرى 225

أبو عبد الله المهذب بن نوفل الحلبى 539

أبو عبد الله النجار 909

أبو عبد الله بن نزال 129- 133

ص: 1659

عبد الله يوسف بن الحافظ أبو محمد 575- 634

عبد الله اليونينى 728- 729- 730- 731- 732- 733- 768- 910- 943- 1020- 1279

عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر بالله 478

عبد المحسن بن حمود 820

عبد الملک بن مروان 971- 1341

عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب 857

عبد المنعم بن عمر 673

عبد المؤمن الكومى 458- 577

عبد النبى- الدعى 578- 579- 580

عبد الواحد حيدره 107

عبد الواحد بن الفراج المعرى 1018- 1019

عبد الوهاب بن خلف- ابن بنت الأعز 1096

عبد الوهاب أبو الفرج بن هبه الله بن السيبى 559

ابن عبدون 117

عبيد بن المغيره 1023

عثمان الزنجيلى 615

عثمان شقيق المعظم 718

عثمان بن العادل 769

ص: 1660

عثمان بن عفان 308- 1341

عثمان بن محمد بن عبد الله بن أبى عصرون 946

عثمان بن منكورس بن خمردكين 993

ابن العجمى 599

ابن عداس المصرى 118- 119- 120- 122

ابن عراب 1162

عرقله الكلبى 565

أبو عريف البدرى 792

أبو العز النقيب 1024- 1072- 1082

ابن عزاز 1153

عز الدوله بختيار 30- 47

عز الدين ابن المقدم 614- 623- 634- 650- 659- 667- 668- 719- 764- 792- 798- 852- 917- 983- 984- 991- 1010- 1011- 1016- 1017- 1018- 1019- 1029- 1030- 1083- 1084- 1111- 1235- 1253- 1304

عز الدين أحمد بن مظفر 924- 1115

عز الدين أحمد بن مقل 1133

عز الدين أزدمر الجمدار 961

عز الدين أزدمر العلائى 1402

ص: 1661

عز الدين أيبک الأفرم 864- 1117- 1139- 1173- 1187- 1213- 1402

عز الدين أيبک 706- 721- 756- 761- 765- 784- 792- 798- 820- 821- 823- 826- 827- 863- 864- 877- 885- 888- 889- 892- 1199- 1234- 1236- 1244- 1247- 1358- 1361- 1367

عز الدين الأغاجرى 1069

عز الدين أيبک التركمانى 837- 867- 949- 1000- 1041- 1208

عز الدين أيبک الجواشى 1210

عز الدين أيبک الحلى 860- 861- 1082- 1083- 1092

عز الدين أيبک الحموى 1398- 1400

عز الدين أيبک الدمياطى 990- 1026- 1149

عز الدين أيبک الرومى الصالحى 1210- 1348

عز الدين السليمانى 1008

عز الدين أيبک بن عبد الله مظفر الدين 851

عز الدين أيبک العميد 824

عز الدين أيبک المعظمى 830- 958- 1332

عز الدين أيبک النجيبى 1146- 1149

عز الدين أيدمر الحلبى 1030- 1058- 1069- 1146

ص: 1662

عز الدين أيدمر السيفى 757- 979- 1006- 1138- 1206- 1214- 1209

عز الدين أيدمر الظاهرى 1233

عز الدين إيغان الركنى 1202

عز الدين التركمانى 1208

عز الدين جماز بن شيحه الحسينى 964- 1109- 1190

عز الدين الحمصى 661

عز الدين الحمورى الخزندار المنصورى 1211- 1213- 1390- 1401

عز الدين الدمياطى 990

عز الدين بن السلطان غياث الدين 1161

عز الدين بن سعد بن كوجب الحلبى 771

عز الدين بن سم الموت 1256- 1273

عز الدين الشهاب 1091

أبو العز بن صدقه 203- 204- 205- 206

عز الدين الصقلى 968

عز الدين طيبرس الوزيرى 1007

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام 877- 894- 970- 990

عز الدين عبد العزيز بن وداعه 880

عز الدين العديمى 1123

ص: 1663

عز الدين على بن مالک بن سالم بن مالک 446- 490

عز الدين العلائى 1081- 1162- 1206

عز الدين الفاروقى 1391- 1394

عز الدين فرخشاه 603- 604- 608- 613

العز بن القطان 813

عز الدين بن كر 665- 981

عز الدين كيكاوس 965- 1151

عز الدين لؤلؤ 837

عز الدين بن المحملى 859

عز الدين محمد بن أبى الهيجاء 904- 952- 953- 957- 961- 962

عز الدين محمد بن شداد 933- 1011- 1052- 1214- 1217- 1228

عز الدين محمد بن الصائغ 1255- 1275

عز الدين محمد بن عبد القادر بن الصائغ 1134

عز الدين محمود 668

عز الدين محمود النورمدى 1144

عز الدين المرتضى 1000

عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن أقسنقر 600- 612- 623- 640- 650- 668

عز الدين معين 1346

ص: 1664

عز الدين المقدسى 1241- 1269

عز الدين بن المقدم 684

عز الدين موسک 605- 1121- 1123

عز الدين الموصلى الظاهرى 1207- 1382- 1394

عز الدين نجاح الشرابى 698

عز الدين بن النضر 1282

عز الدين الياروقى 570

عز الدين يغان الدنكى 1066

عز الدين يوسف بن الشجاع 917- 982

العزيز بالله 49- 56- 58- 59- 60- 61- 62- 63- 64- 66- 67- 68- 73- 74- 75- 76- 79- 80- 81- 82- 84- 88- 89- 90- 91- 92- 94- 96- 97- 98- 99- 100- 103- 137- 659- 660- 661- 662- 667- 669- 670- 671- 672- 679- 685- 717- 718- 719- 721- 723- 726- 744- 762- 773- 774- 778- 825- 835- 836- 866- 884- 912- 925- 997- 1045

عزيز الدوله فاتک 139- 141

عزيز الدوله رافع بن أبى الليل 139- 146

العزيز عثمان 610- 669- 721- 755- 762- 764- 765- 770- 773

ص: 1665

العزيز بن الظاهر 778- 1252

العزيز عثمان بن العادل 769- 1145

العزيز بن المغيث 1127- 1128

العزيز بن الملک الناصر 1054- 1165

ابن عساکر 561- 570- 581- 596- 685- 1095- 1258

عصمه خاتون بنت معين الدين 623

عضد الدوله أبى سعيد أبق بن جمال الدين محمد 429

عضد الدوله فناخسره بن بويه 66- 67- 68- 128- 444

ابن العطار 633

ابن عطاش 258- 260- 261

عطيه بن صالح 175- 176- 177- 189

عفراس الرومى 331

عفيف الناسخ 559

العلاء 679- 699- 706- 719- 777- 782- 812- 884- 912- 933- 971- 981- 984- 1008- 1066- 1112

أبو العلاء 114

علاء الدين 1312- 1314- 1315- 1316- 1318- 1392

علاء الدين أحمد 1165

ص: 1666

أبو العلاء إدريس بن أبى عبد الله 1124- 1127

أبو العلاء إدريس الملقب الواثق 1075

علاء الدين الأصبهانى 1211

علاء الدين آق سنقر الدوادار الناصرى 1009

علاء الدين أيبک 1196

علاء الدين أيدغرى 1147- 1210- 1253- 1274

علاء الدين أيدغش 1213

علاء الدين أيدكين الشهابى 1051- 1252- 1280

علاء الدين أيدكين الصالحى 1208- 1209- 1371

علاء الدين البندقدار 967- 980- 986- 987- 988- 1005- 1006- 1007- 1009- 1332

أبو العلاء بهاء الدين الأزدى 904

علاء الدين بن تاج الدين 1358

علاء الدين خوارزم شاه 950

علاء الدين الحلبى 1332

علاء الدين الركنى 1252

علاء الدين بن سلطان 1339

علاء الدين بن الصالح 1009

علاء الدين الصالحى 1364

ص: 1667

علاء الدين طيبرس الوزيرى 929- 995- 1005- 1014- 1024- 1139- 1140- 1145- 1153- 1196

علاء الدين على 1325

علاء الدين على بن عبد الله البغدادى 1011

علاء الدين على بن نصر الله 977- 1001

علاء الدين على بن غانم 951

علاء الدين على الكرجاوى 1049

علاء الدين بن غانم 1366

العلاء الكاشانى 613

علاء الدين كبكى 1081

علاء الدين كباكبى 1346

علاء الدين الكردى 772

علاء الدين كشتغدى الشقيرى 1111

علاء الدين كشتغدى الشعبى 1275

علاء الدين كيخسرو 1193

علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو 884- 1000

علاء الدين محمد بن تكش 874

علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن 874

علاء الدين محمد بن ياقوت 700

ص: 1668

علاء الملک الجوینی 980

علاء الدین المهمندار 1239

العلائی المرتد 1163

العلاقه الملاح 106

ابن العلقمی الوزیر 875- 876- 878

علم الدین سلیمان بن جندر 618- 643- 984- 1234- 1241- 1246- 1247- 1258- 1260- 1261- 1262- 1266- 1276- 1280

علم الدین أبی الموارى 1350

علم الدین الجعبرى 709

علم الدین جلم الأشرفی 1009

علم الدین الحلبی الکبیر 1135

علم الدین الدویدار 1301- 1308- 1318

علم الدین سلطان 1107- 1133

علم الدین سنجر الدوادار 1221- 1282- 1373- 1379- 1392

علم الدین سنجر ذریق الخولانی 1307

علم الدین سنجر الحلبی 861- 862- 865- 871- 933- 935- 937- 965- 967- 968- 977- 981- 986- 989- 1044- 1149- 1207- 1212

ص: 1669

علم الدين سنجر الحموى 1213- 1214

علم الدين سنجر الشجاعى 1295- 1322- 1329- 1337- 1345- 1363- 1372- 1374- 1376- 1377

علم الدين سنجر الصوابى الجاشنكير 1370

علم الدين سنجر طرطج 1135- 1154

علم الدين سنجر المنصورى 1091- 1371- 1376

علم الدين سنجر الناصرى 1008- 1009

علم الدين صنفلى 934

علم الدين طقصا الناصرى 978

علم الدين قيصر الظاهرى 1024

علم الدين المسرورى 1133

علم الدين الوباش 1008

على بن أبى طالب 693- 776- 981

على بن أحمد الجرجرائى نجيب الدوله 138- 141

على بن أحمد- ممدوح المتنبى- الخراسانى 854

على بن أحمد المدائنى 1333

على الأنصارى 969

على بك 1192- 1221

على التركمانى 1026

ص: 1670

على الجراح 100

على بن جق نوين 1011

على بن جعفر بن فلاح 116

على بن جوله 529

على بن حامد 343

على الحريرى 766

أبو على الحسن بن أقش 389

على بن الحسين بن المبارک بن الزبيدى 772

على بن حيدره بن منزو الكتامى 106- 182- 187- 193

أبو على بن خيران 148- 149- 156

على بن دبيس بن صدقه 469

على بن دغيم 1023

على بن السلار 739- 741- 744- 756

على بن سليمان بن جندر 743

على بن شرف الدوله مسلم بن قريش 218

على بن صالح بن على الروذبارى 122

على بن صدر الدين القرشى 880

على بن صلاح الدين 743

أبو على الصوفى 1023

ص: 1671

أبو على طاهر بن سعد المزدقانى 349- 357- 358- 360- 367- 370

على بن عبد الله بن العباس 911

على بن عبود 968

على بن عمر أبو الحسن 1241- 1253- 1256- 1271- 1272

على بن عيسى أبو الحسن 1300

على الفارسى 749

على بن فجر بن عمار القاضى 1342

على بن فلاح 117- 129

على القرشى 1002

على بن قلون عبد الله 1339

على القيمون 754

على كوجک 476

أبو على بن محمد بن أبى على بن باسک 956

على بن محمد بن غازى .. بن شادى 995

على بن المغربى 124

على بن مقلد أبو الجيوش 189- 201- 1120

أبو على المنصور الحاكم بأمر الله 79- 242

على بن الملک المغيث 874

ص: 1672

على الموصلى 764

أبو على النوبى 1024

على نياق 1311

على بن هلال 1019

على بن يوسف بن تاشفين 457

على بن يوسف محمد بن غازى بن يوسف بن أيوب 1338

عماد الدوله بزان 218

عماد الدوله بن بويه 444

عماد الدين ابراهيم بن المجير 993

عماد الدين أتابک زنکى 353- 367- 368- 372- 373- 391- 394- 396- 397- 402- 403- 408- 409- 411- 412- 414- 416- 417- 418- 419- 420- 421- 422- 423- 426- 427- 430- 431- 432- 433- 435- 436- 438- 439- 440- 441- 446- 448- 450- 530- 573- 602- 617- 623- 635- 636- 668- 722- 794- 796- 797- 800- 819- 825- 855- 893- 962- 964- 1006- 1074- 1158- 1159- 1042- 1043- 1044- 1045- 1046- 1048

عماد الدين أحمد المشطوب 1045- 1047

عماد الدين اسماعيل 868- 884- 888- 896- 897- 898- 899- 905- 939- 958

ص: 1673

العماد الحنبلى 829

عماد الدين الخطيب 805

عماد الدين الدامغانى 705

عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن آقسنقر بن أخى نور الدين 668

عماد الدين بن الشيخ 784- 786- 790- 795- 800- 882- 885- 889- 890- 943

عماد الدين عبد الرحيم العباس 1028- 1029

عماد الدين عبد الرحيم الهاشمى 1010

عماد الدين عبد الكريم بن الحرستانى 771- 1095

عماد الدين عثمان 945

عماد الدين بن عزى 923

عماد الدين عيسى 923

عماد الدين أبى الفداء 1334

عماد الدين القطب الحموى 841

العماد الكاتب 583- 595- 601- 605- 607- 614- 619- 623- 628- 631- 633- 638- 648- 651- 652- 655- 657- 659- 660- 677- 678- 680- 681- 683- 685- 687- 826- 885- 889

عماد الدين بن محمد بن شيرازى 1214

ص: 1674

عماد الدين موسک 706- 724- 790- 801- 802- 823- 825- 885- 889

عماد الدين بن النحاس 833- 1044

العمادى 571- 572- 573- 1378

ابن عمار 1166- 1343- 1344

عماره اليمانى 569- 579

عمر بن أحمد بن هبه الله ... ابن العديم 1019

عمر بن الخطاب 1108

عمر بن الرهاص 1023

عمر بن شهاب الدين غازى 815

عمر بن شيخ الفارسيه 687

أبو عمر شيخ المقادسه 588- 686- 1177- 1313

عمر بن طبرزد 1019

عمر بن عبد العزيز 582

عمر بن مجلى 997

عمر بن محمد بن محمد 1056

عمر المسعودى 1363

عمر السنائى الصوفى 650

عمر المغيث 811

ص: 1675

عمر الملا 573- 585

عمرو بن الحاجب 805

عمرو بن مخلول 1151

عمرو بن مالک 40

ابن عنین 642- 683- 725- 759- 1043

ابن عوض 755

ابن عوف 613- 652

عوف القنانی 1024

عوف الدین یحیی بن هبیره 855

عیسی بن العادل 570- 606- 609- 622- 627- 628- 662- 671- 678- 681- 684- 686- 698- 702- 715- 718- 749- 750- 851- 854- 856- 858- 880- 882- 1024

عیسی الکاملی 723

عیسی بن موفق بن المزهر مبارک 759

عیسی بن مهنا 977- 1066

عیسی بن نسطورس 80- 81- 82- 100

عین الدوله بن أبی عقیل 212

غازی بن صلاح الدین 708- 688- 738- 764- 770- 808- 809- 815- 822- 893

غازی بن الملک الظاهر 658

ص: 1676

غازى بن لاجين 1304

غازيه خاتون 872- 873- 997- 1049

أبو غالب عبد المنعم بن محمد بن أسد بن على التميمى 501

غانم بن العشيره 1164

أبو غانم محمد 1019

الغتمى 877

ابن غزال- السامرى 798- 799- 842

غفراس الكافر 1084

غليان الملک 1056

غياث الدين بن ركن الدين 917- 1074- 1109- 1155- 1167- 1170- 1256

غياث الدين أبو المعالى محمد بن الملک الظاهر 996- 998- 1145

غياث الدين كيخسرو 997- 1109- 1114- 1172

غياث الدين محمد بن الملک الناصر يوسف 866

غياث الدين بن الملک صلاح الدين 1300

غياث الدنيا و الدين أبو شجاع محمود بن محمد بن محمود 931

غياث الدنيا و الدين سنجر بن ملكشاه 518- 527

غياث الدنيا و الدين محمد بن ملک شاه 257- 262- 267- 271- 281- 282- 288- 290- 300- 303- 307- 318- 325- 372- 432- 443

ص: 1677

غياث الدنيا و الدين مسعود بن السلطان محمد 494

الفائز بن العادل 728

فائق الصقلبى 88- 89- 90- 137

ابن فارس 717

فارس الدين الأتابک 1212- 1228

فارس الدين أحمد بن أزدمر 977- 982

فارس الدين أقطاى 863- 867- 869- 870- 949- 1022- 1156- 1332- 1365

فارس الدين أقوش المسعودى 1028- 1091- 1160

فارس الدين التطلى 1209- 1210

فارس الدين بن صبره 727- 1047

الفارقانى 1115

الفاضل (القاضى) 601- 656- 657- 659- 672- 680- 685- 749- 1046

فاطمه خاتون بنت الكامل 997

فاطمه بنت عبد الملک مروان 726- 739

أبو الفتح بن ألب أرسلان 204- 209- 210- 211

أبو الفتح بن حمويه- شيخ الصوفه 583

فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محى الدين عبد الله بن الظاهر 1131- 1394- 1395

ص: 1678

فتح الدين أبو الفتح 1056

فتح الدين اسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين 855

فتح الدين الشهاب أحمد 976- 982

فتح الدين عبد الملک بن الملک الصالح عماد الدين اسماعيل 997

فتح الدين عبد الله القيسرانى 1066- 1237

فتح الدين عمر بن الملک العادل سيف الدين 863- 868- 899- 965

فتح الدين محمد بن عبد الظاهر 1364- 1394

أبو الفتح بن الشيخ 52- 190

أبو الفتح بن الصلاح 498

أبو الفتح عمر بن هبه الله بن خلف التميمى 422

أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملک شاه بن ألب أرسلان 372

أبو الفتح بن مصال المغربى 478

الفتح موسى بن أبى بكر بن أيوب 787

أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوى المصيصى 461

أبو الفتيان بن حيوس 941

أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس 140- 192

فخر الدين ابن لقمان 634- 702- 711- 787- 795- 25- 896- 905- 947- 948- 970- 972- 1036- 1038- 1040- 1124- 1151- 1216- 1243- 1250- 1269

ص: 1679

فخر الدين أياز المقرى 1143- 1274

فخر الدين إياس الشمامى 697

فخر الدين البانياسى 885

الفخر بن بصاقه 756- 757

فخر الدين بن تيميه 687

فخر الدين جاجزى 984

فخر الدين الجناحى 1106

فخر الدين جهركس 670- 671- 672

فخر الدين الحصيرى 749

فخر الدين الحمصى 969- 972- 977- 978- 989- 990

فخر الدين بن حنا 1108

فخر الدين خواجا 1113

فخر الدين الرازى 893

فخر الدين سرخاک 529

الفخر بن السميه الخطيب 708

فخر الدين شركس 660

فخر الدين الصفا 834

فخر الدين طغاى 1200

فخر الدين الطنبا الحمصى 968- 1141

ص: 1680

فخر الدين بن الملک العادل بن الکامل 960

فخر الدين عبد المسيح 577

فخر الدين قرا أرسلان 563

فخر الدين قراجا 613- 1193- 1198

فخر الدين الکرمنی 1367

فخر الدين لقمان 1116- 1394

فخر الدين مسعود بن على الزعفرانی 567

فخر الدين أبو منصور محمد بن عبد الصمد الطرسوسی 508

فخر الدين الملک أبو على بن عمار 1344

فخر الدين بن الوزير 1092

فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ 511- 818- 821- 825- 828- 830- 831- 998- 999- 1030- 1035- 1042- 1044- 1057- 1074

الفخر بن يوسف بن محمد الکنجی 528

فخر الملک 1342

فخر الملک أبو على عمار بن محمد بن عمار 240- 241- 249- 250- 251- 252- 262- 269- 270- 274- 275- 277- 278

فخر الملک أبو الفضل اسماعيل بن ابراهيم بن العباس الحسينی 276- 277

ص: 1681

فخر الملوک رضوان 224- 226- 227- 228- 229- 230- 231- 234- 244- 252- 264- 265- 284- 285- 291- 293- 301- 303- 307- 311

أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن 664- 857- 911

أبو الفرج الدقاق 611

أبو الفرج شاه بن شاهنشاه 726- 744

أبو الفرج عبد المنعم بن كليب 911

أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن الحنبلى 220

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس الوزير 55- 63- 64- 74- 75- 76- 77- 79- 80- 91

فرخانشاه الخفاجى بن محمود بن محمد بن ملک شاه 441- 610- 613- 615- 693

الفردوس الرومى 204

فرعون 620

فريندا 1365

الفساسيرى 191

أبو الفضائل 90- 92- 95- 96

الفضل بن أبى الفضل 64- 65- 67- 127- 128

أبو الفضل أحمد بن عبد الرزاق المزدقانى 370- 386

أبو الفضل اسماعيل بن وقار الطبيب 544

ص: 1682

أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات 80

الفضل الرقاش 1024

أبو الفضل طاهر النحوى 676

أبو الفضل عبد الصمد بن محمد الحرستانى 943

أبو الفضل القرشى 1024

أبو الفضل محمد بن يوسف الغزنوى 947

أبو الفضل بن الموصول- مشيد الدين 234- 313- 337

أبو الفضل النحوى 676

فطيس 709

الفقيه السوسى 455

ابن الفنش 1136- 1137

فلک الدين 645- 648

الفلک بن المسيرى 802- 819

أبو الفوارس المسيب بن على بن الحسين الصوفى 414

فهد بن ابراهيم النصرانى- أبو العلاء 105- 112- 114- 115- 118- 119- 120

ابن فهيد اليهودى 768

فيروز (الحاجب) 339- 405

القائم بأمر الله 159- 160- 161- 164- 186- 190- 192- 444- 575

ص: 1683

قارون 43

قادر بن أحمد بن المقتدر 1021

ابن القادس 631- 644- 650- 655- 670

أبو القاسم بن أبى حبه 1023

أبو القاسم أحمد بن أبى هشام العقيقى العلوى 44

أبو القاسم أحمد الجرجرائى 148- 154- 155- 156- 194- 220

أبو القاسم أحمد بن الظاهر 969- 1013- 1014

أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله 225

أبو القاسم بن بديع 226

أبو القاسم الحسين بن حمزه بن الحسين 643

أبو القاسم عبد الرحمن 134

أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى السبط 1160

أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانى 1019

أبو القاسم عبد الله بن ذخيره الدين- المقتدى بالله 192

أبو القاسم عبد المحسن بن عبد الله الطوسى 857

أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد 432

أبو القاسم على بن الحسين بن محمد الزينبى 471

أبو القاسم المسعودى 790

ص: 1684

أبو القاسم يحيى بن أسعد بن لوش 911

قالاجا بن عبد الله الركنى الأمير سيف الدين 1253- 1274

القاهر بالله بن المعتضد 699- 721- 747- 935- 971

القاهر عبد الملک 755- 898

قتاده (الأمير) 701- 900

قتلمش السلجوقى 510

قجقار الحموى 1163

ابن قدامه الشامى 698

قرا أرسلان بن داوود بن سكمان بن أرتق 511- 653- 916- 1004

قرابغا 981- 982

قراجا 230- 672- 684- 690- 696- 705

قراسنقر 565

قراقوس 575- 577- 605- 634- 636- 661- 1091

قرتى بن طغان أرسلان 423

قرغويه غلام سيف الدوله 72

قرلو التركى 185

قرمان التركى 1096

القرمطى 34- 35- 36- 58

ص: 1685

قرواش بن المقلد 126

قسام التراب 63- 64- 66- 67- 68- 69- 70- 71- 73

قسطنطين 52

قسيم الدوله آق سنقر 211- 212- 213- 214- 215- 218- 219- 221- 222- 226

قشتمر 742

القشورى 94

القشيرى 1338

القصير 686- 823

قطب الدين 543- 563- 572- 573- 621- 622- 884

قطب الدين أحمد 718

قطب الدين تانيكو 965

قطب الدين بن زين الدين 688

قطب الدين سكمان القطبى 290

قطب الدين سنجر الناصرى 698

قطب الدين محمد- المنصور 668

قطب الدين محمود 1193- 1201

قطب الدين بن الملک العادل 1057

قطب الدين مودود بن عماد الدين 541- 571

ص: 1686

قطب الدين موسى 660

القطب النيسابورى 577- 584- 586- 652- 1356

قطب الدين ينال بن حسان 604

القطبيه ابنه الملک المفضل 916

قطر الندى 190

المظفر قطز 936- 949- 951- 952- 954- 955- 995- 1044- 1218

قطز نوين 982- 983

ابن القلانسى 772

قلاوون بن عبد الله أبو المعالى 1364

قلج أرسلان بن سليمان قتلمش 232- 237- 244- 255- 263- 264- 265- 510- 511- 577- 635- 649

قلج أرسلان بن غياث كيخسرو 759- 1112- 1114

ابن قليج 803

ابن القنج السرمينى 254- 255

قوام الدين أبو طالب يحيى 915

القومص 563- 626- 627

القومصيه 609

قيران شمس الدين 749

قيس بن عاصم المنقرى 469

ص: 1687

القيسرانى 709

قيماز الأرجوانى 558- 559

قيماز الجمدار الخادم 671

قيماز بن عبد الله مجاهد الدين الخادم الرومى 668

قيماز المسعودى 1083

قيماز النجمى 627- 639- 661- 681

الكاشانى- العلاء الكاشانى 614

كافور الإخشيدى 70- 311

كافور الحسامى 725- 738- 747

كافور العادلى 767

كافور بن عبد الله أبو المسک شبل الدوله العوالى الخادم 1334

أبو كاليجار 1024

الكامل الأيوبى 658- 660- 671- 672- 677- 679- 711- 715- 719- 722- 723- 726- 734- 735- 736- 737- 740- 748- 751- 756- 757- 758- 759- 761- 765- 771- 773- 774- 777- 779- 780- 781- 782- 783- 784- 786- 792- 793- 803- 804- 805- 812- 828- 835- 843- 851- 866- 881- 882- 883- 884- 885- 886- 888- 891- 892- 904- 905- 912- 991- 992- 998- 1031- 1032- 1033- 1034- 1035- 1036- 1037- 1047- 1073- 1088- 1089- 1259- 1332

ص: 1688

الكامل بن شاور 568

الكامل محمد بن الملک المظفر شهاب الدين 925

الكامل ناصر الدين محمد 981

كتبغانوين 921- 922- 926- 930- 931- 942- 945- 953- 954- 955- 1055- 1063- 1165- 1239

كتشغرى المشرقى 1211

ابن كدينه 181

الكرامكس- ألكسيوس كومونين 327

كربوقا 221- 222- 223- 232- 241

الكرجيه بنت إيوانى 817

الكرمانى 751

كرميخائيل 1028

كريم الدين الخلاطى 717- 751- 752- 779- 981

كسرى 54- 764

كشتغرى الشمسى 1211

ابن كشلو خان 822- 921

ابن كشمرد 42

ابن الكعكى 741

كليان 338- 365

ص: 1689

كمال الدين ابراهيم 1228

كمال الدين ابراهيم بن شيش 1049- 1333

كمال الدين أحمد بن صدر الدين 809

كمال الدين أحمد العجمى 1077- 1101

كمال الدين أحمد بن العطار 1257

كمال الدين بن الأستاذ 1049

كمال الدين الاسكندرانى 1213

كمال الدين اسماعيل 1193

كمال الدين بن البانياسى 593

كمال الدين التفليسى 807- 816- 924- 925- 943

كمال الدين بن الشهرزورى 546- 583- 584- 597- 598- 599- 659- 949- 1351- 1354- 1355- 1356

كمال الدين بن عز الدين السنجارى 977

كمال الدين عمر بن العديم 849- 918- 996- 1217- 1218- 1349

كمال الدين كريم الملک أبى الفضل أحمد بن عبد الرزاق المزدقانى 373

كمال الدين المحلى 1049

كمال الدين محمد- الجنيد 948

كمال الدين موسى 1237

الكمال بن المهاجر 782

ص: 1690

كمشتكين البعلبكى 313

كمشتكين التاجى 247- 252- 278- 349- 373

كمشتكين الخادم 602- 606- 607

الكمندور 1101

كند اصطبل 324- 331- 363

كند الفرنج 755

كند أياجور- فولک أوف آنجو 375- 412- 436

كند مزى 238

كندهرى 649

كندهو 427

كنراد 992

كوجک 447

كوكبورى بن على بن بكتكين 774

كوكو جلک 1083

كوهداى 983

الكيالیانى 410

الكيا محمد المتحكم 1352

كيكاوس بن كيخسرو كيقباذ 720- 1159

كيمون القصرى 709

ص: 1691

ابن لاجين 125

لاجين بن ست الشام 766

لاجين الشقيرى 1211

لاجين بن عبد الله- الدرفيل 1160

لاجين بن عبد الله الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى 1059

ابن لاون 691- 707- 710

ابن اللتى 303- 1347

لجه التركى 432

لؤلؤ 688- 689- 804- 837

لؤلؤ- منتخب الدوله 129- 133- 311

لؤلؤ الخادم- يايا 314- 325- 615- 616

لؤلؤ الكبير 85- 86- 89- 92- 94- 95- 96

لؤلؤ بن عبد الله 681

لؤلؤ بن عبد الله حسام الدين 1253

لطيفه بنت الحنبلى 819

ابن ليون الأرمنى 411- 635

الإمام مالک 613- 614- 851

مالک بن طوق 1260

مالک العقیلی 567

مالک بن منیف 1108

ص: 1692

ابن الماورد 43- 44

المأمون أبو عبد الله بن البطائحى 340- 345

المأمون بالله بن الرشيد بالله 410

مبارز الدين أستاذ دار 985

مبارز الدين سنقر الحلبى الصلاحى 737

مبارز الدين الطورى 1142

المبارک بن أبى بكر بن حمدان 311- 913- 1096

مبارک بن الرضى بن المعالى 1133

مبارک بن عبد الله 693

المتقى لأمر الله 410- 971

المجاهد الملک 885- 962- 963- 964- 978- 981

مجاهد الدين 850- 851

مجاهد الدين ابراهيم 1152

مجاهد الدين بزان بن مامين 442- 461- 472- 473- 475- 476- 482- 493- 497- 500- 506- 547- 850- 851- 993

مجاهد الدين قيماز الخادم 605- 612- 650- 659- 668

مجاهد الدين ياقوت 694

ابن المجاور- يوسف بن الحسين

مجد الدين أبو بكر 508- 533- 542

ص: 1693

مجد الدين أتابک 1173- 1190- 1193

مجد الدين أبو الفداء اسماعيل- ابن كسرات الموصلى 994- 995

مجد الدين الحسن بن الملک العادل 897- 898

مجد الدين الحسن بن الملک الناصر داوود 897- 997

مجد الدين الحسين 1151

مجد الدين بن الدايه 565- 567- 571- 573- 598

مجد الدين دوله خان بن جاقر 1115- 1142

مجد الدين شرف الإسلام ظهير الدوله 257

مجد الدين عبد الرحمن بن العديم 1049

مجد الدين عبد العزيز بن الخليلى 1125

مجد الدين فرخشاه 6450

مجد الدين محمود بن قرخان 1402

مجد الدين بن الموفق 622

مجد الرؤساء أبو يعلى حمزه بن أسد بن محمد التميمى 443

أبو المجلى سيف 247

المجن الفوعى 233

مجير الدين آبق 476- 477- 478- 480- 487- 488- 491- 493- 495- 496- 497- 498- 500- 502- 503- 505- 661- 666- 692- 729- 763- 792- 799- 938- 939- 940

ص: 1694

مجير الدين ابراهيم بن أبى بكر 879

مجير الدين أحمد بن أبى الحسين بن تمام 1071

مجير الدين محمد بن بورى بن أتابک طغتكين 569- 572- 1052

مجير الدين يعقوب 713- 718- 813- 1144

محاسن بن العجمى- الجمال 660

أبو المحاسن على بن أبى طالب العجمى 417

محاسن بن الفوال 1140

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلى- ابن شداد 576- 578- 640- 649- 652- 657

محسن الخادم 829- 832- 828

محسن الحوجرى الصالحى 860

محسن الصالحى 1057

محمد (صلى الله عليه و سلم) 239- 241- 251- 264- 265- 667- 676- 680- 685- 190- 693- 717- 718- 726- 730- 822- 1176- 1257- 1265- 1352

محمد بن ابراهيم بن على 1334

محمد بن أبى بكر بن اسماعيل الشيرجى الموصلى 548

محمد أبو جلال الدين 769

محمد بن أحمد 747

محمد بن أحمد القطيعى 882

ص: 1695

محمد بن أسد الدين شيركوه 624

محمد بن إسرائيل 1356

محمد بن أيبک بن عبد الله 1190

محمد بن بتر بن ملک شاه 251

محمد بن برکه خان بن دوله خان الأمير بدر الدين 1254

محمد بک الأوجى 984

محمد بن بيبرس بن عبد الله أبو المعالى 1254

أبو محمد التونى 944

محمد بن جعفر المرسى 676

محمد بن جغرى 542

محمد بن حبيس 112

محمد بن حديده الوزير الأنصارى 691

أبو محمد بن الحراسى 529

أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطى 56- 57

أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازورى 156

محمد بن الحسين بن على 1119

محمد بن الحنفى 798

محمد بن خالد القيسرانى 579

محمد الخالدى 929

ص: 1696

محمد خوارزم شاه 711- 720

محمد الخياط الشاعر 747

محمد بن رحال 1083

محمد بن السلعوس 1346

محمد شاه 525

أبو محمد الصوفى 247

محمد بن طاووس 432- 434- 561

محمد بن الطبرى 1358

محمد بن الملک الظاهر 781

أبو محمد بن عبد العزيز بن محمود بن الأخضر 857- 915

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبى المجد 857

محمد بن عثمان بن منكورس 1152

محمد العزيز بن الظاهر 709- 710- 726

محمد بن على بن عبد الله بن العباس 971

محمد بن غازى بن أبى بكر .. 955

محمد بن القادسى 640

أبو محمد القاسم بن على الدمشقى 1016

محمد القمى 689

محمد السلطان الكامل 678

ص: 1697

محمد بن كيكالدى 616

محمد بن محمد بن جهير 239

محمد بن المستظهر- المقتفى بالله

محمد بن المغربى 124

محمد المقدسى 813

محمد بن ملک شاه السلجوقى 1166- 1342

محمد بن ميكائيل 161

أبو محمد نجيب الدين 678

محمد بن ياقوت 701- 703- 704- 705

محمد بن يحيى بن عبد الواحد 1031

أبو محمد يوسف 690- 715- 742

محمد اليونانى 791

أبو محمود ابراهيم بن جعفر 63- 69- 73

محمود بن اسماعيل بن أبى بكر بن أيوب 1346

محمود بن زنكى بن آق سنقر 596- 1355 (انظر نور الدين)

محمود بن سعد الدوله 434- 531

محمود بن شبل الدوله صالح 176- 177- 178- 179- 186- 187- 188- 189- 190- 192- 223- 331- 332- 337- 559- 561- 593- 1119- 1120

محمود الكاتب 459

ص: 1698

محمود بن على 616

محمود بن غياث الدنيا و الدين محمد بن ملک شاه 330

محمود بن القاهر 739

محمود بن قراجه 342

محمود بن محمد النحوى أبو طاهر 118- 221- 222

محمود المسترشدى 543

محمود بن ممدود 932- 933

محمود بن المنصور 759

محمود بن هبه الله 685

محى الدين ابن الجوزى 784- 802- 813- 844- 512- 613- 909- 911- 915- 926- 1243- 1265

محى الدين ابراهيم بن أبى زكريا 918

محى الدين أبو محمد عبد القادر 1091

محى الدين بن أحمد 1108

محى الدين أرتاش 248

محى الدين داوود بن صلاح الدين 884

محى الدين بن الزكى 618- 641- 655- 659- 662- 667- 756- 813- 816- 821- 922- 923- 943- 991

محى الدين الساقانى 687

محى الدين بن عبد الظاهر 1052- 1056

ص: 1699

محى الدين عبد الله 1099- 1105- 1129

مختار الصقلبى 60

مخلص بن قرناص 998- 999- 1062

المخلص المغيثى 830

مخلوف المالكى 1338

مرحسيا سركيس 1167

ابن المرزبان 713

ابن مرزوق 793

مرزوق بن الأمجد 761

المركيس 649

ابن مروان 129- 217- 910

مروان الجعدى 665

مرى بن ربيعه 364- 372- 380- 566

ابن مرين 1124

ابن مزهر 792

المسترشد بالله 336- 339- 350- 353- 355- 372- 373- 383- 397- 398- 401- 412- 971

المستضى ء 573- 610

المستظهر بالله 239- 288- 328- 559

المستعصم بالله 811- 849- 865- 868- 874- 875-

ص: 1700

897- 900- 909- 910- 915- 970- 971- 990- 1013- 1093

المستعلى بالله 231- 242

المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم 1021

المستكفى- أبو الربيع سليمان 1021

المستنجد بالله- يوسف بن محمد المقتفى أبو المظفر 558- 559- 914

المستنصر بالله 142- 154- 155- 156- 160- 162- 164- 175- 179- 181- 219- 224- 242- 575- 662- 689- 748- 774- 909- 912- 971- 1004- 1013- 1014- 1020- 1031

المستنصر بالله أبو القاسم أحمد 969- 970- 990

المستنصر بالله أبو منصور جعفر بن محمد الظاهر 809

المستنصر بالله العباس بن عبد المطلب 875- 885- 886- 887- 981

المستنصر بالله بن المتوكل 971

المستنصر منصور بن الظاهر 971

ابن المستوفى 913

ابن مسعود 119- 120- 222- 310- 311- 331- 338- 348- 351- 383- 408- 410- 414- 418- 481- 482- 510- 252- 526- 693- 705- 736- 740- 771- 1160

ص: 1701

مسعود أبى الفضل 694

مسعود الجوادى 706

مسعود الحاكمى 115

مسعود بن السلطان محمد 382- 383- 384- 398- 399- 401- 408- 418- 432- 445

مسعود سوار 407

مسعود السيفى 124- 128

مسعود بن معين الدين أنر 624

المسعودى 749- 1111

أبو مسلم الخراسانى 1024

مسلم بن عقيل 199

مسلم بن قريش 201- 205- 207- 217- 218

المسيب العقيلى 500

ابن المشطوب 647- 722- 727- 728- 746- 1047

ابن مصال 482

مصبح بن خلف بن ملاعب 255

مصطفى الملک 158

ابن مطروح 823- 826- 827

المطيع لله 48- 971

الملک المظفر 129- 759- 777- 853- 872- 924-

ص: 1702

927- 929- 930- 931- 932- 933- 934- 935- 937- 944- 963- 980- 982- 983- 984- 991- 11064 1074- 1087- 1380

المظفر أبى الحارث أرسلان الفساسيرى 160- 162- 163- 164

مظفر الدين بن مزين الدين 603- 621- 624- 626- 637- 638- 774- 819

المظفر بن سلار 482

المظفر سيف الإمام 139

مظفر بن سنى الدوله 948

مظفر الدين عثمان بن منكورس 924- 926- 965

المظفر على بن بدر الدين لؤلؤ 933

مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين 886

المظفر محمود 1161

مظفر الدين منتجب الدوله 138- 139

مظفر الدين موسى بن الملک المنصور ابراهيم 965- 966

مظفر الدين موسى بن الملک الناصر يوسف 867- 884

أبو المظفر يوسف بن الجوزى 913

معاذ بن جبل 902- 903

معالى بن قدوس 1123

أبو المعالى المحسن بن الحلقى العارض الدمشقى 326

ص: 1703

أبو المعالى محمد بن على القرشى 943

أبو المعالى محمد بن يحيى 435

معاويه بن أبى سفيان 910- 971- 1341

المعتز بالله 971

المعتصم بالله 971

المعتضد بالله بن طلحه المتوكل 1021

المعتضد بن الناصر بن المتوكل 971

المعتمد بن المتوكل 588- 728- 971

معروف الكرخى 644

المعز 849- 868- 869- 870- 871- 872- 932- 961- 1006- 1062- 1072- 1086

المعز اسحاق 658

معز الدوله أبو الحسين 444

معز الدوله أبو الحسين بن بويه الديلمى 47- 159- 175

المعز الدين الله العلوى الفاطمى 32- 33- 34- 36- 46- 48- 49- 55

الملک المعظم 677- 684- 707- 709- 721- 724- 725- 726- 727- 728- 735- 737- 738- 739- 740- 741- 749- 752- 745- 760- 767- 773- 779- 786- 787- 804- 812- 827- 830- 833- 843- 850- 881- 882- 883- 890- 893- 899- 901- 904- 939- 943- 945- 950- 1332

ص: 1704

المعظم أبى الحارث سنجر بن ملک شاه 281

المعظم أبى الخفر خمارتاش الحافظى 443

المعظم عيسى بن العادل 662- 667- 670- 672- 677- 708

معمر بن النز 1023

ابن معين الدين أنر 712- 794- 819- 1155- 1346- 1348

معين الدين أنر 398- 403- 404- 411- 419- 422- 426- 430- 431- 437- 450- 451- 452- 453- 454- 464- 465- 467- 468- 472- 473- 475- 561- 564- 605

معين الدين سليمان البرواناه 1084- 1112- 1113- 1139

معين الدين سليمان بن مهذب الدين بن محمد 1142

معين الدين بن شيخ الشيوخ 809- 815- 816- 819- 960- 979- 1017

ابن المغربى 84- 93

مغيث الدنيا و الدين محمد بن محمد 342- 350- 353- 372

ابن المفتاح 1302

المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفى 409

المفرج بن دغفل الجراح 60- 76- 80- 100- 107

مفضل بن سعد 137

ص: 1705

مفلح اللحيانى أبو صالح 118- 124

المقتدر بالله 971

المقتدى بأمر الله بن الذخيره بن القائم 212- 1021

المقتفى لأمر الله 431- 469- 471- 510- 525- 558- 971

ابن المقدم- شمس الدين بن المقدم 736- 1133

مقلد بن كامل 140- 141

ابن مقله الكاتب 810

المكتفى بالله 971

مكتوم بن حسان بن مسمار 372

المكرم بن اللمطى 907

المكين أبو البركات محفوظ بن القاضى أبى محمد الحسن بن صصرى 484

مكين الدوله 159- 175

ابن ملاعب خلف 205

ابن ملک الألمان 636- 637

ملكشاه السلطان 190- 198- 199- 207- 209- 212- 214- 215- 216- 218- 223- 230- 233- 311- 559- 567- 658

ملكونا السريانى- ملكوا السيرافى 93- 95

ص: 1706

المنتضى بن مسافر الغنوى 349

أبو المنجا 35- 36- 37- 38- 1127

منجوتكين 91- 92- 93- 94- 95- 96- 98- 99- 100- 101

ابن منزو 193

منشا بن الفرار اليهودى 69- 70- 71- 74- 75- 77- 80- 81- 91

المنصور قلاوون 602- 660- 689- 807- 811- 814- 819- 820- 821- 824- 863- 864- 872- 930- 935- 938- 971- 980- 985- 987- 989- 997- 1002- 1021- 1081- 1090- 1139- 1150- 1155- 1158- 1161- 1162- 1333- 1335- 1336- 1337- 1342- 1347- 1357- 1359- 1360- 1361- 1362- 1365

أبو منصور اسماعيل بن عبد المجيد الحافظى 478

المنصور بن أخت الشيخ أبى محمد 1352

منصور بن زغيب 141

أبو منصور سعيد بن محمد بن الرزاز 685

منصور بن عبدون 123- 124- 126

أبو منصور الفضل بن المسترشد بالله 328

منصور بن كامل 202

ص: 1707

منصور بن كراديس 96

منصور بن محمد 1351

منصور بن محمد أبو جعفر 748

المنصور محمد بن عماد الدين زنكى 726

المنصور ناصر الدين ابراهيم 1062

المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد 873

المنصور نور الدين على بن المعز 934

منفريد بن الامبراطور فريدريک 991- 992

ابن منكلى 690

منكلى بن عبد الله 707- 708

منكوبر 482- 484

منكوتمر بن هولاكو 1117- 1160- 1277

منكوتمر بن طغان بن صرطق 1092- 1093- 1143

منكورس الظاهرى 778- 1339

منير الخادم 76- 77- 91- 92- 129

منير الدوله الجيوشى 219

منيع بن كامل 176

المؤتمن أبو عبد الله البطائحى 345

مودود الأمير 268- 269- 282- 284- 290- 293-

ص: 1708

294- 295- 300- 303- 304- 305- 307- 308- 309- 693- 795

مودود بن الصالح 771

مودود بن عماد الدين 476- 570

الأمير المورقى 873

موسى النبى (عليه السلام) 149- 692- 901- 929

موسى بن ابراهيم شيركوه 1062

موسى بن ادريس بن محمود بن محمد الحضرمى 965- 1152- 1153

موسى بن جعفر 742

موسى بن عادل 1338

موسى العلوى 99- 101

موسى بن عمران 1010

موسى قطب الدين 658

موسى بن يغمور بن جلدک 1071

ابن موسک 802

ابن الموصلى 827- 852

موغان بن منكروس 1163

موفق الدين أبو محمد بن عبد الله ..... المقدسى 707- 858

موفق الدين الحمودى 1396

ص: 1709

موفق الدين الحنبلى 687

الموفق عبد الله بن عمر الأنصارى 1234

موفق الدين عبد الله بن عمر 1149

موفق الدين على بن محمد 1253

مؤنسه خاتون 658

المؤيد فى الدين 157- 158- 175- 215- 415- 436- 437- 487- 488- 493- 506

مؤيد الدوله 44

مؤيد الدين الرئيس 476

أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرى 909

المؤيد العرضى 1088

المؤيد العقربانى 719

المؤيد بن العلقمى 697- 698- 707- 849- 875- 910

مؤيد الدين القفطى 938- 1003

المهتدى بن الواثق 971

ابن مهدى 580- 689- 690- 691- 693

مهذب الدين أبو الحسن على بن محمد الاسعرى 1110

مهذب الدين محمد بن مجلى 916

مهذب بن على 1109

ص: 1710

المهرانى 627

مهنا العلوى 1023

ميخائيل البرجى 93

ميسون الصقلبى 108

أبو الميمون عبد المجيد 333- 369- 389- 91

ميمون العقدى 655

ابن النابلسى العلاء 802

الناصح- كرجى 794

الناصح الحنبلى 671- 677

ناصح الدين اسماعيل بن العميد 618

ناصح الدين بن الحلبى 766

ناصح الدين محمد بن خمارتكين 617

الناصح ضامن 1092

ناصح الطباح 78

الناصر- الخليفه: 696- 742- 757- 765- 777- 781- 784- 790- 792- 802- 803- 821- 822- 824- 825- 836- 849- 850- 864- 865- 869- 879- 880- 882- 884- 885- 886- 887- 888- 889- 890- 894- 896- 897- 898- 900- 901- 902- 908- 916- 917- 918- 919- 920- 921- 924- 925- 929- 952- 956- 961- 966- 992-

ص: 1711

-993 -997 -998 -1000 -1001 -1002 -1003 -1052 -1062 -1063
-1072 -1119 -1132 -1145 -1158 -1203 -1210 -3332 -1346
-1347 -1348 -1350 -1357

ناصر الدوله أبو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان 153- 155- 160-
179- 181

ناصر الدوله الجيوشى 199- 200

الناصر لدين الله 912- 913

ناصر الدين أبو المعالى 1204

ناصر الدين أحمد بن المثير 1027

ناصر الدين أرتق 984- 987

ناصر الدين انحليش 981

ناصر الدين البدرى 989

ناصر الدين الجذامى 988

ناصر الدين حسن بن النقيب الكناثى 1148

ناصر الدين خمارتكين 600- 607

الناصر داود 1146

ناصر الدين سنان 1152

الناصر سيف الدين بن قلاوون 1379

الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد 1335

ص: 1712

ناصر الدين بن صيرم 982- 986

ناصر الدين على بن قرمتين 958

ناصر الدين القيمرى 821- 836- 920- 951- 957- 958- 1066- 1072- 1094

ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه 600- 603- 611- 622- 670- 725- 853- 878- 965- 966

ناصر الدين محمد البتينى 920

ناصر الدين محمد بن بركه قاآن 870- 934- 1069

ناصر الدين محمد بركه بن الملک الظاهر ركن الدين 1255

ناصر الدين محمد بن الملک المسعود 987

ناصر الدين محمد بن الملک المظفر تقى الدين محمود 1356

ناصر الدين محمد بن المقدسى 1359

ناصر الدين محمود بن شمس الدين 965

ناصر الدين مهنا 970- 982

ناصر الدين نصر اللالا 1141

ناصر الدين يغمور 794- 812

الناصر يوسف بن العزيز 676- 781- 812- 828- 850- 866- 870- 923- 924

الناصر يوسف بن الملک العزيز 828

نجاح الشرابى 700

ص: 1713

نجم الدين أبو بكر سنى الدوله 924

نجم الدين أبو عبد الله بن المنذر 968

نجم الدين أبى عصرون 624- 625- 626

نجم الدين أبو نمى بن أبى سعد 964- 1116- 1128

نجم الدين اسماعيل بن الشعرانى 965- 984- 712- 1013- 1144

نجم الدين ألبى 563

نجم الدين أيوب 489- 750- 577- 681- 685- 704- 796- 818- 829- 830- 831- 839- 841- 850- 852- 854- 855- 860- 866- 869- 871- 891- 892- 893- 894- 896- 897- 898- 904- 905- 913- 915- 916- 924- 939- 940- 943- 945- 957- 959- 960- 961- 963- 1017- 1030- 1034- 1035- 1036- 1058- 1062- 1064- 1072- 1074- 1259- 1262- 1273- 1275- 1156- 1157- 1238- 1239- 1240- 1241- 1251- 1255- 1277- 1324

نجم الدين ايل غازى بن أرتق 224- 229- 264- 265- 282- 283- 284- 315- 326- 327- 328- 331- 332- 325- 337- 338- 349- 944- 965

نجم الدين البازرائى 828- 843- 849- 865- 866- 870- 909- 998- 999- 1001- 1062- 1086

نجم الدين البرلى 986

ص: 1714

نجم الدين جعفر 982

نجم الدين استاذدار 976

نجم الدين الحجازى 1144

نجم الدين حسن 1333

نجم الدين حسن بن الشعرانى 1123

نجم الدين خضر 1246- 1247

نجم الدين خليل 752

نجم الدين الحسن بن سلام 591- 751- 763- 794- 799

نجم الدين بن سنى الدوله 991

نجم الدين بن شكر المالكى 1248- 1269

نجم الدين شيخ الاسلام 831

نجم الدين بن شيحه الحصين 1366

نجم الدين قايماز الظاهرى 924

نجم الدين الكامل 992

نجم الدين الكنجى 1123

نجم الدين محمد بن اسرائيل 1356

نجم الدين محمد بن سنى الدوله 1357- 1261

نجم الدين محمد بن يمن 1156

نجم الدين موسى بن ابراهيم 940

ص: 1715

أبو النجم هبه الله بن محمد بن بديع الاصفهانى 273

نجم الدين يعقوب 853

ابن نجيه- زين الدين بن نجيه

ابن النحاس 634- 635

نزار أبو المنصور العزيز بالله 48- 53- 54- 55

نزار بن المستنصر بالله العلوى 225- 874

نزال 77- 78- 82

نسيب الدوله أبو القاسم على بن ابراهيم بن العباس بن الحسن بن الحسينى 315

النشو- أحمد بن نقاد 0

نصر بن ابراهيم المقدسى 561

نصر الله بن بصاقه 886- 890

نصر الله الجعبرى 706

نصر الخادم 559

نصر الدوله 225

نصره الدين أمير أميران 519- 533- 534- 542- 546- 837- 843- 869

نصر العزيزى الصالحى 862

أبو نصر عمر الأصفهانى 257

أبو نصر محمد 633- 789- 751- 736- 742

ص: 1716

نصر بن محمود 192- 194

أبو نصر يوسف الفلاحى 155

نصير الدين 418- 441- 874

النصير بن قاضى بعلبک 812

نصير الدين محمود 1151

نصير الدين ناصر بن مهدى 681- 691

نفيس العلوى 1023

النقاش الحلبى 768

نظام الدين 688

نظام الدين جهير 431

نميره الركابى 59

نور الدين أبو الحسن على بن الأمير شجاع الدين هاشم بن الحسن بن الحسين 873- 1406

نور الدين أحمد بن مصعب 1235

نور الدين ارسلان 518- 650

نور الدين رسلان شاه 884

نور الدين بن رسول 828

نور الدين الطورى 1271

ص: 1717

نور الدين بن على 1260

نور الدين على بن الشجاع الاكتع 879- 939

نور الدين على بن مجلى 859- 967- 1051- 1139

نور الدين على بن الملك المعز 861- 870

نور الدين محمد بن قرا أرسلان 616- 621

نور الدين محمد قرا أرسلان بن سكمان بن أرتق 610

نور الدين محمود بن عماد الدين أتابک 447- 451- 452- 467- 468- 479- 472- 473- 474- 475- 479- 480- 483- 484- 485- 486- 487- 488- 489- 490- 491- 495- 496- 502- 504- 505- 508- 509- 510- 511- 515- 516- 518- 519- 520- 521- 522- 523- 524- 525- 528- 531- 532- 533- 534- 535- 536- 537- 538- 539- 540- 541- 543- 544- 545- 546- 569- 561- 562- 563- 564- 565- 566- 567- 568- 569- 570- 571- 572- 573- 574- 575- 576- 577- 578- 579- 580- 581- 582- 584- 585- 586- 587- 588- 589- 590- 591- 592- 593- 594- 595- 596- 597- 598- 605- 606- 607- 611- 623- 648- 651- 658- 667- 668- 685- 688- 699- 719- 726- 727- 766- 814- 870- 1002- 1092- 1240- 1355

نور الدين محمود بن كليجار 983

ص: 1718

نور الدين الهكارى 1253

نوغاتمر 1113

نوفل البدوى 837

النوفلى العزيزى 1252

النويسه الحاجى 484

الواثق بن المعتصم 971

وادع بن سليمان- أبو مسلم 230

الواسطى- الموفق 813

وثاب بن محمود بن صالح 202- 219- 223- 224

وثاب بن مسافر الغنوى 385

وجه السبع 690- 679- 693

وجيه الدوله أبى المطاع بن حمدان ذو القرنين 133- 135- 219

وجيه الدين البهنسى 1283

الوجيه بن سويد 1054

وجيه الدين محمود بن المنجا 1359

أبو الوحش سبيع بن مسلم الضرير ابن قيراط المقرى ء 316

وحيد الهلالى 106- 108- 122

الوزيرى 1035

الوضيحى 989

ص: 1719

أبو الوقت السنجرى 917

أبو الولى الموصلى 1096

الوليد بن عبد الملک 1341

الوليد بن يزيد بن عبد الملک 971

وهب بن حسان 146

ابن الهادى المحتسب 826

الهادى بن المهدى 971

هارون الرشيد 901- 902- 971

أبو هاشم عبد المطلب 938- 1019

هبه الله بن محمد بن بديع 146- 270

ابن هبيره 798

هرم بن سنان 855

هرمس الحكيم 665

الهزار دينارى 690

هشام بن عبد الملک 127- 971

هلال النبهانى 1024

هنفرى 608- 626

ابن اخت الهنكر 714

هولاکو 849- 874- 875- 876- 877- 878-

ص: 1720

911- 915- 916- 917- 918- 920- 921- 922- 923- 925- 926-
927- 943- 945- 947- 953- 954- 956- 992- 993- 996- 1008-
1009- 1010- 1012- 1014- 1026- 1028- 1029- 1052- 1053-
1054- 1055- 1063- 1069- 1083- 1088- 1089- 1093- 1143-
1158- 1165- 1166- 1167- 1335- 1344

ابن هيثم الأرمنى 411

أبو الهيجاء السمين الكردى- حسام الدين 605- 660- 662- 668- 669-
1044

الهيجاوى 889- 951

يارخ التركى 82

يارقتاش الخادم 326

يازكش سيف الدين 669- 670

ياقوت الخادم 106

يانس الصقلبى 113

يحيى بن الحسين بن سلامه النصرانى 122

يحيى بن زكريا 1230

يحيى بن زكريا الزيدى- ذو الجلالين 176

يحيى بن قاسم 1164

يحيى المعمدان 1230

ص: 1721

يحيى بن هبيره 685- 686

يرنقش 450- 622

يزيد بن المهلب بن أبى صفره 1253

يزيد بن الوليد 971

أبو اليسر شاكر بن عبد الله 595

يعقوب بن كلس 331- 673- 675- 676- 677

يعقوب بن أبى بكر محمد بن أيوب 853

يعقوب الأعز 658

يعقوب بن بدل 979

يعقوب الخياط 704- 705

يعقوب الحكيم 751

يعقوب بن عبد الرفيع 1216

يعقوب بن نور الدين 1127

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن 637- 662- 665- 672- 673- 676

ابن يغمور 798

يغى سيان 215- 229- 230- 231- 232- 233- 234- 311

ابن يمن 1157

يمن الريحانى 600

ص: 1722

أبو اليمن الكندى 858- 943- 1019

ينال بن حسان 600

ينال الطويل 104

يوانيس 89

يوحنا الكرانكس 327

يوسف بن آبق 221- 222- 507- 620- 673- 726- 1235

يوسف بن أبى بركات 702

يوسف بن تاشفين 456

يوسف الصديق عليه السلام 149

يوسف بن الحسن على أبو المحاسن بدر الدين 1072

يوسف بن الحسين- ابن المجاور 600

يوسف خطلج الجبلى 694- 709

يوسف بن الشهاب 828

يوسف بن عبد الرحمن بن على بن محمد 911

يوسف بن على بن بكتكين- زين الدين 637

يوسف بن فيروز 362- 378- 392- 394- 402- 403- 425

يوسف الفندلاوى المالكى 464

يوسف بن قزا أوغلى بن عبد الله- أبو المظفر شمس الدين 855

ص: 1723

يوسف بن محمد 702- 844

يوسف بن محمد بن غازى 996

يوسف بن الملک العزيز 835

يوسف بن لؤلؤ 1354

يوسف محيى الدين ابن الجوزى 770

يوسف بن ياروخ 133

أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق 1125

يونس بن بدران 644- 692- 699- 714- 718- 748- 1377

يونس بن داوود بن الملک العادل 889

يونس بن ممدود 812

ص: 1724

[أحداث]الشعر

قافيه- أ-

- أبوه الذى افتى قديما بسببكم 764- أقام لهذا الدين من سل عزمه 736

- ألم تک للملوک الغر تاجا 377- إن طال ليلک يا عبد العزيز لقد 1003

- إن يطبخوا يوسعونى من دخانهم 796- خطب الموفق إذ تولى خطبه 1388

- ربما تجزع النفوس من الأو 415- روعتنا زلازل حادثات 527

- زعموا أنا هجونا جمعهم كذبوا 1303- سلام على الدار التى تزورها 753

- الطريق الطريق يا ألف نحس 960- على سنه السودان صاد شدبا 1042

- عليک سلام الله قيس بن عاصم 1046- فى كتبه قلم يريک به القضاء قدرا 681

- قل لنا كيف جئت من حصن كيفا 960- لقد كرم الله ابن دهر تسوده 376

ص: 1726

- لو كنت فى يوم السقيفه حاضرا 887- مثل يوم الفرنج حين علمتهم 524

- المسجد الأقصى له عاده 891- ما أكثر الناس و ما أخلهم 1347

- من ضاع مثلى من يديه 637- و كان على أرمد العين يبتغى 927

- و كنا نرضى بعد عيسى محمدا 760- هلاک الفرنج أتى عاجلا 609

- هنيئا فإن السعد راح مخلدا 735- 1034قافيه- ب-- إذا أمت الآمال كعبه رفدكم 1096

- إذا المرء حى فهو يرجى و يتقى 914- أما و قد خيمت وسط الغاب 125

- أمنت نفسى 768- إن المداد خلوه ثوب الكاتب 680

- الأهل يعيد الله وصل الحبائب 1003- دعتک مصر إلى سلطانها فأجب 679

- سلطاننا أعرج و كاتبه .... 642- عنت من ذنبى على وجل 768

ص: 1727

- فررت و لم يغن الفرار و من يكن 128- فكم ليله نام عين الرقيب 140

- فلم يفلت منهم صاحب و لا مصحوب 260- نعى الناعى فأعلن فى النحيب 1048

- و فتحه حلبا بالسيف فى صفر 631- و فتحكم حلب بالسيف فى صفر 618

- ت-- ابن غاز غزا و جاهد قوما 925- يا ملک أيامه لم تزل 595

- ح-- أتيت مهرا تبتغى لملكها 1040- أجدک الله على ما جرى 1040

- إذا كان حكم النجم لا شک واقع 797- إن كان بابا كم يزار راضيا 1040

- خمسون ألفا لا يرى منهم 1040- دار ابن لقمان على حالها 1040

- ذبحت الكرى ما بين جفنى و ناظرى 940- شاقک الحين إلى أدم 1040

- قضى البارق النجدى فى حاله اللحح 940

ص: 1728

- قل للفرنسيس إذا جئته 1040- من قال أهل الشام عند كلهم 798

- نعى الناعى بهاء الدين لما 513- وفقک الله لأمثالها 1040

- و قل لهم إن أحمدوا عوده 1040- د-- إن المنايا لا يفأن لجشم 1352

- بعدا ليومک فى الزمان فإنه 376- قل للخليفه لا زالت عساكره 713

- لقد زعم القسيس أن إلهه 132- لله أى حيا حنت روائحه 1133- 1134

- يا أيها الملک المعظم سنه 725- لا فقيها قد ضل سبل الرشاد 890

- ر-- أحسنوا مادام أمركم 562- تمتع من شميم عرار نجد 615

- سر حيث لک المهيمن جار 1148- عصيت هوى نفسى ... 1043

- فجعت بخل كان يونس وحشتى 528

ص: 1729

- فی حکم من ترک الصلاه و حکمه 676- قالوا الموفق شیعی فقلت لهم 642

- القضب راقصه و الطیر صادحه 873- ما ألیق النحس بمسعودکم 85

- و قد جاء محمود بألف تصرمت 192- و ما الظاهر السلطان إلا مالک 1225

- س-- أنت فی الشام مثل یوسف فی مصر 1233- ص-- بتنا علی حاله ما شابها ریبه 962

- ض-- بنینا و علینا و رضاکما نری 1235- رأیت أهل الشام طرا 1233

- ع-- عذور علی قیس لخضر جواره 821- و إذا المنیه أنشبت أظفارها 376

- ق-- أهوی رشا من خالص الترک رشیق 962- سلوا ألحاظه الممتشق 942

ص: 1730

- و ذى هيف راق العيون انتبازه 873- ک-- أما فى رسول الله يوسف أسوه 1048

- و انهض إلى حلب فى كل سابقه 617- و مدرسه سيفنى كل شى ء 595

- و مليح قلت ما الاسم جيد 851- يا مالكا لم أجد لى من نصيحه 842

- يا من بدوام سعده دار الفلک 1048- ل-- إذا فأجرى من جفن غيرى أدمع 854

- أذقت الناس سبع سنين جدبا 1233- أصبحت لا أرجو و لا أتقى 181

- ألا ليت أمى أيم طول عمرها 895- أولاد شيخ الشيوخ قالوا 1043

- أهادمها شلت يمينک خلها 1018- جعل العتاب إلى الصدور سبيلا 940

- زعمت رجال الغرب أنى هبتها 135- شقايه يا وزير العصر أرفعها 1232

- على مكثريهم حق من يعتريهم

ص: 1731

- قل للخليفه رفقا 912- قلت لمن قال ألا تشتكى 1095

- مررت بقصر فى سياث فساءنى 1018- و حتى يؤوب القارظان كلاهما 915

- هيهات أن يأتى الزمان بمثله 825- يا إمام الهدى أبا جعفر المذ 912

- م-- ألجأنى الدهر إلى معشر 1348- أيار راكبا يطوى الفلا بشمله 1003

- فبعدک لا رقت عبرات عين 897- فوض الأمر راضيا 1295

- فى رجب كل الحميا 722- كذا فلنكن فى الله عز العزائم 1191- 1192- 1193

- لا تجزعى يا نفس إن عبثت بنا 1393- لما تولى قضاء الشام حاكمه 1233

- لو كنت تعلم ما علم الورى 1348- نطام الدين أفضل من رأينا 532

- و لا كتب إلا المشرفيه عندنا 664- و لما ترامينا الفرات تخيلنا 1148

ص: 1732

- ن--

سررت أبا الفتوح نفوس قوم 499- كم غافل و سهام الموت مصميه 547

- و إذا محاسن وجهه بليت 672- يا أحمد ما زلت عماد الدين 1048

- يا ليتهم عادوا إلى الأوطان 768- ه-- إذا تستقيم ما عز صاحبكم 1043

- جاء الغراب إلى البازى يهدده 1354- خذا من صبا نجد أمانا لقلبه 941

- دنف نأى عن من يحب مشاقه 940- سلم الحصن ما عليک ملامه 666

- شمل الهدى و الملک عم شتاته 655- غلب التتار على البلاد فجاءهم 931

- قتلوه شر قتله 839- كذلک عماد الدين زنكى تنافرت 448- 449- 450

- لحمامه المقضى ربى عبده 137- لقد ضاع شعرى على بالكم 680

- يا للرجال لأمر هال مفظعه 1354

ص: 1733

- ما وقف الكمال فى أفعاله 1015- و بالجزع حى كلما عن ذكرهم 942

- ولد الشيخ فى العلوم و فى الإمره 1043- هلک الکفر فى الشام جميعا 931

- يا ذا الذى بقراع السيف هددنا 1352- ى-- أتظننى لا أستطيع 942

- أشبهک الغصن فى خصال 851- إن يكن بالشام قل نصيرى 757

- إنى أرقت و ذكر الموت أرقنى 672- جاء فى الشافعى عند رقادى 1043

- رأيت أهل الشام طرا 1233- رويدكم يا لصوص الشام 565

- ضيعت زمانى كله فى لعب 768- كم رام لى العذول عنهم بدلا 768

- كم يذهب هذا العمر فى الخسران 768- لا رغبه فى الحياه من بعدک لى 1044

- لا سيف إلا ذو الفقار 1264- لبيت داعى هواكم حين نادانى 962

ص: 1734

- لقد حسنت صفاتک یا زمانی 535- لک الحمد یا مولای کم لک منه 560

- لله در عصابه تعش الوغی 987- لم یبق عندی ما یباع بحبه 941

- من حاکم بینی و بین عذولی 1144- مولای إن أبا بکر و صاحبه 744

- و بعت بسنجار خیر القلاع 617- یا مالکا عم أهل الأرض نائله 997

- یا من بمجتمع الشطین إن عصفت 942

ص: 1735

ص: 1736

فهرس الآيات القرآنيه

- اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ 149

- ارْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ 664

- أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ 321

- إِلی رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَساقُ 1352

- أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَیْنَیْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَیْنِ 143

- أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی 142

- إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً 1120

- إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ 1120

- إِنَّ الَّذِینَ سَبَقَتْ لَهُمْ 590- 593

- الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْکُمْ 663

- إِنَّ اللَّهَ لا یَسْتَحْیِی أَنْ یَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً 142

- إِنَّ اللَّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا 141- 142- 562

- إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ 1352

- إِنَّما جَزاءُ الَّذِینَ یُحارِبُونَ اللَّهَ 322

- بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِ 1291

- جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ 1353

- جَنَّهُ الْمَأْوی 1351

ص: 1738

- ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ 657

- ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ 150- 356

- ذلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ 758

- ذلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فِی الدُّنْیا 520

- السَّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ 1351

- سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ 677

- سُلْطاناً نَصِیراً 1173

- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا کَلِمَةً طَیِّبَةً کَشَجَرَةٍ 144

- عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُهْلِکَ عَدُوَّکُمْ 1389

- عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ أُنِیبُ 1352

- عَمَّا قَلِیلٍ لَیُصْبِحُنَّ نادِمِینَ 1352

- فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا 1351

- فَتِلْکَ بُیُوتُهُمْ خاوِیَةً بِما ظَلَمُوا 1022

- فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ کُنْتُمْ 143

- فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ 1353

- فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِینَ 143

- فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِینَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ 261- 1322

- فَلا تُزَکُّوا أَنْفُسَکُمْ 261

- فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى 1352

ص: 1739

- فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ 1351

- فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً 383

- كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَهٍ 148

- قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی 629

- قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ 149

- قُلْ يا عِبادِیَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا 1145

- لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ 914

- لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا 1351

- لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ 656

- لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ 659

- مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ 758

- مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَی اللَّهَ 1352

- الْمَثَلُ الْأَعْلی 145

- نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ 632- 1279- 1327

- نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً 1173

- وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ 144

- وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ 145

- وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً 320

- وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ 321

ص: 1740

- وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى 323

- وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا 321

- وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها 834

- وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ 144

- وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ 1351

- وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً 1318

- وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى 1351

- وَ جاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ 321- 323

- وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ 834

- و جعل له من لدنه سلطانا 149

- وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ 261

- وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ 144

- وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ 143- 181- 520- 1353

- وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ 616

- وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى ما وَدَّعَكَ 46

- وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً 723

- وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ 46

- وَ كَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ 501- 629

- وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا 631

ص: 1741

- وَ عَجِلْتُ إِلَيْکَ رَبِّ لِتَرْضى 1319

- عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ 148

- وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَهُ 1340

- وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ 972

- وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ 1351

- وَ لا يُنَبِّئُکَ مِثْلُ خَبِيرٍ 1265

- لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها 1352

- لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ 145

- وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْکَ مَرَّهً أُخْرى 628

- وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ 145

- فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ 1352

- وَ ما ذلِکَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ 1354

- وَ ما رَبُّکَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ 268

- وَ ما رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ 1055

- وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ 183

- وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ 1022

- وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ 620

- وَ مَثَلُ كَلِمَهٍ خَبِيثَهٍ كَشَجَرَهٍ 144

- وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّٰهِ 834

ص: 1742

- وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِکَ 260

- وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ 144

- وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً 359

- يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ 603

- وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ 142

- هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلَّا هُوَ 655

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا 319

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ 258

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ 1023

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 09132000109
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.